الجزء الرابع من شرح مشكاة المصابيح لعلي القاري من أربعة

نوشهرلي احمد پاشا قونلدن

الجزؤ الرابع من شرح
مشكاة المصابيح للامام
العالم العلامة ملا
علي قاري نفعنا الله
ببركاته امين
امين

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

774

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين
السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتأمل أيده الله تعالى
حرره الفقير أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة والتوفيق

باب الحذر والتاني في الامور

الحذر الاحتراس من الضرر والتاني عدم العجلة من تانى في الامر اذا توقف فيه

الفصل الاول عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن برفع الغين على النفي ويروى بكسر الغين على النهي والمراد بالمؤمن الكامل في عقد من جحر بضم جيم وسكون حاء اي ثقب وخرق واحد مرتين اي كرتين اي مرة بعد اخرى قال الخطابي هذا يروى على وجهين احدهما على الخبر وهو ان المؤمن الممدوح وهو المتيقظ الحازم لا يؤتى من ناحية الغفلة فيخدع مرة اخرى وهو لا يفطن به وقد قيل انه الخداع في امر الاخرة دون امر الدنيا وثانيهما على النهي اي لا يخدعن المؤمن ولا يؤتين من ناحية الغفلة فيقع في مكروه وهذا يصلح ان يكون في امر الدنيا والاخرة قال التوربشتي وارى الحديث لم يبلغه الخطابي على ما كان عليه وهو مشهور عند اهل السير وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم منّ على بعض اهل مكة وهو ابو عزة الجمحي وشرط عليه ان لا يجلب عليه فقال لا يلدغ المؤمن الحديث وروى النووي عن القاضي عياض هذه القضية وقال سبب هذا الحديث معروف وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم اسر ابا عزة الشاعر يوم بدر فمن عليه وعاهده ان لا يحرض عليه ولا يهجوه فاطلقه فلحق بقومه ثم رجع الى التحريض والهجاء ثم اسر يوم احد فسأله المن فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يلدغ الحديث وهذا السبب ذكره الطيبي ولم يظهر لي وجه ضعفه في انه تذنيب العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والا لكان المؤمن مختصا به صلى الله عليه وسلم لكونه اخبر عن نفسه وقد اطنب الطيبي في نصرة الخطابي الى ان قال فظاهر ان القول بالنهي اولى والمقام له وعنه انتهى وبعده لا يخفى متفق عليه ورواه احمد وابو داود والترمذي عنه واحمد ايضا وابن ماجة عن ابن عمر وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاشج عبد القيس بالاضافة وهو كان رئيس عبد القيس وهي قبيلة وفي نسخة بالفتح على انه غير منصرف وان عبد القيس بدل منه او عطف بيان له على حذف مضاف اي رئيس عبد القيس واسمه المنذر بن عائذ ولم يذكره المؤلف ان فيك لخصلتين يحبهما الله في نفيك وفي نسخة فيك الحلم وهو بكسر الحاء تاخير مكافاة الظالم في الاصطلاح ثم يستعمل في العفو عن الذنب قيل والمراد به هنا عدم استعجاله وترضيه حتى ينظر في مصالحه قلت فيفيد تكرر مع قوله والاناة بفتح الهمزة على وزن قناة وهو اسم من التاني فقيل معناه الوقار والتثبت وقيل التاني في الطاعات وقيل المراد جودة النظر في العواقب وضبطا في اكثر النسخ بالرفع فيهما وجوز نصبهما لكن الاظهر هو النصب على البدلية من الخصلتين كما حقق في قوله تعالى الحمد لله رب العالمين وفي حديث بني الاسلام على خمس هذا وفي شرح

السنة

السنة يروى عن المنذر الاشج انه قال يا رسول الله انا اتخلق بهما ام الله جبلني عليهما قال بل الله جبلك عليهما قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله انتهى وانما عطف رسوله عليه لان محبته صلى الله عليه وسلم تابعة لمحبته تعالى لا تنفك عنها رواه مسلم وكذا الترمذي

الفصل الثاني عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الاناة من الله اي من الهامه والعجلة اي في امور الدين من الشيطان اي وسوسته قيل ويستثنى من ذلك ما لا شبهة في خيريته قال تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات قلت يفرق بين المسارعة والمبادرة الى الطاعات وبين العجلة في نفس العبادات فالاول محمود والثاني مذموم رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب قال ميرك وفي بعض النسخ حسن غريب وقد تكلم بعض اهل الحديث اي من العارفين باحوال رجال الاسناد في عبد المهيمن بن عباس الراوي ... اي احد رواة هذا الحديث من قبل حفظه اي ونحو طعن البعض فيه من جهة حفظه لا من جهة عدالته ... فانه من سهل وقد رواه البيهقي في شعب الايمان عن انس ... ولفظه التاني من الله والعجلة من الشيطان وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حليم الا ذو عثرة بفتح العين وسكون المثلثة اي صاحب زلة قدم او لغزة قلم في تحريره او ... في تقريره قال ... اي لا حليم كاملا الا من وقع في زلة وحصل منه الخطأ ... به رتبة العفو فيحلم عند عثرة غيره لانه عند ذلك يصير ثابت القدم ولا حكيم الا ذو تجربة اي صاحب امتحان في نفسه وفي غيره قال ... اي لا حكيم كاملا الا من جرب الامور وعلم المصالح والمفاسد فانه لا يفعل فعلا الا عن حكمة فان الحكمة احكام الشيء واصلاحه عن الخلل انتهى وهو موافق لما في النهاية وشرح المظهر لكن ينبغي ان يقال لا حليم ولا حكيم من المخلوقين الا كذا ليصلح الحصر وقد عرفت وصفه تعالى بهما في الاسماء الحسنى ويمكن ان يقال المعنى لا حليم الا وقد يعتريه كما في نعوذ بالله من غضب الحليم ولا حكيم من الحكماء الطبية الا صاحب التجربة في الامور الدانية والدوائية والله اعلم رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وكذا ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وعن انس ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني اي بشيء يزيل تحيري في امري فقال خذ الامر اي الذي تريد ان تفعله بالتدبير من باب التفعيل اي بالتفكر في دبره وان تتامل في مصالحه ومفاسده والنظر في عاقبة امره فان رايت في عاقبته خيرا اي نفعا دنيويا او اخرويا فامضه بقطع الهمزة اي فافعله وان خفت اي رايت بقرينة المقابلة غيا ... وما احسن موقعه في الشر المعبر عنه بقوله غيا اي ضلالة وانما ترك مراعاة المقابلة ليفيد زيادة المشاكلة فكانه قال في الاول خيرا وهو هداية وفي الثاني شرا وضلالة وهذا نوع من بديع البديع ثم قوله رايت بمعنى علمت او ظننت والثاني اظهر لان مبنى الامور الشرعية كلها والمطالب العرفية كلها انما هو على الظن لا سيما بالنسبة الى المخاطب فان ارباب اليقين في كل قضية لا يوجد الا في الانبياء وكذا النص رفيق مع ان الحكم العام يعلم بالاولى كما لا يخفى وقال الطيبي الخوف هنا بمعنى الظن كما في قوله تعالى الا ان يخافا الا يقيما حدود الله ويجوز ان يكون بمعنى العلم واليقين لان من خاف من شيء احترز عنه وتحرى حقيقته انتهى وفيه بحث ليتحقق حقيقته قال ونظير هذا انسب بالمقام لانه وقع في مقابلة رايت وهو بمعنى العلم وهي نتيجة التفكر والتدبير قلت بل الانسب ان يقال المعبر عنه بالامتحان للفعل المعني عنه بالامضاء والترك المعبر عنه بقوله فامسك اي كف عنه واترك رواه في شرح السنة وذكر السيوطي المرفوع وفي الجامع الصغير

وقال رواه عبد الرزاق في الجامع وابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الايمان وعن مصعب بصيغة المفعول ابو زرارة بن سعد اي ابن ابي وقاص عن ابيه اي سعد وهو احد العشرة المبشرة واما مصعب فسمع اباه وعليا وابن عمر وروى عنه سماك بن حرب وغيره قال الاعمش اي احد الرواة وهو تابعي جليل قال المؤلف اسمه سليمان بن مهران الكاهلي الاسدي يعرف بني كاهل بطن من بني اسد خزيمة ولد بارض الروم فجيء به حميلا الى الكوفة فاشتراه رجل من بني كاهل فاعتقه وهو احد الاعلام المشهورين بعلم الحديث والقراءة وعليه مدار اكثر الكوفيين روى عنه خلق كثير مات سنة ثمان واربعين ومائة لا اعلمه اي قول سعد هذا الا عن النبي صلى الله عليه وسلم اي نقلا رواية عنه او لا اعلم الحديث المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال التؤدة بضم التاء وفتح الهمزة اي التأني في كل شيء اي من الاعمال خير اي مستحسن الا في عمل الآخرة لان في تاخير الخيرات آفات وروي ان اكثر صياح اهل النار من تسويف العمل قال الطيبي وذلك لان الامور الدنيوية لا يعلم عواقبها في ابتدائها انها محمودة العواقب حتى يتعجل فيها او مذمومة فيتأخر عنها بخلاف الامور الاخروية لقوله تعالى فاستبقوا الخيرات وسارعوا الى مغفرة من ربكم قال الغزالي في قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ينبغي للمؤمن اذا تحركت له داعية البذل ان لا يتوقف لان الشيطان يعده ويخوفه ويصده عنه كان ابو الحسن البوشنجي في الخلاء فدعا تلميذا له فقال انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال خطر لي بذله ولا آمن على نفسي ان تتغير رواه ابو داود وكذا الحاكم في مستدركه والبيهقي في شعب الايمان عن سعد مرفوعا وعن عبد الله بن سرجس بكسر الجيم وفتح السين وفي نسخة بفتح الجيم وكسر السين وسبق تحقيقه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال السمت الحسن اي السيرة المرضية والطريقة المستحسنة قال شارح السمت الطريق ويستعار لهيئة اهل الخير وفي الفائق السمت اخذ المنهج ولزوم المحجة والتؤدة اي التأني في جميع الامور والاقتصاد اي التوسط في الاحوال والتحرز عن طرفي الافراط والتفريط قال التوربشتي الاقتصاد على ضربين احدهما ما كان متوسطا بين محمود ومذموم كالمتوسط بين الجور والعدل والبخل والجود وهذا الضرب اريد بقوله تعالى ومنهم مقتصد والثاني محمود على الاطلاق وذلك فيما له طرفان افراط وتفريط كالجود فانه بين الاسراف والبخل والشجاعة فانها بين التهور والجبن وهذا الذي في الحديث هو الاقتصاد المحمود على الاطلاق قلت ومن هذا القبيل الاقتصاد في الاعتقاد فانه بين التعطيل والتشبيه وبين الجبر والقدر والاقتصاد في المعيشة ومنه قوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ومنه حديث الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة وحديث ما عال من اقتصد وكذا حكم الاقتصاد في سائر الافعال ومنه قوله تعالى واقصد في مشيك واغضض من صوتك وقوله عز وجل كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال بعض العارفين اطلب العلم بحيث لم يمنعك عن العمل واعمل بحيث لم يشغلك عن العلم جزء اي كلها او كل منها من اربع وعشرين جزءا ويؤيده الاخير ما رواه الضياء عن انس مرفوعا السمت الحسن جزء من خمسة وسبعين جزءا من النبوة مع زيادة افادة ان المراد بالعدد المذكور التكثير لا التحديد ويتضح الحديث الآتي جزء من خمس وعشرين على انه يمكن الاختلاف بحسب اختلاف الكمية والكيفية الحاصلة في المتصف بها واما ما قال شارح من ان التفاوت بين العددين من خمس واربع يحتمل ان يكون من غلط الرواة فهو احتمال غلط منه وسببه الغفلة عما ذكرناه نقلا وعقلا والله اعلم

قال

قال القاضي كان الصواب ان يقول اربعة على التذكير فلعله انث على تاويل الخصلة او القطعة او اجرى الجزء مجرى الخصلة في التذكير والتانيث قلت التاويلات كلها مستحسنة واما قوله فكان الصواب خطأ اذ لا يجيء من النبوة اي من اجزائها قال الخطابي الهدي والسمت حالة الرجل ومذهبه والاقتصاد سلوك القصد في الامور والدخول فيها برفق على سبيل تمكن الدوام عليها يريد ان هذه الخصال من شمائل الانبياء عليهم السلام وانها جزء من اجزاء فضائلهم فاقتدوا بهم فيها وتابعوهم عليها وليس معناه ان النبوة تتجزى ولا ان من جمع هذه الخلال كان نبيا فان النبوة غير مكتسبة وانما هي كرامة يخص بها الله من يشاء من عباده والله اعلم حيث يجعل رسالاته ويحتمل ان يكون معناه ان هذه الخلال مما جاءت به النبوة ودعا اليها الانبياء وقيل معناه ان من جمع هذه الخصال لقيه الناس بالتوقير والتعظيم والبسه الله لباس التقوى الذي البسه انبياءه عليهم السلام فكانها جزء من النبوة قال التوربشتي والطريق الى معرفة ذلك العدد ووجهه بالاختصاص من قبل الراي مسدود والاستنباط مسدود فانه من علوم النبوة وقد سبق القول في هذا المعنى في كتاب الرؤيا رواه الترمذي وعن ابن عباس ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان الهدي بفتح فسكون الصالح اي السيرة الحسنة والسمت الصالح اي الطريقة المستحسنة من زي الصالحين وخاصة الفرق بينهما ان الهدي متعلق بالاحوال الباطنة والسمت بالاخلاق الظاهرة فهما في الطريقة بمنزلة الايمان والاسلام في الشريعة والجمع بينهما نور على نور به تتم الحقيقة والاقتصاد اي التوسط في امر المعيشة والمعاد جزء من خمس وفي رواية الجامع خمسة بالتاء وهو الظاهر وعشرين جزءا من النبوة رواه ابو داود وكذا الحاكم وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا حدث الرجل اي عندك او عند احد وهو الاظهر الحديث اي الذي يريد اخفاءه ثم التفت اي غاب عنك او عنه بمفارقة المجلس فهي اي ذلك الحديث وانث باعتبار خبره وهو قوله امانة وفيه ان الحديث بمعنى الحكاية والمعنى التعقيب احكمه حكم الامانة فلا يجوز اضاعتها باشاعتها وقد فسر المظهر قوله التفت بغاب وحينئذ ثم على بابه من التراخي المستفاد منه حكم التعقيب بالاولى وقال الطيبي والظاهر اذا التفت هنا عبارة عن التفات ظاهر يعني لما تكلم التفت يمينا وشمالا احتياطا انهم للتراخي في الرتبة ويدل على هذا ترتيب الفاء وان كان مسببا عن الاول قلت هذا تكلف ظاهر مستغنى عنه فان الحكم عام غير مخصوص بما يفهم منه والفاء لازمة للجزاء المستقر فيها دلالة على ما ادعاه اصلا وحاصله اجمالا معنى الحديث الآتي المجالس بالامانة ويستثنى منها ما سيأتي والله اعلم رواه الترمذي وابو داود وكذا احمد والضياء عن جابر وابو يعلى في مسنده عن انس وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي الهيثم بن التيهان بفتح التاء المثناة الفوقية وكسر المثناة التحتية المشددة وبالنون ذكره في جامع الاصول وقد تقدم ترجمته في باب الضيافة وهذا الحديث ذيل لذلك الحديث وقد بيناه هناك هل لك خادم اي عبد قال لا قال فاذا اتانا سبي اي اسارى فاتنا اي جئ النبي صلى الله عليه وسلم برأسين من العبيد فاتاه ابو الهيثم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اختر منهما اي واحدا منهما وبعضهم فقال يا نبي الله اختر لي اي انت اولى بالاختيار فانك المصطفى المختار وعلى اختيارك المدار فقال النبي صلى الله عليه وسلم تواضعا وتهذيبا ان المستشار اي من طلب رايه فيما فيه المصلحة مؤتمن اسم مفعول من الامن او الامانة ومعناه ان المستشار امين فيما يسأل من الامور

فيما ينبغي ان يكون المستشير بكتمان مصلحته خذ هذا اي مسارا الى اخرها فاني رايته
يصلي فيه انه يستدل به على خيرية الرجل بما يظهر عليه من اثار الصلاح لا سيما الصلاة فانها
تنهى عن الفحشاء والمنكر واستوص به معروفا اي استوصيه معروفا قيل معناه لا تامره الا بمعروف
والنصح له وقيل ومرني في حقه بمعروف كذا ذكره ابن العرب وقال الطيبي اي اقبل وصيتي في حقه
واحسن ملكته بالمعروف رواه الترمذي اي في جامعه وكذا في الشمائل مطولا الا انا اوردناه
في باب النفقة وفيه انه اعتق العبد لاجل وصيته عليه السلام واما حديث المستشار
مؤتمن فقد رواه الاربعة عن ابي هريرة والترمذي عن ام سلمة وابن ماجه عن ابي مسعود
وفي رواية الطبراني في الكبير عن سمرة بلفظ المستشار مؤتمن ان شاء اشار وان
شاء لم يشر وفي رواية له في الاوسط عن علي بلفظ المستشار مؤتمن فاذا استشير فليشر
بما هو صانع لنفسه وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المجالس بالامانة
الا ثلاثة مجالس اي احداث في ثلاثة من المجالس والمعنى ينبغي للمؤمن اذا حضر مجلسا على
منكر ان لا يشيع ما راى منهم الا ثلاث مجالس سفك دم بالرفع بتقدير في مجلس اراقة
دم حرام باضافة صفة دم اي دم حرام سفكه او دم محترم في الشرع او فرج حرام او اقتطاع
مال بغير حق قيد للاخير فقط ولعل العدول عن حرام هنا لاجل مفهومه من الحلال فان
اقتطاع مال الناس فيما حرام سواء يكون المال حلالا او حراما فالجار متعلق بالاقتطاع
لا غير قال المظهر يعني اذا سمع من قال في مجلس اريد قتل فلان او الزنا بفلانة او
اخذ مال فلان فانه لا يجوز ستر ذلك حتى يكونوا على حذر منه رواه ابو داود واما صدر
الحديث وهو قوله المجالس بالامانة فقد رواه الخطيب عن علي ايضا وذكر حديث ابي سعيد
ان اعظم الامانة اي عند الله يوم القيامة الرجل يفضي الى امراته وتفضي اليه ثم ينشر سرها
رواه مسلم في باب المباشرة في الفصل الاول قال الطيبي تنبيه على ان هذا الحديث في
مكرر في المصابيح وعلى ان ايراده في الصحاح اولى منه في الحسان ان قول الظاهر ان المؤلف
حول الحديث من هنا الى ذلك الباب لانه انسب به فهو اعتراض واعتذار بلا توهم اشتباه
والله اعلم وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله العقل قال له قم فقام
ثم قال له ادبر فادبر ثم قال له اقبل فاقبل ثم قال له اقعد فقعد ظاهر الحديث انه خلق مجسما
مجسما كما يجعل الموت في صورة كبش يذبح بين الجنة والنار والمراد بالقيام والقعود
والاقبال والادبار امور معنوية حاصلة منه في شيئه عند اختلاف ارباب
العقول ولعل القيام كناية عن الظهور والقعود عن خفائه والاقبال عن توجهه الى شيء
والادبار اعراضه عنه بحسب ما تعلق به المشيئة والارادة الازلية قال الطيبي المجموع كناية
عن ان العقل هو محل التكليف واليه تنتهي الاوامر والنواهي وبه يتم غرض خلق المكلفين من العباد
الى ما خلقت السموات والارض الا لاجله ثم بين عليه ما يعدل قلت الصواب وضع الحكمة
موضع الغرض لان افعاله تعالى لا تعلل بالاغراض ثم قال له ما خلقت خلقا هو خير منك اي
في حد ذاته فانه جوهر شريف يحتاج اليه الوضيع والشريف ومن جملته الدلالة على كماله انه لا احد
يغضب من نسبته نقصانه او نقصان اليه ولا افضل منك لحصول الفضائل والفواضل وزيادة العبادات
والدرجات ولا احسن منك اي في حسن المعاشرة وتحسين المعاملة بك اي بسببك او بقدرك
اخذ العبادات من شاء دي وبك اعطي اي الثواب والدرجات وبك اعرف بصيغة المجهول اي ذاتا
وصفة وحكما وبك اعاتب اي على من اعانت فان المجنون ونحوه لا عتب عليه وبك الثواب ابهم
حال الاقبال وعليك العقاب اي حصوله وقت الادبار واعلم ان شرف العقل انما هو لكونه سبب

للعلم

للعلم المنتج للعمل المؤدي الى السعادة الابدية وسمي عقلا لانه يعقل صاحبه عما لا ينبغي كما يسمى
نهية لانه ينهى عن الفحشاء والمنكر وقال الراغب العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ويقال
للعلم الذي يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ولهذا قال شعر

العقل عقلان مطبوع ومسموع ۝ ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع
كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع

والى الاول اشار بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والى الثاني
اشار بقوله ما كسب احد شيئا افضل من عقل يهديه الى هدى او يرده عن ردى وهذا العقل
هو المعنى لقوله تعالى وما يعقلها الا العالمون قلت الظاهر انه كما لا ينفع مسموع
بلا مطبوع كذلك لا ينفع مطبوع بلا مسموع الا ترى ان الحكما مع زعمهم انهم اكبر العقلا
ما نفعهم مجرد عقولهم المطبوعة من عدم متابعتهم للانبيا واقوالهم المسموعة وقال تعالى
افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم ونظيره المشاهد لكل احد الاصم الخلقي فانه
ينتفع بعقله المطبوع وليس له حظ من العقل المسموع ثم هذا الحديث رواه البيهقي في شعب
الايمان كما اجمله المؤلف في الفصل وقال ف وقد تكلم فيه اي في ضعف هذا الحديث
او فقد طعن في ثبوته بعض العلما ففيه تنبيه على اختلاف العلما في حقه لكن قال
السخاوي في المقاصد انه كذب موضوع اتفاقا ثم رايت في مختصر الشيخ محمد بن يعقوب
الفيروزابادي انه قال اول ما خلق الله العقل اه ضعيف وما خلق الله خلقا اكرم من
العقل الحكيم ضعيف وفي شرح الطيبي قال الشيخ تقي الدين بن ابي تيمية الحديث الذي ذكره
كذب موضوع عند اهل المعرفة بالحديث كما ذكر ذلك ابو جعفر العقيلي وابو حاتم البستي
وابن الجوزي الخدروان الثابت في الامور ظاهر لانها من نتايج العقل والله اعلم وعن عمر
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليكون من اهل الصلاة
والصوم والزكاة والحج والعمرة حتى ذكر سهام الخير اي ابوابه وانواعه كلها اي جميعها وما
يجزى بصيغة المجهول اي ما يثاب يوم القيامة الا بقدر عقله اي بمقدار استعماله في تفقه
العبادات ويحتمل ان يكون المراد بالعقل نفس المستفاد بالعقل فيفيد ان زيادة المثوبات
والدرجات في العبادات باختلاف مراتب علوم اصحابها وعقول اربابها قال الطيبي اشارة
الى ان المسموع لا ينفع كل النفع الا بالعقل المطبوع لانه هو المميز الذي يضع كل شيء
في موضعه وبه يتفاوت صلاة عن صلاة وصدقة عن صدقة وصوم عن صوم لانه
ربما يركع ركعتين في مقام يفضل الف ركعة في غيره وكذلك الصدقة وغير ذلك من اعمال البر
وربما يبطل به خيرا يرجع عليه وبالا قلت لا خفا ان العقل المطبوع ليس
له التمييز في الامر المشروع ولهذا لا يعتبر التحسين والتقبيح العقليين فالمدار هنا على
العقل المسموع لكن بمساعدة العقل المطبوع بان يطلع على ما ينبغي من المعلوم في الشريعة
وفي مقام يلقاه من المسموع في الطريقة وكذا سائر العبادات والله اعلم بالنيات
فمدار كمال الصلاة مثلا بعد مراعاة الشروط والاركان وواجباتها وسننها واداب المسنونة
المقرونة على حضور القلب مع الله وقطع النظر عما سواه فقد روى احمد وابو داود وابن
حبان عن عمار بن ياسر مرفوعا ان الرجل لينصرف وما كتب له الا عشر صلاته تسعها ثمنها
سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا ابا ذر لا عقل كالتدبير قال الطيبي اراد بالتدبير العقل المطبوع لما سبق ان العقل
المسموع لا يعتد به ولا يحتسب لصاحبه الا بالعقل المطبوع قلت وقد تقدم ان العقل

المطبوع لا نفع له بدون العقل المسموع بل ربما ينفع المسموع بدون المطبوع كمن امن بمجرد التقليد فالمعنى لا عقل كعقل التدبير اي كالعقل الذي يصحبه التدبير وهو الذي ينظر في دبر الامر وعاقبته ويميز ما يحمد ويذم في اخره ولا شك ان مداره على العقل المسموع ولا ورع كالكف اي ولا ورع عن المحرمات والشبهات مثل الكف عن المعاملات وترك المباحات الا الضروريات ولا حسب اي لا مكرمة ولا شرف كحسن الخلق اي كمداراة الخلق مع مراعاة الحق هذا وفي النهاية الورع في الاصل الكف عن المحارم والتحرج فيه ثم استعير للكف عن المباح والحلال قلت فالمراد بالورع في الحديث معناه الاصلي وبالكف معناه العرفي على ما قررناه ولما غفل الطيبي عما حررناه قال بعد كلام صاحب النهاية فان قلت يفهم هذا الورع هو الكف فكيف قيل ولا ورع كالكف قلت الكف اذا اطلق فهم منه كف الاذى او كف اللسان كما قال صلى الله عليه وسلم كف هذا واخذ بلسانه كما يدل ولا ورع كالصمت او الكف عن اذى المسلمين ولا حسب كحسن الخلق اي الاحكام مكتسبة كحسن الخلق مع الخلق فالاول عام والثاني خاص قلت الصواب ان الاول خاص والثاني عام لان حسن الخلق شامل لجميع انواع المستحسنات وكذا ورد الخلق الحسن احسن الحسن وقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم فكمل الصيد في جوف الفرا والله اعلم وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقتصاد في النفقة اي في صرفها او في الانفاق نصف المعيشة وهو مقتبس من قوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والتودد الى الناس اي التحبب الى المؤمنين الصالحين نصف العقل اي استعمال النفقة او تسبب تحصيل نصفه فانه بالاستقصاء يحصل للعقل الاكتساب فكان عقل المتودد نصف العقل فيكمل بعقل صاحبه وكذا قد علما ذخيرة من علم واحد وكان بعض العارفين يقول لبعض تلامذته انا وانت اثنان كاملان لانك حافظ القران وانا مفسر ولعل هذا معنى ما رواه ابن ابي الدنيا في الاخوان عن سهل بن سعد مرفوعا المرء كثير بأخيه ولا شك ان من صحب ارباب الكمال تورث الكمال العقلي في جميع الاحوال وحسن السؤال نصف العلم فان السائل لا يفتش عما يهمه ويهونه عما يعينه وهذا يحتاج الى فضل تمييز بين مسؤول فاذا ظفر بمبتغاه دون زيه كمل علمه وعلى هذا نحمل قوله لا ادري نصف العلم بخلاف من يسأل من تمارد حسن فقال فانه يكون نصا على نقص عقله وكمال جهله حكي ان تلميذا كان لابي يوسف رحمه الله كان ساكنا في المجلس فقال له اذا اشكل عليك شيء فسل ولا تستح فان الحياء يمنع العلم وكان الامام يتكلم في تعريف القوم انه من الصبح الى الغروب فقال فان لم تغرب فالى متى فقال له ان سكت فان سكوتك خير من كلامك وما احسن ما قال بعض ارباب الكمال ان الجاهل اذا تكلم فهو كالحمار واذا سكت فهو كالجدار هذا والصحيح في معنى قوله لا ادري نصف العلم بيان ان العالم ولو بلغ مبلغ الكمال في العلم فانه لا بد له من الجهل ببعضه ففي ذلك جوابه لا ادري وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لا ادري اعزير نبي ام لا وفي القران ما ادري ما يفعل بي ولا بكم وقل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد حكي ان عليا كرم الله وجهه سئل عن شيء وهو على المنبر فقال لا ادري فقيل له فاذا كنت لا تدري فلم صعدت المنبر فقال انما طلعت بقدر علمي ولو صعدت بقدر جهلي لوصلت السماء وفي قول الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا تنبيه على ذلك والله اعلم رواه البيهقي الاحاديث الاربعة في شعب الايمان قلت والحديث الاخير رواه الطبراني في مكارم الاخلاق عن ابن عمر ايضا وروى الخطيب عن انس مرفوعا الاقتصاد نصف العيش وحسن الخلق نصف الدين وروى احمد عن ابن مسعود مرفوعا ما عال من اقتصد انتهى

والله

والله سبحانه وتعالى اعلم

باب الحياء والرفق وحسن الخلق

الرفق بالكسر ضد العنف وهو المداراة مع الرفقاء ولين الجانب واللطف في اخذ الامر باحسن الوجوه وايسرها واما الحياء فقال الحكماء هو تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يلام به وقال الجنيد حالة تتولد من رؤية الالاء والتقصير في شكر النعماء وقال ذو النون الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك الى ربك وقال الدقاق هو ترك الدعوى بين يدي المولى واما حسن الخلق فقال هو الانصاف في المعاملة وبذل الاحسان والعدل في الاحكام والاظهر انه هو الاتصاف بما اتى به محمد صلى الله عليه وسلم من احكام الشريعة واداب الطريقة واحوال الحقيقة وكذا لما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم الوارد في حقه وانك لعلى خلق عظيم فقالت كان خلقه القران تعني ان كل ما فيه من خصلة محمودة كان يتصف بها وكل فعلة مذمومة فيه يجتنب عنها ثم الاتباع بقدر المحبة وتوفيق المتابعة باخذ كل سهمه ونصيبه وقد اشار الى ذلك الشاطبي رحمه الله في وصف القرا

ولو ان البر والاحسان والصبر والتقى ۞ حلاهم بها جا القران مفصلا ۞

الفصل الاول

عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله رفيق اي لطيف بعباده يريد بهم اليسر فيسهل عليهم ولا يكلف فوق وسعهم وعجب ان يرفق العباد بعضهم ببعض كما يبشر بقوله يحب الرفق اي يرضى ويثني عليه ويعطي على الرفق اي المثوبات والمآرب او من الاغراض والمطالب ما لا يعطي على العنف بالضم وفي القاموس هو مثلثة العين ضد الرفق وما لا يعطي على ما سواه اي سوى الرفق وهو العنف في الكلام زيادة مبالغة وتأكيد للحكم والاظهر ان التقدير ما سوى الرفق من الخصال الحسنة قال القاضي والظاهر انه لا يجوز اطلاق الرفيق على الله تعالى اسما لانه لم يتواتر ولم يستعمل ايضا على قصد الاسمية وانما اخبر به عنه تمهيد الحكم الذي بعده فكانه قال الله الذي يرفق بعباده في امورهم فيعطيهم بالرفق ما لا يعطيهم على ما سواه وانما ذكر قوله وما لا يعطي على ما سواه بعد قوله ما لا يعطي على العنف ليدل على ان الرفق انجح الاسباب كلها وانفعها باسرها قال الطيبي وفي معناه قول من قال شعر ۞

يا طالب الرزق الهني بقوة ۞ هيهات انت بباطل مشغوف ۞

اكل العقاب بقوة جيف الفلا ۞ ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف ۞

المعنى ينبغي للمرء ان لا يحرص في رزقه بل يكل امره الى الله تعالى الذي تولى القسمة في خلقه فالثريا كل الجيفة بعنفه والنحل يرعى العسل برفقه قال التوربشتي قد تبين لنا معنى قوله عليه السلام انت رفيق والله الطبيب قلنا الطبيب الحاذق بالشيء الموصوف لم يرد بهذا القول نفي هذا الاسم عمن يتعاطى ذلك وانما حول المعنى الطبيعي الى الشريعة وبين لهم ان الذي يرجون من الطبيب فالله فاعله والمنان به على عباده وهذا كقوله فان الله هو الدهر وليس الطبيب بموجود في اسماء الله سبحانه ولا الرفيق فلا يجوز ان يقال يا طبيب وهو رفيق على منوال ما ورد واما قوله صلى الله عليه وسلم في اخر كلامه عند خروجه من الدنيا الرفيق الاعلى فيحتمل اذ يراد به الله تعالى وان يراد به الملأ الاعلى فمع الاحتمال لا يصح الاستدلال وفي شرح مسلم للنووي قال المازري لا يوصف الله سبحانه وتعالى الا بما سمى به نفسه او سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم او اجمعت الامة عليه وما لم يرد اذن في اطلاقه ولا ورد منع فيه ففيه خلاف فمنهم من قال يبقى على ما كان قبل ورود

باب الرفق والحياء وحسن الخلق

الفصل الاول عن عائشة

حكام

الشرع فلا يوصف به ولا يمنع منه ومنهم من منعه وبين الاصوليين خلاف لتسميته الله تعالى بما
يثبت بخبر الاحاد فقال بعضهم يجوز لان خبر الواحد عنده يقتضي العمل وبعضهم لا يجوز ذلك
لانه من باب العمليات فلا يثبت بالادلة الظنية وان كانت يعمل بها في المسائل الفقهية العملية قال
النووي والصحيح جواز تسميته الله تعالى رفيقا وغيره مما يثبت بخبر الواحد رواه مسلم وفي
الجامع الصغير ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف رواه البخاري
في الادب المفرد وابو داود وفي جامعه عن عبد الله بن مغفل وابن ماجة وابن حبان
عن ابي هريرة واحمد في مسنده والبيهقي في شعب الايمان عن علي والطبراني عن ابن ماجة
والبزار عن انس فكاد الحديث ان يكون متواترا عند بعضهم وفي رواية لمسلم قال لعائشة
عليك بالرفق واياك والعنف والفحش اي المتولد منه لان الرفق استئناف بيان لا يكون
اي لا يوجد في شيء اي من الذوات والاعراض الا زانه اي زينه وكمله ولا ينزع بصيغة المجهول
اي لا يفقد ولا يعدم من شيء الا شانه اي عيبه ونقصه قال الطيبي قوله يكون يحتمل
ان تكون تامة وفي شيء متعلق بها وان تكون ناقصة وفي خبر كان والاستثناء مفرغ
من اعم عام وصف الشيء اي لا يكون الرفق مستقرا في شيء يتصف بوصف من الاوصاف
الا بصفة الزينة وفي الجامع الصغير عليك بالرفق واياك والعنف والفحش رواه
البخاري في الادب المفرد عن عائشة وروى مسلم عن عائشة عليك بالرفق ان
الرفق لا يكون في الحديث والله اعلم وعن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم من يحرم
بصيغة المجهول مجزوما منه يحرم الخير كله كما في الجامع فيه فضل الرفق والحث على
التخلق به وذم العنف وان الرفق سبب كل خير رواه مسلم وكذا احمد وابو داود وابن
ماجة وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الانصار وهو يعظ اخاه
اي ينصحه في الحيا بان لا يكثر منه فان الحيا يمنع الرزق ويمنع العلم على ما روي قال
الطيبي اي ينذره قال الراغب الوعظ زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير
بالخير فيما يرق له القلب انتهى كلامه والوعظ هنا بمعنى العتاب لما جاء في شرح السنة
مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يعاتب اخاه في الحيا يقول انك لتستحيي كانه
يقول قد اضر بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه اي اتركه على حاله من كثرة
الحيا فان الحيا من الايمان اي بعضه ومن شعبه قال النووي يعظ في الحيا اي ينهاه
عنه ويقبح له فعله ويزجره عن كثرته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك اي دعه على
فعل الحيا وكف عن نهيه ووقعت لفظة دعه في البخاري ولم تقع في مسلم متفق عليه
قلت اما قوله الحيا من الايمان فقد رواه الترمذي ايضا عن ابن عمر وكذا الترمذي
والحاكم والبيهقي عن ابي هريرة والبخاري في الادب المفرد وابن ماجة والحاكم والبيهقي عن ابي
بكرة والبغوي والطبراني والبيهقي عن عمران بن حصين وابن عساكر عن ابي هريرة وعن عمران بن
حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحيا لا ياتي الا بخير اي لا يجري للانسان
الا بخير والحيا تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاقب به ويذم ذكره الطيبي
وقال النووي قد يشكل على بعض الناس هذا الحديث من حيث ان صاحب الحيا قد يستحيي ان
يواجه بالحق من يجله فيترك امره بالمعروف ونهيه عن المنكر وقد يحمله الحيا على الاخلال
ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة واجابوا بما اجاب عنه جماعة من العلماء منهم
الشيخ ابو عمرو بن الصلاح ان هذا المانع الذي ذكرناه ليس بحيا حقيقة بل عجز وخور
وتسميته حيا بحسب اللغة وانما حقيقة الحيا في اصطلاح اهل الشرع خلق يبعث على ترك

القبيح

القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ويدل عليه ما روي الامام ابو القاسم القشيري
عن السيد الجليل ابي القاسم الجنيد قال الحيا رؤية الالاء ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة
تسمى الحيا قال القاضي عياض وغيره انما جعل الحيا من الايمان لانه قد يكون تخلقا واكتسابا
كسائر اعمال البر وقد يكون غريزة ولكن استعماله في قانون الشرع يحتاج الى اكتساب ونية
وعلم وهذا المعنى بقوله عليه السلام الحيا من الايمان قال الطيبي ويمكن ان يحمل التعريف
فيه على العهد ويكون اشارة الى ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم الاستحيا من الله ان يحفظ
الراس وما وعى والبطن وما حوى الحديث انتهى وهو معنى حسن وقيد مستحسن يزول
به الاشكال السابق وبيانه ان الحيا من الله هو الذي خير كله وهو الذي لا ياتي الا بخير
وهو الذي لا ينفك عن الايمان واما الحيا من الخلق فالغالب فيه ايضا ان يكون محمودا و
فالحصر ادعائي او كله محمود الا اذا ادى رضيه ترك الحيا من الله فيترك جانبه من اداء الحقوق
ويراعي جانب المخلوق بحيثية فيستحق ذلك الحيا ان يسمى حيا فالحيا خير كله والله
اعلم وفي رواية اي لهما على ما هو الظاهر لكن في الجامع اسندها الى مسلم وابي داود والحيا
خير كله قيل عام اريد به الخاص اي الحيا الشرعي فعل ما لا يرضاه الله سبحانه متفق عليه
وفي رواية الطبراني عن قرة الحيا هو الدين كله وعن ابي مسعود هو عقبة بن عمرو
الانصاري شهد العقبة روى عنه ابنه بشر وخلق سواه قال ميرك وفي نسخة ابن مسعود
وهو غلط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس بالرفع لفي
الكل روي في اكثر الروايات وفي بعض النسخ بالنصب اي وصل اليهم وظفر به وتحقق
من كلام النبوة من تبعيضية والمعنى اي من جملة اخبار اصحاب النبوة الاولى اي
السابقة من الانبياء والرسل اضافة اليهم اضافة اعلاما بانه من نتاج الوحي
اذا لم تستحي بسكون الحا وكسر اليا وحذف الثانية للجزم فاصنع ما شئت اي المراد
عما لا ينبغي هو الحيا فاذا لم يكن صدر كل ما لا ينبغي فالامر بمعنى الخبر او الامر للتهديد وانشد

اذا لم تخش عاقبة الليالي … ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير … ولا الدنيا اذا ذهب الحيا

قال الطيبي من في مما ابتدائية وهو خبر ان واسمه قوله اذا لم تستحي على تاويل هذا القول
حاصل مما ادرك الناس فالراجع الى من محذوف والناس فاعل ادرك وعليه كلام الشيخ
التوربشتي حيث قال المعنى ان مما بقي بين الناس وادركوه من كلام الانبياء ويجوز ان
يكون فاعل ادرك ضمير الراجع الى ما والناس مفعول وعليه كلام القاضي اي مما بلغ الناس
من كلام الانبياء المتقدمين ان الحيا هو المانع عن اقتراف القبائح والاشتغال بمنهيات
الشرع ومستقبحات العقل وقوله اذا لم تستحي الجملة الشرطية اسم ان على الحكاية
قال الطيبي قوله من كلام النبوة الاولى معناه ان كلام الانبياء عليهم السلام على
استحسان الحيا فما من نبي الا وقد ندب اليه وبعث ولم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم
ولم يبدل فيما بدل منها وذلك انه امر قد علم صوابه وبان فضله واتفقت العقول
على حسنه ولما كان هذا صفته لم يجر عليه النسخ والتبديل وقيد النبوة بالاولى للارشاد
الى اتفاق كلمة الانبياء عليهم السلام من اولهم الى اخرهم وفي شرح السنة قوله فاصنع
ما شئت فيه قولان احدهما ان معناه الخبر وان كان لفظه لفظ الامر كانه يقول اذا
لم يمنعك الحيا فعلت ما شئت مما تدعوك اليه نفسك من القبيح والى هذا المعنى ذهب
ابو عبيد والثاني ان معناه الوعيد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم اي اصنع ما شئت فان الله

الله مجازيك وإليه ذهب أبو العباس وثانيها معناه ينبغي أن تنظر إلى ما تريد أن تفعله فإن كان ذلك
مما لا يستحيى منه فافعله وإن كان مما تستحيي منه فدعه وإليه ذهب أبو إسحاق المروزي ذكره
في هذا الحديث جرير عن منصور بإسناده ثم قال جرير معناه أن يريد الرجل أن يعمل الخير فيدعه حياء
من الناس كأنه يخاف مذهب الرياء يقول فلا يمنعك الحياء من المضي لما أردت قال أبو عبيد
وهو للتشبيه بالحديث الآخر إذا جاءك الشيطان وأنت تصلي فقال إنك ترائي فزدها طولا
قلت ويؤيده كلام الفضيل بن عياض ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجلهم
شرك والإخلاص أن يخلصك الله منهما واختار النووي أن صيغة الأمر للإباحة أي إذا أردت
أن تفعل شيئا فإن كان بحيث لا تستحيي من الله ومن الناس في فعله فافعله وإلا فلا وعليه
كلامه الكل إذا لم تستحي من صنيع أمر فذلك دليل على جواز ارتكابه ثم قال وعلى هذا مدار
الإسلام وتوجيهه أن فعل الإنسان إما أن يستحيى منه أم لا فالأول يشمل الحرام والمكروه
وتركهما يشمل المشروع والثاني يشمل الواجب والمندوب والمباح وفعلها مشروع وفي الأولين
جرح وفي الثالث ففي هذا يتضمن الحديث الأحكام الخمسة وقال بعض العارفين
التحقيق أن الحياء ينشأ عن علم القلب بأن الله رقيب عليه في حفظ ظاهره وباطنه من مخالفة
أحكامه ويستقبح ما صدر من هفواته ويحمل أنواع البلايا لقلة نشاطا ولا يشتكي إلى غيره
فإذا ترقى عن ذلك وتحقق أن الله أقرب الأشياء إليه بلا ريب استحيا من ربه فوق
ما يستحيى من رؤيته فيدعوه ذلك إلى محبته والخلوة معه مستوحشا من الأغيار
مستلذا بروح القدس والأنس بالملك الغفار حتى تطلع عليه طوالع أنوار التوحيد وتلمع
في سره بوارق أسرار التفريد فيستحيي من شهود مشهوده فانيا عن الخلق باقيا مع الحق
قال العارف السهروردي الحياء يستدعي حياء من الله عز وجل وحياء عثمان
رضي الله تعالى عنه كما قال إني لأغتسل في البيت المظلم فأنطوي حياء من الله عز وجل قلت
وروى ابن عساكر عن أبي هريرة مرفوعا الحياء من الإيمان وأحيا أمتي عثمان رواه البخاري وكذا
رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن ابن مسعود وأحمد أيضا عن حذيفة وعن النواس
بتشديد الواو ابن سمعان بكسر السين ويفتح الكلابي الصحابي قال سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن البر أي عن الطاعة والإثم أي المعصية فقال البر أي أعظم خصاله
أو البر كله مجملا حسن الخلق أي مع الخلق بأمر الحق أو مداراة الخلق ومراعاة الحق وقد فسر البر في
الحديث بمعان شتى ففسره في موضع بما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب وفسره في موضع
بالإيمان وفي موضع بما يقربك إلى الله وهنا بحسن الخلق باحتمال الأذى وقلة الغضب وبسط
الوجه وطيب الكلام وكلها متقاربة في المعنى ذكره الطيبي وقال الترمذي البر هنا الصلة
والتصدق والطاعة ويجمعها حسن الخلق وقال بعض المحققين مختصرا للكلام في هذا المقام
إن البر اسم جامع لأنواع الطاعات والأعمال المقربات ومنه بر الوالدين وهو استرضاؤهما
بكل ما أمكن وقد قيل إن البر من خواص الأنبياء عليهم السلام أي كمال البر لا يستبعد
أن يوجد في الإنسان من يوصف به وقد أشار إليه ما أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم
بقوله حسن الخلق لأنه عبارة عن حسن العشرة والصحبة مع الخلق بأن يعرف أنهم أسراء
الأقدار وأن كل ما لهم من الخلق والخلق والرزق والأجل بمقدار فيحسن إليهم حسب الاقتدار فيأمنون
منه ويحبونه بالاختيار قلت وقد أشار إلى هذا المعنى بقوله

() بعد جميع الناس مولاهم () على ما قضاه الله يجرون أفعالا ()

هذا مع الخلق وأما مع الحق بأن يشتغل بجميع الفرائض والنوافل ويأتي بأنواع الفضائل عالما

بأن

بأن كلها إلى منة فافتقر يحتاج إلى العذر دون كلما صدر من الحق كاملا يوجب الشكر قلت وإليه الإيماء في
قول الشاطبي

() يرى نفسه بالذم أولى لأنها () على المجد لم تلعق من الصبر والألا ()

ثم يتخلق بأخلاق الله بدوام الإعراض عما سواه والإقبال عليه ودوام ذكره حتى يكمل القلب
بنور ذكر الذات فيصير بحرا مواجا من نسمات القرب وجرى في جداول أخلاق النفس صفا
النعوت والصفات ويتنبه بحصد ثمار التحقيق بعناية التوفيق والإثم ما حاك أي تردد
وتحرك وأثر في صدرك وفي رواية الأربعين في نفسك بأن لم ينشرح له وحصل في القلب
منه الشك والخوف من كونه ذنبا وأقلقه ولم يطمئن إليه قال التوربشتي يريد أن الإثم ما كان
في القلب منه شيء فلا ينشرح له الصدر والأقرب أن ذلك أمر منبها لمن شرح الله صدره للإسلام
دون عموم المؤمنين وقال شارح يعني الإثم ما أثر قبحه في قلبك أو تردد في قلبك
ولم ترد أن تظهره لكونه قبيحا وهو المعني بقوله وكرهت أن يطلع عليه الناس أي أعيانهم
وأماثلهم إذ الجنس ينصرف إلى الكامل وذلك لأن النفس بطبعها تحب اطلاع الناس
على خيرها فإذا كرهت الاطلاع على بعض أفعالها فهي غير ما تقرب به إلى الله أو غير ما أذن
الشرع فيه فلا بر فهو إذن إثم وشر رواه مسلم وفي الجامع الصغير البر حسن الخلق
والحديث رواه البخاري في الأدب المفرد ومسلم والترمذي عن نواس ورواه أحمد عن
أبي ثعلبة ولفظه البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب والإثم ما لم تسكن إليه
النفس ولم يطمئن له القلب وإن أفتاك المفتون هذا وفي الأربعين للإمام النووي
عن وابصة بن معبد الأسدي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
جئت تسأل عن البر قلت نعم استفت قلبك البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه
القلب والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك
حديث حسن رويناه في مسندي الإمامين أحمد بن حنبل والدارمي بإسناد حسن
قال الطيبي في شرح حديث المشكاة مراعاة المطابقة تقتضي أن يفسر حسن الخلق
بما يقابل ما حاك في الصدر وهو ما اطمأنت إليه النفس والقلب كما في حديث وابصة
فوضع موضعه حسن الخلق ليؤذن أن حسن الخلق هو ما اطمأنت إليه النفوس
الشريفة الطاهرة من أوضار الذنوب الباطنة والظاهرة وتبديل مساوي الأخلاق
بمكارم الأخلاق من القصد في المقال واللطف في الأحوال والأفعال وحسن
معاملته مع الرحمن ودماثة عشرته مع الإخوان وصلة الرحم والتجنب عن قول الأحسن
في غير المقابلة بين القرينتين الحسنتين أن يقال المراد بحسن الخلق ما يستحسنه
الطبع الجبلي الفطري العاري عن التقليدات التقليدية العرفية فإن الإنسان
إذا خلي وطبعه الأصلي اختار الوجه الأحسن من العقائد والأخلاق والأفعال وسائر
الأحوال كما حقق في حديث كل مولود يولد على الفطرة وحاصل الجواب على طريق
الاستيعاب أن الأمر لا يخلو إما أن يجزم العقل باستحسانه أو باستقباحه أو يتردد
فيما بينهما فالأول هو البر والثاني ما عداه الإثم وهذا أيضا يهتدي قاعدة كلية تحتها مسائل جزئية
فيما لم يعرف من الشرع حسنه وقبحه على طريق اليقين في العمليات وعلى سبيل الظن
أيضا في العمليات والله أعلم وعن عبد الله بن عمرو بالواو قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إن من أحبكم إلي أي أكثركم محبة إلي وأعظمكم محبوبية عندي أحسنكم
أخلاقا أي تماما مرضية مراعاة فيها حقوق الربوبية والعبودية وقد رواه الحاكم عن العلاء

ابن كثير مرسلا ان محاسن الاخلاق مخزونة عند الله تعالى فاذا احب الله عبدا منحه خلقا
حسنا وفي رواية الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة الشاهدة الاخلاق من الله تعالى
فمن اراد الله به خيرا منحه خلقا حسنا ومن اراد به سوءا منحه سيئا ثم الظاهر ان من
زايدة على مذهب من يجوز زيادتها في الكلام المثبت او المراد احسنكم خلقا مع الخلق
ويؤيده ما رواه الترمذي والحاكم عن عايشة ان من اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا
والطفهم باهله ويؤيد الاول ما في الجامع الصغير على ما رواه الشيخان والترمذي
عن ابن عمرو بلفظ خياركم احاسنكم اخلاقا رواه البخاري وعنه اي عن ابن عمرو قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من خياركم احسنكم وفي نسخة صحيحة احسنكم اخلاقا متفق
عليه انتهى والله اعلم **الفصل الثاني** عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعطي بصيغة المفعول حظه اي نصيبه من الرفق اي اللطف اعطي
حظه من خير الدنيا والاخرة ومن حرم في بناء المفعول حظه بالنصب اي نصيبه من الرفق حرم
حظه من خير الدنيا والاخرة هذا تفريع باعلم ... للمبالغة والتاكيد في الحكم رواه في شرح
السنة ورواه احمد والترمذي عن ابي الدرداء لكن لفظه من الخير بدل من خير الدنيا والاخرة ...
... في المعنى لان المراد بالخير جنسه الشامل لنوعيه وعن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحيا من الايمان والايمان اي اهله في الجنة قال الطيبي جعل اهل الايمان
عين الايمان دلالة على انهم تمحضوا منه وتمكنوا من بعض شعبه الذي هو اعلى فرع منه كما جعل
الايمان مقرا ومبوا لهم في قوله تعالى والذين تبوأوا الدار والايمان لتمكنهم من الايمان واستقامتهم
عليه والبذا من الجفا وهو خلاف الحيا ... بفتح البا خلاف الحيا الناشي منه الفحش في القول
والسوء في الخلق من الجفا وهو خلاف البر الصادر ... الجفا الوفا والجفا اي اهله التاركون للوفا
الثابتون على غلاظة الطبع وقساوة القلب في النار اما مدة او ابدا لانه في مقابلة الايمان
الكامل او مطلقة لصاحبه اما من اهل الكفران او الكفر رواه احمد والترمذي وكذا الحاكم
والبيهقي عنه والبخاري في الادب المفرد وابن ماجة والحاكم والبيهقي عن ابي بكرة الثقفي والطبراني
عن عمران بن حصين وفي رواية لاحمد والترمذي والحاكم عن ابي امامة الحيا والعي شعبتان من
الايمان والبذا والبيان شعبتان من النفاق وعن رجل من مزينة بالتصغير قبيلة معروفة وجهالة
الصحابي لا تضر لانهم كلهم عدول ومرسلهم عند الكل مقبول قال قالوا اي بعض الاصحاب
يا رسول الله ما خير ما اعطي الانسان بالرفع اي اعطيه الانسان فالمفعول الثاني محذوف
من الصلة وفي نسخة بالنصب فنايب الفاعل ضمير راجع الى ما قال الخلق الحسن اي هو هذا
رواه البيهقي في شعب الايمان وفي شرح السنة عن اسامة بن شريك قال ميرك ظاهره ان
البيهقي لم يورد الحديث عن ابن اسامة لكن قال الشيخ الجزري رواه البيهقي في الشعب
من حديث اسامة قلت وفي الجامع خير ما اعطي الناس خلق حسن رواه احمد والنساي
وابن ماجة والحاكم عن اسامة بن شريك وروى ابن ابي شيبة عن رجل من جهينة ولفظه خير
ما اعطي الرجل المومن خلق حسن وشر ما اعطي الرجل قلب سوء في صورة حسنة وقد روى
البيهقي عن الحسن مرسلا ثلاث خلال من لم يكن فيه واحدة منهن كان الكلب خيرا منه ورع يحجزه
عن محارم الله عز وجل وحلم يرد به جهل جاهل وحسن خلق يعيش به وقد ذكر السيوطي عن
الحسن عن ابي الحسن عن جد الحسن ان احسن الحسن الخلق الحسن وعن حارثة بن وهب قال
المولف في فصل الصحابة هو خزاعي اخو عبيد الله بن عمر بن الخطاب لامه روى عنه ابو اسحاق
السبيعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الجواظ بفتح جيم وتشديد

واو وظا معجمة ولا الجعظري بفتح جيم وسكون عين مهملة وفتح ظا معجمة فتحتية مشددة
قال اي الراوي والجواظ الغليظ الفظ بتشديد الظا اي سيي الخلق قال تعالى ولو كنت فظا غليظ
القلب لانفضوا ... اذ يفسر الجعظري بغليظ القلب وكان غلظ القلب ايما سوا باطنة
من الاخلاق والفظ اشارة الى قبح ظاهره من الافعال ... ثم الجواظ لظهوره ... لمدار
الحكم عليه وانما اتى بلا المزيدة اشارة الى الموصوف بكل من الخصلتين لا يدخل الجنة مطلقا
اذ كان من المنافقين او لا يدخلها مع الفايزين اذ كان من المومنين رواه ابو داود والبيهقي
في شعب الايمان قال الطيبي قوله الجواظ الغليظ الفظ كذا في سنن ابي داود والبيهقي
وفي النهاية وشرح التوربشتي وكلام القاضي الجواظ المختال وقيل المجموع المنوع وقيل هو
السمين وقيل الصياح المهذار والجعظري الفظ الغليظ وقيل القصير المتنفخ بما ليس
عنده وقيل العظيم الجسيم الاكول المانع ... اذا لا يدخل الجنة حيث ما يدخلها
الاخرون لحجبهم وسوء خلقهم وشرههم في الطعام وافراطهم في الكلام انتهى والاظهر ما قدمناه
من ان المراد غليظ القلب سيي الخلق وسيأتي ما روى الخطيب عن عايشة مرفوعا ان ...
توبة لصاحب سوء الخلق فانه لا يتوب من ذنب الا وقع في شر منه وصاحب جامع الاصول
اي رواه ايضا فيه اي في الجامع عن حارثة وكذا في شرح السنة عنه اي مروي عن حارثة
ولفظه اي ولفظ ما في شرح السنة او لفظ صاحب شرح او لفظ حارثة في الشرح قال
لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري اي من غير عاطفة وزيادة لا ولعل ... المومن ... واحد
الكمال لاتحاد بين الوصفين او المراد الجامع بينهما فهو الفرد الكامل في القبح وفي نسخ المصا
عن عكرمة بن وهب اي في بعضها ولا في اكثرها عن حارثة بن وهب ولفظه اي لفظ المصابيح
وفيه يجوز الجواظ الذي جمع اي مالا يجوز ومنع اي منعه من الطرفين يجب عليه والجعظري
الغليظ الفظ قال الطيبي اشار المولف بهذا ان راوي الحديث في الاصول المذكورة هو
حارثة بن وهب وهو صحابي وفي نسخ المصابيح عن عكرمة بن وهب وقد قال الشيخ
التوربشتي لم يذكر احد في الصحابة فالحديث مرسل حينئذ اي ان صح كونه تابعيا وكذا قوله
الذي جمع مالا ومنع ليس في الاصول وانما ثبت في حواشي المصابيح فالحق بالمتن وكذا
قوله الغليظ في المصابيح تفسير للجعظري وفي الاصول تفسير للجواظ تم كلامه وفي الجامع
برواية الطبراني عن ابي الدرداء الا اخبرك باهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع منوع
الا اخبرك باهل الجنة كل مسكين لو اقسم على الله لابره وعن ابي الدرداء ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان اثقل شي يوضع اي ثوابه او صحيفته او عينه المجسد في ميزان المومن
يوم القيمة خلق حسن فانه تعالى يحبه ويرضى عن صاحبه وان الله يبغض الفاحش اي ...
والمتكلم بالفحش والبذي ... من البذي ... ذكره شارح وهو ... للمقام
وفي الغريبين رجل بذي اي فحش سيي الخلق انتهى ومن المقرر ان كل ما يكون مبغوضا لله
لا يبقى له وزن وقدر كما ان كل ما يكون محبوبا له يكون ثقيلا ومعتبرا لديه تعالى
في حق الكفار فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وفي الحديث المشهور كلمتان خفيفتان على
اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم
وبهذا ثبتت المقابلة بين القرينتين هذا وقال الطيبي اوقع قوله وان الله يبغض
الفاحش البذي مقابلا لقوله ان اثقل شي يوضع في الميزان دلالة على ان اخف ما يوضع
فيه هو سوء الخلق وان احسن الخلق احب الاشيا عند الله والخلق السيي ابغضها وان
الفحش والبذاذة اسوء شي في مساوي الاخلاق رواه الحديث بكماله الترمذي وقال هذا

حديث حسن صحيح وروى ابو داود في الفصل الاول بالقرينة الاولى دون الثانية وقد روى احمد عن اسامة بن زيد ان الله يبغض الفاحش المتفحش وروى الديلمي في مسند الفردوس عن علي رضي الله عنه ان الله يبغض المعبس في وجوه اخوانه وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المؤمن اي الكامل العالم العامل ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل اي في الطاعة وصائم النهار قال الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقال ايضا هو ارضا الخلق في السرا والضرا وقال سهل ادنى حسن الخلق الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه رواه ابو داود وفي الجامع بلفظ درجة القائم الصائم رواه ابو داود وابن حبان في صحيحه وعن ابي ذر اي الغفاري رابع الاسلام او خامسه زاد النووي في اربعينه ومعاذ بن جبل قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي مختصا بخطابه وهو لا ينافي التعدد لاحتمال اختلاف المجلس مع انه غير مذكور في الاربعين اتق الله اي بالاتيان بجميع الواجبات والانتهاء عن سائر المنكرات فان ادنى التقوى التبري عن الشرك بالله واعلاها الاعراض عما سواه وما بينهما مراتب بعضها فوق بعض من ترك المحظور ثم المكروه ثم المباح مما لا يعنيه ولله در من قال من اهل الحال شعر

من عرف الله فلم تغنه ... معرفة الله فذاك الشقي

ما يصنع العبد بغير الغنى ... فالعز كل العز للمتقي

حيثما كنت اي في الخلا والملا وفي النعما والبلا فان الله عالم بسرائرك كما انه مطلع على ظواهرك فعليك برعاية دقائق الادب في حفظ اوامره ومراضيه والاحتراز عن مساخطه ومساويه عن داود الطائي انه سمع صوتا من قبر الم ارك الم اصلك الم اعمر الم افعل كذا فاجيب بلى يا عبد الله ولكن اذا خلوت بارزتني بالمعاصي ولم تراقبني واتبع امر من باب الافتعال ومتعد الى مفعولين السيئة الحسنة اي التوبة او الطاعة او بان تباشر حسنات تضاد اثارها تلك السيئات قال الطيبي فسماع الملاهي يكفر بسماع القران وبمجالس الذكر والوعظ عن المنابر وشرب الخمر يكفر بالتصدق بكل شراب حلال وفي هذا نفس لان المرض يعالج بضده والمتضادة في المتناسبات فلذلك ينبغي ان يمحو كل سيئة بحسنة في يضادها فالبياض يزيل بالسواد لا بغيره وحب الدنيا لان اثر السرور بها في القلب فلا جرم كفارته كل اذى يصيب المسلم الهم والغم انتهى ولا خفاء انه لا يظهر حسن المقابلة بين حب الدنيا وما ذكره من المشقة كلها لان الهم والغم ليسا من الامور الاختيارية والمراد بها في الحديث على ما هو الظاهر من قوله اتبع فالصواب انها مقابلة حب الدنيا ببغضها وهو ضدها بان يتصدق ولو ببعضها على ان هذه المناسبات غير لازمة في محو السيئات لقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقد وردت الاية في قبلة امراة ثم صلى معه صلى الله عليه وسلم والله اعلم تمحها اي تذهب الحسنة السيئة وترفعها والاسناد مجازي والمعنى يمحو الله بها اثارها من القلب او من ديوان الحفظة هذا اذا كانت بينه وبين الله تعالى فان تعلقت بالعبد فتدفع الحسنة الى خصمه عوضا عن المظلمة او يرضيه الله تعالى من فضله حكي عن بعضهم انه روي في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي واحسن الي الا انه حاسبني حتى طالبني بيوم كنت صائما فلما كان وقت الافطار اخذت حنطة من حانوت صديق لي فكسرتها فذكرت انها ليست لي فالقيتها على حنطته والحديث فاخذ من حسناتي مقدار ارش كسرها قال ابن الملك وفي صغاير الذنوب تقع مكفرة بالحسنات وكذا ما خفي من الكبائر لعموم قوله تعالى نكفر عنكم سيئاتكم والحديث واما ما ظهر منها وتحقق عند الحاكم فلا يسقط حده الا بالتوبة ولما

وصاه

وقاه بما يتعلق بحقوق الله تعالى من اصلاح نفسه وذكر ما يتعلق بحقوق العباد فقال وخالق الناس امر من المخالقة ماخوذ من التخلق مع الخلق اي خالطهم وعاملهم بخلق حسن وهو بسط المحيا وبذل الندى وتحمل الاذى رواه احمد والترمذي والدارمي وفي الاربعين رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي بعض النسخ حسن صحيح انتهى كلامه وفي الجامع رواه احمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي ذر واحمد والترمذي والبيهقي عن معاذ وابن عساكر عن انس وعن عبد الله بن مسعود قال قال الا اخبركم بمن يحرم بضم الراء على النار اي يمتنع منها وبمن تحرم النار عليه زيادة توكيد والا فالمعنى متلازمان ولما كان مآلهما واحد اكتفى بالجواب عن الاول لانه المقصود والثاني مؤكد فقال قبل قولهم بلى على كل هين لين بتشديد التحتية فيهما اي تحرم على كل سهل طلق حليم لين الجانب قيل هما يطلقان في الانسان بالتشديد والتخفيف وعلى عجز بالتشديد وعن ابن الاعرابي بالتخفيف للمدح وبالتشديد للذم ذكره ابن الملك ثم قوله هين فيعل من الهون وهو السكون والوقار والسهولة فعينه واو فابدلت وادغمت واما اللين فيائي قريب اي من الناس بمجالستهم في محافل الطاعة وملاطفتهم قدر الطاقة سهل اي في قضاء حوائجهم او معناه انه سمح القضاء سمح الاقتضاء سمح البيع سمح الشراء وما زيد في متصل الكامل هذا وقال الطيبي قوله على كل هين لين هذا جواب عن السؤالين والجواب الظاهر منهما كل هين لين ثم في الدرجة الثانية ان يقال عن الاول ويحرم على النار كل هين ولين وعلى الثاني يحرم على النار كل هين لين فاتى بجواب موجز يدل عليهما بالتفصيل ولو اتى به كما يقتضيه الظاهر وهو قوله كل هين لين لم يدل على التفصيل انتهى وهو غريب منه فان دلالة ما يقتضيه الظاهر على التفصيل اظهر من دلالة الجواب المذكور عنده عليه كما يظهر بادنى تامل فان تقديره حينئذ كل هين لين ويكون مرجع الضمير ما ذكر من الوصفين وهو من يحرم على النار ومن تحرم النار عليه بل التحقيق النظر الدقيق التام لوجدت ان جوابه الموجز بما زعمه لا دلالة له على التفصيل اصلا بل ولا للتراجع لينه كما ذكرنا وقد يقال انه من باب الاكتفا كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد فكذلك هنا يقدر وعن كل هين لين مع ان القرينة الثانية زايدة من بعض الرواة لاجل المبالغة ويؤيده ما في الجامع بلفظ الا اخبركم بمن يحرم على النار غدا على كل هين لين قريب سهل والله اعلم رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وفي الجامع رواه ابو يعلى في مسنده عن جابر والترمذي والطبراني عن ابن مسعود وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن اي الكامل غر بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء كريم اي موصوف بالوصفين اي له الاغترار بكرمه وله المسامحة في حظوظ الدنيا لا لجهله والفاجر خب بفتح خاء معجمة وتشديد موحدة اي خداع لئيم اي موصوف بخبث الجوهر وسيء الخلق وفي كل منهما الوصف الثاني سبب للاول وهو نتيجة الثاني فالمعنى من باب التذييل والتكميل وفي النهاية اي المؤمن يغتر لسرعة تصديقه بكل مكر فهو ينخدع لانقياده ولينه وهو ضد الخب يريد ان المؤمن المحمود من طبعه الغرارة وقلة الفطنة للشر وترك البحث عنه وليس ذلك منه جهلا ولكنه كرم وحسن خلق والفاجر من عادته الخب والدهاء والتوغل في الشر وليس ذلك منه عقلا بل خبث ولوم انتهى قال الفرزدق ان الكريم اذا خادعته انخدعا وقيل هم الذين لم يجربوا الامور فهم قليلو الشر منقادون فان من اثر الخمول واصلاح نفسه والتزهد في الدنيا وتبدا امور الدنيا فليس غرا بها قصده ولا مذموم بنوع من الذم قال الطيبي والاول هو الوجه لما سبق في قوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ولان المؤمن قد ينخدع في مقام اللين والتعطف مع الاغنيا وروي ان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كلما صلى عبد له اعتقه فقيل له فقال من خدعنا بالله انخدعنا له قلت ومن ذلك انخداع ادم وحوا بكلام ابليس حيث قاسمهما اني لكما لمن الناصحين قال ولفظ الحديث ايضا يساعده لانه صلى الله عليه وسلم لما وصفه بالغر كمله بقوله كريم لئلا يتوهم فيه ذلك

نقصا والخب بالفتح الخداع وهو الجربز الذي يسعى بين الناس بالفساد يقال رجل خب وقد يكسر
خاؤه واما المصدر فبالكسر لا غير انتهى فالكسر يحتمل وجهين فانظر رواه احمد والترمذي وابو داود و
وكذا الحاكم ورواه البيهقي عن ابي هريرة بلفظ المؤمن هين لين حتى تخاله من اللين احمق وعن مكحول
تابعي جليل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنون هينون لينون بالتشديد والتخفيف
في النهاية هما تخفيف الهين واللين انتهى وكلامه اعتمد على كلام ابن الاعرابي وقد سبق انه منقوض
خلاف الاصل فلا يثبت الا بثبت فالجزم به عن ثبت وفي الفائق والحد وفقه من يا يهب لين
الاولى وقيل الثانية قلت الثانية اولى منها اولى للاحتياج عندها للتخفيف وليلا
يحتاج الى تخفيف اخر فتدبر كالجمل الانف بفتح الهمزة ويمد وكسر النون في القاموس انف البعير كفرح
اشتكى انفه من البرة فهو انف ككتف وصاحب والاول اصح وافصح وقال شارح المدونه
خطأ وهو يحتمل انه رد رواية او دراية وفي النهاية الانف بمعنى المأنوف وهو الذي عقر الخشاش
انفه فهو لا يمتنع على قائده للوجع الذي به وقيل الانف الذلول يقال انف البعير فهو انف
اذا اشتكى انفه من الخشاش وكان الاصل ان يقال مأنوف لانه مفعول به كما يقال مصدور
ومبطون للذي يشتكي صدره وبطنه وانما جاء هذا شاذا ويروى كالجمل الانف بالمد وهو بمعناه
الجوهري الخشاش بالكسر خشب يدخل في انف البعير ثم الكاف مرفوعة المحل على انها خبر ثالث
والمعنى ان كل واحد منهم كالجمل الانف ويجوز ان ينتصب محلها على انها صفة لمصدر محذوف تقديره
ليبون لينا مثل الجمل الانف ذكره الطيبي والثاني اظهر والاول ادق وبالاعتبار احق لاحتياج الى
تقدير كل واحد بل المعنى ان المؤمنين كلهم من كمال انقيادهم واجتماعهم في سبيل رضا مولاهم
مثل الجمل الواحد المأنوف فالكلام صحيح مع افادة المبالغة كما ورد المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى
راسه اشتكى كله وان اشتكى عينه اشتكى كله رواه احمد ومسلم عن النعمان بن بشير والمراد
بالجمل الجنس فيستفاد منه معنى الجمعية بلا اشكال الذي قيد بجمهور ده جره وقوله انقاد مطاوع
له اي مطاوعه وانسحب معه وان انيخ بالمجهول اناخ البعير اذا بركه ومنه حديث فما مناخ من
سبق على صخرة اي وضعا ومثلا استناخ في شرح السنة معنى الحديث ان المؤمن شديد
الانقياد للشارع في اوامره ونواهيه وفي قوله وان انيخ استناخ ايذان بكثرة تحمل المشاق
لان الاناخة على الصخرة شاقة رواه الترمذي مرسلا وفي الجامع رواه ابن المبارك عن مكحول
والبيهقي عن ابن عمر اي متصلا مرفوعا وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم الذي
يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على اذاهم فيه تفضيل
الخلطة على العزلة وذلك مما يختلف باختلاف الازمنة والامكنة واهلهما مع الشروط
المعتبرة في اداب الصحبة في الاحيا اختلفوا في المخالطة والعزلة وتفضيل احدهما على الاخر
فقال اكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والاخوان للتألف والتحبب الى
المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى روي عن علي رضي الله عنه انه قال
عليكم بالاخوان فانهم عدة في الدنيا والاخرة الا تسمع الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا
صديق حميم وهذا الحديث ادل على المخالطة ومال اكثر العباد والزهاد الى اختيار العزلة وتفضيلها
على المخالطة وعليه الفضيل واحمد بن حنبل وغيرهم قال عمر رضي الله عنه خذوا بحظكم من العزلة
وقال الفضيل كفى بالله محبا وبالقران مؤنسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس
جانبا واوصى داود الطائي ابا الربيع فقال صم من الدنيا واجعل فطرك الاخرة وفر من الناس
فرارك من الاسد وقال وهب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر
في عزلة الناس ودخل على حاتم الاصم بعض الامرا فقال الك حاجة قال نعم قال ما هي قال ان لا تراني

وقال

وقال ابن عباس افضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى وقيل اداب العزلة ان ينوي
بها كف شره او لاثم التجرد بكنه الهمة للعبادة انتهى والمختار هو التوسط بين العزلة عن اكثر الناس
وعوامهم والخلطة بالصالحين منهم وخواصهم والاجتماع مع عامتهم في نحو جمعتهم وجماعتهم بعد حصول
العلم المحتاج الى التعبد وحصول الزهد الموجب لقطع الطمع عن الخلق ولذا قال بعض العارفين العزلة
بغير عين العلم زلة وبغير زاي الزهد علة وهذا طريق الاكابر من الصوفية كالنقشبندية وال ذلية
والبكرية فهو كائن بائن وقريب غريب وفرشي عرشي كما قيل كن وسطا وامش جانبا رواه الترمذي
وابن ماجه وفي الجامع بلفظ المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل من المؤمن الذي
لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم رواه احمد والبخاري في الادب المفرد والترمذي وابن ماجه
عن ابن عمر وعن سهل بن معاذ اي ابن انس كما في المعالم عن ابيه المتبادر ان معاذا هو ابن جبل
لانه المشهور فيما بين الصحابة لا انه في المعالم معاذ بن انس بقرينة قوله سهل بن معاذ فانه
ولد معاذ بن انس فقد قال المصنف في اسما رجاله هو معاذ بن انس الجهني معدود في اهل مصر
وحديثه عندهم روى عنه ابنه سهل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا اي اجترع
غضبا كامنا فيه وهو يقدر على ان ينفذه بتشديد الفاء اي يمضيه وفي رواية على انفاذه
فيجوز تخفيف الفا والجملة حالية وجواب الشرط دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيمة
اي شهره بين الناس واثنى عليه وتباهى به ويقال في حقه هذا الذي صدرت منه هذه الخصلة
العظيمة حتى يخيره اي يجعله مخيرا في اي الحور شاء اي في اخذ ايهن شاء وهو كناية عن دخاله
الجنة المنيعة وايصاله الدرجة الرفيعة وفي النهاية كظم الغيظ تجرعه واحتمال سببه
والصبر عليه قال الطيبي وانما حمد الكظم لانه قهر النفس الامارة بالسوء ولذلك مدحهم الله
تعالى بقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ومن نهى النفس عن هواه فان الجنة ماواه
والحور العين جزاه قلت وهذا الثنا الجميل والجزاء الجزيل اذا ترتب على مجرد كظم الغيظ
فكيف اذا انضم العفو اليه او زاد بالاحسان عليه قال النووي الاحسان ان تحسن الى المسيء
فان الاحسان الى المحسن متاجرة وفي البيضاوي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان هولا في
امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت انتهى وقد ذكره الثعلبي عن مقاتل
ابن حيان قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هولا الخ ولعله ماخوذ من قوله
تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الاخرين
رواه الترمذي وابو داود وقال الترمذي هذا حديث غريب وكذا رواه احمد في مسنده وفي
رواية لابي داود عن سويد بن وهب ذكره المؤلف في التابعين وقال هو شيخ لابن عجلان
عن رجل من ابناء اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن ابيه اي الصحابي ويحتمل ان يكون الابن
ايضا صحابيا وان يكون تابعيا قال اي بدل الجزاء الاول السابق من محو نطقه الا بقا على
شرطه عن ابيه اي الصحابي ويحتمل ان يكون الابن ايضا الا فزاد ان ينفذه فان اصول هذا
الحديث المتفق على تبديله بقوله على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا وفي الجامع رواه ابن ابي
الدنيا في ذم الغضب عن ابي هريرة وذكر حديث سويد اي ابن وهب باسناده المذكور ومن ترك
لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا كساه الله حلة الكرامة في كتاب اللباس ويحتمل ان يكون عن
تكرير سقطه وان يكون حوله من هنا الى ذلك الباب لمناسبته لذلك الكتاب والله اعلم
بالحال

الفصل الثالث عن زيد بن طلحة

تابعي روى عنه سلمة بن صفوان الزرقي
اخرج حديثه مالك في الحياء ذكره المؤلف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل دين
خلقا اي طبعا مختصا به او غالبا فيه وخلق الاسلام الحياء اي فيما شرع فيه الحيا بخلاف ما لم يشرع

س
مذي
تل
الفصل الثالث عن زيد بن طلحة

فيه كتعليم العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحكم بالحق والقيام بأداء الشهادات على وجهها
كذا ذكره السيوطي وفيه ارتكاب المذكورات لا تخلو عن الحياء عن الحق وعدم الالتفات إلى الخلق على
ما سبق تحقيقه وخفي طريقه فالحكم في عمومه من استعمال الحياء عن الله في جميع الأحكام بأنه
يستحي من فعل الآثام ومن ترك شعب الإسلام بل لا عبرة بالحياء من الأنام لا فعلا ولا تركا عند
علماء الأعلام وفي النهاية الخلق الدين والطبع والسجية قلت المراد هنا السجية أي يعني
الخصلة أي لكل دين سجية شرعت فيه وخص أهل ذلك الدين بها قال الطيبي والمعنى أن الغالب
في أهل كل دين سجية سوى الحياء والغالب في أهل ديننا الحياء لأنه متمم لمكارم الأخلاق وإنما
بعث صلى الله عليه وسلم لإتمامها وقال ذيوما لأصحابه استحيوا من الله حق الحياء الحديث
قلت الظاهر أن المعنى الغالب على أهل كل دين سجية سوى الحياء فإنه مختصة بالغلبة
لنا مع اشتراكنا بجميع الملل في سائر السجايا لقوله عليه السلام بعثت لأتمم مكارم الأخلاق
بل الأظهر أن الأخلاق كلها كانت ناقصة فيمن قبلنا وإنما كملت في ديننا ببركة نبينا صلى الله
عليه وسلم ولذا قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية رواه مالك أي عن زيد بن طلحة مرسلا
لأنه تابعي ورواه ابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس وابن عباس أي مرفوعا لا موقوفا
كما يتوهم من الإطلاق ثم ظاهره أن كلا منهما يروي عن كليهما ويحتمل أن يكون على طريق اللف والنشر
والله أعلم ثم رأيت في الجامع الصغير أسند الحديث إلى ابن ماجه برواية عنهما فدل على أن البيهقي
كذلك وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الحياء والإيمان أي الكامل قرنا جميعا قرين قال
الطيبي فيه دليل لمن يقول من قرني جميعا أي مجتمعين أقل الجمع اثنان انتهى وفي نسخة قرنا
بالماضي المبني المجهول أي جعلا مقرونين جميعا أي مجتمعين وهو تأكيد في المعنى فإذا رفع أحدهما
رفع الآخر وفي رواية ابن عباس فإذا سلب أحدهما تبعه الآخر رواه البيهقي في شعب الإيمان
وافقه الحاكم وأبو نعيم في الحلية عن ابن عمر ووافقه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس لكن بلفظ
الحياء والإيمان في قرن فإذا سلب أحدهما تبعه الآخر وفي رواية لما تقدم عن أبي موسى بلفظ الحياء والإيمان مقرونان
لا يفترقان إلا جميعا وعن معاذ أي ابن جبل قال كان آخر ما وصاني به رسول الله صلى الله عليه وسلم
أي حين الوجهي إلى اليمن أو من حين وضعت رجلي في الغرز بغين معجمة مفتوحة فسكون زاء أي
أي في موضع الركاب من رحل البعير كالركاب للسرج قاله الباجي وفي النهاية الغرز ركاب كور الجمل
إذا كان من جلد أو خشب وقيل هو الكور مطلقا كالركاب للسرج أن قال يا معاذ أحسن خلقك للناس
قال الطيبي أن قال خبر كان وحين وضعت ظرف قال رجلي بعثه إلى اليمن للقضاء قدوم على أهلها الناس
بحسن الخلق قال السيوطي تحسين خلقه أن يظهر من مجالسه وورد عليه البشر والحلم والإشفاق والصبر
على التعلم والتودد إلى الصغير والكبير المراد بالناس من يستحق ذلك فأما أهل الكفر والإصرار
على الكبائر والتمادي في الظلم فلا يأمر بتحسين الخلق لهم بل يؤمر بأن يغلظ عليهم قلت فيه
أن الرفق من جملة حسن الخلقة فيمكن أن يعم جميع الخلق قال تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة الآية رواه مالك وعن مالك بلغه بتخفيف اللام وضمير المفعول إليه والفاعل
قوله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحتمل أن يكون متصلا عند مالك لكنه لم يذكر أن في
ولا الصحابي وأن يكون منقطعا بأن فيه روايات وهذا هو الظاهر ولا لذكر الصحابي في فكان من قوي
وذكر التابعي فكان مرسلا وقال الطيبي هذا يحتمل أن يكون متصلا وأراد مالك لم يذكر الاتصال
وأن يكون مرسلا وأن لم يذكر مالك التابعي ولا الصحابي وقيل إنه منقطع قلت هذا كله
احتمالات عقلية وكونه منقطعا هو الموافق للقواعد الحديثية إذ لا يقال في عرف أنه بلغه من التحقيق
أنه من قبيل المعلق وفيه بحث طويل مثبت في شرح النخبة في أصول الحديث قال بعثت بصيغة

المجهول أي أرسلت إلى الخلق لأتمم حسن الأخلاق بضم الحاء وسكون سين أي الأخلاق الحسنة والأفعال
المستحسنة وفي نسخة بفتحتين أي لأن أجعل حسنها أحسنها قال البيضاوي كانت العرب أحسن
أخلاقا بما بقي عندهم من شريعة إبراهيم عليه السلام وكانوا ضلوا بالكفر عن كثير منها فبعث صلى
الله عليه وسلم ليتمم محاسن الأخلاق ذكره السيوطي والتحقيق ما تقدم في ما سبق وقال الطيبي
قوله لأتمم إدماج لمعنى أنه بعثها بعد النقصان وأنه جمعها بعد التفرقة وعليه قوله تعالى أولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده قال الإمام تحت الآية الذي نعتقد صلوات الله وسلامه
عليه وعلى سائر الأنبياء عليهم السلام لأنه تعالى أمره بالاقتداء بهم ولا بد أن يمتثل له لذلك الأمر
فوجب أن يجتمع فيه جميع خصالهم وأخلاقهم المتفرقة وإلى معنى الأول أشار صلى الله عليه وسلم بقوله
مثلي كمثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بناه وترك موضع لبنة منه إلى أن قال فكنت أنا سددت
موضع تلك اللبنة حتى تم بي البنيان انتهى ولا منع من الجمع بين القولين لأنه صلى الله عليه وسلم
كان في مرتبة جمع الجمع الله يجمع بيننا في السير وإليه المصير رواه أي مالك في الموطأ وتقدم ما فيه
من المناقشة أن نقيد التقدير رواه مالك عن مالك لحق المؤلف أن يقول كذا في الموطأ ورواه أحمد
عن أبي هريرة أي مرفوعا وفي الجامع إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق رواه ابن سعد والبخاري في الأدب
المفرد والحاكم والبيهقي في شعبه عن أبي هريرة وعن جعفر أي الصادق بن محمد أي الباقر عن أبيه أي زين العابدين
أدرك جده ولم يلقه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا نظر أي وجهه الشريف في المرآة بكسر الميم قال الحمد لله الذي حسن بتشديد السين أي أحسن خلقي
وخلقي بفتح الأول وضم الثاني وقدم الأول لظهوره أولا ونظرا إلى الترتيب وإلا أي زين مني أي
خلقي وخلقي ما شان أي عابه وقبحه من غيري سوى خلقه وخلقه فيه دلالة مرجحة على صورته
وسيرته في أتم الحسن بالنسبة إلى غيره قال الطيبي فيه معنى قوله بعثت لأتمم حسن الأخلاق فجعل
النقصان شينا كما قال أبو الطيب

ولم أر في عيوب الناس شيئا ✽ كنقص القادرين على التمام

وعلى نحو هذا الحمد حمد داود وسليمان عليهما وعلى نبينا الحمد عليهما السلام في قوله تعالى ولقد
آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وفيه
استحباب النظر في المرآة والحمد على حسن الخلقة والخلق لأنهما نعمتان من مواهب الله من
الله تعالى يجب الشكر عليهما انتهى يعني أن معرفة حسن الظاهر من المرآة ظاهر باعتبار المطابقة
فأما معنى ذكر الخلق والسيرة فإنه أمر باطن ويمكن أن يقال إن الظاهر عنوان الباطن أو أنه
من باب الشيء بالشيء يذكر **فإن قلت** فهل لغيره أن يقتدي به ويقول هذا الحمد
أو هذا مختص به صلى الله عليه وسلم ويكون لغيره أن يدعو بما سيأتي في الحديث الذي يليه
قلت يجوز للمؤمن أن يقول ذلك القول لأن الإنسان من حيث هو خلق في أحسن
تقويم وصاحب الإيمان لا شك أنه خلق مستقيم ودين قويم وفوق كل ذي علم عليم رواه البيهقي
في شعب الإيمان مرسلا وكذا رواه البزار عن أنس مرفوعا ولفظه الحمد لله الذي سوى خلقي وأحسن
صورتي وزان مني ما شان من غيري وفي رواية الطبراني وابن السني عن أنس أيضا الحمد لله الذي
سوى خلقي فعدله وصور صورة وجهي فأحسنها وجعلني من المسلمين وعن عائشة كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول أي مطلقا أو عند نظره إلى المرآة على ما خرج به الجزري في الحصن
وهو الأليق بالحديث السابق اللهم حسنت خلقي فأحسن خلقي يحتمل أن يريد به طلب الكمال وإتمام
النعمة عليه بإكمال دينه قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي وفيه إشارة إلى
قوله عائشة رضي الله تعالى عنها كان خلقه القرآن وأن يكون قد طلب المزيد والثبات على ما لا

المجهول

قلت طلب الثبات في ما كان بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم كتحصيل الحاصل الذي لا يرضى
به الكامل فالتحقيق انه لطلب المزيد كما يفيد قوله تعالى وقل رب زدني علما وقد صرح بعض العارفين
ان الترقيات الباطنية لا تتناهى حتى في الجنة لانها حاصلة من التجليات الالهية وهي لا تتناهى ولعل
في قوله سبحانه للذين احسنوا الحسنى وزيادة ايماء الى هذه الافادة رواه احمد وكذا رواه الدارمي
عن عايشة وابن حبان عن ابن مسعود ولفظهما اللهم انت حسنت خلقي فحسن خلقي وحرم وجهي على
النار وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبيكم بخياركم قالوا بلى قال خياركم
اطولكم اعمارا اي في الكمية او الكيفية واحسنكم اخلاقا اي هيئة وانسانية وغيرهن الاعمال
بالاخلاق لانها منبعها ومعدنها ولان مدارها في الحسن والقبح عليها لقوله عليه السلام على ما رواه
الطبراني وابو نعيم في الحلية عن عبد الله بن بسر مرفوعا طوبى لمن طال عمره وحسن عمله قال
الطيبي فيه اشارة الى ما قاله صلى الله عليه وسلم في جواب من سأله اي الناس خير قال من طال عمره وحسن
عمله فتنزله واحسنكم اخلاقا القول وحسن عمله في ارادة الجميع بين طول العمر وحسن الخلق رواه احمد
وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل المومنين ايمانا احسنهم
خلقا رواه ابو داود والدارمي وكذا احمد وابن حبان والحاكم وزاد الترمذي وابن حبان في
رواية وخياركم لنسائهم وعنه اي عن ابي هريرة ان رجلا شتم ابا بكر والنبي صلى الله عليه وسلم
جالس فجعل النبي يتعجب اي من شتم الرجل وقلة حيائه ومن صبر ابي بكر وكثرة وفائه ويتبسم
لما يرى من الفرق بين الشخصين وما يترتب على فعلهما من العقوبة الكاملة والرحمة الشاملة
ولما ظهر له من مظاهر الجلال والجمال على ما هو مشهود لاهل الكمال فلما اكثر اي الرجل في مقالته
رد اي اجاب ابو بكر عليه اي على الرجل بعض قوله عملا بالرخصة المجوزة للعوام وتركا للعزيمة
المناسبة لمرتبة الخواص قال تعالى والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة
مثلها فمن عفى واصلح فاجره على الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن
صبرتم لهو خير للصابرين وهو رضي الله عنه وان كان جمع بين الانتقام عن بعض حقه وبين
الصبر عن بعضه لكن لما كان المطلوب منه الكمال الانسب لم تنتبه من الصديقية ما
استحسنه صلى الله عليه وسلم وهذا معنى قوله فغضب النبي صلى الله عليه وسلم اي تغير
منه تغير الغضبان وقام اي من ذلك المجلس وخلاه عملا بقوله تعالى واذا سمعوا اللغو
اعرضوا عنه فلحقه ابو بكر اي معتذرا ومستفهما وقال يا رسول الله كان الرجل يشتمني
بضم التاء وبكسرها وانت جالس فلما رددت عليه بعض قوله اي من الشتم بعينه او بما يناسبه
غضبت وقمت يعني فما الحكمة في ذلك قال كان معك ملك يرد عليه اي بدلك وبدلك على
الصبر فلما رددت عليه اي ابتداءت وذهب خط النفس وقع الشيطان اي وفر الملك
والشيطان انما يامر بالفحشاء والمنكر فخفت عليك ان تتعدى على خصمك وترجع ظالما بعد
ان كنت مظلوما وروي كن عبد الله المظلوم ولا تكن عبد الله الظالم وفي رواية كن خير
ابني ادم قال تعالى حكاية عن قابيل جوابا للقائل لئن بسطت الي يدك لتقتلني
ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك مع انه كان يجوز له قتله دفعا عن نفسه وكان فوق
منه الكمال اختار الطريق الاكمل من الطريق الكامل ثم قال يا ابا بكر ثلاث اي خصال كلهن حق
اي ثابت وصدق ما من عبد ظلم بصيغة المجهول بمظلمة بكسر اللام على المشهور وقيل
بفتحها ايضا وانكره بعضهم وحكى الفراء الضم ايضا في المغرب المظلمة الظلم واسم الماخوذ
وفي القاموس الظلم وضع الشي في غير موضعه والمظلمة بكسر اللام ما يظلمه الرجل فيغضي
من الاغضا بالغين والضاد المعجمتين وهو ادنى الجفون بمعنى الاغماض والمراد منه هنا

الاعراض

الاعراض وفي نسخة بعفو بالعين المهملة والفاء من الاعفا وهو لغة في العفو والمعنى فيسامح عنها اي
عن تلك المظلمة ويترك جوابها والمطالبة بها في الدنيا او مطلقا لله عز وجل اي لا لغرض ولا لسمعة
وريا الا اعز الله بها اي بمقابلة تلك المظلمة والاغضا منها او بسبب تلك الخصلة المعانة نصره اي
اثباته في الدنيا والاخرة ما فتح رجل باب عطية اي صدقة يريد بها صلة اي بالرحم والقرابة
او صلة للغريب وفي رواية باب عطية بصدقة او صلة الا زاده الله بها كثرة اي بركة صورية
او معنوية وما فتح رجل باب مسئلة اي سؤال عن مخلوق يريد بها كثرة اي لا لدفع حاجة
ضرورية تلجيه الا زاده الله بها قلة اي حسية وحقيقية وفي رواية الا زاده الله تعالى
في الموضعين رواه احمد وروى ابن ابي الدنيا في ذم الغضب عن عبد الرحمن بن عوف
ولفظه ثلاث اقسم عليهن ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة
ظلمها الا زاده الله تعالى بها عزا فاعفوا يزدكم الله عزا ولا فتح رجل على نفسه باب
مسئلة ليسئل الناس الا فتح الله عليه باب فقر رواه احمد والترمذي عن ابي كبشة
الانماري ولفظه ثلاث اقسم عليهن ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر
عليها الا زاده الله عز وجل عزا ولا فتح عبد باب مسالة الا فتح الله عليه باب فقر
واحدثكم فاحفظوه انما الدنيا لاربعة نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه
ويصل فيه رحمه ويعلم الله فيه حقا فهذا بافضل المنازل وعبد رزقه الله علما ولم
يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو ان لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فاجرهما
سوا وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل
فيه رحمه ولا يعلم الله فيه حقا فهذا باخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو
يقول لو ان لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سوا وعن عايشة قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله باهل بيت رفقا نفعهم الله به ولا يحرمهم بفتح اوله
وفتح ثالثه او لا يمنع اهل بيت اياه اي الرفق الا ضرهم اي ضرهم الله به رواه البيهقي في شعب
الايمان انتهى والله اعلم

باب الغضب والكبر

باب الغضب والكبر

قال بعض المحققين الغضب ثوران دم القلب او عرض يتبعه ذلك لدفع الموذيات قبل وقوعها
وللانتقام بعد وقوعها فاطلاقه على الله كما في الحديث رواه الترمذي وغيره من لم يسال
الله يغضب عليه مجاز اي يفعل به ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده من الانتقام
وانزال العقوبة واما الكبر فقال الراغب هو الحالة التي يتخصص بها الانسان من اعجابه
نفسه بان يرى نفسه اكبر من غيره واعظمه الامتناع من قبول الحق من الله تعالى ولا
للعبادة والاستكبار على وجهين احدهما ان يتحرى الانسان ان يصير كبيرا وذلك متى ما كان
على ما يجب فهو المحمود والثاني ان يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له فهو المذموم كقوله
تعالى ابى واستكبر والمتكبر ايضا في وجهين اما محمود وهو ان يكون افعاله الحسنة زائدة في
الحقيقة في محاسن غيره وعلى هذا وصف الله تعالى بالمتكبر في قوله تعالى العزيز الجبار
المتكبر او مذموم وذلك اذا كان متكلفا متشبعا لذلك وهذا وصف عامة الناس كقوله
تعالى فبئس مثوى المتكبرين وقال الغزالي الكبر ينقسم الى ظاهر وباطن فالظاهر في الجوارح
يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق في النفس وهو الاستراحة
والركون الى روية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وفي صفة
الكمال ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب فان العجب لا يستدعي غير المعجب به بل لو لم يخلق

لا وحلة نصورا ان يكون متعبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الفصل الاول عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه ان رجلا هو ابن عمرو او جارية بن قدامة او سفيان بن عبد الله قال للنبي صلى
الله عليه وسلم اوصني اي ارشدني بخصوص ما يعمني ما ينفعني دينا ودنيا ويقربني الى الله
زلفي قال لا تغضب فردد اي الرجل السؤال وهو المشار اليه بذلك على ما في بعض النسخ
مرارا اي ثلاثا او مرة بعد اخرى رجاء ان يضم معه ايضا اخر قال لا تغضب قال بعض المحققين
الغضب من نزغات الشيطان يخرج به الانسان عن حد الاعتدال صورة وسيرة حتى يتكلم
بالباطل ويفعل المذموم شرعا وعرفا وينوي الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح
التي كلها من اثر سوء الخلق بل قد يكون ولهذا قال لا تغضب واصبر عليه مع الحاح السائل
مريدا للزيادة او التبديل فكانه قال له حسن خلقك وهو من جوامع الكلم فالحديث
من بدائع الكلم ثم علاجه معجون مركب من العلم والعمل بان يذكر ان الكل من الله ويذكر
نفسه ان غضب الله اعظم وفضله اكبر وكم خالف امره ولم يغضب عليه ويتفوه
ويشغل نفسه بشيء قال التوربشتي فقد كان صلى الله عليه وسلم مكاشفا باوضاع
الخلق عارفا بادوائهم يضع الشفا موضع التعب يامرهم بما هو اولى بهم فلما استوصاه
الرجل وقد راه متمليا بالقوة الغضبية لم ير له خيرا من ان يتجنب عن دواعي الغضب
ويزجر نفسه عنه وقال القاضي لعله لما راى
جميع المفاسد التي تعرض للانسان وتعتريه انما تعرض له من فرط شهوته واستيلاء غضبه
والشهوة مكسورة بالنسبة الى ما يقتضيه الغضب عن ملتفت اليها فلما ساله الرجل ان يشير
اليه الى ما يتوسل به الى التجنب عن القبائح والتحرز عن مظانها نهاه عن الغضب الداعي
الى ما هو اعظم ضررا واكثر وزرا فان ارتفاع السبب يوجب ارتفاع مسبباته لا محالة قلت
هو كلام حسن وبيان مستحسن الا انه لتحقيق ان مراد الغضب على شهوة النفس
فان الانسان لا يغضب عضب من هو ما لا يتوهم فوت شهوة له وتعد يحقق فوتها وهذا
ترى كل من كان شهوته اكثر كالملوك والامراء يكون غضبه اكثر ويجب عليه الحذر ويؤيده
الحديث الذي يليه رواه البخاري وكذا احمد والترمذي عن ابي هريرة واحمد والحاكم عن
حارثة بن قدامة ورواه ابن ابي الدنيا في ذم الغضب عن رجل ولفظه لا تغضب فان
الغضب مفسدة وفي رواية لابن ابي الدنيا والطبراني عن ابي الدرداء لا تغضب ولك
الجنة وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد
اي القوي كاملا القوة بالصرعة بضم ففتح كهمزة من يكثر الصرع وهو اسقاط المصارع لان
قوة بدنية صورية نفسية فانية انما الشديد اي الكامل الذي يملك نفسه عند الغضب
فانه قوة دينية معنوية الهية باقية يحول النبي صلى الله عليه وسلم معنى هذا الاسم من القوة
الظاهرة الى الباطنة ومن امر الدنيا الى الدين وفي النهاية الصرعة بضم الصاد وفتح الرا
المبالغ في الصراع الذي لا يغلب فنقله الى الذي يملك نفسه عند الغضب فانه اذا ملكها
كان قد قهر اقوى اعدائه وشر خصومه ولذلك قال اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك
وهذا من الالفاظ التي نقلها عن وضعها اللغوي بضرب من التوسع والمجاز وهو من فصيح
الكلام لانه لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ وقد ثارت عليه شهوة الغضب
فقهرها بحلمه وصرعها بثباته كان كالصرعة الذي يصرع الرجال ولا يصرعونه متفق عليه
ورواه الامام احمد في مسنده وعن حارثة بن وهب ذكره المؤلف في الصحابة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف بالرفع على تقدير

هو وفي نسخة بالجر على البدلية قال الشارح معناه انه لا يستقط الناس ولا اظهار معناه انه ليس
بمتكبر جبار وقيل عليه زينة الابنية فانه حكم كلي لا غالبي على ما سيجي وقوله متضعف بفتح العين
ويكسر من باب التاكيد لجنود بجندة والتناظر المتنظرة وظل ظليل ونابية الثاني الموضوع للطلب
اذ الضعيف الحاصل فيه كان مطلوب منه التذلل والتواضع مع اخوانه وان كان قويا متوجلا
مع اعدائه قال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين
ففيه اشارة الى ان من كان تواضعه مع المؤمنين يكون في اعلى مراتب المقربين كما ان من يكون
الكبر تجبرا وتكبرا يكون في اسفل السافلين وقال النووي مضبوط بفتح العين وكسرها والمشهور
الفتح ومعناه يستضعفه الناس ويحقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله في الدنيا يقال
تضعفه واستضعفه واما على الكسر فمعناه متواضع متذلل خامل واضع من نفسه والمراد ان
اغلب اهل الجنة هؤلاء كما ان معظم اهل النار القسم الاخر لو اقسم على الله اي في فعل او ترك
لابره اي لا مضاه على الصدق وجعله بارا بان جعله في طلبه من الحق وقال الطيبي اي لو حلف يمينا
طمعا في كرم الله بابراره لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل بضمتين فتشديد اي جاف شديد الخصومة
بالباطل وقيل الجافي الفظ الغليظ جواظ بتشديد الواو اي جموع منوع او مختال وقيل السمين
من التنعم وقيل الفاجر بالجيم وقيل البخيل مستكبر اي متكبر عن الحق او على اهله متفق عليه
ورواه ابن ماجه عن معاذ ولفظه الا اخبركم عن ملوك الجنة رجل ضعيف مستضعف وطمرين
لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره ورواه الطبراني عن ابي الدرداء بلفظ الا اخبركم باهل الجنة
النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع منوع الا اخبركم باهل الجنة كل مسكين لو اقسم على الله
لابره وفي رواية لمسلم كل جواظ زنيم متكبر والزنيم الداعي في النسب الملصق بالقوم وليس
منهم تشبيها له بالزنمة وهي شيء يقطع من اذن الشاة ويترك معلقا بها ذكره الطيبي وهو
المناسب للاية الواردة في حق الوليد بن المغيرة واضرابه واما الحديث فينبغي ان يفسر بالمعنى
الاعم وهو اللئيم المعروف بلومه وشره على ما في القاموس ويمكن ان يكون الزنيم كناية عن هذا
الوصف فانه لا زنمة ثمة وتقدم ورد في حديث رواه احمد وغيره عن ابي هريرة ولد الزنى شر الثلاثة
وفي رواية اذا عمل بعمل ابويه واما حديث ولد الزنى لا يدخل الجنة فلا اصل له اصلا والله اعلم
وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار اي دخول خلود احد
في قلبه مثقال حبة اي مقدار وزن حبة خردل قيل انه حبة السواد وهو تمثيل للقلة كما جاء مثقال
ذرة من ايمان اي من ثمراته وهي اخلاقه المتعلقة بالباطن والظاهر الصادرة من نور الايمان
وظهوره لا يقال فان حقيقة الايمان وهو التصديق لا يتصور بلا الزيادة والنقصان فقول
الطيبي فيه اشعار بان الايمان قابل للزيادة والنقصان صدر من غير شعور بحقيقة الاتقان
والاتقان فان الايمان لا يتجزى لا باعتبار نعتقد المؤمن به ولا شك ان الايمان يتبعض ما يجب
الايمان به بل الايمان نعم له شعب كثيرة خارجة عن حقيقته وما هيته كالصلاة والزكاة وسائر
احكام الاسلام الظاهرة وكالتواضع والترحم وسائر الاخلاق الباطنة الباهرة ومنه
الحديث الايمان بضع وسبعون شعبة ويدل على ما ذكرناه قوله والحياء شعبة من الايمان فان
الاجماع على انه جزء داخل في مفهوم الايمان ويدل عليه ايضا مقابلته بقوله ولا يدخل الجنة اي مع
السابقين احد في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر فانه لا نزاع ان الكبر المجرد ليس بكفر لان
الكبر عن قبول الحق اجماع نعم الكفر قابل للزيادة والنقصان على ما لا يخفى ولذا قال الله تعالى
الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اي من انواع الظلمات الكفر والكفران الى النور
اي نور التوحيد والايمان فمعنى الحديث انه لا يدخل الجنة مع الكبر بل يصفى منه ومن كل خصلة مذمومة

رضي الله تعالى عنه

اما بالتعذيب او يعفو الله ثم يدخل الجنة قال الخطابي للحديث تأويلان احدهما ان يراد به الكبر الكفر
والشرك الا ترى انه قد قابله في نقيضه بالايمان وثانيهما ان الله تعالى اذا اراد ان يدخله
الجنة نزع من قلبه ما كان في قلبه من الكبر حتى يدخله بلا كبر وغل في قلبه وقوله لا يدخل الجنة يعني
دخول تأبيد وتخليد انتهى وزاد في المعتزلي بان في الكبر المتكبر على الناس قال الطيبي الوجه
الاول من باب المقابلة المعنوية وهو من انفسها فانه اشار بالايمان الى ان الكبر من صفات
الكافرين فيجب ان يتجنب عنه وبالكبر يشير الى ان التواضع من سمات المؤمنين فينبغي ان [illegible]
عنه وهو الوجه لان القصد الاولي في سياق الكلام وايراده في معنى الوصفين للترغيب
في احدهما والتنفير عن الاخر لا الى الحكم الموصوفين واذ لزمه نفيا انتهى وهو غاية التحقيق
ومما في الذي فوق رواه مسلم وعنه اي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل هو معاذ بن جبل او عبد الله بن عمرو
ابن العاص او ربيعة بن عامر اقوال ان الرجل اي جنسه والمراد به الشخص يحب ان يكون ثوبه
حسنا ونعله حسنا اي من غير ان يراعي نظر الخلق وما يترتب عليه من الكبر والخيلاء والسمعة
والريا وعلامته صدقه ان يحب ذلك ايضا ثم النعل ما وقيت به القدم ذكره بعضهم ويحتمل
ربع موثقة عنه ذكرها ابن الحاجب في رسالته في تأنيثه وفي المشارق ونعله حسنة
فالتذكير هنا باعتبار معناه وهو ما وقيت به القدم ذكره بعضهم ويمكن ان يقال ونعله
ذات حسن ونعل حسن فعلا الى النعل لحسنا تأكيد مع تأنيث اللفظ ان يتغير كذلك ولعل سبب
السؤال ما ذكر الطيبي انه لما راى الرجل العادة في المتكبرين لبس الثياب الفاخرة
ونحو ذلك سال عنه ما سال قال ان الله جميل اي في ذاته وصفاته وافعاله وكل
جمال صوري او جميل معنوي فهو اثر جماله فلا جمال ولا جلال ولا كمال الا له سبحانه يحب الجمال
اي ظهوره في مخلوقاته وكذلك اظهرهم وجعلهم مظاهره ويؤيده حديث ان الله يحب ان يرى
اثر نعمته على عبده الكبر بطر الحق بفتح الموحدة المهملة اي الكبر المذموم بطلان جمال الحق
وغمط الناس اي استخفاف الخلق واصل البطر شدة الفرح والنشاط والمراد هنا سوء
احتمال الغنى وقيل الطغيان عند النعمة والمعنيان متقاربان وفي النهاية بطر الحق هو ان
يجعل ما جعله الله تعالى حقا من توحيده وعبادته باطلا وقيل هو ان يتجبر عند الحق فلا يراه
حقا وقيل هو ان يتكبر عن الحق فلا يقبله قال التوربشتي وتفسيره على الباطل بوجه اشبه
لما روي في غير الرواية انما ذلك من سفه الحق وغمط الناس اي ابى الحق سفها رواه مسلم وكذا
الترمذي عن ابن مسعود والطبراني عن ابي امامة والحاكم عن ابن عمر وابن عساكر عن جابر وابن
عمر ورواه البيهقي عن ابي سعيد بزيادة ويحب ان يرى اثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس
ورواه ابن عدي بزيادة سخي يحب السخاء نظيف يحب النظافة وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة اي اشخاص لا يكلمهم الله اي كلام رضا او مطلقا يوم القيمة
اي وقت ظهور عدله وفضله وغضبه ورضاه ولا يزكيهم اي لا يثني عليهم بخلاف سائر المؤمنين
او لا يطهرهم من دنس الذنوب بالعفو عنهم وفي رواية ابي بدلا منه بدله او زيادة عليه وهو النظر
ولا ينظر اليهم اي نظر لطف وعناية ورحمة ورعاية ولهم عذاب اليم يحتمل ان يكون من تتمة الرد
وان يكون عودا الى اصل الحديث وهو المعتمد كقوله شيخ زان لان الزنا اذا كان ينبغي من الشباب
مع كونه مقدرا طبعا فمن الشيخ المنطفي شهوته المبيضة عنقه يكون افحش وفي نظر العقل سمج
وملك كذاب اي كثير الكذب او ذو كذب بناء على ان المبالغة للفقر وللنسبة والاول ابلغ
وعائل مستكبر اي فقير متكبر لان الكبر مع اعدام سببه فيه من الجاه والمال يدل على كونه له بالطبع

ذمه

ذمه في الشرع وقيل المراد بالعائل ذو العيال لتكبره عن اخذ صدقة تدر ما يسد خلته
وخلة عياله لم يكن الا سيما هذه الرذيلة غلبه بحيث يلحقه وعياله الضرر الشديد من
تكبره قال الطيبي يعني الزنا قبيح ومن الشيخ اقبح والكذب سمج ومن الملك اسمج والتكبر
مذموم ومن الفقير اذم انتهى ويمكن ان يقال المراد بالشيخ المحصن سواء كان شابا او كهلا
ولكون الزنا اقبح منه شرعا وعرفا وجب فيه الرجم كما في الاية المنسوخة الشيخ والشيخة
اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم والمراد بالملك الغني فان الفقير
قد يكذب لغرض سد من منفعة دنيوية ضرورية والغني لا يحتاج اليه مطلقا فالكذب
منه اقبح والمراد بالفقير الذي يتكبر على الفقراء لان التكبر على المتكبر من الاغنياء صدقة
والظاهر ان المراد به الفقير المتكبر عن الكسب والكد لنفسه وعياله مع القدرة عليه
كما هو مشاهد ولا شك ان هذا التكبر المتضمن للرعونة والريا والسمعة مع اذلال النفس
وارتكاب السؤال واخذ المال من غير وجه حلال اقبح من تكبر الاغنياء لا سيما اذا كان يتكلف
ويتزيا بزي الاكابر كبعض الفقهاء القائلين بان الحلال ما حل بنا والحرام ما حرمنا فان
العلماء المركبة داب بعضهم لا يبحث عنه الحكماء وان بلغوا مبلغ الكمال رواه مسلم وفي الجامع
بلفظ ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان
وملك كذاب وعائل مستكبر وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الله تعالى الكبرياء اي الذاتي ردائي اي بمنزلته عندكم والعظمة اي الصفاتي
ازاري اي في مرتبته لديكم فان مرتبة الصفة دون مرتبة الذات ولذا خص التكبير بكونه
تحريمة للصلاة في القيام لله تعالى والتعظيم بالركوع المندوب فيه سبحان ربي العظيم
ومنه التعظيم لامر الله وحقيقته ترك الاشتغال بما سواه فالتركيب نوع من التشبيه البليغ
والمعنى انهما مختصان بي اختصاصا ظاهرا كتشبيه الثوبين للابس حيث لا يمكن المنازعة
في واحد منهما لاحد عليكم فاذا عرفتم ذلك وعلمتم ما هنالك فمن نازعني واحدا منهما اي من
الوصفين بان تكبر باعتبار ذاته او تعظم من حيثية صفاته او اراد نوعا من المشاركة معي
في نعوت ذاتي وصفاتي ادخلته النار اي نار العذاب وعقاب الحجاب فانهما جزاء للمنازعين
وبئس مثوى المتكبرين وفي رواية قذفته اي رميته من غير مبالاة به في النار وهذا المجمل المرام
في هذا المقام واما تفصيله ففي النهاية الكبرياء العظمة والملك وقيل عبارة عن كمال الذات وكمال
الوجود ولا يوصف بها الا الله تعالى وهو من الكبر بالكسر وهو العظمة وقيل الكبر بالضم كبر الرجل
عظم فهو كبير انتهى وقيل ان الكبرياء والكبر والعظمة الفاظ مترادفة متحدة المعنى ولم يتعرض
معظمهم للفرق ولا بد من الفرق اذ الاصل عدم الترادف ولما يقتضيه المقام من التفرقة في مرتبة
الجمع قال الامام فخر الدين الرازي جعل الكبرياء بمقام الرداء والعظمة مقام الازار ومعلوم
ان الرداء ارفع درجة من الازار فوجب ان يكون صفة الكبرياء ارفع حالا من صفة العظمة ثم
قال فيشبه ان يكون متكبرا في ذاته سواء استكبره غيره ام لا وسواء عرف هذه الصفة احد ام لا
واما العظمة فهي عبارة عن كونه بحيث يستعظمه غيره واذا كان كذلك كانت الصفة الاولى
ذاتية والثانية اضافية والذاتي اعلى من الاضافي انتهى واطنب الطيبي في توجيه قول الفخر
وتوضيحه ثم قال وقد عرفت مما قررنا ان الكبر الاعراض عن الحق وتحقير الناس فالتواضع هو
الاذعان للحق وتوقير الناس وهو المعنى بقوله التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فالمعنى
من تكبر على الله وعلى الخلق ابتلاه الله تعالى في الدنيا بالذل والهوان وفي الاخرة بنزوله
في اقصى دركات النيران ومن تواضع لله مع الخلق رفع الله درجته في الدنيا والاخرة رواه مسلم

وكذا احمد وابوداود وابن ماجة عن ابي هريرة وابن ماجة ايضا عن ابن عباس ورواه الحاكم عن ابي هريرة مختصرا
بلفظ الكبرياء ردائي فمن نازعني ردائي قصمته ورواية سمويه عن ابي سعيد وابي هريرة بلفظ الكبرياء ردائي
والعز ازاري فمن نازعني في شيء منهما عذبته انتهى والله اعلم

الفصل الثاني

عن سلمة ابن الاكوع رضي الله تعالى عنه صحابي مشهور قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال
الرجل يذهب بنفسه قال المظهر وغيره الباء للتعدية اي يعلي نفسه ويرفعها ويبعدها عن الناس في المرتبة
ويعتقدها عظيمة القدر او للمصاحبة اي يرافق نفسه في ذهابها الى الكبر ويعززها ويكرمها كما يكرم
الخليل الخليل حتى تصير متكبرة وفي اساس البلاغة يقال ذهب الله بنورهم اي اذهب نورهم
وخلاصة المعنى انه لا يزال يذهبها عن درجتها ومرتبتها الى مرتبة اعلى وهكذا حتى يكتب اسمه او يثبت
رسمه في الجبارين اي في ديوان الظالمين والمتكبرين او معهم في اسفل السافلين فيصيبه بالنصب
والرفع اي فينال الرجل من بليات الدنيا وعقوبات العقبى ما اصابهم اي الجبارين كفرعون
وهامان وقارون رواه الترمذي وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يحشر المتكبرون امثال الذر اي في الصغر والحقارة يوم القيمة في صور الرجال اي من جهة
وجوههم او من حيثية هيئتهم من انتصاب القامة يغشاهم اي ياتيهم الذل من كل مكان اي من كل جانب
والمعنى انهم يكونون في غاية من المذلة والمنقصة يطاهم اهل المحشر بارجلهم من هوانهم على الله كما في
رواية الجامع هذا وفي النهاية الذر النمل الاحمر الصغير واحدها ذرة وقيل الذرة يراد بها ما يرى في شعاع
الشمس الداخل في النافذة قلت لكن قد يراد بها بل الظاهر انه المراد في قوله فمن يعمل مثقال
ذرة كما انه المراد جزما في قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة واما ارادة هذا المعنى في هذا المقام فغير صحيح
لقوله في صورة الرجال وما فيه من المقال قال التوربشتي يحمل ذلك على المجاز دون الحقيقة اذ المعنى
يطاهم الناس لذلهم وانما منعنا من القول بظاهره ما اخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم
ان الاجساد تعاد على ما كانت عليه من الاجزاء حتى انهم يحشرون غرلا يعاد منهم ما انفصل عنهم في القلفة
والى هذا المعنى اشار بقوله يغشاهم الذل من كل مكان قال الاشرف انما قال في صور الرجال بعد قوله
امثال الذر قطعا منه حمل قوله امثال الذر على الحقيقة ودفعا لوهم من يتوهم ان المتكبر لا يحشر في صورة
الانسان وتحقيقا لاعادة الاجساد المعدومة على ما كانت عليه من الاجزاء وقال المظهر يعني صورهم
صور الانسان وجثتهم كجثة الذر في الصغر قال الطيبي لفظ الحديث يساعد هذا المعنى لانه قوله
امثال الذر تشبيه لهم بالذر ولا بد من بيان وجه الشبه لانه يحتمل ان يكون وجه الشبه الصغر في الجثة
وان يكون الحقارة والصغار فقوله في صورة الرجال بيان للوجه ودفع وهم من يتوهم خلافه واما قوله
ان الاجساد تعاد على ما كانت عليه من الاجزاء فليس منه انه لا يعاد تلك الاجزاء الاصلية في مثل الذر
لانه تعالى قادر عليه وفيه الخلاف المشهور بين الاصوليين وعلى هذا الحقارة ملزومة هذا التركيب فلا
ينافي ارادة الجثة مع الحقارة انتهى وفيه انه لا كلام في قدرته تعالى على كل شيء وانما الكلام في انه
هل تعلق القدرة بذلك ام لا واذا صح في الخبر ان الخلق كلهم يحشرون غرلا فلا شك انه لا بد من تحقق اعادة
جميع الاجزاء الاصلية من المتصلة والمنفصلة كالاظفار المقطوعة والاسنان المقلوعة والشعور
المحلوقة وامثال ذلك تصديقا للكلام النبوي وتحقيقا لما اخبر به وحصول هذا كله في زمن
المحال العقلية ونفيها معتبر في القواعد النقلية منها قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم
الخياط فان المراد به ان دخول الكفار في الجنة من المحال الذي لا يقع ابدا كولوج الجمل في سم الخياط اذا
عرفت هذا علمت ان الشيخ التوربشتي عدل عن الحقيقة الى المجاز للضرورة الملجئة اليه لكن ما قاله
سيانا لحديث على ما حققه بقية الشراح فالتحقيق ان الله يعيدهم عند اخراجهم من قبورهم على اكمل
صورهم وجميع اجزائهم المعدومة تحقيقا لوصف الاعادة على وجه الكمال ثم يجعلهم في موقف الجزاء في

القسوة المذكورة اهانة وتذليلا لهم جزاء وفاقا او يتصاغرون من الهيبة الالهية عند مجيئهم الى موضع الحساب وظهور
اثار العقوبة السلطانية التي لو وضعت على الجبال لصارت هباء منثورا وقد ثبت تبديل صور اهل جهنم على اشكال مختلفة
وصور متباينة كصور الكلاب والخنازير ونحوهم بحسب ما يليق بصفاتهم واحوالهم وقد ورد كبر جثتهم حتى يكون ضرس
الكافر كجبل احد على ما ورد في الحديث وكذا تغيير صور اهل الجنة من السواد الى البياض ومن القصر الى الطول ومن الصغر
ومن الكبر الى السن المتوسط وجعلهم جردا مردا مكحلين وامثال ذلك وبه يزول الاشكال والله اعلم بحقيقة الحال
ويدل على ما قررنا ان تبديلهم انما هو في اخر امرهم قوله بطريق الاستئناف او على الحال ثانيا فيساقون
بالقاف اي يسحبون ويجرون الى سجن اي مكان حبس مظلم مضيق منقطع فيه عن غيره يسمى اي ذلك السجن بولس بفتح
موحدة وسكون واو وفتح اللام وسين مهملة وفي بعض النسخ بضم اوله وفي القاموس بولس بضم البا وفتح اللام
سجن جهنم وقال المنذري بضم الموحدة وسكون الواو وفتح اللام ذكره ميرك وقال شارح بفتح الموحدة
وفتح اللام وكسرها فوعل من الابلاس بمعنى الياس سمي به لياس داخله من الخلاص وفي النهاية هكذا
جاء في الحديث مسمى ذكره الطيبي من غير تعرض لضبطه فالاعتماد على ما ذكره المنذري وصاحب القاموس
او في من كلام غيرهما لجلالتهما في علم الحديث والله اعلم تعلوهم اي تحيط بهم وتغشاهم كالماء يعلو الغريق
نار الانيار اي نار النيران قال شارح انيار جمع نار كانياب جمع ناب وفيه ان الناب يائي والنار
واوي ولذا لم يذكر انيار في القاموس لكونه شاذا والنيار من الانوار الا انه نقل الانيار لئلا
يشتبه بجمع النور قال القاضي واضافة النار اليها للمبالغة كان هذه النار لفرط احراقها وشدة
حرها تفعل بسائر النيران ما تفعلان بغيرها انتهى ولانها نيران العالم لقوله تعالى الذي يصلى
النار الكبرى ولقوله عليه السلام ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم على ما ذكره البيضاوي وفي
النهاية قوله نار الانيار لم اجده مشروحا ولكن هكذا يروى فان صحت الرواية فيحتمل ان يكون معناه
نار النيران فجمع النار على انيار واصلها انوار لانها من الواو كما جاء في ريح وعيد ارياح واعياد وهما
من الواو وذكره الطيبي ولم يبين وجهه وتوجيهه ما قدمنا من مخافة الالتباس فان الاشواد بمعنى
الاخشاب والارواح جمع الروح يسقون بصيغة المجهول وفيه اشارة الى الاكراه وايماء الى زيادة
الاحراق المؤثر الى بطونهم ايضا من عصارة اهل النار اي صديدهم المنتن المحرق في الحرارة المعبر عنه
بحميم طينة الخبال تفسير لما قبله وهو بفتح الخاء بمعنى الفساد قال شارح هو اسم عصارة اهل النار
وهو ما يسيل منهم من الصديد والقيح والدم رواه الترمذي واخرج عبد الله بن احمد في زوائد الزهد عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجاء بالجبارين والمتكبرين رجال في صور الذر يطاهم الناس من
هوانهم على الله حتى يقضي بين الناس ثم يذهب بهم الى نار الانيار قيل يا رسول الله وما نار الانيار
قال عصارة اهل النار ذكره السيوطي في البدور السافرة في احوال الآخرة وعن عطية بن عروة السعدي
منسوب الى سعد ولم يذكره المؤلف في اسمائه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب
من الشيطان اي من اثره ووسوسته وان الشيطان خلق من النار قال تعالى والجان خلقناه من قبل
من نار السموم وقال خلقتني من نار وهذا دليل على انه من الجن لان الملائكة خلقوا من النور ومعنى
خلقه منها ان عنصره الناري غالب على سائر اجزائه بخلاف الانسان وانما يطفأ بصيغة المجهول
مهموزا اي يدفع النار اي الحسية بالماء اي الحقيقي فاذا غضب احدكم واشتعلت نار غضبه من جونه
وتريد احراق المغضوب عليه بنوع من عذابه فليتوضأ فان الوضوء مركب مجموع من الماء الحسي والمطهر
المعنوي المؤثر في الظاهر والباطن وهذا من طب الانبياء الذي عجز عنه الحكماء واغرب الطيبي حيث
اخرج الحديث عن حقيقته الاصلية من غير باعث من الامور النقلية والعقلية فقال ان ارادوا بقوله
اذا غضب احدكم فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم فان الغضب من الشيطان فمقولة قاله
الغضب ومنشاه ثم الارشاد الى تسكينه فاخرج الكلام هذا المخرج ليكون اجمع وانفع للموانع وان

وازدع وهذا التفسير يمنع من اجرائه في الحقيقة لانه من باب الكناية بتمهيد الصواب اذ الاستعاذة
علاج اخر مستقل كما ورد به الاثر في ما ذكر الجزري في الحصن حيث قال ومن غضب فقال اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد ونسبه الى البخاري ومسلم وابي داود والنسائي عن سليمان
ابن صرد وهو مقتبس من قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وزاد ابن
عدي في الكامل عن ابي هريرة بلفظ اذا غضب الرجل فقال اعوذ بالله سكن غضبه وحاصل الامر
ان هذا علاج قريب سهل التناول والحصول والوضوء معالجة فعلية صعب الوصول لا سيما والوضوء
مقدمة للصلاة فهو بمنزلة المجرب المسهل المخرج للمواد الفاسدة من اصلها واما مجرد الاستعاذة
فهو بمنزلة الاستفراغ للتخلية المعدة من اثار التخمة وحاصله ان الحكيم الكامل يدرج في
المعالجة ويعلم خواص كل ما صاحب علته بما يوافق دنيا بسببه من خواص الاشيا المفردة والمركبة وانواع
الغضب كالامراض المختلفة فيعلي العليل ان يسلم نفسه ويجعل نفسه بين يدي الطبيب
الحبيب الكامل كالميت بين يدي الغاسل وخلاصة الكلام انه اذا احس بالغضب فيتعوذ بالله
اولا ثم اذا راي انه ما يزول به يقوم ويتوضا ويصلي ركعتين لله تعالى فانه دوا صبر من كربه
في الطبع الشيطاني والمزاج النفساني بل هو كعرق السوس يخرج كل مرض مدسوس قال
الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين رواه ابو داود وكذا
احمد عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا غضب احدكم اي ظهر اثر غضبه
في امر وهو قائم فليجلس لان المعالجة بالاضداد والقوة الغضبية الناشية من الوسوسة
الشيطانية تقتضي الخفة والتغلبية التي من خواص النار والقيام لاجل الانتقام فتمام العلة
بالجلوس المشير الى القعود عن الفتنة نافعة جدا فان ذهب عنه الغضب اي اثر حرارته
وقوة فورته بالجلوس فبها ونعمت والا اي وان لم يذهب به فليضطجع مبالغة في المعالجة
المذكورة مع ما فيه من الاشارة الى رجوع الانسان الى ما اخذ منه من التربة المناسبة للتواضع
في مقابلة عمل الشيطان بمقتضى جبليته من الشعلة النارية المقتضية للتكبر وكل شي
يرجع الى اصله هذا وفي شرح السنة انما امره بالقعود والاضطجاع لئلا يحصل منه في حال
غضبه ما يندم عليه فان المضطجع ابعد من الحركة والبطش من القاعد من القائم وقال
الطيبي لعله اراد به التواضع والخفض لان الغضب منشاه التكبر والترفع قلت لا منع
من الجمع فان كلامه صلى الله عليه وسلم منبع الحكم والله اعلم ثم يحتمل ان يكون هذا القصد
منه قبل الوضوء وهو الظاهر وان يكون بعده ان لم يذهب الغضب والله اعلم بالسرائر رواه
احمد والترمذي وكذا ابو داود وابن حبان في صحيحه عن اسما بنت عميس بالسين المهملة
مصغرا وقد تقدمت ترجمتها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس العبد
لم يقل بئس الرجل والمراة تنبيها على ان الاوصاف الاتية ليست من مقتضيات العبدية ولا من
نعوت العبودية عبد تخيل اي تكبر وتجبر واختال اي تمايل وتبختر من الخيلا وهو الكبر والعجب
بالجاه والمال والجمال والعلوم والاعمال والاحوال وتوهم الكمال حيث تخيل انه وصل الى الكمال
قال التوربشتي اي تخيل له انه خير من غيره واختال اي تكبر ونسي الكبير المتعال بحذف الياء
مراعاة للفاصلة وهو لغة في المنقوص المعرف وعليه قراءة الجمهور في قوله تعالى عالم الغيب
والشهادة الكبير المتعال واثباتها لابن كثير في الحالين ومعنى الكبير في الشان في البرهان
والمتعال اي عن الاشباه والاضداد والانداد اي نسي ان الكبرياء والمتعالي ليس الا لله تعالى
او نسي من شانه ومعاقبته في العقبى حيث لم يراع مراقبته في الدنيا بالنقوب
بئس العبد عبد تجبر اي قهر على المظلومين واعتدى اي تعدى وزاد على المساكين او بغى وزاد قدره وما

رابع حكم ربه وامره ونسي الجبار الاعلى اي القهار الذي فوق عباده الغالب على امره بئس العبد عبد
سها ولها حقيهما الذي يكتبا بالالف واويان ماخوذان من السهو واللهو وفي كثير من النسخ باليا فلعله
لمشاكلة اللفظية في الفواصل السجعية ومعنى سها اي صار غافلا عن الحق والطاعة وعن الاستعداد
للانبياء وعنه قول الصلحاء فرسهوا ومنه قوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون قال
بعض العارفين الحمد لله لم يقل في صلاتهم والا لكان الويل على الكل في اليوم والليل ولها اي اشتغل
باللهو واللعب ومنه قوله تعالى الهاكم التكاثر وخلاصته انه سها عن امر الدين الرضية ولها بامر
الدنيا الدنية ونسي المقابر اي اهلها بالتذكر والعبرة بهم او بزيارتهم في سبيل الرحمة وزيارتهم
وذكر المقابر كناية عن الموت اي نسي الموت بعدم الاستعداد له وكفى بالموت واعظا ونسي مرجع
الاحيا من اماكن الاموات وما يحصل لهم فيها من الوحشة والظلمة والغربة والضيق وغيرها
مما يعسر ضبطها وحصرها والبلى بكسر الموحدة وهو تفتت الاعضا وتشتت الاجزا الى ان يصير رميما
وترابا بئس العبد عبد عتا من العتو اي فسد وطغى من الطغيان اي تجاوز عن الحد وقيل
معناهما واحد وفي الجمع بينهما تاكيدا وان الثاني تفسيرا والاتيان به للفاصلة ونسي المبتدا والمنتهى بصيغتي
المفعول قال الاشرف اي نسي ابتدا خلقه وهو كونه نطفة وانتهى حاله الذي يؤول اليه وهو
صيرورته ترابا اي من كان ذلك ابتداءه ويكون انتهاؤه فهو جدير بان يطيع الله تعالى فيما بينهما
وقيل المراد بهما الله اي نسي الذي صدر ابتدا وجوده منه ولا بد من انتهاء رجوعه اليه فترك مراعاة
امره ونهيه فخطه نهيه احرى بئس العبد عبد يختل بكسر التا اي يطلب الدنيا بالدين اي
بعمل الاخرة من ختله اذا خدعه كذا في النهاية والمعنى يخدع اهل الدنيا بعمل الصلحاء ليعتقدوا فيه
وينال منهم مالا وجاها من ختل الصياد خدعه وخفي له قال القاضي الصياد اذا مشى للصيد
قليلا قليلا لئلا يحس به شبه فعل من يري ورعا ودينا ليتوسل به الى المطالب الدنيوية بختل الصياد
بئس العبد عبد يختل الدين اي يفسده بالشبهات بضمتين ويفتح الثاني بئس العبد
عبد طمع اي له طمع او ذو طمع او وصف بالمصدر مبالغة ولو قرى باضافة العبد لاستقام
من غير تكلف وقوله يقوده اي يجره الطمع عن وجهة المولى الى جهة السوي ومن الغرايب ما حكي
عن الشبراملسي قدس سره انه قد سيد من علم الكيميا فقال هو كلمتان اطرح الخلق عن
نظرك واقطع طمعك عن الحق ان يعطيك غير ما قسم لك ومن هذا القبيل حديث القناعة
مال لا ينفد على ما رواه القضاعي عن انس بئس العبد عبد هوى يضله قال الاشرف كانه
من كثرة الطمع والهوى اللازمين للعبد وشدة اتصاله بهما اطلق نفس الطمع والهوى عليه وكانا
قائمين به وتقديره ذو طمع يقوده وذو هوى يضله ويمكن ان يجعل قوله طمع فاعلا يقوده وهوى
فاعل يضله مقدمين على فعليهما على مذهب الكوفيين قال الشاعر
صددت فاطولت الصدود وقلما … وصال على طول الصدود يدوم
اي قلما يدوم وصال على الصدود وقال الطيبي الوجه الثاني اقرب من الاول لما يلزم منه وصف
الوصف لان قوله يقوده في هذا منقطع وهو صفة عبد والاشبه ان يكون يطمع مبتدا ويقوده
خبره اي طمع عظيم يقوده نحو شر اهر ذا ناب والجملة صفة عبد قلت هذا مراعاة للمبنى
وغفلة للمعنى فان الذم مرتب على مطلق الطمع الذي يقوده الى الهوى وكذا الحكم في الهوى على ما لا يخفى
بئس العبد عبد رغب بضم الراء وفتحها ويفتحان ففي القاموس رغب فيه كسمع رغبا ويضم
ورغبة اراده اليه رغبته محركة وفي المشارق الرغب بسكون الغين وفتحها وبضم الراء وفتحها
وفي نسخة بالاضافة وانتصر عليها القاضي كما سيأتي وتوجيه جوازكونها فيما قبلها من الوصفين
ايضا وقال ابن الملك هو بضم الراء وسكون الغين المعجمة الشرة والحرص على الدنيا وقيل الرغب

سعة الامل وطلب الكثير ويروى بفتح الرا بمعنى الرغبة في الدنيا وقوله يذله اي يجعله ذليلا وقال
الامام التوربشتي الرواية عندي بفتح الغين اي بذلة الرغبة في الدنيا ومن الناس من يقول
الرغب بضم الرا وهو الشره يقال الرغب شوم وتعلل الاصل فيه السعة يقال جوف رغيب ككريم
قال القاضي واضافة العبد للاهانة كقولهم عبد البطن لانه مع همته واجتهاده مقصور عليه
ما يلائمه ولا يخفى انه تكرار جملة الذم في صدر الجمل المذكورة والنعوت المسطورة للاشعار
بان كل واحدة من الصفات مستقلة في استحقاق ذم فاعلها وان مراعاة السجع من غير
تكلف الطبع غير مكروه في الشرع رواه الترمذي والبيهقي في شعب الايمان وقالا اي كلاهما
ليس اسناده بالقوي قال التوربشتي روى الترمذي باسناده عن هاشم بن سعيد الكوفي
وقد ذكره ابن عدي في كتابه وقال عامة ما يرويه لا يتابع عليه قلت فقد وجد لهذا الحديث
متابع فانه رواه الطبراني والبيهقي عن نعيم بن همار ورواه الحاكم ايضا في مستدركه عن اسما
بنت عميس ولا شك ان كثرة الطرق تقوي الضعيف وتجعله حسنا لغيره وبه يتم المقصود
والله اعلم وقال الترمذي ايضا اي مع قوله انه ليس بقوي هذا حديث غريب وانت تعرف
ان الغرابة لا تنافي الصحة والحسن وعلى تقدير ان الحديث ضعيف تعويلهم عليه في فضايل الاعمال
اتفاقا وفي المواعظ ينبغي ان يكون بالاولى انتهى والله اعلم

الفصل الثالث

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجرع عبد افضل
اي تجرع افضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها بكسر الظاء اي يبلعها ويمنعها من اظهارها مع كثرتها
وملأ باطنه منها من كظم القربة ملاها وشدها على ما في اساس البلاغة وفي رواية الجامع
كظمها بصيغة الماضي ابتغا وجه الله تعالى اي طلبا لمرضاته لا لغرض اخر ولا لعجز عن امضا رواه
احمد وكذا الطبراني وعن ابن عباس في قوله تعالى ادفع اي السيئة لدلالة ما قبله عليه وهو قوله سبحانه
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي اي بالخصلة التي هي احسن فيه مبالغة عظيمة حيث
عدل عن الحسنة الى الاحسن مع الرخصة المفهومة من قوله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها
او المراد انها احسن من مجازاة السيئة بالسيئة فانها حسن وانما سمي سيئة في الاية للمشاكلة
او بالنسبة والاول فتدبر الاحسن والله اعلم وما يلقاها فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه
ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم في الاية اشارة الى انه لا تعلمها الا اهل الاخلاق والانسان
التي يعجز عنها اكثر الافراد البشرية قال اي ابن عباس بيانا للخصلة الصبر عند الغضب قيل المراد
به غضب الغير فانه سيئة منه فيقابل بالصبر الذي احسن من مجازاته بالغضب ويمكن ان يكون
المعنى انه يصبر عند اثر الغضب فان كظم الغيظ احسن من امضائه والعفو اي عن المسيء عند
الاساءة اي وقت تحققها والاولى ويمكن ان كلا منهما من افراد الخصلة التي هي احسن وكانه رضي
الله عنه مثل بما هو المطلوب من السالك والافادة الصوفية على المجازاة باحسن ما يتصور
من انواع الاحسان اليه من التواضع وتقبيل اليد والرجل وامثال ذلك واعطاء المال
من قليل او كثير وانما المراتب ان يحلله ويدعو له بالتوبة والهداية وزاد بعضهم الوعد بالشفاعة
يوم القيمة وهذه كلها خوارق عادات تطوي بساط كرامات ما يكون تحتها غرور في بدايات
او نهايات ولذا قالوا الاستقامة خير من الف كرامة وقد ورد شيبتني سورة هود فقيل لما فيها من
ذكر الامم والله اعلم فاذا فعلوا اي ما ذكر من المثالين وامثالهما عصمهم الله اي حفظهم من الزيغ
والتعدي في اجابتهم وخضع لهم عدوهم اي خاصمهم ورجعوا عن اساءتهم اليهم والغضب عليهم
كانه اي العدو ويستوي فيه الفرد والجمع ولي اي ناصر لهم حميم اي صديق لهم لامرهم وحاجتهم وحكم عدار

وحرقتهم

وحرقتهم زهبت اي ذي قرابة منهم منك والحاصل ان هذه الخصلة التي هي احسن تقلب العداوة محبة وتنزع
الاخلاق الذميمة من الحقد والحسد والغيبة ونحوها قال الطيبي هذا التفسير على ان يكون لا في
قوله ولا السيئة مزيدة والمعنى لا تستوي الحسنة والسيئة وفي هذا ايراد بالتي هي احسن التي هي
حسنة موضع الاحسن ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة واذا لم يجعل لا مزيدة يكون المعنى ان
الحسنة والسيئة متفاوتان في انفسهما فخذ بالحسنة التي هي احسن من اختها فاذا
اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض اعدائك ومثاله
رجل اساء اليك اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته
اليك مثل ان يذمك فتمدحه فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي
الحميم مصافاة لك رواه البخاري تعليقا اي بلا اسناد وتقدم انما علقه بصيغة المجهول
ضعيف وما رواه بصيغة المعلوم صحيح والله اعلم وعن بهز بفتح موحدة وسكون ها وزاي
تابعي ابن حكيم عن ابيه تابعي حسن الحديث عن جده اي معاوية بن حيدة القشيري ولم يذكره
المؤلف فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب ليفسد الايمان اي
كماله او نوره وبهاءه وقد يجر الى ابطاله نعوذ بالله من ذلك ولما كان بعض افراده كذلك صح
التشبيه له كما يفسد الصبر العسل وهو بفتح الصاد وكسر البا ويسكن على ما في نسخة لكن
قال صاحب القاموس الصبر ككتف ولا يسكن الا في ضرورة الشعر عصارة شجر مر انتهى واما
كسر الصاد وسكون البا على ما اشتهر على الالسنة فلعله ماخوذ من قوله ككتف فان الكتف
فيه لغتان والله اعلم وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال وهو على المنبر فيه اشارة الى حفظ الفقيه
دايما الى انه كالمسالة الاجمالية لكونه في محضر من الصحابة يا ايها الناس ولعل العدول عن المؤمنين
اليه لاجل ذلك العموم وفي نسخة الخصوص تواضعوا اي ليتواضع بعضكم لبعض وليترك التكبر
على اخوانه المؤمنين لقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين والتعبير بالاذلة للاشارة
بكمال التواضع في سبيل المبالغة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من تواضع لله رفعه الله هذه الجملة رواها ابو نعيم في الحلية عن ابي هريرة فهو القائل
اي فالمتواضع المرفوع نتيجته او علامته انه في نفسه صغير اي حقير وتقديره واذا رفعه
الله فهو في نفسه صغير اي خال عن العجب والكبر وفي اعين الناس عظيم اي عظيم القدر جليل
الشان لرفعه تعالى اياه بهذه الخصلة الحميدة وقد جاء في بعض الدعوات المأثورة اللهم اجعلني
في نفسي صغيرا وفي اعين الناس كبيرا ومن تكبر وضعه الله فهو في اعين الناس صغير وفي نفسه
كبير حتى متعلق بقوله صغير والحاصل المجموع ثم الظاهر ان حتى هذه ابتدائية في المغني
الرضي قد تكون حرف ابتدا اي حرفا يبتدا بعده الجمل اي تستانف فيدخل على الجملة الاسمية كقول
جرير فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل
يؤكد هذا المعنى دخول لام الابتداء في قوله لهو اي المتكبر الموضوع اهون عليهم اي اذل واحقر في
الناس من كلب او خنزير والتنويع اما باختلاف حال المتكبر او باعتبار احوال الناس
قال الطيبي الفا في قوله فهو جزاء شرط محذوف يعني من تواضع لله هضم حقه من نفسه
فجعل نفسه دون منزلته وهو المراد بقوله صغير في نفسه ثم ان الله يرفعه من تلك المنزلة
التي حطه اليها مما يرتفع منها او يعظمه عند الناس وبعكسه في القرينة الاخرى وفي شرح السنة
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الرجل اذا تواضع رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك
فهو في نفسه صغير وفي اعين الناس كبير واذا تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض وقال
اخسأ اخسأك الله فهو في نفسه كبير وفي اعين الناس صغير حتى يكون اهون على الله من

الخبر وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى بن عمران عليه السلام
يا رب من اعز عبادك عندك قال من اذا قدر غفر والمغفرة لا عزة في المرتبة الجمعية الربوبية العبدية
هو الذي اختار كونه اذل في طريق العبودية العبدية فان العبد والعبادة ماخوذان من طريق
معبدة اي مذللة وقد قالوا العبادة هي اقصى غاية الخضوع والتذلل ولذلك لا تستعمل الا لله تعالى
مع ان المغفرة مع القدرة انما هو من باب التخلق باخلاق الله تعالى واشار الى هذا المعنى
في قوله ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا ولم يشبه عليه السلام
في العفو لما كان الغالب عليه الحالة الجلالية ليحصل له الاعتدال كما يقتضيه الكمال
بل ينبغي غلبته نعمة الجمال كما اشار اليه الحديث القدسي غلبت رحمتي غضبي ولكون الرحمة
غالبة على نبينا صلى الله عليه وسلم بكونه رحمة للعالمين وامته امة مرحومة فان الراحمين
يرحمهم الرحمن على ما سبق في الباب وفي الجامع الصغير من عفا عند القدرة عفا الله
عنه يوم العسرة رواه الطبراني عن ابي امامة وعن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من خزن بفتح الزاي اي حفظ لسانه قال امرؤ القيس ؏
؏ اذا المرء لم يخزن عليه لسانه ؏ فليس على شيء سواه بخزان ؏
وقال الطيبي اي من ستر عيوبه وكتمها ستر الله اي ستر عيبه عن الناس وعن الحفظة وكان
منع من الجمع ومن كف اي منع غضبه اي عن الناس كف الله عنه عذابه اي الذي استحقه بغضبه
يوم القيامة جزاء وفاقا وفي الجامع برواية ابن ابي الدنيا عن ابن عمر من كف غضبه ستر الله
عورته اي بان لم يعذبه فتوافق الحديثان ومن اعتذر اليه ودفع له ما النقص الى الله
اي بالرجوع اليه واظهار العجز لديه قبل الله عذره ظاهر نظرا انه اذن بقال ومن قبل عذر اخيه
قبل الله عذره ولعله من تصرفات الرواة والحكمة اقتضت ذلك والله اعلم بما هنالك
وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اي من الخصال منجيات اي
اسباب نجاة وخلاص وثلاث مهلكات فاما المنجيات فتقوى الله في السر والعلانية
والقول بالحق في الرضا والسخط اي لا يبدل القول الحق لاجل محبته ورضاه عن احد او سخط
وغضبه على احد والقصد اي التوسط في النفقة في الغنى والفقر اي في الحالين بالاجتناب
عن طرفي الافراط والتفريط واما المهلكات فهوى اي للنفس متبع اي بان صار متروك فانه
مخالف النفس من اكبر المنجيات كما ان تبعها من اكبر المهلكات وشح اي بخل مطاع اي مطاوع
له معمول بمقتضاه فقيل الشح منع الواجب وقيل اكل مال الغير وقيل العلامة صلى الله
وقيل الشح مما يجد عندك والاظهر ان الشح هو البخل المقرون بالحرص واعجاب المرء بنفسه
اي باستحسان اعماله واحواله وتيسيرها يتوهم انه من كمالها وهي اي الخصلة الاخيرة اشدهن
اي اعظمهن وزرا واكثرهن ضررا لانه يتوهم ان يتوب من متابعة الهوى ومن رذيلة البخل
والمعجب مغرور وخربه فهو محجوب لا يرجى زواله كالمبتدع فانه قل ان يتوب من بدعته وقال
الطيبي لان المعجب بنفسه متبع هواه ومن هوى النفس الشح المطاع قال تعالى ومن يوق
شح نفسه فاولئك هم المفلحون حيث اضاف الشح الى النفس رواه البيهقي الاحاديث الخمسة
في شعب الايمان انتهى والله اعلم بالصواب

باب الظلم

قال الراغب الظلم عند اهل اللغة وضع الشيء في غير موضعه المختص به اما بنقصان او بزيادة
واما بعدول عن وقته او مكانه وقال القطب الرباني الشيخ عبد الكريم الجيلاني ان الله
سبحانه وتعالى خلق قلب عبده لذكره وفكره فمن وضع فيه غيره فهو ظالم لنفسه وقال

العارف ابن الفارض مومئا الى الاشتغال بالوحدة والنبوة او الذكر والصلاة او الكتاب
والسنة ؏ عليك بها صرفا وان شئت مزجها ؏ فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم ؏

الفصل الاول

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
الظلم اي جنسه ان كان من المتعدي او القاصر الصادر من الكافر والفاجر ظلمات اي اسباب
ظلمة لمرتكبه او موجبات شدائد صاحبه يوم القيامة ومفهومه ان العدل بانواعه انوار يوم
القيامة لان الدنيا مزرعة الاخرة في شرح مسلم للنووي قال القاضي هو على ظاهره فيكون
ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة بسبب ظلمه في الدنيا كما ان المؤمن يسعى نوره
مسبب عن ايمانه في الدنيا قال تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ويحتمل ان يراد
بالظلمات هنا الشدائد وبه فسروا قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي شدائد
ويحتمل انها عبارة عن الانكال والعقوبات قال الطيبي قوله على ظاهره يوهم ان قوله
ظلمات هنا ليس مجازا بل حقيقة لكنه مجاز لانه من اطلاق المسبب على السبب فالمراد ظلمات
حقيقية مسببة عن الظلم قلت انما اراد القاضي بالحقيقة المقابلة للمجاز المفسر
بالشدة نظرا الى جوهر المعنى مع قطع النظر عن حمل اللفظ بالاعراب والمبنى ثم ان الفرق
بين الشدائد والانكال ان الشدة ان الشدائد كائنة في العرصات قبل دخول النار والانكال
بعد الدخول قلت ظلمات دار يوم القيامة الدار الاخرة متفق عليه وعن ابي موسى قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم من الاملاء اي يمهله ويؤخره ويطول
عمره حتى يكثر منه الظلم حتى اذا اخذه لم يفلته من الافلات وهو الخروج من ضيق مع فرار ذكره
شارح والمعنى لم يتركه بل اخذه اخذا شديدا ذكره ابن الملك قيل افلت الشيء وتفلت
وانفلت بمعنى وافلته غيره في النهاية اي لم ينفلت منه ويجوز ان يكون المعنى لم يفلته منه
احد اي لم يخلصه قلت هذا المعنى هو الظاهر على ما يدل عليه الضمير والقول الاول
اما حاصل المعنى او بناء على الحذف والايصال وفيه تسلية للمظلوم في الحال ووعيد للظالم
لئلا يغتر بالامهال كما قال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص
فيه الابصار ثم قرأ اي النبي صلى الله عليه وسلم اعتضادا او استشهادا وكذلك اخذ ربك
اذا اخذ القرى اي اهلها وهي ظالمة الاية اي ان اخذه اليم شديد كما في نسخة بدل الاية متفق عليه
وفي الجامع الى قوله ثم قرأ رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما مر اي اراد المرور او ربما يحجر بكسر الحاء اي ديار ثمود قوم صالح قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا
انفسهم اي بالكفر الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم اي لئلا يصيبكم او مخافة ان يصيبكم ما اصابهم
اي نوع من العذاب مثل ما اصابهم من العقاب اذ لا يخلو احد منكم من الذنوب اذا اشتد عليه الحساب
ويمكن ان يكون المراد ان يصيبكم فقيكم عين ما اصابهم فعم الحكم بالتخويف تشديدا عليهم ثم قنع
راسه بتشديد النون اي بالغ من الاقناع اي اطرق راسه ولم يلتفت يمينا وشمالا كالذي [illegible]
يغض نظره في مساكنهم او جعل ثوبه على راسه شبه الطيلسان واسرع السير حتى اجاز الوادي
اي نجا وزوى قيل قطع عرضه وخرج عن حده وانما فعل ذلك تعليما للامة ليقتدوا به وجمع بين
القول والفعل تاكيدا في القضية او لانه صلى الله عليه وسلم كان ذا نهاية في الخشية لانها
انما تكون على قدر المعرفة قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقد قال انا اعلمكم بالله
واخشاكم له فهذا مجمل معنى الحديث واما تفصيله فقال التوربشتي الحجر ديار ثمود وذلك
انه مسيره الى تبوك خشي على اصحابه ان يجتازوا في تلك الديار ساهين غير متفطنين بما اصاب
اهل تلك المواطن وقد امرهم الله بالانتباه والاعتبار في مثل تلك الدار قال القاضي ولذلك

استشفعوا لنه وان يصيبكم نصب على المفعول له اي مخافة ان يصيبكم قال الطيبي المعنى لا تدخلوا
مساكنهم في حال من الاحوال الا حال كونكم باكين قال الخطابي معناه الداخل في دار قوم اهلكوا
بخسف او عذاب اذا لم يكن باكيا اما شفقة عليهم واما خوفا من حلول مثلها به كان قاسي القلب
قليل الخشوع فلا يأمن اذا كان كذلك ان يصيبه ما اصابهم انتهى وما اصاب في قوله اما
شفقة عليهم كقوله تعالى ولا تحزن عليهم وقوله عز وجل فلا تأس على القوم الفاسقين قال التوربشتي
وفي الحديث انه نهاهم ان يشربوا ماءها وكانوا قد عجنوا به عجينهم فامرهم ان يلقوه ورآهم ولم يرخص
لهم في الاكل منه وفي شرح السنة فيه دليل على ان منازلهم هؤلاء لا تتخذ مسكنا ووطنا لانه
صلى الله عليه وسلم لم ير لهم دخولها الا مع البكاء فالمتواطن يكون دهره باكيا قلت
ويلائمه ظاهر قوله تعالى تقريعا وتوبيخا وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف
فعلنا بهم وفيه تنبيه نبيه على ان الاماكن لها تأثير عند الله بالنسبة الى سكانها محنة
ومنحة كما في الازمنة من مواسم الطاعات وساعات الاجابة ومنه ما روي ان لله في ايام
دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وقد تقدم ان احب البلاد الى الله المساجد وابغضها اليه الاسواق
ونظير ذلك تأثير صحبة الاخيار والاشرار على ما ورد به الاخبار والآثار الابرار متفق عليه وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له مظلمة بكسر اللام وبفتح اسم
ما اخذه الظالم او تعرض له لاخيه اي في الدين من عرضه بيان للمظلمة وهو بكسر العين جانبه الذي
يصونه من نفسه ونسبه وحسبه ويتحامى ان ينتقص او شيء اي امر آخر كاخذ ماله او المنع من
الانتفاع به وهو تعميم بعد تخصيص فليتحلله اي فليطلب الظالم حل ما ذكر منه اي من المظلوم في
النهاية يقال تحلله واستحلله اذا سأله ان يجعله في حل اليوم اي في ايام الدنيا المقابل بقوله
قبل ان لا يكون اي لا يوجد دينار ولا درهم وهو تعبير عن يوم القيمة وفي التعبير به تنبيه على انه
يجب عليه ان يتحلل منه ولو ببذل الدينار والدرهم في بذل مظلمته لان اخذ الدينار والدرهم
اليوم على التحلل اهون من اخذ الحسنات او وضع السيئات في تقدير عدم التحلل كما اشار
اليه بقوله ان كان له عمل صالح اي بان يكون مؤمنا ظالما غير معفو من مظلومه اخذ بصيغة المجهول
اي بحال العمل الصالح منه اي من صاحبه الظالم على قدر مظلمته ومعرفة مقدار الطاعة والمعصية
كمية وكيفية مفوض علمها الى الله سبحانه وتعالى هذا وقال الطيبي قوله ان كان له الخ استئناف
كأنه لما قيل فليتحلله اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم يؤخذ منه بدل مظلمته توجه
لسائل ان يسأل فيم يؤخذ منه بدل مظلمته بعد ان كان الخ انتهى وان لم يكن اي لم يبق له حسنات
اي باقية او مطلقا اخذ من سيئات صاحبه اي المظلوم فحمل عليه بصيغة المجهول مخففا اي وضع
على الظالم قال ابن الملك يجوز ان يكون الماخوذ نفس الاعمال بان تتجسم فتصير كالجواهر
وان يكون ما اعد لها من النعم والنقم اطلاقا للمسبب على السبب ولا ينافيه قوله تعالى
ولا تزر وازرة وزر اخرى لان الظالم في الحقيقة مجزي بوزر ظلمه وانما اخذ من سيئات المظلوم
تخفيفا له وتحقيقا للعدل رواه البخاري وعنه اي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اتدرون اي تعلمون ما المفلس كذا في صحيح مسلم وجامع الترمذي وكتاب
الحميدي وجامع الاصول وشرح السنة قال الطيبي فهذا السؤال عن وصف المفلس لا عن حقيقته
ومن ثم اجاب صلى الله عليه وسلم في وصفه بقوله شتم واكل وقذف وفي بعض نسخ الابواب
وبعض نسخ المصابيح من المفلس وهذا سؤال ارشاد لا استعلام ولذلك قال ان المفلس
كذا وكذا قلت الظاهر ان المراد بقوله ما المفلس من المفلس بدليل ما بعده في جواب
الصحابة تبعا لكلامه صلى الله عليه وسلم ايضا من التعبير بمن قالوا اي بعض الصحابة المفلس

فينا

فينا اي فيما بيننا من لا درهم اي من لا نقد له اي ملكا ولا متاع اي ما يحصل به النقد ويتمتع به من
الامتعة والعقار والجواهر والمواشي والعبيد وامثال ذلك وحاصله انهم اجابوا بما عندهم
من العلم بحسب عرف اهل الدنيا كما يدل عليه قولهم فينا وغفلوا عن امر الآخرة وكان حقهم ان يقولوا
الله ورسوله اعلم لان المعنى الذي ذكره كان واضحا عنده صلى الله عليه وسلم فلما اجابوا بما اجابوا
قال ان المفلس اي الحقيقي او المفلس في الآخرة من امتي اي من امة الاجابة ولو كان غنيا في الدنيا
بالدرهم والمتاع من يأتي يوم القيمة بصلاة وصيام وزكاة اي مقبولات وان للتنويع اي
مصحوبا بها ويأتي اي يحضر ايضا حال كونه قد شتم هذا اي وقع له لاحد وقذف هذا اي بالزنا
ونحوه واكل مال هذا اي بالباطل وسفك اي اراق دم هذا اي بغير حق وضرب هذا اي من غير استحقاق
او زيادة على ما يستحقه والمعنى من جمع بين تلك العبادات وهذه السيئات ولا يبعد ان يكون
الواو بمعنى او ولكن لفظ المفلس يلائم كثرة المعاصي الموجبة لافلاسه والله اعلم فيعطى
بصيغة المفعول هذا اي المظلوم من حسناته اي بعض حسنات الظالم وهذا اي ويعطى المظلوم
الآخر من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى بصيغة المفعول اي يؤدى ما عليه اي
من الحقوق اخذ من خطاياهم اي من سيئات اصحاب الحقوق فطرحت عليه اي وضعت على الظالم
ثم طرح اي القي ورمي في النار وفيه اشعار بانه لا عفو ولا شفاعة في حقوق العباد الا ان يشاء
الله بارضاء خصمه بما اراد قال النووي يعني حقيقة المفلس هذا الذي ذكرت واما من ليس له
مال ومن قل ماله فالناس يسمونه مفلسا وليس هو حقيقة المفلس لان هذا امر يزول
وينقطع بموته وربما ينقطع بيساره بحصول له بعد ذلك في حياته بخلاف ذلك المفلس
فانه يهلك الهلاك التام قال المازري زعم بعض المبتدعة ان هذا الحديث معارض لقوله
تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وهو باطل وجهالة بينة لانه انما عوقب بفعله ووزره فتوجهت
عليه حقوق لغرمائه فدفعت اليهم من حسناته فلما فرغت حسناته اخذ من سيئات خصومه
فوضعت عليه فحقيقة العقوبة مسببة عن ظلمه ولم يعاقب بغير جناية منه قلت وهذا
من ضرورة قضية العدل الثابت له تعالى بالتفرد بالعقل فان الظالم اذا اكثر من الحسنات
وثقلت موازينه منها وغلبت على سيئاته فان ادخل الجنة بقي حق المظلوم ضائعا وان ادخل
النار ينافي قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون وشيئا في ان حقوق العباد
مما لا يتركه الله تعالى فلا بد من احد الامرين اما اخذ الحسنات واما وضع السيئات حتى
يتحقق حقه ميزان عمله فيدخل النار فيعذب بقدر استحقاقه ثم يخرج ويدخل الجنة بسبب
الحسنات الباقية ان كانت هناك والا ببركة الايمان فان الله لا يضيع اجر من احسن عملا
وهذا من المراتب الواضحة المؤيدة بالشواهد والادلة اللائحة رواه مسلم وعنه اي عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتؤدن بفتح الدال المشددة وفي بعض
النسخ بضمها فقوله الحقوق بالرفع على الاول وبالنصب على الثاني الى اهلها يوم القيمة
وجزم شارح وقال هو بفتح الدال على بناء المجهول والحقوق نائب مقام فاعله وقال ابن الملك
اللام فيه جواب قسم مقدر والدال فيه مضمومة والفعل مسند الى الجماعة الذين خوطبوا به
والحقوق مفعوله وقيل الدال فيه مفتوحة على بناء المجهول والحقوق نائب الفاعل لكن
هذا غير مستقيم لانه لو كان كذلك لظهر اليا وقال التوربشتي انتهى وارادته حسد صيغة
الواحدة فيكون حكمه حكم اخشين واغزون وارمين برد اللامات وفتحها على طبق التثنية
كما تقول اخشيا وارميا واغزوا على ما حقق في محله قال التوربشتي هو على بناء المجهول والحقوق
مرفوع هذه الرواية المعتمدة ويزعم بعضهم ضم الدال ونصب الحقوق والفعل مسند الى الجماعة

الذين خوطبوا به والتصحيح ما قدمناه انتهى والظاهر انه اراد صحة الرواية والا فقد تقدم صحة الدراية باعتبار الصيغة التعريفية ويؤيده كلام الشيخ ضبط الكلمة بفتح الدال في اصل السيد وسائر الاصول المعتمدة والنسخ المصححة ولعل وجهه انه عوض مقابلة الفعل الصحيح حيث يقال في المفرد المجهول ليغفر بفتح الموحدة وقد غفل الطيبي عن هذا المبني وذهب الي ان في المعني حيث قال ان كان ذلك دلالة الرواية فلا مقال وان كان بحسب الدراية فان باب التغليب واسع فيكون قد غلب العقلاء علي غيرهم وجعل قوله حتي يقاد للشاة الجلحاء الخ من القرناء في جنب التغليب انتهى والمعني يكثركم كما في قوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه فالضمير في يذرؤكم راجع الي الاناس والانعام علي التغليب انتهى والمعني يكثركم من الذرء وهو البث وقوله فيه اي في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير ذكره البيضاوي وجعل في بالظرفية المعنوية وشبه التدبير بالمنبع وفي الاتقان انه في بمعني الباء اي بسببه وهو ظاهر جدا وهذا اريد بالجلحاء والقرناء ان كان المعروف وانما اذا اريد بالجلحاء الفقير والمظلوم وبالقرناء الغني او الظالم علي ما قيل فلا يحتاج الي ارتكاب التغليب والامر قريب ثم الجلحاء بجيم فلام فحاء مهملة قال النووي الجلحاء بالمد هي الجماء التي لا قرن لها والقرناء ضدها وهذا تصريح بحشر البهائم يوم القيمة واعادتها كما يعاد اهل التكليف من الادميين والاطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة وعلي هذا تظاهرت دلايل القرآن والسنة قال تعالى واذا الوحوش حشرت واذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من اجرايه علي ظاهره شرع ولا عقل وجب حمله علي ظاهره قالوا وليس من شرط الحشر والاعادة في القيمة المجازاة والعقاب والثواب واما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف بل هو قصاص مقابلة وفي كونه قصاص مقابلة نظر لا يخفى مع ان قصاص المقابلة نحن مكلفون به ايضا وقال ابن الملك اي لو نطحت شاة قرناء شاة جلحاء في الدنيا فاذا كان يوم القيمة يؤخذ القرن من القرناء ويعطى الجلحاء حتى تقتص لنفسها من القرناء فان قيل الشاة غير مكلفة فكيف تقتص منها قلنا ان الله تعالى فعال لما يريد ولا يسأل عما يفعل والغرض منه اعلام العباد بان الحقوق لا تضيع بل يقتص حق المظلوم من الظالم انتهى وهو وجه حسن وتوجيه مستحسن الا ان التعبير عن الحكمة بالغرض وقع في غير موضعه وجملة الامر ان القضية دالة بطريق المبالغة علي كمال العدالة بين كافة المكلفين فانه اذا كان هذا حال الحيوانات الخارجة عن التكليف فكيف بذوي العقول من الوضيع والشريف والقوي والضعيف رواه مسلم وفي الجامع بزيادة لفظها رواه احمد ومسلم والبخاري في الادب والترمذي وذكر حديث جابر اتقوا الظلم تمامه فان الظلم ظلمات يوم القيمة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم علي ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم في باب الانفاق من كتاب الزكاة وهذا من المؤلف ان كان عن تكرير اسقطه فهو اغتفار حسن واما ان كان من باب تحويل الحديث الي باب انسب منه فهو اعتراض لكن في غير المحل فتامل

الفصل الثاني

عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا امعة بكسر الهمزة وتشديد الميم والهاء للمبالغة والهمزة اصلية ولا يستعمل ذلك في النساء فلا يقال امرأة امعة كذا في النهاية وقال صاحب الفائق هو الذي يتبع كل ناعق ويقول لكل احد انا معك لانه لا راي له يرجع اليه ووزنه فعلة كديمة ولا يجوز الحكم عليه بزيادة الهمزة لانه ليس في الصفات افعلة وهي في الاسماء ايضا قليلة وصفة المقلد الذي يجعل دينه تابعا لدين غيره بلا رؤية ولا تحصيل برهان انتهى كلامه وفيه اشعار بالنهي عن التقليد المجرد حتي في

الاخلاق من الاعتقادات والعبادات ثم الاظهر ان الكلمة غير موضوعة لصفة او رسم بل موضوعة مركبة من الكلمتين المعبر عنهما بانا معك ونظيرها البسملة والحيعلة ونحوهما وفي القاموس الامعة كهلع وهلعة ويفتحان الرجل يتابع كل احد علي رايه لا يثبت علي شيء او متبع الناس الي الطعام من غير ان يدعى والمعقب للناس دينه والمتردد في غير صنعه ومن يقول انا مع الناس ولا يقال امرأة امعة اذ قد يقال تامع واستامع صار امعة وقال شارح الامع والامعة عند اهل اللغة الرجل الذي يكون لضعف مع كل احد والمراد هنا من يكون يوافق هواه ويلايم ارب نفسه وما يتمناه وقيل المراد هنا الذي يقول انا اكون مع الناس كما يكونون معي ان خيرا فخير وان شرا فشر قلت هذا المعني هو المتعين كما يدل عليه قوله يقولون الظاهر ان لا معنه يستوي فيه المفرد وغيره والمعني الموصوف بهذا الوصف يقولون ان احسن الناس اي الينا او الي غيرنا احسنا اي جزاء او تبعا لهم وان ظلموا اي ظلمونا او ظلموا غيرنا ظلمنا لكن تخرظلمنا علي ذنوبا عما اهم قال الطيبي قوله يقولون الخ بيان وتفسير للامعة لان معني قوله ان احسن الناس وان ظلموا انا مقلدا الناس في احسانهم وظلمهم ونقتفي اثرهم ولكن وطنوا انفسكم امر من التوطين وهو العزم والجزم عن الفعل اي عزموا انفسكم علي ان احسن الناس اي تحسنوا اي تعقلكم ان تحسنوا وان اساؤا فلا تظلموا قال في اساس البلاغة اوطن الارض ووطنها واستوطنها ومن المجاز وطنت نفسي علي كذا فتوطنت قال شعر ولا خير فيمن لا يوطن نفسه علي نائبات الدهر حين تنوب ومعني الحديث او جواب الفسكم الاحسان بان تفعلوه وطنا للاحسان قال الطيبي فعلي هذا ان تحسنوا متعلق بقوله وطنوا وجواب الشرط محذوف يدل عليه ان تحسنوا والتقدير وطنوا انفسكم علي الاحسان ان احسن الناس فاحسنوا وان اساؤا فلا تظلموا لان عدم الظلم احسان رواه الترمذي وعن معاوية اي ابن ابي سفيان صحابي مشهور انه كتب الي عايشة ام المؤمنين ان اكتبي الي كتابا وصيني او مفسرة لما في الكتابة معني القول الي مرسلا او موصولا حالا او متعلق بقوله كتابا توصيني فيه اي في ذلك الكتاب من كل باب ولا تكثري اي بالاطناب بل او جزي بكلام جامع يكون فصل الخطاب لانها اهل بيت من اوتي جوامع الحكم وبدايع الحكم فكتبت سلام عليك واقتصرت علي غنيمة السلام خوف السامة اما بعد اي بعد السلام او بعد ما سبق من الكلام فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الله بسخط الناس اي من طلب رضاه بحيث يسخط الناس عليه بسببه كفاه الله مؤنة الناس اي مونة شرهم من الظلم عليه والاساءة اليه ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله بتخفيف الكاف اي خلاه وترك نفعه ودفعه الي الناس وهذه وصية جامعة لجميع الناس قال المظهر يعني اذا عرض له امر في فعله رضا الله وغضب الناس او عكسه فان فعل الاول رضي الله عنه ودفع شر الناس وان فعل الثاني وكله الي الناس يعني سلط الناس حتي يؤذوه ويظلموا عليه ولم يرفع عنه شرهم وفي النهاية وكلت امري الي فلان اي الجاته اليه واعتمدت فيه عليه السلام عليك فالاول بمنزلة سلام الملاقاة والثاني في مرتبة الموادعة او كانها قالت السلام عليك اولا واخرا او في الدنيا والاخرة او في تكرار السلام اشارة خفية الي تاكيد طلب السلامة وترك ما يؤدي الي السامة

الفصل الثالث

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال لما نزلت

بان ينبت لكون مما يعلمه من فاعله اية او للتقدير لما نزلت اية الذين امنوا ولم يلبسوا بكسر الموحدة
اي لم يخلطوا ايمانهم بظلم تمامه اولئك لهم الامن اي في الاخرة وهم مهتدون اي في الدنيا
شق ذلك اي صعب ذلك الاعلام او الحكم على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ظنا
منهم ان المراد بالظلم مطلق المعاصي كما يتبادر الى الفهم لا سيما من التنكير الذي يفيد
العموم وقالوا يا رسول الله اينا لم يظلم اي ظلما قاصرا او متعديا مع ان كلا منهما يرجع
الى ظلم النفس لقوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك اي ليس معناه كما تتوهمون انما هو اي الظلم الشرك وفي
التنكير اشارة الى ان المراد اي نوع من الكفر او اريد به التعظيم اي لظلم عظيم الى ترى
عليه قوله الم تسمعوا قول لقمان لابنه اي وهو مؤمن يا بني بفتح اليا وكسرها لا تشرك
بالله اي لا تخلط الاشراك بالايمان بالله وسائر ما يجب الايمان به ان الشرك لظلم
عظيم استئناف تعليل فانه يبطل الايمان ويبينا صله ولا يجتمع معه اصلا فضلا
عن غيره من الاعمال قال تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله بخلاف سائر المعاصي
فانه لا ينافي الايمان على مذهب الحق الذي عليه اهل السنة والجماعة خلافا للخوارج والمعتز لة
وسائر المبتدعة فالصحابة رضي الله تعالى عنهم فهموا اخلاط المعصية بالايمان لان
الشرك لا يتوهم خلطه به فاجاب بان خلطه ممكن بان يؤمن بالله ويشرك
في عبادته غيره فيكونان ايمانا لغويا لا شرعيا والا فالايمان بالله انما يكون معتبرا
اذا اشتمل على اثبات صفات الكمال وتنزيهه عن نعوت النقص والا فيلزم ان يكون
جميع الكفار مؤمنين بالله حقيقة قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يقولون هؤلاء شفعاؤنا ولكن الله تعالى لم يرض
بالاشراك الصوري ايضا كما ورد في الحديث القدسي انا اغنى الشركاء عن الشرك واذا
تاملت ظهر لك انه لا يتصور وجود الشرك الحقيقي بالله سبحانه اذ الممكن يجب
واجب الوجود كالمعدوم وفي رواية ليس هو اي الامر او الظلم او الحكم كما تظنون انما
هو كما قال لقمان لابنه اي الخ قال الطيبي فهم من معنى اللبس ان المراد من الظلم
المعصية لان لفظ اللبس يأبى ان يراد به الشرك فالمعنى لم يخلطوا ايمانهم بمعصية
تفسقهم كذا في الكشاف وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك معناه
ليس كما يعتقدون ان اللبس يقتضي الخلطة ولا يتصور خلط الشرك بالايمان
بل هو واقع لمن يؤمن بالله ويشرك في عبادته غيره والى الاشارة بقوله تعالى وما
يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون قال الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان
وقيل المنافق لبس الايمان الظاهر بالكفر الباطن وفي الانتساه هذا على ان المراد بالظلم
فيها الشرك ومن اراد زيادة اطلاع عليه فلينظر في فتوح الغيب متفق عليه وعن
ابي امامة اي الباهلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شر الناس وفي الجامع
بزيادة ان الناس كيد منزلة اي عند الله كما في نسخة يوم القيامة قيد لظهور الامر فيه
عبد اذهب اخرته اي ضيعها بذنب غيره رواه ابن ماجة وكذا الطبراني وعن عايشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدواوين اي صحايف الاعمال ثلاثة اي ثلثة
انواع من الدواوين وفي المغرب الديوان الجريدة من دون الكتب اذا جمعها لانه
قطع من القراطيس مجموعة ديوان لا يغفر الله اي لا يغفره ولا يعفو عنه البتة الاشراك
بالله والمراد منه الكفر بانواعه لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به اي بلا توبة او لا يغفر

الاشراك

الاشراك به يوم القيامة وديوان لا يتركه الله اي بلا محاسبة ولا مطالبة لا محالة ظلم العباد
فيما بينهم حتى يقتص متعلق بلا يتركه وفي نسخة صحيحة حتى يقتص بعضهم من بعض او يتفضل
الله على بعضهم بارضا خصومهم فانه بمنزلة الاقتصاص قائم مقام الدية في الدنيا وديوان
لا يعبا الله بفتح الموحدة وفتح الهمزة اي لا يبالي به ولا يبرز لعروضه من العبد وقوله لتعلقه
ظلم العباد فيما بينهم وبين الله وهذا يتعلق بحق الله ايضا لانه لا يوجد حق عبد الا ويتعلق
به حق الله ايضا لحقوق العباد مركبة من الجهتين والجهة المتعلقة بالعبد مقدمة على الاخرى
لفقر العبد واستغناء ربه سبحانه فذاك بالالف دون اللام في الاصول المعتمدة والمراد به
الاشارة الى القريب من حق العبد الى الله اي مفوض الى مشيئته ان شاء عذبه اي بقدر ذنبه
او با فضله وان شاء تجاوز عنه اي غفر مجانا وبتقريرنا هذا يندفع ما يرد فيه من الاشكال
حيث ظاهر الحديث من التقسيم فتدبر فيه اي ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء قال الطيبي وانما قال في القرينة الاولى لا يغفر ليدل على ان الشرك
لا يغفر اصلا وفي الثانية لا يتركه ليؤذن بان حق الغير لا يهمل قطعا اما بان يقتص
من حقه او برضيه الله تعالى وفي الثالثة لا يعبا بان حق الله تعالى على المساهلة
فيترك حقه كرما ولطفا وعن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اياك ودعوة المظلوم اي ولو ذميا فانما يسال الله حقه اي سؤال محاسبة ومطالبة
وان الله لا يمنع ذا حقه اي بل يعطي كل ذي حق حقه فان قوله حق ووعده صدق وفعله
عدل سيما بعده فضل وعن اوس بن شرحبيل بضم معجمة وفتح وسكون مهملة وكسر موحدة
ونترك صرف كذا في المغني ولم يذكره المؤلف انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من مشى مع ظالم ليقويه وفي الجامع ليعينه وهو يعلم انه ظالم اي فيه فقد خرج
من الاسلام اي من كمال الايمان او من حقيقة الاسلام المقتضي ان يسلم المسلمون
من لسانه ويده وعن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه وهذا
الكلام حق لقوله تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن
اساء فعليها وكان ابا هريرة فهم انه اراد بهذا انه لا يسري اثر ظلمه الا الى نفسه كما يدل
عليه الحصر فقال بلى اي بلى قد يضر غيره ايضا وليس ينحصر ضرره في نفسه والله حتى
اي يتعدى الى غيره من الانسان والحيوان المتناسل وغيرهم حتى الحبارى بضم الحاء فتخفيف
الموحدة طائر مشهور لتموت في وكرها اي بيتها وعشها هزلا بضم فسكون اي
نقبض السماء بظلم الظالم اي لاجل ظلمه والا فالله يعفو عن كثير ويهلك بعضهم
ولا يهمل حق المظلوم والى الاشارة بقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك
عليها من دابة الاية وفي النهاية يعني ان الله تعالى يحبس القطر عن الحبارى بشوم
ذنوب الظالم وانما خصها بالذكر لانها ابعد الطير نجعة اي طلبا للاكل فانها تبعد من الغيث
فربما تذبح بالبصرة ويوجد في حوصلتها الحبة الخضراء وبين البصرة ومنبتها مسيرة ايام
قال الطيبي قوله بلى ايجاب لما نفي قبله وهنا وقعت جوابا للمثبت فالوجه ان يقال
ان مفهوم قوله لا يضر الا نفسه لا يضر غيره فقال بلى يضر غيره حتى يضر الحبارى روى البيهقي
الاحاديث الاربعة في شعب الايمان اما الحديث الاخير فهو موقوف على ابي هريرة واما
الاول فقد رواه احمد والحاكم في مستدركه ايضا على ما في الجامع ولفظه الدواوين ثلاثة
فديوان لا يغفر الله منه شيئا وديوان لا يعبا الله به شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه
وبين ربه من صوم يوم تركه او صلاة تركها فان الله يغفر ذلك ان شاء ويتجاوز واما الديوان

الذي لا يترك الله منه شيئا مظالم العباد بينهم القصاص لا محالة واما الحديث الثاني فقد اخرجه سمويه عن انس ايّاك ودعوة المظلوم وان كانت من كافر فانه ليس لها حجاب دون الله عز وجل ورواه احمد وابو يعلى في مسنديهما والضيا عن انس اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانه ليس لها دونه حجاب ورواه الحاكم عن ابن عمرو ولفظه اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء كانها شرارة ورواه الطبراني والضيا عن خزيمة بن ثابت ولفظه اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام ثم يقول الله وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين واما الثالث فقد اخرجه الطبراني والضيا عن اوس بن شرحبيل ايضا انتهى

باب الامر بالمعروف

في النهاية المعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله تعالى والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما ندب اليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات وهو من الصفات الغالبة اي امر معروف بين الناس اذا راوه لا ينكرونه والمعروف النصفة وحسن الصحبة مع الاهل وغيرهم من الناس والمنكر ضد ذلك جميعه انتهى ولا يخفى ان المؤلف اذ يقول والنهي عن المنكر ولعله تركه لان الامر بالمعروف يتم النهي عن المنكر ومن باب الاكتفا بذكر احد الضدين عن الاخر كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد انتهى والله اعلم

الفصل الاول عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من راى اي علم منكم منكرا اي اليه شيء عجز من المؤمنين والخطاب للصحابة اصالة ولغيرهم من الامة تبعا في الاتيان بمن التبعيضية اشعارا بانه من فروض الكفاية فاما الى انه من يتيسر له الامر يعرف مراتب الاحسان وتفاوت المنكرات ويميز بين المتفق عليه والمختلف فيه منها وهذا المعنى مقتبس من قوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولذا رعون وخلاصة الكلام من ابصرها انكره الشرع فليغيره بيده اي بان يمنعه بالفعل بان يكسر الالات ويريق الخمر ويرد المغصوب الى مالكه فان لم يستطع اي التغيير باليد وازالته بالفعل لكون فاعله اقوى منه فبلسانه اي فليغيره بالقول وتلاوة ما انزل الله من الوعيد وذكر الوعظ والتخويف والنصيحة فان لم يستطع اي التغيير باللسان ايضا فبقلبه بان لا يرضى به وينكر في باطنه على متعاطيه فيكون تغييرا معنويا اذ ليس في وسعه الا هذا القدر من التغيير وقيل التقدير فلينكره بقلبه لان التغيير لا يتصور بالقلب فيكون التركيب من باب علفتها تبنا وماء باردا ومنه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان وذلك اي الانكار بالقلب وهو الكراهية اضعف الايمان اي شعبه او خصال اهله والمعنى انه اقلها ثمرة فمن غير المراتب مع القدرة كان عاصيا ومن تركها بلا قدرة او يرى المفسدة اكثر ويكون منكرا بقلبه فهو من المؤمنين وقيل معناه وذلك اضعف زمن الايمان اذ لو كان ايمان اهل زمانه قويا لقدر على الانكار القولي والفعلي ولما احتاج الى الاقتصار على الانكار القلبي او وذلك الشخص المنكر بالقلب فقط اضعف اهل الايمان فانه لو كان قويا صلبا في الدين لما اكتفى به ويؤيده الحديث المشهور افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر وقد قال تعالى ولا يخافون لومة لائم هذا وقد قال بعض علمائنا الامر الاول للامرا والثاني للعلما والثالث لعامة المؤمنين وقيل المعنى ان كان انكار المعصية بالقلب اضعف مراتب الايمان لانه اذا راى منكرا معلوما من الدين بالضرورة فلم ينكره ولم يكرهه ورضي به واستحسنه كان كافرا ولعل الاطلاق الدال على العموم لافادة التهديد والوعيد الشديد قال ابن الملك فان قلت هذا الحديث يدل على ان الايمان يزيد وينقص كما ذهب اليه الشافعي رحمه الله تعالى وقبله عند الحنفية قلنا معناه اضعف ثمرات الايمان والانكار بالقلب منها فان قلت لو كان لزم ان لا يخرج من الايمان بانتفائه وليس كذلك لما جاء في بعض الروايات وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل قلت اراد به ان الثمرات القوية والضعيفة اذا انتفت كان الايمان كالمعدوم انتهى وفيه انه يرجع الحديث دليلا فالصواب ان يقال التقدير وليس وراء ذلك من كمال الايمان او من الايمان الكامل حبة خردل لا يقال هذا ايضا يدل على تحقق الكمال والنقصان بالنسبة الى الايمان فانا نقول الخلاف انما هو في حقيقة الايمان ونفس التصديق القلبي هل هو قابل للزيادة والنقصان ام لا بل المحققون من الشافعية ايضا على ان النزاع لفظي فان نفس الايمان وجوهره لا يتجزى وانما الكلام ان ينضم اليه وجود الاعمال الصالحة لان الله تعالى حيث مدح المؤمنين الكاملين عطف الاعمال على الايمان وقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات من المعلوم ان الامر في العطف التغاير واما كون الاعمال جزءا للايمان حقيقة فانه مذهب الخوارج والمعتزلة واما الايات والاحاديث الدالة على الزيادة والنقصان فاما محمولة على ما ذكرنا واما بالنظر لتعدد المؤمن به وهذا بحث طويل الذيل محله كتب العقايد ومباني الكلام والله اعلم بحقيقة المرام ثم اعلم انه اذا كان المنكر حراما وجب الزجر عنه واذا كان مكروها يندب والامر بالمعروف ايضا تبع لما يؤمر به فان وجب فواجب وان ندب فمندوب ولم يتعرض له في الحديث لان المنهي عن المنكر شامل له اذ النهي عن الشيء امر بضده وضد المنهي اما واجب واما مندوب او مباح والكل معروف وشرطها ان لا يودي الى الفتنة كما علم من الحديث وان يظن قبوله فان ظن انه لا يقبل فيستحسن اظهارا لشعار الاسلام ولفظ من بعمومه يشمل كل احد رجلا وامراة عدلا او فاسقا او صبيا مميزا اذا كان يستقبح ذلك من الفاسق قال تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال عز وجل لم تقولون ما لا تفعلون انشد

> وغير تقي يامر الناس بالتقى ... طبيب يداوي الناس وهو مريض

قال النووي في شرح مسلم قوله فليغيره بيده هو امر ايجاب وقد تطابق على وجوبه الكتاب والسنة واجماع الامة وهي ايضا من النصيحة التي هي الدين ولم يخالف في ذلك الا بعض الروافض ولا يعتد بخلافهم قال امام الحرمين ابو المعالي لا يكترث بخلافهم ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة ثم اذا وجب عليه وفعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك عليه لكونه ادى ما عليه وما عليه ان يقبل منه وهو فرض كفاية ومن تمكن منه وتركه بلا عذر اثم وقد يتعين كما اذا كان في موضع لا يعلم به الا هو ولا يتمكن من ازالته الا هو وكمن يرى زوجته او ولده او غلامه على منكر قالوا ولا يسقط عن المكلف لظنه انه لا يفيد بل يجب ما عليه فعله فان الذكرى تنفع المؤمنين وما على الرسول الا البلاغ المبين ولا يشترط في الامر والناهي ان يكون كامل الحال ممتثلا ما يامر به مجتنبا ما ينهى عنه بل يجب عليه مطلقا لان الواجب عليه شيئان ان يامر نفسه وينهاها ويامر غيره وينهاه فاذا اخل باحدهما كيف يباح له الاخلال بالاخر قالوا ولا يختص ذلك باصحاب الولايات بل هو ثابت على احاد المسلمين فان السلف الصالح كانوا يامرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر مع تقرير المسلمين اياهم وترك توبيخهم على التشاغل به ثم انه انما يامر وينهى من كان عالما بما يامر به وينهى عنه وذلك يختلف باختلاف الشيء فان كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة كالصلاة والصيام والزنا والزكاة والخمر ونحوها فكل المسلمين علماء بها وان كان من دقايق

الافعال والاقوال ومما يتعلق بالاجتهاد ولم يكن للعوام مدخل فيه ولا لهم انكاره بل ذلك للعلماء
ثم العلماء انما ينكرون ما اجمع عليه الائمة واما المختلف فيه فلا انكار فيه لان على احد المذهبين
كل مجتهد مصيب وينبغي للامر والناهي ان يرفق ليكون اقرب الى تحصيل المطلوب فقد قال
الامام الشافعي من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه
قال القاضي عياض هذا الباب باب عظيم في الدين به قوام الامر وملاكه فاذا كثر الخبث عم العقاب
الصالح والطالح قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة رواه مسلم
وكذا احمد والاربعة وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
المدهن اي المداهن المساهل في حدود الله اي بترك القيام لاقامتها او بالنهي عن ارتكاب
المعاصي فذكر الحدود لتغليب الاقوى او لان كل معصية معروفة مقرونة والواقع فيها
اي ومثل الفاعل للمناهي وفي التعبير بالواقع فيها اشارة الى انه بسبب المعصية كان طارح
من علو منزلته هوى في بئر عميق ومكان سحيق مثل قوم بالرفع اي كمثل جمع مجتمع من
الصالحين وغيرهم استهموا سفينة اي اقتسموا محالها ومنازلها بالقرعة وهذا قيد اتفاقي
وانما يتصور في جمع خاص ملكوها بالشركة والمساوية ولا تتفق يكون الاقتسام بحسب
ان صاحب السفينة على مقتضى الاجارة وغيرها وقال بعضهم فيه ندب القرعة اذا تشاحوا
على الجلوس في الاعلى والاسفل وذلك اذا نزلوا فيها جملة اما اذا نزلوا متفرقين فمن سبق
منهم الى مكان فهو احق به من غيره قلت وهذا لا يصح الا اذا كانت السفينة
موقوفة على الفقراء او على الحجاج والغزاة بخلاف ما اذا كانت مملوكة لاحد وتحمل على
سبيل الاشتراك فصار بعضهم في اسفلها اي من المنازل وصار بعضهم في اعلاها
اي من المجالس فكان الذي اي ولو كان واحدا في اسفلها اي البعض الذي مستقر في اسفلها
فافرد الموصول نظرا الى لفظ البعض وايماء الى انه ولو كان واحدا قد لا يترك لذلك واشعار
بان الصلحاء في الامة كثيرون وان الطلحاء قليلون مغلوبون مقهورون او ايماء الى ان
الصالح وان كان واحدا فهو كثير كبير عال بعلو الدين والفسقة وان كانوا جماعة فهم في مرتبة
القلة ومنزلة الذلة في مقام السفلة فكان يمر بالماء اي بسببه على الذين في اعلاها فتاذوا
به اي فتاذى من باعلاها بمروره عليهم وحاصله انه يجيء من اسفلها الى اعلاها لياخذ الماء ويذهب
الى موضع خفي ذهابه وايابه وامراره بالماء عليهم فتاذوا منه بحيث ظهر له او اظهروا له بالقول
الغليظ والفعل الشنيع لا سيما اذا كان الماء كناية عن البول والغائط وامراره لطرحه
في البحر فانه حينئذ يوجد التاذي اكثر ووجه المطابقة والمخالفة اظهر خصوصا اذا كان
اهل السفل فقراء على ما هو الغالب على مقتضى طبائعهم ودولهم في الحط عن المنازل ثم الاظهر
انه صور محل الماء وليس اعلى لخلوهم بانفسهم عن المعاصي وجعلته بلهم اسفل لارتكابه المناهي
فاخذ في بسكون الهمز ويبدل الفا فجعل اي شرع ينقر بضم القاف اي يثقب ويحرق ويقطع
اسفل السفينة اي في جانب الواحه فاتوه اي فجاء اهل العوالي فقالوا ما لك اي اي شيء لك
باعث على ذلك قال تاذيتم بي ولا بد لي من الماء اي من استعماله او طرحه فان اخذوا على يديه
اي منعوه فيما اخذت على يد فلان اذا منعته عما يريد ان يفعله كانك امسكت يده كذا في
النهاية انجوه اي خلصوه ونجوا بالتشديد اي وخلصوا انفسهم ايضا فخلصوا من الهلاك
جميعا وفي الجمع بين الفعلين تفنن في العبارة وان تركوه اي على فعله اهلكوه واهلكوا
انفسهم والمعنى انه لذلك ان منع الفاسق عن الفسق نجا ونجوا من عذاب الله تعالى
وان تركوه على فعل المعصية لم يقيموا عليه الحد حل بهم العذاب وهلكوا بشؤمه وهذا معنى قوله

تعالى

تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اي بل تصيبكم عامة بسبب مداهنتكم والفرق بين
المداهنة والمداراة المامور بها ان المداهنة في الشريعة ان يرى منكرا ويقدر على دفعه ولم يدفعه حفظا
لجانب مرتكبه او جانب غيره لخوف او طمع او لاستحياء منه او قلة مبالاة في الدين والمداراة مدافعة بترك
حظ نفسه وحق يتعلق بماله وعرضه فيسكت عنه دفعا للشر ووقوع الفتنة ومنه قول الشاعر
فدارهم ما دمت في دارهم وحاصله ان الاذى من الخلق رضاها بتفريط الحق وتجاهله ان المداهنة
انما تكون في الباطل مع الاعداء والمداراة في امر حق مع الاخيار قال الاشرف شبه النبي صلى الله عليه
وسلم المداهن في حدود الله بالذي في اعلى السفينة وشبه الواقع في تلك الحدود بالذي في اسفلها
وشبه انهماكهم في تلك الحدود وعدم تركهم اياها بنقرة اسفل السفينة وشبه عدم نهي الناهي الواقع
في تلك الحدود بالاخذ على يديه ومنعه اياه عن النقر وعبر عن غاية ذلك المنع بنجاة الناهي والمنهي
عن عدم نهي النهاة بالترك وعبر عن الذنب الحاصل للمداهنين الذين ما نهوا والواقع في حدود الله تعالى
باهلاكهم اياه وانفسهم وكان السفينة عبارة عن الاسلام المحيط بالفريقين وانما جمع فرقة
الناهية ارشادا الى ان المسلمين لابد وان يتعاونوا على امثال هذا النهي او الى من يقدر منه هذا النهي
فهو كالجمع قال تعالى ان ابراهيم كان امة وافرد الواقع في حدود الله لانه ابا في الافعال رواه البخاري
وعن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء اي يؤتى بالرجل
اي المنفرد في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يوم القيامة فتندلق اي تخرج سريعا اقتابه اي امعاؤه فيطحن
بصيغة الفاعل على الصحيح اي يدور فيها اي في اقتابه كما يطحن الحمار برحاه اي كدورانه حول
رحاه قال الطيبي قوله فيطحن فيها على بناء الفاعل والضمير للرجل وفيها للامعاء وفي بعض نسخ المصابيح
هو على بناء المفعول وهو خطأ وفي رواية اخرى فيه وركابه ورايه كما برحاه قال المظهر اي يدير ويدور
في اقتابه يعني به ورحواله اقتابه ويضربها برجله ويجوز ان يكون المعنى فيه وهو في النار وما حولها كما يدور
الحمار برحاه فيجتمع اهل النار عليه اي من الفسقة فيقولون اي فلان كناية عن اسمه ووصفه بالعماد
المشيخة ما شانك اي حالك الغريب وما لك العجيب اليس كنت تامرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال
قال كنت امركم بصيغة المتكلم بالمعروف ولا اتيه اي لا افعله وانهاكم عن المنكر واتيه متفق عليه

الفصل الثاني

عن حذيفة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن اي ليسرعن الله ان يبعث عليكم
عذابا من عنده ثم لتدعنه اي لتسالنه ولا يستجاب لكم والمعنى والله ان احد الامرين كائن اما الامر والنهي
منكم واما انزال العذاب من ربكم ثم عدم استجابة الدعاء له في دفعه عنكم رواه الترمذي ورواه البزار
والطبراني في الاوسط عن ابي هريرة ولفظه لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم
شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم وعن العرس بضم العين المهملة وسكون الراء والسين المهملة
ابن عميرة بمفتوحة وكسر ميم وراء ولا يعرف في الرجال عميرة بالضم بل كله بالفتح كذا في المغني وقال المؤلف
في فصل الصحابة هو كندي روى عنه عدي بن عدي بن اخيه وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا عملت الخطيئة بصيغة المجهول اي اذا فعلت السيئة في الارض اي على وجه الارض جميعها من شهدها
جواب الشرط والفاء محذوفة لا في قوله تعالى وان اطعتموهم انكم لمشركون ذكره الطيبي وانما حسن حذف
الفاء لان الشرط بلفظ الماضي ذكره القاضي والمعنى من حضرها فكرهها اي فانكرها وفي نسخة كان كمن
غاب عنها اي ولم يعلم بها ومن غاب عنها اي وعلم بها فرضيها اي ورضي بها واستحسنها كان كمن شهدها اي ولم
ينكرها رواه ابو داود ولفظ الجامع مسندا اليه اذا عملت الخطيئة في الارض كان من شهدها فكرهها
كمن غاب عنها الحديث وعن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية
يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اي الزموا حفظ انفسكم عن المعاصي فاذا

حفظتم انفسكم لم يضركم اذا تجنبتم عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ضلال من ضل بارتكاب المناهي اذا اهتديتم
في اجتنابها فانيا قال الطيبي الفاضحة بيدك علي محمد تؤدكا نه قال انكم تقرؤن هذه الاية وتجرون علي عمومها
وتمتنعون عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس كذلك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه اي مع القدرة علي ازالته يوشك ان يعمهم الله بعقاب به قال الطيبي
انما قلت ليس كذلك لان الاية نزلت في اقوام امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فابوا القبول كل
الاباء فذهبت انفس المؤمنين حسرة عليهم فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها
في الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين ويشهد لذلك ما قبل هذه الاية واذا قيل لهم
تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وهذا تخصيص بحسب لا تتحاصروا ما بحسب الزمان فيدل
عليه الحديث الاتي في ثعلبة فان العام قد يخص مرة اخرى انتهى ولا يخفى انه غير صحيح المبنى مزيح المعنى
من وجهين اما اولا فقوله نزلت الاية في قوم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فابوا كل الاباء فهذا بري
لا اصل له اصلا ولا يتصور له ابدا لان من المعلوم انه لا يامر بالمعروف الا المؤمنون ولا يمكن انهم يابوا كل
الاباء ولم يثبت انهم ارتدوا بسبب هذا الامر حتى يصح قوله فذهبت انفس المؤمنين حسرة عليهم
الخ واما ثانيا فقوله ويشهد لذلك ما قبل هذه الاية لا تعلق له بباب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
مطلقا بل المطلوب منهم ان يؤمنوا بما انزل الله والى الرسول ويتركوا تقليد ابائهم في ضلالهم
وابائهم فضلوا فاصروا على بطلانهم وقالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا فقال تعالى اولو كان اباؤهم
لا يعلمون شيئا ولا يهتدون نعم ورد ما يناسب سبب نزول الاية في ما اخرجه ابن ابي حاتم انه انما
انزلت هذه الاية لان الرجل كان يسلم ويكفر ابوه ويسلم الرجل ويكفر اخوه فلما دخل قلوبهم حلاوة
الايمان دعوا اباءهم واخوانهم فقالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا فانزل الله تعالى يا ايها الذين
امنوا عليكم انفسكم الاية وهذا معنى قول البيضاوي والاية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على
الكفرة ويتمنون ايمانهم وفي تفسير المعين الصفوي في هذه الاية رخصة في ترك الحسبة اذا علم عدم
قبولها او فيها مفسدة او امر لازم منها انتفت كلمة السلف في ذلك والاحاديث تدل عليه او معنى
اذا اهتديتم اذا ابيتم لهم بالمعروف وامرتم به وانتهيتم عن المنكر ونهيتم عنه لازار واه ابن جرير عن سعيد
ابن المسيب وروي عن غير واحد من السلف فان الاهتداء لا يحصل الا باتيان ما يجب عليه ومنه الامر
بالمعروف او المراد المنع عن هلاك النفس اسفا على ما عليه الكفرة والفسقة لقوله تعالى فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات وقال النووي واما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا الاية فليست مخالفة لوجوب
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الاية انكم اذا فعلتم ما كلفتم به فلا
يضركم تقصير غيركم مثل قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فاذا كان كذلك فمما كلف به الامر بالمعروف اذا
فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك عليه لكونه ادى ما عليه رواه ابن ماجه والترمذي وصححه وفي
رواية لابي داود اذا راوا اي الناس الظالم اي الفاسق فلم ياخذوا على يديه اي لم يمنعوه عن ظلمه اوشك
ان يعمهم الله بعقاب اي بنوع من العذاب فان اشد الحي بعقاب اخرى له اي لابي داود وما من قوم يعمل
فيهم بصيغة المجهول والجار بوائب او التقدير يعمل احد فيهم بينهم بالمعاصي ثم يقدرون على ان يغيروا
ثم لا يغيرون الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب وفي اخرى له ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم اكثر من يعمل
هم صفة قوم اي اذا كان الذين لا يعملون المعاصي اكثر من الذين يعملونها فلم يمنعوهم عنها عمهم العذاب
قال الطيبي يراد بعده قوله ثم لا يغيرون الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب وهم صفة قوم والا يوشك
خبرما قلت هذا التقدير مستفاد مما قبله وانما اورد المصنف اختلاف الرواية
في صدر الحديث وقال البغوي في رواية لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن الله عليكم
شراركم فليسومنكم سوء العذاب ثم ليدعون الله خياركم فلا يستجاب لهم قال ابو عبيد خاف

القعد بوادنيا وقال الناس لا يغيرونه فيدعونهم في ترك الامر بالمعروف فاعلمهم انها ليست كذلك
وان الذي اذن في الامساك عن تغييره من المنكر هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون من اجل انهم يتدينون
به وقد صولحوا عليه فاما الفسوق والعصيان والريب من اهل الاسلام فلا يدخل فيه وقال مجاهد
وسعيد بن جبير الاية في اليهود والنصارى يعني عليكم انفسكم لا يضركم من ضل من اهل الكتاب
فخذوا منهم الجزية واتركوهم وعن ابن مسعود قال في هذه الاية مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر
ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم انفسكم ثم قال ان القران نزل منه اي قد مضى تاويلهن قبل ان ينزلن
ومنه اي وقع تاويلهن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه اي وقع تاويلهن بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه اي يقع تاويلهن في اخر الزمان ومنه اي يقع تاويلهن يوم القيامة
ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم
باس بعض فامروا وانهوا فاذا اختلفت القلوب والاهواء والبستم شيعا وذاق بعضكم باس بعض
فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تاويل هذه الاية انتهى وهو مطابق لما في حديث ابي ثعلبة الاتي وعن
جرير بن عبد الله اي البجلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم
يعمل بفتح الياء صفة لرجل وحال منه وتنوينه وتنكيره اي يعمل فيهم بالمعاصي اي بهذا الجنس
من العمل يقدرون اي القوم على ان يغيروا اي على الرجل باليد او اللسان فانه لا مانع من ارتكاب
الجنان ولا يغيرون الا اصابهم الله منه اي من عنده تعالى بعقاب قبل ان يموتوا قال الطيبي الضمير
المجرور راجع الي الرجل والي عدم التغيير ويكون من ابتدائية اي بسبب شؤمه وان يعود الى الله
تعالى اي بعذاب من عنده وهذا ابلغ كقوله تعالى اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن رواه ابو داود
وابن ماجه واخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن جرير البجلي ولفظه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ما من قوم يكون بين اظهرهم رجل يعمل بالمعاصي هم امنع منه واعز ثم لا يغيرون عليه الا اوشك
ان يعمهم الله منه بعقاب قال الطيبي وهذا الحديث مخالف للحديث الذي في المصابيح بحسب
اللفظ وكان موضعه الفصل الثالث الا انه ذكره هنا تنبيها على ان المؤلف ما وجد في الاصول كما في
المصابيح قلت هذا التنبيه موجه نبيه متضمن للاعتراض الفعلي واما كون موضعه الفصل
الثالث فليس في موضعه وعن ابي ثعلبة اي ابن جرهم بن ناشب الخشني بايع النبي صلى الله عليه وسلم تحت شجرة
بيعة الرضوان وارسله الى قومه فاسلموا ونزل بالشام ومات بها سنة خمس وسبعين في قوله تعالى
عليكم انفسكم قال البيضاوي اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا
ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اي لا يضركم الضلال
اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته على ما سبق من الحديث ولا يضركم
يحتمل الرفع على انه مستانف والرتبة الرفع لا يضركم ويجزم على الجواب اي للامر او على النهي لكنه
ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة ويؤيده قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح
ولا يضركم بكسر الضاد وضمها اي مع سكون الراء من ضاره يضيره ويضوره قال الطيبي يقول الراوي
سئل ابو ثعلبة فيسال قوله تعالى عليكم انفسكم فقال اي ابو ثعلبة اما بتخفيف الميم للتنبيه
والله لقد سالت عنها اي عن الاية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل ائتمروا اي امتثلوا
بالمعروف اي ومنه الامر به وتناهوا اي انتهوا واجتنبوا عن المنكر ومنه الامتناع عن نهيه وقيل
بمعنى ليأمر كالاختصام بمعنى التخاصم ويؤيده التناهي والمعنى ليأمر بعضكم بعضا بالمعروف
وينهى طائفة منكم عن المنكر قال الطيبي قوله بل ائتمروا اضراب عن مقدر اي سالت عنها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بناء على ظاهر الاية فقال
صلى الله عليه وسلم لا تتركوا بل ائتمروا بالمعروف انتهى والمعنى كونوا قائمين بها على وجه كامل حتى اذا

ونكتته الايذان بانفراد المستقيم واجماع العامة على العدول عن طريق القويم
رايت ايها المخاطب خطابا عاما اذا عرفت شحا اي بخلا مطاعا بان اطاعته نفسك
والمعنى اذا اتحدت الغالب في الناس **شحا مطاعا**
وطاوعه غيرك **وهوى متبعا** بصيغة المفعول اي وهوى النفس متبوعا وطريق الهدى مرفوعا وحاصله
ان كلا يتبع هواه وما تامره نفسه الامارة تمناه **ودنيا** بالقصر وفي نسخة بالتنوين وهي عبارة
عن المال والجاه في الدار الدنية **مؤثرة** اي مختارة في امور الدين ودرجات الاخرة **واعجاب**
كل ذي راي برايه من نظر الى الكتاب والسنة واجماع الامة والقياس في اثبات الادلة وترك
الاقتدا بنحو الايمة والاعجاب بكسر الهمزة وهو وجدان الشي حسنا ورويته مستحسنا بحيث
يصير صاحبه به معجبا وعن قبول كلام الغير مجتنبا وان كان جنيا في نفس الامر **ورايت امرا لابد**
لك منه بضم الموحدة وتشديد الدال المهملة في جميع النسخ المصححة والاصول المعتمدة وقال الطيبي
يجوز ان يكون بالباء الموحدة بمعنى لا فراق لك منه والمعنى رايت امرا يميل اليه هواك ونفسك
من الصفات الذميمة حتى اذا اجتمعت بين الناس لا محالة ان تقع فيه **فعليك نفسك** واعتزل
عن الناس حذرا من الوقوع وان يكون بالنون المثناة كما في بعض نسخ المصابيح فان رايت امرا
لا طاقة لك من دفعه فعليك نفسك انتهى ونفسك منصوب وقيل مرفوع اي فالواجب
او فيجب عليك حفظها من المعاصي لكن يؤيد الاول وهو ان يكون للاغراء بمعنى الزم خاصة
نفسك قوله **ودع امر العوام** اي واترك امر عامة الناس الخارجين عن طريق الخواص وحاصله
انه اذا رايت بعض الناس يعملون المعاصي ولابد لك من السكوت لعجزك فاحفظ نفسك عن
المعاصي واترك الامر والنهي واشتغل بنفسك ودع امر الناس الى الله فانه تعالى لا يكلف
نفسا الا وسعها **فان وراءكم** اي قدامكم من الزمان **ايام الصبر** اي ايام ما طريق لكم فيها الا الصبر
او ايام ما يجدي فيها الا الصبر وهو الحبس على خلاف النفس من اختيار العزلة وترك الخلطة والجلوس
فمن صبر فيهن اي في تلك الايام **قبض على الجمر** يعني يلحقه المشقة بالصبر كمشقة القابض
على قبض الجمر بيده وقد اشار اليه الشاطبي بقوله

وهذا زمان الصبر من لك بالتي ∴ كقبض على جمر فتنجو من البلا

للعامل فيهن اي الكامل او لم يكن مكملا لغيره **اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله** اي في غير زمانه
قالوا يا رسول الله اجر خمسين بتقدير الاستفهام **منهم** فيه تاويلان احدهما ان يكون اجر
كل واحد منهم على تقدير انه غير مبتلي ولم يضاعف اجره ثانيهما ان يراد اجر خمسين منهم اجمعين
لم يبتلوا ببلايه قال اجر خمسين منكم **رواه الترمذي وابن ماجه** وقد صححه الترمذي ورواه
ابن جرير والبغوي في معجمه وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابو الشيخ وابن مردويه والحاكم
وصححه والبيهقي عن ابي امية الشعباني قال اتيت ابا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع في
هذه الاية قال اية اية قلت قوله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم قال اما والله لقد
سالت عنها خبيرا سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث الى ان قال فان من ورائكم
ايام الصبر الصبر فيهن مثل القابض على الجمر للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل
عملكم وقد ذكر البغوي في تفسيره باسناده الى ابن المبارك عن عتبة بن ابي حكيم كما في اصل المشكاة
الى قوله مثل عمله ثم قال وزاد في غيره قال يا رسول الله اجر خمسين منكم **وعن ابي سعيد الخدري**
رضي الله تعالى عنه **قال قام فينا** اي فيما بيننا او في حقنا او لاجلنا **رسول الله صلى الله**
عليه وسلم خطيبا اي واعظا لقوله **بعد العصر فلم يدع** اي لم يترك **شيئا** اي مما يتعلق بامر الدين مما
لا بد يكون اي يقع ذلك الشيء الى قيام الساعة اي ساعة القيمة **الا ذكره** اي عينه وبينه **حفظه**
من حفظه اي ممن وفقه الله وحفظه **ونسيه من نسيه** اي ممن انساه الله وترك نصرته

وكان فيما قال اي من خطبته وموعظته ان الدنيا وفي الجامع اما بعد فان الدنيا حلوة بضم اوله لذيذة حسنة خضرة
بفتح فكسر اي ناعمة طرية وفي الجامع تقديم خضرة وانما وصفها بالخضرة لان العرب تسمي الشي الناعم خضرا
او لتشبيهها بالخضراوات في ظهور كمالها وسرعة زوالها وفيه بيان انها غرارة مكارة سحارة تفتتن الناس بلونها
وطعمها وتوضيحه ان الدنيا طيبة مليحة في عيون اربابها وقلوب اصحابها لا يشبعون من جمع المال ولا من
سعة الجاه وكثرة الاقبال وطول المال وفيه ايذان بشدة انجذاب النفوس اليها لان كلا من هذين الوصفين
تميل اليه النفوس الناقصة فاذا اجتمعا كانت اليها اميل وفيها ارغب وان الله مستخلفكم فيها
اي جاعلكم خلفاء في الدنيا ومعناه ان اموالكم ليست في الحقيقة لكم وانما هي لله جعلكم في التصرف فيها
بمنزلة الوكلا او جاعلكم خلفا ممن كان قبلكم فتتفكرون في حالهم واعطى ما كان في ايديهم اياكم فناظر كيف
تعملون اي تعتبرون بحالهم وتتفكرون في مالهم وتستغرقون في دنياكم وتراعون في دينكم لعقباكم وحاصله
انه يتعلق به العلم التنجيزي على طبق العلم الازلي التقديري الا فاتقوا الدنيا اي احذروا زيادة
على قدر الحاجة المعينة للدين النافعة في الاخرى واتقوا النسا اي مكرهن وشرهن وجههن البالغ
الباعث على جمع المال المانع من تحصيل العلم والعمل من اسباب الكمال وفي الجامع زيادة فان اول
فتنة بني اسرائيل كانت في النسا وذكر اي النبي صلى الله عليه وسلم في جملة ما ذكر ان بفتح الهمزة وبكسر
لكل غادر من الغدر وهو ترك الوفا اي علما اعلاما لسوء حاله وقبح ماله يوم القيمة اي يوم الفضيحة
بقدر غدرته مصدر بمعنى الغدر ولعل وجه الاتيان بصيغة المرة يجازي بقدره في العقبى ولو كان كثيرا
في الدنيا ولا شك ان الغدر فيه مراتب مختلفة فلهذا قال التوربشتي اراد به المتغلب الذي
يستولي على امور المسلمين وبلادهم بتامير العامة ومعاضدتهم اياه من غير مؤامرة من الخاصة واهل
العقد من اولي العلم ومن ينضم اليهم من ذوي السابقة ووجوه الناس وقوله يغرز لواه عند راسه
من شان الامراء ان يكون لواهم خلفهم ليعرفوا به فيوم القيمة يكون للكلام دعا الى الحق او باطلا يعرف به
وذكر عند راسه اشتهاره وتنبيها على انه يلحق به ويبرى منه ولواء ما يكون معه اشتباه انتهى فقوله
يغرز بصيغة المجهول اي ينصب لواه عند راسه تحقيرا له وتشهيرا ومثل مكسورة الجزاء وحلقه الدين
قال اي النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمنعن بالتذكير ويونث احدا منكم هيبة الناس اي عظمتهم وشوكتهم
ومخافتهم ومهابتهم ان يقول بحق اي من ان يتكلم به او يامر به اذا علمه وفي النهاية يجعل العرب القول
عبارة عن جميع الافعال ويطلقه على غير الكلام فيقول قال بيده اي اخذ وقال برجله اي مشى وفي
رواية ابي يعلى من قوله ان يقول بحق اذا راى منكرا اي باذا الشرطية ان يغيره مفعول لا يمنعن اي من تغيير
المنكر فبكى ابو سعيد وقال قد رايناه اي المنكر فمنعتنا هيبة الناس ان نتكلم فيه اي عملا بما في بعض
الاحاديث من رخصة السكوت في المخافة في نفسه او عرضه او ماله عند العجز وضعف زمن الايمان
واما العزيمة فان لا يبالي بشي مما ذكر ولذا ورد افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر على ما رواه
ابن ماجه عن ابي سعيد وجماعة عن ابي امامة وغيره وقد قال تعالى ومن الناس من يشري نفسه
ابتغاء مرضات الله اي يبيعها يبذلها في الجهاد او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل طلبا لرضى
لا لغرض سواه فاذا كان اكابر الصحابة في الصدر الاول تحرزوا مع كمال قوتهم في الدين واليقين
والمعرفة ولم يقدروا على اظهار الحق لاهل البطلان كيزيد والحجاج وامثالهما من الظلمة والفسقة
فكيف حال الزمان بعد الالف ايام تهتك الاسلام وتسلط السلاطين على جميع الانام من غير
تحققهم بشروط الامامة والخلافة وقلة العلماء العاملين وكثرة الفضلاء الجاهلين والقضاة الظالمين
والمشايخ المرائين فانا لله وانا اليه راجعون فهذا لا شك انه زمان الصبر المقرون بالشكر المنضم
الى الرضا بالقضاء المتعين فيه السكوت وملازمة البيوت والقناعة بالقوت الى ان يموت
ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم الا للتنبيه ان بني ادم خصوا بالذكر لان الملائكة خلقوا للخير فقط

قال ولا غدر اكبر من غدر امير العامة

فالاولون بمظاهر الجمال والاخرون مظاهر الجلال وبنو ادم خلقوا في وجه الكمال ولعل هذا معنى قوله صلى
الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته اي على صفة الكمال الجامعة لنعوت الجلال والجمال ولما خلق
ادم فيهم هذه القابلية الكاملية قدروا على حمل الامانة التي ملائكة عرضها على السموات والارض والجبال
اي على اهلها من العلويات والسفليات فابين ان يحملنها اي امتنعن لعدم استعدادهن واشفقن
منها لعدم استطاعتهن وحملها الانسان مجبول مركب من النعوت الملكية الموجبة لغاية الجمال
الربانية والصفات الشيطانية المقتضية لغضب الجلال القهرانية فان مال الى التسالك في الملك
صار خيرا منه وان مال الى الشيطان صار شرا منه وتتم مع هذا الوصف الاجمالي والنعت الاكمالي
كما قال صلى الله عليه وسلم خلقوا اي جبلوا في ما خلق الله فيهم من اختيار الخير والشر في طبقات شتى
اي مراتب مختلفة باعتبار اختلاف احوال الايمان لا باعتبار ما علم الله فيه من الازل او باعتبار
ما يؤول امره اليه في الاستقبال ويحيى اي يعيش في عمره من حين تمييزه الى انتهاء عمره مؤمنا اي كاملا
او ناقصا ويموت مؤمنا اي لذلك جعلنا الله منهم ومنهم من يولد كافرا اي بخلاف ما سبق وهو لا ينافي
قوله فابواه يهودانه الحديث ويحيى كافرا ويموت كافرا نعوذ بالله من ذلك ومنهم من يولد مؤمنا
ويحيى مؤمنا ويموت كافرا نسأل الله العافية من خاتمة السوء ومنهم من يولد كافرا
ويحيى كافرا ويموت مؤمنا فالعبرة بالخواتيم اللاحقة المطابقة للكتابة السابقة من السعادة
الكاملة والشقاوة التي ملة وكان التقسيم غالبي والا فمنهم من يولد مؤمنا ويحيى كافرا ويموت مؤمنا
ومنهم من يولد كافرا ويحيى مؤمنا ويموت كافرا ولعل عدم ذكرهما لان المقصود منه ان العبرة بالخاتمة
وقد تمت نماذكر اجمالا قال اي ابو سعيد وذكرا اي النبي صلى الله عليه وسلم الغضب وهو فرد من انواع
الاخلاق اشارة الى انها ايضا كالايمان مجبولة مجعولة في افراد الانسان وان اصحابها على طبقات
شتى وتفاوت في سائر الشمائل الرضية والاخلاق الدنية فمنهم اي من بني ادم مع انهم كلهم من نسل
نبي الله وصفيه ولكن لما كان طينته معجونة بوصف خلقه بيدي اقتضت هذه القضية المختلفة
التي وقعت لهم ولاجل المقصود والهبوط والاجتبا اخرا ان يكونوا على طبقتها طبقات اولاده من الابرار
والكفرة في ما سبق ومن الاخلاق الناشئة عنها بقوله فمنهم من يكون سريع الغضب اي منقضي
الخلق النفساني سريع الفيء اي الرجوع من الغضب فاحديهما بالاخرى اي احدى الخصلتين متقابلة
بالاخرى ولا يستحق المدح والذم فاعلهما لا ستوا الحالتين فيه فيقال في حقه انه خير الناس ولا
شرهم ومنهم من يكون بطيء الغضب نفيل من الابطاء مهموز وقد يبدل وقد يدغم وهو ضد السريع
بطيء الفيء فاحديهما بالاخرى كما سبق بيانه في الاولى وخياركم من يكون بطيء الغضب سريع الفيء
وشراركم من يكون سريع الغضب بطيء الفيء والتقسيم العقلي رباعي لا خامس له وفيه اشارة الى
ان الانسان خلق فيه جميع الاخلاق الرضية والدنية وان كماله ان يغلب الصفات الحميدة
في الذميمة لا انها تكون معدومة فيه بالكلية واليه الاشارة بقوله تعالى والكاظمين الغيظ
حيث لم يقل والفاقدين اذ امر الخلق لا يتغير ولا يتبدل وكذا ورد ولو سمعتم ان جبلا زال
عن مكانه فصدقوه وان سمعتم ان رجلا تغير عن خلقه اي الاصلي فلا تصدقوه ومما يدل على
جواز تبديل الاخلاق في الجملة دعاؤه صلى الله عليه وسلم اللهم اهدني لصالح الاعمال والاخلاق
لا يهدي لصالحها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت قال اي النبي صلى الله
عليه وسلم وفي اعادة قال اشارة الى انه لم يحفظ الحديث بكماله لطوله اتقوا الغضب اي ما يؤدي
اليه من السبب او بالتعوذ منه الى الرب فانه جمرة اي فانه عظيمة وجدت جبلة مشعلة بالحمرة
نار مكمونة في كانون النفس على قلب ابن ادم اي متغالبة عليه عند غلبته الا ترى الى الغضب
والعقل معهما محال الشرف وتعقلا الاترون اي الا تنظرون الى انتفاخ اوداجه اي عروق حلق

جميع م

الغضبان وحمرة عينيه كما يوجد مثل هذا عند خوارق الطبيعة في اثر الحمى فان الظاهر عنوان الباطن وكل اناء
يترشح بما فيه فمن احس بشيء من ذلك اي مما ذكر اي ظهر اثره منه او من علم في باطنه شيئا منه فليضطجع
اي تواضعا لله واظهارا للعجز عنه وليتلبد في الارض اي ليلتصق وليلتزق بها حال اضطجاعه او يزيد
عليه بالتمرغ في ترابها حتى يسكن غضبه وانما امر به لما فيه من المسعة عن الاشتغال وتذكار ان
من كان اصله من التراب لا يستحق ان يتكبر ويتجبر في الاصحاب وان الاما بينها ان الناشئة
عن غلبة العنصر النارية من صفة الشيطان وما يترتب عليها من الافساد وان الانسان
خلق من تراب يقتضي التواضع والتحمل وسائر ما يقتضيه صلاح العباد والبلاد قال
اي ابو سعيد وذكر اي النبي صلى الله عليه وسلم الدين اي التزاع تقاضيه فقال منكم من يكون
حسن القضاء اي مستحسن الاداء اذا كان عليه الدين واذا كان اي الدين له اي على احد فحسن
في الطلب بان لم يراع الادب وازيد في تقاضيه وعسر على صاحبه في الطلب فاحديهما بالاخرى
اي فالخصلتان متقاربتان متساويتان ومنهم من يكون سيء القضاء واذا كان له اي الدين
اجمل اي سهل ويسر في الطلب اي في طلب دينه فاحديهما بالاخرى اذ لا خير في اجتماعهما
وخياركم من اذا كان عليه الدين احسن في القضاء وان كان له اي الدين اجمل في الطلب وشراركم
من اذا كان عليه الدين اساء في القضاء وان كان له اي الدين الحسن في الطلب فالتقسيم عقلي رباعي
حتى اذا كانت الشمس قال الطيبي حتى في قوله فقام فينا خطيبا اي قام فلم يدع شيئا الا ذكره حتى اذا
كانت الشمس اي وقعت على روس النخيل واطراف الحيطان جمع حائط بمعنى الجدار ثم قوله فقام
حيثا اذا للمستقبل وكانت ماض وقابد نيا استحضارا لحال الماضي كنزلتم حين يجزيون
في الارض فقال اما للتنبيه انه اي الشان لم يبق من الدنيا فيما مضى منها اي في جهة ما مضى
وفي جنب ما سبق منها الا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه يعني نسبته ما بقي من ايام
الدنيا الى جملة ما مضى كنسبته ما بقي من يومكم هذا الى ما مضى منه وقوله الا كما بقي مستثنى
من فاعل لم يبق اي لم يبق شيء من الدنيا الا مثل ما بقي من يومكم هذا منه رواه الترمذي وفي
الجامع رواه احمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي سعيد لكن مع نوع تغيير وزيادة يسير
وعن ابي البختري بموحدة وسكون معجمة ثم ناة فوقية مفتوحة فراء فتحتية مشددة اسمه
سعيد بن فيروز ذكره المؤلف في التابعين وقال حديثه في رواية الهلال عن رجل من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم وكلهم عدول فلا يضر جهالته ولا توهم ارساله قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لن يهلك بفتح ثم كسر اي لن يفسد ولن يتلف الناس اي دينهم وكالهم
او معناه لن يعذبوا في الذنب حتى يعذروا بضم الياء وكسر الذال ويفتح وفي نسخة بالفتح
والكسر من انفسهم قال القاضي في ذانه من اعذر فلان اذا كثر ذنبه فكانه سلب عذره بكثرة
اقتراف الذنوب او من اعذر غيره اذا جعله معذورا فكانه اعذر من يعاقبهم بكثرة ذنوبهم
او من اعذر اي صار ذا عذر والمعنى حتى يذنبون فيعذرون انفسهم بتأويلات الغيبة واعذار
فاسدة من قبلها ويحسبون انهم يحسنون صنعا قال الطيبي الوجه الثالث انسب بباب
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كان الناهي ينكر عليه ذنبه وهو يتبرأ من الذنب ويعذر لنفسه
ولا قدامه عليه وقال ابن الملك هو من اعذر الرجل اذا صار ذا ذنب كثير اي حتى يكثر ذنوبهم
وعيوبهم فيستوجبوا العقوبة ويقيموا المانع فيتم العذر في ذلك ومن المبيني اي يكثر ذنوب
انفسهم لا ذنوب غيرهم ويروى تب المجهول من اعذر اذا سلب عذره اي حتى يجعلهم الله يجب
لا يعذرون في المعذرة بان يبعث اليهم الرسل حتى يتبينوا لهم الرشد من الضلال والحلال من
الحرام والحق من الباطل ويروى بفتح الياء اي حتى يعذروا انفسهم بتأويلات زائفة واعذار

باطلة رواه ابو داود وكذا الامام احمد في مسنده باسناد حسن وعن عدي بن عدي الكندي بكسر الكاف
تابعي روى عن ابيه وعن رجا بن حيوة وعنه عيسى بن عاصم وغيره ذكره المؤلف ولم يذكر اباه قال حدثنا مولى
لنا انه سمع جدي وهو عميرة الكندي الحضرمي بفتح الراء وكسر الميم سكن الكوفة ثم انتقل الى الجزيرة
وسكنها ومات بها روى عنه قيس بن ابي حازم وغيره يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله تعالى لا يعذب العامة اي الاكثرين من الناس بعمل الخاصة اي بعصيان الاقل منهم
حتى يروا اي الاكثرون المنكر بين ظهرانيهم اي فيما بينهم ظاهرا فاشيا وهم قادرون على ان ينكروه
جملة حالية معترضة احتراز عن حال العجز الا كرها بعضهم كما في زماننا فلا ينكروه عطف على قوله يروا
المنكر فاذا فعلوا ذلك اي ما ذكر من سكوتهم عن المنكر مع قدرة الاكثر عذب الله العامة والخاصة
كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة رواه في شرح السنة وعن عبد الله
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي اي من
الزنا وصيد يوم السبت وغيرها نهتهم علماؤهم اولا فلم ينتهوا اي فلم يقبلوا النهي ولم يتركوا
المنهي فجالسوهم اي العلماء في مجالسهم اي مجالس بني اسرائيل العصاة ومساكنهم واكلوهم بمد الهمزة
من المؤاكلة مفاعلة للمشاركة في الاكل وكذا قوله وشاربوهم فضرب الله اي خلط قلوب بعضهم
ببعض يقال ضرب اللبن بعضه ببعض اي خلط ذكره الراغب وقال ابن الملك الباء للسببية
اي سود الله قلب من لم يعص بشوم من عصى فصارت قلوب جميعهم قاسية بعيدة عن قبول
الحق والخير والرحمة بسبب المعاصي ومخالطة بعضهم بعضا انتهى وقوله قلب من لم يعص
ليس على اطلاقه لان مواكلتهم ومشاربتهم من غير اكراه والجا بعد عدم انتهائهم عن معاصيهم
معصية ظاهرة لان مقتضى البغض في الله ان يبعدوا عنهم ويهاجروهم ويقاطعوهم ولم يواصلوهم
ولعنهم اي العاصين والساكتين المصاحبين ففيه تغليب كما في قوله تعالى لعن الذين كفروا
من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك اي لعنهم بما عصوا اي بسبب عصيانهم مباشرة
ومداهنة وكانوا يعتدون اي يتجاوزون عن الحد بالانجرار من المعاصي الى الكفر بالاستحلال ونحوه وبالغ
للمعاصي واستحقاقهم من اهلها قال اي ابن مسعود فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لمعنى
كمال اعتراضه وقوة اعراضه وكان متكئا اي في احد شقيه او مستندا الى ظهره فبدل ذلك بجلسة مستويا
للاهتمام باتمام الكلام فقال لا والذي نفسي بيده لا تعذرون ولا تنجون من العذاب انتم ايها الامة
خلف اهل تلك الامة حتى تأطروهم بهمزة ساكنة وتبدل وبكسر الطاء اطرا بفتح الهمزة مفعول مطلق
للتأكيد اي حتى تمنعوا امثالهم من اهل المعصية وان لم ينتهوا عن افعالهم فتمتنعوا انتم عن
مواصلتهم ومواكلتهم ومجالستهم وقال شارح الاطر الامالة والتحريف من جانب الى جانب اي
حتى تمنعوا الظلمة والفسقة عن الظلم والفسق وتميلوهم عن الباطل الى الحق وفي الفائق
حتى تعطفوهم بلا كان قائلا قال له عند ذكر مظالم بني اسرائيل هل نعذر في تخلية الظالمين وشأنهم
فقال لا حتى تأطروهم وتأخذوا على ايديهم والمعنى لا تعذرون حتى تجبروا الظالم على الاذعان للحق
واعطاء النصفة للمظلوم واليمين معترضة بين لا وحتى وليست هذه بتلك التي تجيء بها للقسم
تأكيدا للقسمية رواه الترمذي وابو داود وفي رواية الضمير لابي داود وفي نسخة وفي رواية
اي لابي داود وعلى ما هو الظاهر ويحتمل للترمذي اولهما اولغيرهما قال اي النبي صلى الله عليه وسلم كلا
اي حقا او ارتدعوا عن حسبان ما لا ينبغي من جواز السكوت عن المنكر والله لتأمرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر اي بطريق فرض الكفاية ومراتب الاحتساب على النافية والناهية ولتأخذن
على يد الظالم بالتثنية مبالغة وفي نسخة بالافراد اما على ارادة الجنس او على قصد الاكتفا
بالواحدة ولتأطرنه اي لتمنعن الظالم باللسان عند العجز عن اخذ اليد باليد على الحق او على اجابته

على

على الحق والكائه على الباطل اطرا اي منعا ظاهرا اليسري فيه لوم لائم ولتقصرنه بضم الصاد اي ولتحبسنه
على الحق اي في قبوله قصرا اي بالهجرة عنه اذا عجزتم عما سبق حتى تتفق الامر بما رحبت فان حبس
معنوي اقوى من سجن صوري او ليضربن الله اي ليخلطن بقلوب بعضكم بعضا الباء زائدة للتأكيد
التعدية لما سبق انه متعد بنفسه ثم ليلعننكم اي الله كما لعنهم اي بني اسرائيل كلهم او معاصيهم
والمعنى الاخر لامر بين وانتم فطنة وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت ليلة
اسري بي بالاضافة الى الفعل المجهول وفي نسخة بالتنوين نصب على الظرفية اي بقرب ليلة اسري
بي رجالا تقرض بصيغة المفعول اي تقطع شفاههم بكسر الشين جمع شفة بالفتح وبكسرها وللاصل
ها كما يدل عليه جمعها جمع بمقاريض جمع مقراض بكسر الميم آلة القطع المعروفة من نار اي مخلوقة
منها قلت من هؤلاء اي هؤلاء الرجال بهذا الحال يا جبريل قال هؤلاء خطباء من امتك من نسبا بتنوين وفي
نسخة خطباء امتك اي علماؤهم ووعاظهم ومشايخهم يأمرون الناس بالمعروف وينسون انفسهم
محط الانكار الجملة الثانية وانما ذكر الجملة الاولى تقبيحا لشنيع افعالهم واحوالهم وتوبيخا على علومهم
المقرونة بترك اعمالهم كما قال تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب
افلا تعقلون اي سوء صنيعكم وقال عز وجل كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وكما قال
صلى الله عليه وسلم ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات وكما ورد في الحديث المشهور اشد الناس عذابا
يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه رواه البغوي في شرح السنة والبيهقي عطف على الفاعل المقدر
في شعب الايمان وفي روايته اي رواية البيهقي قال خطباء من امتك من البيانية الذين يقولون
ما لا يفعلون بدل من قوله خطباء ويجوز ان يكون صفة له لانه لا توقيت فيه على عكس قوله ولقد
امر على اللئيم يسبني ويجوز ان يكون منصوبا على الذم وهو الاوجه يتفطن لذلك من رزق الذهن
السليم والطبع المستقيم ذكره الطيبي وفيه ان اهل العربية اطبقوا في مثل هذا التركيب
على ان البدل اوجه الوجوه المحتملة كما حقق في الاستعاذة والبسملة وفي قوله تعالى الحمد لله رب
العالمين وقوله سبحانه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب وقوله عز وجل وما يضل به الا
الفاسقين الذين ينقضون وفي قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله
الا الله ويقرؤن كتاب الله ولا يعملون وفيه اقتباس من الايتين الشريفتين اللتين ذكرناهما
اولا وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت المائدة من السماء
قال الراغب المائدة الطبق الذي عليه الطعام ويقال لكل منهما مائدة اي على الحقيقة المشتركة
او على احدهما مجازا باعتبار المجاورة او بذكر المحل وارادة الحال وقوله خبزا ولحما تمييز يجوز ان يكون حالا
وامروا ان لا يخونوا اي بقصد الاكل الاحسن او الاكثر من غيرهم ولا يدخروا بتشديد الدال
المهملة المبدلة من الذال المعجمة من باب الافتعال من الذخيرة وهو التخبية لغد اي ليوم عقب
يوم نزول المائدة او لوقت مستقبل بعده فخانوا وادخروا ورفعوا لغد تفسير لما قبله
فمسخوا اي غير الله صورهم لا الانسانية بغير تغيير سيرتهم الا الانسية قردة وخنازير منصوبان
على انهما مفعولان ثانيان على ما يستفاد من القاموس حيث قال مسخه كمنعه حول صورته الى
اخرى اقبح ومسخه الله قردا فهو ممسوخ ومسيخ وقال الطيبي حال مقدرة كقوله تعالى
وتنحتون من الجبال بيوتا انتهى والظاهر ان شبابهم مسخوا قردة وشيوخهم خنازير رواه
الترمذي انتهى والله اعلم

الفصل الثالث عن عمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اي الشان يصيب امتي
في اخر الزمان من سلطانهم بجنس الجنس والشخص كيزيد والحجاج وامثالهما شدائد اي محن
دنيوية او دينية او مركبة منهما لا ينجو استثناء بيان ذا حال اي لا يخلص منه اي من السلطان

الفصل الثالث عن عمر بن الخطاب

وشدائده الناشئة من الظلمة فهما في حكم واحد فيجوز ان يعبر عنه بضمير مفرد الا رجل عرف دين الله
قال الطيبي الضمير في منه يجوز ان يعود الى السلطان او الى علي انه واقع موقع اسم الاشارة
او يعود الى شرائد باعتبار المذكور او المنكر وهو الشدائد وقوله لا ينجو الا ولا استثناء
وفي الثاني صفة قوله شرائد انتهى والحاصل انه لا يتخلص في زمان ذلك السلطان
المشابه بالشيطان الا من جمع بين العلم والعمل والكمال والتكميل فعرف دين الله اي بالتكميل
من الاصول والفروع وعمل لنفسه على ما يقتضيه الامر المشروع فجاهد عليه اي على تكميل دين الله
بلسانه اي بطريق النصيحة والبيان وبيده اي ان كان له قدرة وقوة وقلبه اي بانكاره عند
العجز عنهما بقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن
وتأسيا بقوله عز وجل ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
واولئك هم المفلحون وهذا معنى قوله فذلك الذي سبقت له السوابق اي السعادات السابقة
حيث جمع بين الاحوال الثلاثة اللاحقة وفيه اشارة الى قوله تعالى والسابقون السابقون
اولئك المقربون بين مراتب الكمال والتكميل ودرجات العلم والتعليم اولئك المقربون في كلام عيسى
عليه السلام من علم وعمل وعلم يدعى في الملكوت عظيما ورجل عرف دين الله فصدق به اي فتكلم بالشيء
ما يجب تصديقه من الامر بالحق والنهي عن الباطل واكتفى به عن الانكار باليد لعجزه او ضعف
قلبه وقوة خصمه ورجل عرف دين الله فسكت عليه اي تاركا للامر والنهي لعجزه مكتفيا
بانكار قلبه لضعف ايمانه وضعف اهل زمانه وبدل على تحقق انكار قلبه قوله فان رأى من يعمل الخير
اي يعمل بحق احبه اي بقلبه عليه اي على ذلك العمل او لاجله وان رأى من يعمل بالباطل اي من يعمل
الشر ابغضه عليه اي وترك مصاحبته ومجالسته ولو كان من كان فذلك ينجو على ابطانه
اي ابطان ما ذكر في قلبه من محبة الخير وبغض الباطل كله تأكيد مفيد لان يكون جامعا للامرين
لا مقتصرا على احدهما فتأمل هذا وقد قال الطيبي السوابق جمع سابقة وهي الخصلة المفضلة
اما السعادة واما البشرى بالثواب من الله واما التوفيق من الطاعة كقوله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى وقوله عرف دين الله فجاهد عليه الى اخر الحديث من باب التقسيم الحاصر
لان الناهي عن المنكر اما سابق او مقتصد او دونهما فالغاية في قوله فجاهد فصدق فسكت مسببا
عن العرفان بمعنى لا ولمن عرف دين الله تعالى حق معرفته وتصلب في دينه فبذل جهده في
المجاهدة بلسانه ويده وقلبه ومعنى الثالث من عرف دين الله ادنى معرفته سكت فلم يجاهد فيه
الا في قدر ايمانه وذلك بالكراهة بالقلب وهو المراد من قوله في الحديث الاخر وذلك اضعف الايمان
ينبغي قوله فصدق به في درجة المقتصد فينبغي ان يفسر بما هو دونه الاولى قوله ثالثه وهو ان
يجاهد بلسانه وقلبه والتصديق يستعمل حقيقة في اللسان مجازا في العمل فقصد به هنا
معبرا عن رفع المنكر بلسانه وقلبه وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله
عز وجل الى جبريل عليه السلام ان اقلب بهمزة وصل ولام مكسورة مدينة كذا وكذا باهلها اي مصحوبة
معهم قال الطيبي ان مفسرة لما في اوحى من معنى القول انتهى ويجوز ان يكون مصدرية والبا
مقدرة فقال يارب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين فيه دلالة على حفظ الاولياء
قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فقال جبريل عليه السلام فقال الله تعالى اقلبها عليه
وعليهم في تعذيبهم عليهم ابدا ان بوجه شديد فان وجهه لم يتمعر اي لم يتغير في بكسر العين وتشديد
الياء اي في حقي ولاجلي والحاصل انه لم يظهر اثر غضب انكار القلب على مرتكب المنكر ساعة
اي ساعة واحدة قط اي ابدا وفيه توسعة والا شعار بانه غضب عليه من الله لتسويحه في بقيته او كان
عمل وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يسأل العبد يوم

القيمة فيقول مالك اذا رأيت المنكر فلم تنكره اي بلسانك او بيدك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيلقى بتشديد القاف المفتوحة حجته بالنصب اي يفهمه عليه ويلقنه اذا كان الله يريد
انجاه فيقول يا رب خفت الناس ورجوتك فيه اعتراف منه بالذنب والعجز واعتماد على كرم
الرب قال البيهقي يحتمل ان يكون هذا فيمن يخاف سطوتهم وهو لا يستطيع دفعها عن نفسه
ذكره الطيبي وفيه ان مثل هذا معذور في الشرع فلا يعاتب عليه فيحتاج الى تلقين الحجة بل
انما هو فيمن قصر في الجملة فيلهمه الله العذر في روى البيهقي الاحاديث الثلاث في شعب
الايمان وعن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس
محمد بيده ان المعروف والمنكر خليقتان اي مخلوقتان ذكره الطيبي والظاهر ان المعنى
سيخلقان تخلقان اخر فيجسدان كسائر المعاني من الاعمال والموت ونحو ذلك فيتجسدان
او يجسمان لقوله تنصبان بصيغة التانيث على بناء المجهول وفي نسخة بالتذكير وهو
الظاهر للمبالغة والمعنى انهما نوعان من المخلوقات تظهران للناس يوم القيمة فاما المعروف
فيبشر اصحابه اي اهل المعروف بالفعل او الامر واما المنكر فيقول اي لاصحاب المنكر
بلسان الحال والقال وبيان الحال اليكم اي ابعدوا واسحقوا وتنحوا من قربي وما يستطيعون
له الا لزوما اي لصوقا وقربا من نتيجة المنكر وما يترتب عليه من عقاب ومما لا بد من العمل
الصالح الحاصل ذلك ويؤيده ما ورد في حديث قدسي يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها عليكم
ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وتحقيق
المرام في هذا المقام ان افعال العباد وان كانت غير موجبة للثواب والعقاب بذواتها الا
انه تعالى اجرى عادته بربطهما ربط المسببات وانشد بعض ارباب الالباب

اخاف وارجو عفوه وعقابه … واعلم حقا انه حكم عادل

فان يك عفوا فهو منه تفضل … وان يك تعذيبا فاني له اهل

والتذنيب والله ولي التوفيق ان السبب الفاعلي للخير والشر ليس الا الله جل وعلا بمقتضى
فضله وعدله ويوجب جماله وجلاله واما السبب القابلي فهو وان كان ايضا في الحقيقة
الا ان قابلية الخير من الاستعداد الاصلي الذي هو من الفيض الاقدس الذي لا مدخل لا
فيه وقابليته الشر من الاستعداد الحادث بسبب ظهور النفس بالصفات والانفعال
الحاجبة القلب المكدرة لجوهر الروح حتى احتاج الى العقل بالرزايا والبلايا ونحوها وكذا
قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وههنا يموج امواج
بحر القضاء والقدر لتقسيم العباد فيه بتعللون وسفينة النجاة قوله تعالى لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون رواه احمد والبيهقي في شعب الايمان انتهى والله سبحانه وتعالى اعلم

كتاب الرقاق

الرقاق بكسر الراء جمع رقيق وهو الذي فيه رقة اي لطافة قال شارح والظاهر ما قال السيوطي
من ان المراد بها الكلمات التي ترق بها القلوب اذا سمعت وترغب عن الدنيا بسببها وتزهد فيها
سميت هذه الاحاديث بذلك لانها تحدث رقة ورحمة **الفصل الاول** عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما
كثير من الناس صفة له وخبره الصحة والفراغ اي صحة البدن والقوة الكسبية وفراغ
الخاطر بحصول الامن وتموين كفاية الامنية والمعنى قدرهما تين النعمتين كثير من الناس حيث
لا يكسبون فيهما من الاعمال ما يكفيهم يوم معادهم فيندمون على تضييع اعمارهم

كتاب الرقاق

الفصل الاول عن ابن عباس رضي الله عنهما

عند زوالها ولا ينفعهم الندم قال تعالى ذلك يوم التغابن وقال صلى الله عليه وسلم ليس
يتحسر اهل الجنة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها وفي حاشية السيوطي قال العلماء معنى
ان الانسان لا يتفرغ للطاعة الا اذا كان مكفيا صحيح البدن فقد يكون مستغنيا ولا
يكون صحيحا وقد يكون صحيحا ولا يكون مستغنيا فلا يكون متفرغا للعلم والعمل لشغله بالكسب
فمن حصل له الامران وكسل عن الطاعة فهو المغبون اي الخاسر في التجارة ماخوذ من الغبن
في البيع انتهى ويمكن ان يكون الغبن كناية عن تساهله وضياع ماله كما قال بعضهم

ان الشباب والفراغ والجدة ۞ مفسدة للمرء اي مفسدة

وقال العارف ابن الفارض

على نفسه فليبك من ضاع عمره ۞ وليس له فيها نصيب ولا سهم

رواه البخاري وفي الجامع الصغير رواه البخاري في تاريخه والترمذي وابن ماجة عنه
وعن المستورد بن شداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله قسم
للمبالغة في تحقيق الحكم ما الدنيا ما في فيه اي ما مثل الدنيا من نعيمها وزمانها في الآخرة
اي من جنبها ومقابلة نعيمها وايامها الا مثل بكسر الميم ورفع اللام وفي نسخة بنصبها
وما في قوله ما يجعل احدكم مصدرية اي مثل جعل احدكم اصبعه وفي الجامع بزيادة هذه والظاهر
ان المراد بها اصغر الاصابع في اليم اي مغموسا في البحر المفسر بالماء الكثير فلينظر اي فليتامل
احدكم بم يرجع اي باي شيء يرجع اصبع احدكم من ذلك الماء واعلم ان قوله يرجع بالتذكير
في اكثر الاصول وفي بعض النسخ بالتانيث وهو الاظهر لان ضميره يرجع الى الاصبع وهو مؤنث
وتذكيره على ما في القاموس والمعنى فليتفكر باي مقدار من البلة المتصلة باليم يرجع
اصبعه الى صاحبه اللهم الا ان يقال المعنى بم يرجع الحال وينتقل المآل وحاصله ان صح
الدنيا ومحنتها في كسب الجاه والمال من الامور الفانية السريعة الزوال فلا ينبغي
لاحد ان يفرح ويغتر بسعتها ولا ان يجزع ويشكو من ضيقها بل يقول في الحالتين اللهم
لا عيش الا عيش الآخرة فانه قاله صلى الله عليه وسلم مرة في يوم الاحزاب واخرى في حجة
الوداع وجمعة الاصحاب ثم ليعلم ان الدنيا مزرعة الآخرة وان الدنيا ساعة فيصرفها في
الطاعة قال الطيبي وضع يرجع موضع قوله فلا يرجع بشيء كانه صلى الله عليه وسلم يستحضر
تلك الحالة في مشاهدة السامع ثم يأمره بالتامل والتفكر هل يرجع بشيء ام لا وهذا تمثيل
على سبيل التقريب والا فاين المناسبة بين المتناهي رواه مسلم وكذا احمد وابن ماجة
وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجدي اي ولد معز اسك بتشديد الكاف
اي صغير الاذن او عدمها او مقطوعها ميت قال ايكم يحب ان هذا له بدرهم مثلا فقالوا ما
نحب انه لنا بشيء اي بشيء مما يطلق عليه اسم الشيء من تراب وغيره والمراد انا لا نحبه بلا شيء ايضا
قال فوالله للدنيا اي بجميع انواع لذاتها اهون اي اشهد واحقر واذل على الله اي عنده
تعالى من هذا اي من هوان هذا الجدي عليكم ويؤيده ما سيأتي ان الدنيا لو كانت تزن عند
الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء والمقصود منه التزهيد في الدنيا والترغيب
في العقبى فان حب الدنيا راس كل خطيئة على ما رواه البيهقي عن الحسن مرسلا كما ان ترك
الدنيا راس كل عبادة والسبب في ذلك ان محب الدنيا ولو اشتغل بامور الدين
يكون اعماله مدخولة باغراض نفسية وتارك الدنيا لو اشتغل بامر دنيوي يكون له مصحح
اخروي ولذا قال بعض العارفين من ارباب اليقين من احب الدنيا لم يقدر على هدايته
جميع المرشدين ومن ترك الدنيا لم يقدر على ضلالته جميع المفسدين رواه مسلم

وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
اي كالسجن للمؤمن في جنب ما اعد له في الآخرة من المثوبة والعذاب الاليم وقيل ان
المؤمن صرف نفسه عن الملاذ واخذها بالشدائد فكانه في السجن والكافر سرحها بالشهوات
فهي له كالجنة كذا ذكره في الفائق ويؤيده القول الآخر ما قاله فضيل بن عياض من ترك
لذات الدنيا وشهواتها فهو في سجن فاما الذي لا يترك لذاتها وتمتعاتها فاي سجن عليه
والقول الظاهر ان مراتب السجن ومنازله مختلفة باختلاف احوال اهله مع انه
لا يخلو احد من ضيق التكاليف الشرعية من ارتكاب الواجبات الفعلية واجتناب
الامور المنهية وكذا من مشقات الاحوال الكونية من البرد والحر في الصيف والشتاء
والبلاء والغلاء وموت الاحباء وغلبة الاعداء وامثال ذلك من ابتداء خلق النطفة
واطوارها في مشيمة البطن الى الظهور في المهد والبطون في اللحد وما بينهما من انواع
الكد والكبد وكذا قال تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد اي لا يزال في تعب عظيم
مدة ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاه الموت وما بعده الى ان يكون ما بعد هذا السجن
اما الى الاسر الخلع الى السلطانية والقرارية الى منصب الغلبة واما تسليط الزبانية
بموجب الغضب الالهي عليه وتعلق السجن الشهداء الغافل الى الحبس القعب الابدي
نعوذ بالله من ذلك **ولما مات** داود الطائي سمع في نفيه هاتف اطلقوا داود
من السجن قال ابو حفص السهروردي ان السجن والخروج منه يتعاقبان على قلب العبد المؤمن
على الدوام ومرور الاوقات لان النفس كلما ظهرت بصفاتها اظلم الوقت على القلب
حتى ضاق وانكمد وهل السجن الا التضييق وحجر من الخروج والولوج فكلما هم القلب بالتبرز
عن مشايم الاهوا الدنيوية والتخلص عن قيود الشهوات العاجلة تشوقا الى الآجلة
وتنزها في فضاء الملكوت ومشاهدة الجلال الازلي حجبه الشيطان المردود عن هذا الباب المطرود
بالاحتجاب فيبدأ بحبس النفس الامارة له فكدر صفو العيش عليه وحال بينه وبين محبوب
طبعه وهذا من اعظم السجون واضيقها فان من حيل بينه وبين محبوبه ضاقت عليه الارض
بما رحبت وضاقت عليه نفسه ولهذا المعنى اخبر الله تعالى عن جماعة من المحبين حيث
تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات قال تعالى وعلى الثلاثة
الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت الاية رواه مسلم وكذا احمد والترمذي
وابن ماجة عن ابي هريرة والطبراني والحاكم عن سلمان والبزار عن ابن عمر ورواه احمد
والطبراني وابو نعيم في الحلية والحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ولفظه الدنيا سجن المؤمن وسنته
فاذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة بفتح اوله القحط والجدب واخرج ابن المبارك
عن ابن عمر قال ان الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن وانما مثل المؤمن حين تخرج نفسه
كمثل رجل كان في سجن فاخرج منه فجعل يتقلب في الارض ويتفسح فيها واخرج ابن ابي
شيبة عنه نحوه واخرج ابو نعيم عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر يا ابا ذر
ان الدنيا سجن المؤمن والقبر امنه والجنة مصيره يا ابا ذر ان الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه
والنار مصيره وروى ابن ابي الدنيا عن عايشة الدنيا لا تقفر المؤمن كيف وهي سجنه وبلا
وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة
قال شارح ان الله لا يضيع اجر حسنة المؤمن ولا يخفى انه حاصل المعنى واما بحسب التركيب
والمبنى فالظلم يتعدى الى مفعولين قال تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا وفي القاموس
ظلمه حقه اي منعه اياه فالحديث تفسير لما في القرآن وتبيين لما فيه من نوعي جنس الانسان

وبيان ان الله يجازي جزاء المؤمن والكافر على الصغير والقطمير والقليل والكثير من الخير والشر
اما في الدنيا واما في العقبى كما قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره وقال عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا
عظيما ولذا قال عمر رضي الله تعالى عنه لو كانت لي حسنة واحدة لكفتني بناء على المضاعفة المذكورة والمثوبة
العظيمة المسطورة يعطى بها اسنى بيان بصيغة المجهول اي يعطي المؤمن كل خير بها اي بسبب تلك
الحسنة في الدنيا من دفع البلاء وتوسعة الرزق وغير ذلك من النعماء وفي نسخة بصيغة الفاعل
اي يعطي الله اياه بتلك الحسنة اجرا في الدنيا ويجزى بها في الآخرة على بناء المفعول والفاعل
طبق ما قبله واما الكافر فيطعم بصيغة المجهول لا غير اي فيعطى في العدو لا اشارة الى ان مطمح
نظر الكافر في العطاء انما هو بطنه والمعنى يجزى بحسنات ما عمل بها لله اي من اطعام فقير واحسان
يتيم واغاثة ملهوف ونحوها من طاعات لا يشترط في صحتها الاسلام في الدنيا ظرف ليطعم حتى
اذا افضى اي وصل الى الآخرة لم تكن بالتأنيث وبالتذكير اي لم يبق ولم يوجد له حسنة يجزى بها فان الله
لا يضيع اجر من احسن عملا في شرح السنة قوله لا يظلم اي لا ينقص وهو متعد الى مفعولين احدهما
مؤمنا والآخر حسنة ومعناه ان المؤمن اذا اكتسب حسنة يكافيه الله تعالى بان يوسع عليه
رزقه ويرغد عيشه في الدنيا وبان يجزيه ويثاب في الآخرة والكافر اذا اكتسب حسنة في الدنيا
بان يفك اسيرا او ينقذ غريقا يكافيه الله تعالى في الدنيا ولا يجزيه بها في الآخرة انتهى
وحاصله ان الله يوفي ما وعده المؤمن بالفضل والكافر بالعدل ولا يسأل عما يفعل ولعل الحديث
مقتبس من قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها
وما له في الآخرة من نصيب رواه مسلم وفي الجامع رواه احمد ومسلم عن انس بلفظ ان الله
لا يظلم المؤمن حسنة يعطى عليها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة واما الكافر فيطعم بحسناته
في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا انتهى ومقتضى المقابلة ما ورد في حديث
آخر ان المؤمن يجزى بسيئاته في الدنيا انواع المحنة والمشقة والبلايا والرزايا حتى اذا افضى الى الآخرة
لم يكن له سيئة يعاقب عليها ويؤيده ما روى احمد وابن حبان انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به
قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلام غفر الله لك يا ابا
بكر الست تحزن الست تنصب الست تمرض الست يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال
هو مما تجزون به وقد صح على ما رواه الترمذي وابن جرير المصائب والامراض في الدنيا جزاء وروى
الحاكم في مستدركه عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه مرفوعا من يعمل سوءا يجز به في الدنيا وعن ابن
عمر قال لا يصيب عبد من الدنيا شيئا الا نقص من درجاته عند الله وان كان عليه كريما رواه ابن
ابي الدنيا وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبت اي احيطت النار
بالشهوات كالخمر والزنى وحجبت الجنة بالمكاره كالصلاة والزكاة متفق عليه الا عند مسلم
حفت بدل حجبت يعني حجبت للبخاري في نسخة ولفظ حفت لمسلم فالحديث عليه من باب المروية
معنى وقد وافق مسلم واحمد والترمذي عن انس لكن حديثهم فيه تقديم وتأخير مخالف للبخاري في نسخة
على ما ذكر في الجامع بلفظ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات والله اعلم باصح الروايات
قال النووي معناه لا يوصل الى الجنة الا بارتكاب المكاره ولا يوصل الى النار الا بارتكاب
الشهوات وكذلك هما محجوبتان بهما فمن هتك الحجاب وصل الى المحجوب فهتك حجاب الجنة
باقتحام المكاره وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات واما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد
في العبادات والمواظبة على الطاعات والصبر عن الشهوات ونحو ذلك واما الشهوات
التي النار محفوفة بها فالظاهر انها الشهوات المحرمة كالخمر والزنا والغيبة ونحو ذلك

واما الشهوات المباحة فلا تدخل في هذا النهي ويناسب هذا الحديث ما ذكر السيوطي في الجامع
الكبير انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله بنى مكة على المكروهات والدرجات اي لا يحصل درجاتها
الا بالتجمل على المكروهات والله اعلم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تعس بكسر العين ويفتح اي هلك وخسر عبد الدينار اي الذي اختاره على رضى الله معبود
الجبار بان يأخذه من غير حله ولا يصرفه في محله وكذا قوله وعبد الدرهم وهذان مثلان
وخصا بالذكر لانهما النقدان الحاصل بهما جميع مقاصد النفس والشيطان وعبد الخميصة
وهي ثوب خز او صوف معلم وخصت بالذكر لان الغالب في لبسها الخيلاء والرعونة والرياء
والسمعة ومع كمال ميل النفس اليها وعدم الطاقة على مفارقتها فكانها عبد لها وقيل هي كساء
اسود مربع له علمان اراد به محب كثرة الثياب النفيسة والحريص في التجمل فوق الطاقة
وحاصله التقيد بالزينة الظاهرة مما يتعلق بالثياب الجميلة لا سيما اذا كانت محرمة او مكروهة
وعدم التعلق بتحلية الباطن عن الصفات الدنية وتحليتها بالنعوت الرضية فان من لبس
الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن رق ثوبه رق دينه ثم تطويل الاكمام وجر الاذيال
حرام على وجه التكبر والخيلاء ومكروه اذا كان بخلافه واما اذا كان اللبس على الوجه المباح
في الشريعة فيختلف باختلاف النية في اختيار التجمل او التقشف فقد قال تعالى قل من
حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية واختلف السادة الصوفية
في ايهما افضل ويختار ان ذلك لنية والنقشبندية والبكرية في التلبس بلباس الاغنياء كما عليه
بعض السلف من الاولياء روي ان فرقد السبخي دخل على الحسن وعليه كساء وعلى الحسن حلة
فجعل يلمسها فقال الحسن ما لك تنظر الى ثيابي ثيابي ثياب اهل الجنة وثيابك ثياب اهل النار
بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية ثم قال الحسن جعلوا الزهد في ثيابهم والكبر في صدورهم
والذي يحلف به لاحدهم بكسائه اعظم كبرا من صاحب المطرف بمطرفه ثم الجملة اما خبر او دعاء على
من استعبده حب الدنيا واسترقهم الهوى واعرض عن عبودية المولى وكذا قال بعض العارفين

اتمنى على الزمان محالا ... ان ترى مقلتاي طلعة حر

وكم نبي صاحبها ايذانا بان من يكون اسير الجمع المال لحبه لا يؤدي حق الملك المتعال
ان اعطي اي هذا التعيس رضي وان لم يعط سخط بكسر الخاء اي غضب والجملة بيان لشدة حرصه
وانقلاب حاله كما اخبر الله تعالى عن حال المنافقين بقوله ومنهم من يلمزك في الصدقات
فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون وكما قال عز وجل ومن الناس
من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر
الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين تعس كرر للتأكيد ويعطف على التشديد وانتكس
اي ذل وهلك واذا شيك بكسر اوله اي دخل شوكة في عضوه فلا انتقش بصيغة المجهول وفي
نسخة على بناء المعلوم اي فلا يقدر على اخراجه ولا يجد من يخرجه والمعنى اذا وقع في البلاء لا يترحم
عليه ولا يقدر على دفعه بنفسه ايضا هذا وفي النهاية تعس اذا عثر وانكب على وجهه وقد
يفتح العين وهو دعاء عليه بالهلاك وانتكس اي انقلب على رأسه وهو دعاء عليه بالخيبة لان من
انتكس في امره فقد خاب وخسر واذا شيك اي شاكته شوكة فلا يقدر على انتقاشها وهو
اخراجها بالمنقاش والخميصة ثوب خز او صوف معلم وقيل لا يسمى خميصة الا اذا كان اسود
معلما وكانت من لباس الناس قديما قال الطيبي قيد خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه
في محبة الدنيا وشهواتها كالاسير الذي لا خلاص له عن اسره ولم يقل مالك الدنيا ولا جامع
الدنيا لان المذموم من الدنيا الزيادة على قدر الحاجة لا قدر الحاجة وقوله ان اعطي رضي وان لم

بعط سخط يوذ راي بشدة حرصه جميع الدنيا وطمعه فيما في ايدي الناس وفي قوله تعس وانتكس
صيغة التزييد مع الترقي في الدعا ونقيس لذي الانكباب على الوجه ليحصل معه الانتكاس الذي هو
الانقلاب على الراس ليترقى في الدعا عليه من الاهون الى الاغلظ ثم ترقى منه الى قوله واذا شيك
فلا انتقش على معنى انه اذا وقع في البلا فلا يترحم عليه فان من وقع في البلا اذا ترحم له
الناس ربما هان الخطب عليه وتسلى بعض التسلي وهو لا يخلافه بل يزيد غيظهم بفرح الاعدا
وشماتتهم وانما خص انتقاش الشوك بالذكر لان الانتقاش اسهل ما يتصور من
المعاونة بازا ما اصابه مكروه فاذا انتفى ذلك الاهون فيكون ما فوق ذلك منتفيا بالطريق
الاولى طوبى اي حالة طيبة او شجرة في الجنة لعبد اي خالص لله تعالى اخذ بصيغة الفاعل
اي ماسك بعنان فرسه بكسر العين اي بلجامه في سبيل الله اي طريق الجهاد اشعث
بالنصب على انه صفة عبد او حال منه وقوله راسه مرفوع على الفاعلية لاشعث وهو
مغبر الراس وفي نسخة برفعه على انه خبر مبتدا محذوف والجملة صفة عبد وقوله مغبرة
بالنصب وفي نسخة بالرفع وفي اخرى بالجر على انها صفة عبد وقوله قدماه فاعلها وقال
الطيبي اشعث ومغبرة حالان من الضمير في اخذ لاعتماده على الموصوف ويجوز ان يكونا حالين
من العبد لانه موصوف ان كان اي ذلك العبد في الحراسة بكسر الحا اي حماية الجيش
وحفظهم ان لا يهجم عليهم عدوهم كان اي كاملا في الحراسة غير مقصر فيها بالنوم والغفلة
ونحوهما والحراسة وان كانت في اللغة اعم لكنها في العرف مختصة بمقدمة العسكر
ولذا قال وان كان في الساقة اي في مؤخر الجيش ويلزم منها الحراسة ايضا كان
اي كاملا في الساقة في تلك الحالة ايضا بان لا يخاف من الانقطاع ولا يتهم الى السبق
بل يلازم ما هو لاجله وقد تقرر في علم المعاني ان الشرط والجزا اذا اتحدا يراد بالجزا
الكمال فالمعنى ان كان في الحراسة او الساقة يبذل جهده فيها ولا يغفل عنها على وجه
الكمال قال التوربشتي اراد بالحراسة حراسته من العدو ان يهجم عليهم وذلك ان يكون
في مقدمة الجيش والساقة مؤخرة فالمعنى ائتماره بما امر واقامته حيث اقيم لا يفقد من مكانه
بحال وانما ذكر الحراسة والساقة لانهما اشد مشقة واكثر افة الاول عند دخولهم دار الحرب
والاخر عند خروجهم ان استاذن اي طلب الاذن في دخول محفل وفي نسخة اذا استاذن
لم يؤذن اي لعدم ماله وجاهه وان تشفع اي لاحد لم يشفع بتشديد الفا المفتوحة
اي لم يقبل شفاعته وتوضيحه ما قيل ان فيه اشارة الى عدم التفاته الى الدنيا وارباجها
بحيث يفني بكليته في نفسه لا يبتغي مالا ولا جاها عند الناس بل يكون عند الله وجيها ولم
يقبل الناس شفاعته وعند الله يكون شفيعا رواه البخاري وروى الترمذي صدر
الحديث بلفظ لعن عبد الدينار لعن عبد الدرهم مختصرا وعن ابي سعيد الخدري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان مما اخاف عليكم اي من جملة ما اخشى عليكم ايها الصحابة
او ايها الامة من بعدي اي بعد وفاتي وفقدي اياي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا بفتح
الزاي وسكون الها وبفتح في القاموس الزهرة ويحرك النبات او نوره او الاصفر منه
المراد حسنها وبهجتها فقوله وزينتها عطف تفسيري وانما عبر بالزهرة اشارة الى
حدوثها خضرة وحلوة وسرعة فنائها والمعنى اني اخاف عليكم اذا كثرت اموالكم عند فتح بلادكم
تمنعكم عن الاعمال الصالحة وتشغلكم عن العلوم النافعة وتحدث فيكم الاخلاق الدنية
من التكبر والعجب والغرور ومحبة المال والجاه وما يتعلق بهما من لوازم الامور الدنيوية
والاعراض عن الاستعداد للموت وما بعده من الاحوال الاخروية فقال رجل يا رسول

الله او يأتي الخير بالشر بفتح الواو والاستفهام للاستبعاد والمعنى او يتبع علينا ذيا في الخير من الغنا
والمال الحلال وتوسيع الرزق مصحوبا بالشر مترتب عليه ترك الخير من الطاعة والعبادة مما
يخاف علينا فقيل الباء صلة يأتي وهي للتعدية اي هل يستجلب الخير وتوضيحه ان حصول الغنيمة
لنا خير فهل يكون ذلك الخير سببا للشر فسكت اي متاملا او مستغرقا او منتظرا للوحي اما
جليا او خفيا فقال اي الراوي فمسح عنه عن وجهه الشريف الرحضا بضم الرا وفتح الحا المهملة
وبالضاد المعجمة وبالمد عرق الحمى كما في المقدمة والمراد هنا عرق يظهر عليه السلام عند
نزول الوحي عليه فالتركيب من باب التشبيه البليغ والمعنى انه مسح عنه عرقا كعرق اثر الحمى
من حضر الجسد اي تغسله من كثرته وقال اين السايل وكانه اي النبي صلى الله عليه وسلم
حمده اي حمد السايل دايا استحسنه في سؤاله لكونه سؤال استرشاد ونفع العباد
فقال انه اي الشان لا يأتي الخير بالشر اي حقيقة لتنافيهما لكن قد يكون الخير سببا للشر
فضرب لذلك مثلا بقوله المناسب لتعبير الخير بالزهرة حيث قال وان مما ينبت الربيع اي
بتقدير الله تعالى وارادته وخلق اسبابه من المطر ما يقتل نباتا اي نباتا او سببا يهلك الدواب
حبطا بفتحتين اي انتفاخ بطن من الامتلاء وهو تمييز والمراد انه قد يقتل حقيقة او يلم بضم يا
وتشديد ميم اي يكاد ان يقتل ويقرب اي يهلك فاو للتنويع والمعنى ان الربيع ينبت احرار العشب
فيستكثر منه الماشية لاستطابتها اياه حتى ينتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال فتنشق
امعاوها من ذلك فتموت او تقرب الموت ومن المعلوم ان الربيع ينبت احرار العشب فهي كلها خير
في نفسها وانما يأتي الشر من قبل افراط الاكل فكذلك المفرط في جمع المال من غير حله او من
الحلال المشتغل عن حاله بكثرة في التنعم بماله من غير ما تقدم في ماله فينفسه تلبسه من كثرة الاكل فيوقعه
الاخلاق الدنية فيتكبر ويتجبر ويحقر الناس ويمنع ذا الحق منه فيحيق اي المال الهلاك في الدنيا
والعذاب في العقبى بسبب الوبال وشدة النكال وسوء الحال الا اكلة الخضر بفتح الخا وكسر الضاد المعجمتين
وهو الطري الغض من النبات وفي نسخة بضم ففتح على انه جمع خضرة وروي بزيادة الها والمعنى
يقتل او يلم كل اكلة الا اكلة الخضر في الوجه المذكور والبيان المسطور بقوله اكلت اي الماشية
الاكلة المعهودة في اكلها حتى امتدت اي امتلات وشبعت خاصرتاها اي جنباها وهو كناية عن الشبع بامتداد
لانهما يمتدان عند امتلا البطن استقبلت عين الشمس اي ذاتها وقرصها والمعنى انها بركت مستقبلة
اليها تستمري بذلك ما اكلت وقال شارح اي تركت الاكل لما فوق طاقة لترشها حتى يمضيها كثرة
الاكل وتوجهت اي مسقط ضوءها واستراحت فيه فثلطت اي القت روثها رقيقا سهلا وبالت اي فزال
عنها الحبط ثم عادت فاكلت اي ثم اذا حصل لها خفة واحتاجت الى الاكل عادت فاكلت كذلك من اخرج
ما في المال من الحقوق وعالج نفسه بالاحتماء عن مساوي الاغنيا وعرف الدا والدوا سيما كلام
الحكما من الانبيا والاوليا فيكون المال حينئذ خيرا له لانه معونة له في تحصيل الخير ودفع الشر
لما كان الخطر فيه كثيرا بحيث يفر الشا لكيس يجب الاغنيا اختيار الله لاكثر الانبيا والاوليا
الفقر الصابر افضل من الغني الشاكر وذهب الصوفية اجمعهم والعلما اكثرهم الى ان الفقير الصابر
افضل من الغني الشاكر والله سبحانه اعلم هذا مجمل الكلام في مرام المقام واما تفصيله لغة وحلا
من جهة المبنى والمعنى ففي النهاية الحبط بالتحريك الهلاك يقال حبطت الدابة تحبط حبطا بالتحريك
اذا اصابت مرعى طيبا فافرطت في الاكل حتى تنتفخ فتموت وذلك ان الربيع ينبت احرار العشب
فيستكثر منه الماشية ويلم اي يقرب ويدنو من الهلاك والخضر بكسر الضاد نوع من البقول
ليس من احرارها وجيدها وانما ترعاها المواشي اذا لم تجد غيرها فلا يكثر من اكلها ولا يستمر بها قال
القاضي اكلة نصب على انه مفعول يقتل والاستثنا مفرغ والاصل ان مما ينبت الربيع ما يقتل

الكلة الا اكل الخضر على هذا الوجه وانما مع الاستثنا المفرغ من المثبت لقصد التعميم فيه ونظير
قرأت الا يوم كذا قال الطيبي وعليه ظاهر كلام والاظهر ان الاستثنا منقطع لوقوعه في الكلام المثبت
وهو غير جائز عند الكسائي الا بالتاويل وفيه ان ما يقتل حبطا بعض الربيع ما ينبت الربيع لدلالة
من التبعيضية عليه والتقسيم في قوله الا آكلة الخضر ان الخضر غير ما يقتل حبطا يشهد له ما في
شرح السنة قال الازهري فيه مثلان ضرب احدهما للمفرط في جمع الدنيا ومنعها من حقها وضرب
الاخر للمقتصد في اخذها والانتفاع بها واما قوله وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا فهو مثل المفرط
الذي يأخذها بغير حق وذلك ان الربيع ينبت احرار العشب فتكثر منها الماشية حتى ينتفخ بطونها
لما تجاوز وزن حد الاحتمال فتنشق امعاؤها فتهلك كذلك الذي يجمع الدنيا من غير حلها ويمنع ذا
الحق حقه يهلك في الاخرة بدخول النار واما مثل المقتصد فقوله صلى الله عليه وسلم الا آكلة الخضر
وذلك ان الخضر ليست من احرار البقول التي ينبتها الربيع فتكثر منها الماشية ولكنها من كلأ الصيف
التي ترعاها المواشي بعد هشيم البقول شيئا فشيئا من غير استكثار فيضرب مثلا لمن يقتصد في اخذ
الدنيا ولا يحمله الحرص على اخذها فهو ينجو من وبالها قال الاشرف في قوله حتى امتدت خاصرتاها استقبلت
عين الشمس ان المقتصد المحمود العاقبة وان جاوز حد الاقتصاد في بعض الاحيان وقرب من السرف
المذموم لغلبة الشهوة المذكورة في الانسان وهو المعني بقوله اكلت حتى امتدت خاصرتاها لكنه يرجع
عن قريب عن ذلك الحد المذموم ولا يلبث عليه بل يلتجي الى الادلة النيرة والبراهين الواضحة
الدافعة للحرص المهلك القامعة له وهو المدلول عليه بقوله استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت
فحذف ما حذف في المرة الثانية لدلالة ما اثبته عليه وفيه ارشاد الى المحمود العاقبة وان تكرر فيه
الخروج عن حد الاقتصاد والتقرب من حد الاسراف مرة بعد اولى وثانية بعد اخرى لغلبة الشهوة
عليه وتوبتها فيه لكنه يمكن ان يبعد بمشية الله تعالى عن الحد المذموم الذي هو الاسراف ويقرب
من الاقتصاد والذي هو الحد المحمود قال الطيبي فعلى هذا الاستثنا متصل لكن يجب التاويل
في المستثنى منه والمعنى ان من جملة ما ينبت الربيع شيئا يقتل اكله الا الخضر منه اذا اقتصد
فيه اكله وتحرى دفع ما يؤديه الى الهلاك وان هذا المال اي المحسوس في الحال خضرة بفتح فكسر
حلوة بضم الحاء اي حسنة المنظر لزيادة المذاق وانث باعتبار ان زهرة هذا المال خضرة حلوة
قال التوربشتي لذلك نرويه من كتاب البخاري على التانيث وقد روي ايضا خضر حلو والوجه
الذي نقال انما انث على معنى تانيث المشبه به اي ان هذا المال شيء كالخضرة وقيل معناه كالبقلة
الخضرة ويكون على معنى فائدة المال اي الحياة به او المعيشة خضرة قال الطيبي ويمكن ان يعبر عن
المال بالدنيا لانه اعظم زينتي الحياة الدنيا لقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا فيوافق
حديث ابي سعيد الخدري الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم على ما مر في الباب السابق
انتهى والمعنى ان هذا المال جنسه او نوع خاص منه من ما لبيت المال وغيره فاعم مستحسن
لونا وطعما مشتهي الانفس اكثر الانام مشتبه بالمرعى المشتهى للانعام فمن اخذه بحقه اي
بقدر احتياجه من طريقه ووضعه في حقه اي في محله الواجب او مندوب فنعم المعونة اي هو
به على طاعته ويدفع به ضرورات المونة والمراد بالمعونة الوصف مبالغة اي فنعم المعين على الدين
هو اي المال ونظيره ما ورد نعم المال الصالح للرجل الصالح ومن اخذه بغير حقه اي من غير احتياج
اليه وجمعه من حرام ولم يصرفه في مرضات ربه كان كالذي يأكل ولا يشبع في الداء العضال
والورطة المهلكة بغلبة الحرص كالذي به جوع البقر وكالمريض الذي به الاستسقاء حيث
ما يروى وكلما يشرب يزيد عطشا وانتفاخا ويكون اي المال شهيدا عليه يوم القيمة اي حجة
عليه يوم يشهد على حرصه واسرافه وانه انفقه فيما لا يرضاه الله ولم يؤد حقه من مال الله

لعباد

لعباد الله قال الغزالي مثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع فان اصابها المعزم
الذي يعرف وجه الاحتراز من شرها وطريق استخراج ترياقها كانت نعمة وان اصابها السوادي
الغبي فهي عليه بلاء مهلك وتوضيح ما قاله الخواجه عبيد الله النقشبندي ان الدنيا كالحية
فكل من يعرف رقيتها يجوز له اخذها والا فلا فقيل وما رقيتها فقال ان يعرف من اين يأخذها
وفي اين يصرفها متفق عليه وعن عمرو بن عوف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوالله لا الفقر بالنصب مفعول مقدم للاهتمام على عامله وهو قوله اخشى عليكم والمعنى
ما اخشى عليكم الفقر لان الغالب عليه السلامة وانه انفع لكم وكذا قيل ان من العصمة ان
لا تقدر وان كان كاد الفقر ان يكون كفرا ولكن اخشى عليكم ان تبسط اي توسع عليكم الدنيا
فتعملوا معاملة الاغنيا فتهلكوا بانواع البلا كما بسطت على من كان قبلكم اي فهلكوا بسبب
عدم ترحمهم على الفقرا اجل كما ان الميل الى المال فتنافسوها بحذف احدى التائين عطف على
تبسط من نافس في الشيء اي رغبت فيه وحقيقته ان المنافسة والتنافس ميل النفس
الى الشيء النفيس ولذا قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والمعنى فتحملا رغبتها
انتم وترغبون فيها غاية الرغبة كما تنافسوها بصيغة الماضي اي كما رغب فيها من قبلكم وتهلككم
اي الدنيا كما اهلكتهم قال الطيبي فان قلت ما الفائدة في تقديم المفعول
في القرينة الاولى دون الثانية قلت فائدته الاهتمام بشان الفقر لان الاب المشفق
اذا احتضر انما يكون اهتمامه بشان الولد وضياعه واعدامه المال فكانه صلى الله عليه وسلم
يقول حالي معكم خلاف حال الوالد فكرنا في لا اخشى الفقر كما يخشاه الوالد ولكن خوفي من الغنا
الذي هو مطلوب الوالد للولد ثم التعريف في الفقر اما ان يكون للعهد فهو الفقر الذي كانت
الصحابة عليه من الاعدام والقلة والبسط الله عليهم من فتح البلاد واما للجنس وهو
الفقر الذي يعرفه كل احد ما هو والبسط الذي يعرفه كل احد ونظيره ما اشير به قوله تعالى
فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا انتهى والظاهر ان المراد بالفقر ما لم يكن عنده جميع
ما يحتاج اليه من ضرورات الدين والبدن وبالغنى الزيادة على مقدار الكفاية الموجبة
للطغيان وشغل الانسان عن عبادة الرحمن فالمعنى كما قال الطيبي ترغبون فيها فتشتغلون
بجمعها وتحرصون على امساكها فتطغون فيها فتهلكون لها قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى
ان راه استغنى ويحتمل ان يكون هلاكهم من جهة ان المال مرغوب فيه فيتهم الناس فيتوقعون
منه منفعة منهم فيمنع العدو وان بينهم فيفضي ذلك الى الهلاك انتهى وهذا الاحتمال بعيد عن
ان يكون مراد الحديث بل مجال متفق عليه وروى الطبراني في الصغير عن انس مرفوعا قال
من اصبح حزينا على الدنيا اصبح ساخطا على ربه تعالى ومن اصبح يشكو مصيبة نزلت به
فانما يشكو الله تعالى ومن تضعضع لغني لينال مما في يديه اسخط الله تعالى ومن
اعطي القرآن فدخل النار فابعده الله تعالى وزاد ابو الشيخ في الثواب من حديث ابي الدردا
الا انه قال في اخره ومن تعدا وجلس الى غني فتضعضع له لدنياه ليصيبه ذهب ثلثا
دينه ودخل النار وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعل رزق
آل محمد اي ذريته واهل بيته او اتباع محمد واجابه على وجه الكمال قوتا اي ما يكتسب قوة
على الطاعة ويسد رمقه في المعيشة وفي رواية كفافا بفتح الكاف وهو من القوت ما يكف
الرجل عن الجوع او عن السؤال والظاهر ان تكون الرواية تفسير الاولى وبيان ان الاكتفا
بادنى المعيشة هو الطريق الاولى وقد استجاب الله دعاه في حق من شاء من ال اراد مصطفى
واجتباه ويويد القول الثاني وهو ان يكون المراد بالال اخواص منه من اربابه الكمال ما ورد في

دعائه عليه السلام على ما رواه ابن ماجة عن عمرو بن غيلان الثقفي والطبراني عن معاذ بن جبل اللهم
من آمن بي وصدقني وعلم ان ما جئت به هو الحق من عندك فاقلل ماله وولده وحبب اليه لقاءك
وعجل له القضاء ومن لم يؤمن بي ولم يصدقني ولم يعلم ان ما جئت به الحق من عندك فاكثر ماله
وولده واطل عمره ولهذا السبب في ذلك ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم قليل يكفيك خير من كثير
يطغيك وفي رواية قليل يؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ونعم ما قال بعض ارباب الاحوال

۵ زيادة المرء في دنياه نقصان ۵ وربحه غير محض الخير خسران ۵

هذا وفي النهاية الكفاف هو الذي لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة اليه قال الطيبي
هذه الرواية مفسرة للرواية الاولى لان القوت ما يسد به الرمق وقيل سمي قوتا لحصول
القوة منه سلك صلى الله عليه وسلم طريق الاقتصاد المحمود فان كثرة المال تلهي وقلته
تنسي فما قل وكفى خير مما كثر والهى وفي دعا النبي صلى الله عليه وسلم ارشاد لامته كل الارشاد
الى ان الزيادة على الكفاف لا ينبغي ان يتعب الرجل في طلبه لانه لا خير فيه وحكم الكفاف
يختلف باختلاف الاشخاص والاحوال فمنهم من يعتاد قلة الاكل حتى انه ياكل في كل
اسبوع مرة فكفافه وقوته تلك المرة في اسبوع ومنهم من يعتاد الاكل في كل يوم مرة او
مرتين فكفافه ذلك ايضا لانه ان تركه اضر ذلك ولم يقو على الطاعة ومنهم من يكون بكثرة
العيال فكفافه ما يسد رمق عياله ومنهم من يقل عياله فلا يحتاج الى طلب الزيادة وكثرة
الاشتغال فاذن قدر الكفاف غير مقدر ومقداره غير معين الا ان المحمود ما به القوت على
الطاعة والاشتغال به على قدر الحاجة متفق عليه وفي الجامع اللهم ارزق آل محمد في الدنيا
قوتا رواه مسلم والترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة وعن عبد الله بن عمرو بالواو قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افلح اي فاز وظفر بالمقصود من اسلم اي انقاد
لربه المعبود ورزق اي من الحلال كفافا اي ما كفاه في امر دنياه وكفه عما سواه وقنعه الله اي جعله قانعا
بما آتاه اي بما اعطاه اياه بل جعله شاكرا لما اعطاه راضيا بكل ما قدره وقضاه رواه مسلم وكذا
احمد والترمذي وابن ماجة وفي رواية لاحمد عن ابي ذر مرفوعا قد افلح من اخلص قلبه للايمان
وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا وجعل نفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة وعينه ناظرة وفي رواية
مختصرة قد افلح من رزق لبا رواه البيهقي عن قرة بن هبيرة وقد قال تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم
في صلاتهم خاشعون الآيات والله اعلم بحقيقة النيات وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول العبد اي مع ان العبد وما في يده لمولاه ولا ينبغي له ان ينسب الى نفسه
شيئا كما قالت الصوفية بصيغة مالي اي مالي كذا مالي كذا والمعنى يعده افتخارا او يذكره احتقارا
او لم يعرف المقصود من المال ولا يترتب عليه في المآل من الوبال انما له من ماله ثلاث ما الاولى
موصولة وله صلة ومن ماله يتعلق بالصلة وثلاث خبر وانما انثه على تاويل المنافع ذكره الطيبي
والمعنى ان الذي يحصل له من ماله ثلاث منافع في الجملة لكن منفعة واحدة منها حقيقة باقية وثنتان
منها صورية فانية ما اكل اي ما استعمل من جنس الماكولات والمشروبات فيه تغليب او اكتفاء فافنى
اي فاعدمها او لبس اي من الثياب فابلى اي فاخلقها او اعطى اي الله تعالى فاقتنى اي جعله قنية وذخيرة
للعقبى وما سوى ذلك اي وما عدا ما ذكر من سائر انواع المال من المواشي والعقار والخدم والنقود
والجواهر ونحو ذلك فهو اي العبد ذاهب اي عنه وتاركه للناس اي من الورثة وغيرهم بلا نائبة راجعة
اليه مع ان مطالبته المحاسبة والمعاقبة عليه رواه مسلم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتبع الميت اي الى قبره ثلاثة اي من انواع الاشياء فيرجع اثنان اي الى مكانهما ويتركانه
وحده ويبقى معه واحد اي لا ينفك عنه يتبعه اهله اي اولاده واقاربه واهل صحبته ومعرفته وماله

كالعبيد

كالعبيد والاماء والدابة والخيمة ونحوها قال المظهر اراد بعض ماله وهو مماليكه وقال الطيبي اتباع الاهل
على الحقيقة واتباع المال على الاتساع فان المال حينئذ له نوع تعلق بالميت من التجهيز ومؤنة الغسل وكذا
والدفن فاذا دفن انقطع تعلقه بالكلية وتمهله ابن الصلاح وغيره فيرجع اهله وماله اي كما نشاهد قاله
وماله ويبقى اي معه عمله اي ما يترتب عليه من ثواب وعقاب ولذا قيل القبر صندوق العمل وفي الحديث
القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران متفق عليه وعن عبد الله بن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم مال وارثه احب اليه من ماله اي من مال نفسه قالوا
يا رسول الله ما منا احد الا ماله احب اليه من مال وارثه قال فان ماله اي حقيقة ما قدم اي
ما قدمه في مؤنة بارساله الى الدار الآخرة فانه النافع الباقي له فيها قال تعالى وما تقدموا لانفسكم
من خير تجدوه عند الله ومال وارثه ما اخر اي ما خلفه لهم حيث يفعلون فيه ما قدر الله عليهم
من خير او شر قال تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت رواه البخاري وعن مطرف بضم الميم وكسر
الراء المشددة عن ابيه اي عبد الله بن الشخير بكسر فتشديد ومر ذكره قال اتيت النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يقرأ الهاكم التكاثر اي اشغلكم كثرة المال قال يقول ابن آدم اي بكونه ظلوما جهولا في حمل
الامانة المانعة عن الخيانة مالي مالي اي يغتر بنسبة المال اليه ويفتخر به اخرى قال الطيبي تكرار للتاكيد ورد
لتوهم ان يكون من قول الراوي وهل لك اي وهل يحصل لك من المال وينفعك في المآل يا ابن آدم
الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت اي فامضيته من الاتلاف والابلا
وابقيته لنفسك يوم الجزاء قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقال عز وجل من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم رواه مسلم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس الغنى اي المعتبر عند ارباب الحقيقة ناشئا صادرا عن كثرة العرض وهو في اليد
من الامور العارضة والاموال الحادثة وهو بفتح العين والراء اي متاع الدنيا وحطامها على
ما في النهاية وقال شارح العرض بالتحريك يتناول النقود وغيرها من الاموال وبالسكون
لا يتناول النقود قال الطيبي وشاهد مثلها في قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها الكشاف
اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنه ولكن بتشديد النون
ويجوز تخفيفه الغنى اي الغنى الحقيقي غنى النفس اي عن المخلوق لاستغناء القلب باغناء الرب
والمعنى ان الغنى الحقيقي هو قناعة النفس بما اعطاه المولى والتجنب عن الحرص في طلب الدنيا
فمن كان قلبه حريصا على جمع المال فهو فقير في حقيقة الحال ونتيجة المآل وان كان له كثير
من الاموال لانه محتاج الى طلب الزيادة بموجب طول الامد ومن كان له قلب قانع بالقوت
وراضيه بعطيه مالك الملك والملكوت فهو غني بقلبه مستغن عن الغير برتبه سواء يكون في
يده مال او لا اذ لا يطلب الزيادة على القوت ولا يتعب لنفسه في طلب الدنيا الى ان يموت بل
يستغني بالقليل من الدنيا لتحصيل الثواب بالجميل في العقبى والثناء الجزيل من المولى رزقنا
الله المقام الاعلى وفي الحديث القناعة كنز لا يفنى وفي رواية لا ينفد وما احسن من قال
من ارباب الحال ۵

۵ عزيز النفس من لزم القناعة ۵ ولم يكشف لمخلوق قناعه ۵

قال الاشرف المراد بغنى النفس القناعة ويمكن ان يراد به ما يسد الحاجة قال الشاعر

۵ غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة ۵ فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا ۵

قال الطيبي ويمكن ان يراد بغنى النفس حصول الكمالات العلمية والعملية وانشد ابو الطيب معنى

۵ ومن ينفق الساعات في جمع ماله ۵ مخافة فقر فالذي فعل الفقر ۵

يعني ينبغي ان ينفق الساعات واوقاته في الغنى الحقيقي وهو طلب الكمالات ليزيد غنى بعد غنى لا

المال لانه فقر بعد فقر انه يو ... وقد قال بعضهم ارباب الكمال
رضينا قسمة الجبار فينا ... لنا علم وللاعداء مال
فان المال يفنى عن قريب ... وان العلم يبقى لا يزال

ومن المعلوم ان المال ارث فرعون وقارون وسائر الكفار والتجار وان العلم ارث الانبياء والاولياء والعلماء الابرار متفق عليه ورواه احمد والترمذي وابن ماجة انتهى

الفصل الثاني

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياخذ عني هؤلاء الكلمات اي الاحكام الاتية المسامع المصورة في ذهن المتكلم ومن للاستفهام فيعمل بهن او يعلم من يعمل بهن او بمعنى الواو كما في قوله تعالى عذرا او نذرا ذكره الطيبي وتبعه غيره والظاهر انها في الاية للتنويع لا اشار اليه البيضاوي بقوله عذرا للمحققين او نذرا للمبطلين ويمكن ان يكون او في الحديث بمعنى بل اشارة الى الترقي من مرتبة الكمال الى مرتبة التكميل على ان كونها للتنويع وجه وجيه وتنبيه نبيه على ان العاجز عن فعله قد يكون باعثا لغيره على مثله كقوله فرب حامل فقه الى من هو افقه منه فقلت انا ابا خذها عنك يا رسول الله وهذه مبالغة خاصة وتمامها هذه خالصة نظير ما عاهد بعض الصحابة به انه لا يسال مخلوقا وكان اذا وقع سوطه من يده نزل واخذه من غير ان يستعين باحد من اصحابه فاخذ بيدي اي تحقيقا للقضية وتقريبا للمخصوصية فعد خمسا اي من الخصال او من الاصابع على ما هو المتعارف واحدة بعد واحدة فقال اتق المحارم وهي شاملة لجميع المحرمات من فعل المنهيات وترك المامورات تكن اعبد الناس اذ لا عبادة افضل من الخروج عن عهدة الفرائض وعوام الناس يتركونها ويعتنون بكثرة النوافل فيضيعون الاصول ويفوتون بالفضائل فربما يكون في ذمتهم قضاء صلوات ويغفلون عن ادائها ويطلب علما او يجتهد شهرا في طواف وعبادات نفلا او يكون في ذمته احد من الزكاة او حقوق الناس فيطعم الفقراء ويبني المساجد والمدارس ونحوها ولعل التعبير بالاتقاء اعتناء بجانب الاحتما على قاعدة الحكماء ان الحمية مقدمة على معالجة الداء بالدواء وارض بما قسم الله لك اي بما يقع لك بواسطة مخلوق او بغير تكن اغنى الناس سال شخص السيد ابا الحسن ان يدله على الكيميا فقال هي كلمتان اطرح الخلق عن نظرك واقطع طمعك عن الله ان يعطيك غير ما قسم لك وقال السيد عبد القادر الجيلي ... النفس لا يفوتك بترك الطلب وما ليس بقسم لا تناله بحرصك في الطلب والجد والاجتهاد فاصبر والزم الحال وارض به ليرضى عنك ذو الجلال واحسن الى جارك اي ولو اساء اليك تكن مؤمنا اي كاملا او مطيعا له لا من لقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يا من جاره بوائقه اي شره وغوائله واحب للناس اي ... ما تحب لنفسك اي مثل ما تحبه لك خاصة حتى تحب الايمان للكافر والتوبة للفاجر ونحو ذلك تكن مسلما اي كاملا وهذا الحديث اتم من حديث المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه وقد استشهد الطيبي به ولا ظهر فيهما اعتضده لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ولا تكثر الضحك اي تكثر طيب القلب وحيا بذكر الرب فان كثرة الضحك اي المورث للغفلة عن الاستعداد للموت وما بعده من الزاد للمعاد يميت القلب اي ان كان حيا ويزيد سواده ان كان ميتا رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث غريب وفي التصحيح للجزري رواه الترمذي من حديث الحسن عن ابي هريرة والحسن لم يسمع من ابي هريرة قال وروى ابو عبيدة الباجي عن الحسن هذا الحديث قوله ولم يذكر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال المنذري بعد نقل قول الترمذي الحسن لم يسمع من ابي هريرة قال وروى ابو عبيدة الباجي عن الحسن هذا الحديث قوله ولم يذكر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال المنذري بعد نقل قول الترمذي الحسن لم يسمع من ابي هريرة رواه البزار والبيهقي بنحوه في كتاب الزهد له عن مكحول عن واثلة لكن بقية اسناده فيه ضعف

ذكره

رضي الله تعالى عنه

ذكره ميرك وفيه ان الحديث الحسن اعتضد بحديث مكحول فيرتقي من درجة الضعف مع انه معتبر في فضائل الاعمال اجماعا وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يا ابن ادم خص بالنداء لانه عمدة العابدين واضيف الى ادم اشعارا بانه ينبغي في مرتبة التابعين تفرغ لعبادتي اي بالغ في فراغ قلبك لعبادتي املا صدرك غنى اي حسي قلبك علوما ومعارف تورث الغني عن غير المولى واسد فقرك اي واسد باب حاجتك الى الناس وهو بفتح الدال المشددة في النسخ المصححة بعطفه على المجزوم من جواب الامر وفي نسخة بضمها لمتابعة عينها وقد جوز في لم يمد الحركات الثلاث مع الادغام وان لا تفعل اي ما امر من الاعراض عن الدنيا والاقبال على عبادة المولى انا فقعة في الدنيا والاخرى ملات يدك اي جوارحك كما يدل عليه رواية بدنك وفي الجامع يديك بصيغة التثنية وانما خصت اليد لمزاولة اكثر الافعال بها شغلا بضم فسكون ويجوز ضمهما وفتحهما وفتح فسكون على ما في القاموس اي اشتغالا من غير منفعة ولم اسد فقرك اي لا يشغلك ولا مع غيره وحاصله انك تتعب نفسك بكثرة التردد في طلب المال ولا تنال الا ما قدرت لك من المال في الازل وتحرم عن غنى القلب لترك عبادة الرب رواه احمد وابن ماجة وكذا الترمذي والحاكم على ما ذكر في التصحيح والجامع رواه الترمذي وابن ماجة من طريق ابي خالد الوالبي واسمه هرم ويقال زهرم عن ابي هريرة قال ابن عدي في حديث ابي خالد خالد لين وقال الحافظ المنذري في الترغيب رواه ابن ماجة والترمذي واللفظ له وقال حديث حسن وابن حبان في صحيحه باختصار الا انه قال بدنك شغلا والحاكم وقال صحيح الاسناد والبيهقي في كتاب الزهد قال ميرك وله شاهد من حديث معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ربكم يا ابن ادم تفرغ لعبادتي املا قلبك غنى واملا يديك رزقا يا ابن ادم لا تباعد مني املا قلبك فقرا واملا يديك شغلا رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وروى ابن عساكر والديلمي في مسند الفر

ذوس

عن ابن عباس مرفوعا خير سليمان بين المال والملك والعلم فاختار العلم فاعطي الملك والمال لاختياره العلم وروى البيهقي عن عمران بن حصين مرفوعا من انقطع الى الله وكله الله اليها وروى الديلمي في مسند الفردوس عن ابي هريرة والبيهقي عن علي مرفوعا ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب وعن جابر قال ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة واجتهاد اي في طاعة مع قلة ورع عن معصية والتنوين فيهما للتعظيم او للتنكير وذكر اي عنده اخر برعة بكسر الراء وزن عدة اي بورع من حرام مع قلة عبادة والمعنى انه طلب منه صلى الله عليه وسلم بيان الافضل منهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعدل بصيغة الفاعل مجزوما وقيل بصيغة المفعول مرفوعا اي لا تزن ولا يقابل العبادة بالرعة يعني بالورع تفسير من الراوي والمراد بالورع التقوى عن المحرمات فانه قد يقتضي الا امتثال الواجبات من العبادات قال المظهر لا تعدل يجوز ان يكون نهيا عن المخاطب المذكور مجزوم اللام يعني لا تقابل شيئا بالرعة وهو بكسر الراء وتخفيف العين الورع فان الورع افضل كل خصلة ويجوز ان يكون خبرا منفيا بفتح التاء وفتح الدال اي لا يقابل خصلة بالورع فانه افضل الخصال قال الراغب الورع في عرف الشرع عبارة عن ترك التسرع الى تناول اعراض الدنيا وذلك ثلاثة اضرب واجب وهو الاحجام عن المحارم وذلك للناس كافة وندب وهو الوقوف عن الشبهات وذلك للاوسط وفضيلة وهو الكف عن كثير من المباحات والاقتصار على اقل الضرورات وذلك للنبيين والصديقين

والشهدا والصالحين رواه الترمذي قال الطيبي وقد الحق في بعض نسخ المصابيح بعد قوله
الغدل بالرعة قوله شيا وليس في جامع الترمذي واكثر نسخ المصابيح منه اثر تلك
وفي الجامع لا يعدل بصيغة المذكر المجهول في الجار والمجرور نايب الفاعل وفوطاهر
جراحبك لا يحتاج الى تقدير شيء مطلقا وعن عمرو بن ميمون الاودي بفتح فسكون فمهملة
نسبة الى اود بن صعب ذكره السيوطي وقال المؤلف ادرك الجاهلية واسلم في حياة النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يلقه وهو معدود في كبار التابعين من اهل الكوفة روى عن عمر
ابن الخطاب ومعاذ بن جبل وابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لرجل وهو يعظه اغتنم من الاغتنام وهو اخذ الغنيمة خمسا من الاحوال الموجودة
في الحال قبل خمس من العوارض المتوقعة في الاستقبال شبابك اي زمان قوتك
على العبادة قبل هرمك بفتحتين اي قبل كبرك وضعفك عن الطاعة وصحتك اي ولو
في هرمك قبل سقمك بفتحتين وبضم فسكون اي مرضك وغناك اي قدرتك على العبادات
المالية والخيرات والمبرات الاخروية في مطلق الاحوال ومن اعم الاموال قبل فقرك
اي فقدك اياه بحياة او ممات فراغك اي فراغ البال في صدر الزوال وفراغك قبل شغلك سبق
بيانه مبناه ومعناه وحياتك ولو في الكبر المقرون بالمرض والفقر الممكن فيه الاتيان
بذكر الله قبل موتك اي وقت اتيان اجلك وانقطاع عملك رواه الترمذي مرسلا قال
الجزري في التصحيح حديث عمرو بن ميمون رواه النسائي هكذا مرسلا وعمرو بن ميمون
تابعي كبير من المخضرمين ادرك الجاهلية واسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم
يلقه قال ميرك وله شاهد مرفوع من حديث ابن عباس بهذا اللفظ اخرجه الحاكم
وقال صحيح على شرطهما قلت وفي الجامع بلفظ خمس قبل خمس حياتك قبل موتك
وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك
رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عباس مرفوعا ورواه احمد في الزهد وابو نعيم في الحلية
والبيهقي عن ابن عمرو بن ميمون مرسلا وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما ينتظر احدكم خرج مخرج التوبيخ على تقصير المكلفين في امر دينهم اي متى تعبدون ربكم
فانكم ان لم تعبدوه مع قلة الشواغل وقوة البدن فكيف تعبدونه مع كثرة الشواغل وضعف
القوى لعل احدكم ما ينتظر الا غنى مطغيا اي جاعلك طاغيا اي عاصيا مجاوزا للحد او فقرا
منسيا من باب الافعال ويجوز ان يكون من باب التفعيل ولكن الاول اولى مشاكلة
للاولى اي جاعلا صاحبه مدهوشا فتنسيه الطاعة من الجوع والعري والتردد في طلب
القوت او مرضا مفسدا اي للبدن لشدته او للدين لاجل الكسل الحاصل به او هرما مفندا
بالتخفيف او مبلغا صاحبه الى الفند وهو ضعف الرأي يقال افند اذا جعله ذا رأي ضعيف
وقال شارح يقال فند الرجل اذا كثر كلامه من الخرف والفند الكبر يعني الذي لا يدري
ما يقول من كبره انتهى والاظهر ان التعبير للتنبيه الى الخرف ومنه قوله تعالى حكاية
عن يعقوب عليه السلام اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون قال البيضاوي اي
تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم وفي القاموس الفند بالتحريك
الخرف وانكار العقل لهرم او مرض والخطاء في القول والرأي والكذب كالافناد وتفنيده
تكذيبه وتعجيزه وتخطئة رأيه كافناده ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن ذات رأي ابدا انتهى
ولذا قال البيضاوي معللا بكون نقص عقلها ذاتي اقول ولا شك ان نقصان
عقلها اضافي ومع هذا الاتي في صحة اطلاقه عليها النقصان العرضي وفي النهاية الفند

في الاصل الكذب وافند تكلم بالفند وفي الفائق قالوا للشيخ اذا هرم قد افند لانه يتكلم بالمحرف من الكلام
عن سنن الصحة فشبه بالكاذب في تحريفه والهرم المفند من اخوات من قولهم نهار صائم وجعل الفند
للهرم ويقال ايضا افنده الهرم وفي كتاب العين شيخ مفند يعني منسوب الى الفند ولا يقال امرأة مفندة
لانها لا تكون في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها قال التوربشتي نعوذ منه الرواية فيه بالتخفيف
ومن شدد فليس بمصيب او موتا مجهزا بالتخفيف اي قاتلا من غير ان يقدر على توبة ووصية في النهاية
المجهز هو السريع يقال اجهز على الجريح اذا اسرع قتله قال القاضي الموت المجهز المسرع يريد به الفجاة ونحوها
مما لم يكن بسبب مرض وكبر سن كقتل وغرق وهدم او الدجال فالدجال وفي نسخة والدجال شر غايب
ينتظر اي اسوأ […] او الساعة اي القيامة والساعة ادهى اي اشد الدواهي وافظعها واصعبها وامر اي اكثر مرارة
من جميع ما يكابده الانسان في الدنيا من الشدايد لمن يغفل عن امرها ولم يعد لها قبل حلولها قال الطيبي
الفايق قوله قال الزجاج في تفسيره لانه فسر ما ابهم مما سبق والواو في والساعة نايبة مناب الفاء
المناسبة للعطف قلت الظاهر ان الواو للحال والله اعلم وحاصل الحديث انه استنبطا
لمن تفرغ عن امر دينه ولا يغتنم الفرصة فيه فالمعنى ان الرجل في الدنيا ينتظر احد الحالات المشهورة
فالسعيد من انتهز الفرصة فاغتنم المهلة واشتغل باداء مفترضة ومسنونة قبل حلول رمسه وهذه
موعظة بليغة وتذكرة بالغة رواه الترمذي والنسائي وعنه اي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الا للتنبيه ان الدنيا ملعونة اي مبعودة عن الله لكونها مبعدة عن الله ملعون ما فيها
اي مما يشغل عن الله الا ذكر الله بالرفع وفي نسخة بالنصب وهو استثناء منقطع وما والاه
اي احبه الله من اعمال البر وافعال القرب او معناه ما والى ذكر الله اي قاربه من ذكر خير او تابعه
من اتباع امره ونهيه لان ذكره يوجب ذلك قال المظهر اي ما يحبه الله في الدنيا والموالاة المحبة
بين اثنين وقد تكون من واحد وهو المراد هنا يعني ملعون ما في الدنيا الا ذكر الله وما احبه الله
مما يجري في الدنيا وما سواه ملعون وقال الاشرف هو من الموالاة وهي المتابعة ويجوز ان يراد بما
يوالي ذكر الله تعالى طاعته واجتناب نهيه وعالم او متعلم او بمعنى الواو للتنويع فيكون الواو بمعنى
او قال الاشرف قوله وعالم او متعلم في اكثر النسخ مرفوع واللغة العربية تقتضي ان يكون عطفا
على ذكر الله فانه منصوب مستثنى من الموجب قال الطيبي هو في جامع الترمذي هكذا وما
والاه وعالم او متعلم بالرفع وكذا في جامع الاصول الا ان بدل او فيه الواو وفي سنن ابن ماجة
او عالما او متعلما بالنصب مع او منكرا والنصب في القراين الثلاث هو الظاهر والرفع فيها على التأويل
كانه قيل الدنيا مذمومة لا يحمد فيها الا ذكر الله وعالم او متعلم قال في مختصر الاحيا الدنيا
ادنى المنزلتين وكذلك سميت دنيا وهي معبرة الى الاخرة والمهد هو الميل الاول واللحد هو الميل
الثاني وبينهما مسافة في القنطرة وهي عبارة عن اعيان موجودة للانسان فيها حظ وله في
اصلاحها شغل وهي الاعيان الارض وما عليها من النبات والحيوان والمعادن ويعني بالحظ
حبها فيندرج فيها جميع المهلكات الباطنة كالربا والحقد وغيرها ويعني بقوله له في اصلاحها
شغلا انه يصلحها بحظ له ولغيره دنيوي او اخروي فيندرج فيه الحرف والصناعات واذا عرفت
حقيقة الدنيا فدنياك ما لك فيه لذة في العاجل وهي مذمومة فليست وسايل العبادات
من الدنيا كاكل الخبز مثلا للتقوي عليها واليه الاشارة بكون الدنيا مزرعة الاخرة وبقوله صلى
الله عليه وسلم الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا ما كان لله وقال ابن عباس ان الله تعالى جعل
الدنيا ثلاثة اجزاء جزء المؤمن وجزء المنافق وجزء الكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر
يتمتع قال الطيبي وكان من حق الظاهر ان يكتفي بقوله وما والاه لاحتوائه على جميع الخيرات
والفاضلات ومستحسنات الشرع ثم بينه في المرتبة الثانية بقوله والعلم تخصيصا بعد التعميم

دلالته في تفصيله فعدل الى قوله عالم ومتعلم نفخيما لشانهما صريحا بخلاف ذلك التركيب فان دلالة
عليه بالالتزام وليؤذن بان جميع الناس سوى العالم والمتعلم همج ولينبه على ان العالم والمتعلم العلما
بالله الجامعون بين العلم والعمل فيخرج منه الجهلاء والعالم الذي لم يعمل بعلمه ومن تعلم علم الفضول
ومالا يتعلق بالدين وفي الحديث ان ذكر الله راس كل عبادة بل هو كالحياة للابدان والروح للا
وهل للانسان شرف الحياة في وقد قيل عن الروح معدن وان سبيت فلست ببقاء الدنيا وقيام السموات
والارض روى عن مسلم قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة على احد يقول الله فالحديث اذا
من بدايع الحكم وجوامع الكلم الذي خص بها هذا النبي المكرم صلى الله عليه وسلم لانه دل بالمنطوق
على جميع الخلال الحميدة وبالمفهوم على رذايلها رواه الترمذي اي وقال حسن وابن ماجه وكذا
البيهقي وفي الجامع نسب اليهما بدون لفظ الا وبالنصب لفظا او في قوله عالما او متعلما وهذا في باب
المهمة واما في باب الدال فقال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان منها لله عز وجل رواه ابو
نعيم في الحلية والضياء عن جابر وايضا الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما
او متعلما رواه ابن ماجه عن ابي هريرة والطبراني في الاوسط عن ابي سعيد وايضا الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا امرا بمعروف او نهيا عن منكر او ذكر الله رواه البزار عن ابن مسعود وايضا
الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما ابتغي به وجه الله عز وجل رواه الطبراني عن ابي الدرداء وعن
سهل بن سعد الساعدي الانصاري صحابي جليل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو كانت الدنيا تعدل بفتح التاء وكسر الدال اي تزن وتساوي عند الله جناح بعوضة اي ريشة
تامونة وهو مثل للقلة والحقارة والمعنى انه لو كان لها ادنى قدر ما سقى كافرا منها اي من مياه
الدنيا شربة ما اي يمنع الكافر منها ادنى تمتع فان الكافر عدو الله والعدو لا يعطى شيئا
مما له قدر عند المعطي فمن حقارتها عنده لا يعطيها اولياءه كما اشار اليه حديث ان الله يحمي
عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي احدكم المريض عن الماء وحديث ما زويت الدنيا عن احد الا كانت
خيرا له ومن كلام الصوفية ان من العصمة ان لا يقدر وفي دعائه صلى الله عليه وسلم الجامع المانع
القائم في مقام الرضا القانع بما جرى عليه من القضاء اللهم ما رزقتني مما احب فاجعله قوة لي
فيما تحب اللهم وما زويت عني مما احب فاجعله فراغا لي فيما تحب ومن دعائه لدينه يكره في الكفاف
والغنى ربنا قال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من
فضة الاية وقال صلى الله عليه وسلم لعمر اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة قال تعالى وما
عند الله خير للابرار ورزق ربك خير وابقى رواه احمد والترمذي وابن ماجه وكذا الضيا وقال
الترمذي حديث صحيح وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا
الضيعة وهي البستان والقرية والمزرعة وفي النهاية الضيعة في الاصل المرة من الضياع
وضيعة الرجل ما يكون منه معاشه كالصنعة والتجارة والزراعة وغير ذلك فترغبوا في الدنيا
اي فتميلوا اليها عن الاخرة والمراد النهي عن الاشتغال بها وبامثالها مما يكون مانعا عن القيام
بعبادة المولى وعن التوجه كما ينبغي الى امور العقبى وقال الطيبي المعنى لا تتوغلوا في اتخاذ الضيعة
فتلهوا بها عن ذكر الله قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الاية رواه الترمذي
والبيهقي في شعب الايمان وكذا احمد والحاكم وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من احب دنياه اي حبا يغلب على حب مولاه اضر باخرته بالتعدية وكذا في الموضع الاتي اي
نقص درجته في الاخرة لانه يشغل ظاهره وباطنه بالدنيا فلا يكون له فراغ للامر الاخروي والطاعة
المولى ومن احب اخرته اضر بدنياه اي بعدم توجه فكره وخاطره لامرها لاشتغاله بامر الاخرة ومهما
فاثروا الترتيب في ما بعد او جواب شرط مقدر كانه قال اذا عرفتم انهما ضدان لا يجتمعان ولذا قال

بحب

صلى الله عليه وسلم اجوعكم في الدنيا اشبعكم في العقبى ورب كاسية في الدنيا عارية في الاخرى وقال
تعالى في الخوان عنه خانصة ما نفقة خاثروا بالمداين فاختاروا ما يبقى على ما يفنى فان العاقل يختار
الخزف الباقي على الذهب الفاني فكيف والامر بالعكس وكذا قال القرطبي اقتر العلم بل اقل الاهتمام
بل اقل العقلاء ان يعرف هنا حيث ان الدنيا فانية وان الاخرة باقية ونتيجة العلم ان نعرض عن
الفاني ونقبل على الباقي وعلامته الاقبال على العقبى والاعراض عن الدنيا والاستعداد للموت
قبل نزول الميعاد وظهور المعاد قال الطيبي اي هما ككفتي ميزان فاذا رجحت احدى الكفتين
خفت الاخرى وبالعكس وذلك ان محبة الدنيا سبب لاشتغاله بها والانهماك فيها وذلك للا
عن الاخرة فيخلو عن الذكر والفكر والطاعة فيفوت الفوز بدرجاتها وثوابها وهو عين المضرة
سوى ما يتوقاه من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصايب
حفظ الاموال وكسبها في البلاد رواه احمد ورواته ثقاة والبيهقي في شعب الايمان
وكذا الحاكم في مستدركه وروى الخطيب في الجامع عن انس مرفوعا خيركم من لم يترك اخرته
لدنياه ولا دنياه لاخرته ولم يكن كلا على الناس وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لعن عبد الدينار لعن عبد الدرهم كذا بالعطف في الاصول المعتمدة والنسخ المصححة
ووقع في الجامع بغير الواو العاطفة والله اعلم ونظيره من حديث تعس عبد الدنيا وقد تقدم
رواه الترمذي وعن كعب بن مالك الانصاري الخزرجي شهد العقبة الثانية عن ابيه هكذا
في النسخ الحاضرة جميعها وهو سهو قلم وخطا وكذا قال ميرك صوابه عن ابن كعب بن
مالك عن ابيه او عن كعب بن مالك بدون عن ابيه وقال السيد جمال الدين هكذا وقع في
اكثر نسخ المشكاة التي رايناها وكذلك وجدناه في غير واحد من نسخ المصابيح وهو سهو
والظاهر انه كان وافق من كتاب المصابيح ووقع من صاحب المشكاة تقليدا وصوابه
عن كعب بن مالك عن ابيه كما في اصل الترمذي والابن المذكور هو عبد الله كما هو مصرح
في جامع الاصول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان بهمزة ساكنة ويبدل
جايعان صفة لذئبان والمبالغة ارسلا اي خليا وتركا في غنم اي في قطيعة غنم بافسد لها زايدة
اي اكثر فسادا لها اي لتلك الغنم والتانيث باعتبار الجنس او القطعة من حرص المرء المشبه
بالذئبين لمفعوله بالسين ظاهرا وباطنا وهو قوله على المال والشرف اي الجاه والرفعة
وقوله لدينه متعلق بافسد والمعنى ان حرص المؤمن عليهما اكثر افسادا لدينه المشبه بالغنم
لضعفه بجنب حرصه من افساد الذئبين للغنم قال الطيبي ما بمعنى ليس وذئبان اسمها
وجايعان صفة له وارسلا في غنم الجملة في محل الرفع على انها صفة وقوله بافسد خبر لما والبا
زايدة وهو افعل تفضيل اي باشد افسادا والضمير في لها للغنم واعتبر فيها الجنسية
فلذا انث وقوله من حرص المرء هو المفضل عليه لاسم التفضيل وقوله على المال
يتعلق بالحرص والشرف عطف على المال والمراد الجاه وقوله لدينه اللام فيه بيان كما في قوله تعالى
لمن اراد ان يتم الرضاعة لانه قيل بافسد لاي شي قيل لدينه ومعناه ليس ذئبان جايعان
ارسلا في جماعة من جنس الغنم باشد افسادا لتلك الغنم من حرص المرء على المال والجاه فان
افساده لدين المرء اشد من افساد الذئبين الجايعين لجماعة من الغنم اذا ارسلا فيها واما المال
فافساده انه نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات ويجر الى التنعم في المباحات فيصير
التنعم مالوفا وربما يشتد انسه بالمال ويعجز عن كسب الحلال فيقتحم في الشبهات
مع انها ملهية عن ذكر الله تعالى وهذه لا ينفك عنها احد واما الجاه فكفى به افسادا ان
المال يبذل للجاه ولا يبذل الجاه للمال وهو الشرك الخفي فيخوض في المرايات والمداهنة

اشتغال

لسته

والنفاق وسائر الاخلاق الذميمة فهو اسفل الناس وقد قالت السادة الصوفية اذا خرج يخرج
من راس الصديقين حب الجاه فاذا كان ذلك وان كان في الامور العلمية والعملية والمشيخة والحالات
الكشفية ثم حب النظر الى المخلوق والغفلة عن الغيبة الربوبية او الرؤية الانسية بعد ظهور
انوار الاحدية يحجب السالك عن الخلق في الخلوة بوصف البقاء بالله والفناء عما سواه هذا وقد
روى صاحب الكشاف في ربيع الابرار عن ابن مسعود رضي الله عنه يكون الرجل مرائيا في حياته
وبعد موته قيل كيف ذلك قال يحب ان تكثر الناس في جنازته رواه الترمذي والدارمي
لعل لفظ الحديث للترمذي والاحق الترتيب ان يقدم الدارمي فانه روى عنه مسلم وابو
داود والترمذي وغيرهم هذا وفي الجامع رواه احمد والترمذي عن كعب بن مالك من
غير ذكر ابيه وعن خباب بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الاولى وهو ابن الارت بفتحتين وتشديد
الفوقية يكنى ابا عبد الله التميمي وانما لحقه سباء في الجاهلية فاشترته امراة من خزاعة
واعتقته اسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهو ممن عذب في الله على الاسلام
فصبر نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين وله ثلاث وسبعون سنة روى عنه جماعة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما انفق مؤمن من نفقة الا اجر بصيغة المجهول اي اثيب فيها
اي في تلك النفقة او انفاقها الا نفقته بالنصب على الاستثناء من الموجب لان النفي عاد الى
الايجاب بالاستثناء الاول فيما جعله في هذا التراب اي البناء فوق الحاجة وهذا للتحقير وقيد التراب
كناية عن البدن وما يحصل له من اللذة الزائدة على قدر الضرورة الدينية والدنيوية قال الطيبي
نفقته منصوبة على الاستثناء من الكلام الموجب اذ المستثنى منه مستثنى من كلام منفي
فيكون موجبا رواه الترمذي وابن ماجه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
النفقة كلها في سبيل الله اي ثابتة في طريق رضاه الا البناء اللام للعهد اي الا البناء الزائد
على مقدار الحاجة فلا خير فيه لوقوع الاسراف وان الله لا يحب المسرفين واما النفقة فلا
يتصور فيه السرف لانه من باب الاطعام والانعام وكل منهما سؤله وقطع لمستحق وغيره
من الانام والفاء في قوله فلا خير فيه تفريعية وهي ثابتة في جميع النسخ الحاضرة وكانه
وقع في اصل الطيبي بالواو حيث قال في شرحه قوله ولا خير فيه حال موكدة من الجملة رواه
الترمذي وقال حديث غريب وعنه اي عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج يوما اي وقتا ونحن معه فرأى قبة مشرفة اي بناء عاليا فقال ما هذه
استفهام انكاري اي ما هذه العمارة المنكرة ومن بانيها قالوا اصحابه هذه لفلان رجل
بالجر وفي نسخة بالرفع من الانصار فسكت وحملها اي اضمر تلك الفعلة في نفسه غضبا
على فاعلها في فعلها وفي اساس البلاغة حملت الحقد عليه اذا اضمرته قال الشاعر

ولا احمل الحقد القديم عليهم * وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

حتى لما جاء صاحبها يسلم اي صاحبها عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم في الناس اي بحضرتهم
او فيما بينهم فاعرض عنه اي فلم يرد عليه السلام او رد واعرض عن الالتفات اليه كما هو دأبه
من الملاطفة لديه صلى الله عليه وسلم ادبا له وتنبيها لغيره صنع ذلك مرارا ولا يبعد ان
يكون جوابا لما ويحتمل ان يكون مدخول حتى ولما الحينية ظرف معترضة بين العامل والمعمول
ان يقدر جوابه لما اي كرهه فاعرض عنه وقوله حتى عرف الرجل الغضب فيه اي عرف ان الغضب
كان لاجله والاعراض عنه اي بسببه فشكا ذلك اي ما رآه من اثر الغضب والاعراض الى
اصحابه اي اصحابه خلصها واصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم وقال تفسير لما قبله والله
لانكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ارى منه ما لم اعهد من الغضب والكراهة والاعراض

له سبب وفي نسخة الى رسول الله ولا ينظر لها وجه قالوا اخرج فراى قبتك فرجع الرجل الى قبته
فهدمها حتى سواها بالارض اختيارا لرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه وما هواه
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلم يرها اي القبة قال استئناف بيان ما فعلت
القبة بصيغة الفاعل وفي نسخة على بناء المجهول قالوا شكى الينا صاحبها اعراضك اي بسببه
فاخبرناه اي بانه لاجل بنائك القبة فهدمها فقال اما بتخفيف الميم للتنبيه اي كل بناء بكسر
الموحدة وهو اما مصدر او اريد به المبني وبال على صاحبه الا ما لا الا ما الا كررت للتأكيد يعني الا
ما لا بد منه اي فان في معنى الحديث ان كل بناء بناه صاحبه فهو وبال اي عذاب في الاخرة
والوبال في الاصل الثقل والمكروه واراد ما بناه للتفاخر والتنعم فوق الحاجة الا ابنية
الخير من المساجد والمدارس والرباطات فانها من الاخرة وكذا ما لا بد منه للرجل من القوت
والملبس والمسكن رواه ابو داود وروى البيهقي عن انس مرفوعا كل بناء وبال على صاحبه
يوم القيامة الا مسجدا وروى الطبراني عن واثلة مرفوعا كل بنيان وبال الا ما كان هكذا
واشار بكفه وكل علم وبال على صاحبه يوم القيامة الا ما عمل به وعن ابي هاشم بن عتبة بضم
عين وسكون فوقية فموحدة بعدها تاء قال المؤلف شيبة عن عتبة بن ربيعة القرشي وهو خال
معاوية بن ابي سفيان اسلم يوم الفتح وسكن الشام وتوفي في خلافة عثمان وكان فاضلا
صالحا روى عنه ابو هريرة وغيره قال عهد الي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اوصاني فقال
بدل من عهد او تفسير وبيان للعهد واختار الطيبي الاول حيث قال بدل منه بدل
الفعل من الفعل كما في قوله

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

ابدل تلمم بنا من قوله تأتنا انما يكفيك من جميع المال اي للوسيلة بجنس المال خادم
اي في السفر لضرورة الحاجة اليه ومركب اي مركوب تبتاع عليه في سبيل الله اي في الجهاد
او الحج او طلب العلم والمقصود منه القناعة والاكتفاء بقدر الكفاية مما يصلح ان يكون زادا
للاخرة لما رواه الطبراني والبيهقي عن خباب انما يكفي احدكم ما كان في الدنيا مثل زاد الراكب
رواه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وفي الجامع من قوله انما يكفيك الخ ونسبه
الى الثلاثة الاخيرة عن ابي هاشم بن عتبة والحديث تتمة قصة تأتي في الفضائل قال
وفي بعض نسخ المصابيح عن ابي هاشم بن عتبة بضم فسكون فوقية ففتح موحدة بالدال
اي المهملة المنونة بدل التاء اي الفوقية الواقعة في اخر لفظ عتبة وهو تصحيف اذ لم يوجد
في الاسماء مخالفته لما سبق من الضبط الواقع في الاصول وهنا تحريف في بعض النسخ
وبعض الحواشي ايضا فاحذر فان الصواب ما حرر وعن عثمان رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ليس لابن آدم حق اي حاجة في سوى هذه الخصال قال الطيبي موصوف
سوى محذوف اي شيء سوى هذه انتهى وفي نسخة موافقة لما في الجامع فيما سوى هذه
الخصال والمراد بها ضروريات بدنه المعين على دينه بيت بالجر وروي بالرفع وكذا ما بعده
من الخصال المبينة يسكنه اي دفع الحر والبرد وثوب يواري يستر به عورته عن اعين الناس
او حال الصلوات لكونه شرطا فيها وجلف الخبز بكسر جيم وسكون لام ويفتح ففي القاموس
الجلف بالكسر الغليظ اليابس من الخبز عن المادوم او حرف الخبز والظرف الوعاء وقال شارح
الجلف ظرفها من جراب وركوة واراد المظروف والاظهر انه اراد الظرف والمظروف واكتفى
بذكر احدهما عن الاخر لتلازمهما في الحاجة والماء بالجر عطفا على الجلف او الخبز وهو الظاهر
المفهوم من كلام الشرح وفي بعض النسخ بالرفع بناء على انه احدى الخصال قال شارح

اراد بالحق ما وجب له من الله من غير تبعة في الاخرة وسوال عنه واذا اكتفى بذلك من الحلال
لم يسال عنه ويطالب بشكره وقال القاضي اراد بالحق ما استحقه الانسان لافتقاره اليه
وتوقف تعيشه عليه وما هو المقصود الحقيقي من المال وقيل اراد به ما لم يكن تبعة حساب
اذا كان مكتسبا من وجه حلال وفي النهاية الجلف الخبز وحده لا ادم معه وقيل هو الخبز الغليظ
اليابس قال ويروى بفتح اللام جمع جلفة وهي الكسرة من الخبز وفي الغريبين قال
شمر عن ابن الاعرابي الجلف الظرف مثل الخرج والجوالق قال القاضي ذكر الظرف واراد به
المظروف اي كسر خبز وشرب ماء انتهى والمقصود غاية القناعة ونهاية الكفاية كما نقل عن
ابن ادهم ۞ وما هي الا جوعة قد سددتها ۞ وكل طعام بين جنبي واحد ۞

وللشافعي رضي الله تعالى عنه ۞

۞ ايا نفس يكفيك طول الحياة ۞ اذا ما قنعت ورب الفلق ۞
۞ رغيف بعود بنح يابس ۞ وما روي لبس خلق ۞
۞ وحفش تكنك حدراته ۞ فما ذا الغنا وما ذا القلق ۞

رواه الترمذي وكذا الحاكم في مستدركه وعن سهل بن سعد قال جاء رجل فقال يا رسول
الله دلني على عمل اي مع ما نحو باب المحبة اذا انا للتاكيد عملته احبني الله واحبني الناس فقال
بفتح يا المتكلم ويسكن قال ازهد في الدنيا اي بترك حبها والاعراض عن زوائدها والاقبال
على الاخرة وعوائدها يحبك الله اي لعدم محبتك عدوة الله تعالى وهو بفتح الموحدة المشددة
للجزم على جواب الامر وبالرفع على الاستيناف وازهد فيما عند الناس اي من المال والجاه
يحبك الناس لتركك محبوبهم وعدم المزاحمة على مطلوبهم وانشد بعضهم شعرا ۞

۞ وما الزهد الا في انقطاع الخلائق ۞ وما الحق الا في وجود الحقائق ۞
۞ وما الحب الا حب من كان قلبه ۞ عن الخلق مشغولا برب الخلائق ۞

وقيل الزهد عبارة عن عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لاجل الاخرة خوفا من النار
او طمعا في الجنة او ترفعا عن الالتفات الى ما سوى الحق ولا يكون ذلك الا بعد شرح الصدر
بنور اليقين ولا يتصور الزهد فيمن لا مال له ولا جاه وقيل لابن المبارك يا زاهد قال
الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها واما انا ففي ما زهدت قلت هذا بيان
كمال الزهد والا فاصل الزهد هو عدم الميل الى الشيء وهو في الحقيقة لا يحصل الا بجذبة الاهية
يصرف السالك عن الامور الفانية ويشغله بالاحوال الباقية وغايته ان النفس مدعية
للزهد ولا يظهر صدقها من كذبها الا عند القدرة على الدنيا ووجودها واما عند فقدها فالامر دائر
بين احد الاحتمالين والله اعلم وثمرة القناعة من الدنيا بقدر الضرورة من زاد الطريق وهو
مطعم يدفع الجوع وملبس يستر العورة ومسكن يصونه عن الحر والبرد واثاث يحتاج اليه كما
سبق في الحديث المتقدم وفي المنازل مما حاصله ان الزهد اسقاط الرغبة في الشيء عنه
بالكلية وهو على ثلاث مراتب في الزهد الشبهة بحذر عن معتبة الحق عليه ثم الزهد فيما زاد
على البلاغ من القوت باغتنام التفرغ الى عمارة الوقت بالاشتغال بالمراقبة ثم الزهد
في الزهد باستحقار ما زهدت فيه بالنسبة الى عظمة الرب واستوا الزهد وعدمه عنده والزهد
عند اكتساب اجر بتركها ناظرا بعين الحقيقة الى وحدانية الفاعل الحق فيشاهد تصرف
الله في العطا والمنع والاخذ والترك قال الطيبي فيه دليل على ان الزهد اعلى المقامات
وافضلها لانه جعل سببا لمحبة الله تعالى وان محب الدنيا متعرض لبغض الله سبحانه
رواه الترمذي وابن ماجة قال ميرك اظن ان ذكر الترمذي وقع سهوا من نساخ الكتاب

او من صاحبه فان الحافظ المنذري والامام النووي والشيخ الجزري قالوا كلهم رواه ابن ماجة
فقط فان قلت ـــ ذكر النووي في اربعينه انه حديث حسن رواه ابن ماجة وغيره انتهى
لكن الترمذي غير مذكور في الاصول ويويده انه ذكر في الجامع قوله ازهد في الدنيا الخ وقال
رواه ابن ماجة والطبراني والحاكم والبيهقي عن سهل بن سعد نعم في حديث رواه الترمذي وابن
ماجة اي عن ابي ذر مرفوعا الزهادة في الدنيا ان لا يكون بما في يديك اوثق منك بما في يد الله وان
تكون في ثواب المصيبة اذا انت اصبت بها ارغب منك فيها لو انها ابقيت لك وفي حديث رواه
احمد في الزهد والبيهقي عن طاوس مرسلا الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة
في الدنيا تطيل الهم والحزن ورواه القضاعي عن ابن عمر مرفوعا ولفظه بدل تطيل ورواه
الطبراني في الاوسط وابن عدي والبيهقي عن ابي هريرة مرفوعا والبيهقي عن عمر موقوفا
بلفظ تشعب القلب والبدن وروى البيهقي عن الضحاك مرسلا ازهد الناس من لم ينس
القبر والبلى وترك افضل زينة الدنيا واثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه
في الموتى وعن ابن عمر مرفوعا صلاح اول هذه الامة بالزهادة واليقين وهلاك اخرها بالبخل
والامل رواه الطبراني وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نام على حصير فقام
اي من النوم وقد اثر الحصير في جسده اي عانته التاثير فقال ابن مسعود لو امرتنا ان نبسط
بضم السين يجتهد ان يكون لو للتمني وان تكون للشرطية والتقدير لو اذنت لنا ان نبسط لك
فراشا لينا وفعلنا اي لكن ثوبا حسنا لكان احسن من اضطجاعك على هذا الحصير الخشن فقال
ما لي وللدنيا وما انا والدنيا ما نافية اي ليس لي الفة ومحبة مع الدنيا ولا للدنيا الفة ومحبة
معي حتى ارغب اليها وانبسط عليها واجمع ما فيها ولذتها او استفهامية اي الفة ومحبة لي مع
الدنيا او اي شيء لي مع الميل الى الدنيا او ميلها الي فاني طالب الاخرة وهي ضرتها المضادة لها هذا
وقال الطيبي قوله ما لي مستغرقة محذوف فيقدر من جنس الكلام السابق اي اي وجود التنعم
والتلذذ بالاعراض الدنيوية اشم من ان يكون بساطا ومن ثم طابقه قوله ما لي وللدنيا وقوله
وما انا والدنيا اي ليس حالي مع الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها والامر
التشبيه التمثيلي وهو التشبيه بسرعة الرحيل وقلة المكث ومن ثم خص الراكب والام في
الدنيا مقحم للتاكيد ان كان الواو بمعنى مع وان للعطف فالتقدير ما لي مع الدنيا وما للدنيا معي
رواه احمد والترمذي وابن ماجة وكذا الحاكم والضيا وعن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان اغبط اوليائي اي افعل تفضيل مبني للمفعول اي ان المغبوط بحالا اي احسنهم حالا وافضلهم
ما لا عندي اي في ديني ومذهبي لمومن اللام زايدة خبر المبتدا للتاكيد او للابتداء والمبتدا
محذوف اي لهو مومن خفيف الحاذ بتخفيف الذال المعجمة اي خفيف الحال الذي يكون قليل
المال وخفيف الظهر من العيال فيتمكن من السير في طريق الخالق بين الخلايق ولا يمنعه
شيء من العلائق والعوائق ويجد المعنى احوج احبابي والفقارى عندي بان يغبط ويتمنى
حاله مومن بهذه الصفة ذو حظ من الصلاة اي ومع هذا هو صاحب لذات وراحة من
المناجاة مع الله والمراقبة واستغراق في المشاهدة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم قرة
عيني في الصلاة وارحنا بها يا بلال اي بوجودها وحصولها وما اقرب الراحة من قرة العين
وما ابعدها مما قيل معناه اذن بالصلاة نستريح بادائها من شغل القلب بها وقوله احسن
عبادة ربه تعميم بعد تخصيص ذكره الطيبي اولا والاشارة الى الكمية والثاني الى الكيفية
واطاعه في السر اي كما اطاعه في العلانية فهو من باب الاكتفا والتخصيص لما فيه من الاعتنا
وجعله الطيبي عطف تفسير على احسن وتفسيرا احسن ويمكن ان يكون المعنى واطاعه في

العلانية فهو من باب الاكتفاء او التخصيص ويمكن ان يكون المعنى واطاعه في عبادته بالاخفا
ولا يظهر طاعته في الملا الاعلى عادة الملامتية من الصوفية وتبيانا سبق قوله وكان غامضا اي
خاملا خافيا غير مشهور في الناس اي فيما بينهم وفيه اشارة الى انه لا يخرج عنهم وفيه ايما الى
ان المراد بالناس عمومهم فلا ينافي معرفة خصوصهم من الاولياء والصالحين بصلاح حالهم كما يدل
عليه قوله لا يشار اليه بالاصابع اي شلا وعملا وهو بيان وتقرير بمعنى الغموض وكان رزقه كفافا اي
بقدر كفايته بحيث يكفيه ويمنعه عن الاحتياج الى الكافة فصبر على ذلك اي على الرزق الكفاف
او على الخمول والغموض او على ما ذكر لانه على ان ملاك الامر الصبر وبه يتقوى على الطاعة
قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وقال اولئك يجزون الغرفة بما صبروا وجعلنا منهم ائمة
يهدون بامرنا لما صبروا ثم نقد بالنون والقاف والدال المهملة المفتوحات بيده اي نقد النبي
صلى الله عليه وسلم بيده بان ضرب احديهما بانملته على الاخرى حتى يسمع منه صوت وهو في النهاية من نقدت
الشي باصبعي انقده واحدا بعد واحد نقد الدراهم ونقد الطائر الحب اذا لقطه واحدا بعد واحد وهو
مثل النقر ويروى بالراء انتهى وهو كذا في نسخة اي صوت باصبعه وفي رواية ابن زوي الظاهر من
جهة المعنى جدا ثم نقضت بيده فقال عجلت بصيغة المجهول من باب التفعيل منيته اي موته قلت
بواكيه جمع باكية وهي المراة التي تبكي على الميت قل تراثه اي ميراثه وماله الموخر عنه مما يورث
عنه جاء في سبيل الشعر انه قال التوربشتي اريد بالنقد هنا ضرب الانملة على الانملة
اي من يهتم في الامر كالمتقلل للشي اي لم يلبث قليلا حتى قبضه الله تعالى يتقلل مدة عمره
وعدد بواكيه وعدم تراثه وقيل الضرب على هذه الهيئة بفعل المتعجب من يظهر قلة الشي او من
راى ما يعجبه حسنه وربما يفعل ذلك من يظهر قلة المبالاة بشي ويفعل طربا وفرحا بالشي
والمعنى من كان هذه صفته فهو يتعجب من حسن حاله وجمال ماله وقيل قوله عجلت منيته
بسهل روحه سريعا لقلة تعلقه بالدنيا وغلبة شوقه الى المولى لحديث الموت تحفة المؤمن
قال الاشرف ويمكن ان يراد به انه قليل مؤن الممات كما كان قليل مؤن الحياة رواه الترمذي
وابن ماجه وفي الجامع رواه احمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي امامة ولفظه اغبط الناس
عندي مؤمن خفيف الحاذ وحظ من صلاة وكان رزقه كفافا فصبر عليه حتى يلقى الله واحسن
عبادة ربه وكان غامضا في الناس عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وروى ابو يعلى
في مسنده عن حذيفة خيركم في المائتين كل خفيف الحاذ الذي لا اهل له ولا ولد قال
شيخ مشايخنا السخاوي في المقاصد الحسنة في الاحاديث المشهورة على الالسنة
علل رواه وكذا قال الخليلي ضعفه الحافظ وخطاه انتهى فان صح فهو محمول على جواز التعزب ايام
الفتن وفي معناه احاديث كثيرة واهية منها ما رواه الحارث بن ابي اسامة من حديث ابن مسعود
مرفوعا سياتي على الناس زمان تحل فيه العزبة ولا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من شاهق
الى شاهق ومن حجر الى حجر كالطاير بفراخه وكالثعلب باشباله واقام الصلاة وايتاء الزكاة واعتزل
الناس الا من خير الحديث ومنها ما رواه الديلمي من حديث زكريا بن يحيى الصوفي عن ابن حذيفة
عن ابن اليمان عن ابي حذيفة مرفوعا خير نسائكم بعد ستين ومائتين العواقر وخيركم ولا ذكر بعد
الربع والخمسين البنات وفي الترمذي من طريق علي بن يزيد عن القاسم عن ابي امامة مرفوعا
ان اغبط اوليائي اذ قال فصبر على ذلك ثم نقض بيده فقال عجلت منيته الحديث وقال
عقبة علي ضعيف وقد اخرجه احمد والبيهقي في الزهد والحاكم في الاطعمة من مستدركه وقال
هذا اسناد للشاميين صحيح عندهم ولم يخرجاه انتهى ولم ينفرد به علي بن يزيد فقد اخرجه ابن
ماجه في الزهد من سننه من غير طريقه من حديث صدقة بن عبد الله عن ابراهيم بن مرة عن

ايوب

ايوب بن سليمان عن ابي امامة ولفظه اغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ فذكر نحوه من سوا
ما للخطيب وغيره من حديث ابن مسعود رفعه اذا احب الله العبد اقتناه لنفسه ولم يشغله
بزوجة ولا ولد وللديلمي من حديث عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي عن داود بن عفان عن انس
رفعه ياتي على الناس زمان لان يربي احدكم جرو كلب خير له من ان يربي ولدا من صلبه وعنه اي
عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض علي ربي اي عرضا حسيا او معنويا
وهو الاظهر والمعنى شاور ربي وخيرني تخييرا لو شيع في الدنيا واختيارا للبلغة لزاد العقبى
من غير حساب ولا عقاب ليجعل لي اي لاجلي او مخصوصا بي تقديرا في عينيها والتفاني
اليها وبطحاء مكة اي ارضها وزيادها ذهبا اي لاجل حجرها ومدرها واصل البطحاء مسيل الماء
واراد هنا عرصة مكة وصحاريها فاضافته بيانية قال الطيبي قوله بطحاء مكة تنازع فيه عرض
وليجعل اي عرض علي بطحاء مكة ليجعلها لي ذهبا فقلت لا اي لا اريدها ولا اختارها يا رب
ولكن اشبع يوما اي اختار واريد ان اشبع وقتا فاشكر واجوع يوما اي وقتا فاصبر كما فصله وبينه
بقوله فاذا جعت تضرعت اليك اي بعرض الافتقار عليك وذكرتك اي بسببه فان الفقر يورث
الذكر كما ان الغنى يورث الكفر فصبرت على بلائك لقوله واذا شبعت حمدتك اي مما الهمتني من
ثنائك وشكرتك على اشباعك وسائر نعمائك قال الطيبي جمع في القرينتين بين الصبر
والشكر وهما صفتان المؤمن الكامل قال تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور الكشاف
صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فجمعهما كناية عن المؤمن وتحقيقه
على طريقة الصوفية ان هذه الصفتين المذكورتين والخصلتين المسطورتين
ناشئتان من تربية الله للسالك بين صفتي الجلال والجمال اذ بهما تتم مرتبة الكمال
وهو الرضى عن المولى بكل حال بخلاف حال المنحرفين وفعال المتحيرين المترددين حيث قال
تعالى فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون وقال ومن الناس من يعبد
الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة
ذلك هو الخسران المبين رواه احمد والترمذي وعن عبيد الله بن محصن بكسر الميم وفتح الصاد
قال المؤلف في فصل الصحابة انصاري خطمي يعد في اهل المدينة وحديثه فيهم روى عنه
ابنه سلمة قال ابن عبد البر ومن الناس من يرسل حديثه انتهى وهو يحتمل كونه صحابيا لكن
لم يثبت له سماع منه صلى الله عليه وسلم فحديثه من مراسيل الصحابة وهو حجة اتفاقا ويحتمل
كونه تابعيا فمرسله معتبر عند الجمهور خلافا للشافعية والله اعلم والاول اظهر لانهم ذكروه
حديثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم اي ايها المؤمنون امنا
اي غير خائف من عدو او من اسباب عذابه تعالى بالتوبة عن المعاصي والعصمة من المناهي
ولذا قيل ليس العيد لمن لبس الجديد انما العيد لمن امن من الوعيد في سربه المشهور كسر السين
اي في نفسه وقيل السرب الجماعة فالمعنى في اهله وعياله وقيل بفتح السين اي في مسلكه
وطريقه وقيل بفتحتين اي في بيته كذا ذكره شارح وقال التوربشتي ابى بعضهم الا السرب
بفتح السين والراء اي في بيته ولم يذكر فيه رواية ولو سلم له قوله ان يطلق السرب على كل بيت كان
قوله هذا حريا بان يكون اقوى الاقاويل الا ان السرب يقال للبيت الذي هو في الارض
وفي القاموس السرب الطريق وبالكسر الطريق والبال والقلب والنفس وبالتحريك جحر الوحشي
والحفير تحت الارض انتهى فيكون المراد من الحديث المبالغة حصول الامن ولو في بيت تحت
الارض ضيق كجحر الوحشي او التشبيه به في خفايه وعدم ضيائه به معافى اسم مفعول من
باب المفاعلة اي صحيحا سالما من العيوب في جسده اي في بدنه ظاهرا وباطنا عنده قوت يوم

اي كفاية وفيه من وجه الحلال فكانما جزت بصيغة المجهول من الحيازة وهي الجمع والضم له الضمير عايد على
رابط للجزاء اي جمعت له الدنيا اي بحذافيرها كما في نسخة مصححة اي بتمامها والحذافير الجوانب وقيل
الاعالي واحدها حذفار وحذفور والمعنى فكانما اعطي الدنيا باسرها رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب
وفي الجامع رواه البخاري في الادب المفرد والترمذي وابن ماجة من غير ذكر حذافيرها وعن المقدام بن
معدي كرب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ملا ادمي وعاء اي ظرفا شرا من بطن
صفة وعاء بحسب ابن ادم مبتدا والباء زايدة وقوله اكلات بضمتين خبره نحو قوله بحسبك درهم
والاكلة بالضم اللقمة وفي رواية لقيمات بالتصغير للاشارة الى التحقير مع الدلالة على التقليل
بالتنكير يقمن صلبه اي ظهره لاقامة الطاعة وابقاء لمعيشته واسناد الاقامة الى الاكلات
مجازية سببية فان كان لا محالة بفتح الميم وبضم اي لابد من الزيادة فثلث بضمها ويسكن
اللام طعام مبتدا وخبره اي ثلث منه للطعام وكذا قوله وثلث شراب واللام مقدرة فيهما بقرينة
قوله وثلث لنفسه بحركتين والمعنى فان كان لا يكفي بالاقوت البنية ولابد ان يملا بطنه فليجعل
ثلث بطنه للطعام وثلثه للشراب وليترك ثلثا خاليا لخروج النفس ولا ينبغي ان يكون كطايفة
القلندرية حيث يقولون يملا البطن من الطعام والماء يحصل مكانه ولو في المسام والنفس
اذا شاء خرج والا فلا بعد تمام المرام فاوليك كالانعام بل هم اضل قال تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا
ويلههم الامل فسوف يعلمون وسبق ان المؤمن ياكل في معى واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء
وقال الطيبي اي الحق الواجب ان لا يجاوز عما يقام به ليتقوى به على طاعة الله تعالى فان اراد
البتة التجاوز فلا يتجاوز عن القسم المذكور جعل البطن اولا كالاوعية التي تتخذ ظروفا
لحوايج البيت توهينا لشانه ثم جعله شر الاوعية لانها استعملت فيما هي له والبطن خلق لان
يتقوم به الصلب بالطعام وامتلاؤه يفضي الى الفساد في الدين والدنيا فيكون شرا منها قال
الشيخ ابو حامد في الجوع عشر فوايد الاولى صفاء القلب واتقاد القريحة ونفاذ البصيرة
فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه السكر حتى يحتوي
على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان وثانيتها رقة القلب وصفاؤه الذي
به يهيا لادراك لذة المناجاة والتاثر بالذكر وثالثها الانكسار والذل وزوال البطر
والاشر والفرح الذي هو مبتدا الطغيان ولا ينكسر النفس بشيء ولا تذل كما تذل بالجوع فعنده
تسكن لربها وتقف على عجزها ورابعها انه لا ينسى بلاء الله وعذابه واهل البلاء فان الشبعان
ينسى الجائع والجوع وخامستها وهي من كبار الفوايد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء
على النفس الامارة بالسوء وتغليبها بضعف كل شهوة وقوة والسعادة كلها في ان يملك الرجل
نفسه والشقاوة في ان تملكه نفسه وسادستها دفع النوم ودوام السهر فان من شبع
شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع
وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره تنقيص من العمر
وسابعتها تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان
يشتغل بالاكل وربما يحتاج الى زمان في شراء الطعام او طبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال
ثم يكثر تردده الى بيت الماء فلو صرف هذه الاوقات في الذكر والمناجاة وساير العبادات لكثر
ربحه قال السري رايت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا فقال
اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين
سنة وثامنتها من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول
فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع عن العبادات ويشوش القلب ويحوج الى

الفصد

الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن وفي الجوع ما يدفع عنه كل ذلك وتاسعتها
خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير وعاشرتها ان يتمكن من الايثار
والتصدق بما فضل من الاطعمة على المساكين فيكون يوم القيمة في ظل صدقته فما ياكله فخزانته
الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله تعالى رواه الترمذي وابن ماجة وفي الجامع رواه احمد
والترمذي وابن ماجة والحاكم بلفظ فثلث الطعام وثلث الشراب وعن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يتجشا بتشديد الشين المعجمة بعدها همزة اي يخرج الجشا
من صدره وهو صوت مع ريح يخرج عنه عند الشبع وقيل عند امتلاء المعدة قيل الرجل وهب بن
عبد الله وهو معدود في صغار الصحابة وكان في زمانه عليه السلام لم يبلغ الحلم روي انه
لم يملا بطنه بعد ذلك قال التوربشتي الرجل هو وهب ابو جحيفة السوائي روي انه قال
اكلت ثريدة بر بلحم واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اتجشا فقال اقصر
بفتح الهمزة وكسر الصاد اي امتنع من جشاك بضم الجيم ممدودا وكان في اصل الطيبي فقصر
عنا فقال معناه اكفف عنا والنهي عن الجشا هو النهي عن الشبع لانه السبب الجالب له انتهى
وقيل الجشا التكلف فان اطول الناس اي اكثرهم في الزمان جوعا يوم القيمة اطولهم شبعا بكسر
ففتح في الدنيا رواه في شرح السنة قال ميرك هو وهب بن عبد الله ابو جحيفة روي عنه انه
قال اكلت ثريدة بلحم واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اتجشى فقال يا هذا كف
من جشايك فان اكثر الناس شبعا في الدنيا اكثرهم جوعا يوم القيمة رواه الحاكم وقال
صحيح الاسناد واحدهما ثقاة ورواه ابن ابي الدنيا والطبراني في الكبير والاوسط والبيهقي
وزاد فقال الراوي فما اكل ابو جحيفة ملا بطنه حتى فارق الدنيا كان اذا تعشى لا يتغدى واذا
تغدى لا يتعشى وفي رواية لابن ابي الدنيا قال ابو جحيفة فما ملات بطني منذ ثلاثين
سنة انتهى وروى الترمذي نحوه قال ميرك ولفظه عن ابن عمر قال تجشا رجل عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال له كف عنا جشاك فان اكثرهم شبعا في الدنيا اطولهم جوعا
يوم القيمة ورواه ابن ماجة والبيهقي كلهم من رواية يحيى البكا عن ابن عمر قال الترمذي
حديث حسن كذا في الترغيب للمنذري وقال الشيخ الجزري في مسنده هذا الحديث
عبد العزيز بن عبد الله عن يحيى البكا وهما ضعيفان لكن للحديث شاهد من حديث ابي
جحيفة وهب بن عبد الله السوائي وعن كعب بن عياض الاشعري معدود في [illegible]
روى عنه جابر بن عبد الله وجبير بن نفير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان لكل امة فتنة اي ما يوقع احدا في الضلالة والمعصية وفتنة امتي بالرفع
وفي نسخة بالنصب المال لانه جامع لحصول الملاذ ومانع من كمال الحال رواه الترمذي
ملاذي
وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجاء اي يؤتى بابن ادم يوم القيمة كانه من كمال
ضعفه بذج بفتح موحدة وذال معجمة فجيم وقال الصاغاني معرب ابراد به ذلك هوانه وعجزه
وفي بعض الطرق كانه بذج من الذل وفي شرح السنة شبه ابن ادم بالبذج لصغاره
وصغره اي يكون حقيرا ذليلا فيوقف اي فيحبس فيما بين يدي الله اي عند حكمه وامره
سبحانه فيقول له اي بلسان ملك او بلا واسطة ببيان القال او الحال اعطيتك اي
الحياة والحواس والصحة والعافية ونحوها وخولتك اي جعلتك ذا خول من الخدم
والحشم والمال والجاه وامثالها وقيل معناه جعلتك مالكا لبعض وملكا لبعض وانعمت
عليك اي بانزال الكتاب وبارسال الرسل وغير ذلك فما صنعت اي فيما ذكر فيقول رب
جمعته اي المال وثمرته بتشديد الميم اي نميته وكثرته اي في الدنيا عند موتي اكثر

ما كان اي في ايام حياتي في فارجعني بهمزة وصل اي ردني الى الدنيا اتكبه كلمة اي با نفاذه في سبيلك كما اخبر عنا لكفار انهم يقولون في الاخرة رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت يقولون له اي الرب ارني ما ذرعت اي لاجل الاخرة من الخير فيقول اي ثانيا كما قال تعالى ولا رب جمعته وثمرته وتركته ما كان فارجعني اتك به كله فاذا عبد الغا فضيحة تدل على مقدمتنا فا المفاجاة وعبد خبر مبتدا محذوف اي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو عبد لم يقدم خيرا اي فيما اعطي ولم يمتثل ما امر به ولم يتعظ ما وعظ به من قوله تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله فيمضي بصيغة المجهول اي فيذهب به الى النار قال الطيبي فظهر تمام ما حكي عن هذا الرجل انه كان كعبد اعطاه سيده راس مال ليتجر به ويربح فلم يمتثل امر سيده فاتلف راس ماله بان وضعه في غير موضعه واتجر فيما لم يومر بالتجارة فيه فاذا هو عبد خائب خاسر قال تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فما احسن موقع العبد وذكره في هذا المقام قال الشيخ ابو حامد الغزالي كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر يسمى نعمة ولكن النعمة الحقيقية هي السعادة الاخروية وتسمية ما سواها نعمة غلط او مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الاخرة فان ذلك غلط محض وكل سبب يوصل الى السعادة الاخروية ويعين عليها اما بواسطة واحدة او بوسائط فان تسميته نعمة صحيح وصدق لاجل انه يفضي الى النعمة الحقيقية رواه الترمذي وضعفه بتشديد العين اي نسب اسناده الى الضعف وان كان معناه صحيحا وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما يسال عنه العبد اي عنه يوم القيامة ما موصولة اي اول شيء يسأل في الاخرة من النعيم بيان لما ان يقال له خبر ان وكان الطيبي جعل من النعيم متعلقا بيسال حيث قال ما فيه مقدر تتبر وان يقال خبر ان اي اول سؤال العبد هو ان يقال له الم نصح اي نعطك صحة جسمك من الاصحاح وهو اعطاء الصحة ونروك بتشديد الواو وفي نسخة من الارواء من الماء البارد نعمة عظيمة وصحة جسيمة عند ذوق التسليم وعدم الهرب التسقيم وكذا النبي صلى الله عليه وسلم في مرحه حيث قال في دعائه اللهم اجعل حبك احب الي من نفسي واهلي ومن الماء البارد ومن غرائب حال الماء انه لا قيمة له في الرخاء ولا في الغلاء ادخال كثرة وجوده لا يشترى واذا فقد لا يباع ومن عجائب ما حكي ان ملكا وقع في برية وعطش عطشا شديدا كاد ان يهلك فظهر له عارف او ملك فقال ما تعطيني ان سقيتك فقال نصف ملكي فسقاه فحبس له البول حتى اشتد عليه الامر فظهر له ثانيا فقال ما تنعم علي انا عالجتك فيه فقال اعطيك النصف الاخر من الملك فعالجه فقال خذ ملكك واعرف قيمته ولا يغرك زهرته وفي الجمع بين نعمة الصحة والترويد بالماء اشارة الى ذلك والله اعلم رواه الترمذي وكذا ابن حبان والحاكم ولفظهما اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة ان يقال له الم اصحح لك جسمك وارويك من الماء البارد وقال الحاكم صحيح الاسناد ذكره ميرك وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما ابن ادم يوم القيامة حتى يسال عن خمس اخوال والحال يذكر ويؤنث وقال الطيبي انثه تنبيها وبدل الخصال عن عمره بضمتين وبسكون الميم اي مدة اجله فيما افناه اي صرفه وعن شبابه اي قوته في وسط عمره فيما ابلاه اي ضيعه وفيه تخصيص بعد تعميم واشارة الى المسامحة في طرفيه من حال صغره وكبره وقال الطيبي فان قلت هذا داخل في الخصلة الاولى فما وجهه قلت المراد سؤاله عن قوته وزمانه الذي يتمكن منه على اقوى العبادة وعن ماله من اين اكتسبه اي من حلال او حرام وفيما انفقه اي في طاعة او معصية وماذا عمل

فيها

فيها علم وهو لعل العدول على الاسلوب المقتضي في العبارة الموذية للمطلوب واما ما ذكره الطيبي من انه انما غير السؤال في الخصلة الخامسة حيث لم يقل وعن علمه ماذا عمل به لانها اهم شيء واولاها تغيير ظاهر نعم يمكن ان يكون نكتة لختم الخصال بها ثم قال وفيه ايذان بان العلم مقدمة العمل وهو لا يعتد به لولا العمل انتهى وهو غير صحيح باطلاقه وانما يصلح هذا في العلم بالفروع الدنيوية واما العلم بذات الله وصفاته ومعرفة كتابه واياته ونحو ذلك من الاصول الدينية فاشرف العلوم وافضلها والطفها واكملها وكذا قال الشيخ ابو سعيد بن ابي الخير قدس الله سره لابي علي بن سينا سامحه الله تعالى ما تعلم عما يشتغل معك باشتغالك وفيه اشارة الى ما ورد من ان اهل الجنة فيها يحتاجون الى العلماء ايضا هذا وفي حديث رواه ابن عساكر عن ابي الدرداء كيف انت يا عويمر اذا قيل لك يوم القيامة اعلمت ام جهلت فان قلت علمت قيل لك فماذا عملت فيما علمت وان قلت جهلت قيل لك فما كان عذرك فيما جهلت الا تعلمت ومع هذا روي ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات وفي حديث صحيح اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وتمامه لا نعرفه من حديث ابن مسعود الا من حديث حسين بن قيس وهو ضعيف في الحديث ذكره ميرك انتهى والله اعلم

الفصل الثالث

عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انك لست بخير اي بافضل من احمر اي جسما ولا اسود اي لونا والمراد ان الفضيلة ليست بلون دون لون وانما خصهما بالذكر مثلا لكونهما اكثر وجودا والاظهر وجودا ان المراد بهما لون السيد والعبد كما هو الغالب والاغرب الطيبي حيث جزم وقال المراد بالاحمر العجم وبالاسود العرب الا ان تفضله بضم الضاد اي تزيد باحدهما بتقوى بالقصر وفي نسخة بالتنوين وقد قال تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله في قراءة شاذة بالتنوين والمعنى ان الفضيلة ليست بالصورة الظاهرة ولا بالنسب الباهر بل بالتقوى الطاهرة كما قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الى ان قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم قال الطيبي والضمير في تفضله عائد الى كل واحد منهما ولهما يتناول الانسان والاستثناء مفرغ والتقدير لست بافضل منهما بشيء من الاشياء الا بالتقوى ونولا ان تفضل تكرير تاكيد انتهى فالمعنى فان جعل الضمير الى كل واحد منهما مع دلالته على العموم من الجنس الذي وقع المخاطب فردا منه غير صحيح وكذا قوله يتناول الانسان ان المراد به الجنس فتدبر ثم الظاهر ان الاستثناء من اعم الاحوال اي لست بافضل عند الله من احد النوعين في حال من الاحوال الا حال زيادة ذلك عليه بتقوى معتبرة في الشرع وهي لها مراتب ادناها التقوى عن الشرك الجلي واوسطها عن المعاصي والمناهي والملاهي ومن الشرك الخفي وهو الرياء والسمعة في الطاعة واعلاها ان يكون دائم الحضور مع الله غائبا عن خطور ما سواه واليه الاشارة فيما روي عنه صلى الله عليه وسلم ما فضلكم ابو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه ذكره الغزالي وقال العراقي لم اجده مرفوعا وهو عند الحكيم الترمذي في النوادر من قول بكر بن عبد الله المزني رواه احمد وفي الجامع انظر فانك لست بخير الحديث وعنه اي عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زهد عبد في الدنيا اي زيادة على قدر الحاجة من مال او جاه الا انبت الله الحكمة اي اثبت المعرفة المتقنة في قلبه وانطق بها لسانه وبصره بتشديد الصاد اي جعله عالما بصيرا عيب الدنيا اي معايبها من كثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها وسرعة فنائها وغير ذلك من اتعاب البدن واكدار الحزن واشتغال القلب عن ذكر الرب قال الطيبي هو اشارة الى الدرجة الثانية يعني لما زهد في الدنيا حصل له علم اليقين بعيوب الدنيا او زينة الله

الفصل الثالث عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه

كر

تعالى به بصيرة حتى حصل له حق اليقين وَدَابها اي علة محبتها وسبب طلبتها وَدَوَابها اي معالجتها
بمعجون العلم والعمل والاختيار عنها بالصبر والقناعة والرضى بما قسم له منها واخرجه اي الله تعالى منها
اي من الدنيا ذاتها وبلائها سالما اي بالاعراض عنها والاقبال على العقبى الى دار السلام وفيه
اشارة الى ان من لم يزهد فيها ولم يطلع على عيبها وَدَابها وَدَوَابها لم يدخل الجنة اصلا او لم يدخلها
بسلام بل بعد سابقة عذاب او لاحقة حجاب والله اعلم رواه البيهقي في شعب الايمان وروى
ابو نعيم في الحلية عن ابن عمر ما زان الله العباد بزينة افضل من زهادة في الدنيا وعفاف
في بطنه وفرجه وعنه اي عن ابي الدرداء ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح
من اخلص الله قلبه للايمان اي جعل قلبه خالصا للايمان بحيث لا يسعه غيره وما يتبعه
وجعل قلبه سليما اي من الحسد والحقد والبغض وساير الاخلاق الذميمة والاحوال الردية من حب الدنيا
والغفلة عن المولى والذهول عن العقبى قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله
بقلب سليم ولسانه صادقا اي في قوله ووعده وعهده ونفسه مطمئنة اي بذكر ربه وحبه
وخليقته اي جبلته التي خلق عليها مع اصلها مع قطع النظر عن عوارضها المعبر عنها بالفطرة
مستقيمة اي غير مايلة الى طرفي الافراط والتفريط وجعل اذنه بضمتين وبسكون الثانية
مستمعة اي للحق واعية للعلم وعينه ناظرة اي الى دلايل الصنع من الافاق والانفس
فاما بالفا العاطفة ولعل المعطوف عليه مقدر والمعنى اتاما سبق من القلب واللسان وغيرهما
فامره ظاهر في كونه شرطا للفلاح واما الاذن فقمع بفتح فسكون وبكسر القاف مع سكون
الميم وفتحها ففي القاموس القمع بالفتح والكسر وكعنب ما يوضع في فم الاناء فيصب فيه الدهن
وغيره وفي النهاية القمع كضلع اناء يترك في رؤوس الظروف لتملا بالمايعات من الاشربة
والادهان قال الطيبي شبه اسماع الذين يستمعون القول ولا يعونه بقلوبهم بالاقماع واما العين
فمقرة بفتح الميم وكسر القاف وتشديد الرا كذا في اصل الاصيل وفي اكثر النسخ بفتحات وهو
الاظهر اي محل قرار لما يوعى اي يحفظ القلب بالرفع وفي بعض النسخ بالنصب وهو يؤيد ما في
الاصيل [illegible] قال الطيبي قوله مقرة وارد على سبيل الاستعارة لانها تثبت في القلب
وتقر فيه ما ادركته بحاستها وكان القلب لها وعاء وهي تقر فيه ما رأته قال في اساس البلاغة
ومن المجاز قر الكلام في اذنه وضع فاه على اذنه فاسمعه وهو من قر الماء في الاناء اذا صبه فيه
والقلب مرفوع على انه فاعل يوعي ويجوز النصب اي تقر في القلب اي يحفظ وانما خص السمع
والبصر لان الايات الدالة على وحدانية الله اما سمعية فالاذن هي التي تجعل القلب وعاء
لها او نظرية فالعين هي التي تقرها في القلب وتجعله وعاء لها ومن ثم جعل قوله قد افلح من جعل
قلبه واعيا اي حافظا كالتذييل للقرينتين قلت وبه يتم الانتفاع بالعلم واسبابه ولذا
قال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا وفي تقديم السمع اشارة الى ان العمدة هي
العلوم الشرعية التي تعرف من الادلة السمعية الموروثة لعلم اليقين ثم يرتقي الى مرتبة النظر
ورتبة الفكر الى ان يصير علمه عين اليقين وينتهي الى القلب الذي هو عرش الرب وبه يصل
الى حق اليقين رزقنا الله جميع مراتب اليقين في درجات الدين المعبر عنها بقوله سبحانه
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ووجه الغاية انه لا يتصور بعد تحقق التعين ترك العبادة
في الدين بل يحصل له مرتبة وضع الميت بين يدي الغاسل كما قيل موتوا قبل ان تموتوا وكذا
جمع المفسرون على ان المراد باليقين في الاية هو الموت وما احسن هذا الموت الذي هو عين
الحياة اذاقنا الله منه بعض الذوق الممزوج بحلاوة الشوق رواه احمد والبيهقي في شعب
الايمان وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله عز وجل يعطي العبد من

الدنيا

الدنيا على معاصيه مع وجود فعله اياها ما يحب اي من اسبابها فانما هو اي ذلك الاعطا استدراج
اي مكر منه سبحانه قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الطيبي الاستدراج هو الاخذ
في الشيء والذهاب فيه درجة كالمراقي والمنازل في ارتقايه ونزوله ومعنى استدرجه الله استدناه
قليلا قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان تواتر الله
نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون
في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان
منه وتبعيد ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي استشهادا او اعتضادا فلما نسوا
اي عهده سبحانه وتركوا امره ونهيه وهو المعنى بقوله ما ذكروا به وعظوا فتحنا بالتخفيف وتشديد
عليهم ابواب كل شيء اي من اسباب النعم التي في الحقيقة من موجبات النقم حتى اذا فرحوا بما اوتوا
اي اعطوا من المال والجاه وصحة البدن وطول العمر اخذناهم بغتة اي فجاة بالموت او العذاب
فانه اشد في تلك الحالة فاذا هم مبلسون اي واجمون ساكتون متحسرون متحيرون ايسون
رواه احمد وفي الجامع عنه بلفظ اذا رايت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم
على معاصيه فانما ذلك منه استدراج رواه الطبراني واحمد والبيهقي وعن ابي امامة ان رجلا من
اهل الصفة في النهاية فقرا المهاجرين ومن لم يكن لهم منزل يسكنه وكانوا ياوون الى موضع
مظلل في مسجد المدينة يسكنونه قال الطيبي وفي وصف الرجل بهذا النعت اشعار بان
الحكم الذي يليه معلل به يعني انتماءه الى الفقراء الذين زهدوا في الدنيا مع وجود الدنيا او ديناره
كانه ذنب يستحق به العقاب والا فقد كان كثير من الصحابة كعثمان بن عفان وعبد الرحمن
ابن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية
لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء فيها مباح مرخص
لا يذم صاحبه ولكل شيء حد والحاصل ان رجلا منهم توفي بصيغة المجهول ويجوز المعلوم
اي تنفر ومات وترك دينارا اي وجد عنده او عند غيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كية اي هو كية للمبالغة او سبب كية او ليته كية وهو الاظهر لقوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم
فتكوى بها جباههم الاية قال اي الراوي ثم توفي اخر اي من اهل الصفة فترك دينارين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيتان وتوضيح المرام في هذا المقام انهما لما كانا مع الفقرا الذين
كان الناس يتصدقون عليهم بنا على انهم في حاجتهم وفاقتهم فهم بمنزلة السايلين [illegible]
ولا يحل لاحد يسال وعنده قوت يوم فرفعا كلاهما مع وجود الدنيا ربما حراما وكذا كل من اظهر
نفسه بصورة الفقرا من لبس الثوب الخلق او زي المشايخ وعنده شي من النقود او ما يقوم
مقامها واحد مما في ايدي الناس واكل فهو حرام عليه وكذا من اظهر نفسه عالما او صالحا او شريفا
ولم يكن في نفس الامر مطابقا واعطي لعلمه او صلاحه او شرفه فيكون حراما عليه وقد حكي ان
الشيخ ابا اسحاق الكازروني راى جماعة من الفقرا ياكلون من الطعام الموضوع للمستحقين
من تكيته فقال يا اكلة الحرام فامتنعوا من الاكل فقال كل من لم يكن معه شي من الدنيا
ياكل والا فلا فاكل بعضهم وامتنع بعضهم فقال سبحان الله طعام واحد حرام لقوم وحلال
لاخرين فليحذر اهل الحرمين الشريفين شرفهما الله تعالى في الدارين من ان ياكل احد منهم
والحال انه غني شرعي من الاوقاف الموضوعة للفقرا وكذلك من سكن الخلاوي الموقوفة
للمساكين فقد صرح ابن الهمام بان الغني يحرم عليه ان يسكن في خلاوي الاربطة ولا يغتر
بما اشتهر من ان اوقاف الحرمين عام للفقير والغني فانه على تقدير صحته لا يصح الوقف عندنا
على الاغنيا اذا كانوا غير محصورين وبهذا يظهر ان امامنا الاعظم ومقتدانا الاقوم لو كان في هذا

الزمان وشاهد سكان هذا المكان لقال دخرجه المجاورة خلافا لما قاله في الصدر الاول من
كراهتها لعدم من يقوم بحق عظمتها وحرمتها الا نادرا والنادر لا حكم له رواه احمد والبيهقي
في شعب الايمان وعن معاوية اي ابن ابي سفيان وهو خال المؤمنين انه دخل على خاله اي
النسبي ابي هاشم بن عتبة ومر ترجمته يعوده حال او استيناف بياني اي يزوره لمرضه
فبكى ابو هاشم فقال ما يبكيك اي شيء يجعلك باكيا يا خال بكسر اللام وفي نسخة بضمها
على حد يا غلام او جع يشيرك بضم الياء وكسر الهمزة اي يقلقك ويغيظك ويبكيك ففي القاموس
شيرمكما اشار اغلظ واشتد ويقال تلقي واشار انعله ام حرص على الدنيا اي يقلقك فيبكيك
وفيه تنبيه الى ان الامر لا يخلوا اما من اشتداد مرض صوري او مرض معنوي يكون كل منهما باعثا على البكا
ظاهري وباطني قال كلا اي ارتدع عن حسبانك كلا ومعناه ليس الباعث احدهما ولكن رسول
الله صلى الله عليه وسلم عهد الينا عهدا لم اخذ به والمراد بالعهد اما وصية عامة او مبايعة خاصة
قال وما ذلك اي العهد وفي نسخة وما ذاك قال سمعته يقول انما يكفيك من جمع المال اي الذي
يحصل منه في المال خادم ومركب في سبيل الله واني اراني بضم الهمزة اي اظن وفي نسخة
بفتحها اي ابصر واعلم قد جمعت اي زيادة في ما عهدت واغرب الطيبي حيث قال حذف متعلقه
ليدل في الكثرة من انواع المال فالله اعلم بحال رواه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه
وعن ام الدردا قالت قلت لابي الدردا ما لك لا تطلب مالا او منصبا كما يطلب فلان
اي وهو من نظرائك فقال اني بكسر الهمزة ويجوز فتحها بتقدير لاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان امامكم بفتح الهمزة اي قدامكم وهو ظرف وقع خبرا مقدما
والاسم قوله عقبة بفتحات اي مرتقى صعبا من الجبال على ما في القاموس كوودا بفتح فضم
همزة فدال فواو اي شاقة فاصلة بينكم وبين دخول الجنة قال الطيبي والمراد بها الموت والقبر والحشر
واهوالها وشدائدها شبهها بصعود العقبة ومكابدة ما يلحق الرجل من قطعها لا يجوزها اي لا يتجاوز
تلك العقبة على طريق السهولة المثقلون من باب الافعال اي الحاملون ثقل المال ومونة
الجاه وسعة الحال ولذا قيل فاز المخفون وهلك المثقلون فاحب ان اتخفف والصبر على قلة
المونة لتلك العقبة لئلا يحصل لي التعب فيها وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل من احد يمشي على الماء الا ابتلت قدماه اي هل ممشي على الماء حال من الاحوال
الا في حال الابتلا وحاصل معناه هل يتحقق المشي على الماء بلا ابتلال قالوا لا يا رسول الله
قال كذلك صاحب الدنيا لا يسلم من الذنوب اي من المعاصي اللازمة لصاحب الدنيا قال
الطيبي فيه تخويف شديد للمتقين وحث اكيد على الزهد وايثار الاخرة على الاولى وكفى بها تبعة
ان يدخل الفقراء في الجنة قبل الاغنيا بخمسماية عام عافانا الله منها بكرمه وفضله رواهما
اي الحديثين البيهقي في شعب الايمان وكذا الحاكم روى الحديث الاول وقال ميرك نقلا عن
المنذري حديث ام الدردا رواه الطبراني باسناد صحيح ورواه البزار عن ابي الدردا رفعه
ان بين ايديكم عقبة كوودا لا ينجوا منها الا كل مخفف واسناده حسن وعن جبير بن نفير رضي
الله عنه بالتصغير فيهما قال المولف تابعي حضرمي ادرك الجاهلية والاسلام وهو من ثقات
الشاميين وحديثه فيهم روى عن ابي الدردا وابي عبيدة مرسلا اي بحذف الصحابي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي اي يوحى الي ان اجمع المال ان مصدرية او باب
مقدرة وقوله واكون عطف عليه من التاجرين اي المتوغلين في التجارة ولكن اوحي الي اي قيل لي
بالوحي ان سبح ان مفسرة لما في الوحي من معنى القول اي سبح بحمد ربك اي مقرونا به والمعنى
نزه الله عما لا يليق بذاته وصفاته منتهيا الى ثناء ربك باثبات صفات الجلال والجمال له وكن

من

من الساجدين اي المصلين بذكر احد الاركان وارادة تمام الصلاة فهو من قبيل مجاز اطلاق الجزء
وارادة الكل ووجه تخصيص السجدة ما ورد في حديث مسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
واعبد ربك تعميم بعد تخصيص سواء كان المراد به الامر بالعبادة او بالعبودية حتى ياتيك اليقين
اي الموت باجماع المفسرين وفيه اقتباس من قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين رواه اي البغوي في شرح السنة
اي عن جبير بن نفير وابو نعيم بالتصغير في الحلية عن ابي مسلم قال المولف هو ابو مسلم الخولاني
الزاهد لقي ابا بكر وعمر ومعاذا روى عنه جبير بن نفير وعروة وابو قلابة ومناقبه كثيرة مات سنة
اثنين وستين انتهى فيحتمل ان الحديث مروي من طريق جبير عن ابي مسلم او من طريق غيره عنه
والله اعلم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا اي من
طريق حلال استعفافا اي لاجل طلب العفة عن المسئلة في النهاية الاستعفاف طلب العفاف
والتعفف وهو الكف عن الحرام والسؤال من الناس وسعيا على اهله اي لاجل ادا ما يجب عليه
من مونة حاله وتعطفا على جاره احسانا اليه يكون لقي الله تعالى يوم القيمة ووجهه
اي والحال ان وجهه من كمال النور واثر السرور مثل القمر ليلة البدر فيه ايماء انه وان كان له ونيه
اشارة خفية الى ان هذا النور له ببركة المصطفى المنزل عليه طه ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى فان طه اربعة عشر بحساب الجمل الذي يعرفه الاب والجد وهذا يوم لا ينفع ذا الجد
منه الجد ومن طلب الدنيا حلالا اي فضلا عن ان يطلب حراما مكاثرا اي حال كونه طالبا
كثرة المال لا لحسن الحال ولا صدقة في تحسين المال مفاخرا اي على الفقرا كما هو داب الاغنيا
من الاغنيا مرائيا اي الناس عنه صدورا وخيرا وعطايا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان ولعله صلى
الله عليه وسلم لم يذكر من طلب الحرام اما اكتفا بما يفهم من فحوى الكلام واما ايماء انه ليس من
صنيع اهل الاسلام او اشعارا بان الحرام اكله وقربه حرام ولو لم يكن معه طلب ونحوه قال الطيبي
وفي الحديث معنى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهما عبارتان عن رضى الله وسخطه
فقوله ووجهه مثل القمر مبالغة في حصول الرضا بدلالة قوله في مقابلته وهو عليه غضبان رواه
البيهقي في شعب الايمان وابو نعيم في الحلية وعن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان هذا الخير اي هذا الجنس من الخير المحسوس المعلوم كالمحسوس خزائن اي انواع كثيرة
مخزونة مكنونة مركوزة موضوعة فيما بين عباده ولتلك الخزائن خبر مقدم في مبتدا بعده قوله
مفاتيح اي على ايدي عبيده الذين هم بمنزلة وكالة للظاهر ان ذكر الخير يرد ذكر الشر
من باب الاكتفاء او اشارة الى ان الشر ما خلق لذاته وكذا ورد في قوله تعالى بيده الخير مع ان
الامر كله لله وفي الحديث الشريف الخير كله بيديك والشر ليس اليك فقيل المعنى انه لا يتقرب به
اليك والاظهر ان الشر انما يحصل بترك الخير فيكون بينهما نسبة التضاد كالنور والظلمة
والوجود والعدم ومما يدل على ان لله خزائن الشر ايضا قوله فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا
للخير اي علما او عملا او حالا او مالا مغلاقا للشر وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر اي للكفر
والعصيان والبطر والطغيان والبخل وسوء العشرة مع الاخوان مغلاقا للخير قال الراغب
الخير ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلا والعدل والفضل والشيء النافع والشر ضده ثم الخير والشر
قد يقيدان وهو ان يكون خيرا لواحد شرا لاخر كالمال الذي ربما يكون خيرا لزيد وشرا لعمرو
كذلك وصفه تعالى بالامرين فقال في موضع ان ترك خيرا اي مالا وقال في موضع اخر
ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات وكذا العلم بالنسبة الى بعضهم
حجاب وسبب العذاب وبالنسبة الى بعض اخر اقتراب الى رب الارباب وقس على هذا العبادة

فان منها ما يورث العجب والغرور ومنها ما يورث النور والسرور والحبور وكالسيف والخيل ونحوهما
تجعل آلة للجهاد ودفع الكفار ويتوسل بها الى القرار في دار الابرار وقد يتوسل بها الى قتل الانبيا
والاوليا وينتهي بها الى الدرك الاسفل من النار وهذا معنى ما سيأتي من قوله صلى الله عليه وسلم
الا ان الخير كله بحذافيره في الجنة الا ان الشر كله بحذافيره في النار بحسب ما قسم لاهلهما
تنبيها ان البنا به مبنية على جعل بعضهم مظاهر الجمال وبعضهم مظاهر الجلال كما قال فريق في الجنة
وفريق في السعير وقد قال خلقت هولا للجنة ولا ابالي وخلقت هولا للنار ولا ابالي مشيرا الى انه
سبحانه لا يسال عما يفعل وهم يسالون فبحر القضا والقدر عريض عميق لا يغوص فيه الا من
له تحقيق بتوفيق يتحير فيه ارباب السواحل ويمضي منها صاحب سفن الشرايع الكرام رواه
ابن ماجة وروى الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة مرفوعا ان هذه الاخلاق من الله فمن اراد الله
تعالى به خيرا منحه خلقا حسنا ومن اراد به سوا منحه سيئا وعن علي رضي الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم يبارك للعبد في ماله اي بان لا يصرفه في رضى مولاه
وعاقبته عقباه جعله اي انفق ماله وضيعه في الماء والطين اي المعبر بهما عن عمارة
الدنيا بسبب اعراضه عن امر الدين وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الحرام
اي احذروا التعلق وفي الجامع اتقوا الحجر الحرام في البنيان اي في صرفه في عمارة الدنيا الفانية
فانه اساس الخراب اي في الايام الآتية كما ورد لدوا للموت وابنوا للخراب والتقييد بالحرام
للتشديد مفهوم معتبر بل فيه اشارة الى ان مال الحلال وكذا بذل الولاء المختفي بحب الدنيا
وكم يبقى له نظام في الحال وقال بعضهم الغفلة رحمة وقد قال تعالى اقترب للناس حسابهم
وهم في غفلة معرضون فبدا النقد بانه سبب خراب الدين واساس خراب البنيا ويحتمل الدلالة
بدليل على جواز انفاق الحلال في البنيان وفي الاتيان لا وهذا المناسب بالباب والله اعلم بالصواب
رواهما اي الحديثين البيهقي في شعب الايمان وروى الطبراني الحديث الاول عن ابي هريرة
مرفوعا ولفظه للرجل بدل العبد وعن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا
دار من لا دار له قال الطيبي لما كان القصد الاولى من الدار الاقامة مع عيش هنيء ودار
الدنيا خالية عنها لا يستحق كذلك ان تسمى دارا فمن دار الدنيا فلا دار له قال تعالى وان
الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا عيش الا عيش الآخرة
ومال من لا مال له فان المقصود من المال هو الانفاق في المبرات والقرب في وجوه الخيرات
فمن اتلفه في تحصيل الشهوات واشتغال اللذات فحقيق بان يقال لا مال له قال تعالى
وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ولذا قدم الظرف على عامله في قوله ولها اي للدنيا يجمع اي
المال من لا عقل له اي عقلا كاملا وعقل الدين دلالة على ان الجمع للدار الاخرة للتزود وهو
المحمود قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى قلت ويحتمل المعنى ان الدنيا لا يستحق
ان تعد دارا الا لمن لا دار له ولا مالا الا لمن لا مال له والمقصود استحقارها والخطاب عن ان
تعد دارا ومالا لمن كانت الاخرة له دارا او مالا قال الراغب كل اسم نوع يستعمل على وجهين
احدهما دلالة على المسمى وفصلا بينه وبين غيره والثاني لوجود المعنى المختص به وذلك هو
الذي يمدح به فكل شي لم يوجد كاملا لما خلق له لم يستحق اسمه مطلقا بل قد ينفى عنه كقولهم فلان
ليس بانسان اي لا يوجد فيه المعنى الذي خلق لاجله رواه احمد والبيهقي في شعب الايمان وروى
البيهقي ايضا في الشعب عن ابن مسعود موقوفا وعن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول في خطبته اي موعظته الخمر جماع الاثم بكسر الجيم اي مجمعه ومظنته واصل
الجماع عددا ويرادفه حديث ابن عباس فيما رواه الطبراني الخمر ام الفواحش واكبر الكبائر

من شربها

من شربها وقع على امه وخالته وعمته وفي رواية البيهقي عن انس مرفوعا الخمر ام الفواحش
واكبر الكبائر من شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على امه وعمته وخالته وفي لفظ دعي رجل الى سجدة
الصنم فابى ثم الى قتل النفس فابى ثم الى الزنى فابى ثم الى شرب الخمر فاتى فلما شرب فعل
جميع ما طلب منه والنسا اي جنسهن حبائل الشيطان والمراد به الجنس او رئيسهم ويؤيده
الاول ما في نسخة بلفظ الشياطين اي مصايدهم واحدها حبالة بالكسر وهي ما يصاد بها
من اي شي كان فيما ايس الشيطان من بني آدم الا اتيه من قبل النسا وحب الدنيا راس
كل خطيئة اي ملاكها ومفهومه ان ترك الدنيا راس كل عبادة وقد قيل من احب الدنيا لا يهديه جميع
المرشدين ومن تركها لا يغويه جميع المفسدين قال الطيبي والكلمات الثلاث كلها من الجوامع
لان كل واحد منها في الانفراد اصل في المآثم والمغرم قال اي حذيفة وسمعته اي النبي صلى الله
عليه وسلم يقول اخروا النسا حيث اخرهن الله قال الطيبي حيث للتعليل اي اخرهن الله
تعالى بالذكر وفي الحكم وفي المرتبة فلا تقدموهن ذكرا وحكما ومرتبة قلت ولا امامة
استدل به على بطلان محاذاة المرأة بشروطها المعتبرة فيما هو مقرر عندهم وحقق عند المحقق
ابن الهمام رواه اي الحديث بكماله رزين وفي التمييز لابن الربيع حديث اخروهن من حيث
اخرهن الله يعني النسا قال شيخنا في مصنف عبد الرزاق وذكر حديثا بمعناه من طريق
الطبراني ثم قال ولا نطيل بها واشار شيخنا لبعضها في مختصر تخريج الهداية انتهى فالحديث
مشهور عند المحدثين لكن بالمعنى اللغوي لا بالمعنى الاصطلاحي فانه يطلق على الغريب
من المتواتر القطعي ولذا قال ابن الهمام عند قول صاحب الهداية لنا الحديث المشهور لا يثبت
رفعه فضلا عن شهرته والصحيح انه موقوف على ابن مسعود لكنه في حكم المرفوع وروى
البيهقي منه اي من الحديث الطويل المشتمل على جوامع الكلام في شعب الايمان باسناد
حسن عن الحسن مرسلا حب الدنيا راس كل خطيئة قلت وهو عند ابي نعيم في ترجمة
سفيان الثوري من قول عيسى بن مريم عليهما السلام وعند ابن ابي الدنيا في مكايد الشيطان
له من قول مالك بن دينار وكذا البيهقي في الزهد من كلام عيسى عليه السلام قال السيوطي
وقد عد الحديث في الموضوعات وتعقبه شيخ الاسلام ابن حجر يعني العسقلاني بان ابن المديني
اثنى على مراسيل الحسن والاسناد حسن اليه وقد رواه الديلمي من حديث علي بن ابي طالب
في مسنده ولم يذكر له اسنادا وهو في تاريخ ابن عساكر عن سعد بن مسعود الصدفي
التابعي بلفظ حب الدنيا راس الخطايا وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اخوف ما اتخوف على امتي الهوى اي هوى النفس ومشتهياتها وطول الامل اي بتسويف
العمل وتاخيره الى اجل حتى ينقطع فاما الهوى اي المخالف للهدى الموافق للباطل فيصد اي يمنع صاحبه
عن الحق اي عن قبوله واتباعه واما طول الامل فينسي الآخرة اي ينسي ذكرها وتجويز التشديد
لان ذكرها يقطع الامل ويوجب العمل وهذه الدنيا اي المعلومة ذاهبة والمعهودة حسا مرتحلة
اي ساعة فساعة ذاهبة اي ماضية من حيث لا يدري صاحبها كما لا يشعر بسير السفينة راكبها
والذائق بنفس حظه الى اجله وهذه الاخرة مرتحلة قادمة اي آتية شبههما بالمطيتين
المختلفتين في طريقهما وفيه اشعار بان كل ما هو آت قريب وايما الى ان كل ساعة يحتمل انها نفس
الاجل المقتضي بانقضاء الدنيا ولكل واحدة منهما بنون اي ملازمون ومحبون وراكبون
وراغبون والجمع بينهما من الاضداد المعلومة كما حققه العلما العاملون فان استطعتم
ان لا تكونوا من بني الدنيا فافعلوا وفيه اعلام بتمام ترك الدنيا ومبالغة بليغة في ملازمة
امر الاخرة فافعلوا ولعل العدول لما يلزم من ترك حب الدنيا حصول الاخرة ولا يلزم من حصول

الآخرة نزل حظ الدنيا لقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ولقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن
فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر
كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا فإنكم اليوم في دار العمل
أي في دار يطلب منكم عمل الآخرة فإن الدنيا دار تكليف فاغتنموا الفرص واحذروا الأجل
بترك الأمل لأن الدنيا ساعة فينبغي أن تصرف في طاعة ولا حساب أي اليوم بحسب الظاهر
بالنسبة إلى الفاجر والأولى خطابا للأبرار حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ويدل
عليه قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله
خبير بما تعملون وأنتم غدا في دار الآخرة أي وفي الحشر المترتب عليه الغضب بدل الثواب
ولا عمل أي يومه لانقطاعه بالأجل قال السيوطي قوله ولا حساب بالفتح بغير التنوين ويجوز
الرفع بالتنوين وكذا قوله ولا عمل قال الطيبي أشار بهذه الدنيا إلى تحقير شأنها وتشكك زوالها
وفي قوله الآخرة إلى تعظيم أمرها وقرب نزولها وقوله فإذا استطعتم يعني يبين لكم حال
الدنيا من غرورها وفنائها وحال الآخرة من نعيمها وبقائها وجعلت أيام الاختيار في أيديكم
فاختاروا أيهما شئتم وكان من حق الظاهر أن يقال فإنكم اليوم في دار الدنيا ولا حساب
فوضع دار العمل موضعها ليؤذن بأن الدنيا ما خلقت إلا للعمل والتزود منها للدار الآخرة فلم
يعكس ثم بأن الدار هي دار الآخرة رواه البيهقي في شعب الإيمان قال الطيبي وهذا الحديث
رواه جابر مرفوعا وفي رواية البخاري عن علي رضي الله عنه كما سيأتي موقوف وهذا الحديث
يدل على أن حديث علي كرم الله وجهه أيضا مرفوع قلت وفيه بحث لأنه إنما يقال في
الموقوف الذي لا مجال للرأي فيه إنه في حكم المرفوع ولا شك أن هذا الموقوف ليس من ذلك
القبيل المعروف فيحتمل أن يكون مرفوعا ومسموعا ويحتمل أن يكون وقع منه رضي الله تعالى عنه
توارد مطابقا مطبوعا وعن علي رضي الله تعالى عنه موقوفا قال ارتحلت الدنيا مدبرة
وارتحلت الآخرة مقبلة أي ظهر إدبار الدنيا وفناؤها وإقبال الآخرة وبقاؤها ولكل واحدة
منهما بنون أي بهما متعلقون فكونوا من أبناء الآخرة أي بالتوجه إليها ولا تكونوا من أبناء الدنيا
أي بالإعراض عنها وعدم الالتفات إليها فإن اليوم عمل هو وقت عمل ولا حساب ولا عمل وتقدم
ما في الحساب والعمل من اختلاف الإعراب رواه البخاري أي في ترجمة باب من غير ذكر إسناد
في كتاب وعن عمرو بالواو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوما فقال في خطبته ألا
للتنبيه إن الدنيا عرض بفتحتين أي متاع حادث وحال أي عاجل محسوس يأكل
منه أي من العرض وفي نسخة منها أي من الدنيا البر والفاجر أي المؤمن والكافر فإنه تعالى قال
وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وقال كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء
ربك محظورا أي ممنوعا هذا وقال الراغب العرض ما لا يكون له ثبات ومنه استعار المتكلمون
قولهم العرض لما لا ثبات له إلا بالجوهر كاللون والطعم وقيل الدنيا عرض حاضر تنبيها على أن لا
ثبات لها ألا وإن الآخرة قال الطيبي حرف التنبيه هنا مفتحة وما بعدها معطوف على قوله
إن الدنيا فوليت القرينة السابقة بقوله ألا وإن الآخرة أجل أي موجل صادق أي وقوعها
ويقضي أي يحكم فيها ملك قادر أي يميز بين البر والفاجر المؤمن والكافر بالثواب والعقاب
قال الطيبي الأجل الوقت المضروب الموعود وصفه بالصدق دلالة على تحققه وثباته وفي
وقال الراغب يستعمل الصدق في كل ما يحق ويحصل في الصدق فعله وكتابه في الأصدق قبي

سس بكره وصدق في العقاب إذا وجده ونقل ما يجب وكما يجب ألا وإن الخير أي ما سمي به كله بجميع
أصنافه بحذافيره أي بجوانبه وأطرافه في الجنة ألا وإن الشر كله بحذافيره في النار الظاهر
أن المعطوف والمعطوف عليه إلى حرف التنبيه أشار إلى استقلال كل من الجملتين خلافا
لما سبق عن الطيبي فتدبر ألا فاعملوا أي بالخير وأنتم من الله على حذر أي على خوف من وقوع شر
واعلموا أنكم معروضون على أعمالكم قال الطيبي أي الأعمال معروضة عليكم من باب القلب كقولهم
عرضت الناقة على الحوض انتهى والأظهر أن معناه مقابلون بأعمالكم مجزيون على أعمالكم
كعرض العسكر على الأمير ومنه قوله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية على أنه يحتمل
أن يكون على للعلة كما قال تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم أو الترتيب من قبيل علمته ما ونبأ
والتقدير معروضون على مجاوزون على أعمالكم إن كان خيرا فخير وإن شرا فشر فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره أي جزاءه في أحد الدارين ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال السيوطي الذرة النمل
الأحمر الصغير وسئل ثعلب عنها فقال إن مائة نملة وزن حبة والذرة واحدة منها وقيل الذرة ليس لها وزن
ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في الكوة النافذة رواه الشافعي وعن شداد
بتشديد الدال الأولى ابن أوس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها
الناس إن الدنيا عرض حاضر يأكل منها أي من الدنيا ويتمتع بها البر والفاجر أي المؤمن والكافر
وإن الآخرة وعد أي موعدة صادق أي ونفع غير كاذب في مختصر الطيبي وصف الوعد بالصدق
على الإسناد المجازي صادق واعد في وعده يحكم فيها أي يقضي في الآخرة ملك أي سلطان
عادل أي غير ظالم قادر أي غير عاجز يحق أي يثبت ويبين الحق ويبطل أي يذهب الباطل والمعنى
يميز بين أهليهما ويفصل بينهما بالثواب والعقاب فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء
الدنيا فإن كلا يتبعها ولدها فإن الدنيا باطلة منتهاها النار وبئس القرار والآخرة الحقة محلها
الجنة فنعم الدار وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طلعت الشمس
إلا بجنبيها بفتح الجيم والنون ويسكن وفتح الموحدة وسكون التحتية تثنية الجنبة وهي
الناحية ففي المقدمة أنها بالتحريك وفي القاموس الجنب والجانب والجنبة محركة شق الإنسان
وغيره وجانبتا الأنف وجنبتا الوادي ناحيتاه قال الطيبي الواو للحال والاستثناء مفرغ
من أعم عام الأحوال وقوله ملكان يجوز أن يكون فاعل الجار والمجرور ويجوز أن يكون مبتدأ
والجار والمجرور خبره انتهى وقوله يناديان حال أو استئناف أو صفة لقوله ملكان وقوله
يسمعان الخلائق غير الثقلين بدل من قبله أو حال من ضمير يناديان أو بيان لما يناديان والظاهر
حمل الإسماع على الحقيقة ثم لعل السر في عدم إسماع الثقلين أن لا يرتفع التكليف
لمعاينة الغيب كما حقق في قوله صلى الله عليه وسلم لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم
من عذاب القبر فإن قلت فما فائدة النداء لغيرهما مع أنهما المحتاجان للتنبيه عن غفلتهما
الإنسان قلت فائدته نشر الخبر الصادق المصدق بقوله لنا ثلاثا سمع بنفسه أو أخبره به الحق
المطلق يا أيها الناس هلموا أي تعالوا إلى ربكم أي بأمره وحكمه أو انقطعوا إليه من غيره كما قال تعالى
ففروا إلى الله وتبتل إليه تبتيلا إنما قل أي من المال وما موصولة وكفى أي في أمر الدنيا وزاد
العقبى خير مما كثر أي من المال وألهى أي شغل عن المولى وحسن الحال وتحسين المآل وقال
الطيبي يجوز أن يكون الإسماع على الحقيقة وأن يكون على التنبيه عن الغفلة مجازا فمعنى
يسمعان الخلائق غير الثقلين أنهما يقصدان بالإسماع الثقلين فيسمعان غيرهما ثم خص
من الثقلين الإنسان بقوله يا أيها الناس تنبيها على تماديهم في الغفلة وأنهم كهم في الحرص
وجمع حطام الدنيا حتى ألهاهم ذلك عن الالتفات إلى ذكر الله تعالى وذاك دأبه فقيل لهم إلى كم

هذه الغفلة والاعراض عن ذكر الله هلموا الى طاعة ربكم ما قل من المال ويكفيكم ولا يلهيكم خير مما كثر
والهى يسمع هذا النداء من في السموات وهو شهيدا اولئك الذين اشاد الله بذكرهم ورفع من منزلتهم
في قوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ومعنى اسماع غير المكلفين كونها مسبحة لله منقادة لما
يراد منها وان من شيء الا يسبح بحمده انتهى ولا يخفى ان دعوة كلامه يحتاج الى النقل او التقدير عن من
الثقلين والله اعلم رواه اي الحديث ابو نعيم في الحلية وقد روى ابن حبان الاول في صحيحه
وعن ابي هريرة يبلغ بفتح الباء وكسر اللام للتعدية والمعنى يرفع مرويه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا مات الميت قال الطيبي هو من باب المجاز باعتبار ما يؤول فان الميت لا يموت بل الحي الذي
يموت قلت الا الحي الذي لا يموت وفي الكشاف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اذا اراد
احدكم الحج فليتعجل فانه يمرض المريض ويضل الضالة تسمية المشارف للمرض وللضلال مريضا وضالة
وعلى هذا تسمية المشارف للموت ميتا قلت ومنه قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون
ومآل القولين واحد وانما الخلاف باعتبار النظر الى اول الامر او آخر حاله كنظر الصوفية في الازل السابقة
واللاحقة والامر واضح في الاولى قال وفي رواية الجامع يقول الملائكة ما قدم بتشديد الدال اي
من الاعمال وقال بنو آدم وفي رواية الجامع ويقول الناس ما خلف بتشديد اللام اي من الاموال
قال الطيبي وذلك يدل على اهتمام شأن الملائكة بالاعمال اي ما قدم من عمل حتى يثاب به او يعاقب عليه
واهتمام الوارث بماله ليرثه رواه البيهقي في شعب الايمان وعن مالك اي ابن انس ان لقمان قال
لابنه يا بني بتشديد الياء المفتوحة وبكسرها على صيغة التصغير للشفقة ان الناس اي من عهد آدم
الى يومنا هذا قد تطاول اي بعد عليهم ما يوعدون اي من البعث والحساب وما بعدهما من الثواب
والعقاب وقال الطيبي اي طال عليهم مدة ما وعدوا به وهم الى الآخرة سراعا اي مسرعين حال من المبتدأ
او من ضمير الخبر وهو قوله يذهبون قدم اهتماما والجملة حال من ضمير ما يوعدون والمعنى تطاول على
الناس بعد الوعد وقرب العهد والحال انهم كل ساعة بل كل نفس يذهبون الى ما يوعدون كالقافلة
السيارة لكنهم لا يحسون كالسكان في الفلك المشحون ثم بين نفرا المعنى بقوله وانك اي ايها الولد
واريد به خطاب العامة ان هو لنفسه قد استدبرت اي تركت الدنيا اي ساعة فساعة منذ كنت
اي وجدت وولدت واستقبلت الآخرة اي نفسا فنفسا من غير اختيار انك في هذا المسير
من البدو والمصير ثم اوضح تلك القضية بطريق الحكمة حيث بين الدارين المعنويتين بالدارين
المحسوستين فقال وان دارا تسير اليها اقرب اليك من دار تخرج منها والمقصود من هذه
الموعظة دفع الغفلة عن امر الآخرة رواه رزين وعن عبد الله بن عمرو بالواو قال قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل قال كل مخموم القلب بالخاء المعجمة اي سليم القلب
لقوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم من خممت البيت اذا كنسته على ما في القاموس وغيره في
المعنى ان يكون قلبه مكنوسا من غبار الاغيار ومنظفا من اخلاق الاكدار وصدوق اللسان
بالجر اي كل مبالغ للصدق في لسانه فيحصل به المطابقة بين حسن جانبيه وبيانه فيخرج عن
كونه منافقا او مرائيا بمخالفة الواصف وفي اللسان بالجر على الحكاية ويجوز رفعه على اعراب
الابتداء والخبر قوله نعرفه فما مخموم القلب قال هو التقي اي تقي القلب وظاهر الباطن
عن محبة غير المولى النقي اي المجتنب عن خطور السوى لا اثم عليه فانه محفوظ وبعين العناية
ملحوظ او بالعفو والغفران محظوظ ومن المعلوم ان لا ينفي الحس فقوله ولا بغي اي لا ظلم له
ولا غل اي لا حقد ولا حسد اي لا تمني زوال نعمة الغير من باب التخصيص والتعميم على سبيل
التكميل والتتميم لئلا يتوهم اختصاص الاثم بحق الله فصرح بانه لا مطالبة له عليه لا من
الخالق ولا من جهة المخلوق والله اعلم بالحقائق قال الطيبي جواب سائل في قوله تعالى اولئك

الذين

الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب والفضة اذا
اذابه وخلص ابريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضي الله عنه اذهب الشهوات عنها رواه
ابن ماجة والبيهقي في شعب الايمان وعنه اي عن ابن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اربع اي من الخصال اذا كن فيك اي وجدن في وجودك ظاهرا او باطنا فلا عليك اي لا باس
ما فاتك الدنيا وفي الجامع ما فاتك من الدنيا قال الطيبي يحتمل ان يكون ما مصدرية
والوقت مقدر اي لا باس عليك وقت فوت الدنيا ان حصلت لك هذه الخصال وان يكون
نافية اي لا باس عليك لانه لم يفتك الدنيا ان حصلت لك هذه الخصال انتهى والاول
اظهر كما لا يخفى حفظ امانة لشيء اما بنية الاقوال والاعمال وصدق حديث يعم الاقوال
وحسن خليقة اي خلق والتعبير بها اشارة الى الحسن الجبلي لا التكلفي والتصنعي في الاحوال
وعفة في طعمة بضم الطاء مع تنوين اي احتراز من الحرام واحتياط في الحلال رواه احمد
والبيهقي في شعب الايمان ولفظ الجامع صدق الحديث وحفظ الامانة وحسن الخلق رواه
احمد والطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عمر بلا واو والطبراني عن ابن عمرو بالواو وابن عدي
وابن عساكر عن ابن عباس وعن مالك اي الامام بلغني انه قيل للقمان الحكيم ما بلغ بك
ما نرى يعني الفضل يحتمل ان يكون من كلام مالك وغيره تفسيرا والمعنى يريد لقمان بالموصول
في قوله ما نرى الفضل وانما ما الاولى استفهامية والمعنى اي شيء اوصلك هذه المرتبة التي
نراك فيها من الفضيلة تفسير الزيادة على غيرك قال صدق في الحديث اي ملازمة صدق
الحديث قولا وفعلا واداء الامانة اي مطلقا قولا وفعلا وترك ما لا يعنيني اي ما لا ينفعني حالا ومآلا
رواه اي مالك في الموطا اي عن مالك وقد تقدم بعض ذلك وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تجيء الاعمال اي ثوابها او تجوز تذكيره اي تأتي الاعمال اي مجسمة
لتحتج لصاحبها وتستشفع لراعيها او تخاصم لمخالفها وتاركها فتجيء الصلاة اي بلسان المقال
ويمكن ان يكون بلسان الحال والمراد بالمجيء ظهور اثر الاعمال ونتيجة الانعال في المآل فتقول
يا رب انا الصلاة اي المبدوة في كتابك عن جميع الاعمال حيث قلت الا المصلين الذين هم
على صلاتهم دائمون والمختومة منها بقولك والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك في جنات
مكرمون وقيل التقدير انا المعروفة المشهورة بالفضل والرتبة كما يقال انا العالم ومنه
قول القائل انا ابو النجم وشعري شعري وقال الطيبي انا ذي مرتبة الشفاعة لاني عماد
الدين فيقول اي الرب انك على خير وهذا رد لها على العطف وجه اي انت ثابتة مستقرة على
خير كقوله تعالى اولئك على هدى ولكن لست بمستقلة فيها ولا كافية الاحتجاج وفي هذا القول
سائر الاعمال من الصدقة والصيام وبقية الاعمال فتجيء الصدقة فتقول يا رب انا الصدقة
فيقول انك على خير ثم يجيء الصيام ولعل وجه تاخيره عن الصدقة ان في العقبى خير وجوبه منها
في الدنيا فيقول يا رب انا الصيام فيقول انك على خير ثم تجيء الاعمال اي سائرها من الحج والجهاد
وطلب العلم ونحوها على ذلك اي على هذا المنوال متفقة على هذا المقال بقول استثنيت
او حال وكان منتظر الظاهر فيقول الله تعالى وفي نسخة صحيحة عز وجل انك اي ايها العمل
على خير ثم يجيء الاسلام اي الانقياد الباطن الموجب للانقياد الظاهر المعبر عنه بالايمان
وفي نزادتها اصحاب الايقان وارباب العرفان فيقول يا رب انت السلام وانا الاسلام
اي وبينهما مناسبة الاشتقاق الاسمية المعتبرة عند العلماء الرسمية والوسمية كما حقق
في حديث الرحم شجنة من الرحمن فقال المقتضي بذلك ان القائم بي يدخل دارك دار السلام
فيقول الله تعالى انك على خير اي خير عظيم لاشتمالك على ذي وسم بك اليوم آخذ بصيغة المتكلم

اي خذ بك من اخذ بالعقوبة وبك اعطي اي من اسامحه بالمثوبة فانك انت الاصل المدار عليك
امر الطاعة والمعصية قال الله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة
من الخاسرين ابدا بل من المفلحين الناجين مآلا ومنالا وانا امر الطاعة والعبادة مع ثبوت
الاسلام يرجى فيها المسامحة نسال الله العفو والعافية ونعوذ بالله من درك الهاوية
وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان لنا ستر بكسر السين اي شيء يستر به الجدار او باب الدار
فيه تماثيل طير اي نقش وتصاوير طيور او طير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة حوليه
اي غيريه بتبديله او تقليبه فاني اذا رايته ذكرت الدنيا وفي هذا التعليل دليل على ان
الصور كانت صغيرة جدا وقبل العلم بتحريم التصوير وامتناع دخول ملائكة الرحمة في مكانه
مع الايماء الى ان زينة اسباب يتنعم بها الاغنياء مما تذهب بحلاوة قلوب الفقراء وقد قال
تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك
خير وابقى وعن ابي ايوب الانصاري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عظني واوجز
اي اختصر في المهم فقال اذا قمت اي شرعت في صلاتك فصل صلاة مودع بكسر
الدال المشددة اي مودع لما سوى الله بالاستغراق في مناجاة مولاه والمعنى صل صلاة
من يودع الصلاة ومنه حجة الوداع اي اجعل صلاتك اخر الصلوات فرضا فحسن خاتمة
عملك واقصد طول لعملك لاحتمال قرب اجلك وقال الطيبي اي فاقبل على الله تعالى
بشراشرك وودع غيرك لمناجاة ربك ولا تكلم بحذف احدى التائين وفي نسخة باثباتهما
اي لا تتحدث بكلام تعتذر ، الف وكسر الذال اي تحتاج ان تعتذر منه اي من اجل ذلك الكلام
غدا اي يوم القيامة وهو المعنى بقوله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه واجمع الاياس
بفتح الهمزة وكسر الميم ويجوز تسكينه ومنه قوله تعالى فاجمعوا كيدكم فقد قرا ابو عمرو بوصل
الهمزة وفتح الميم من جمع يجمع والباقون بقطعها والكسر من اجمع بمعنى عزم في الامر وهي
لغات بمعنى الجمع فالمعنى اعزم على قطع الاياس واجمع خاطرك في قصر الياس وترك
الطمع مما في ايدي الناس اي القناعة بالكفاية المقدرة بالقسمة المحررة المقدرة في قوله
تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا الى ان قال وان كل ذلك لما متاع
الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين وفي الحديث اشارة الى ان الاستغناء عن الناس
من علامة الافلاس وان الغنى غنى القلب هو الياس مما في ايدي الناس وقال الطيبي اي
اجمع رايك على الياس من الناس وصمم عليه وهو من قوله تعالى فاجمعوا كيدكم ثم قال
والظاهر ان الاياس وقع من تغير الناسخ سهوا من الكتاب لان الاياس مصدر آسه اذا اعطاه
آسه اذا اعطاه وليس مصدر ايس يغلوت ييس لان مصدر المقلوب يوافق الفعل
الاصلي ثم ان المقلوب يمكن ان يقال انه من ايس نفسه مما في ايدي الناس اياسا
بتخفيف الهمزة والحذف انتهى ايس منه كسمع اياسا فنظر بضبط تغليطه الرواة الحفاظ
المعتمد على ذوات الصدور وما في السطور خصوصا وقد جاء هذا الحديث من طرق متعددة
مصححة على ما ذكره ميرك نقلا عن المنذري بعد قول المؤلف رواه احمد اي عن ابي ايوب
ولهذا الحديث شاهد من حديث سعد بن ابي وقاص قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اوصني قال عليك بالاياس مما في ايدي الناس واياك والطمع
فانه الفقر الحاضر وصل صلاتك وانت مودع واياك وما يعتذر منه رواه الحاكم والبيهقي
في الزهد وقال الحاكم واللفظ له صحيح الاسناد ورواه الطبراني من حديث ابن عمر نحوه
انتهى ومن المحال ان نعان الحافظ على سهو من احد الكتاب والله اعلم بالصواب وعن معاذ

ابن

ابن جبل قال لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لما اراد ارساله قاضيا او عاملا الى اليمن خرج
معه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيه بالتخفيف والتيسير ومعاذ راكب اي بامره ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يمشي تحت راحلته اي تواضعا لله وتلطفا للمومنين ومنه يوخذ استحباب
متابعة الاصحاب فلما فرغ اي من الوصية قال يا معاذ انك عسى ان لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك
ان تمر بمسجدي هذا او قبري اي مع قبري في الواو بمعنى مع ذكره الطيبي والظاهر انه عطف على
مسجدي والتقدير ان تمر بمسجدي هذا او قبري ايضا وابهمه لعدم ظهوره حينئذ على ما لا يخفى
ثم اعلم ان عسى معناه الترجي في المحبوب والاشفاق في المكروه وقد اجتمعا في قوله تعالى
وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم واما لعل فمعناه التوقع
وهو ترجي المحبوب والاشفاق من المكروه نحو لعل الحبيب قادم ولعل الرقيب حاضر ويختص
بالممكن بخلاف ليت فانه يستعمل في المحال نحو ليت الشباب يعود فاستعمل عسى ولعل
في الحديث بالمعنيين الاخيرين على ما هو الظاهر المناسب لما ذكر في المغني قبري جبر لعل بان
كثيرا جاء في عسى كقوله

لعلك يوما ان تلم ملمة ⁂ عليك من اللاي يدعنك اجدعا

وقال الطيبي استعمل لعل في الحقيقة لكونه صلى الله عليه وسلم راغبا للقاء الله تعالى
وادخل ان في الخبر تشبيها للعل بعسى تلويحا الى قوله عز وجل عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا فبكى معاذ جشعا بفتح الجيم والشين اي جزعا وفرعا في النهاية الجشع الجزع
لفراق الالف لقوله بفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم للتاكيد والتجديد ثم التفت
اي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاذ فاقبل بوجهه نحو المدينة تفسير للالتفات
ولعل وجه الالتفات بادارة وجهه الشريف عن معاذ لئلا يرى بكاءه ويصير سببا لبكائه
عليه السلام ويشتد الحزن في ذلك المقام مع الايماء بانه لا بد من المفارقة في الدنيا والموا
في العقبى ولذا فعلا ووصاه بقوله حيث بين فيه انك تفارقني وتفارق المدينة وترى
المدينة ولا ترى واشار الى ان مجمع الانبياء والاتقياء في دار البقاء قال ان اولى الناس بي
اي ليستغني ان اقرب الناس الى منزلتي المتقون من كانوا جمع باعتبار معنى من والمعنى
كائنا من كان عربيا او عجميا ابيض او اسود شريفا او وضيعا وحيث كانوا اي سواء كانوا بمكة
والمدينة او باليمن والكوفة والبصرة فسره فانظر الى رتبة اويس القرني باليمن على كمال
التقوى وحال الحجاج على ما كان من الحرمين الشريفين من حرمان المنزلة الزلفى بل من الحال
قربهم اليه صلى الله عليه وسلم حتى من بعض ذوي القربى ذكره [illegible] الله انه لا يغرك
بعدك الصوري عني مع وجود قربك المعنوي فان العبرة بالتقوى كما يستفاد من اطلاق
قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم من غير اختصاص بزمان او مكان او نوع انسان وفيه
تحريض على مراعاة التقوى المناسبة للوصية عند المفارقة الصغرى والكبرى وقد قال تعالى
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله مع ما فيه من التسلية
لبقية الامة الذين لم يدركوا من الحضرة ومكان الخدمة هذا الذي سنح لي في هذا المقام وجل
الكلام على ظهور المرام وقال الطيبي بعد الالتفات كان تسليته لمعاذ بعد ما نعى نفسه
اليه يعني اذا رجعت المدينة بعدي فاقتد باولى الناس بي وهم المتقون وكنى به عن ابي
بكر الصديق ونحوه حديث جبير بن مطعم ان امراة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فكلمته في
شيء فامرها ان ترجع اليه فقالت يا رسول الله ارايت ان جئت ولم اجدك كانها تريد الموت
قلت والظاهر انه المراد خلاف الادب على ما هو المناسب لقوله الظاهر انها تريد عدم وجوده

في المدينة او البيت قال فان لم تجديني فأتي ابا بكر قال وفيه دليل على انه رضي الله تعالى عنه
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده وقايم مقامه قلت لما لم يكن صريحا في المدعا لاحتمال
ان القضية تتعلق بابي بكر رضي الله عنه صرح العلما بانه لا نص في امر الخلافة لا على الصديق
ولا على المرتضى روى الاحاديث الاربعة احمد في مسنده واتلو ترات اسانيده انه حسن
وعن ابن مسعود قال تلا اي قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله ان يهديه اي
هداية الخاص الموصل الى مقام الاختصاص يشرح صدره اي يوسع قلبه للاسلام اي الشرايعة
على سبيل الاحكام قال الطيبي اي يلطف به ويقذف النور فيه حتى يرغب في الاسلام
ويسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه قلت هذا معنى صحيح في نفسه الا انه
غير ملايم لما سيجي في تفسير شرح الصدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور
اي نور الهداية اذا دخل الصدر انفسح اي انشرح وتوسع بحيث يسعه قبول شرايع الاسلام
ويتلذذ في مذاقه مرارة ما قدره وقضاه من الاحكام وهذا القلب في الحقيقة عرش
الرب الذي عبر عنه بالحديث الغريب لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي
المومن لان السفليات والعلويات ليس لهن قابلية ادراك الكليات والجزئيات
المتعلقة بالذات والصفات ولهذا قال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
الايات وهذا يتم شرح الله صدره واراد هداية بخلاف غيره ممن يرد الله غوايته كما
اخبر عنه بقوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السما فقيل
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلك اي للحصلة كذا قيل والصواب هل لتلك الحالة
المعبر عنها بالانفساح من علم اي علامة وامارة ومن زايدة المبالغة تعرف اي تلك الحالة
وفي نسخة بالتذكير نظرا الى معناه وهو الانفساح به اي بذلك العلم تتيسر حال عليه
ويرجع عند اختلاف الارا اليه قال نعم اي فيه علم بل علامات ومن التجافي في المبالغة والتخلي
في العبد على طريق الزهد لتحصيل السعادة من دار الغرور اي الدنيا الغدارة التي هي الغدارة
المكارة كما قال تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور فانها دار العنا
والشقا وان كان صورتها انها النعم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن انه الماحي ابتعهم فيها
الملوك والامرا والاغنيا والانابة اي الرجوع والميلان التام الى دار الخلود اي دار البقا واللقا
والاستعداد للموت بالتوبة والمبادرة الى العبادة وصرف الطاقة في الطاعة قبل نزوله
اي قبل حلول الموت او ظهور مقدمات من المرض والهرم حيث لم يقدر حينيذ على تحصيل علم او عمل
ولا ينفعه الندم وكان توبة تذكرة لما قبله وهو الزهد لكونه عمله وما قبله انما هو باعث
لطريقه هنالك على اقدام السالك على ذلك وعن ابي هريرة وابي خلاد بتشديد اللام قال
المولف ابو خلاد رجل من الصحابة وقال ابن عبد البر لم اقف له على اسم ولا نسبة حديثه عند
يحيى بن سعيد عن ابي فروة عن ابي خلاد قال اذا رايتم المومن قد اعطي زهدا في الدنيا وقلة
منطق فاقربوا منه فانه يلقي الحكمة وفي رواية مثله ولكن بين ابي فروة وابي خلاد ابو مريم
وهذا اصح انتهى فنبه اشارة الى الخلاف في ان هذا الحديث منقطع او متصل وان زاد
روايته مثل ما ذكره المصنف بقوله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم العبد
يعطى زهدا اي قلة رغبة في الدنيا وقلة منطق في اللغو ولهو فاقتربوا منه اي اطلبوا
القرب منه والتمسوا في مجالسته القرب الى المولى فانه يلقي بتشديد القاف المفتوحة
وفي نسخة بتخفيفها اي يلقن ويوتى الحكمة اي الموعظة المطابقة للكتاب والسنة
لقوله تعالى يوتي الحكمة من يشا ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب

والحكمة في الحقيقة اتقان العلم والعمل على سبيل الشريعة والطريقة وصاحبها بحكم حديث من
اخلص لله اربعين صباحا اظهر الله تعالى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه هو العالم العامل
المخلص الكامل يكون مرشدا مكملا فيجب على كل احد ان يطلب مجالسته وبصحبته قال تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين اي قالا وحالا وقال بعض العارفين
اصحبوا مع الله فان لم تطيقوا فاصحبوا من يصحب مع الله وعلامة صحة احواله بعد تصحيح
اقواله وافعاله ما تقدم في الحديث الاتي من علامة من علامة انشراح الصدر بنور
صحة في جميع الامر ويزيدا صحابه في الدنيا وتوابعها من تحصيل المال والجاه زيادة على
قدر الحاجة الموصلة الى دار العقبى بل يجعلهم راغبين عن نور الكونين على ما اشار اليه
خليع التغلبي تابعين عن السوى حاضرين في حضرة المولى ذاهلين عن مراقبة الفنا وصلين
الى مشاهدة البقا صابين في الجنة العاجلة على لذة اللقا فهذا العارف حينيذ خليفة
الانبيا وفي مقام الاوليا الاصفيا رزقنا الله رتبته وخدمته وصحبته رواهما اي الحديثين
البيهقي في شعب الايمان والحديث الاول منهما اخرجه ابن المبارك في الزهد والفريابي
وعبد الرزاق وابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن
مردويه والبيهقي في الاسما والصفات عن ابي جعفر المدايني من اهل بني هاشم وليس هو محمد
ابن علي قال سيل النبي صلى الله عليه وسلم اي المومنين اكيس قال اكثرهم ذكرا للموت
واحسنهم لما بعده استعدادا قال وسيل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فمن
يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا كيف يشرح صدره يا رسول الله قال
نور يقذف فيه فينشرح وينفسح له قالوا فهل لذلك من امارة يعرف بها قال الانابة
الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقا الموت وفي رواية قبل
نزول الموت واخرج عبد بن حميد وابن ابي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى فمن يرد الله ان
يهديه يشرح صدره للاسلام يقول يوسع قلبه للتوحيد والايمان به ومن يرد ان يضله
يجعل صدره ضيقا حرجا يقول شاكا كانما يصعد في السما يقول كما لا يستطيع ابن ادم ان
يبلغ السما فكذلك لا يقدر ان لا يدخل التوحيد والايمان قلبه حتى يدخل الله
في قلبه وللحديث في الدر المنثور طرق كثيرة انتهى والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

باب فضل الفقرا

وما كان من عيش النبي صلى الله عليه وسلم المراد بالفضل هنا زيادة الاجر والثواب لا فضيلة
فضلة المال وزيادة تحسين الثياب وقوله وما كان من عيش النبي اي معيشته وفي نسخة
من عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم على فضل الفقرا على ما لا يخفى ونكتة الجمع بينهما
انه صلى الله عليه وسلم كان عيشه عيش الفقرا كاكثر الانبيا والاوليا وكفى به فضلا للفقرا

الفصل الاول

على الاغنيا واذ خفي هذا الامر على الاغنيا ممن ادعى انه من العلما

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اي رب رجل متفرق
شعر راسه مدفوع بالجر بالابواب اي ممنوع منها باليد واللسان والمعنى انه لا يدخله احد في
بيته لو فرض وقوفه على بابه من غاية خفارته في نظر الناس وذلك لما اراد الله سبحانه له
من كمال غناه ويلبس المراد منه اي ... في ارباب الدنيا فيطردونه عنها ويدفعونه عن دخوله
من تحفظه من الوقوف على ابواب الظلمة
عن الخلق لئلا يحصل له ميل لغير شي من الاشيا سوى مولاه ولا يبسا لهم سواه
والكلية الحرام كما يحمي احدنا المريض عن استعمال ما لا يحتمل الا باب مولاه

منها فان الاولياء محفوظون عن هذه المذلة وان كان لا ينبغي لبعضهم من اختيار زي الملامتية
او ممن صدر عنه الذلة ولعله في بعض النسخ مرفوع بالراجحية قال الطيبي وفي الاشعث من المغبر
الراس المتفرق الشعر واصل التركيب من التفرق والانتشار والمدفوع بالابواب مدفوع بالدال اي يدفع
عن الدخول الى الاعيان والحضور في المحافل فلا يترك ان يلج الباب فضلا ان يحضر معهم ويجلس
فيما بينهم لو اقسم على الله اي يحلف فعله سبحانه بان يحلف ان الله يفعل كذا او لا يفعله لابره
اي لصدقه وصدق يمينه وابره فيها بان يأتي بما يوافقه كما وقع لانس بن النضر في قوله والله
لا تكسر ثنيتها بعد قوله صلى الله عليه وسلم كتاب الله القصاص فرضوا اهلها بالدية بعدما
ما ابوا عنها وقال القاضي اي لو سأل الله شيئا واقسم عليه ان يفعله لم يخيب دعوته فشبه اجابة
المقسم والمقسم في غيره بوفاء الحالف على يمينه وبره فيها وقال شارح قيل معناه لو اقسم على الله
بان يقول اللهم اني اقسمت عليك بجلالك ان تفعل كذا ولا يستقيم هذا المعنى في الموضع لانه
قال ابره اي صدقه ولا يدخل الصدق والكذب في هذه اليمين فيدخلها الابرار فكلمة اللهم الا ان
يقال المعنى صدق رجاءه وانفذ دعاءه رواه مسلم وكذا احمد وفي رواية ولابي نعيم في الحلية عنه
بلفظ رب اشعث اغبر ذي طمرين تنبو عنه اعين الناس لو اقسم على الله لابره وعن مصعب
ابن سعد اي ابن ابي وقاص من العشرة المبشرة سمع اباه وعلي بن ابي طالب وابن عمر روى عنه سماك بن حرب
وغيره قال رأى سعد اي ظنا وتوهم ان له فضلا اي زيادة فضيلة او مثوبة من جهة الشجاعة
او السخاوة ونحوهما على من دونه اي من الفقراء والضعفاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي
جوابا له وارشادا للغير هل تنصرون اي على اعدائكم وترزقون اي بالاموال من الغنيمة وغيرها الا
بضعفائكم اي ببركة وجود ضعفائكم ووجود فقرائكم فانهم بمنزلة الاقطاب والاوتاد للبلاد والعباد
والبلاد وحاصله انما جعلنا النصر على الاعداء وتقدير توسيع الرزق على الاغنياء ببركة
الفقراء فاكرموهم ولا تتكبروا عليهم فانهم اهل سلوك المحبة على اعتاب المحبة وملوك الجنة في اعلى
مراتب الفوز وقال الطيبي قوله ان له فضلا اي شجاعة وكرما وسخاوة فاجابه صلى الله عليه وسلم
بان تلك الشجاعة ببركة ضعفاء المسلمين وتلك السخاوة ايضا ببركتهم وابرزه في صورة
الاستفهام ليدل على مزيد التقرير والتوبيخ رواه البخاري ورواه ابو نعيم في الحلية عنه بلفظ
هل تنصرون الا بضعفائكم بدعوتهم واخلاصهم وعن اسامة بن زيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قمت على باب الجنة اي ليلة المعراج او في المنام او حالة كشف المقام او
بطريق دلالة المرام فكان عامة من دخلها اي اكثرهم وهي مرفوعة وفي نسخة منصوبة فعكس
المساكين اي الفقراء والضعفاء واصحاب الجد وفي الجامع واذا اصحاب الجد بفتح الجيم اي ارباب
الغنى من المؤمنين الاغنياء والامراء محبوسون اي موقوفون يوم القيامة في الصحراء وخلاصة
ان اصحاب الحظ الغالب من ارباب الاموال والمناصب محبوسون في العرصات لطول حسابهم
في المناصب بسبب كثرة اموالهم وتوسيع جاههم وتلذذاتهم في الدنيا وتمتعهم في دفع شهوات
النفس والهوى فان حلالها الدنيا له حساب وحرامها عقاب والفقراء هنا يراد يسبقون بل
قبل الاغنياء بخمسمائة خريف في الجنة يدخلون مكافاة لهم في العقبى لما فاتهم من الدنيا غير ان
اصحاب النار اي الكفار فقد امر بهم الى النار وفي الجامع الا اصحاب النار فقد امر بهم الى النار اي
من غير وقوف في العرصات للحساب والفقراء هم الذين يدخلون الجنة لفقرهم وخلاصة ان الخبر بمعنى
لكن والمعنى ان اصحاب الجنة جعلوا قسمين محبوسين وغير محبوسين ولكن اصحاب النار جعلوا
قسما واحدا امر بادخالهم النار وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها اي اكثر من دخل النار من
الكفار النساء لكثرة ميلهن الى الدنيا ولمنعهن الرجال عن طريق العقبى متفق عليه ورواه احمد

والنسائي

والنسائي عنه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة اي اشرفت
عليها لقوله تعالى لو اطلعت عليهم وفي بمعنى على كقوله تعالى لاصلبنكم في جذوع النخل وكأنه ضمن نظرت
اليها اولا وتفت الاطلاع فيها فرأيت اي علمت اكثر اهلها الفقراء وقال الطيبي ضمن اطلعت معنى تأملت
ورأيت معنى علمت ولذا عداه الى مفعولين ولو كان الاطلاع بمعناه الحقيقي لكفاه مفعول واحد
انتهى وفيه انه لم يتعدها الى مفعولين كما لا يخفى واطلعت في النار فرأيت اكثر اهلها النساء متفق
عليه هذا الحديث رواه البخاري من حديث عمران بن حصين ومن حديث ابي هريرة ايضا رواه مسلم
من حديث ابن عباس ورواه الترمذي من حديث عمران وابن عباس كذا قال الشيخ الجزري وعلى
هذا فقول المؤلف في اخر حديث ابن عباس متفق عليه لا يخلو من نظر ما تقدم ذكره ميرك وفيه انه
في المسامحة حيث وقع الاتفاق على لفظ الحديث وان اختلف المروي عنه من الصحابة نعم
كان حقه ان يقول رواه مسلم ورواه البخاري عن عمران بن حصين كما قال في الجامع بعد ايراد
الحديث بعينه رواه احمد ومسلم والترمذي عن ابن عباس والبخاري والترمذي عن عمران بن حصين
وعن عبد الله بن عمرو بالواو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فقراء المهاجرين يسبقون
الاغنياء اي من المهاجرين بقرينة نفيرهم بالاولى وكذا اطلق الاغنياء وعلى هذا فقراء كل طائفة من احد من
ومكان على اغنيائهم يوم القيامة اي لمحاسبة الاغنياء وخلاص الفقراء عن العشاء فان المفلس
في امان الله دنيا واخرى الى الجنة متعلق بيسبقون اي يسبقون ويبادرون اليها باربعين
خريفا قال الطيبي نقلا عن النهاية الخريف الزمان المعروف بين الصيف والشتاء ويريد باربعين
سنة لان الخريف لا يكون في السنة الا مرة واحدة انتهى فالمعنى بمقدار اربعين سنة من اعوام
الدنيا والاخرى مع احتمال ان يراد بها الكثرة ويختلف باختلاف احوال الفقراء والاغنياء في الكمية
والكيفية المعتبرة وخلاصته ان الفقراء في تلك المدة لهم حسن العيش في العقبى مجازاة لما
فاتهم من التنعم في الدنيا كما قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية اي الماضية
او الخالية عن المأكل والمشرب صياما او وقت المجاعة وقد ورد على ما روي ان اطول الناس جوعا
يوم القيامة اطولهم شبعا في الدنيا وتأييده ما ذكرناه من تفاوت المراتب انه جاء في رواية ابن حبان
عن ابي سعيد بلفظ ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بمقدار خمسمائة رواه مسلم
وعن سهل بن سعد قال مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده الظاهر انه
كان من الاغنياء فيكون في سؤاله وجوابه تنبيه على فضل الفقراء جالس بالجر صفة رجل
وفي نسخة بالرفع على انه فاعل للظرف او خبر بعد خبر لمبتدأ محذوف وهو ما رأيك في هذا اي
ما ظنك في حق هذا الرجل المار خيرا او شرا ذكره ابن الملك فقال اي الذي عنده رجل اي هو
او هو يعني المار من اشراف الناس اي كبرائهم وعظمائهم هذا اي هذا الرجل بعينه او هذا الشخص
بجنسه اي مثل هذا الرجل حري على وزن فعيل وهو خبر هذا والقسم معترض بينهما اي جدير وحقيق
ان خطب اي طلب ان يتزوج امرأة ان ينكح بصيغة المفعول مشددا اي تقبل خطبته قال
اي الراوي فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عن الجواب ولم يذكره بمقتضيه المجاوزة
من الخطاب ثم مر رجل اي اخر فقال له اي للرجل الذي عنده ما رأيك في هذا فقال يا رسول الله
هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري ترك القسم لاحتمال التخلف واما تأكيد الحكم به سابقا
فللمبالغة في تحسين الظن والمعنى هذا لائق ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع وان
قال اي بكلام وان كان صدقا وحقا ان لا يسمع بصيغة المجهول ونائب الفاعل قوله
لقوله والمعنى ان احدا لا يسمع كلامه ولا يلتفت اليه من غاية فقره وقلة نظام امره وفي
غرائب ما يحكى ان رجلا غريبا تغيرا فوق شخص ملك يعبر واجله تقبيلا فقال ما حملك هذا

والله صح

وما حملك على هذا قال عدل منه حب الطعام وعدل اخرى البطحا ليعتدل الشطام قال
الفقير لو كنت البطحا ودست الحب في العدلين منتاصفين لخف حملك وركبت وحملت على جمل
فقال بارك الله فيك لما صدر من نبيك فاطاعه فيما بينه وركب على وجه عينه فسأله هل انت
بهذا الفكر كنت في بلادك سلطانا فقال لا فقال فوزيرا فاميرا فتاجرا فبنيا فصاحب
ابل او صاحب خيل او غنم او زراعة ونحو ذلك فيقول لا فقال اكنت في بلدك فقيرا في هذا الى
حقيرا في هذا المنوال فقال نعم فقال انت شوم ووجهك شوم وكلامك سوم ومن يسمعك
ايضا شوم ونزل من بعيره وامر على تغيير ما سوى تدبيره ومثل هذا مشاهد في العالم
كثيرا اذا كان العالم فقيرا او الشيخ اذا كان حقيرا مشهورا وعلم جاهه بين العوام منشور
فشانه يقبل قوله ويتبع فعله ولو كان في الشرع الامر فيا تفاصيل تعلما وعملا والله ولي دينه ومن
نبيه ومن هذا القبيل قول اهل الجاهلية في حقه صلى الله عليه وسلم لما كان تاركا للمال والجاه
على ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم واراد
بالقريتين مكة والطائف كان كل اهل قوم قالوا هذه المقالة فلف الشرع عنها دالا على معرفته
تلك الحالة فقال تعالى ردا عليهم اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة
الدنيا الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اي هذا الرجل وحده وكذا مثله خير من ملا
الارض مثل هذا اي مثل هذا الرجل الاول ووجهه والله اعلم ان الفقير لضعفه اقرب الى قبول الحق
والوصول الى مرتبة حسنة بخلاف الاغنيا فان لهم الطغيان والاستغنا والتكبر والخيلا وقد قال
تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وهذا امر مشاهد مرئي في تلامذة العلما
ومريدي المشايخ وان اتباع اولا انبيا بل السابقين الى الحق دائما من الضعفا وغيرها في الحج
الذي لم يجب الا على الاغنيا فالفائزون به لا سيما على وجه الاخلاص المبرا عن الاعراض الفاسدة
والمكاسب الكاسدة انما هم الفقرا هذا وقال ان رح منصوب على التمييز من ملا الارض
وتوبة قول الطيبي وقع ملا الارض مفضلا عليه باعتبار التمييز وهو قوله مثل هذا لان البيان
والمبين شي واحد انتهى ويمكن ان يكون نصبه بنزع الخافض وتوبته انه وقع في بعض النسخ
بالجر اي من مثل هذا الرجل الاول لكن النسخ المصححة من نسخة وغيرها على الاول فهو المعول
ولا يغرك قول ابن حجر مثل هذا بكسر اللام حينئذ في قوله عليه السلام هذا خير بمعنى افضل منه
اذ لا مفاضلة بين الكفر والاسلام لانه لا خير في كفر ولا انام حتى قال بعض العلما الاعلام
ان من قال النصراني خير من اليهودي يخشى عليه اذا ثبت الخير لشيئين لا خير فيهم وان لم يجزم بكفره
لانه قد يقصد بالخير انه اقرب الى الحق وكذا قال تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود
والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى كما انه قد يقصد بالخير مجرد
زيادة الحسن ومنه قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا لكن ايراد الحديث
في هذا الباب يدل على ان ما ذكره الغزالي هو الصواب وهو لا ينافي ما ذكره الغزالي ان عذاب
الكافر الفقير الذي اخف من الكافر الغني فاذا كان الفقر ينفع الكافر في النار فما ظنك بنفعه
للابرار في دار القرار متفق عليه وعن عائشة قالت ما شبع ال محمد اي اهل بيته من خبز بر وحرمه
من خبز الشعير فضلا عن البر يومين متتابعين اي بل ان حصل الشبع يوما وقع الجوع يوما على
ما اختاره صلى الله عليه وسلم حين عرض عليه خزائن الارض وان يجعل جبال مكة ذهبا فاختار الفقر
قائلا اجوع يوما فاصبر واشبع يوما فاشكر لان الايمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر كما قال
تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور اي لكل مومن كامل بالوصفين عالم عامل جزيا باستمرار عدم
الشبع على الوجه المذكور حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ودرعه مرهونة عند يهودي

بجهله صاع من الشعير وفيه رد على من قال انما رضي الله عنه وسلم في اخر عمره غنيا لغنم ونعم
مال كثير في يده لكنه ما امسكه بل صرفه في مرضات ربه وكان دايما في القلب يغني الرب متفق
عليه رواه الترمذي في شمائله عنها وروي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا اي جايعا هو واهله لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم
خبز الشعير وبهذا الحديث يثبت اذا احد في زماننا من الفقرا ما يعيش عيشه صلى الله عليه
وسلم وهو افضل الانبيا في فعله صلى الله عليه وسلم تسلية عظيمة للفقرا كما ان في قوله
توصية جنسية للاغنيا فهو رحمة للعالمين وامام العالمين العاملين وعن سعيد في نسخة
ابي سعيد وهو خطا مخالف للاصول المعتمدة والنسخ المصححة على ما صرح به بعضهم
وقال هو سعيد بن ابي سعيد المقبري واسم ابي سعيد كيسان وكان يسكن عند مقبرة
فنسب اليها انتهى ولم يذكره المؤلف في اسمائه المقبري بفتح الميم وسكون القاف وضم
موحدة وبفتح وبكسر نسبة الى موضع القبور والمراد ابو سعيد وابنه سعيد كذا في
الانساب المغني عن ابي هريرة انه مر بقوم بين ايديهم شاة مصلية اسم مفعول من صلى
على وزن مرمية اي مشوية فدعوه اي ابا هريرة الى اكلها فابى ان ياكل اي فامتنع من الاكل لها
وقال اي معتذرا خرج النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير
رواه البخاري وعن انس انه مشى الى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز شعير اي مصحوبا به
واهالة سنخة اي دهن يوتدم به سنخة بفتح سين مهملة وكسر نون وفتح خا معجمة بعدها ها اي
متغيرة الريح لطول المكث في النهاية الاهالة ما اذيب من الالية والشحم وقيل الدسم
الجامد والسنخة المتغيرة الريح ولقد رهن النبي صلى الله عليه وسلم درعا له بالمدينة عند
يهودي واخذ منه شعيرا اي مقدارا معينا من الشعير لاهل بيته ولعل وجه الاخذ منه
لتكون الحجة بالغة عليه او لتسترا لحاله عن الصحابة اولئلا يثقل عليهم فيعطوه مستحيا
او لم ياخذوا منه وقت العطا ربا والاظهر انه مبالغة في تنزهه صلى الله عليه وسلم عن طلب
الاجر من الامة ولو صورة حيث قال تعالى قل لا اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على الله
وتنظيرا لما وقع لامامنا الاعظم حيث لم يقف في ظل جدار من كان يطالبه بدين معللا بحديث
كل قرض جر منفعة فهو ربا ورويان الامام حمزة احد الائمة القرا السبعة الذي قال ان طبي في حقه
ما المتقنة وحمزة ما اركاه من متورع اما ما صبورا للقرآن مرتلا
كان يابى اخذ اجرا على الاقرا لانه مذهب بحديث التغليظ في اخذ الاجرة عليها ومن كمال تورعه حتى
عرض عليه تلميذه ما في يوم حر فابى وقال لانه وقع في بيئر فكل من يستخرجه منها سأله هل
قرا عليه قال لا يستغيث بيك فامتنع ان يستعين به الى الخروج من الخلا الى الملا واهل الكوفة كانوا كلهم تلامذته
لعجز واخبر اوا انه ما قرا عليه قط فاخرجه منها بعد ان تبين له انه ما قرا عليه ولا سمع ما يقرا الدينه
ولقد سمعته قال الطيبي ضمير المفعول في سمعته عايد الى انس والفاعل هو قتادة راوي انس انتهى
ونبعه ابن الملك وغيره من الشراح اي قال راوي الحديث عن انس سمعت انسا يقول
ما امسى اي ما دخل في المسا عند ال محمد صاع بر اي للقوت ولا صاع حب تعميم بعد تخصيص والمعنى
انه لم يدخر في الليل للغد وان عنده لتسع نسوة بكسر الهمزة والجملة حالية وفي بعض
الروايات وانه عنده يومئذ لتسع نسوة وهذه الجملة من كلام الراوي نظما لقوله على
وانا ويلا بالا لتفات لما يلتفت اليه ولا يعول عليه وانما الخلاف فيما قبله حيث قال بعضهم
الحق ان الضمير المفعول راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم والفاعل هو انس كما صرح به الشيخ
ابن حجر العسقلاني ويدل عليه رواية احمد قال ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

الخ دنيوية قوله فما امسى عند آل محمد اذ لو كان من كلام الراوي لناسب ان يقول عند آل النبي صلى الله عليه
وسلم والله اعلم رواه البخاري وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير بالاضافة اي على رمال من حصير قال شارح الرمال بكسر الراء وضمها
جمع رميل بمعنى مرمول اي منسوج ويستعمل في الواحد وهذا من اضافة الجنس الى النوع كخاتم فضة
والمراد بالحصير هنا المنسوج من ورق النخل انتهى وقيل الرمال ما ينسج عودا عودا والظاهر ان ضم
الراء اشهر ولذا صاحب القاموس اقتصر وقال رمال الحصير كغراب مرموله وفي النهاية الرمال
ما رمل اي نسج قال الزمخشري ونظيره الحطام والركام كما يحطم ويركم وقال غيره الرمال جمع
رمل بمعنى مرمول كخلق الله تعالى بمعنى مخلوقه والمراد انه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف
ولم يكن على السرير وطاء سوى الحصير ذكره الطيبي لكن كون المراد برمال الحصير شريط السرير بعيد
عند الفقير بل الظاهر انه مضطجع على منسوج من حصير ليس بينه اي بين النبي صلى الله عليه وسلم
وبينه اي بين الحصير فراش اي لا من القطن ولا من الحرير قد اثر الرمال بجنبه من بدنه لا سيما
عند كشفه من ثوبه متكئا اي حال كونه معتمدا على وسادة اي مخدة من ادم بفتحتين اي جلد
حشوها ليف اي محشوة الوسادة ليف في القاموس ليف النخل بالكسر معلوم قلت يا رسول
الله ادع الله فليوسع بكسر السين المشددة وسكون العين على امتك اي فانهم لا يطيقون
مثل عيشك في تحمل تقشف فربما يتنفرون عن الميل الى ملتك فان فارس والروم قد وسع عليهم
وهم لا يعبدون الله وكان ابن الخطاب ان ظن بالصواب الموافق رأيه للكتاب اخذ هذا المعنى
من قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
الآية ومفهومها انه ما وسع عليهم توسيعا كليا ولا ضيق على المؤمنين تضييقا كليا وان كان ذلك
مقتضى ظاهر العدل من تقسيم الدارين بين الفريقين كما اخبر صلى الله عليه وسلم في حديث الدنيا
سجن المؤمن وجنة الكافر لحكمة بالغة في المبالغة من ميل المؤمنين الى طريق الكافرين وهي الحالة
الوسطى بالنسبة الى عموم الخلق وان كانت المرتبة العليا بالاضافة الى الخواص من الانبياء والاولياء
كمال الزهد في الدنيا والقناعة بقدر ما يتصور من متاعها ليكون تمتعهم تاما في العقبى فقال اي
النبي صلى الله عليه وسلم اوفي هذا انت بفتح الواو وبعدها استفهام انكاري والمعطوف عليه مقدر اي
اتقول هذا الكلام وانت الى الان في هذا المقام ولم يحصل لك الترقي الى فهم المرام وقيل تقدم الهمزة
لصدارته والواو لمجرد الربط بين الكلام السابق واللاحق يا ابن الخطاب وقيل في خطابه يا ابن الخطاب
دون عمر ايذان بان الالتذاذ بطيبات الدنيا القاصر عن نعيم العقبى من خصال ذوي الجهل والعمى
وكأنه يقول يا ابن ذلك المفتقر بطيبات الدنيا القاصر عن نعيم العقبى اولئك اي فارس والروم
وسائر الكفار عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا اي كما اخبر الله في كتابه بانه يقول عليهم يوم القيامة
مخاطبا بهم حيث قال ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم
بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون هذا وقد
قال الطيبي قوله فليوسع الظاهر نصبه ليكون جوابا للامر اي ادع الله فيوسع واللام للتأكيد
والرواية بالجزم على انه امر للغائب كأنه التمس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء لامته
بالتوسعة وطلب من الله الاجابة وكان من حق الظاهر ان يقول ادع ليوسع عليك فعدل الى
الدعاء للامة اجلالا لمحله صلى الله عليه وسلم وربا لمنزلته من رسخ للنبوة ان يطلب من الله تعالى
هذا الدني الخسيس لنفسه النفيس ومع ذلك انكر عليه هذا الانكار البليغ وقوله اوفي هذا
مدخول الهمزة محذوف اي طلب هذا وفي هذا انت وكيف يليق بمثلك ان يطلب من الله التوسعة
في الدنيا وفي رواية اما ترضى ان تكون لهم الدنيا اي موسعة خاصة ولنا الآخرة اي مختصة لحة

منقو

ستين سنة وروى ابن ماجه الرواية الاخيرة وعن ابي هريرة قال لقد رأيت سبعين من اهل الصفة وهي
سقيفة من اصحاب الصفة وهم كانوا اربعمائة من المهاجرين لهيئوا لتعلم القرآن والخروج في السرايا
للقتال لاهل الطغيان وكان ابو هريرة ناظرهم ونقيبهم ومتفقد احوالهم ومرفقهم وكانوا يأوون في
صفة آخر مسجده صلى الله عليه وسلم وقد نزل في حقهم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا
يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون
الناس الحافا اي اصلا بل كانوا متوكلين ومتقنعين بلقاط النواة ونحوها من جهة الزاد للمعاش
والمعاد واما من جهة الكسوة فكما بينه ابو هريرة بقوله ما منهم رجل عليه رداء في النهاية هو الثوب
او البرد الذي يضعه الانسان على عاتقه وبين كتفيه فوق ثيابه قال السيد جمال الدين قوله
فوق ثيابه خلاف ما عليه ائمة اللغة وانما الرداء هو الذي يستر اعالي البدن فقط قلت ويؤيده
قوله اما ازار واما كساء اي ازار واحد يستر عورته واما كساء واحد يشتمل به كما بينه بقوله
قد ربطوا اي طرفه في اعناقهم وحاصل المعنى انه لم يكن له ثوب يتوارى به بل كان له اما ازار
فحسب او كساء فحسب وفي العدول بضمير المفرد الى الجمع في قوله قد ربطها في اعناقهم حيث
لم يقل حيث ربطه في عنقه اشعارا بان حال جميعهم كان على هذا المنوال كما يفيده تنكير رجل واستغراق
النفي زيادة للمبالغة بزيادة من في قوله منهم ثم تأنيث الضمير في قوله فمنها ما يبلغ الساقين
ومنها ما يبلغ الكعبين مع انه راجع الى الكساء والازار باعتبار الجماعة في الاكسية والازر والاكسية
وحدها لقربها والمقابلة غير خفي عليها ولها نظائر من قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها
لكبيرة الا على الخاشعين ومن قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل
الله فان المفرد يدل على الجمع لا سيما والمراد به الجنس الذي قد يقرن بتأنيث لدلالته على
الجمعية في الاكسية الجماعة كان قد يفرد باعتبار لفظه وهو المعنى بقوله فيجمعه اي يجمع الرجل
ذلك الثوب من الكساء او الازار بيده لئلا ينفرج احد طرفيه من الاخر كراهية ان ترى عورته اي
في نظر غيره او حال صلاته هذا وقد قال الطيبي انث باعتبار الجمعية في الاكسية والازر
وتعدد المكتسين وافراد في بيده باعتبار الرجل المذكور رواه البخاري وعنه اي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضل عليه بصيغة المجهول
اي زيد عليه في المال والخلق اي في الصورة او في الخدم والحشم وحاصله انه اذا رأى احدكم من هو
اكثر منه حشمة ومالا ولباسا وجمالا ولم يعرف ان في الآخرة به وبالا فلينظر الى من هو اسفل منه
بفتح اللام ويضم اي من هو دونه في الدنيا واقل رتبة منه بالاوصاف الاولى في الآخرة الدرجة العليا
مالا وفي الحديث دلالة على ان اكثر الخلق مع الاعتدال ولو بحسب الاضافة والانتقال فالسالك
بالنظر الى حالتيه يحصل له حسن الحال واما الى الافضل على الخلق كلهم من جميع الوجوه مثلا
او فرحالا ينظر الى من تحته لئلا يحصل العجب والغرور والا فتخار والتكبر والخيلاء بل يجب عليه
ان يقوم بحق شكره على النعماء واما من لم يكن تحته احد في الفقر فينبغي ان يشكر ربه حيث لم
يبتله بالدنيا وقد غيرها وشرعه فيها وحسنة شركابها ولذا كان النبي اذا رأى احدا من ارباب
الدنيا قال اللهم اني اسألك العفو والعافية في الدنيا والعقبى وربما شبه ما حكي ان شخصا
من الفقراء قام في مجلس واعظ من الاولياء وشكى انه لم يأكل كذا مدة في الخلاء والملا فقال
الشيخ كذبت يا عدو الله فانه لا يعطي الجوع الشديد الا الاصفياء وخاصة انبيائه وخلاصة اوليائه
ولو كنت منهم لما اظهرت هذه الشكاية ولسترت عن الخلق هذه الغاية ومحل الكلام وخلاصة
المقال ان المؤمن اذا سلم دينه من الخلل والزوال فلا يبالي بنقصان نحو الجاه والمال وسائر
المستفادات الكائنة في الحال والاستقبال كما روي ان صاحبا للغزالي حزب وحبس فشكى اليه

تعالى الشكر فان البلاء قد يكون اعظم من هذا ثم طرح في بير من الجب فشكى اليه ورد بما سبق عليه ثم اتي اليهود
بسهم كل ساعة ووضع معه مسلسلا بسلسلة تختلج كل نفس في امر نفقته ومصاحبته مع
ضيق المكان وظلمة الزمان والعفونة فيه كان فشكى الى الامام من ضيق الصدر فامره بالشكر
والصبر فاجاب جزعا اي بلا اشد من هذا العذاب فقال الامام في الجواب هو ان يوضع في
رقبتك طوق الكفر ويحجب ويسحك بك عن صوب الصواب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا
وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب متفق عليه ورواه احمد وفي رواية لمسلم وقد
اخرجه احمد والترمذي وابن ماجة عنه ايضا مرفوعا قال انظروا الى من هو اسفل منكم اي دونكم
رتبة ولا تنظروا الى من هو فوقكم اي مرتبة فهو اي النظر المذكور اثباتا ونفيا اجدر اي احق واولى
ان لا تزدروا نعمة الله عليكم اي بعدم الازدراء والاحتقار فيما قسم الله عليكم في هذه الدار
فانه يظهر لكم بذلك النظر ان لله تعالى نعما كثيرة بالنسبة الى من دونكم اذ نعما كثيرة حيث
اختار لكم الفقر والبلا وجعلكم من اهل الولا وشبهكم بالانبياء والاولياء وخلصكم عن ظلم
الامراء وظلمة الاغنياء الاغنياء

الفصل الثاني

عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدخل الفقراء اي الصابرون وقيل لو كانوا شاكين الجنة قبل الاغنياء
اي الشاكرين بخمسمائة عام اي سنة نصف يوم بالجر على انه صفة فارقة او بدل او عطف بيان
عن خمسمائة فان اليوم الاخروي مقدار طوله الف سنة من سنين الدنيا لقوله تعالى في يوم كان
مقداره وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون فنصفه خمسمائة واما قوله تعالى في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة مما تعدون فمخصوص من عموم ما سبق او محمول على تطويل ذلك اليوم
على الكفار كما يطوي حتى يصير كساعة بالنسبة الى الابرار كما يدل عليه قوله تعالى فاذا نقر في الناقور
فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير فان قلت كيف
التوفيق بين هذا الحديث والحديث السابق من قوله باربعين خريفا قلت يمكن ان يكون
المراد من الاغنياء في الحديث الاول الاغنياء المهاجرين اي يسبق فقراء المهاجرين الى الجنة باربعين
خريفا ومن الاغنياء في الحديث الثاني الاغنياء الذين ليسوا من المهاجرين فلا تنافي قريبه
انتهى وفيه ان هذا انما يتم اذا اريد بالفقر الخاص وبالاغنياء العام فلا يفهم حكم الفقراء من غير
المهاجرين فالاولى حمل الحديث على معنى يفهم الحاكم وهو بان يقال المراد بكل من العددين انما هو التكثير
لا التحديد فتارة عبر به واخرى بغيره تفننا وبابها واحدا واخرا لا بالاربعين كما اوحى اليه
ثم اخبر ثانيا بخمسمائة عام زيادة من فضله على الفقراء ببركته صلى الله عليه وسلم او التقدير
باربعين خريفا اشارة الى اقل المراتب وبخمسمائة عام الى اكثرها ويدل عليه ما رواه الطبراني
عن مسلمة بن مخلد ولفظه المهاجرون الناس باربعين خريفا الى الجنة ثم يكون الزمرة الثانية
مائة خريف انتهى فالمعنى ان يكون الزمرة الثالثة مائتين وهلم جرا وكانهم محصورون في خمس
زمر والله اعلم او الاختلاف لمراتب اشخاص الفقراء فيما صبرهم ورضاهم وشكرهم وهو الاظهر
المطابق لما في جامع الاصول حيث قال وجه الجمع بينهما ان الاربعين اراد بها تقدم الفقير الحريص
على الغني الحريص فكان الفقير الحريص اراد بالخمسمائة تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب
فكان الفقير الحريص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد وهذه نسبة
الاربعين الى الخمسمائة ولا يظن ان هذا التقدير وامثاله يجري على لسان النبي صلى الله عليه
وسلم جزافا ولا بالاتفاق بل لسر ادركه ونسبة احاط بها علمه فانه صلى الله عليه وسلم ما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى رواه الترمذي اي وقال حسن صحيح ورواه ابن حبان في صحيحه
قال المنذري ورجاله محتج بهم في الصحيح ورواه ابن ماجة بزيادة من طريق موسى بن عبيدة

رضي الله تعالى عنه

ع

عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم احيني
مسكينا ولم يرد فقيرا ليلا يتوهم كونه محتاجا حقيرا انما فيه دعاء اللهم اجعلني في عيني صغيرا
وفي اعين الناس كبيرا واما المسكين فهو من مادة المسكنة وهو التواضع على وجه المبالغة
ولو افضى الى المذلة او من السكون والسكينة وهو الوقار والاطمينان والقرار تحت احكام
الاقدار رضا بقضاء الجبار وقال بعضهم اي اجعلني متواضعا لا جبارا متكبرا وفيه تعليم الامة
ليعرفوا فضل الفقراء فيحبوهم ويجالسوهم لينالهم بركتهم وفيه تسلية للمساكين وتنبيه على
علو درجاتهم ويجوز ان يراد بهذا ان يجعل قوته كفافا ولا يشغله بالمال فان كثرة المال في حق
المقربين مورثة من الوبال في خشية المال وخشونة الحال وامتني وفي رواية للحاكم وتوفني
مسكينا دل على انه صلى الله عليه وسلم كان في وصف المسكنة الى اخر العمر واحشرني في زمرة
المساكين اي في جماعتهم وفيه مبالغة لا يخفى لانه لو قال واحشرهم في زمرتي لكان لهم
فضل كثير وعلو كبير ونظيرهما قاله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم
حيث لم يقل كفضلي على اعلاكم هذا وقد تقرب بعض سلاطين الاسلام على طايفة من الفقراء والصلحا
الكرام فلم يلتفتوا اليه ولم يقبلوا عليه فقال لهم انتم تقولون نحن قوم محبتنا ترك الدنيا
ونحن ايضا تركنا العقبى تجارة زهدهم وتجاوز ورعهم وقال نحن لم نقدر على محبتكم ولا طاقة لنا على
عداوتكم فقالت عائشة لم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لاي شيء دعوت هذا الدعاء واخترت
الحياة والممات والبعثة مع المساكين والفقراء دون اكابر الاغنياء قال انهم استيناف فيه معنى
التعليل اي لانهم مع قطع النظر عن بقية فضايلهم وحسن اخلاقهم وشمايلهم يدخلون الجنة
قبل اغنيائهم اي زمانا ومكانا ومكانة باربعين خريفا والاكتفاء به لانه اقل موعود في مدة المسابقة
بمضاعفة الحسنة بعشر في الطاعة يا عائشة لا تردي المسكين اي لا تردي خايبا بل اسا مجيبه
جابا واعطيه اليه كثيرا او قليلا ولو بشق تمرة بنصفها او ببعضها او ردي ردا جميلا فيجزي
به جزاء جميلا جزيلا ولذا قد وقف مسكين عندها واعطته حبة عنب فتعجب فيه ندبها وعايت
المسكين ولم يدر ما في من الفهم اليها فقالت قال ثمنه بمثقال ذرة والحبة مشتملة على مقدار
كذا من الذر يا عائشة احبي المساكين اي بقلبك وقربيهم اي الى مجلسك حال تحدثك فان
الله يقربك يوم القيامة اي بتقربهم تقربا الى الله سبحانه رواه اي الحديث بكماله الترمذي والبيهقي في
شعب الايمان اي النص وروى وفي نسخة ورواه ابن ماجة عن ابي سعيد الى قوله في زمرة المساكين
قال ميرك نقلا عن المنذري ورواه الحاكم عن ابي سعيد وزاد وان اشقى الاشقياء من اجتمع
عليه فقر الدنيا وعذاب الاخرة وقال صحيح الاسناد ورواه ابو الشيخ والبيهقي عن عطا بن ابي
رباح سمع ابا سعيد يقول ايها الناس لا يحملنكم العسر على طلب الرزق من غير حله فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم توفني فقيرا ولا تتوفني غنيا واحشرني في زمرة المساكين
فان اشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الاخرة قال ابو الشيخ زاد فيه عن ابي
در عنه عن سليمان بن عبد الرحمن ولا تحشرني في زمرة الاغنياء ثلثا اذ لم يكن دليلا اخر غير هذا
الحديث الشريف لكفى حجة واضحة وبينة لايحة على ان الفقير الصابر خير من الغني الشاكر واما
حديث الفقر فخري وبه افتخر فباطل لا اصل له على ما صرح به الحفاظ من العسقلاني وغيره واما
حديث كاد الفقر ان يكون كفرا فضعيف جدا وعلى تقدير صحته فهو محمول على الفقر القلبي المؤدي
الى الجزع والفزع بحيث يفضي الى عدم الرضا بالقضاء والاعتراض على تقسيم رب الارض والسما
ولذا قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقد ورد الفقر
زين على المؤمن من العذار الحسن على خد الفرس رواه الطبراني عن شداد بن اوس ودوجي

نبي

ت

كبين

الفقرا يعني عند الناس وزين عند الله يوم القيمة رواه الديلمي في مسند الفردوس عن انس
وروي الفقرا امانة فمن كتمه كان عبادة ومن باح به فقد قلد اخوانه المسلمين رواه ابن
عساكر عن عمر وعن ابي الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابغوني بهمزة قطع مفتوحة
وفي بعض النسخ بهمزة وصل مكسورة اي اطلبوا رضاي في ضعفايكم اي فقرايكم بالاحسان
اليهم والمظلومين ولو بالمساعدة لديهم فانما ترزقون اي رزقا حسيا ومعنويا بهم وتنصرون
اي على الاعدا الظاهرة والباطنة واو للتنويع ويؤيده رواية الواو ويجوز ان يكون او للشك
من الراوي بضعفايكم اي ببركة وجودهم واحسانكم اليهم اذ منهم الاقطاب والاوتاد وبهم نظام
البلاد والعباد وقال ابن الملك يعني اطلبوا الي حفظ حقوقهم وجبر قلوبهم فاني معهم بالصورة
في بعض الاوقات وبالقلب في جميعها لا اعلم من شرفهم وعظيم منزلتهم عند الله تعالى فمن
اكرمهم فقد اكرمني ومن اذاهم فقد اذاني انتهى ويؤيده الحديث من عادى لي وليا فقد
بارزني بالحرب قال الطيبي قوله ابغوني بهمزة القطع والوصل يقال بغي يبغي اذا طلب
وهذا نهي عن مخالطة الاغنيا وتعظيم منه انتهى ويؤيده حديث اتقوا مجالسة الموتى قيل ومن
الموتى قال الاغنيا وفي مختصر النهاية ابغي كذا بهمزة الوصل اي اطلبه ولي بهمزة القطع اي اعني
على الطلب وفي القاموس بغيته طلبته وابغاه الشيء طلبه له كبغاه اياه كرماه واعانه على
طلبه رواه ابو داود وكذا الترمذي والنسائي وقال الترمذي حسن صحيح نقله ميرك
عن التصحيح وفي الجامع بلفظ ابغوني الضعفا فانما ترزقون وتنصرون بضعفايكم
رواه احمد والثلاثة والحاكم وابن حبان عنه وعن امية بالتصغير ابن خالد بن اسيد بفتح
فكسر ابن كريمة ذكره المؤلف في اسمايه ونقل ميرك عن التصحيح انه قال ابن عبد البر امية بن خالد
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر هذا الحديث وقال لا يصح عندي صحبته والحديث
مرسل قلت مرسلا انه يحتج عند الجمهور فكيف مرسل من اختلف في صحة صحبته عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يستفتح اي يطلب الفتح والنصرة على الكفار من الله
تعالى بصعاليك المهاجرين اي بفقرايهم وببركة دعايهم وفي النهاية اي يستنصر بهم ومنه قوله
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقال ابن الملك بان يقول اللهم انصرنا على الاعدا بحق عبادك
الفقرا المهاجرين وفيه تعظيم الفقرا والرغبة في دعايهم والتبرك بوجودهم انتهى ولعل وجه
التقييد بالمهاجرين لانهم فقرا غربا مظلومين مجتهدين مجاهدين فيرجى تاثير دعايهم اكثر من
عوام المؤمنين واغنيايهم والصعاليك جمع الصعلوك كعصفور الفقير على ما في القاموس
رواه اي البغوي في شرح السنة باسناده وحيث اطلقه وما بين ارساله دل على انه قال
بصحة الراوي واتصال سنده مع انه معتضد في المعنى بما سبق من حديث انما تنصرون
بضعفايكم ثم رايت في الجامع انه رواه ابن ابي شيبة والطبراني عن امية بن عبد الله ولفظه
كان صلى الله عليه وسلم يستفتح ويستنصر بصعاليك المسلمين وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن بكسر الموحدة وتشديد النون المؤكدة فاجرا اي
كافرا وفاسقا بنعمة اي بنعمة هو فيها من طول عمر او كثرة اولاد وسعة مال وجاه بان تطلب
زوالها عنه او تريد مثلها لنفسك فانك لا تدري ما هو لاق اي ملاق في مقابلة تلك النعمة
من النقمة والمحنة بعد موته اي في القبر والحشر ان له اي للفاجر عند الله قاتلا اي مهلكا له
او معذبا عذابا شديدا من شانه ان يقتل لا يموت اي لا يفنى ولا ينعدم ذلك القاتل بل هو
دايما ولا ينقطع يعني النار وقال الطيبي هذا تفسير عبد الله بن مريم راوي ابي هريرة كذا في شرح
السنة انتهى وقال الجزري فيه قوله قايلا بهمزة مكسورة من القيلولة اي مقيلا بالدنيا يعني بحيث

معه

معه النار وتقيل حيث قال ونبيت حيث بات ونبيل الهوان المشاة من فوق اي من تحتها اي النار
رواه اي البغوي في شرح السنة اي باسناده وفي الجامع رواه البيهقي في الشعب ولفظه لا تغبطن فاجرا
بنعمة ان له عند الله قاتلا لا يموت وعن عبد الله بن عمرو بالواو وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدنيا سجن المؤمن اي حبسه وعذابه بالنسبة الى ما اعد الله له في الاخرة من نعيمه وثوابه وسنته
بفتحتين اي قحط وشدة معيشته ولذا نرى المؤمن لا يخلو من قلة او علة او ذلة وقد يجتمع للمؤمن
الكامل جميع ذلك قال الطيبي السنة من الاسما الغالبة القحط وقال ابن عطا ما دمت في شدة
الدار لا تستغرب وقوع الاكدار انما استغرب خلاف ذلك اذ وقع شي هنالك واذا فارق الدنيا
اي المؤمن فارق السجن والسنة ولعل الجمع بينهما لدفع ما يتوهم ان السجن قد يكون فيه السعة كما
قد يقع نادرا فدفع هذا الوهم بقوله والسنة فيكون زيادته من باب التذييل والتكميل والظن
فيما سبق من الحديث الصحيح اعتمادا على غالب الاحوال مع انه لا يخلو من نوع ضيق مكان وبطو
الرزق والسنة الحال ولو كان من جملة الرجال رواه في شرح السنة وقد اخرجه ابن المبارك
والطبراني عنه قال ميرك رواه الحاكم في صحيحه لكن في سنده عبد الله بن ايوب المقابري
انتهى وقد سبق طرف من هذا الحديث وبعض معانيه في اول الباب والله اعلم بالصواب قال
الامام الحافظ ابو القاسم الوراق ان قيل كيف يكون معنى الحديث وقد نرى مؤمنا في عيش
رغد وكافرا في ضنك وفقر قلنا الجواب من وجهين احدهما ان الدنيا كالجنة للكافر
في جنب ما اعد الله له من العقوبة في الاخرة وانها كالسجن للمؤمن بالاضافة الى ما وعده
الله له من الثواب في الاخرة ونعيمها فالكافر يحب المقام فيها ويكره مفارقتها والمؤمن
يتشوق الخروج منها ويطلب الخلاص من افاتها كالمسجون الذي يريد ان يخلى سبيله الثاني
ان يكون هذا صفة المؤمن المستكمل الايمان الذي قد عزف نفسه عن ملاذ الدنيا وشهواتها فجعلت
عليه بمنزلة السجن في الضيق والشدة واما الكافر فقد اهمل نفسه وامرجها في طلب اللذات
وتناول الشهوات فصارت الدنيا كالجنة له في السعة والنعمة وعن قتادة بن النعمان
بضم اوله قال المؤلف انصاري عقبي بدري شهد المشاهد كلها وهو اخو ابي سعيد
الخدري وعمر ابنه وعنه مات سنة ثلاث وعشرين وله خمس وستون سنة وصلى عليه
عمر وكان من فضلاء الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا
حماه الدنيا اي حفظه من مال الدنيا ومنصبه وما يضر بدينه ونقصه في العقبى قال
الاشرف اي منعه عنها ووقاه من ان يتلوث بزينتها كيلا يمرض قلبه بدائها ومحبتها كما يظل بفتح
الظا من ظل يظل اي يصير والمعنى كما يكون احدكم يحمي سقيمه اي مريضه لا سيما اذا كان
معه مرض الاستسقا وضعف المعدة ونحوهما مما يضره الما فيمنعه الما اي لئلا يزيد مرضه
بشربه ولا ينظر الى راي العايد من طلب الما وحبه مع ان الما احقر شي غالبا فلا يتصور
فيه البخل خصوصا بالنسبة الى المريض الذي يجب عليه كل احد والحاصل
ان الحكمة تقتضي ان المحبوب عند اهله والذي يكون ممنوعا من كل شي يضره في حاله رواه احمد
والترمذي ولفظ الجامع اذا احب الله عبدا حماه الدنيا كما يحمي احدكم سقيمه الما رواه الحاكم
والترمذي والبيهقي في الشعب وفي رواية للبيهقي عن حذيفة بلفظ ان الله يحمي عبده
المؤمن كما يحمي الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وهذا المعنى مقتبس من [illegible]
وهو قوله انت ارحم الراحمين وعن محمود بن لبيد بفتح فكسر قال المؤلف انصاري اشهلي
ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدث عنه احاديث قال البخاري له صحبة
وقال ابو حاتم لا يعرف له صحبة وذكره مسلم في التابعين في الطبقة الثانية منهم قال

ابن عبد البر والصواب قول البخاري فانه ثبت له صحبة وكان محمود احد العلماء وروي عن ابن عباس
وعثمان بن مالك مات سنة ست وتسعين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اثنتان اي خصلتان
يكرههما اي بالطبع ابن ادم وانهما خير له بالشرع كما بينه بقوله يكره الموت والموت خير للمؤمن
من الفتنة قال ابن الملك الفتنة التي الموت خير منها هي الوقوع في الشرك والفتنة ما يتبين بها
الانسان ويجري على لسانه ما لا يليق وفي اعتقاده ما لا يجوز وقال الراغب الفتنة من
الافعال التي تكون من الله تعالى ومن العبد كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغير
ذلك من الافعال الكريهة قال الطيبي وقد يكون الفتنة في الدين مثل الارتداد والاكراه
الغير على المعاصي والتراس بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اردت فتنة في قوم فتوفني غير
مفتون انتهى وقد اخرج ابو نعيم في الحلية عن ابي عبد الله الصنابحي قال الدنيا تدعو
الى الفتنة والشيطان يدعو الى الخطيئة ولقاء الله خير من الاقامة معهما ويكره قلة المال
اقل للحساب اي وابعد من العذاب رواه احمد وكذا سعيد بن منصور في سننه بسند صحيح
عن محمود بن لبيد واخرج البيهقي في شعب الايمان عن زرعة بن عبد الله مرسلا ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال يحب الانسان الحياة والموت خير لنفسه ويحب الانسان كثرة
المال وقلة المال اقل لحسابه هذا واخرجه الحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير وابن
المبارك في الزهد والبيهقي في شعب الايمان عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت المروزي في الجنائز وابن ابي شيبة في المصنف والطبراني
عن ابن مسعود قال ذهب صفو الدنيا فلم يبق منها الا الكدر فالموت تحفة لكل مسلم واخرج
المروزي وابن ابي الدنيا والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال حبذا المكروهان الفقر والموت
واخرج احمد في الزهد وابن ابي الدنيا عن ابن مسعود قال ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله
تعالى واخرج ابن ابي الدنيا عن جعفر الاحمر قال من لم يكن له في الموت خير فلا خير في الحياة
قلت وكذا من لم يكن له خير في الحياة فلا خير له في الممات واخرج ابن ابي شيبة في المصنف
وعبد الرزاق في تفسيره والحاكم في المستدرك والطبراني والمروزي في الجنائز عن ابن مسعود
قال ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها من الحياة فان كان بارا فقد قال الله
تعالى وما عند الله خير للابرار وان كان فاجرا فقد قال عز وجل ولا يحسبن الذين كفروا
انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب اليم وعن عبد الله بن مغفل
قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله اني احبك اي حبا بليغا والا فكل مؤمن يحبه
قال انظر ما تقول اي تفكر فيما تقول فانك تريد امرا عظيما وتقصد خطبا جسيما فقال
والله اني لاحبك ثلاث مرات ظرف لقال فقال ان كنت صادقا اي في دعوى محبتي وفي
نخل محبتي ولفظ الجامع ان كنت تحبني فاعدد اي فهيئ للفقر اي بالصبر عليه بل الشكر والحمد
اليه تجفافا بكسر الفوقية وسكون الجيم اي درعا وجنة في المغرب هو شيء يلبس على
الخيل عند الحرب كانه درع تفعال من جف لما فيه من الصلابة واليبوسة انتهى فالتاء
زائدة على ما صرح به في النهاية وفي القاموس التجفاف بالكسر آلة للحرب يلبسه الفرس
والانسان ليقيه في الحرب فمعنى الحديث ان كنت صادقا في الدعوى ومحققا في المعنى
فهيئ آلة تنفعك حال البلوى فان البلاء والولاء متلازمان في الخلاء والملاء ومجمله انه
تهيأ للصبر خصوصا على الفقر لتدفع به عن دينك بقوة يقينك ما ينافيه من الجزع
والفزع وقلة القناعة وعدم الرضا بالقسمة وكني بالتجفاف عن الصبر لانه يستر الفقر
كما يستر التجفاف البدن عن الضر للفقر بلام مفتوحة وهي لام الابتداء اسرع الى من يحبني

من

من السيل اي الماء الكثير الى منتهاه والمعنى انه لا بد من وصول الفقر بسرعة اليه ومن نزول
البلايا والرزايا بكثرة عليه فان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل فيشتد الانبياء فيكون
بلاؤه اشد من بلائهم ويكون لاتباعه نصيب على قدر ولائهم والمرء مع من احب ومشاركه فيما
كره واحب وفيه ان الفقر اشد البلايا لاشتماله على جميع المحن والرزايا لكنه مع مرارته
في الدنيا يورث حلاوة في العقبى بمزيد العطايا رواه الترمذي وكذا احمد وقال اي الترمذي
هذا حديث حسن غريب وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اخفت
بصيغة المجهول ماضي من الاخافة اي خوفت في الله اي في اظهار دينه وما يخاف بضم اوله اي مثل
ما اخفت احد اي غيري ولقد اوذيت اي بالفعل بعد التخويف بالقول في الله اي في سبيله
وطريق رضاه وما يؤذى احد اي خوفت وحدي واوذيت بالانفراد وفائدة التقييد بالجملتين الحاليتين
في الجملتين ان امر بما صعب في تبليغ الحال اللتين فان البلية اذا عمت طابت وخلاصة المعنى
ان حكايته لا شكاية بل تحدث بالنعمة وتوفيق بالصبر في المحنة الى ان تنتهي الى المحنة
على ما تقتضيه المحبة وتسليته للامة لازالة ما قد يصيبهم من الغمة وحيدا في ابتداء الامر
الدين فخوفني في ذلك وانا في الكفار الملاعين ولم يكن معي احد حينئذ يوافقني في تحمل الاذى
لا مساعدة الموالي ومعاونة الرفيق الاعلم بني انه كان مع ذلك كله قلة الزاد وعدم بد
الاستعداد بقوله ولقد اتت اي مضت علي ثلاثون من بين ليلة ويوم اي من بينها وثلاث
في الليلة واليوم وقال الطيبي تاكيد للشمول اي ثلاثون يوما وليلة متواترات لا
ينقص منها شيء من الزمان وما لي ولبلال طعام ياكله ذو كبد بفتح
فكسر وفي القاموس بالفتح والكسر وككتف معلوم اي حيوان قال الطيبي اي ما معنا
طعام سواء كان مما ياكله الدواب والانسان الا شيء اي قليل يواريه اي يستره ويغطيه
ابط بلال بكسر الهمزة وسكون الموحدة وبكسر ففي الصحاح الابط بسكون الباء ما تحت الجناح
وفي القاموس الابط ما تحت المنكب وبكسر الباء وقد يؤنث والمعنى ان بلالا كان رفيقي في
ذلك الوقت وما كان لنا من الطعام الا شيء قليل بقدر ما يأخذه بلال تحت ابطه ولم
يكن لنا ظرف للطعام فيه رواه الترمذي وفي الجامع بتقديم لقد اوذيت رواه احمد
والترمذي وابن ماجه وابن حبان عنه قال اي الترمذي وفي نسخة وقال ومعنى هذا
الحديث حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم هاربا من مكة اي فارا من الخلق الى الله كما قال تعالى
ففروا الى الله روي انه صلى الله عليه وسلم خرج من مكة هاربا الى عبد ياليل بالطائف بجميع
من كفار مكة حتى يؤدي رسالة ربه فسلط عليه صبيانه فرموه بالاحجار حتى ادموا كعبه
صلى الله عليه وسلم كذا ذكره بعضهم وفي المواهب اللدنية خروجه عليه السلام الى الطائف
كان بعد موت خديجة بثلاثة اشهر في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة لما
نال من قريش بعد موت ابي طالب وكان معه زيد بن حارثة فاقام به شهرا يدعو اشراف
ثقيف الى الله تعالى فلم يجيبوه واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن
عقبة ورموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدماء زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة
قعد الى الارض فياخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن
حارثة يقيه بنفسه حتى شج في راسه شجاجا وفي الصحيحين عن عائشة انها قالت للنبي
صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد من يوم احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد
ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما اردت
فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت راسي فاذا بسحابة

قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك
وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره بما شئت فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد
ان الله قد سمع قول قومك وانا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتامرني بامرك ان شئت
ان اطبق عليهم الاخشبين وفي القاموس هما جبلا مكة ابو قبيس والاحمر وجبلا مني قال النبي
صلى الله عليه وسلم بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيا
وعبد يا ليل بتحتانية بعدها الف فلام مكسورة فتحتانية ساكنة فلام ابن عبد كلال
بضم الكاف وتخفيف اللام وكان ابن عبد يا ليل من اكابر الطايف من ثقيف وقرن الثعالب
هو ميقات اهل نجد ويقال له قرن المنازل وروى الطبراني في كتاب الدعا عن عبد الله
ابن جعفر قال لما توفي ابو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم ماشيا الى الطايف فدعاهم
الى الاسلام فلم يجيبوه فاتى تحت ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم اليك اشكو ضعف
قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ارحم الراحمين انت رب المستضعفين الى من
تكلني الى عدو يتجهمني اي يلقاني بغلظة ووجه كريه على ما في النهاية ام الى صديق
قريب كلفته امري ان لم تكن غضبانا علي فلا ابالي غير ان عافيتك اوسع لي اعوذ بوجهك
الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة ان ينزل بي غضبك او يحل بي سخطك
لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك ثم قوله ومعه بلال لا ينافي كون زيد بن
حارثة معه ايضا مع احتمال تعدد خروجه عليه السلام لكن افاد بقوله ومعه بلال انه
لم يكن هذا الخروج في الهجرة من مكة الى المدينة لانه لم يكن معه بلال حينئذ انما كان
مع بلال من الطعام ما يجعل تحت ابطه وهو كناية عن كمال قلته وخفة مؤنته وعن
ابي طلحة قال شكونا الى رسول الله وفي نسخة الى النبي صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا
عن بطوننا اي وكشفنا ثيابنا عنها كشفا صادرا عن حجر حجر اي لكل منا حجر فرفع رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين قال الطيبي عن الاولى متعلقة برفعنا على تضمين
الكشف والثانية صفة مصدر محذوف اي كشفا عن بطوننا كشفا صادرا عن حجر
ويجوز ان يجعل التكرير في حجر على النوع اي من حجر مشد ود على بطوننا فيكون بدلا وعادة
من اشتد جوعه وخمص بطنه ان يشد على بطنه حجرا ليتقوم به صلبه انتهى وتوضيحه
ان تعلق حرفي جر بمعنى بعامل في مرتبة واحدة غير جايز وانما تعلق الثاني بعد تقييد
الاول به كما تقرر في محله فكونه صفة مصدر محذوف ظاهر لا غبار عليه واما تجويز البدل
على انه بدل اشتمال باعادة الجار مع ان بدل الاشتمال لا يخلو عن ضمير المبدل فمبني على
الايراد بحجر النوع والتقدير عن حجر مشد ود عليها وكلام الطيبي يوهم ان القول بالبدل
كلامه وقد نقل ميرك عن زين العرب انه قال بدل اشتمال كما تقول زيد كشف عن وجهه
عن حسن خارق ثم قيل فايدة شد الحجر على البطن انه يمنع انتفاخ الامعاء الخالية وال
تقفر شدة الامعاء الخالية على شد الصلب وقيل انما ربط الحجر على البطن لئلا يسترخي البطن
ويتزلزل المعي فيشق التحرك فاذا ربط حجرا على بطنه يشتد بطنه وظهره فيسهل عليه الحركة
واذا اشتد الجوع يربط حجرين فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثرهم جوعا واكثرهم
رياضة فربط على بطنه حجرين قال صاحب المظهر وهذا عادة اصحاب الرياضة وقال ابن حجر
هذا عادة العرب واهل المدينة وقال صاحب الازهار وفي ربط الحجر على البطن فوايد
احدها ان ذلك الحجارة بالمدينة تسمى المشبعة كانوا اذا جاع احدهم يربط على بطنه حجرا من
ذلك وكان الله خلق فيه برودة يسكن الجوع والحرارة وقال بعضهم يقال له يا امرنا بالصبر

اربطه على قلبك حجرا فكانه صلى الله عليه وسلم امر بالصبر وامرهم بالصبر ثلاثا والله اعلم رواه الترمذي
اي في جامعه وقال هذا حديث غريب وهو ما يتفرد بروايته عدل ضابط من رجال الثقات فان كان المنفرد
بروايته ثقة فهو غريب متنا او بروايته عن غير المعروف عنه كان يعرف الحديث عن صحابي فيروى عند
وحده عن صحابي اخر فهو غريب اسنادا وهذا هو الذي يقول فيه الترمذي غريب من هذا الحديث الوجه
وقد صرح به في الشمايل بقوله هذا حديث غريب من حديث ابي طلحة لا نعرفه الا من هذا الوجه انتهى
فغرابته ناشية عن طريق ابي طلحة لا من ساير الطرق مع انه قال ميرك رواته ثقات وعن ابي هريرة
انه اصابهم اي الصحابة والظاهر انهم اصحاب الصفة جوع اي شديد والظاهر انه في سفر بعيد فاعطاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرة تمرة اي مقدارا قليلا من التمر يجب عند توزيعه بينهم ويقسم اليهم
ويحصل لكل واحد منهم تمرة واحدة اذا كانوا اربعة بالاكثر وربما وقعت البركة في تلك التمرة حتى كانت
تمرتها رفع المحنة وحبسها انتجت المحنة التي ترى كل محنة رواه الترمذي وعن عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده اي ابن عمرو على ما صرح به في الجامع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خصلتان من
كانتا فيه كتبه الله صابرا شاكرا اي مؤمنا كاملا لقوله تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وفي
الحديث الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر فالصبر عن السيئات والشكر على الطاعات وزاد
في الجامع ومن لم يكونا فيه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا من نظر في دينه اي خصلة من النظر في دينه
من الاعمال الصالحة الى من هو فوقه اي الى من هو اكثر منه علما وعبادة وقناعة وزهدا منه احياء واموات
فاقتدى به اي في الصبر على مشاق الطاعات وترك ارتكاب السيئات او تاسف على ما فاته من الكمال لان
ويمكن ان يكون قوله من نظر استيناف مبين للصابر والشاكر المتضمن لبيان الخصلتين المبهمتين
احديهما هذه والثانية مبينة بقوله ونظر في دنياه الى من هو دونه اي الى من هو انقص منه واقل منه
مالا وجاها فحمد الله على ما فضله الله عليه اي فشكره على ما زاده عليه من فضله وفي رواية الجامع
فحمد الله على ما فضله به كتبه الله شاكرا اي بالخصلة الثانية صابرا اي بالخصلة الاولى ففيه لف
ونشر مشوش اعتمادا على فهم ذوي العقول بالنسبة الى الغفلة وان كان لف ونشر باعتبار المقدمة
ولما كان المفهوم قد يعتبر وقد لا يعتبر ومع اعتباره المنطوق اقوى ايضا صرح باعلم مفهوما حيث
قال ومن نظر في دينه الى من هو دونه اي في الاعمال الصالحة وانتج الغرور والخيلاء والعجب
ونظر في دنياه الى من هو فوقه اي من اصحاب المال والجاه وارتكب الحرص والامل والرياء فاسف بكسر
السين اي حزن على ما فاته منه اي من المال وغيره بعدم وجوده له بحصوله فقد قال تعالى
لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وروي عنه صلى الله عليه وسلم من اسف على دنيا فاتته
اقترب من النار مسيرة الف سنة ومن اسف على اخرة فاتته اقترب من الجنة مسيرة الف سنة
لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا لعدم صدور واحد منه بل قام بضديهما من الكفران والجزع والفزع
بالمساوي والجنان رواه الترمذي وذكر حديث ابي سعيد في فقراء المهاجرين ضمن حديث طويل صدره ابشروا
باب القراة البشروا يا معشر صعاليك المهاجرين اي بالنور التام يوم القيمة تدخلون الجنة قبل
اغنيا الناس بنصف يوم وذلك خمسماية سنة رواه ابو داود في باب اي بغير عنوان بعد قضايا

الفصل الثالث عن ابي عبد الرحمن الحبلي

القران اي بعد كتاب فضايل القران انتهى والله اعلم
رضي الله تعالى عنه بضم مهملة فموحدة وضمها قال المؤلف اسمه عبد الله بن يزيد
المصري تابعي قال سمعت عبد الله بن عمرو بالواو وقال الطيبي لا بد من محذوف اي سمعته يقول
قوله بفسره ما بعده اقول ويمكن ان يقدر مضاف اي سمعت قول ابن عمرو وساله اي وقد سال
رجل قال اي الرجل استيناف مبين السايل اي نحن وامثالنا من فقرا المهاجرين اي من خواصهم
الذين يسبقون اغنياهم فقال له عبد الله الك امراة تاوي اليها اي نفقها وتسكن اليها وتقبل

بيان الفصل الثالث عن ابي عبد الرحمن الحبلي

عليها قال نعم قال ألك مسكن بفتح الكاف ويكسر اي مكان تسكنه قال نعم قال فانت من الاغنيا
اي اغنيا المهاجرين فان فقراءهم ما كان لهم امرأة ولا مسكن او ان كان لاحدهم احدهما ما كان له الاخر منهما
قال فان لي خادما اي عبدا او جارية او اجيرا في زيادة ما سبق قال فانت من الملوك اي ولا ينبغي
ان يقال لك الصعلوك فلست من صعاليك المهاجرين ولعله اقتبس هذا الكلام من قوله تعالى
وجعلكم ملوكا في ما رواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن ابن عباس في قوله وجعلكم ملوكا
قال المرأة والخادم وزاد ابن جرير عنه وكان الرجل من بني اسرائيل اذا كانت له الزوجة والخادم وزاد
ابن جرير عنه والدار يسمى ملكا قال عبد الرحمن هكذا في جميع نسخ المشكاة الحاضرة وصوابه ابو
عبد الرحمن لما سبق قال السيد جمال الدين المحدث هكذا في اكثر نسخ المشكاة التي رأيناها وهو غلط ظاهر
والصواب ابو عبد الرحمن وهو راوي الاية في مسلم وجاء ثلاثة نفر بالاضافة كقوله تعالى تسعة رهط والجملة
عطف على قوله وسأله رجل اي والحال انه جاء ثلاثة نفر الى عبد الله بن عمرو وانا عنده فقالوا يا ابا محمد
والله لا نقدر على شيء لا نفقة تعينهم مبتنة ولا دابة اي لنجاهد عليها ونحج بها ولا متاع اي زائد يباع ويقوم
بثمنه في النفقة والدابة فقال لهم ما شئتم ما استفهامية مبتدأ اي اي شيء شئتم ويمكن ان تكون موصولة
مبتدأ والخبر محذوف اي ما اردتم من الامور المعروضة عليكم فعلناه ان شئتم اي ان نعطيكم شيئا
من عندنا رجعتم الينا فانه لا يحضرنا الان شيء فاعطيناكم اي بعد هذا ما يسر الله لكم اي ما سهله
على ايدينا وان شئتم اي ان نرفع امركم الى الخليفة ومن يقوم مقامه ذكرنا امركم للسلطان اي
للمتسلط على خزائن بيت المال فيعطيكم ما يوسع لكم البال وان شئتم صبرتم اي على هذا الحال
فانه مقام ارباب الكمال واصحاب حسن الحال وطيب المآل فاني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنيا اي اغنياءهم فضلا عن غيرهم يوم القيمة الى
الجنة باربعين خريفا اي سنة قالوا فانا نصبر لا نسأل شيئا اي حال كوننا لا نطلب شيئا من احد بعد
ذلك رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو قال اي وقال بينا وفي نسخة بينما انا قاعد في المسجد اي
مسجد المدينة وحلقة بفتح فسكون وبفتح اي وجماعة متحلقة وقلوبهم بهم متعلقة من فقراء
المهاجرين قعود اي قاعدون او ذو قعود وفي القاموس حلقة الباب والقوم وقد يفتح لامها ويكسر
او ليس في الكلام حلقة محركة الا جمع حالق او لغة ضعيفة والجمع حلق محركة او كبدر اذ دخل
النبي صلى الله عليه وسلم فقعد اليهم اي يجلس متوجها الى الفقراء لقوله تعالى واصبر نفسك مع
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الاية فقمت اليهم اي مائلا اليهم ميلا لما
وميلا للغربة اليهم ولا طلع على كلام من طلع عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليبشر امر مجهول
من البشرة ويجوز من البشارة اريد به الخير والدعا فقراء المهاجرين بما يسر وجوههم اي بشيء يفرح
قلوبهم ويظهر اثر السرور في ظاهر بشرتهم والطف جلدتهم وفي نسخة برفع وجوههم فيكون
التقدير بما يسر به وجوههم فانهم يدخلون الجنة قبل الاغنيا باربعين خريفا قال اي ابن عمر فلقد
اللام جواب القسم اي فوالله ولقد رأيت الوانهم اسفرت اي اضاءت من الاسفار وهو اشراق
اللون قال الله تعالى وجوه يومئذ مسفرة والصبح اذا اسفر وفي الحديث اسفروا بالفجر فانه اعظم
للاجر قال عبد الله بن عمرو حتى تمنيت متعلقة باسفرت اي اشرقت اشراقا كاملا تاما حتى وددت
ان اكون معهم اي في الدنيا دائما موصوفا بحالهم او منهم اي في العقبى محشورا في زمرتهم وحسن
مآلهم فالواو للتنويع او للشك والمعنى احببت ان اكون من جملة فقراء المهاجرين رواه الدارمي
ورواه ابو نعيم في الحلية عن ابي سعيد ولفظه ليبشر فقراء المهاجرين بالفوز يوم القيمة
قبل الاغنيا بمقدار خمسمائة عام هؤلاء في الجنة يتنعمون وهؤلاء يحاسبون وعن ابي ذر قال امرني
خليلي اي حبيبي وصفيه بسبع اي بسبع خصال امرني بحب المساكين والدنو منهم اي والقرب

من

من حالهم او التقرب من مالهم وامرني ان انظر الى من هو دوني اي في الامور الدنيوية ولا انظر الى
من هو فوقي اي في المال والجاه والمناصب الدنية وامرني ان اصل الرحم وان ادبرت ولو لبث بان
غبت او بعدت والمراد اهلها ويؤيده حديث صلوا ارحامكم ولو بالسلام وقال الطيبي وان قطعت
على ما ورد صل من قطعك واسند الادبار الى الرحم مجازا لامه لصاحبها وامرني ان لا اسأل اي لا اطلب
احدا شيئا ومن دعا الامام احمد اللهم كما صنت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسئلة
غيرك ويمكن ان يكون احدا في عمومه بناء على ما قاله بعض ارباب الكمال

الهي كفى علمك بحالي عن المقال ۝ وكرمك عن السؤال
وهو المقام الجليل ۝ الماخوذ من حال الخليل
حيث قال له جبريل ۝ الك حاجة قال اما اليك فلا
قال فسل ربك قال حسبي ۝ من سؤالي علمه بحالي

وهو معنى قوله تعالى

حكاية عن اصحاب الجميل ۝ حسبنا الله ونعم الوكيل

وفي الحكم لابن عطاء الله رحمه الله شيخ العارف الذي رفع حاجته الى مولاه اكتفاء بمشيئته فكيف
لا يستحي ان يرفعها الى خليقته وامرني ان اقول بالحق اي اتكلم به وان كان مرا اي وان كان مع
او صعبا على وامرني ان لا اخاف اي ظاهرا او باطنا في الله اي في حقه او في سبيله ولاجله
لومة لائم ملامة احد من خلقه وامرني ان اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله اي لا حول
في الطاعة واصابة المصيبة ولا استعانة على دفع المعصية خصوصا العجب والغرور
والحيلة فانهن اي هذه الكلمات من كنز تحت العرش اي من جملة كنز معنوي موضوع تحت
عرش الرحمن لا يصل اليه احد الا بحول الله وقوته او كنز من كنوز الجنة لان العرش سقفها
والبعد من قال فانهن اي الخصال السبع من كنز تحت العرش ولا الى الجنة بل ورد من طرق
كثيرة اخرجه الستة عن ابي موسى الاشعري واحمد والبزار عن ابي هريرة والطبراني عن معاذ
والنسائي عن ابي هريرة وفي ذر ايضا مرفوعا قل لا حول ولا قوة الا بالله فانها كنز من كنوز
الجنة واختلف العلماء في معناه فقيل سمي هذه الكلمة كنزا لانها كالكنز في نفاسته وصيانته
عن اعين الناس او لانها من ذخائر الجنة او من محصلات نفائس الجنة وقال النووي المعنى ان قولها يحصل
ثوابا نفيسا يدخر لصاحبه في الجنة انتهى ويحتمل ان يقال انها كنز من كنوز الجنة العاجلة لمن
قام بها وادرك معناها واستمر على مبناها فانه ظفر بكنز عظيم مشتمل على كنوز لا يعرف
كنهها ومنتهاها فقد روى البزار عن ابن مسعود قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقلتها فقال تدري ما تفسيرها قلت الله ورسوله اعلم قال لا حول عن معصية
الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بعون الله قال النووي هي كلمة استسلام
وتفويض وان العبد لا يملك شيئا وليس له حيلة في دفع شر ولا قوة في جلب خير
الا بارادة الله تعالى انتهى فيكون صاحبها في ملك جسيم وكنز عظيم حال كونه حاضرا في الغيب
مشاهدا لقدرة ربه بالتسبيح الى جميع خلقه فتح ما قال بعض العارفين في قوله تعالى ولمن
خاف مقام ربه جنتان جنة في الدنيا وجنة في العقبى وقال بعض الصوفية في معنى
قول رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير اراد ان الاشتغال من الذنب
مشتملة على ذنوب كثيرة تستحق ان تكون كبيرة من دعوى الوجود الاصلي ودعوى الفعل الحقيقي
ودعوى الاقتدار الاستقلالي وقد قال صلى الله عليه وسلم ايما الى ما سوى الله لا حول ولا
قوة الا بالله رواه احمد وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه من

الدنيا ثلاثة أي ثلاثة أشياء كما في رواية الطعام أي حفظا لبدنه وتقوية على دينه والنساء
أي صونا لنفسه النفيسة من الخواطر الخسيسة والطيب أي لتقوية الدماغ الذي هو محل
العقل عند بعض الحكماء فأصاب اثنتين أي شيئين بوصف الكثرة ولم يصب واحدا أصاب النساء
أي حتى بلغ تسعا والطيب أي من الخارج مع أن عرقه كان من أفضل أنواع الطيب ولم يصب
الطعام أي إلا بوصف القلة فإطلاق النفي للمبالغة لما سبق من أنه صلى الله عليه وسلم
لم يشبع من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض وأغرب الطيبي في قوله أي لم يكثر من إصابته
إكثارهما حيث أنه يوهم أنه وقع له إكثار من الطعام أقل من إكثار النساء والطيب رواه
أحمد قال السيوطي في تخريج أحاديث الشفا إسناده صحيح إلا أن فيه رجلا لم يسم وعن أنس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب إلي أي من دنياكم كما في رواية النساء والطيب
وجعلت قرة عيني في الصلاة في نسخ المشكاة بلفظ جعلت وكأنه غير موجود في أصل
الطيبي كما ورد في رواية أو غفل عنه حيث قال قوله وقرة عيني في الصلاة جملة اسمية
عطفت على جملة فعلية لدلالته على الثبات والدوام في الثانية والتجدد في الأولى
قلت وفيه بحث إذ الفعل المجرد إنما هو بالفعل المضارع وأما الماضي فهو للثبات
حتى إذا عبر عن المضارع بالماضي يعلل بأنه لتحققه كأنه قد وقع قال وجيء بالفعل مجهولا
دلالة على أن ذلك لم يكن من جبلته وطبيعته وأنه مجبور على الحب رحمة للعباد بخلاف
الصلاة فإنها محبوبة لذاتها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أرحنا يا بلال أي اشغلنا
عما سواها بها فإنه تعب وكدح وإنما الاستراحة في الصلاة فأرحنا بندائك بها رواه
أحمد والنسائي وكذا الحاكم في مستدركه والبيهقي في الشعب كذا في الجامع وذكر ابن
الربيع في مختصر المقاصد للسخاوي وأن الطبراني رواه في الكبير والنسائي في سننه
بهذا اللفظ والحاكم في مستدركه بدون لفظ جعلت وقال إنه صحيح على شرط مسلم
وأما ما اشتهر في هذا الحديث من زيادة ثلاث فقال السخاوي لم أقف عليه إلا في موضعين
من الإحياء وفي تفسير آل عمران من الكشاف وما رأيتها في شيء من طرق هذا الحديث
بعد مزيد التفتيش وبذلك صرح الزركشي فقال إنه لم يرو فيه لفظ ثلاث قال وزيادة
محيلة للمعنى فإن الصلاة ليست من الدنيا ورواه ابن الجوزي بعد قوله حبب إلي من
الدنيا أي قوله من الدنيا منصوصا على أنه مفعول زاد وقد ذكر الحافظ السيوطي في
الفتاوى الحديثية مسألة قوله صلى الله عليه وسلم حبب إلي من دنياكم النساء والطيب
وجعلت قرة عيني في الصلاة فبدأ بالنساء وأخر الصلاة الجواب لما كان المقصود من
سياق الحديث ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من متاع الدنيا بدأ به كما قال
في الحديث ما أصبنا من دنياكم هذه إلا النساء ولما كان الذي حبب إليه من متاع
الدنيا هو أفضلها وهو النساء بدليل قوله في الحديث الآخر الدنيا متاع وخير متاعها
المرأة الصالحة ناسب أن يضم إليه بيان أفضل الأمور الدينية وذلك الصلاة فإنها
أفضل العبادات بعد الإيمان وكان الحديث على أسلوب البلاغة من جمعه بين أفضل
أمور الدنيا وأفضل أمور الدين وفي ذلك ضم الشيء إلى نظيره وعبر في أمر الدين بعبارة أبلغ
مما عبر به في الدنيا على مجرد التحبيب وقال في أمر الدين جعلت قرة عيني فإن قرة العين
من التعظيم في المحبة ما لا يخفى انتهى ولعل السكوت عن الطيب لأنه تابع للنساء
وجودا وعدما على ما في الروايتين ثم الصلاة عند الجمهور محمولة على العبادة المعروفة
وقيل المراد بالصلاة في هذا الحديث الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وشرفه لديه

وعن

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث به أي أرسله إلى اليمن أي
قاضيا وواليا قال إياك والتنعم هو المبالغة في تحصيل قضاء الشهوة على وجه التكلف
في البغية بتكثير النعمة والحرص على النهمة فإن عباد الله أي المخلصين ليسوا بالمتنعمين
بل التنعم مختص بالكافرين والفاجرين والغافلين والجاهلين كما قال تعالى ذرهم يأكلوا
ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون وقال يأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى
لهم وقال إنهم كانوا قبل ذلك مترفين رواه أحمد وكذا البيهقي في شعب الإيمان
وعن علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رضي من الله
باليسير من الرزق أي من قنع منه بقليل من العطا رضي الله منه وفي نسخة عنه بالقليل
وفي نسخة باليسير من العمل أي من الطاعة وفي حديث رواه ابن عساكر عن عائشة من رضي
عن الله رضي الله عنه قال قلت هذا الحديث يدل على أن رضى العبد مقدم وفي قوله
سبحانه رضي الله عنهم ورضوا عنه إيماء إلى أن رضى العبد متأخر قلت التحقيق أن
رضى العبد محفوف برضاءين من الله رضى أزلي تعلق به العلم الأولي ورضى أبدي يتعلق
بعمل العبد يترتب على الجزاء الأخروي وفي الحقيقة رضى العبد إنما هو أثر رضى الله عنه
أولا وأما رضى الله آخرا فإنما هو غاية المرضي اللائق من النعت الصفاتي دون الآلاء
والإنعام وكذلك القول في قوله تعالى يحبهم ويحبونه وقوله قل إن كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
جاع أي في نفسه بالفعل أو احتاج أي إلى ما يدفع الجوع أو غيره فأو للتنويع فكتمه
الناس قيل أي من الناس وفيه إشارة إلى أن الرواية بتخفيف التاء وأنه متعد إلى
واحد فنصب الناس على نزع الخافض ويحتمل أن يكون الرواية بتشديدها وأنه
حينئذ متعد إلى اثنين على ما في القاموس كتمه كتما وكتمانا وكتمه إياه كان حقا على
الله عز وجل أي وعدا ثابتا عليه وأمرا لازما إليه أن يرزقه رزق سنة من حلال
والمراد بالجوع جوع يتضرر معه الصبر ويجوز فيه الكتمان وإلا فقد صرح العلماء
أن المضطر إذا مات جوعا ولم يسأل أو لم يأكل ولو من الميتة يموت عاصيا
رواهما أي الحديثين البيهقي في شعب الإيمان وعن عمران بن حصين قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا
العيال المعنى أنه مع كونه صاحب العيال وفقير الحال وكثير البال يتعفف عن
السؤال فهو المؤمن على وجه الكمال فلذا أحبه ذو الجلال والكمال رواه ابن ماجه
وعن زيد بن أسلم قال المؤلف يكنى أبا أسامة مولى عمر بن الخطاب مدني من أكابر
التابعين سمع جماعة من الصحابة وروى عنه الثوري وأبو أيوب السختياني
ومالك وابن عيينة مات سنة ست وثلاثين ومائة قال استسقى أي طلب الماء
يوما عمر فجيء بماء قد شيب بكسر أوله أي خلط بعسل فقال إنه أي ماء العسل لطيب
أي طيبا وشربا ذا نفع ونفعا لكني أسمع الله عز وجل قال الطيبي مستدرك عن مقدر يعني
أنه لطيب اشتهيه لكني أعرض عنه لأني سمعت الله عز وجل نعى أي عاب على قوم شهوتهم
أي استيفاءها فقال أذهبتم بهمزة الإنكار مقدرة وهي في قراءة موجودة أأذهبتم
طيباتكم أي أخذتم لذاتكم في حياتكم الدنيا أي في مدة الحياة الدنيوية الدنية
واستمتعتم بها أي بمتابعة الشهوات النفسية وما تركتم شيئا ذخيرة للدار
الأخروية فأخاف أن تكون حسناتنا أي مثوباتنا عجلت لنا فقال الطيبي أي ثواب

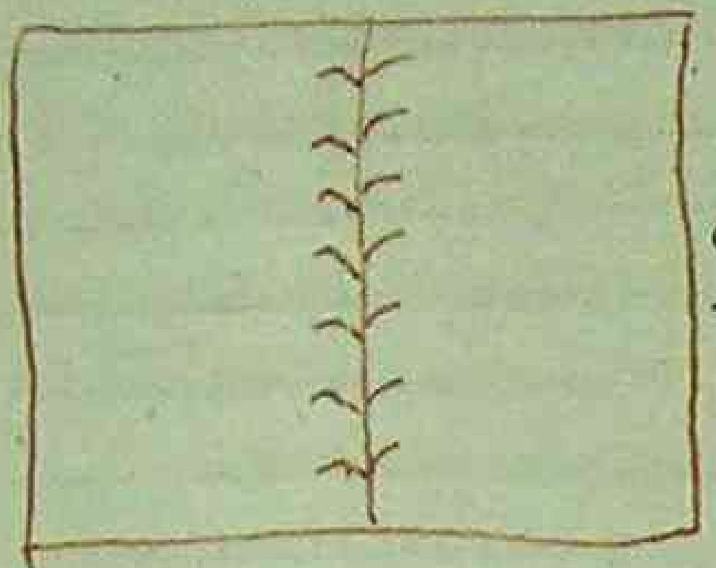
حسنا تنا التي نعملها نستوفيها في الدنيا قبل الاخرة قال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا قلت الايات وان كانت انزلت في الكفار لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلم يشربه اي لم يشرب بثمرة ذلك الماثور ومخالفة للنفس والهوى رواه رزين وعن ابن عمر قال ما شبع اي اهل بيت عمر وعن معشر الصحابة معه صلى الله عليه وسلم وهو الاظهر حتى فتحنا خيبر رواه البخاري انتهى والله اعلم

باب الامل والحرص

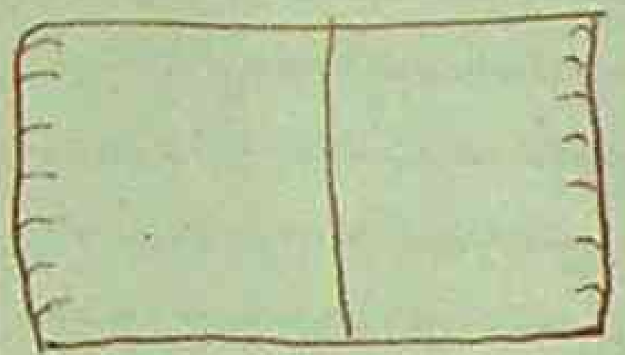
الجوهري في الامل الرجا وقال الراغب الحرص فرط الشره في الارادة قال تعالى ان تحرص على هداهم ان تفرط ارادتك في هدايتهم وفي القاموس اسو الحرص اذ تاخذ نصيبك وتطمع في نصيب غيرك انتهى والمراد بالامل هنا طول الامل في امر الدنيا غافلا عن الاستعداد للموت وزاد العقبى كما قال سبحانه ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل واما هنا طول الامل او في تحصيل العلم والعمل فمحمود بالاجماع كما قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وقال لو عشت الى قابل لاصومن التاسع وكذلك الحرص في امر جميع المال وكثرة الجاه والاقبال مذموم والحرص على الفضائل وعلى تحصيل العلوم وتكثير الاعمال مستحسن بلا نزاع ثم تحقيق الامل في ما حققه المحققون من اهل اليقين ما ذكره الغزالي في منهاج العابدين انه قال الكرعليا بينا انه ارادة الحياة للوقت المتراخي بالحكم وقصر الامل ترك الحكم فيه بان يقيده بالاسناد لمشيئة الله تعالى سبحانه وعلمه في الذكر او بشرط الصلاح في الارادة فاذ ذاك ذكرت حياتك بان عيش بعد نفس ثان او ساعة ثانية او يوم ثان بالحكم والقطع فانت امل وذلك منك معصية اذ هو حكم في الغيب وان قيدته بالمشيئة والعلم من الله فقد خرجت عن حكم الامل فانتبه وانا جمع بينهما في العنوان لتلازمهما في الامكان وقدم الامل لانه الباعث على تاخير العمل والحرص على الزلل

الفصل الاول عن عبد الله ابن مسعود قال خط النبي صلى الله عليه وسلم خطا مربعا الظاهر انه كان بيده المبارك في الارض ولذا قال الطيبي المراد بالخط الرسم والشكل وخط اي خطا كما في نسخ مصححة والمعنى وخط خطا اخر في الوسط اي وسط المربع خارجا منه اي حال كون الخط خارجا من احد طرفي المربع وخط خططا بضم الخاء المعجمة والطاء الاولى للاكثر وجوز فتح الطاء اي خطوطا صغارا جمع صغير الى هذا اي متوجهة وما يليه ومنتهية الى هذا الخط الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط اي من جانبيه الذين في الوسط فالمراد بالمفرد الجنس فقال هذا اي الخط الوسط كذا قاله شارح والظاهر ان المراد بهذا هنا مركز الدائرة المربعة وان كان ليس له صورة مستقلة في الخط الظاهري او المراد بهذا مجموع التصوير المعلوم خطا المفهوم ذهنا بان الانسان مع ما فيه من الامل والعوارض المنتهية الى الاجل هو المشار اليه بهذا فالتقدير ان هذا الخط المصور بمجموعه هو الانسان وهذا اي الخط المربع اجله اي مدة اجله ومدة عمره محيط به اي من كل جانبه بحيث لا يمكنه الخروج والفرار منه وهذا اي الخط الذي هو خارج اي من المربع امله اي مرجوه وما موله الذي يظن انه يدركه قبل حلول اجله وهذا خطه منه لان امله طويل لا يفرغ عنه واجله اقرب اليه منه وهذه الخطط اي الخطوط الصغار الاعراض اي الافات والعاهات والبليات من المرض والجوع والعطش وغيرهما مما يعرض للانسان وهو جمع عرض بالتحريك فان اخطاه هذا اي احد الاعراض نهشه بسين مهملة

ويل معجمة اي اصابه ونهشه هذا اي عرض اخر وعبر عن الاصابة بالنهش وهو لدغ ذات السم مبالغة في المضرة وان اخطاه هذا اي عرض اخر نهشه هذا اي عرض اخر وهلم جرا الى انقضاء الاجل وعدم انتهاء الامل وصورة الخط هذه عند بعضهم قال الشيخ ابن حجر العسقلاني في هذه الصفة هي المنفردة



وسياق الحديث ينزل عليه فالاشارة بقوله هذا الانسان الى النقطة الداخلة وبقوله وهذا الذي اجله محيط به الى المربع وبقوله وهذا الذي هو خارج امله الى الخط المستطيل المنفرد بقوله وهذه الى الخطوط وهي مذكورة على سبيل المثال لا ان المراد انحصارها في عدد معين ويدل عليه قوله في حديث انس بعد الاجاه الاقرب الى الخط المحيط به ولا شك ان الذي يحيط اقرب اليه من خارج عنه انتهى والاولى ان يجعل عدد الخطوط سبعة فان هذا العدد كثيرا على لسان الشارع ولانه عشر العدد الذي يعبر به عن الكثرة مع الايمان الى اعضاء السبعة للانسان والاطوار السبعة في مراتب الايقان وتمرور الايام السبعة في دوران الافلاك السبعة المحيط بالاراضي السبعة ثم اعلم انما اشار الشيخ به الى النقط الداخلة غير مستفاد من التصوير النبوي ولذا ما صوره غير واحد من الشراح كالطيبي ثم رايت صورة اخرى غير الصورة المشهورة وهي هذه فهذه الهيئة هي المطابقة لما قاله بعض الشراح والاظهر في التصوير فتدبر



رواه البخاري وعن انس قال خط النبي صلى الله عليه وسلم خطوطا اي مختلفة في الهيئة المصورة السابقة فقال هذا التربيع الامل اي امل الانسان وهذا اي الخط المربع المحيط به اجله فبينما هو كذلك اي بين اوقات هو فيهما امره دائر كما هو في الدائرة بين طلبه الامل وطلب الاجل اياه اذ جاءه الخط الاقرب وهو الاجل المحيط به من كل جانب واخطاه الخط الابعد الخارج من دائرة الاحاطة وهو حظه من تفوق الامل وقال الطيبي قوله فبينما هو كذلك اي هو طالب لاجله البعيد فيدركه الافات التي هي اقرب اليه فتؤدي الى الاجل المحيط وهذا التاويل محمول على معنى الحديث السابق ويجوز ان يحمل على حديث ابي سعيد في الفصل الثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم غرز عودا بين يديه الحديث قلت جمع هذا الحديث مع التفريع بقوله خط خطوطا على العرف خطا ظاهرا اذ الظاهر المتبادر ان يكون الخط خطا ظاهرا رواه البخاري وعنه اي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم بفتح الراء اي يشيب كما في رواية والمعنى يضعف ابن ادم ويشب بكسر الشين المعجمة وتشديد الموحدة اي ينمو ويقوى منه اي من اخلاقه اثنان في التاج ملبيهي وكذا في القاموس والهرم كبر السن من باب علم وشب شبابا من باب ضرب الحرص على المال اي جمعه ومنعه والحرص على العمر اي طول العمر وتسويف عمله وتبعيد اجله قال النووي قوله يشب اشتد ومعناه ان قلت الشيخ كامل الحب يحكم احكاما مثل احكام قوة الشاب في شبابه قال الطيبي يجوز ان يكون من باب المشاكلة والمطابقة لقوله يهرم اي يمعني يشب متفق عليه قال ميرك هذا لفظ مسلم ولفظ البخاري يكبر ابن ادم والباقي مثله ورواه الترمذي وابن ماجه انتهى فقوله متفق عليه معناه انهما اتفقا على روايتهما في المعنى دون اللفظ في جمع

المعنى والمبنى وهذا مبني على ما ذكره والا فلفظ الجامع ايضا يهرم ابن ادم ويبقى اثنان الحرص والامل
رواه احمد والشيخان والنسائي عن انس فالظاهر ان لفظ يكبر رواية للبخاري وان في الصحيح
روايات متعددة كما يدل عليه كلام السخاوي في المقاصد حيث يهرم ابن ادم ويبقى فيه
اثنان الحرص والامل متفق عليه وفي لفظ يشب ابن ادم ويشب فيه وعن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يزال قلب الكبير شابا اي قويا نشيطا في اثنين اي في امرين
في حب الدنيا ويلزم منه كراهة الاجل وطول الامل وهو يقتضي نسيان الموت متفق عليه وعنه
اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعذر الله قيل الهمزة للسلب
اي ازال الله العذر منهيا الى امرئ اخر اجله اي منتهاه وفي رواية عمره حتى بلغه بنصب الاول
ايضا وصله وفي رواية حتى بلغ ستين سنة اي ولم يتب عن ذنوبه ولم يقم باصلاح عيوبه
ولم يغلب خيره شره فيكون ممن يبقي الله له عذرا في تركه الطاعة وفيما ضيع عمره وحاصله
من بلغ به اقصى بعذره اليه فلم يبق له عذر يقال اعذر الرجل اليه فلانا اي بلغ به اقصى العذر
ومنه قولهم اعذر من انذر اي بالغ بالعذر واظهره وهذا مجاز من القول فان العذر لا يتوجه
الى الله وانما يتوجه له على العبيد وحقيقة المعنى فيه ان الله تعالى لم يترك له سببا في
الاعتذار يتمسك به انتهى فالمعنى انه ازال اعذاره بالكلية فكانه اقام عذره فيما يفعل
به من العقوبة والبلية وفي مختصر النهاية اي لم يبق فيه موضعا للاعتذار حيث امهله
طول هذه المدة ولم يعتبر رواه البخاري وكذا احمد وعبد بن حميد والنسائي والبزار وابن
جرير وابن ابي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي عنه واخرج عبد بن حميد والطبراني
والروياني والرامهرمزي في الامثال والحاكم وابن مردويه عن سهل بن سعد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ العبد ستين سنة فقد اعذر الله اليه في العمر وقد
قال تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر واخرج عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن
منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه
عن ابن عباس انه قال في تفسيره ستين سنة واخرج ابن جرير عن علي في الاية قال العمر
الذي اعذر الله منه ستون سنة واخرج ابن جرير عن علي عبد بن حميد وابن ابي حاتم عن الحسن
في الاية قال اربعين سنة واما قوله تعالى وجاءكم النذير فاخرج ابن ابي حاتم وعبد بن حميد
وابن المنذر عن عكرمة قال الشيب وكذا اخرجه ابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس
انه الشيب وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان لابن ادم اي فرضا وتقديرا
واديان من مال وفي رواية من ذهب لابتغى اي لطلب ثالثا اي واديا اخر اعظم منهما
ذخرا وهلم جرا كما يشير اليه بقوله ولا يملأ جوف ابن ادم اي بطنه او وسط عينه الا التراب
اي تراب القبر ففيه تنبيه على ان البخل المورث للحرص مركوز في جبلة الانسان
كما اخبر الله عنه سبحانه في القران حيث قال ابلغ من هذا الحديث والمقال قل لو انتم
تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا فهذا ابلغ
في الحرص بني ادم وخوفه من الفقر الباعث له على البخل حتى في نفسه اقوى من الطير الذي
يموت عطشا على ساحل البحر خوفا من نفاذه ومن الدودة التي قوتها التراب وتموت
في جنب خزائن رحمة رب الارباب كقطرة من السحاب ويتوب الله اي يرجع بالرحمة
على من تاب اي رجع اليه بطلب العصمة او يتفضل الله بتوفيق التوبة وتحقيق التلاقي
العفو عن من تاب اي من محبة الدنيا والغفلة عن حضرة المولى قال النووي معناه
انه لا يزال حريصا على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره وهذا الحديث خرج على

حرص

حرص غالب بني ادم في الحرص على الدنيا ويؤيده قوله ويتوب الله على من تاب وهو متعلق بما قبله
ومعناه ان الله يقبل التوبة من الحرص المذموم وغيره من المذمومات قال الطيبي ويمكن
ان يقال معناه ان بني ادم كلهم مجبولون على حب المال والسعي في طلبه وان لا يشبع منه
الا من عصمه الله تعالى ووفقه لازالة هذه الجبلة عن نفسه وقليل ما هم فوضع ويتوب
الله على من تاب موضعه اشعارا بان هذه الجبلة المذكورة فيه مذمومة جارية مجرى الذنب
وان ازالتها ممكنة ولكن بتوفيق الله وتسديده ونحوه قوله تعالى ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون اضاف الشح الى النفس دلالة على انها غريزة فيها وبين ازالته بقوله
يوق ورتب عليه قوله فاولئك هم المفلحون وهنا نكتة دقيقة فانه ذكر بني ادم تلويحا انه مخلوق
من التراب ومن طبيعته القبض واليبس فيمكن ازالته بان يمطر الله سبحانه وتعالى
عليه السحاب من غمام توفيقه فيثمر حينئذ الخصال الزكية والشمائل المرضية كما قال
تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا فمن لم يتداركه
التوفيق وتركه وحرصه لم يزد حرصه وتهالكه على جمع المال ومرقع قوله ولا يملأ جوف
ابن ادم موقع ركون الجبلة ويناط به حكم اشهد واعم كانه قيل ولا يشبع من خلق من التراب
الا بالتراب وموقع ويتوب الله على من تاب موقع الرجوع يعني ان ذلك لعسير صعب ولكن
يسير على من يسره الله تعالى عليه فحقيق ان يكون هذا من كلام البشر بل هو من كلام خالق
القوى والقدر روينا عن الترمذي عن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله امرني ان اقرأ عليك القران فقرأ عليه لم يكن الذين كفروا وقرأ فيها ان الدين
عند الله الحنيفية المسلمة لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية ومن يعمل خيرا فلن
يكفره وقرأ فيها لو ان لابن ادم واديا من مال لابتغى اليه ثانيا ولو ان له ثانيا لابتغى اليه
ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب انتهى رواه البخاري
قال ميرك نقلا عن التصحيح حديث لو كان لابن ادم واديا الخ رواه البخاري بهذا
اللفظ من حديث ابن عباس ومعناه من حديث انس ومسلم بهذا اللفظ وبمعناه
من حديث ابن عباس ورواه الترمذي ايضا وقد ثبت في الحديث ان هذا كان في
قرانا فنسخ خطه رواه احمد وغيره وفي رواية لابن عباس وانس فلا ادري اهو شيء
انزل ام شيء كان يقوله ولانس عن ابي قال كنا نرى هذا من القران حتى نزلت الهاكم التكاثر
اخرجه البخاري انتهى وفي الجامع لو كان لابن ادم واد من مال لابتغى اليه ثانيا ولو كان
له واديان لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب
رواه احمد والشيخان والترمذي عن انس واحمد والشيخان عن ابن عباس والبخاري عن
ابن الزبير والنسائي عن ابي هريرة واحمد عن ابي واقد والبخاري في تاريخه والبزار عن بريدة
ورواه احمد وابن حبان عن جابر ولفظه لو كان لابن ادم واد من نخل لتمنى مثله
ثم تمنى مثله حتى يتمنى اودية ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب وعن ابن عمر قال اخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي اي بمنكبي كما في رواية وتكنية الاخذ لتقريبه
اليه وتوجهه عليه ليتمكن في ذهنه ما يلقي لديه وفيه ايماء الى ان هذه الحالة المرضية
لا توجد الا بمحبة الاهية فقال كن اي عش وحدا وعن الخلق بعيدا في الدنيا كانك
غريب اي فيما بينهم لعدم مؤانستك بهم وقلة مجالستك معهم قال النووي اي
لا تركن اليها ولا تتخذها وطنا ولا تتعلق منها الا بما يتعلق الغريب في غير وطنه انتهى وذلك
لان الدنيا دار مرور وجر عبور فينبغي للمؤمن ان يشتغل بالعبادة والطاعة وينتظر

عنها شاغلة فشاغلة متهيئا لاسباب الارتحال برد المظالم والاستحلال مشتاقا الى الوطن
الحقيقي فانه انما سفره ببلغته مستعد للبليات الكثيرة في سفره عن مشتغل بما لا يعنيه
من الامل الطويل والحرص الكثير او عابر سبيل اي مسافر بطريق او للتنويع او بمعنى بل للترقي
والمعنى بل كن كانك مار على طريق قاطع بها بالسير ولو بلا رفيق وهذا ابلغ من الغربة لانه
لانه قد يسكن الغريب في غير وطنه ويقيم في مدة ثم لا بد منه فلحد رد طايفة رفضوا الدنيا
وتوجهوا الى العقبى شوقا الى لقاء المولى واعتزلوا الطينة عن الناس فانه لا استيناس
بالناس علامة الافلاس وتجردوا عما بينهم من الاثقال ولا مقياس بالناس ايضا رواء
حفاة عراة حاسرين الراس وهم العقلاء الاكياس الخارج فضلهم عن حد الحدود ومقياس
القياس شعر

ان لله عبادا فطنا || طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا || انها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا || صالح الاعمال فيها سفنا

وعد نفسك بضم العين وفتح الدال المشددة اي اجعلها معدودة في اهل القبور وعدها
كاينة وساكنة فيهم وفي بعض النسخ المصححة من اهل القبور من جملتهم وواحدة من
جماعتهم فيه اشارة الى ما قيل موتوا قبل ان تموتوا وحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا
رواه البخاري قال ميرك فيه نظر لان الذي اورده هو لفظ الترمذي ولفظ البخاري
عن ابن عمر قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال كن في الدنيا كانك
غريب او عابر سبيل وليس في البخاري وعد نفسك في اهل القبور بل هو في الترمذي
والبيهقي والله اعلم اقول وفي الجامع كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل رواه البخاري
عن ابن عمر زاد احمد والترمذي وابن ماجة وعد نفسك من اهل القبور وزاد النووي في
اربعينه وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول اذا امسيت فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت
فلا تنتظر المسا وخذ من صحتك لمرضك وخذ من حياتك لموتك وزاد الامام الغزالي
في الاربعين قوله فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا وجعل صدر الحديث مرفوعا قال
قال قال رسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر اذا اصبحت الخ والله سبحانه وتعالى اعلم

الفصل الثاني

عن عبد الله بن عمرو بالواو قال مر بنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانا واخي نطين بتشديد اليا المكسورة نصلح بالطين شيا اي مكانا او جزا من
من البيت فقال ما هذا اي استعمال الطين يا عبد الله اي يا عبد الهوى قلت شي اي من البيت
نصلحه اي خوفا من مفاسده او زيادة في استحكامه واستبداده قال الامر اسرع من ذلك
اي الامر الذي ينبغي لنا ان نغيره وفي تغييرنا القدما نغتنم انتجالهم ذكرته من ان نصلحه ونقويه
والظاهر ان عمرته لم تكن ضرورية بل كانت ناشية عن امل في تقويته او صادرة عن ميل
الى زينته قال الطيبي اي كن في الدنيا كعابر سبيل او راكب مستظل تحت شجرة اسرع
مما انت فيه من اشتغالك بالبنا وقال ابن الملك اي الاجل اقرب من تخرب هذا البيت
اي تصلح بيتك خشية ان ينهدم قبل ان تموت وربما تموت قبل ان ينهدم فاصلاح عملك اولى
من اصلاح بيتك رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث غريب قال ميرك نقلا عن المنذري
حديث عبد الله بن عمرو رواه ابو داود والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجة وابن
حبان في صحيحه وقال لا نسبة لابي داود هذا الحديث بهذا اللفظ لم اجد في مع الترمذي
وكذا اخرج عن عبد الله بن عمرو قال مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج

رضي الله تعالى عنه

خصا

خصا لنا فقال ما هذا فقلنا قد وهى فنحن نصلحه فقال ما ارى الامر الا اعجل من ذلك وقال هذا
حديث حسن صحيح وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهريق الما بفتح
الها وفتح الها ويسكن اي يصب الما كناية عن البول فالمعنى انه كان يبول احيانا فيتيمم
بالتراب اي او ما يقوم مقامه لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم مسح بيده على الجدار حال التيمم من غير
وجود الغبار فاقول يا رسول الله ان الما منك قريب اي فالتيمم حينئذ غير مفيد فيقول
استيناف لما يدريني ما للاستفهام يعني للاشفاق اي اخاف ان لا ابلغه اي لا اصل
الى الما بعد ان اجلي مبادرا لا حب ان اكون حينئذ طاهرا باطنا وظاهرا ومنا اعد قول
المشرفه ولما اقربه الى الوجه الا صنعا حمل الحديث على معنى عن ابي سبب بابا وهي
حيث قال اي يستعجل الماء قبل الوقت فاذا لم يبق يتيمم والله اعلم رواه اي البغوي
في شرح السنة وابن الجوزي في كتاب الوفا اسم كتاب له ظنه في شرف المصطفى
وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا ابن ادم الظاهر ان هذا اشارة حسية
الى صورة معنوية وكذا قوله وهذا اجله وتوضيحه انه اشار بيده الى قدامه في مساحة
الارض اي في مسافة الهوى بالطول او العرض وقال هذا ابن ادم ثم اخرها اي وقفها قريبا
مما قبله وقال هذا اجله ووضع يده اي عند تلفظه بقوله هذا ابن ادم وهذا اجله عند
قفاه اي في عقب المكان الذي اشار به الى الاجل ثم بسطها اي نشرها في جهة قدام بفتح الباء
بكفه واصابعه او معنى بسط وسع في المسافة من المحل الذي اشار به الى الاجل فقال
وثم بفتح المثلثة وتشديد الميم اي هنالك واشار الى بعد مكان ذلك امله اي موضع
وهو مبتدا خبره ظرف قدم عليه للاختصاص والاهتمام وخلاصة العبارات والاعتبارات
ان هذه الاشارات الموثرة بالاشارات الموكدة بالحركات والسكنات القولية والفعلية
المطابقة لما سبق من التصورات الصورية انما هي للاشارات المعنوية المنبهة من
نوم الغفلة المبينة ان اجل ابن ادم اقرب اليه من اهله وان امله اطول من اجله كما قال
الله وقوله

كل امري مصبح باهله || والموت ادنى من شراك نعله

هذا ما سنح في هذا المقام من توضيح المرام وقال الطيبي مما زاغ عنه بعض الشراح النحام
قوله ووضع يده الواو للحال وفي قوله وهذا اجله الجمع مطلقا فالمشار اليه ايضا
مركب فوضع البديع قفاه معناه ان هذا الانسان الذي يتبعه اجله هو المشار
اليه وبسط اليد عبارة عن مده الى قدام انتهى الكلام رواه الترمذي وعن ابي سعيد
الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة صحيحة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم غرز اي ادخل في الارض عودا اي خشبا طويلا بين يديه واخر الى جنبه اي غرز عودا
اخر الى جانب العود الاول واخر بعيدا اي من الثاني ومنهما فقال اتدرون ما هذا اي
مجموع ما فعلت والمعنى اتعلمون ما المراد بهذا الغرز والتقدير وما الغرض من هذا
التصوير قالوا الله ورسوله اعلم بما في الضمير قال هذا الانسان اي العود الاول
مثاله وهذا الاجل اي وهذا العود الثاني المنفصل الى جنبه اجله اي انتهى عمره وانقطاع عمله
اراه بضم الهمزة اي قال الراوي اظنه قال وهذا الامل اي هذا العود الابعد هو طول
امله ومال امله فيتعاطى اي يتناول الانسان الاجل بان يباشر ويشتغل ويتعلق
بما يامله ويريد ان يحصله فلحقه الاجل اي فيلحقه الموت قبل ان يصله ويحصل المطامع
بالماضي مبالغة في تحقيق حاله وتوقعه دون الامل اي قبل ان يتم امله او يكمل عمله قال

الطيبي دون الاجل حال من الضمير المنصوب اي نحيه وهو متجاوز عنها فضله من الامال الامية
بالنفس مما لك دون الله من واق رواه اي البغوي في شرح السنة وعن ابي هريرة عن
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عمر امتي اي غالب من ستين سنة الى سبعين قيل معناه آخر
عمر امتي ابتداؤه اذا بلغ ستين سنة وانتهاؤه سبعون سنة وقال من يجوز سبعين وهذا
محمول على الغالب بدليل شهادة الحال فان منهم من لم يبلغ ستين ومنهم من يجوز سبعين
ذكره الطيبي وفيه ان اعتبار الغلبة في جانب الزيادة على سبعين واضح جدا واما كون
الغالب في آخر عمر الامة بلوغ ستين ومنهم من يجوز سبعين ذكره الطيبي وفيه ان اعتبار
الغلبة في جانب الزيادة على سبعين واضح جدا واما كون الغالب في آخر عمر الامة بلوغ
ستين ففي غاية من الغرابة المخالفة لما هو ظاهر في المشاهدة فالظاهر ان المراد به
ان عمر الامة من سن المحمود الوسط المعتدل الذي مات فيه غالب الامة ما بين المعدودين منهم
سيد الانبياء واكابر الخلفاء كالصديق والفاروق والمرتضى وغيرهم من العلماء والاولياء
مما يصعب فيه الاستقصاء ويعسر الاستحصاء رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعنه
اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار امتي ما بين الستين الى
السبعين اي نهاية اكثر اعمار امتي غالبا ما بينهما واقلهم من يجوز ذلك اي السبعين
فيصل الى المائة فما فوقها واكثر ما اطلعنا على طول العمر في هذه الامة من المعمرين في الصحابة
والائمة سن انس بن مالك فانه مات وله من العمر مائة وثلاثون سنة واسماء بنت
ابي بكر ماتت ولها مائة سنة ولم يقع لها سن ولم ينكر في عقلها شيء وازيد منهما عمر حسان
ابن ثابت مات وله مائة وعشرون عاش منها ستين في الجاهلية وستين في الاسلام
واكثر منه عمر سلمان الفارسي فقيل عاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلاثمائة وخمسين
سنة والاول اصح والله اعلم ثم من تاريخ موتهم يفهم انه عاش في الاسلام قليلا لانه ذكر
المؤلف انه مات بالمدائن سنة خمس وثلاثين وقد ادركنا سيدنا السيد زكريا وسمعنا
منه مائة وعشرين سنة رحمة الله عليه رواه الترمذي وابن ماجه وكذا ابو يعلى في مسنده
عن انس قال ابن الربيع وصححه ابن حبان والحاكم وقال انه صحيح على شرط مسلم وقال
الترمذي حسن غريب وفي لفظ لاحمد والترمذي مرفوعا معترك المنايا ما بين الستين
الى السبعين انتهى لكن في الجامع اسنده الى الحكيم الترمذي والله اعلم وذكر حديث عبد الله
ابن الشخير بكسر الشين والخاء المشددة المعجمة وضبط فيما سبق بدون تمام التعريف في باب
عيادة المريض اي في اواخر الفصل الثاني وهو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل ابن آدم اي صورة والى جنبه تسع وتسعون منية اي مهلكة ان اخطأته المنايا وقع
في الهرم حتى يموت انتهى ولا شك ان مناسبته هنا اظهر من هناك فان محوا اليه فيحجة
عليه واذا سقط عنه نكرا رفعته ليسلم لديه **الفصل الثالث** عن عمرو بن شعيب
رضي الله تعالى عنه عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول صلاح هذه الامة
اليقين اي في امر العقبى والزهد اي في شأن الدنيا واول فسادها البخل بضم فسكون
وبفتحتين وهو لا يناسب هنا لمشاكلة قوله والامل فالامل انما هو الغفلة عن سرعة
القيمة الصغرى والكبرى والبخل انما ينشأ من حب الدنيا ويقرب هذا الحديث معنى قول
الحسن البصري صلاح الدين الورع وفساده الطمع وقال الطيبي معناه ان اليقين بان
الله هو الرزاق المتكفل للارزاق وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فمن يتيقن هذا
زهد في الدنيا فلم يامل ولم يبخل لان البخيل انما يمسك المال لطول الامل وعدم اليقين روي

رضي الله تعالى عنه

عن الاصمعي انه قال تلوت على اعرابي والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم وما توعدون
قال حسبك وقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما
وولى فلقيته في الطواف قد نحل جسمه واصفر لونه فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت
الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض
انه لحق فصاح وقال سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله
حتى الجأوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه رواه البيهقي في شعب الايمان
وعن سفيان الثوري اي الكوفي امام المسلمين وحجة الله على خلقه اجمعين جمع رضي الله عنه
بين الفقه والاجتهاد فيه والحديث والزهد والعبادة والورع والثقة واليه المنتهى في علم
الحديث وغيره من العلوم اجمع الناس على دينه وزهده وورعه وثقته ولم يختلفوا
وهو احد الائمة المجتهدين واحد اقطاب الاسلام واركان الدين ولد في ايام سليمان
ابن عبد الملك سنة تسع وتسعين سمع خلقا كثيرا وروى عنه معمر والاوزاعي وابن
جريج ومالك وشعبة وابن عيينة وفضيل بن عياض وخلق كثير سواهم مات سنة احدى
وستين ومائة ذكره المؤلف قال ليس الزهد في الدنيا بلبس الغليظ اي في الغزل
والخشن بفتح فكسر اي في النسج واكل الجشب بفتح الجيم وكسر الشين المعجمة
اي بأكل الغليظ الخشن من الطعام وقليل الادام انما الزهد في الدنيا قصر الامل
بكسرتين وفتح صاد وفي نسخة بضم فسكون اي قصر الامل والاستعداد
للاجل بان يسارع الى التوبة والعمل الصالح وحاصله ان الزهد الحقيقي هو ما يكون
في الحال القلبي من عزوف النفس عن الدنيا وميلها الى العقبى وليس المدار على
الاستماع الظاهري فانه يستوي الامران فيه باعتبار الحقيقة وان كان للتقشف
في اللبس والتقلل في كمية الاكل وكيفيته له تأثير بليغ في استقامة العبد على
الطريقة **والحاصل** ان حب الدنيا في القلب هو المهلك للهالك
بالدين في قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء ان دخل داخل السفينة
اغرقها مع اهلها وان كان خارجها حوله سيرها واوصلها الى محلها ولذا قال صلى الله
عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقد اختار جماعة من الصوفية واكابر الملامتية
لبس العوام وبعضهم لبس اكابر الظلام لستر احوالهم منا ولهم الكرام وبعضهم اشد
ما ينادي لبس المرقع من الشكاية من الحق الى الخلق وعلى السؤال بلسان الحال ومن
الطمع في غير المطمع ومن المظنة في موقع الرياء والسمعة وقد اخرج الديلمي في مسند
الفردوس عن ابي سعيد الخدري مرفوعا لبس الصوف حسن للناس والزي ولكن ابن السكينة
والوقار وهذا الطريق الى الله بعدد انفاس الخلائق والمدار على الاخلاص والخلاص من
العلائق رواه في شرح السنة وعن زيد بن الحسين لم يذكره المؤلف في اسمائه لكونه من
رواة مالك وهو شيخه ليس من الصحابة والتابعين قال سمعت مالكا وسئل اي
والحال انه سئل اي شيء الزهد في الدنيا قال طيب الكسب اي المكسوب من الماكول
والمشروب بان يكون حلالا طيبا ويورث عملا نافعا وعملا صالحا لانه قال تعالى يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون وقصر الامل اي بتكثير العمل مخالفة اتيان الاجل
الزهد في الدنيا المرغب في العقبى قال الطيبي فان قلت اي مدخل الطيب الكسب
في الزهد قلت هذا رد على من زعم ان الزهد في مجرد ترك الدنيا ولبس الخشن واكل

الخشب اي ليس حقيقة الزهد ما زعمته بالحقيقة ان تاكل الحلال وتلبس الحلال
وتقنع بالكفاف وتقصر الامل ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم الزهادة في الدنيا ليست
بتحريم الحلال ولا باضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا بان لا تكون بما في يدك اوثق بما
في ايدي الناس انتهى وتمامه ما في الجامع برواية الترمذي وابن ماجه ابي ذر وان تكون
في ثواب المصيبة اذا انت اصبت بها ارغب منك فيها لو انها ابقيت لك وسياتي هذا
الحديث في اصل الكتاب من اواخر الباب ونظيره انه قيل للامام محمد صاحب ابي حنيفة
رضي الله عنهما لم لم تصنف في التصوف فقال صنفت في الفقه فقيل لما هو قال
كتاب البيع فمن لم يعرف صحته وفساده ياكل حراما ومن اكل حراما لا يصلح حاله ابدا رواه
البيهقي في شعب الايمان انتهى والله اعلم بالحال

باب استحباب المال والعمر للطاعة

اي جواز طلب حب المال وطول العمر لصرفهما في الطاعة والعبادة **الفصل الاول**
عن سعد بن ابي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي
اي من يتقي المناهي او من لا يصرف ماله في الملاهي وقيل هو الذي يتقي المحرمات والشبهات
ويتورع عن المشتبهات والمباحات الغني قال النووي المراد بالغنى غنى النفس واشار
القاضي الى ان المراد به غنى المال قلت وهذا هو المناسب لعنوان الباب ولا ينافي
غنى النفس فانه الاصل في الغنى والفرد الاكمل في الغنى ويترتب عليه غنى اليد الموجب
لتحصيل الخيرات والمبرات في الدنيا وصول الدرجات العاليات في العقبى والحاصل
ان المراد به الغني الشاكر وقد يستدل به على انه افضل من الفقير الصابر لكن المعتمد خلافه
لما سبق بيانه وتحقيق برهانه الخفي بالخاء المعجمة اي الخامل المنقطع لعبادة ربه المشتغل
بامور نفسه والخفي الخير ان يجهله ويعرفه في الدنيا مرقة من رتبة حب لا يطلع عليه غيره
ان هذا للفقير ايضا كما ورد في الخبر لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وهو الاظهر وروي بالمهملة
اي المشفق وقال النووي معناه الواصل للرحم اللطيف بهم وبغيرهم من الضعفاء
والصحيح الاول وفيه حجة لمن يقول الاعتزال افضل من الاختلاط ومن قال
الاختلاط قال هذا بالاعتزال في وقت الفتنة اقول ويحمل على اختلاط ارباب البطالة
وقال ابن الملك اراد به الخفي عن اعين الناس في نوافله لئلا يدخله الرياء وقيل هو من لا
يتكبر على الناس ولا يفتخر عليهم بالمال بل يجعل نفسه منكسرة من التواضع وقيل اراد
به قليل التردد والخروج الى نحو الاسواق رواه مسلم اي عن طريق عامر بن سعيد بن ابي وقاص
قال الطيبي وفي بعض نسخ المصابيح ذكر الحديث وقال في الجامع رواه احمد ومسلم عن
سعد بن ابي وقاص قال الطيبي وفي بعض نسخ المصابيح الحق بعد قوله التقي الغني ولم
يوجد في صحيح مسلم وشرحه ولا في الحميدي وجامع الاصول وذكر حديث ابن عمر لا حسد الا
في اثنين اي رجل اتاه الله القران ورجل اتاه الله مالا في باب فضائل القران صوابه
في كتاب فضائل القران ثم لما كان الحديث مشتملا على المعنيين المناسبين للبابين عنيت
الرجلين والاول منها متعلق بفضل القران خصصه به والمغيرة اوضاه الى الثاني مستدركا
انتهى والله اعلم **الفصل الثاني عن ابي بكرة** بالتاء ان رجلا قال يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اي اصنافهم خير اي اكثر ثوابا قال من طال عمره بضمتين في ما هو
الافصح الوارد في كلامه سبحانه وبضم وسكون على ما هو المشهور على السنة العامة تخفيفا
وبفتح العين وسكون الميم لغة فيه ومنه قوله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وفي القاموس

العمر بالفتح والضم وبضمتين الحياة وحسن عمله قال اي الناس شر اي اشر قال من طال
عمره وساء عمله قال الطيبي وقد سبق ان الاوقات والساعات كراس المال للتاجر فينبغي
ان يتجر فيما يربح فيه وكلما كان راس ماله كثيرا كان الربح اكثر فمن مضى لطيبه فاز وافلح ومن
اضاع راس ماله لم يربح وخسر خسرانا مبينا انتهى ويبقى صنفان مستويان لتساويهما
زيادة من الخير والشر وهما من قصر عمره وحسن عمله وساء عمله رواه احمد والترمذي وفي
نسخة طال عمره وحسن عمله وروى الحاكم عن جابر مرفوعا خياركم اطولكم اعمارا واحسنكم
اعمالا وعن عبيد بالتصغير ابن خالد قال المؤلف في فصل الصحابة سلمي بهزي يجاهري سكن
الكوفة روى عنه جماعة من الكوفيين ان النبي صلى الله عليه وسلم اخى اي عقد عقد الاخاء
وتبعة المصاحبة والمحبة بين رجلين اي من اصحابه فقتل احدهما اي استشهد في سبيل
الله اي في الجهاد ثم مات الاخر اي في فراشه بعده وفي نسخة بعد بضم الدال والمعنى
بعد قتل اخيه بجمعة اي بسبوع او نحوها اي قريبا منها تحقيقا للتذكر وانما ابهمه
احتياطا فصلوا عليه اي المسلمون عليه اي على الاخر فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما قلتم
في حقه من الكلام وما للاستفهام قالوا دعونا الله ان يغفر له اي ذنوبه ويرحمه
اي يتفضل عليه ويثيبه ويلحقه من الالحاق اي يوصله بصاحبه اي في علو درجته فكونا
في منزلة واحدة من الجنة في العقبى كما كان في مرتبة واحدة من المحبة في الدنيا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم فاين جوابه شرط مقدر اي اذا كنتم تدعون الله بان يلحقه
بصاحبه زعما منكم ان مرتبته دون مرتبة اخيه فاين صلاته اي الزائدة للميت بعد صلاة
اي الواقعة للشهيد وعمله بعد عمله تعميم بعد تخصيص والتقدير وسائر عمله اي عمل
الميت بعد انقطاع عمل الشهيد او قال شك من الراوي صيامه بعد صيامه ولعله كان
رمضان او المتخلف كان ممن يصوم النافلة كثيرا لما بينهما قال ابن الملك اللام فيه
للتوطئة للقسم او للابتداء قلت الثاني هو الصحيح لان شرط الموطئة ان تكون
مقرونة باداة الشرطية نحو قوله تعالى لئن اشركت الاية نعم يمكن الاتيان في جواب القسم
المقدر اي والله لما بينهما والمعنى للتفاوت الذي بين الاخوين في القرب عند الله
تعالى ابعد مما بين السماء والارض يعني مرتبة الميت اعلى فلحاق الشهيد به اولى وذلك
لانه ايضا كان مرابطا في سبيل الله فله المشاركة في الشهادة حكما وطريقة وله
زيادة الطاعة والعبادة شريعة وحقيقة ولا يمنع المعلوم ان الاعمال زيد ثوابا
على الشهادة جهادا في سبيل الله واظهارا للدين لا سيما في مبادي الدعوة مع قلة
اعوانه من اهل الملة وقال الطيبي فان قلت كيف تفضل هذه الزيادة في العمل
بلا شهادة على عمله معها قلت قد عرف صلى الله عليه وسلم ان عمل هذا بلا شهادة
ساوى عمله مع شهادته بسبب مزيد اخلاصه وخشوعه ثم زاد عليه بما عمل بعده وكم من
شهيد لا يدرك شاو الصديق رضي الله تعالى عنه في العمل انتهى فتامل فانه ليس في
الحديث اشعار بعلة اخلاص الشهيد فهذا النظر بالقضية لا يليق بالتسديد مع انه لو
كان هذا علة التفضيل لبينه صلى الله عليه وسلم في وجه التعليل ولا كلام في الصديق
انه ممن تفضل عليه سبحانه بزيادة التوفيق مع انه رضي الله تعالى عنه شهيد حكما
وقد قدم الله سبحانه مرتبة الصديقين على الشهداء في مواضع من كتابه والله اعلم
رواه ابو داود والنسائي ورجال هذا الحديث رجال الصحيح الا عبد الله بن ربيعة
السلمي عن عبيد بن خالد قال النسائي انه صحابي وعلى تقدير انه لا يكون صحابيا فهو

تابعي ولم يذكره أحد بضعف وأما عبيد بن خالد وهو أبو عبد الله السلمي البهزي فله صحبة
ونزل الكوفة روى عنه عبد الله بن ربيعة وتميم بن سلمة وسعيد بن عبيدة نقله ميرك عن
التصحيح وفي التقريب عبد الله بن ربيعة بن فرقد السلمي ذكر في الصحابة ووثقه أبو حاتم
ووثقه ابن حبان انتهى وسيأتي زيادة كلام في هذا المرام وعن أبي كبشة الأنماري قال
المؤلف هو عمرو بن سعيد نزل بالشام روى عنه سالم بن أبي الجعد ونعيم بن زياد أنه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث أي من الخصال أقسم أي أحلف عليهن وأحدثكم
عطف على قوله ثلاث بحسب المعنى فكأنه قال أخبركم بثلاث أو كدهن بالقسم عليهن
وأحدثكم حديثا أي تحديثا عظيما أو بحديث آخر فاحفظوه أي الأخير أو المجموع ومما يدل على
ما اخترته من التقدير المذكور والتحرير المسطور قوله فأما الذي أقسم عليهن أي
الذي أخبركم بثلاث وأحلف عليهن هو هذا الذي أبينه فأنا أبين أن ما نقص مال عبد
أي بركته من صدقة أي من أجل إعطاء صدقة لأنها مخلوفة معوضة كمية وكيفية في الدار
الدنيوية أو الأخروية قال تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ولا ظلم عبد بصيغة المجهول
مظلمة بفتح الميم وكسر اللام اسم ما أخذ الظالم ظلما كذا ذكره ابن الملك وفي القاموس
المظلمة بكسر اللام ما يظلمه الرجل والظاهر أنه هنا مصدر بمعنى المفعول صفة قوله صبر
أي العبد عليها أي على تلك المظلمة ولو كان متضمنا لنوع من المذلة إلا زاده الله بها عزا أي عنده
تعالى كما أنه يزيد للظالم عنده ذلا أو يزيده الله عزا له في الدنيا عاقبة كما يحصل للظالم
ذل بها ولو بعد حين من المدة بل ربما ينقلب الأمر ويجعل الظالم تحت ذل المظلوم جزاء وفاقا
ولا فتح عبد أي على نفسه باب مسألة أي باب سؤال وطلب من الناس لا لحاجة وضرورة
بل لقصد غنى وزيادة إلا فتح الله عليه باب فقر أي باب احتياج آخر بهم جزاء بأن يسلب عنه
ما عنده من النعمة فيقع في نهاية من النقمة كما هو مشاهد في أصحاب النهمة ومثل في
حاله بإكثار الذي له الذنب وهو دائر في الطلب تدخل في بستان حريصا عليه فتقطع
الحارس ذنبه وشبه أيضا بكلب في فمه عظم ومر على نهر لطيف يظهر من تحته عظم
لطيف ففتح الكلب فمه حرصا على أخذ ما في النهر إذا ما توقع ما في فمه من العظم في الماء فكم من
شؤم الحريص مجرب هذا وقال الطيبي في قوله فأما الذي أقسم عليهن أفرده وذكره
باعتبار كون المذكور موصوفا أو جمع الراجع إلى الموصول باعتبار الخصال المذكورات
وبه فسر قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد في وجه أي الجمع أو الفوج وفي المفاتيح
أما الذي أقسم عليهن وهو ظاهر والمراد تحقيق الحلف بل تأكيده تنويها قال
المدعي يثبت بذكر القسم ثانية وأخرى بلفظ القسم انتهى والأظهر أن يقال
التقدير فأما تفسير الذي أقسم فيه على الخصال الثلاثة وكذا قوله وأما الذي
أحدثكم حديثا فاحفظوه فقال إنما الدنيا فهو تفسير وبيان بدليل جملة معترضة
للتأكيد والتقدير فأما الدنيا ويؤيده أنه ليس في نسخة مع لفظ فقال بل فيه إنما
الدنيا لأربعة نفر أي كل واحد عبارة عن جمع وصنف عبد بالجر ويرفع رزقه الله
مالا وعلما فيه إيماء إلى أن العلم رزق أيضا وأن الله تعالى هو الذي يرزق العلم والمال
وبتوفيقه وفتحه ينفتح باب الكمال وقد ورد في حديث أن علما لا يقال به ككنز
لا ينفق منه فيدخل العلماء ولو كانوا فقراء في قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون
ثم فيه إشعار بأن المراد بالمال هنا ما يزيد على قدر ضرورة الحال فهو يتقي فيه أي في
المال ربه بأن لا يصرف ماله في معصية خالقه ويصل رحمه أي بالمواساة إلى أقاربه

ويعلم لله فيه أي في العلم بحقه أي ما يحق العمل به يقتضيه من العمل بحق الله وحق
عباده فيتقيه لفا ونشرا مرتبا ويؤيده لفظ الجامع ويعلم الله فيه حقا ويمكن رجوع كل
من الضميرين إلى كل من المال والعلم وإفراده باعتبار ما ذكر وقال ابن الملك أي يعرف
المال والمعنى يؤدي ما في المال من الحقوق كالزكاة والكفارة والنفقة وإطعام
الضيف ويجوز كون الضمير لله أي حق الله الواجب في المال فهذا أي العبد الموصوف
بما ذكر بأفضل المنازل أي في أكمل مراتب الشهود في الدنيا أو في أعلى الدرجات في العقبى
وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية أي ظاهره مطابق لما في الطوية
يقول أي بلسان القال أو بلسان الحال وهو استئناف بيان أو حال لو أن لي مالا أي
لعملت بعمل فلان أي ممن أهل الخير فأجرهما سوا ولفظ الجامع فهو بنيته فأجرهما سواء
وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط وفي الجامع يخبط بكسر الباء بدون
فهو حالا واستئناف بيان والمعنى يقوم ويقعد بالجمع والمنع في ماله أي يختلف
في حاله باعتبار الإنفاق والإمساك في ماله بغير علم أي بغير استعمال علم بأن
يمسك تارة حرصا وحبا للدنيا وينفق أخرى للسمعة والرياء والفخر والخيلاء لا يتقي فيه
ربه أي لعدم علمه في أخذه وصرفه ولا يصل فيه رحمه أي لعلة رحمته وعدم حلمه وكثرة
حرصه وبخله ولا يعلم فيه بحق أي بنوع من الحقوق المتعلقة بالله أو بعباده ولفظ
الجامع ولا يعلم لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو
يقول لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان أي من أهل الشر فهو بنيته أي فهو مغلوب نيته ومحكوم
طويته أو الحمل بطريقة المبالغة فكأنه عين نيته كرجل عدل وفي نسخة فهو نيته كذا في
الجامع أي مجزي بها ومعاقب عليها ولما كان الظاهر أن إثمه بمجرد نيته دون إثم العامل
المشتملة على النية والمباشرة أكد الوعيد وشدد التهديد بقوله فوزرهما سواء
ولفظ الجامع فوزرهما سوا قال الطيبي فهو نيته مبتدأ وخبر أي فهو في النية
بل عينه وقوعه في مقابلة قوله فهو صادق النية في القرينة الأولى وقوله يقول
لو أن لي مالا الخ تفسير لقوله صادق النية وقوله فهو يقول لو أن لي مالا الخ مقابل
له وقوله فأجرهما سواء وقوله فوزرهما سواء متقابلان قال ابن الملك هذا الحديث
لا ينافي خبر إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم يعمل به لأنه عمل هنا
بالقول اللساني والمتجاوز عنه هو القول النفسي انتهى والمعتمد ما قاله العلماء
المحققون إن هذا إذا لم يوطن نفسه ولم يستقر عليه بفعلها فإن عزم واستقر يكتب
معصية ولو لم يعمل ولم يتكلم وقد تقدم والله أعلم رواه الترمذي وقال هذا حديث صحيح
قال المنذري حديث أبي كبشة رواه أحمد والترمذي واللفظ له وقال حسن صحيح
وابن ماجه بمعناه ذكره ميرك وفي الجامع وكذا رواه أحمد في مسنده وروى ابن
أبي الدنيا في ذم الغضب عن عبد الرحمن بن عوف صدر الحديث بلفظ ولفظه ثلاث
أقسم عليهن ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة ظلمها إلا
زاده الله تعالى بها عزا فاعفوا يزدكم الله عزا ولا فتح رجل باب مسألة يسأل الناس
إلا فتح الله عليه باب فقر فهذا يدل على أن الحديث الأول مركب من حديثين جمعهما
الراوي وجعلهما حديثا واحدا ومما يدل عليه أن لفظ الجامع عن الأنماري ثلاث
أقسم عليهن إلى قوله باب فقر ثم قال وأحدثكم حديثا فاحفظوه إنما الدنيا الخ فالتقسيم
المحوج إلى التأويلات إنما هي من تصرفات بعض الرواة والله أعلم وعن أنس

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا اي في عاقبته استعمله
اي جعله عاملا في الطاعة فانه الفرد الاكمل عند اطلاق العمل فقيل وكيف يستعمله يا رسول
الله اي والحال انه دائم الاستعمال فقال يوفقه لعمل صالح قبل الموت اي حتى يموت على التوبة
والعبادة فيكون له حسن الخاتمة وزاد في الجامع ثم يقبضه عليه رواه الترمذي
وقال صحيح الاسناد فنقله ميرك عن التصحيح ورواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما
ذكره المنذري وفي الجامع رواه احمد والترمذي وابن حبان والحاكم ورواه الطبراني
عن ابي امامة ولفظه اذا اراد الله بعبد خيرا طهره قبل موته قالوا وما طهور العبد
قال عمل صالح يلهمه اياه حتى يقبضه عليه ورواه احمد والطبراني عن ابي عنبة ولفظه
اذا اراد الله بعبد خيرا عسله بفتح العين والسين المهملة قالوا وما عسله قال لضبط
المذكور على الحاشية قال يفتح له عملا صالحا قبل موته ثم يقبضه عليه ورواه احمد
والحاكم عن عمرو بن الحمق بفتح فكسر ولفظه اذا اراد الله بعبد خيرا استعمله قيل وما
استعمله قال يفتح له عملا صالحا بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله هذا ورواه
احمد وابن حبان عن ابي سعيد مرفوعا ان الله اذا رضي عن العبد اثنى عليه بسبعة اصناف
من الخير لم يعمله واذا سخط على العبد اثنى عليه بسبعة اصناف من الشر لم يعمله
انتهى وكان الثناء فيه الموقعين مبني على نيته او محمول على اخذ عبادة ظالم المظلوم
ووضع مظلمة من مظلوم على ظالم والله اعلم وعن شداد بتشديد الدال الاولى
ابن اوس بفتح فسكون قال المؤلف يكنى بابي يعلى الانصاري قال عبادة بن الصامت
وابو الدرداء كان شداد ممن اوتي العلم والحكم قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الكيس بفتح الكاف وتشديد الياء اي العاقل الحازم المحتاط في الامور
من دان نفسه اي جعلها دنية مطيعة لامر الله تعالى منقادة لحكمه وقضائه وقدره
وفي النهاية اي اذلها واستعبدها وقيل حاسبها وذكر النووي انه قال الترمذي
وغيره من العلماء معنى دان نفسه حاسبها انتهى اي حاسب اعمالها واحوالها
واقوالها في الدنيا فان كانت خيرا حمد الله تعالى وان كانت شرا تاب منها واستدرك
ما فاتها قبل ان تحاسب في العقبى كما ورد حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وقد قال
تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد وعمل اي عملا نافعا لما بعد الموت والعاجز اي عن تحصيل
العقل والاحتياط في الامر والحاصل ان الكيس هو المؤمن القوي والعاجز هو المؤمن
الضعيف وهو من اتبع نفسه هواها من الاتباع اي جعلها تابعة لهواها من تحصيل
الشهوات واستعمال اللذات والشبهات بل من ارتكاب المحرمات وترك الواجبات
وتمنى على الله فيقول ربي كريم رحيم وقد قال تعالى ما غرك بربك الكريم وقال نبئ
عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم وقال ان رحمة الله قريب
من المحسنين وقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك
يرجون رحمة الله وقد عبر في الجامع عن الطاعة بلفظ التمني اشارة الى ان وقوعه
قريب من المحال وان كان يمكن صدوره من الملك المتعال على طريق الافضال قال
الطيبي والعاجز الذي غلبت عليه نفسه وعمل ما امرته به نفسه فصار عاجزا لنفسه
فاتبع نفسه هواها واعطاها ما اشتهته قوبل الكيس بالعاجز والمقابل الحقيقي
للكيس السفيه الرأي وللعاجز القادر ليؤذن بان الكيس هو القادر والعاجز هو
السفيه وتمنى على الله اي يذنب ويتمنى الجنة من غير الاستغفار والتوبة رواه

الترمذي

الترمذي وابن ماجه وكذا احمد والحاكم

الفصل الثالث عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

شيبان في اسمه قال كنا في مجلس فطلع علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي ظهر لنا كطلعة الشمس وعلى راسه اثر ماء اي من الغسل فقلنا
يا رسول الله نراك طيب النفس اي طاهر البشر والسرور ومنشرح الحال على ما يبدو
منك من النور قال اجل بفتحتين وسكون الجيم المخففة اي نعم قال اي الرجل الراوي
ثم خاض القوم اي شرعوا في الخوض في ذكر الغنى اي في سؤاله او ذم حاله او سوء ماله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا باس بالغنى لمن اتقى الله عز وجل اشار بقوله
لا باس هو ان الفقر افضل لمن اتقى الله والصحة اي صحة البدن والتوسع الفقر خير من
الغنى اي مطلقا او المعنى وصحة الحال لمن اتقى المال خير من الغنى الموجب للحساب
والعقاب في المال وطيب النفس اي انشراح الصدر المقتضي للشكر والصبر المستوي عنده
الغنى والفقر من النعيم اي من جملة النعيم الذي يعبر عنه بجنة نعيم على ما قاله بعض
العارفين في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان جنة في الدنيا وجنة في العقبى
وغير من النعيم المسؤول عنه المذكور في قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم
وهو لا ينافي ما ذكرناه فانه الفرد الاكمل من جنس النعيم الذي لا ينبغي ان يقال
لغيره بالنسبة اليه انه النعيم فان ما عداه فقد يعد كونه من الجحيم او من عذاب
الجحيم رواه احمد وكذا ابن ماجه والحاكم عن يسار بن عبيد على ما في الجامع فتبين ابهام الرجل
مع ان جهالة الصحابي لا تضرنا اذ الصحابة كلهم عدول وعن سفيان الثوري قال
كان المال فيما مضى يكره اي عند ارباب الحال فاما اليوم اي في هذا الزمان فهو ترس
المؤمن اي جنة من جنته وجنته بلا منة وحاصله ان المال الحلال في يد صاحب
الحال من الوقوع في الشبهة والحرام ويمنعه من ملازمة الظلمة ومصاحبتهم
في الظلام او يستر به المؤمن عن الرياء والسمعة والشهرة عند العوام وقال لولا
هذه الدنانير اي وجودها عندنا وظهور استغنائنا بها عند الخلق لتمندل بنا هؤلاء
الملوك اي جعلونا مناديل وتمسحوا بنا وهي كناية عن الابتذال والمذلة والمظلمة او من
موافقتهم في تصوير اساءة جيد المسألة بترهم ماخوذ من البدل وهو الوسخ وقيل
لبعضهم ان المال يدنيك من الدنيا فقال لئن ادناني من الدنيا لقد صانني عنها
وقيل لان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس يعني احتياجي الى
الله خير من احتياجي الى ما سواه وقد اخرج الطبراني في الاوسط عن المقدام
ابن معدي كرب مرفوعا به ياتي على الناس زمان من لم يكن معه اصفر ولا ابيض
لم يتهن بالعيش وهو عند الامام احمد بلفظ ياتي على الناس زمان لا ينفع فيه الا
الدينار والدرهم زهدا وقد قيد الدراهم بالحلال مراهم وقال اي الثوري من كان في
يده من هذه اي الدنانير والدراهم شيء اي قليل على قدر الكفاية فليصلحه اي ليحرثه
على وجه القناعة ولا يتلفه بالاسراف بنوع من التجارة فانه اي زماننا زمان ان احتاج
تجيب من وضعه ان احتاج اي الشخص فيه كان اول من يبذل دينه اي لتحصيل دنياه
واول منصوب وفي نسخة بالرفع قال الطيبي اي كان ذلك الشخص اول شخص يبذل
دينه فيما يحتاج اليه هو ولو خرج عن ما قاله المالكي من خطب لكان ابين ويؤيده
رواية الكشاف من كان اول ما يأكل دينه فما موصوفة واول اسم كان ودينه خبره
قلت ويمكن عكسه بل هو الاظهر فتدبر وقال اي الثوري الحلال لانه قليل الوجود

في المال لا يجتهد السرف اي مرنه بالاكثار قال الطيبي يحتمل معنيين احدهما ان الحلال لا يكون
كثيرا فلا يحتمل الاسراف وثانيهما ان الحلال لا ينبغي ان يسرف فيه ثم يحتاج الى الغير
وفي كل منهما نظر اذ معنى الاسراف هو التجاوز عن الحد بان يصرفه في غير محله زيادة على
قدره وهو يحتمل في القليل والكثير ويشمل المال الحلال والحرام فالاوجه ان يقال
ان الحلال لمن خاصيته انه لا ينفق في الاسراف كصرفه في الماء والطين بلا ضرورة وكثرة
اعطاء الاطعمة على طريق الريا والسمعة ولذا قيل لا سرف في خير ولا خير في سرف
وفيه تنبيه انه ينبغي للطالب ان يجتهد في تحصيل الحلال ولو كان القليل من المال
وان يقتنع به ولا يصرفه على طريق الاسراف لئلا يعجز نفسه الى الاكابر والاشراف
رواه في شرح السنة وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي
منادي يوم القيمة اين ابناء الستين اي من وصل عمره اليها وهو العمر الذي قال
الله تعالى اي في حقه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر قال الطيبي ما موصوفة اي تعميرا كم
عمرا يتعظ فيه العاقل الذي من شانه ان يتعظ وجاءكم النذير اي المنذر والانذار وهو
الشيب او القران او الرسول او الموت او جنس المنذر فيشمل الكل والجملة حالية
رواه البيهقي في شعب الايمان وقد سبق ما يتعلق به رواية ودراية وعن عبد الله
ابن شداد تابعي جليل كما سيجي بيانه ولم يذكره المؤلف في اسمائه قال ان نفرا من بني
عذرة بضم فسكون قبيلة مشهورة ثلاثة بالنصب بدلا او بيانا من نفرا اتوا
النبي صلى الله عليه وسلم اي جاؤا فاسلموا اي وارادوا الاقامة بنية المجاهدة وهم
اهل الفقر والفاقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يكفنيهم
اي مؤنتهم من طعامهم وشرابهم ونحو ذلك قال الطيبي هم ثاني مفعولي يكفي على
تقدير مضاف قال ابو طلحة انا اي اكفيهم فكانوا اي الثلاثة او النفر عنده اي
عند ابي طلحة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثا اي ارسل سرية فالبعث بمعنى
المبعوث فخرج فيه اي في ذلك البعث احدهم فاستشهد بصيغة المجهول اي صار شهيدا
ثم بعث بعثا فخرج فيه الاخر فاستشهد ثم مات الثالث على فراشه اي مرابطا ناويا للجهاد
قال اي ابن شداد قال طلحة فرايت اي في المنام او في كشف المقام هولاء الثلاثة في الجنة
ورايت الميت على فراشه اي الكائن عليه امامهم بفتح الهمزة اي قدامهم قال الطيبي
الظاهر ان يقال امامهما الا ان يقال المراد المقدم من بينهم او يذهب الى ان اقل الجمع
اثنان والذي عطف على الميت وفي نسخة فالذي استشهد اخرا يليه اي يقرب الميت
واولهم بالنصب وقيل برفعه يليه اي يلي المستشهد اخرا فدخلني اي في نفسي او اشكال من
ذلك اوهم ما رايته من التقديم والتاخير على خلاف ما كان يخطر في الضمير والفاعل محذوف
على مذهب ابن مالك فقال الفا فصيحة اي فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكرت له ذلك مستغربا ومستنكرا فقال وما انكرت اي واي شي انكرته من ذلك
والمعنى لا تنكر شيئا منه فانه ليس احد افضل عند الله فالاستيناف مبين متضمن
للعلة اي ليس احد اكثر ثوابا عنده سبحانه من مؤمن يعمر بتشديد الميم المفتوحة
اي يطول عمره في الاسلام لتسبيحه اي ونحو ذلك من سائر عباداته القولية والفعلية
ولفظه مع رواية عن احمد لتكبيره وتحميده وتسبيحه وتهليله قال ميرك حديث عبد الله
ابن شداد رواه احمد وابو يعلى ورواته رواة الصحيح وفي اوله عند احمد ارسال لكن
وصله ابو يعلى بذكر طلحة فيه كذا قاله المنذري في الترغيب وكانه بنى على ان عبد الله بن شداد

ليست

ليست له صحبة وانه ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم اذ ذكره العجلي انه من كبار التابعين الثقات
وكان متعبدا وفي الثقات ولم يصرح في هذا الحديث عند احمد بالسماع بل قال ان نفرا الخ وصرح ابو يعلى
بانه رواه عن طلحة ومما يناسب حديث عبد الله بن شداد هذا وحديث عبيد بن خالد الذي سبق في
الفصل الثاني ما رواه احمد باسناد حسن عن ابي هريرة قال كان رجلان من بلي حي من قضاعة
اسلما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشهد احدهما واخر الاخر سنة قال طلحة بن
عبيد الله فرايت المؤخر منهما ادخل الجنة قبل الشهيد فتعجبت لذلك فاصبحت فذكرت ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس قد صام بعده رمضان
وصلى ستة الاف وكذا وكذا ركعة صلاة سنة ورواه ابن ماجة وابن حبان في صحيحه
والبيهقي كلهم عن طلحة بنحوه اطول منه وزاد ابن ماجة في اخره فلما بينهما ابعد مما بين
السما والارض وعن محمد بن ابي عميرة بفتح العين وكسر الميم قال المؤلف مزني يعد في الشاميين
روى عنه جبير بن نفير وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان عبدا يخر
بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء اي سقط على وجهه من يوم ولد بفتح الميم على البناء وبجره
منونا الى ان يموت هرما بفتحتين اي ذا هرم وفي نسخة بكسر الراء اي شيخا كبيرا في طاعة الله
لحقره بتشديد القاف اي بعده قليلا لما يرى من ثوابه في ذلك اليوم ولود اي لاحب وتمنى انه رد الى
الدنيا كما يزداد اي ليزيد من الاجر والثواب اي من اجر العمل بمقتضى الوعد والعدل وزيادة
المثوبة على طريق الفضل والكرم اي المحدثين احمد اي في مسنده لكن الثاني رواه موقوفا والاول
رواه مرسلا لما تقدم والله اعلم وروى احمد والبخاري في تاريخه والطبراني عن عتبة بن عبد
مرفوعا ان رجلا يخر على وجهه من يوم ولد الى ان يموت هرما في مرضات الله لحقره يوم القيمة انتهى

باب التوكل والصبر

قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله يحب المتوكلين وقال واصبر وما صبرك الا بالله
ان الله مع الصابرين جمع بينهما لتلازمهما وعدم انفكاكهما وقدم التوكل لانه منتج الصبر
وبه يحصل المرء فينكشف الغم فان النصر مع الصبر ومن توكل على الله كفاه فقال بعضهم
التوكل على احد هو ان يجعله بمنزلة الوكيل القائم بامر المتوكل باصلاح حاله على قدرته وقال
ابن الملك المراد بالتوكل هو ان يتيقن ان لا يصيبه الا ما كتبه الله له من النفع والضر وفي
والصبر على مراتب من حبس النفس على المناهي وعن المشتهيات والملاهي وفي تحمل المشاق
في ادا العبادات وعلى تجرع المرارة عند حصول المصيبات ومنزل البليات هذا وفي
النهاية يقال توكل بالامر اذا ضمن القيام به ووكلت امري الى فلان اذا استكفاه امره
ثقة بكفايته او عجزا عن القيام بامر نفسه والوكيل هو القيم الكفيل بارزاق العباد
وحقيقته انه مستقل بامر الموكول اليه وقال الراغب الصبر الامساك في ضيق يقال صبرت
الدابة حبستها بلا علف والصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع او عما يقتضيان
حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين اسمائه بحسب اختلاف مواقعه فان كان حبس
النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير ويضاده الجزع وان كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن
وان كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر ويضاده الضجر وان كان في امساك الكلام سمي
كتمانا وضده الافشاء وزاد في عين العلم وفي فضول العيش زهدا وضده الحرص وفي اليسير
من الدنيا قناعة وضده الشره انتهى والتوكل يستلزم الرضا على ما قال السري السقطي
هو الانخلاع من الحول والقوة بلا نزاع وقال ابن مسروق التوكل هو الاستسلام لجريان القضا

باب التوكل والصبر

في الاحكام وقال الجنيد التوكل ان يكون لله كما لم يكن فيكون الله له كما لم يزل ثم قيل الصبر على ثلاثة
انواع صبر العوام وهو حبس النفس على ما تكره وصبر الخواص وهو التلذذ بالبلاء به يصل الى مرتبة
الشكور وفي الرضا بالقضا وقد ورد اعبد الله في الرضا فان لم تستطع فالصبر على ما تكره خير
كثير وقال تعالى فعسى ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا

الفصل الاول

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون
الفا بغير حساب اي مستقلا من غير ملاحظة اتباعهم ثلاثيا في ما ورد من ان مع كل واحد منهم سبعون
الفا هم الذين لا يسترقون اي لا يطلبون الرقية مطلقا او بغير كلمات القرانية والاسما الصمدانية
ولا يتطيرون اي لا يتشامون بنحو الطير ولا باخذون من الحيوانات والكلمات المسموعات علامة
الشر والخير كما يقولون كما ورد اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك اللهم لا ياتي بالحسنات
الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت وعلى ربهم يتوكلون اي في جميع ما يفعلون ويتركون قال
الطيبي يجمع بين جملتين لا يسترقون ولا يتطيرون من النتائج الذي يراد به الاستيعاب لقولهم
لا ينفع زيد ولا عمرو في معنى لا ينفع الناس مانا له فصاحب النهاية هذا من صفة الاوليا المعرضين
عن اسباب الدنيا وعوائقها الذين لا يلتفتون الى شيء من علائقها تلك درجة الخواص لا يبلغها غيرهم
واما العوام فرخص لهم في التداوي والمعالجات ومن صبر على البلا وانتظر الفرج من الله سبحانه بالدعا
كان من جملة الخواص والاوليا ومن لم يصبر رخص له في الرقية والعلاج والدوا الا ترى ان الصديق
لما تصدق بجميع ماله لم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم علما منه بيقينه ولما اتاه الرجل بمثل بيضة الحمام
من الذهب وقال لا املك غيره ضربه بحيث لو اصابه عقره وقال فيه ما قلت الظاهر ان سبب
غضبه صلى الله عليه وسلم لم يكن اتيانه بجميع ماله بل انشا سره واظهر حاله بقوله لا املك غيره الا يا لي
توهم انه اراد السمعة والله اعلم وفي شرح مسلم للنووي قال المازري احتج بعضهم على ان التداوي مكروه
ومعظم العلما على خلاف ذلك واحتجوا بالاحاديث الواردة في منافع الادوية وبانه صلى الله عليه وسلم
تداوى وباخبار عايشة رضي الله تعالى عنها من كثرة تداويه وبما علم من الاستشفا برقياه فاذا
ثبت هذا حمل الحديث على قوم يعتقدون ان الادوية نافعة بطبعها ولا يفوضون الامر الى الله تعالى
قلت لا يصح حمل الحديث المذكور على القوم المسطور فانه صريح في انهم من كملا الاوليا وخلص الاصفيا
فالصواب ما ذكره صاحب النهاية من الاوليا في حق اهل الهداية عدم تعاطي الاسباب الغير العادية
وان كان جاز هذا للعوام وارباب البداية وجاز فعله صلى الله عليه وسلم في المعالجة بالادوية على
اختيار الرخصة رعاية لعامة الامة وفي مرتبة جميع الجمع المشهور عند الصوفية من ان مشاهدة
الاسباب مع ملاحظة مسبب الاسباب هو كمال الارباب كلام الافضل عند الكمل فتدبر فانه مقام ولعل الحديث
مقتبس من احد معنى قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والله اعلم بالصواب
وعنه اي عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال عرضت علي اي اظهرت
لدي الامم اي مع انبيائهم فجعل يمر النبي صلى الله عليه وسلم التعريف فيه للجنس وهو ما يعرفه كل احد
انه ما هو فهو بمنزلة النكرات ذكره الطيبي فالمعنى انه يمر نبي منهم عند العرض علي ومعه الرجل اي
الواحد من اتباعه ليس له تابع غيره والنبي ومعه الرجلان والنبي ومعه الرهط اي جماعة والمراد الرجال
والنبي وليس معه احد اي من الرجال ولا من النسا والمراد من النبي هنا الرسول المامور بالتبليغ
وقيد الرجولية واقعية غالبية وقضية مثالية والمراد الوحدة والتثنية والجمعية فرايت اي من
امامي سوادا كثيرا اي جمعا عظيما ونوع جنسهم سد الافق اي طرف السما بكثرته فرجوت ان يكون
اي السواد الكثير امتي فقيل هذا موسى في قومه اي من امن به ولم يتغير عن دينه ثم قيل لي انظر
فكانه صلى الله عليه وسلم اطرق حينئذ واعرض عن موضع العرض حيا فقيل له انظر ترى رجلا اي

اي

اي من قدامي سوادا كبيرا سد الافق اي فنظرت بذلك وشكرت لها هناك فقيل لي اي بلا لك الزيادة
في ما ذكرت من الاستفادة انظر هكذا وهكذا اي الى اليمين والشمال فرايت سوادا كثيرا سد
الافق فقيل اي في هؤلا اي مجموع ما بين يديك وطرفيك امتك ومع هؤلا اي من جملتهم او زيادة عليهم
سبعون الفا قدامهم وفيه منقبة عظيمة لهم كما في قوله يدخلون الجنة بغير حساب قال التوربشتي
يحتمل هذا ان يكون معناه وسبعون الفا امتك غير هؤلا وان يكون معناه في جملتهم سبعون
الفا ويؤيد هذا رواية البخاري هذه امتك ويدخلون الجنة من هؤلا سبعون الفا هم استيناف
بيان الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون اي الا عند الضرورة لما وقع الى من بعض
الصحابة منهم سعد بن ابي وقاص احد العشرة او مطلقا استسلاما للقضا وتلذذا بالبلا مع
علمهم بانه لا يضر ولا ينفع الا الله ولا تاثير بحسب الحقيقة لما سواه فهم في مرتبة الشهود
خارجون عن دايرة الوجود فانون عن حظوظ انفسهم باقون بحق الله في حراسته انفاسهم فقام
عكاشة بضم العين وتشديد الكاف ويخفف في ما في القاموس والمغني ابن محصن بكسر ميم وفتح
صاد قال المولف اسدي شهد بدرا وقاتل بعدها وانكسر سيفه يوم بدر فاعطاه النبي صلى الله عليه
وسلم عرجونا او عودا فصار في يده سيفا وكان من فضلا الصحابة قتل في خلافة الصديق وله
خمس واربعون سنة روى عنه ابو هريرة وابن عباس واخته ام قيس فقال ادع الله ان يجعلني
منهم ما احسن هذا السوال المشير الى انه من اهل الكمال بل من ارباب الوصال حيث علم انه
لم يصل الى هذا المقام والحال الا بوسيلة دعائه صلى الله عليه وسلم من ذوي الجلال والجمال
قال اللهم اجعله منهم ثم قام رجل اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم والظاهر انه لو كان قادرا
قوي مثله للقيام بانها لهم بل متصفا باحوالهم وان كان في طلبه على وجه التمني من غير تفني
وطرني للتقليد في التحلي من غير قصد التخلي فقال سبقك بها اي بهذه الدعوة عكاشة وقد
استجيب له وبهذه المسالة والمعتبر فيها في الاولية كما ورد ان الصبر عند الصدمة الاولى ولعل
وجه الامتناع من الدعا انه لا يفتح هذا الباب المتفرع عليه الاكثر قال ابن الملك لانه لم يرد
له في ذلك المجلس بالدعا الا الواحد وفيه حث في المسارعة الى الخيرات وطلب دعا الصالحين
لا في التاخير فان قيل كان الرجل منافقا فاجابه صلى الله عليه وسلم بكلام محتمل ولم يصرح
بانك لست منهم لحسن خلقه انتهى وقيل قد يكون سبق عكاشة بوحي ولم يحصل ذلك للاخر
وقال القاضي عياض قيل ان الرجل الثاني لم يكن ممن يستحق تلك المنزلة ولا كان بصفة
اهلها بخلاف عكاشة وفي شرح الطيبي قال الشيخ وقد ذكر الخطيب البغدادي انه قال يقال انه
في الاسما المبهمة انه يقال ان هذا الرجل هو سعد بن عبادة فان صح هذا بطل قول من زعم انه
منافق متفق عليه وعن صهيب بالتصغير قال المولف هو ابن سنان مولى عبد الله بن جدعان
النمري يكنى ابا يحيى كانت منازلهم بارض الموصل فيما بين دجلة والفرات فاغارت الروم على تلك
الناحية فسبته وهو غلام صغير فنشا بالروم فابتاعه منهم كلب ثم قدمت به مكة فاشتراه
عبد الله بن جدعان فاعتقه فاقام معه الى ان هلك واسلم قديما بمكة وكان من المستضعفين
المعذبين في الله بمكة ثم هاجر الى المدينة وفيه نزل ومن الناس من يشري نفسه ابتغا مرضاة
الله روى عنه جماعة مات سنة ثمانين وهو ابن سبعين ودفن بالبقيع قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عجبا اي عجبت عجبا لامر المؤمن اي لشانه وما له في كل حال فان امره كله بالنصب
ويجوز رفعه كما قرئ بالوجهين في قوله تعالى قل ان الامر كله لله اي جميع اموره له خير اي خير له
في المال وان كان بعضه شرا صورة في الحال وقدم الظرف اهتماما وليس ذلك لاحد الا للمؤمن
قال الطيبي مظهر وقع موقع المضمر ليشعر بالعلية انتهى وفيه ان الاظهر ان الاضمار مستويان

رضي الله تعالى عنهما

في الاشياء بالعلية ولعل النكتة في اظهار الاشعار في وجه التصريح فانه اكد من طريق التلويح
ثم نبه على وجه التوضيح اذا اصابته سراء اي نعمة وسعة عيش وبركة وتوفيق طاعة من اداء وقضاء
شكر فكان اي شكره خيرا له واذا اصابته ضراء اي فقر ومرض ومحنة وبلية صبر فكان اي صبره خيرا له
وبهذا تبين قول بعض العارفين انه لا يقال على الاطلاق ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر
بل حالة التفويض والتسليم اولى والقيام بمقتضى الوقت اعلى بحسب اختلاف الاحوال وتفاوت
الرجال قال تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون وقال تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
انه كان بعباده خبيرا بصيرا وفي الحديث القدسي ان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر فلو
اغنيته لفسد حاله ومن عبادي من لا يصلحه الا الغنى فلو افقرته لضاع حاله وكذا قال عمر
رضي الله تعالى عنه الفقر والغنى مطيتان لا ابالي ايهما اركب وعلى هذا الاختلاف الواقع بين
القوم في طلب طول العمر لطاعة الله او طلب الموت لخوف الفتنة او للاشتياق في لقاء الله
ثم المعتمد التفويض والتسليم كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم احيني ما دامت
الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت
راحة لي من كل شر ثم وجه حصر الخير في كل حال للمؤمن الكامل انه غيره ان اصابته سراء بطر وان
اصابته ضراء جزع وكفر بخلاف حال المؤمن فانه كما قال بعض ارباب الكمال

اذا كان شكري نعمة الله نعمة ۞ علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله ۞ وان طالت الايام واتسع العمر
اذا مس بالنعماء عم سرورها ۞ وان مس بالضراء اعقبه الاجر

رواه مسلم وكذا الامام احمد وروى احمد وابن حبان عن انس مرفوعا عجبت للمؤمن ان الله تعالى لم
يقض له قضاء الا كان خيرا له وروى الطيالسي والبيهقي في شعب الايمان عن سعد مرفوعا عجبت
للمسلم اذا اصابته مصيبة احتسب وصبر واذا اصابه خير حمد الله وشكر ان المسلم يؤجر في كل شيء
حتى في اللقمة يرفعها الى فيه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي
اي القادر على تكثير الطاعة خير واحب الى الله عطف تفسيري من المؤمن الضعيف اي العاجز عنه
وفي كل خير اي اصل الخير موجود في كل منهما قيل المراد بالمؤمن القوي الصابر على مخالطة الناس
وتحمل اذيتهم وتعليمهم الخير وارشادهم الى الهدى ويؤيده ما رواه احمد وغيره عن ابن عمر مرفوعا المؤمن
الذي يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وقيل المراد بالمؤمن القوي الذي قوي في ايمانه وصلب في
ايقانه بحيث لا يرى الاسباب ووثق بمسبب الاسباب والمؤمن الضعيف بخلافه وهو في ادنى
مراتب الايمان وقال النووي القوة هنا يراد بها عزيمة النفس في امور الاخرة فيكون صاحب
هذا الكرم اكثر اقداما في الغزو والجهاد واسرع خروجا وذهابا في طلبه واشد عزيمة في الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والصبر على الاذى في كل ذلك وقوله خير معناه في كل من القوي والضعيف
خير لاشتراكهما في الايمان مع ما ياتي به الضعيف من العبادات احرص بكسر الراء ومنه قوله
تعالى ان تحرص على هداهم وفي نسخة بفتحها ففي القاموس حرص كضرب وسمع والمعنى كن حريصا
على ما ينفعك اي من امر الدين واستعن بالله اي على فعلك فانه لا حول ولا قوة الا بالله ولا تعجز
بكسر الجيم ومنه قوله تعالى يا ويلتا اعجزت وفي نسخة بالفتح ففي القاموس عجز كضرب وسمع اي ولا تعجز عن
الحرص والاستعانة فان الله سبحانه وتعالى قادر على ان يعطيك قوة على طاعته اذا استقمت
على استعانته وقيل معناه لا تعجز عن العمل بما امرت ولا تتركه مقتصرا على الاستعانة به فان كمال
الايمان ان يجمع بينهما قال الطيبي يمكن ان يذهب الى اللف والنشر فيكون قوله احرص على ما ينفعك ولا
تترك الجهد بيانا للقوي ولا تعجز بيانا للضعيف وان اصابك شيء اي من امر دينك او دنياك

فلا

فلا تقل لو اني فعلت اي كذا وكذا كان اي لصار كذا وكذا فان هذا القول غير سديد ومع هذا غير مفيد
فانه قال تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقال صلى الله عليه وسلم ما اصابك لم يكن
ليخطئك وما اخطاك لم يكن ليصيبك وقد قال عز وجل لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولكن قل اي
بالقال او بلسان الحال قدر الله بتشديد الدال اي قدر الله كذا وكذا اي ووقع ذلك
بمقتضى قضائه وعلى وفق قدره وما شاء اي الله فعل فانه فعال لما يريد ولا راد لقضائه
ولا معقب لحكمه فان لو اي كلمة الشرط ولو ان تفتح عمل الشيطان قال الطيبي رحمه الله تعالى
ولم ولو وليت تورث القلب انقلابا قال بعض شراح المصابيح اي ان قول لو واعتقاد معناه
يفضي بالعبد الى التكذيب بالقدر او عدم الرضا بصنع الله لان القدر اذا ظهر بما يكره العبد
قال لو فعلت كذا لم يكن كذا وقد قدر في علم الله انه لا يفعل الا الذي فعل ولا يكون الا الذي
كان وقد اشار صلى الله عليه وسلم بقوله قبل ذلك ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ولم يرد كراهة
التلفظ بلو في جميع الاحوال وسائر الصور وانما عني الاتيان بها في صيغة تكون فيها منازعة
القدر والتاسف على ما فات من امور الدنيا والا فقد ورد في القران مثل لو كنتم في بيوتكم
لبرز الذين كتب عليهم القتل وفي الحديث لو اني استقبلت من امري ما استدبرت لانه
لم يرد به منازعة القدر وقال القاضي فان لو يفتح اي لو كان الامر بيدي وكنت مستبدا بالفعل
والترك كان كذا وكذا فيه تاسف على الفائت ومنازعة القدر وايهام بان ما كان يفعله
باستبداده ومقتضى رايه خير مما ساقه القدر اليه حيث ان لو يدل على انتفاء الشيء لانتفاء
غيره فيما مضى وكذلك استكرهه وجعله يفتح عمل الشيطان وقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث فسخ الحج الى العمرة ولو اني استقبلت من امري ما استدبرت لم يكن من هذا
القبيل وانما هو كلام قصد به تطييب قلوبهم وتحريضهم على التحلل باعمال العمرة وفي شرح
مسلم للنووي قال القاضي عياض هذا النهي انما هو لمن قاله معتقدا ذلك حتما واما قول
ابي بكر رضي الله عنه لو ان احدهم رفع راسه لرانا فهذا لا حجة فيه لانه انما اخبر عن مستقبل
وكذا قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت راجما بغير بينة لرجمت هذه وشبه ذلك لا اعتراض فيه
على قدر ولا كراهة فيه لانه انما اخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع وعما هو في قدرته
واما الماضي فليس في قدرته واما معنى قوله فان لو تفتح عمل الشيطان انه يلقي في القلب
معارضة القدر ويوسوس به الشيطان قال الشيخ وقد جاء استعمال لو في الماضي كقوله
صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من امري ما استدبرت لما سقت الهدي فالظاهر ان ما ورد
فيما لا فائدة فيه فيكون نهي تنزيه لا تحريم واما من قاله تاسفا على ما فات من طاعة الله
تعالى وهو متعذر من ذلك فلا باس به وعليه يحمل اكثر استعمال لو الموجودة في الاحاديث
اقول بل التاسف على فوت طاعة الله مما يستحب بل ينبغي ان يعد من باب المستحب بل فقد روى
الرازي في مشيخته عن ابن عمر ومن اسف على دنيا فاتته اقترب من الجنة مسيرة الف سنة
ذكره السيوطي في الجامع مع رواه مسلم ولفظ الجزري في الحصن ومن وقع له ما لا يختاره فلا
يقل لو اني فعلت كذا وكذا اي لكان كذا وكذا او الحسنى ولكن ليقل قدر الله وما شاء الله فعل
رواه مسلم والنسائي وابن ماجه وابن السني لكن لفظ النسائي وابن السني قدر الله موضع
بقدر الله وقد ضبط بصيغة الفعل مخففا ومشددا وبصيغة المصدر بالرفع مضافا
وايضا لفظهما صنع بدل فعل والله اعلم وروى ابو داود والنسائي وابن السني عن عوف بن
مالك الاشجعي مرفوعا من غلبه امر فليقل حسبي الله ونعم الوكيل

الفصل الثاني

عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

بقوله لو انكم تتوكلون وفي رواية الجامع بحذف احدى التائين اي تعتمدون على الله حق توكله
اي بان تعلموا يقينا انه لا فاعل في الوجود موجودا الا الله وان كل موجود من خلق ورزق وعطا
ومنع وضر ونفع وفقر وغنى ومرض وصحة وموت وحياة وغير ذلك مما يطلق عليه اسم الوجود
من الله تعالى ثم تسعون في الطلب على الوجه الجميل ويشهد لذلك تشبيهه بالطير فانها
تغدو اخماصا ثم تسرح في طلب القوت فتروح بطانا لرزقكم اي ولو تركتم الاسباب فانه يرزق
البطال والعامل وقد يرزق الضعيف حيث يتعجب القوي كما يرزق الطير بصيغة الفاعل
تغدو اي تذهب اول النهار خماصا بكسر الخاء المعجمة جمع خميص اي جياعا وتروح اي ترجع اخر النهار
بطانا بكسر الموحدة جمع بطين وهو عظيم البطن والمراد شباعا وفي قوله تعالى وكاين من دابة
لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم فالحديث للتنبيه على ان الكسب ليس برازق بل الرازق
هو الله تعالى لا للمنع عن الكسب فان التوكل محله القلب فلا ينافيه حركة الجوارح مع انه
قد يرزق ايضا من غير حركة بل بتحريك غيره اليه فيصل رزق الله ببركته كما يستفاد العموم
من قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقد حكي ان فرخ الغراب عند
خروجه من بيضته يكون ابيض فيكرهه الغراب فيتركه ويذهب ويبقى الفرخ ضايعا فيرسل الله
تعالى اليه الذباب والنمل ونحوهما فيلتقطها الى ان يكبر قليلا فيسود فيرجع اليه الغراب
فيراه اسود فيضمه الى نفسه فيتعهده فهذا يصل اليه رزقه بلا سعي والحكايات في ذلك كثيرة
والروايات به شهيرة ومن غرايب ما حكي انه سبحانه وتعالى قال لعزرائيل هل رحمت على احد
عند نزع الارواح فقال نعم يا رب حين غرق اهل سفينة وبقي بعض اهلها على الالواح وكانت
امراة بولدها ترضعه فوق لوح فامرت بقبض روحها فرحمت حينئذ على ولدها قال تعالى فالقيته
في جزيرة وارسلت اليه اسدا ترضعه الى ان كبر قليلا ثم قيضت له بعضا من الجن يعلمونه لسان
الانس الى ان نشا نشاة كاملة ودخل في العمالة وحصل له الامارة ووصل الى مرتبة السلطنة
واحاط بجميع المملكة فادعى الالوهية ونسي العبودية وحقوق الربوبية وانه شداد
والله رؤف بالعباد فالرحيم الذي يرزق اعداه كيف ينسى احبابه قال الشيخ ابو حامد قد
يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة
الملقاة او كلحم على وضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين
فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظور من محظورات الدين بل نكشف عن الحق فيه فنقول
انما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه الى مقاصده وقال الامام ابو القاسم
القشيري اعلم ان التوكل محله القلب واما الحركة بالظاهر فلا ينافي التوكل بالقلب بعد
ما تحقق العبد ان الرزق من قبل الله تعالى فان تعسر شيء فبتقديره وان تيسر شيء فبتيسيره رواه
الترمذي وابن ماجة وكذا احمد والحاكم وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ايها الناس ليس من شيء من زايدة مبالغة اي ليس شيء ما من الاشياء يقربكم
بتشديد الراء اي يجعلكم قريبا الى الجنة ويباعدكم اي ومن شيء يبعدكم من النار الا وجه النسبة
فالنسبة في التغليب مجازية الا قد امرتكم اي بما ذكر او بعمل منه وليس شيء ليس من هن
في الاصول يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا قد نهيتكم عنه وفيه دليل صريح على
ان جميع العلوم من الامور النافعة والامور الدافعة يستفاد من الكتاب والسنة
وان الاشتغال بغيرهما تضييع العمر عن المنفعة وان الروح الامين وفي نسخة وان
روح الامين اي جبريل كما قال تعالى نزل به الروح الامين وفي رواية ان روح القدس
بضمتين وبسكون الدال كقوله تعالى وايدناه بروح القدس اي الروح المقدسة من الاخلاق

المذمة

المذمة قال الطيبي هو كما يقال حاتم الجود ورجل صدق فهو من باب اضافة الموصوف الى
الصفة للمبالغة في الاختصاص وفي القدس منسوب اليها وفي الاضافة بالعكس
نحو ماء زيد نفث في روعي بضم الراء اي اوحى الي والقى من النفث بالفم وهو شبيه بالنفخ وهو
اقل من التفل لان التفل لا يكون الا ومعه شيء من الريق والروع الجلد والنفس كذا في النهاية
والمعنى انه اوحى الي وحيا خفيا ان نفسا بفتح الهمزة ويجوز الكسر لان الايحاء فيه معنى القول
والمعنى ان نفسا ذات نفس وهي مخلوق لن تموت حتى تستكمل رزقها اي المقدر لها كما اشار
اليه سبحانه بقوله الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم الا للتنبيه اي تنبهوا فاتقوا الله
فانكم مامورون بالتقوى وبالسعي الى الدرجات العلى واجملوا من الاجمال اي واحسنوا
في الطلب اي في تحصيل الرزق ولا تبالغوا في طلبه فانكم غير مكلفين في طلب الرزق
قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان
يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقال عز وجل وامر اهلك بالصلاة الخ
واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى فالامر للاباحة والمعنى
اطلبوا من الحلال فالامر للوجوب ويؤيده قوله ولا يحملنكم بكسر الميم اي لا يبعثكم استبطاء
الرزق اي تاخيره ومكثه عليكم ان تطلبوه اي على ان تطلبوه بمعاصي الله اي بسبب ارتكاب
بطريق من طرق الحرام كسرقة وغصب وخيانة واظهار سيادة وعبادة وديانة واخذ من
بيت المال على وجه زيادة ونحو ذلك فانه اي الشان لا يدرك ما عند الله اي من الرزق
الحلال او من الجنة وحسن المال الا بطاعته اي لا بتحصيل المال من طريق الوبال قال
الطيبي قوله فاجملوا اي اكتسبوا المال بوجه جميل وهو ان لا تطلبه الا بالوجه الشرعي
والاستبطاء معنى الابطاء والسين فيه للمبالغة كما ان استعف بمعنى عف في قوله تعالى
ومن كان غنيا فليستعفف وفيه ان الرزق مقدر مقسوم لا بد من وصوله الى العبد
لكن العبد اذا سعى وطلب على وجه مشروع وصف بانه حلال واذا طلب بوجه غير مشروع
فانه حرام فقوله ما عند الله اشارة الى ان الرزق كله من عند الله الحلال والحرام وقوله
ان تطلبوه بمعاصي الله اشارة الى ان ما عند الله اذا طلب بمعصية الله ذم وسمي حراما
وقوله الا بطاعته اشارة الى ان ما عند الله اذا طلب بطاعته مدح وسمي حلالا وفي
هذا دليل بين لاهل السنة على ان الحلال والحرام يسمى رزقا وكله من عند الله خلافا
للمعتزلة رواه البغوي في شرح السنة والبيهقي في شعب الايمان الا انه اي البيهقي لم يذكر
وان روح القدس وفي رواية روح القدس من رواية البغوي اذ غيره قال ميرك ورواه
ابن ابي الدنيا في القناعة والحاكم وصححه عنه وعن جابر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ايها الناس اتقوا الله واجملوا في الطلب فان نفسا لن تموت حتى
تستوفي رزقها وان ابطا عنها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملن احدكم استبطاء الرزق
ان يطلبه بمعصية الله فان الله تعالى لا ينال ما عنده الا بطاعته وعن ابي ذر عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال الزهادة بفتح الزاي اي ترك الرغبة في الدنيا ليست بتحريم الحلال
كما يفعله بعض الجهال زعما منهم ان هذا من الكمال فيمتنع من اكل اللحم والحلوا والفواكه
ولبس الثوب الجديد ومن التزوج ونحو ذلك وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وقد ثبت انه صلى الله عليه
وسلم تعاطى هذه الافعال ولا اكمل من حاله الكمال ولا اضاعة المال اي بتضييعه وصرفه
في غير محله بان يرميه في بحر او يعطيه للناس من غير تمييز بين غني وفقير حاصله انه لا عبرة

بالزهادة الظاهرة وخلو اليد عن الاموال الظاهرة ثم توجه القلب الى الخلق عند الاحتياج
الى المعيشة الحاضرة بل المدار على الزهد القلبي بالانجذاب الى الرب ولذا استدرك ما يشبه من
المقال حيث قال ولكن الزهادة بتشديد النون وبتخفيف اي ولكن الزهادة المعتبرة الكاملة
في الدنيا اي في شأنها ان لا تكون بما في يديك اي من الاموال ومن الصنايع والاعمال
اوثق اي ارجى منك بما في يدي الله بصيغة التثنية اي بخزائنه الظاهرة والباطنة وفيه نوع من
المشاكلة والمعنى ليكن اعتمادك بوعد الله لك من ايصال الرزق اليك ومن انعامه عليك
من حيث لا تحتسب ومن وجه لا تكتسب اقوى واشد مما في يديك من الجاه والمال والعقار
وانواع الصنايع من الاستعمال ولو علم الكيميا وعلم التسبب فان ما في يديك يمكن تلفه
وفناه بخلاف ما في خزائنه فانه محقق بقاه كما قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق
وان تكون عطف على ان لا يكون اي ومن الزهادة فيها ايضا ان لا تلتفت الى التنعم بها والتلذذ
بوجود نعمتها بل وان تغتنم حصول المحنة ووصول البلية فيها لئلا يميل قلبك اليها ولا
تستأنس نفسك بما عليها فتكون حينئذ في ثواب المصيبة اذا انت اصبت بها بصيغة
المجهول ارغب فيها اي في حصول المصيبة لثوابها اي لو فرضت تلك المصيبة ابقيت لك
اي منعت لاجلك واخرت عنك فوضع ابقيت موضع لم تصب وجواب لو ما دل عليه
ما قبلها وخلاصته ان تكون رغبتك في وجود المصيبة لاجل ثوابها اكثر من رغبتك في عدمها
فهذان الامران شاهدان عدلان على زهدك في الدنيا وميلك في العقبى وقال الطيبي
لو انها ابقيت لك حال من فاعل ارغب وجواب لو محذوف وان ذا ظرف والمعنى ان يكون في
حال المصيبة وقت اصابتها ارغب من نفسك في المصيبة حال كونك غير مصاب بها
لانك تثاب بوصولها اليك ويفوتك الثواب اذا لم تصل اليك رواه الترمذي وابن
ماجه وقال الترمذي هذا حديث غريب وعمرو بن واقد الراوي منكر الحديث قلت وغايته
انه حديث ضعيف مبني لكنه حديث شريف معنى ومثله يعتبر في فضايل الاعمال في جميع
الاقوال ومن جملتها الزهادة في الدنيا والرغبة في العقبى وعن ابن عباس قال كنت
خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما في رديفه وفيه استعارة بحفظه واستحضار
لفظه واتقانه فهذا الحديث من جملة احاديث التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم
والا فاكثر مروياته بالواسطة لكنها معتبرة لكونها من مراسيل الصحابة وما ذاك الا لاجل
صغره في زمانه صلى الله عليه وسلم قال المؤلف ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي النبي
صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة لكن صار حبر هذه الامة
وعالمها لانه صلى الله عليه وسلم دعا له بالحكمة والفقه والتاويل ورأى جبريل عليه السلام مرتين
وكف بصره في اخر عمره ومات بالطائف سنة ثمان وستين في ايام ابن الزبير وهو ابن احدى
وسبعين سنة روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين قيل المعنى امشي خلفه لا انه
راكب رديفه وهو مردود لما في وسيط الواحدي عن ابن عباس انه اهدى كسرى الى النبي صلى الله
عليه وسلم بغلة فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه وسار بي ميلا ثم التفت فقال يا غلام
بالرفع كذا في الاصول المعتمدة والنسخ المتعددة والظاهر كسر الميم بناء على ان اصله يا غلامي
بفتح الياء وسكونها ثم بعد حذفها تخفيفا اكتفي بكسرة ما قبلها لكن قد يضم وذلك في الاسم
الغالب عليه الاضافة الى الياء للعلم بالمراد ومنه القراءة الشاذة رب احكم بضم الباء على انه
منادى ونوع ضمها لمشاكلة ضم الكاف كما حقق في واذا حكم حيث قرئ بالوجهين من السبعة
منهي يا غلام لغة اخرى وهي قلب الياء الفا وفتح ما قبلها يا غلاما بالفتح اكتفاء بالفتحة

عن

عن الالف ثم الاظهر انه صلى الله عليه وسلم وقف عليه بالسكون ولم يظهر تأثير النداء كما هو
المتعارف في مثل هذا والمراد بالغلام هنا الولد الصغير لا المملوك في القاموس الغلام
الطارد والشارب والكهل ضد او من حين يولد الى حين يشيب والمقصود من الندا استحضاره
لديه وتوجهه الى ما يلقى اليه وزاد في الاربعين اني اعلمك كلمات اي تنصرك معينة في دفع
البلاء وجلب المنافع والا احفظ الله اي امره ونهيه يحفظك اي يحفظك في الدنيا من
الافات والمكروهات وفي العقبى من انواع العقاب والدركات جزاء وفاقا اذ من كان لله
كان الله له احفظ الله اي حقه من دوام ذكره وتمام فكره وقيام شكره تجده تجاهك بضم
التاء اي امامك والمعنى انك تجده حينئذ كانه حاضر تلقاك وقدامك وتشاهد في مقام
احسانك وايقانك وكمال ايمانك كانك تراه فتحجبت نفي بالكلية عن نظرك ما سواه
فالاول حال المراقبة والثاني مقام المشاهدة وقيل المعنى اذا حفظت طاعة الله
وجدته يحفظك وينظر في مهماتك ايما توجهت وييسر لك الامور التي قصدت
وقيل المعنى تجده متابعه ولانه قريبا منك يراعيك في جميع الحالات ويقيك من
جميع البلايا ويعدك بانواع التحف والكرامات فهو تلميح الى قوله تعالى ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد وقد اشار بعض العارفين الى انه لا ذرة من ذرات العالم الا ونور الانوار
محيط بها فادر عينها قريب من وجوده اليها لا بحد العلم فقط ولا بمعنى الايجاد فقط
بل بمعنى اخر لا يجوز كشفه رمزت اليه حذرا من الرقيب وكتمان سر الحبيب اذا ما تلا
في ثوبه يقول لي ادع نافي ذيب قال الطيبي اي راع حق الله وتعرض لا تجده تجاهك
اي مقابلك وحذاك والتاء بدل من الواو كما في تقاة وتخمة اي احفظ حق الله تعالى
حتى يحفظك الله من مكاره الدنيا والاخرى واذا سألت اي اردت السؤال فسئل الله
بابراز الهمزة وتحويل نقلها اي فاسأل الله فان خزائن العطايا عنده ومفاتيح المواهب
والمزايا بيده وكل نعمة او نقمة دنيوية او اخروية فانها تصل الى العبد او تندفع عنه
برحمة من غير شائبة غرض ولا ضميمة علة لانه الجواد المطلق والغني الذي لا يفتقر فينبغي
ان لا يرجى الا رحمته ولا يخشى الا نقمته ويلتجى في عظام المهام اليه ويعتمد في جمهور
الامور عليه ولا يسأل غيره لان غيره غير قادر على العطا والمنع ودفع الضر وجلب النفع
فانهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ولا يفتر
السؤال بلسان الحال وبيان المقال في جميع الاحوال ففي الحديث من لم يسأل الله
يغضب عليه اذ السؤال اظهار شعار العبودية والاقرار بسمة العجز والافتقار
والاعتراف بعز الربوبية وقدرة الله والطاقة الى الحضرة والاستكانة والفاقة ونعم ما قيل الله
يغضب ان تركت سؤاله وابن ادم حين يسأل يغضب واذا استعنت اي اردت
الاستعانة في الطاعة وغيرها من امور الدنيا والاخرة فاستعن بالله فانه المستعان وعليه
التكلان في كل زمان ومكان واعلم زيادة حث على التوجه اليه والتقرب بالاستعانة
لديه ان الامة اي جميع الخلق من الخاصة والعامة والانبياء والاولياء وسائر الامة لو اجتمعت
اي اتفقت رضا وتقديرا على ان ينفعوك بشيء اي في امر دينك او دنياك لم ينفعوك
اي لم يقدروا ان ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك اي قدره واثبته في الامر وفرغ منه
وقد اذنهم في ذلك ولو اجتمعوا وقع الا زيغ هنا بحفظ وان اجتمعوا فقال الطيبي
الشراح من المحققين ان لفظ لو فيما سبق بمعنى ان اذ المعنى على الاستقبال كقوله تعالى
لو تركوا من خلفهم ونكتة العدول الى لو ان اجتمعوا على الامداد من المستحيلات بخلاف

شبت

لا تنافي في الايذا فانه ممكن وكذا بيت

الظلم من شيم النفوس فان تجد … ذا عفة فلعلة لا يظلم

انتهى كلامه وهو غفلة منه عن الحكم المفرّع في الاعتقاد اذ اعتقادهم اجتماعهم في ايصال النفع والضر بدون المشية من المحال فان ثبتت الرواية بالاختلاف فهذا من باب التفنن واختيار لو في القرينتين الاولى اولى لانها ادل على الفرضية المحالية وان نوع ان في الثانية في اصلها مع استفادة الحكم من المعطوف عليها في اذ يضروك بشيء اي من سلب نفع او جلب ضر لم يضروك اي لم يقدروا ان يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك وخلاصة المعنى انك وحد الله في المطلب والمهرب فهو الضار النافع والمعطي المانع وفي بعض الكتب الالهية وعزتي وجلالي لاقطعن من يومل غيري بالياس والبسه ثوب المذلة عند الناس ولاجنبنه من قربي ولابعدنه من وصلي ولاجعلنه متفكرا حيرا نيوملا غيري في الشدايد والشدايد بيدي وانا الحي القيوم ويطرق بالفكر ابواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني هذا واورد اللام في جانب النفع لانه للملك وحقيقته الاختصاص النافع وقوله وان استعمل فيها مجازا في صورة الضر على ما هو المشهور عند الجمهور رفعت الاقلام اي من كتابة الاحكام وجفت الصحف اي نشفت ما دون فيها من اقضية المخلوقين الى يوم الدين فلا يوضع عليها قلم بتدوين شيء وتغيير ام وخلاصة انه كتب في اللوح المحفوظ ما كتب من التقديرات ولا يكتب بعد الفراغ منه شيء اخر فعبر عن سبق القضا والقدر برفع القلم وجفاف الصحيفة تشبيها بفراغ الكاتب في الكاتب هذه من كتابته وقد سبق في اول الكتاب حديث ان اول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال ما اكتب قال اكتب القدر فكتب ما كان وما هو كاين الى الابد وحديث جف القلم في علم الله اي ما علمه الله وحكم به في الازل لا يتغير ولا يتبدل وجفاف القلم عبارة عنه والله اعلم لا يقال هذا ينافي قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب لانا نقول المحو والاثبات ايضا مما جفت الصحف لان القضا قسمان مبرم ومعلق وهذا بالنسبة الى اللوح المحفوظ واما بالاضافة الى علم الله فلا تبدل ولا تغيير ولهذا قال وعنده ام الكتاب ويقال عند الله كتابان اللوح وهو الذي لا يتغير والذي يكتبه الملك على الخلق وهو محل المحو والاثبات فهذا الغدر من الحديث رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح كما قاله النووي ثم قال وفي رواية غير الترمذي احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله بتشديد الراء اي تحبب اليه بحفظ احكامه ذكره النووي لان المعرفة سبب المحبة يعرفك في الشدة بتخفيف الراء اي يجازيك فيها واعلم ان ما اخطاك حاد وزعنك من النعمة والرخا والشدة والبلا واصل الخطا العدول عن الجهة لم يكن ليصيبك اي محال ان يصيبك وفيه مبالغة من وجوه من حيث دخول اللام الموكدة للنفي على الخبر وتسليط النفي على الكينونة وسرايته في الخبر وما اصابك لم يكن ليخطيك فيه الحث على التوكل والرضى ونفي الحول والقوة اذ ما من حادثة من سعادة وشقاوة وعسر ويسر وخير وشر ونفع وضر واجد ورزق الا وتتعلق الله بقدره وقضايه قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف عام جرى قلم القضا بما يكون فسيا التحرك والسكون فيجب الشكر في حال السرا والصبر في حال الضرا ابتلا كما قال الله تعالى قل كل من عند الله واعلم ان النصرة على الاعدا مع الصبر اي على المحن والبلا وان الفرج وهو الخروج من الغم مع الكرب اي الغم الذي ياخذ بنفس النفس ولذا ورد اشتدي

الزمة

ازمة تنفرجي وان مع العسر يسرا قال شارح وقد وقع الاية في القران مكررة ليعلم انه لا يوجد عسر الا مع يسران وهذا مبني على القاعدة المشهورة ان النكرة المعادة غير الاولى والمعرفة المعادة عين الاولى لكنها غالبية لان قوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء لا شك في ان اللام الاولى للاستغراق والثانية للجنس الذي يحصل بوجود فرد منه ثم فيه معنى بعد وهذا بعيد عن حقيقة المعنى وارادة المبالغة في المبنى حيث قصد مضاعفة احدهما الاخرى انما اراد بها جعله كالمقارن قريبا زيادة في التسلية والتنفيس على ان المحن كما يجلوا على المنح بل انها عينها وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وما يلقاها الا ذو حظ عظيم هذا وقد قال القطب الرباني والغوث الصمداني السيد عبد القادر الجيلاني في فتوحات الغيب ينبغي لكل مومن ان يجعل هذا الحديث مراة قلبه وشعاره ودثاره وحديثه فيعمل به في جميع حركاته وسكناته حتى يسلم في الدنيا والاخرة ويجد العزة فيهما برحمة الله رواه احمد والترمذي قال الطيبي وزاد بعد قوله تجاهك في رواية رزين تعرف الى الله في الرخا يعرفك في الشدة وفي اخره فان استطعت ان تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين والحديث بطوله قد جاء مثله او نحوه في مسند احمد بن حنبل في النهاية معنى تعرف الى الله اجعله تعرفك بطاعته والعمل فيما اولاك من نعمته فانه يجازيك عند الشدة والحاجة اليه في الدنيا والاخرة واراد بقوله لن يغلب عسر يسرين ان التعريف في العسر الثاني في قوله تعالى للعهد والتنكير في يسر للنوع فيكون العسر واحدا واليسر اثنين فالعسر ما كانوا عليه من متاعب الدنيا ومشاقها واليسر في الدنيا الفتح والنصر على الاعداء وفي العقبى الفوز بالحسنى ولقاء الاحباب وعن سعد اي ابن وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعادة ابن ادم رضاه بما قضى الله له اي ومن سعادة ابن ادم استخارة الله ثم رضاه بما حكم به وقدره وقضاه كما يدل عليه سياق بلفظه ومن شقاوة ابن ادم تركه استخارة الله اي طلب الخيرة منه فانه يختار له ما هو خير له وكذا قال بعض العارفين اترك الاختيار وان كنت لابد ان تختار فاختر ان لا تختار وربك يخلق ما يشاء ويختار وقد قال تعالى وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن شقاوة ابن ادم سخطه اي غضبه وعدم رضاه بما قضى الله فالرضا بالقضا باب الله الاعظم وهو من ثمن منازل السايرين موسوم بالمقام الاخير ثم تقديم الاستخارة لانه سبب للرضى ولانها توجد قبل تحقيق القضا قال الطيبي الرضا بقضا الله وهو ترك السخط علامة سعادته وانما جعله علامة سعادة العبد لامرين احدهما ليتفرغ للعبادة لانه اذا لم يرض بالقضا يكون ابدا مهموما مشغول القلب بحدوث الحوادث ويقول لم كان كذا ولم لا يكون كذا والثاني لئلا يتعرض لغضب الله تعالى بسخطه وسخط العبد ان يذكر غير ما قضى الله له وقال انه اصلح واولى فيما لا يستيقن فساده وصلاحه فان قلت ما موقع قوله ومن شقاوة ابن ادم تركه استخارة الله بين المتقابلين قلت موقعه بين القرينتين لدفع توهم من يترك الاستخارة ويفوض امره بالكلية انتهى وفيه ان الاستخارة والتفويض مالهما واحد وكذا اكتفى بالاستخارة في القرينتين في رواية على ما سياتي ثم لا شك ان التسليم المطلق اولى من الاستخارة لانها نوع طلب وارادة وصنف منازعة في امر قد تحقق هذا وحقيقة الاستخارة هي ان يطلب الخير من الله

في جميع امره بل واد يعتقد ان الانسان لا يعلم خيره من شره كما قال تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون ثم يتيقن بانه يرى ان
لا ينفع شيء الا الكون غير الخير وكذلك ونزداد الخير بيديك والشر ليس اليك ثم المستحب دعا
الاستخارة بعد تحقق المشاورة في الامر المهم من الامور الدينية والدنيوية واقل ان
يقول اللهم خر لي واختر لي ولا تكلني الى اختياري والاكمل ان يصلي ركعتين من غير الفريضة
ثم يدعو بالدعاء المشهور في السنة على ما قدمنا في كتاب الصلاة رواه احمد والترمذي
وقال هذا حديث غريب تمامه ولا نعرفه الا من حديث محمد بن حميد وليس هو بالقوي عند
اهل الحديث ورواه الحاكم في صحيحه وزاد فيه من سعادة ابن ادم استخارته الله ومن شقاوة
تركه استخارة الله رواه الحاكم والترمذي قال ميرك كلاهما من حديث سعد بن ابي وقاص
وقال الترمذي غريب ولفظه من سعادة ابن ادم كثرة استخارته الله تعالى ورضاه بما
قضى الله تعالى له ومن شقاوة ابن ادم تركه استخارة الله تعالى وسخطه بما قضى الله له
وفي الجامع اسند الحديث الى الترمذي والحاكم عن سعد لكن لفظه من سعادة ابن ادم
استخارته الله تعالى ومن سعادة ابن ادم رضاه بما قضاه الله له ومن شقاوة ابن ادم
تركه استخارة الله ومن شقاوة ابن ادم سخطه بما قضى الله انتهى وما قبله مما يدل
على ان لفظ المشكاة وقع فيه اختصار مخل والله سبحانه اعلم وروى الطبراني في الاوسط
عن انس مرفوعا ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد وقال
بعض الحكماء من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة
لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخير ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب
انتهى والله اعلم بالحال

الفصل الثالث

عن جابر رضي الله تعالى عنه
انه غزا مع النبي وفي نسخة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد بكسر القاف وفتح البا
اي جهته وجانبه وفي النهاية النجد ما ارتفع من الارض وهو اسم خاص لما دون الحجاز فلما قفل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رجع وسمي القافلة قافلة ولو كانت ذاهبة تفاؤلا بانها
تقفل قفل معه اي فقفل جابر مع النبي صلى الله عليه وسلم فادركتهم اي الصحابة القائلة
اي الظهيرة او وقت القيلولة في واد كثير العضاه بكسر العين وهو الشجر الذي له شوك
فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فاراد النزول وامر بالنزول وتفرق الناس يستظلون
بالشجر اي بجنسه من انواع الاشجار فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة بفتح
سين فضم ميم شجر من الطلح وهي العظام من شجر العضاه فعلق بها اي بغصن من اغصانها
سيفه ونمنا بكسر الاول نومة اي خفيفة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا
اي نبه دنيه ويطلبنا واذا وفي نسخة فاذا عنده اعرابي اي بدوي كافر فقال اي النبي صلى الله
عليه وسلم هذا اي الاعرابي اخترط اي سل علي سيفي اي المعلق وانا نائم حال فاستيقظت
وهو اي والحال انه في يده صلتا بضم الصاد وفتحها وفي القاموس الصلت السيف
الصقيل الماضي ويضم وفي النهاية وسيف مجرد قال اي الاعرابي من يمنعك مني اي من
اذيتي فالفعل على حقيقته او المضاف مقدر قال الطيبي اي من يحميك مني قال في اساس
البلاغة ومن المجاز فلان يمنع الجار يحميه من ان يضام فقلت الله اي الله يمنعني
على الحقيقة او نظرا الى العصمة الموعودة بقوله سبحانه والله يعصمك من الناس ثلاثا
اي ثلاث مرات وفيه ايماء الى انه يستحب تثليث لفظ الجلالة في حالة الاستغاثة والاستعانة
ولم يعاقبه اي الاعرابي وجلس اي النبي صلى الله عليه وسلم يعني ما كان قائما او مضطجعا

... رضي الله تعالى عنه

ثم يحتمل ان يكون القضية وقعت قبل المناداة فاخبرهم بما وقع من خرق العادة ويمكن ان
يكون بعدها فاراهم ليريهم المعجزة والاول اظهر والله اعلم وفي رواية ابي بكر الاسماعيلي
في صحيحه فقال من يمنعك مني قال الله فسقط السيف من يده فاخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم السيف فقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ اي متناول للسيف
وهو كناية للعفو مع القدرة وقال الطيبي اي بجنايتي بان تريد العفو انتهى فلا تؤاخذني
المؤاخذة فقال تشهد اي تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله قال لا اي لا اشهد
ولكني اعاهدك على ان لا اقاتلك اي بانفرادي ولا اكون اي ولا ان اكون رفيقا مع قوم يقاتلونك
فخلى سبيله اي فتركه حتى مضى الى طريقه فاتى اي الاعرابي اصحابه اي قومه فقال جئتكم
من عند خير الناس اي كرما وحلما هكذا اي هذا الحديث المتفق عليه مع الزيادة في كتاب
الحميدي وفي الرياض وكذا في كتاب رياض الصالحين للنووي وعن ابي ذر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اني لاعلم اية لو اخذ الناس اي عملوا بها اي بانفرادها لكفتهم ومن
يتق الله يجعل له مخرجا اي من البلايا ويرزقه من حيث لا يحتسب اي من العطايا
وما بعده ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا
قال الطيبي يريد الاية بتمامها فقوله ومن يتق الله الى قوله من حيث لا يحتسب اشا
الى انه تعالى يكفيه جميع ما يخشى ويكره من امور الدنيا والاخرة وقوله ومن يتوكل الى اخره
اشارة الى ان الله تعالى يكفيه جميع ما يطلبه ويبتغيه من امور الدنيا والاخرة وبالغ
امره تنبيه لوجوب التوكل عليه وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق
ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوفيقه لم يبق الا التسليم للقدر والرضا والتوكل وانشد

اذا المرء امسى حليف التقى ... فلم يخش من طارق حله
الم تسمع الله سبحانه ... ومن يتق الله يجعل له مخرجا

رواه احمد وابن ماجة والدارمي وعن ابن مسعود قال اقرأني رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي حملني على ان اقرأ ذكره الطيبي والاظهر ان معناه علمني اني انا الرزاق اي
قراءته هكذا قال الطيبي هي قراءة شاذة منسوبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمشهور ان الله هو الرزاق انتهى والمراد انه كانت قراءة قطعية متواترة معنوية وكان
علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن مسعود لكنها نسخت او شذت طرقها بعد ابن
مسعود ذو القوة المتين اي الشديد القوة والمعنى وصفه بالقوة والمتانة انه القادر
البليغ الاقتدار على كل شيء وقوله ذو القوة خبر بعد خبر وفيه من المبالغات تقدير الجملة
بان وتوسيط ضمير الفصل المفيد للاختصاص وتعريف الخبر بلام الجنس ثم ارداف بقوله
ذو القوة وتتميمه بالمتانة فوجب ان لا يتوكل الا عليه ولا يفوض الامور الا اليه ذكره الطيبي
رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وعن انس قال كان اخوان اي اثنان
من الاخوان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اي في زمنه فكان احدهما ياتي النبي صلى الله
عليه وسلم اي لطلب العلم والمعرفة والاخر يحترف اي يكتسب اسباب المعيشة فكانهما
كانا ياكلان معا فشكا المحترف اي في عدم مساعدة اخيه اياه في حرفته او في كسب اخيه
لمعيشته اخاه النبي بنزع الخافض اي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعلك ترزق به
بصيغة المجهول اي ارجو واخاف انك مرزوق ببركته لا انه مرزوق بحرفتك فلا تمنن
عليه بصنعتك وفي الحديث دليل على جواز ادخار الانسان شغل الدنيا وان يقبل
على العلم والعمل والتجرد لزاد العقبى قال الطيبي ومعنى لعل في قوله لعلك يجوز ان

يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفيد القطع والتوبيخ كأنه قيل فهل ترزقون إلا بضعفائكم
وأن يرجع إلى المخاطب ليعم في التفكر وأن من لم ينصف من نفسه رواه الترمذي وقال
هذا حديث صحيح غريب ورواه الحاكم أيضاً وعن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن قلب ابن آدم بكل واد شعبة بالرفع أي لقلبه قطعة والمعنى بعض توجه منه
لأن القلب واحد وأودية الهموم متعددة وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وفي
النهاية الشعبة الطائفة من كل شيء والقطعة منه قال الطيبي ولا بد فيه من تقدير
أي في كل واد له شعبة فمن أتبع قلبه الشعب كلها من الاتباع أي من جعل قلبه تابعاً
لشعب الهموم في أودية الغموم لم يبال الله بأي واد أهلكه ومن توكل على الله كفاه الشعب
أي كفاه الله مؤنات حاجاته المتشعبة المختلفة وفي معناه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من جعل الهموم هماً واحداً هم الدين كفاه الله هم الدنيا والآخرة رواه ابن ماجه وعن أبي
هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال ربكم عز وجل لو أن عبيدي أطاعوني أي في أمري
ونهيي لأسقيتهم أي لأنزلت عليهم المطر أي بالليل وهم نائمون مستريحون وأطلعت من
باب الإفعال أي أظهرت وأبرزت عليهم الشمس بالنهار أي وهم بأمورهم ومكاسبهم
مشتغلون ولم أسمعهم وفي رواية الجامع ولما أسمعتهم صوت الرعد أي ليلاً ولا نهاراً
كيلا يخافوا ولا ينزعجوا فلا ينفرون قال الطيبي هو من باب التتميم فإن السحاب
مع وجود الرعد فيه شائبة الخوف لقوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً فنفاه
ليكون رحمة محضة رواه أحمد وكذا الحاكم وعن أبي هريرة قال دخل رجل على أهله أي
أهل بيته وأصحاب نفقته فلما رأى ما بهم من الحاجة أي من الجوع والفاقة خرج إلى البرية
أي إلى قطعة من الأرض منسوبة إلى البر للتضرع إلى خالق البرية فلما رأت امرأته أي خلو
يد الرجل وإدباره عن الأهل حياء والخجل قامت إلى الرحى فوضعتها أي الطبقة العليا
على السفلى والمعنى هيأتها ونصبتها وإلى التنور فسجرته بتخفيف الجيم وتشديدها أي
أوقدته ثم قالت فيه إشارة إلى أن العبد ينبغي في طلب الحلال ما أمكنه الوقت ويقتضيه
الحال ثم يستغرق في تفويض أمره إلى الملك المتعال بالدعاء بنحو اللهم ارزقنا أي من عندك
فإنك خير الرازقين وقد انقطع طمعنا عن غيرك ولا نطمع إلا في خيرك فنظرت أي إلى
الرحى فإذا الجفنة وهي القصعة على ما في القاموس والقصعة الكبيرة على ما في خلاصة
اللغة والمراد هنا ما يوضع تحت الرحى يجتمع فيها الدقيق قد امتلأت أي من الدقيق
قال أي الراوي وذهبت وفي نسخة صحيحة فذهبت إلى التنور أي لتسجره من الدقيق
بعد عجنه فوجدته ممتلئاً أي من الخبز الملتصق به قال أي الراوي فرجع الزوج أي
راجعاً لما قام بأمر الله داعياً قال أي الزوج وهو استئناف بيان أصبتم أي كلكم أو
حصلتم بعدي شيئاً أي من الأشياء ومن الإصابة قالت امرأته نعم أي أصبنا من ربنا
أي من عند ربنا أو من رزقه وما أخطأنا وأغرب الطيبي في قوله اللهم ارزقنا حيث
قال دعت أن تصيب زوجها بما تطحنه وتخبزه فهيأت الأسباب كذلك انتهى
وقام أي تعجب الزوج وقام إلى الرحى أي ورفعها ليرى أثرها فذكر بصيغة المجهول
وفي نسخة صحيحة فذكرا أي هو بنفسه ذلك أي ما ذكر من القضية بتمامها للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال أما بالتخفيف للتنبيه أنه أي الشأن لو لم يرفعها لم تزل
تدور إلى يوم القيامة رواه أحمد وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله أفاد به حصول الرزق أسبق وأسرع من

وصول

وصول أجله لأن الأجل لا يأتي إلا بعد فراغ الرزق قال الله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم
ثم يميتكم ثم يحييكم رواه أبو نعيم في الحلية قال ميرك نقلاً عن المنذري رواه ابن حبان في
صحيحه والبزار ورواه الطبراني بإسناد جيد إلا أنه قال إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما
يطلبه أجله قلت وكذا رواه ابن عدي في الكامل ويؤيده ما قررته فيما سبق من المعنى
حررته وروى أبو نعيم في الحلية عن جابر مرفوعاً لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب
من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت وعن ابن مسعود قال كأني أنظر إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم أي في استحضاراً للقضية واستحفاظاً للقصة يحكي نبياً
أي حال كونه يحكي حال نبي من الأنبياء ضربه قومه أي قد ضربه قومه فهو حال بتقدير قد
وجوز زيد وقد أيضاً قال الطيبي قوله نبياً منصوب على شريطة التفسير بقرينة قوله ضربه
وهو حكاية لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يقدر مضافاً أي يحكي حال نبي
من الأنبياء وهو مفعول ما تلفظ وحينئذ ضربه يجوز أن يكون صفة للنبي وأن يكون استئنافاً
كأن سائلاً سأل ما حكاه فقيل ضربه قومه فأدموه أي جعلوه صاحب دم خارج من
رأسه وهو يمسح الدم عن وجهه أي حذراً من الوقوع في فمه أو عينه يقول أي من كمال
صبره اللهم اغفر لقومي أي بجعلهم هذا بمعنى لا تعذبهم به في الدنيا ولا تستأصلهم
وإلا فمن المعلوم أن مغفرة الكفار بمعنى العفو عن شركهم وكفرهم غير جائز بالإجماع
ويمكن أن تكون المغفرة كناية عن التوبة الموجبة للمغفرة وإليه الإشارة بقوله
فإنهم لا يعلمون وهذا من كمال حلمه وحسن خلقه حيث أذنب القوم وهو يعتذر عنهم
معتذراً بأنهم ما فعلوا إلا لجهلهم بالله ورسوله وفيه إشعار بأن الذنب مع الجهل أهون
في الجملة بالنسبة إلى الذنب مع العلم وكذا ورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع
متفق عليه انتهى والله أعلم

باب الرياء والسمعة

في المغرب يقال فعل ذلك سمعة أي ليريه الناس من غير أن يكون قصد به التحقيق وسمع كذا
شهرة وتسميعاً انتهى والتحقيق أن الرياء مأخوذ من الرؤية فهو ما يفعل ليراه الناس ولا يكتفي
فيه برؤية الله سبحانه والسمعة بالضم مأخوذة من السمع فهو ما يفعل ليسمعه
الناس ولا يكتفي فيه بسمعه تعالى ثم يستعمل كل منهما موضع الآخر وقد يجمع بينهما تأكيداً
أو لإرادة أصل المعنيين تفصيلاً وضدهما الإخلاص في العمل لله عز وجل فقصد الإخلاص فيه
الرواية الصحيحة في الرياء الهمزة وعليه السمعة ويجوز إبداله ياء وبه قرأ بعض القراء وهو
المشهور في السنة العامة **الفصل الأول** عن أبي هريرة رضي الله تعالى
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينظر أي نظر اعتبار إلى صوركم
أي لا اعتبار بحسنها وقبحها وأموالكم أي لا اعتبار بكثرتها وقلتها ولكن زاد في الجامع
ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم أي إلى ما فيها من اليقين والصدق والإخلاص وقصد الرياء
والسمعة وسائر الأخلاق المرضية والأحوال الردية وأعمالكم أي من صلاحها وفسادها
فيجازيكم على وفقها هذا وفي النهاية معنى النظر هاهنا الاختيار والرحمة والعطف لأن النظر
في الشاهد دليل المحبة وترك النظر دليل البغض والكراهة وميل الناس إلى الصور
المعجبة والأموال الفانية والله يتقدس عن شبه المخلوقين فجعل نظره إلى ما هو السر
واللب وهو القلب والعمل والنظر يقع على الأجسام والمعاني فما كان بالأبصار فهو
للأجسام وما كان بالبصائر كان للمعاني ذكره الطيبي ولا يخفى بعد المراد من النظر هنا

ما ذكره من الرحمة والعطف لا سيما في جانب النبي فتدبر خصوصا بما ذكره من تفضيل
النظر اذ تعقيبه في حقه تعالى لا يتصور والله اعلم رواه مسلم وكذا ابن ماجة وعنه اي عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انا اغنى الشركاء اي انا
اغنى من يزعم انه شريك وفي زعمهم انهم عنا عن الشرك اي عما يشركون به عما بيني وبين غيري
في قصد العمل والمعنى ما ابتغي الا ما كان خالصا لوجهي وابتغاء مرضاتي فالشرك اسم المصدر
الذي هو الشرك مستعمل في معنى المفعول وتركيب ما قررناه ما اوضحه بطريق الاستيناف
بقوله من عمل عملا اشرك فيه اي في قصد ذلك العمل معي اي مع ابتغاء وجهي اي غيري من المخلوقين
فلا يجزم قصد الجنة ونحوها مثلا فانها من جملة شرفه سبحانه وان كان المقام الاكمل
لم يعبده لطمع جنته او خوف ناره لانه عد كفرا عند بعض العارفين لكن التحقيق فيه انه
لو كان نجيبا لو لم يخلق جنة ولا نارا لما عبده سبحانه لكان كافرا لانه يستحق العبادة لذاته
ولذا مدح صهيب بما روي في حقه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله ما عصاه وقوله تركته وشركه
خبر من والواو بمعنى مع او المعنى تركته عن نظر الرحمة وتركت عمله المشترك عن درجة القبول
وفي رواية فانا منه بري فيدمر ذلك العمل والاظهر مرجع ذلك العمل لئلا يكون تكرارا
في قوله هو له ذلك العمل للذي عمله اي لاجله ممن قصد بذلك العمل رياء وسمعة وهو تاكيد لما
قبله وقال الشارح اي هو لفاعله يعني تركت ذلك العمل لفاعله لا اقبله ولا اجازي فاعله
بذلك العمل لانه لم يعمله لي انتهى وفيه انه يلزم منه ان يكون عمله حينئذ مباحا مع ان العمل
على وجه الاشراك حرام اجماعا يعاقب فاعله بذلك العمل فتامل فانه كرر بقية كلام الشارح
قال ابن الملك اغنى اسم التفضيل من غني به عنه غنية اي استغنى به عنه واضافته لما
للزيادة المطلقة اي انا غني من بين الشركاء واما للزيادة على من اضيف اليه اي انا اكثر
الشركاء استغناء عن الشرك لكوني استغنائه من جميع الجهات وفي جميعها وقال انتهى
وفيما ذكره من الوجه الثاني ما لا يخفى وقال الطيبي اسم التفضيل ههنا لمجرد الزيادة
والاضافة فيه للبيان اذ هو على زعم القوم وفيه ان وجه الاضافة للبيان لا يحتاج الى مزيد
البيان وكانه اراد ان معناه انا غني من بينهم دونهم ثم قال والضمير المنصوب في تركته
يجوز ان يرجع الى العمل والمراد من الشرك الشريك قال النووي معناه انا غني عن المشاركة
وغيرها فمن عمل شيئا لي ولغيري لم اقبله بل اتركه مع ذلك الغير ويرد عليه الحديث الاول
من الفصل الثاني اي العامل لما عمله من الشرك يعني يجتنب به ولا يجاوز عنه وكذا الفهم
في منه اقول ويمكن ان يقال معناه انا اغني كل من يطلق عليه اسم الشريك كقوله تعالى
احسن الخالقين فان كثيرا من الشركاء في الدنيا من الاغنياء اذا وقع لهم شيء منهم مع الفقراء انهم
يسامحونهم به ويعطونهم اياه او يهبونه لواحد منهم من افقرهم فاذا كان هذا وصف بعض
الشركاء من الضعفاء فكيف بالذي لا شريك له وله وصف العظمة والكبرياء هذا وقال
الامام حجة الاسلام درجات الرياء اربعة اقسام الاولى وهي اغلظها ان لا يكون مراده الثواب
اصلا كالذي يصلي بين اظهر الناس ولو انفرد لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس
فهذا جرد قصده للرياء فهو الممقوت عند الله تعالى والثانية ان يكون له قصد الثواب
ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد
على العمل ولو لم يكن الثواب لكان قصد الرياء يحمله على العمل فقصد الثواب فيه لا ينفي
عنه المقت والثالثة ان يكون قصد الثواب والرياء متساويا بحيث لو كان واحد
خاليا عن الاخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة وظواهر الاخبار تدل

على

على انه لا يسلم راسا براس والرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحا مقويا لنشاطه ولو لم يكن لم يترك
العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما اقدم فالذي نظنه والعلم عند الله تعالى انه لا يحبط اصل
الثواب ولكنه ينقص منه او يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب واما قوله
صلى الله عليه وسلم انا اغنى الشركاء فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان او كان قصد الرياء
ارجح رواه مسلم وكذا ابن ماجة الرواية الاولى وفي اخرى وعن جندب مر ذكره قال قال النبي وفي
نسخة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع بتشديد الميم اي من عمل عملا للسمعة
بان نوه بعمله وشهره ليسمع الناس به ويمدحوه سمع الله به بتشديد الميم ايضا اي شهره
الله بين اهل العرصات وفضحه على رؤوس الاشهاد واتمام ما نقله الطيبي عن التوربشتي بان
معناه من اظهر عمله للناس رياء فهو غير ملائم لمقام التفضيل والتمييز بين المعنيين من
السمعة والرياء حيث قال ومن يرائي يرائي الله به بالياء فيهما في الفعلين في الاصل
موصولة مبتدأ والمعنى من يعمل عملا ليراه الناس في الدنيا يجازيه الله تعالى به بان
يظهر رياءه على الخلق وخلاصة الفرقين ورقة الجملتين ان المعنى يسمع الله الخلق بكونه
مسمعا ويظهر لهم بكونه مرائيا وفي شرح مسلم معنى من يرائي من اظهر للناس العمل الصالح
ليعظم عندهم وليس هو كذلك يرائي الله به اي اظهر سريرته على رؤوس الخلائق وفيه ان فيه
بقوله وليس كذلك ما هو انه ليس كذلك بل هو في الاطلاق سواء كان كذلك او لا يكون
كذلك ثم قال وقيل معناه من سمع بعيوب الناس واذاعها اظهر الناس عيوبه وقيل
اسمعه المكروه وقيل اراه ثواب ذلك من غير ان يعطيه اياه ليكون حسرة عليه وقيل معناه
اراد من يعمله الناس اسمعه الله الناس وكان ذلك حظه منه قال الشيخ ابو حامد
الرياء مشتق من الرؤية والسمعة من السماع وانما الرياء بها ارادة العبادة بطاعة الله
فالمرائي هو العابد والمرائي له الناس والمرائي به هو الخصال الحميدة والرياء هو قصد اظهار
ذلك متفق عليه ورواه احمد ومسلم عن ابن عباس ولفظه من سمع سمع الله به ومن
يرائي يرائي الله به وعن ابي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت اي اخبرني
كما قاله شارح فقوله الرجل يعمل العمل مبتدأ وخبره في محل النصب وقال الطيبي اي اخبرني
حاله فالرجل منصوب بنزع الخافض والمراد بالعمل جنسه وقوله من الخير بيان له ومن
المعلوم انه لا خير في العمل الرياء فيكون عمله خالصا ويحمده الناس عليه اي يثنون عليه بذلك
العمل وفي ذلك الخير وفي رواية ويحبه الناس اي يعظمونه عليه اي على ذلك الخير او لاجل
ذلك العمل فقال تلك اي المحمدة والمحبة والخصلة او المثوبة عاجل بشرى المؤمن اي معجل بشرى
واما موجلها فباق الى ايام اخرته وظاهره انه يستوي فيه انه يحبه حمدهم ومحبتهم اولا وانك
اولى والاول الاظهر وسيجيء التصريح به في حديث ابي هريرة من الفصل الاتي قال المظهر اي
اخبرنا عن حال من يعمل عملا صالحا لله تعالى لا للناس ويمدحونه هل يبطل ثوابه فقال صلى الله
عليه وسلم تلك عاجل بشرى المؤمن يعني بشرى عمله ذلك ليس مرائيا بل يعطيه الله تعالى به
ثوابين في الدنيا وهو حمد الناس له وفي الاخرة ما اعد له رواه مسلم انتهى والله سبحانه اعلم

الفصل الثاني عن ابي سعد بن ابي فضالة رضي الله تعالى عنه

بفتح الفاء قال الطيبي ابو سعد بسكون العين انتهى وقال الجوهري هو بفتحتين وقال
المؤلف اسمه كنيته وهو حارثي انصاري يعد في اهل المدينة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم اي لحساب يوم وجزاء لا ريب فيه اي في وقوع
ذلك اليوم او في حصول ذلك الجمع قال الطيبي اللام متعلق بجمع ومعناه جمع الله الخلق

ليوم لابد من حصوله ولا ريب في وقوعه ليجزي كل نفس بما كسبت وقوله يوم القيمة توطئة له
ويجوز ان يكون ظرفا لجمع كما جاء في الاستيعاب اذا كان يوم القيمة جمع الله الاولين والاخرين
ليوم لا ريب فيه الحديث وفي هذا قوله مظهر وضع مقام المضمر اي جمع الله الخلق يوم القيمة
ليجزيهم فينادي مناد من كان اشرك في عمل عمله لله احدا منصوب مفعول لاشرك اي احدا غير الله
وكذا قال فليطلب ثوابه من عند غير الله ولعل وجه العدول ذلك في فوزه من عند ذلك الاحد ما يحصل
به من ابهام الاهمام ويجل به مقام المرام فان الله اغنى الشركاء عن الشرك فهذا الحديث يؤيد ما قررنا
اخرا في معنى الحديث الاول قال ميرك رواه احمد وكذا الترمذي وابن ماجة ورجاله رجال مسلم الا
زياد بن ميناء فانه وثقه ورواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي ذكره ميرك وعن عبد الله بن
عمرو بالواو انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سمع الناس بتشديد الميم اي
راءهم بعمله اي المطلوب منه ان يخفيه عن نظر الخلق فاظهر لهم فكانه ناداهم سمع الله بتشديد
الميم ايضا اي اسمع به اي بعمله الرياء والسمعة اسامع خلقه اي اذانهم ومحال سمعهم والمعنى
جعله مسموعا لهم وشهره فيما بينهم في العقبى واظهر لهم سريرته وملأ اسماعهم بما ينطوي عليه
من خبث سرائره جزاء لفعله ويمكن ان يكون الضمير في قوله به راجعا الى الموصوف وفي شرح السنة
يقال سمعت بالرجل تسميعا اذا اشهرته وقوله اسامع خلقه هي جمع اسمع يقال سمع واسمع
واسامع جمع الجمع يريد ان الله يسمع اسامع خلقه به يوم القيمة وفي صدا ان اسامع
بالنصب مفعول سمع اي بلغ الله مسامع خلقه انه مراء مزور واشهره بذلك فيما بين الناس
فاسامع جمع اسمع وهو جمع سمع بمعنى الاذن وروي سامع خلقه مرفوعا على انه صفة لله
فالمعنى سمع الله الذي هو سامع خلقه يعني فضحه الله قال صاحب الفائق في هذه الرواية
ولو روي بالنصب لكان المعنى سمع الله به من كان له سمع من خلقه وحقره وصغره بالتشديد
فيها اي جعله حقيرا ذليلا بلباس الصغار وهو الذل ولا يبعد ان يجعله كالذر صغيرا كما ورد في
المتكبرين والله سبحانه اعلم رواه البيهقي وفي نسخة صحيحة رواه احمد والبيهقي في شعب
الايمان قال ميرك حديث عبد الله بن عمرو رواه الطبراني باسانيد احدها صحيح والبيهقي
كذا قاله المنذري وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته اي قصده الاصلي
في الامر العملي والعلمي طلب الاخرة اي مرضاة مولاه جعل الله غناه في قلبه بان جعله قانعا
بالكفاف والكفاية كيلا يتعب في طلب الزيادة وجمع له شمله اي اموره المتفرقة بان جعله
مجموع الخاطر بتهيئة اسبابه من حيث لا يشعر به واتته الدنيا اي ما قدر وقسم له منها وهي
راغمة اي ذليلة حقيرة تابعة له لا يحتاج في طلبها الى سعي كثير بل تاتيه هينة لينة على رغم
انفها وانف اربابها ولذا قيل العلم يعطي ولو ببطء ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر
اي جنس الاحتياج الى الخلق كالامر المحسوس منصوبا بين عينيه وشتت بتشديد التاء الاولى
اي فرق عليه امره ولا ياتيه منها اي من الدنيا الا ما كتب له اي وهو راغم فلا ياتيه ما يطلبه
من الزيادة على رغم انفه وانف اصحابه قال الطيبي فيه قوله جمع الله شمله اي ما تشتت من امره
وفرق الله شمله اي ما اجتمع من امره فهو من الاضداد والحديث من باب التقابل والمطابقة
فقوله جعل الله غناه في قلبه مقابل لقوله جعل الله الفقر بين عينيه وقوله جمع له شمله
لقوله شتت عليه امره وقوله واتته الدنيا وهي راغمة لقوله ولا ياتيه منها الا ما كتب له فيكون
معنى الاول واتاه ما كتب له من الدنيا وهو راغم رواه الترمذي اي عن انس ورواه احمد
والدارمي عن ابان بفتح الهمزة وتخفيف الموحدة يصرف ولا يصرف وهو ابن عثمان بن عفان
تابعي سمع اباه وكثيرا من الصحابة عن زيد بن ثابت قال ميرك ورواه البزار والطبراني بمعناه

وابن

وابن حبان في صحيحه وعن ابي هريرة قال قلت يا رسول الله بينما انا في بيتي في مصلاي اذ دخل
علي رجل فاعجبني الحالة التي راني عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمك الله يا ابا
هريرة قال الطيبي صدر الحديث اخبار وفيه معنى الاستخبار يعني هل يحكم في هذا انه رياء ام لا
وكذلك طابقه قوله صلى الله عليه وسلم رحمك الله يا ابا هريرة لك اجران اجر السر اي الاخلاص
واجر العلانية اي الاقتداء بك او لفرحك بالطاعة وظهورها منك قيل معناه فاعجبه رؤية
من يراه مثل عمله فيكون له مثل اجره وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة كان
له اجرها واجر من عمل بها ذكره في شرح السنة والاظهر ان اعجابه بحسب اصل الطبع المطابق
للشرع من انه يعجبه ان يراه احد على حالة حسنة ويكره ان يراه على حالة قبيحة مع قطع النظر
عن ان يكون ذلك العمل مطمحا للرياء مطمعا للسمعة فيكون من قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه
الطبراني عن ابي موسى من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقد قال تعالى قل بفضل
الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فالمؤمن يفرح بتوفيق الاعمال كما انه
يفرح بكثرة الاموال والله اعلم بالاحوال رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب اي اسنادا
قال ميرك نقلا عن الجزري رواه صاحب المصابيح في شرح السنة بهذا السياق من طريق
سعد بن بشير عن الاعمش عن ابي هريرة ثم قال قال ابو عيسى الترمذي هذا حديث غريب
وظاهر هذا الكلام يدل على ان الترمذي روى هكذا والذي في الترمذي بغير هذا اللفظ
فقال حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابو سنان الشيباني عن حبيب بن ابي ثابت عن ابي
صالح عن ابي هريرة قال قال رجل يا رسول الله الرجل يعمل العمل فيسره فاذا اطلع عليه
اعجبه ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له اجران اجر السر واجر العلانية قال ابو
عيسى هذا حديث غريب وقد روى الاعمش وغيره عن حبيب عن ابي صالح عن النبي صلى الله
عليه وسلم مرسلا انتهى كلام الترمذي والله اعلم وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخرج في اخر الزمان اي يظهر رجال يختلون بكسر التاء اي يطلبون الدنيا
بالدين اي بعمل اهل الاخرة او يستبدلون الدنيا به ويختارونها عليه والاظهر ان معناه يخدعون اهل
الدنيا بعمل الدين من ختله اذا خدعه والمعنى يحتالون في طلبها بملابسة الامور الدينية والتدرع
بلباسها في وجه الرياء والسمعة وسائر الاحوال الدنية كما يدل عليه قوله يلبسون للناس اي
لاجلهم جلود الضان بسكون الهمزة ويبدل والمراد به جلده او ما عليه من الصوف وهو الاظهر
فالمعنى انهم يلبسون الاصواف ليظنهم الناس زهادا عبادا تاركين الدنيا راغبين في العقبى
من اللين اي من اجل اظهار التلين والتلطف والتمسكن والتقشف مع الناس واراد
به في حقيقة الامر التملق والتواضع في وجوه الناس ليصيروا مريدين لهم ومعتقدين
لاحوالهم السنتهم احلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب بهمز وتبدل اي امر من مرارتها
من شدة حب الدنيا والجاه وكثرة البغض والعداوة لاهل الفقر ورغبة الصفات البهيمية
والشهوات الحيوانية والارادة النفسية كما قال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله
في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام اي في الطعام وفي تحصيل
مال الحرام يقول الله ابي اي باملائي يغترون ام لم يرد ابي الامهال والاهمال والمراد بالاغترار
هنا عدم الخوف من الله تعالى وترك التوبة من فعلهم القبيح اي افلا يخافون من سخطي وعقابي
ام علي اي في مخالفتي يجترئون اي يكرمهم الناس في اظهار الاعمال الصالحة اشتغال من الحيلة
وكذا قيل الاجتراء الانبساط والتشجع قال الطيبي ام منقطعة انكر اولا اغترارهم بالله
وبامهاله اياهم حتى اغتروا ثم اضرب عن ذلك وانكر عليهم ما هو اعظم منه وهو اجتراؤهم على الله

هك
وا
بي

فيه اي تبدا فيه وضعفا في خلقنا لا نعيش من البعث اي لا سلطنا ولا تقتضين علي اولئك اي الموضو
بما ذكر منهم اي مما بينهم بتسليط بعضهم بعضا فتنة تدع الحليم اي تترك العالم الحاذم فضلا
عن غيره وفي بعض نسخ المصابيح الحكيم بالكاف بدل الحليم باللام والمودي واحد فيهم اي فيما بينهم
حيران اي حائرا لكونه متحيرا في الفتنة لا يقدر علي دفعها ولا علي الخلاص منها لا بالاقامة فيها
ولا بالفرار منها قال الاشرف من في منهم يجوز ان يكون للتبيين بمعني الذي وان اشارة الي الرجال
والتقدير علي اولئك الذين يختلون الدنيا بالدين وان يجعل متعلقا بالفتنة اي لا بعثن علي
الرجال الذين يختلون الدنيا بالدين فتنة ناشئة منهم رواه الترمذي وعن ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الله تبارك اي تكاثر خيره وبره وتعالى اي تعظم اذ يدرك كنهه قال لقد
خلقت خلقا اي جمعا من المخلوقين السنتهم احلى من السكر اي لما يظهر عليهم من الوعظ والذكر
اثر الصبر والشكر وقلوبهم امر من الصبر ضبط في اكثر النسخ بكسر الباء وفي بعضها بسكونها
وفي القاموس الصبر ككتف ولا يسكن الا في ضرورة الشعر عصارة شجر مر والمشهور علي
السنة العامة بكسر الصاد وسكون الباء ولعله ماخوذ من لغات الكتف فيكون من باب
النقل تخفيفا فبي لاتيحنهم من الاتاحة بمعني التقدير يقال اتاح الله لفلان كذا اي قدره
له وانزله به فالفعل من باب الحذف والايصال فالمعني لاتيحن لهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران
فبي يغترون بتقدير حرف الاستفهام اي ابي يجترؤن رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن
ابي هريرة قال قال النبي وفي نسخة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء شرة بكسر الشين
المعجمة وتشديد الراء الحرص علي الشيء والنشاط فيه والرغبة ولكل شرة فترة بفتح الفاء وسكون
التاء اي وهنا وضعفا وفي نسخة برفعها والمعني ان العابد يبالغ في العبادة في اول امره وكل
مبالغ يفتر ويسكن حدته ومبالغته ولو بعد حين فان صاحبها فاعل بتقدير عليه قوله
سدد اي قصد السداد والاستقامة او اقتصد في امره في مداومته الطاعة والعبادة وقا
رب اي دنا من التوسيط واحترز من الافراط والتفريط فارجوه اي ان يكون من الفائزين
فان من سلك الطريق المتوسط يقدر علي مداومته لكن لا تعتقدوا له فان الله هو الذي يتولي
السرائر وان اشير اليه بالاصابع اي وان اجتهد وبالغ في العمل ليصير مشهورا بالزهد
والعبادة وصار مشهورا ومشارا اليه فيه فلا تعدوه اي شيئا ولا تعتقدوه صالحا لكونه
من المرائين حيث جعل اوقات فترته عادة وهو لا يتفتر الا فيما يتعلق به رياء وسمعة
وايضا اذا اقبل الناس عليه بوجوههم ربما زاد في العبادة وحصل له عجب وغرور فصار من
الهالكين الا ان يتداركه الله بفضله وجعله من المخلصين وتوضيحه ان الانسان يشتغل
بالاشياء علي حرص شديد ومبالغة عظيمة في اول الامر ثم ان تلك الشرة يتبعها فترة فان كان
مقتصدا محترزا عن جانبي الافراط والتفريط وسالكا الطريق المستقيم فارجوا كونه من الفائزين
الكاملين وان سلك طريق الافراط حتي يشار اليه بالاصابع فلا تلتفتوا اليه ولا تعتقدوه
ولا تقولوا عليه فانه ربما يكون من الهالكين لكن لا تجزموا بانه من الخاسرين ولا تعدوه منهم
لكن لا ترجوه كما ترجون المقتصد اذ قد يعصم الله في صورة الافراط والشهرة كما انه قد يقفوا
من صاحب التفريط ذا راجي التقصير في العبادة قال الطيبي ويؤيد هذا التأويل الحديث
الذي يليه ولا شك ان فيه تركا ما للقسم الثالث لظهوره رواه الترمذي ورواه البيهقي
عن ابن عمرو مرفوعا ولفظه ان لكل شيء شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الي سنتي فقد اهتدي
ومن كانت فترته الي غير ذلك فقد هلك وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بحسب امرئ
البائقة اي يكفيه من الشر ان يشار اليه بالاصابع في دين او دنيا فان من اشتهر بخصلة فلما

سالم من الافات الخفية كالكبر والعجب والرياء والسمعة ونحو ذلك من الاخلاق الدنية الا من عصمه الله
اي حفظه الله في مقام تقواه ولذا اختار طائفة من الصوفية طريق الملامية في كتمان العبادات الدينية
واظهار الشهوات النفسية الدنية قيل للحسن البصري ان الناس اذا راوك اشاروا اليك بالاصابع فقال
لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وانما عني به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه انتهى ووجهه
ان الاشارة انما تكون في البدعة والغرابة لكن قد توجد في الكثرة المجاوزة عن حد العبادة فيحصل
به الاشارة والشهرة فتارة تفضي بصاحبها الي الرياء والسمعة والطمع من الناس في المنزلة وتارة
يعصمه من نظر ما سواه فلا يلتفت الي الغير لا يقدر علي دفع الشر ولا جلب الخير ولا اشتهار بالخلق
مدحا وذما لا في العبادة ولا في الاشارة كما ورد لا يؤمن احدكم حتي يكون الخلق عنده كالاباعر ثم يفني
حالته فيها اشارة الي كمال التبري لكنه منزلة اقدام الرجال ومرتبة انهام الجبال فانه ما ايسر(?) الدعوى
وما اعسر المعني وتوضيحه ما ذكره الطيبي باحسن عبارة واوجز اشارة حيث قال وبين الحال
يبعث حب الرياسة والجاه في قلوب الناس هو من اخر غوائل النفس ومواطن مكايدها يبتلي به العلماء
والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الاخرة من الزهاد فانهم مهما قهروا انفسهم
وفطموها من الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر علي اصناف العبادات عجزت نفوسهم
عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة علي الجوارح فطلبت الاستراحة الي التظاهر بالخير واظهار
العلم والعمل فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الي لذة القبول عند الخلائق ولم يقنع باطلاع
الخالق وفرحت بحمد الله ولم تقنع بحمد الله وحده فاحب مدحهم وتركهم تمسكا بقدرته وخلاصته
واكرامه وتقديمه في المحافل فاصابت النفس في ذلك اعظم اللذات والذ الشهوات وهو يظن ان
حياته بالله تعالى وبعباداته وانما حياته بهذه الشهوات الخفية التي تعمي عن دركها الا العقول
النافذة قد اثبت اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن انه عند الله من عباده المقربين فهذه
مكيدة للنفس لا يسلم عنها الا الصديقون من المخلصين وكذلك قيل اخر ما يخرج من رؤوس
الصديقين حب الرياسة وهو اعظم شبكة للشياطين فان المحمود هو المحمود لله الا من شرح الله
صدره بنوره من غير تكلف منه كالانبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين والعلماء المحققين والسلف
الصالحين والحمد لله رب العالمين رواه البيهقي في شعب الايمان اي عن انس وعن ابي هريرة علي ما في
الجامع انتهى والله اعلم

الفصل الثالث عن ابي تميمة رضي الله تعالى عنه

قال المؤلف هو طريف بن مجالد الهجيمي البصري كان اصله من عرب اليمن ... تميمة وهو تابعي روي
عنه نفر من الصحابة وعنه قتادة وغيره مات سنة خمس وتسعين قال شهدت صفوان واصحابه
الظاهر ان المراد به صفوان بن سليم الزهري مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف تابعي جليل القدر
من اهل المدينة مشهور روي عن انس بن مالك ونفر من التابعين كان من خيار عباد الله
الصالحين يقال انه لم يضع جنبه علي الارض اربعين سنة ويقولون ان جبهته ثقبت من كثرة
السجود وكان لا يقبل جوائز السلطان ومناقبه كثيرة روي عنه ابن عيينة ذكره المؤلف ثم الظاهر
ان المراد باصحابه اتباعه في العلم والعمل وجندب اي حضرهم والحال ان جندب بن عبد الله بن سفيان
البجلي وهو من اكابر الصحابة يوصيهم بالتخفيف وبالتشديد والمعني بعضهم في الاستقامة علي الجا
او بزيادة العبادة او بالاقتصاد في الطاعة ربا الاحتراز عن الرياء والسمعة وعن الاشارة
والشهرة ولا لاظهار الاجر ان لابد له عليها السؤال والجواب فقالوا هل سمعت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيئا اي من الاحاديث تحدثنا به وافدنا من كلامه فانه اقوي تاثيرا والطف
تغييرا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سمع سمع الله به يوم القيامة سمع
مبناه ومعناه ومن شاق بصيغة المفاعلة اذا لم تكن للمبالغة فهي للمبالغة فالمعني ان من شق

على نفسه بان يكلفها فوق طاقتها او شق على غيره بان حمله فوق استطاعته ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة قال الطيبي اطلق ليشمل قسمي الشق الله وفي
نسخة صحيحة شاق الله عليه يوم القيمة قالوا اي الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم بدلنا لذلك
على ذكرهم ونحوا الصواب او صنفوا ان واهي به يجذب في ما هو المتبادر من فاعله رجوع الضمير
او مصنا فقال ان اول ما ينتن بفتح اوله اي ما يفسد من الانسان بطنه اي في الدنيا فانه يحرز
النتن او في القبر بالتفتح فمن استطاع ان لا ياكل الا طيبا اي حلالا فليفعل اي ما استطاع او معنى
نلنيا كل فان من عرف ان مال الماكول من الاحوال فلا ينبغي له ان يجتهد النفس من طريق الوبال
ولو تبلبل من المال ونذا الشدا براد بهم

وما في الاجوعة نذ سد ذتها ۞ وكل طعام بين جنبي واحد ۞

وتكلف الطيبي حيث قال نتن البطن كناية عن مسه النار وانما يتفرع على هذا النا ويدل نيقا
نزوله فمن استطاع ان لا ياكل الا طيبا اي حلالا ونظيره قوله تعالى الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا ولا دلالة على ان اول ما يمس النار منه هو البطن
ومن استطاع ان لا يحول اي من قدر ان لا يمنع بينه وبين الجنة او دخولها او لا من الفايز
ملا كف من دم اهراقه بفتح الها ويسكن اي صبه فليفعل اي ما استطاع مما ذكر وقد لا
بقوله ملا كف اشارة الى ان القليل يحول فكيف بالكثير وفيه اشعار الى سفه القاتل
بان فوت الجنة على نفسه بهذا الشي الحقير المنزل رواه البخاري وذكر السيوطي في باب
نتن الميت وبلا جسده الا الانبيا ومن الحق بهم من كتاب شرح الصدور في احوال القبور
اخرج البخاري من حديث جندب البجلي اول ما ينتن من الانسان من بطنه انتهى والظاهر من
عبارته ان الحديث بكماله مرفوع والله اعلم وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه خرج
يوما الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد معاذ بن جبل قاعدا عند قبر النبي صلى الله
عليه وسلم يبكي فقال له ما يبكيك اي اي شي يجعلك باكيا اشتياقا الى الانعام وتوقع من الله
بعض البلا او غير ذلك من اسباب البكا قال يبكيني شي سمعته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم جواب سوال مقدر بقوله ان يسير الريا اي قليله شرك اي عظيما او نوع من الشرك
يعني وهو في غاية من الخفا لانه ادق من دبيب النملة السودا على الصخرة الصما في الليلة الظلما
وقلما يسلم الا قويا فكيف الضعفا فهو من جملة اسباب البكا وسبب اخر ذكر الاوليا لانهم
اخفيا كما في الحديث القدسي اوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري والانسان لا يخلو من بذاذة
اللسان مع الاخوان مما يجر الى العصيان وكانه اراد هذا المعنى بقوله ومن عادى اي عادى اي
اذى واغضب بالفعل او القول لله وليا اي واحدا من اوليائه تعالى فقد بارز الله اي اظهر له
نفسه بالمحاربة وفي التعبير عن المخالفة بالمحاربة اشارة الى انها جراءة عظيمة وجناية جسيمة
قال الطيبي قوله لله لا يجوز ان يكون متعلقا بعادى فهو اما متعلق بقوله وليا او صفة له
تقدم فصار حالا منه ان الله يحب الابرار اي الذين يعملون عمل البر وهي الطاعة للحق والاحسان
للخلق وكذا قال بعض العارفين مدار الدين على التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله
الاتقيا اي عن الشرك الجلي والخفي وعن المناهي والملاهي الاخفيا اي عن نظر الخلق من غاية منهم
وعن مخالطتهم ومع شهرتهم الذين اذا غابوا اي من غاية الخمول لم يتفقدوا بصيغة المجهول
وفي القاموس تفقده طلبه عند غيبته ومنه قوله تعالى وتفقد الطير وان حضروا اي فيما بينهم
لم يدعوا بصيغة المفعول اي لم يطلبوا الى الدعوة وغيرها ولم يقربوا بالمجهول ايضا اي ولم يعرفهم
العامة ولم يعرفوا قدرهم ومقدار منزلتهم قال الطيبي قوله ان الله استيناف مبين الحكمة

الولي وذكر لهم احوالا ثلاثة اذا كانوا سفوا لم يتفقدوا وان كانوا حاضرين لم يدعوا الى ما دعيه وان
حضروه لم يقربوا وتركوا في صفة الغاية وهذا تفضيل ما ورد رب اشعث اغبر لا يوبه به لو اقسم
على الله لابره قلوبهم مصابيح الهدى اي بهم ادلة الهداية وهداة الغاية فيستحقون الرعاية
بل ينبغي ان يطلب منهم الحماية يخرجون من كل غبرا مظلمة اي من عهدة كل مسالة مشكلة وبلية
معضلة وقال الطيبي كناية عن خفاء مساكنهم وانها مظلمة مغبرة لفقرا زاده ما يتنورون
ويتنظف به رواه ابن ماجه اي في سننه والبيهقي في شعب الايمان وقد جا في صدر حديث
من احاديث الاربعين مما رواه البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب قال الراي اعلمته بمحاربته ومعاداته معي او بانه
محاربه واقهره وانتقم منه وانتصر له وفي رواية وليي لاغضب لاوليائي كما يغضب الليث
للجراء لولده وفي اخرى انه ينتقم بعد تمه للولي بحسب التركيب بر د على الغرب فكانه ترقى
منه سبحانه لاستغراقه في نور معرفته وجماله وجلاله وكمال مشاهدته واختلفوا في تعريف
فقال المتكلمون الولي من كان اتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل وبالاعمال
الشرعية اي كذلك ويؤيده ما قاله بعض الكبرا انه اذ كان العلما ليسوا باوليا فليس
لله ولي وقال الغزالي الولي من كوشف ببعض المغيبات ولم يامر بامداح الناس وفي كل
منها نظر اذ الكرامات للاولياء ليست من الشروط الصالحين لم يظهر عليهم كرامة وكشف خارق والجلا
بعض الخلق المناظرين فتفيد لتقوية قلوب الاولين وضعف دين الاخرين ولان الاوليا
هم العلما العاملون لا شك انهم كاملون في انفسهم موكلون لغيرهم فهم الامرون بالمعروف
والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله والواعظون عن الاشتغال بما سواه كما اشار
اليه الحديث بقوله مصابيح الهدى فطوبى لمن بهم اقتدى وبنورهم استضا واهتدى فالا
في معناه ما ذكره القشيري من ان الولي اما فعيل بمعنى المفعول وهو من يتولى الله حفظه
وحراسته على التوالي او بمعنى الفاعل اي من يتولى عبادة الله وطاعته ويتوالى عليها
من تخلل معصية وكلا الوصفين شرط في الولاية انتهى كلامه وفيه اشعار بان للتنويع
واياما في الاول الى المجذوب السالك المعبر عنه بالمريد وقد اشار اليهما سبحانه في قوله
الله يجتبي اليه من يشا ويهدي اليه من ينيب وتحقيقه ان يقال الولي هو من يتولى الله
بذاته امره فلا تصرف له اصلا اذ لا وجود له ولا ذات ولا فعل ولا وصف فهو الفاني بيد
الباقي كالميت بين يدي الغاسل يفعل به ما يشا فيحمي راسه وعينه واثره
ويحبه بحياته ويبقيه ببقائه ويوصله الى الغاية وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا صلى في العلانية فاحسن اي اداء صلاته بالقيام لشرايطها واجباته
وسننه ومستحباته وكذا في ساير طاعاته وعباداته وصلى في السر اي في الخلوة عن الخلق فاحسن اي عمله
اكتفا بنظر الحق قال الله تعالى هذا اي العبد عبدي اي المخلص حقا اي صدقا خالصا من ان يكون عمله
في العلانية نفاقا ولعل هذا هو السر في حثه صلى الله عليه وسلم ليصلي السنن والنوافل في البيت
رواه ابن ماجه وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون اي يوجد ويحدث في اخر الزمان
اقوام اي جماعة كثيرة او مختلفة مؤتلفة اخوان العلانية اعدا السريرة اي اصدقا في الظواهر واعدا في
السرائر ذكرهما من غير عطف على سبيل التعداد ومن قبيل الخبر بعد الخبر قال الطيبي في متعلق بهما
وفي تزيينها الجوهري السر ما يكتم والسريرة مثله فقيل يا رسول الله وكيف يكون ذلك اي ما ذكرتما
يكون سببه قال ذلك برغبة بعضهم الى بعض اي بسبب طمع طايفة منهم الى اخرى ورهبة بعضهم اي
خوفهم والحاصل انهم ليسوا من اهل الحب في الله والبغض لله بل امورهم متعلقة بالاغراض الفاسدة

والمقاصد الكاسدة فتارة يرغبون في قوم لاغراض فيظهرون لهم الصداقة وتارة يكرهون قوما لعلل
فيظهرون لهم العداوة وخلاصته انه لا عبرة بمحبة الخلق وعداوتهم فانهما مبنيتان على اغراضهم وشهواتهم
وعن شداد بن اوس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى يرائي اي مرائيا فقد اشرك
اي شركا خفيا كما سيجيء مصرحا به في اخر حديثه ومن صام يرائي فقد اشرك فيه اشعار ان الرياء
يدخل في الصيام ايضا خلافا لمن نفاه وعلله بان مدار الصوم على النية ولا يطلع عليها الرياء ولا عبرة
بعدم اكله وشربه مع عدم صحة الطوية فانا نقول الرياء لا يتصور في الصوم لكن الرياء قد يكون على وجه
الاشتراك بان يريد به وجه الله ويريد به ايضا التشهير او غرضا سواه بكون المقصدان متساويين
او متغالبين على ما تقدم تفصيل المرام في كلام الامام حجة الاسلام ومن تصدق يرائي فقد اشرك رواهما
اي الحديثين احمد وعنه اي عن شداد انه بكى فقيل له ما يبكيك قال شيء اي يبكيني شيء سمعت اي سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه استعمال من على اصله يقول اي حال كونه قائلا وفيه نوع من
التأكيد فذكرته اي المسموع او المقول فابكاني اي حضار ذلك سببا لحزني وبكائي وفيه نوع من
الاجمال ولذا استأنف بيانه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتخوف قال الراغب
التخوف توقع امر مكروه عن امارة مظنونة او معلومة والتخوف ظهور الخوف من الانسان انتهى والظاهر
ان الثاني لغة والمعنى اخاف خوفا كبيرا على امتي الشرك اي الخفي ويدل على صحة تقديرنا ما جاء في
رواية اخوف ما اخاف على امتي الاشراك بالله والشهوة الخفية اي التي لا يدركها الا اصحاب الرياضات
الرضية والمجاهدة القدسية والمخالفات النفسية قال قلت يا رسول الله اتشرك بالتذكير
ويؤنث امتك من بعدك قال نعم اما بالتخفيف للتنبيه على انه لا يريد به الشرك الجلي انهم لا يعبدون
شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا اي ولا صنما ونحو ذلك فهو تعميم بعد تخصيص وتكرير وذما علم
وقد قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والشهوة
الخفية ان يصبح احدهم صائما اي ناويا للصوم فيعرض بكسر الراء وقد يضم اي تظهر له شهوة من
شهواته اي كالاكل والجماع وغيرهما ذكره الطيبي والاظهر ان المراد بالشهوة الخفية شهوة خاصة غريبة الجود
مما هي مشتهية له ومحبة لا توجد في جميع اوقاته بل يميل اليها بالطبع ولا يلاحظ مخالفته للشرع
حيث قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم فان النفل يلزم بالشروع فيجب اتمامه فيترك صومه اي ويواقع
عليه مما عرض من شهوته الى ... قال الطيبي يعني ان الرجل في طاعة من طاعات الله تعالى فيعرض
له شهوة من شهوات نفسه يرجح جانب النفس على جانب الله تعالى فيتبع هوى نفسه فيؤديه
ذلك الى الهلاك والردى قال تعالى فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما
من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى انتهى وفيه ان المراد بالهوى في الاية
الشهوة الجلية وهي المحرمات والامور المنهية ثم قال وسمي خفيا لخفاء هذا كما ... ومشاكلة لقوله الشرك
لان المراد منه الشرك الخفي بدلالة ما ذكر في الحديث الاتي انتهى وفيه انه لا يظهر وجه المشاكلة
في الاطلاق ولا في التقييد بحسب المقابلة رواه احمد اي في مسنده والبيهقي في شعب
الايمان قال ميرك ورواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وفي الجامع الشهوة الخفية والرياء شرك
رواه الطبراني عن شداد ورواه ابن ماجه عنه ولفظه ان اخوف ما اخاف على امتي الاشراك بالله
اما اني لست اقول يعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ولكن اعمالا لغير الله وشهوة خفية
وعن ابي سعيد الخدري كما في نسخة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
نتذاكر المسيح الدجال فقال الا اخبركم قال الطيبي الا للتنبيه بدليل ان فيه دخلت عليها
همزة الاستفهام يعني بقرينة بلى في جوابهم والمعنى الا اعلمكم بما هو اخوف عليكم اي لعمومه وخفائه
عندي اي في شريعتي وطريقتي من المسيح الدجال اي لخصوصه وظهور فتنته فيجب رعاية

محافظة

محافظته فقلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي ان يقوم بدل مما قبله والتقدير هو ان يقوم الرجل
يصلي بالرفع والنصب وكذا قوله فيزيد في الكمية او للكيفية صلاته اي في جميع اركانها او بعضها
لما يرى من نظر رجل اي مخلوق مثله اليه ولم يكتف باطلاعه عليه سبحانه رواه ابن ماجه وعن محمود بن لبيد
الانصاري الاشهلي ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدث عنه احاديث قال البخاري له صحبة
وقال ابو حاتم لا يعرف له صحبة وذكره مسلم في التابعين وقال ابن عبد البر الصحيح قول البخاري
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك
الاصغر فيه دلالة على ان التعبير بالشرك الاصغر وقع في هذا الحديث اولا قال الرياء اي جنس الرياء
والسمعة من الظهور والخفاء رواه احمد والبيهقي في شعب الايمان يقول الله لهم اي للمرائين
يوم يجازي العباد على بناء الفاعل ونصب العباد وفي نسخة على بناء المفعول ورفع العباد باعمالهم
اي ان خيرا فخير وان شرا فشر اذهبوا اي ايها المراءون الى الذين كنتم تراءون اي في حسن العبادة او
اصلها في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء وخيرا الواو بمعنى او كما في نسخة او عطف تفسيري
والله اعلم قال الحافظ المنذري حديث محمود بن لبيد هذا رواه احمد باسناد جيد وابن ابي الدنيا والبيهقي
في الزهد وغيره وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رجلا عمل عملا
في صخرة اي في داخل حجر صلب زمانا وفي جوف كهف جبل لا باب لها ولا كوة بفتح الكاف وتضم وتشديد
الواو اي طاقة وثقبة بالفتح اذا كانت غير نافذة وبالضم اذا كانت نافذة فالاولى اولى لانه في باب
المبالغة لخرج عمله للناس اي اظهر عليهم كائنا ما كان اي من الاعمال وبنصب كائنا
على الحال اي حال كون ذلك اي شيء كان خيرا او شرا من الاقوال والافعال وفي نسخة من كان
فالتقدير كائنا ذلك العامل وصاحب العمل من كان اي شخصا اراد ظهوره او لم يرده لقوله والله
مخرج ما كنتم تكتمون وعن عثمان بن عفان بلا صرف ويصرف رضي الله تعالى عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من كانت وفي نسخة من كان له سريرة اي طوية صالحة او سيئة اظهر الله
منها اي من تلك السريرة رداء اي علامة من هيئة وصورة يعرف به اي يميز به عن غيره كما يعرف بالرداء
كون الرجل من الاعيان او غيره من الاعوان وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال انما اخاف على هذه الامة اي امة الاجابة كل منافق بالنصب والمعنى ما اخاف
عليهم الا شر كل منافق اي مراء او فاسق يتكلم بالحكمة اي بالشريعة والموعظة الحسنة ويعمل بالجور
اي بالطرق السيئة وبعد عن جادة الاستقامة وقال الطيبي جوز ان يكون كل منافق مجرورا
بدلا من هذه الامة فانه يقتضي ان يكون التقدير ما اخاف الا على كل منافق ولا يخفى فساده الا
سواء جعل بدل الكل او البعض فان المبدل حينئذ يكون في قوة المطروح ويقع الاهتمام بشأن
البدل فتأمل ثم لا يبعد استدراكه بقوله اي اخاف عليهم من النفاق فان هذا المعنى صحيح في
نفس الامر بالوفاق روى البيهقي الاحاديث الثلاثة في شعب الايمان وعن المهاجر بن حبيب
لم يذكره المؤلف في اسمائه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لست كل كلام الحكيم
اي جميع قول العالم وهو مفعول مقدم لخبر ليس اتقبل اي انظر الى الاقوال وحركات اللسان
بل انظر الى الاحوال وبركة الجنان وهذا معنى قوله ولكن اتقبل همه اي نيته ولو كان ... او ابدل
مراتب الخواطر وهواه وقصده المقرر في الاواخر لان نية المؤمن خير من عمله ... على طول
امله ولو بعد حلول اجله فان كان همه وهواه في طاعتي اي في موافقتي جعلت صمته اي سكوته
حمدا لي اي بمنزلة الثناء اللساني على وقارا اي سكينة وطمأنينة ورزانة في الحكم ومتانة
في العلم وان لم يتكلم اي بالحمد ونحوه ومفهومه فان كان همه وهواه في معصيتي اي مخالفتي جعلت
كلامه كله وزرا وان تكلم بالحمد واظهر علما وذكرا رواه الدارمي اي في مسنده انتهى والله اعلم

باب البكاء والخوف

جمع بينهما لتلازمهما غالبا وقدم البكاء ولو بسببه الخوف لظهوره أو لأنه أريد به الخوف
التعظيم فذكره بعد البكاء كالتتميم ثم البكاء بالقصر خروج الدمع مع الحزن وبالمد خروجه مع رفع
الصوت كذا قيل والمد أشهر والظاهر أن المراد به هنا المعنى الأعم لحمله على التجريد في أحد
معنييه هنا ثم الفصل الأول عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم أي من عقاب الله للعصاة وشدة المناقشة يوم الحساب
للعتاة وكشف السرائر وخبث النيات لبكيتم جواب القسم الساد مسد جواب لو كثيرا أي
بكاء كثيرا أو زمانا كثيرا من خشية الله ترجيحا للخوف على الرجاء وخوفا من سوء الخاتمة ولضحكتم
قليلا وكان الحديث مقتبس من قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال الغزالي هذا الحديث
من الأسرار التي أودعها قلب محمد الصادق الأمين ولا يجوز إفشاء السر فإن صدور الأحرار قبور
الأسرار بل كان يذكر ذلك حتى يبكوا ولا يضحكوا فإن البكاء ثمرة شجرة حياة القلب أعني بذكر الله
استشعار عظمته وهيبته وجلاله والضحك نتيجة القلب الغافل عن ذلك فالحديث تحريض
الخلق على طلب القلب الحي والتعوذ من القلب الغافل رواه البخاري أي من حديث أبي
هريرة وهو متفق عليه من حديث أنس وكذا رواه الترمذي والنسائي ذكره ميرك وفي الجامع رواه أحمد
والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس والحاكم عن أبي هريرة ورواه الضياء عن أبي
ذر وزاد لما ساغ لكم الطعام والشراب ورواه الطبراني والحاكم والبيهقي عن أبي الدرداء ولفظه
لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى
لا تدرون تنجون أو لا تنجون وسيأتي في هذا الحديث في الفصل الثاني مطولا وروي
أن المنادي ينادي من السماء ليت هذا الخلق لم يخلقوا وليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا
وعن الصديق الأكبر أنه قال وددت أني أكون خضرا تأكلني الدواب مخافة العذاب وعن
عمر الفاروق أنه سمع إنسانا يقرأ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا
فقال ليتها تمت بل ورد عنه صلى الله عليه وسلم في رواية أنه قال ليت رب محمد لم يخلق
محمدا وعن الفضيل أنه قال إني لا أغبط ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا عبدا صالحا أليس
هؤلاء يعاينون يوم القيامة إنما أغبط من لا يخلق وعن أم العلاء الأنصارية هي من المبايعات
روى عنها خارجة بن زيد بن ثابت وهي أمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودها في مرضها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أدري وفي نسخة والله لا أدري مكررا
وأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة حالية ما يفعل بي ولا بكم مفعول لا أدري ودخول
لا المزيدة لتأكيد النفي إشعارا بأن النفي في كل واحد من الفعلين على حدة قال الطيبي فيه وجوه أحدها
أن هذا القول منه حين قالت امرأة عثمان بن مظعون لما توفي هنيئا لك الجنة زجرا لها على
سوء الأدب بالحكم على الغيب ونظيره قوله لعائشة حين سمعها تقول طوبى لهذا عصفور
من عصافير الجنة قلت لا يخفى أن هذا سبب ورود الحديث وزمان صدوره ولا مدخل
له في إزالة إشكال معناه وثانيها أن يكون هذا منسوخا بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر كما ذكره ابن عباس في قوله تعالى لا أدري ما يفعل بي ولا بكم قلت وبناء
النسخ على تقدير صحته تأخيرا لأن النسخ إنما يكون في الأحكام لا في الأخبار كما هو مقرر في
الاعتبار وثالثها أن يكون نفيا للدراية المفصلة لا المجملة قلت هذا هو الصحيح ورابعها أن
يكون مخصوصا بالأمور الدنيوية من غير نظر إلى سبب ورود الحديث قلت وهذا مندرج فيما

قبله

قبله والحكم بطريق الأعم هو الوجه الأتم والمراد من الأمور الدنيوية بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم
في الجوع والعطش والشبع والري والمرض والصحة والفقر والغنى وكذا حال الأمة وقيل المعنى أخرج
من بلدي أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي أو ترمون بالحجارة أم يخسف بكم كالمكذبين من قبلكم والحاصل
أنه تبرى في علم الغيب عن نفسه وأنه ليس يطلع على المكنون قال التوربشتي لا يجوز حمل هذا
وما ورد في معناه على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مترددا في عاقبة أمره غير متيقن بما له عند الله
من الحسنى لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الصحاح التي ينقطع العذر دونها بخلاف
ذلك وفي نحو ذلك وهو المخبر عن الله تعالى أنه يبلغه المقام المحمود وأنه أكرم الخلائق
على الله تعالى وأنه أول شافع وأول مشفع إلى غير ذلك رواه البخاري وعن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي النار أي أظهرت لي ولعلها فرأيت فيها امرأة من بني
إسرائيل أي مؤمنيهم تعذب في هرة أي في شأنها ومن أجلها وفي نسخة في هرة لها ربطتها
استئناف بيان فلم تطعمها أي كفايتها ولم تدعها أي ولم تتركها تأكل بالرفع والجملة حال أي تصيد
وتأكل من خشاش الأرض بفتح الخاء المعجمة ويكسر ويضم في القاموس الخشاش مثلثة حشرات
الأرض وقال ابن الملك هو بفتح الخاء المعجمة وكسرها وضمها والفتح أظهر وفي النهاية وروي
بالحاء المهملة يابس النبات وهو وهم حتى ماتت أي الهرة جوعا ورأيت عمرو بن عامر الخزاعي
بضم الخاء المعجمة نسبة إلى بني خزاعة قبيلة مشهورة قال التوربشتي هو أول من سن عبادة الأصنام
بمكة وحمل أهلها بالتقرب إليه بتسييب السوائب وهو أن يترك الدابة فتسيب حيث شاءت
لا ترد عن حوض ولا علف ولا يتعرض لها بركوب ولا حمل وكانوا يسيبون العبيد أيضا بأن يعتقوهم
ولا يكون الولاء للمعتق ولا على المعتق جرير ماله فيضعه حيث شاء وقد قال لا سائبة في الإسلام يجر أي يجر
قصبه بضم قاف وسكون صاد مهملة أي معاه في النار وفي لفظ النبي صلى الله عليه وسلم كوشف
من سره بما كان يعاقب به في النار أنه استخرج من باطنه بحضرته
الخبيثة بالتزمه الجريمة وكان أول من سيب السوائب أي وضع تحريم السوائب جمع سائبة
وهي ناقة يسيبها الرجل لبرء من المرض أو قدوم من السفر فيقول ناقتي سائبة فلا يمنع
من المرعى ولا ترد عن حوض ولا عن علف ولا يحل عليها ولا يركب ولا يحلب وكان ذلك تقربا
منهم إلى أصنامهم وهي ناقة ولدت عشر إناث في التوالي ذكره ابن الملك رواه مسلم أي من
حديث طويل يتضمن ذكر صلاة الكسوف عن جابر واتفق البخاري على إخراج حديث النهي
عن ابن عمر وعن أبي هريرة أيضا المستثنى منه ذكر عمرو بن عامر بكذا يريد بحديث عمرو من حديث أبي هريرة
كذا نقله ميرك عن التصحيح وفي الجامع رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وكان
أول من سيب السوائب وبحر البحائر إذا نتجت الناقة خمسة أبطن بحروا أذنها أي شقوها
وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وعن زينب بنت جحش إحدى أمهات المؤمنين أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوما فزعا بفتح فكسر أي خائفا يقول لا إله إلا الله ويل للعرب
في القاموس الويل حلول الشر وهو تفجيع انتهى وخص بذلك العرب لأنهم كانوا معظم من أسلم
حينئذ من شر أي خروج حبشي يقال للعرب قد اقترب أي قرب ذلك الشر في القرب بيانه
قوله فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج بالألف وبهمز فيهما بلا انصراف والمراد بالردم السد
والاسم المصدر فيه سواء وهو السد الذي بناه ذو القرنين مثل هذه بالرفع على أنه نائب
الفاعل لقوله فتح والإشارة إلى الحلقة المبينة بقوله وحلق بتشديد اللام أي جعل حلقة
بإصبعيه أي بضمهما الإبهام والتي تليها بالنصب على أنه مفعول حلق أو على تفسير الإصبعين
بعقد تسعين ويجوز جرهما على البدلية والمراد أنه لم يكن في ذلك الردم ثقبة إلى اليوم وقد

انقضت فيه اذا انفتاحه من علامات قرب الساعة فاذا انشقت خرجوا وذلك بعد خروج الدجال
كما سيأتي في قربيا ويأجوج ومأجوج جنسان من بني آدم وطائفتان كافرتان من الترك قالت
زينب يا رسول الله افنهلك بصيغة المجهول من الاهلاك وفي نسخة صحيحة بفتح النون
وكسر اللام وفينا الصالحون اي انعذب فنهلك عن معشر الامة والحال ان بعضنا مؤمنون وفينا
الطيبون الطاهرون ويمكن ان يكون من باب الاكتفاء في تقدير الاستغناء ام وفينا الصالحون ومنا
الفاسقون قال نعم اي يهلك الطيب ايضا اذا كثر الخبث بفتحتين اي الفسق والفجور والشرك
والكفور وقيل معناه الزنى والمقصود ان الشر اذا وقعت في موضع واشتدت كلمت الرطب
واليابس وغلبت على الطاهر والنجس ولا تفرق بين المؤمن والمنافق والمخالف والموافق
وسيأتي ان الله اذا انزل بقوم عذابا اصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على اعمالهم وفي
نسخة صحيحة الخبث بضم فسكون اي الفواحش والفسوق او معناهم واحد متفق عليه
وروى ابو داود والحاكم عن ابي بردة وعبد الله بن ... اقترب ... من كف يده وعن ابي عامر هو عم ابي موسى
الاشعري واسمه عبيد بن وهب او ابي مالك الاشعري وفي ... الاشجعي واسمه مختلف فيه وقد اخرج
حديثه البخاري بالشك فقال عن ابي مالك الاشعري او ابي عامر قال اي احدهما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ليكونن من امتي كذا هو في نسخ البخاري اي من جملتهم ووقع في المصابيح في امتي
اقوام اي جماعات يستحلون الخز بفتح الخاء المعجمة وتشديد الزاي نوع من الحرير ... والحرير تخصيص بعد
تعميم والمراد بالنهي عن الخز هو الركوب عليه وفرشه للوطء لانه من الاسراف وهو مكروه والا فلا وفيه
من لبسه فانه مشوب شيء وصوف وابريسم نعم اذا كان لحمته حريرا وسداه غيره فممنوع لبسه الا
في الحرب بخلاف العكس فانه قطيفي مشروع لبسه والمعازف بفتح الميم اي آلات اللهو يضرب بها كالطنبور
والعود والمزمار ونحوها والمعنى يعدون هذه المحرمات حلالات بايرادات شبهات وادلة واهيات منها
ما ذكره بعضهم بناء ان الحرير انما يحرم اذا كان ملتصقا بالجسد واما اذا لبس من فوق الثياب
فلا بأس به وهذا بعيد من عرف نقلي ولا عقلي ولا طلاق كلام الشارع صلى الله عليه وسلم بقوله من
لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وكثير من الامراء والعوام اذا قيل لهم لبس الحرير حرام يقولون
لو كان حراما لما لبسه القضاة وعلماء الاعلام فيقعون في استحلال الحرام وكذلك البعض العلماء
تعلقات بالمعازف يطول بيانها فاعرضت عن تفصيل شأنها فانه يحتاج الى مصنف مستقل
في تبيانها وهذا الحديث مؤيد لقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله
بغير علم وروى ابن ابي الدنيا في ذم الملاهي عن انس مرفوعا ليكونن في هذه الامة خسف وقذف
ومسخ وذلك اذا شربوا الخمور واتخذوا القينات وضربوا المعازف اي اذا فعلوا هذه الاشياء مستحلين
لها ولينزلن اقوام اي منهم على ما هو الظاهر من استحقاقهم العذاب الى جنب علم اي جبل يروح اي
يسير عليهم بسارحة لهم اي ماشية لهم والباء زائدة في الفاعل وقيل الصواب يروح عليهم رجل بسارحة
ذكره الطيبي والاظهر ان الفعل نزل منزلة اللازم والتقدير يقع السير عليهم بسبب ماشية ... شاة
لطيفة الى انهم في سيرهم فما يعرف لخيرا فانهم على مقتضى الطباع الحيوانية والشهوات النفسانية
فاركون من بعض العلماء بالآيات القرآنية والاحاديث النورانية ولذا وقعوا فيما وقعوا ولا وجه ... زوا
الى ما نقلوه اجازة قيل الاظهر ان الفاعل ضمير مفهوم من السياق اي يأتيهم راعيهم كل حين بسارحة
اي ماشية لهم تسرح بالغداة فينتفعون بالبانها واوبارها يأتيهم رجل لحاجة اي ضرورية والا فهم
مبعودون من ان يأتيهم الناس ومن ان يحصل لهم احد من المؤمنين بشيء من الاستئناس
فيقولون اي تعللا وبخلا ثم الا ارجع الينا غدا اي فيقتضي حاجتك او تؤدي طلبتك من غير
ان يقولوا ان شاء الله فيبيتهم الله بتشديد اي يهلكهم الله بالليل فانه ... بالويل ويضع وقع

الله

الله ويسقط العلم اي الجبل على بعضهم كما يدل عليه قوله ويمسخ آخرين قردة وخنازير اي ويحول صور
بعضهم الى صورة القردة والخنازير نصبهما بنزع الخافض او بايصال الفعل اليهما في القاموس مسخه كمنعه حول
صورته الى اخرى ولعل المراد ان شبابهم صاروا قردة وشيوخهم خنازير لكثرة ذنوب الكبار وتخفيف
امر الصغار فان القردة فيها نوع من الحركة ومشابهة بجنس الانساني وقوله الى يوم
القيامة اشارة الى ان مسخهم امتد الى الموت وانهم يموتون منه ويمكن ان يكون حشرهم
على تلك الصورة ايضا رواه البخاري وكذا ابو داود وروى الطبراني عن ابي امامة ليبيتن اقوام من
امتي على اكل ولهو ولعب ثم ليصبحن قردة وخنازير وفي بعض نسخ المصابيح الحر بالحاء المكسورة والراء
اي المخففة المهملتين وهو تصحيف وانما هو بالخاء اي المفتوحة والزاي اي المشددة المعجمتين نص عليه
الحميدي اي الجامع بين الصحيحين وابن الاثير اي صاحب جامع الاصول في هذا الحديث وفي كتاب الحميدي
عن البخاري اي رواية عنه ايضا وكذا في شرحه اي شرح البخاري للخطابي تروح قيل بانا بيت ويحر
تذكير بل هو الاظهر فتقدير عليهم سارحة لهم اي بغنم الجماعة يأتيهم لحاجة اي يحدث الفاعل والتقدير
يأتيهم الآتي والمحتاج او الرجل على ما يفهم من السياق وللاسم علي يأتيهم طالب حاجة على ما ذكره
العسقلاني والله اعلم ثم للشراح هنا مباحث شريفة واجوبة لطيفة منها قول الشيخ التوربشتي
الحر بتخفيف الراء الفرج وقد صحف هذا اللفظ في كتاب المصابيح وكذلك صحفه بعض الرواة من
اصحاب الحديث فحسبوه الخز بالخاء والزاي المنقوطتين حتى ثبت لي انه صحف او تبع رواية بعض من
لم يعلم والحر لم يجر مجرى يستحل ولقد وجدت من اكابر مراعي عظام من كان يعرف بعلم الحديث
وحفظه فقد كان ذنبه بالخاء والزاي المنقوطتين حتى تبين لي انه صحف او تبع رواية بعض من لم يعلم ومنها
قوله ايضا يرجع عليهم بسارحة سقط منه فاعل يروح فاستبهم المعنى على من لم يعلم به وانما الصواب
يروح عليهم رجل بسارحة لهم كذا رواه مسلم في كتابه وانما السهو من المؤلف لانا وجدنا النسخ سائر
على ذلك ومنها قوله ويضع العلم سقط كلمة ويقع عليهم انتهى وقد يده ما ذكره صاحب المفاتيح من شراح
المصابيح من ان الحر مهملة مكسورة وراء مهملة مخففة فاصله الحرح فحذفت الحاء الاخيرة وجمعه
احراح والحر الفرج يعني انه يكون جماعة في آخر الزمان يزنون ويعتقدون ان اذا رضي الزوج والمرأة
حل منها جميع انواع الاستمتاعات ويقولون المرأة مثل البستان فكما ان لصاحب البستان ان
يبيح ثمرة بستانه لمن شاء فكذلك للزوج ان يبيح زوجته لمن شاء والذين لهم حظ هذا الاعتقاد
هم الحيول والملاحدة واما لبس الحرير فهو حرام على الرجال ومن اعتقد حله فهو كافر وفي هذا
الحديث اختلف نسخ المصابيح في موضعين احدهما في الحر فانه في بعض النسخ بالخاء والزاي
المعجمتين والصواب ما قلنا فانه ذكر في سنن ابي داود بالحاء والراء المهملتين والموضع الثاني
والموضع الثاني قوله يروح عليهم رجل بسارحة لهم وفي بعض النسخ هكذا وفي بعضها يروح
عليهم من غير لفظ رجل والرجل مذكور في سنن ابي داود وزاد في هذا الحديث انه يكون في آخر
الزمان يزول العقل ومسخ الصور فليجتنب المؤمن العاصي كيلا يقع في العذاب ومسخ الصور
قال الطيبي بعد نقله كلام الشارح الاول اما قوله فقد صحف الى آخر كلامه فما ذكره الحميدي في الجمع
بين الصحيحين في هذا الحديث بعد ما روى يستحلون الخز بالخاء والزاي المعجمتين قلت معارضة
الحكم لا يصلح ان يكون جوابا قال وما الذي ذكره ابو اسحاق الحربي في باب الحاء والراء ليس من هذا في شيء
انما هو حديث آخر عن ابي ثعلبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول دينكم نبوة ورحمة ثم ملك ورحمة
ثم ملك وجبرية ثم ملك عضوض يستحل فيه الحر والحرير يريد استحلال الحرام من الفروج وهذا لا يتفق مع الذي اخرجه
البخاري ولذلك اخرجه ابو داود وفي السنن في كتاب اللباس في باب الخز ولباسه وانما ذكرنا ذلك
لانه من ان اساس يتوهم في ذلك شيئا فنبيناه وحديث ابي ثعلبة ليس من شرط الصحيح ثم كلامه اي

كلام في اسحاق وقريب منه ما ذكره صاحب النهاية في باب الحاء والراء المهملتين قلت كونه حديث اخرجه مسلم
لكنه مؤيد للمنازع فيه بل نص في المعنى المراد ولا يضر انه ليس في شرط الشيخين اذا ثبت صحته والامر
توافق الاحاديث لان بعضها يفسر بعضا لاسيما والخز بالزاي ليس من المحرمات حتى يكون استحلاله
من الكفريات ثم رايت في الجامع الصغير لابن عساكر عن علي مرفوعا اوشك امتي ان تستحل
فروج النساء والحرير واما قوله ثانيا والخز لم يحرم حتى يستحل فجوابه ما ذكره ابن الاثير في النهاية
في حديث انه نهى عن ركوب الخز والجلوس عليه والخز المعروف في الزمن الاول ثياب تنسج من
صوف وابريسم وهي مباحة وقد لبسها الصحابة والتابعون فيكون النهي عنها لاجل التشبيه
بالعجم وزي المترفين وان اريد بالخز النوع الاخر وهو المعروف الان فهو حرام لان جميعه معمول
من الابريسم وعليه يحمل الحديث الاخر يعني هذا الحديث يستحلون الخز والحرير ثم كلامه اي كلام
ابن الاثير وفيه ان كون الركوب في الخز وفراشه مكروها مع ان الحرير كذلك لا يقتضي ان استباحته
كفر يوجب العذاب لاسيما والخز لغة واصطلاحا في زمنه صلى الله عليه وسلم لان من جملة المباحات
فكيف يصح ان يحمل عليه واما ما تعورف عند بعض الناس من حمل الخز على الابريسم فيبعد كلامه
صلى الله عليه وسلم ان يفسر به لاسيما وقوع تكراره مع صريح لفظ الحرير على ان الخز لا يكره فانه
حرام في المعنى الاول وفي الثاني يلزم عطف الشيء على نفسه او كيف يحمل وانه لم يكن مصطلحا حينئذ
والجواب عن الاول انه صلى الله عليه وسلم ذهب الى التغليب لارادة التغليظ قلت التغليب
تغلب وعن ظاهره تغلب قال والجواب عن الثاني انه عطف بيان وعن الثالث بانه اخبار
عن الغيب فكان معجزة قلت عطف البيان مسلم لو كان الخز في زمنه يطلق على الحرير واما
جعله معجزة بانه يطلق بعده على الحرير ففيه نهاية من البعد قال واما قوله ثالثا سقط منه كلمة
يروح فالتبس المعنى فجوابه انه ما التبس منه بل رواه البخاري كما في المصابيح ولكن الحميدي
والخطابي وصاحب جامع الاصول ذكروا انروح عليهم بسارحة بالتاء المثناة بنقطتين
من فوق وبرفع سارحة في الفاعلية فوجب ان يقال ان الباء زائدة في الفاعل كما
استدل بقول امرئ القيس شعر

الا هل اتاها والحوادث جمة ... بان امرأ القيس بن تملك بيقرا

قلت لا شك في وقوع الالتباس على تلك النسخة وزيادة الباء في النسخة وزيادة الباء
في الفاعل من مختصات كفى والبيت ليس نصا في المعنى بل الاظهر فيه حذف الفاعل على ما جوزه
بعضهم قال واما نسبته الى مسلم وانه رواه في كتابه كذا فسهو لاني ما وجدت الحديث في كتاب
مسلم فكيف وقد اورده الحميدي في افراد البخاري فحسب وصاحب جامع الاصول رواه عن
البخاري وابي داود قلت من حفظ حجة على من لم يحفظ والمثبت مقدم على النافي والشيخ ثقة محقق
لاسيما وهو في صدد الاحتجاج قال واما قوله ان يقال قد سقط منه كلمة عليهم فاني ما وجدت في
الاصول هذه الكلمة مثبتة قلت ثبتت المدعي فلا تنافي مع ثبت وجوده في بعض واسناده الى مسلم
واسناده مسلم ثم قال فان قلت كيف يكون نزول بعضهم الى جنب علم ورواح سارحتهم
عليهم وورود الحاجة بالمطل والتسويف سببا لهذا العذاب الاليم والنكال الهائل العظيم
قلت انهم لما بالغوا في الشح والمنع بولغ في العذاب وبيان ذلك ان في ايثار ذكر العلم
في الجبل ايذانا بان المكان مخصب مرتع ومقصد لذي الحاجات فيلزم منه ان يكونوا ذوي ثروة
وموئلا للملهوفين فما دل خصوصية المكان على ذلك المعنى دل خصوصية الزمان في قوله تروح
عليهم سارحتهم وتقديره في المبهمة للاستعلاء على ان ثروتهم حينئذ اوفر واظهر وان احتياج
الوارد اليهم اشد اكثر لانهم احوج ما يكونون حينئذ وفي قولهم ارجع الينا غدا ادماج لمعنى

الكذب

الكذب وخلف الموعد واستهزا بالطالب فاذا لبثنا هلكوا قلت هذا كله لم يعد استحقاق العذاب
الشديد من المسخ المقترن الى يوم القيامة قال اهل الكفر ارشدنا الصواب ما قررناه وفيما سبق قدرناه وحررناه
قال وانما قلنا ان العلم بركة في السنة والمقصد لقول الاحتشاد في مدح اخيه كانه علم في راسه
نار يهتدي به على ان ذاك مشهور ومعروف وملجأ للملهوفين وما من للمطرين فان رواح السارحة
دل على وفور اثوابه وظهورها كقوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون قال صاحب
الكشاف فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة
اظهر اذا اقبلت ملاء البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر قال الخطابي فيه بيان ان
المسخ قد يكون في هذه الامة وكذلك الخسف كما كان في سائر الامم خلاف قول من زعم ان ذلك
لا يكون انما مسخها بقلوبها اقول قد جاء في الاحاديث من نفيها فهو اما محمول على اول زمان
الامة فهو عام خص منه اخر الزمان بهذا الحديث واما محمول على مسخ جميع الامة وخسفهم
والمثبت منهما ما وقع لبعضهم والله اعلم وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا انزل الله بقوم عذابا اصاب العذاب من كان فيهم اي جميعهم الصالحين والطالحين
ثم بعثوا اي يوم القيمة على اعمالهم اي بعث الصالح على عمله وكذا الطالح قال المظهر يعني اذا اذنب
بعض القوم نزل العذاب بجميع من كان في القوم سوا فيه في الذنب وغيره بشؤمهم لكنهم يجزون
يوم القيمة على حسب اعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر متفق عليه اي من حديث عبد الله بن عمر
ابن الخطاب عن ابيه ذكره ميرك فكان حق المؤلف ان يبين ان الحديث في ابن عمر رضي الله عنه وعن جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث اي يحشر يوم القيمة كل عبد على ما مات عليه اي
من العمل خيرا كان او شرا فيجازي به رواه مسلم وكذا ابن ماجه وفي رواية احمد عن ابي
هريرة مرفوعا يبعث الناس على نياتهم

الفصل الثاني عن ابي هريرة

رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايت فيه معنى التعجب
اي ما علمت مثل النار اي شدة وهولا نام هاربها مغفولا فان قيل يمكن ان يكون رايت
بمعنى ابصرت فيكون الجملة صفة او حالا اي ضارفا عنها وينبغي للهارب من عذاب
النار ان يعزم على الفرار ولا مثل الجنة اي من نعمة ونزها نام طالبها وينبغي له ان يجد كل الجد في
امتثال الاوامر ليدرك الجنة رواه الترمذي وكذا الطبراني في الاوسط عن انس وعن ابي ذر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون اي ابصر ما لا تبصرون بقرينة قوله
واسمع ما لا تسمعون ثم بين سماعه لغرابته ولكونه نتيجة ما راه بقوله اطت السماء بتشديد الطا
من الاطيط وهو صوت الاقتاب واطيط الابل اصواتها وحنينها على ما في النهاية اي صوتت
وحق بصيغة المجهول اي وينبغي ويستحق لها ان تئط اي تصوت ثم بين سببه وهو ما راه من
الكثرة بقوله والذي نفسي بيده ما فيها اي ليس في السماء جنسها موضع اربعة اصابع بالرفع
على انه فاعل للظرف المعتمد على حرف النفي والمذكور بعد الا في قوله الا وملك حال منه اي
وفيه ملك واضع جبهته لله ساجدا اي متذللا ويشهد ما فيها ان بعضهم قيام وبعضهم ركوع
وبعضهم سجود كما قال تعالى حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم او خصه باعتبار
الغالب منهم او هذا مختص باحدى السموات والله اعلم ثم اعلم ان الاربعة تعرفها في جامع الترمذي
وابن ماجه ومع الفا في شرح السنة وبعض نسخ المصابيح وشبه ان لا صيغ يذكر وقد تؤنث
قال الطيبي اي ان كثرة ما فيها من الملائكة قد اثقلها حتى اطت وهذا مثل وايذان بكثرة الملائكة
وان لم يكن ثم اطيط وانما هو كلام تقريب اريد به تقرير عظمة الله تعالى قلت ما المحوج الى عدول
كلامه صلى الله عليه وسلم من الحقيقة الى المجاز مع امكانه عقلا ونقلا حيث صرح بقوله واسمع ما

يشهدون مع انه يحتمل ان يكون اطيط السماء صوتها بالتسبيح والتحميد والتقديس والتمجيد لقوله
سبحانه وان من شيء الا يسبح بحمده لا سيما وهي معبد المسبحين والعابدين ومنزل الراكعين والساجدين
والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء في الفرشات بضم الفاء
والراء جمع فرش فهو جمع الجمع للمبالغة ولخرجتم اي من منازلكم العامرة الى الصعدات بضمتين
اي الى الصحارى والخرابات واختيار الجمع للمبالغة والصعد جمع صعيد كطرق جمع طريق وطرقات والصعيد
هو الطريق وفي الاصل التراب اي لخرجتم الى الطرقات البرارى والصحارى وتركتم الناس كما يفعله المحزون
لبث الشكوى والهم المكنون والاظهر ان الصعيد هو وجه الارض وقيل التراب ولا معنى له هاهنا
قال التوربشتي المعنى لخرجتم من منازلكم الى الجبانات متضرعين الى الله تعالى ومن حال المحزون
ان يضيق به المنزل فيطلب الفضاء الخالي ليشتكو ابثه قال ابو ذر يا ليتني كنت شجرة تعضد
بصيغة المجهول اي تقطع وتستاصل وهذا التمني من كمال خوفه من عذاب ربه رواه احمد والترمذي
وابن ماجه قال التوربشتي قوله يا ليتني هو من قول ابي ذر ولم يتبين في كتاب احد ممن نقل
هو عنه كنا بيننا ابو ذر ادرج في الحديث ومنهم من قال قيل هو من قول ابي ذر وقد علموا
انه بكلام ابي ذر اشبه والنبي صلى الله عليه وسلم اعلم بالله من ان يتمنى على حالة هو فيها وضع عما
هو فيه ثم انها مما لا تكون قال الطيبي في جامع الترمذي وجامع الاصول هكذا الاخبار ووالله
الله لوددت اني شجرة تعضد وفي رواية ان اباذر قال لوددت اني شجرة تعضد وروي عن
ابي ذر موقوفا وفي سنن ابن ماجه كما في المتن ونسخ المصابيح قال ابو ذر يا ليتني الى اخره
وللبحث فيه مجال وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف اي البيات
والاغارة من العدو وقت السحر ادلج اي سار اول الليل ومن خاف فوت المطلوب اسهر
في طلب المحبوب ومن ادلج اي بالسير بلغ المنزل اي وصل الى المطلب قال الطيبي هذا مثل
ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لسالك الاخرة فان الشيطان على طريقه والنفس وامانيه
الكاذبة اعوانه فان تيقظ في سيره واخلص النية في عمله امن من الشيطان وكيده ومن قطع
الطريق باعوانه ثم ارشد الى ان سلوك طريق الاخرة صعب وتحصيل الاخرة متعسر لا يحصل
بادنى سعي فقال الا بالتخفيف ان سلعة الله اي متاعه من نعيم الجنة المعبر عنه بالحسنى
وزيادة غالية بالغين المعجمة اي رفيعة القدر الا ان سلعة الله اي الغالية الجنة اي
العالية والمعنى ثمنها الاعمال الباقية المشار اليها بقوله سبحانه والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير مردا والمومى اليه بقوله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة رواه الترمذي وكذا الحاكم وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول
الله جل ذكره اي عظم ذكره وتعز ذاكره وما احسن موقع ذكره في هذا المقام من حيث انه يد
لوطيه لذكره في الامام وخوفه في كل مقام اخرجوا من النار من ذكرني اي بشرط كونه مومنا
مخلصا يوما اي وقتا وزمانا او خافني في مقام اي مكانا في ارتكاب معصية من المعاصي
كما قال تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى قال
الطيبي اراد الذكر بالاخلاص وهو توحيد الله عن اخلاص القلب وصدق النية والا
فجميع الكفار يذكرونه باللسان دون القلب يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم من
قال لا اله الا الله خالصا من قلبه دخل الجنة والمراد بالخوف كف الجوارح عن المعاصي
وتقييدها بالطاعات والا فهو حديث نفس وحركة لا يستحق ان يسمى خوفا وذلك عند مشاهدة
سببها واذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة قال الفضيل اذا قيل
لك هل تخاف الله فاسكت فانك اذا قلت لا كفرت واذا قلت نعم كذبت اشار الى ان الخوف

الذي

الذي هو كف الجوارح عن المعاصي رواه الترمذي اي في سننه والبيهقي في كتاب البعث والنشور
وعن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية والذين يؤتون ما اتوا
اي يعطون ما اعطوه من الزكاة والصدقات وقرئ ياتون ما اتوا بالقصر اي يفعلون ما فعلوه
من الطاعات وقلوبهم وجلة اي خائفة ان لا يتقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ
به وتمامه انهم الى ربهم راجعون اي لان مرجعهم الى الله اولئك يسارعون في الخيرات اي
يرغبون اشد الرغبة فيبادرونها وهم لها سابقون اي لاجلها فاعلون السبق او سابقون
الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة قال الطيبي هو هكذا في نسخ المصابيح وهي
القراءة المشهورة ومعناه يعطون ما اعطوا وقرئ شاذا وعليه قراءة عائشة رضي الله تعالى عنها اهم الذين
يشربون الخمر ويسرقون لا يطابقها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتون ما اتوا بغير
مد اي يفعلون ما فعلوا وسؤالها مطابق لهذه القراءة وهكذا في تفسير الزجاج والكشاف
قلت مودى القراءتين واحد لان المراد بالقراءة التي ذكرها المنسوبة الى النبي صلى الله عليه
وسلم قبل قطع طرق التواتر يفعلون ما فعلوه من الطاعة لما ظنت عائشة ان المراد
به ما فعلوه من المعصية ولا المعنى الاعم من الخير والشر لعدم مطابقته لقوله سبحانه
اولئك يسارعون في الخيرات قال اي النبي صلى الله عليه وسلم لا اي ليس هم اولئك
المراد من الاية امثالهم يا بنت الصديق وفي نسخة يا ابنة الصديق وفي هذا النداء منقبة
عظيمة لها ولابيها في وجه التحقيق فكانه قال اليس كذلك وانت العالمة في ما هو
المتعارف من حسن الادب بين الاحباب ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون
فهذا التفسير لقوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا في القراءتين فان بيانه في كل نوع منهما
تغليب فالمشهورة ظاهرها متعلق بالعبادة المالية كما ان الشاذة متعلقة بالطاعة البدنية
في ان المشهور يمكن الاكتفاء في تفسيرها بيعطون في انفسهم ما اعطوا من الطاعة
فيشمل النوعين من العبادة وهم يخافون ان لا يقبل منهم اي لانهم يخافون مما يدل
قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فانه لا يصح ان يحمل على شرب الخمر وسرقة المال
وسائر السيئات رواه الترمذي وابن ماجه وعن ابي بن كعب قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا ذهب ثلث الليل قام فقال يا ايها الناس اراد به النائمين من اصحابه الغافلين
عن ذكر الله ينبههم عن النوم ليشتغلوا بالذكر لله تعالى والتهجد وفي هذا ماخذ للمذكرين
من المومنين دائما ينبغي لهم ان يقولوا قد مضى الثلثين من الليل وفيه اشارة الى الحث
القيام في الثلث الاخير من الليل استحبابا موكدا اذكروا الله اي بوحدانيته وذاته
وسائر صفاته اذكروا الله اي عقابه وثوابه لتكونوا بين الخوف والرجاء ومن قال
تعالى فيهم تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وفي نسخة اذكروا الله
ثلاث مرات اي الاءه ونعماه وسراه وضراه جاءت الراجفة فيه اشارة الى قوله تعالى يوم ترجف
الراجفة عبر بصيغة الماضي لتحقق وقوعها فكانها جاءت والمراد انه قارب وقوعها فاستعدوا
لتهويل امرها والراجفة هي الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ من الارض والجبال
لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال او مجاز عن الواقعة التي ترجف الاجرام عندها
وهذا المعنى انسب بالحديث في هذا المقام وهي النفخة الاولى تتبعها الرادفة اي التابعة
وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية وهي التي يحيى فيها الخلق والجملة
في موضع الحال او استئناف بيان لما يقع بعد الراجفة قال الطيبي اراد بالراجفة النفخة
الاولى التي يموت منها جميع الخلق والراجفة صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد اذا

اذا نحضروا ارادوا بالرادفة النفخة الثانية ردفت النفخة الاولى انذرتهم صلى الله عليه وسلم باقترا
الساعة لئلا يغفلوا عن استعدادها جاء الموت بما فيه اي مع ما فيه من الشدائد الكائنة في حالة
النزع والقبر وما بعده وفيه اشارة الى ان من مات فقد قامت قيامته فهي القيمة الصغرى يدل
على القيمة الكبرى جاء الموت بما فيه لعل الاول لبيان ما وقع وتحقق لمن قبلنا موعظة لنا فقد
ورد كفى بالموت واعظا والثاني الى قرب مجيبه للموجودين وهذا التاسيس الشديد المؤسس
على البنا اولى من حمل التكرار على التاكيد رواه الترمذي قال المنذري رواه احمد والترمذي
والحاكم وصححه وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وعن ابي سعيد قال دخل النبي صلى
الله عليه وسلم مصلاه اي لاداء الصلاة والظاهر المتبادر من مقتضى المقام انها صلاة
جنازة لما ثبت انه عليه السلام اذا رأى جنازة روئيت عليه كآبة اي حزن شديد واقل الكلام
فرأى الناس كأنهم يكتشرون اي يضحكون من الكشر وهو ظهور الاسنان للضحك ولغدان
ليا اللغة في القاموس كشر عن اسنانه ابدى يكون في الضحك وغيره انتهى فيؤخذ منه انهم
جمعوا بين الضحك البالغ والكلام الكثير وقال التوربشتي اي يضحكون والمشهور في
اللغة الكسر فقال اما بالتخفيف للتنبيه عن نوم الغفلة اي اعلى الضحك والكلمة
انكم لو اكثرتم من ذكر هاذم اللذات بالدال المهملة في اصل السيد واكثر النسخ المعتمدة
وفي بعضها بالذال المعجمة واقتصر عليه السيوطي في حاشية الترمذي وفي القاموس هذم
بالمعجمة قطع واكل بسرعة وبالمهملة نقض البناء والمعنى لو اكثرتم من ذكر قاطع اللذات لشغلكم
عما ارى اي من الضحك وكلام اهل الغفلة الموت بالجر تفسير لهاذم اللذات او بدل منه كما يأتي فيما
بعده وبالنصب باضمار اعني وبالرفع على تقدير هو الموت فاكثروا ذكر هاذم اللذات اي الموجودة
المعمولة للاغنيا والمفقودة المسولة للفقرا فهو موعظة بليغة للطايفتين ومن الغريب
ان ذكر الموت يحيي القلب الميت والنوم اخو الموت وكان شيخنا العارف بالله تعالى الولي
مولانا نور الدين المتقي يعمل كتيبا مكتوبا عليه لفظ الموت يعلق في رقبة المريد ليستفيد
منه انه قريب غير بعيد فيقصر امله ويكثر عمله وكان بعض الصلحاء من السلاطين امر واحدا من
امرائه ان يقف دايما من ورائه يقول الموت الموت ليكون ذكرا لداية ثم انه صلى الله عليه وسلم
بين للصحابة وجه حكمة الامر باكثار ذكر الموت واسبابه بقوله فانه اي الشان لم يات على
القبر يوم اي وقت وزمان الا تكلم اي بلسان القال او بلسان الحال وفي رواية زيادة فيه
ايمنع ذلك اليوم انا بيت الغربة اي فكن في الدنيا كأنك غريب وانا بيت الوحدة اي فلا ينفع
الا التوحيد وشهود الواحد القهار وانا بيت التراب اي اصل كل مخلوق ثم مرجعه للتراب
فينبغي ان يكون مسكينا ذا متربة لئلا يفوتهم جنسه المناسبة وانا بيت الدود اي فلا ينبغي
ان يكون همتكم ونهمتكم في استعمال اللذات من الماكول والمشروب لانها لا تزيد الى الفنا
ولا ينفع في ذلك المكان الا العمل الصالح فالقبر صندوق العمل فينبغي لداه الترد من العقوبة
ونأكل الاعضاء ثم يأكل بعضها بعضا الى ان تبقى دودة واحدة فتموت جوعا واستثنى الانبيا
والشهدا والاوليا والعلماء من ذلك نعم ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ان الله حرم على الارض
ان تأكل اجساد الانبيا وقال تعالى في الشهدا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احيا والعلما العاملون المعبر عنهم بالاوليا احدهم افضل من دما الشهدا
واذا دفن العبد المؤمن قال له القبر اي ما يقوم مقامه مرحبا اي لقيت مكانا واسعا لرتك
واهلا اي وجدت اهلا لمحبتك اما بتخفيف الميم للتنبيه ان كنت انه كنت فان مخففة
من المثقلة واللام فارقة بينها وبين النافية في قول احب وهو افعل تفضيل بني

للمفعول

للمفعول اي لا احد من يمشي على ظهري الي متعلق باحب فاذ بسكون الذال قال الطيبي حيث
قال وفي الذ معنى التعليل والصحيح انه هنا ظرف محض والعلة والتسبب كونه مؤمنا اي
تحتي وليتك من التولية مجهولا ومن الولاية معلوما اي صرت قادرا حاكما عليك اليوم
هذا الوقت وهو ما بعد الموت والدفن وصرت الي اي مقهورا ومجبورا فسترى اي فستبصر
تعلم صنيعي بك من الاحسان اليك بالتوسيع عليك قال اي النبي صلى الله عليه وسلم وانما
اعاده لطول الكلام ولئلا يتوهم ان ما بعده من كلام الراوي تفسير المرام فيتسع اي
فيصير القبر وسيعا وفي رواية فيوسع له اي للمؤمن مد بصره اي من كل جانب حقيقة
او كشفا او مجازا عن عدم التضييق حسا ومعنى وفيه كناية عن تنويره ايضا ويفتح له
باب الى الجنة اي ويعرض له مقعده منها يأتيه من روحها ونسيمها ويشم من طيبها وتقر عينه
بما يرى فيها من حورها وقصورها وانهارها واشجارها واثمارها واذا دفن العبد الفاجر
اي الفاسق والمراد به الفرد الاكمل وهو الفاسق بقرينة مقابلته لقوله العبد المؤمن
سابقا ولما سيأتي من قول القبر له من كونه ابغض من يمشي على ظهره ومنه قوله تعالى
افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون او الكافر شك من الراوي او للتنويع وتدرج
عادة الكتاب والسنة على بيان حكم الفريقين في الدارين والسكوت عن حال المؤمن الى
ستر اعليه او ليكون بين الرجا والخوف ولا ثبات المنزلة بين المنزلتين كما توهمه المعتزلة
قال له القبر لا مرحبا ولا اهلا اما ان كنت لابغض من يمشي على ظهري فاذ وليتك اليوم
وصرت الي فسترى صنيعي بك قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فيلتئم اي ينضم القبر عليه حتى
تختلف اضلاعه اي يدخل بعضها في بعض وفي رواية حتى تلتقي وتختلف اضلاعه قال اي الراوي
واشار بأصابعه اي من اليدين الكريمتين فادخل بعضها وهو اصابع اليد اليمنى في جوف بعض وفيه
اشارة الى ان تضييق القبر واختلاف الاضلاع حقيقي لا انه مجاز عن ضيق الحال وان
الاختلاف مبالغة في انه على وجه الكمال كما توهم بعض ارباب النقصان حتى جعلوا عذاب
القبر روحانيا لا جسمانيا والصواب ان عذاب الاخرة ونعيمها متعلقان بهما قال اي النبي صلى
الله عليه وسلم ويقيض بتشديد الياء المفتوحة اي يسلط ويوكل له اي بخصوصه والا فهو
عليه سبعون تنينا بكسرات وتشديد النون الاولى مكسورة اي حية عظيمة يقال له اژدر
بالفارسية وبالعربية افعى وعدد السبعين يحتمل التحديد والتكثير ويؤيد الثاني ما ذكر في
الاحيا عن ابي هريرة مرفوعا هل تدرون فيما انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله
ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعين تنينا هل تدرون
ما التنين تسعة وتسعون حية لكل واحدة تسعة وتسعون رؤوسا يخدشونه ويلحسونه وينفخون
في جسمه الى يوم القيمة انتهى لو ان واحدا منها نفخ بالخاء المعجمة اي تنفس في الارض ما انبتت
اي الارض شيئا اي من الانبات والنبات ما بقيت الدنيا اي مدة بقائها فتنهسه بفتح
الهاء وسكون السين المهملة اي تلدغه وفي القاموس نهس اللحم كمنع قبض اخذه بمقدم اسنانه
ونتفه وتخدشه اي تجرحه حتى يفضي بضم فسكون فالفتح فضاد معجمة اي يوصل به اي بالكافر
الى الحساب اي يوم الى العقاب وفيه دليل على ان الكافر سبب خلافا لما توهم بعضهم
ان الكافر يدخل النار بغير حساب لانهم الا ان يقال المراد بالحساب الجزاء واما ظواهر الايات
من قوله ومن خفت موازينه فصريح في حسابهم نعم يمكن ان يكون بعضهم من العصاة
العتاة يدخلون النار من غير حساب وانهم كحساب كما يدخل بعض المؤمنين الجنة بغير حساب
في الصبر والتوكل على ما سبق بغير حساب والله اعلم بالصواب قال اي الراوي وقال رسول

سبق

الله صلى الله عليه وسلم اي في هذا المحل او في دفن اخرنا مدا انما القبر روضة من رياض الجنة
او حفرة من حفر النار بصيغة الافراد لمناسبة للفظة الجنة وفي نسخة النيران لمناسبة جميع
الحفر وان المراد بالجنة الجنان قال الطيبي قوله من حفر النار كذا في جامع الترمذي وجامع
الاصول واكثر نسخ المصابيح وفي بعضها النيران بالجمع رواه الترمذي قال السيوطي وحسنه
واخرج الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة
فجلس الى قبر فقال ما يأتي على هذا القبر من يوم الا وهو ينادي بصوت طلق ذلق يا ابن ادم
كيف نسيتني الم تعلم اني بيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الوحشة وبيت الدود وبيت الضيق الا من
وسع الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القبر روضة وفي نسخة اما روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النار وقال سفيان الثوري من اكثر من ذكر القبر وجده روضة
من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وعن ابي جحيفة بضم الجيم وفتح
الحاء المهملة وبالفاء ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي ولم يبلغ الحلم ولكنه سمع منه وروى عنه
ابنه توفي سنة [illegible] قال قالوا اي بعض الصحابة قد شبت اي ظهر عليك اثار الضعف قبل اوان
الكبر والمراد منه ظهور اثر الشيب لا بياض الشعر لما رواه الترمذي عن انس قال انما عددت في راس
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته الا اربعة عشر شعرة بيضا قال شيبتني هود بغير انصراف
وفي نسخة بالصرف فقيل ان جعل هو اسم السورة لم يصرف والا صرف فالمضاف مقدر حينئذ او لا
لانه اذا لم يصرف كان وجوزوا اذا صرف كان التقدير سورة هود ويؤيده ما في نسخة صحيحة سورة هود
واخواتها اي واشباهها من السور التي فيها ذكر القيامة والعذاب قال التوربشتي يريد ان اهتمامي
بما فيها من اهوال القيامة والحوادث النازلة بالامم الماضية اخذ مني ما اخذ حتى شبت قبل اوان
الشيب خوفا على امتي وذكر في شرح السنة عن بعضهم قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام
فقلت روي عنك انك قلت شيبتني هود قال نعم فقلت باي اية قال قوله فاستقم كما امرت
قال الامام فخر الدين وذلك ان الاستقامة على الطريق المستقيم من غير ميل الى طرفي الافراط
والتفريط في الاعتقادات والاعمال الظاهرة والباطنة عسر جدا فانه لا شك ان الاستقامة
خير من الف كرامة لكونها اصعب من جنس القيامة مع انها ارق من الشعر وامر من الصبر واحد من
السيف واحر من القبس لكن جعل الحديث في الاية غير ظاهر لقوله واخواتها المفسرة بالسور
التي فيها ذكر الاستقامة فتاما ان يقال المقصود من ذكر القيامة واخواتها اهوال
واهوالها انما هو تحصيل الاستقامة للتخلص عن الندامة والملامة فكانها مذكورة في جميعها
او يقال الجواب للنائم كان على طبق ما فيه سببه من المقام الذي هو فيه والتحرير على ما هو المطلوب
منه فيكون من باب اسلوب الحكيم والله سبحانه اعلم وعن ابن عباس قال قال ابو بكر يا رسول الله
قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات بالرفع ويجوز كسرها على الحكاية وعم يتساءلون
واذا الشمس كورت يعني وامثالها مما فيه ذكر القيامة واهوالها رواه الترمذي وكذا الحاكم ورواه
ايضا عن ابي بكر ورواه ابن مردويه عن سعد ورواه سعيد بن منصور في سننه عن انس وابن
مردويه عن عمران بلفظ شيبتني سورة هود واخواتها الواقعة والقارعة والحاقة واذا الشمس
كورت وسال سائل وذكر حديث لا يلج النار اي لا يدخلها من بكى من خشية الله الحديث
بطوله في كتاب الجهاد فسقط للتكرار انتهى والله اعلم بالصواب

الفصل الثالث

عن انس قال انكم لتعملون اعمالا اي عظيمة في نفس الامر تستصغرونها وتعدونها من المكروهات
وهذا معنى قوله هي ادق في اعينكم من الشعر قال الطيبي [illegible] تدقيق النظر في التمهل والامعان
فيه والمعنى انكم تعملون اعمالا وتحسبون انكم صنعا وليس كذلك في الحقيقة كنا نعدها اي تلك

رضي الله تعالى عنه

الاعمال على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في زمانه من الموبقات بكسر الموحدة يعني المهلكات
تفسير من احد الرواة اي يريد انس بالموبقات المهلكات ومنه قوله تعالى وجعلنا بينهم موبقا بفتح الميم
اي مهلكا رواه البخاري وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عايشة اياك ومحقرات
الذنوب اي صغايرها وحقيرها فانه ربما يؤدي مع صاحبها بعدم تداركها بالتوبة وبعدم الالتفات
بها في الخشية غفلة عنه انه لا صغيرة مع الاصرار وان كل صغيرة بالنسبة الى عظمة الله وكبريائه
كبيرة والقليلة منها كثيرة ولذا قد يعفو الله عن الكبيرة ويعاقب في الصغيرة كما يستفاد من قوله
تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء واما قوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
فمعناه نكفر عنكم سيئاتكم الصغيرة بسبب العبادات المكفرة لكن بشرط اجتناب الكباير لا ان
اجتناب الكباير يكفر على ما ذهب اليه المعتزلة والله اعلم فان لها اي للمحقرات من الذنوب من الله
اي من عنده سبحانه طالبا اي نوعا من العذاب يعقبه فكانه يطلبه طلبا لا مرد له والتنوين للتعظيم
اي طالبا عظيما فلا ينبغي ان يغفل عنه بل ينبغي ان يجتنب منه وقال الطيبي قوله من الله طالبا هو
من باب التجريد كقول القايل شعر

⁂ وفي الرحمن للضعفاء كاف ⁂

والقول الظاهر في قول القايل انه نفسه وفي رحمة الرحمن للضعفاء كفاية فان اسم الفاعل قد
يأتي بمعنى المصدر كما هو مذكور في مقامه المقرر رواه ابن ماجة اي في سننه والدارمي في مسنده
والبيهقي في شعب الايمان ورواه احمد والطبراني والبيهقي والضياء عن سهل بن سعد مرفوعا
ولفظه اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا
بعود حتى جمعوا ما انضجوا به خبزهم وان محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه ورواه احمد
والطبراني والبيهقي عن ابن مسعود نحوه وعن ابي بردة بن ابي موسى قال المؤلف هو عامر بن عبد الله بن
قيس الاشعري احد التابعين المشهورين المكثرين سمع اباه وعليا وغيرهم كان على قضاء الكوفة
بعد شريح فعزله الحجاج قال قال لي عبد الله بن عمر هل تدري ما قال ابي لابيك اي في امر عاقبة
المعنون به الباب قال ابو بردة او المعتبر قال الراوي نقلا عن ابي بردة قلت لا اي لا ادري
قال فان ابي قال لابيك يا ابا موسى ناداه بكنيته اشعارا بعظمته وتقربا بحضرته هل يسرك
اي يوقعك في السرور ان اسلامنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ثباتها مع بعثته وهجرتنا
معه وجهادنا معه وعملنا كالصلاة والصوم والزكاة والحج وامثالها كله اي بجميعه بجميع افراده
واصنافه معه اي في زمنه برد اي ثبت ودام لنا في النهاية في الحديث الصوم في الشتاء الغنيمة
الباردة اي لا تعب فيه ولا مشقة وكل محبوب عندهم بارد وقيل معناه الغنيمة الثابتة المستقرة
من قولهم برد لي على فلان حق اي ثبت انتهى كلامه والظاهر قوله ان اسلامنا والجملة فاعل هو
يسرك ذكره الطيبي وان كل عمل عطف على ان اسلامنا عملناه بعده اي بعد موت رسول الله صلى
الله عليه وسلم نجونا منه اي من ذلك العمل كله كفافا بفتح الكاف سوا راسا براس بدلا وبيان
ونصبه على الحال من فاعل نجونا اي متساويين لا يكون لنا ولا علينا بان لا يوجب ثوابا ولا عقابا
وقال الطيبي قوله كفافا نصب على الحال من الضمير المجرور اي نجونا منه في حالة كونه لا يفضل
علينا شيء منه او من الفاعل اي مكفوفين عن شره فقال ابي لا والله اي لا يسرنا وبين سببه
بقوله جاهدنا اي الكفار بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا اي الصلاة وصمنا اي الصوم
وعملنا خيرا كثيرا اي من الصدقات او نوافل العبادات واسلم على ايدينا اي بسببنا وانا لنرجو
ذلك وفي نسخة ذلك اي ثواب ما ذكر زيادة اي من فتح البلاد والذي نفس عمر بيده لوددت ان
ذلك اي ما سبق لنا من العمل معه صلى الله عليه وسلم برد لنا اي ثبت ولم يبطل ولم ينقص بركته وجوده

بفضله وجوده صلى الله عليه وسلم وان كل شيء من اثاره باثبات الضمير هنا بعده اي بعد وفاته وفقد حياته وبعد بركاته نحوي منه كفاني وانتا براس وذلك والله اعلم انا تابع اسير المتنوع في الصحة والفساد اعتقادا واخلاصا او رياء وعملا ما لم نري صحة بنا صلاة المقتدي على صلاة الامام المقتدي ولذا انشا ذهل ولا شك في وصول الكمال وحصول صحة الاعمال في حال ملازمته صلى الله عليه وسلم واما بعده فهم وقع من الطاعات لا يخلو من تغيير النيات وخشية الكلالة وتمراعات المرايات كما اخبر بعض الصحابة عند الوفاة بقوله فما نفضنا ايدينا عن التراب وانا لفي دفنه صلى الله عليه وسلم حتى انكرنا قلوبنا يعني بالظلمة التي نشبه من غيبته نور الشمس وجوده وفقد جوده نالقيمة الباردة اد يكون في مرتبة المتوسطات بين الطاعات والسيئات وهذا بالنسبة الى اجلاء الصحابة وعظماء الخلافة واما من بعدهم فقطاعاتهم المشحونة بالغرور والعجب والرياء اسباب للمعاصي وسائر العقوبات نعم اذ يتفضل الله برحمته وعين عنايته بان يجمع المسيئين بالمحسنين بل قال بعض العارفين معصية اورثت ذلا واستصغارا خير من طاعة اورثت عجبا واستكبارا نعلمت انا بالله اعلم والله كان خير من بلى اي ليس موجودا في كل شيء فهذا لذلك لان كلام السادات سادات الكلام وكلام وكيف وهو الناطق بالصدق والفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل من الباب والموافق رايه لنزول الكتاب وقد طابق قوله حديثه صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم بالله واخشاكم له وقال سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء هذا وقال الطيبي قوله لو دنت خبر لكن مع اللام وهو ضعيف ويجوز ان يكون لو ددت جواب القسم والجملة القسمية خبر لكن على انه قد ثبت بالحديث حجة للكوفيين في المعنى ولا يدخل اللام في خبر لكن خلافا للكوفيين احتجوا بقوله ولكنني من حبها لعميد وخرج على زيادة اللام او على ان الاصل لكن ان حذفت الهمزة تخفيفا ونون لكن للساكنين قلت هذه كلها تكلفات بعيدة وتعسفات من تسمية ما انزل الله بها من سلطان ولا دليل ولا برهان فالصواب انها للتاكيد كما جوز في بعض اخوات لكن على القياس للتدبر لا سيما وقد ورد على لسان الاوحد من فصحاء العرب باسناد هو اصح الاسانيد رواه البخاري ثم من اعجب الغرائب واغرب العجائب انه لو حكي من طريق الاصمعي ونحوه اذا عرابيا من قبول على عتبته تكلم بمثله نثرا ونظما اخذا لحجة به وجعلوه اصلا ممهدا واساسا مؤيدا فضيعوا هنا قال الدلالة النحويين والقرنيين كنا رانت بين العنكبوت فتارة يطرد وتارة يفوت وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني ربي بتسع اي خصال خشية الله بالجر ويجوز اخفاؤه اي خوفه المقرون بالعظمة في السر والعلانية اي في القلب والقالب او في الخلاء والملاء وكلمة العدل في الغضب والرضى بالقصر اي في الحالين والقصد اي لا تنقصا ذا في الحكمة المعيشة او التوسط بين الصبر والشكر تمييز خارج عنهما بالجزع والطغيان في الفقر والغنى وان اصل من قطعني اي من ذوي الارحام او غيرهم وهذا غاية الحلم ومنها بيان التواضع واعطي من حرمني وهذا الكمال الكرم والجود واعفوا عمن ظلمني اي مع القدرة على الانتقام وهذا نتيجة الصبر وتنقية الشكر ورعاية الاحسان والرحمة على افراد الانسان وان يكون صمتي فكرا اي في اسمائك وصفاتك ومصنوعاتك ومعاني اياتك ونطقي ذكرا بتسبيحك وتحميدك وتقديسك وتمجيدك وتكبيرك وتوحيدك وتلاوة كتابك وموعظة عبادك ونظري عبرة اي في الافاق والانفس وملكوت السموات والارض وامر بالمعروف وقيل بالمعروف اي بدلا عن العرف بالضم والسكون ولم يقل وانهى عن المنكر اكتفاء او العرف يشمل المعروف في الشرع ارتكابا واجتنابا قال الطيبي ذكر تسعا وابي بعشر فالوجه ان يجعل العاشر وهو

الامر بالمعروف في انه مجمل عقب التفصيل لان المعروف هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله تعالى والتقرب والاحسان الى الناس وكلما ندب اليه الشرع ونهى عن المحسنات والمقبحات كانه قيل امرني ربي بان اتصف بهذه الصفات وامر غيري بان يتصف بها ثانيا وانت كما عطفت المفرد في المفرد في قوله وامر بالمعروف عطفت المجموع من حيث المعنى في المجموع بحسب اللفظ نحوه في التفرقة بين الواوين قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور رواه رزين وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد مومن يخرج من عينيه اي من احديهما دموع اي دمعات اقلها ثلاث وان كان اي الخارج او كل دمع مثل راس الذباب اي كمية او كيفية من خشية الله ثم يصيب بالرفع وقيل بالنصب اي يصل الدمع شيئا من حر وجهه بضم الحاء وتشديد الراء المهملتين اي خالصه وفي القاموس حر الوجه ما اقبل عليك وبدا لك منه الا حرمه الله على النار وضمير المفعول راجع الى العبد المومن الموصوف ويمكن ان يرجع الى حر وجهه فيكون كناية عن تحريم ذاته والله اعلم رواه ابن ماجة وفي الجامع بلفظ ما من عبد مومن يخرج من عينيه من الدموع مثل راس الذباب من خشية الله تعالى فيصيب حر وجهه فتمسه النار ابدا رواه ابن ماجة عن ابن مسعود انتهى والله اعلم

باب تغير الناس

اي تغير الزمان في ما هو المتبادر والموافق لمفهوم احاديث الباب والمراد بالتغير اخلاقهم واحوالهم ومراتبهم في منازلهم الى حالة لتغير ازمنتهم وعليه ظاهر الحديث الاول من الفصل الاول وقد اخذنا مل

الفصل الاول عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الناس اي في اختلاف حالاتهم وتغير صفاتهم كالابل المائة قال الطيبي اللام فيهما للجنس قال النوربشتي الرواية فيه على الثبت كالابل مائة بغير الف ولام فيها لا تكاد اي لا تقرب ايها المخاطب خطابا عاما تجد فيها اي في ماية من الابل راحلة اي ناقة شابة قوية مرتاضة تصلح للركوب فكذلك لا تجد في مائة من الناس من يصلح للصحبة وحمل المودة وركوب المحبة فيعاون صاحبه ويلين له جانبه وهذا زبدة كلام ابن حجر الاول ومن تابعه من شراح المصابيح وقال الخطابي معناه ان الناس في احكام الدين سواء لا فضل فيها لشريف على مشروف ولا لرفيع منهم على وضيع كالابل المائة لا يكون فيها راحلة قال الطيبي على القول الاول لا تجد فيها راحلة صفة لابل والتشبيه مركب على تمثيلي وعلى الثاني هو وجه التشبيه وبيان المناسبة الناس كالابل قلت ولا يخفى ظهور المعنى الاول فقد تبرونا مد وخلاصته ان المرضي المنتخب من الناس الصالح للصحبة سهل الانقياد عسر وجوده كالنجيبة الصالحة للركوب التي لا توجد في الابل الكثيرة القوية على الحمل والاسفار فذكر المائة للتحديد فان وجود العالم العامل المخلص قليل كالكيميا او من باب تسمية العنقا وكذا قال بعض العرفا

اتمنى على الزمان محالا	ان ترى مقلتاي طلعة حر
واذا اصطفى لك من زمانك واحد	فهو المراد وابن ثان الواحد
وكان يقول بعض ارباب الحال	هذا زمان تخبط الرجال

وروي ان سهلا التستري خرج من مسجد وراى خلقا كثيرا في داخله وخارجه فقال اهل لا اله الا الله كثير والمخلصون قليل وقد نبه سبحانه على هذا المعنى في ايات منها قوله وقليل من عبادي الشكور ومنها الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ومنها قوله في وصف السابقين المقربين ثلة من الاولين وقليل من الاخرين متفق عليه ورواه الترمذي وهذا لفظه

باب تغير الناس

الفصل الاول عن ابن عمر

البخاري نقله ميرك عن التصحيح وفي الجامع بلفظ انما الناس كابل مائة بالتنكير رواه احمد
والشيخان والترمذي وابن ماجة وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لتتبعن بتشديد التاء الثانية وضم العين اي لتوافقن بالتبعية سنن من قبلكم بضم السين
وهي لغة الطريقة حسنة كانت او سيئة والمراد هنا طريقة اهل الاهواء والبدع التي ابتدعوها
من تلقاء انفسهم بعد انبيائهم من تغيير دينهم وتحريف كتابهم كما اتى على بني اسرائيل حذو النعل
بالنعل وفي بعض النسخ بفتح السين في المقدمة اي طريقهم شبرا بشبر حال ومثل في التأييد
وكذا قوله ذراعا بذراع اي يتبعون مثل فعلكم سواء بسواء حتى لو دخلوا اي من كان قبلكم من بني
اسرائيل جحر ضب وهو من اضيق الجحر واخبثها تبعتموهم ولعل الحكمة في ذلك انه صلى الله
عليه وسلم لما بعث لاتمام مكارم الاخلاق في اخر الايام فيقتضي ان يكون اهل الكمال منهم موصوفين
بجميع الخصال الحميدة في الاديان المتقدمة ومن لوازم ذلك ان يكون اهل النقصان
منهم في كمال مرتبة القصور متصفين بجميع الخلال الذميمة الكائنة في الامم السابقة
ونظيره ان بعض المشايخ ذكر انه التزم جميع ما سمع من رياضات ارباب الولاية فاعطي
له جميع اصناف الكرامات وخوارق العادات وبيان سببه ما ذكره بعض المحققين من ان التوقف
لا يوجد في حق الانسان فانه ان لم يكن في الزيادة فهو في النقصان وايضا نوع بني ادم معجون مركب
من الطبع الملكي الروحاني العلوي ومن الطبع الحيواني الجسماني السفلاني فاذا كان
يميل الى العلو يصير الى المرتبة الاولى من الملا الاعلى وان كان يميل الى السفل فيصير في طريقه
من مراتب البهائم ادنى كما اشار اليه سبحانه بقوله اولئك كالانعام بل هم اضل وهذا ينفتح
باب الفضائل والاختصاص الى الفضائل بقوله لا يثبت ... بجعل قلنا يا رسول الله
اليهود والنصارى بالنصب اي اتعني بمن نتبعهم او بمن قبلنا سنن اليهود والنصارى قال
اي النبي صلى الله عليه وسلم فمن اي ان لم اردهم فمن سواهم والمعنى انهم الغالبون المشهورون
من اهل الكتاب وغيرهم مندرسون فاذا اطلق من قبلكم فهم المراد ولا غيرهم موجود في
الاعتبار عند الاطلاق وقال شارح فمن استفهام اي فمن يكون غيرهم يعني المتبوعون لكم هم
لا غيرهم وقال ابن الملك روي اليهود بالجر اي اتعني تتبع سنن اليهود وبالرفع على انه خبر المبتدا في
تقدير حذف الاستفهام يعني من قبلنا هم اليهود انتهى وبيان التقدير ام المتبعون هم اليهود
والنصارى ام غيرهم متفق عليه ورواه الحاكم عن ابن عباس ولفظه لتركبن سنن من قبلكم
شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو ان احدهم دخل جحر ضب لدخلتم وحتى لو ان احدهم جامع امراته
بالطريق لفعلتموه وعن مرداس بكسر الميم الاسلمي كان من اصحاب الشجرة يعد في الكوفيين
روى عنه قيس بن ابي حازم حديثا واحدا ليس له غيره قال قال النبي وفي نسخة صحيحة
رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب اي يموت الصالحون الاول فالاول بالرفع بدل من
الصالحون وبالنصب حال اي واحدا بعد واحد قرنا بعد قرن ويبقى حفالة بضم الحاء المهملة
وفي نسخة حثالة بالثاء المثلثة بدل الفاء ومعناه الردي من الشيء والتنكير في حفالة
للتحقير كحفالة الشعير او التمر اي دقله قال الطيبي لعل الفاء للتعقيب ولا بد من التقدير
اي الاول منهم فالاول من الباقين منهم وهكذا حتى ينتهي الى الحفالة منهم الا انه اقتصر فقط
قال القاضي الحفالة رذالة الشيء وكذا الحثالة والفاء والثاء يتعاقبان كثيرا لا يباليهم
الله اي لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا بالة اي مبالاة فيكون محذوف الميم والالف
لكونها من الزوائد كما نقل في لبيك من انه ماخوذ من الب بالمكان اي اقام به واصل بالة
بالية مصدر كعافية فحذفت الياء منها تخفيفا يقال ما باليته وما باليت به ومنه الم اكترث

به وقيل بالة بمعنى حالة اي لا يبالي الله حالته من احواله ومنه البال بمعنى الحال رواه البخاري وكذا الامام احمد

الفصل الثاني

عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشت امتي المطيطاء
بضم الميم وفتح المهملة الاولى وكسر الثانية ممدودة ويقصر بمعنى التمطي وهو مشية فيها تبختر ومد
اليدين ويروى بغير الياء الاخيرة وهو لفظ الجامع ونصبه على انه مفعول مطلق اي مشية تبختر وقيل انه
حال اي اذا صارت في نفوسهم متكبرين وعلى غيرهم متجبرين وخدمتهم وفي الجامع خدمها وهو الانسب
بالتاء بنو الاحق والمعنى فانهم تخدمهم وانقادت في حضرتهم ابناء الملوك ابناء فارس والروم بدل مما
قبله وبيان له سلط الله شرارها ولفظ الجامع سلط شرارها اي ظلمة الامة على خيارها اي مظلومهم
قال الشراح وهذا الحديث من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن الغيب ووافق الواقع خبره
فانهم لما فتحوا بلاد فارس والروم واخذوا اموالهم وحملاتهم وسبوا اولادهم فاستخدموهم سلط
الله قتلة عثمان رضي الله عنه عليه حتى قتلوه ثم سلط بني امية على بني هاشم فعلوا ما فعلوا وكذا
رواه الترمذي وكذا ابن ماجة ذكره ميرك وقال اي الترمذي هذا حديث غريب وعن حذيفة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقتلوا امامكم اي الخليفة او السلطان وتجتلدوا اي
تتضاربوا باسيافكم ويرث دنياكم شراركم بان يصير الملك والمال والمناصب في ايدي الظلمة وغير
ارباب الاستحقاق رواه الترمذي وعنه اي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقوم الساعة حتى يكون اسعد الناس بنصب اسعد ويرفع اي اكثرهم مالا واطيبهم عيشا
وارفعهم منصبا وانفذهم حكما بالدنيا اي بامورها وفيها لكع بن لكع بضم اللام وفتح الكاف غير
منصرف لئيم اي ردي النسب دني الحسب وقيل اراد به من لا يعرف له اصل ولا يحمد له خلق
وحذف الف ابن لاجراء اللفظين مجرى علمي الشخصين حسيبين نسيبين قال ابن الملك في بعض
النسخ بنصب اسعد على انه خبر يكون وفي بعضها برفعه على ان الضمير في يكون للشان والجملة
بعده تفسير الضمير المذكور انتهى ولا يجوز ان يكون اسعد اسما ولكع بنصب على الخبرية لفساد
المعنى كما لا يخفى فلا يغرك ما في بعض النسخ من نصب لكع فانه مخالف للرواية والدراية وقد
اقتصر شارح على نصب اسعد وقال لكع بالرفع اسم يكون وهو الاحمق وقيل العبد وهو معدول
عن الكع يقال لكع الوسخ عليه فهو لكع اذا لصق به ويطلق على اللئيم كما عدلت لكاع للمراة اللئيمة
ثم استعمل للاحمق والعبد لما فيه من الذلة وللجحش لما فيه من الحمق وللصبي لما فيه من الضعف
وقال للرذيل الذي يكون نفسه العبيد والرديء هنا الذي لا يعرف له اصل ولا يحمد له
خلق انتهى وبهذا ظهر معنى قوله صلى الله عليه وسلم في خبر الحسن بن علي رضي الله عنهما اثم لكع
وحاصله انه يطلق على الصغير تارة ويحبه بحسب ما يقتضيه المقام من المعنى المناسب
المرام وكذا قد يقال للصبي الصغير لكع منصرفا ذهابا الى صغر جثته ويطلق على العبد
واللئيم والاحمق لصغر قدرهم فاذا عرفت هذا فيصلح ان يراد بلكع كل من هذه المعاني
من الصغير والحقير والعبد والاحمق واللئيم ثم قال بعضهم هو الملتبس بمعدول وانما هو مثل
صرد ونغر يقال انه منصرف لانه ليس بمعدول وفي القاموس اللكع كصرد اللئيم والعبد والا
حمق ومن لا يتجه لمنطق ولا لغيره والمهر والصغير والوسخ ويقوله في النداء يا لكع ولا يصرف
في المعرفة لانه معدول عن الكع انتهى وهذا يؤيد ان يكون لكع هنا منصرفا وقال الطيبي
وهو غير منصرف للعدل والصفة رواه الترمذي اي في سننه والبيهقي في دلائل النبوة وكذا
احمد والضياء وروى احمد وابو داود وابن ماجة وابن حبان عن انس مرفوعا لا تقوم الساعة
حتى يتباهى الناس في المساجد وروى ابو نعيم في الحلية عن ابي هريرة لا تقوم الساعة حتى يكون
الزهد رواية والورع تصنعا وروى احمد ومسلم عن ابن مسعود لا تقوم الساعة الا على شرار

الناس وروى ابو يعلى الموصلي والحاكم عن ابي سعيد لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت وروى السجزي عن ابن عمر
لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن والقرآن وروى الطبراني عن ابن عمرو لا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون
كذابا وروى احمد ومسلم والترمذي عن انس لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله هذا
وسيأتي في اول باب الملاحم من حديث ابي هريرة اشتهر في ثلاثة عشر علامة لقيام الساعة نسأل
الله السلامة عنها ان شاء الله تعالى وعن محمد بن كعب القرظي بضم القاف وفتح الراء فظاء معجمة نسبة الى بني
قريظة طائفة من يهود المدينة ذكره المصنف في التابعين وقال سمع جماعة من الصحابة ومنه محمد
ابن المنكدر وغيره وكان ابوه ممن لم ينبت يوم قريظة فترك قال حدثني من سمع علي بن ابي طالب رضي
الله عنه لم يسم هذا الراوي مع لكن تابعي يعرفها لسنه مع احتمال كونه صحابيا آخر قال اي علي
انا لجلوس اي لجالسون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد اي مسجد المدينة او مسجد
قباء اذ طلع بتشديد الطاء اي ظهر علينا مصعب بن عمير بضم الميم وفتح العين وتمير مصغرا ما عليه اي
ليس على بدنه الا بردة له اي كساء مخلوط السواد والبياض مرقوعة بفرو اي مرقعة بجلد قال ميرك هو
قرشي هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم وترك النعمة والاموال بمكة وهو من كبار اصحاب الصفة الساكنين
في مسجد قباء قال المؤلف هو عبدري كان من اجلة الصحابة وفضلائهم هاجر الى ارض الحبشة في اول
من هاجر اليها ثم شهد بدرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مصعبا بعد العقبة الثانية الى
المدينة يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين وهو اول من جمع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة وكان في
الجاهلية من انعم الناس عيشا وألينهم لباسا فلما اسلم زهد في الدنيا وقيل انه بعثه النبي صلى
الله عليه وسلم بعد ان بايع العقبة الاولى وكان يأتي الانصار في دورهم ويدعوهم الى الاسلام
فيسلم الرجل والرجلان حتى فشا الاسلام فيهم وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه ان
يجمع بهم فاذن له ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مع السبعين الذين قدموا عليه في العقبة
الثالثة فأقام بمكة قليلا وفيه نزل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وكان اسلامه بعد دخول
النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم فلما رآه اي ابصر مصعبا بتلك الحالة الصعبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكى للذي اي للامر الذي كان فيه اي قبل ذلك اليوم من النعمة والذي هو فيه
اي وللامر الذي هو فيه من المحنة والمشقة اليوم اي في الوقت الحاضر الظاهر المتبادر ان بكاءه
صلى الله عليه وسلم انما كان رحمة وشفقة عليه لما رآه من فقره وفاقته لا سيما وقد كان
عزيزا في قومه ومتنعما في نعمته لكن يحتمل بعض ما فاته مما فتح له صلى الله عليه وسلم مع عمر
حيث بكى عمر رضي الله عنه لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم مضطجعا على حصير ليس بينه وبينه
شيء وقد اثر الحصير في بدنه الشريف وتذكر عمر تنعم كسرى وقيصر فقال له اما ترضى في هذا المقام
يا عمر اما ترضى ان يكون لهم الدنيا ولنا الآخرة فالاولى ان يحمل البكاء على الفرح بانه وجد امته
من اختار الزهد في الدنيا والاقبال على العقبى او على الحزن في فقد ما عنده من بعض المشاق
لبعض الكسوة او المعاونة في بعض المعيشة والله اعلم ويؤيد تأويلنا نقلا الراوي ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اي الحال بكم اذا غدا اي ذهب اول النهار احدكم في حلة
بضم فتشديد اي في ثوب او في ازار ورداء وراح اي ذهب آخر النهار في حلة اي اخرى من الاولى
قال ابن الملك اي كيف يكون حالكم اذا كثرت اموالكم بحيث يلبس كل منكم اول النهار حلة وآخره
اخرى من غاية التنعم ووضعت بين يديه صحفة اي قطعة من مطعوم ورفعت اخرى
اي من نوع آخر كما هو شأن المترفين من طائفة الروم وهو كناية عن كثرة اصناف الاطعمة
الموضوعة على الاطباق بين يدي المتنعمين من طبقة الاعجام وسترتم بيوتكم بضم الموحدة
وكسرها اي جدرانها والمعنى زينتموها بالثياب النفيسة من فرط التنعم كما تستر الكعبة

وفيه اشارة الى ان سترها من خصوصيتها لا امتيازها فقالوا يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم
وبينوا سبب الخيرية بقولهم مستأنفا بيانه بمعنى التعليل نتفرغ اي عن العلائق والعوائق للعبادة
اي بانفسنا ونكفى بصيغة المجهول المتكلم المؤنة اي بخدمنا والواو لمطلق الجمع فالمعنى ندفع عنا
تحصيل القوت لحصوله باسباب مهيأة لنا فنتفرغ للعبادة من تحصيل العلوم الشرعية والعمل
بالخيرات البدنية والمبرات المالية قال وفي نسخة فقال لا اي ليس الامر كما ظننتم انتم اليوم خير
منكم يومئذ لان الفقير الذي له كفاف خير من الغني لان الغني يشتغل بدنياه ولا يتفرغ للعبادة
مثل من له كفاف لكثرة اشتغاله بتحصيل المال فالحديث صريح في تفضيل الصابر على الغني الشاكر
فان الغنى بالنسبة الى الصحابة وهم اقوياء اذا كان كذلك فما بال غيرهم من الضعفاء ويؤيده
ما رواه الديلمي في الفردوس عن ابن عمر مرفوعا ما زويت الدنيا عن احد الا كانت خيرة له اقول يؤيده
عن احد على همومه فان الحاذ الفقير عذابه اخف من الحاذ الغني في تلك الدار فكيف لا ينتفع المؤ
من الصابر في دار القرار رواه الترمذي وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأتي على الناس زمان الصابر فيهم اي في اهل ذلك الزمان على دينه اي على حفظ امر دينه بترك
دنياه كالقابض اي كصبر القابض في الشدة ونهاية المحنة على الجمر جمع الجمرة وهي شعلة من نار قال
الطيبي الجملة صفة زمان والراجع محذوف اي الصابر فيه على دينه والرابط مذكور فيه يقول على الرائي
البيت فيقال ان المعنى كما لا يقدر القابض على الجمر ان يصبر لاحراق يده كذلك المتدين لا يقدر
على ثباته على دينه لغلبة العصاة والمعاصي وانتشار الفسق وضعف الايمان انتهى والظاهر
ان معنى الحديث كما لا يمكن القبض على الجمرة الا بصبر شديد وتحمل غلبة المشقة كذلك في ذلك الزمان
لا يتصور حفظ دينه ونور ايمانه الا بصبر عظيم وتعب جسيم ومن المعلوم ان المشبه به اقوى
فالمراد به المبالغة فلا ينافيه ان ما احد يصبر على قبض الجمر ولذا قال تعالى فما اصبرهم على النار
مع انه قد يتفق في الجمر ايضا عند الاكراه على امر اعظم منه من قتل نفس او احراق او اغراق
ونحوها ولذا قال تعالى قل نار جهنم اشد حرا وقد اشار الطيبي في زمانه الى هذا المعنى بقوله

وهذا زمان الصبر من لك بالتي … كقبض على جمر فتنجو من البلا

قال الجعبري اي هذا الزمان زمان صبر لانه قد انكر المعروف وعرف المنكر وفسدت النيات وظهرت
الخيانات واوذي المحق واكرم المبطل فمن يسمح لك بالحالة التي لزومها في الشدة كالقابض على الجمر
فقد روى ابو ثعلبة الخشني عنه عليه السلام انه قال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت
شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك خاصة نفسك ودع العوام فان
وراءكم ايام الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن اجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم
انتهى رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب قال ميرك نقلا عن التصحيح هذا الحديث وقع له
ثلاثيا وفي سنده عمر بن شاكر شيخ الترمذي وحده وقد ذكره ابن حبان في الثقات انتهى وروى
ابن عساكر عن انس ايضا يأتي على الناس زمان يكون فيه اذل من شاة وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان ولفظ الجامع اذا كانت امراؤكم خياركم اي اتقياءكم
واغنياؤكم سمحاءكم اي اسخياءكم واحد سمح فلانه جمع سميح بمعنى سمح وامركم شورى بينكم مصدر
بمعنى التشاور اي ذات شورى في تقدير مضاف او على ان المصدر بمعنى المفعول اي متشاور فيها
ومنه قوله تعالى وامرهم شورى بينهم وقد قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر
والمعنى ما دمتم متشاورين في امركم فظهر الارض خير لكم من بطنها اي لاجل انكم تعملون بما فيه كتاب
الله والسنة وطوبى لمن طال عمره وحسن عمله واذا كان امراؤكم شراركم اي بالفسق والظلم واغنياؤكم
بخلاءكم اي بقلة الرحمة والشفقة وامركم الى نسائكم اي مفوضا الى رأيهن والحال انهن من ناقصات

العقل والدين وقد وردت روايات في ذلك فهو من معاني كل من يكون في مرتبة حاله من الرجال من يغلب عليه حب الجاه والمال ولم يعلم ما يتعلق بضرر الدين ووبال المال فبطن الارض خير لكم من ظهرها اي
فان من لم يغلب خيره شره فالموت خير له رواه الترمذي وقال حديث غريب وعن ثوبان وهو مولى
للنبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الامم اي يقرب فرق الكفر واهل
الضلالة ان تداعى بحذف احدي التائين اي تتداعى عليكم بان يدعو بعضهم بعضا لمقاتلتكم وكسر شوكتكم وسلب
ما ملكتموه من الديار والاموال كما تداعى اي تتداعى الاكلة بالمد وهي المراد وهي على نعت الفئة الزوانية
والجماعة اذ نحو ذلك كذا روي في نسخ كتاب ابي داود وهذا الحديث من افراده ذكره الطيبي وروي
الاكلة بفتحتين على انه جمع الاسم فاعل لكان له وجه وجيه والمعنى كما يدعو اكلة الطعام بعضهم
بعضا الى قصعتها اي التي يتناولون منها بلا مانع ولا منازع فيأكلونها عفوا صفوا كذلك يأخذون ما في
ايديكم بلا تعب ينالهم او ضرر يلحقهم او باس يمنعهم فقال قائل ومن قلة خبر مبتدا محذوف وقوله
نحن يومئذ مبتدا وخبر صفة لها اي ذلك التداعي لاجل قلة نحن عليها يومئذ قال بل انتم يومئذ
كثير اي عددا وقليل مددا ولكنكم غثاء بالضم والمد وقال الطيبي كغثاء السيل قال الطيبي
ما يحمله السيل من زبد ووسخ شبههم به لقلة شجاعتهم ودناءة قدرهم وخفة احلامهم
وخلاصته ولكنكم تكونون متفرقين ضعيف الحال خفيف البال مشتت الامال ثم ذكر سببه بعطف
البيان فقال ولينزعن اي ليخرجن الله من صدور عدوكم المهابة اي الخوف والرعب منكم اي
من جهتكم وليقذفن بفتح الياء اي وليرمين الله في قلوبكم الوهن اي الضعف وكانه اراد بالوهن
ما يوجبه وكذلك فسره بحب الدنيا وكراهة الموت حيث قال فقال قائل يا رسول الله وما الوهن
اي ما سببه وما موجبه قال الطيبي سؤال عن نوع الوهن او كانه اراد من اي وجه اراد من اي
وجه يكون ذلك الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت وهما متلازمان فكانهما شيء واحد يدعوهم
الى اعطاء الدنية في الدين واحتمال الذل من العدو المبين ونسال الله العافية فيه فقد ابتلينا
بذلك فكانا نحن المعنيون بما ذكر هنالك رواه ابو داود في سننه والبيهقي في دلائل النبوة

الفصل الثالث

انتهى والله اعلم الفصل الثالث عن ابن عباس رضي الله عنهما اي موقوفا قال
ما ظهر الغلول بالضم اي خيانة المغنم في قوم الا القى الله في قلوبهم الرعب بسكون العين وضمها
اي يخافون العدو ولا فشا الزنا في قوم الا كثر فيهم الموت اي بالوباء او الطاعون او موت الفجأة
او موت الحيا ولا نقص قوم المكيال والميزان اي وما في معناهما كالذراع والعدد من طريق
الغش والخديعة الا قطع عنهم الرزق اي الحلال او بركة الرزق الذي في ايديهم ولا حكم قوم
اي من الحكام بغير حق اي بغير استحقاق او بغير علم في احكامهم الفاسدة بل بارائهم الكاسدة
الا فشا فيهم الدم اي القتل والمراد من تحت اليد ولا ختر بفتح الخاء المعجمة والفوقية ومنه قوله
تعالى ان الله لا يحب كل ختار كفور اي غدر قوم بالعهد اي بنقضه خديعة رجاء الغلبة الا سلط
بصيغة المجهول اي تسلط الله عليهم العدو رواه مالك اي في باب ما جاء في الغلول من الموطا

باب

كذا في الاصول المعتمدة والنسخ المصححة من غير ترجمة وهو مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف والبا
ساكن على الوقف وقال ابن الملك باب في ذكر الانذار والتحذير والتخويف والتذكير الفصل
الاول عن عياض بن حمار المجاشعي بضم الميم قال المؤلف وكان صديقا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قديما روى عنه جماعة وهو تميمي يعد في البصريين ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته اي المعروفة او في موعظة الا بالتخفيف للتنبيه ان ربي
امرني ان اعلمكم ما جهلتم مما علمني بيان لما ان يكون من بيانية او تبعيضية على انه منقطع عما قبله خبر

لما بعده مبتدا نعت اي من جملة ما علمني يومي هذا اي مما اوحي الله الي في هذا اليوم وعمومه كل مال
نحلته اي اعطيته عبدا اي من عبادي وملكته اياه فلا يدخل الحرام حلال اي فلا يستطيع احد ان يحرمه
من تلقاء نفسه ويمنعه من التصرف فيه تصرف الملاك في املاكهم وهذا من مقول الله كما يدل عليه
قوله واني خلقت عبادي حنفاء اي مستعدين لقبول الحق وما يلزم لبيته عن الباطل كلهم اي جميعهم
لقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وهي التوحيد المطلق وما به تعلقت وقوله
تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله اي لا تبدلوا مخلوقاته باليهودية والنصرانية
والمجوسية ونحوها ذلك الدين القيم اي المستقيم فلا تعدلوا عن الجادة الى الطرق المزايغة
كما قال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله اي عن
الطريق الحقيقي الواصل اليه المعنون لديه المراد لمن انعم عليه ومنه قوله تعالى وعلى الله قصد
السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين ثم بين سبب ضلال الخلق وعدولهم عن الحق بقوله
وانهم اي عبادي الحنفاء اتتهم الشياطين اي جاؤوهم بالوسوسة فاجتالتهم اي صرفتهم ودفعتهم
ما يليق عن دينهم من اجتاله اي ساقه وذهب به وقيل الا فتعال من الجول في الفعل كاختطب
بعيرا اي جملة على الخطبة فالمعنى حملتهم الشياطين على جولانهم وميلانهم عن دينهم وحرمت اي الشياطين
ما احللت لهم اي من البحيرة والسائبة وغيرها وتوضيحه ما ذكره القاضي حيث قال قوله كل مال
نحلته حلال حكاية ما حكم الله تعالى راوي الحديث يومه هذا والمعنى ما اعطيت عبدا من مال فهو
حلال له ليس لاحد ان يحرم عليه ويتصرف فيه بعد فيكون هذا يقتضي ان لا يكون الحرام رزقا لان
كل رزق ساقه الله تعالى الى عبد فقد نحله واعطاه وكل ما نحله واعطاه فهو حلال فيكون كل رزق
حلالا لان الرزق اعم من الاعطاء فانه يتضمن التمليك ولذا قال الفقهاء لو قال الرجل لامرأته اعطيتني
الفا انت طالق فاعطته الفا بانت ولا كذلك الرزق واجبتهم اي الشياطين لهم
ان يشركوا بي اي اشراكا او شيئا ما لم انزل به اي بوجوده سلطانا اي حجة وبرهانا سمي به لتسلطه
على القلوب عند هجوم الخواطر بالقهر والغلبة والمعنى ما لم ينزل في اشراكه دليل عقلي ولا نقلي اذ لو كان
احدهم لبينه سبحانه وتعالى بل الامر بخلافه حيث قال وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه والقرآن
مشحون بالادلة على بطلان الاشراك بالله قال القاضي هو مفعول يشركوا يريد به الاصنام
وسائر ما عبد من دون الله اي امرتهم بالاشراك بالله بعبادة ما لم يامر الله بعبادته ولم ينصب
دليلا على استحقاقه للعبادة وقال الطيبي قوله ما لم انزل به سلطانا انزال سلطان ولا
شريك على اسلوب قوله على لاحب لا يهتدي بمناره اي لا منار ولا اهتداء به نزوله ولا يرى
الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار نفيا للاصل والفرع اي القيد والمقيد ونبه هذا على
سبيل التهكم اذ لا يجوز على الله تنزيل برهان ان يشرك به غيره وان الله نظر الى اهل الارض
اي رآهم ووجدهم متفقين على الشرك منهمكين في الضلالة فمقتهم اي ابغضهم عربهم وعجمهم
بدل من الضمير والمراد بالعجم غير العرب والمعنى ابغضهم بسوء صنيعهم وخبث عقيدتهم وانفا
قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم في الشرك وانغماسهم في الكفر قوم موسى كفروا بعيسى وعبدوا
عزيرا ذهبوا الى انه ابن الله وقوم عيسى ذهبوا الى التثليث او الى انه ابن الله وغير ذلك الا
بقايا من اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى تبروا عن الشرك كذا قاله بعضهم والاظهر
ان المراد بهم جماعة من قوم عيسى بقوا متابعته عليهم السلام الى ان امنوا بنبينا صلى
الله عليه وسلم وقال اي الله تعالى انما بعثتك اي ارسلتك يا محمد لابتليك اي لامتحنك
كيف تصبر على ايذاء قومك اياك وابتلي بك اي قومك هل يؤمنون بك ام يكفرون وانزلت
عليك كتابا اي عظيما وهو القرآن لا يغسله الماء اي لم تكتف بابداعه في الكتب فيغسله الماء بل

رضي الله تعالى عنهما

جعلناه قرآنا محفوظا في صدور المؤمنين قال تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقال سبحانه انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او المراد بالغسل النسخ والمعنى لا ينزل بعد كتاب بنسخه ولا نزل قبله كتاب يبطله كما قال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قال الطيبي اي كتابا محفوظا في القلوب لا يضمحل بغسل القراطيس وكتابا مستمرا متلوا في الناس ما دامت السموات والارض لا ينسخ ولا ينسى بالكلية وعبر عن ابطال حكمه وترك قراءته والاعراض عنه بغسل اوراقه بالماء على سبيل الاستعارة او كتابا واضحا اياته بينا معجزاته لا يبطله جور جائر ولا يدحضه شبهة مناظر فهذا الابطال معنى بالابطال صورة وقيل كنى به عن غزارة معناه وكثرة جدواه من قولهم مال فلان لا يفنيه الماء والنار وقوله تقرؤه اي انت نائما ويقظانا بسكون القاف والمعنى يصير لك ملكة بحيث يحضر في ذهنك وتلتفت اليه نفسك في اغلب الاحوال فلا تغفل عنه نائما ويقظانا وقد يقال للقادر على الشيء الماهر به هو يفعله نائما كذا ذكره الطيبي وخلاصته ان في قلبك قائت نائم والقول لا احتياج الى التأويل بالنسبة الى قلبه الجليل لانه تنام عيناه ولا ينام قلبه وقد شوهد كثير من الناس صغيرا وكبيرا انهم يقرؤن وهم نائمون فاعرف من هذا ما حكي بعض المريدين انه وشيخه كانا يقرآن سلسلة وقت السحر في تلاوة القرآن عشرا عشرا فلما توفي الشيخ رحمه الله اتاه المريد وقت السحر في عادة عند قبره فاراد ان يقرأ ورده فلما تم العشر سمع من القبر صوت شيخه انه قرأ عشرا وسكت وهكذا كان الامر مستمرا الى انه حكى المريد القضية لبعض اصحابه فوقع تحت حجابه ونظيره سماع سعيد بن المسيب صوت الاذان من الضريح الانور ايام فتنة يزيد في المدينة العظيمة حيث لم يبق في المسجد الا سعيد وكانوا يقولون انه شيخ مجنون وان الله امرني ان احرق

اي اهلك قريشا اي كفارهم فقلت رب اي يا رب اذا بالتنوين تثلغوا بفتح اللام اي تشدخوا ويكسروا رأسي فيدعوه بفتح الدال اي رأسي خبزة اي فيتركوه بالشدخ بعد الشكل كروي مفتحا مثل خبزة قال اي الله لنبيه صلى الله عليه وسلم استخرجهم اي قريشا والمراد كفارهم كما اخرجوك اي كاخراجهم اياك جزاء وفاقا وان كان بين الاخراجين بون بين فان اخراجهم اياه بالباطل واخراجه اياهم بالحق واغزهم اي وجاهدهم واتوا والمطلق الجمع فان القتال مقدم في الاخراج وانفق اي ما في جهدك في سبيل الله فسننفق عليك اي نخلفه عليك بدله في الدنيا والاخرى قال تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وفيه وعد وتسلية وابعث اي ارسل انت جيشا اي كبيرا او صغيرا نبعث خمسة اي مثله رحمة مثله بالنصب والمعنى نبعث من الملائكة خمسة امثال تقويهم كما فعل بيدر قال تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين وكان المشركون يومئذ الفا والمسلمون ثلاثمائة وقاتل بمن اطاعك بمعونته او معه من عصاك اي بقتل الا يمان بك رواه مسلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد بكسر العين وهو جواب لما وفي بعض النسخ فصعد بالفاء فلا وجه له اي طلع النبي صلى الله عليه وسلم الصفا وهو جبل معروف بمكة من شعائر الله فجعل اي شرع النبي صلى الله عليه وسلم ينادي اي قبائل العرب يا بني فهر بكسر الفاء وسكون الهاء قبيلة من قريش على ما في القاموس يا بني عدي وهم قبيلة ايضا على ما في القاموس فقوله لبطون قريش فيه اشكال لان البطن دون القبيلة او دون الفخذ وفوق العمارة والقبيلة واحد قبائل الراس لقطع الشعوب بعضها الى بعض ومنه قبائل العرب واحدهم قبيلة وهم بنو اب واحد كذا في القاموس والحاصل ان القبيلة بمنزلة الجنس والبطن بمنزلة النوع والفخذ بمنزلة الفصل وقد يستفاد بعضها لبعض والله اعلم قال الطيبي اللام فيه

احدهم

بيان

بيان كقوله تعالى لمرادان بنيهم الرضا عنه كانه قيل لمن قيد البطون قريش حتى اجتمعوا اي من كل قبيلة وبطن جمع فقال ارأيتكم بفتح التاء ويجوز تحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وابدالها وحذفها والمعنى اخبروني وتحقيقه ما ذكره الطيبي من ان الضمير المتصل المرفوع من الخطاب العام والضمير الثاني لا محل له وهو كالبيان له والدلالة الاول بمنزلة الجنس الذي يعم المخاطبين فيستوي فيه التذكير والتأنيث والافراد والجمع فاذا اريد بيانه باحدها لا تواح بين به كما في هذا الحديث بعد ان الجميع بيانا للمراد انتهى فكانه قال ارأيتم ان رأيتم فاعملوا في لو اخبرتكم ان خيلا اي جيشا خيلا فجمعتوا اي من كل قبيلة وبطن جمع بالوادي اي نزلت به قد شارح وهو موضع معروف بقرب مكة وكانه اريد به الوادي المشهور بوادي فاطمة بين مكة والمدينة تريد اي الخيل ان تغير عليكم من الاغارة وهي النهب والبيتوتة بالغفلة يعني اصبحها على احد المجازين في قوله تعالى والسيد الغرنية اكنتم مصدقي اي مصدقين في قولي قالوا نعم اي كنا نصدقك وسببه اذ في جميع عمرنا ما جربنا عليك الا صدقا قال الطيبي ضمن جرب معنى الالقاء وعداه بعلى اي ما القينا عليك قولا مجربا لك فيه تكذب فيه ام الا فهم سمعنا منك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد اي قدام نزول عظيم وشتاب اليم والمعنى انكم ان لم تؤمنوا بي ينزل عليكم عذاب قريب قال الطيبي قوله بين يدي طرف لغو نذير وفيه معنى قدام لان كل من يكون قدام احد يكون بين الجهتين المسامتين يمينه وشماله وفيه تمثيل مثل انذاره القوم بعذاب الله تعالى النازل على القوم بنذير قوم يتقدم جيشهم لعدو ولينذرهم فقال ابو لهب مشهور بكنيته واسمه عبد العزى وهو ابن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم تبا لك اي خسرانا وهلاكا ونصبه بعامل مضمر لله القاضي نهوا ما نصب على المصدر والمعنى تب تبا اي اضمر فعلا اي الزمك الله هلاكا وخسرانا والذم تبا لك سائر اليوم اي في باقي الاوقات اي في جميع الايام قال التوربشتي من ذهب في سائر الى البقية فانه غير مصيب لا ذكرنا من السرح من السور وفي امثالهم في الباس من الحاجة سائر اليوم وقد زال الظهر قال الطيبي وفيه نظر لانه قال صاحب النهاية السائر مهموز الباقي والناس يستعملونه في معنى الجميع وليس بصحيح وقد تكررت هذه الالفاظ في الحديث وكلها بمعنى باقي الشيء وبه نقيح تصحيح ما في النهاية ما في اساس البلاغة فانه اورد في باب الشين مع الهمزة قايلا سائر الناس رب في الانام سوارا وسوره اي بقية وفي المثل اسائر اليوم وقد زال الظهر انتهى كلامه فعلى هذا المراد بسائر اليوم بقية الايام المستقبلة وفي القاموس السؤر البقية والفضلة واسار ابقاه كمنعه والفاعل منه سائر والقياس سئير ويجوز والسائر الباقي لا الجميع كما توهم جماعات وقد يستعمل له ومنه قول الاحوص شعر

وجعلتها للتالي بنته لما ٭ وقد النوم سائر الحراس ٭

وقال لا اعرابي قوم فاخروا الجارية بتطييبه فقال بطي عطرك وسائرهم ذريب واصير على قوم لو فاتت فاستشرحوا في عمهم فابطا واعنهم جئ اسرعوا وذهب بهم ثم جاوا فسئلوا عنهم فقال لهم المسبوق اسائر اليوم وقد زال الظهر اي اتطمعون فيهم ما بعد وقد تبين لكم الباس لان من كان حاجته اليوم باسره وزال الظهر وجب ان ييأس منها بالغروب الهذا اي الهذا الاستخبار والاحضار جمعتنا اي بالمنادات فنزلت تبت اي هلكت وخسرت يدا ابي لهب بفتح الهاء ويسكن اي نفسه لقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اي انفسكم والباء زائدة وقيل المراد به دينه واخراه وقيل انما خصتا لانه لما قال الهذا دعوتنا اخذ حجرا ليرميه به فنزلت وانما كناه وان الكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته او لان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره او لانه لما كان من اهل النار وكانت الكنية تفي بحاله وان كان كنى لكمال جماله وقرأ ابو لهب كما قرئ بزيد طالب في لغة من قصر على

موس

الواو في الاسماء الستة كما نقل بعضهم في الاسماء الستة كقولك ان اباها وابا ابيها ونصب احار بعد خبر للتاكيد والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه اذا الامر دلت والثانية اخبار (متفق عليه وفي رواية) قال ميرك هذه الرواية من افراد مسلم نادى يا بني عبد مناف ان اخوهاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل ثم كذا في (انما مثلي ومثلكم كمثل رجل راى العدو) اي بعينه (فانطلق) اي ذهب مسرعا (يربا) بفتح الموحدة وبالهمز اي يحفظ من العدو (اهله) اي قومه ويرقبهم بعينا لهم في موضع عال (فخشي) اي الرجل (ان يسبقوه) اي يسبق العدو الى اهله ويحلوا في القوم قبل ان يصل اليهم بنفسه (فجعل) اي شرع (يهتف) بكسر التاء اي يصيح ويبالغ من اعلى جبل وربما يجعل ثوبه في يده او في خشبة يرفعه لزيادة الاعلام ومنه النذير العريان وهو كناية عن خطوة من الفرس اذا بها الى انه اخذ وسلب عنه ثوبه وهرب منهم فجنبه كل احد بصدقه في قوله (يا صباحاه) بسكون الهاء ولما كانت الغارة غالب تكون في الصباح خص به ولو كان في المسا ايضا والله اعلم فهي كلمة يقال لمن اراد تخوف والمعنى يا قوم اخذوا الاغارة بالذهاب لمجي العدو وكانه صلى الله عليه وسلم قال احذروا عقاب الله بالايمان قبل نزوله (وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين دعا النبي صلى الله عليه وسلم قريشا) اي بالنداء (فاجتمعوا فعم) اي النبي صلى الله عليه وسلم في النداء بما ذكر (وخص) ثم بين الراوي كيفية العموم والخصوص بقوله (فقال) اي النبي صلى الله عليه وسلم (يا بني كعب بن لؤي) بضم لام وفتح همز وتبديله واو وتحتية مشددة وهو ابن غالب بن فهر (انقذوا) بفتح همز وكسر قاف اي خلصوا (انفسكم من النار يا بني مرة بن كعب) بضم ميم وتشديد راء ابو قبيلة من قريش في ما في القاموس (انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد شمس) في القاموس انه ابو بطن وقال بعضهم هذا عام لانه يشمل بني هاشم وغيرهم (انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد مناف انقذوا انفسكم من النار يا بني هاشم انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة انقذي نفسك من النار) ختمها بها لانها خلاصة قومه ثم عمم في بنزل الغاذه اياهم من النار بغير الايمان والعمل الصالح بقوله (فاني لا املك لكم) اي لجميعكم عامكم وخاصكم (من الله) اي من عذابه (شيئا) اي من الملك والقدرة والدفع والمنفعة والمعنى لا اقدر ان ادفع عنكم من عذاب الله شيئا ان اراد الله ان يعذبكم وهو مقتبس من قوله سبحانه فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا بل قال تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله في التوحيد وفي التفريد وهو صلى الله عليه وسلم وان كان قد يشفع للمؤمنين بالشفاعة حسب يستشفع ويشفع لكن اطلقه ترهيبا لهم عن الاتكال وترغيبا لهم في لجاجتهم في امر زاد المعاد والله رؤوف بالعباد وهذا معنى قوله (غير ان لكم رحما) اي قرابة (سابلها) بضم موحدة وتشديد لام اي ساصلها (ببلالها) بكسر الموحدة ويفتح اي بصلتها وبالاحسان اليهم وبعجله الى ساصل تلك القرابة بالشيء الذي يتوصل به الى الاقارب من الاحسان ودفع الظلم والتصر عليهم وغير ذلك في النهاية البلال جمع بلل والعرب يطلقون النداوة على الصلة كما يطلق اليبس على القطيعة لانهم لما راوا ان بعض الاشيا يتصل بالنداوة ويحصل بينهما التجانس والتفرق باليبس استعاروا البلل لمعنى الوصل واليبس لمعنى القطيعة والمعنى اصلكم في الدنيا ولا اغني عنكم من الله من شيء (رواه مسلم وفي المتفق عليه قال) هذا موجود في بعض النسخ المصححة (يا معشر قريش اشتروا انفسكم) اي اعتقوها وخلصوها (من النار) بالايمان وترك الكفرانات وبالطاعة لما جئت به والاتقيا لما منعت منه (لا اغني عنكم من الله شيئا) اي لا ابعد منكم ولا ادفع عنكم شيئا من عذاب الله (يا بني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب) بالنصب فيهما وفي نسخة برفع عباس (لا اغني عنك من الله شيئا ويا صفية) بالواو العاطفة بخلاف ما قبلها من الفاظ الندا فانها كانت في سبيل التعداد فصفية مرفوعة وقوله

عمة رسول الله منصوبة (لا اغني عنك من الله) وكذا قوله (يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي) كذا في النسخ من موصولة (لا اغني عنك من الله شيئا) قال التوربشتي اراد انه ليس من المال المعروف في شيء وانما عبر به عما يملكه من الامر وينفذ تصرفه ولم يثبت عندنا انه كان ذا مال لا سيما بمكة ويحتمل ان الكلمتين اعني من وما وقع التصل فيهما من بعض من لم يحققه من الرواة فكتبها منفصلتين انتهى وفيه انه يرده قوله تعالى ووجدك عائلا فاغنى اي بمال خديجة رضي الله تعالى عنها على ما قاله المفسرون وايضا لم يلزم من عدم وجود المال الحال بالجواز ان يدخل في يده شيء من المال في الاستقبال فيحمل الواحد المذكور في تلك الحالة وبهما امكن الجمع لتصحيح الدراية بغير عدم التخطئة في الرواية والله سبحانه وتعالى اعلم

الفصل الثاني

(عن ابي موسى) اي الاشعري رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتي هذه) اي امة الاجابة الموجودة ههنا المعهودة معنى كما بينا المذكورة حسنا (امة مرحومة) اي رحمة زايدة على سائر الامم لكون نبيهم رحمة للعالمين بل يسمى نبي الرحمة وهم خير الامة (ليس عليها عذاب) اي شديد (في الاخرة) بل غالب عذابهم انهم يجزون باعمالهم في الدنيا بالمحن والامراض وانواع البلايا كما حقق في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به على ما تقدم والله اعلم ويؤيده قوله (عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل) اي بغير حق وفي الحديث خاصة الامة لم تكن كثيرة ويمكن ان يكون الاشارة الى جماعة خاصة من الامة وهم المشار بهم وهم الصحابة او المشية مقدرة لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال المظهر هذا حديث مشكل لان مفهومه ان لا يعذب احد من امته صلى الله عليه وسلم سواء فيه من ارتكب الكبائر وغيره فقد وردت الاحاديث بتعذيب مرتكبي الكبائر اللهم الا ان يؤول بان المراد بالامة هنا من اقتدى به صلى الله عليه وسلم كما ينبغي وتمتثل بما امر الله وينتهي عما نهاه قال الطيبي الحديث وارد في مدح امته صلى الله عليه وسلم واختصاصهم من بين سائر الامم بعناية الله تعالى ورحمته عليهم وانهم اذا اصيبوا بمصيبة في الدنيا حتى الشوكة يشاكها ان الله يكفر بها في الاخرة ذنبا من ذنوبهم وليست هذه الخاصية لسائر الامم ويؤيده ذكر هذه وتعقيبها بقوله مرحومة فانه يدل على مزية تمييزهم بعناية الله ورحمته والذهاب الى المفهوم مهجور في مثل هذا المقام وهذه الرحمة هي المشار اليه بقوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الى قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي انتهى ولا يخفى عليك ان هذا كله مما لا يدفع الاشكال فانه لا شك عند ارباب الحال ان الرحمة لهذه الامة انما هي على وجه الكمال وانما الكلام في ان الحديث بظاهره يدل على ان احدا منهم لا يعذب في الاخرة وقد تواترت الاحاديث في ان جماعة من هذه الامة من اهل الكبائر يعذبون في النار ثم يخرجون اما بالشفاعة واما بعفو المالك الغفار وهذا منطوق لحديث ومعناه الماخوذ من الفاظه ومبناه وليس بمفهومه المتعارف المختلف في اعتباره حتى يصح قوله ان هذا المفهوم مهجور بل المراد بمفهومه في كلام المظهر المعلوم من العبارة ثم قول الطيبي وليست هذه الخاصية وهي كفارة الذنوب بالبلية لسائر الامم يحتاج الى دليل مثبت ولا عبرة بما فهم من المفهوم من قوله عذابها في الدنيا الفتن الى اخره فانه قابل للتقييد بكون وقوع عذابها غالبا (رواه ابو داود) وكذا الحاكم في مستدركه وصححه واقره الذهبي ذكره ميرك وفي الجامع بلفظ امتي هذه امة مرحومة ليس عليها عذاب انما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا رواه ابو داود والطبراني والحاكم والبيهقي عن ابي موسى ورواه الحاكم في الكنى عن انس امتي امة مرحومة مغفور لها متاب عليها اي يتوب الله عليها ولا يتركها مصرة على الذنوب ففيه دليل على ان المراد به خواص هذه الامة والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم
الفصل الثاني عن ابي موسى

وعن ابي عبيدة ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الامر
اي ما بعث به من اصلاح الناس دنيا ودينا وهو الاسلام وما يتعلق به من الاحكام بدا بالالف اي
ظهر وفي نسخة بالهمز اي ابتدا اول الامر الديني اخرا زمنه صلى الله عليه وسلم زمان نزول الوحي والرحمة
نبوة ورحمة نصبهما على التمييز او الحال اي بدا نبوة ورحمة كاملة من نبي الرحمة على الامة المرحومة
ثم يكون اي امر الدين خلافة اي نيابة عن حضرة النبوة ورحمة اي شفقة على الامة بطريق كمال الولاية
في وجه التبعية في الثلاثين سنة فانقضت بستة اشهر ايام الحسن فليس لمعاوية نصيب
في الخلافة خلافا لمن خالفه ثم ملكا عضوضا بفتح العين فعول للمبالغة من العض بالسن اي
يصيب الرعية فيه ظلم يعضون فيه عضا وروي بضم العين جمع عض بالكسر وهو الخبيث الشرس
اي يكون ملوك يظلمون الناس ويؤذونهم بغير حق وهذا مبني على الغالب اذ النادر لا حكم له فلا يشكل
بامثال عمر بن عبد العزيز كان عادلا حتى سمي عمر الثاني وقضاياه مشهورة ومناقبه مسطورة ثم كائن
اي ذلك الامر او ثم هذا الامر كائن جبرية بفتح الجيم والموحدة على النصب اي قهرا وغلبة وعتوا بضمتين
فتشديد اي تكبرا وفسادا في الارض اي من الحرث والانعام وغيرهما من منكرات العظام ولعل وجه
العدول في الكلام وهو الاستمرار والدوام كما هو مشاهد في هذه الايام حيث استغرقت الخلافة
في ايدي الظلمة لطريق التسلط والغلبة من غير رعاية شروط الامامة ولا تم في زيادة الظلم والتعدي
على الرعايا والتحكم عليهم بانواع البلايا واصناف الرزايا ثم في اعطاء المناصب لغير اربابها
المستحقين لها وعدم الالتفات الى العلماء العاملين والاولياء الصالحين ثم ان سلاطين زماننا
تركوا القتال مع المشركين وتوجهوا الى مقاتلة المسلمين لاخذ البلاد واعطاء العسكر وكذا
ما يتفرع على من سلاطين زماننا ثم ولديهم ... اقبح ما صدر من بعض خوانين
الازبك في زماننا انه امر بقتل العام في بلد عظيم من بلدان اهل الاسلام المشتمل على مشايخ
الكرام وسادات العظام وعلماء الاسلام والنساء والضعفاء والاطفال وسائر المرضى والعميان
والاهل والعيال الوف مؤلفة وصنوف مؤتلفة والحال ان اهل البلد المذكور على الملة الحنيفية
ومذهب الحنفية من جملة اهل السنة والجماعة ومدعي السلطنة يزعم انه على تعظيم العلم والشريعة
وقد صرح علماؤنا بان المسلمين لو فتحوا قلعة من اهل الكفر ويوجد فيهم الوثني من اهل الحرب لكن
فيهم ذمي واحد مجهول العين فيهم بينهم لا يجوز قتل العام في ذلك المقام فلا حول ولا قوة الا
بالله وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن اعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل
شيء علما هذا وقد ظهر الفساد في البر والبحر حتى في الحرمين الشريفين مما لم يمكن ذكره ومما لا
يتصور فكره والله ولي دينه وناصر نبيه وكل عام بل كل يوم وكل ساعة شرهم فلا الى ان تقوم
الساعة ولم يبق في الارض من يقول الله الله ويؤيده قوله يستحلون الحرير والفروج والخمور
اي بانواعها كما سبق يرزقون وفي نسخة ويرزقون اي والحال انهم يرزقون على ذلك ايضا ذكر
مع الاستحلال استدراجا يرتب على الافعال ويتصرفون اي على ما صدر منهم من الاعمال الحكمة ... ارباب النهى
حتى يلقوا الله اشارة الى قوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه
الابصار رواه البيهقي في شعب الايمان قلت وكان الاولى ان يذكره في كتابه دلائل النبوة وعن
عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يكفا بصيغة
المجهول مهموزا اي يكفا الانا اي يقلب ويمال ويكب لافراغ ما فيه قيل انه صلى الله عليه وسلم كان
يتحدث في الخمر فقال في اثناء حديثه اذا قال اول ما يكفا فالخبر محذوف اي الخمر لكنه غير ملايم لما بعده من نقل
المؤلف قال زيد بن يحيى الراوي اي احد رواة هذا الحديث يعني الاسلام فان الظاهر من اراده تقدير الخبر
وان معناه اول ما يتغير الاسلام وهو الانقياد والظاهر المتعلق بارتكاب الطاعات واجتناب

المحرمات

المحرمات وتوبيخه قوله كما يكفا الانا اي ما فيه ولهذا قال الراوي يعني اي يريد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
الانا الخمر اما على مجاز الحذف اي مظروف الانا واما على ذكر المحل وارادة الحال كما حقق في قوله تعالى واسال
القرية لكن يشكل بقوله قيل فكيف يا رسول الله اي يشربون الخمر ويمكن رفعه بان قيل المعنى فكيف الحال
في انقلاب احكام الاسلام وتبيان الحلال والحرام وقد بين الله فيها اي في الخمر مثلا ما بين اي من تحريمها
قال يسمونها بغير اسمها اي يسمونها باسم النبيذ والمثلث فيستحلونها اي حقيقة فيصيرون كفرة او يظهرون
انهم يشربون مما ابيح لهم من الانبذة فيتوصلون بذلك الى استحلال ما حرم عليهم منها هذا ما ظهر لي
في هذا المقام من حل المرام وقال الطيبي خبر ان محذوف وهو الخمر والكاف في كما يكفا صفة مصدر محذوف
يعني اول ما يكفا من الاسلام اكفا مثل اكفا ما في الانا انتهى وانت تعلم ان التقدير من الاسلام
وان من تبعيضية ساقطة من الكلام اي من احكامه وقال القاضي يكفا يقلب ويمال ويقال
كفات القدر اذا قلبتها لينصب عنها ما فيها والمراد به الشرب ههنا قال زيد يكفا القدح عند
الشرب وقول الراوي يعني الاسلام يريد به في الاسلام كما يشرب الماء ويجترئ عليه كالخمر ويؤول في تحليلها
بان يسمونها بغير اسمها كالنبيذ والمثلث انتهى فيفيد ان النبيذ والمثلث حلالان وان حقيقته
الشيء لا يتغير باسم شيء عليه كما يسمي الزنجي بالكافور فلا يصح استدلال من توهم حرمة القهوة المحدثة
بانها من اسماء القهوة الخمر ولا بانها تشرب على هيئة اهل الشرب لانا نقول لا خصوصية حينئذ بالقهوة
فان اللبن والماء والورد كذلك على ان الشرب المتعارف في الحرمين الشريفين وغيرهما ليس على منوال
شرب الفسقة فانه ليس ... بالمتعددة وشرب جماعة في حالة مختلفة وبهذا يزول المشابهة
ويرتفع الشبهة ومما يدل على اباحتها ما نص الله في كلامه بقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
وان الاصل في الاشياء الاباحة ما لم يعرف عنه دليل من الكتاب والسنة واجماع الامة والقياس
على وجه الصحة رواه الدارمي وروى احمد والنسائي والضياء عن عبادة بن الصامت مرفوعا
لتستحلن طائفة من امتي الخمر باسم يسمونها اياه انتهى والله اعلم

الفصل الثالث

عن النعمان بن بشير له ولابيه صحبة عن حذيفة اي صاحب اسرار النبوة المحمدية قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون النبوة بالرفع على ان تكون تامة او توجد فيكم ما شاء الله ان
تكون ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون خلافة بالرفع وفي بعض النسخ المصححة بالنصب على ان يكون ناقصة
وهو الملائم لما سيأتي من قوله ثم يكون ملكا والمعنى ثم تنقلب النبوة خلافة اذ يكون الحكومة او
الامارة خلافة اي نيابة حقيقية على منهاج النبوة اي طريقتها الصورية والمعنوية ما شاء الله ان
تكون اي الخلافة وهي ثلاثون سنة على ما ورد ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون ملكا عاضا اي يصيب
الرعية بعضا كعض الكلاب فيكون اي الملك اي الامر على هذا المنوال ما شاء الله ان يكون ثم يرفعها
الله تعالى اي تلك الحالة ثم تكون اي الحكومة ملكا جبرية اي جبروتية وسلطنة عظموتية فيكون
اي الامر على ذلك ما شاء الله ان يكون ثم يرفعها الله تعالى اي الجبرية ثم تكون اي تنقلب وتصير
خلافة وفي نسخة بالرفع اي تقع وتحدث خلافة كاملة على منهاج نبوة اي من كمال عدالة والمراد
بها زمن عيسى والمهدي عليهما السلام ثم سكت اي النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلام قال حبيب
قال المؤلف هو حبيب بن سالم مولى النعمان بن بشير وكاتبه روى عنه وعنه محمد بن المنتشر
وغيره فلما قام عمر بن عبد العزيز اي بامر الخلافة كتبت اليه بهذا الحديث اذكره اياه بتشديد الكاف
من التذكير بمعنى الموعظة وقلت ارجو ان تكون اي انت والخليفة امير المؤمنين وفي نسخة ...
اي يكون الموعود امير المؤمنين وقال الطيبي امير المؤمنين خبر يكون وقوله بعد الملك العاض والجبرية
ظرف للخبر على تاويل الحاكم العادل نحو قوله تعالى وهو الله في السموات اي معبود فيها قلت وفي بعض
النسخ بالتذكير في يكون وبالرفع في امير المؤمنين فيكون قوله بعد الملك ظرفا ... ليكون نعت

بضم السين وتشديد الراء اي فرح به اي بهذا الحديث رجاء ان يكون في حقه واعجبه عطف تفسيري يعني
اي يريد القايل بالضمير عمر بن عبد العزيز رواه احمد اي في مسنده والبيهقي في دلائل النبوة وفي
الجامع تكون امراء يقولون ولا يرد عليهم يتهافتون في النار يتبع بعضهم بعضا رواه الطبراني عن معاوية وفي
رواية ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه مرفوعا تكون لاصحابي زلة يغفرها الله تعالى لسابقتهم معي

كتاب الفتن

الفتن جمع الفتنة وهي الامتحان والاختبار بالبلية

الفصل الاول

عن حذيفة قال قام اي خطيبا او واعظا فينا اي فيما بيننا او لاجلنا ليعظنا ويخبرنا بما سيظهر من الفتن لنكون على حذر منها في كل الزمن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما اما مصدر ميمي او اسم مكان وقيل اسم زمان والجملة المنفية وهي قوله ما ترك شيئا الى اخره صفته وقوله يكون بمعنى يوجد صفة شيئا وقوله في مقامه متعلق بترك ووضع مقامه موضع ضمير الموصوف وقوله ذلك صفة مقامه اشارة الى زمانه عليه الصلاة والسلام وقوله الى قيام الساعة غاية ليكون والمعنى قام مقاما ما ترك شيئا يحدث فيه وينبغي ان يخبر بما يظهر من الفتن من ذلك الوقت الى قيام الساعة الا حدث به اي بذلك الشيء الكاين حفظه من حفظه اي المحدث به ونسيه من نسيه قد علمه اي هذا القيام او هذا الكلام بطريق الاجمال اصحابي هؤلاء اي الموجودون من جملة الصحابة لكن بعضهم لا يعلمونه مفصلا لما وقع لهم بعض النسيان الذي هو من خواص الانسان وانا ايضا منهم نسيت بعضه وهذا معنى قوله وانه اي الشان ثم تقدم ان الضمير لقوله شيئا ليكون منه الشيء قد نسيته صفة لشيء واللام فيه زايدة واللام في ليكون مفتوحة في انه جواب لقسم مقدر والمعنى ليقع شيء مما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وقد نسيته فاراه فاذكره اي فاذا عاينته تذكرت ما نسيته والعدول من المضي الى المضارع لاستحضار حكاية الحال ثم شبه الموصوف بالمعاين فقال كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه اي ثم نسيه ثم اذا رآه عرفه متفق عليه وعنه اي عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تعرض بصيغة المجهول اي توضع وتبسط الفتن اي البلايا والمحن وقيل العقايد الفاسدة والاهواء الكاسدة على القلوب وقيل تعرض عليها اي تظهر لها ويعرف ما يقبل منها وما يأباه ومنع منها من عرض العود على الاناء اذا وضعه عليه بعرضه وقيل هو من عرض الجندي بين يدي السلطان لاظهار حالهم واختبار احوالهم كالحصير اي كما ينسج الحصير عودا عودا بضم عين ودال مهملة ونصبهما على الحال اي ينسج الحصير حال كونه على هذا المنوال قال التوربشتي قد روي بالرفع وكذا نرويه عن كتاب مسلم وعلى هذا الوجه اورده صاحب المصابيح والتقدير هو عود عود ورواه اخرون بالنصب انتهى فهو خبر مبتدأ مقدر والمقدر ينسج عود عود هو مفعول ما لم يسم فاعله وفي نسخة عوذا عوذا بفتح العين والذال المعجمة اي نعوذ بالله من ذلك عوذا بعد عوذ قال النووي هذا الحرف مما اختلف في ضبطه على ثلاثة اوجه اظهرها واشهرها ضم العين والدال المهملة والثاني فتح العين والدال المهملة والثالث فتح العين والذال المعجمة ومعنى تعرض اي تلصق بعرض القلوب اي جانبها كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها ومعنى عودا عودا اي تعاد وتكرر شيئا بعد شيء قال ابن سراج ومن رواه بالذال المعجمة فمعناه سؤال الاستعاذة منها كما يقال غفرا غفرا اي نسألك ان تعيذنا من ذلك وان تغفر لنا وقال الخطابي معناه تظهر على القلوب اي تظهر لها فتنة بعد اخرى كما ينسج الحصير عودا عودا وشظية بعد اخرى قال القاضي عياض وعلى هذا يترجح رواية ضم العين وذلك ان ناسج الحصير عند العرب كلما صنع عودا اخذ اخر ونسجه فشبه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد اخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحدا بعد واحد انتهى فالكلام

الا هكذا لكن فاي قلب اشربها بصيغة المفعول يقال اشرب في قلبه حبه اي خالطه فالمعنى خالطها الفتن واختلط بها ودخلت فيه دخولا تاما والزمها لزوما كاملا وحلت منه محل الشراب في نفوذ المسام وتنفيذ المرام ومنه قوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل والاشراب خلط لون بلون كان احد اللونين شرب الاخر وكسيه لونا اخر فالمعنى جعل متأثرا بالفتن بحيث تداخل فيه حبها كما يتداخل الصبغ الثوب نكت بصيغة المجهول اي نقطت واثرت فيه اي في قلبه نكتة سوداء واصل النكت ضرب الارض بقضيب فيؤثر فيها واي قلب انكرها اي رد الفتن وامتنع من قبولها نكتت فيه نكتة بيضاء اي الا لم تكن فيه ابتداء والا فمعنى نكتت اثبتت فيه ودامت واستمرت حتى غاية الامر حتى تصير بالفوقية وفي نسخة بالتحتية اي تصير قلوب اهل ذلك الزمان او يصير الانسان باعتبار قلبه او يصير قلبه على قلبين اي نوعين او صنفين ابيض بالرفع اي احدهما ابيض مثل الصفا بالقصر اي مثل الحجر المرمر الاملس من غاية البياض قال الصفا وفي نسخة بفتحهما على الاصل وقد يدل البعض من قلبين والثاني على الحال ومنه ايضا مثلا وتشابهه للصفا في النور وانها لا تضره فتنة وظلمة وبلية ما دامت السموات والارض لانها قلوب صافية قد انكرت تلك الفتن في ذلك الزمن فحفظها عنها بعد تلك الساعة الى يوم القيامة والاخر بالرفع وكذا قوله اسود مربادا بكسر الميم والدال المشددة من اربادّ كاحمرّ اي صار كلون الرماد من الربدة لون بين السواد والغبرة وهو حال ومنصوب على الذم كالكوز اي يشبه الاخر الكوز حال كونه مجخيا بفتح ميم وسكون جيم وخاء مكسورة مشددة وقد تخفف وياء اخر الحروف وفي النهاية وروي بتقديم الخاء على الجيم اي مايلا منكوسا مشبه من هو خال من العلوم والمعارف بكوز مايل لا يثبت فيه شيء ولا يستقر وهذا معنى قوله لا يعرف اي هذا القلب معروفا ولا ينكر منكرا والمعنى لا يبقى فيه عرفان ما هو معروف ولا انكار ما هو منكر الا ما اشرب اي القلب من هواه اي فيتبعه طبعا من غير ملاحظة كونه معروفا او منكرا شرعا هذا مجمل المقام وتفصيله ما ذكر شراح الكرام في هذا المقام قال القاضي اي يصير جنس الانسان قسمين قسم ذو قلب ابيض كالصفا وذو قلب اسود مربادا قال المظهر الضمير في للقلوب اي تصير القلوب على نوعين احدهما ابيض وثانيهما اسود قال التوربشتي الصفا الحجر الصافي الاملس وانما يراد به هنا النوع الذي فيه بياضه وعليه نبه بقوله ابيض وانما ضرب المثل به لان الاحجار اذا لم تكن معدنية لم تتغير بطول الزمان ولم يدخلها لون اخر سيما النوع الذي ضرب به المثل فانه ابدا على البياض الخالص الذي لا يشوبه كدورة وانما وصف القلب بالربدة لانه انكر ما يوجد من السواد بخلاف ما يشوبه صفاء وتعلوه طراوة من النوع الخالص وفي شرح مسلم قال القاضي عياض ليس تشبيهه بالصفا بيانا لبياضه لكنه صفة اخرى لشدته على عقد الايمان وسلامته من الخلل وان الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا وهو الحجر الاملس الذي لا يعلق به شيء واما قوله مربادا فكذا هو في روايتنا واصول بلادنا وهو منصوب على الحال وذكر القاضي عياض خلافا في ضبطه فان منهم من ضبطه كما ذكرناه ومنهم من روى مربئد بهمزة مكسورة بعد الباء واصله ان لا يهمز ويكون مربد مثل مسواد ومحمار لانه من اربد الا على لغة من قال احمأر بهمز بعد الميم لالتقاء الساكنين فيقال اربأد فهو مربئد والدال مشددة على القولين قال المظهر قوله الا ما اشرب يعني لا يعرف القلب الا ما قبل من الاعتقادات الفاسدة والشهوات النفسانية فيه وقال الطيبي ولعله اراد من باب تأكيد الذم بما يشبه المدح اي ليس فيه خير البتة الا هذا وهذا ليس بخير فيلزم منه ان لا يكون فيه خير رواه مسلم وعنه اي عن حذيفة رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين اي في امر الامانة الكائنة في زمن الفتنة وبهذا يظهر وجه مناسبة ذكرهما في الباب قال النووي الاول حدثنا ان الامانة نزلت الخ والثاني حدثنا عن رفعها رأيت احدهما وهو نزول الامانة وانا انتظر الاخر

وهو رفع الامانة حدثنا وهو الحديث الاول ان الامانة وفي الايمان ومنه قوله تعالى انا عرضنا الامانة
وعبر عنه به لانها مدار امر الديانة نزلت في جذر قلوب الرجال بفتح الجيم وبكسرها اي اصل قلوبهم شارح
جذر كل شيء اصله اي ان الامانة اول ما نزلت في قلوب رجال الله واستولت عليها فكانت هي الباعثة
في الاخذ بالكتاب والسنة وهذا هو المعنى بقوله ثم علموا اي بنور الايمان من القران اي مما يتلقون
عنه صلى الله عليه وسلم واجبا كان او نفلا حراما او مباحا ماخوذا من الكتاب او الحديث وقوله
ثم من السنة وفي نسخة صحيحة ثم علموا من السنة فيه اشارة الى تاخير رتبة الماخوذ من الحديث
بالنسبة الى نص كلام القديم قال النووي الظاهر ان المراد بالامانة التكليف الذي كلف الله تعالى
بها عباده والعهد الذي اخذه عليهم قال صاحب التقرير الامانة في الحديث هي الامانة المذكورة
في قوله تعالى انا عرضنا الامانة وهي عين الايمان انتهى ان الظاهر ان المراد بالعهد في كلام النووي
العهد الميثاقي وهو الايمان الفطري فذكر قول صاحب التقرير لبيان مزيد تحرير التقرير لا انه
مخالف للظاهر على ما هو المتبادر فانه عين ما هو المقصود فتوصيف الحديث السابق وكذا بابينه من ختم الحديث
بقول الملاح حيث قال وما في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان اذ المراد الايمان هو
منبع الامانة واما قوله صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا امانة له فالمراد به نفي الكمال
والله اعلم بالحال وحدثنا وهو الحديث الثاني عن رفعها اي ارتفاع ثمرة الايمان وانتقاصه فانه سيكون
بعد عصره في عصر الصحابة قال ينام الرجل النومة وهي في حقيقتها اما بعدها امر اضطراري واما النومة
كناية عن الغفلة الموجبة لارتكاب السيئة الباعثة في نقص الامانة ونقص الايمان فتقبض الامانة
اي بعضها كما يدل عليه ما بعده والمعنى بنقص بعض ثمرة الايمان من قلبه فيظل بفتحات فتشديد
لام اي فيصير اثرها اي اثر الامانة وهي ثمرة الايمان مثل اثر الوكت بفتح الكاف الوكت بفتح الواو
واسكان الكاف وبالفوقية وهو الاثر اليسير كالنقطة في الشيء ثم ينام النومة اي الاخرى
فتقبض اي الامانة اي بعض ما بقي منها فيبقى معروفا وقيل مجهولا اثرها مثل اثر المجل بفتح الميم
وسكون الجيم وبفتح وهو اثر العمل في اليد كجمر اي بأثر كاثر جمر وقال شارح ابدل من مثل اثر
المجل اي يكون اثرها في القلب كاثر جمر او خبر مبتدا محذوف اي هو يعني اثر المجل كجمر دحرجته على رجلك
فنفط بكسر الفاء ذكر الضمير فيه وكذا في قوله فتراه منتبرا بكسر الموحدة منتفخا مع ان الرجل مونث سماعي
على ارادة الموضع المدحرج عليه الجمر ومنه قول عمر رضي الله عنه اياكم والتخلل بالقصب فان الفم
ينتبر منه اي يرم وينتفط قيل المعنى يخيل اليك ان الرجل ذو امانة وهو في ذلك بمثابة نفطة
تراها منتفطة من نفخة كبيرة لا طائل تحتها وفي الفايق الفرق بين الوكت والمجل ان الوكت النقطة
في الشيء من غير لونه والمجل غلظ الجلد من العمل لا غير قيل يرد عليه قوله فتراه منتبرا وليس فيه شيء اي صلح
بل ما فاسد وفي شرح مسلم قال صاحب التحرير معنى الحديث ان الامانة تزول عن القلوب شيئا فشيئا
فاذا زال اول جزء منها زال نورها وخلفته ظلمة كالوكت وهو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله
فاذا زال شيء اخر صار كالمجل وهو اثر محكم لا يكاد يزول الا بعد مدة وهذه الظلمة فوق التي قبلها
ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة
اياه بجمر يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها ثم يزول الجمر ويبقى النفط واما ذكر لفظ ولم يقل تنفطت اعتبارا
بالعضو انتهى وقال شارح من علمائنا يريد ان الامانة ترتفع عن القلوب عقوبة لاصحابها على
ما اجترحوا من الذنوب حتى اذا استيقظوا من منامهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه ويبقى
فيها اثرنا له مثل الوكت وثانية مثل المجل وهو النفاط ايد من العهد والمجل وان كان مصدرا
الا ان المراد به ههنا نفس النطفة وهذا اقدم من المرة الاولى لانه شبهها بالجون بخلاف المرة
الاولى اراد به خلو القلب عن الامانة مع بقاء اثرها من طريق الجان ويصبح الناس اي يدخلون

في الصباح او يصيرون يتبايعون اي يجري بينهم التبايع ويقع عند تمام التعاهد ولا يكاد احد يودي
الامانة بل يظهر من كل احد منهم الخيانة في المبايعة والمواعدة والمعاهدة ومن المعلوم ان حفظا لا
اثر كمال الايمان فاذا نقص الامانة نقص الايمان وبطل الايقان وزال الاحسان حتى يقال اي من
غاية قلة الامانة في الناس ان في بني فلان رجلا امينا اي كامل الايمان وعامل الامانة ويقال
اي في ذلك الزمان للرجل اي من ارباب الدنيا ممن له عقل في تحصيل المال والجاه وطبع في الشعر
والنثر وفصاحة وبلاغة وصلاحة وقوة بدنية وشجاعة وشوكة ما اعقله وما اظرفه وما
اجلده تعجبا من كماله واستغرابا من مقاله واستبعادا من جماله وحاصله انهم يمدحونه بكثرة
العقل والظرافة والجلادة ويتعجبون منه ولا يمدحون احدا بكثرة العلم النافع وصلاح العمل
الصالح وما في قلبه حال من الرجل والحال انه ليس في قلبه مثقال حبة اي مقدار شيء قليل من خردل
من باب تنبيه لحبة اي هي خردل من ايمان اي كائنا منه وهو يحتمل ان يكون المراد منه نفي اصل الايمان
او كماله والله اعلم قال الطيبي لعله انما حملهم على تغيير الامانة في قوله ان الامانة نزلت
بالايمان لقوله اخرا وما في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فهلا حملوها على حقيقتها لقوله
ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد احد يودي الامانة فيكون وضع الايمان اخرا موضعها
تفخيما لشانها وحثا على ادائها قال صلى الله عليه وسلم لا دين لمن لا امانة له قلت انما حملهم
عليه ما ذكر اخرا وما صدرا ولاسيما قوله نزلت في جذر قلوب الرجال فان نزول الامانة يعني
الايمان هو المناسب لان جعل قلوب المومنين ثم يعلمون ايقانه واتقانهم بتتبع الكتاب
والسنة واما الامانة فهي جزئية من كلية ما يتعلق بالايمان والقران والله سبحانه اعلم
متفق عليه وعنه اي عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال كان الناس اي اكثرهم يسالون
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير اي عن الطاعة ليعملوها او عن السعة والرخاء
ليفرحوا به ويستغنوا بالدنيا على الاخرى وكنت اسأله عن الشر اي عن المعصية او العشرة
المرتبة على التوسعة مخافة ان يدركني اي خشية ان يلحقني الشر نفسه او بسببه وهذا
نظر بين فيه وكما راعى الخلية كما وكثير من الفضلاء الذين الاحتماء اولى في دفع الداء من استعمال
الدواء وان التخلية مقدمة على التحلية وفي كلمة التوحيد اشارة الى ذلك حيث نفي السوى
ثم اثبت المولى بل هذا ارجح معرفة الله على النعوت التنزيهية كقوله تعالى ليس كمثله شيء
دون الصفات الثبوتية بظهور وجودها في خالق الاشياء بالفطرة العقلية قال
الطيبي المراد بالشر الفتنة ووهن عرى الاسلام واستيلاء الضلالة وفشو البدعة والخير
عكسه يدل عليه ما نقله الراوي عنه قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا في
جاهلية اي ايام غلب فيها الجهل بالتوحيد والنبوة وما بينهما من سائر احكام الشريعة
فقوله وشر عطف تفسيري والمعنى به الكفر فهو تخصيص بعد تعميم فجاءنا الله بهذا الخير
اي الخير العظيم وهو الاسلام ببركة بعثتك ومفهومه انه ذهب بالشر عنا بهدم قواعد الكفر
والضلال ولعله حذف وجعل من باب الاكتفاء وهما ضدان لا يجتمعان فهل بعد هذا الخير
اي الثابت من شر اي من حدوث بعض شر قال نعم قلت وهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم
وفيه دخن بفتحتين اي كدورة اي نشوا دوالمراد ان لا يكون خيرا صفوا بحتا بل يكون مشوبا
بكدورة وظلمة قلت وما دخنه قال قوم يستنون بتشديد النون الاولى اي يقتدون بغير سنتي
ويهتدون اي يدلون الناس بغير هديي اي بغير طريقتي ويتخذون سيرة غير سيرتي تعرف منهم
وتنكر قال المظهر اي ترى فيهم ما تعرفه انه من ديني وترى ايضا ما تنكر انه ديني قال الاشرف تعرف
منهم المنكر بان يصدر المنكر عنهم وتنكرهم خبر بمعنى الامر اي انكر عليهم صدور المنكر عنهم قال الطيبي

وجه الاول راجع الى معنى قوله نعم وفيه دخن اي تعرف فيهم الخير فتقبل والشر فتنكر من المقابلة
المعنوية والوجه الثاني راجع الى معنى قوله يستنون بغير سنتي فالوجه ان يكون معطوفا
على كلامه في معنى الامر اي اترى ذلك منهم وانكر والخطاب في تعرف وتنكر من الخطاب العام
قال الاشرف وفيه نظر اذ لا يخفى لكل احد له قابلية معرفة المعروف وانكار المنكر فيخاطب
خاص لحذيفة وامثاله من اهل العلم والديانة قيل المراد بالشر الاول الفتنة التي وقعت
عند قتل عثمان رضي الله عنه وما بعده وبالخير الثاني ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز
وبالذين تعرف منهم وتنكر الامراء بعده فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل
ومنهم من يدعو الى البدعة ويعمل بالجور اقول ومنهم من يعمل بالمعروف تارة ويعمل بالمنكر
اخرى بحسب ما يقع لهم من تتبع الهوى وتحصيل غرضهم من امور الدنيا لانهم يريدون
تحرير الاخرى وترك الدار الاخرى كما عليه بعض امراء زماننا وقيل المراد من الشر الاول
فتنة عثمان وما بعده وبالخير الثاني ما وقع من صلح الحسن مع معاوية والاجماع عليه
وبالدخن ما كان في زمنه من بعض الامراء كزياد بالعراق وخلاف من خالف عليه من الخوارج
قلت فهل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاة جمع داع على ابواب جهنم قال الاشرف
اي جماعة يدعون الناس الى الضلالة ويصدونهم عن الهدى بانواع من التلبيس ومن الخير
الى الشر ومن السنة الى البدعة ومن الزهد الى الرغبة جعل النبي صلى الله عليه وسلم
دعوة الدعاة واجابة المدعوين سببا لادخالهم اياهم في جهنم ودخولهم فيها وجعل كل نوع من
انواع التلبيس بمنزلة باب من ابواب جهنم من اجابهم اي الدعاة اليها اي الى جهنم يعني الى
الضلالة المؤدية اليها قذفوه فيها اي رموه وصاروا سببا لقذفه في جهنم قيل المراد بالدعاة
من قام في طلب الملك من الخوارج والروافض وغيرهما ممن لم يوجد فيهم شروط الامارة
والامامة والولاية وجعلوا دعاة على ابواب جهنم باعتبار المآل نحو قوله تعالى ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وقيل هو كقوله تعالى ان الابرار
لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فكانهم كائنون على ابواب جهنم باعتبار الدخول فيها
او لان المباشر بسبب شيء فكانه واقع به داخل فيه قلت يا رسول الله صفهم لنا اي اهم منا
ام من غيرنا قال هم من جلدتنا اي من انفسنا وعشيرتنا كذا في النهاية وقيل معناه من اهل ملتنا
ذكره الاشرف وقوله الطف وقيل من ابناء جنسنا وقيل ان الجلدة اخص من الجلد وجلد الشيء
ظاهره وهو في الاصل غشاء البدن ويتكلمون بالسنتنا بالعربية او بالمواعظ والحكم او بما
قال الله وقال رسوله وما في قلوبهم شيء من الخير يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم قلت
فما تأمرني اي ان افعل به فيهم ان ادركني ذلك اي ذلك الزمان قال تلزم جماعة المسلمين اي
طريقتهم وحضور جمعتهم وجماعتهم وامامهم اي ورعاية امامهم ومتابعتهم ومساعدتهم قلت
فان لم يكن لهم جماعة اي متفقون ولا امام اي امير يجتمعون عليه ويجتنبون تفرقهم او فقد احدهما
قال فاعتزل تلك الفرق كلها اي الفرق الضالة الواقعة على خلاف الجادة من طريق اهل
السنة والجماعة ولو ان تعض باصل شجرة اي ولو كان الاعتزال بالعض وان مصدرية وتعض
منصوب في النسخ المصححة والاصول المعتمدة وقيل ان مخففة من الثقيلة قال التوربشتي
اي تمسك بما يصبرك ويقوي به على اعتزالك ولو بما لا يكاد يصح ان يكون متمسكا قال
الطيبي هذا شرط يعقب به الكلام تتميما ومبالغة اي اعتزل الناس اعتزالا لا غاية بعده ولو
قنعت فيه بعض اصل الشجرة فافعل فانه خير لك حتى يدركك الموت وانت على ذلك اي على ما ذكر
من الاعتزال والعض والخبر متفق عليه وفي رواية لمسلم قال ميرك اخرج مسلم هذه الرواية

عقب

عقب الحديث المتقدم من حديث ابي سلام عن حذيفة وذكر الدارقطني ان ابا سلام لم يسمع
من حذيفة ولذا قال فيه قال حذيفة فيكون الحديث منقطعا وقال بعض الحفاظ انما لم
يخرج البخاري لابي سلام شيئا في صحيحه لان روايته مرسلة انتهى وابو سلام اسمه
ممطور الاسود الحبشي وقال النووي ما قاله الدارقطني صحيح ولكن المتن صحيح بالطريق
الاول وانما اتى مسلم بهذا متابعة فان المرسل اذا اتى من طريق اخر تبين به صحة المرسل
وجاز الاحتجاج به ويصير في المسألة حديثان صحيحان والله اعلم اقول وهذا
الاشكال انما هو على قول من يقول ان المرسل ليس بحجة واما على قول
الجمهور بانه حجة ومنهم ابو حنيفة فلا شبهة فيه قال اي النبي صلى الله عليه وسلم
يكون بعدي ائمة بتخفيف الهمزة الثانية وتسهيلها وابدالها جمع امام على ان اصلها أأممة
على وزن افعلة اي جماعة يطلق عليهم الائمة لا يهتدون بهداي اي من حيث العلم ولا يستنون
بسنتي اي من حيث العمل والمعنى انهم لا يأخذون بالكتاب والسنة وسيقوم فيهم رجال
قلوبهم قلوب الشياطين كقلوبهم في الظلمة والقساوة والوسوسة والتلبيس والاراء
الكاسدة والاهواء الفاسدة في جثمان انس بضم الجيم اي في جسده والمراد به جنس الانس
فيطابق الجمع السابق قال حذيفة قلت كيف اصنع يا رسول الله ان ادركت ذلك
اي ذلك الوقت او ما ذكر من اهل ذلك الزمان قال تسمع اي ما يأمرك الامير خبر بمعنى الامر اي
فيما لا معصية فيه الامر وكذا قوله وتطيع اي فيما لا معصية فيه الامير مفعول تنازع فيه
الفعلان وان ضرب ظهرك بصيغة المجهول اي ولو ضرب واخذ مالك وفي نسخة بصيغة
المعلوم فيهما ففيهما ضمير للامير واسناد حقيقي او مجازي وتخصيص الظهر لبيان الواقع
غالبا وقوله فاسمع واطع جزاء الشرط اي لمزيد تقرير واهتمام بتحرير شانه والا فهو قيد الشرط
اغنى عنه قال ابن الملك الا اذا امرك باثم فلا تطعه لكن لا تقاتله بل ادفعه وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا اي سابقوا وسارعوا
بالاعمال اي بالاشتغال بالاعمال الصالحة فتنا اي وقوع فتن كقطع الليل المظلم بكسر القاف
وفتح الطاء جمع قطعة والمعنى كقطعة من الليل المظلم لفرط سوادها وظلمتها وعدم تبين
الصلاح والفساد فيها وفيه ايماء الى ان اهل هذه الفتن ما قال تعالى في حقهم كانما اغشيت
وجوههم قطعا من الليل مظلما وقد قرأ ابن كثير والكسائي في الاية بسكون الطاء ان
المراد به جزء من الليل ومن سواده وترادف ظلمته وحاصل المعنى تعجلوا بالاعمال الصالحة
قبل مجيء الفتن المظلمة من القتل والنهب والاختلاف بين المسلمين في امر الدنيا و
الدين فانكم لا تطيقون الاعمال على وجه الكمال فيها والمراد من التشبيه بيان حال الفتن
من حيث انها تشيع فظع ولا يعرف سببها ولا طريق الخلاص منها فالمبادرة المسارعة بادراك
الشيء قبل فواته او بدفعه قبل وقوعه يصبح الرجل مؤمنا اي موصوفا باصل الايمان
او بكماله ويمسي كافرا اي حقيقة او كافرا للنعمة او مشابها للكفرة او عاملا عمل الكافر
ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا وقيل المعنى يصبح محرما ما حرمه الله ويمسي مستحلا اياه
وبالعكس وحاصله التذبذب في امر الدين والتتبع لامر الدنيا كما بينه بقوله يبيع اي احد
او احدهم كما في الجامع دينه اي بتركه بعرض بفتحتين اي بأخذ متاع دني وثمن رديء من الدنيا
زاد في الجامع قليل يعني انه منفعة عرض وقد روى ابن ماجه والطبراني عن ابي امامة مرفوعا
ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا الا من احياه الله فقوله يصبح استئناف
لبيان لحال بعض الفتن في ذلك الزمن وقال الطيبي استئناف بيان لحال المشبه وهو قوله

فتنا وقوله يبيع إلى آخره بيان للبيان قال المظهر فيه وجوه أحدها أن يكون بين طائفتين
من المسلمين قتال لمجرد العصبية والغضب فيستحلون الدم والمال وثانيها أن يكون
ولاة المسلمين ظلمة فيريقون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم بغير حق ويزنون ويشربون
الخمر فيعتقد بعض الناس أنهم على الحق ويفتيهم بعض علماء السوء على جواز ما يفعلون من إراقة
من إراقة الدماء وأخذ الأموال ونحوها وثالثها ما يجري بين الناس مما يخالف الشرع
في المعاملات والمبايعات وغيرها فيستحلونها والله أعلم رواه مسلم وكذا أحمد والترمذي
وروى البيهقي عن أبي أمامة مرفوعا بادروا بالأعمال سبعا ما تنتظرون إلا فقرا منسيا أو غنى
مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فإنه شر منتظر أو الساعة
أدهى وأمر وروى الطبراني عن عابس الغفاري مرفوعا بادروا بالأعمال ستا إمارة السفهاء
وكثرة الشرط وبيع الحكم واستخفافا بالدم وقطيعة الرحم ونشوا يتخذون القرآن
مزامير يقدمون أحدهم ليغنيهم وإن كان أقلهم فقها وعنه أي عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن أي عظيمة وكثيرة متعاقبة
متوالية أو متراخية القاعد فيها أي في تلك الفتن خير من القائم لأنه يرى ويسمع ما لا
يراه ولا يسمعه القاعد فيكون أقرب من عذاب تلك الفتن بمشاهدته ما لا يشاهده
القاعد ويمكن أن يكون المراد بالقاعد هو الثابت في مكانه غير متحرك لما يقع من الفتنة
في زمانه والمراد بالقائم ما يكون فيه نوع باعث وداعية لكنه متردد في إثارة الفتنة
والقائم فيها أي من بعيد متشرف عليها أو القائم بمكانه في تلك الحالة خير من الماشي
أي من الذاهب على رجله إليها والماشي فيها أي إليها أو فيما بينها خير من الساعي أي من المسرع
إليها ماشيا أو راكبا من تشرف لها بتشديد الراء أي من تطلع إليها تستشرفه بالجزم ويرفع
أي تطلبه وتجذبه إليها قال التوربشتي من تطلع لها دعته إلى الوقوع فيها والتشرف التطلع
واستعير هنا للإصابة بشرها أو أريد بها أنها تدعوه إلى زيادة النظر إليها وقيل إنه من استشرفت
الشيء أي علوته يريد من انتصب لها انتصبت له ومن أعرض عنها أعرضت عنه وقيل هو من المخاطرة والإشفاء
على الهلاك أي من خاطر بنفسه فيها أهلكته قال الطيبي لعل الوجه الثالث أولى لما يظهر
منه معنى اللام في لها وعليه كلام الفائق وهو قوله أي من غالبها غلبته قلت ولعل
الوجه الأول أولى لما فيه من ترتب المعنى المفهوم منه المبالغة المفيدة للاحتراس واختيار الأخرى
التابع في الذنب والأحرى [illegible] لشارح تشرف واستشرف أي صعد شرفا أي مرتفعا لينظر إلى شيء
أي مكان كان يعني من قرب من تلك الفتن ونظر إليها نظرت إليه الفتن وجره إلى نفسها
فالخلاص في التباعد منها والهلاك في مقاربتها فمن وجد ملجأ أي مناصا ومفرا ومهربا أو معاذا
بفتح الميم أي موضعا أو شخصا ملاذا يتخلص بالذهاب إليه وباللجأ ذيه من الفتن فليعذ بضم
العين أي فليستعذ به أي بالمعاذ فيما ذكر من الملجأ والمعاذ فليذهب إليهما متفق عليه
ورواه أحمد وفي رواية لمسلم قال تكون فتنة أي عظيمة النائم فيها خير من اليقظان
بسكون القاف أي المتنبه لعدم شعور النائم عنها وفي معناه الغافل ولو كان يقظان فالمراد
باليقظان هو العالم بالفتنة سواء يكون مضطجعا أو قاعدا أو قائما واليقظان أي مضطجعا
أو جالسا خير من القائم أي لتطلعه واستشرافه أو لأن فيه نوع حركته فيها والقائم فيها أي المتوقف
في مكانه خير من الساعي أي ماشيا أو راكبا إليها فمن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليستعذ به وفي
الجامع روى الحاكم عن خالد بن عرفطة ستكون أحداث وفتنة وفرقة واختلاف فإن استطعت
أن تكون المقتول لا القاتل فافعل وعن أبي بكرة أي الثقفي رضي الله عنه قال قال رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم إنها أي القصة ستكون أي ستوجد وتحدث وتقع فتن ألا للتنبيه
ثم تكون فتنة أي عظيمة وفي بعض النسخ المصححة ألا ثم تكون فتن بصيغة الجمع ثم بتعلة ألا ثم
تكون فتنة بصيغة الوحدة قال الطيبي فيه ثلاث مبالغات أحدها حرف التنبيه بين المعطوف
عليه لمزيد التنبيه لها وعطف بثم للتراخي في رتبة هذه الفتنة الخاصة تنبيها على عظمها وهولها على
أنه من عطف العام على الخاص لاختصاصها بما يفارقها من سائر أشكالها وأنها كالداهية الدهياء
نسأل الله العافية منها بفضله وعميم طوله القاعد فيها خير من الماشي فيها والماشي فيها خير من
الساعي إليها أي بجعلها غاية سعيه ومنتهى غرضه لا يرى مطلبا غيرها ولام الغرض وإلى الغاية
متقاربان معنى تحقيقه بتنقيح التدرج والترقي من الماشي فيها إلى الساعي إليها ألا للتنبيه
زيادة للتأكيد ألا فإذا وقعت أي الفتن أو تلك الفتنة فمن كان له إبل أي في البرية فليلحق
بإبله ومن كان له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له أرض أي عقار أو مزرعة بعيدة عن الخلق
فليلحق بأرضه فإن الاعتزال والاشتغال بخويصة الحال حينئذ واجب لوقوع عموم الفتنة
العمياء بين الرجال كما قال من قال شعر

إن السلامة من ليلى وجارتها ... أن لا تمر على حال بواديها

قال رجل يا رسول الله أرأيت أي أخبرني من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض أي فأين
يذهب أو كيف يفعل قال يعمد بكسر الميم أي يقصد إلى سيفه أي إن كان له فيدق على حده
أي فيضرب على جانب سيفه الحاد بحجر والمعنى فليكسر سلاحه لئلا يذهب به إلى الحرب لأن تلك
الحروب بين المسلمين فلا يجوز حضورها ثم لينج بكسر اللام ويسكن وبفتح الياء وسكون
النون وضم الجيم أي ليفر وليسرع هربا حتى لا يصيبه الفتن إن استطاع النجاء بفتح النون
والمد أي الإسراع قال الطيبي قوله ليعمد إلخ عبارة عن تجرده تجردا تاما كأنه قيل من لم يحزن له
ما يشتغل به من مهماته فلينج على أنه أمر من النجاء وليس كذلك كما يدل عليه قوله
إن استطاع النجاء حيث لم يقل إذا استطاع النجاة اللهم إلا أن يراد به حاصل المعنى مع
قطع النظر عن المادة والمبنى والله أعلم اللهم أي قال صلى الله عليه وسلم بعد ذكر هذه
الفتن والتحذير عن الوقوع في مثل ذلك الزمن اللهم أي يا الله هل بلغت أي قد بلغت
إلى عبادك ما أمرتني به أن أبلغه إياهم ثلاث مصدر للفعل المقدر أي قال ثلاث مرات
فقال رجل يا رسول الله أرأيت أي أخبرني إن أكرهت أي أخذت بالكره وأجبرت حتى
ينطلق بصيغة المجهول أي يذهب بي إلى أحد الصفين [illegible] فضربني رجل بسيفه
أو للتنويع يجيء سهم بصيغة المضارع عطفا على الماضي فيقتلني الظاهر أنه تفريع على الأخير
والإسناد مجازي ويحتمل أن يستند إليهما على الأول [illegible] حكم القاتل والمقتول
قال يبوء أي يرجع القاتل وقيل المكره بإثمه أي بعقوبته في قتله [illegible] وإثمك أي بعقوبة
قتله إياك خصوصا أو المراد بإثمه [illegible] أو المراد بإثمك
سيئاتك التي فعلتها [illegible] ويكون أي هو
من أصحاب النار قال تعالى وذلك جزاء الظالمين [illegible] من أصحاب الجنة وأن كل
هذا هو المفهوم منه [illegible] الخطاب المعين لا المفروض
المفيد المراد به الخطاب العام على طريق الإبهام ثم الحكم مقتبس من قوله سبحانه واتل عليهم
نبأ ابني آدم بالحق الخ [illegible] قال صلى الله عليه وسلم كن خير ابني آدم وفي رواية كن عبد الله
المقتول ولا تكن عبد الله القاتل قال الطيبي قوله يبوء الخ فيه وجهان أحدهما أراد بإثمه
إثمك على الانتساب أي يرجع بإثمه ومثل إثمك المقدر لو قتلته وثانيهما أراد بإثمه قتلك

في حذف المضاف وامثاله بين يدي الفتنة رواه مسلم وعن ابي سعيد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوشك اي يقرب ان يكون خير مال المسلم بالنصب غنم اي قطعة من الغنم
نكرة موصوفة وهو اسم يكون والخبر قوله خير مال وهو معرفة فلا يجوز الا ان يراد بالمسلم الجنس
فلا يعتبر فيه حيثية ونابية التعريف بل المطلوب حيثية الاشتراك ويعرف الخبر بأي وجه كان
انتهى وقيل يجوز رفع خير وغنم على الابتداء والخبر وفي يكون ضمير الشان كذا في المفاتيح يتبع
بتشديد التاء وفي بعض النسخ بسكونها وفتح الموحدة اي يتتبع بها اي مع الغنم او بسببها
شعف الجبال بفتح الشين والعين اي رؤوس الجبال واعاليها واحدها شعفة ومواقع
القطر بفتح فسكون اي مواضع المطر فانه من النبات واوراق الشجر يريد بها المراعي من
الصحراء والجبال وهو تعميم بعد تخصيص وفي تقديم شعف الجبال اشعار بالمبالغة في فضيلة
الاعتزال عن الخلق في تلك الحال يفر بدينه اي بسبب حفظه من الفتن اي المحن الدينية او هي
من الفتن الدنيوية مصحوبا بدينه ليتخلص بالمنه هنالك عنها رواه البخاري وعن
اسامة بن زيد صحابيان رضي الله عنهما قال اشرف النبي صلى الله عليه وسلم اي اطلع على
اطم بضمتين اي شاهق جبل وحصن او بناء مرتفع من اطام المدينة بمدا وله جمع الاطم
فقال هل ترون ما ارى اي من الاشياء الظاهرة منه المرتفعة عنه قالوا لا قال فاني لارى
الفتن تقع اي منه خلال بيوتكم اي وسطها كوقع المطر والمعنى ان الله تعالى ارى نبيه
صلى الله عليه وسلم حين رأى ذلك الاطم وحين صعده اقتراب الفتن ليخبر بها امته فيكونوا
في حذر ويعرفوا انها من قدر وبعد وامعرفته من معجزاته صلى الله عليه وسلم قال
الطيبي قوله تقع يحتمل ان يكون مفعولا ثانيا والاقرب الى الذوق ان يكون حالا والرؤية
بمعنى النظر اي كشف لي فابصرتها عيانا متفق عليه وفي الجامع رواه احمد والشيخان
عن اسامة بلفظ هل ترون ما ارى اني لارى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلكة امتي بفتح الهاء واللام
اي هلاكهم والمراد بالامة الصحابة لانهم خيار الامة واكابر الائمة على يدي تثنية مضاف
الى غلمة بكسر الغين جمع غلام اي على ايدي الشبان الذين ما وصلوا الى مرتبة كمال العقل
والاحداث الشر الذين لا مبالاة لهم باصحاب الوقار وارباب النهى والظاهر ان المراد
ما وقع بين عثمان رضي الله عنه وقتاله بين علي والحسين رضي الله عنهم ومن
قاتلهم وقال المظهر لعله اراد بهم الذين كانوا بعد الخلفاء الراشدين مثل يزيد وعبد الملك
ابن مروان وغيرهما رواه البخاري عن ابي هريرة وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقارب الزمان اي زمان الدنيا وزمان الآخرة
فيكون المراد اقتراب الساعة قال التوربشتي يريد به اقتراب الساعة ويحتمل انه اراد بذلك
تقارب اهل الزمان بعضهم من بعض في الشر وتقارب الزمان نفسه في الشر حتى يشبه
اوله آخره وقيل بقصر اعمارهم انتهى ويحتمل ان يكون كناية عن قلة بركة الزمان من كثرة
العصيان وقال القاضي يحتمل ان يكون المراد به ان يتسارع الدول الى الانقضاء والقرون
الى الانقراض فيتقارب زمانهم ويتدانى ايامهم وينقص العلم اي في ذلك الزمان بفقد
العلماء الاعيان وتظهر الفتن اي يترتب عليها المحن ويلقى الشح في قلوب اهله اي على اختلاف
احوالهم حتى يبخل العالم بعلمه والصانع بصنعته والغني بماله وليس المراد وجود اصل الشح
لانه موجود في جبلة الانسان الا من حفظه الله ولذا قال تعالى ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون ويكثر الهرج بفتح الهاء وسكون الراء وبالجيم قالوا وما الهرج قال القتل

في القاموس

في القاموس هرج الناس وقعوا في فتنة واختلاط وقتل انتهى فعلم ان المراد بالهرج قتل
خاص وهو الممدوح بالفتنة والاختلاط فاللام فيه للعهد متفق عليه وعنه اي عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا
اي جميعها حتى يأتي على الناس يوم اي يوم عظيم فيه شر جسيم لا يدري القاتل فيم قتل اي المقتول
اهل يجوز له قتله ام لا ولا المقتول اي نفسه واهله فيم قتل اي بسبب شرعي او غيره
كما كان النوع في زماننا فقيل كيف يكون ذلك اي ما سببه ونوع القتل حتى لا يعرف
القاتل وجه المقتول سببه قال الهرج اي الفتنة والاختلاط الكثيرة الموجبة للقتل المجهول
والمعنى سببه ثوران الهرج بالكثرة وهيجانه بالشدة القاتل والمقتول في النار اما القا
تل فلقتله مسلما واما المقتول فانه كان ذو ربضه في قتل مسلم ايضا ولم يجد الفرصة قال النووي
اما القاتل فظاهر واما المقتول فانه اراد قتل صاحبه وفيه دلالة للمذهب الصحيح المشهور
ان من نوى المعصية واصر على النية يكون آثما وان لم يفعلها ولم يتكلم بها رواه مسلم وعن
معقل بن يسار وهو ممن بايع تحت الشجرة نزل البصرة واليه ينسب مات زمن ابن زياد
وقيل زمن معاوية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العبادة اي ثوابها مع
المشتغل منه ولا سندا منه عليها [illegible] في الهرج اي زمن الفتنة ووقت المحاربة بين المسلمين
كهجرة الي اي قبل فتح مكة ومن كانت هجرته الى الله ورسوله ونظيره ما ورد ذاكر الله في
الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين رواه مسلم وكذا احمد والترمذي وابن ماجه وعن الزبير
ابن عدي قال المؤلف هذا ابن بسكون الميم كوفي كان قاضي الري روى عن ابي سمع انس
ابن مالك روى عنه الثوري وغيره قال اتينا انس بن مالك فشكونا اليه ما نلقى من الحجاج
بفتح الحاء اي من ظلمه وهو حجاج بن يوسف روي انه قتل مائة وعشرين الفا سوى ما قتل
في حروبه فقال اصبروا فانه لا يأتي عليكم زمان الا الذي بعده اشر منه اي [illegible] من وجه
دون وجه حتى تلقوا ربكم قال القاضي اخير واشر اصلان متروكان لا يكادان يستعملان الا نادرا
وانما المتعارف في التفضيل خير وشر وفي القاموس هو شر منه واشر منه قليلة او رديئة
وفيه ايضا هو اخير منك كخير انتهى وفيه تنبيه ان استعمال الاخير خير من استعمال الاشر ولعل
السبب فيه ان الخير يستعمل للتفضيل وغيره فيكون اخير نصا في المقصود بخلاف الشر
وانما بالغ فيه باتيان الهمزة انتهى والله سبحانه اعلم سمعته اي قول اصبروا الخ والاظهر
لما سيأتي انه لا يأتي عليكم الخ من نبيكم صلى الله عليه وسلم قيل هذا الاطلاق يشكل
بزمن عمر بن عبد العزيز فانه بعد الحجاج بيسير وبزمن المهدي وعيسى عليه السلام واجيب
بانه محمول على الاكثر الاغلب وان المراد بالازمنة الفاضلة في الشر من زمن الحجاج
الى زمن الدجال واما زمان عيسى عليه السلام فله حكم مستأنف اقول الاظهر ان
يقال ان زمن عيسى عليه السلام مستثنى شرعا من الكلام واما بقية الازمنة فيمكن
ان يكون الاشرية فيها موجودة من حيثية دون حيثية وباعتبار ورد واخر في موضع دون
موضع وفي امر دون امر من علم وعمل وحال واستقامة وغيرها مما يطول تفصيلها وهذا
من مقتضيات البعد البعدية عن زمان الحضرة النبوية فانها بمنزلة المشعل المنور
للعالم فكلما بعد عنه زيد وقع في زيادة ظلامه وجهله ولذا ادركت الصحابة رضي الله عنهم
معه كما لصفا باطنهم التغير من انفسهم بعد دفنه صلى الله عليه وسلم وحكي عن بعض المشايخ
الكبار اني كنت في جامع شيراز مشغولا بورد في ليلة اذ هجم علي احد طرا ادا بخروج من
غير طهور وداعي له فخرجت فاذا امرأة متصنعة جدا فخطر لي انها تريد تنبيهي وكان

في طريقها من أهل الفساد فذكرت ذلك له فأشارت إلى أن نعم فتعوذت منها وقلت
لها ما قال موسى عليه السلام لابنة شعيب عليه السلام إذا أخطأت الطريق القويم ارمي
حجرا بين يدي في الطريق المستقيم فأوصلتها إلى بيتها ورجعت إلى حزبي ولم يخطر ببالي شيء
من الخطرات النفسانية ثم بعد مدة من الأزمنة المتأخرة عن تلك الحالة الروحانية
هجس في النفس وتوسوس في الخاطر من الأمور الشيطانية فتأملت أنه هل باعث هذا
تغير في مأكلي أو مشربي أو ملبسي أو في تقصيري لعباداتي وطاعاتي أو حدوث حادث
من صحبة أجنبي أو خلطة ظالم وأمثال ذلك فما رأيت سببا لظهور هذه الظلمة إلا البعد
عن زمان الحضرة الموجب لحصول هذه الحظوة رواه البخاري وفي الجامع عن أنس
مرفوعا بلفظ لا يأتي عليكم عام ولا يوم إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم رواه أحمد
والبخاري والنسائي وأخرج الطبراني عن أنس مرفوعا ما من عام إلا والذي بعده شر منه
حتى تلقوا ربكم وفي الكبير للطبراني أيضا عن أبي الدرداء مرفوعا ما من عام إلا ينقص الخير فيه
ويزيد الشر قال الزركشي وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال ما من عام إلا ويحدث الناس
بدعة ويميتون سنة حتى تمات السنن وتحيا البدع فهذا الحديث صريح في أن المراد بالشر
موت السنن وإحياء البدع ولا شك في تحقق هذين الأمرين في كل زمن من الملوين ويؤيده
ما في البخاري عن أنس مرفوعا لا يأتي على الناس زمان إلا الذي بعده شر منه وأما ما اشتهر
في ألسنة العامة من حديث كل عام ترذلون فهو من كلام الحسن البصري في رسالته
على ما ذكره الزركشي وغيره انتهى والله أعلم

الفصل الثاني

عن حذيفة رضي الله
قال والله ما أدري أنسي أصحابي أي من صحبته أم تناسوا أي أظهروا النسيان والله
ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة أي داعي ضلالة أو باعث بدعة
ومن زائدة لتأكيد الاستغراق في النفي إلى أن تنقضي الدنيا أي إلى انقضائها وانتهائها
يبلغ صفة للقائد أي يصل من معه أي مقدار أتباعه ثلاث مائة فصاعدا أي فزائدا عليه
إلا قد سماه أي ذكر ذلك القائد لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته والمعنى ما جعلته
متصفا بوصف إلا بوصف تسميته إلخ يعني وصفه وصفا مفصلا لا مجملا فالاستثناء
متصل وقال الطيبي قوله إلى أن تنقضي متعلق بمحذوف أي ما ترك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذكر قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا مهملا لكن قد سماه فالاستثناء منقطع قال
المظهر أراد بقائد الفتنة من يحدث بسببه بدعة أو ضلالة أو محاربة كعالم مبتدع يأمر
الناس بالبدعة وأمير يحارب المسلمين رواه أبو داود وعن ثوبان هو مولى النبي
صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أخاف على أمتي الأئمة
المضلين الأئمة جمع إمام وهو مقتدى القوم ورئيسهم ومن يدعوهم إلى قول أو فعل أو
اعتقاد وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة أي فإن لم يكن في بلد
يكون في بلد آخر رواه أبو داود والترمذي وعن سفينة هو أبو عبد مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويقال إن سفينة لقب له واسمه مختلف فيه وأن النبي صلى الله عليه وسلم
كان في سفر وهو معه فعيي رجل فألقى عليه سيفه وترسه ورمحه فحمل شيئا كثيرا فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم أنت سفينة روى عنه بنوه عبد الرحمن ومحمد وزياد وكثير قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة أي الحقة والمرضية لله ورسوله والكاملة
أو المتصلة ثلاثون سنة ثم تكون أي تنقلب الخلافة وترجع ملكا بضم الميم أي سلطنة
وغلبة في أهل الحق قال في شرح العقائد وهذا مشكل لأن أهل الحل والعقد كانوا متفقين

رضي الله تعالى عنه

على خلافة خلفاء العباسية وبعض المروانية كعمر بن عبد العزيز ولعل المراد أن الخلافة الكاملة
التي لا يشوبها شيء من المخالفة وميل عن المتابعة تكون ثلاثين سنة وبعدها قد تكون
وقد لا تكون انتهى واعلم أن المروانية أولهم يزيد بن معاوية ثم ابنه معاوية بن يزيد ثم
عبد الملك ثم هشام بن عبد الملك ثم الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبد العزيز ثم يزيد بن
عبد الملك ثم الوليد بن يزيد ثم يزيد بن الوليد ثم مروان بن محمد ثم خرجت منهم الخلافة فإنما
أسماء للذين صدقوا هذا الاسم بأعمالهم وتمسكوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من بعده فإذا خالفوا السنة وبدلوا السيرة فهم حينئذ ملوك وإن كانت أساميهم الخلفاء
ولا بأس أن يسمى القائم بأمور المسلمين أمير المؤمنين وإن كان مخالفا لبعض سير أئمة
العدل لقيامه بأمر المؤمنين ويسمى خليفة لأنه خلف الماضي قبله وقام مقامه ولا
يسمى أحد خليفة الله بعد آدم وداود عليهما من الله السلام قلت ونبينا لا شك
أن نبينا عليه الصلاة والسلام خليفته في خلقه بل وبدل إطلاق على غيره صلى الله
عليه وسلم أيضا كما سيأتي من قوله صلى الله عليه وسلم فإذا كان لله في الأرض
خليفة قال وقال رجل لعمر بن عبد العزيز يا خليفة الله فقال ويحك لقد تناولت متناولا
إن أمي سمتني عمر فلو دعوتني بهذا الاسم قبلت ثم وليتموني أموركم فسميتموني أمير
المؤمنين فلو دعوتني بذلك كفاك أي في رعاية الأدب وقصد التعظيم فهذا منه تواضع
مع الخلق وتمسكن مع الخالق فليس فيه دلالة على أنه لا يقال له خليفة الله
والله أعلم ثم يقول سفينة أي لرواية والمراد به خطاب العام أمسك أي عد مدة الخلافة
قال الطيبي لعل الوجه أن يقال أمسك أي اضبط الحساب عقدا أصابعك حتى يكون
أمسك محمولا على أصله انتهى وخلاصة المعنى احسب واحفظ خلافة أبي بكر سنتين وخلافة
عمر عشرة أي أعوام وعثمان أي خلافة اثنتي عشرة سنة وفي نسخة اثني عشر أي عاما وعلي
أي وخلافة علي ستة أي ستة أعوام يعني خاتم الخلفاء بالنبي خاتم الأنبياء والمهدي خاتم الأولياء
رواه أحمد والترمذي وأبو داود وكذا النسائي ذكره السيد جمال الدين وفي الجامع
الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك رواه أحمد والترمذي وأبو يعلى
وابن حبان عن سفينة وروى البخاري في تاريخه والحاكم عن أبي هريرة الخلافة بالمدينة
والملك بالشام نقله السيد في أن الخلافة الحقيقية ما توجد في مكان صاحب النبوة
على اتفاق جمهور أصحابنا من أهل الحل والعقد وأنه لا شرط في الحقيقة بأهل الحل والعقد
في غير ذلك المكان ومن ثمة اشتهر الآن أهل ذلك الزمان وإنما ينعقد بطريق التسلط التي
تسمى ملكا للضرورة الداعية إلى نظام حال العامة وئلا يؤدي إلى الفتنة العامة والله
أعلم وعن حذيفة قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكون بعد هذا الخير
أي الإسلام والنظام التام المشار إليه بقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم والمعنى يوجد
ويحدث بعد وجود هذا الخير شر كما كان قبله أي قبل الخير من الإسلام وهو زمن الجاهلية
شر قال نعم أي لا أمنا وراء كل كمال زوال ولهذا لكل الكمال قلت فما العصمة أي
فما طريق النجاة من الثبات على الخير والمحافظة من الوقوع في ذلك الشر قال السيف
أي يحصل العصمة باستعمال السيف أو طريقها أن تقتلهم بالسيف قال قتادة المراد
بهذه الطائفة هم الذين ارتدوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمن خلافة
الصديق رضي الله عنه كذا ذكره الشراح ويمكن أن يشمل ما وقع من معاوية في منعه على رضي
الله عنه فإن الحق كان مع علي وأن العصمة كانت بالمقاتلة مع معاوية ومن تبعه رضي

عمار تقتلك الفئة الباغية وقد قال تعالى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله قلت
وهل بعد السيف بقية اي من الشر والخير قال شارح اي هل يبقى الاسلام بعد محاربتنا
اياهم قال نعم تكون امارة بكسر الهمزة اي ولاية وسلطنة على اقذاء قال في النهاية الاقذاء جمع
قذى والقذى جمع قذاة وهي ما تقع في العين والماء والشراب من تراب او تبن او وسخ
او غير ذلك اراد ان اجتماعهم يكون على فساد في قلوبهم فشبهه بقذى العين ونحوها
قال القاضي اي امارة مشوبة بشيء من البدع وارتكاب المناهي وهدنة اي صلح على دخن
بفتحتين اي خداع ونفاق وخيانة وفي الفائق هدنة اي سكون مثلا لما بينهم
من فساد الباطن تحت الصلاح الظاهر انتهى ويمكن ان يكون المعنى لا يكون اجتماع
الناس على من جعلوا اميرا بكراهية نفس لا بطيب قلب يقال فعلت كذا وفي العين
قذى اي فعلته على كراهية واغماض عيني كان العين التي يقع فيها القذى ظاهرها
صحيح وباطنها جريح واصل الدخن هو الكدورة واللون الذي يضرب الى السواد فيكون
فيه اشعار الى انه صلاح مشوب بالفساد فيكون اشارة الى صلح الحسن مع معاوية
وتفويض الملك اليه واستقرار امر الامارة عليه وبه يظهر ان معاوية بصلح الحسن لم
يصر خليفة خلافا لمن يوهم خلاف ذلك والله اعلم قلت ثم ماذا اي ماذا يكون قال ثم
تنشا اي تظهر دعاة الضلال اي جماعة يدعون الناس الى البدع والمعاصي فان كان لله
في الارض خليفة اي موجودا فيها ولو من صفته انه جلد ظهرك اي ضربك بالباطل واخذ
مالك اي بالغصب او مالك من المنصب والنصيب بالتعدي فاطعه اي ولا تخالفه لئلا
يثور فتنة والا اي وان لم يكن لله في الارض خليفة فمت امر من مات يموت اشارة الى ما قيل
موتوا قبل ان تموتوا وكانه عبر عن الخمول والعزلة بالموت فان غالب الحياة تكون بالشهرة
والخلطة والجلوة وانت عاض بتشديد الضاد والجملة حالية اي حال كونك آخذا بقوة وماسكا
بشدة في جذل شجرة بكسر الجيم ويفتح اصلها قال القاضي اي فعليك بالعزلة والصبر
في تحمل الزمان والتحمل لمشقته وشدائده وعض جذل الشجرة كناية عن مكابدة
الشدائد من قولهم فلان يعض الحجارة لشدة الالم او بتجملا ان يكون المراد منه ان ينقطع
عن الناس ويبتوا ويلزمها الى ان يموت او ينقلب الامر من قولهم عض الرجل بصاحبه اذا
لزمه ولصق به ومنه عضوا عليها بالنواجذ وفي هذه الجملة تتمة قوله فاطعه ومعناه ان
لم تطعه ادتك المخالفة الى ما لا تستطيع ان تصبر عليه ويدل على المعنى الاول قوله في
الرواية الاخرى فتنة عمياء صماء عليها دعاة على ابواب النار فان مت يا حذيفة وانت
عاض على جذل خير لك من ان تتبع احدا منهم قال الطيبي في الوجه الاول لفظ خير ومن
الامر وهم تتميم لقوله فان كان لله في الارض خليفة وفي الثاني هو مسبب من قوله فاطعه
هذا وفي نسخة فمت بصيغة الخطاب من القيام بدل فمت قال السيد جمال الدين اي
ثم خير بمعنى الامر كذا في الازهار قلت ثم ماذا قال ثم يخرج الدجال اي من
المهدي بعد ذلك اي بعد ما ذكر من انواع الشرور والفتن معه نهر بسكون الهاء وفتحها
اي نهر ماء ونار اي خندق نار قيل انهما في وجه التخييل من طريق السحر والسيميا وقيل ما في
الحقيقة نار وان ماءه نار اي خندق ما وقيل انهما في وجه التخييل فمن وقع في ناره اي من
خالفه حتى يلقيه في ناره لما في الناء الى انه ليس نار حقيقية بل سحر وجب اجره اي
ثبت وتحقق اجره لو وقع وحط اي ورفع وسومح وزره اي اثمه السابق ومن وقع في نهره اي
حيث وافقه في امره وجب وزره اي اللاحق وحط اجره اي بطل عمله السابق قلت ثم ماذا قال

ثم

ثم ينتج بصيغة المجهول اي ثم يولد المهر بضم ميم وسكون هاء اي ولد الفرس قال التوربشتي نتج من النتج
لا من النتاج وهو الولادة ولا من الانتاج يقال نتجت الفرس والناقة على بناء ما لم يسم فاعله
نتاجا ونتجها اهلها نتجا ولا نتاج اقترب والاهم والمراد استثناء فلا يركب بكسر الكاف
من قولهم اركب المهر اذا حان وقت ركوبه وفي نسخة بفتح الكاف اي فلا يركب المهر لاجل الفتن
او لقرب الزمن حتى تقوم الساعة قيل المراد به زمن عيسى عليه السلام فلا يركب المهر لعدم احتياج
الناس فيه الى محاربة بعضهم بعضا او المراد ان بعد خروج الدجال لا يكون زمان طويل حتى تقوم
الساعة اي يكون حينئذ قيام الساعة قريبا قدر زمان انتاج المهر وارتكابه وهذا هو الظاهر
والله اعلم بالسرائر وفي رواية اي بدل يكون امارة على اقذاء قال هدنة على دخن اي صلح
مع كدورة وصلح مع ظلمة وجماعة على اقذاء اي واجتماع على اهواء مختلفة او عيوب مؤتلفة
قلت يا رسول الله الهدنة على الدخن ما هي قال لا ترجع قلوب اقوام برفع قلوب وهو
الاصح وبنصبه على ان ترجع لازم او متعد اي لا تصير قلوب جماعة او لا ترد الهدنة قلوبهم
على الذي اي على الوجه الذي او على الصفة الذي كانت اي تلك القلوب عليه اي لا يكون قلوبهم
صافية عن الحقد والبغض كما كانت صافية قبل ذلك قلت ابعد هذا اي الخير شر قال
فتنة اي نعم يقع شر هو فتنة عظيمة وبلية جسيمة عمياء اي يعمى فيها الانسان عن ان يرى الحق
صماء اي يصم اهلها عن ان يسمع فيها كلمة الحق او النصيحة قال القاضي المراد بكونها عمياء صماء
ان يكون بحيث لا يرى منها مخرجا ولا يوجد دونها مستغاث او ان يقع الناس فيها على غرة
من غير بصيرة فيعمون ويصمون عن تامل قول الحق واستماع النصح اقول ويمكن ان
يكون وصف الفتنة بهما كناية عن ظلمتها وعدم ظهور الحق فيها وعن شدة امرها وصلابة اهلها
وعدم التفات بعضهم الى بعض في المشاهدة والمكالمة وامثالها عليها اي على تلك الفتنة
دعاة اي جماعة قائمة بامرها وداعية للناس الى قبولها على ابواب النار حال اي فكانهم كائنون
على شفا جرف من النار يدعون الخلق اليها فيقعوا في الدخول فيها فان مت بضم الميم
وبكسرها يا حذيفة وانت عاض على جذل اي والحال انك في هذا المنوال من اختيار الاعتزال
والقناعة باكل قشر الاشجار والنام خير لك من ان تتبع بتشديد التاء الثانية
وكسر الموحدة ويجوز تخفيفها وفتح الباء احدا منهم اي من اهل الفتنة ومن دعاتهم رواه ابو
داود وكذا ابن حبان واما الرواية الثانية فرواها ابو داود والنسائي ذكره ميرك
وعن ابي ذر رضي الله عنه قال كنت رديفا اي راكبا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الطيبي ظرف وقع صفته مؤكدة رديفا يوما على حمار فيه دلالة على كمال تواضعه صلى الله عليه
وسلم وحسن خلقه مع اصحابه وكمال قرب ابي ذر حينئذ وكذا ذكره مع الايماء الى كمال
حفظه القضية واستحضاره اياها فلما جاوزنا بيوت المدينة قال كيف بك قال الطيبي
مبتدا وخبر والباء زائدة في المبتدا اي كيف انت اي حالك يا ابا ذر اذا كان اي وقع بالمدينة
جوع اي بحيث يكون الانسان يقطع او يحطم تقوم عن فراشك ولا تبلغ مسجدك اي الذي تصلي
فيه حتى يجهدك بضم الياء وكسر الهاء وفي نسخة بفتحهما الجوع اي يوصلك الى المشقة ويعجزك
المشي من البيت الى المسجد قال قلت الله ورسوله اعلم اي بما في ذلك او بما يجري في تلك الحال
وما يليق بالاحوال قال تعفف بصيغة الامر اي التزم العفة يا ابا ذر في الصلاح والورع
والتصبر على اذى الجوع والتقوى والكف عن الحرام والشبهة وعن السؤال من المخلوق
والطمع فيه والمذلة عنده قال كيف بك يا ابا ذر وفي ندائه مكررا تنبيه على اخذ الحديث
بقوة اذا كان بالمدينة موت اي بسبب القحط او وباء عفونة هوا وغيرها يبلغ البيت

اي يحصل موضع قبر الميت العبد اي قيمته او نفسه في انه بكسر الهمزة وتفتح اشارة الى شياع
القبر بالعبد هذا توضيح لما قبله من ابهام البيت في النهاية المراد بالبيت هنا القبر واراد ان
موضع القبور يضيق فيبتاعون كل قبر بعبد قال التوربشتي وفيه نظر لان الموت وان
استحر بالاحياء وفشا فيهم كل الفشو لم ينته بهم الى ذلك وقد وسع الله عليهم الامكنة انتهى
كلامه واجيب بان المراد بموضع القبور الجبانة المعهودة وقد جرت العادة بانهم
لا يتجاوزون عنها وفي شرح السنة قيل معناه ان الناس يشتغلون عن دفن الموتى حتى
لا يوجد من يحفر قبر الميت ويدفنه الا ان يعطي عبدا او قيمة عبد وقيل معناه انه
لا يبقى في كل بيت كان فيه كثير من الناس الا عبد يقوم بمصالح ضعفة اهل ذلك البيت
قال المظهر يعني يكون البيت رخيصا فيباع بيت بعبد قال الطيبي على الوجهين الاخيرين
لا يحسن موقع حتى حسنها في الوجهين الاولين قلت بل لا يصح حينئذ وقوع حتى
ولعلها غير موجودة في المصابيح قال الخطابي قد يحتج بهذا الحديث من يذهب الى وجوب
قطع النباش وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم سمى القبر بيتا فدل على انه حرز كالبيوت
قلت لا سيما وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم قطع النباش لكن حمل على انه
انه لسياسته والله سبحانه اعلم قال قلت الله ورسوله اعلم كما تقدم قال تصبر اي
بتشديد الموحدة المفتوحة امر من باب التفعل وفي نسخة تصبر مضارع من صبر على انه خبر بمعنى
الامر اي اصبر على البلاء ولا تجزع في الضراء ولا تبطر بنعمة النعماء والسراء وارض بما يجري من القضاء
تصب الاجر من خالق الارض والسماء قال كيف بك يا ابا ذر اذا كان بالمدينة قتل اي سريع
عظيم تغمر بسكون الغين المعجمة وضم الميم اي تستر وتعلو الدماء اي كثرة دماء القتلى احجار
الزيت قيل هي محلة بالمدينة وقيل موضع بها قال التوربشتي هي من الحرة التي كانت بها الوقعة
زمن يزيد والامير على تلك الجيوش العاتية مسلم بن عقبة المري المستبيح لحرم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان نزوله بعسكره في الحرة الغربية من المدينة فاستباح حرمتها
وقتل رجالها وعاث فيها ثلاثة ايام وقيل خمسة فلا جرم انه انماع كما ينماع الملح في الماء
ولم يلبث الا ادركه الموت وهو بين الحرمين وخسر هنالك المبطلون قال قلت الله
ورسوله اعلم قال تأتي من انت منه خبر معناه امر اي بايت من توافقك في دينك وسنتك
وقال القاضي اي ارجع الى من انت جئت منه وخرجت من عنده يعني اهلك وعشيرتك
قال الطيبي لا يطابق على هذا سؤاله قال قلت والبس السلاح والظاهر انه يقال ارجع
الى امامك ومن بايعته محتسبة متوجه الى قوله والبس السلاح واقاتل تدفعه قال
اي النبي عليه السلام شاركت القوم اي في الاثم اذا اي اذا لبست السلاح المعنى لا تلبس
السلاح وكن مع الامام وارباب الصلاح ولا تقاتل حتى يحصل لك الفلاح هذا حاصل
كلام الطيبي لكن فيه ان امامه اذا قاتل كيف يجوز له ان يمتنع من المقاتلة معه وقال
ابن الملك قوله شاركت تأكيد للزجر عن ارادة الدماء والا فالدفع واجب انتهى وذكره
الطيبي وقواه والصواب ان الدفع جائز اذا كان الخصم مسلما الا لم يترتب عليه
فساد وغلبات واما اذا كان العدو كافرا فانه يجب الدفع مهما امكن قلت فكيف اصنع
يا رسول الله قال ان خشيت ان يبهرك بفتح الهاء اي يغلبك شعاع السيف
بفتح اوله اي بريقه ولمعانه وتقوى كناية عن اشتمال السيف فالق امر من الالقاء اي اطرح
ناحية ثوبك اي طرفه على وجهك اي لئلا ترى ولا تفزع ولا تجزع والمعنى لا تحاربهم وان
حاربوك بل استسلم نفسك للقتل اذا ولئك من اهل الاسلام ويجوز معهم عدم المحاربة

وعليه السلام

وعليه السلام كما اشار اليه بقوله ليبوء اي يرجع القاتل باثمك اي باثم قتلك واثمه اي بقية
اثمه رواه ابو داود وكذا ابن ماجه والحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين نقله
ميرك عن التصحيح وعن عبد الله بن عمرو مما يثبت في جلبان ابن العاص يعني بالياء الصحيح ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف بك سبق اعرابه في رواية كيف انت اي كيف حالك
اذا ابقيت مجهول من الابقاء اي اذا ابقاك الله بمعنى عمرك وفي نسخة بصيغة المعلوم
من البقاء اي اذا بقيت في حثالة بضم الحاء وبالمثلثة وهي ما يسقط من قشر الشعير
والارز والتمر الرديء من كل شيء اي في قوم ردي من الناس مرجت استئناف بيان وهو
بفتح الميم وكسر الراء اي فسدت عهودهم واماناتهم وفي نسخة امانتهم بصيغة الافراد
في ارادة الجنس وباعتبار كل فرد والجمع انما هو للمقابلة والتوزيع مع امكان حقيقة
الجمع فيها فتأمل والمعنى لا يكون امرهم مستقيما بل يكون في كل لحظة في طبع وفي عهد
ينقضون العهود ويخونون الامانات قال التوربشتي اي اختلطت وفسدت فقلقت
فيها اسباب الديانات واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين اصابعه اي يموج بعضهم
في بعض ويلتبس امر دينهم فلا يعرف الامين من الخائن ولا البر من الفاجر هذا وفي
نسخة مرجت بفتح الراء وهو متعد منه قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان ففيه ضمير
الى الحثالة فالمعنى افسدت تلك الجماعة الغمامة عهودهم واماناتهم واختلفوا في امر
دياناتهم فكانوا كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنهم في الاشياء المشتبهة بالاصابع
المشتبكة ثم كتبه ميرك على هامش الكتاب من قوله مرجت بصيغة المجهول
فرمز عليه ط اي انه هو لفظ هو وعلله بان المرج متعد والمعنى على اللزوم فهو غير ظاهر
لما يظهر من القاموس ويجيء في القاموس المرج الخلط والمرج محركة الفساد والقلق
والاختلاط والاضطراب وانما يسكن مع الهرج يعني للازدواج مرج وامر مريج
مختلط وامرج العهد لم يف به انتهى وفي مختصر النهاية مرج الدين فسد وقلقت
اسبابه ومرجت عهودهم اي اختلطت قال فبم تأمرني قال عليك بما تعرف اي الزم
وافعل ما تعرف كونه حقا ودع ما تنكر اي واترك ما تنكر انه حق وعليك بخاصة نفسك
واياك وعوامهم اي عامتهم والمعنى الزم امر نفسك واحفظ دينك واترك الناس ولا
تتبعهم وهذا رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا كثر الاشرار وضعف
الاخيار وفي رواية الزم بيتك واملك امر من الاملاك بمعنى الشد والاحكام
اي امسك عليك لسانك ولا تكلم في احوال الناس لئلا يؤذوك وخذ ما تعرف
ودع ما تنكر وعليك بامر خاصة نفسك ودع امر العامة رواه الترمذي وصححه
قال ميرك والرواية الثانية رواها ابو داود والنسائي ايضا وعن ابي موسى
الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان بين يدي الساعة
اي قدامها من اشراطها فتنا اي فتنا عظاما ومحنا جساما كقطع الليل المظلم بكسر
القاف وفتح الطاء وبسكون اي كل فتنة كقطعة من الليل المظلم في شدتها وظلمتها
وعدم تبين امرها قال الطيبي يريد بذلك التباسها وفظاعتها وشيوعها واستمرارها
يصبح الرجل فيها اي في تلك الفتن مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا
الظاهر ان المراد بالاصباح والامساء تقلب الناس فيها وقتا دون وقت لا بخصوص
الزمانين فكأنه كناية عن تردد احوالهم وتذبذب اقوالهم وتنوع افعالهم من عهد ونقض
وامانة وخيانة ومعروف ومنكر وسنة وبدعة وايمان وكفر القاعد فيها خير من القائم

والماشي فيها خير من الساعي اي كلما بعد الشخص عنها وعن اهلها خير له من قربها واختلاط اهلها لما يؤول امرها اليه اي الى محاربة اهلها فاذا رايتم الامر كذلك فكسروا فيها قسيكم بكسر القاف وتشديد التحتية جمع القوس وفي العدول عن الكسر الى التكسير مبالغة لان باب التفعيل للتكثير وكذا قوله وقطعوا امر من التقطيع فيها اوتاركم وفيه زيادة من المبالغة اذ لا منفعة لوجود الاوتار مع كسر القسي والمراد بذلك ان لا ينتفع بها الغير ولا ينتفعها في الشر دون الخير واضربوا سيوفكم بالحجارة اي حتى تنكسر او حتى تذهب حدتها وعلى هذا القياس الارماح وسائر السلاح فان دخل بصيغة المجهول ونائب الفاعل في قوله على احد ومن في قوله منكم بيانية فليكن ذلك الاحد كخير ابني ادم اي فليستسلم حتى يكون قتيلا كهابيل ولا يكون قاتلا كقابيل رواه ابو داود وفي رواية له اي لابي داود وعنه ذكر اي الحديث الى قوله خير من الساعي ثم قالوا اي بعض الصحابة فما تامرنا ان نفعل حينئذ قال كونوا احلاس بيوتكم احلاس البيوت ما يبسط تحت حر الثياب فلا تزال ملقاة تحتها وقيل الحلس هو الكساء على ظهر البعير تحت القتب والبرذعة شبههم به للزومها ودوامها والمعنى الزموا بيوتكم والتزموا سكوتكم لئلا تقعوا في الفتنة التي بها دينكم يفوتكم وفي رواية الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الفتنة اي في ايامها وزمنها وهو ظرف لقوله كسروا فيها قسيكم وقطعوا فيها اوتاركم والزموا فيها اجواف بيوتكم اي كونوا ملازمين لها لئلا تقعوا في الفتنة والمحاربة فيها وكونوا كابن ادم المطلق ينصرف الى الكامل وفيه اشارة لطيفة تحت عبارة ظريفة وهو ان [illegible] المقتول المظلوم هو ابن ادم لا قابيل القاتل الظالم كما قال الله تعالى في حق ولد نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وقال الترمذي هذا حديث صحيح غريب وعن ام مالك البهزية بفتح الموحدة وسكون الهاء وبالزاي وياء النسبة قال المؤلف لها صحبة ورواية وهي حجازية روى عنها طاوس ومكحول قالت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقربها بتشديد الراء اي قرب وقوعها قال الاشرف معناه وصفها للصحابة وصفا بليغا فان من وصف عند احد وصفا بليغا فكانه قرب ذلك الشيء اليه قلت يا رسول الله من خير الناس فيها قال رجل في ماشية اي من الغنم ونحوها يؤدي حقها اي من الزكاة وغيرها ويعبد ربه لقوله تعالى ففروا الى الله وقوله وتبتل اليه تبتيلا وقوله واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ورجل اخذ بصيغة اسم الفاعل اي ماسك براس فرسه يخيف العدو من الاخافة بمعنى التخويف اي يخوف الكفار ويخوفونه فيه تفنن قال المظهر يعني رجل هرب من الفتن وقتال المسلمين وقصد الكفار يحاربهم ويحاربونه يعني فيبقى سالما من الفتنة وغانما للاجر والمثوبة رواه الترمذي وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتنة اي عظيمة وبلية جسيمة تستنظف العرب اي تستوعبهم هلاكا من استنظفت الشيء اخذته كله كذا في النهاية وبعض الشروح وقيل اي تطهرهم من الارذال واهل الفتنة قتلاها جمع قتيل بمعنى مقتول مبتدا خبره قوله في النار اي سيكونون في النار او هم حينئذ في النار لانهم يباشرون ما يوجب دخولهم فيها لقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم والمراد بقتلاها من قتل في تلك الفتنة وانما هم من اهل النار لانهم ما قصدوا بتلك المقاتلة والخروج اليها اعلاء دين او دفع ظالم او اعانة محق وانما كان قصدهم التباغي والتشاجر طمعا في المال والملك

اي

اي وقعه وطعنه في تقدير مضاف ويدل عليه رواية واشراف اللسان اي اطلاقه واطالته فيها اشد من وقع السيف وقال الطيبي القول والتكلم فيها اطلاقا للمصدر وارادة الحال انتهى والحاصل انه لا بد من ان يكون احد المجازين المذكورين في قوله تعالى واسئل القرية قال المظهر يعني هذا احتمال ان احدها ان من ذكر اهل تلك الحرب بسوء يكون كمن حاربهم لانهم مسلمون وغيبة المسلمين اثم قلت وفيه انه ورد اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس ولا غيبة لفاسق ونحو ذلك فلا يصح هذا على اطلاقه ولذا استدرك كلامه بقوله ولعل المراد بهذه الفتنة الحرب التي وقعت بين امير المؤمنين علي رضي الله عنه وبين معاوية ولا شك ان من ذكر احدا من هذين الصدرين واصحابهما يكون مبتدعا لان اكثرهم كانوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا اي عن الطعن فيهم فان الله تعالى في مواضع من القرآن يتعلق بهم فلا بد ان يكون ما لهم الى التقوى ورضا المولى وجنة الماوى وايضا لهم حقوق ثابتة في ذمة الامة فلا ينبغي لهم ان يذكروهم الا بالثناء الجميل والدعاء الجزيل وهذا تمام لا ينافي ان يذكر احد مجملا او معينا بان المحاربين مع علي كانوا من [illegible] او ان معاوية وحزبه كانوا باغين على ما دل عليه حديث عمار تقتلك الفئة الباغية لان المقصود منه بيان الحكم المميز بين الحق والباطل والفاصل بين المجتهد المصيب والمجتهد المخطئ مع توقير الصحابة وتعظيمهم جميعا في القلب ولذا لما سئل بعض الاكابر عن عمر بن عبد العزيز افضل ام معاوية فقال لغبار انف فرس معاوية حين غزا في ركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من كذا وكذا من عمر بن عبد العزيز ومن القواعد المقررة ان العلماء والاولياء من الامة لم يبلغ احد منهم مبلغ الصحابة في الكبر وقد اشار الى هذا المعنى قوله سبحانه وتعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكذا قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقوله والسابقون السابقون اولئك المقربون ثم قال المظهر وان [illegible] في ان المراد به ان من مدح [illegible] يشتم او غيبة تقصد [illegible] بالحرب والقتال ويفعلون بما يفعلون بمن حاربهم انتهى وحاصله ان الطعن في احد الطائفتين ومدح الاخرى حينئذ مما يثير الفتنة فالواجب كف اللسان وهذا المعنى في غاية من الظهور فلما تذكرا الطيبي في المعنى الاول حيث قال وتوبيخه قوله ولعل المراد بهذه الفتنة الخ ما روينا عن الاحنف بن قيس قال خرجت وانما اريد هذا الرجل فلقيني ابو بكرة فقال اين تريد يا احنف قلت اريد نصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا احنف ارجع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قال فقلت يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه متفق عليه قلت محمل هذا الحديث اذا كان القتال بين المسلمين في جهة العصبية والحمية الجاهلية كما يقع كثيرا فيما بين اهل حارة وقرية وقرية وطائفة وطائفة من غير ان يكون هناك باعث شرعي لاحدهما ولا يصح حمل الحديث على [illegible] في قوله تعالى فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ولان الاجماع على ان كلتي طائفة علي ليسوا في النار فكلام ابي بكرة محمول على انه كان مترددا متحيرا في امر علي ومعاوية ولم يكن يعرف الحق من الباطل وما فهم من كلام الاحنف

لفتن

انه يريد بحماية العصبية الحمية الجاهلية على ما يشير اليه قوله اريد نصر ابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يقبلوا رايه معا وفيه ان الامام الحق والخليفة المطلق وبهذا ينبغي ان
تحمل هذه الفتنة على نفسيه في الجوز ويؤول به قال الطيبي واما قوله فقتلاه في النار
فللزجر والتوبيخ والتغليظ واما كف اللسان عن الطعن فيهم فان كلا منهم مجتهد وان كان
علي رضي الله عنه مصيبا فلا يجوز الطعن فيهم ولا سيما للمؤمنين انه لا يخوضوا في امر
قال عمر بن عبد العزيز تلك دما طهر الله ايدينا منها فلا نلوث السنتنا بها قال النووي
كان بعضهم مصيبا وبعضهم مخطئا معذورا في الخطأ لانه كان بالاجتهاد والمجتهد
اذا اخطأ لا اثم عليه وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب هذا
مذهب اهل السنة وكانت القضايا مشتبهة حتى ان جماعة من الصحابة تحيروا فيها
فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولو تيقنوا الصواب لم يتأخروا عن مساعدته قلت
وسبب هذا التحير لم يكن في ان عليا احق بالخلافة ام معاوية فانهم اجمعوا في ولاية
علي واجتمعوا اهل الحل والعقد على خلافته وانما وقع النزاع بين معاوية وعلي في قتلة
عثمان حيث تعلق معاوية بانه لم اسلم لك الامر حتى تقتل اهل الفساد والفسقة
ممن حاصر الخليفة واعان على قتله فان هذا ثلمة في الدين وخلل في ائمة المسلمين
وانتصر راي علي وهو الصواب ان قتلهم في الفتنة تجر الى الفتنة
التي تكون اقوى منها ولا سيما ان هجوم العوام وتقدم دفعهن احد منهم بما شرع فتله
للامام لتبين بموجب الاسلام اخر ان يقتلهم قلاعا ما ولا من بينهم تقتل من غير حجة دينية
شرعية لاسيما وقد رجعوا الى الحق ودخلوا في بيعة الخليفة ومن المعلوم ان اهل البغي
اذا رجعوا عن بغيهم ونزعوا عن قتالهم فليس لاحد ان يتعرض لهم هذا ولما كان النبي صلى
الله عليه وسلم ذكر الفتنة وحذر عن الدخول فيها ورغب عن القعود ورهب عن القرب
اليها واطلقها لفظا ولم يبين هذه الفتنة بخصوصها مفصلة وان وقعت
بجملة تحيروا فيها بعض الصحابة وظنوا ان السلم فيها بالخصوص ايضا لما ذكره صلى الله عليه
وسلم فيها بالعموم لكن لما تبين لهم في الاخر حقيقة علي كرم الله وجهه وخطاء معاوية
ندموا على ما فعلوا من العزلة وتحسروا على ما فاتهم من مثوبة الحلول والله حكمة في ذلك
كلمة لله الامر من قبل ومن بعد فلا مقدم لما اخر ولا مؤخر لما قدم انتهى والله سبحانه اعلم
رواه الترمذي وابن ماجة قال ميرك ورواه ابو داود ايضا كلهم مرفوعا وقال
البخاري الاصح وقفه على عبد الله بن عمرو بن العاص انتهى لكن هذا الموقوف
في حكم المرفوع لان قوله فقتلاها في النار لا يتصور ان يصدر من راي احد وعن ابي هريرة رضي
الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستكون فتنة صماء عمياء اي
بالنسبة راضيها حيث لا يجدون لها مستغاثا ولا يرون منها مخرجا وخلاصا او المعنى
لا يميزون فيها بين الحق والباطل ولا يسمعون النصيحة والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر بل من تكلم فيها بحق اوذي ووقع في الفتن والمحن من اشرف لها اي من اطلع عليها
وقرب منها استشرفت له اي اطلعت تلك الفتنة عليه وجذبته اليها واشراف اللسان
اي اطلاقه واطالته فيها كوقوع السيف اي في تاثيره بل ابلغ لما قيل

جراحات السنان لها التيام ... ولا يلتام ما جرح اللسان

ولهذا قال في الرواية السابقة اشد من وقع السيف رواه ابو داود وعن عبد
الله بن عمر قال كنا قعودا اي في قعود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نذكر

الفتن اي الواقعة في اخر الزمن فاكثر اي البيان في ذكرها حتى ذكر فتنة الاحلاس بين معناه اللغوي
فقال قائل وما فتنة الاحلاس قال هي هرب بفتحتين اي يفر بعضهم من بعض لما بينهم من العداوة
والمحاربة وحرب بفتحتين اي اخذ مال واهل بغير استحقاق ثم فتنة السراء بالرفع عطف
على هرب بحسب المعنى فكانه قال فتنة الاحلاس حرب وهرب وفتنة السراء وفي نسخة
بالنصب عطفا على فتنة الاحلاس والمراد بالسراء النعماء التي تسر الناس من الصحة والرخاء
والعافية من البلاء والوباء واضيفت الى السراء لان السبب في وقوعها ارتكاب المعاصي بسبب
كثرة التنعم او لانها تسر العدو وقال التوربشتي يحتمل ان يكون سبب وقوع الناس في تلك
الفتنة وابتلائهم بها اثر النعمة فاضيفت الى السراء يعني يكون التركيب من قبيل اضافة الشيء
الى سببه ويحتمل ان يكون صفة للفتنة فاضيفت اليها اضافة مسجد الجامع ويراد منها
سعتها لكثرة الشرور والمفاسد ومن ذلك قولهم نعمه سراء اذا كانت واسعة يعني يكون
التقدير فتنة الحادثة السراء اي الواسعة التي تعم الكافة من الخاصة والعامة وقوله دخنها
بفتحتين اي اثارتها وهيجانها شبهها بالدخان الذي يرتفع كما شبه الحرب بالنار وانما
قال من تحت قدمي رجل من اهل بيتي تنبيها على انه هو الذي يسعى في اثارتها والى انه يملك
امرها يزعم انه مني اي في الفعل وان كان مني في النسب وليس مني اي من اخلائي او من اوليائي
في الفعل لانه لو كان من اهلي في الفعل لم يهيج الفتنة ونظيره قوله تعالى انه ليس من
اهلك انه عمل غير صالح او ليس من اوليائي في الحقيقة ويؤيده قوله انما اوليائي المتقون
وهذا ابلغ من حديث آل محمد كل تقي ثم يصطلح الناس على رجل اي يجتمعون على بيعة رجل
كورك بفتح وكسر على ضلع بكسر ففتح ويسكن واحد الضلوع والاضلاع ويسكن اللام فيه
جائز على ما في الصحاح وهذا مثل والمراد انه لا يكون على اهل الولاية لقلة علمه وخفة رايه
وحلمه وفي النهاية اي يصطلحون على رجل لا نظام له ولا استقامة لامره لان الورك لا يستقيم
على الضلع ولا يتركب عليه لاختلاف ما بينهما وبعده وفي شرح السنة معناه ان الامر لا يثبت
ولا يستقيم له وذلك ان الضلع لا يقوم بالورك ولا يحملها وحاصله انه لا يستعد ولا
يستبد لذلك فلا يصح عنه الامر موقعه كما ان الورك على ضلع يقع غير موقعه قال وانما
يقال في باب الملاءمة والموافقة اذا وصفوا به كف في ساعد وساق في قدم ذراع ونحو ذلك
يريد ان هذا الرجل غير خليق للملك ولا مستقل به ثم فتنة الدهيماء بالرفع وينصب على ما سبق
وهي بضم ففتح والدهماء السوداء والتصغير للذم اي الفتنة الظلماء والطامة العمياء وفي
النهاية في تصغير الدهيماء يريد الفتنة المظلمة والتصغير فيها للتعظيم وقيل اراد بالدهيماء
الداهية ومن اسماء الداهية الدهيم زعموا ان الدهيم اسم ناقة غزا عليها اخوة منهم
فقتلوا عن اخرهم وحملوا عليها حتى رجعت بهم فصارت مثلا في كل داهية لا تدع اي لا تترك تلك
الفتنة احدا من هذه الامة الا لطمته لطمة اي اصابته بمحنة ومسته ببلية واصل اللطم هو الضرب
على الوجه ببطن الكف والمراد ان اثر تلك الفتنة يعم الناس ويصل لكل احد من ضررها
قال الطيبي هو استعارة مكنية شبه الفتنة بالانسان ثم خيل لها ما يلازمها الناس اللطم
الذي هو من لوازم المشبه به وجعلها قرينة لها فاذا قيل انقضت اي فمهما توهموا ان تلك
الفتنة انتهت تمادت بتخفيف الدال اي بلغت المدى اي الغاية من التمادي وفي نسخة
بتشديد الدال من التمادد تفاعل من المدى اي استطالت واستمرت واستقرت يصبح
الرجل فيها مؤمنا لتحريمه دم اخيه وعرضه وماله ويمسي كافرا اي لتحليله ما ذكر ويستمر ذلك
حتى يصير الناس الى فسطاطين بضم الفاء وبكسر اي فرقتين وقيل مدينتين واصل الفسطاط

تبين

الخيمة ويوم يأتي بعد ذكر المحل وزيادة الحال فسطاط ايمان بالجر على انه بدل وفي نسخة بالرفع
واعرابه مشهور اي ايمان خالص لا نفاق فيه اي لا في اصله ولا في فصله من اعتقاده وعمله وفسطاط
نفاق لا ايمان له اي اصلا او كاملا لما فيه من اعمال المنافقين من الكذب والخيانة ونقض العهد
وامثال ذلك فاذا كان ذلك فانتظروا الدجال اي ظهوره من يومه او من غده وهذا يؤيد ان المراد
بالفسطاطين المدينتين فان المهدي يكون في بيت المقدس فيحاصره الدجال فينزل عيسى
عليه السلام فيذوب الملعون كالملح في الماء فيطعنه بحربة له فيقتله فيحصل الفرج التام
والفرح العام كما قال سيد الانام اشتدي ازمة تنفرجي وقد قال تعالى ان مع العسر يسرا ان
مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين وهما بينا الاقتران بين الفرجين وضيا انوارهما
في امر الكونين قال الطيبي الفسطاط بالضم والكسر المدينة التي فيها مجتمع الناس وكل
مدينة فسطاط واضافة الفسطاط الى الايمان اما بجعل المؤمنين نفس الايمان مبالغة واما بجعل
الفسطاط مستعارا للكنف والوقاية في المرحمة اي هم في كنف الايمان ووقايته
رواه ابو داود اي وسكت عليه واقره المنذري ورواه الحاكم وصححه واقره الذهبي نقله
ميرك عن تصحيح الجزري وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ويل للعرب الويل حلول الشر وهو تفجيع او ويل كلمة عذاب او واد في جهنم وخص العرب بذلك
لانهم كانوا حينئذ معظم من اسلم من شر اي عظيم قد اقترب اي ظهوره والاظهر ان المراد به ما اشار
اليه صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه بقوله فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج
الحديث كما تقدم والله اعلم قال الطيبي اراد به الاختلاف الذي ظهر بين المسلمين من وقعة
عثمان رضي الله عنه او ما وقع بين علي كرم الله وجهه ومعاوية رضي الله عنه اقول
او اراد به قضية يزيد مع الحسين رضي الله عنه وهو في المعنى اقرب لان شره ظاهر
عند كل احد من العجم والعرب وقال ابن الملك قوله من شر اي خروج جيش يقاتل العرب
وقيل اراد به الفتن الواقعة في العرب اولها قتل عثمان واستمرت الى الان اقول
ولم يعرف ما يقع في مستقبل الزمان والله المستعان وعليه التكلان افلح اي نجا وظفر
في المدعي واستنصر على الاعداء من كف يده اي عن الاذى او نزال القتال لانه لم يتميز الحق من
الباطل فيترك وقعد وجهد والشراح عن المعنى الذي قدمته الى ما ذكروا ان قوله افلح من كف
يده بدل على خلاف ذلك فان وقت خروجهم لا يبقى لاحد طاقة المقاتلة معهم فمورد هذا
الحديث بخلافه ولهذا قد تبرؤوا من الكلام الا ان يقال ان هذا جملة مستقلة والمعنى افلح
من كف يده عمن قال لا اله الا الله الا باذن شرعي حكم به وقضاه رواه ابو داود اي
باسناد رجاله رجال الصحيح والحديث متفق عليه من حديث طويل خلا قوله قد افلح من
كف يده نقله ميرك عن التصحيح وفي الجامع بلفظ المشكوة رواه ابو داود والحاكم وفيه
ايضا حديث ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره رواه احمد
والنسائي والحاكم وابن حبان عن ابي سعيد وفيه ايضا حديث ويل لامتي من علماء السوء
رواه الحاكم في تاريخه عن انس وعن المقداد بن الاسود قال المؤلف هو ابن عمرو الكندي وذلك
ان اباه حالف كندة فنسب اليها وانما سمي ابن الاسود لانه كان حليفه او لانه كان
في حجره وقيل كان عبدا فتبناه وكان سادسا في الاسلام قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان السعيد لمن باللام المفتوحة في خبر ان اي للذي جنب بضم الجيم
وتشديد النون المكسورة اي بعد الفتن منصوب على انه مفعول ثان ومنه ما ورد من
الدعاء اللهم جنبنا الشيطان وقيل انه منصوب بنزع الخافض اي بعد عن ان السعيد

لمن

لمن جنب الفتن ان السعيد لمن جنب الفتن كررها ثلاثا للمبالغة في التأكيد ويمكن ان يكون التكرار باعتبار
اول الفتن واوسطها واخرها ولمن ابتلي اللام للابتداء اي لمن امتحن بتلك الفتن فصبر اي في اذاهم
ولم يجارهم في ذلك الزمن فواها اسم صوت وضع موضع المصدر سد مسد فعله ذكره الطيبي
وقال ابن الملك معناه التلهف وقد يوضع موضع الاعجاب بالشيء والاستطابة له اي ما احسن
وما اطيب صبر من صبر وقيل معناه التوجع له وفي النهاية قيل معنى هذه الكلمة التلهف وقد يوضع
للاعجاب بالشيء يقال واها له وقد يرد بمعنى التوجع وقيل يقال في التوجع اها له قال الطيبي
ويجوز ان يكون فواها خبر لمن والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط فيكون هذا فيه معنى التعجب
اي من ابتلي فصبر فطوبى له وان لا يكون خبرا فاللام المفتوحة ويكون قوله ولمن ابتلي
عطفا على قوله لمن جنب الفتن فعلى هذا واها للتحسر اي فواها على من باشرها وسعى فيها
انتهى ويؤيده ما في الجامع بلفظ ان السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلي فصبر وقيل اللام
مكسورة ويكون فواها بمعنى التعجب اي ولمن ابتلي فصبر عجيب اذ يتعجب من حاله هذا وفي
القاموس واها ويترك تنوينه كلمة تعجب من طيب شيء وكلمة تلهف اي من تألم في شيء رواه
ابو داود وعن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضع
السيف في امتي اي من بعضهم لبعض لم يرفع عنها الى يوم القيامة وقد ابتدئ في زمن معاوية
وهلم جرا لا يخلو عنه طائفة من الامة فصدق في اخباره امام الائمة كما حدث مقتضى من
قوله تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض وتحقيقه في الاحاديث المنثورة في
تفسير الدر المنثور ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من امتي بالمشركين منها ما وقع بعد
وفاته صلى الله عليه وسلم في خلافة الصديق رضي الله عنه وحتى تعبد قبائل من امتي
الاوثان اي الاصنام حقيقة ولعله يكون فيما سيأتي او معنى وفيه تعريض بعبدة الدنيا
وعبدة الدرهم وانه اي الشأن سيكون في امتي كذابون اي في دعواهم النبوة ثلاثون
اي هم او عددهم ثلاثون كلهم يزعم افرد للفظ كل انه نبي الله وانا خاتم النبيين بكسر التاء
وفتحها والجملة حالية وقوله لا نبي بعدي تفسير لما قبله ولا تزال طائفة من امتي على الحق
خبر لقوله لا تزال اي ثابتين على الحق علما وعملا ظاهرين اي غالبين على اهل الباطل ولو
حجة قال الطيبي يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا من ضمير الفاعل في ثابتين اي
ثابتين على الحق في حال كونهم غالبين على العدو لا يضرهم من خالفهم اي لثباتهم على دينهم
حتى يأتي امر الله متعلق بقوله لا تزال رواه ابو داود والترمذي وكذا ابن ماجه ذكره
السيد جمال الدين وفي الجامع لا تزال طائفة من امتي ظاهرين حتى يأتيهم امر الله وهم
ظاهرون رواه الشيخان عن المغيرة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تدور رحى الاسلام اي تستقر وتستمر دائرة رحى الاسلام
وتستقيم دورانها على وجه النظام او تبتدي دوران دائرة الحرب وتزلزله وحركاته وسكناته
في الاسلام لخمس وثلاثين اي لوقت خمس وثلاثين من ابتداء ظهور دولة الاسلام وهي
زمن هجرة خير الانام وبانتهاء المدة ينقضي خلافة الخلفاء الثلاثة بلا خلاف بين الخاص
والعام اذ بعده قتل عثمان رضي الله عنه او ست وثلاثين وفيه قضية الجمل او سبع
وثلاثين وفيها وقعة صفين واو فيها للتنويع او بمعنى بل فان الامر فيها اهم مما بعدهما
لانه امر الاسلام ونظام الاحكام وظهور الصحابة والعلماء الاعلام ولهذا قال
فان يهلكوا اي ان اختلفوا بعد ذلك واشتهروا في امر الدين وافترقوا المعاصي فسبيل من
هلك اي فسبيلهم سبيل من هلك من الامم الماضية الذين زاغوا عن الحق في اختلافهم

ذريعتهم من الحق ووهنهم في الدين وسعيهم في أسباب الهلاك والاشتغال بما يؤدي إلى التهلكة كما هذا
مجمل الكلام وأما تفصيل المرام فقال الخطابي دوران الرحى كناية عن الحرب والقتال شبهها
بالرحا الدوارة التي تطحن الحب لما يكون فيها من تلف الأرواح وهلاك الأنفس قال الشاعر

فدارت رحانا واستدارت رحاهم … قلت هو معنى ما قال غيره
فيوما علينا ويوما لنا … ويوما نساء ويوما نسر

وقال القاضي تعالى وتلك الأيام نداولها بين الناس والرحى وإن كان فيها ما ذكر من تلف
الأرواح وهلاك الأنفس لكن فيها أيضا قوة الأشباح وقوت الأرواح قال التوربشتي إنهم
يكنون عن اشتداد الحرب بدوران الرحا ويقولون دارت رحا الحرب أي استتبت أمرها ولم
نجدهم استعملوا دوران الرحا في أمر الحرب من غير جريان ذكرها أو الإشارة إليها وفي هذا
الحديث لم يذكر الحرب وإنما قال رحى الإسلام فالأشبه أنه مراد بذلك أن الإسلام يستتب أمره
ويدوم على ما كان عليه المدة المذكورة في الحديث ويصح أن يستعار دوران الرحى في الأمر
الذي يقوم لصاحبه ويستمر له فإن الرحى توجد على نعت الكمال ما دامت دائرة مستمرة
ويقال فلان صاحب دارتهم إذا كان أمرهم يدور عليه ورحا الغيث معظمه ويؤيده ما ذهبنا
إليه ما رواه الحربي في بعض طرقه يزول رحى الإسلام مكان تدور ثم قال كأنه يريد والله أعلم
أنها تزول عن ثبوتها واستقرارها وأشار بالسنين الثلاث إلى الفتن الثلاث مقتل
عثمان رضي الله عنه وكان سنة خمس وثلاثين وحرب الجمل وكانت سنة ست
وحرب صفين وكانت سنة سبع فإنها كانت متتابعة في تلك الأعوام الثلاثة وإن يقم
لهم دينهم أي وإن وصفت تلك المدد ولم يتفق لهم اختلاف وخور في الدين وضعف في النفوس
يقم لهم سبعين عاما يتمادى لهم قوة الدين واستقامة أمره سبعين سنة وقد وقع الحذو
في الموعد الأول ولم يزل ذلك كذلك إلى الآن قال الخطابي يريد بالدين الملك قال ويشبه
أن يكون أراد بهذا ملك بني أمية وانتقاله عنهم إلى بني العباس وكان ما بين استقرار
الملك لبني أمية إلى أن ظهرت الدعاة بخراسان وضعف أمر بني أمية ودخل الوهن فيه
نحوا من سبعين سنة قال التوربشتي يرحم الله أبا سليمان فإنه لو تأمل الحديث كل التأمل
وبنى التأويل على سياقه لعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك بني أمية دون
غيرهم من الأمة بل أراد به استقامة أمر الأمة في طاعة الولاة وإقامة الحدود
والأحكام وجعل المبدأ فيه أول زمان الهجرة وأخبر أنهم يلبثون على ما هم عليه
خمسا وثلاثين أو ستا وثلاثين ثم يشقون عصا الخلاف فتفرق كلمتهم فإن هلكوا
فسبيلهم سبيل من قد هلك قبلهم وإن عاد أمرهم إلى ما كان عليه من إيثار الطاعة
ونصرة الحق يتم لهم ذلك إلى تمام السبعين هذا مقتضى اللفظ ولو اقتضى اللفظ أيضا
غير ذلك ليستقيم لهم ذلك القول فإن الملك في أيام بعض العباسية لم يكن أقل
استقامة منه في أيام المروانية ومدة إمارة بني أمية من معاوية إلى مروان بن محمد
كانت نحوا من تسع وثمانين سنة والتواريخ تشهد له مع أن بقية الحديث ينقض كل
ما بنى عليه الخطابي تأويله هذا وهي قول ابن مسعود قلت أي يا رسول الله مما بقي أو مما
مضى يريد أن السبعين تتم لهم مستأنفة بعد خمس وثلاثين أم يدخل المذكورة في جملتها
قال مما مضى يعني يقوم لهم أمر دينهم إلى تمام سبعين سنة من أول دولة الإسلام لا من
انقضاء خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين إلى انقضاء سبعين وفي جامع
الأصول قيل إن الإسلام عند قيام أمره على سنن الاستقامة والبعد من إحداثات

الظلمة إلى أن تنقضي مدة خمس وثلاثين سنة ووجهه أن يكون قد قاله وقد بقيت من عمره
صلى الله عليه وسلم خمس سنين أو ست فإذا انضمت إلى مدة خلافة الخلفاء الراشدين
وهي ثلاثون سنة كانت بالغة ذلك المبلغ وإن كان أراد سنة خمس وثلاثين من الهجرة ففيها
خرج أهل مصر وحصروا عثمان رضي الله عنه وإن كانت سنة ست وثلاثين فكانت فيها
وقعة الجمل وإن كانت سنة سبع وثلاثين ففيها كانت وقعة صفين رواه أبو داود

الفصل الثالث عن أبي واقد الليثي رضي الله تعالى عنه قال المؤلف هو الحارث
ابن عوف قديم الإسلام يعد في أهل المدينة وجاور بمكة سنة ومات بها وذكر أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى غزوة حنين أي بعد فتح مكة ومعه من
دخل في الإسلام حديثا ولم يتعلم من أدلة الأحكام ابتداء ولا حديثا مر بشجرة للمشركين
كانوا يعلقون عليها أسلحتهم أي ويعكفون حولها يقال لها ذات أنواط جمع نوط وهو مصدر
ناطه أي علقه فقالوا أي بعضهم ممن لم يكمل له مرتبة التوحيد ولم يطلع على حقيقة التفريد
يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط أي شجرة نحن أيضا نعلق عليها أسلحتنا
وكأنهم أرادوا به العندية والمجانسة العرفية وغفلوا عن القاعدة الشرعية فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله تنزيها وتعجبا هذا أي هذا القول منكم
كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة لكن لا يخفى ما بينهما من التفاوت المستفادة
من التشبيه حيث يكون المشبه به أقوى والذي نفسي بيده لتركبن بضم الموحدة أي
لتذهبن أنتم أيتها الأمة سنن من قبلكم بضم السين أي طرقهم ومناهجهم وسبلا تقليدا لهم
ونسخة بفتحها أي على منوالهم وطريقهم حذو شبر قال لهم رواه الترمذي ورواه أيضا عن
ابن عمر ومرفوعا ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى
أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك ورواه الحاكم عن ابن عباس لتركبن سنن من قبلكم
شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم وحتى لو أن أحدهم جامع
امرأته بالطريق لفعلتموه وعن ابن المسيب بفتح التحتية المشددة وقد يكسر تابعي جليل
قال وقعت الفتنة الأولى يعني هذا كلام الراوي عن ابن المسيب وتفسير لكلامه أي يريد
بالفتنة الأولى مقتل عثمان فلم يبق من أصحاب بدر أحد هذا كلام ابن المسيب
أي إنهم ماتوا منذ قامت الفتنة بمقتل عثمان إلى أن قامت الفتنة الأخرى بوقعة الحرة
والحاصل أنهم ما ابتلوا بالفتنة مرتين لما صانهم الله ببركة غزوة بدر ثم وقعت
الفتنة الثانية يعني الحرة في النهاية هذه أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة كانت
الوقعة المشهورة في الإسلام أيام يزيد بن معاوية لما انتهب المدينة عسكره من
أهل الشام الذين ندبهم لقتال أهل المدينة من الصحابة والتابعين وأمر عليهم مسلم بن
عقبة المري في ذي الحجة سنة ثلاث وستين فلم يبق من أصحاب الحديبية بالتخفيف ويشدد
أي من أهل بيعة الرضوان أحد ثم وقعت الفتنة الثالثة لعلها فتنة ابن الزبير وما
حصل له ولأهل مكة من الحجاج فلم ترتفع وفي نسخة فلم ترتفع وبالناس طباخ أي أحد وهو بفتح
الطاء وتخفيف الباء الموحدة وبالخاء المعجمة على ما صرح به صاحب المشارق والمفهوم من النهاية
فلا وجه لما ضبط في بعض النسخ من كسر الطاء نعم في القاموس الطباخ كسحاب وبضم القوة
والإحكام والسمن قال الطيبي أصل الطباخ القوة والسمن ثم استعمل في غيره فقيل فلان
لا طباخ له أي لا عقل ولا خير عنده أراد أنها لم تبق في الناس من الصحابة أحدا فالمراد بالناس
الصحابة قاله المظهر رواه البخاري انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب

الفصل الثالث عن أبي واقد الليثي

باب الملاحم

بفتح الميم وكسر الحاء جمع الملحمة وهي المقتلة او موضع القتال والوقعة العظيمة وفي النهاية هي الحرب وموضع القتال ماخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسدا وقيل هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها انتهى ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم نبي الملحمة وفيه اشارة الى انه معدن الجلال كما انه منبع الجمال لكونه نبي الرحمة والجمع بينهما هو الكمال وانما طلق سبحانه في حقه قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين مبالغة في غلبة رحمته تخلقا باخلاق الله وصفته كما ورد في الحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي وكذا في نادى في انا ارحم الراحمين بل الملحمة في الحقيقة عين الرحمة كما ان المحن من عنده سبحانه هي المنح والمنن والبلايا عين الولاء وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم

الفصل الاول

عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة بتانيث الفعل ويذكر وكذا قوله حتى تقتتل فئتان عظيمتان اي كبيرتان او كمية وكيفية لما كان في كل منهما جماعة من الصحابة ويمكن حمله على التغليب اذ الحكمة العظيمة في الحقيقة انما كانت جماعة علي كرم الله وجهه قال الاكمل وهذا من المعجزات لانه وقع بعده في العهد الاول بينهما مقتلة عظيمة اي حرب عظيم وقتال قوي دعواهما واحدة اي كل واحدة من الفئتين يدعي الاسلام قال ابن الملك المراد علي ومن معه ومعاوية ومن معه ويوخذ من قوله دعواهما واحد الرد على الخوارج في تكفيرهم كلا الطائفتين انتهى وفي كون الحديث ردا عليهم بمجرد دعوى لا يخفى فانه لا يلزم من تحقق دعوى المدعي وحصول المعنى مع ان الدعوى قد يكون في دعوى الخلافة ونحوها وحتى يبعث اي يرسل من عالم الغيب الى محل الوجود ويظهر دجالون اي مبالغون في فساد العباد والبلاد كذابون اي على الله ورسوله في شرح السنة كل كذاب دجال يقال دجل فلان الحق بباطله غطاه ومنه اخذ الدجال ودجله سحره وكذب وقيل سمي الدجال دجالا لتمويهه على الناس وتلبيسه يقال دجل اذا موه ولبس قريب من ثلاثين وهذا لم يبين جزما فيما سبق بقوله ثلاثون فانه اما متاخر واما المراد منه التقريب اذا الغاء الكسر وكذا لا ينافي ما رواه الطبراني عن ابن عمرو لا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذابا فان المراد به التكثير لا ثلاثون مقيد بدعوى النبوة والب بغيرها على احتمال ان السبعين غير الثلاثين فيكون المائة والله اعلم كلهم يزعم انه رسول الله وفي نسخة نبي الله وحتى يقبض اي يوخذ ويرفع العلم اي العلم النافع المتعلق بالكتاب والسنة بقبض العلماء من اهل السنة والجماعة فيكثر اهل الجهل والبدعة ويكثر الزلازل اي الحسية وهي تحريك الارض والمعنوية وهي انواع البلية فان موت العالم موت العالم ويتقارب الزمان قال الخطابي اراد به زمان المهدي لوقوع الامن في الارض فيستلذ العيش عند ذلك لانبساط عدله فيستقصر مدته لانهم يستقصرون مدة ايام الرخاء وان طالت ويستطيلون ايام الشدة وان قصرت ويظهر الفتن اي ويترتب عليها المحن ويكثر الهرج قيل المراد بكثرته شموله ودوامه والهرج هو القتل وبجهالة يكون مرفوعا والاظهر انه تفسير من احد الرواة فهو جملة معترضة وحتى يكثر فيكم المال فيفيض بالنصب ويرفع من فاض الماء اذا انصب عند امتلائه والضمير الى المال فهو مبالغة لحصول المال في المال حتى يهم بضم الياء وكسر الهاء وتشديد الميم من اهمه احزنه واقلقه وقوله رب المال منصوب على انه مفعوله والفاعل قوله من يقبل صدقته في تقدير مضاف اي حتى يتوقع

في الحزن

في الحزن فقدان من يقبل الصدقة رب المال حيث لم يجد من يقبله والتمليك شرط لحصول الزكاة كما ان القبض شرط لحصول الصدقة وفي بعض النسخ بضم الياء وفتح الهاء اي يهمه لغة بفتح وضم الهاء بمعنى احزنه فرب المال منصوب في حاله وفي بعضها برفعه على انه فاعل يهم مفعوله اي يقصده رب المال بكسر الميم المقارف في بقية الازمنة والاحوال من يهم به اذا قصده فيكون من باب الحذف والايصال والمعنى الاول هو الاصول قال النووي في شرح مسلم منضبط بوجهين اشهرهما ضم اوله وكسر الهاء قال الطيبي وفي جامع الاصول مقيد بضم الياء ورب المال مفعوله والموصول مع صلته فاعله وقوله وحتى يعرضه اي بكسر الراء عطف على مقدر والمعنى حتى يهم طلب من يقبل الصدقة صاحب المال فيطلبه حتى يجده وحتى يعرضه انتهى اي حتى يعرض المال الذي اراد ان يتصدق به على من يظن انه يقبله فيقول الذي يعرضه عليه لا ارب لي به بفتح الهمزة والراء اي لا حاجة لي اليه اما لغنى قلبه او لغنى يده والاظهر انه لهما جميعه فكان الخبر وسع الجمع بمانيه ونفع كلا احدهما يكفيه فلا يريد ما يطغيه او ما لا يعنيه والا فمن المعلوم انه لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولن يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب على ما ورد في الحديث بل في القران المنسوخ التلاوة فكان اهل ذلك الزمان كلهم ممن تاب الله عليهم حتى رجعوا الى مقام الرضى بالغنى والقناعة بالكفاية والاستغناء بما فتحه الله عن الناس فان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس وحتى يتطاول الناس في البنيان اي حتى يتزايد وافي طوله وشرفه ويتفاخروا في تزيينه وتحسينه وهذا غير مقيد بزمان المهدي بل المراد به اما بعده واما قبله فان الان قد كثر البنيان وافتخر به اهل الزمان وتطاولوا بالعمارات في كل مكان وهدموا العمارات الموضوعة للخيرات وجعلوها دورا وبساتين ومواضع التنزه ومحال التلهيات وحتى يمر الرجل اي من كثرة همومه وعمومه في امر دينه او كثرة بلايه وقلة دوايه بقبر الرجل اي من اقاربه واجانبه فيقول بالنصب ويرفع يا ليتني مكانه نقل بالمعنى اذ لفظه مكانك اي ليتني كنت ميتا حتى لا ارى الفتنة ولا اشاهد المحنة وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت وراها الناس امنوا اجمعون تاكيد الناس او لضمير اي كلهم لما راو من الاية الملجئة والعلامات العلانية وكان المطلوب منهم الايمان في الحالة الغيبية كما اشار اليه سبحانه الذين يومنون بالغيب ولذا قال فذلك اي الوقت حين لا ينفع نفسا ايمانها وكذا ما يترتب على ايمانها من عمل خيرها لما دين في ذلك الوقت كما نبه بقوله لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قال او للتنويع اذ قد يوجد ايمان مجرد عن العمل وقد يقترن العمل بالايمان لكن لما كان وقوعهما في حال الباس وقت الياس لا يكونان نافعين قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقيل التقدير لا ينفع ايمانها ولا كسبها اذ لم تكن امنت من قبل ولم تكن كسبت فالكلام من اللف التقديري والنشر الظاهري هذا وقيل جملة لم تكن امنت صفة نفس والاولى ان يجعل على الاستيناف لئلا يقع الفصل بين الصفة والموصوف وقرئ لم تنفع بالتاء لبعض ايات الرب في ما في القران مبهم ومجمل ومن قبل طلوع الشمس من مغربها على ما في حديث مفسر ومبين ثم قيل او كسبت عطف على امنت والمراد بخير التوبة او الخالص فتنوينه للتعظيم اي لا ينفع تلك النفس ايمانها ولا قبول توبتها فيفيدان او للتنويع فكانه قال لا ينفعها توبة عن الشرك ولا توبة عن المعاصي وبهذا يندفع استدلال المعتزلة بالاية على ان العمل معتبر في الايمان مع ان ظاهر قوله تعالى في ايمانها خيرا يدفع ذلك ثم قيد عدم قبول الايمان والتوبة في ذلك الوقت

مخصوص من بين شمس هذا طلوعها في أذن من وإذا لم يثبت هذا بقبيل كلامه منه والصحيح أنه
غير مخصوص لخبر الصحيح أن التوبة لا تزال مقبولة حتى يغلق بابها فإذا طلعت الشمس
من مغربها أغلق ولتقومن الساعة أي النفخة الأولى وهي مقدمة الساعة فإذا طلعت عليها
وقد نشر الرجلان بجملة حالية أي والحال أنهما فتحا وفرقا ثوبهما بينهما بالإضافة لأحدهما
في أنه صاحبه وللآخر في أنه طالبه فلا يتبايعانه أي لا يكملان البيع والشراء ولا يطويانه
أي ولا يجمعان الثوب بل يفجؤهما الساعة عليهم وهما مشغولان بالبيع والشرى كما قال
تعالى ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم
يرجعون وحاصله أن قيام الساعة يكون بغتة لقوم وهم في اشتغالهم كما قال
تعالى لا تأتيكم إلا بغتة ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته بكسر اللام
وسكون القاف أي ناقة ذات لبن فلا يطعمه أي فلا يمكن الرجل أن يشرب اللبن الذي حلبه
وهو في يده ولتقومن الساعة وهو يليط بفتح أوله أي يطين ويصلح حوضه أي ليسقي إبله
أو غنمه منه فلا يسقي فيه أي إبله وهو بفتح الياء ويجوز ضمها فيه أي في ذلك الحوض أو من مائه
والمعنى أن الساعة تأخذ الناس بغتة تأتيهم وهم في أشغالهم فلا تمهلهم أن يتموها
ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته بضم الهمزة أي لقمته إلى فيه فلا يطعمها أي فلا يطعمها
ولا يأكلها وهذا أبلغ مما قبله من الصور متفق عليه وعنه أي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر
بفتحتين ويسكن العين أي من جلود مشعرة غير مدبوغة وحتى تقاتلوا الترك قال السدي
سرية من يأجوج ومأجوج وعن قتادة أنهم كانوا اثنين وعشرين بنى ذو القرنين السد
على أحد وعشرين وبقيت واحدة وهي الترك سموا بذلك لأنهم تركوا خارجين صغار الأعين
بالنصب وهو من أمارات الحرص على أمتعة الدنيا صغيرها والبخل في تغيرها ونظيرها حمر
الوجوه أي من شدة حرارة باطنهم وغلبة الغضب في أجوافهم ذلف الأنوف بضم الذال
المعجمة أي صغيرها فيكون كناية عن سموهم الخلق أو عريضها يدخل فيهم الخلق والإباء طلوع عن
تمييز لهم بينهم والأظهر أن معناه فطس الأنوف كما في الرواية الآتية جمع أفطس من الفطس
بالتحريك وهو انطاء قصبة الأنف وانخفاضها وانتشارها فترجع إلى معنى عريضها وقال
القاضي ذلف جمع أذلف وهو الذي يكون أنفه صغيرا ويكون في طرفه غلظ كأن بتشديد
النون وجوههم المجان بفتح الميم وتشديد النون جمع المجن بكسر الميم وهو الترس المطرقة
بضم الميم وفتح الراء المخففة المجلدة طبقا فوق طبق وقيل هي التي ألبست طراقا أي جلدا
يغشاه وقيل هي اسم مفعول من الإطراق وهو جعل الطراق بكسر الطاء أي الجلد على وجه
الترس انتهى شبه وجوههم بالترس لتبسطها وتدويرها وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها وفيه
إشارة إلى أنهم أكبر وجوههم وأنها وكثرة لحمها وتيبوستها أبوا الوجوه الطامعة في المال
والأهل البشرية لبعدهم الإنسانية ولا ملائمة لا حسنية بل كأنهم نوع آخر من جنس الناس
ينبغي أن يقال أنهم نسناس ويكفي في ذمهم أنهم فضلة يأجوج ومأجوج ومن إخوانهم وأنموذج
وعينة من أعيانهم فلا شك أنهم يكونون في غاية من الفساد ونهاية من الضرر للبلاد
والعباد لا أرانا الله وجوههم إلى يوم المعاد قال القاضي وقد ورد ذلك في الحديث الذي
بعده صفة لخوز وكرمان ولو لم يكن ذلك من بعض الرواة لعل المراد بهما صنفان من
الترك كان أحد أصولهم أحدهم من خوز وأحد أصول الآخر من كرمان فسماهم الرسول
صلى الله عليه وسلم باسمه وإن لم يشتهر عندنا كما نسبهم إلى قنطوراء وهي أمة كانت لإبراهيم

عليه

عليه السلام ولعل المراد بالموعود في الحديث ما وقع في هذا العصر بين المسلمين والتركمانيين والأ
انه اشارة إلى فضيحة جنكيز وما وقع لهم من الفساد وخصوصا ما في بغداد والله رؤوف بالعباد
متفق عليه وعنه أي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا بضم الخاء المعجمة وسكون الواو وبالزاي في القاموس الخوز
بالضم جيل من الناس واسم لجميع بلاد خوزستان وكرمان بكسر الكاف ويفتح كذا في بعض
النسخ المصححة لكن في القاموس كرمان وقد يكسر والحي إقليم بين فارس وسجستان
وقال النوربشتي الخوز جيل من الناس وأما ما جاء في الحديث منونا بسكون وسط هذا
وقد ذكر ابن الأثير بالخاء المعجمة المضمومة وبالزاي مع الإضافة يقال خوز كرمان من غير واو
العطف قال وروي خوز وكرمان قال والخوز جيل معروف وكرمان صقع معروف في العجم ويروى
بالراء المهملة وهو من أرض فارس وصوبه الدارقطني وقيل إذا أضيف فبالراء وإذا عطف
فبالزاي ونقله الجزري من الأعاجم بيان لهما قال شارح المراد صنفان من الترك سماهما
باسم أبويهم وكانا يحله في أهل خوزستان وكرمان ذكر تمام الخبر يوجد وإلا فالنعت المذكور في
الحديث بل وجد في الترك حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين وجوههم المجان المطرقة
نعالهم الشعر رواه البخاري وفي رواية له أي للبخاري عن عمرو بن تغلب بالتاء فوقها نقطتان
وبالغين المعجمة وهو غير منصرف قال المؤلف في فصل الصحابة هو العبدي من عبد القيس
روى عنه الحسن البصري وغيره عراض الوجوه بالنصب على الحكاية وبالرفع على الإعراب
لكونه مبتدأ الخبر مقدم وعنه أي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه نظرا إلى أن مرجع الضمير
إلى المعنون السابق وفي نسخة صحيحة وعن أبي هريرة بالإظهار وبلا بتوهم عود الضمير
إلى الصحابي اللاحق فإنه بعرفه ربما يظن أنه اللاحق مرجع اللاحق قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم أي غالبهم أو فيغلبهم
المسلمون حتى يختبي أي يختفي اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر أي كلاهما أو أحدهما
يا مسلم يا عبد الله جمع بين الوصفين لزيادة التعظيم هذا أي تنبه هذا يهودي خلفي
فتعال فاقتله إلا الغرقد استثناء من الشجر وهو نوع شجر ذو شوك يقال له العوسج كذا
ذكره شارح وفي النهاية هو ضرب من شجر العضاة وشجر الشوك منه وقيل المقبرة أهل المدينة
بقيع الغرقد لأنه كان فيه غرقد وقطع فإنه من شجر اليهود أضيف إليهم لأدنى ملابسة
قيل هذا يكون بعد خروج الدجال حين يقاتل المسلمون من تبعه من اليهود رواه مسلم
وعنه أي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة
حتى يخرج رجل من قحطان بفتح القاف وسكون الحاء وهو أبو اليمن وقيل قبيلة منهم يسوق
الناس أي لأجل حكمه بعصاه هذا عبارة عن تسخير الناس واسترعائهم كسوق الراعي غنمه
بعصاه وقيل لعله الرجل القحطاني هو الذي يقال له جهجاه في ما سيأتي رواه البخاري وعنه
أي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذهب
الأيام والليالي أي لا ينقطع الزمان ولا تأتي القيامة حتى يملك رجل يقال له الجهجاه
قال النووي هو بفتح الجيم وسكون الهاء وفي بعض النسخ الجهجاه بهاءين وفي بعضها الجهجا
بحذف الهاء التي بعد الألف والأول هو المشهور وفي رواية حتى يملك رجل من الموالي بفتح الميم
جمع المولى أي المماليك والمعنى حتى يصير حاكما على الناس يقال له الجهجاه قال الجزري لم أجد
هذه الرواية في واحد من الصحيحين فعله ميرك فيكون من غير الصحيحين فلا اشتباه
والاعتضاد فلا يرد على المؤلف إيراده في الفصل الأول لا ادعاه اختصاصه بحديث الشيخين

انما هو في الاصول رواه مسلم وعن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لتفتحن بفتح الحاء وفي نسخة صحيحة لتفتتحن قال التوربشتي وجدنا في اكثر نسخ
المصابيح بتائين بعد الفاء ونحن نرويه عن كتاب مسلم بتاء واحدة وهو امثل معنى لان الافتتاح
اكثر ما يستعمل في معنى الاستفتاح فلا يقع موقع الفتح في التحقيق الا مرة ونوعه والحديث انما
ورد في معنى الاخبار عن الكراين والمعنى لتاخذن عصابة بكسر العين اي جماعة من المسلمين
كنز آل كسرى بكسر الكاف وبفتح والاول مفخم والمراد به اهله واتباعه الذي في الابيض
قال القاضي الابيض قصر حصين كان بالمداين وكانت الفرس تسميه سفيد كوشك والان
بني مكانه مسجد مداين وقد اخرج كنزه في ايام عمر رضي الله عنه وقيل الحصن الذي بهمدان
بناه دارا بن دارا يقال له شهرستان رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك كسرى جملة خبرية اي سيهلك ملكه وانما عبر عنه بالمضي
لتحقق وقوعه وقربه او دعا وتفاؤل فلا يكون كسرى وفي نسخة بالتنوين حيث اريد به
التنكير بعده اي بعد كسرى الموجود في زمنه صلى الله عليه وسلم والمعنى لا يملك ملك كسرى
كافر بل يملكه المسلمون بعده الى يوم القيمة وقيصر وهو ملك الروم مبتدا وخبره ليهلكن
والتغاير بينهما للتفنن او هو عطف على كسرى وليهلكن بقوله ليهلكن للتاكيد مع زيادة المبالغة
المستفادة من لام القسم ونون التاكيد ثم لا يكون قيصر بالوجهين اي قيصر اخر بعده اي
بعد الاول قال الطيبي هلك كسرى وقيصر كانا متوقعين فاخبر عن هلاك كسرى بالماضي
دلالة على انه كالواقع بناء على اخبار الصادق واتى في الاخبار عن قيصر بلام القسم في المضارع
وبنى الكلام على المبتدا والخبر اشعارا لا هتمامه بالاعتنا بشانه وانما طلب منه وذلك
ان الروم كانوا سكان الشام وكان صلى الله عليه وسلم في فتحه اشد رغبة ومن ثم غزا صلى
الله عليه وسلم تبوك وغزوة الشام انزل ـــــ لما كان هلاك كسرى قبل قيصر بحسب
زمانه الحال فناسب ان يعبر عنه بالماضي وعن الثاني بالاستقبال ولتقسمن
بصيغة المجهول مخففا كنوزهما اي كنز كل منهما في سبيل الله وسمى عطف على قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي قال الراوي وسمى النبي صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة بفتح الخا
وضمها مع سكون الدال وبضم الخا مع فتح الدال على ما سبق مبناه وتحقق معناه وفي
ما في القاموس الحرب خدعة مثلثة وكهمزة وروى بهن جميعا اي تنقضي بخدعة هذا
والراوي جمع بين حديثين والظاهر انهما وقعتا في وقتين فلا يحتاج الى طلب المناسبة
بين ايرادهما معا على انه في ذكر اشارة الى ان هلاكهما واخذ كنوزهما انما يكون بحرب
وربما يكون محتاجة الى خدعة لكنه اصحابه رضي الله عنهم الى جواز خدع لا يتوهموا ان
الخدعة من باب الغدر والخيانة والله اعلم وقال الطيبي فان قلت ـــــ ما وجه
المناسبة بين قوله وسمى الحرب خدعة وبين الكلام السابق قلت ـــــ هو وارد على
سبيل الاستطراد لان مثل الكلام كان في ذكر الفتح وكان حديثا مشتملا على الحرب
فاورده في الذكر كما اورد قوله ومن كل تاكلون لحما طريا بعد قوله وما يستوي البحران
هذا عذب فرات اذ المراد منهما المؤمن والكافر قلت فقوله ومن كل تاكلون اشارة الى
تكميل التشبيه وتتميم وتذييل وتقوا لان انه ينتفع بهما ونظام العالم بوجودهما بدلهما
الدال على منظر الجمال والجلال وهما صفتا الكلام وعليهما مدار الكونين وما ال الفريقين
كما دل عليهما في البحرين حيث قال هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج نعم من بابه في غاية
من الكمال ويضل من يشا ويهدي من يشا ويعذب من يشا ويغفر لمن يشا والله

بما كان في تدبيره متفق عليه وعن نافع بن عتبة اي ابن ابي وقاص الزهري القرشي يعرف بالمرقال بكسر
الميم وسكون الرا وبالقاف وهو ابن اخي سعد بن ابي وقاص صحابي من مسلمة الفتح من المؤلفة روى
عنه ابن عمرو جابر بن سمرة نقله ميرك عن التصحيح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تغزون اي بعدي جزيرة العرب وقد سبق تفسيرها وتحريرها وتقريرها ومجملها على ما حكي
عن مالك مكة والمدينة واليمامة واليمن فالمعنى بقية الجزيرة وجميعها بحيث لا يترك كافر
فيها فيفتحها الله اي عليكم ثم فارس اي ثم تغزونها فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله
ثم تغزون الدجال الخطاب فيه للصحابة والمراد الامة فيفتحه الله اي يجعله مقهورا مغلوبا
ويقع هلاكه على يدي في ارسال عيسى ونزوله من السما على المنارة رواه مسلم اي في الفتن
من حديث جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة ولفظه حفظت من رسول الله صلى الله عليه
وسلم اربع كلمات عدهن في يدي قال تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله الخ والعجب ان
الحاكم اخرجه في مستدركه على الصحيح وقال على شرط مسلم واقره الذهبي نقله ميرك
عن التصحيح وفيه ان الظاهر هو ان الحاكم رواه باسناد اخر رجاله رجال مسلم فيكون
مستدركا ولا يكون مستدركا وعن عوف بن مالك رضي الله عنه اي الاشجعي صحابي
مشهور قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة اي خيمة من ادم
بفتحتين اي من جلد فقال اعدد اي احسب وعد ستا اي من العلامات الواقعة بين يدي
الساعة اي قدامها موتي اي فوتي بانتقالي من دار الدنيا الى الاخرى لانه اول زوال
الكمال بحجب الجلال ثم فتح بيت المقدس بفتح ميم وسكون قاف وكسر دال وفي نسخة
بضم ففتح فتشديد ثم موتان بضم الميم اي وبا ياخذ فيكم اي يتفرق في ابدانكم كقعاص الغنم
بضم القاف داء ياخذ الغنم فلا يلبثها ان تموت قال التوربشتي اراد بالموتان الوبا وهو في
الاصل موت يقع في الماشية والميم منه مضمومة واستعماله في الانسان تنبيه على وقوعه
فيهم ووقوعه في الماشية فانها تسلب سلبا سريعا وكان ذلك في طاعون عمواس زمن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو اول طاعون وقع في الاسلام مات فيه سبعون الفا
في ثلاثة ايام وعمواس قرية من قرى بيت المقدس وقد كان بها معسكر المسلمين ثم
استفاضة المال اي كثرته في شرح السنة اصله التفرق والانتشار يقال استفاض
الحديث اذا انتشر وفي النهاية وهو من فاض الما والدمع وغيرهما اذا كثر حتى يعطى الرجل
مائة دينار فيظل بالرفع وجوز النصب اي فيصير ساخطا اي غضبان لعدد المائة تقليلا
وهذه الكثرة ظهرت في خلافة عثمان رضي الله عنه عند الفتوح واما اليوم فيعتبر اهل
زماننا يعدون الالف قليلا ويحقرونه ثم فتنة اي بلية عظيمة بدلت بمقتل عثمان وما
بعده من الفتن المرتبة عليها لا يبقى بيت من العرب الا دخلته قيل المراد من بيوت منه
وانما خص العرب لشرفهم وقربهم منه نفيه نوع تغليب او ايماء الى ان ما في الميل من اسلم
فهو عربي ثم هدنة اي مصالحة تكون بينكم وبين بني الاصفر اي الاروام سموا بذلك لان
اباهم الاول وهو الروم بن عيصو بن يعقوب بن اسحاق كان اصفر في بياض وقيل سموا
باسم رجل اسود ملك الروم فنكح من نسايهم فولد له اولاد في غاية الحسن فنسب الروم
اليه فيغدرون اي ينقضون عهد الهدنة فياتونكم تحت ثمانين غاية اي راية وهو العلم قال
الطيبي ومن رواه بالباء الموحدة اراد بها الاجمة فشبه كثرة رماح العسكر بها تحت كل غاية
اثنا عشر الفا اي الف فارس قال الاكمل جملته سبعماية الف وستون الفا رواه البخاري
وكذا ابن ماجه والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه كذا في

الدقيقي وهذا ايضا من الوهم فان الحديث في صحيح البخاري في كتاب الجهاد في باب ما يجوز من
الغدر نقله ميرك عن التصحيح وقد مضت ما يدفعه والله اعلم بالصحيح وعن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم
بالاعماق بفتح الهمزة قال التوربشتي العمق ما بعد من اطراف المفاوز وليس الاعماق هاهنا
جمع وانما هو اسم موضع بعينه من اطراف المدينة او بدابق بفتح الموحدة وقد يكسر ولا يصرف
وقد يصرف قال التوربشتي هو بفتح الباء دار نخلة موضع سوق بالمدينة وفي المفاتيح هو
موضعان او شك من الراوي وقال الجزري دابق بكسر الباء الموحدة وهو الصواب وان كان
شيخنا في المشارق ذكر فيه الفتح ولم يذكر غيره وهو موضع معروف من عمل حلب ومرج
دابق مشهور قال صاحب الصحاح الاغلب التذكير والصرف لانه في الاصل اسم نهر قال
وقد يؤنث ولا يصرف انتهى والذي يؤنثه ولا يصرفه يريد به البقعة قلت وفي
القاموس دابق كصاحب موضع بحلب لكن المضبوط في النسخ بغير صرف فيخرج بالنصب
وبرفع اليهم جيش من المدينة قال ابن الملك قيل المراد بها حلب والاعماق ودابق موضعان
بقربه وقيل المراد بها دمشق وقال في الازهار واما ما قيل من ان المراد بها مدينة النبي صلى
الله عليه وسلم فضعيف لان المراد بالجيش الخارج الى الروم جيش المهدي بدليل اخر الحديث
ولان المدينة المنورة تكون خرابا في ذلك الوقت من خيار اهل الارض بيان للجيش يومئذ
اخبار من زمنه صلى الله عليه وسلم فاذا تصافوا بتشديد الفاء المضمومة قالت الروم
خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا على بنا الفاعل نقاتلهم يريدون بذلك مخاتلتهم ومخادعتهم
بعضهم عن بعض ويبغون به تفريق كلمتهم والمراد بهم الذين غزوا بلادهم فسبوا
ذريتهم كذا ذكره التوربشتي وهو الموافق للنسخ والاصول قال ابن الملك وروي سبوا
بنا المجهول قال القاضي بنا المعلوم هو الصواب وقال النووي كلاهما صواب لان عساكر
الاسلام في بلاد الشام ومصر كانوا مسبيين ثم هم اليوم بحمد الله يسبون الكفار قال
التوربشتي والاظهر ان هذا القول منهم يكون بعد الملحمة الكبرى التي تدور رحاها بين
الفئتين بعد المصالحة والمشاجرة لقتال عدو ويتوجه الى المسلمين وبعد غدرة الروم
لهم وذلك قبل فتح قسطنطينية فيطأ الروم ارض العرب حتى ينزل بالاعماق او بدابق
فيسأل المسلمين ان يخلوا بينهم وبين من سبى ذريتهم فيردون الجواب على ما ذكر في الحديث
فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم وبين اخواننا فيقاتلونهم اي المسلمون الكفرة
فينهزم ثلث اي من المسلمين لا يتوب الله عليهم ابدا كناية عن موتهم على الكفر وتعذيبهم
على التأبيد ويقتل ثلثهم افضل الشهداء عند الله بالرفع على تقدير مبتدأ هو هم وفي نسخة
بالنصب على انه حال ويفتتح الثلث اي الباقي من المسلمين لا يفتنون اي لا يبتلون
ببلية او لا يمتحنون بمقاتلة او لا يعذبون ابدا فيه اشارة الى حسن خاتمتهم فيفتتحون
الفاء تعقيبية او تفريعية قال ابن الملك وفي نسخة فيفتحون بتاء واحدة وهو الاصوب لان
الافتتاح اكثر ما يستعمل بمعنى الاستفتاح فلا يقع موقع الفتح قلت سبق مثل هذا
في كلام التوربشتي لكن الظاهر ان فيه ايماء الى ان الفتح كان بمعالجة تامة وفي القاموس
فتح كمنع ضد اغلق كفتح وافتتح والفتح النصر وافتتاح دار الحرب والاستفتاح الاستنصار
والافتتاح والمعنى فيأخذون من ايدي الكفار قسطنطينية وهي بضم القاف وسكون
السين وضم الطاء الاولى وكسر الثانية وبعدها ياء ساكنة ثم نون قال النووي هكذا
ضبطناه هنا وهو المشهور ونقل القاضي في المشارق عن المتقنين زيادة ياء مشددة

بعد

بعد النون قلت واصل نسخ المشكاة متفقة على ما قاله عياض وبعض النسخ بزيادة ياء مخففة بعد
المشددة فقد قال الجزري ثم نون ثم ياء مخففة وحكي بعضهم تشديدها وقال
اخرون بحذفها ونقله عياض عن الاكثرين ثم هي مدينة مشهورة اعظم مداين الروم قال
الترمذي والقسطنطينية قد فتحت في بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتفتح
عند خروج الدجال قال الحجازي في حاشية الشفا قسطنطينية وقسطنطنية ويزاد
بلام التعريف دار ملك الروم وفيها ست لغات فتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف
الياء الاخيرة وتشديدها ومع حذفها وفتح النون وهذه بضم الطاء واكثر استعمالا والثاني
مضموم بكل حال فبينما هم اي المسلمون يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون
اراد الشجر المعروف والجملة حال دالة على كمال الامن اذ صاح فيهم الشيطان اي نادى بصوت
رفيع ان المسيح بكسر الهمزة لما في الندا من معنى القول ويجوز فتحها اي اعلمهم والمراد
بالمسيح هنا الدجال قد خلفكم بتخفيف اللام اي قام مقامكم في اهليكم اي في ذراريكم
كما في رواية فيخرجون اي جيش المدينة من قسطنطينية وذلك اي القول من الشيطان
باطل اي كذب وزور فاذا جاؤا اي المسلمون الشام الظاهر ان المراد به القدس منه
لما في بعض الروايات تصرح بذلك فبينما هم يعدون بضم فكسر اي يستعدون
ويتهيؤن للقتال فقوله يسوون الصفوف بدل منه اذ اقيمت الصلاة وفي نسخة
صحيحة اذا بالالف اي وقت اقامة المؤذن للصلاة فينزل عيسى ابن مريم اي من السما
على منارة مسجد دمشق او في بيت القدس فامهم عبر الماضي تحقق الوقوع واشعر
بجواز عطف الماضي على المضارع وعكسه اي ام عيسى المسلمين في الصلاة ومن جملتهم
المهدي وفي رواية قدم المهدي معللا بان الصلاة انما اقيمت لك واشعارا بالمتابعة
وانه غير متبوع استقلالا بل هو مقرر ومؤيد ثم بعد ذلك يؤمهم على الدوام فقوله
فامهم فيه تغليب او تركيب مجازي اي امر امامهم بالامامة ويكون الدجال حينئذ محاصرا
للمسلمين فاذا راه اي راى عيسى عدو الله بالرفع اي الدجال ذاب اي شرع في الذوبان
كما يذوب الملح في الماء فلو تركه اي ترك عيسى الدجال ولم يقتله لانذاب حتى يهلك اي
بنفسه بالكلية ولكن يقتله الله بيده اي بيد عيسى فيريهم اي عيسى او الله تعالى المسلمين
او الكافرين او جميعهم دمه اي دم الدجال في حربته اي في حربة عيسى وفي الجامع الصغير وقد
روى الترمذي عن مجمع بن جارية مرفوعا يقتل ابن مريم الدجال بباب لد والمشهور انه
من ابواب مسجد القدس وفي النهاية هو موضع بالشام وقيل بفلسطين ذكره السيوطي
في شرحه للترمذي ولعل الدجال يهرب من بيت المقدس بعد ما كان محاصرا فيلحقه عيسى
في احد الاماكن فيقتله والله اعلم رواه مسلم اي بهذا السياق وروى البخاري
خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام كذا ذكره ميرك عن التصحيح وعن عبد الله
ابن مسعود قال ان الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث اي من كثرة المقتولين
وقيل من كثرة المال والاول الاصح كذا في الازهار وقيل حتى توجد وقت لا يقسم فيه ميراث
لعدم من يعلم الفرائض واقول لعل المعنى انه يرتفع الشرع فلا يقسم ميراث
اصلا ولا يقسم على وفق الشرع كما هو مشاهد في زماننا ويحتمل ان يكون معناه انه من
قلة المال وكثرة الفقراء لا يقسم ميراث بين الورثة اما للعدم او وجود شيء او لكثرة الديون
المستغرقة او لان اصحاب الاموال يكون ظلمة فيرجع مالهم الى بيت المال فلا يبقى لاولاد
نصيب في المال ولا لهم خلاف في المال والله اعلم بالحال وقوله ولا يفرح بغنيمة

المجهول اي ولا يفرح احد بغنيمة اما بعدم العطا بظلم الظلمة واما للغش والخيانة
فلا يتهنا بها اهل الديانة ومن القواعد المقررة ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
فلا يختص ما ذكر الراوي ثم قال اي ابن مسعود عدو اي من الروم او عدو كثير وهو مبتدا
خبره يجمعون اي الجيش السلاح لاهل الشام اي لمقاتلة اهل الشام ويجمع لهم اي لقتال
اهل الشام اهل الاسلام يعني اي قال الراوي يريد ابن مسعود بالعدو الروم فيتشرط
المسلمون من باب التفعل استعمل لتشرط مكان اشترط يقال اشترط فلان بنفسه لامر
كذا اي قدمها واعدها واعلمها واشرط نفسه للشي اعلمه ويروى فيشترط المسلمون
اي يهيئون ويعدون شرطة بضم الشين وسكون الرا طايفة من الجيش تتقدم للقتال
وتشهد الواقعة سموا بذلك لانهم كالعلامة للجيش وقوله للموت اي للحرب وفيه نوع
تجريد في القاموس الشرطة واحد الشرط كصرد وهم كتيبة تشهد الحرب وتتهيا للموت
وطايفة من اعيان الولاة انتهى والمراد هنا المعنى الاول وقيل سموا بها لانهم يشترطون
ان يتقدموا ويقدموا انفسهم للهلكة وتوبيه قوله لا ترجع تلك الشرطة الا غالبة فالجملة
صفة شرطة كاشفة مبينة موضحة والمعنى ان المسلمين يبعثون مقدمة منهم على ان لا ينهزموا
بل يتوقفوا ويثبتوا الا ان يقتلوا او يغلبوا فيقتتلون اي المسلمون والكفار حتى يحجز
بضم الجيم وكسرها اي يمنع بينهم الليل اي دخوله وظلامه فيتركون القتال فيفي مضارع
من الفي بمعنى الرجوع اي يرجع هولا اي المسلمون وهولا اي الكافرون كل اي من الفريقين
غير غالب اي وغير مغلوب وتفنى اي وتهلك وتقتل وتفنى الشرطة اي جنسها من الجانبين
والحاصل ان يرجع معظم الجيش وصاحب الرايات من الطرفين ولم يكن لاحدهما
غلبة على الاخر وتفنى شرط الطرفين واما فكانت الغالبة لم تفن شرطهم وقد تعالى كل غير غالب
هذا وفي بعض النسخ المصححة شرطة بفتح الشين قال السيد جمال الدين اعلم ان لفظة
الشرطة يحتمل وجهين ان كان الشين منها مفتوحة فمعناه يشترطون معهم شرط واحدة
ومعنى فنيهم زوالها بسبب دخول الليل وان كانت مضمومة فالمراد منها طايفة هي
خيار الجيش وفيه اشكال من حيث ان الشرطة اذا ما كانت غير غالبة لم يفن اذ لو فنيت غير
غالبة فكيف قال فيفي قال وبقي هولا كل غير غالب وبقي الشرطة ويمكن ان يقال كان
مع الشرطة جمع اخر من الجيش وهم راجعون غير غالبين لا الشرط وكان ساير المسلمين
في كل يوم مع الشرطة ذلك اليوم فالراجع سايرهم دونها انتهى والمفهوم فرض هاهنا
يويد ما قدرناه ما ذكره الطيبي حيث قال في الفايق يقال اشرط نفسه لكذا اذا اعلمها
له واعدها فحذف المفعول والشرطة نخبة الجيش وصاحب رايات لانهم الثغر الذين تقدموا
وتهم الشرط وقوله فيتشرط فانه في الحديث كذلك استعمل تشترط مكان اشترط
يقال اشترط فلان بنفسه لامر كذا اي قدمها واعدها واعلمها ولو وجدت الرواية بفتح
الشين من الشرط لكان معناه اوضح واقوم مع قوله وتفنى الشرط اي يشترطون شرطة
واحدة مثنوية فيها ولم نعرف ذلك من طريق الرواية فقال الطيبي اذا وجدت الرواية
القرينة الصحيحة وجب الذهاب اليها ولا يخاف عين التحريف من ضم الشين الى فتحها
والتزام التكلف في تاويلاتنا والعدول عن الحقيقة في تفنى الشرطة الى ذلك المجاز
البعيد واي مانع من ان يفرض ان الفية العظيمة من المسلمين افرزوا من بينهم طايفة
يتقدم الجيش للمقاتلة واشترطوا عليهم ان لا ترجع الا غالبة فلذلك بذلوا جهدهم
وصدقوا فيها عدوا وقاتلوا حتى قتلوا عن اخرهم وهو المراد من قولهم وتفنى الشرطة قال

الجوهري بن فلان شرط عليه كذا واشترط عليه ويشرط ويتوافق فيه هولا وهولا المراد
منه الفية العظيمة ان الشرط ثم يشترط المسلمون شرطة اي اخرى للموت لا ترجع الا
غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفي هولا وهولا كل غير غالب وتفنى الشرطة ثم يشترط
المسلمون شرطة اي ثالثة للموت لا ترجع الا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا اي يدخلون في المسا
بان يدخل الليل في العصر فيفي هولا وهولا كل غير غالب وتفنى الشرطة فاذا كان يوم
الرابع نهد اليهم اي نهض وتقدم بقية اهل الاسلام فيجعل الله الدبرة بفتح
المهملة والموحدة اسم من الادبار وروي الدايرة اي الهزيمة عليهم اي على الكفار ذكره شارح
اي على الروم فيقتتلون من باب الافتعال هذا هو الصحيح الموجود في اكثر النسخ المعتمدة
وفي نسخة فيقتلون بصيغة المجهول من الثلاثي وهذا مبني لما توهم من انه متعلق بقوله
فيجعل الله والحال ان الامر خلاف ذلك بل هو متعلق بمجموع ما تقدم والله اعلم مقتلة
مفعول مطلق من غير لفظه او بحذف زوايده ونظيره قوله تعالى والله انبتكم من الارض
نباتا والمعنى مقاتلة عظيمة لم ير اي لم يبصر او لم يعرف مثلها حتى ان الطاير بكسر الهمزة وفتح
ليمر اي يريد المرور بجنباتهم بجيم ونون مفتوحتين اي بنواحيهم فلا وفي نسخة صحيحة
فما يخلفهم بكسر اللام المشددة من خلفت فلانا ورائي اذا جعلته متاخرا عنك والمعنى فلا
يجي وراءهم حتى يخر بكسر معجمة وتشديد را اي حتى يسقط الطاير ميتا بتشديد التحتية
ويخفف قال المظهر يعني يطير الطاير على اوليك الموتى فما يصل الى اخرهم حتى يخر ويسقط
ميتا من نتنهم او من طول مسافة مسقط الموتى قال الطيبي والمعنى ينظر الى قول
البحتري في وصف بركة لا يبلغ السمك المحصور غايتها لبعد ما بين قاصيها ودانيها
فيتعاد بصيغة المعلوم وقيل بالمجهول من باب التفاعل والمعنى فيعد بنو الاب اي جماعة
حضروا تلك الحرب كلهم انهم كانوا ماية فلا يجدونه الضمير المنصوب للماية في بناء وقد يعد
اي العدد اي فلان يعدون عدد قومهم او بني الاب لانه جمع حقيقة لفظا بل معنى كذا قيل
والحاصل ان بني الاب بمعنى القوم والقوم مفرد اللفظ جمع المعنى فروعي كل منهما
حيث قال فلا يجدونه بقي منهم الا الرجل الواحد وخلاصة المعنى انهم يشرعون في عد القسم
فيشرع كل جماعة في عد اقاربهم فلا يجدون من ماية الا واحدا وزبدته انه لم يبق من ماية
الا واحد فباي غنيمة يفرح الغانم تعجبية او تفجيعة قال الطيبي هو جزا شرط محذوف اي اذا
او في قوله ان الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة حيث اطلقه ثم بينه
بقوله عدو الى اخره بان ذلك مقيد بهذه الصفة تعجيبية يصح ان يقال فاذا كان كذلك
فباي غنيمة يفرح او اي ميراث الظاهر انه بالرفع اي فاي ميراث يقسم واو للتنويع وفي
النسخ بالجر والمعنى فباي ميراث يقع القسمة وتاخر الميراث مع تقدمه سابقا نظير قوله
تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الاية فبينما هم
كذلك اذ سمعوا اي المسلمون بباس بموحدة وهمزة ساكنة وتبدل اي بحرب شديد هو
اكبر اي اعظم من ذلك اي مما سبق والمراد بالباس اهله بارتكاب احد المجازين المشهورين
فجاءهم اي المسلمون الصريخ فعيل من الصراخ وهو الصوت اي صوت المستصرخ وهو
المستغيث ان الدجال بفتح الدال وبكسر قد خلفهم بتخفيف اللام اي قعد مكانهم في ذراريهم
بتشديد اليا اي اولادهم وفي رواية في اهليهم فيرفضون بضم الفا اي فيتركون ويلقون
ما في ايديهم اي من الغنيمة وسائر الاموال وغيرها للافراد العيال ويقبلون من الاقبال
اي ويتوجهون الى الدجال فيبعثون اي يرسلون عشر فوارس جمع فارس اي راكب فرس

طليعة وهو من يبعث ليطلع على احوال العدو كالجاسوس فعيلة بمعنى فاعلة لتستوي فيه الواحد
والجمع وانما قال عشر نظرا الى ان الفوارس طلايع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لاعرف اسماءهم اي العشرة واسماء آبائهم والوان خيولهم فيه مع كونه من المعجزات دلالة على
علمه تعالى محيط بالكليات والجزئيات من الكائنات وغيرها هم خير فوارس او من خير فوارس
على شك من الراوي على ظهر الارض احتراز من الملائكة يومئذ اي حينئذ وهو احتراز
من العشرة المبشرة وامثالهم رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال هل سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر قالوا نعم يا رسول
الله قال شارح هذه المدينة في الروم وقيل الظاهر انها قسطنطينية وفي القاموس
قسطنطينية دار ملك الروم وفتحها من اشراط الساعة وتسمى بالرومية بوزنطيا وارتفاع
سورها احد وعشرون ذراعا وكنيستها مستطيلة وبجانبها عمود عال في دور اربعة ابواع
تقريبا وفي راسه فرس من نحاس وعليه فارس وفي احدى يديه كرة من ذهب وقد فتح اصابع
يده الاخرى مشيرا بها وهو صورة قسطنطين بانيها انتهى وفيه انها مدينة بحرية بل هو
الظاهر لان قسطنطينية تفتح بالقتال الكثير وهذه المدينة تفتح بمجرد التهليل والتكبير
قال لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون الفا من بني اسحاق قال المظهر من اكراد الشام
هم من بني اسحاق النبي صلى الله عليه وسلم وهم مسلمون انتهى وهو يحتمل انه كان معهم غيرهم
من بني اسماعيل وهم العرب او غيرهم من المسلمين واقتصر في ذكرهم تغليبا لهم على
سواهم ويحتمل ان يكون الامر مختصا بهم فاذا جاؤها اي المدينة نزلوا اي حولها محاصرين
لاهلها فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم تخصيص بعد تعميم للتاكيد لافادة عموم النفي
قالوا استئناف او حال لا اله الا الله والله اكبر فيسقط بصيغة المضارع احد
جانبيها اي احد طرفي سور المدينة قال ثور بن يزيد الراوي قال المؤلف في فصل التابعين
كلاعي شامي حمصي سمع خالد بن معدان روى عنه الثوري ويحيى بن سعيد له ذكر في باب
الملاحم لا اعلمه اي لا اظن ابا هريرة الا قال الذي في البحر اي احد جانبيها الذي في البحر
والمعنى لكني لا اجزمه ويمكن ان يكون هذا منه رواية من تابعه ممن سمع الحديث من
ابي هريرة بغير هذا القيد وبهذا يندفع ما قال الطيبي هذا اشارة الى ان ما وقع في نسخ
من قوله الذي في البحر مدرج من قول الراوي ثم يقولون اي المسلمون الثانية اي الكرة
الثانية لا اله الا الله والله اكبر فيسقط بصيغة الماضي تفننا وتحققا جانبها الآخر
اي الذي في البر ثم يقولون الثالثة لا اله الا الله والله اكبر فيفرج بتشديد الراء المفتوحة
اي فيفتح لهم والظرف نائب الفاعل فيدخلونها فيغنمون اي ما فيها فبينما هم يقتسمون
المغانم اي يريدون الاقتسام او يشرعون فيه اذ جاءهم الصريخ فقال ان الدجال قد خرج
فيتركون كل شيء اي من الغنائم وغيرها من الاثقال ويرجعون اي سريعا لمقاتلة الدجال
وممانعة الاهل والعيال رواه مسلم الفصل الثاني عن معاذ بن جبل رضي
الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس بالتخفيف
والتشديد وعمرانه بضم العين وسكون الميم اي عمارته بكثرة الرجال والعقار والمال
خراب يثرب اي وقت خراب المدينة قيل لان عمارته باستيلاء الكفار وفي الازهار
قال بعضهم المراد بعمران بيت المقدس عمرانه بعد خرابه فانه يخرب في آخر
الزمان ثم يعمره الكفار والاصح ان المراد بالعمران الكامل في العمارة اي عمران بيت
المقدس كاملا مجاوزا عن الحد وقت خراب يثرب فان بيت المقدس لا يخرب قال ابن

الملك

رضي الله تعالى عنه

الملك واما الآن فقد عمره السلطان الملك الناصر واستخرج فيه العيون واجرى فيه
الماء جزاه الله خيرا قلت وزاد بنو عثمان حفظهم الله من آفات الدوران
في عمارته وارزاقه وتكياته لكنه مع هذا لم يبلغ عمارة المدينة المعطرة وخراب يثرب
خروج الملحمة اي ظهور الحرب العظيم قال ابن الملك قيل بين اهل الشام والروم والظاهر
انه يكون بين التتار واهل الشام قلت الاظهر هو الاول لما في الحديث السابق
ولما سيأتي في الحديث اللاحق ولقوله وخروج الملحمة فتح قسطنطينية وفتح
قسطنطينية وفي نسخة بالتعريف خروج الدجال قال الاشرف لما كان عمران بيت
المقدس باستيلاء الكفار عليه وكثرة عمارتهم فيها امارة مستعقبة بخراب يثرب وهي امارة
مستعقبة لخروج الملحمة وهي امارة مستعقبة لفتح قسطنطينية وهي امارة مستعقبة
لخروج الدجال جعل النبي صلى الله عليه وسلم كل واحد عين ما بعده وعبر به عنه انتهى وخلاصته
ان كل واحد من هذه الامور امارة لوقوع ما بعده وان وقع هناك مهلة قال الطيبي
فان قلت قال ههنا فتح القسطنطينية خروج الدجال وفي الحديث السابق
اذ صاح فيهم الشيطان ان المسيح قد خلفكم في اهليكم فيخرجون وذلك باطل فكيف
الجمع بينهما قلت انه صلى الله عليه وسلم جعل الفتح علامة لخروج الدجال
لا انها مستعقبة له من غير تراخ وصراخ الشيطان كان للايذان بانه واقع ليشتغلوا عن
القسم وكان باطلا بدليل ما ورد في الحديث الآتي الملحمة العظمى فتح القسطنطينية وخروج
الدجال في سبعة اشهر والتعريف في القصة في هذا الحديث للعهد والمعهود الشيطان
اقول والذي يظهر ان القضية متعددة وان المسلمين كانوا متفرقة وان المراد
غير القسطنطينية اذ قضيته كانت بالمقاتلة وفتح المدينة تم بالتهليل والتكبير
من غير المحاربة فيحتمل ان تصرخ الشيطان الى غزاة قسطنطينية وصرخ المسلمين
الى اصحاب المدينة وان كلا من الفريقين تركوا الغنائم وتوجهوا الى قتال الدجال
والله اعلم بالحال رواه ابو داود اي وسكت عليه كما ذكره ميرك وزاد ورواه احمد عن
معاذ ايضا وعنه اي عن معاذ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الملحمة العظمى وفي الجامع الملحمة الكبرى فترجع الى بغداد فيها بنو الاب ولا يجدون من
ما به الا واحد كما لم يكن الا ظاهرا ان المراد به فتح المدينة حيث فتحت بلفظة اسماء الله
الحسنى ولذا صح عطف قوله وفتح القسطنطينية وفي بلام التعريف هنا اذ الاصل في
العطف التغاير مع انضمامه الى التبادر وخروج الدجال في سبعة اشهر اي باعتبار توجه
المسلمين الى البلدتين وظهور الدجال واما باعتبار فتحهما فهو متعاقب لهما من غير تراخ
بينهما رواه ابو داود وكذا ابن ماجه ذكره السيد جمال الدين وفي الجامع رواه احمد
وابو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم وعن عبد الله بن بسر بضم موحدة وسكون
مهملة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بين الملحمة وفتح المدينة اراد باحدهما
المدينتين بفتحة وبالاخرى القسطنطينية وهذا التفسير المغاير بينهما وقوله ست سنين
مشكل مخالف لما تقدم ويمكن ان يقال اللام في الملحمة غير القسطنطينية من ساير
الملاحم فاللام للعهد بالنظر الى ملحمة سابقة ويدل عليه انها ما وصفت بالعظمى ونحوها
ويخرج الدجال في السابعة اي من السنوات بعد تمام الست سنين التي فيها فتح المدينة
وان السابعة التي رجع المسلمون عنها الى الدجال واما ما قيل من انه لا يبعد من
ان يثبته سبع سنين بسبعة اشهر فغير بعيد من البعد رواه ابو داود وكذا ابن ماجه

وقال هذا اصح اي من الحديث السابق بتعقبه دلالة على ان التعارض ثابت والجمع ممتنع والا
هو المرجح وحاصله ان بين الملحمة العظمى وبين خروج الدجال سبعة سنين اصح من سبعة اشهر
وعن ابن عمر قال يوشك المسلمون ان يحاصروا على بناء المجهول اي يحبسوا ويضطروا بان يلجئوا
الى المدينة اي مدينة النبي صلى الله عليه وسلم لمحاصرة العدو اياهم او يفر المسلمون من الكفار
ويجتمعوا بين المدينة وسلاح وهو موضع قريب من خيبر وبعضهم دخلوا في حصن المدينة
وبعضهم ثبتوا حواليها اخذا مما بعده وهذا المعنى اظهر لقوله حتى يكون ابعد مسالحهم بفتح
الميم سلاح بفتح السين وقد ضبط برفعه مضموما على انه اسم مؤخر وللمؤخر والخبر قوله ابعد
وفي نسخة برفعه منونا وفي اخرى بكسر الحاء في القاموس سلاح كسحاب ونظام موضع
اسفل خيبر وقال ابن الملك سلاح هو منون في نسخة ومبني في الكسر في اخرى
وقيل هو مبني على الكسر في اخرى وقيل مبني على الكسر في الحجاز غير منصرف في بني تميم في النهاية
المسالح جمع المسلح والمسلحة القوم الذين يحفظون الثغور من العدو وسموا مسلحة لانهم
يكونون ذوي سلاح او لانهم يسكنون المسلحة وهي كالثغر والمرقب يكون فيه اقوام يرقبون
العدو لئلا يطرقهم على غفلة فاذا راوه اعلموا اصحابهم ليتاهبوا له وسلاح قريب اي موضع
قريب من خيبر وهذا التفسير من الراوي والمعنى ابعد ثغورهم هذا الموضع القريب من خيبر
وهذا يدل على كمال التضييق عليهم واحاطة الكفار حواليهم رواه ابو داود وعن ذي مخمر
بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الموحدة ابن اخي النجاشي خادم النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه
جبير بن نفير وغيره يعد في الشاميين ذكره المؤلف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ستصالحون الروم الخطاب للمسلمين صلحا مفعول مطلق من غير بابه او بحذف الزوائد
امنا بالمصدر صفة صلحا اي صلحا ذا امن او على انه اسناد مجازي فتغزون انتم اي فتقاتلون انتم
المسلمون وهم اي الروم المصالحون معكم عدوا من ورائكم اي من خلفكم فتنصرون بصيغة
المفعول اي فينصركم الله عليهم وتغنمون اي الاموال وتسلمون اي من القتل والجرح في
القتال ثم ترجعون اي عن عدوكم ثم تنزلوا اي انتم واهل الروم بمرج بفتح فسكون اي روضة
وفي النهاية ارض واسعة ذات نبات كثير ذي تلول بضم التاء جمع تل بفتحها وهو موضع مرتفع
فيرفع رجل من اهل النصرانية وهم الاروام حينئذ الصليب وهو خشبة مربعة يدعون ان
عيسى عليه السلام صلب في خشبة كانت على تلك الصورة فيقول اي الرجل منهم غلب
الصليب اي غلبنا ببركة الصليب فيغضب رجل من المسلمين حيث نسب الغلبة لغير
الحبيب فيدقه اي فيكسر المسلم الصليب فعند ذلك تغدر الروم بكسر الدال اي تنقض العهد
وتجمع اي رجالهم ويجتمعون للملحمة اي للقتال اي للمقتلة وزاد بعضهم اي الرواة فيثور
اي يعود ويقوم المسلمون الى اسلحتهم اي مسرعين وناهضين اليها فيقتتلون اي معهم
فيكرم الله تلك العصابة اي الجماعة من المسلمين بالشهادة وجعلهم الله شهداء احياء
عند ربهم يرزقون فرحين الاية رواه ابو داود وكذا ابن ماجه وسكت عليه ابو داود
ورواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح ذكره ميرك وعن عبد الله بن عمرو بالواو رضي الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتركوا الحبشة في القاموس الحبش والحبشة
محركتين جنس من السودان ما تركوكم اي ما دام انهم تركوكم فانه لا يستخرج كنز الكعبة
اي كنزا مدفونا تحت الكعبة وقيل يخلونها وقيل المراد ما يجمعه اهل السدانة من هدايا
الكعبة كذا الا ذو السويقتين اي صاحب دقيق الساقين من الحبشة اي هو منهم ويكون
امرهم والمراد به حبشي الحبشة يكون هذا الوصف غالبا فيهم قال النووي هما تصغير ساقي

الانسان

الانسان لدقتهما وهي صفة سوق السودان غالبا ولا يعارض هذا قوله تعالى حرما امنا
لان معناه امنا الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل يخص منه قصة ذي السويقتين قال
القاضي عياض القول الاول اظهر اقول انه تعالى جعله حرما امنا باعتبار غالب
الاحوال كما يدل عليه قضية ابن الزبير وقصة القرامطة ونحوهما والمراد بجعله حرما امنا
انه حكم بانهم يامنون الناس ولا يتعرضون لاحد فيه كما اجاب بهذا بعض اهل التوفيق
لما قال زنديق لبعض اهل الزندقة من القرامطة بعدما فعلوا من الفساد من قتل العباد
وخراب البلاد فاين كلام الله ومن دخله كان امنا فقال انما معناه فامنوا من دخله
ولا تتعرضوا له في مدخله بنهب او قتله رواه ابو داود وكذا الحاكم في مستدركه انتهى
وعن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال دعوا الحبشة اي اتركوهم ما ودعوكم
بتخفيف الدال اي ما تركوكم قال التوربشتي لما يستعملون الماضي منه الا ما روي
في بعض الاشعار كقوله الغايد غاله في الحب حتى ودعه ويحتمل ان يكون الحديث
ما وادعوكم اي ما سالموكم فسقط الالف من قلم بعض الرواة قال الطيبي
لا افتقار الى هذا الطعن في وروده في التنزيل الكشاف في قوله تعالى ما ودعك
ربك وقرئ بالتخفيف يعني ما تركك قال

وثم ودعنا آل عمرو وعامر

ولان لفظ الازدواج وارد الحجر القصد يجوز لذلك وقد جاء في كلامهم ايا لا نسبة
بالغدايا والعشايا وقوله ارجعن مازورات غير ماجورات قال المظهر كلام النبي
صلى الله عليه وسلم متبوع لا تابع بل افصح العرب على الاطلاق بالاضافة الى كل
واقل لغات العرب مختلفة منهم من الغرض لغته في النبي صلى الله عليه وسلم
بما في شعرهم ثمت النحويين ان العرب اماتوا مصدره وماضيه والنبي صلى الله عليه
وسلم افصح انواب فاحياهما باستعمال الماضي في هذا الحديث وبالمصدر في
الحديث الذي رواه احمد ومسلم وغيرهما عن ابن عباس وابن عمر لينتهين
اقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين هذا وهو
من باب ان الموافق للقياس المخالف للاستعمال كالمسجد ونظائره واتركوا الترك
ما تركوكم قال الخطابي ان الجمع بين قوله تعالى واقتلوا المشركين كافة
وبين هذا الحديث ان الاية مطلقة والحديث مقيد فيحمل المطلق على المقيد ويجعل
الحديث مخصصا لعموم الاية كما خص ذلك في حق المجوس فانهم كفرة ومع ذلك اخذ منهم
الجزية لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب قال الطيبي ويحتمل ان تكون
الاية ناسخة للحديث لضعف الاسلام واما تخصيصهم الحبشة والترك بالترك والودع
فلان بلاد الحبشة وعرة بين المسلمين وبينها مهامه وقفار فلم يكلف المسلمين دخول
ديارهم لكثرة التعب وعظم المشقة واما الترك فباسهم شديد وبلادهم باردة والعرب
وهم جند الاسلام كانوا من البلاد الحارة فلم يكلفهم الله دخول البلاد فلهذا السر
خصصهم واما اذا دخلوا بلاد المسلمين قهرا والعياذ بالله فلا يجوز لاحد ترك القتال
لان الجهاد في هذه الحالة فرض عين وفي الحالة الاولى فرض كفاية قلت وقد
اشار صلى الله عليه وسلم الى هذا المعنى حيث قال ما تركوكم وحاصل الكلام ان الامر
في الحديث للرخصة والاباحة لا للوجوب ابتداء ايضا فان المسلمين قد حاربوا الترك والحبشة
بادي وبلا الان لا يخلوا زمان عن ذلك ويعز الله الاسلام واهله فيما هنالك رواه

ابو داود والنسائي ورواه الطبراني عن ابن مسعود مرفوعا ولفظه اتركوا الترك ما تركوكم
فان اول من يسلب امتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء في النهاية قيل جارية لابراهيم
الخليل ولدت له اولادا منهم الترك والصين انتهى وسيأتي زيادة تحقيق لهذا في حديث
ابي بكرة وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث يقاتلكم ظاهره ان يكون بالاضافة
لكنه في جميع النسخ بالتنوين وفك الاضافة فالوجه ان قوله يقاتلكم خبر مبتدأ محذوف
اي هو يقاتلكم الخ والجملة صفة حديث والمعنى في حديث هو ان ذلك الحديث يقاتلكم
قوم صغار الاعين يعني الترك لتفسير الراوي وهو الصحابي او التابعي قال
اي النبي صلى الله عليه وسلم او قال ابن مسعود مرفوعا تسوقونهم من السوق اي تصيرون
مغلوبين منهزمين بحيث انكم تسوقونهم ثلاث مرات اي من السوق حتى تلحقوهم اي
توصلوهم اخر جزيرة العرب قيل هي اسم لبلاد العرب سميت بذلك لاحاطة البحار
والانهار بها بحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات وقال مالك هي الحجاز واليمامة واليمن
وما لم يبلغه ملك فارس والروم ذكره الطيبي وتبعه ابن الملك فاما في السياقة
الاولى فينجو اي يخلص من هرب منهم اي من الترك واما في الثانية فينجو بعض
ويهلك بعض اما بنفسه او باخذه واهلاكه وهو الظاهر واما في الثالثة فيصطلمون
بصيغة المجهول اي يحصدون بالسيف ويستأصلون من الصلم وهو القطع المستأصل
او كما قال اي قال غير هذا اللفظ مما يكون بمعناه وهذا من غاية ورع الراوي حيث
لم يرض ان يكون النقل بالمعنى رواه ابو داود وعن ابي بكرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ينزل اناس بضم الهمزة لغة في ناس من امتي بغائط اي بغائر من
الارض ذكره شارح وفي الفائق اي بواد مطمئن يسمونه البصرة بفتح الموحدة وفي نسخة
بكسرها وفي القاموس البصرة بلد معروف ويحرك وبكسر الصاد او هو معرب بس راه اي
كثير الطرق عند نهر بفتح الهاء ويسكن يقال له دجلة بكسر الدال ويفتح نهر بغداد يكون
عليه جسر اي قنطرة ومعبر يكثر اهلها اي اهل البصرة وفي حاشية الشفاء للحلبي البصرة
مثلثة الباء والفتح افصح بناها عتبة بن غزوان في خلافة عمر رضي الله عنه ولم يعبد
الصنم قط على ظهرها والنسبة اليها بالكسر والفتح قال المغني والكسر في النسبة افصح
من الفتح قلت ولعله لمجاورته كسر الراء هذا وقد قال الاشرف اراد صلى
الله عليه وسلم بهذه المدينة مدينة الاسلام بغداد فان دجلة هي الشط وجسرها
في وسطها لا في وسط البصرة وانما عرفها النبي صلى الله عليه وسلم بالبصرة لان ببغداد
موضعا خارجا منه قريب من بابه يدعى باب البصرة فسمى النبي صلى الله عليه وسلم بغداد
باسم بعضها او على حذف المضاف كقوله تعالى واسئل القرية وبغداد ما كانت مبنية
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الهيئة ولا كان مصرا من الامصار ولذا قال
صلى الله عليه وسلم ويكون من امصار المسلمين بلفظ الاستقبال بل كان في
عهده صلى الله عليه وسلم قرى متفرقة بعد ما خربت مداين كسرى منسوبة الى
البصرة محسوبة من اعمالها هذا وان احدا لم يسمع الى زماننا بدخول الترك بصرة قط على
سبيل القتال والحرب ومعنى الحديث ان بعضا من امتي ينزلون عند دجلة ويتوطنون
ثمة ويصير ذلك الموضع مصرا من امصار المسلمين وهو بغداد واذا كان [illegible]
في اخر الزمان جاء بنو قنطوراء بفتح القاف وسكون النون ممدودا وقد يقصر اي
يجيئون ليقاتلوا اهل بغداد وقال المظهر جاء دون يجيء ايذانا بوقوعه فكانه

قد وقع وبنو قنطوراء اسم لبني الترك وقيل هي اسم جارية كانت للخليل عليه السلام ولدت له
اولادا جاء من نسلهم الترك وفيه نظر فان الترك من اولاد يافث بن نوح وهو قبل الخليل
بكثير كذا ذكره بعضهم ويمكن دفعه بان الجارية كانت من اولاد يافث او المراد بجارية نسبت
منسوبة للخليل لكونها من بنات اولاده وقد تزوجها واحد من اولاد يافث فانتسب
هذا الجيل فيندفع بهذا القال والقيل ويصح انتسابهم الى يافث والخليل عراض الوجوه
بدل او عطف بيان وكذا قوله صغار الاعين حتى ينزلوا في شط النهر ويتفرق اهلها ثلاث
فرق بكسر ففتح جمع فرقة فرقة بالرفع ويجوز نصبها ياخذون في اذناب البقر من اخذ في
الشيء شرع فيه وقوله في البرية متعلق به وقيل لا ذا اخذ اذناب البقر لا يكون غالبا الا
في البرية الخارجة عن المدينة التي يعبر عنها بالبرية ومنه قوله تعالى ظهر الفساد في البر
والبحر والمراد بقوله في البرية اختيار العزلة وايثار الصحراء والخلاء في البلد واجتماع الملا ففي
الاول صفة او حال وفي الثاني بدل كل او بعض ويمكن ان يكون في للتعليل وقوله وهلكوا
تذكلة ونتيجة لما قبله والمعنى ان فرقة يعرضون عن المقاتلة هربا منها وطلبا لخلاص
انفسهم ومواشيهم ويحملون على البقر فيهيمون في البراري ويهلكون فيها او يعرضون عن
المقاتلة ويشتغلون بالزراعة ويتبعون البقر للحراثة الى البلاد الشاسعة فيهلكون
قال الطيبي قوله ياخذون في اذناب البقر يعني يوقعون الاخذ في الاذناب كقوله
يجرح في عراقيبها نصلي وكانهم بالغوا في الاشتغال ولا يبالون بامر اخر ويتوغلون
في السير خلفها الى بلاد شاسعة فيهلكون فيها وفرقة ياخذون اي يطلبون او يقبلون
الامان من بني قنطوراء لانفسهم وهلكوا اي بايديهم ولعل المراد بهذه الفرقة المستعصم
بالله ومن معه من المسلمين طلبوا الامان لانفسهم ولاهل بغداد وهلكوا بايديهم
عن اخرهم وقال شارح ان اراد النبي صلى الله عليه وسلم بالبصرة بغداد لان بغداد كانت
قرية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من قرى البصرة اطلاقا لاسم الجزء على الكل فالواقعة
وقعت كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وان اراد البصرة المعهودة فلعله يقع بعد ذلك
ولم يتفق اذ الكفار ينزلوا بها قط للقتال وفرقة يجعلون ذراريهم اي اولادهم الصغار
ونساءهم خلف ظهورهم ويقاتلونهم والشهداء اي الكاملون والمعنى ان فرقة ثالثة
هم الغزاة المجاهدة في سبيل الله قاتلوا الترك فقتل ظهورهم في اهل الاسلام فاستشهد
معظمهم وعتق منهم شرذمة قليلون كذا ذكره الاشرف وقال غيره وهذا من معجزاته
صلى الله عليه وسلم فانه وقع كما اخبر وكانت هذه الواقعة في صفر سنة ست وخمسين
وستمائة رواه ابو داود وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا انس
ان الناس يمصرون بتشديد الصاد اي امصارا بفتح الهمزة جمع مصر اي يتخذون بلادا
والتمصير اتخاذ المصر على ما ذكره الطيبي فالتقدير يتخذون امصارا ففيه تجريد
وقال شارح اي يتصنعون اساس مصر وبناءه وان مصرا منها اي من الامصار يقال
له البصرة فان انت مررت بها او دخلتها او للتنويع لا للشك فاياك وسباخها
اي احذر سباخها وهو بكسر السين جمع سبخة بفتح فكسر اي ارض ذات ملح قال الطيبي
هي الارض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت الا بعض الشجر وكلاءها بفتح الكاف وتشديد
اللام ممدودا موضع بالبصرة وقال شارح هو شط النهر وهو موضع حبس السفينة
وقيل هو موضع الرعي ويؤيده ما في بعض النسخ بالتخفيف والقصر وقد اقتصر عليه
نسخة السيد جمال الدين هذا وقوم يجعلون كلاء البصرة اسما من كلاء في نخلا ولا يعرفو

بد

والمعنى انه موضع يكثر فيه الريح شرعا تهب في غير هذا الموضع فكان الحذر عنها لعفونة هوائها
وتخلها اما بشبهة فيها او لخوف عن ذلك وسوقها اما لحصول الغفلة فيها او لكثرة اللغو
بها او فتن والعقود ونحوها وباب امرائها اي لكثرة الظلم لوقوعه بها وعليك بضواحيها
جمع الضاحية البارزة للشمس وقيل المراد بها جبالها وهذا امر بالعزلة فالمعنى الزم
نواحيها فانه يكون بها قيل الضمير للسباخ والصواب للمواضع المذكورة خسف اي
ذهاب في الارض وغيبوبة فيها وقذف اي ريح شديدة باردة او قذف الارض الموتى
بعد دفنها او رمي اهلها بالحجارة بان تمطر عليهم ورجف اي زلزلة شديدة وقوم يبيتون
اي اهل ذلك المصر قوم يبيتون بحذف المبتدا او فيها قوم بحذف الخبر كذا قاله شارح
والظاهر ان قوم عطف على خسف اي يكون بها قوم يبيتون طيبين ويصبحون قردة
اي شبابهم وخنازير اي شيوخهم قال الطيبي المراد به المسخ وعبر عنه بما هو اشنع انتهى
وقيل في هذا اشارة الى انهم قدرية لان الخسف والمسخ انما يكون في هذه الامة
للمكذبين بالقدر رواه هنا بياض في الاصل وفي نسخة لم يذكره الجزري رواه ابو داود من طريق
لم يجزم به الراوي بل قال لا اعلمه الا عن موسى بن انس عن انس بن مالك وعن صالح
ابن درهم بكسر الدال وفتح الهاء وفي القاموس درهم كمنبر وزبرج معلوم قال المؤلف
باهلي روى عن ابي هريرة وسمرة وعنه شعبة ووكيع ثقة يقول انطلقنا حاجين
اي ذاهبين مريدين الحج فاذا رجل المراد به ابو هريرة وهو مبتدا خبره محذوف وقوله
فقال عطف عليه اي فاذا رجل واقف فقال لنا الى جنبكم قرية بحذف الاستفهام
يقال لها الابلة بضم الهمزة والباء وتشديد اللام البلد المعروف قرب البصرة من جانبه
البحري كذا في النهاية وهي احد المتنزهات الاربع وهي اقدم من البصرة قال الاصمعي هي
اسم نبطي ذكره ميرك عن التصحيح وقال شارح هي من جنان الدنيا وهي اربع ابلة البصرة
وغوطة دمشق وسغد سمرقند وشعب بوان ثم قيل بوان من كرمان وقيل نوبندجان
في الف موسى قلنا نعم قال من يضمن استفهام للالتماس والسؤال والمعنى
من يتقبل ويتكفل لي اي لاجلي منكم ان يصلي لي اي بنيتي في مسجد العشار بفتح
العين المهملة وتشديد الشين المعجمة مسجد مشهور يتبرك بالصلاة فيه ذكره
ميرك ركعتين او اربعا اي اربع ركعات واو للتنويع او بمعنى بل ويقول اي عند
النية او بعد فراغ الصلاة هذه اي الصلاة او ثوابها لابي هريرة قيل فان
قيل الصلاة عبادة بدنية ولا يقبل النيابة فما معنى قول ابي هريرة قلنا يحتمل ان يكون
هذا مذهب ابي هريرة في جواز النيابة في الصلاة كما في الحج وان كان في الحج شائبة مالية ويحتمل ان يكون
معناه ثواب هذه الصلاة لابي هريرة فان ذلك جوزه بعضهم كذا ذكره الطيبي وقال
علماؤنا الاصل في الحج عن الغير ان الانسان له ان يجعل ثواب عمله لغيره من الاموات
والاحياء حجا او صلاة او صوما او صدقة او غيرها كتلاوة القران والاذكار فاذا فعل
شيئا من هذا وجعل ثوابه لغيره جاز ويصل اليه عند اهل السنة والجماعة سمعت
خليلي قال التوربشتي قد سبق منه هذا القول في عدة احاديث وكانه قول لم يصدر
عن روية بل كان الباعث عليه ما عرف من قبله من صدق المحبة ولو تدبر القول
لم يلتبس عليه كون ذلك زائغا عن منهج الادب وقد قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا
من الناس خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا وقال صلى الله عليه وسلم اني ابرا الى كل خليل
قال الطيبي لو تامل من خلته فليس لاحد ان يدعي خلته مع براءته من خلة كل خليل

قال

قال الطيبي لو تامل حق التامل لما ذهب الى ما ذهب اليه لان المحب من فرط المحبة وصدق الوداد ورفع
الاحتشام من البين يتسلى اذا امتد زمان المفارقة على انه نسب الخلة الى جانبه لا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم لانه رضي الله عنه هذا سلم ما فارق حضرة الرسالة مع شدة احتياجه
وفاقته والناس مشتغلون بتجاراتهم وزروعهم اقول قوله لان صدق الوداد ورفع
الاحتشام من البين الخ كلام مدخول وتعليل معلول اذ مثل هذا لا يناسب الا لمنتسب
المتصاحبين ولا يقاس الملوك بالحدادين فاين منصب من حب النبوة والرسالة عن منزلة
ابي هريرة في الحضرة او الغيبة حتى يعبر عنه صلى الله عليه وسلم بانه خليله بالمعنى الذي يكون
سواء اضافة الوصف الى فاعله او مفعوله او من المعلوم ان مثل هذا الوصف عن ابي بكر
الصديق لم ينكر عليه لانه بظاهره مناقض لقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا الحديث
هذا وقد قيل في سبب تسمية ابراهيم بالخليل انه بعث الى خليل له بمصر في ازمنة
اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم طلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه
يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملاوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا
ابراهيم عليه السلام ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امراته الى غرارة منها فاخرجت احسن
حوارى واختبزت واستنبه فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذه فقالت امراته من خليلك المصري
فقال هي من عند خليلي الله تعالى فسماه الله خليلا هكذا ذكره في الكشاف قال النووي
اصل الخلة الاختصاص والاستقصاء وقيل منتهاها الانقطاع الى من خاللت ماخوذ من
الخلة وهي الحاجة فسمي ابراهيم عليه السلام بذلك لانه قصر حاجته على الله سبحانه وتعالى
وقيل الخلة صفاء المودة حتى توجب تخلل الاسرار وقيل معناها المحبة والالطاف هذا كلام
النووي وقال ابن الانباري الخليل معناه المحب الكامل المحبة والمحبوب الموفي بحقيقة المحبة
اللتين ليس فيهما نقص ولا خلل قال الواحدي هذا القول هو الاختيار لان الله تعالى خليل
ابراهيم وابراهيم خليل الله ولا يجوز ان يقال الله تعالى خليل ابراهيم من الخلة التي هي الحاجة
انتهى وبه تبين ان الخلة بالمعاني التي ذكرها لا يصدق على ابي هريرة فكيف يسوغ له ان يخص
نفسه من بين الاصحاب ويقول سمعت خليلي ابا القاسم صلى الله عليه وسلم بدلا او عطف بيان
يقول حال من مفعول سمعت ان الله عز وجل يبعث اي يحشر من مسجد العشار يوم القيامة
شهداء لا يقوم اي من القبور وفي المرتبة مع شهداء بدر غيرهم ولم يعرف انهم من شهداء هذه
الامة او من الامم السابقة رواه ابو داود وقال اي ابو داود وهذا المسجد مما يلي النهر
اي نهر الفرات قال المؤلف وسنذكر حديث ابي الدرداء ان فسطاط المسلمين يوم الملحمة
بالغوطة الى جانب المدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام في باب ذكر اليمن والشام ان
شاء الله تعالى انتهى والله اعلم الفصل الثالث عن شقيق رضي الله تعالى عنه
وهو ابن ابي سلمة ادرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ولم يسمع منه وروى عن خلق
من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وابن مسعود وكان خصيصا به من اكابر الصحابة وهو كثير
الحديث ثقة حجة مات زمن الحجاج عن حذيفة اي ابن اليمان قال المؤلف هو صاحب سر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد روى عنه عمر وابو الدرداء وغيرهم من الصحابة والتابعين مات
بالمدائن بعد قتل عثمان باربعين ليلة وترحمه قال كنا عند عمر فقال ايكم يحفظ حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة فقلت انا احفظ كما قال صفة مصدر محذوف اي انا
احفظ مثل قوله صلى الله عليه وسلم حفظا مثل ما قال ذكره الطيبي فاحفظ متكلم لا تفضيل كما
يتوهم قال هات بكسر التاء اي اعطني ما في الضمير انك لجريء تعليل من جرات ومن الاقدام

بسم الله الرحمن الرحيم
الفصل الثالث عن شقيق

على النبي ومعناه انك غير هياب لذلك تجترئ على ما لم اجترئه ولا يجترئه اصحابك وادعيت انك عرفت
صريح القول ومن ثم قال هات وكيف قال اي النبي صلى الله عليه وسلم قال الطيبي هو عطف على
هات اي هات ما قال وبين كيفيته انتهى وقد يقال ان الظاهر بالنظر الى حال حذيفة وما كان
معلوما عندهم من انه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقع من الفتن ان يكون المعنى
انك لجرئ لكثرة سؤالك اخذت من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم ياخذ منه غيرك فهات وبين قلت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فتنة الرجل في اهله اي ما يعرض له من اهله من
وجع ونحوها او نحو ذلك وماله ونفسه وولده وجاره اي وامثال ذلك والمعنى ان الرجل يبتلى ويمتحن
في هذه الاشياء ويسال عن حقوقها وقد يحصل له ذنوب من تقصيره فيها فينبغي ان يكفرها بالحسنات
لقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات واليه اشار بقوله يكفرها الصيام والصلاة والصدقة
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال عمر ليس هذا اريد قال الطيبي وذلك ان عمر رضي الله
عنه لما سال ايكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة واحتمل ان يراد بالفتنة
الاختبار والابتلاء كما في قوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس
والثمرات وبشر الصابرين وان يراد بها وقعة القتال وكان سؤاله عن الثاني فقال ليس هذا
اريد انما اريد التي تموج كموج البحر اي تضطرب اضطراب البحر عند هيجانه وكنى بذلك عن
شدة المخاصمة وكثرة المنازعة وما ينشأ عن ذلك من المشاتمة والمقاتلة وانما انث عمر
رضي الله عنه المشار اليه بعد ما ذكره باعتبار المذكور دلالة على فظاعة المشار اليه وانها الداهية
الدهياء قال قلت ما لك ولها استفهام انكار اي باي شيء لك من احوال تلك الفتنة والى
سؤالها وما يترتب عليها من المحنة واي شيء لها من الوصول اليك والحصول لديك فانه ليس
لك ولها اقتران واجتماع في زمان يا امير المؤمنين بحيث تتعلق بها قبله وما بعده ان بينك
وبينها بابا مغلقا استئناف تعليل اي من شدته وصعوبته والاستفهام
مقدر ولذا قابله بقوله او يفتح اي من خفته وسهولته قال قلت لا اي لا يفتح فالنصب على
الفعل القريب لكن لما كان موهما ان يتعلق بالتغليب جميعا استدركه وقال بل يكسر دفعا لتلك
التاكيد ان تابيد وقال الطيبي فان قلت كان يكفي في الجواب ان يقول يكسر فلم اتى
بلا وبل قلت للتنبيه على ان هذا التعبير من مقام التردد في الكسر لظهوره فلا يسال
باسم المعادلة كما سبق مرارا انتهى ولا يخفى ما فيه من الاعتراض البارد على من هو من زبدة الفصحاء
وعمدة البلغاء وكذا من دعوى الظهور الذي لا يتوهمه احد من الاغبياء مع ان ام للتسوية موجود
في العبارة بل التردد انما وقع بلفظ او وفرق بينهما عند ارباب الاشارة بل الظاهر انما هو
الاعتراض على حذيفة في جوابه لما تقرر في محله من ان جواب ام المتصلة بالتعيين دون
نعم او لا لانها لا تفيد الا التعيين بخلاف او مع الهمزة كما اذا قلت اجاء زيد او عمرو فانه يصح
جوابه بلا ونعم لان المقصود بالسؤال ان احدهما على التعيين جاء ام لا ولا شك ان هذا
المعنى غير مراد هنا في جوابه بل المراد التعيين وهو الفصل في الحكم بالكسر غ بينه انه في معنى
وهو الفتح او لا ثم اثبت الكسر لزيادة افادة الحصر كما حقق في كلمة التوحيد فانه لو قيل
الله موجود وثابت او متحقق لم تفد نفي ما سواه فلذا عدل عنه بقوله لا اله الا الله قال
اي عمر ذلك كذا بلام في النسخ المصححة اي ذلك الباب الذي مر وصفه ان يكسر ولا يفتح
احرى اي حري وحقيق ان لا يغلق ابدا لان الفتح قد يرجى اغلاقه بخلاف الكسر فانه يبعد من
الرجاء ذكره الطيبي ومما يقوي هذا المعنى ما رواه الترمذي عن ثوبان اذا وضع السيف في امتي
لم يرفع عنها الى يوم القيامة قال اي الراوي وهو شقيق فقلنا لحذيفة هل كان عمر يعلم من الباب

كان

كان الظاهر ان يقال ما الباب فانهم تفرسوا ان المراد بالباب الشخص لا الباب الحقيقي كذا قاله
الطيبي وفي الكسر شهادة في شهادة عمر رضي الله عنه فكان زمن الخطاب قاد بابا للصواب
ومفتاحا لعز الاسلام ومانعا من الفتن بين الانام رضي الله عنه وادخله دار السلام
قال اي حذيفة نعم اي كان يعلم من الباب كما يعلم اي كعلمه ان دون غد اي قدامه
ليلة والمعنى ان الغد لا يتصور الا متاخرا عن حصول الليلة وكانه جعل زمن الامن في
قوة اليوم الحاضر وزمن الفتن بمنزلة الغد والحاجز بينهما في مرتبة الليل سيما وقد
وما احسن تعبير حذيفة رضي الله عنه عن ظهور يوم الفتنة بالغد الواقع بعد تحقق
الظلمة المعبر عنها بالليلة خفاء امر الفتنة وشدة بلائها فان الليالي حبالى بالولد وحاصله
ان علمه بانه هو الباب امر ظاهر لا يشك فيه احد منا ولا في الباب اني حدثته حديثا
فيه معنى التعليل اي ذكرت له حديثا اي ظاهرا ليس بالاغاليط وهي جمع الاغلوطة وهي
المسالة التي يغلط بها قال الطيبي اراد انما ذكرت له لم يكن مبهما محتملا كالاغاليط بل صرحت
نصا في تعيينه انه فداشر حذيفة الحرص في حفظ السر فلم يصرح لعمر بما سال عنه وانما كنى عنه
كناية اي لا يخرج من الفتن شيء في حياتك وكانه مثل الفتن بدار ومثل حياته ببيت باب
مغلق وموته بفتح ذلك الباب ثم انه كنى بالكسر عن القتل وبالفتح عن الموت وحاصله
انه لم يكن الكلام من باب الصريح بل من قبيل الرمز والتلويح لكن مثل هذا لا يخفى عليه
الاشارة فضلا عن العبارة بل هو ايضا من اصحاب الاسرار وارباب الانوار وانما اراد
بالسؤال تحقيق الحال وانه هل يخفى احد من الصحابة ممن يكون له هذا العلم منه في الباب
ولذا جزم حذيفة بقوله نعم والله اعلم ثم قال الطيبي ولعله لهذا السر قال له عمر
انك لجرئ وفيه نظر ظاهر لان اظهار الحق المسموع من سيد الخلق لا يستبعد حتى
يسمى جراءة على الرد فالصواب ما تقدم والله اعلم قال اي شقيق فهبنا بكسر الهاء من
الهيبة اي خشينا ان نسال حذيفة من الباب اي في ذلك المجلس فقلنا لمسروق
وهو من اجلاء التابعين سله اي سل حذيفة فسأله فقال اي حذيفة عمر اي هو الباب بمعنى السد
للفتنة عن الاصحاب والاحباب ولانه باب النطق بالصواب متفق عليه وفي الجامع
فتنة الرجل في اهله وماله وولده ونفسه وجاره يكفرها الصيام والصدقة والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه عن حذيفة وعن
انس قال فتح القسطنطينية مع قيام الساعة اي مع قرب قيامها وقد سبق تحقيق
المباني وما يتعلق به من المعاني رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب اي اسنادا
او متنا والله اعلم

باب اشراط الساعة

اي علامات القيامة في النهاية الاشراط العلامات واحدها شرط بالتحريك وبه سميت
شرط السلطان لانهم جعلوا لانفسهم علامات يعرفون بها كذا قاله ابو عبيد وحكى
الخطابي عن بعض اهل اللغة انه انكر هذا التفسير وقال اشراط الساعة ما ينكره
الناس من صغار امورها قبل ان تقوم الساعة انتهى وكانه اخذه مما ذكره صاحب القاموس
ان الشرط محركة العلامة واول الشيء ورذال المال وصغاره وهو لا ينافي ان يكون الشرط
له معنيان كل واحد منهما يصلح للمقام فلا وجه للانكار مع ان قوله ما ينكره الناس ليس
في اطلاقه اذ قد يوجد في الناس من لا ينكر صغار امور الساعة لما حصل له من علم
اليقين من صاحب النبوة والسعادة اولا وزيادة عين اليقين في مقام الشاهد

ف

باب اشراط الساعة

اخر انه والله اعلم الفصل الاول عن انس رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ان يرتفع اما بقبض
العلماء واما بخفضهم عند الامراء ويكثر الجهل اي بغلبة السفهاء ويكثر الزنا اي لاجل قلة الحيا
ويكثر شرب الخمر بضم الشين وفتحها وقرئ بهما في المتواتر منه قوله تعالى فشاربون شرب
الهيم ويجوز كسرها ففي القاموس شرب كسمع شربا ويثلث ثم كثرة شرب الخمر مورثة لكثير
من الفساد في البلاد والعباد فيحصل الاشتغال ويقل الرجال اي وجوده المطلا منه
نظام العالم ويكثر النساء اي ممن لا يتعلق بظهورهن الامر الاهم بل وجودهن مما يكثر
الغم والهم وبه يقتضي تحصيل الدنيا والدرهم حتى يكون لخمسين امراة القيم بكسر التحتية
المشددة اي القائم الواحد اي المتفرد لمصالحهن ولعل المراد انهن زوجات له تبرك منهن
ومن الامهات والجدات والاخوات والعمات والخالات وفي رواية يقل العلم ويظهر الجهل
والظاهر انه بدل من يرفع ويكثر فالتقدير ان يقل العلم ويظهر الجهل ولعل هذه الرواية
مبنية على اول الامر فاذا ما ل اخره الى رفع العلم بالكلية كما جاء في حديث رواه السجزي
عن ابن عمر مرفوعا لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن والقران وفي حديث احمد ومسلم
والترمذي عن انس لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله متفق عليه
وكذا رواه الترمذي وابن ماجه ذكره السيد جمال الدين وفي الجامع رواه احمد
والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه عن انس بلفظ ان من اشراط الساعة
ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويذهب الرجال ويبقى النساء
حتى يكون لخمسين امراة قيم واحد وفي رواية لاحمد والشيخين عن ابن مسعود وابي موسى
مرفوعا ان بين يدي الساعة لاياما ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج
والهرج القتل وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان بين يدي الساعة كذابين قال المظهر اراد به كثرة الجهل وقلة العلم
والاتيان بالموضوعات من الاحاديث وما يفترونه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويحتمل ان يراد به ادعاء النبوة كما كان في زمانه وبعد زمانه وان يراد بهم جماعة يدعون
اهواء فاسدة ويسندون اعتقادهم الباطل اليه صلى الله عليه وسلم كاهل البدع كلهم
فاحذروهم رواه مسلم قال ابن الملك في شرح المشارق قوله فاحذروهم غير مذكور
في صحيح مسلم لكن جاء في بعض رواياته تغيير وقيل انه قول جابر انتهى وفي الجامع
لفظ المشكاة بكماله وقال رواه احمد ومسلم عن جابر بن سمرة وعن ابي هريرة رضي
الله تعالى عنه بينما النبي صلى الله عليه وسلم يحدث اي يتكلم في امر مع اصحابه اذ جاء
اعرابي فقال متى الساعة فقال اذا ضيعت بصيغة المفعول من التضييع وفي نسخة
من الاضاعة الامانة اي حين جعلت الامانة ضايعة بالخيانة او وضعت عند غير
ارباب الديانة فانتظر الساعة اي فانه من اشراط القيامة قال كيف اضاعتها هذا
يؤيد النسخة اي كيف تضييع الامانة فانهم يأمرونها والعامة معتنون بقدرها
قال اذا وسد بضم الواو وتشديد السين وقد يخفف على ما في المقدمة اي اسند وفوض
الامر امر السلطنة او الامارة والقضاء والحكومة الى غير اهله اي من لم يوجد فيه شرائط
الاستحقاق كالنساء والصبيان والجهلة والفسقة والبخيل الجبان ومن لم يكن
قرشيا ولو كان من نسل سلطان الزمان هذا في الخليفة ويتفرع على هذا سائر ارباب
الامر والشأن من ارباب المناصب من التدريس والفتوى والامامة والخطابة

رضي الله تعالى عنه

والامثال

وامثال ذلك مما يفتخر به الاقران قال التوربشتي معناه ان يلي الامر من ليس له باهل فيلقى
له وسادة الملك واراد بالامر الخلافة وما ينضم اليها من قضا وامارة ونحوها
والتوسيد اخذ من الوساد يقال وسدته الشيء بالتخفيف فتوسده اذا جعله تحت راسه
والنكتة في ايتانها اشكال اذ كان في حقه ان يقال وسد الامر لغير اهله فلعله اتى بها ليدل
على تضمين معنى اسند الامر اليه انتهى وتوضيحه وفي القاموس الى تأتي مرادفة اللام نحو قوله تعالى
والامر اليك انتهى ويريد ان المعنى والامر لك لكن الاظهر ان يقال الامر راجع اليك
والاحسن في الحديث ان يضمن معنى التفويض والاسناد كما اشرنا اليه اولا فانتظر
الساعة للدلالة على قرب قيامها وانما دل ذلك على دنو الساعة لافضائه الى اختلال
الامر وعدم النظام ووهن امور الدين وضعف احكام الاسلام قال الطيبي
لان تغير الولاة وتبدلهم مستلزم لتغير الرعية وقد قيل الناس على دين ملوكهم
قال القاضي اخرج الجوابين مخرج الاستيناف للتاكيد ولان السؤال الاول لما لم يكن
مما يمكن ان يجيب عنه بجواب حقيقي يطابقه فان تعين الساعة غيب لا يعلمه ملك مقرب
ولا نبي مرسل عدل عن الجواب الى ذكر ما يدل في المسؤل عنه دلالة من اماراتها وسلك
في الجواب الثاني مسلك الاول لينتسق الكلام قال الطيبي كان من حق الظاهر ان
يكتفي عن جواب السؤال الاول بقوله اذا ضيعت الامانة وان يؤتى في السؤال الثاني
بما يطابق الجواب فزاد في الاول فانتظر الساعة ليتنبه على ان قوله اذا ضيعت
الامانة ليس ابانة الساعة بل من اماراتها فلا يكون اذا شرطية وتاويل السؤال
الثاني متى تضييع الامانة وكيف حصول التضييع فقال اذا وسد الامر فاطنب
في الاول لافادة معنى زائد واختصر في الثاني لدلالة الكلام عليه قلت وفيه انه يوهم
ان قوله فانتظر الساعة غير موجود في الجواب الثاني والحال ان الامر بخلافه بل هو موجود
في الجوابين ولعله سقط من اصل الطيبي والله اعلم رواه البخاري ولفظ الجامع
اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة رواه البخاري عن ابي هريرة وعنه اي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكثر المال اي ابتداء
في الحال والمآل ويفيض بفتح الياء وكسر ما قبله وهو عطف تفسير اي يسيل من كثرته
من كل جانب كما السيل يسيل الخلق اليه كالسيل حتى يخرج بضم الياء اي ليخرج الرجل زكوة
ماله فلا يجد احدا يقبلها منه اي لكثرة المال وقلة الميل اليه لتشوش الحال وحتى تعود
ارض العرب اي تصير او ترجع مروجا بالضم اي رياضا كما كانت تنبت نباتا ذات اشجارها وانهارا
وانهارا اي مياها كثيرة جارية في انهارها وفي النهاية المرج الارض الواسعة ذات نبات
كثير يمرج فيه الدواب اي يخلى لترعى مختلطة كيف شاءت انتهى وفيه اشارة الى ما قيل
من ان الدنيا جنة الكفار في انهم يأكلون كما تأكل الانعام فذرهم عن العقبى رواه مسلم
وفي رواية له اي لمسلم قال تبلغ المساكن اي تتصل بيوت مساكن المدينة اهاب بكسر
الهمزة وفتح الموحدة او يهاب بكسر الياء التحتية وهو لا ينصرف للازدواج المعتبر عند
الفصحاء والبلغاء وفي نسخة صحيحة بفتحهما وهما موضعان قرب المدينة فالتنوين
وعدمه فرقهما باعتبار البقعة والمراد كثرة عمارة المدينة وما حولها قال شارح اهاب
بالنون المكسورة وروي بالياء المكسورة قال النووي اما اهاب بكسر الهمزة واما يهاب
فبياء مثناة تحتية مفتوحة ومكسورة ولم يذكر القاضي في الشرح والمشارق الا الكسر
وحكى القاضي عن بعضهم نهاب بالنون والمشهور الاول وقد ذكر في الكتاب انه موضع

يقرب المدينة على اميال منها قال النوربشتي يريد ان المدينة يكثر سوادها حتى يتصل
بها الى مساكن اهلها باهاب او يهاب شك الراوي في اسم الموضع وكان يدعى بكلا
لا شمس قد ذكرا وللتخيير بينهما وفي التصحيح على ما نقله ميرك ان قوله اهاب بكسر
الهمزة ولم يصرفه على قصد البقعة ويهاب بيا آخر الحروف مكسورة كذا قيدنا في
المشارق وقيده بعضهم بالفتح وقيل نيهاب بالنون وكانه تصحيف والشك فيه من الراوي
وفي القاموس اهاب ككتاب الجلد وكسحاب موضع قرب المدينة ولم يذكر فيه يهاب
والله اعلم بالصواب وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يكون اي يوجد في آخر الزمان خليفة اي سلطان يقسم المال اي على المستحقين
بالعدل ولا يجزئه كسلاطين زماننا ولا يعده بفتح الياء وضم العين والدال المشددة
اي يعطي كثيرا من غير عد واحصاء بل يكون احسانه جزافا قال ابن الملك ويحتمل كونه من الاعداد وهو
جعل الشيء عدة وذخيرة اي لا يدخر لغد ولا يكون له خزانة كفعل الانبياء عليهم السلام انتهى وقد
سبق شرح حيث قال ايا بفتح الياء وضم العين اي لا يحصيه او بضم الياء وكسر العين اي
لا يدخره وكذا في بعض النسخ لكن يضعف هذا الاحتمال سبق ومعنى قوله وفي رواية قال
يكون في آخر امتي خليفة يحثي المال بفتح الياء وكسر المثلثة اي يعطيه بالكفين حثيا مفعول
مطلق فيه لما فيه لغة اي حثيا بليغا ثم اكد ذلك بقوله ولا يعده عدا مصدر مبين ان فعله
ثلاثي لا رباعي قال النووي والحثو الذي يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الاموال والغنائم
والفتوحات مع سخاء نفسه وقال ابن الملك الشريف ان ذلك الخليفة يظهر آية كنوز الارض
او بعلم الكيمياء او يكون من كراماته ان ينقلب الحجر ذهبا كما روي عن بعض الاولياء رواه مسلم
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك
الفرات ان يحسر بضم السين اي يكشف عن كنز في النهاية يقال حسرت العمامة عن راسي
وحسرت الثوب عن بدني اي كشفتها قال الطيبي ويكشف نفسه عن كنز فيه اشارة الى ان
حسر متعد ونقل الخلخالي في شرح المصابيح اي سيظهر ذات عن نفسه كنزا فيه ايما الى
انه وقع قلب في الكلام يوهم باب عرضت الناقة على الحوض وفي القاموس حسره
يحسره ويحسره كشفه والشيء حسورا انكشف فالفعل متعد ولازم وعلى تقدير اللزوم
لا يحتاج الى تكلف فالاولى حمله عليه فالمعنى يقرب الفرات اي ينكشف عن كنز اي الكشاف
فاصادوا على كنز عظيم من ذهب اي كثير فمن حضره اي في ذلك الوقت فلا ياخذ بصيغة النهي
منه شيئا اي لما يترتب على الاخذ منه ما سيأتي من المقاتلة الكثيرة والمنازعة الكبيرة
ويحتمل ان يكون فلا ياخذ نفيا ويؤيده ما سياتي من قوله فلا ياخذون منه شيئا متفق
عليه ورواه ابو داود والترمذي وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب الظاهر ان
القضية متحدة والرواية متعددة فالمعنى عن كنز عظيم مقدار جبل من ذهب ويحتمل
ان يكون هذا غير الاول ويكون الجبل معدنا من ذهب يقتتل الناس عليه اي على تحصيله
واخذه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون اي من الناس المقاتلين عليه ويقول كل رجل
منهم اي من الناس او من التسعة والتسعين لعلي اكون انا الذي انجو قال الطيبي هو من
باب قوله انا الذي سمتن امي حيدرة اي انا الذي ينجو نظرا الى المبتدا محمل الخبر عليه لا على
الموصول انتهى اي يرجو كل واحد منهم ان يكون هو الناجي فيقتل لانه يرجو ان ينجو في المال
فيأخذ المال وهذا من سوء الآمال وتضييع الاعمال قال الطيبي وفيه كناية عن الاصلاح

يقال

يقال انا الذي افوز به فعدل الى انجو لانه اذا نجا من القتل تفرد بالمال وملكه رواه مسلم
وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيء الارض
مضارع من القيء اي تخرج الارض افلاذ كبدها بفتح الهمزة جمع الفلذة وهي القطعة
المقطوعة طولا وسمي ما في الارض كبدا تشبيها بالكبد التي في بطن البعير لانها احب
ما هو مخبي فيها كما ان الكبد ما في بطن الجزور واحبه الى العرب وانما قلنا في بطن البعير لان
ابن الاعرابي قال الفلذ لا يكون الا للبعير فالمعنى تظهر كنوزها وتخرجها من بطونها الى
ظهورها امثال الاسطوانة بضم الهمزة والطاء وفي نسخة صحيحة الاسطوانة فهي
واحدة والمراد جنس وهو الانسب بجمع الامثال وقوله من الذهب والفضة لبيان
مجمل الحال قال القاضي معناه ان الارض تلقي من بطونها ما فيها من الكنوز وقيل ما رسخ فيها
من العروق المعدنية ويدل عليه قوله امثال الاسطوانة وشبهها بالافلاذ الكباد هيئة
وشكلا فانها قطع الكبد المقطوعة طولا انتهى ولعل الحديث فيه اشارة الى قوله
تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها فيجي القاتل اي قاتل النفس
فيقول في هذا اي في طلب هذا الغرض ولاجل تحصيل هذا المقصود قتلت اي من قتلت
من الانفس ويجي القاطع الرحم فيقول في هذا قطعت رحمي ويجي السارق فيقول قطعت
يدي بصيغة المجهول ولو كان معلوما لكان له وجه اي تسببت بقطع يدي ثم يدعونه فلا ياخذون
منه شيئا رواه مسلم وكذا الترمذي وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تذهب الدنيا اي لا تفرغ ولا تنقضي حتى يمر الرجل بالقبر المراد
به الجنس فهما في قوة النكرة ويمكن ان يراد بهما الاستغراق فكل فرد في هذا الاستحقاق
فيتمرغ اي يتقلب الرجل عليه اي فوق القبر وقال ابن الملك اي يتمسك في راس القبر
ويتقلب في التراب ويقول يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر اي ميتا وليس به الدين
بكسر الدال الا البلاء اي الحامل له على التمني ليس الدين بل البلاء وكثرة المحن والفتن
وسائر الضرر قال المظهر الدين ها هنا العادة وليس في موضع الحال والضمير في يتمرغ يعني
يتمرغ على راس القبر ويتمنى الموت في حال ليس التمرغ من عادته وانما حمله عليه البلاء وقال الطيبي
ويجوز ان يحمل الدين على حقيقته اي ليس ذلك التمرغ والتمني لامر اصابه من جهة الدين لكن
من جهة الدنيا فيفيد البلاء المطلق بالدنيا بواسطة القرينة انتهى بقية رواه مسلم اي بهذا
اللفظ واتفقا على لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني كنت مكانه ذكره
ميرك عن التصحيح قلت وهذا اللفظ في الجامع اسنده الى احمد والشيخين واخرج
ابو نعيم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج الدجال حتى لا يكون شيء
احب الى المؤمن من خروج نفسه واخرج ايضا عن ابي هريرة قال يوشك ان يكون الموت احب الى
المؤمن من الماء البارد يصب عليه العسل فيشربه واخرج ايضا عن ابي ذر قال ياتين على الناس
زمان تمر الجنازة بينهم فيقول الرجل يا ليتني كنت مكانه واخرج ابن سعد عن ابي سلمة بن عبد الرحمن
قال مرض ابو هريرة فاتيته اعوده فقلت اللهم اشف ابا هريرة فقال اللهم لا ترجعها وقال
يوشك يا ابا سلمة ان ياتي على الناس زمان يكون الموت احب الى احدهم من الذهب الاحمر
ويوشك يا ابا سلمة ان ياتي الرجل القبر فيقول يا ليتني مكانك وعنه
اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة
حتى تخرج نار من ارض الحجاز اي مكة والمدينة وما حولهما تضيء بضم اوله اي تنور اعناق الابل
جمع العنق بضمتين وهو العضو المعروف وقيل بفتحتين وهو الجماعة ببصرى بضم موحدة وهي

مدينة حوران بالشام وقيل مدينة فيها رأى البصرة قال النووي هكذا الرواية بنصب
اعناق وهو مفعول يضيء يقال اضاءت النار واضاءت غيرها وبصرى بضم الباء مدينة معروفة
بالشام وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة
سنة ست وخمسين وستمائة وكانت نارا عظيمة خرجت من جنب المدينة الشرقي وراء
الحرة وتواتر العلم بها عند جميع اهل الشام وسائر البلدان واخبرني من حضرها من اهل المدينة
قال التوربشتي واني اعرف الناس اهل المدينة ومن حولهم رويته لا مزيد فيه ولا خفا فانها
لبثت نحوا من خمسين يوما تتقد وترمي بالاحجار المحمرة بالنار من بطن الارض الى
ما حولها مشاكلة للوصف الذي ذكره الله تعالى في كتابه من نار جهنم ترمي بشرر كالقصر
كأنه جمالات صفر وقد سال من ينبوع النار في تلك القفار من مدة عظيمة شبيه
بالصفر المذاب فيجمد الشيء بعد الشيء فيوجد شبيهه بخبث الحديد قال القاضي فان قلت
كيف يصح ان يجعل هذا عينها وقد روي في الحديث الذي يليه انه صلى الله عليه وسلم قال
اول اشراط الساعة نار تحشر الناس وهي لم تحدث بعد قلت لعله لم يرد بذلك
اول الاشراط مطلقا بل الاشراط المتصلة ولم يتقدمها تلك النار واراد بالنار نار
الحرب والفتن كفتنة الترك فانها سارت من المشرق الى المغرب متفق عليه قال ميرك نقلا
عن التصحيح والعجب من الحاكم انه اخرجه في مستدركه على الصحيحين واسنده من طريق
رشد بن سعد عن عقيل عن الزهري عن ابن المسيب عن ابي هريرة وساقه بلفظها سنده
عليهما وعزويهما واعجب من هذا روايته له من طريق رشد بن سعد وهو ضعيف باتفاق الحفاظ
انتهى وقد سبق جوابه بانه لعله ثبت عنده على اسناد الصحيحين فيكون مستدركا لا مستدركا
ويدل عليه انه روي من طريق رشد ولعله قوي عنده او له متابع او شاهد يجبره مع انه قد
لا واجمعوا على ضعفه والله اعلم وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اول اشراط الساعة سبق الكلام عليه نار اي شعلة ساطعة او فتنة طالعة تحشر
الناس اي تجمعهم من المشرق الى المغرب رواه البخاري ورواه الطيالسي عنه بلفظ اول
شيء يحشر الناس نار يحشرهم من المشرق الى المغرب كذا في الجامع وبه يزول الاشكال السابق
انتهى والله اعلم الفصل الثاني عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان اي زمان الدنيا والاخرة او يتقارب اهل
بعضهم من بعض في الشر او يتقارب الزمان نفسه في الشر حتى يشبه اوله اخره او يقصر
الايام والليالي وهو المناسب هنا لقوله فيكون بالرفع وبنصب وهو بالتانيث ويجوز
تذكيره لان عطف الشهر عليه والمعنى فيصير السنة كالشهر قال التوربشتي يحمل ذلك
على قلة بركة الزمان وذهاب فائدته في كل مكان او على ان الناس لكثرة اهتمامهم بما دهمهم
من النوازل والشدائد وشغل قلبهم بالفتن العظام لا يدرون كيف تنقضي ايامهم
ولياليهم فان قيل العرب تستعمل قصر الايام والليالي في المسرات وطولها في المكاره
قلنا المعنى الذي يذهبون اليه في القصر والطول مفارق للمعنى الذي يذهب اليه
فان ذلك راجع الى تمني الاطالة للرخاء او الى تمني القصر للشدة والذي نذهب اليه راجع
الى زوال الاحساس بما يمر عليهم من الزمان لشدة ما هم فيه وذلك ايضا صحيح
والشهر اي ويكون الشهر كالجمعة بضم الميم وتسكن والمراد بها الاسبوع وتكون
بالتانية رفعا ونصبا اي وتصير الجمعة كاليوم اي كالنهار ويكون اليوم كالساعة اي
العرفية النجومية وهي جزء من اجزاء القسمة الاثني عشرية في اعتدال الازمنة الصيفية

والشتائية

رضي الله تعالى عنه

والشتائية وتكون الساعة كالضرمة بفتح الضاد وسكون الراء وتفتح اي مثلها في سرعة ابتدائها
وانقضائها قال الكرماني اي كزمان ايقاد الضرمة وهي ما يوقد به النار اولا كالقصب والكبريت وفي القاموس
الضرمة محركة السعفة والشيحة في طرفها نار وفي النهاية الضرمة بفتح المعجمة وسكون الراء غصن النخل
والشيحة ثبت في طرفها نارها اذا اشتعلت غرن سريعا انتهى فالمراد بالساعة العرفية وهي ادنى
ما يطلق عليه اسم الزمان من اللحمة واللحظة والطرفة ذكره الخطابي ويكون ذلك في زمن المهدي
او عيسى او كليهما قلت والاخير هو الاظهر لظهور هذا الامر في خروج الدجال وهو في زمنهما قال
فان قيل اذا كانت السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة
كالضرمة فما وجه التقارب ومعناه قلنا المراد بذلك ان السنة ذات شهور وجمع وايام
وساعات فان كل سنة اثني عشر شهرا وثمان واربعون جمعة وثلاثمائة وستون يوما واربعة الاف
وثلاثمائة وعشرون ساعة فاذا دنت السنة الى الشهر دنت جمعها الى جمعة شهر فتلك السنة وهي
اربعة وايامها الى يوم الشهر فتلك السنة وهي ثلاثون يوما وساعاتها الى ساعات شهر فتلك السنة وهي
ثلاثمائة وستون يوما وستة كل منها الى السنة كجزء من اثني عشر جزءا بلا زيادة ونقصان فيه يزيد
وينقص من امد الضرمة بالنار فانها غير مقدرة شرعا ولا عرفا ولا تتبين للناظرين الا بالعين فلهذا قال
يتقارب الزمان ولم يقل يتساوى الزمان انتهى وسياتي لهذا الحديث زيادة تحقيق وبيان
وما يتعلق به من اداء الصلاة كل زمان في حديث النواس من الباب الاتي رواه الترمذي وعن
عبد الله بن حوالة بفتح الحاء المهملة وتخفيف الواو قال المؤلف في فصل الصحابة ازدي نزل الشام
روى عنه جبير بن نفير وغيره قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ارسلنا لنغنم اي لناخذ الغنيمة
على اقدامنا اي ماشين عليها وهو حال من الضمير في بعثنا اي بعثنا رجالا غير ركبان فرجعنا اي سالمين مؤمنين
فلم نغنم شيئا اي نصرنا مغمومين محزونين وعرف الجهد بالفتح وفي نسخة صحيحة بالضم في القاموس الجهد
الطاقة ويضم والمشقة وقال ابن الملك الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة قلت الظاهر
انهما لغتان لكل منهما والمراد به هنا المشقة وقد صرح شارح بالفتح والتقرير عليه السيد في افضلها اي
وفي بشرة مشقة لم نجد الغنيمة في وجوهنا اي فيما ظهر عليها من اثار الكآبة والحزن والخجالة والحيا
فقام اي خطيبا فينا اي لاجلنا او فينا فقال اللهم لا تكلهم من الوكول اي لا تترك امورهم الي اي الى
امري فاضعف عنهم بالنصب جوابا للنهي والسبب في ذلك ان الانسان خلق ضعيفا وان المخلوق
من حيث هو عاجز في نفسه فكيف عن غيره وكذا ورد في الدعاء النبوي اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين
ولا اقل من ذلك فانك ان تكلني الى نفسي تكلني الى ضعف وعورة وذنب وخطيئة واني لا اثق الا برحمتك
وقال تعالى قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله وهذا هو التوحيد المبين لقوله لا حول ولا
قوة الا بالله وقد ورد في حديث رواه ابن عدي في الكامل ان الياس والخضر عليهما السلام يلتقيان
في كل عام بالموسم فيحلق كل واحد منهما راس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات بسم الله ما شاء الله
لا يسوق الخير الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله
ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله ثم لما كان دلالة الغرب لا على قدم دفع ركونهم اليه ادلا ثم قال
ولا تكلهم الى انفسهم فيعجزوا عنها بكسر الجيم وتفتح في القاموس عجز عن الامر كضرب وسمع اي فيعجزوا
انفسهم نفسه لا تنفسا فيها الى قوله تعالى الينا او الى المؤمنين من انفسهم ولا تكلهم الى الناس
اي الى الخلق والاختصار الناس لغرب فيستاثروا عليهم عدل عن قوله فيعجزوا للظهور الى
نزوله فيستاثروا اشعارا بانهم ما يكتفون بالظهر والعجز بل يبادرون الى ان يختاروا الجيد لانفسهم
والردي لغيرهم ففيه تعليم للامة في شهود صنع الله والغيبة عما سواه بكلوا امورهم اليه
ويعتمدوا في جميع حوائجهم عليه لان من توكل على الله كفاه امر دينه ودنياه كما قال ومن يتوكل على

الله فهو حسبه قال الطيبي المعنى لا تفوضوا أموركم إلي فإني عاجز عن كفاية مؤنتهم وستر خلتهم ولا تفوضهم
إلى أنفسهم فيعجزوا واشرأبت أنفسهم لكثرة شهواتها وشرورها ولا تفوضهم إلى الناس فيحتاجوا ويذلوا أنفسهم في
سؤالهم فيضيعوا بل هم عبادك فافعل بهم ما يفعل السادة بالعبيد ثم وضع يده على رأسي أي للحكمة سابقا
مع ما فيه من البركة المواتية وهو يحتمل الاستمرار في تلك المرام حتى فرغ من الكلام ويحتمل أنه وضعها
ثم رفعها ثم قال يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة أي خلافة النبوة قد نزلت الأرض المقدسة أي بيت
المقدس إلى أرض الشام كما وقع في زمان بني أمية فقد دنت أي قربت الزلازل أي وقوعها وهي مقدمات
زلزلة الساعة التي هي شيء عظيم وقد أخبر سبحانه أيضا بقوله إذا زلزلت الأرض زلزالها والزلزلة في
الحركة والزلزال مصدر والبلابل جمع بلبلة وهي الهموم والأحزان وبلبلة الصدر وسواسه
والأمور العظام أي من أشراط الساعة والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه أي الموضوعة
على رأسك الذي رواه كذا في نسخ الأصل وألحق في الحاشية أبو داود وإسناده حسن
ورواه الحاكم في صحيحه جزري والحق في نسخة رواه أبو داود والحاكم وعن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اتخذ بصيغة المجهول أي إذا أخذ الفيء أي الغنيمة دولا بكسر الدال
وفتح الواو ويضم أوله جمع دولة بالضم والفتح أي غلبة في المداولة والمناولة في القاموس الدولة
انقلاب الزمان والعقبة في المال ويضم أو الضم فيه والفتح في الحرب أو هما سواء أو الضم في الآخرة
والفتح في الدنيا الجمع دول مثلثة وفي شرح ابن الملك قال الأزهري الدولة بالضم اسم لما
يتداول من المال يعني الفيء وبالفتح الانقلاب من حال البؤس والضر إلى حال السرور قال
التوربشتي أي إذا كان الأغنياء وأصحاب المناصب يستأثرون بحقوق الفقراء أو يكون المراد منه
أن أموال الفيء تؤخذ غلبة وأثرة صنيع أهل الجاهلية وذوي العدوان والأمانة مغنما أي بأن
يذهب الناس بودائع بعضهم وأماناتهم فيتخذونها كالمغانم يغنمونها والزكوة مغرما أي بأن
يشق عليهم أداؤها حتى تعد غرامة وتعلم بصيغة المجهول أي العلم لغير الدين قال الطيبي
هو بالألف واللام كذا في جامع الترمذي وجامع الأصول وفي نسخ المصابيح بغير اللام والأولى
أولى رواية ودراية أي يتعلمون العلم لطلب المال والجاه لا للدين ولنشر الأحكام بين المسلمين
لإظهار دين الله وأطاع الرجل امرأته أي فيما تأمره وتهواه مخالفا لأمر الله وهواه وعق أمه
أي خالفها فيما تأمره وتنهاه وفي القرينتين إشعار بانقلاب الدهر وانعكاس الأمر كما في قوله وأدنى
صديقه وأقصى أباه حيث قرب صديقه الأجنبي إليه وبعد أقرب الأقربين منه مع أنه أشفق الناس
عليه هذا وقال ابن الملك خص عقوق الأم بالذكر وإن كان عقوق الأبوين معدودا من الكبائر
لتأكد حقها أو لكون قوله وأقصى أباه بمنزلة وعق أباه فيكون عقوقهما مذكورا أقول فيه تفنن
وتشجيع مع زيادة المبالغة في قوله أقصى على قوله عق على أنه يفهم عقوق الأب من عقوق
الأم بالأولى وقال الطيبي قوله وأدنى صديقه وأقصى أباه كلاهما قرينة لقوله وأطاع امرأته
وعق أمه لكن المذموم في الأولى الجمع بينهما لأن أدنى الصديق محمود بخلاف الثانية فإن
الأفراد والجمع بينهما مذموم أقول فيه نظر لأن إطاعة المرأة في المباح مندوب فبأن
في المعصية منهيان فالقرانة بينهما حاصل في انعكاس القضية وانقلاب البلية وكذا في
القرينتين الأوليين إذ يتصور أدنى الصديق الصالح وإبعاد الأب الطالح ويكون بيانها حينئذ قوله
ترجيح جانب الزوجية لأنها محل الشهوة على جانب الأم فإنها مرضاة الرب وخص الأم بالذكر
لزيادة حقها وتأكيد مشقتها في تربيته فعقوقها أقبح من عقوق الأب وأدنى صديقه أي قربه
إلى نفسه للمؤانسة والمجالسة وأقصى أباه أي بعده ولم يستصحبه ولم يستأنس به وظهرت الأصوات
أي رفعها في المساجد وقد اشتهر في هذا الزمان وقد تعرض علماؤنا بأن رفع الصوت في المسجد

ولو

ولو بالذكر حرام وساد القبيلة وفي معناها البلد والمحلة فاسقهم وظالمهم بالأولى وتذكيرها أيضا
والظاهر أن الكثرة في الغالب منهم ولذا قل من يكون أمارة شرعية بعدله لا سيما وقد قال تعالى وكذلك جعلنا
في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وكان زعيم القوم أي المتكفل بأمرهم أرذلهم أي أبخلهم وأكثرهم رذالة
في النسب والحسب قال السيوطي زعيم القوم رئيسهم وفي القاموس الزعيم الكفيل وسيد القوم
ورئيسهم والمتكلم عنهم ثم اعلم أن النسخ جميعها في رفع الزعيم ونصب أرذلهم كان الظاهر
أن يعكس اللهم إلا أن يراد بالزعيم الكريم لا سيما في مرتبة حسنة وظهرت القينات بفتح القاف
وسكون التحتية أي الإماء المغنيات والمعازف بفتح الميم وكسر الزاي أي وظهرت آلات اللهو وشربت
بصيغة المجهول الخمور أي أنواع الخمر والمراد أنها تشرب شربا ظاهرا ولعن آخر هذه الأمة أولها
فيه إشارة إلى أن هذه العلامة من خصوصيات هذه الأمة وأنها لم تقع في الأمم السابقة وهي
المناسبة أن تكون من أشراط الساعة ويؤيده أنه لو قيل لليهود والنصارى من أفضل أهل ملتكم
قالوا أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قال الطيبي أي طعن الخلف في السلف وذكرهم بالسوء
ولم يقتدوا بهم في الأعمال الصالحة فكأنه لعنهم أقول إذا كانت الحقيقة مستحقة
فلا المخرج إلى العدول عنها إلى المعنى المجازي وقد كثرت لكن لا تخفى في العالم مع أن الله تعالى قال
في حق الأولين والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي
الله عنهم ورضوا عنه وقال لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة
والكتاب والسنة مشحونان بمناقبهم وفضائلهم وهم الذين بذلوا منهم في اجتهاده وجاهدوا
في الله حق جهاده وفتحوا بلاد الإسلام وحفظوا الأحكام ونشروا العلوم من سيد الأنام و
وانتفعوا بهم علماء الأعلام ومشايخ الكرام وقد علمنا الله في كتابه أن نقول في حقهم ربنا اغفر لنا
ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وقد ظهرت طائفة لاعنة ملعونة إما كافرة أو مجنونة
حيث لم يكتفوا باللعن والطعن في حقهم بل نسبوهم إلى الكفر بمجرد أوهامهم الفاسدة وآرائهم
الكاسدة من أن أبا بكر وعمر وعثمان أخذوا الخلافة وهي حق علي بغير حق وإنما الخلافة باطل
بالإجماع سلفا وخلفا وقد اغتنا زيادة المنكرين وأيديهم من الكتاب والسنة يكون
نصا على خلافة علي ثم من خالفه من بعض الصحابة في أيام خلافته أيضا بناء على اختلاف
اجتهاد فكيف يستحق اللعن غايته أنه كان مخطئا ولو فرضنا أنه كان مذنبا فلعله مات
تائبا أو يأتي تحت المشيئة مع غلبة رجاء المغفرة والشفاعة ببركة الخدمة المتقدمة وقد روى
ابن عساكر عن علي كرم الله وجهه مرفوعا يكون لأصحابي زلة يغفرها الله لهم لسابقتهم معي
فنحن مع كثرة ذنوبنا من القنعة بروا لكبير إذا كنا راجين رحمة ربنا وشفاعة نبينا صلى
الله عليه وسلم فكيف بأكابر هذه الأمة وبأنصار هذه الملة ومن العجب أن طائفة الرافضة
المرفوضة الباغضة المبغوضة أنتن الخلق وأظلمهم وأحمق العالمين وأجهلهم فطوبى لمن
شغله عيبه عن عيوب الناس هذا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا أمواتكم إلا بخير
وقال إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وقد أخرج ابن عساكر عن جابر مرفوعا حب أبي بكر وعمر من
الإيمان وبغضهما كفر وحب الأنصار من الإيمان وبغضهم كفر وحب العرب من الإيمان
وبغضهم كفر ومن سب أصحابي فعليه لعنة الله ومن حفظني فيهم فأنا أحفظه يوم القيامة
فارتقبوا جواب إذا والمعنى فانتظروا عند ذلك أي عند وجود ما ذكر ريحا حمراء أي شديدة
في الهواء وزلزلة أي حركة عظيمة للأرض وخسفا أي ذهابا في الأرض وغيبوبة فيها ومسخا
بتغيير الصورة على طبق اختلاف تغير السيرة وقذفا أي رميا بالحجارة من السماء وآيات أي علامات أخر
لدنو القيامة وقرب الساعة تتابع بحذف إحدى التائين أي يتبع بعضها بعضا كنظام بكسر النون

أي تتابعت نحو جوهر وخرز قطع سلكه بكسر السين أي انقطع خيطه فتتابع أي ما فيه من الخرز فهو نظير
ماض بخلاف الماضي فإنه حال أو استقبال رواه الترمذي أي وقال غريب وروى أحمد والحاكم عن
ابن عمر مرفوعا الآيات خرزات منظومات في سلك فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضا وعن علي رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فعلت أمتي خمس عشرة بسكون
الشين المعجمة وبكسر خصلة أي فعلة ذميمة حل بها البلاء أي نزل وعدّ أي واحدا النبي صلى الله
عليه وسلم هذه الخصال أي الخمسة عشر ولم يذكر أي علي لعلم الغير الذي قال الطيبي هذا كلام صاحب
المصابيح وذلك أن الترمذي ذكر الحديث بتمامه في الأول وعد فيه لكل واحد منهما الأعداد الخمسة عشر
ثم قال أي علي وبر صديقه أي بدل دينه وجفا أباه أي بدل أقصاه فهو اختلاف عبارة وكذا قوله
وقال أي علي وشرب الخمر بدل شربت الخمور بتغيير الفعل والفاعل ولبس بصيغة المجهول الحرير
قال صاحب المختصر هذا البدل من اللعن وتفويض صحيح لأن اللعن مذكور في حديث علي فالصواب
أنه بدل من لعن لغير الذي فتطابق العدد أن في الروايتين فيصح قول الطيبي إنه عد في كل واحد
منهما الأعداد الخمسة عشر وبطل قول صاحب المختصر إن المجموع خمسة عشر وأما المذكور في
الحديث الثاني فستة عشر انتهى ونقلنا ذلك مفصلا لما ذكره المؤلف مجملا بل مختصرا مخلا
بقوله رواه الترمذي وفي الجامع إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء إذا كان
المغنم دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا
أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت
الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك
ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا رواه الترمذي عن علي فأو هنا للتنويع والواو هنا للجمع بمعنى
الجميع وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تذهب الدنيا أي لا تفنى ولا تنقضي حتى يملك العرب أي ومن تبعهم من أهل الإسلام فإن
من أسلم فهو عربي رجل من أهل بيتي يواطئ أي يوافق اسمه اسمي أي ويطابق اسم أبيه اسم أبي فإنه
محمد المهدي بن عبد الله كما أن النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله قال الطيبي لم يذكر العجم وهم مرادون أيضا لأنه إذا
ملك العرب واتفقت كلمتهم وكانوا يدا واحدة قهروا سائر الأمم ويؤيده حديث أم سلمة بعد
هذا انتهى ويمكن أن يقال ذكر العرب لغلبتهم في زمنه أو لكونهم أشرف أو هو من باب الاكتفاء
مراده العرب والعجم كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر أي والبرد والأظهر أنه اقتصر على ذكر العرب
لأنهم كلهم يطيعونه بخلاف العجم فإنه قد يقع منهم خلاف في الإطاعة والله أعلم
رواه الترمذي وأبو داود وفي رواية له أي لأبي داود لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله
ذلك اليوم حتى يبعث الله أي يظهر فيه أي في ذلك اليوم رجلا أي كاملا مني أي من نسبي أو من أهل
بيتي شك من الراوي ولفظ المصابيح حتى يبعث فيه رجلا من أهل بيتي واختلف في أنه من بني
الحسن أو من بني الحسين ويمكن أن يكون جامعا بين النسبتين الحسنين والأظهر أنه من جهة
الأب حسني ومن جانب الأم حسيني قياسا على ما وقع في ولدي إبراهيم وهما إسماعيل وإسحاق
عليهم السلام حيث كان أنبياء بني إسرائيل كلهم من بني إسحاق وإنما نبئ من ذرية إسماعيل نبينا
عليه الصلاة والسلام وقام مقام الكل ونعم العوض صار خاتم الأنبياء فكذلك لما ظهرت
أكثر الأئمة وأكابر الأمة من أولاد الحسين فناسب أن ينجبر الحسن بأن أعطي له ولد يكون خاتم
الأولياء ويقوم مقام سائر الأصفياء على أنه قد قيل لما نزل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة
الصورية كما ورد في منقبته أعطي له لواء ولاية المرتبة القطبية فالمناسب أن يكون
من جملتها النسبة المهدوية المقارنة للنبوة العيسوية واتفاقهما على إعلاء كلمة الملة النبوية

في صاحبها أفضل الصلاة والسلام وأكمل التحية وسيأتي في حديث أبي إسحاق عن علي كرم الله وجهه
ما هو صريح في هذا المعنى والله أعلم يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي فيكون محمد بن عبد الله وفيه رد
على الشيعة حيث يقولون المهدي الموعود هو القائم المنتظر وهو محمد بن الحسن العسكري يملأ
الأرض استئناف مبين لحسبه كما أن ما قبله مبين لنسبه أي يملأ وجه الأرض جميعها أو
أرض العرب وما يتبعها والمراد أهلها قسطا بكسر القاف وتفسيره قوله وعدلا أتى بهما تأكيدا وكذا
الجمع في قوله كما ملئت أي الأرض قبل ظهوره ظلما وجورا على أنه يمكن أن يفرق بينهما بأن يجعل
الظلم هنا قاصرا لازما والجور متعديا ولذلك يجعلا ضدا بالقسط إعطاء كل ذي حق حقه
وبالعدل النصفة والحكم بمر الشريعة والانتصار للمظلوم والانتقام من الظالم فيكون جامعا
بما قال تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان وقابلهما بما قاله العلماء من أن الدين هو التعظيم
لأمر الله والشفقة على خلق الله وموصوف بوصف الكمال وهو أجرأ كل من تجلى بالجمال وتحلى
بالجلال في محله إلا أن يتوب بكل حال من الأحوال هذا ورواه أحمد وأبو داود عن علي رضي الله عنه
مرفوعا لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله تعالى رجلا من أهل بيتي يملأها عدلا كما ملئت جورا ورواه
ابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعا لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل
من أهل بيتي يملك جبل الديلم والقسطنطينية وفي القاموس الديلم جبل معروف وروى الروياني
عن حذيفة مرفوعا المهدي رجل من ولدي وجهه كالكوكب الدري وعن أم سلمة رضي الله عنها
وهي من أمهات المؤمنين قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدي من
عترتي قال بعض الشراح العترة ولد الرجل من صلبه وقد يكون العترة الأقرباء أيضا وهم العمومة
قلت المعنى الأخير لا يلائم بيانه بقوله من أولاد فاطمة وفي النهاية عترة الرجل أخص
أقاربه وعترة النبي صلى الله عليه وسلم بنو عبد المطلب وقيل قريش كلهم والمشهور المعروف
أنهم الذين حرمت عليهم الزكاة أقول المعنى الأول هو المناسب للمقام وهو لا ينافي
أن يطلق في غيره بحسب ما يقتضيه المقام وقيل عترته أهل بيته وقيل أزواجه وذريته وقيل
أهله وعشيرته الأدنون وقيل نسله ورهطه الأدنون وعليه اقتصر الجوهري قلت
وهو الذي ينبغي هنا أن يقتصر عليه ويختص رواه أبو داود وكذا ابن ماجه ورواه الحاكم
وصححه وأما ما رواه الدارقطني في الأفراد عن عثمان رضي الله عنه المهدي من ولد العباس
عمي فمع ضعف إسناده محمول على المهدي الذي وجد من الخلفاء العباسية ويكون للمهدي
الموعود أيضا نسبة إلى العباسية فقد رواه أحمد وابن ماجه عن علي مرفوعا المهدي منا
أهل البيت يصلحه الله في ليلة أي يصلح أمره ويرفع قدره في ليلة واحدة أو في ساعة واحدة
من الليل حيث يتفق على خلافته أهل الحل والعقد فيها وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم المهدي مني أي من نسلي وذريتي أو من عشيرتي وأهل بيتي أجلى الجبهة
قال شارح أي واسعها وفي النهاية خفيف الشعر ما بين النزعتين من الصدغين والذي انحسر
الشعر عن جبهته كذا ذكره الطيبي مختصرا وفي النهاية النزعتان من جانبي الرأس مما لا شعر
عليه والجلاء مقصور انحسار مقدم الرأس من الشعر أو نصف الرأس وهو دون الصلع
والنعت أجلى وأجلا وجبهة جلواء واسعة وهذا يؤيد قول الشارح السابق وهو الموافق للمقام
أقنى الأنف أي مرتفعه كذا قال شارح وفي النهاية القنا في الأنف طوله ودقة أرنبته
مع حدب في وسطه يقال رجل أقنى وامرأة قنواء انتهى فالكلام تجريد والأرنبة طرف الأنف
وفي ما في القاموس واحدية الارتفاع وهو ضد الانخفاض والمراد أنه لم يكن أفطس فإنه
مكروه الهيئة يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين وأما ما في

من بعد راو او ثمان سنين او تسع سنين فهو شك منه فيحتمل ان هذه الرواية مجزومة بالسبع
ويؤيده ما سيأتي من رواية ابي داود ايضا عن ام سلمة ويحتمل ان يكون مشكوكة وطرح
الشك ولم يذكره واكتفى باليقين والله اعلم رواه ابو داود وصححه ابن العربي ورواه الحاكم
في مستدركه وعنه اي عن ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة المهدي
قال فيجيء اليه الرجل فيقول يا مهدي اعطني اعطني التكرير للتاكيد ويمكن ان يكون اعطني مرة بعد اخرى
لما تعوّد من كرمه واحسانه قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فيحثي له في ثوبه ما استطاع ان
يحمله اي من جنس المال وتمثيله منه في كل الاحوال فاغناه عن السؤال وخفر بنفسه
عن الملال رواه الترمذي وعن ام سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون
اي يقع اختلاف اي فيما بين اهل الحل والعقد عند موت خليفة اي حكمية وهي الحكومة السلطانية
بالغلبة التسلطية فيخرج رجل من اهل المدينة كراهية لاخذ منصب الامارة وخوفا من
الفتنة الواقعة فيها وهي المدينة المعطرة او المدينة التي فيها الخليفة هاربا الى مكة لانها
مأمن كل من التجأ اليها ومعبد كل من سكن فيها قال الطيبي وهو المهدي بدليل ايراد هذا
الحديث رواه ابو داود في باب المهدي فيأتيه ناس من اهل مكة اي بعد ظهور امره ومعرفة
نور قدره فيخرجونه اي من بيته وهو كاره اما بلية الامارة واما خشية الفتنة والجملة حالية معترضة
فيبايعونه بين الركن الاسعد وهو الحجر الاسود والمقام اي مقام ابراهيم عليه السلام ويقع ما بين
زمزم ايضا وهذا المثلث هو المسمى بالحطيم من الزمن القديم وسمي به لان من حلف فيه وحنث
او خالف العهد ونقض حطم اي كسر رقبته وقطع جثته وهلك دولته ويبعث اليه بصيغة
المجهول اي يرسل الى حربه وقتاله مع انه من اولاد سيد الانام وانام في بلد الله الحرام بعث
من الشام اي جيش من اهل الشام والملام فيخسف بهم اي كرامة للامام بالبيداء بفتح الموحدة وسكون
التحتية بين مكة والمدينة ولعل تقديم مكة لفضيلتها وتقديمها قال التوربشتي هي ارض ملساء
بين الحرمين وفي الحديث يخسف بالبيداء بين المسجدين ولعله بالبيداء التي امام ذي الحليفة
وهي تشرف من الارض قلت ولا بدع ان يكون في اياها مع انها المتبادر منها ولعل
الشيخ ظفر بنقل صريح او بني على ان طريق اهل الشام من قديم الايام على المدينة ولذا جعل ميقاتهم
الجحفة لكنهم عدلوا عن طريقهم المشهورة ومالوا الى دخول المدينة المطهرة لمصالح دينية ومنافع
دنيوية واما اذا كان غرضهم محاربة المهدي فمن المعلوم انهم يطولون على انفسهم المسافة
بل يريدون المشي بغية والمشي رغبة الى الحي رتبة والمشي بغية فاذا رأى الناس ذلك اي ما ذكر من
خرق العادة وما جعل للمهدي من العلامة اتاه ابدال الشام وتقدم البدلاء الكرام من الشام
وفي النهاية ابدال الشام هم الاولياء والعباد الواحد بدل كجمل او بدل كحمل سموا بذلك لانه كلما
مات منهم واحد بدل باخر قال الجوهري الابدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم اذا مات
واحد ابدل الله مكانه باخر قال ابن دريد واحده بديل قلت ويؤيده انه يقال لهم
بدلاء ايضا فيكون نظير شريف واشراف وشرفاء ثم قيل انهم سموا ابدالا لانهم قد يرحلون الى
مكان ويقيمون في مكانهم الاول شبحا اخر شبيها بشبحهم الاصلي بدلا عنه وفي القاموس الابدال
قوم بهم يقيم الله عز وجل الارض وهم سبعون اربعون بالشام وثلاثون في غيرها انتهى والظاهر
ان المراد بالشام جهته وما يليه من ورائه لا بخصوص دمشق الشام والله اعلم بالمرام ثم قيل انهم
سموا ابدالا لانهم بدلوا الاخلاق الدنية بالشمائل المرضية وانهم ممن بدل الله سيئاتهم حسنات
وقال القطب المحقق الشيخ عبد القادر الجيلاني انما سموا ابدالا لانهم فنوا عن ارادتهم فبدل
بارادة الحق عز وجل فيريدون بارادة الحق ابدا الى الوفاة فذنوب هؤلاء السادة ان يشركوا ارادة

الحق

الحق بارادتهم على وجه السهو والنسيان وغلبة الحال والدهشة فيدركهم الله برحمته باليقظة والتذكر
فيرجعون عن ذلك ويستغفرون ربهم عز وجل قيل ولعل العارف ابن الفارض اشار الى هذا المعنى
في قوله ولو خطرت لي في سواك ارادة على خاطري سهوا حكمت بردتي فان حسنات الابرار سيئات
المقربين وقد علم كل اناس مشربهم من ما معين والمعين وعصائب اهل العراق اي خيارهم من قوله
عصبة القوم خيارهم ولعله منه قوله تعالى ونحن عصبة اي وطوائفهم فان العصابة تاتي بمعنى الجماعة
يتعصب بعضهم لبعض ويعصب ويشد بعضهم ظهر بعض ويعضده وفي النهاية العصائب جمع
عصابة وهي الجماعة من الناس من العشرة الى الاربعين ولا واحد لها من لفظها ومنه حديث علي رضي
الله عنه الابدال بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق اراد ان التجمع للحروب يكون بالعراق
وقيل اراد جماعة من الزهاد سماهم بالعصائب لانه قرنهم بالابدال والنجباء ذكره ابو نعيم الاصفهاني
في حلية الاولياء باسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خيار امتي في كل قرن خمسمائة والابدال اربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون كلما
مات رجل ابدل الله عز وجل من الخمسمائة مكانه وادخل في الاربعين وكانهم قالوا يا رسول
الله دلنا على اعمالهم قال يعفون عمن ظلمهم ويحسنون الى من اساء اليهم ويتواسون فيما اتاهم
الله عز وجل وباسناده ايضا عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لله في الخلق سبعة وساق الحديث الى قوله فبهم يحيي ويميت ويبسط ويقبض ويدفع البلاء
قيل لعبد الله بن مسعود كيف بهم يحيي ويميت قال لانهم يسألون الله عز وجل اكثار الامم
فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون ويسألون فتنبت
لهم الارض ويدعون فيدفع بهم انواع البلاء انتهى والمعنى ان الابدال والعصائب يأتون
المهدي فيبايعونه ثم ينشأ اي يظهر رجل من قريش هذا هو القرشي الذي يخالف المهدي
اخواله كلب والقرشي لكون امه كلبية وفيه اشارة الى خفته وبيان جلبته ونقاوة الغالبة
ذرية خير البرية قال التوربشتي يريد ان ام القرشي تكون كلبية فينازع المهدي في امره ويستعين
عليه باخواله من بني كلب فيبعث اي القرشي اليهم اي الى المبايعين للمهدي بعثا اي جيشا فيظهرون
عليهم اي فيغلب المبايعون في البعث الذي بعثه الكلبي وذلك اي البعث بعث كلب اي جيش
كلب باعثه تقوى بنفسه الكلبي ويعمل اي المهدي في الناس بسنة نبيهم اي بشريعته ويلقي بضم
اوله اي يرمي الاسلام بجرانه اي المشبه بالبعير المنقاد للانام بجرانه بكسر الجيم فراء ونون وهو
مقدم عنقه اي بكماله في الارض نفيه مجاز التعبير عن الكل بالجزء كاطلاق الرقبة في المملوك
وفي النهاية الجران باطن العنق ومنه الحديث اي ناقته صلى الله عليه وسلم وضعت جرانها وحديث
عائشة رضي الله عنها حتى ضرب الحق بجرانه اي قر الاسلام واستقر قراره واستقام كما ان البعير
اذا برك واستراح مد عنقه على الارض فلا ضرب الجران مثلا للاسلام اذا استقر قراره فلم
يكن فتنة وجرت احكامه في السنة والمتفق منه والعدل فيلبث بفتح اللام والموحدة اي يمكث
المهدي بعد ظهوره سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون رواه ابو داود وقال
الحافظ السيوطي في تعليقه على ابي داود ولم يرد في الكتب الستة ذكر الابدال الا في هذا الحديث
عند ابي داود وقد اخرجه الحاكم وصححه وقال الشيخ زكريا في رسالته المشتملة على تعريف
غالب الفاظ الصوفية القطب ويقال له الغوث هو الواحد الذي هو محل نظر الله تعالى
من العالم في كل زمان اي نظرا خاصا يترتب عليه افاضة الفيض واستفاضته فهو الواسطة
في ذلك بين الله وبين عباده فيقسم الفيض المعنوي على اهل بلاده حسب تقديره ومراده
ثم الاوتاد اربعة منازلهم على منازل الاركان من العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا

مقام كل منهم مقام تلك الجهة قلت فهم الاقطاب في الاقطار ويأخذ وزا القبضة من
قطب الاقطاب المسمى بالغوث الاعظم فهم بمنزلة الوزرا تحت حكم الوزير الاعظم فاذا مات
القطب الاكبر ابدل من هؤلاء الاربعة احد بدله غالب ثم قال الابدال قوم صالحون لا تخلو الدنيا
منهم اذا مات واحد منهم ابدل الله مكانه آخر وهم سبعة قلت الابدال للغوي صادق على رجال
الغيب جميعا وقد سبق للبدل معنى اخر فالا ولى حمله عليه ولعلهم خصوا بذلك لكثرتهم وخصوص
كثرة البدل فيهم لقلتهم فانهم اربعون كما في الحديث السابق او سبعون على ما ذكره صاحب
الفتوحات وهم سبعة ثم قال النقبا هم الذين استخرجوا خبايا النفوس وهم
ثلثمائة اقول لعله اخذ هذا المعنى من النقب بمعنى الثقب فالاظهر ان النقبا جمع
نقيب وهو شاهد القوم وضمينهم وعريفهم كما في القاموس ومنه قوله تعالى وبعثنا منهم
اثني عشر نقيبا اي شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل
عليهم بالوفا بما امروا به وعاهدوا عليه على ما في البيضاوي وفي الظاهر انهم خمسمائة على
ما سبق في الحديث ثم قال النجبا هم المشتغلون بحمل اثقال الخلق وهم اربعون اقول
كانه اخذ هذا المعنى من اللغة ففي القاموس ناقة نجيب ونجيبة وجمعه نجايب والاولى
ما ذكر فيه ايضا من ان النجيب الكريم والجمع نجبا والمنتخب المختار ونجايب القران
افضله هذا وقد اخرج ابن عساكر عن ابن مسعود مرفوعا ان لله تعالى ثلثمائة نفس قلوبهم
على قلب ادم عليه السلام وله اربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام وله سبعة قلوبهم
على قلب ابراهيم عليه السلام وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام وله ثلاثة قلوبهم
على قلب ميكائيل عليه السلام وله واحد قلبه على قلب اسرافيل عليه السلام كلما مات الواحد
ابدل الله مكانه من الثلاثة وكلما مات واحد من الثلاثة ابدل الله مكانه من الخمسة وكلما
مات من الخمسة واحد ابدل الله مكانه من السبعة وكلما مات واحد من السبعة ابدل الله
مكانه من الاربعين وكلما مات واحد من الاربعين ابدل الله مكانه من الثلثمائة وكلما مات
واحد من الثلثمائة ابدل الله مكانه من العامة بهم يدفع الله تعالى عن هذه الامة
انتهى فارجوا من الله تعالى وحسن فضله وكرمه وعموم جوده انه اذا وقع محلولا
من هذه المناصب العلية يجعلني منصوبا على طريق البدلية ولو من مرتبة العامة الى اعلى
مرتبة الخاتمة ويتم علي هذه النعمة مع الزيادة الى حسن الخاتمة في الحديث دلالة على ما ذكرناه
من الاحتمال ان يكون الابدال لا يكون من خواص الابدال بل يعم الرجال من ارباب الاحوال
وفيه تنبيه نبيه على انه لم يذكر ان احدا يكون على قلب النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم يخلق
الله تعالى الخلق والامر اشرف والطف من قلبه الاكرم صلى الله عليه وسلم وفيه ايضا ما
يشعر بطائفة بتفضيل خواص الملك على خواص البشر وكذا تفضيل اسرافيل وميكائيل على جبريل
والجمهور على خلاف ذلك والله اعلم هذا وقال العارف الصمداني الشيخ علاء الدولة السمناني
في العروة الوثقى ان الابدال من بدلاء السبعة كما اخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم تعالى
هو من السبعة وسيدهم اقول لا بد من ثبوت هذا من ثقات وسندهم قال وكان
القطب في زمان النبي صلى الله عليه وسلم عما وليس القرني وعصام يحتمل ان يقول لاني لاجد
نفس الرحمن من قبل اليمن وهو مظهر خاص للتجلي الرحمانية كما كان النبي صلى الله عليه وسلم
مظهرا خاصا للتجلي الالهي المخصوص باسم الذات وبقوا لله قلت هذا يفيد موبدا لما سبق
من ان احدا لم يكن ركنه صلى الله عليه وسلم في مقامه الاعظم لكن في كون القطبية لعصام
وهو غير معروف في انه من الصحابة فيما لنا بعيب بخلاف اويس فانه مشهور وقد ورد في

حقه

حقه انه سيد التابعين بعيب اشكالا عظيما فانه كيف يكون له القطبية الكبرى مع وجود الخلفا الاربعة
وبقية بقية فضلا الصحابة الذين هم افضل الناس بعد الانبيا بالاجماع وايضا فقد نقل لنا يافعي
رحمه الله وقد شرنا احوال الاقطاب وهو الغوث من العامة وانما منه غيبة من الحق عليه
لكي اقول الظاهر ان هذا غالبي لثبوت القطبية السيد عبد القادر بلا نزاع ثم اعلم ان كثيرا من الناس
ادعوا انه المهدي فمنهم من اراد المعنى اللغوي فلا اشكال ومنهم من ادعى بطلان وزورا واتبع
عليه جمع من الاوباش واراد الفساد في البلاد فقتل واستراح منه العباد ومنهم من راي في
واقعة الحال فجعلها شبهة في الاثبات وكان حقه ان يحملها على الالتباس لئلا يحصل الاختلال
وهو ربيس النور بخشية احد مشايخ الكبر وية وقد ظهر في البلاد الهندية جماعة تسمى
المهدوية ولهم رياضات جلية وكمالات سفلية وجهالات ظاهرية من جملتها انهم يعتقدون
ان المهدي الموعود هو شيخهم الذي ظهر ومات ودفن في بعض بلاد خراسان ولكن يظهر
عيسى مهدي في الوجود ومن ضلالتهم انهم يعتقدون ان من لم يكن على هذه العقيدة فهو
كافر وقد جمع شيخنا العارف بالله الولي الشيخ علي المتقي رسالة منه في علامات المهدي
منتخبة من رسايل السيوطي واستفتى من علما عصره الموجودين في مكة من المذاهب
الاربعة وقد افتوا بوجوب قتلهم على من يقدر من ولاة الامر عليهم وكذلك معتقد الطائفة
الشيعة من الامامية ان المهدي الموعود هو محمد بن حسن العسكري وانه لم يمت ثم هو مختف
عن اعين الناس من العوام والاعيان وانه امام الزمان وانه سيظهر في وقته ويحكم في
دولته وهو مردود عند اهل السنة والجماعة والادلة مسطورة في الكتب الكلامية وقد
صرح في العروة الوثقى بان محمد بن الحسن العسكري اذا اختفى دخل في دائرة الابدال ثم دخل
في دائرة الابطال يعني دائرة الاربعين وبقي فيهم حتى لم يبق احد فصار سيد الابطال ثم دخل في
دائرة السياح وهم السبعة وبقي فيهم حتى لم يبق منهم احد فصار سيد السياح ثم دخل في
دائرة الاوتاد وهم الخمسة وبقي فيهم حتى لم يبق منهم احد فصار سيد الاوتاد ثم دخل في دائرة
الافراد وهم الثلاثة وبقي فيهم حتى لم يبق احد منهم فصار سيد الافراد ثم جلس في الاربعة
القطبية بعد ان توفي الله علي بن الحسين البغدادي القطب اليه وانه دفن في بغداد
في الشونيزية بروح وريحان وبقي في المرتبة القطبية تسع عشرة سنة ثم توفاه الله اليه
بروح وريحان انتهى وقد نقل مولانا عبد الرحمن الجامي قدس الله سره السامي هذا
عنه في بعض كتبه واعتمد عليه في اعتقاده لكن لا يخفى ان الشيخ علاء الدولة ظهر بعد محمد
ابن العسكري بزمان كثير ولم يشهد هذا القول لاحد كان في ذلك الوقت والظاهر
انه يدعي هذا على طريق الكشف وكذا لا يمكن من غيره ايضا الا كذلك ولا يخفى ان مبنى الاعتقاد
لا يكون الا على الادلة اليقينية ومثل هذا المعنى الذي اساسه على ذلك المبنى لا يصلح
ان يكون من الادلة الظنية وكذا لم يعتبر احد من الفقها جواز العمل في الفروع الفقهية
بما يظهر للصوفية من الامور الكشفية او من الحالات المناسبية ولو كانت منسوبة الى
الحضرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة واكمل التحية لكن الاحاديث الواردة في احوال
المهدي مما جمعه السيوطي وغيره ترد على الشيعة في اعتقادهم انهم لقاسقة واراءهم الكاذبة
بل جعلوا تمام ايمانهم وبناء اسلامهم واركان احكامهم بان محمد بن حسن العسكري هو
الحي القائم المنتظر وهو المهدي الموعود على لسان صاحب المقام المحمود والحوض المورود
وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلاء اي عظيما
يصيب هذه الامة حتى لا يجد الرجل ملجا اي ملاذا يلجا اليه اي يعوذ ويلوذ به من الظلم

سنة

اي بلاء ناشيا من الظلم العام ثم يبعث الله رجلا اي كاملا اتيا دلائلا عاملا وهو المهدي من عترتي
اي اقاربي واهل بيتي اي من اخصهم فيملاها اي الله به اي بسبب وجود ذلك الرجل الارض اي جميعها
وفي نسخة ضعيفة تمكنا بالتانيث مجهولا فالارض مرفوع قسطا وعدلا تمييز من النسبة
كما ملئت اي ملئت ظلما وجورا يرضى عنه ساكن السما اي جنسه من الملائكة وارواح الانبيا
عليهم السلام وساكن الارض اي من المومنين اوحتى الدواب في البر والحيتان في البحر كما سبق
في فضل العلما والجهلا استئناف بيان لكونه لا تدع السما اي لا تترك في زمانه من قطرها شيا
اي من انطارها وامطارها الا صبته اي كبته مدرارا في الغاية المدرار الكثير الدر ومفعال
مما يستوي فيه المذكر والمونث كقولهم امراة معطار ومطفال وهو منصوب على الحال من
السما اي من فاعل صبته ولا تدع الارض من نباتها اي من انواع نباتاتها واصنافها شيا
الا اخرجته اي انبتته واظهرته حتى يتمنى الاحيا بفتح الهمز جمع الحي مرفوع واخطا من
كسر الهمز ونصبه الاموات بالنصب ومن عكس الترتيب لم يصب قال التوربشتي الاحيا
رفع بالفاعلية وفي الكلام حذف اي يتمنون حياة الاموات اوكونهم احيا وانما يتمنون
ليروا ما هم فيه من الخير والامن ويبشروا كونهم فيه ومن زعم فيه الاحيا بالنصب من باب
الانفعال وفاعل التمني الاموات فقد احال يعيش اي المهدي في ذلك اي فيما ذكر من العدل
وانواع الخير سبع سنين رواه نزلك هنا في صلح الامصار والحقوبه رواه الحاكم في مستدركه
وقال صحيح لكن نقل الجزري اذ الذهبي قال اسناده مظلم وعن علي رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج رجلا اي صالح من وراء النهر اي تما وراءه من البلدان
كبخاري وسمرقند ونحوهما يقال له الحارث اسم له وقوله حراث بتشديد الرا صفة له اي زراع
على مقدمته اي مقدمة جيشه رجل يقال له منصور اسم له وصفته وقيل المراد به ابو منصور
الماتريدي وهو امام جليل مشهور وعليه مدار اصول الحنفية في العقايد الحنفية لكن ايراد
الحديث في هذا الباب غير ملايم له ثم مع هذا لا يمنع من الاحتمال والله اعلم بالحال مع
ان عنوان الباب اشراط الساعة وهو اعم من المهدي وغيره ونقل عن خواجه عبد الله السمرقندي
النقشبندي انه قال المنصور هو الخضر ومثل هذا لم يصدر عنه الا بنقل قال لا وكشف حال
يوطي اي سيقرر ويثبت الامر واصل التوطين جعل الوطن لاحد او يمكن شك من الراوي
ومنه قوله تعالى الذين ان مكناهم في الارض اي يهيي الواو اي يهيي الاسباب باموال وخزاينه
وسلاحه ويمكن امر الخلافة ويقويها ويساعدها بعسكره لال محمد اي لذريته واهل بيته عموما
وللمهدي خصوصا ادالا وقال منهم والمعنى لمحمد المهدي كما مكنت قريش اي كتمكينهم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والمراد من امن منهم ودخل في التمكين ابوطالب ايضا وان لم يومن
عند اهل السنة وقال الطيبي قوله لال محمد اي في الارض كقوله تعالى مكناهم في الارض ما لم
نمكن لكم اي جعلنا له في الارض مكانا واما مكنته في الارض فاثبته فيها ومعناه جعلهم في الارض
ذو بسطة في الاموال ونصرهم على الاعدا واراد بقوله كما مكنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قريش اخرهم فا ذريب وان اخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم اولا من مكة لكن نقباؤهم
واولادهم اسلموا ومكنوا محمدا صلى الله عليه وسلم وامضى به في حياته وبعد مماته انتهى ولا يخفى
ان المراد بالتمكين في الاية غير التمكين في الحديث مع ان المراد من تمكين المشبه تمكينه في اول
امره فلا يعتبر جعل المشبه به في اخر امره ثم قوله اخرجوا النبي على ظاهره الموهم لاهانته صلى
الله عليه وسلم ولذا قيد بعضهم اطلق هذا القول وقيل انهم تسببوا فوقه من قرينة
التي اخرجتك على حذف المضاف واجرا احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التشبيه

على ما صرح

على ما صرح به البيضاوي وغيره وجب على كل مومن نصره اي نصر الحارث وهو الظاهر او نصر المنصور
وهو الابلغ او نصر من ذكر منهما اذ نصر المهدي بقرينة المقام اذ وجود نصرهم في اهل بلادهما
ومن يمراد به لكونهما من انصار المهدي او قال اجابته شك من الراوي والمعنى قبول دعوته
والقيام بنصرته رواه ابو داود وفي باب المهدي بنا على المعنى المتبادر والمقام عند من
الذي الظاهر قال النسيد وفيه انقطاع وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع اي سباع
الوحش كالاسد وسباع الطير كالبازي ولا منع من الجمع الانس اي جنس الانسان
من المومن والكافر وحتى تكلم الرجل في تقديم المعمول هذا تفنن في العبارة وبيان جواز
في الامرين مع انه يجب تاخير الفاعل في مثل هذا الحال عذبة سوطه بفتح المهملة
والذال المعجمة اي طرفه على ما في القاموس وغيره وقال شارح الحراس سوطه وهي قد تكون
في طرفه سياق به الفرس من عذب الما اذا طاب وساغ في الحلق اذ بها يطيب سير الفرس
ويستريح راكبه ويندفع العذاب اذ بها جلد الفرس ويجذب فيرتاح ويذهب بها اهله
بعده وشراك نعله ويخبره فخذه بما احدث به اهله بعده رواه الترمذي وكذا الحاكم
وصححه انتهى والله اعلم

الفصل الثالث

عن ابي قتادة رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات اي ايات الساعة وعلامات القيامة تظهر
باعتبار ابتدائها ظهورا كاملا بعد المائتين اي من الهجرة او من دولة الاسلام او من وفاة النبي
صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون اللام في المائتين للعهد اي بعد المائتين بعد الالف وهو
وقت ظهور المهدي وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وتتابع الايات من طلوع
الشمس من مغربها وخروج دابة الارض وظهور ياجوج وماجوج وامثالها قال الطيبي الايات
بعد المائتين مبتدا وخبر اي تتابع الايات وظهور اشراط الساعة على التتابع والتوالي بعد
المائتين ويؤيده قوله في الحديث السابق وايات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع والظاهر
اعتبار المائتين بعد الالف انتهى ولا يخفى عدم ظهوره على ذوي النهى رواه ابن ماجه وكذا
الحاكم في مستدركه وعن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رايتم المقصود منه الخطاب العام اي اذا ابصرتم الرايات اي الاعلام السود جمع الاسود
اسود كناية عن كثرة عساكر المسلمين من قبل خراسان الظاهر انهم عساكر الحارث والمنصور
فاتوها اي فاتوا الرايات واستقبلوا اهلها واقتلوا امرا منهم فان فيها خليفة الله المهدي
اي لنصرته واجابته فلا ينافي انه ابتدا ظهور المهدي انما يكون في الحرمين الشريفين ثم ظاهر
على جواز ان يقال فلان خليفة الله اذا كان على طريق وسبيل العدل وقد سبق منعه
لكنه مؤول بان المراد منه انه منصوب من الله خليفة لا نيابة عنه فيصح ان يكون المنصوب
هو المنصوب ونظيره قوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله رواه احمد اي في
مسنده والبيهقي في دلايل النبوة وكذا الحاكم في مستدركه وعن ابي اسحاق الظاهر ان المراد
به ابو اسحاق السبيعي الهمداني الكوفي قال المؤلف راى عليا وابن عباس وغيرهما من
الصحابة وسمع البراء بن عازب وزيد بن ارقم روى عنه الاعمش وشعبة والثوري وهو
تابعي مشهور كثير الرواية ولد لسنتين من خلافة عثمان ومات سنة تسع وعشرين ومائة
قال قال علي اي موقوفا ونظر الى ابنه الحسن الجملة حال معترضة بين القول ومقوله
وبيانه بقوله قال ان ابني هذا لا تاكيدا للمبالغة او لتوهم الاطالة ان ابني هذا اشارة الى تخصيص الحسن
لئلا يتوهم ان المراد هو الحسين والجنس سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي

الفصل الثالث عن ابي قتادة

بقوله في ما سيأتي في المناقب ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين
المسلمين (وسيخرج من صلبه) اي من ذريته (رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق) بضم الخاء
واللام ويسكن (ولا يشبهه في الخلق) اي في جميعه اذ سبق بعض نعته الموافق لخلقه صلى
الله عليه وسلم (ثم ذكر قصة يملأ الارض عدلا) بالاففه وقوله فهذا الحديث دليل صريح
على ما قدمناه من ان المهدي من اولاد الحسن ويكون له انتساب من جهة الام الى الحسين
جمعا بين الادلة وبه يبطل قول الشيعة ان المهدي هو محمد بن الحسن العسكري القائم
المنتظر فانه حسيني بالاتفاق لا يقال لعل عليا اراد به غير المهدي فانا نقول يبطله
قصة يملأ الارض عدلا اذ لا يعرف في السادات الحسينية والحسنية من ملأ الارض
عدلا الا ما ثبت في حق المهدي الموعود (رواه ابو داود ولم يذكر القصة) هذا ايضا ولم
يذكر القصة كلام جامع الاصول نقله عنه صاحب المشكوة وهذا معنى كلام الطيبي قوله
لم يذكر القصة التعريف فيه للعهد وهذا كلام جامع الاصول وليس في سنن ابي داود ه
(ثم اعلم) ان حديث لا مهدي الا عيسى بن مريم ضعيف باتفاق المحدثين كما صرح به
الجزري على انه من باب لا فتى الا علي قال القرطبي الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم في
التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة اصح من هذا الحديث فالحكم
لها دونه قال وعلى هذا ان يكون معناه لا مهدي كاملا معصوما الا عيسى انتهى واخرج الدارقطني
في سننه عن محمد بن علي قال ان لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق الله السموات والارض ينكسف
القمر لاول ليلة من رمضان وينكسف الشمس في النصف منه كذا في العرف الوردي في
اخبار المهدي للجلال السيوطي (وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قل الجراد) اي عدم
(في سنة) اي عام (من سني عمر) اي من ايام خلافته (التي توفي فيها) صفة لسنة (فاهتم) اي اغتم
(عمر بذلك) اي بفقده (هما شديدا) اي خوفا من هلاك سائر الامم لما سيأتي (فبعث الى اليمن راكب
وراكب الى العراق) وهو المشرق تفنن في العبارة (وراكب الى الشام) ولعل عدم بعثه الى المغرب
لبعده او لفضله بالجراد او لقلة وجوده غالبا في ذلك القطر (يسأل) اي عمر وكل من الركبان
بتفحص (عن الجراد) وقوله (هل اري) روي مجهولا ومعلوما اي يبعث فيسأل هل اري منه اي
من الجراد (شيئا) اي من اثرها وخبرها وهو تميز (فاتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة)
بفتح القاف والضاد المعجمة اي مقبوضة من الجراد (فنثرها بين يديه فلما رآها كبر) عمر
اي فرحا لما سيأتي (وقال) اي عمر (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
عز وجل خلق الف امة) المراد كل جنس من اجناس الدواب كما في قوله تعالى وما من دابة في
الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم (ستمائة) بالرفع منها اي من الالف (في البحر
واربعمائة في البر) وفي نسخة بالنصب في ستمائة واربعمائة على البدلية من الف امة (فان اول
هلاك هذه الامم) اشارة الى قوله الف امة فالمراد به الجنس (الجراد) وفي رواية ان اول هذه
الامة بدون لفظ الهلاك فيقدر هلاكا والمراد ان اول هذه الامم خلقا الجراد ويجوز ان يكون
المراد بهذه الامة امته صلى الله عليه وسلم (فاذا هلك الجراد تتابعت الامم) اي في الهلاك
(كنظام السلك) اي كتتابع خرز منظوم الخيط في التناثر اذا انقطع السلك او كتتابع وجود
الخرز في حال نظام السلك لان المقصود من التشبيه هو التوالي وهو حاصل في الصورتين
لكن الاول ابلغ والحاصل ملاحظة وجه الشبه في الهلاك (رواه البيهقي في شعب الايمان) انتهى

باب علامات بين يدي الساعة وذكر الدجال

وفي نسخة باب علامات وقوله بين يدي الساعة اي قدامها واصله ان يستعمل في مكان يقابل

صدر

صدر الشخص بما بين يديه ثم نقل الى الزمان ثم قوله وذكر الدجال من باب التخصيص بعد التعميم
والعموم دجلا اذا ساح في الارض يقال دجل فلان الحق اذا غطاه وفي النهاية اصل الدجل الخلط
يقال دجل اذا لبس وموه والدجال فعال من ابنية المبالغة اي يكثر منه الكذب والتلبيس
وهو الذي يظهر في اخر الزمان يدعي الالهية

الفصل الاول

(عن حذيفة بن اسيد رضي الله عنه) بفتح الهمزة وكسر السين المهملة ذكره ابن الملك ولم يذكره المؤلف في اسمائه
(الغفاري) بكسر الغين المعجمة نسبة الى قبيلة منهم ابو ذر (قال اطلع) بتشديد الطاء اي اشرف
(النبي صلى الله عليه وسلم علينا) اي وشرفنا بطلعة وجهه المشتمل على الحدقتين الغالبة نورهما
على طلوع القمرين حيث يستفاد منه ضياء الدارين (ونحن نتذاكر) اي فيما بيننا فقال (ما تذكرون) اي بعضكم
مع بعض (قالوا) وفي نسخة فقلنا (نذكر الساعة) اي امر القيامة واحتمال قيامها في كل ساعة (قال
انها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات) اي علامات (فذكر) اي النبي صلى الله عليه وسلم بيانا للعشر
(الدخان) قال الطيبي هو الذي ذكر في قوله تعالى يوم تأتي السماء بدخان مبين وذلك كان في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده ما قال ابن مسعود هو عبارة عما اصاب قريشا من القحط
حتى يريا الهواء لهم كالدخان لكن قال حذيفة هو على حقيقته لانه صلى الله عليه وسلم سئل عنه
فقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة والمؤمن يصير كالزكام والكافر
كالسكران فقوله يصير كالزكام اي كصاحبه او مصدر بمعنى المفعول اي كالمزكوم او هو من باب
المبالغة كرجل عدل (والدجال والدابة) وهي المذكورة في قوله تعالى اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم
(وطلوع الشمس من مغربها) قيل للدابة ثلاث خرجات ايام المهدي ثم ايام عيسى ثم بعد طلوع الشمس
من مغربها ذكره ابن الملك (ونزول عيسى بن مريم) اي المنضم الى ظهور المهدي الاعظم بخروج باب
الاكتفاء وقد روى الطبراني عن اوس بن اوس مرفوعا ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي
دمشق وروى الترمذي عن مجمع بن جارية مرفوعا يقتل ابن مريم الدجال بباب لد وفي النهاية
هو موضع بالشام وقيل بفلسطين كذا في شرح الترمذي للسيوطي وفي القاموس لد بالضم
قرية بفلسطين يقتل عيسى عليه السلام الدجال عند بابها هذا وقد قيل ان اول الآيات الدخان
ثم خروج الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم خروج ياجوج وماجوج ثم خروج الدابة ثم طلوع الشمس
من مغربها فان الكفار يسلمون في زمن عيسى عليه السلام حتى تكون الدعوة واحدة ولو كانت الشمس
طلعت من مغربها قبل خروج الدجال ونزوله لم يكن الايمان مقبولا من الكفار فالواو لمطلق الجمع فلا يرد
ان نزوله قبل طلوعها ولا ما سيأتي من ان طلوع الشمس اول الآيات (ويأجوج ومأجوج) بالهمز
فيهما وبدونه اي خروجهما (وثلاثة خسوف) قال ابن الملك قد وجد الخسف في مواضع لكن يحتمل ان
يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدرا زائدا على ما وجد كان يكون اعظم مكانا وقدرا (خسف
بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب) بالرفع في الثلاثة على تقدير احدها او
منها ولو روي بالجر لكان له وجه من البدلية (وآخر ذلك) اي ما ذكر من الآيات (نار تخرج من اليمن)
وفي رواية تخرج من ارض الحجاز قال القاضي عياض لعلهما ناران تجتمعان تحشران الناس او يكون
ابتداء خروجها من اليمن وظهورها من الحجاز ذكره القرطبي ثم الجمع بينه وبين ما في البخاري ان
اول اشراط الساعة نار تحشرهم من المشرق الى المغرب بان آخريتها باعتبار ما ذكر من الآيات واوليتها
باعتبار انها اول الآيات التي لا شيء بعدها من امور الدنيا اصلا بل يقع بانتهائها النفخ في الصور
بخلاف ما ذكر معها فانه يبقى مع كل آية منها اشياء من امور الدنيا كذا ذكره بعض المحققين من العلماء
الموفقين (تطرد) اي تسوق تلك النار (الناس الى محشرهم) بفتح الشين ويكسر اي الى جمعهم وموقفهم
قيل المراد من المحشر ارض الشام لكن الظاهر ان المراد ان يكون مبتدأ منها او محيطا بها وسعة

نقيم

يبيح خلق العالم فيها وفي رواية اي لمسلم او للغير نار تخرج من قعر عدن اي اقصى ارضها وهو غير منصرف
وقيل منصرف باعتبار البقعة والموضع في المشارق عدن مدينة مشهورة باليمن وفي القاموس
عدن محركة جزيرة باليمن تسوق اي تطرد الناس الى المحشر وفي رواية في العاشرة اي في
بيانها وبدلها وذكر فيها من النار وريح تلقي الناس في البحر ولعل الجمع بينهما ان المراد بالناس
الكفار وان نارهم تكون مضمنة في ريح شديدة الجري سريعة التاثير في القائها اياهم في البحر وهو
موضع حشر الكفار او مستقر الفجار كما ورد ان البحر يصير نارا ومنه قوله تعالى واذا البحار سجرت
بخلاف نار المؤمنين فانها لمجرد التخويف بمنزلة المسوطة لهم في تحصيل السوق للمحشر والموقف
الاعظم والله اعلم رواه مسلم وكذا ابو داود والترمذي والنسائي وعن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا اي اسرعوا وسابقوا بالاعمال اي
الصالحة النافعة في الاخرة ستا اي ست ايات اي علامات لوجود الساعة اذ يعسر العمل
ويصعب فيها بعدها او لم يقبل ولم يعتبر بعد تحققها الدخان والدجال ودابة الارض وطلوع
الشمس من مغربها وامر العامة اي الفتنة التي تعم الناس او الامر الذي يستبد به العوام
ويكون من قبلهم دون الخواص من تامير الامارة وخويصة احدكم بضم وفتح وسكون وتشديد
وهو تصغير خاصة اي الواقعة التي تختص احدكم بذاته يريد الموت وقيل هي ما يختص به الانسان
من الشواغل المتعلقة في نفسه وما له وما يهتم به وصغرت لاستصغارها في جنب ساير
الحوادث من البعث والحساب وغير ذلك ويؤيد ما ذكرناه بحسب ما حررناه ما قاله شارح
يعني ما ذكرناه ان قبل ظهور الايات الست المذكورة في الحديث لان ظهورها يوجب عدم
قبول ايمان الناس لكونها ملجئة الى الايمان فلا ثواب للمكلف عند الالجاء فاذا انقطع الثواب
انقطع التكليف وقال القاضي امرهم ان يبادروا بالاعمال قبل نزول هذه الايات فانها اذا نزلت
دهشتهم وشغلتهم عن الاعمال او سد عليهم باب التوبة وقبول الاعمال وفي الفايق معنى مبادرة
الست بالاعمال الانكماش في الاعمال الصالحة والاهتمام بها قبل وقوعها وتانيث الست لانها دواه
ومصايب رواه مسلم وكذا احمد في مسنده وعن عبد الله بن عمرو بالواو قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها قال الطيبي
فان قيل طلوع الشمس من مغربها ليس اول الايات لان الدخان والدجال قبله قلنا
الايات اما امارات لقرب قيامها واما امارات دالة على وجود قيام الساعة وحصولها ومن
الاول الدخان وخروج الدجال ونحوه ومن الثاني ما نحن فيه من طلوع الشمس من مغربها والرجفة
وخروج النار وطردها الناس الى المحشر وانما سمي اولا لانه مبتدا القسم الثاني ويؤيده حديث
ابي هريرة بعده لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها وخروج الدابة وهو بالرفع عطف
على طلوع الشمس وهو خبر اول قيل يلزم ان يكون الاول متعددا ولهذا قال ابن الملك ولعل
الواو بمعنى او ويؤيده ما في رواية او خروج الدابة على الناس ضحى بالتنوين اي وقت ارتفاع
النهار ثم الظاهر ان نسبة الاولية الحقيقية اليهما مبهمة وانها بالنسبة الى احدهما مجازية
وكذا قال راويها ولفظ الجامع فايتهما بالفاء والتانيث ما كانت ما زايدة واي الايتين
المذكورتين وقعت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها بفتحتين وبكسر فسكون اي تحصل
عقبها قريبا اي حصولا او وقوعا قريبا وقد تقدم ما يتعلق بتحقيق الترتيب بينهما وقال
ابن الملك ان قيل كل منهما ليس اول الايات لان بعض الايات وقع قبلها تلك الايات
امارات دالة على قربها فانها بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم او امارات متواترة دالة
على وقوعها قريبا وهي المراد هنا واما حديث ان اولها خروج الدجال فلا صحة له كذا في جامع

الاصول

الاصول رواه مسلم وكذا احمد وابو داود وابن ماجه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اي ايات اذا خرجن فيه تغليب او معناه ظهرن والمراد
هذه الثلاث باسرها لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا طلوع
الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض وتقدم الطلوع وان كان متاخرا في الوقوع لانه مدار
عدم قبول التوبة عليه وانضم خروج غيره اليه رواه مسلم وكذا الترمذي وعن ابي ذر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غربت الشمس اتدري اين تذهب هذه اي الشمس
والاستفهام للتعظيم قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش قال
بعض المحققين لا يخالف هذا قوله تعالى وجدها تغرب في عين حمئة فان المراد بها نهاية مدرك
البصر وسجودها تحت العرش انما هو بعد الغروب وفي الحديث رد على من زعم ان المراد بمستقرها
غاية ما ينتهي اليه في الارتفاع وذلك يوم في السنة الى منتهى امرها عند انتهاء الدنيا قال الخطابي
يحتمل ان يراد بذلك انها تستقر استقرارا علمنا لا يحيط به فتستاذن بالرفع في اكثر النسخ
وبعض النسخ المصححة وكذا قوله فيؤذن لها ويوشك ان تسجد ولا يقبل بالتذكير اي
السجود والظرف نايب الفاعل ويؤنث اي السجدة منها اي من الشمس وهو مرفوع وقيل
منصوب وكذا قوله وتستاذن فلا يؤذن لها ويقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من
مغربها فذلك قوله والشمس تجري قال وقوله لمستقرها قال الخطابي عن بعض اهل التفسير
معناه ان الشمس تجري لاجل قدر لها يعني الى انقطاع مدة بقاء هذا العالم وقال بعضهم مستقرها
غاية ما ينتهي اليه في صعودها وارتفاعها لاطول يوم من الصيف ثم تاخذ في النزول الى اقصى
مشارق الشتاء لاقصر يوم في السنة واما قوله مستقرها تحت العرش فلا ينكر ان يكون
لها استقرار تحت العرش من حيث لا ندركه ولا نشاهده وانما اخبر عن غيب فلا نكذبه ولا نكيفه
لان علمنا لا يحيط به ذكره الطيبي متفق عليه رواه الترمذي والنسائي وعن عمران بن
حصين قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق ادم الى قيام الساعة
الزمانية والمعنى ليس فيما بينهما فتنة اكبر اي اعظم من الدجال لعظم فتنته وبليته
وشدة تلبيسه ومحنته رواه مسلم وفي الجامع رواه احمد ومسلم عن هشام بن عامر
فلينظر في الاصول لتحقيق النقول وعن عبد الله اي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يخفى عليكم اي بالنظر الى نعوته
الثبوتية وصفاته السلبية وتنزهه عن العيوب والنقائص من الحدوث والزمانية
والمكانية فالجملة توطية لقوله ان الله ليس باعور ومنه ما لا يقتصر فالمراد به نفي
النقص والعيب لا اثبات الجارحة بصفة الكمال قال الطيبي هو للتنزيه كما وسط سبحانه
في قوله ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وان المسيح بمهملتين هو
المعروف وتقول بمعنى فاعل لانه يمسح الارض جميعا بسرعة او بمعنى مفعول لانه ممسوح
احدى العين قال السيوطي نقلا عن ابي بكر العربي ان من شدد سينه واعجم خاءه فقد حرف وقيل
وهو لقب مشترك بينه وبين عيسى بن مريم عليه السلام لكنه يطلق عليه بمعنى الماسح لحصول
البرء ببركة مسحه وبمعنى الممسوح لنزوله نظيفا من نطافة وفي القاموس المسيح عيسى
عليه السلام لبركته وذكرت في اشتقاقه خمسين قولا في شرحي لمشارق الانوار وغيره
والدجال شومه وهو كسكين والممسوح بالشوم والكثير السياحة كالمسيح كسكين
والممسوح الوجه والكذاب الدجال تقدم معناه اعور عينه اليمنى من باب اضافة الموصوف
الى الصفة ومن لم يجوزه كالطيبي قال اي عين الجهة اليمنى كان يتشدد للقول عينه اي

العور او الاخرى عنبة اي شبيهة بها فهو تشبيه بليغ طافية بالياء وبهمز اي مرتفعة قال التوربشتي رويناه بالياء من غير همز وقد ورد بهمزة تركه وكلاهما صحيح قال الطيبي وهي الناتئة عن اخواتها من الطفو وهو ان يعلوا الشيء على الماء ومنه الطافي من السمك ولا تناقض بين هذه الرواية وبين ما روي انها ليست بناتئة ولا جحراء اي لا طافية مرتفعة ولا غائرة منخفضة لامكان اجتماع الوصفين باختلاف العينين وقال ابن الملك في شرح المشارق طافية بالهمز اي ذهب ضوؤها وروي بغير الهمز اي ناتئة بارزة قال التوربشتي والاحاديث التي وردت في وصف الدجال وما يكون منه كلمات متفرقة يشكل التوفيق بينهما ونحن نسأل الله التوفيق في التوفيق بينهما وسنبين كلا منهما في حديثه في الحديث الذي ذكرنا او نتعلق به ففي هذا الحديث انها طافية وفي اخرى انه جاحظ العين كانها كوكب وفي اخرى انها ليست بناتئة ولا جحراء والسبيل في التوفيق بينهما ان نقول انما اختلف الوصفان بحسب اختلاف العينين ويؤيد ذلك ما في حديث ابن عمر هذا انه اعور عين اليمنى وفي حديث حذيفة انه ممسوح العين عليها ظفرة غليظة وفي حديث ايضا انه اعور عين اليسرى ووجه الجمع بين هذه الاوصاف المتنافرة ان يقدر فيها ان احدى عينيه ذاهبة والاخرى معيبة فيصح ان يقال لكل واحدة عوراء اذ الاصل في العور العيب وذكر نحوه الشيخ محيي الدين كذا ذكره في شرح الطيبي متفق عليه وعن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد انذر امته الاعور الكذاب اي خوفهم ولا يشكل هذا بما ثبت انه يقتله عيسى بعد ان ينزل ويحكم بالشريعة المحمدية لان تعيين وقت خروجه غير معلوم لهم حين انذروا قومهم وايضا يحمل على هذا ما في بعض طرقه ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه على ما سيأتي فان ذلك كان قبل ان يتبين له وقت خروجه فاخبر به على انه يحتمل ان الابهام انما وقع بسبب ان العلامات قد يكون وجودها معلقا بشرط فاذا فقد يتصور خروجه بعدم ظهورها ونظيره خوف الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين مع تحقق عصمتهم وثبوت امنهم من العذاب المهين وكذلك خشية العشرة المبشرة بالجنة على لسان سيد المرسلين او لانه لا يجب على الله تعالى شيء اذ افعاله لا تعلل والاسباب لا تغير وجودنا ولا تاثيرها انما يعد حصولها ولعل هذا هو الوجه في السر المبهم حتى ظهر على لسان صاحب الدين لا اقوم الله سبحانه وتعالى اعلم او يقال ان المراد بالدجال كل من يدعي الالوهية من الرجال كفرعون وشداد ونمرود ونحوهم من الابطال ولا يخلو كل منهم من نقصان العدد سواء ما يظهر فيه او ظهر عند اهل النظر لكن اذا جاء القدر عمي البصر وبطل الحذر ويكون الدجال الموعود اشد فتنة وابين على العالم ظهورا وكبرياء ربي وعظمته اكبر من ان يعرف كنهه او يقدر ومظاهر تجلياته الجمالية والجلالية اكثر من ان يحصى ويحصر وقد قال الشيخ ابو مدين المغربي لا تنكر الباطل في طوره فانه بعض ظهوراته فينبغي للسالك ان يقول دائما بعد امتثال الاوامر واجتناب النواهي اللهم ارنا الاشياء كما هي وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه وارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه الا للتنبيه انه اي الدجال اعور اي وهو الغالب ان يكون طالبا للشر وان ربكم ليس باعور اي بمنزه ان يكون ناقصا ومعيبا في ذاته وصفاته وهو الكلام منه عليه السلام من باب التنزل الى عقل العوام وفهومهم كما ورد كلموا الناس على قدر عقولهم ونظيره ما في التنزيل ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها والمعنى ان الاصنام مع كمال عجزها ونقصانها نهي بالنسبة الى العابدين لا يصلح ان يكون في مرتبة المعبودية ولبيس الفضل انهن لو فرض ان يكون هذه الاعضاء ثابتة لهن لكان يجوز ان يعبد وقدرويان ابراهيم عليه السلام قال لامه من ربي فقالت انا فقال من ربك قالت ابوك فقال من ربه فالت نمرود فقال من ربه قالت هو الرب الاكبر لا تذكره الاكبر فقال لامه ان كان الامر كذلك فلاي شيء صورته قبيحة وصورته غلمانه مليحة وخلاصة الكلام انه عليه السلام جعل ذلك العيب الاكبر والنقصان الاظهر علامة كذبه وكفره لئلا يبقى للناس عذر في تزويره وتلبيسه ومكره مع ان الدلائل العقلية والبراهين النقلية تشهد على ان الجسم لا يكون الها وان الحادث المعيوب لا يصح ان يكون معبودا مكتوب بين عينيه ك ف ر بينه اشارة الى انه داع الى الكفر لا الى الرشد فيجب اجتنابه وهذه نعمة عظيمة من الله في حق هذه الامة حيث ظهر رقم الكفر بين عينيه قال الطيبي ولعل المراد بالتصبر انه لا يتوهم فيه السة خنثر حيث المعنى قال النووي هو بيان علامة تدل على كونه جسما او غير ذلك من الدلائل القطعية لكون بعض العقول لا يهتدي اليها متفق عليه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا للتنبيه احدثكم حديثا عن الدجال ما حدث اي حديثا لم يحدث به نبي قومه ويمكن ان يكون الهمزة للاستفهام ولا للنفي وبلى مقدرة محذوفة ادبار رحوا بهم بقوله انه اعور اي مصور بصورة كريهة ظاهرة ومزور بسبب تمويهه باهرة على طريقة الطائفة السحرة وهذا معنى قوله وانه اي الشان يجيء معه بمثال الجنة وفي رواية بمثال الجنة والنار الباء للتعدية والمعنى انه يأتي بصورتهما معه في نظر الناس ثم يقلب الله حقيقتهما في حق المؤمنين او الباء زائدة اي تسير معه مثلهما ويجب له شكلهما ويؤيده ما في رواية يجيء معه تمثال بكسر المثناة الفوقية بدل الباء اي صورتهما فالتي اي فالصورة التي يقول انها الجنة اي ويظهر بادي الراي انها النعمة هي النار اي ذات النقمة والظاهر ان هذا من باب الاكتفاء ويدل عليه الحديث بلفظ فالتقدير والتي يقول انها النار هي الجنة ونظيره الدنيا في نظر العارفين مع ان نعمتها نقمة ونقمتها نعمة ومحنها منحة ومنحها محنة وحسنها وقبحها مختلفة كالنيل ماء للمحبوبين ودما للمحجوبين وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قال الشارح يعني من دخل جنته استحق النار لانه صدقه فاطلق اسم السبب على المسبب اقول وكذا من لم يطعه ورماه في النار استحق دخول الجنة لانه كذبه لكن الاظهر انهما ينقلبان وينعكسان بالنعت عليهما كما ورد في القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران ومنه قوله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وكذا الذنب المكفرة المسماة بالمنجي نفيرجنة للعارفين الواقفين في مقام الرضا كما يشير اليه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان جنة في الدنيا وجنة في العقبى وكذا زهرة الدنيا بالنسبة الى اربابها لعدم حضورهم معه كالسم في الدسم والهم في الدرهم والنار في الدنيا وربما لا يحسون بها كالمجنون او المجروح في حال ابتداء الجراحة وكالمعرض وكذا قيل

سوف ترى اذا انجلى الغبار … افرس تحتك ام حمار

وقضية ولد السلطان حال كونه سكران وعنانه للمنية المعجوز المعطي مشهورة بين اهل العرفان قال النووي هذه الاحاديث حجة لمذهب اهل الحق في صحة وجوده وانه شخص بعينه ابتلى الله به عباده واقدره على اشياء من مقدورات الله تعالى من احياء الميت الذي يقتله وظهور زهرة الدنيا والخصب معه واتباع كنوز الارض له وامر السماء ان تمطر فتمطر والارض ان تنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويقتله عيسى بن مريم ويثبت الله الذين امنوا وقضية عظيمة جدا

نذ هو شر المقبول وتحير الالباب مع سرعة مروره في الارض فلا يمكث بحيث تتامله
الضعفاء دلائل الحدوث والنقص فيصدقه من يصدقه في هذه الحالة ولهذا حذرت الانبياء عليهم
السلام من فتنته ونبهوا على نقصه ودلائل ابطاله واما اهل التوفيق فلا يغترون ولا ينخدعون
بما معه لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله وانى انذركموه كما انذره نوح
قومه فان قلت لم خص نوحا عليه السلام بالذكر قلت لانه عليه السلام مقدم
المشاهير من الانبياء كما خصه بالتقديم في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ذكره الطيبي
وفيه انه انما يتم هذا اذا صح ان من سبقه من الانبياء انذر قومه والا فيترك على حقيقته او لوثبه
ويترك عليه حديث انه لم يكن نبي بعد نوح الا وقد انذر الدجال قومه واما تقديمه في الاية فلكونه
مقدما على سائر اولي العزم من الرسل بحسب الوجود ولذا قدم نبينا صلى الله عليه وسلم
في ابتداء خبر على اولي العزم لكون تقدمه وجودا ورتبة وهي قوله سبحانه واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وحاصله ان
الخمسة هم اولوا العزم من الرسل واجتمع ذكرهم في الايتين المذكورتين والله اعلم
متفق عليه وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدجال
يخرج وان معه ماء اي وما يتولد منه من اسباب النعم بحسب الظاهر المعبر عنه بالجنة فيما
تقدم يرغب اليه من اطاعه ونارا اي ما يكون ظاهره سببا للعذاب والمشقة والالم يخوف
به من عصاه فاما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق واما الذي يراه الناس نارا فماء بارد
وعذب اي عذب يكسر العطش والمعنى ان الله تعالى يجعل ناره ماء باردا وعذبا على من كذبه ولقاه
فيه غيظا كما جعل نار نمرود بردا وسلاما على ابراهيم عليه السلام ويجعل ماءه الذي اعطاه
من صدقه نارا محرقة دائمة ويحتمل ان ما ظهر من فتنته ليس له حقيقة بل تخييل منه وشعبذة
كما يفعله السحرة والمشعبذون مع احتمال ان الله تعالى يقلب ناره وماءه في الحقيقة فانه
على ما يشاء قدير فمن ادرك ذلك اي الدجال وما ذكر من تلبيسه منكم فليقع في الذي
يراه نارا اي فليختر تكذيبه ولا يبالي بان يقع فيما يراه نارا فانه ماء عذب طيب اي في الحقيقة
او بالقلب او بحسب المال والله اعلم بالحال والكلام من باب الاكتفاء فالتقدير ولا يصدقه
مغترا بما يراه معه ماء فانه نار وعذاب وحجاب متفق عليه وزاد مسلم وان الدجال ممسوح العين
اي موضع احدى عينيه ممسوح مثل جبهته ليس له اثر العين قال القاضي اي ممسوح احدى عينيه
لحديث السابق ونظائره عليها اي العين الاخرى بحيث لا تراها لحدقته باسرها لتغطيها ظفرة
بفتحتين اي لحمة غليظة او جلدة او في العين الممسوحة ظفرة مكتوب بين عينيه كافر كما سبق
يقرؤه كل مؤمن كاتب بالجر بدلا من مؤمن وفي نسخة بالرفع بدل بعض من كل وغير كاتب
وفي رواية لمسلم اي له من حديث الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل
مسلم وعنه اي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال اعور العين
اليسرى قد سبق انه اعور العين اليمنى وانه ممسوح احدى عينيه ذاهبة والاخرى معيبة
فيصح ان يقال لكل واحدة عوراء اذ العور في الاصل هو العيب وقيل ان الاعور انما يكون
بالنسبة الى اشخاص متفرقة فقوم يرونه اعور اليسرى وقوم يرونه اعور اليمنى ليدل على
بطلان امره لانه اذا كان لا يرى خلقته كما هي دل على انه ساحر كذاب قال شارح ويحتمل ان يكون
احدهما من سهو الراوي وفي جامع رواية البخاري في رواية عن ابن عمر مرفوعا الدجال
عينه خضراء كالزجاجة والعود متلون بالوان شتى جفال الشعر بضم الجيم اي كثير
الشعر المجتمع كذا في النهاية معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار رواه مسلم

وكذا

وكذا احمد وابن ماجه وعن النواس بتشديد الواو ابن سمعان بكسر السين ويفتح قال ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الدجال اي خروجه وسائر امره وابتلاء الناس به فقال ان يخرج وانا فيكم
اي موجود فيما بينكم فرضا وتقديرا فانا حجيجه فعيل بمعنى الفاعل من الحجة وهي البرهان اي غالب عليه بالحجة
دونكم اي قدامكم ودافعه عنكم وانا امامكم وفيه ارشاد الى انه صلى الله عليه وسلم كان في المحاجة معه غير
محتاج الى معاون من امته في غلبته عليه بالحجة كذا ذكره الطيبي والاظهر انه صلى الله عليه وسلم
يدفعه بنور النبوة ويدفع خارق دجله الباطل بمعجزاته المقرونة بالحق من غير دليل وبرهان لان بطلانه
اظهر من الشمس عند ارباب العرفان وايضا هو من المعصومين في ابطال دعوته ولم يلتفت الى الجدال
واثبات الادلة والا فيجد الله سبحانه من يوجد في الامة من محققي الملة بالحجة لا سيما خاتمة
الاولياء وهو المهدي ورابعة الانبياء وهو عيسى عليه السلام وحاصله انه لا يبقى معه الكلام
لدفعه اما باعلامه مع وجود سيد الانام او بذوبانه وقتله على يد عيسى عليه السلام هذا ما ظهر
لي في المقام والله اعلم بالمرام قال التوربشتي فان قيل اوليس قد ثبت في احاديث الدجال
انه يخرج بعد خروج المهدي وان عيسى عليه السلام يقتله الى غير ذلك من الوقائع الدالة على انه لا يخرج
ونبي الله بين اظهرهم بل لا تراه القرون الاولى من هذه الامة فما وجه قوله ان يخرج وانا فيكم قلت
انما سلك هذا المسلك من التورية لئلا يقع الخوف على المكلفين من فتنته والحالة الله تعالى من شره
لينالوا بذلك من الله ويتحققوا بالشح على دينهم وقال المظهر يحتمل انه لم يظهر له تحقق خروجه والمعنى
لا تشكوا في خروجه فانه سيخرج لا محالة وانه لم يعلم وقت خروجه كما انه كان لا يدري متى الساعة
قال الطيبي والوجه ان يقال من الوجهين هو الصواب لانه يمكن ان يكون قوله هذا قبل علمه صلى الله عليه
وسلم بذلك انتهى كان حقه ان يقول هو الظاهر لئلا ينافيه قوله لانه يمكن اذ مع الامكان
والامكان لا يقال في حق احدهما انه الصواب لاحتمال الخطأ في كل واحد منهما والله اعلم بالصواب
وخلاصة المعنى اني ان كنت فيكم فاكفيكم شره وان خرجه وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج
نفسه بالرفع اي فكل امرئ محاجه ومجادل ومغالبه لنفسه كذا قال الطيبي اي يدفع شره عن
نفسه بما عنده من الحجة كذا قاله ابن الملك لكن هذا في التقدير انه يسمع الحجة والا فالمعنى ان كل احد
يدفع شره عن نفسه بتكذيبه واختيار عدم متابعته والله خليفتي على كل مسلم يعني والله
سبحانه وتعالى ولي كل مسلم وحافظه فيعينه عليه ويدفع شره وهذا دليل على ان المؤمن الموفق
لا يزال منصورا وان لم يكن معه نبي ولا امام ففيه رد على الامامية من الشيعة انه اي الدجال
وهو استئناف بيان لبعض احواله ونبيا ان لبعضها بقيد في دفع شره فقال انه شاب فيه اشعار
بانه غير ابن الصياد او الى انه محروم من بياض الوقار وثابت في اشتداد السواد الى الظاهر الذي
عنوان الباطن من سواد الفؤاد قطط بفتح القاف والطاء وبكسرها قال النووي هو بفتح القاف
والطاء اي شديد جعودة الشعر وفيه ايماء الى استحباب تسريح الشعر لئلا يتشبه بالجهلة
عينه طافية بالياء وبهمز اي مرتفعة كاني اشبهه بتشديد الموحدة اي امثله بعبد العزى بضم
العين وتشديد الزاي ابن قطن بفتحتين وهو يهودي كذا قاله شارح وقال الطيبي قيل انه كان يهوديا
ولعل الظاهر انه مشرك لان العزى اسم صنم ويؤيده ما في بعض الحواشي هو رجل من خزاعة هلك
في الجاهلية ثم قال الطيبي لم يقل كانه عبد العزى لانه لم يكن صلى الله عليه وسلم جازما في تشبيهه به
قلت لا شك في تشبيهه به الا انه لما كان معرفته المشتبهة في عالم الكشف او المنام نعبر
عنه بما يخالف كما هو المعتبر في تعبير حكاية الرويا والله اعلم ويمكن ان يقال انه لم يوجد في الكون
الشيخ منه صورة فلا يتم التشبيه من جميع الوجوه بل من وجه واحد عدل عن صيغة الجزم
عنده بما عرفته ثم في صيغة الحال اشعار باستحضار صورته المثال فمن ادركه منكم فليقرأ عليه

فواتح سورة الكهف أي أوائلها إلى كذبا لأن تلك الآيات في معرفة ذات الله وصفاته وثبوت كتابه
وآياته بتبيانه وصدق رسوله وإثباته بمعجزاته ما يصير خوارق عادات الدجال هباء منثورا إذ تابعه
بدعوى الإلهية كالأسير قاله الطيبي والمعنى أن قراءته أمان له من فتنته كما أمن تلك الفتية من فتنة
دقيانوس الجبار وفي رواية أي لمسلم أيضا فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف فإنها جواركم من
فتنته أي بلية الدجال والجوار بكسر الجيم وفي آخره راء على ما في نسخة السيد والشيخ الجزري وكثير
من النسخ المصححة وفي بعضها بفتح الجيم وزاي في آخره وهو الصك الذي يأخذه المسافر من السلطان
أو نوابه لئلا يتعرض له المترصد في الطريق واقتصر عليه شارح المصابيح وذكر ابن الملك ثم قال
وفي بعض النسخ بكسر الجيم وبالراء المهملة أي حافظكم انتهى وفي بعض شروح البردة الجوار بالكسر الذمم
والكسر أفصح من الإمام هذا والمتبادر من كلام المؤلف أنها رواية لمسلم لكن صرح الجزري في حصنه
بأنها رواية لأبي داود وحديث النواس لكن لفظه من أدرك الدجال فليقرأ عليه فواتحها فإنها جوار له من
فتنته ثم اعلم أنه جاء في الحصن روايات متعددة في هذا المعنى حيث قال من قرأها أي الكهف كما أنزلت
كانت له نورا من مقامه إلى مكة ومن قرأ بعشر آيات من آخرها فخرج الدجال لم يسلط عليه
رواه النسائي والحاكم في مستدركه من حديث أبي سعيد الخدري واللفظ للنسائي وقال
رفعه خطأ والصواب أنه موقوف وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد أيضا واختلف
في رفعه ووقفه ولفظه من قرأ سورة الكهف كانت له نورا يوم القيامة من مقامه إلى مكة ومن قرأ
بعشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يضره وروى مسلم وأبو داود عن أبي الدرداء مرفوعا
من حفظ عشر آيات من أولها عصم من الدجال وفي رواية لأبي داود والنسائي عنه من فتنته
أي الدجال وفي رواية لمسلم وأبي داود وعنه من حفظ عشر آيات وللنسائي عنه من قرأ العشر
الأواخر من الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية للترمذي عنه من قرأ ثلاث آيات من أول
الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية لمسلم والأربعة عن النواس بن سمعان من أدرك
الدجال فليقرأ عليه فواتحها الحديث فقيل وجه الجمع بين الثلاث وبين قوله صلى الله عليه وسلم
من حفظ عشر آيات أن حديث العشر متأخر ومن عمل بالعشر فقد عمل بالثلاث وقيل حديث
الثلاث متأخر ومن عصم بثلاث فلا حاجة إلى العشر وهذا أقرب إلى أحكام النسخ أقول
بمجرد الاحتمال لا يحكم بالنسخ مع أن النسخ إنما يكون في الأحكام لا في الأخبار فالأظهر أن
المدار على حفظ من شرع قراءة الثلاث وحفظها أولى وهو لا ينافي الزيادة كما لا يخفى وقيل حديث العشر
في الحفظ وحديث الثلاث في القراءة فمن حفظ العشر وقرأ الثلاث كفي وعصم من فتنة الدجال
وقيل من حفظ العشر عصم من الفتنة ومن قرأ الثلاث عصم من فتنته إذا لم يلحقه وقيل المراد
من الحفظ القراءة عن ظهر القلب ومن العصمة الحفظ من آفات الدجال والله أعلم بالأحوال
أنه أي الدجال خارج خلة بفتح معجمة وتشديد لام أي طريقا واقعا بين الشام والعراق وأصل
الطريق في الرمل قاله شارح أي سبيلا بينهما ففيه إشارة إلى أنها منصوبة بنزع الخافض
ويؤيده ما في النهاية بين الشام في طريق بينهما قال النووي هكذا هو في نسخ بلادنا خلة بفتح
الخاء المعجمة وتنوين التاء وقال القاضي المشهور فيه حلة بالحاء المهملة ونصب التاء يعني غير
منونة ومعناه سمت ذلك وقبالته قلت المناسب أن تكون هي الحلة في ناحية دجلة
من بغداد اهـ وهي شرقي البلاد من العباد وقال ورواه بعضهم حله بضم اللام وهاء الضمير
أي نزوله وحلوله قال وكذا ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين أيضا ببلادنا فعاث
بعين مهملة وثاء مثلثة من العيث وهو أشد الفساد والإسراع فيه وحكي القاضي
أنه رواه بعضهم فعاث على صيغة اسم الفاعل قال الأشرف فيدل القرائن فيه فعاث صيغة اسم

الفاعل

الفاعل لكونه عطفا على اسم فاعل قبله وهو خارج قلت أكثر النسخ ومنها أصل السيد على أنه فعل ماض
من العيث وفي بعضها عاث كقاض من العثي بمعنى العيث وهو الأفصح الموافق لما في التنزيل من قوله ولا
تعثوا في الأرض مفسدين ولكن القول بأن الصواب خطأ إذ هما لغتان بمعنى الإفساد على ما هو مقرر
في كتب اللغة فالحاصل أن الدجال أشد إفساد يمينا وعاث شمالا وهما ظرفا
عاث والمعنى يبعث سراياه يمينا وشمالا ولا يكتفي بالإفساد فيما يطأه من البلاد بل يتوجه إليه
من الأشرار والأنجاد فلا يأمن من شره مؤمن ولا يخلو من فتنته موطن ولا مأمن يا عباد الله
أي أيها المؤمنون الموجودون في ذلك الزمان أو أنتم أيها المخاطبون على فرض أنكم تدركون ذلك
الأوان فاثبتوا أي على دينكم وإن عذبكم قال الطيبي هذا من الخطاب العام أراد به من يدرك
الدجال من أمته ثم قيل هذا القول منه استمالة لقلوب أمته وتثبيتهم على ما يعاينونه من شر الدجال
وتوطينهم على ما هم فيه من الإيمان بالله تعالى واعتقاده وتصديق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
قلنا يا رسول الله وما لبثه بفتح لام وسكون موحدة أي ما قدر مكثه وتوقفه في الأرض قال
أربعون يوما سبق في حديث يمكث الدجال أربعين سنة السنة كالشهر الخ لكنه نقل البغوي في شرح
السنة ولا يصلح أن يكون معارضا لرواية مسلم هذه وفي تقدير صحته لعل المراد بأيام المكث مكثه
في موقف معين مبين عند العالم به يوم أي من تلك الأربعين كسنة أي مقداره في طول الزمان
أو في كثرة الهموم والأحزان ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قال ابن الملك قيل المراد
منه أن اليوم الأول لكثرة غموم المؤمنين وشدة بلاء اللعين يرى لهم كسنة وفي اليوم الثاني يهون
كيده ويضعف أمره فيرى كشهر والثالث يرى كجمعة لأن الحق في كل وقت يزيد قوة والباطل ينقص
حتى ينمحق أثره أو لأن الناس كلما اعتادوا بالفتنة والمحنة يهون عليهم إلى أن يضمحل شدتها وكون
هذا القول مردود وأنه غير مناسب لما ذكر الراوي قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة
أي مثلا يكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره بل هذا جار على حقيقته ولا امتناع فيه لأن الله
تعالى قادر على أن يزيد كل جزء من أجزاء اليوم الأول حتى يصير مقدار سنة خارقا للعادة كما يزيد في
أجزاء ساعة من ساعات اليوم انتهى وفيه أن هذا الذي ذكره في المؤول الذي جرى لا يفيد
الأبسط الزمان كما وقع له صلى الله عليه وسلم في قصة الإسراء مع زيادة طي المكان لكن لا يخفى أن
سبب وجوب كل صلاة إنما هو وقتها المقدر من طلوع صبح وزوال وغروب وغيبوبة شفق
وهذا لا يتصور إلا بتحقق تعدد الأيام والليالي على وجه الحقيقة وهو مفقود فالتحقيق
ما قاله الشيخ التوربشتي رحمه الله وهو أنه يشكل من هذا الفصل قوله صلى الله عليه وسلم
يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة مع قوله وسائر أيامه كأيامكم ولا سبيل إلى تأويله لامتداد
تلك الأيام على أنها وصفت بالطول والامتداد لما فيها من شدة البلاء وتفاقم البأس والضر
لأنهم قالوا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة يكفينا فيه صلاة يوم قال لا الحديث
فنقول وبالله التوفيق ومنه المعونة في التحقيق قد بين لنا بإخبار الصادق المصدوق صلوات
الله وسلامه عليه أن الدجال يبعث معه من الشبهات ويفيض على يديه من التمويهات ما يسلب
عن ذوي العقول عقولهم ويخطف من ذوي الأبصار أبصارهم فمن ذلك تسخير الشياطين له
ومجيئه بجنة ونار وإحياء الميت على حسب ما يدعيه وتقويته على من يريد إضلاله تارة بالمطر
والعشب وتارة بالأزمة والجدب ثم لا خفاء بأنه أسحر الناس فلم يستبعد أنا قد قلنا هذا القول
الآن نقول إنه يأخذ بأسماع الناس وأبصارهم حتى يخيل إليهم أن الزمان قد استمر على حالة
واحدة إسفار بلا ظلام وصباح بلا مساء يحسبون أن الليل لا يمد عليهم رواقه وأن الشمس
لا تطوي عنهم ضياءها فيبقون في حيرة والتباس من امتداد الزمان ويدخل عليهم دواخل

باخذنا الآيات الظاهرة في اختلاف الليل والنهار فأمرهم أن يجتهدوا عند مضادة مثل تلك الأحوال
ويقدروا لكل صلاة قدرها إلى أن يكشف الله عنهم تلك الغمة هذا الذي اهتدي إليه من أن وبالله
والله الموفق لإصابة الحق وهو حسبنا ونعم الوكيل وفي شرح مسلم للنووي قالوا هذا على
ظاهره والأيام الثلاثة طويلة وفي هذا القدر المذكور في الحديث يدل عليه قوله وسائر أيامه
كأيامكم وأما قوله صلى الله عليه وسلم اقدروا له قدره فقال القاضي وغيره هذا حكم مخصوص وكلنا
في اجتهاده بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع قالوا ولولا هذا الحديث ووكلنا إلى اجتهادنا لا
اقتصرنا في الصلوات عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام ومعناه إذا بعد طلوع الفجر
قدر ما يكون بينه وبين الظهر في كل يوم فصلوا الظهر ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين
العصر فإذا مضى بعدها قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب وكذا العشاء والصبح ثم
الظهر ثم العصر ثم المغرب وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم وقد وقع فيه صلوات سنة فرائض كلها مؤداة
في وقتها وأما الثاني الذي كشهر والثالث الذي كجمعة فقياس اليوم الأول أن يقدر له
كاليوم الأول على ما ذكرناه انتهى وحاصله أن الأوقات للصلوات أسباب وتقديم المسببات
على الأسباب غير جائز إلا بشرع مخصوص كما يتقدم العصر في وقته لعرفات جمع تقديم روايه يقدروا
وحسبوا له أي لأداء الصلوات الخمس قدره أي في يوم كذا فيه والأظهر ما قاله شارح أي قدروا
لوقت صلاة يوم في يوم كسنة مثلا قدره أي قدر الذي كان له في سائر الأيام المحبور سنته
عليها لوقت **قلنا يا رسول الله وما إسراعه** أي ما قدر إسراعه أو كيفية إتيانه في الأرض أي
في سيرها وطي مسافتها قال الطيبي لعلهم علموا أن له إسراعا **في الأرض** فسألوا عن كيفيته
كما سألوا عن لبثه فسألوا بكمية لقولهم ما لبثه أي ما مدة لبثه **قال كالغيث** المراد به هنا
الغيم إطلاقا للسبب على المسبب أي يسرع في الأرض إسراع الغيم **إذا استدبرته الريح** قال
ابن الملك الجملة حال والضمير للغيث والفيه للعهد الذهني والمعنى هذا مثال كيفيته ولا يمكن
تقدير كميته **فيأتي** أي يمر الدجال **على القوم** أي في جنس من الناس **فيدعوهم** أي إلى باطله **فيؤمنون
به فيأمر السماء** أي السحاب **فتمطر** من الأمطار حتى تجري الأنهار في الأرض أي وبأمرها **فتنبت** من
الإنبات حتى يظهر الأزهار إسنادا مجازيا إلى الواحد القهار **فتروح عليهم سارحتهم** أي فترجع بعد زوال
الشمس إليهم ماشيتهم التي تذهب بالغدوة إلى مراعيها **أطول ما كانت** أي السارحة من الإبل
والقصب أطول في الحالبة وقوله **ذرى** بضم الذال المعجمة وحكي كسرها وفتح الراء منونا جمع ذروة
مثلثة وهي أعالي الأسنمة وذروة كل شيء أعلاه وهو كناية عن كثرة السمن **وأسبغه** أي وأتمه **ما كانت
ضروعا** بضم أوله جمع ضرع وهو الذي كناية عن كثرة اللبن **وأمده** أي وأمد ما كانت وهو اسم تفضيل
من المد **خواصر** جمع خاصرة وهي ما تحت الجنب ومدها كناية عن الامتلاء وكثرة الأكل **ثم يأتي القوم**
أي قوما آخرين وفي العدول عن قوله على قوم ما سبق إشعار بأن ذاك أي تأني الأولين ظهر في الحقيقة
دون الآخرين **فيدعوهم** أي يدعو إلى الوهيته **فيردون عليه قوله** أي لا يقبلونها ويبطلونها بالحجة
فينصرف عنهم فيه إشارة إلى أنه ليس له قدرة الإجبار قال تعالى إن عبادي ليس لك عليهم
سلطان إلا من اتبعك من الغاوين والمعنى فيصرفه الله عنهم **فيصبحوا ممحلين** بضم الميم
وبلحاء أي داخلين في المحل قال التوربشتي يمحل القوم أصابهم المحل وهو انقطاع المطر ويبس
الأرض من الكلأ **ليس بأيديهم شيء من أموالهم** والحاصل أن المؤمنين صاروا به مبتلين بأنواع
من البلاء والمحن والفقر ولكنهم صابرون راضون وشاكرون لما أعطاهم الله من صفات الأولى
ببركة أشبه الأنبياء وسيد الأصفياء **ويمر بالخربة** أي يمر الدجال بالأرض الخربة الأطلال
الخربة **فيقول لها أخرجي كنوزك** أي مدفونك أو معادنك **فتتبعه** الفائضة أي تخرج فتتبعه

الدجال **كنوزها كيعاسيب النحل** أي كما يتبع النحل اليعسوب وهو أميرها ومنه قيل للسيد يعسوب
روي الديلمي في مرفوع علي يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين في الكلام نوع قلب
إذ حق الكلام كنحل اليعاسيب والنحل الكثير في جمع اليعاسيب هو الإيماء إلى كثرة الكنوز التابعة
وأنه قدر كأنه جمع باعتبار رجوا نبه وأطرافه والمراد جمع مرابه وكلايه قال التوربشتي اليعا
ذكور النحل هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون قال القاضي المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة لكنه
كنى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها لأنه متى طار تبعته جماعته وقال الأشرف قوله كاليعاسيب كناية
عن سرعة اتباعها أي يتبعه الكنوز بالسرعة وقال الطيبي إذا كان قوله كاليعاسيب حالا من الكنوز
فالخربة صفة البقاع وإذا كان حالا من الكنوز يجوز أن يكون المؤمنون جمعا أو مفردا **ثم يدعو رجلا**
أي يطلبه حال كونه **ممتليا** أي تاما كاملا قويا **شبابا** تمييز عن النسبة قال الطيبي والمعاني شبابا
هو الذي يكون في غاية الشباب **فيضربه بالسيف** أي غضبا عليه لأنه يتولى دعوى الألوهية
أو لإظهار المعجزة وتوطئة لخرق العادة **فيقطعه جزلتين** بفتح الجيم ويكسر أي قطعتين **رمية الغرض**
أي قدر حذف الهدف فهي منصوبة بمقدر وفائدة التشبيه أن يظهر عند الناس
أنه هلك بلا شبهة كما يفعله السحرة والمشعبذة قال النووي هو بفتح الجيم على المشهور وحكي
ابن دريد كسرها ومعنى رمية الغرض أنه يجعل الجزلتين مقدار رمية هذا هو الظاهر المشهور وحكي
وحكي القاضي هذا ثم قال وعندي أن فيه تقديما وتأخيرا وتقديره فيصيبه إصابة رمية الغرض فيقطعه
جزلتين والصحيح الأول قال التوربشتي أراد برمية الغرض أنها سرعة نفوذ السهم وإنما أصابه
المتن قال الطيبي ويؤيده تأويل النووي قوله في الحديث الذي يليه ثم يمشي الدجال بين القطعتين
ثم يدعوه فيقبل أي الرجل الشاب على الدجال **ويتهلل** أي يتلألأ ويضيء **وجهه يضحك** حال أي
يقبل أي يقبل ضاحكا بشا فيقول هذا كيف يصلح إلها **فبينما** بالميم على الصحيح **هو** أي
الرجل **كذلك** أي في تلك الحال وذلك المنوال **إذ بعث الله المسيح ابن مريم** فسبحان من يدفع
المسيح بالمسيح قال تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق **فينزل** أي عيسى
عند المنارة البيضاء شرقي بالنصب في الظرفية صفة ثانيا قوله **دمشق** بكسر الدال وفتح
الميم ويكسر وهو المشهور الآن بها وهو مكانه وفيه الجامع روي الطبراني عن أوس
ابن أوس ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ذكر السيوطي في تعليقه
على ابن ماجه قال الحافظ ابن كثير في رواية أن عيسى عليه السلام ينزل ببيت المقدس
وفي رواية بالأردن وفي رواية بمعسكر المسلمين قلت حديث نزوله ببيت المقدس
عند ابن ماجه وهو عندي أرجح ولا ينافي سائر الروايات لأن بيت المقدس شرقي دمشق
وهو معسكر المسلمين إذ ذاك والأردن اسم الكورة كما في الصحاح وبيت المقدس داخل
فيه وإن لم يكن في بيت المقدس الآن منارة فلا بد أن يحدث قبل نزوله والله أعلم وقوله **بين
مهرودتين** بالدال المهملة والمعجمة أي حال كون عيسى بين مهرودتين لابس حلتين مصبوغتين بورس
أو زعفران قال النووي روي بالدال المهملة والذال المعجمة أكثر والوجهان مشهوران للمتقدمين
والمتأخرين وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة ومعناه لابس ثوبين مصبوغين بورس ثم زعفران
انتهى وقال ابن الأنباري يروى بدال مهملة ومعجمة أي بين ممصرتين على ما جاء في الحديث ولا
نسمعه إلا فيه وكذلك أشياء كثيرة لم تسمع إلا في الحديث والممصرة من الثياب التي فيها صفرة
خفيفة كذا في النهاية **واضعا كفيه على أجنحة ملكين** حال لبيان كيفية إنزاله وأنه بنفسه
حال لبيان كيفية لبسه وجماله ثم بين لحالة أخرى بقوله **إذا طأطأ** رأسه أي خفضه **رأسه قطر**
أي عرقه **وإذا رفعه** أي رأسه **تحدر** بتشديد الدال أي نزل **منه** أي من شعره قطرات نورانية كالجمان

بضم الجيم وتخفيف الميم وبتشديد حب يتخذ من الفضة على هيئة اللآلي الكبار قال الطيبي شبهه بالجمان
في الكبر ثم شبه الجمان باللؤلؤ في الصفاء والحسن فالوجه أن يكون الوجه الكبر مع الصفاء والحسن
وفي القاموس الجمان كغراب اللؤلؤ وهنات أشكال اللؤلؤ وقال شارح الجمان بتشديد الميم
وقال ابن الملك بالتشديد اللؤلؤ الصغار وتخفيفها حب يتخذ من الفضة قلت بل هو المتعين
لقوله كاللؤلؤ فلا يحل بكسر الحاء أي لا يمكن ولا ينبغي لكافر يجد من ريح نفسه بفتح الفاء إلا مات
كذا ذكره النووي وقال القاضي معناه عندي حق وواجب قال ورواه بعضهم بضم الحاء وهو وهم
غلط قال الطيبي معناه لا يحصل ولا يحق أن يجد من ريح نفسه وله حال من الأحوال إلا حال الموت
فقوله يجد مع ما في حيزه فاعل على تقدير أن ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه بسكون الراء
أي لحظه ولمحه ويجوز كون الدجال مستثنى من هذا الحكم لحكمة إرادة دمه في الحربة ليزداد كونه ساحرا
في قلوب المؤمنين ويجوز كون هذه الكرامة لعيسى أول حين نزوله ثم يكون زائلا حين يرى الدجال
إذ دوام الكرامة ليس بلازم وقيل نفسه الذي يموت الكافر هو النفس المقصود به إهلاك الكافر
لا النفس المعتاد فعدم موت الدجال لعدم النفس المراد وفي المفهوم منه أن من وجد من
نفس عيسى من الكفار يموت ولا يفهم منه أن يكون ذلك حالا وفور نفسه فيجوز أن يحصل
ذلك بهم بعد أن يريهم عيسى الدجال في حربته بالحكمة المذكورة كذا بخط شيخنا المرحوم عبد الله
السندي رحمه الله ثم من الغريب أن نفس عيسى عليه السلام يتعلق به الإحياء لبعض والإماتة
لبعض فيطلبه أي عيسى عليه السلام الدجال حتى يدركه بباب لد بضم لام وتشديد دال
مصروف اسم جبل بالشام وقيل بلد من قرى بيت المقدس وعليه اقتصر النووي وزاد
غيره سمي به لكثرة شجره وقال السيوطي في شرح الترمذي هو في ما في النهاية موضع بالشام
وقيل بفلسطين فيقتله في سنن معرواه الترمذي وكذا أحمد عن مجمع بن جارية يقتل ابن
مريم الدجال بباب لد ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه أي حفظهم من شر الدجال
فيمسح عن وجوههم أي يزيل عنها ما أصابها من غبار سفر الغزو مبالغة في إكرامهم أو المعنى
يكشف ما نزل بهم من آثار الكآبة والحزن على وجوههم بما يبشرهم من خبر بقتل الدجال
ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة قال النووي وهذا المسح يحتمل أن يكون على ظاهره فيمسح
وجوههم تبركا وأنه إشارة إلى كشف ما يكونون فيه من الشدة والخوف فبينما هو كذلك إذ
أوحى الله إلى عيسى إني بفتح الهمزة ويكسر قد أخرجت عبادا لي أي أظهرت جماعة منقادة لقضائي
وقدري لا يدان أي لا قدرة ولا طاقة لأحد بقتالهم وإنما عبر عن الطاقة باليد لأن المباشرة والمدافعة
إنما تكون باليد وفي تثنية مبالغة كأن يديه معدومة [illegible] دفعه ويحتمل أن يكون في التثنية
إيماء إلى العجز عنهم جميعا فحرز عبادي أي من التحريز مأخوذ من الحرز أي احفظهم وضمهم إلى الطور
واجعله لهم حرزا ويبعث الله يأجوج ومأجوج بالألف وتبدل فيهما وهما أي جميع القبيلتين
كقوله تعالى هذان خصمان اختصموا من كل حدب بفتحتين أي مكان مرتفع من الأرض ينسلون
بفتح الياء وكسر السين أي يسرعون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية بالإضافة وبحيرة تصغير
بحرة وهي ماء مجتمع بالشام طوله عشرة أميال وطبرية بفتحتين اسم موضع وقال شارح
في قصبة الأردن بالشام فيشربون ما فيها أي من الماء ويمر آخرهم فيقولون أي آخرهم أو قائل
منهم لقد كان بهذه أي البحيرة والبقعة مرة أي وقتا ما أي ماء كثير ثم يسيرون حتى ينتهوا
إلى جبل الخمر بفتح الخاء المعجمة والميم وبالراء الشجر الملتف وفسر في الحديث بقوله وهو جبل
بيت المقدس لكثرة شجره وهو كل ما يسترك من شجر أو بناء أو غيره كذا في النهاية فيقولون
لقد قتلنا من في الأرض أي من ظهر على وجهها لما شاهدوا من انتشار عيسى عليه السلام وأصحابه

جب

حيث كانوا محصورين هلم أي تعال والخطاب لأميرهم وكبيرهم وعام غير مخصوص بأحدهم في
النهاية فيه لغتان فأهل الحجاز يطلقونه على الواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد
مبني على الفتح وبنو تميم تثني وتجمع وتؤنث فتقول هلم وهلمي وهلما وهلموا فلنقتل من في
السماء فيرمون بنشابهم بضم نون وتشديد معجمة مفرده نشابة والباء زائدة أي سهامهم إلى السماء أي إلى جهتها
فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة أي مصبوغة وما تميز وهذا مكر واستدراج منه سبحانه مع احتمال
إصابة سهامهم لبعض الطيور في السماء فيكون فيه إشارة إلى إحاطة فسادهم بالسفليات
والعلويات ويحصر بصيغة المفعول أي يحبس في جبل الطور نبي الله أي عيسى عليه السلام
وأصحابه أي مؤمنو تلك الأمة حتى يكون أي يصير من شدة المحاصرة والمضايقة رأس الثور أي
البقر مع كمال رخصه في تلك الديار لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم قال التوربشتي
أي تبلغ بهم الفاقة إلى هذا الحد وإنما ذكر رأس الثور ليقاس البقية عليه في القيمة فيرغب
أي إلى الله أو يدعو نبي الله فيه تنبيه أنه مع كونه متابعا لشريعته باق على نبوته عيسى
وأصحابه قال القاضي أي فيرغبون إلى الله تعالى في إهلاكهم وإنجائهم عن مكابدة بلائهم
ويتضرعون إليه فيستجيب الله فيهلكهم بالنغف كما قال فيرسل الله عليهم أي على
يأجوج ومأجوج النغف بفتح النون والغين المعجمة دود يكون في أنف الإبل والغنم
في رقابهم فيصبحون فرسى كهلكى وزنا ومعنى وهو جمع فريس كقتيل وقتلى من فرس
الذئب الشاة إذا كسرها وقتلها ومنه فريسة الأسد كموت نفس واحدة لكمال القدرة
وتعلقها بالمشيئة قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة قال التوربشتي يريد أن
القهر الإلهي الغالب على كل شيء يفرسهم دفعة واحدة فيصبحون قتلى وقد نبه بالكلمتين
أعني النغف وفرسى على أنه سبحانه يهلكهم في أدنى ساعة بأهون شيء وهو النغف
فيفرسهم فرس السبع فريسته بعد أن طارت نعرة البغي في رؤوسهم فزعموا أنهم قاتلوا من في السماء
ثم يهبط أي ينزل من الطور نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض أي فيها
وجهها وهذا هو وجه العدول عن المضمر إلى الظاهر فاللام في الأولى للعهد وفي الثانية للاستغراق
بدليل الاستثناء وبه يتبين أن القاعدة المعروفة أن المعرفة إذا أعيدت تكون عين الأولى مبنية
على غالب العادة أو حيث لا قرينة صارفة موضع شبر إلا ملأه زهمهم بفتح الزاي والهاء وقد
يضم الزاي وقال شارح هو بالضم وروي بالتحريك وتفسيره قوله ونتنهم بسكون التاء قال
التوربشتي الزهم بالتحريك مصدر قولك زهمت يدي بالكسر من الزهومة فهي زهمة أي دسمة
وعليه أكثر الروايات وفيه إعلام [illegible] من طريق المعنى وضم الزاي مع فتح الهاء أصح معنى وهو
جمع زهمة يعني بضم الزاي وسكون الهاء وهي الريح المنتنة وقال شارح هو أصح رواية ودراية
ويوافقه ما في القاموس حيث قال الزهومة والزهمة بضمهما ريح لحم سمين منتن والزهم
بالضم الريح المنتنة وبالتحريك مصدر زهمت يدي كفرح فهي زهمة أي دسمة انتهى وقد يقال
أطلق المصدر وأريد به الوصف مبالغة كرجل عدل فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى
الله في ضم أصحابه إليه إشارة إلى أن الهيئة الاجتماعية في الجهة الإلهية لها تأثير بليغ في
إجابة الدعوة أو في ذكرهم إيماء إلى أنهم هم الباعثين على الدعاء والتضرع إلى رب السماء فيرسل
الله طيرا كأعناق البخت بضم موحدة وسكون معجمة نوع من الإبل أي طيرا أعناقها في الطول
والكبر كأعناق البخت والطير جمع طائر وقد يقع على الواحد وكذا قال فتحملهم أي تلك الطير
فتطرحهم أي ترميهم حيث شاء الله أي من البحار أو غيرها وقوله معمورة الدنيا أو خلف جبل ق
ونحوها أو إلى عالم الإعدام والإفناء وفي رواية فتطرحهم بالنهبل بفتح النون وسكون الهاء وفتح

المرحلة موضع وقيل مكان بيت المقدس وفيه أنه كيف يسعهم ولعل المراد به موضع بعضهم أو
طريق خرق العادة ليسعهم وقيل هو جبل بطلع الشمس وفي القاموس جبل بالشام وروى
الترمذي في حديث الدجال فتطرحهم بالنهبل وهو تصحيف والصواب بالميم انتهى ولم يذكر المهبل
لفظا ولا معنى ويستوقد المسلمون من قسيهم بكسرتين فتشديد تحتية جمع قوس والضمير
ليأجوج ومأجوج ونشابهم أي سهامهم وجعابهم بكسر الجيم جمع جعبة بالفتح وهو ظرف النشاب
سبع سنين ثم يرسل الله مطرا أي شديدا لا يكن بفتح الياء وضم الكاف وتشديد النون من كننت
الشيء أي سترته وصنته عن الشمس وفي لغة أكننت الشيء بهذا المعنى والمفعول محذوف
والجملة صفة مطرا أي لا يستتر ولا يصون شيئا منه أي من ذلك المطر بيت مدر بفتحتين أي
تراب وحجر ولا وبر أي صوف أو شعر والمراد تعميم بيوت أهل البدو والحضر قال النووي أي لا يمنع
من نزول الماء بيت المدر وهو الطين الصلب وقال القاضي أي لا يحول بينه وبين مكان ما حائل
بل يعم الأماكن كلها فيغسل الأرض أي المطر الأرض أي وجهها كلها حتى يتركها كالزلفة بفتح الزاي واللام
وبسكون اللام وقيل بالقاف وهي المرآة بكسر الميم وقيل ما يتخذ لجمع الماء من المصنع والمراد أن الماء
يعم جميع الأرض بحيث يرى الرائي وجهه فيه قال النووي روي بفتح الزاي واللام وبالفاء وبالقاف
وروي بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء وقال القاضي روي بالفاء وبالقاف وبفتح اللام وإسكانها
وكلها صحيحة قلت وهو الذي عليه الأكثر بفتحتين والفاء واقتصر عليه القاموس في
المعاني الآتية كلها واختلفوا في معناه فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون معناه كالمرآة وحكى
صاحب المشارق هذا عن ابن عباس أيضا شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتها وقيل معناه كمصانع
الماء أي الماء يستنقع فيها حتى تصير الأرض كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء وقال أبو عبيد معناه
كالإجانة الخضراء وقيل كالصحفة وقيل كالروضة ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي أي الأرض
بركتك أي من سائر نعمتك فيومئذ تأكل العصابة بكسر العين أي الجماعة من الرمانة أي يشبعون
منها ويستظلون بقحفها بكسر القاف أي بقشرها قال النووي مقعر قشرها شبهها بقحف الآدمي
وهو الذي فوق الدماغ وقيل هو ما انفلق من جمجمته وانفصل وقال شارح أراد نصف قشرها
الأعلى وهو في الأصل العظم المستدير فوق الدماغ وهو أيضا إناء من خشب على مثاله كأنه نصف
قدح واستعير هنا لما يلي رأسها من القشر ويبارك بصيغة المجهول أي يوضع البركة والكثرة في
الرسل بكسر الراء وسكون السين أي اللبن حتى إن اللقحة بكسر اللام وبفتح أي الناقة الحلوبة قال
النووي اللقحة بكسر اللام وفتحها مشهورتان والكسر أشهر وهي القريبة العهد بالولادة قال
في المختصر من النوق وغيرها فقوله من الإبل لتكفي أي اللقحة والمراد لبنها الفئام بهمز في
زنة رجال والعامة تبدل الهمزة أي الجماعة من الناس وهو واحد لا من لفظه والمراد به هنا أكثر
من القبيلة كما أن القبيلة أكثر من الفخذ على ما سيأتي وقال النووي الفئام بكسر الفاء
وبعدها همزة ممدودة هي الجماعة الكثيرة هذا هو المشهور المعروف في اللغة وروايات الحديث بكسر
الفاء وبالهمز قال القاضي ومنهم من لا يجيز الهمز بل يقوله بالياء وقال في المشارق وحكاه
الخليل بفتح الفاء قال وذكره صاحب العين غير مهموز وأدخله في حرف الياء وحكى الخطابي
أن بعضهم ذكره بفتح الفاء وتشديد الياء وهو غلط فاحش واللقحة من البقر لتكفي القبيلة
من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس قال القاضي عياض الفخذ هنا بسكون الخاء
الجماعة لا يخرج عنه من الأقارب وهم دون البطن والبطن دون القبيلة وأما الفخذ بمعنى العضو
فبكسر الخاء وسكونها فبينا هم بلا ميم مبتدأ خبره كذلك وقد عوض عن المضاف إليه والعامل في إذ
إذ بعث الله وإذ للمفاجأة أي بين أوقات يتمتعون في طيب عيش وسعة أرسل عليهم فجاءة

ريحا

ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم بهمزة ممدودة جمع إبط فتقبض أي تلك الريح روح كل مؤمن
أسند الفعل إلى الريح مجازا وكل مسلم قال النووي هكذا هو في جميع النسخ بالواو وهي كالعطف
الظاهر أو بدلا أو للشك فإنه لا فرق بين المؤمن والمسلم عند أرباب الحق من أهل السنة والجماعة
فالمغايرة إما لغة في التعميم والتغاير باعتبار اختلاف الوصفين كما في التنزيل تلك آيات
الكتاب وقرآن مبين وقوله سبحانه إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات وإما بناء على
الفرق اللغوي بينهما من أن المراد بالمؤمن المصدق وبالمسلم المنقاد ولكن لما كان أحدهما لا ينفع
بدون الآخر جعل الموصوف بهما واحدا وأطلق عليه كل واحد من الوصفين بطريق التناوب ولكون
أحدهما غالبا يجيء في تفسير الآخر والله أعلم قال الطيبي المراد بالتكرار هنا الاستيعاب أي تقبض
روح خيار الناس كلهم ويبقى شرار الناس بكسر أوله جمع شرير يتهارجون أي يختلطون فيها أي في
تلك الأزمنة أو في الأرض تهارج الحمر أي كاختلاطها ويتسافدون وقيل يتخاصمون فإن الأصل
في الهراج القتل وسرعة عدو الفرس وهرج في حديثه أي خلط قال النووي أي يجامع الرجال
النساء علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك والهرج بإسكان الراء الجماع ويقال
هرج زوجته أي جامعها يهرجها بفتح الراء وضمها وكسرها فعليهم تقوم الساعة أي لا على غيرهم وفي
حديث لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس وفي رواية لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض
الله الله رواه أي الحديث بكماله مسلم إلا الرواية الثانية وهي الرواية في نسخة وهو كذا
لتذكير ضميره وهو قوله فتطرحهم بالنهبل إلى قوله سبع سنين رواها أي تلك الرواية الترمذي
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخرج الدجال فيتوجه قبله بكسر قاف وفتح موحدة أي إلى جانبه رجل أي عظيم من المؤمنين قال
أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الفقيه راوي صحيح مسلم يقال إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام
وكذا قال معمر وهذا يقتضي أن يكون الخضر حيا وقد اختلف العلماء في ذلك فالجمهور من الفقهاء
والمحدثين وغيرهم وبعض الصوفية في أنه مات وذهب جمهور الصوفية وبعض الفقهاء وغيرهم
إلى أنه حي قال النووي وهو الصحيح ذكره الشيخ الجزري فيلقاه المسالح بفتح الميم وكسر اللام
جمع المسلحة وهو القوم ذوو السلاح يحفظون الثغور مسالح الدجال من قوله في الأبدال
وفيه إشارة إلى أن اللام عوض عن المضاف إليه واللام للعهد قال القاضي ولعل المراد به هنا
مقدمة جيشه وأصلها موضع السلاح ثم استعمل للثغر فإنه يعد فيه الأسلحة ثم للجند المترصد
ثم لمقدمة الجيش فإنهم من الجيش كالمتصدي للثغور ومن رآهم من المسلمين فيقولون له أي
للرجل أين تعمد بكسر الميم أي تقصد فيقول أعمد إلى هذا الذي خرج أي خرج من الحق أو في الخلق أو على
ظهر بالباطل والاستفهام للتحقير فيقولون أو ما تؤمن بربنا يعنون به الدجال حيث وجدوا
عنده الجاه والمال فيقول أي الرجل ما بربنا أي ربي وربكم بنفسه تغليبا أو ما بربنا مغتنم
المسلمين المؤمنين خفاء وما فيه أي ليس يخفى على صفات ربنا عز وجل ليقعد لشك الله
أو لشرك الأغماد عليه فإن كل شيء له شاهد يدل على أنه واحد كما تماما عرا فإنها رافع ربه
لا بحجة وأنواع النقصان لائحة واضحة ومن أظهر الأدلة القطعية أن المخلوقية تنافي الربوبية
والعبودية تنافي الألوهية فما للتراب ورب الأرباب كيف والعيوب الظاهرة فيه تشهد
عليه لمن له أدنى عقل كما لا يخفى وفيه إيماء إلى ما سبق من قوله صلى الله عليه وسلم إن الله لا يخفى
عليكم إن الله ليس بأعور قال الطيبي هذا تكذيب لهم وبيان لتمويههم وتلبيسهم أي ما نؤمن
بربنا كما قال صلى الله عليه وسلم إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور فيقولون اقتلوه
فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أي من قبلكم أحدا دونه أي دون علمه وأمره

وانه نيتطلقون به اي الدجال فاذا راه المؤمن اي ابصر الدجال المؤمن الموثوق وقد عرف علاماته
قال ايها الناس تذكيرا للامة وتنبيها للغفلة هذا الدجال الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي في احاديثه انه سيخرج في اخر الزمان قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فيامر الدجال
به اي بضربه فيشبح بتشديد الموحدة المفتوحة اي يمد للضرب فيقول اي الدجال تاكيدا له
وتغليظا وتشديدا خذوه اي امسكوه اخذا شديدا وشجوه بضم الشين المعجمة وتشديد الجيم
اي اكسروا راسه وفي نسخة وشبحوه بفتح الشين وكسر الموحدة فحاء مهملة اي مدوه وفي بطنه
او في قفاه يقال شبحت الحرباء في العود اي امتد وتشبيح الشيء جعله عريضا فيوسع بسكون الواو
وفتح السين ظهره وبطنه ضربا اي بكثرة الضرب في ظهره وبطنه قال فيقول اي الدجال اما تؤمن بي
وفي نسخة او ما تؤمن بي اي تنكر بي فالوهيتي وما تؤمن بي بربوبيتي قال فيقول اي المؤمن
انت المسيح الكذاب اي الذي يفتك المسيح الصديق قال فيؤمر به فيؤشر بضم فسكون
همز وتبدل واوا وبفتح شين اي فيقطع بالمئشار بكسر الميم وسكون الهمزة وتبدل ياء وبالنون
في بعض النسخ وهو آلة النشر والقطع من مفرقه بفتح الميم وكسر الراء وبفتح اي مبتدا من
فرق راسه حتى يفرق بصيغة المجهول مخففا ويشدد اي حتى تنفصل بدنه قطعتين وانفرقتين
بين رجليه اي في طرفي قدميه قال النووي قوله فيشبح بشين معجمة ثم باء موحدة وحاء مهملة
وكذا شبحوه اي مدوه على بطنه وجاء ايضا شجوه بجيم مشددة من الشج وهو الجرح في الراس
ثم قال وهذه الرواية اصح عندنا وقوله فيؤشر الرواية فيه بالهمز والميشار بهمز بعد الميم وهو
الافصح ويجوز تخفيف الهمز فيهما فيجعل في الاول واوا وفي الثاني ياء ويجوز المنشار بالنون
وفي هذا يقال نشرت الخشبة ومفرقه بكسر الراء وسطه يعني وسط قرنه او وسط راسه انتهى
قال الجزري روي هذا الحديث على ثلاثة اوجه فيشبح بمعجمة فموحدة فمهملة وشجوه بالجيم
من الشج وهو الجرح في الراس والوجه وثانيها فيشبح كالاول وشبحوه بالباء والحاء وثالثها فيشج
وشجوه كلاهما بالجيم هو الذي ذكره المؤلف والوجه الثاني هو الذي ذكره الحميدي وصححه القاضي
عياض والاول صححه جماعة من اصحاب الاول والله اعلم وقال شارح يقال وشرت الخشبة بالميشار
اذا نشرته بالمنشار وفي الحديث بالياء لا غير يدل عليه فيوشر قلت فيه بحث اذ قوله
فيوشر يحتمل ان يكون بالهمز وان يكون بواو مبدلة او اصلية وكذا في الميشار بفتح همزة وابداله
من همزة ومن واو وهذه الاحتمالات لا يكون المنشار بالنون بناء على التفنن في العبارة مع
انه هو المشهور باعتبار اللغة على لسان العامة وفي القاموس اشر الخشب بالميشار نشره
ونشر الخشب نحته ووشر الخشبة بالميشار غير مهموز لغة في اشرها بالميشار اذا نشرها
انتهى وبه يعلم ان الاصح هو الهمز والواو لغة في الشق والنون خاص بمعنى النحت قال اي النبي
صلى الله عليه وسلم ثم يمشي الدجال بين القطعتين اي الشقتين من الرجل تعجيلا لتحقيق
القتل ثم يقول له قم فيستوي قائما ثم يقول له اتؤمن بي فيقول ما ازددت بفتح الدال
وقال شارح بكسر الدال الاولى على بناء المجهول واقول صحته موقوفة على انه متعد الى
مفعولين وظاهر ما في القاموس انه لازم حيث قال زاده الله خيرا فزاد وازداد حيث
اشار الى ان زاد لازم ومتعد وان ازداد فلازم فقط حيث جعله مطاوعا نعم قوله تعالى
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم صريح في انه متعد الى مفعول وفي مفعولين كقوله تعالى فزادهم
ايمانا وقيل نصب ايمانا على التمييز وحاصل المعنى ما زدت فيك اي في معرفتك بنعتك
هذا من القتل والاحياء الا بصيرة اي زيادة علم ويقين بانك كاذب مموه قال ثم يقول
المؤمن ايها الناس انه اي الشان او الدجال لا يفعل مفعوله محذوف اي لا يفعل ما فعله

بي من القتل والاحياء في الظاهر بعدي اي بعد فعله بي باحد من الناس وهذا اخبار عن
سلب القدرة المستدرجة عنه وتسلية للناس في الخوف منه قال فياخذ الدجال ليذبحه
فيجعل بضم اوله وفي نسخة بفتحه اي فيجعل الله ما بين رقبته الى ترقوته بفتح التاء
وسكون الراء وضم القاف وفتح الواو العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق نحاسا اي كالنحاس
لا يعمل فيه السيف وفي شرح السنة قال معمر بلغني انه يجعل حلقه صفحة نحاس فلا يستطيع
اي الدجال اليه اي الى وصول قتله ولا يقدر على حصول مضرته سبيلا تمييز اي طريقا من التعدي
قال فياخذ اي الدجال بيديه ورجليه فيقذف به اي يرمي بالمؤمن ويطرحه في الهواء فيحسب
الناس بكسر السين وفتحها اي فيظنون انما قذفه الى النار بناء على المصدر اي قذفه اليها
والاظهر ما اختار الزمخشري من ان انما بالفتح تفيد الحصر كما اجتمع في قوله تعالى قل انما
يوحى الي انما الهكم اله واحد ويؤيده قوله انما القي بصيغة المجهول اي وقع في الجنة واللام للعهد
اي في بستان من بساتين الدنيا ويمكن انه يرميه في النار التي معه ويجعلها الله عليه بردا
وسلاما مثل ابراهيم عليه السلام وتعبير تلك النار روضة وجنة وفي كل تقدير تلم بجماله
موت في يديه سوى ما تقدم واما قول الراوي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا
اعظم الناس شهادة عند رب العالمين فالمراد بها قتله الاول فانه شهيد فانه موضع الزلل
والخطل والوحل كما وقع فيه الطيبي بقوله فيحسب الناس ان الدجال قذفه في النار زعما انه نار
وانما القي في الجنة وهي دار البقاء يدل عليه قوله هذا اعظم الناس شهادة وعليه قوله تعالى
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون رحيم اي يرزقون
في نعيم الجنة انتهى فهذا مما نظر ليقول انه لا يفعل بعدي باحد من الناس اللهم الا ان يقال
المراد بقوله لا يفعل بعدي اي بعد قتلي ثانيا باحد من الناس اي غيري ولا يخفى بعده
والله اعلم وسياتي في حديث ابي سعيد ما يفيد تاييد ما اخترناه رواه مسلم وعن ام شريك
بفتح فكسر اي الانصارية او القرشية قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينفرن
اي ليهربن الناس اي المؤمنون من الدجال حتى يلحقوا بالجبال قالت ام شريك قلت يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاين العرب قال الطيبي الفاء فيه جزاء شرط محذوف اي اذا كان هذا
حال الناس فاين المجاهدون في سبيل الله الذابون عن حريم الاسلام المانعون عن اهله
صولة اعداء الله فكني عنهم بهم قال هم اي العرب قليل اي حينئذ فلا يقدرون عليه رواه مسلم
وكذا الترمذي ذكره السيد ولفظ الجامع ليفرن الناس من الدجال في الجبال رواه احمد ومسلم
والترمذي وعن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتبع بفتح فسكون ففتح
وقال شارح من الاتباع بتشديد التاء اي يطيع الدجال من يهود اصفهان بفتح الهمزة
ويكسر وفتح الفاء بلد معروف من بلاد العراق قال النووي يجوز فيه كسر الهمزة وفتحها وبالباء
والفاء انتهى وفي نسخ المشكاة كلها بالفاء وفي المشارق بفتح الهمزة وقيده ابو عبيد البكري
بكسر اوله واهل خراسان يقولون بالفاء وفي القاموس الصواب انها اعجمية وقد
يكسر همزها وقد يبدل باؤها فاء وفي المغني بكسر همزة وفتحها وباء موحدة وقيل اهل المشرق
وبالموحدة في المغرب انتهى وبه يعلم ان اصفهان [illegible] نقله ابن الملك من انه
قيل المراد به اصفهان خراسان لا اصفهان العرب [illegible] قوله اصفهان خراسان مسامحة
لان اصفهان انما هو في العراق لكن لما كان خراسان في جهة المشرق ايضا وكان اشهر من العراق
اضيف اليه بادنى ملابسة سبعون الفا وفي رواية تسعون والصحيح المشهور هو الاول
ذكره ابن الملك عليهم الطيالسة بفتح الطاء وكسر اللام جمع طيلسان وهو ثوب معروف

وفي القاموس الطيلس والطيلسان مثلثة اللام عن عياض وغيره معرب اصله تالسان جمعه
الطيالسة والهاء في الجمع للعجمة واسند له بهذا الحديث في ذم لبسه ذكره السيوطي في رسالة
في الطيلسان رواه مسلم وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يأتي الدجال اي يظهر في الدنيا ويتوجه الى صوب المدينة المعطرة المنورة وهو محرم
جملة حالية اي ممنوع عليه ان يدخل نقاب المدينة بكسر النون كما نص عليه النووي وهو جمع نقب
بفتح النون وهو الطريق بين الجبلين والانقاب جمع قلة كذا في النهاية فينزل اي الدجال بعض
السباخ بكسر السين اي في بعض اراضي السبخة وهي ذات ملح لا تنبت التي تلي المدينة اي
تقربها وسيأتي انه ينزل دبر احد فيخرج اليه رجل اي عظيم وهو خير الناس اي حينئذ او من
خيار الناس اي على الاطلاق ويحتمل ان يكون الترديد منه صلى الله عليه وسلم واو للتخيير ويمكن ان يكون
من الراوي فاو للشك وتقدم انه الخضر عليه السلام بناء على القول الاصح فيقول اي بعد رؤيته اشهد
انك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه اي وصفه وحاله ولما كان الظاهر
الذي حدثنا بحديثك قال الطيبي هو جار على قوله الدجال لان المظهر في بدل ضمير المخاطب وعكسه
قوله انا الذي سمتني امي حيدرة فيقول الدجال اي لمن حوله ارأيتم اي اخبروني ان قتلت هذا
ثم احييته هل تشكون في الامر اي امري وقيل اي في الالهية فيقولون لا اي لا نشك وهو
يحتمل ان يتوجه النفي الى اثبات الامر ونفيه قال النووي اما قول الدجال ان قتلت هذا ثم
احييته اتشكون في الامر فيقولون لا فقد يستشكل لان ما اظهره الدجال لا دلالة فيه على ربوبيته
لظهور النقص عليه ودلائل الحدوث وتشويه الذات وشهادة كذبه وكفره المكتوبة بين عينيه
وغير ذلك ويجاب بانهم لعلهم قالوا خوفا منه لا تصديقا ويحتمل انهم قصدوا لا نشك في كذبك
وكفرك فان من شك في كفره وكذبه كفر فخادعوه بهذه التورية خوفا منه ويحتمل ان الذين قالوا
لا نشك هم مصدقوه من اليهود وغيرهم ممن قدر الله سبحانه وتعالى شقاوته فيقتله
اي الرجل على ما سبق ثم يحييه اي ويحييه له كما تقدم فيقول اي المقتول والله ما كنت
اي في سابق الايام فيك اي في بطلانك اشد بصيرة اي تيقنا مني متعلق باشد اليوم بالنصب
ظرف لاشد فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط بفتح اللام المشددة اي فلا يقدر عليه
اي على قتله بوجه من الوجوه كما قررناه فيما تقدم والله اعلم ثم في عجز الدجال دليل صريح
في ان قدرته لو كانت حادثة من رضى مستعارة للاستدراج به ولا بد لغيره فسلبت
عنه كما سينزع عنه روحه فيبقى جيفة ملقاة بالارض يأكل منها الكلاب وما احسن
من قال من ارباب الالباب ما للتراب ورب الارباب قال الطيبي بادي في الحديث دليل
على ان الدجال لا يقدر على ما يريد وانما يفعل الله ما يشاء عند حركته في نفسه وتجدد
قدرته ان يفعله اختبارا للخلق ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ويضل
الله من يشاء ويهدي من يشاء متفق عليه وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يأتي المسيح اي الدجال من قبل المشرق بكسر القاف
وفتح الموحدة اي من جهته همته اي قصده ونيته المدينة اي السكينة حتى ينزل دبر احد
وهو جبل معروف قرب المدينة ثم اي بعدما يقع فتنة الرجل السابق تصرف الملائكة
اي ترد وجهه اي توجهه وقصده قبل الشام اي الى حيث جاء منه وفيه دليل بطلانه واما
عجزه ونقصانه حيث رجع القهقرى ولم يقدر ان يدخل دارا فيه مدفن سيد الورى وظاهره
انه لا يدخل حرم مكة بالاولى والاحرى وهنالك اي ثمة ان في الشام يهلك اي بقتله عيسى عليه
السلام متفق عليه وعن ابي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل

المدينة

المدينة رعب المسيح الدجال بضم الراء وسكون العين وبضمتين اي خوفه لها اي للمدينة
يومئذ سبعة ابواب اي طرق اي المراد بها ابواب القلعة حينئذ على كل باب ملكان
اي يدفعانه عن الدخول في ذلك المكان رواه البخاري قال السيوطي فيما اشتهر
على الالسنة ان جبريل عليه السلام لا ينزل الى الارض بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم
فهو شيء لا اصل له ومن الدليل على بطلانه ما اخرجه الطبراني ان جبريل ينزل كل
يوم يكون فيه طهرة واخرج ابو نعيم من الفتن قال صلى الله عليه وسلم ينزل الدجال
بالمدينة فاذا هو بخلق عظيم فقال من انت قال انا جبريل بعثني الله امنع حرم رسوله
انتهى وله مفهوم له كما لا يخفى فانه يحتمل ان يكون من باب الاكتفاء او نوط الى جبريل منع
حرم رسوله واما حرمه فهو له وكيف لا يبتلي الله حرمة البلد وسيأتي فيما
روى تميم الداري عن الدجال انه قال فلا ادع قرية الا هبطتها في اربعين ليلة غير
مكة وطيبة هما محرمتان علي كلتاهما وقد قرره النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى احمد
عن ابي سعيد مرفوعا الدجال لا يولد له ولا يدخل المدينة ولا مكة وعن فاطمة بنت
قيس اي القرشية اخت الضحاك كانت من المهاجرات الاول روى عنها نفر وكانت ذات جمال
وعقل وكان زوجها النبي صلى الله عليه وسلم من اسامة بن زيد مولاه صلى الله عليه وسلم
رضي الله عنهم قالت سمعت منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي على حكاية
اعرابه كما في القرآن سمعنا مناديا ينادي للايمان الصلاة بنصبها ويرفع وكذا قوله
جامعة قال النووي هو بنصب الصلاة وجامعة الاول على الاغراء والثاني على الحال
وقال التوربشتي وجه الرواية فيه الرفع الذي تقديره اي هذه الصلاة جامعة ويجوز
بنصب جامعة على الحال ولما كان هذا القول للدعاء اليها والحث عليها كان النصب
اجود واشبه بالمعنى المراد منه انتهى فالتركيب تذييل كما لا يخفى وقال شارح هذه الجملة
مفعول ينادي لانه في معنى القول وهي في اعرابه على اربعة اوجه كما مر في صلاة العيد
وتوضيحه ما ذكره ابن الملك هنا حيث قال برفعهما مبتدأ وخبر ونصبهما على تقدير احضروا
الصلاة حال كونها جامعة ويرفع الاول على تقدير هذه الصلاة ونصب الثاني على الحال
وبالعكس على تقدير احضروا الصلاة وهي جامعة وهو ضعيف لاضمار حرف العطف
وعلى جميع التقادير محل الجملة نصب لانه مفعول ينادي حكاية لكونه في معنى القول
فخرجت الى المسجد ولعل خروجها قبل النهي او كان في الليل واهل رخصة في حضور
الصلاة الجامعة قياسا على صلاة العيد فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي صلاة نافلة او احدى الصلوات الخمس فلما قضى صلاته اي اداها وفرغ عنها جلس على المنبر
وهو يضحك اي يبتسم ضاحكا على عادته الشريفة فقال ليلزم بفتح الزاي اي ليلتزم كل
انسان مصلاه اي موضع صلاته فلا يتغير ولا يتقدم ولا يتأخر ثم قال هل تدرون لم جمعتكم
اي لاي امر جمعتكم للصلاة الجامعة قالوا الله ورسوله اعلم قال اني والله ما جمعتكم لرغبة اي لامر مرغوب
فيه من عطاء كغنيمة ولا رهبة اي ولا لخوف من عدو ولكن جمعتكم لان تميما الداري وهو منسوب
الى جد له اسمه الدار وفي نسخة صحيحة تميم الداري والاول هو الاصح قال الطيبي كذا هو في جميع
الاصول وآل النسخ المصابيح وتميم الداري من غير تنوين في كتاب الحميدي وبعض نسخ المصابيح
وفي مسلم ان تميم الداري كان رجلا نصرانيا فجاء واسلم وحدثني حديثا وافق الذي اي طابق
الحديث الذي كنت احدثكم به عن المسيح الدجال وهذا كان في حديث رب حامل فقه الى من هو افقه
منه وفيه اشعار ان كثرة الرواة له دخل في قوة الاسناد ولهذا قال في سبيل الاسناد

وطريق الاختصار ان حدثني فهو من قبيل رواية الاكابر عن الاصاغر وفيه ايماء الى الرد على الجاهل المتكبر
حيث يستنكف عن اخذ العلم من اهل الخمول والاصاغر وقد قال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون
في الارض بغير الحق وقال صلى الله عليه وسلم كلمة الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو
احق بها ومن كلام علي رضي الله عنه انظر الى ما قال ولا تنظر الى من قال والمعنى ان تميما
حكى لي انه ركب في سفينة بحرية اي لا برية احترازا عن الابل فانها تسمى سفينة البر وقيد
اي مركبا كبيرا بحريا لا زورقا صغيرا نهريا مع ثلاثين رجلا من لخم بفتح لام وسكون خاء معجمة
مصروف وقد لا يصرف قبيلة معروفة وكذا قوله وجذام بضم الجيم فلعب اي دار بهم الموج شهرا
اي مقدار شهر في البحر واللعب في الاصل ما لا فائدة فيه من فعل او قول فاستعير لصد الامواج
السفن عن صوب المقصد وتحويلها يمينا وشمالا فأرفأوا بهم بهمزتين اي قربوا السفينة الى جزيرة
حين تغرب الشمس في شرح التوربشتي قال ارفأت السفينة ارفئها ارفاء وبعضهم يقول
ارفيتها بالياء على الابدال وهذا مرفأ السفن اي الموضع الذي يشد اليه وتوقف عنده فجلسوا اي
بعد ما تحولوا من المركب الكبير في اقرب السفينة بفتح الهمزة وضم الراء جمع قارب بكسر
الراء وفتحها اشهر واكثر وحكي ضمها وهو جمع على غير قياس والقياس قوارب قال النووي
اقرب السفينة هو بضم الراء جمع قارب بكسر الراء وفتحها وهي سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة
كالجنيبة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم وفي النهاية اما اقرب فلعله جمع قارب
وليس بمعروف في جمع فاعل افعل وقد اشار الحميدي في غريبه الى انكار ذلك وقال
الخطابي انه جمع على غير قياس فدخلوا الجزيرة اللام للعهد اي في الجزيرة التي هناك
فلقيتهم اي فرأتهم دابة اهلب الهلب الشعر وقيل ما غلظ من الشعر وقيل ما كثر من شعر
الذنب وانما ذكر الدابة لانه يطلق على الذكر والانثى لقوله تعالى وما من دابة في الارض
كذا قالوا والاظهر انه نبأ وتذكير الحيوان وكذا قال كثير الشعر وهو تفسير لما قبله وعطف
بيان ثم تبيينه زيادة تبيان في الاستغناء لا يدرون اي لا يعرف الناس الحاضرون ما قبله
من دبره بضمتين فيهما قال الطيبي ما استفهامية ويدرون بمعنى يعلمون معلق عن الاستفهام.
تعليقا لانه لا بد من تقدير مضاف بعد حرف الاستفهام اي ما نسبته قبله بدبره من كثرة الشعر
اي من اجلها وبسببها قالوا ويلك ما انت خاطبوها مخاطبة المتعجب المتفحص قالت انا
الجساسة قال النووي هي بفتح الجيم وتشديد المهملة الاولى قيل سميت بذلك لتجسسها
الاخبار للدجال وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص انها دابة الارض المذكورة في القرآن
انطلقوا الى هذا الرجل في الدير بفتح الدال وسكون التحتية اي دير النصارى ففي
المغرب الدير صومعة الراهب والمراد هنا القصر كما سيأتي والجار والمجرور حال
والعامل فيه اسم الاشارة او حرف التنبيه فانه اي الرجل الذي في الدير الى خبركم متعلق
بقوله بالاشواق بفتح الهمزة جمع شوق اي كثير الشوق وعظيم الاشتياق والباء للالصاق
قال التوربشتي اي شديد نزاع النفوس الى ما عندكم من الخبر حتى كان الاشواق ملصقة
به او كانه مهتم بها قال اي تميم لما سمت اي ذكرت ووصفت لنا رجلا فرقنا بكسر الراء اي خفنا
منها اي من الدابة ان تكون شيطانة اي كراهة ان تكون شيطانة وان يكون الرجل شيطانا
متعلقا بها وقال الطيبي ان تكون شيطانة بدل من الضمير المجرور قال اي تميم فانطلقنا
سراعا اي حال كوننا مسرعين حتى دخلنا الدير قال شارح دير النصارى فاصله الواو والياء
والمعنى انه اصله بالالف المبدلة من الواو وماخوذ من الدور لكونه مدورا وبيدا رويها او
مدار المعيشة والمبيت اليه ثم ابدلت الالف يا للفرق وارادة بقوله دير النصارى انه

مثلثة او في الاصل يطلق عليه وقد يطلق على بيت النصراني فاذا فيه اعظم انسان اي اكبره جثة او
اهيبه هيئة رأيناه صفة انسان احتراز عمن لم يره ولما كان الكلام في معنى ما رأينا مثله صح
قوله قط الذي يختص بنفي الماضي وهو بفتح القاف وتشديد الطاء المضمومة في افصح
اللغات وقد يكسر وقد يتبع قافه في الضم وقد يخفف طاؤه مع ضمها واسكانها على ما في
المغني ووقع في نسخة ما رأيناه قط وقوله خلقا تمييز اعظم واشده اي في القوى انسانا
وثاقا بفتح الواو ويكسر قيدا من السلاسل والاغلال على ما سيأتي في هذا وذكر الا ان
الضمير المفعول راجع الى الاعظم اي ما رأيناه قط اعظم الانسان خلقا وخلقا
نصب على التمييز من السيان وقال الطيبي وجهها ان يقدر مضافا اي ما رأينا مثله
اعظم واشد من فوقه عطف على الاعظم هذا وان لفظة ما لم يثبت في صحيح مسلم ولا في
كتاب الحميدي ولا في جامع الاصول ولا في اكثر نسخ المصابيح والظاهر ان من زادها نظر
الى لفظ قط حيث يكون في الماضي المنفي فالوجه ان يكون مرادة كما جاء في قول القائل لله
يبقى على الايام ذو حيد مجموعة بالنصب وفي نسخة بالرفع اي مضمومة يداه الى عنقه
وقوله ما بين ركبتيه الى كعبيه لما كان ظاهره ان يؤتى بالواو وفي اوله يكون المعنى مجموعة
ساقاه مجملة ويكون قوله بالحديد قيدا لهما قال الطيبي ما موصولة مرفوعة المعنى بالحديد
وحذف مجموعة في الثاني لدلالة الاول عليه قلنا ويلك ما انت استغربوه فازدادوا سؤالا
من ويمكن ان يكون السؤال عن وصفه وحاله اذ قد علموا انه رجل وقد يجي ما بمعنى من
كما حقق في قوله تعالى والسماء وما بناها او وقع مشاكلة لما قبلها وقال الطيبي كانهم
لما راوا خلقا عجيبا خارجا عما عهدوه خفي عليهم حاله فقالوا ما انت كما مر آنفا قال قد
قدرتم اي تمكنتم على خبري اي فانا في لا اخفيه عنكم فاحدث لكم عن حالي فاخبروني اي عن حالكم
وقيل اسأله عنكم اولا وهذا معنى قوله ما انتم حيث لم يعرف من انتم ويمكن ان يكون طلبا لتقويهم
وجزاء لفعلهم قال الطيبي ومكرما قوله ما انت قال لهم ما انتم انه ما عهد ان انسانا يطرق ذلك
المكان وقال ابن الملك اي من انتم او ما حالكم قالوا نحن اناس من العرب الى الغيبة ذكره ابن
الملك ويمكن ان يكون التفتت تأدبا لتعظيمه تغليب للغائبين على الحاضرين نحن اناس
من العرب ركبنا في سفينة بحرية فلعب بنا البحر شهرا فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة اهلب
فقالت انا الجساسة اعمدوا بكسر الميم اي اقصدوا الى هذا اي الرجل في الدير اي القصر الكبير
فاقبلنا اليك سراعا قال اخبروني عن نخل بيسان بفتح موحدة وسكون تحتية وفي رجعة
بالشام ذكره الطيبي قرية من الاردن ذكره ابن الملك وفي القاموس قرية بالشام وقرية بمرو
وموضع باليمامة وفي نسخة بنون بدل الموحدة لكن ما وجدت له اصلا في اللغة فيناسب
المقام وانما ذكر في القاموس وقال بيسان شاة بيع لما اشهر الرومية هل تثمر اي تلك
النخل قلنا نعم قال اما بالتخفيف للتنبيه انها توشك اي تقرب ان لا تثمر قال
اخبروني عن بحيرة الطبرية بالتصغير والبحيرة تصغير البحر وفي القاموس الطبرية محركة
قصبة بالاردن والنسبة اليها طبراني هل فيها ماء قالوا هي كثيرة الماء قال اما ان ماءها
يوشك ان يذهب اي يفنى قال اخبروني عن عين زغر بزاي فغين معجمة فراء كزفر بلدة بالشام
قليلة النبات قيل عدم صرفه للتعريف والتأنيث لانه في الاصل اسم امرأة ثم نقل
يعني ليس للتأنيث باعتبار البلدة والبقعة فانه قد يذكر ويؤنث باعتبار البلد
والمكان وقال شارح هو موضع بالشام وقال النووي هي بلدة معروفة في الجانب
القبلي من الشام هل في العين ماء اي في عينها وذلك العين فاللام للعوض عن المضاف اليه

ان للعهد بها اي كبير لقوله وهل يزرع اهلها اي اهل تلك العين او البلدة وهي الاظهر لقوله
بماء العين قلنا نعم هي كثيرة الماء واهلها يزرعون من مائها الظاهر ان جوابه على طبق ما سبق وهو
اما انها يوشك ان لا يبقى فيها ما يزرع به اهلها ولعل في تلك المذكورة واجوبتها المسطورة في
اشارة الى انها علامات لخروجه وامارات لذهاب بركتها بسبب شؤم ظهوره وحصوله ولما كان
هذه الاسئلة توطئة لما بعدها قال اي الدجال معرضا عن الجواب الثاني وبادرا الى السؤال
المقصود والمطلوب رغما للمجهود اخبروني عن نبي الاميين اي العرب ما فعل بفتحتين اي ما وضع
اي بعد ما بعث قال ابن الملك في شرح المشارق اراد الدجال بالاميين العرب لانهم لا يكتبون
ولا يقرؤون غالبا وانما اضاف نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم اليهم طعنا عليه بانه مبعوث اليهم
خاصة كما زعم بعض اليهود وبانه غير مبعوث الى ذوي الفطنة والكياسة والعقل والرياسة
قلنا قد خرج من مكة ونزل يثرب اي هاجر منها الى المدينة قال اقاتله العرب قالوا نعم قال
كيف صنع بهم فاخبرناه انه قد ظهر اي غلب وظفر على من يليه اي يقرب من العرب واطاعوه قال
اما ان ذلك خير لهم قال الطيبي المشار اليه ما يفهم من قوله ان يطيعوه جاء مبينا لبيان وهو
ان يكون المشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخبرا ما خبر مبتدأ اي ان يطيعوه وفي هذا
لا يكون بمعنى التفضيل ويكون ان يطيعوه مبتدأ وخير خبره مقدما عليه والجملة خبر ان
قال التوربشتي فان قيل فيشبه هذا القول قول من عرف الحق والمخذول من
البعد من الله بمكان لم يرك فيه مساهم فما وجه قوله هذا قلنا يحتمل انه اراد به
الخير في الدنيا اي طاعتهم له خير لهم فانهم ان خالفوه اجتاحهم واستاصلهم ويحتمل انه
من باب الفرقة مرنه الله تعالى عن الطعن فيه والتكبر عليه والتفوه بما ذكر عنه
كالمغلوب عليه والماخوذ عليه فلا يستطيع ان يتكلم بغير تابيدا للنبي صلى الله عليه وسلم والفضل
به الاعداء واني مخبركم عني اي بكسر الهمز وفتحه اني انا المسيح اي الدجال واني بالوجهين يوشك ان
يوذن لي بالخروج فاخرج فاسير في الارض فلا ادع بالنصب في الثلاثة وجوز رفعها اي فلا
اترك قرية الا هبطتها في اربعين ليلة ظرف لاسير وعدم الترك اشعارا بقوة سياحته التي هي
احد وجوه تشبهه بالمسيح على انه فعيل بمعنى الفاعل تكون سياحته مرورا كالمسيح غير مكة
استثناء من القرية التي وقعت نكرة في سياق النفي المنصوب عليه الاستثناء المفيد للاستغراق
وطيبة عطف على مكة وهي بفتح الطا وسكون التحتية مرة من اسما المدينة كطابة فهما اي مكة
وطيبة محرمتان علي اي ممنوعتان في دخولهما كلتاهما تاكيدهما ثم بين سبب المنع بقوله كلما
اردت ان ادخل واحدا اي حرما واحدا منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا بفتح الصاد
وبضم اي مجردا عن الغمد قال شارح هو بالفتح والضم مصدر بمعنى الفاعل والمفعول حال عن الملك
او السيف اي مصلتا من قولهم اصلت سيفه جرده من غلافه وقوله يصدني عنها اي يمنعني عن
كل واحدة منها استئناف بيان او حال والضمير للملك او السيف مجازا والله تعالى حقيقة
وهو المذكور في السابق والمحظور في الجواب فصح ان يكون مرجعا للضمير على وجه البيان كما
حقق في قوله تعالى قل هو الله احد وان على كل نقب بفتح نون وسكون قاف اي طريق وباب
منها اي من كل واحدة ملائكة يحرسونها اي يحفظونها عن الافات والبليات من عز ذلك الملك
والظاهر انه جبريل عليه السلام لما تقدم والله اعلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وطعن اي وقد طعن اي ضرب بمخصرته بفتح الميم وكسر الصاد اي بعصاه في المنبر اي عليه كقوله
تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل وفي الطعن تضمين الايقاع كقوله يجرح في عراقيبها
نصلي وفي الفايق هو قضيب يشير به الخطيب او الملك اذا خاطب وقال التوربشتي

المخصرة

المخصرة كالسوط وكلما اختصر الانسان بيده فامسكه من عصا ونحوها فهو مخصرة وقال شارح
المخصرة ما يمسكه الانسان بيده من قضيب او عصا ونحوهما فيضع على خاصرته ويتكي عليها وقيل
هي كالسوط هذه طيبة الجملة مقول القايل وما بينهما حال معترضة بين الفاعل والمفعول هذه طيبة
هذه طيبة كررها ثلاثا للتاكيد يعني المدينة اي يريد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله هذه الموضوعة
للاشارة المحسوسة المدينة المحروسة قال التوربشتي لما وافق هذا القول ما كان حدثهم به
اعجبه ذلك وسر به فقال الا اي تنبهوا هل كنت حدثتكم اي بمثل هذا الحديث ومطابق
لهذا الخبر فقال الناس نعم الا المنتبه انه اي الدجال في بحر الشام او بحر اليمن فيه ما حدثهم
بقول تميم الداري لم يرد نفيتين لهم موطنه ومحبسه كل التبيين لما راى في الالتباس من المصلحة
فرد الامر فيه الى التردد بين كونه في بحر الشام او بحر اليمن ولم يكن العرب يومئذ تسافر الا
في هذين البحرين ويحتمل انه اراد ببحر الشام ما يلي الجانب الشامي وببحر اليمن ما يلي الجانب
اليماني والبحر واحد وهو الممتد على احد جوانب جزيرة العرب ثم اضرب عن القولين مع حصر
اليقين في احدهما فقال لا بل من قبل المشرق ما هو اي هو وما زائدة ومو مقوله يعني الذي في
الجانب الذي هو فيه قال القاضي لفظة ما هنا زائدة للكلام وليست بنافية والمراد اثبات
انه في جهة المشرق قال التوربشتي ويحتمل ان يكون خبرا اي الذي هو فيه او الذي هو يخرج منه
واوما بيده الى المشرق اي اشار بها الى المشرق قال الاشرف يحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان شاكا
في موضعه وكان في ظنه انه لا يخلو عن هذه المواضع الثلاثة فلما ذكر بحر الشام وبحر اليمن يتفق
له من جهة الوحي او غلب على ظنه انه من قبل المشرق فنفى الاولين واضرب بينهما وحقق الثالث
رواه مسلم وعن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اراني من الرؤيا
كذا ذكره شارح ويحتمل ان يكون لطريق المكاشفة مع ان رؤيا الانبياء حق كما شفتهم الليلة
اي في الرحمة ان مع القول في انه وعند الكعبة ظرف للرؤية او حال من المفعول والمعنى
رايت نفسي عند الكعبة فرايت رجلا ادم بالمد اي اسمر كاحسن ما انت راء اي في الاوصاف
من ادم الرجال بضم همز وسكون دال مهملة جمع ادم كحمر جمع احمر على ما في النهاية وفي
بعض النسخ من الضم لهو من سهو القلم له لمة بكسر اللام وتشديد الميم ما جاوز شحمة الاذن
من الشعر كاحسن ما انت راء من اللمم بكسر ففتح جمع لمة قد رجلها بتشديد الجيم اي سرحها
ومشطها فهي اي اللمة تقطر ماء يحتمل ان يراد بالماء الذي سرح به اذا سرح الشعر وهو يابس
وان يكون كناية عن مزيد النظافة والنضارة متكيا صفة اخرى لرجلا او حال منه لوصفه بادم
اي معتمدا على عواتق رجلين جمع عاتق وهو موضع الرداء من الكتف وقال السيوطي ما بين
المنكب والعنق ثم التركيب من قبيل قوله تعالى صغت قلوبكما وحديث الفضل في سنا بيته
يطوف بالبيت استئناف بيان او حال فسالت اي الحاضرين او الملائكة الحاضرين
من هذا وفيه ايماء الى ان المكاشفة قد يكون في بعض الاشياء مع وجود بعض الاخفاء فقالوا هذا
المسيح بن مريم قال اي النبي عليه السلام ثم اذا انا برجل جعد بفتح جيم وسكون عين وهو من
الشعر خلاف السبط او القصير منه كذا في القاموس قطط بفتح الطا الاولى ويكسر وفي القاموس
القطط القصير الجعد من الشعر كالقطط محركة اعور العين اليمنى بالجر في اعور مضاف كان عينه
عنبة طافية بكسر الفا بعدها يا وفي نسخة بالهمز قال السيوطي روي بالهمز بمعنى ذاهب
ضوؤها وبدونه وصححه الاكثر بمعنى ناتئة بارزة لنتوء حبة العنب قال القاضي عياض كلا
عينيه معيبة عوراء فاليمنى مطموسة وهي الطافية بالهمز واليسرى اي ناتئة جاحظة كانها
كوكب وهي الطافية بلا همز كاشبه من رايت قال الجزري ضبطناه بالتكلم والخطاب وهو

او صح قلت اكثر النسخ على التكلم وهو الاظهر في مقام التشبيه والمعنى هو اشبه من ابصرته
من الناس بابن قطن بفتحتين واحد من اليهود وبها متعلق باشبه وفي الرواية الاتية
اقرب الناس شبها ابن قطن ولعل وجه الشبه باعتبار بعض الوجوه الاتية او باعتبار ان
عينه عنبة طافية واضعا يديه حال من الرجال على منكبي رجلين الظاهر ان المراد بهما من
يعين وفي باطل مرامه كما ان المراد بالرجلين الاوليين من يساعدان المسيح على حقه ولعلهما
الخضر والمهدي من اصحابه يطوف بالبيت فيه اشعار بان الدجال لا يستغني عن هذا الجناب
ولا يتيسر لهم غرض من امر هذا الباب وفي قوله تعالى مثابة للناس اشارة الى ذلك وكذا وجد
الكفار في الجاهلية وزمن البعثة ما كانوا يتركون الطواف والان ايضا يتمنى اليهود
والنصارى ان يتشرفوا برؤية هذا البيت والطواف حوله وقال التوربشتي طواف
الدجال عند الكعبة مع انه كافر ما تؤول بان رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم من مكاشفاته كوشف
بان عيسى عليه السلام في صورته الحسنة التي يتزل فيها يطوف حول الدين لاقامة اوده
واصلاح فساده وان الدجال في صورته الكريهة التي ستظهر يدور حول الدين يبغي العوج
والفساد فقلت من هذا فقالوا هذا المسيح الدجال قال التوربشتي وجه تسميته
بالمسيح في احد الوجوه البيان ان الخير مسح عنه فهو مسيح الضلالة كما ان الاول مسيح
الهداية وقد سمي عيسى به لانه كان لا يمسح بيده ذا عاهة الا برأ وقيل لانه امسح
الرجل لا اخمص له وقيل لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن وقيل لانه كان يمسح
الارض اي يقطعها وقيل المسيح الصديق وسمي الدجال به لان احدى عينيه ممسوحة
لا يبصر بها والاعور يسمى مسيحا انتهى او لانه يمسح في ايام معدودة جميع مساحة الارض
الا مكة والمدينة فهو فعيل بمعنى فاعل وقيد بالمسيح الدجال لان المسيح وصف غلب
على عيسى عليه السلام فوصف بالدجال ليتميز المخوف من المنتظر متفق عليه وبدل رواه مسلم
في باب الاسراء وفي رواية قال اي النبي صلى الله عليه وسلم في الدجال اي في حقه وشانه
رجل اي هو رجل احمر اللون جسيم اي بدنا جعد الراس اي شعرا اعور عينه اليمنى اقرب الناس
به شبها ابن قطن وذكر حديث ابي هريرة لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها
في باب الملاحم وسنذكر حديث ابن عمر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فاثنى على
الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال الى اخره في باب قصة ابن صياد ان شاء الله تعالى متعلق بقوله
سنذكر وكان المؤلف اي ان ذكره في ذلك الباب هو الاقرب الى الصواب والله اعلم بالصواب

الفصل الثالث عن فاطمة بنت قيس رضي الله تعالى عنها في حديث تميم الداري
اي في ما سبق بطوله قال اي تميم وفي نسخة قالت اي نقلا عنه فاذا انا بامراة قال في
الحديث السابق فلقيتهم دابة اهلب وههنا فاذا انا بامراة فيحتمل ان للدجال جساستين
احدهما دابة والثانية امراة ويحتمل ان الجساسة كانت شيطانة تمثلت مرة في صورة
دابة واخرى في صورة امراة وللشيطان التشكل باي شكل اراد ويحتمل ان تسمى
المراة دابة مجازا كما قال تعالى ان شر الدواب عند الله الصم البكم قلت الاظهر
ان لا تسمى لقوله سبحانه وما من دابة في الارض الا على الله رزقها اذ الدابة في هذه الاية
تعم المخلوقين المرزوقين بخلاف الاية السابقة فان الظاهر ان المراد منها دواب الحيوان
فيكون في المعنى كقوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل تجر شعرها صفة للمراة
وهو كناية عن طول شعرها وان الشعر يحرك ويسكن قال اي تميم ما انت قالت انا الجساسة
اذهب الى ذلك القصر اي المعبر عنه فيما سبق بالدير فاتيته فاذا رجل يجر شعره مسلسل

صفة

صفة ثانية اي مقيد بالسلاسل في الاغلال ينزو بسكون النون وضم الزاي اي يثب
ويرتفع فيما بين السماء والارض وابعد من قال انه متعلق بمسلسل فقلت من انت فقال
انا الدجال رواه ابو داود وعن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت ان لا تعقلوا اي لا تفهموا ما حدثتكم في شان
الدجال وتتشوشوا لكثرة ما قلت في حقه قال الطيبي حتى غاية لحدثتكم اي حدثتكم احاديث
شتى حتى خشيت ان يلتبس عليكم الامر فلا تعقلونه فاعقلوا وقوله ان المسيح الدجال
اي بكثرتها استئناف فيه نوع تاكيد لما عسى ان يلتبس عليهم انتهى وفي خشيت بمعنى
رجوت وكلمة لا زائدة ثم قوله قصير غير ملايم لما سبق من كونه اعظم انسان وجوابه
انه لا يبعد ان يكون قصيرا لبطنا عظيم الخلقة وهذا المناسب لكونه كبير الفتنة او
العظمة مقرونة بالهيئة فيكون رجلا ان الله تعالى يغيره عند الخروج افحج بتقديم
الحاء على الجيم اي الذي يتدانى صدور قدميه ويتباعد عقباه وقيل افحج ساقاه اي يتفرج وهو
خلاف المروح كذا قاله شارح وفي النهاية الفحج تباعد ما بين الفخذين جعد اي شعره
اعور اي احدى عينيه مطموس العين اي ممسوحها بالنظر الى الاخرى ليست
ناتئة اي مرتفعة فاعلة من النتو ولا جحراء بفتح جيم وسكون حاء اي ولا غائرة والجملة
المنفية مؤكدة لاثبات العين الممسوحة وهي لا تنافي ان الاخرى ناتئة بارزة كنتوء حبة
العنب على ما تقدم والله اعلم فان البس عليكم بصيغة المجهول اي ان اشتبه عليكم امر الدجال
بسبب ان ما بينت لكم من الحال وان لبس عليكم امره بشبهة من الالوهية بالامور الخارقة
عن العادة فاعلموا ان ربكم ليس باعور اي انما يجب عليكم من معرفة صفات الربوبية
هو التنزيه عن الحدوث والعيوب لا سيما النقائص الظاهرة المرئية رواه ابو داود وكذا
النسائي وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول انه اي الشان لم يكن نبي بعد نوح الا قد انذر الدجال قومه اي خوفهم به
وقدم المفعول الثاني للاهتمام بذكره وقد تقدم ان نوحا عليه السلام انذر قومه فبعد
نوح ليس للاحتراز واني انذركموه اي الدجال بعيانه وصفه خوفا عليكم من تلبيسه
ومكره فوصفه لنا اي ببعض اوصافه قال اي النبي عليه السلام لعله سيدركه بعض من
رآني اي في تقدير خروجه سريعا وقد دل على بقاء الخضر او سمع كلامي ليس او من شك
الراوي بل للتنويع لانه لا يلزم من الرؤية السماع وهو لمنع الخلو فلا يمكن الجمع وقيل
المعنى او سمع حديثي بان وصل اليه ولو بعد حين قالوا يا رسول الله فكيف قلوبنا
يومئذ فيه اشارة الى ان سحره لا يؤثر في قلوب المؤمنين وان كان يخيل في اعينهم ما ليس
من اليقين قال مثلها اي مثل قلوبكم الان وهو معنى قول الراوي يعني اي يريد بالاطلاق
تقييد الكلام بقوله اليوم او خير شك من الراوي ويحتمل التنويع بحسب الاشخاص
رواه الترمذي وابو داود وعن عمرو بن حريث تصغير حرث بمعنى ذو
ضرع قال المؤلف قرشي مخزومي راى النبي صلى الله عليه وسلم ومسح براسه ودعا له بالبركة
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه بصيغة التثنية لان الحديث من باب رواية الصحابي
الصغير عن الكبير قال اي الصديق حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
استئناف مؤكد لحدثنا او بدل على مذهب الشاطبي ومن تبعه من ان الابدال
يجري في الافعال وهو اصح الاقوال والتقدير حدثنا شيئا من جملته قال الدجال
يخرج من ارض بالمشرق يقال لها خراسان بضم اوله وفي القاموس انه بلاد يعني معروفة

بين بلاد ما وراء النهر وبلاد العراق معظمها الآن بلاد هراة المسماة بخراسان كتسمية الدمشق بالشام
يتبعه بسكون التاء وفتح الباء وفي نسخة بتشديد التاء وكسر الباء أي يلحقه ويطيعه أقوام أي جماعات
أي عظيمة وشرذمة من جنس الإنسان ولكنهم يشبهون الجان كأن وجوههم المجان بفتح الميم وتشديد
النون جمع المجن بكسر الميم وهو الترس وقوله المطرقة بضم الميم وسكون الطاء في ما في أصل السيد وأكثر
النسخ وقال السيوطي روي بتشديد الراء وتخفيفها فهي مفعول من أطرقته أو طرقته أي جعلت الطراق
في وجه الترس والطراق بكسر الطاء الذي يقطع على مقدار الترس فيلصق على ظهره والمعنى أن وجوههم
عريضة ووجناتهم مرتفعة كالمجنة وهذا الوصف إنما يوجد في طائفة الترك والأزبك المشهور الآن الأظهر
أن المراد بهم أن يأتي الدجال في خراسان كما يشير إليه قوله يتبعه أي يكونون حينئذ موجودين في خراسان
حماه الله من آفات الزمان رواه الترمذي وكذا ابن ماجه والحاكم وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما
أسلم هو وأبوه وكان من فضلاء الصحابة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع بالدجال
أي بخروجه وظهوره فلينأ بفتح الياء وسكون النون وفتح الهمزة أمر غائب من نأى حذف الألف للجزم أي فليبعد
منه أي من الدجال إذ البعد عن زيه سعد قال تعالى ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار والركون
أدنى الميل فوالله إن الرجل ليأتيه وهو أي الرجل يحسب بكسر السين وفتحها أي يظن أنه أي الرجل
بنفسه مؤمن فيتبعه بالتخفيف ويشدد أي فيطيع الدجال مما يبعث به بضم أوله وفتح ثالثه أي من أجل
ما يثيره وفي شرح من الشبهات أي المشكلات كالسحر وإحياء الموتى وغير ذلك فيصير كافرا وهو لا يدري
رواه أبو داود وعن أسماء بنت يزيد بن السكن بفتحتين الأنصارية من ذوات العقل والدين قالت
قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة وتقدم أن اللبث في الأرض أربعون
يوما ولعل وجه الجمع بينهما اختلاف الكمية والكيفية كما يشير إليه قوله السنة كالشهر فإنه محمول على
سرعة الانقضاء كما أن ما سبق من قوله يوم كسنة محمول على الشدة في غاية من الاستقصاء على أنه يمكن
اختلافه باختلاف الأحوال والرجال والشهر أي من السنة كالجمعة أي كالأسبوع والجمعة يعني
الأسبوع من الشهر كاليوم أي كالنهار واليوم كاضطرام السعفة بفتحتين واحدة السعف وهو غصن النخل
أي كسرعة التهاب النار ودوران الحال والاضطرام الالتهاب والاشتعال فالمعنى أن اليوم كالساعة رواه أي البغوي
في شرح السنة أي بإسناده وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال
من أمتي أي أمة الإجابة والدعوة وهو الأظهر لما سبق أنهم من يهود أصفهان سبعون ألفا عليهم السيجان
بكسر السين جمع ساج كتيجان وتاج وهو الطيلسان الأخضر وقيل المنقوش ينسج كذلك قال ابن الملك
أي إذا كان الأمر بهذا الترتيب سبعون ألفا فما ظنك بالفقراء قلت الفقراء لكونهم مفلسين هم في أمان إلا
إذا كانوا طامعين في المال والجاه فهم في المعنى من أصحاب الترفه التابعين لتحصيل الكثرة سواء يكون
متبوعهم في الحق أو الباطل كما شوهد في الأزمنة المتقدمة أيام يزيد والحجاج وابن زياد وهكذا
يزيد الغش كل سنة بل كل يوم في البلاد منبع العمى العباد والمشايخ الزهاد كما يشاهد بشر
العباد للأشراف والمناصب الكاسدة ونسأل الله العفو والعافية وحسن الخاتمة رواه في
شرح السنة قيل في سنده أبو هارون وهو متروك وعن أسماء بنت يزيد أي ابن السكن قالت كان
النبي صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال إن بين يديه أي قدام الدجال وقبل خروجه ثلاث سنين
أي ممتلئة في ذهاب البركة سنة بالرفع وفي نسخة بالنصب تمسك السماء أي تمتنع بإمساك الله
فيها أي في تلك السنة ثلث قطرها بفتح القاف أي مطرها المعتاد في البلاد والأرض أي وتمسك
الأرض ثلث نباتها أي ولو كانت تسقى من غير المطر والثانية أي السنة الثانية وهي بالرفع ويجوز النصب
إما على البدلية وإما على الظرفية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السماء
قطرها كله والأرض نباتها كله يعني فيقع القحط في بين أهل الأرض كلها ويكون الخزائن والكنوز تتبعه

والانواع

والأنواع النعيم من الخبز والثمار والأنهار ومعه فلا يبقى بالتذكير ويؤنث ذات ظلف بكسر الظاء المعجمة هي
للبقرة والشاة والغنم ولا ذات ضرس وهي السباع من البهائم إلا هلك أي لا يبقى في حال من الأحوال
إلا في حال الهلاك وإن من أشد فتنة أي أعظم بليته أنه يأتي أي الدجال الأعرابي أي البدوي ومن في
معناه من جنس الغبي فيقول أي الدجال أرأيت أي أخبرني إذا أحييت لك إبلك أي التي ماتت من
القحط ألست تعلم أني ربك فيقول بلى فيمثل بكسر المثلثة وبفتح أي فيصور له نحو إبله أي مثال
إبله من الشياطين كما يدل عليه نسخة فيمثل له الشياطين نحو إبله كأحسن ما يكون أي كأحسن
أكوانه ضروعا أي من اللبن ونصبه على التمييز وأعظمه أي وأعظم ما يكون من جهة السمن
أسنمة بكسر النون جمع السنام قال أي النبي عليه السلام وإنما ذكره تأكيدا أو لإرادة طول
الفصل تأكيدا ويأتي الرجل عطف على قوله ويأتي الأعرابي فيكون من جملة أشد الفتنة قد
مات أخوه مثلا ومات أبوه الظاهر أن الواو بمعنى أو وكذا في العقد فيقول أرأيت أي أخبرني
والخطاب لمن مات أبواه أو للكلمتين ما ثبت أبوه وأخوه إذا أحييت لك أباك وأخاك ألست تعلم
أني ربك فيقول بلى فيمثل له الشياطين مفعول نحو أبيه ونحو أخيه مفعول ثان وفي نسخة
فيمثل بصيغة المجهول ورفع الشياطين وقيل بنصب الشياطين بنزع الخافض أي من الشياطين
فعلى هذا بنصب نحو ويرفع باختلاف العاملين قالت أي أسماء ثم خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم لحاجة فلما رجع والقوم في اهتمام وغم أي شدة وحزن لما كان بما حدثهم أي من أجل ما حدثهم
إياهم به قالت فأخذ بلحمتي الباب بفتح اللام وسكون الحاء كذا في جميع نسخ المشكاة أي بحلقته ذكره
ابن الملك في شرح المصابيح وقال شارح له هو بلجفتي الباب بالجيم والفاء قال التوربشتي الصواب
فأخذ بلجفتي الباب أريد بهما العضادتان وقد فسر بجانبيه ومنه لجاف البئر أي جوانبها وفي كتاب
المصابيح بلحمتي الباب وليس بشيء ولم يرد ذلك في كتب أصحاب الحديث إلا على ما ذكرنا قلت
ويؤيده ما في القاموس من أن اللجف حفر في جانب البئر واللجفتان الباب جانباه لكن بعد اتفاق النسخ
لا بد من التوجيه ففي القاموس اللحمة القطعة من اللحم فيجوز وقيل المراد بهما قطعتا الباب فإنهما
ينفتحان وينفصلان وبلحمتان وهو أولى من تغطية رواة الكتاب والله أعلم بالصواب فقال
أي النبي صلى الله عليه وسلم مهيم بفتح فسكون ثم فتح فسكون في القاموس مهيم كلمة استفهام
أي ما حالك وما شأنك أو ما وراءك أو أحدث لك شيء وقال القاضي مهيم كلمة يمانية ومعناه
ما الحال والخبر وقوله أسماء منادى حذف منه حرف النداء قلت يا رسول الله لقد خلعت
أفئدتنا أي انخلعت قلوبنا بذكر الدجال أي وما معه من الفتنة وشدة الحال قال إن يخرج وأنا
حي أي فرضا وتقديرا فأنا حجيجه أي دافعه عنكم بالحجة والبينة وإلا فإن ربي خليفتي على كل مؤمن
وهو ما في ما سبق من قوله فامرؤ حجيج نفسه قال المظهر أنه يجب في كل شخص أن يدفعه
عن نفسه بالحجة اليقينية فإذا كان صاحب الشفقة موجودا فلا يحتاج إلى غيره لأنه مؤيد من
عند الله والله ولي وفي مرتبته وكذا نظراؤه ممن آمن به فقلنا يا رسول الله إنا والله لنعجن
بكسر الجيم عجينا فما نخبزه بكسر الموحدة ويضم أي فما نتم خبزه حتى نجوع أي من قلة صبرنا عن الأكل
فكيف بالمؤمنين الصابرين أي كيف حالهم يومئذ أي في وقت القحط والاضطرار وجود الخبز
من الدجال وأتباعه قال يجزئهم ما يجزئ بضم أوله مهموزا أي يكفيهم ما يكفي أهل السماء أي
الملائكة من التسبيح والتقديس قال المظهر يعني من ابتلي بزمانه في ذلك اليوم لا يحتاج إلى
الأكل والشرب كالاحتياج الملائكة وأبعد الطيبي حيث قال معناه أنا نعجز العجين لنخبزه
فلا نقدر على خبزه لما نرى من خوف الدجال حين خلعت أفئدتنا بذكره فكيف حال من ابتلي
بزمانه فيعني قوله يجزئهم أنه تعالى يعيشهم ببركة التسبيح والتقديس هذا وفي الحديث كلمة

سبحانه الله وبجهه عبادة الخلق وبها يقطع ان زان فهم رواه البزار عن ابن عمرو ومعنى الانقطاع تسويغ الامام من مال الله شيئا لمن يراه اهلا لذلك ثم استعمل في كل ما يعين للتملك رواه هنا بياض في الاصل والحق به احمد وابو داود والطبراني وفي رواية احمد عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عنها والغرض به عنها **الفصل الثالث عن المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه قال ما سأل احد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال اكثر مما سألته** اي عنه وانه بكسر الهمزة والواو للحال والعطف الجملة الثانية على المنفية والتقدير وقال انه والواو لمطلق الجمع والضمير للشأن وقوله صلى الله عليه وسلم **قال لي ما يضرك** قال الطيبي الجملة حال والمعنى كنت مولعا بالسؤال عن الدجال مع انه صلى الله عليه وسلم قال ما يضرك فان الله تعالى كافيك شره **انتهى** والظاهر ان الجملة اخبارية سرية ويمكن ان يكون خبرية لفظا وفي المعنى دعائية وانما اتى بصيغة المضارع لتوقع وجوده في الاستقبال والله اعلم بالحال **قلت انهم** اي الناس او اهل الكتاب او اليهود يقولون **ان معه جبل خبز** بضم الخاء المعجمة وسكون الموحدة فزاي اي معه من الخبز قدر الجبل وفي نسخة جبال خبز وهي كذا في المصابيح وكانه تصحيف **ونهر ماء** بفتح الهاء وهو افصح ويسكن وهو اشهر وفيه اشارة الى انه في زمانه يحصل الماء ايضا ابتلاء للعباد وزوال البركة في البلاد لعموم الفساد وهذا السؤال مستقل لا تعلق له بما قبله وانما بعد الطيبي في قوله **قلت** الخ استئنافا جواب عن سؤال مقدر اي سألته يوما فقال لي لا يضرك اي ما يضحك **قلت** كيف ما يضحكني وانهم يقولون ان معه جبل خبز **قال هو اهون على الله من ذلك** اي الدجال اي الدجال هو احقر من ان الله تعالى يحقق له ذلك وانما هو تخييل وتمويه للابتداء فيهت المؤمن ويزل الكافر والمراد انه اهون من ان يجعل شيئا من ذلك آية على صدقه ولا سيما قد جعل فيه آية ظاهرة في كذبه وكفره يقرؤها من لا يقرأ وفي شرح مسلم قال القاضي معناه هو اهون على الله من ان يجعل ما خلق الله تعالى على يديه مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله الله ليزداد الذين آمنوا ايمانا ويلزم الحجة على الكافرين والمنافقين ونحوهم وليس معناه انه ليس معه شيء من ذلك **متفق عليه وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج الدجال على حمار اقمر** اي شديد البياض على ما في النهاية في ذنبه ابيا الى الزرقة ما بين اذنيه **سبعون باعا** وهو طول ذراعي الانسان وما بينهما **رواه البيهقي في كتاب البعث والنشور** انتهى والله سبحانه اعلم

باب قصة ابن الصياد

كذا في نسخة السيد واكثر النسخ المعتمدة وفي بعض النسخ ابن الصياد وعبارة القاموس ابن صياد او صائد الذي كان الدجال يظن انه وقال كان اسمه صافيا بدا اسم عبد الله وقيل صياف ويقال ابن صائد وهو يهودي من يهود المدينة وقيل هو دخيل فيهم وكان حاله في صغره حال الكهان يصدق مرة ويكذب مرارا ثم اسلم لما كبر وظهرت منه علامات من الحج والجهاد مع المسلمين ثم ظهرت منه احوال وسمعت منه اقوال تشعر بانه الدجال وقيل انه مات بالمدينة وقيل بل فقد يوم الحرة وقال ابن الملك اختلفوا في حال ابن الصياد فقيل هو الدجال وما قيل انه مات بالمدينة لم يثبت اذ قد روي انه فقد يوم الحرة واما انه لم يولد له الدجال وانه لا يدخل البلدين وانه يكون كافرا فذلك في زمان خروجه وقيل ليس هو الدجال ونقل ان جابرا حلف بالله ان ابن الصياد هو الدجال وانه سمع عمر بن الخطاب يحلف بذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكره والظاهر من قصة تميم الداري انه ليس هو الدجال نعم كان ابن الصياد ابتلاء من الله تعالى للعباد فوقى الله المسلمين من شره اقول ولا ينافي قصة تميم الداري اذ يمكن ان يكون له ابدان مختلفة فظاهره في عالم الحس والخيال

ذا بين مع اختلاف الاحوال وباطنه في عالم المثال متقيد بالسلاسل والاغلال والعل المانع من ظهور كماله في الفتنة وجود سلاسل النبوة ففعلا لرسالة والله اعلم **الفصل الاول عن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه** انفرد الضمير لكونه هو الاصل المروي عنه وذكر ابنه تبعا له وفي نسخة عنهما وهو من الزيادات في الكتاب وهو تحريف عن الصواب **انطلق** اي ذهب عمر **مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط** وهو ما دون العشرة من الرجال والمعنى في جملة جمع **من اصحابه قبل ابن صياد** بكسر القاف وفتح الموحدة اي جهته **حتى وجدوه** فيه حتى هنا حرف ابتداء يبتدأ بعدها الكلام ويفيد انتهاء الغاية **يلعب مع الصبيان** حال من مفعول وجدوه **في اطم بني مغالة** بفتح الميم وتخفيف الغين المعجمة وتقدم بالضم والمهملة وهو قبيلة والاطم بضمتين القصر وكل حصن مبني بحجارة وكل بيت مربع مسطح الجمع آطام واطوم كذا في القاموس وقال النووي المشهورة مغالة بفتح الميم وتخفيف الغين المعجمة **وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم** بضمتين ويسكن اللام اي البلوغ بالاحتلام **فلم يشعر** بضم العين وفيه اشعار بانهم جاؤوه في غفلته منه اي لم يتفطن انا **حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره** اي ظهر ابن صياد **بيده** اي الكريمة **ثم قال** اي النبي صلى الله عليه وسلم **اتشهد اني رسول الله فنظر اليه** اي الى النبي صلى الله عليه وسلم نظر غضب او غفلة وكذا لم يترتب عليه تفرع له كما قال تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون **فقال اشهد انك رسول الاميين** قال القاضي يريد بهم العرب لان اكثرهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون وما ذكره وان كان حقا من قبل المنطوق لكنه يشعر بباطل من حيث المفهوم وهو انه مخصوص بالعرب غير مبعوث الى العجم كما زعمه بعض اليهود وهو ان قصد به ذلك فهو من جملة ما يلقي اليه الكاذب الذي يأتيه وهو شيطانه انتهى ويمكن ان يكون مسموعة من اليهود لانهم منهم وهذا على طريقة الحكاية في زعمهم انهم مستغنون عن الانبياء **ثم قال ابن صياد اتشهد اني رسول الله** يحتمل انه اراد به الرسالة النبوية كما يدل عليه المقابلة الكلامية ويحتمل انه اراد الرسالة اللغوية فانه رسول من عند تعالى للفتنة والبلية **فرصه النبي صلى الله عليه وسلم** بتشديد الصاد المهملة اي ضغطه حتى ضم بعضه الى بعض ومنه قوله تعالى كانهم بنيان مرصوص ذكره الخطابي وقال النووي في اكثر النسخ بلا دال فرفضه بالفاء والضاد المعجمة والمعنى تركه وقطع سؤاله وجوابه وجدال من هذا الباب وقال شارح قوله رفضه اي كسره وقيل صوابه بالمهملة والمراد منه العصر والتضييق **ثم قال** اي النبي عليه السلام **آمنت بالله وبرسله** قال الطيبي هو عطف على فرصه وثم للتراخي في الرتبة والكلام خارج على ارخاء العنان اي آمنت بالله وبرسله فتفكر هل انت منهم انتهى وفيه ايهام تجويز التردد في كونه من الرسل ام لا ولا يخفى فساده فالصواب انه على المفهوم كما نقله الدجى فالمعنى اني آمنت برسله وانت لست منهم فلو كنت منهم لآمنت بك وهذا ينحى على الفرض والتقدير وقد اراد بعلمه انه خاتم النبيين ولا يقبل العلم بالخاتمة فلا يجوز ايضا الفرض والتقدير وقد بعض علمائنا بانه لو ادعى احد النبوة فطلب منه شخص المعجزة كفر لانه لم يقتل صلى الله عليه وسلم مع انه ادعى بحضرته النبوة لانه صبي وقد نهى عن قتل الصبيان او لان اليهود كانوا يومئذ متمسكين بالذمة مصالحين ان يتركوا على امرهم وهو منهم او من خلفائهم فلم يكن ذمة ابن الصياد المتفضل بقوله الذي قاله كذا قاله بعض علمائنا من الشراح وقال ابن الملك وهذا يدل على ان عهدا لو الدي يجري عن ولده وقيل انه ما ادعى النبوة صريحا لان قوله اتشهد استفهام لا انكر فيه رغبة تأييد لما تقدم من الاحتمال المعنى اللغوي في الرسالة **ثم قال لابن الصياد وماذا ترى** اي ما ترى وما استفهامية اي ما تبصر وتكاشف من الامر الغيبي **قال يأتيني صادق** اي خبر صادق تارة **وكاذب** اي اخرى او ملك صادق وشيطان كاذب وقيل حاصل السؤال ان الذي يأتيك ما هو

لك وجه الجواب انه تحدث بشي قد يكون صادقا وقد يكون كاذبا قال صلى الله عليه وسلم في الجواب
خلط لك بصيغة المجهول مشددا للمبالغة والتكثير ويجوز تخفيفه اي شبه عليك الامر
اي الكذب بالصدق قال النووي اي ما يأتيك به شيطانك مخلط قال الخطابي معناه انه كان له تارة
يصيب في بعضها ويخطي في بعضها فلذلك التبس عليه الامر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني خبأت اي اضمرت لك اي في نفسي خبيا اي اسما مضمر التخمير فيه قال ابن الملك وانما امتحنه
صلى الله عليه وسلم بذلك ليظهر ابطال حاله للصحابة وانه كاهن يأتيه الشيطان فيلقي على لسانه
وخباله يوم تأتي السماء بدخان مبين الجملة حال تقديرا وبدونه فقال هو الدخ بضم فتشديد
وقيل بالفتح والكسر ايضا ففي النهاية الدخ بضم الدال وفتحها الدخان لانه اراد بذلك يوم تاتي
السماء بدخان مبين وقيل ان عيسى يقتل الدجال بجبل الدخان فيحتمل ان يكون اراده تعريضا
لقتله وفي القاموس الدخ ويضم الدخان انتهى وللتوربشتي بضم الدال وتخفيف الخا
لكان له وجه في انه رمز واشارة الى الدخان وتصريح بنقصان ادراكه كما هو داب الكهان
وقال النووي وهو بضم الدال وتشديد المعجمة وهي لغة في الدخان ومعنى اخبات اضمرت لك
اسم الدخان والصحيح المشهور انه صلى الله عليه وسلم اضمر له اية الدخان وهي قوله تعالى
فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين قال القاضي عياض واصح الاقوال انه لم يهتد من الاية
التي اضمرها النبي صلى الله عليه وسلم الا بهذا اللفظ الناقص على عادة الكهان اذا القى الشيطان
اليهم بقدر ما يخطف قبل ان يدركه الشهاب ويدل عليه ما ذكره الراوي عنه فقال اخسأ
بفتح السين وسكون الهمزة كلمة زجر واستهانة اي امكث صاغرا او ابعد حقيرا او اسكت مزجورا
من الخسو وهو زجر الكلب فلن تعدو بضم الدال اي فلن تجاوز قدرك اي القدر الذي يدركه
الكهان من الاهتداء الى بعض الشي ذكره النووي وقال الطيبي اي لا تتجاوز عن اظهار الخبيات
في هذا الوجه كما هو داب الكهنة الى دعوى النبوة فتقول اتشهد اني رسول الله اقول
وحاصل الجملة وزبدة المسألة انك وان اخبرت عن الخبي فلن تستطيع ان تتجاوز عن الحد الذي حد
لك يريد ان الكهانة لا ترفع بصاحبها عن القدر الذي عليه هو وان اصاب في كهانته فالمعنى انه
النفث او تجريد ويمكن ان يكون ابن صياد مفضحا لهم ويدل عليه ما بعده تعالى قال عمر يا رسول
الله ائذن لي فيه اي في حقه اضرب وفي نسخة فلا اضرب وفي اخرى اي اذا اضرب عنقه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن هو اي الدجال لا تسلط بصيغة المجهول مجزوما وفي
نسخة بالرفع اي لا تقدر عليه اي على قتله لان المقدر انه يقتله عيسى عليه السلام فيما سيأتي
من الايام وان لم يكن هو فلا خير لك في قتله اي لما تقدم من كونه صغيرا وذميا او كون كلامه
محتملا للتأويل واوسطها اعدلها قال ابن الملك ولما كان فيه قراين دالة على كونه الدجال ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم الحديث بصورة الشك والله اعلم قال القاضي قوله ان يكن هو الضمير
للدجال ويدل عليه ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ان يكن هو فلست صاحبه انما صاحبه
عيسى بن مريم والا يكن هو فليس لك ان تقتل رجلا من اهل العهد وهو خبر كان واسمه
مستكن فيه وكان حقه ان يكون تاكيدا للمستكن والخبر محذوف وفاقا تقديرا ان يكون هو هذا
قال الطيبي ويجوز ان يقدر ان يكن هو الدجال فهو ضمير فصل او هو مبتدا والدجال خبره والجملة
خبر كان انتهى وفي الاخير يكون في يكن ضميرا للشان كما لا يخفى قال ابن عمر انطلق بعد ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابي بن كعب الانصاري بالرفع للعطف ويجوز النصب للمعية يؤمان
النخل امه يوما اذا قصد اي يقصدان النخل التي فيها اي فيما بينها او في بستانها ابن صياد
فطفق بكسر الفاء اي شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقي اي يستتر بنفسه بجذوع النخل

اي

اي وتنحى عن ابن صياد ليأخذه على غرة وغفلة فان تلك الحالة ادل على بطلان الرهبان وهو اي النبي صلى
الله عليه وسلم يختل بسكون الخا وكسر الفوقية من الختل وهو طلب الشي بحيلة والمفعول محذوف
اي يخدع ابن صياد ان يسمع اي ليسمع من كلامه شيئا قبل ان يراه اي ليعلم هو واصحابه حاله في انه
كاهن ام ساحر ونحوهما قال النووي وفيه جواز كشف احوال ما يخاف مفسدته وكشف الامور المبهمة
بنفسه وابن صياد مضطجع في فراشه في قطيفة اي دثار مخمل وقيل لحاف صغير له فيها زمزمة
قال النووي هو في معظم نسخ مسلم بزايين معجمتين وفي بعضها براءين مهملتين ووقع في البخاري بالوجهين
وهو صوت خفي لا يكاد يفهم او لا يفهم قال شارح هو صوت لا يفهم منه شي وهو في الاصل صوت الرعد
فرأت ام ابن صياد النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتقي بجذوع النخل فقالت اي لابنها اي صاف
بالضم وفي نسخة بالكسر فان اصله صافي فحذف اليا واكتفى بالكسرة ويؤيده الاول ظاهر
قوله وهو اسمه ويحتمل ان يكون الاسم بمعنى الوصف فانه يشعر بالمعنى الاعم من نحو اللقب
والعلم هذا اي ذاك محمد او جاك فتنبه له فثار ابن صياد اي انتهى عما كان فيه من الزمزمة
وسكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تركته اي امه بين اي اظهر ما في نفسه كذا في
شرح السنة وقال النووي اي بين لكم باختلاف كلامه ما يهون عليكم شانه قال عبد الله بن عمر
الظاهر انه ما سبانه حديث اخر ذكره استطرادا وكذا لم يات بعاطفه وقال قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال فقال اني انذركموه وما من نبي الا
وقد انذر قومه اي بعد نوح لقد انذر نوح قومه اي قبل الانبيا ولكني ساقول لكم فيه قولا لم يقله نبي
لقومه تعلمون خبر بمعنى الامر اي اعلموا انه اعور وان الله بالفتح للعطف وبالكسر في الجملة حالية
ليس باعور اي بالامر البديهي في التنزيه الالهي قال التوربشتي يحتمل ان احدا من الانبيا لم يكاشف
او لم يخبر بانه اعور ويحتمل انه اخبر ولم يقدر له ان يخبر به كرامة لنبينا صلى الله عليه وسلم حتى يكون
هو الذي يبين بهذا الوصف دحوض حجته الداحضة ويبصر بامره جهال العوام فضلا عن ذوي الالباب
والافهام وفي شرح مسلم للنووي قالوا قصته مشكلة وامره مشتبه في انه هل هو المسيح
الدجال او غيره ولا شك انه دجال من الدجاجلة قالوا وظاهر الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم
انه لم يوح اليه بانه المسيح الدجال ولا غيره وانما اوحي اليه بصفات الدجال وكان لابن
صياد قراين محتملة فلذلك كان صلى الله عليه وسلم لا يقطع بانه الدجال ولهذا قال لعمر رضي
الله عنه لا يولد للدجال ولا ولد له وانه لا يدخل مكة والمدينة وابن صياد قد دخل المدينة
وقد توجه الى مكة فلا دلالة له فيه لانه صلى الله عليه وسلم انما اخبر عن صفاته وقت فتنته
وخروجه في الارض قال الخطابي واختلف السلف في امره بعد كبره فروي انه تاب
من ذلك القول ثم مات بالمدينة وانهم لما ارادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى
يراه الناس وقيل لهم اشهدوا وقال وكان ابن عمر وجابر يحلفان ان ابن صياد هو الدجال
لا يشكان فيه فقيل لجابر انه اسلم فقال وان اسلم فقيل انه دخل مكة وكان بالمدينة فقال
وان دخل وروى ابو داود في سننه بسند صحيح عن جابر قال فقدنا ابن صياد يوم الحرة وهذا يبطل
رواية من روى انه مات بالمدينة وصلي عليه وقد روى مسلم في هذه الاحاديث ان جابرا حلف
بالله تعالى ان ابن صياد هو الدجال وانه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحلف في ذلك
عند النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكره قال البيهقي في كتاب البعث والنشور اختلفوا في
امر ابن صياد اختلافا كثيرا هل هو الدجال ام لا فمن ذهب الى انه غيره احتج بحديث تميم الداري
في قصة الجساسة ويجوز ان يوافق صفة ابن صياد صفة الدجال كما ثبت في الصحيح ان
اشبه الناس بالدجال عبد العزى بن قطن وليس هو هو قال وكان امر ابن صياد فتنة ابتلى

الله بها عباده فعصم الله تعالى منها المسلمين ووقاهم شرها قال وليس في حديث بينهم هذا
كلام البيهقي فقد اختار أنه غيره وقد قدمنا أنه صح عن ابن عمر وجابر أنه الدجال فإن قيل لم لم يقتله
النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه ادعى بحضرته النبوة فالجواب من وجهين ذكرهما
البيهقي وغيره أحدهما أنه كان غير بالغ واختار القاضي عياض هذا الجواب والثاني أنه كان في
أيام مهادنة اليهود وحلفائهم وجزم الخطابي بالجواب الثاني قال لأن النبي صلى الله عليه وسلم
بعد قدومه المدينة كتب بينه وبين اليهود كتاب الصلح على أن يتركوا على حالهم وكان ابن صياد منهم
أو دخيلا فيهم قال الخطابي وأما امتحان النبي صلى الله عليه وسلم بما خبأ له من آية الدخان فلأنه
كان يبلغه ما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الكلام في الغيب فامتحنه ليعلم حقيقة حاله
ويظهر إبطال حاله للصحابة وأنه كاهن ساحر يأتيه الشيطان فيلقي على لسانه ما يلقيه الشياطين
إلى الكهنة فامتحنه ثم قال فلن تعدو قدرك أي لا تتجاوز قدرك وقدر أمثالك من الكهان
الذين يحفظون من إلقاء الشيطان كلمة واحدة من جملة كثيرة بخلاف الأنبياء عليهم السلام
فإنهم يوحي الله تعالى إليهم من علم الغيب ما يوحي فيكونون واضحا جليا كاملا وبخلاف ما يلهم
الله الأولياء من الكرامات والله أعلم متفق عليه ورواه أبو داود والترمذي وعن أبي
سعيد الخدري رضي الله عنه قال لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر
يعني أي يريد أبو سعيد بالضمير البارز ابن صياد والمعنى لقوه في بعض طرق المدينة
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشهد أني رسول الله فقال هو أي ابن صياد
وهو تأكيد للضمير المستكن في قال أتشهد أني رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنت
بالله وملائكته ورسله تقدم ما يتعلق به ماذا ترى قال أرى عرشا على الماء فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ترى عرش إبليس على البحر أقول قد جرى لبعض المشايخ
من هذه الأمة وقد قدمنا بيانه وما ترى أي غير هذا قال أرى صادقين وكاذبا أو كاذبين
وصادقا أي يأتيني شخصان يخبران بما هو صدق وشخص يخبرني بما هو كذب والشك من ابن
الصياد في عدد الصادق والكاذب يدل على افترائه إذ المؤيد من عند الله لا يكون كذلك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لبس عليه بضم لام وكسر موحدة مخففة ولو شدد لأفاد التأكيد
والتكثير أي خلط عليه الأمر في كهانته فدعوه أي اتركوه فإنه لا يحدث بشيء يصلح يعود رواه مسلم
وعنه أي عن أبي سعيد أن ابن صياد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة أي ما ترابها
فقال درمكة في القاموس الدرمك كجعفر الحواري والتراب الناعم بيضاء صفة مؤكدة مسك خالص
خبر ثان وفي النهاية الدرمكة الدقيق الحواري شبه تربة الجنة بها لبياضها ونعومتها وبالمسك لطيبها
انتهى ويقال دقيق حواري بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء وهو ما حور أي بيض من الطعام
رواه مسلم وعن نافع رضي الله عنه قال لقي ابن عمر ابن صياد أي رآه في بعض طرق المدينة
فقال له أي ابن عمر له قولا أغضبه أي القول مجازا وابن عمر فانتفخ أي صار ذا نفخ من الغضب حتى
ملأ أي جسده المنتفخ السكة بكسر فتشديد أي الطريق فدخل ابن عمر على حفصة وهي أخته أم
المؤمنين وقد بلغها أي وقد وصل إليها ما جرى بينهما فقالت له أي لابن عمر رحمك الله جملة دعائية
دالة على جواز رحمك للأحياء وإن كان الفرق الآن على خلاف ذلك ما أردت ما استفهام مفعول
أردت أي أي شيء قصدت من ابن صياد أي حيث أغضبته في الكلام أما علمت أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال إنما يخرج أي الدجال حين يخرج من غضبة بسكون الضاد المعجمة أي
من مرة واحدة من الغضب يغضبها الجملة في موضع الجر والضمير في موضع النصب أي إنما
يغضب غضبة فيخرج بسبب غضبه فيدعي النبوة فلا تغضبه يا عبد الله ولا تتكلم معه

كيلا يخرج فتظهر الفتن ذكره الطيبي وقال المظهر يعني إنما يخرج الدجال حين يغضب رواه مسلم وعن أبي
سعيد الخدري رضي الله عنه قال صحبت ابن صياد إلى مكة أي متوجهين إليها فقال لي ما لقيت ما
استفهام تعجب أي شيئا عظيما لقيت من الناس أي من كلامهم ثم بينه بقوله يزعمون أني الدجال أي
ولست إياه وقال بعضهم قوله يزعمون استئناف كأنه لما قال ما لقيت أي أي شيء لقيت من الناس
قيل له ماذا تشكو منهم فقال يزعمون أو حال من فاعل لقيت أي أي شيء لقيت من الناس
وإنهم يزعمون كذا أي تبرؤ دخول في أمري ويشكون فيه وأنت تعلم أن الأمر على خلاف ذلك ألست
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يولد له وقد ولد لي أليس قد قال هو كافر وأنا
مسلم أوليس قد قال لا يدخل المدينة ولا مكة وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة قد سبق تأويل
الجمل المذكورة ثم قال لي في آخر قوله أما والله إني لأعلم أي لأعرف مولده أي زمان ولادة الدجال ومكانه
أي حينئذ وأين هو أي الآن وأعرف أباه وأمه فيتخيل أن يكون كاذبا وصادقا قال أي أبو سعيد
فلبسني بتخفيف الموحدة المفتوحة قال النووي هو بالتخفيف أي جعلني ألتبس في أمره وأشك
فيه يعني حيث قال ولا أنا مسلم ثم ادعى الغيب بقوله إني لأعلم ومن ادعى علم الغيب فقد كفر
فالتبس علي إسلامه وكفره وقال ابن الملك فلبسني من التلبيس أي التخليط حيث لم يعين
مولده وموضعه بل تركه ملتبسا فالتبس علي ومعناه أوقعني في الشك بقوله ولد لي وبدخوله
المدينة ومكة وكاد يظن أنه الدجال قال أي أبو سعيد قلت له أي لابن صياد تبا بتشديد
الموحدة أي هلاكا وخسرانا لك سائر اليوم أي جميع اليوم أما باقيه أي ما تقدم من اليوم قد
خسرت فيه فكذا في باقيه قال أي أبو سعيد وقيل له أي لابن صياد أيسرك أي أيوافقك في
السرور ويفرحك أنك ذلك الرجل أي أن تكون الدجال قال أي أبو سعيد فقال أي ابن صياد
لو عرض علي بصيغة المجهول أي لو عرض علي ما جعل في الدجال من الإغواء والخديعة والتلبيس
ما كرهت أي بل قبلت والحاصل رضاه بكونه الدجال وهذا دليل واضح على كفره كذا ذكره
المظهر وغيره من الشراح رواه مسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال لقيته أي ابن صياد وقد نفرت
بفتح الفاء أي ورمت عينه كأن الجلد نفر من اللحم للحادث بينهما قال شارح وروي بالقاف
على بناء المجهول أي استخرجت قال النووي هو بفتح النون والفاء أي ورمت ونتأت وذكر القاضي عياض
وجوها أخر والظاهر أنه تصحيف فقلت متى فعلت عينك أسند الفعل إلى العين مجازا والمراد عين
والمعنى متى فعل الله بعينك ما أرى أي الذي أراه فيها من الورم وكأنه لبس على ابن صياد يخبر أي الله
أو بخالقه قال لا أدري قلت لا تدري بتقدير الاستفهام الإنكاري وهي في رأسك جملة حالية
وهذا استبعاد بحسب العادة وإلا فمن الإمكان بل من أبدع ما كان أنه يحدث في عينه شيء ولا يدري
فإنه إذا جاء القضاء عمي البصر لا سيما وكل أحد يخبر في عيب نفسه بصيرا بعيب غيره يرى الجذع في
عين الناس ولا يرى الجذع في باصرته قال إن شاء الله تعالى خلقها أي هذه العلة أو هذه العين
المعيبة في عصاك أي في خشبة لا تدري بها وهي أقرب شيء إليك قال الطيبي قوله إن شاء الله
خلقها في عصاك في جواب قوله لا تدري وهي في رأسك أشار إلى أنه يمكن أن يكون الشيء حالا
ولا يكون له شعور بحالها فلم لا يجوز أن يكون الإنسان مستغرقا في أفكاره بحيث يشغله عن
الإحساس به والتذكر لأحواله قلت ونظيره قطع عضو من أكابر من بعض العارفين حالة
كونه من المصلين مستغرقا في لمع مدارج مشاهدة المغيبات وطلوع معارج مناجاة رب
العالمين وكما نشاهد هذا من آحاد الناس أنه لا يشعر بألم الجوع فرحا وحزنا وغير ذلك قال أي ابن
عمر فنخر أي ابن صياد وهو بفتح النون والخاء المعجمة أي صوت صوتا منكرا كأشد نخير حمار قال
شارح هو صوت الأنف يعني مد النفس في الخيشوم سمعت بالضم أي سمعت منه صوتا منكرا

فإن أنكر الأصوات لصوت الحمير قال الطيبي كأشد غير صفة مصدر محذوف أي نخر نخرًا إلى آخره
رواه مسلم وعن محمد بن المنكدر تابعي كبير روى عنه الثوري ومالك وغيرهما وهو ممن جمع بين
العلم والزهد والعبادة قال رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن الصياد بكسر الهمزة وتعريف
صياد في الأصول الدجال أي وهو الدجال قلت تحلف بالله أي أتحلف مع أنه أمر مظنون غير مجزوم
قال إني سمعت عمر يحلف على ذلك أي على أن ابن الصياد الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكره
النبي صلى الله عليه وسلم أي ولو لم يكن مقطوعًا لأنكره أو ولم يجز اليمين في ما يغلب به الظن لما سكت
عنه قيل لعل عمر أراد بذلك أن ابن الصياد من الدجالين الذين يخرجون فيدعون النبوة أو يضلون
الناس ويلبسون الأمر عليهم لا أنه المسيح الدجال لأن النبي صلى الله عليه وسلم تردد حيث
قال إن يكن هو وإن لم يكن هو لكن فيه أن الظاهر المتبادر من إطلاق الدجال هو الفرد الأكمل
والتوجيه يمينه في الجواز تشدد عليه الظن والله أعلم ثم رأيت الشارح قال قوله فلم ينكره لأن
النبي صلى الله عليه وسلم عرف أنه من جملة من حذر الناس عنه من الدجالين بقوله يخرج في أمتي
دجالون كذابون قريبا من ثلاثين وابن صياد لم يكن خارجا من جملتهم لأنه ادعى النبوة بحضرة
من النبي صلى الله عليه وسلم فلم يكن حلف عمر رضي الله عنه مخالفا للحقيقة إلا أن يريد أن فيه
صفة الدجال والله أعلم بالحال

الفصل الثاني

عن نافع رضي الله تعالى عنه
قال كان ابن عمر يقول والله ما أشك أي لا أتردد أن المسيح الدجال ابن صياد أي هو هو وفي
نسخة بالكلام رواه أبو داود أي في سننه بسند صحيح والبيهقي في كتاب البعث والنشور وعن
جابر رضي الله عنه قال فقدنا ابن صياد وفي نسخة فقد بصيغة المجهول وابن صياد
يوم الحرة وهو يوم غلبة يزيد بن معاوية وتبرعه على أهل المدينة ومحاربته إياهم قيل هذا يخالف رواية
من روى أنه مات بالمدينة وليس بمخالف ذكره الطيبي وهو مخالف إذ يلزم من فقده المحتمل
موته وغيره وكذا بقاؤه في الدنيا إلى حين خروجه عدم جزم موته بالمدينة رواه أبو داود
أي بسند صحيح وعن أبي بكرة بالتاء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمكث أبو الدجال ثلاثين عاما ولعل المراد به آخر الدجالين فلا ينافي ما سبق ولا ما يأتي من
الكلام لا يولد لهما ولد ثم يولد لهما غلام أعور أضرس أي عظيم الضرس وهو السن والمراد به الناب
لما سيأتي وأقله أي أقل غلام منفعة والمعنى لا غلام أقل منه نفعا قال الجزري قوله أضرس كذا في
نسخ المصابيح أي عظيم الضرس والذي يولد وضرسه معه ولا شك عندي بأنه تصحيف أضر شيء
وقال هو في كتاب الترمذي الذي أخذ المؤلف منه وبهذا يصح عطف وأقله منفعة عليه من غير
تعسف ولا تكلف تقدير ويكون الضمير عائدا إلى شيء أي أقل شيء منفعة قلت ويؤيده
أنه أورد الحافظ ابن حجر في شرح البخاري حديث أبي بكرة ناقلا عن أبي داود وفيه غلام
أعور أضر شيء وأقله نفعا تنام عيناه ولا ينام قلبه قال القاضي أي لا تنقطع أفكاره الفاسدة
عنه عند النوم لكثرة وساوسه وتخيلاته وتواتر ما يلقي الشيطان إليه كما لم يكن ينام قلب
النبي صلى الله عليه وسلم من أفكاره الصالحة بسبب ما تواتر عليه من الوحي والإلهام ثم نعت لنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال أي النبي صلى الله عليه وسلم أبوه طوال بضم الطاء
وتخفيف الواو مبالغة طويل والمشدد أكثر مبالغة لكن الأول هو الرواية ضرب اللحم أي خفيفه
وفي النهاية هو الخفيف اللحم المستدق وفي صفة موسى عليه السلام أنه ضرب من الرجال كأن
بتشديد النون أنفه منقار بكسر الميم أي في أنفه طول عجيب يشبه منقار طائر وأمه امرأة
فرضاخية بكسر الفاء وتشديد التحتية أي ضخمة عظيمة ذكره القاضي وفي الفائق هي صفة بالضخم
وقيل بالطول والياء مزيدة للمبالغة كأحمري وفي القاموس رجل فرضاخ ضخم عريض أو طويل

ثدييها وامرأة فرضاخة وفرضاخية عظيمة الثديين وفي النهاية فرضاخية ضخمة عظيمة الثديين
طويلة اليدين أي بالإضافة إلى عادة نسائها أو بالنسبة إلى سائر أعضائها فقال أبو بكرة فسمعنا
بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير ابن العوام بالرفع أو النصب في ذكر ما نعت أبويه
فإذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وصفه فيهما فقلنا هل لكما ولد بالرفع أي ولد وولدا فقالا
مكثنا بفتح الكاف وضمها أي لبثنا ثلاثين عاما لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أضرس وفي ما تقدم
وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه ولعله كان يظهر بعض الآثار كلية على صفحة قالبه أو أواخره
عن بعض من كان قلبه حال نومه قال أي أبو بكرة فخرجنا من عندهما فإذا هو أي الغلام منجدل
بكسر الدال أي ملقى على وجه الأرض قال الطيبي أي ملقى على الجدالة وهو الأرض ومنه الحديث أنا
خاتم الأنبياء في أم الكتاب وآدم لمنجدل في طينته قلت تجريدا وتأكيدا والمعنى أنه ساقط
أو واقع في الشمس في قطيفة أي دثار مخمل وفي القاموس وله همهمة أي زمزمة وقال شارح أي
كلام غير مفهوم ومنه في وصف الأسد تردد الصوت في الصدر أي كما هو مشاهد وفي القاموس
عند جريانه وفي النهاية وأصل الهمهمة صوت البقر فكشف أي ابن الصياد عن رأسه أي غطاءه
فقال ما قلتما فكأنه وقع كلام بينهما فيه غيره قلنا وهل سمعت ما قلنا قال نعم تنام عيناي
ولا ينام قلبي رواه الترمذي وكذا أبو داود وعن جابر أن امرأة من اليهود بالمدينة ولدت
غلاما ممسوحة عينه أي اليمنى ونبل اليسرى طالعة نابه هكذا هو في شرح السنة والظاهر
طالعا نابه إلا أن يراد به الجنس والتفرد فيه على التوهم ذكره الطيبي والمعنى طالعة أنيابه وفي
القاموس الناب السن خلف الرباعية مؤنث فالتفرد باعتبار اللفظ والجمع باعتبار
أن الأقل يكون اثنين وهذا الحديث يقوي رواية أضرس بما تقدم والله أعلم فأشفق
أي خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم أي من أن يكون أي هو الدجال فوجده تحت قطيفة
يهمهم أي يتكلم بكلام غير مفهوم فآذنته بالمد أي أعلمته أمه فيما بين النبي صلى الله عليه وسلم
أتاه فقالت يا عبد الله بجمع العلمية والوصفية هذا أبو القاسم أي حاضر وحضر تنبيها له
وتنبيها له لأمه فخرج من القطيفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لها ما للاستفهام
مبتدأ ولها خبر أي أي شيء لها قاتلها الله دعا عليها زجرا لها لو تركته لبين أي أظهر ما في ضميره فذكر
أي جابر بن عبد الله معنى حديث ابن عمر أي الحديث الأول من باب قصة ابن صياد فقال عمر بن الخطاب ائذن
لي أمر من الإذن أي أعطني الإجازة يا رسول الله فأقتله بالنصب على جواب الأمر فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن يكن هو أي ابن الصياد الدجال فلست صاحبه أي صاحب قتله ومباشر
هلاكه إنما صاحبه عيسى بن مريم وإن يكن أي استعمال الأولى هنا من قولهم في مثل هذا المقام وإن
لم يكن فليس لك أن تقتل رجلا من أهل العهد أي من أهل الذمة والجزية فلم يزل رسول الله صلى
الله عليه وسلم مشفقا أي خائفا على أمته أنه أي ابن صياد هو الدجال رواه أي البغوي في شرح
السنة بإسناده قال بعض المحققين الوجه في الأحاديث الواردة في ابن صياد مع ما بينها
من الاختلافات والتضاد أنه صلى الله عليه وسلم حسبه الدجال قبل التحقيق بخبر
المسيح الدجال فلما أخبر صلى الله عليه وسلم بما أخبر به من شأنه وقصته في حديث تميم الداري
ووافق ذلك ما عنده تبين له صلى الله عليه وسلم أن ابن صياد ليس الذي ظنه ويؤيده ما ذكره
أبو سعيد حين صحبه إلى مكة وأما توافق النعوت في أبوي الدجال وأبوي ابن صياد فليس مما
يقطع به قولا فإن اتفاق الوصفين لا يلزم منه اتحاد الموصوفين وكذا حلف عمر وابنه مع عدم
إنكاره صلى الله عليه وسلم من أنه الدجال فإن كل ذلك قبل تبين الحال وقد كان للدجال في بعض
علامته وريبه ذلك فيه صلى الله عليه وسلم اشتقاقا منه انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم

باب نزول عيسى عليه السلام

الفصل الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما بفتحتين أي حاكما عدلا أي عادلا فيكسر بالرفع وقيل بالنصب والفاء تفصيلية لقوله حكما وعدلا وتفريعية أي يهدم ويقطع الصليب في شرح السنة وغيره أي فيبطل النصرانية ويحكم بالملة الحنيفية وقال ابن الملك الصليب في اصطلاح النصارى خشبة مثلثة يدعون أن عيسى عليه السلام صلب على خشبة مثلثة على تلك الصورة وقد يكون فيه صورة المسيح ويقتل الخنزير أي يحرم اقتناءه وأكله ويبيح قتله وفي شرح السنة فيه بيان أن أعيانها نجسة لأن عيسى عليه السلام إنما يقتلها على حكم شرع الإسلام والشيء الطاهر المنتفع به لا يباح إتلافه انتهى وفيه أنه قد يباح لمصلحة دينية أو دنيوية مع أن كون الخنزير نجس العين بجميع أجزائه خلافا للعلما ويضع الجزية أي عن أهل الكتاب ويحملهم على الإسلام ولا يقبل منهم غير دين الحق وقيل يضع الجزية عنهم لأنه لا يوجد محتاج يقبل الجزية عنهم لكثرة المال وقلة أهل الحرص والإمداد ويؤيده قوله ويفيض بفتح أوله من فاض الماء يفيض إذا كثر حتى سال كالوادي في مادة القاموس أي يكثر المال حتى لا يقبله أحد أي من الرجال حتى تكون السجدة أي الواحدة لما فيها من لذة العبادة والمراد بالسجدة أو الصلاة بكمالها لنفعها خيرا من الدنيا وما فيها قال الطيبي حتى الأولى متعلقة بقوله ويفيض المال والثانية غاية لمفهوم قوله فيكسر الصليب إلى آخره وقوله والأظهر أن الثانية بدل من الأولى وغاية لها قائمة مقام العلة لها قال التوربشتي إنما تكون السجدة الواحدة في الحقيقة كذلك وإنما أراد بذلك أن الناس يرغبون في أمر الله ويزهدون في الدنيا حتى تكون السجدة الواحدة أحب إليهم من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة فاقرؤوا إن شئتم وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته الآية بالنصب ويجوز رفعها وخفضها وتقدم وجهها قال الطيبي استدل بالآية على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان مصداقا للحديث وتحريره أن الضميرين في به وقبل موته لعيسى والمعنى من الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله فتكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام انتهى وقيل المعنى ليس أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم عند المعاينة قبل خروج الدجال وهو لا ينفع ضمير به راجع إلى نبينا صلى الله عليه وسلم وضمير موته للكتابي وقيل كل منهم يؤمن عند الموت بعيسى وأنه عبد الله وابن أمته ولا ينفع وقيل ضمير به لله سبحانه أي كل منهم يؤمن به تعالى عند الموت ولا ينفع والأولى مذهب أبي هريرة في الآية متفق عليه وعنه أي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا وفي نسخة عدلا وهو أبلغ فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية أي ليحكم بما ذكر وليتركن القلاص بصيغة الفاعل وفي نسخة بالمفعول وهو الملائم لقوله فلا يسعى عليها أي لا يعمل على القلاص وهو بكسر القاف جمع القلوص بفتحها وهي الناقة الشابة على ما في النهاية والمعنى أنه يترك العمل عليها استغناء عنها لكثرة غيرها أو معناه لا يأمر أحدا بأن يسعى على أخذها وتحصيلها للزكاة لعدم من يقبلها وفي النهاية أي يترك زكاتها فلا يكون لها ساع وقيل لا يكون معها راع لتسعى في الصحاح كل من ولي أمر قوم فهو ساع عليهم وقال المظهر يعني ليتركن عيسى عليه السلام أخذ الصدقة ولا يأمر أحدا أن يسعى عليها ويأخذها لأنه لا يجد من يقبلها لاستغناء الناس عنها والمراد بالسعي العمل قال الطيبي ويجوز أن يكون

ذلك

ذلك كناية عن ترك التجارات والضرب في الأرض لطلب المال وتحصيله لعدم الحاجة إليه لاستغنائهم ولتذهبن أي ولتزولن الشحناء بفتح أوله أي العداوة التي تشحن القلب وتملؤه من الغضب والتباغض أي الذي هو سبب العداوة والتحاسد أي الذي هو باعث التباغض وكلها تنتج حب الدنيا فتزول كل هذه العيوب بزوال محبة الدنيا عن القلوب وقال الأشرف إنما يذهب الشحناء والتباغض والتحاسد يومئذ لأن جميع الخلق يكونون يومئذ على ملة واحدة وهي الإسلام وأعلى أسباب التباغض وأكثرها هو اختلاف الأديان قلت اليوم كثير من البلدان متفقون في ملة الإسلام وفيهم علماء الأعلام ومشايخ الكرام مع كثرة التباغض والتحاسد والعداوة بل المقاتلة والمحاربة بين الحكام والغير السببية والباعث عليه إلا حب الجاه بين الأنام والميل إلى المال الحرام وليدعون ضبط في نسخة بضم الواو ونسب إلى النووي ولا وجه له فالصواب ما في الأصول المعتمدة من أنه بفتح الواو وتشديد النون وفاعله ضمير عيسى عليه السلام والمعنى ليدعون الناس إلى المال أي أخذه وقبوله فلا يقبله أحد أي لاستغنائه بقطع الأمل رواه مسلم وفي رواية لهما أي لمسلم والبخاري بغرضية ذكر مسلم فإن الغالب أن يكون فيها لنوع تغليب للحاضر على الغائب قال أي النبي عليه السلام كيف أنتم أي حالكم وما لكم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم أي من أهل دينكم وقيل من قريش وهو المهدي والحاصل أن إمامكم واحد منكم دون عيسى فإنه بمنزلة الخليفة وقيل فيه إشارة إلى أن عيسى لا يكون من أمة محمد بل مقرر الملة ومقويا لأمته عليه السلام وفي شرح السنة قال معمر وإنكم وإمامكم منكم وقال ابن أبي ذئب عن ابن شهاب فأمكم منكم قال ابن أبي ذئب في معناه فأمكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم قال الطيبي فالضمير في إمامكم لعيسى ومنكم حال أي يؤمكم عيسى حال كونه من دينكم ويحتمل أن يكون معنى إمامكم منكم كيف حالكم وأنتم مكرمون عند الله تعالى والحال أن عيسى ينزل فيكم وإمامكم منكم وعيسى يقتدي بإمامكم تكرمة لدينكم ويشهد له الحديث الآتي انتهى وسيأتي بقية الكلام عليه وفيه وهو قوله وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق إما مقاتلة حسية أو معنوية على ظهور الحق والحال كونهم على الحق ظاهرين أي غالبين أي على أعدائهم قال تعالى ألا إن حزب الله هم الغالبون إلى يوم القيامة أي إلى قرب قيام الساعة قال أي النبي صلى الله عليه وسلم فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم أي المهدي تعال بفتح اللام أي احضر وتقدم صل بدل أو استئناف بيان والمعنى أمنا في صلاتنا فإن الأولى بالإمامة هو الأفضل وأنت النبي الرسول الكامل وفي رواية فصل لنا فيقول لا أي لا أصير إمامكم لئلا يتوهم بإمامتي لكم نسخ دينكم وقد يعلل بأن هذه الصلاة أقيمت لإمامكم فهو أولى بها لكن يؤيد الأول الإطلاق وقوله إن بعضكم على بعض أمراء أي دينية أو دنيوية وأن على الإعانة المعنية تكرمة الله هذه الأمة أي إكراما له سبحانه لهذه الجماعة المكرمة قال القاضي تكرمة الله نصب على المفعول لأجله والعامل محذوف والمعنى شرع الله أن يكون إمام المسلمين منهم وأميرهم من عدادهم تكرمة لهم وتعظيما لشأنهم أو على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله قال التفتازاني في شرح العقائد الأصح أن عيسى عليه السلام يصلي بالناس ويؤمهم ويقتدي به المهدي لأنه أفضل وإمامته أولى قال ابن أبي شريف هذا الذي صححه يعارضه ما في مسلم من قوله وإمامكم منكم لكنه لما خالفه وتوحد في بعج بردها لكن الجمع بينهما بأن يكون صلى بهم أول نزوله تنبيها على أنه نزل مقتديا به في الحكم على شريعتهم ثم دعي إلى الصلاة مرة ثانية ويمكن الجمع بالعكس أيضا بأن يؤمهم المهدي إظهارا لإكرام الله به هذه الأمة قلت وربما يدعى أنه الأولى على أن قوله إمامكم منكم ظاهر في أن المهدي هو الإمام والله أعلم بالمرام

قال وأما كونه أفضل فلا يلزم منه بطلان الاقتداء بغيره وأما الأولوية بالأفضلية فلعل رضاه إظهار تكرمة الله
تعالى لهذه الأمة بدوام شريعته كما نطق به الحديث رواه مسلم وهذا الباب خال عن الفصل الثاني
يعني من الأحاديث المرقومة بالحسان في اصطلاح البغوي المعبر عنها بالفصل الثاني على مصطلح صاحب
المشكاة انتهى والله أعلم **الفصل الثالث** أي المرقوم في الأحاديث الزائدة لصاحب
المشكاة في المصابيح المناسبة للباب عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينزل عيسى بن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد له ويمكث خمسا وأربعين سنة وهذا بظاهره يخالف
نزل من قال أن عيسى رفع به إلى السماء وعمره ثلاث وثلاثون ويمكث في الأرض بعد نزوله سبع سنين
فتكون مجموع العدد أربعين لكن حديث مكثه سبعا رواه مسلم فينبغي الجمع بما ذكرنا أو ترجيح ما في الصحيح
ولعل عدد الخمس ساقط من الاعتبار لإلغاء الكسر ثم يموت فيدفن معي أي مصاحبا لي في قبري أي في مقبرتي
وعبر عنها بالقبر لقرب قبره بقبره فكأنهما في قبر واحد فأقوم أنا وعيسى في قبر واحد أي من مقبرة واحدة
في القاموس وفي تأتي بمعنى من وكذا في المعنى بين أبي بكر وعمر أي حال كوننا قائمين وواقفين بين أبي بكر
وعمر فأحدهما عن يمينه إيماء إلى يمنه بالإيمان وأن الإيمان والظاهر أنه أبو بكر والآخر عن يساره وهما
لبس عليه السلام وشرع به وهو عمر وسيأتي في باب فضائل سيد المرسلين عن عبد الله بن سلام رواه الترمذي
عنه قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه قال أبو داود وقد بقي في البيت
موضع قبر أقول والظاهر اللائق بمقام عيسى عليه السلام أن يكون بين النبي صلى الله عليه وسلم
وبين أبي بكر رضي الله عنه لكن سيأتي في كلام الجزري أنه يدفن بعد عمر ولعله نظر إلى تأخر الذات
باعتبار تأخر زمن المدفن ويكون منة لهذه الأمة وتعظيما للصحابة بين الكريمين أن يكونا بين النبيين
العظيمين والله سبحانه أعلم رواه ابن الجوزي في كتاب الوفا

باب قرب الساعة

وفي نسخة القيمة وأطلق الساعة عليها لأنها تكون بغتة وبجاءة من قومها إذ هي ما يطلق عليه اسم
الزمان وإن كانت بالنسبة إلى انتهائها مدة وقيل أطلقت عليها لطولها كما يسمى الزنجي بالكافور
تسمية بالضد وأن من مات فقد قامت قيامته عطف على قرب الساعة أي في أن الساعة لنسبة المعنى
قال النووي الساعة جزء من أجزاء الزمان ويعبر بها عن القيمة وقد ورد في كتاب الله وسنة رسوله
في أقسام ثلاثة الكبرى وهي بعث الناس للجزاء والقيمة الوسطى وهي انقراض القرن الواحد بالموت
والقيمة الصغرى وهي موت الإنسان والمراد هنا هذه أي الأخيرة والظاهر أن المراد بالساعة هي
الكبرى سواء أريد بها النفخة الأولى لقوله عليه السلام لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس أو الثانية
وهي الطامة الكبرى المعروفة في الكتاب والسنة ومن أحاديث الباب قوله عليه السلام بعثت أنا
والساعة كهاتين ويعضده ما تقدم من حديث عائشة الآتي في القيمة الوسطى وأما في كتاب الله فيما
أظن أن الساعة وردت بهذا المعنى وأما ما ورد في القيمة الصغرى إلا ما رواه الديلمي عن أنس مرفوعا
بلفظ إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته وهو المعنون في الباب مغايرا لحديث يلائمه وهذا
كما ترى لم يرد بلفظ الساعة وأريد بها القيمة الصغرى بل ولا ورد بمعنى القيمة الوسطى إلا
بالإضافة فالأولى أن يقال أن الساعة منقسمة إلى ثلاثة كبرى وهي الطامة الكبرى ووسطى
وهي الإماتة العامة وصغرى وهي إماتة الجماعة والقيمة تطلق على الثلاثة وعلى موت كل أحد
أيضا والله سبحانه أعلم **الفصل الأول** عن شعبة أحد رواة الحديث عن قتادة
تابعي جليل عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة بالرفع وفي
بعض النسخ بالنصب قال النووي روي بنصب الساعة ورفعها قال شارح من علمائنا الساعة
مرفوعة رواية ويجوز النصب على أن الواو بمعنى مع كهاتين قال القاضي معناه أن نسبة تقدم

بعثته على قيام الساعة كنسبة فضل إحدى الإصبعين على الأخرى انتهى ولعل المعنى بما يتكلم فضل
الوسطى على السبابة في السبق ويدل عليه ما سيأتي من حديث ابن شداد والأظهر أن يقال
كفضل إحديهما على الأخرى بالقصد الأولي لما بينهما من الاتصال ويؤيده ما في النهاية وجه
آخر وهو أن يكون المراد منه ارتباط دعوته بأن عمله لا يفترق إحداهما عن الأخرى كما أن السبابة
لا تفترق عن الوسطى ولم يوجد بينهما ما ليس منهما وقال شارح آخر يريد أن دينه متصل بقيام الساعة
لا يفصله عنه دين آخر ولا يفرق بينهما دعوة أخرى كما لا يفصل شيء بين السبابة والوسطى قال
الطيبي ويؤيد الوجه الأول الحديث الآتي للمستورد بن شداد قلت فيه نظر لأن في كل
حديث روعي معنى لم يراع في الآخر إذ التأسيس أولى من التأكيد على أنه لا مانع من أن يلاحظ
في هذا الحديث كلا المعنيين إذ لا تدافع بينهما في رأي العين نعم يفهم من المعنى الأول إغراق
في التشبيه القريب بما لا يفهم من الثاني وكذا اختاره بعضهم ويؤيده ما نقله لتفسير
الراوي قال شعبة وسمعت قتادة يقول في قصصه بفتح القاف مصدر قص يقص بمعنى يعظ
أو يحكي القصة أو يحدث ويروي ومنه قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص وفي نسخة
بكسر القاف وفتح جمع قصة والمعنى في قصصه قال قتادة أي في حديثه أو تفسير حديثه كفضل إحداهما
أي إحدى الإصبعين على الأخرى قال الطيبي قوله كفضل إحداهما بدل من قوله كهاتين موضح له
وهو يؤيد الأول والرفع على العطف والمعنى بعثت أنا والساعة بعثا متفاضلا مثل فضل إحداهما
ومعنى النصب لا يستقيم على هذا يعني لأنه على تفاضل المعية لكن بمكان وهو على طريق المبالغة
كما عبر عنه في الحديث الآتي بعثت في نفس الساعة بتخفيف أي بشدة قربها فلا أدري أذكره أي
قتادة عن أنس أي مرفوعا أو موقوفا أو قاله قتادة أي من عند نفسه ونقلها باروايتنا لا
في بيت الآخر متفق عليه ورواه أحمد والترمذي عن أنس وكذا رواه أحمد والشيخان عن سهل بن سعد
وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل أن يموت بشهر
تسألوني بتشديد النون وتخفف على صيغة الخطاب للأصحاب وهمزة الإنكار أي أتسألوني
عن الساعة أي القيمة وهي النفخة الأولى أو الثانية وإنما علمها عند الله أي لا يعلمها إلا هو قال
الطيبي حال مقررة لجهة الإشكال أنكر عليهم سؤالهم وأكده بقوله إنما علمها عند الله ولو
وأقسم بالله مقرر لما يعني تسألوني عن القيمة الكبرى وعلمها عند الله وما أعلمه هو القيمة
الصغرى انتهى وهو يؤيد تقسيمنا المتقدم في أن الساعة ما على الأرض ما نافية ومن في قوله
من نفس زائدة للاستغراق وقوله منفوسة صفة نفس وكذا ما يأتي والمعنى ما من نفس
مولودة اليوم يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ يقال نفست المرأة غلاما بالكسر ونفست
في البناء للمفعول إذا ولدت فهي نفساء ونفسا والولد منفوس قال الشاعر
كما سقط المنفوس بين القوابل ... ما من نفس مولودة اليوم مائة سنة
أراد به موت الصحابة رضي الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم هذا على الغالب وإلا فقد عاش
بعض الصحابة أكثر من مائة سنة انتهى ومنهم أنس بن مالك وسلمان وغيرهما والأظهر أن المعنى
لا يعيش نفس مائة سنة بعد هذا القول كما يدل عليه الحديث الآتي فلا حاجة إلى اعتبار الغالب
ولعل المولود في ذلك الزمان انقرضوا قبل تمام المائة من زمان ورود الحديث ومما يؤيد هذا
المعنى استدلال المحققين من المحدثين وغيرهم من المتكلمين على بطلان دعوى بابا رتن الهندي
وغيره ممن ادعى الصحبة وزعم أنه من المعمرين إلى المائتين والزيادة بأن الحديث بظاهره يدل
على عدم حياة الخضر في الأرض والياس وأما عيسى فهو في السماء والحديث
مخصوص بغيرهم أو المراد من نفس منفوسة من أمتي والنبي لا يكون من أمته

للارض يخرج الخضر واليابس فانهما كانا في الجرحيند رواه مسلم وعن ابي سعيد رضي الله تعالى عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ياتي مائة سنة وعلى الارض نفس منفوسة اي مولودة اليوم
مولودة منفوسة ذكره الطيبي وقال ابن الملك اشارة الى زمنه صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وعن
عائشة رضي الله عنها قالت كان رجال من الاعراب اي اهل البدو ياتون النبي صلى الله عليه وسلم
يسالونه عن الساعة الظاهر ان سوالهم عن الكبرى فالجواب على اسلوب الحكيم فكان
ينظر الى اصغرهم فيقول ان يعش هذا لا يدركه بالرفع وقيل بالجزم اي لا يلحقه الهرم بفتحتين وهو
الكبر حتى تقوم عليكم ساعتكم اي فناؤكم وهي عن الصغرى عندي او الوسطى عند بعض الشراح
والمراد موت جميعهم وهو الظاهر او اكثرهم وهو الغالب قال القاضي اراد بالساعة انقراض
القرن الذين هم من عدادهم ولذلك اضافت اليهم وقال بعضهم اراد موت كل واحد منهم متفق عليه
انتهى والله اعلم الفصل الثاني عن المستورد بن شداد قيل انه كان غلاما يوم قبض
النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه سمع به وروى عنه جماعة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
بعثت في نفس الساعة بفتح النون والفاء اي قربها اي حين تنفست وتنفسها ظهور
اشراطها ومنه قوله تعالى والصبح اذا تنفس اي ظهر اثار طلوعه وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم من اول
اشراطها وهذا معنى كلام التوربشتي والاظهر ان معناه بعثت انا والساعة في نفس واحدة
من كمال الاتصال وعدم الاعتبار بقليل من الانفصال ويؤيده قوله فسبقتها اي الساعة في
الوجود كما سبقت هذه اي السبابة الوسطى في وجودها وحسا باعتبار الابتداء من جانب
الابهام وعدل عن الابهام لطول الفصل بينه وبين المسبحة ثم بين الاشارة الراوي بقوله
واشار اي النبي صلى الله عليه وسلم باصبعيه السبابة اي المسبحة والوسطى على طريق اللف والنشر
المرتب رواه الترمذي وروى البيهقي عن سهل بن سعد في الساعة كفرسي رهان ومثل
الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة فلما خشي ان يسبق الاح بثوبه اتيتم اتيتم انا ذاك
وعن سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اني لارجو ان لا تعجز امتي بكسر الجيم وفتحها
منها وهو مفعول لارجو اي ارجو عدم عجز امتي عند ربها من كمال قربها ان يوخرهم نصف يوم بدل
من ان لا يعجز واختاره ابن الملك او متعلق به بحذف من كما اقتصر عليه الطيبي ثم قال وعدم العجز
هنا كناية عن التمكن من القربة والمكانة عند الله تعالى مثال ذلك قول المقرب عند السلطان
اني لا اعجز ان يوليني الملك كذا وكذا يعني به ان لي عنده مكانة وقربة يحصل بها كل ما ارجوه عنده
فالمعنى اني ارجو ان يكون لامتي عند الله مكانة ومنزلة يمهلهم من زماني هذا الى انتهاء خمسمائة
سنة بحيث لا يكون اقل من ذلك الى قيام الساعة قيل لسعد وكم نصف يوم قال خمسمائة
انما فسر الراوي نصف اليوم بخمسمائة نظرا الى قوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
وقوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة وانما عبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خمسمائة سنة بنصف يوم تقليلا لبقيتهم ورفعا لمنزلتهم
اي لا يبقيهم في هذا المقدار القليل بل يزيدهم من فضله وقد وهم بعضهم ونزل الحديث على
امر القيامة وحمل اليوم على يوم المحشر فذهب انه غلط حققناه وبيناه عليه فهلا تنبه لمكان
الحديث وانه في اي باب من ابواب الكتاب فانه مكتوب في باب قرب الساعة فاين هو منه
ذكره الطيبي ولعله صلى الله عليه وسلم اراد بالخمسمائة ان يكون بعد الالف السابع فان اليوم
نحن في سابع سنة من الالف الثامن وفيه اشارة الى انه لا يبعد عن الخمسمائة بنيف ففيه انه حديث
عمر الدنيا سبعة الاف سنة فالكسر الزائد ملغى وفيه اشارة الى التصحيح واما ما بعده في الالف الثامن
بالالف والكسر الثاني فمن قبيل ازدياد بقاء دينه ونظام ملته في الدنيا مدة خمسمائة سنة فقوله ان

يوخرهم

الفصل الثالث عن انس

يوخرهم عن ان يوخرهم الله سالمين عن العيوب من ارتكاب الذنوب والشدائد الناشية من الكروب
والله اعلم رواه ابو داود الفصل الثالث عن انس رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا اي وقلة بقائها مثل ثوب شق بضم الشين اي قطع من اوله
الى اخره اي الى قريب منه او يقال قبيل ان الغاية فيه لا تكون داخلة تحت المغيا كقوله تعالى
واتموا الصيام الى الليل فبقي متعلقا بخيط في اخره ضميره للثوب فيوشك ذلك الخيط وهو عبارة
عن زمان قليل يكون فيه الزمن المهدي ان ينقطع اي تنقطع الدنيا وتنفصل عن وجودها
وتذهب وتفنى في الاخرى فتبقى على ابد الاباد فينبغي ان يستعد لها رواه البيهقي في شعب
الايمان انتهى والله اعلم بالحال

باب لا تقوم الساعة الا على شرار الناس

روي بتنوين باب وبالاضافة الى الجملة واقتصر على الاول الشيخ والطيبي على الثاني حيث
قال لفظه الجملة محكية مضاف اليها ترجمة الباب ونحوه باب تسمية الشيء بالجملة على سبيل الحكاية
كما سموا تابط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكالموسوم بزيد منطلق او ببيت شعر والله اعلم
الفصل الاول عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم
الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله بالرفع فيهما وكرر للتاكيد وقيل تكرير عبارة عن
تكثير ذكره وقيل معناه الله حسبي او هو المعبود فالاول مبتدا والثاني خبر وفي نسخة
بنصبهما قال شارح قوله الله الله بالرفع مبتدا وخبر اي الله هو المستحق للعبادة لا غير
والذي روي بالنصب في التحذير اي اتقوا الله واعبدوه وفي هذا معناه لا تقوم الساعة
حتى لا يبقى في الارض مسلم يعبد الله وقيل اي لا يذكر الله فلا يبقى حكمة في بقاء الناس
ومن هذا يعرف ان بقاء العالم ببركة العلماء العاملين والعباد الصالحين وعموم المومنين
وهو المراد بما قال الطيبي معنى حتى لا يقال حتى لا يذكر اسم الله ولا يعبد والى هذا ينظر قوله تعالى
ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا يعني ما خلقته خلقا باطلا بغير
حكمة بل خلقته لاذكرك واعبدك فاذا لم يذكر ولم يعبد فبالحري ان يخرب وتقوم الساعة وقال
المظهر هذا دليل على ان بركة العلماء والصلحاء تصل الى من في العالم من الجن والانس وغيرهما
من الحيوانات والجمادات والنباتات وفي رواية لا تقوم الساعة على احد يقول الله
الله بالوجهين فيهما رواه مسلم وكذا احمد والترمذي وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة الا على شرار الخلق بكسر الشين جمع الشر قال
الطيبي فان قيل ما وجه التوفيق بين هذا الحديث والحديث لا تزال طائفة من امتي
يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة قلنا السابق مستغرق للازمنة والثاني
مخصص رواه مسلم وروى ابو يعلى في مسنده والحاكم في مستدركه عن ابي سعيد مرفوعا
لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت وروى السجزي عن ابن عمر رفعه لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن
والقران وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم
الساعة حتى تضطرب اي تتحرك اليات نساء دوس بفتح فسكون قبيلة من اليمن والاليات
بفتحتين جمع الية بفتح فسكون وهي في الاصل اللحمة التي تكون في اصل العضو وقيل هي
اللحمة المشرفة على الظهر والفخذ وهي لحم المقعد والمعنى حتى يرتدوا فيطوفون حول
ذي الخلصة بفتح الخاء المعجمة واللام وذو الخلصة طاغية دوس اي صنمهم وقال شارح اي صنمهم
التي كانوا يعبدون اي يعبدونه في الجاهلية اي قبل الملة الحنيفية والظاهر ان هذا
تفسير من ابي هريرة او غيره من الرواة وفي النهاية هو بيت كان فيه صنم لدوس وخثعم وبجيلة

وغيرهم وقيل ذو الخلصة الكعبة اليمانية التي كانت باليمن فأنفذ إليها رسول الله صلى الله عليه
وسلم جرير بن عبد الله فخربها وقيل ذو الخلصة اسم الصنم نفسه وفيه نظر لان ذو لا يضاف
إلا إلى اسم الجنس والمعنى انهم يرتدون ويرجعون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان فتسعى نساء بني دوس
طائفات حول ذي الخلصة فترتج أعجازهن مضطربة ألياتهن كما كانت عادتهن في الجاهلية
متفق عليه وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يذهب الليل والنهار أي لا تقوم الساعة حتى يعبد بالتذكير وجوز تأنيثه اللات
صنم لثقيف والعزى بضم عين فتشديد زاي صنم لغطفان فقلت يا رسول الله ان
كنت لأظن ان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة قال المظهر تقديره انه كنت
لأظن يعني ان الشأن كنت لأحسب حين أنزل الله هو الذي أرسل رسوله بالهدى أي بالتوحيد
ودين الحق أي وبالشريعة الثابتة ولما كان مؤداهما واحدا أفرد الضمير في قوله ليظهره أي
ليعليه ويغلبه على الدين كله أي على الأديان جميعها باطلها برده وحقها باطلها بردها
وحقها بنسخها ولو كره المشركون أي ما غلبه الموحدون المخلصون ان ذلك بفتح الهمزة
مفعول لأظن وحين أنزل الله ظرف له أي كنت أظن حين أنزلت تلك الآية ان ذلك الحكم المذكور
المستفاد منها يكون تاما أي تاما كاملا للأزمنة كلها فنصبه بالكون المقدر وفي نسخة
صحيحة تام بالرفع والمعنى ان ما ذكر من عبادة الأصنام وتذكيرهم واختتم وغدا ولا يكون بعد
ذلك أبدا قال أي النبي صلى الله عليه وسلم انه أي الشأن سيكون من ذلك أي بعض
ما ذكر من تمام الدين ونقصان الكفر وأغرب شارح حيث قال من ذلك أي عبادة الأصنام
ما شاء الله أي مدة مشيئته وبين ذلك بقوله ثم يبعث الله ريحا طيبة أي يشم منها رائحة
الوصال فتوفى بصيغة المجهول أي فتقبض كل من كان في قلبه وفي نسخة بصيغة الفاعل
على انه حذف منه احدى التاءين أي تتوفى على إسناد التوفي إلى الريح مجازا فيكون كل
منصوبا على المفعولية والمعنى تميت كل من كان في قلبه مثقال حبة أي مقدار وزن فقوله
من خردل بيان للحبة وقوله من إيمان بيان للمثقال والمراد منه ان يكون في قلبه من العقائد
الدينية أقل ما يجب عليه من المعرفة العقلي واليقين بالأمور الإجمالية فلا ينافيه دلالة على
نفي الزيادة والنقصان في نفس الإيمان وحقيقة الإيقان كما لا يخفى على أهل العرفان
فيبقى من لا خير فيه أي لا إسلام ولا إيمان ولا إذعان ولا سائر الأركان ولا اسما الأعيان
فيرجعون إلى دين آبائهم أي الأولين من المشركين الجاهلين الضالين والمضلين وروعي لفظ من
في ضمير فيه ومعناه في قوله فيرجعون كما في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم
الآخر وما هم بمؤمنين هذا وقال الطيبي قوله تاما هو بالرفع في الحميدي وفي أكثر نسخ
مسلم وشرح السنة بالنصب فعلى هذا هو أما ان العامل اسم الإشارة والخبر محذوف أي
لكان المقدر أي ظننت من مفهوم الآية ان ملة الإسلام ظاهرة على الأديان كلها غالبة عليها
غير مغلوبة فكيف يعبد اللات والعزى وجوابه صلى الله عليه وسلم بقوله فيتوفى كل من كان
في قلبه نظير قوله ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض
العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا الحديث رواه مسلم وعن عبد الله بن
عمرو بالواو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيمكث أربعين وأبهمه
صلى الله عليه وسلم لحكمة في ترك التمييز أو نسيه الراوي وكذا قال لا أدري أربعين يوما
أو شهرا أو عاما قال التوربشتي لا أدري إلى قوله فيبعث الله من قول الصحابي أي لم يزد في النبي
صلى الله عليه وسلم على أربعين شيئا يبين المراد منها فلا أدري أيا أراد بهذه الثلاثة فيبعث

الله عيسى ابن مريم أي فينزل من السماء كأنه أي في الصورة عروة بن مسعود أي الثقفي شهد صلح
الحديبية كافرا وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع بعد عوده من الطائف وأسلم ثم عاد إلى
قومه ودعاهم إلى الإسلام فقتلوه وقيل هو أخو عبد الله بن مسعود والليثي فيطلبه أي
يطلب عيسى الدجال فيهلكه أي بحربته ثم يمكث في الناس سبع سنين تقدم ما يرد خلافه ليس بين
اثنين عداوة يحتمل ان يكون بيانا للعدد دفعا لما سبق من الزيادة وتوكيدا للتراخي المفهوم
من قوله ثم ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام بكسر ففتح أي جانبه فلا يبقى على وجه الأرض
أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان أو الظاهر ان أو للشك ويحتمل ان يكون للتخيير في التعبير
إلا قبضته أي أخذت روحه تلك الريح حتى لو ان أحدكم دخل أي فرضا وتقديرا على طريق المبالغة
في كبد جبل أي وسطه وجوفه ومنه كبد السماء وسطها لدخلته أي كبد الجبل عليه أي على أحدكم حتى
تقبضه قال فيبقى شرار الناس في خفة الطير بكسر الخاء المعجمة وتشديد الفاء قال القاضي المراد
بخفة الطير اضطرابها وتنفرها بأدنى توهم شبه حال الأشرار في تهتكهم وعدم وقارهم وثباتهم
واختلال رأيهم وميلهم إلى الفجور والفساد بحال الطير وأحلام السباع أي وفي عقولها
الناقصة جمع حلم بالضم أو جمع حلم بالكسر فيه إيماء إلى انهم خالين عن العلم والحلم بل الغالب
عليهم الطيش والغضب والوحشة والإتلاف والإهلاك وقلة الرحمة لا يعرفون معروفا
ولا ينكرون منكرا بل يعكسون فيما يفعلون فيتمثل لهم الشيطان أي يتصور لهم بصورة إنسان
فكان التشكل أقوى على التسلط في الضلالة من طريق الوسوسة ولذا قدم الله سبحانه
شياطين الإنس في قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس فيقول ألا تستجيبون
أي من الله في ترك عبادته والتوسل إلى مقام قربته فيقولون فما تأمرنا أي به ثم ما ان ما
موصولة أو استفهامية فالمعنى فأي شيء تأمرنا لنطيعك فيه فيأمرهم بعبادة الأوثان
أي توسلا إلى رضى الرحمن كما قال تعالى مخبرا عنهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله زين لهم سوء أعمالهم وهم في ذلك أي والحال انهم فيما ذكر من الأوصاف
الردية والأفعال الوثنية دار رزقهم بتشديد الراء كثير حسن عيشهم فالأول إشارة إلى
الكمية والثاني إلى الكيفية والأول إشارة إلى كثرة الأمطار وما يترتب عليه من الأنهار والأثمار
والأشجار والثاني من جهة الأمن وعدم الظلم وكثرة الصحة والغنى بالمال والجاه ثم ينفخ في
الصور بصيغة المجهول والنافخ هو إسرافيل فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا بكسر اللام قال
التوربشتي أي أمال صفحة عنقه خوفا ودهشة ورفع ليتا والمراد منه هنا ان السامع
يصعق فيصغي ليتا ويرفع ليتا أي يصير رأسه هكذا وكذلك شأن من يصيبه صيحة
فيشق قلبه فأول ما يظهر منه سقوط رأسه إلى أحد الشقين فأسند الإصغاء إليه إسناد
الفعل الاختياري قال وأول من يسمعه رجل يلوط أي يطينه ويصلح حوض إبله فيصعق أي
يموت هو ولا ويصعق الناس أي معه ثم يرسل الله مطرا كأنه الطل بفتح الطاء وتشديد اللام
أي المطر الضعيف الصغير القطر فينبت منه أي من أجله بسببه أجساد الناس أي التي في قبورهم
ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وفي التنكير تعظيم على ما يأتي ثم يقال
يا أيها الناس هلم في القاموس هلم يقال مركبة من ها التنبيه ومن لم أي ضم نفسك إلينا ويستوي
فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث عند الحجازيين فالمعنى تعالوا أو راجعوا وأسرعوا إلى ربكم
وقفوهم وفي نسخة صحيحة وقفوهم بالعاطفة قال الطيبي عطف على قوله تعالوا على سبيل
التقدير أي تعالوا للناس هلم ويقال للملائكة قفوهم وفي بعض النسخ بدون العاطف فهو على
الاستئناف انتهى ويؤيده انه غاطب والخطاب للملائكة وضميرهم للناس فيقال وقفت الدابة

ورفعتها ولا يتعدى والمعنى اخبستوهم انهم مسئولون استئناف تعليل فيقال اخرجوا امر للملائكة اي ميزوا واجذبوا من الخلائق بعث النار اي مبعوثها بمعنى من يبعث اليها فيقال من كم كم اي يسال المخاطبون من كمية العدد المبعوث الى النار فيقولون كم عدد اخرجه من كم عدد ذكره الطيبي فكم الاولى خبر مقدم وكم الثانية مبتدأ وهما مفعول الاخراج الذي هو المتكلم فيقال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين بالنصب اي اخرجوا للنار من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين فيلزمهم الذين يستوجبون النار بذنوبهم يتركون فيها بقدر ذنوبهم ويجوز ان يخرجوا اسرع بتوجهم بالشفاعة ذكره ابن الملك ويجوز ان يخلصوا منها بعد دخولها بالشفاعة لكن الظاهر ان المراد بهم الكفار الذين يستحقون عذاب النار بلا حساب ولا كتاب فهم مخلدون في العقاب والله اعلم بالصواب فذلك اي الزمن يوم او فذلك الحكم وقت يجعل اي يصير فيه الولدان اي الصبيان جمع وليد شيبا بكسر اوله جمع اشيب كابيض وبيض والمعنى انه يصير الاطفال شيبا من اهوال ذلك اليوم وشدائده على القوم ويجوز ان يراد به عظم الاهوال لا حقيقة صغير وزنهم في الحال فالمعنى لو ان وليدا شاب من واقعة عظيمة لكان ذلك اليوم هذا ويوم مرفوع منون في اكثر النسخ وفي نسخة بالفتح مضافا قال الطيبي يحتمل ان يكون اليوم مرفوعا ويجعل الولدان صفة له فيكون الاسناد مجازيا وان يكون مضافا مفتوحا فيكون الاسناد حقيقيا والاول ابلغ واوفق لما ورد في التنزيل يعني قوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا وذلك اي ايضا يوم يكشف عن ساق اي شدة عظيمة يقال كشفت الحرب عن الساق اذا اشتدت فيه وكان اصله ان الولد يموت في بطن الناقة فيدخل المدمد يده في رحمها فيأخذ ساقه فيخرج فجعل لكل امر عظيم وخطب جسيم قال الخطابي هذا مما هاب القول فيه شيوخنا فاجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذاهبهم في التوقف على تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب اما من تاوله فقال ذلك يوم يكشف عن ساق عن شدة عظيمة وبلية فظيعة وهو اقبال الاخرة وظهورها وذهاب الدنيا وادبارها ويقال للامر اذا اشتد وتفاقم وظهر وزال خفاؤه كشف عن ساقه وهذا جائز في اللغة وان لم يكن للامر ساق رواه مسلم وذكر حديث معاوية لا تنقطع الهجرة اي حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها وقد ثبت لا هجرة بعد الفتح فالمراد بالهجرة التي غير منقطعة هي الهجرة من المعصية الى الطاعة او من ديار البدعة الى ديار السنة او من بلاد الشر الى بلاد الخير في باب التوبة وفيه اعتراض على المصنف الى بيان توفي وهو ان الحديث انسب بذلك الباب والله سبحانه اعلم بالصواب

باب نفخ الصور

بضم اوله وهو قرن ينفخ فيه والمراد به النفخة الثانية في النهاية هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عند بعث الموتى الى المحشر الفصل الاول عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اي نفخة الصعق وهي للاماتة ونفخة النشور وهي للاحياء اربعون ابهم في الحديث وبين في غيره انها اربعون عاما ولعل اخبار الابهام لما فيه من الابهام قالوا يا ابا هريرة اربعون يوما باستفهام مقدر قال ابيت اي امتنعت من الجواب لاني لا ادري ما هو الصواب او عن السؤال من صاحب المقال فلا ادري ما الحال قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت قال القاضي اي لا ادري ان الاربعين الفاصل بين النفختين اي شيء ايام او شهور او اعوام وامتنع عن الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم والاخبار عما لا اعلم قال كذا في نسخة والظاهر ان ضمير قال النبي صلى الله عليه وسلم

ويحتمل ان يكون لابي هريرة فيكون موقوفا او التقدير قال ابو هريرة ناقلا منه وليس في الجامع لفظ قال فيه ولا فيما بعده ثم ينزل الله من السماء ماء اي مطرا كالطل على ما سبق فينبتون اي فينبت اجساد الخلق منه كما ينبت البقل اي من المطر والظاهر انه قبل النفخة الثانية كما فهم من الروايات الماضية فتعبيره بثم هنا للتراخي الرتبي اي بعد ما علمت ما سبق فاعلم هذا فانه امر محقق قال وليس من الانسان شيء اي جزء من اجزائه لا يبلى اي لا يخلق ولا يرم ممن يبلى جسمه فان الله تعالى حرم على الارض ان تاكل من اجساد الانبياء وكذا من في معناهم من الشهداء والاولياء بل ورد منهم المؤذنون المحتسبون فانهم في قبورهم احياء او كالاحياء الا عظما واحدا ولفظ الجامع الا عظم واحد بالرفع على البدلية من شيء وهو واضح وتبراهر منصوب لانه استثناء من موجب لان قوله ليس شيء من الانسان لا يبلى الا عظما في معنى يبلى الا عظما فتكون تقديره كل شيء منه يبلى الا عظما فانه لا يبلى ويحتمل ان يكون منصوبا على انه خبر ليس لان اسمه مرفوع كقولك ليس زيد الا قائما لمن الانسان زمان مرضه وهو عجب الذنب بفتح العين المهملة وسكون الجيم وحكي اللحياني تثليث العين مع الباء والميم ففيه ست لغات وهو العظم في الالية الذي في اسفل الصلب قال بعض علمائنا من الشراح المراد طول بقائه تحت التراب لانه لا يفنى اصلا فانه خلاف المحسوس وجاء في حديث اخر انه اول ما يخلق واخر ما يبلى ومعنى الحديثين واحد وقال بعضهم الحكمة فيه ان قاعدة بدن الانسان واسه الذي يبنى عليه فبالحري ان يكون اصلب من الجميع كقاعدة الجدار واسه واذا كان اصلب كان اطول بقاء انتهى التحقيق والله ولي التوفيق ان عجب الذنب يبلى اخرا كما شهد به حديث لكن لا بالكلية كما يدل عليه هذا الحديث وهو الحديث المتفق عليه ولا عبرة بالمحسوس كما حقق في باب عذاب القبر على ان الجزء القليل منه المخلوط بالتراب عرق بل لا ان يتميز بالحس كما لا يخفى على ارباب الحس ومنه يركب بتشديد الكاف المفتوحة الخلق اي سائر الاعضاء المخلوقات من الحيوانات يوم القيامة اي كما خلق اولا في الايجاد كذلك خلق ثانيا في الاعادة او في خلق يركب عليه الخلق ثانيا قال تعالى كما بدانا اول خلق نعيده وقال سبحانه كما بداكم تعودون متفق عليه ورواه النسائي وفي رواية لمسلم وكذا للبخاري ذكره السيد وفي الجامع رواه مسلم وابو داود والنسائي عن ابي هريرة قال اي النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن ادم بالرفع وفي نسخة بالنصب اي كل اعضاء بدن الانسان وكذا سائر الحيوان ياكله التراب الا عجب الذنب اي فانه لا ياكله كله او بعضه منه اي عجب الذنب خلق بصيغة المجهول اي ابتدئ منه خلق الانسان اولا وفيه وفي نسخة منه وهو رواية الجامع وسبق انه ثانيا مرادفه يركب اي ثانيا قال النووي هذا مخصوص بغير الانبياء فان الله حرم على الارض اجسادهم وهو كما صرح به في الحديث وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله الارض يوم القيمة ويطوي السماء ولعل المراد بهما ابدالهما كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات بيمينه اي بقوته او قدرته او بيمينه الصادرة عنه انه يفعله او يقبض الملائكة وطيهم الكائنين بيمين عرشه قال القاضي عبر به عن افناء الله تعالى هذه المظلة والمقلة ورفعهما من البين واخراجهما من ان يكون ماوى ومنزلا لبني ادم بقدرته الباهرة التي تهون عليها الافعال العظام التي يتضاءل دونها القوى والقدر ويتحير فيها الافهام والفكر على طريقة التمثيل والتخييل واضاف في الحديث الذي يليه طي السموات وقبضها الى اليمين وطي الارض الى الشمال تنبيها وتخييلا لما بين المقبوضين من التفاوت والتفاضل

وقال بعضهم اعلم ان الله تعالى منزه عن الحدوث وصفته الاجسام وكل ما ورد في القرآن
والاحاديث في صفاته مما ينبئ عن الجهة والفوقية والاستقرار والاتيان والنزول فلا
نخوض في تاويله بل نؤمن بما هو مدلول تلك الالفاظ على المعنى الذي اراد سبحانه مع التنزيه
عما يوهم الجهة والجسمية ثم يقول انا الملك اي لا ملك الا لي او انا مالك الملوك والاملاك
وفيه تنبيه على ان الملك ابلغ من المالك مع ان المفسرين اختلفوا في قوله تعالى ملك يوم
الدين ومالك يوم الدين اي اي القرائتين ابلغ كما سيأتي وايماء الى السلاطين بقوله لمن الملك اليوم لله
رواية ناصر ومحل الكلام في البيضاوي مذكور والتفصيل في جزء مسطور اين ملوك
الارض اي الذين كانوا يزعمون ان الملك لهم استقلالا او وراثة لا يرون به زوالا او الذين
كانوا يدعون الالوهية في الجهة السفلية وينبذون ان الملأ الاعلى هم معصومون عن
انفعال اهل السفلي متفق عليه ورواه النسائي وابن ماجه وعن عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيامة ثم
ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين الظلمة الفجرة واين المتكبرون
اي بمالهم وجاههم وخيلهم وحشمهم لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة حفاة
عراة غرلا ثم يطوي الارضين بفتح الراء ويسكن بشماله وفي رواية باخذهن اي بدل يطوي
فالتقدير ثم ياخذهن بيده الاخرى وهذه الرواية اوفق بحديث وكلتا يديه يمين وضمير
الى الارضين بقرينة ذكر السموات ويحتمل ان المصنف نقل بالمعنى وان لفظ الرواية
ثم ياخذ الارضين بيده الاخرى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون فينبغي
في الاصول لطيب الاخرى قال اصحابنا ولعل المراد بالبدء باليمين والشمال المعدن
والمراد من الطي التسخير التام والقهر الكامل وهو لذلك الان ايضا ولكن في القيمة يكون
اظهر ونسب طي السموات الى اليمين وطي الارضين الى الشمال تنبيها لما بين المقبوضين
من التفاوت بعد ان ننزه ذاته سبحانه من نسبة الشمال اليه بقوله وكلتا يديه يمين لان
الشمال انقص في القوة عادة والله منزه عن النقصان وعن سائر صفات الحدثان
رواه مسلم وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال جاء حبر بفتح الحاء ويكسر
مفرد الاحبار اي عالم من اليهود اي من جملتهم او من احبارهم الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع بكسر الهمزة وفتح الموحدة وفي
القاموس بتثليث الهمزة والباء فيه تسع لغات والارضين على اصبع والجبال والشجر
اي جنسه على اصبع والماء والثرى اي التراب الندي يعني الماء وما تحته من الثرى على اصبع
وسائر الخلق اي باقيه على اصبع هذا الحديث بظاهره يخالف ما سبق من ان طي العلو بيمينه
والسفلي بالاخرى وايضا ظاهره بقسم الاشياء على الاصابع موهم لارادة تحقيق الجارحة
المشتملة على الاصابع الخمسة كما هو مذهب المجسمة من اليهود وسائر اهل البدعة
ولكنه كما قرره صلى الله عليه وسلم حيث لم ينكر لزم ان التاويل وهو مذهب الخلف وهو
اعلم او التسليم والتفويض مع الاتفاق على التنزيه وهو مذهب السلف وهو اسلم
والله اعلم فقال ش رح والمعنى يهون على الله امساكها وحفظها كما يقال في العرف فلان
يحمل باصبعه لقدرته وقال التوربشتي السبيل في هذا الحديث ان يحمل على نوع من
المجاز او ضرب من التمثيل والمراد منه تصوير عظمته والتوقيف على جلالة شانه وانه
سبحانه يتصرف في المخلوقات تصرف القوي القادر على ما في مقدوره ويقول العرب في سهولة
المطلب وقرب التناول ووفور القدرة وسعة الاستطاعة هو مني على حبل الذراع واني

اعلم

اعلى ذلك بيغص كبي واستقله بقدر اصبع ونحو ذلك من الالفاظ استهانة بالشيء واستظهار
في القدرة عليه والمتورع عن الخوض في تاويل امثال هذا الحديث في فسحة من دينه اذا لم
يتبعها في ساحة القدر منزلة متشابهات الجنس ثم يهزهن الضمير للاصابع والمعنى
يحركهن فيقول انا الملك اي القادر انا الله اي المعبود بالحق المستحق للعبودية والعبادة
في الباطن والظاهر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر تصديقا
له عطف العلة قال الكشاف انما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم يفهم الا ما يفهمه علماء
البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع اول شيء واخره
على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة ولا ترى بابا في علم البيان
ادق ولا الطف من هذا الباب ولا انفع واعون على تاويل المتشابهات من كلام الله
في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الانبياء فان اكثره تخييلات قد زلت فيها الاقدام
قديما ثم قرأ اي النبي صلى الله عليه وسلم اعتضادا ويحتمل ان يكون القاري هو ابن مسعود
استشهادا وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته او ما عظموه حق عظمته
والارض الواو للحال اي والحال ان جنس الارض وهو الارضين السبع جميعا قبضته
اي مقبوضته وفي ملكه وتصرفه يوم القيامة يتصرف فيه كيف يشاء بلا مزاحم مع سهولة
والمعنى انهن بعظمتهن بالنسبة الى قدرته ليست الا قبضة واحدة والسموات مطويات
بيمينه اي مجموعات بقدرته او معدمات بقسمه لانه تعالى اقسم بعزته وجلاله انه
يفنيهما سبحانه وتعالى عما يشركون بنسبة الولد والشريك اليه متفق عليه ورواه
الترمذي والنسائي وعن عائشة رضي الله عنها قالت سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن قوله اي سبحانه يوم تبدل الارض غير الارض اي يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها
ارضا اخرى غير هذه المعروفة والسموات اي كذلك فان صاحب الكواشي انها تبدل بجنة
بيضا فيأكل المؤمنون من تحت اقدامهم حتى يفرغ الحساب وسيأتي في اول باب الحشر
ما يؤيد هذا المعنى وروي عن الضحاك انه يبدل لها ارضا من فضة بيضا كالصحائف
وكذا عن علي كرم الله وجهه وفي شرح السنة التبديل تغيير الشيء عن حاله والابدال جعل الشيء
مكان آخر وقال الطيبي قد يكون التبديل في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير
وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا ازلتها وسويتها خاتما واختلف في تبديل
الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتجعل
مستوية لا ترى فيها عوجا ولا امتا وتبديل السموات وكسوفها وخسوف قمرها وقيل
يخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ
عليها احد خطيئة والظاهر منه التبديل تغييرا للذات كما يدل عليه السؤال والجواب
حيث قالت فاين يكون الناس يومئذ قال على الصراط اي الصراط المعهود عند المسلمين
او جنس الصراط والله اعلم رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر مكوران بتشديد الواو المفتوحة وتذكيره لتغليب
القمر لانه المذكر او باعتبار الكوكبين النيرين وقوله يوم القيامة ظرف له والتكوير بمعنى
اللف ومنه تكوير العمامة وقال تعالى يكور الليل على النهار وهو بمعنى الجمع في قوله تعالى
وجمع الشمس والقمر قال التوربشتي يحتمل ان من التكوير الذي هو بمعنى اللف والجمع اي
يلف ضوؤها لفا فيذهب انبساطها في الآفاق ويحتمل ان يراد به رفعهما لان الثوب اذا
طوي رفع ويحتمل ان يكون من قولهم طعنه فكوره اذا القاه اي ملقيان من فلكهما

وهذا التفسير اشبه بسياق الحديث لما في بعض طرقه مكورات في النار فيكون تكويرهما
فيها ليعذب بهما اهل النار لا سيما عباد الانوار ولا يعذبان في النار لانهما بمعزل عن التكليف
بل سبيلهما في النار سبيل النار نفسها وسبيل الملائكة الموكلين بها رواه البخاري
وروى ابن مردويه عن انس الشمس والقمر ثوران عقيران في النار ان شاء اخرجهما وان شاء
تركهما والعقير الزمن انتهى والله اعلم

الفصل الثاني عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم اي افرح واتنعم من نعم عيشه
كفرح وسمع فلان كذا في المصباح وصاحب القرن قد التقمه اي وضع طرف القرن في فمه
واصغى سمعه اي امال اذنه وحنى جبهته اي امالها وهو كناية عن المبالغة في التوجه لاستماع
السمع والقاء الاذن ينتظر متى يؤمر بالنفخ والظاهر انه كلام الا على المقام والاصغاء وما بعده
على حقيقته وانه عبادة لصاحبه بل هو مكلف به وقال القاضي معناه كيف يطيب عيشي
وقد قرب ان ينفخ في الصور فكني عن ذلك بان صاحب الصور وضع راس الصور في فمه
وهو مترصد ان يؤمر فينفخ فيه فقالوا يا رسول الله وما تامرنا اي ان نقول الان
او مطلقا عند الشدائد وحينئذ قال قولوا حسبنا الله مبتدا وخبر اي كافينا الله
ونعم الوكيل فعيل بمعنى المفعول والمخصوص بالمدح محذوف اي نعم الموكول اليه الله
رواه الترمذي وكذا الحاكم وصححه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ميرك عن ابن عباس
قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار وقالها محمد
صلى الله عليه وسلم حين قالوا له ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم الاية رواه البخاري
والنسائي وعن عبد الله بن عمرو بالواو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصور قرن
في دائرة راسه كعرض السموات والارض ينفخ فيه بصيغة المجهول اي ينفخ فيه اسرافيل
النفختين رواه الترمذي وابو داود والدارمي وكذا احمد والنسائي والحاكم والله اعلم

الفصل الثالث عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال في قوله تعالى فاذا نقر
في الناقور الصور اي نفخ في الصور بالجر على التفسير وفي نسخة بالرفع على تقدير هو الصور قال
اي ابن عباس ايضا والراجفة اي في قوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة النفخة
الاولى لانها ترجف الارض والجبال عندها اي تضطرب وتتحرك وتتزلزل لها والرادفة
الثانية اي لانها تتبع عقبها وقال الطيبي الراجفة الواقعة التي ترجف عندها الارض
والجبال وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها والرادفة الواقعة التي تردف الاولى
وهي النفخة الثانية رواه البخاري في ترجمة باب بفتح الفا والجيم اي في عنوانه تعليقا
لكن وصله في مواضع اخر منه وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم صاحب الصور اي اسرافيل وقال عن يمينه جبريل بكسر الجيم وبفتح وكسر الرا وسكون
يا وبفتحهما وبهمزة بعدها تحتية وبحذف ولورش معه اربع لغات كلهن متواترات
وعن يساره ميكائيل بهمزة وتحتية وبحذف ولورش مفعال ثلاث قرآت لكن في شرح
الشاطبية للجعبري قال ابو شيبة لها مد ودال في الحديث انتهى وهو يحتمل الزيادة
المد الطبيعية او ترك المد ويحتمل انه اراد جبريل بالالف الممدودة على الشذوذ وذكر
بما شاكله ميكائيل والله اعلم وعن ابي رزين بفتح الرا وكسر الزاي العقيلي مصغرا ولم
يذكره المؤلف في اسمائه قال قلت يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق وما اية ذلك
اي علامته في خلقه اي مخلوقاته الموجودين قال اما مررت بوادي قومك جدبا بفتح الجيم
وسكون الدال كذا في النهاية والقاموس وفي المقدمة وبفتح اوله وكسر ثانيه وقد

يعني

يبس من الجدب ثم مررت به يهتز بتشديد الزاي اي يتحرك خضرا بفتح فكسر قال الطيبي يهتز
جملة حالية وخضرا نصب على التمييز استعار الاهتزاز لاشجار الوادي لتنويرها الحسنة وقيل الاهتزاز
زهرا يحوله وكل من خف لامر فقد ارتاح له فقد اهتز له قال نعم قال فتلك اية الله اي علامته وقدرته
في خلقه اي وفي اعادته والمراد قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه
كذلك يحيي الله الموتى الظاهر ان هذا استشهاد بالاية واقتباس منها قال الطيبي اي ليس فرق
بين انشا الخلق واعادته والتشبيه في قوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى بيان للتسوية نحو قوله
تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم اي بكل من الانشا والاعادة عليم ونظير
هذا الحديث في الدلالة قوله تعالى فانظر الى اثر رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي
الموتى وهو على كل شيء قدير يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم
وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشا رواه اي الحديث رزين
قال المؤلف هو ابو الحسن رزين بن معاوية العبدري الحافظ صاحب كتاب التجريد في الجمع بين الصحاح
مات بعد العشرين وخمسمائة انتهى والله اعلم

باب الحشر

في المغرب الحشر الجمع قلت وخصوصا النشر **الفصل الاول** عن سهل بن سعد رضي الله عنه
سبق ذكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضا عفرا
اي غير شديد البياض كقرصة النقي بفتح النون وكسر القاف وتشديد اليا وهو الدقيق المنخول المنظف
الذي يتخذ منه الحوارى والقرصة بالضم الرغيف والتشبيه في اللون والشكل دون
القدر ليس فيها علم بفتحتين اي علامة لاحد يريد به الابنية ومعناه انها تكون قاعا لا بناية ذكره
الطيبي وقال الطيبي لعل الظاهر ان ذلك تعريض بازمان الدنيا وتخصيص كل من ملاكها بقطع منها
اسم عليها على نحو قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار متفق عليه وعن ابي سعيد الخدري رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيمة خبزة واحدة اي كخبزة
واحدة فهو تشبيه بليغ والتقدير بعينها خبزة واحدة وهو الظاهر على ما سيأتي يتكفؤها بالهمز
بعد تشديد الفا قال التوربشتي هذه رواية كتاب البخاري وفي كتاب مسلم يكفؤها بسكون الكاف
والهمز من كفات الانا اي قلبته وهو الصواب والمعنى يقلبها الجبار اي الواحد القهار بيده اي من يد الى
يد وكلتا يديه يمين ولعل المراد بهما القدرة والارادة فانه سبحانه منزه عن الجارحة كما يتكفؤ احدكم
خبزته اي عجينته فهو تسمية بالمال كقوله تعالى اني اراني اعصر خمرا في السفر بفتحتين وفي النجم اوله
جمع سفرة قال الاول ظرف الزمان والثاني مكان البنا والمعنى كما يفعل بالعجينة اذا اريد ترقيقها
واستواؤها حتى تلقى على الملة في السفر نزلا بضمتين ويسكن الثاني ذكره ابن الملك ضيافة
لاهل الجنة وهو ما يستعد للضيف من الطعام قال النووي يتكفؤها بالهمز اي يقلبها ويميلها
من يد الى يد حتى تجتمع وتستوي لانها ليست منبسطة كالرقاقة ونحوها وفي نسخ مسلم ويكفاها
بالهمز والخبزة هي الطلمة التي توضع في الملة والمعنى ان الله يجعل الارض كالطلمة والرغيف العظيم
يكون ذلك طعاما نزلا لاهل الجنة والله على كل شيء قدير قال التوربشتي في الحديث مشكلا
جدا غير مستنكر شيئا من صنع الله وفي نظرته بل لعدم التوفيق الذي يكون موجبا للعلم
في قلب جرم الارض من الطبع الذي عليه الى طبع المطعوم والماكول مع ما ورد في الاثار المنقو
لة ان هذه الارض برها وبحرها تمتلي نارا في النشاة الثانية وتنضم الى جهنم فنرى الوجه فيه ان نقول
معنى قوله خبزة واحدة اي كخبزة واحدة من نعتها كذا وكذا وهو نظير ما في حديث سهل بن سعد كقرصة
النقي وانما ضرب المثل بقرصة النقي لاستدارتها وبياضها على ما ذكرنا وفي هذا الحديث ضرب المثل

بحيث تشبه الارض هيئة وشكلا ومساحة فاشتمل الحديث على معنيين احدهما بيان الهيئة التي تكون الار
ض عليها يومئذ والاخر بيان الخبزة التي يهيئها الله تعالى نزلا لاهل الجنة وبيان عظم مقدارها ابداعا واختراعا
من القادر الحكيم الذي لا يعجزه امر ولا يعوزه شيء انتهى واطنب الطيبي هنا بما لا طائل تحته فاعرضت
عن ذكره وفي الحديث مشكل لا من جهة انكار قدرته بل من جهة عدم التوفيق بينه وبين حديث
ان هذه الارض تصير يوم القيمة نارا واجيب بانه شبه ارض المحشر بالخبزة في الاستوا
والبياض كما في حديث سهل وشبه ارض الجنة كما في حديث ابي سعيد في كونها نزلا لاهلها تكرمة لهم
بعجالة الراكب زادا يقنع به في سفره لكن اخر هذا الحديث يشعر بان كون الارض خبزة في التجوز
والاولى الحمل على الحقيقة مهما امكن وقدرته تعالى صالحة لذلك بل اعتقاد كونه حقيقة ابلغ بان
يقلب الله تعالى بقدرته الكاملة طبع الارض حتى ياكلوا منها تحت اقدامهم ما شاء الله بغير كلفة ولا
علاج وبهذا يتبين ضعف ما قاله القاضي من انه لم يرد بذلك ان جرم الارض ينقلب خبزة في الشكل
والطبع وانما اراد به انها تكون حينئذ بالنسبة الى ما اعد الله لاهل الجنة كقرصة نقي يستعجل
المضيف بها نزلا للضيف ثم تعريف الارض في الحديث كتعريفها في قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال ابن عباس هي ارض الجنة هذا ومما يؤيد الحمل
على الحقيقة قول الراوي فاتى رجل من اليهود اي من احبارهم فقال بارك الرحمن عليك دعا له بزيادة
كثرة الرحمة عليه او اخبار عنه يا ابا القاسم كناه تعظيما الا اخبرك بنزل اهل الجنة يوم القيمة
قال بلى قال تكون الارض خبزة واحدة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فنظر النبي صلى الله عليه وسلم
الينا اي نظر التفات وتعجب وتنبيه ثم ضحك اي فرحا للمطابقة والموافقة حتى بدت نواجذه اي ظهرت
اخر اضراسه وهو كناية عن المبالغة ثم قال اي اليهودي كالتتمة للاخبار بادامهم اي بما يؤدم به
اهل الجنة الخبزة بالام اي هو بالام وهو في وزن فاعال اي ثور والنون اي السمك قالوا اي الصحابة
وما هذا اي ما معنى هذا الذي ذكرته قال ثور ونون ياكل من زائدة كبدهما سبعون الفا قال
النووي اما النون فهو الحوت باتفاق العلماء واما بالام ففيها موحدة مفتوحة وتخفيف لام وميم
مرفوعة وفي معناه اقوال والصحيح منها ما اختاره المحققون انها لفظة عبرانية معناها
بالعربية الثور وفسره اليهودي به ولو كانت عربية لعرفها الصحابة ولم يحتاجوا الى سؤاله عنها
واما قوله ياكل منها سبعون الفا فقال القاضي عياض انهم السبعون الفا الذين يدخلون الجنة
بلا حساب فخصوا باطيب النزل ويحتمل انه عبر به عن العدد الكثير ولم يرد الحصر في ذلك العدد
وهذا معروف في كلام العرب والله اعلم متفق عليه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس اي بعد البعث على ثلاث طرائق اي فرق واصناف
الركبان في طريقة واحدة من تلك الثلاث والبقية بينها ولا الطريقتين الاخريين وهم المشاة
والذين على وجوههم كما سيأتي في الفصل الثالث راغبين اي في الجنة لما فيها من لذاتهم وهو
بدل من ثلث وهو احد الفرق وهم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون راهبين اي من النار وهم
الذين يخافون ولكن ينجون منها وهم الفرقة الثانية تعقيبه تنبيه نبيه على ان طاعة الله تعالى
في الرجا اولى من عبادته في الخوف ولذا سمي الاولون الطيارين والاخرون السيارين كما حقق
في كتب التصوف ويعرفه اهل التعرف وجهة الكلام ان المراد بالراغبين من غلب عليهم الخوف قال
تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون وانما قدم الخوف في الاية لانه انسب بعموم
المداومة لا سيما في البداية واثنان على بعير يتفق مقدار مراتبهم بيسر يعقبون على مراكبهم وانا فوقه
يمشون في اثنا ما هم على قدر اقدامهم قال ابن الملك قوله واثنان على بعير الواو فيه للحال ومنعه
المبتدا محذوف اي اثنان منهم وكذا الحكم فيما بعده وتعقبه الاعداد تفصيل لمراتبهم في سبيل الكثر

والتمثيل

والتمثيل فمن كان اعلى مرتبة كان اقل شركة واشد سرعة واكثر سبقا فان قلت كون
الاثنين والحواشي على البعير بطريق الاجتماع ام الاعتقاب قلت قال شارح السنة بطريق
الاعتقاب لا يكون الاثنان والثلاثة على بعير حقيقة وانما اقتصر في ذكر العشرة اشارة الى انه غاية
عدد الراكبين على ذلك البعير المتحمل للعشرة من بدائع فطرة الله تعالى كناقة صالح حيث قوي ما لا يقوى
من البعران وانما لم يذكر الخمسة والستة وغيرهما الى العشرة للايجاز ويحشر بقيتهم اي يجمعهم
النار وتقيل بفتح اوله من القيلولة وفاعله النار والمراد انها تكون معهم في النهار حيث قالوا اي كانوا
او استراحوا وتبيت اي معهم حيث باتوا اي كانوا في الليل وتصبح معهم حيث اصبحوا اي دخلوا
في الصباح وتمسي معهم حيث امسوا والمقصود انها تلزمهم بحيث لا تفارقهم ابدا هذا اجمال الكلام
في تحصيل المرام واما تفصيله فقال الخطابي الحشر المذكور في هذا الحديث انما يكون قبل قيام
الساعة يحشر الناس احياء الى الشام فاما الحشر بعد البعث في القبور فانه على خلاف هذه الصورة
من ركوب الابل والمعاقبة عليها وانما هو على ما ورد في الحديث انهم يبعثون حفاة عراة
وفسر ثلاثة على بعير واربعة على بعير انهم يتعقبون البعير الواحد يركب بعضهم ويمشي بعضهم
قال التوربشتي قول من يحمل الحشر على الحشر الذي هو بعد البعث من القبور اشد واقوى واشبه
بسياق الحديث من وجوه احدها ان الحشر على الاطلاق في متعارف الشرع لا يراد منه الا الحشر
الذي بعد قيام الساعة الا ان يخص بنوع من الدليل ولم نجده هنا والاخر ان التقسيم الذي ذكر
في هذا الحديث لا يستقيم في الحشر الى ارض الشام لان المهاجر اليها لابد وان يكون راغبا راهبا
او راغبا او راهبا فاما ان لا يكون راغبا وراهبا ويكون هذه طريقة واحدة لا ثاني لها من
جنسها فلا والثالث ان حشر البقية على ما ذكره في هذا الحديث الى ارض الشام
والتزامها لهم حتى لا تفارقهم في مقيل ولا مبيت ولا صباح ولا مساء قول لم يرد به التوقيف
والرابع وهو اقوى الدلائل واوثقها ما روي عن ابي هريرة وهو في الحسان من هذا الباب
يحشر الناس يوم القيمة ثلاثة اصناف الحديث واما ما ذكر من بعث الناس حفاة عراة فلا
تنافي بين القضيتين لان احديهما حالة البعث من النشر والاخرى حالة السوق الى المحشر
ونرى التقسيم الذي في الحديث التقسيم الذي في التنزيل قال الله تعالى اذا رجت
الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم ازواجا ثلثة الايات فقوله راغبين
راهبين يريد به عوام المؤمنين وهم ذوو الهنات الذين يترددون بين الخوف والرجا بعد زوال
التكليف فتارة يرجون رحمة الله لايمانهم وتارة يخافون عذابه لما اجترحوا من السيئات وهم
اصحاب الميمنة في كتاب الله على ما في الحديث الذي رواه ايضا ابو هريرة وهو في الحسان
من هذا الباب وقوله واثنان على بعير المراد منه اولو السابقة من افاضل المؤمنين
وبهما الت يقول وقوله ويحشر بقيتهم النار يريد به اصحاب المشأمة فهذه ثلاث طرائق فان
قيل فلم لم يذكر السابقين من يتفرد بفرد مركب لا يشاركه فيه احد قلنا لانه شرك ان
ذلك مجعول لمن فوقهم في المرتبة من انبياء الله ليقع الامتياز بين الانبياء والصديقين
في المراكب كما وقع في المراتب انتهى وذكر الطيبي ما لا طائل تحته فتركناه متفق عليه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم محشورون اي ستبعثون
حفاة بضم الحاء جمع حاف وهو الذي لا نعل له عراة بضم العين جمع عار وهو من لا ستر له غرلا بضم
الغين المعجمة وسكون الراء جمع الاغرل وهو الاقلف غير مختونين قال العلماء في قوله غرلا اشارة
الى ان البعث يكون بعد رد تمام الاجزاء والاعضاء الزائلة في الدنيا الى البدن وفيه تاكيد لذلك
فان القلفة كانت واجبة الازالة في الدنيا وغيرها من الاشعار والاظفار وانه النسا

وبحوها اذلى وذلك لفانه تعلق علم الله تعالى بالكليات والجزئيات ونهاية قدرته بالاشيا
الممكنات ثم قرأ اي استشهادا واعتضادا بقوله تعالى كما بدأنا اول خلق نعيده الكاف متعلق
بمحذوف دل عليه نعيد اي نعيد الخلق اعادة مثل الاول والمعنى بدأناهم في بطون امهاتهم
حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيمة وعدا علينا اي لازما لا يجوز الخلف فيه انا كنا فاعلين
اي ما وعدناه واخبرناه لا محالة قال الطيبي فان قلت سياق الاية في اثبات الحشر
والنشر لان معنى نوجدكم من العدم كما اوجدناكم اولا من العدم قلت ذلك سياق الاية
وعبارتها في اثبات الحشر واشارتها في المعنى المراد من الحديث فهو من باب الادماج قلت
الظاهر ان الاية بعبارتها تدل على المعنيين وان كانت الاية مختصا لاحدهما فان العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم في قوله نوجدكم من العدم مسامحة والله اعلم
واول من يكسى يوم القيمة ابراهيم قيل لانه اول من كسى الفقراء وقيل لانه اول من عري
في ذات الله حين القي في النار وقيل لانه تقدم نبينا ولكونه اباه فقدمه لعزة
الابوة على انه قيل ان نبينا يخرج من الناس من قبره في ثيابه الذي دفن فيه وعندي
والله اعلم ان الانبياء كالاولياء يقومون من قبورهم حفاة عراة لكن يلبسون اكفانهم
بحيث لا ينكشف عوراتهم على احد ولا على انفسهم وهو المناسب لقوله صلى الله عليه وسلم
اخرج من قبري وابو بكر عن يميني وعمر عن يساري ولفي البقيع الحديث ثم يركبون النوق
ونحوها ويحضرون المحشر فيكون هذا الالباس محمولا على الخلع الالهية والحلل الجنية على
الطايفة الاصطفائية واولية ابراهيم عليه السلام يحتمل ان تكون حقيقية او اضافية
والله سبحانه اعلم ثم رايت في الجامع الصغير انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة
من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري رواه
الترمذي عن ابي هريرة وروى الترمذي والحاكم عن ابن عمر انا اول من تنشق عنه الارض
ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتي اهل البقيع فيحشرون معي ثم انتظر اهل مكة وقال التوربشتي ان
التقديم بهذه الفضيلة انما وقع لابراهيم عليه السلام لانه اول من عري في ذات الله تعالى
حين ارادوا القاءه في النار فان قيل اوليس نبينا صلى الله عليه وسلم هو المحكوم
له بالفضل على ساير الانبيا وتاخره في ذلك موهم ان الفضل للسابق قلنا اذا
استاثر الله عبدا بفضيلة على اخر واستاثر المستاثر عليه على المستاثر بتلك الواحدة
وبعشر امثالها او انضد كانت السابقة له ولا يقدح استثنا رصاحبه عليه بفضيلة واحدة
في فضله ولا خفا بان الشفاعة حيث لا يؤذن لاحد في الكلام لم يبق سابقة لاولي السوابق
ولا فضيلة لذوي الفضايل الا انت عليهم وكم له من فضايل مختصة به لم يسبق اليها
ولم يشارك فيها وان ناسا من اصحابي اي جماعة منهم والتنكير للتقليل يوخذ بهم ذات
الشمال اي الى النار مع اصحاب المشأمة فاقول اصيحابي بالتصغير للتقليل اي
هؤلاء اصيحابي او اصحابي اين يذهبون بهم اصيحابي كرره تاكيدا ويمكن ان يكون اشارة
الى جمعين فيقول اي قايلا وتجيب انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم قال
القاضي يريد بهم من ارتد من الاعراب الذين اسلموا في ايامه كاصحاب مسيلمة والاسود
واضرابهم فان اصحابه وان شاع عرفا فيمن يلازمه من المهاجرين والانصار شاع
استعماله لغة في كل من تبعه او ادرك حضرته ووفد عليه ولو مرة قلت الاول
اصطلاح اصول الفقه والثاني مصطلح اهل الحديث ويمكن ان يراد بالارتداد اساءة
السيرة والرجوع عما كانوا عليه من الاخلاص وصدق النية والاعراض عن الدنيا اقول

نعم

هذا

هذا بالاشارات الصوفية انسب واقرب والاستعانة لا رتداد عن مستقيمة على هذا المعنى
اصلا ولا موافقة لقوله عليه السلام فاقول كما قال العبد الصالح وهو عيسى عليه السلام
وكنت عليهم اي على امتي شهيدا اي مطلعا رقيبا حافظا ما دمت فيهم اي موجودا فيما بينهم
الى قوله العزيز الحكيم وهو قوله فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم متفق عليه ورواه الترمذي
وعن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يحشر الناس يوم القيمة حفاة عراة غرلا قلت يا رسول الله الرجال بتقدير الاستفهام
ويمكن ان يقرا بالمد والتسهيل ايضا على ما تقرر في قوله تعالى الذكرين والنساء عطف على
الرجال وهما مبتدأ قوله جميعا اي مجتمعين حال منهما على ما جوزه البعض والخبر قوله ينظر
بعضهم الى بعض وهو محط الاستفهام التعجبي قال الطيبي الرجال والنساء مبتدأ وجميعا
حال سد مسد الخبر اي مختلطون جميعا ويجوز ان يكون الخبر ينظر بعضهم الى بعض وهو
العامل في الحال قدم اهتماما كما في قوله تعالى والارض جميعا قبضته وفيه معنى الاستفهام
ولذلك اجاب فقال يا عايشة الامر اشد من ان ينظر بعضهم الى بعض اي امر القيمة اصعب
من ان يقدر احد على النظر الى غيره عمدا او سهوا لقوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه
متفق عليه واخرج عبد بن حميد والترمذي والحاكم وصححه ابن مردويه والبيهقي في البعث
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت زوجته
اينظر بعضنا الى عورة بعض فقال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه واخرج
الطبراني عن سهل بن سعد نحوه واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه عن انس ان عايشة
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كيف يحشر الناس قال حفاة عراة قالت
واسوأتاه قال قد نزلت علي اية لا يضرك كان عليك ثياب او لا قالت واي اية هي قال
لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه واخرج الحاكم وصححه وابن مردويه عن عايشة نحوه واخرج
الطبراني في الاوسط عن ام سلمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر
الناس يوم القيمة حفاة عراة قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا
الى بعض فقال شغل الناس قلت ما شغلهم قال نشر الصحايف فيها مثاقيل الذر
ومثاقيل الخردل وعن انس ان رجلا قال يا نبي الله يحشر الكافر على وجهه يوم القيمة
والكون الاستفهام مقدرا قال اليس اي اليس الذي امشاه على الرجلين في الدنيا مبتدا
خبره قوله قادرا على ان يمشيه بالتخفيف ويجوز تشديده على وجهه يوم القيمة
متفق عليه وسياتي حديث الترمذي في الفصل الثاني وحديث ابي ذر في الثالث
وفي الدر المنثور اخرج احمد والشيخان والنسائي وابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم وابو
نعيم في المعرفة والبيهقي في الاسماء والصفات عن انس قال قيل يا رسول الله كيف
يحشر الناس على وجوههم قال الذي امشاهم على ارجلهم قادر ان يمشيهم على وجوههم
واخرج ابن جرير عن الحسن قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية الذين
يحشرون على وجوههم قالوا يا نبي الله الذي امشاهم الى البيوت قادر على ان يمشيهم على وجوههم
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى اي يرى ابراهيم
اباه ازر بالقصر وبيان يوم القيمة وعلى وجه ازر وضع الظاهر موضع الضمير للابتدا
رجعه الى ابراهيم في ابتدا الحال قترة اي سوداء من الكآبة والحزن وغبرة بفتحتين غبار
معه سواد تذكرهم مبالغة الجملة حالية فيقول له ابراهيم الم اقل لك لا تعصني فيقول

له ابوه فاليوم ظرف مقدم لا اعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتني ان لا تخزني اي لا
تفضحني يوم يبعثون اي الخلايق فاي خزي في النهاية هو الهلاك والوقوع في بلية اخزي
من ابي اي من خزي ابي الابعد يريد البعد في المرتبة والانحطاط باهل النار والهالك من
البعد بمعني الهلاك او الابعد من رحمة الله تعالي فان الفاسق بعيد والكافر ابعد
ورحمة الله قريب من المحسنين وهم الانبيا والاوليا انتهي قال الطيبي هو من افعل الذي قطع
عن متعلقه للمبالغة فيقول الله تعالي اني حرمت الجنة علي الكافرين ثم يقال لابراهيم ما تحت
رجليك وفي نسخة انظر ما تحت رجليك وما استفهامية او موصولة قال ابن الملك ما تحته
خبره تحت ويجوز كونه بمعني الذي اي انظر الي الذي تحت رجليك فينظر فاذا هو اي آزر بذيخ
بكسر ذال معجمة فتحتية ساكنة فخاء معجمة وهو ذكر الضبع الكثير الشعر وفي نسخة بمهملة
وحاء مهملة وهو ما يذبح متلطخ اما برجيعه او بدمه او بالطين فيوخذ بقوائمه جمع قائمة وهي
جمع قائمة وهي ما يقوم به الدواب بمثابة الارجل للانسان كذا ذكره شارح فهو تغليب
اذ المراد انه يوخذ بيديه ورجليه فيلقي اي فيطرح في النار اي في مقام الكفار وتغيير صورته
ليكون تسلية لابراهيم حتي لا يخجله لو رآه في النار علي صورته فيكون تخزيا وتفضيحة
في رؤس الخلايق فغيرت صورته لما له في تغييره ما له فيه هذا الحديث مخالف لظاهر قوله
تعالي وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو
لله تبرأ منه واجيب اختلف في الوقت الذي تبرأ ابراهيم فيه من ابيه فقيل كان
ذلك في الدنيا لما مات مشركا وقيل انما تبرأ منه يوم القيمة لما ايس منه حين مسخ
ويمكن الجمع بين القولين بانه تبرأ منه لما مات مشركا فترك الاستغفار له لكن لما رآه يوم
القيمة ادركته الرأفة فسأل فيه فلما مسخ ايس منه وتبرأ تبرأ ابديا وقيل ان ابراهيم
لم يتيقن موته علي الكفر لجواز ان يكون امن في نفسه ولم يطلع ابراهيم عليه ويكون وقت
تبريه منه بعد الحال التي وقعت في هذا الحديث رواه البخاري وعنه اي عن ابي هريرة رضي
الله تعالي عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يعرق بفتح الرا الناس اي جميعهم
والجن بالاولي فتركه من باب الاكتفا والظاهر استثنا الانبيا والاوليا يوم القيمة اي ابتدا
امره حتي يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا قيل سبب هذا العرق تراكم الاهوال وحصول
الحيا والخجالة والندامة والملامة وتراكم حر الشمس والنار كما جاء في رواية جهنم تدير اهل المحشر
فلا يكون الي الجنة طريق الا الصراط حتي يبلغ اي يصل العرق اذانهم بالمد جمع الاذن قال
شارح اي الي اذانهم وسياتي ان الناس يختلفون في احوالهم علي مراتب اعمالهم متفق
عليه وروي الطبراني عن ابن مسعود مرفوعا ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيمة فيقول
رب ارحني ولو الي النار وعن المقداد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلي الله
عليه وسلم يقول تدني الشمس اي تقرب يوم القيمة من الخلق حتي تكون منهم اي الشمس والمراد
جرمها كمقدار ميل تفسير حتي يكون مقدار قرب الشمس منهم مثل مقدار ميل نظيره قوله
تعالي فكان قاب قوسين وفي شرح السنة قال سليم لا ادري اي الميلين يعني مسافة الارض
او الميل الذي يكحل به العين فيكون الناس علي قدر اعمالهم اي المتسببة في العرق فمنهم من يكون
الي كعبيه اي تقريبا فيعتبر النقصان والزيادة ومنهم من يكون الي ركبتيه ومنهم من يكون
الي حقويه بفتح فسكون الخصر ومشد الازار ومنهم من يلجمه العرق الجاما واشار رسول الله صلي الله
عليه وسلم بيده الي فيه اي فمه قال ابن الملك فان قلت اذا كان العرق كالبحر يلجم البعض
فكيف يصل الي كعب الاخر قلت يجوز ان يخلق الله تعالي ارتفاعا في الارض تحت اقدام

البعض

البعض او يقال يمسك الله عرق كل انسان بحسب عمله فلا يصل الي غيره منه شي كما امسك
جرية البحر لموسي عليه السلام قلت المعتمد هو القول الاخير فان امر الآخرة كله علي
خرق العادة الا تري ان شخصين في قبر واحد يعذب احدهما وينعم الاخر ولا يدري احدهما عن غيره
ونظيره في الدنيا نايمان مختلفان في رؤياهما يتحزن احدهما ويفرح الاخر وشخصان قاعدان
في مكان واحد احدهما في عليين والاخر في اسفل سافلين او احدهما في صحة والاخر في وجع او بلية
رواه مسلم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال يقول الله
تعالي اي يوم القيمة كما في رواية البغوي يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير كله في يديك
قال اخرج بفتح الهمزة وكسر الرا اي اظهر وميز من بنيك او ذريتك بعث النار اي جميع يستحق
البعث اليها قال وما بعث النار قيل عطف علي مقدر اي سمعت واطعت وما بعث النار اي
وما مقدار النار قيل ما بمعني كم العددية والاظهر انه اذا ما استفهامية فيفيد الربط بين
سابقه ولاحقه قال اي الله تعالي من كل الف تسعماية وتسعة وتسعين قيل في الغاية
ما في حديث ابي هريرة من كل مائة تسعة وتسعين واجاب الكرماني بان مفهوم
العدد لا اعتبار له والمقصود منه تقليل عدد المومنين وتكثير عدد الكافرين ويمكن حمل
حديث ابي سعيد علي جميع ذرية آدم فيكون من كل الف عشرة ويقرب من ذلك ان ياجوج وما
ذكر واسع حديث ابي سعيد ومن حديث ابي هريرة ويحتمل ان يكون الاول يتعلق بالخلق
اجمعين والثاني بخصوص هذه الامة وان يكون بعث النار الكفار ومن يدخل النار من العصاة
فيكون من كل الف تسعماية وتسعة وتسعون كافرا وهذا هو الاظهر والله اعلم فعنده
اي عند هذا الحكم يشيب الصغير اي من الحزن الكثير والهم الكبير وفي رواية البغوي فحينئذ
يشيب المولود وظهور الشيب اما علي الحقيقة او علي الفرض والتقدير وهذا هو الاظهر
الملايم لقوله وتضع كل ذات حمل حملها وتري الناس سكاري اي من الخوف وما هم بسكاري
من الخمر ولكن عذاب الله شديد ثم اعلم ان هذا الحديث مقتبس من قوله تعالي يا ايها الناس
اتقوا ربكم اي احذروا بالطاعة عقابه حتي ترجوا ثوابه ان زلزلة الساعة شي عظيم والزلزلة
شدة الحركة علي الحالة الهايلة واختلفوا فيها فقال علقمة والشعبي هي من اشراط الساعة
قبل قيامها وقال الحسن والسدي هي تكون يوم القيمة وقال ابن عباس زلزلة الساعة
قيامها فتكون معها يوم ترونها اي الساعة او الزلزلة تذهل كل مرضعة اي تشتغل عما
ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها اي تسقط ولدها من هول ذلك اليوم قال
الحسن تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها من غير تمام
وهذا بظاهره يويد قول من قال ان هذه الزلزلة تكون في الدنيا لان بعد البعث
لا يكون حمل الا ان يقال يكون في القيمة فان هذا علي وجه التعظيم للامر لا علي
حقيقته كقولهم اصابنا امر يشيب فيه الوليد يريد به شدته قالوا يا رسول الله
واينا ذلك الواحد ولما استعظموا ذلك الامر واستشعروا الخوف منه قال اي في
جوابهم تسلية لفوادهم ابشروا قال الطيبي لا يخلو هذا الاستفهام من ان يكون مجري
علي حقيقته او يكون استعظاما لذلك الحكم واستشعارا خوف منه فالاول ليستدعي
الايجاب بما يزيل ذلك الخوف ونفي للاسف الثاني هو المراد بقوله ابشروا وكانه قال
واينا من امة محمد ذلك الناجي المفلح من بين سائر بني آدم فقال ابشروا فان منكم رجلا
ومن ياجوج وماجوج بالالف وتهمز فيهما الف بالرفع في الاصول المصححة فالجملة
حالية وتقدم الجار لكون المبتدا نكرة وفي نسخة السيد عفيف الدين الفا بالنصب

وهو ظاهر فانه من باب العطف على معمولي عاملين مختلفين والمجرور مقدم والمعنى يوجد بعدد كل رجل منكم الف من ياجوج وماجوج تحببه بكثرة اهل الجنة وفيه اشعار بان اهل النار اكثر من اهل الجنة ولعل اهلها بكثرة وبوجود الملايكة المقربين والحور العين فضح معنى الحديث الوارد غلبت رحمتي غضبي زاد البغوي وقال الناس الله اكبر ثم قال والذي نفسي بيده ارجوا ان تكونوا اي انتم ايها الصحابة او ايها الامة وهو الاظهر ربع اهل الجنة فكبرنا التكبير للتعجيب والفرح الكائن والاستبشار والاستعظام فقال ارجوا ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبرنا ولعله صلى الله عليه وسلم درج لهم ليلا ينقطع قلوبهم بالفرح الكبير دفعة او بالنظر الى دخولهم في دفعات اولا وحي اليه وحيا بعد وحي فاخبر بما بشر فقال ارجوا ان تكونوا نصف اهل الجنة فكبرنا قال الطيبي في الحديث تنبيه على ان ياجوج وماجوج داخلون في هذا الوعيد وذلك بقوله ارجوا ان تكونوا نصف اهل الجنة اذ غير ياجوج وماجوج من الامم الثالثة لعله الغالبة المعتبرة ايضا داخلون في الوعيد فاذا وزع نصف امته محمد صلى الله عليه وسلم مع مثل من الامم السالفة على هولا يكون كالواحد من الالف يدل عليه رواية الراوي قال اي النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة صحيحة فقال ما انتم في الناس الا كالشعرة السوداء في جلد ثور ابيض او كشعرة بيضاء في جلد ثور اسود الظاهر ان او للتخيير في التعبير وكذا البيك قال الطيبي وقولهم الله اكبر ثلاثا متعجبين استبشار منهم واستعظام لهذه النعمة العظمى والمحنة الكبرى فيكون هذا الاستعظام بعد ذلك الاستعظام اشارة الى فوزهم بالبغية بعد الياس منها انتهى ولعل ورود هذا الحديث قبل علمه صلى الله عليه وسلم بان امته ثلثا اهل الجنة اذ قد ورد ان اهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون صفا امته صلى الله عليه وسلم والا يتبون سائر الامم ويمكن ان يكون صفا بالنسبة الى الداخلين اولا والاظهر ان هذا الحديث وقع مختصرا على ما سيأتي في الحديث بطوله متفق عليه ورواه النسائي وفي المعالم روي عن عمران ابن الحصين وابي سعيد الخدري ان هاتين الايتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا قدرا والناس بين باك وجالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون اي يوم ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله عز وجل يا ادم قم فاخرج بعث النار من ولدك قال فيقول ادم من كل كم فيقول الله عز وجل من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة قال فكبر ذلك على المسلمين وبكوا وقالوا فمن ينجو اذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا وسددوا وقاربوا فان معكم خليقتين ما كانتا في قوم الا كثرتاه ياجوج وماجوج ثم قال اني لارجوا ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبروا وحمدوا الله ثم قال اني لارجوا ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبروا وحمدوا الله ثم قال اني لارجوا ان تكونوا ثلثي اهل الجنة مائة وعشرين صفا ثمانون منها امتي وما المسلمون في الكفار الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة بل كالشعرة السوداء في الثور الابيض او كالشعرة البيضاء في الثور الاسود ثم قال ويدخل من امتي سبعون الفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون الفا قال نعم ومع كل واحد سبعون الفا فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت منهم فقام رجل من الانصار فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة وعنه اي عن ابي سعيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساق

قال

قال النووي بشر مذهب اهل السلامة من السلف التورع من التعرض للغوص في مثل هذا الحديث وهو الاسلم والاحوط وقد نقل قوله جمع من العلماء بان الكشف عن الساق مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب واستعماله فيه شايع ومنه قوله

الشاعر

عجبت من نفسي ومن اشفاقها ومن طراد الطير عن ارزاقها

في سنة قد كشفت عن ساقها

ومنه قوله عز وجل يوم يكشف عن ساق اي عن شدة وتنكيرها في الاية من دلايل هذا التاويل ووجه تعريف الساق في الحديث دون الاية ان يقال اضافها الى الله تعالى تنبيها على انها الشدة التي لا يجليها لوقتها الا هو وفي انها هي التي ذكرها في كتابه انتهى وعن ابن عباس في الاية هو يوم كرب وشدة وقال الخطابي المعنى يكشف عن قدرته التي تكشف عن الشدة والكرب وقيل الاصل فيه ان من الولد في بطن الناقة فيدخل الرجل يده في رحمها فيأخذ بساقه ليخرجه فهذا هو الكشف عن الساق ثم استعمل في كل امر فظيع انتهى ويمكن ان يكون استعارة وخاصله ان الله تعالى يأخذهم بالشدايد كمن يكشف عن ساقه بالتشمر عند دخوله في امر خطير فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة اي من كمال الشدة يقعون في السجدة طالبين رفعه بتلك القربة واخرج ابو يعلى بسند فيه ضعف عن ابي موسى مرفوعا في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق قال عن نور عظيم فيخرون له سجدا فهذا يشعر بانه تعالى يتجلى للناس تجليا صوريا وبهذا ينحل الاشكال في كثير من احاديث الصفات على ما نزله بعض مشايخنا والله اعلم ثم المراد بالمؤمن والمؤمنة المخلصون منهم وكذا قال ويبقى من يسجد في الدنيا رياء وسمعة اي نفاقا وشهرة فيذهب اي يقصد ويشرع ليسجد فيعود اي يصير ظهره طبقا واحدا اي عظما بلا مفصل حتى لا ينثني عند الرفع والخفض فلا يقدر والطبق فقار الظهر واحدها طبقة يعني صار فقاره واحدا فلا يقدر على الانحناء والمعنى انه تعالى يكشف يوم القيمة عن شدة يرتفع دونها سواتر الامتحان فيتميز اهل الاخلاص والايقان بالسجود عن اهل الريب والنفاق في اليوم الموعود وكما قال تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون متفق عليه واخرج الاسماعيلي الحديث بلفظ يكشف عن ساق قال وهذا اصح لموافقته لفظ القران والله اعلم بالحال وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليأتي الرجل العظيم اي جاها ومالا او جسما يكون قوله السمين عطف بيان له يوم القيمة لا يزن اي لا يعدل ولا يساوي عند الله جناح بعوضة اي لا يكون له قدر عند الله ومنزلة يقول العرب ما لفلان عندنا وزن اي قدر لخسته ومنه حديث لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقي كافرا منها شربة ماء وقال اي النبي عليه السلام او ابو هريرة اقرؤوا اي استشهادا واعتضادا فلا نقيم لهم اي الكفار يوم القيمة وزنا اي مقدارا وحسبا واعتبارا وقيل ميزانا فان النفع الة وزن اذ الكفار المخلصون يدخلون النار بغير حساب وانما الميزان للمؤمنين الكاملين والمرائين والمنافقين والله سبحانه اعلم قال الطيبي فان قلت كيف وجه صحة الاستشهاد بالاية فان المراد بالوزن في الحديث وزن الجثة ومقدارها لقوله العظيم السمين وفي الاية اما وزن الاعمال لقوله تعالى فحبطت اعمالهم واما مقدارهم والمعنى نزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار قلت الحديث من الوجه الثاني على سبيل الكناية وذكر الجثة والعظم لانها في الارادة متداخلان وتقييده قال تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا

تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة متفق عليه انتهى والله اعلم الفصل الثاني عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يومئذ تحدث اي الارض اخبارها
قال اتدرون ما اخبارها بفتح الهمزة جمع خبر وفي نسخة بكسرها على انه مصدر اي تحديثها قالوا
الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها بالرفع اي ان تشهد على كل عبد وامة اي ذكر وانثى بما عمل
بفتح اوله اي عمل كل واحد على ظهرها وفي نسخة بالضم على انه نائب الفاعل وقوله على ظهرها ان تقول
بدل بعض من ان تشهد او بيان له وفي رواية الجامع تقول بدون ان وهو خبر مبتدأ محذوف
اي هي بعينها شهادتها ان تقول عمل اي فلان علي اي على ظهري كذا وكذا اي من الطاعة او المعصية
يوم كذا وكذا اي من شهر كذا وعام كذا قال فهذه اي الشهادة اي المذكورة اخبارها رواه احمد والترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وكذا رواه عبد بن حميد والنسائي وابن جرير وابن المنذر
والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يموت الا ندم اي لو غنم الحياة قبل الموت
واستنفق الخيرات قبل الفوت قالوا وما ندامته اي ما وجه ندامته لكل احد وملامته يا رسول
الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد اي خيرا وبرا وان كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع
اي كف نفسه عن الاساءة رواه الترمذي وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة ثلاثة اصناف وفي نسخة على ثلاثة اصناف
ويؤيد الاول قوله صنفا مشاة بضم الميم جمع ماش وهم المؤمنون الذين خلطوا صالح اعمالهم
بسيئها وصنفا ركبانا وهم السابقون الكاملون الايمان ركبانا اي على النوق وهو بضم الراء جمع
راكب وانما بدأ بالمشاة جبرا لخاطرهم كما بدأ في قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه وفي قوله سبحانه
يهب لمن يشاء اناثا او لانهم المحتاجون الى المغفرة اولا ولارادة الترقي وهو ظاهر وقال
التوربشتي فان قيل لم بدأ بالمشاة بالذكر قبل الركبان قلنا لانهم هم الاكثرون
من اهل الايمان وصنفا وهم الكفار على وجوههم اي يمشون عليها قيل يا رسول الله وكيف يمشون
على وجوههم اي والعادة ان يمشي على الارجل قال ان الذي امشاهم اي اقدرهم على ان يمشيهم
على وجوههم يعني وقد اخبر بذلك بقوله الذين يحشرون على وجوههم واخباره حق ووعده صدق
وهو على كل شيء قدير فلا ينبغي ان يستبعد مثل ذلك اما بالتخفيف للتنبيه انهم اي الكفار
يتقون اي يحترزون ويدفعون بوجوههم كل حدب اي مكان مرتفع وشوك اي ونحوه من
انواع ما يتأذى به والمعنى وجوههم واقية لابدانهم من جميع الاذى لاجل ان غلت ايديهم
وارجلهم والامر في الدنيا بعكس ذلك وانما كان كذلك لان الوجه الذي هو اعز الاعضاء لم
يضعه ساجدا في التراب وعزل عنه تكبرا فجعل الامر في العكس قال القاضي قوله يتقون
بوجوههم يريد به بيان هوانهم واضطرارهم الى حد جعلوا وجوههم مكان الايدي والارجل في
التوقي عن مؤذيات الطرق والمشي الى المقصد لما لم يجعلوها ساجدة لمن خلقها وصورها ومما
يناسب المقام ما يحكى انه رئي بعض الاغنياء انه يسعى بين الصفا والمروة على بغلة بطريق
الخيلاء ثم رئي في بعض السنين راجلا فقيل له في ذلك فقال لما ركبنا في محل
المشي عاقبنا الله بان نمشي في محل الركوب هذا وقد قال تعالى افمن يتقي بوجهه سوء
العذاب يوم القيمة وفسروا بانه يلقى الكافر مغلولة يداه الى النار فلا يقدر ان يتقي عن نفسه
النار الا بوجهه رواه الترمذي وكذا ابو داود الطيالسي وابن جرير وابن مردويه والبيهقي في
البعث وحسنه الترمذي وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره
اي اعجبه ان ينظر الى يوم القيمة اي احواله واهواله كانه رأي عين اي يقينيه

من علم اليقين فليقرأ اذا الشمس كورت اي لفت والف في النار قاله البيضاوي اي لف بعضها في
الاخرى فمحي ضوؤها او لفت من فلكها وفي الدر عن ابن عباس اي اظلمت وعن ابي صالح نكست واذا السماء
انفطرت اي انشقت واذا السماء انشقت اي انصدعت والمراد هذه السور فانها مشتملة على
ذكر احوال يوم القيمة واهواله رواه احمد والترمذي وكذا ابن المنذر والطبراني وحسنه الترمذي
والحاكم وصححه وابن مردويه انتهى والله اعلم الفصل الثالث عن ابي ذر رضي الله تعالى
عنه قال ان الصادق المصدوق حدثني ان الناس يحشرون ثلاثة افواج قال الطيبي المراد
بالحشر هنا ما في قوله صلى الله عليه وسلم اول الاشراط نار تحشر الناس من المشرق
الى المغرب وقوله ستخرج نار من نحو حضرموت او حضرموت تحشر الناس قلنا يا رسول الله
فما تأمرنا قال عليكم بالشام فوجا وهم السابقون من المؤمنين الكاملين راكبين طاعمين
كاسين قال الطيبي هو عبارة عن كونهم مرفهين لاستعدادهم ما يبلغهم الى المقصد من
الزاد والراحلة وفوجا وهم الكفار تسحبهم بفتح الحاء اي تجرهم الملائكة على وجوههم وهو اما
على حقيقته واما كناية عن كمال هوانهم وذلهم والاول هو الظاهر لانه السابق واللاحق
وتحشر الناس بنصب الناس في اشارة امثلا للتقييد واكرا للنسخ وفي نسخة برفعهم وفي نسخة
صحيحة وتحشرهم النار بالضمير مع نصب النار على نزع الخافض اي اليها ومع رفعها على
الفاعلية قال الطيبي اي تحشر الملائكة لهم النار وتلزمهم اياها حتى لا تفارقهم اين باتوا
واين قالوا واصبحوا وامسوا ان ترفع النار اي وتحشرهم النار وفوجا وهم المؤمنون المذنبون
يمشون ويسعون اي ويسرعون لا انهم يمشون بسكينة وراحة ويلقي الله الافة على الظهر
اي على المركوب تسمية باسم المقصود منه وتعبيرا عن الكل بالجزء فلا يبقى اي ظهر وفي نسخة
بالتأنيث اي دابة وفي نسخة بضم اوله اي فلا يبقى الافة دابة حتى ان الرجل لتكون له الحديقة
اي البستان يعطيها بذات القتب اي يعوضها ويبدلها وهو بفتح القاف والتاء الجمل كالاكاف لغيره لا يقدر
اي احد عليها اي على ذات القتب لعزة وجودها وهذا صريح في ان المراد بالحشر في هذا الحديث ليس حشر
القيمة قال الطيبي فينبغي ان يقال لم ذكر المؤلف هذا الحديث في باب الحشر وهذا محله ذكره باب اشراط الساعة
قلنا تابع محيي السنة والعجب ان محيي السنة حمل الحديث على ما ذهب اليه الخطابي حيث قال وهذا
الحشر قبل قيام الساعة وانما يكون ذلك الى الشام احياء فاما الحشر بعد البعث الى النشور فعلى خلاف
هذه الصفة من ركوب الابل والمعاقبة عليها وانما هو كما اخبر انهم يبعثون حفاة عراة واورده
في هذا الباب انتهى وتقدم الجواب على وجه الصواب في كلام التوربشتي في حديث ابي هريرة اول
الباب والحاصل ان الركوب لبعض الخواص من الانبياء والاولياء ثابت في الحشر بعد البعث ايضا
وان حديث يبعثون حفاة عراة بناء على اكثر الخلق او نظرا الى ابتداء الامر والله اعلم رواه النسائي
وفي الدر المنثور اخرج احمد والنسائي والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابي ذر
انه تلا هذه الاية ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم فقال حدثني الصادق المصدوق ان الناس
يحشرون يوم القيمة افواجا فوج طاعمين كاسين راكبين وفوج يمشون ويسعون وفوج تسحبهم
الملائكة على وجوههم انتهى فهذا الحديث صريح ان الحشر حشر يوم القيمة لتصريحه في الاية والحديث
بيوم القيمة وبوجه سحب الملائكة اياهم على وجوههم فالوجه الوجيه ما قاله شيخنا
التوربشتي الا ما اخطأ الخطابي حيث لم يدركه هذا المدرك وانما جاء الافة من قول الراوي
هذا الحديث على روايته امثلا للكتاب زيادة على ما في رواية الجامع ويلقي الله الافة ويمكن دفعه
بان يقال هذا حديث اخر ادرجه معه وادمجه به بادنى مناسبة فينبغي ان يحمل على المسامحة
انتهى والله اعلم بالصواب

الفصل الثاني عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه

الفصل الثالث عن ابي ذر

باب الحساب والقصاص والميزان

الحساب بمعنى المحاسبة والقصاص في النهاية اسم من قصه الحاكم يقصه اذا مكنه من اخذ
القصاص وهو ان يفعل به مثل ما فعله من قتل او قطع او ضرب او جرح الفصل
الاول عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس احد يحاسب يوم القيمة
الا هلك اي في تقدير المناقشة والمراد بالهلاك العذاب قلت او ليس يقول الله اي في حق اهل النجاة
فسوف يحاسب حسابا يسيرا وتمامه وينقلب الى اهله مسرورا قال انما ذلك العرض بكسر الكاف
وجوز الفتح في خطاب العام او تعظيما لها والمعنى انما ذلك الحساب اليسير في قوله تعالى عرض عمله
والحساب على وجه المناقشة لكن من نوقش في الحساب يهلك بالرفع وفي نسخة بالجزم اي يعذب
قال صاحب الفايق يقال ناقشه الحساب اذا عاسره فيه واستقصى فلم يترك قليلا ولا كثيرا وحاصله
ان المراد بالمناقشة الاستقصاء في المحاسبة والاستيفاء بالمطالبة وترك المسامحة في الجليل
والحقير والقليل والكثير ووجه المعارضة ان لفظ الحديث عام في تعذيب كل من حوسب
ولفظ الاية دال على ان بعضهم لا يعذب وطريق الجمع ان المراد بالحساب في الاية انما هو العرض
وهو ابراز الاعمال واظهارها فيعرف صاحبها بذنوبه ثم يتجاوز عنها اظهارا للفضل كما ان المناقشة
لبيان ظهور العدل متفق عليه ورواه احمد وعبد بن حميد والترمذي وابن المنذر وابن مردويه
واخرج البزار والطبراني في الاوسط وابن عدي والبيهقي والحاكم عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه يحاسبه الله حسابا يسيرا وادخله الجنة برحمته تعطي
من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وفي الجامع الصغير من نوقش المحاسبة هلك
وعن عدي بن حاتم بكسر التاء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد من
مزيدة لاستغراق النفي والخطاب للمؤمنين الا سيكلمه ربه اي بلا واسطة والاستثناء مفرغ
من اعم الاحوال ليس بينه وبينه اي بين الرب والعبد ترجمان بفتح الفوقية وسكون الراء
وضم الجيم ويجوز ضمها اتباعا على ما في نسخة وكزعفران على ما في القاموس اي مفسر للكلام بلغة عن
لغة والفعل يدل على اصالة التاء وفي التهذيب التاء اصلية وليست بزائدة والكلمة رباعية
ولا حجاب اي حاجز وساتر ومانع بينه وبينه يحجبه اي يحجب ذلك العبد من ربه فينظر اي ذلك
العبد ايمن منه اي من ذلك الموقف وقال شارح ضمير منه راجع الى العبد قلت والمال واحد
والمعنى ينظر في الجانب الذي على يمينه فلا يرى الا ما قدم من عمله اي عمله الصالح مصورا او
جزاءه مقدرا وينظر اشأم منه اي في الجانب الذي في شماله فلا يرى الا ما قدم اي من عمله السيئ
والكلام ان النصب في ايمن واشأم على الظرفية والمراد بهما اليمين والشمال فقيل نظر
اليمين والشمال كالمثل لان الانسان من شأنه اذا دهمه امر ان يلتفت يمينا وشمالا
لطلب الغوث وقال الحافظ العسقلاني ويحتمل ان يكون سبب الالتفات انه يترجى ان يجد طريقا يذهب
فيها ليحصل له النجاة من النار فلا يرى الا ما يفضي به الى النار وينظر بين يديه فلا يرى الا النار
تلقاء وجهه اي في محاذاته وعليها الصراط فاتقوا النار اي اذا عرفتم ذلك فاحذروا منها ولا تظلموا
احدا ولو بشق تمرة او تصدقوا ولو بشق تمرة اي ولو بمقدار نصفها او بعضها والمعنى ولو بشيء
يسير منها او من غيرها فانه حجاب وحاجز بينكم وبين النار ولو بشق تمرة رواه البخاري والنسائي
عن عدي بن حاتم واحمد عن عائشة والبزار والطبراني في الاوسط والضياء عن انس والبزار ايضا
عن النعمان بن بشير وعن ابي هريرة والطبراني في الكبير عن ابن عباس وعن ابي امامة رواه احمد
والشيخان عن عدي مرفوعا اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وعن ابن عمر رضي

الفصل الاول عن عائشة رضي الله عنها

الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يدني المؤمن بضم الياء اي يقربه
قرب كرامة لا قرب مسافة فانه سبحانه منزه عن ذلك والمؤمن في المعنى كالنكرة اذ لا عهد
في الخارج ولا بعد ان يراد به الجنس فيضع عليه كنفه بفتحتين اي يحفظه مستعار من كنف
الطائر وهو جناحه لانه يحوط به نفسه ويصون به بيضته ويستره اي عن اهل الموقف
كيلا يفتضح وقيل اي يظهر عنايته عليه ويصونه عن الخزي بين اهل الموقف كما يضع احدكم كنفه
ثوبه اي طرفه على رجل اذا اراد صيانته وتصدحه ينتره وهذا تمثيل وقيل هذا في عبد لم يغتب
ولم يعب ولم يفضح احدا ولم يشمت بفضيحة مسلم بل ستر على عباد الله الصالحين ولم يدع احدا
يهتك عرض احد في ملامة الناس فستره الله وجعله تحت كنفه حيا بنيه جزاء وفاقا من جنس
عمله فيقول اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا في التكرير اشارة الى التكثير والى انه عالم
بما في الضمير فيقول نعم اي رب حتى قرره بذنوبه اي جعله مقرا بها باظهارها له واعترافه اي
لما قاربها ورأى في نفسه اي ظن المؤمن في باطنه انه قد هلك اي مع الهالكين وليس بطريق
مع الناجين وقال شارح اي علم الله في ذاته انه هالك اي المؤمن ويجوز ضميره اي المؤمن
والراوي والحال قال اي الله تعالى سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب
حسناته اي بيمينه واما الكفار والمنافقون فينادى بهم بصيغة المجهول على رؤوس الخلائق
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم اي باثبات الشريك ونحوه الا لعنة الله على الظالمين اي المشركين
والمنافقين متفق عليه وعن ابي موسى رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا كان يوم القيمة بالرفع اي وقع وحصل وفي نسخة بالنصب اي اذا كان الزمان
يوم القيمة دفع الله الى كل مسلم اي موصوف بالاسلام مذكرا كان او مؤنثا يهوديا او نصرانيا
اي واحدا من اهل الكتاب فالتنويع فيقول اي الله هذا اي الكتابي فكاكك بفتح الكاف
ويكسر اي خلاصك من النار قال التوربشتي فكاك الرهن ما يفك به وتخلصه والكسر لغة فيه
قال القاضي لما كان لكل مكلف مقعد من الجنة ومقعد من النار فمن امن فاز الايمان بدل
مقعده من النار بمقعد من الجنة ومن لم يؤمن فبالعكس كانت الكفرة كالخلف للمؤمنين
في مقاعدهم من النار والنائب مناب لهم فيها وايضا لما سبق القسم الالهي بملء جهنم كان ملأها
من الكفار خلاصا للمؤمنين ونجاة لهم من النار فهم في ذلك للمؤمنين كالفداء والفكاك ولعل
تخصيص اليهود والنصارى بالذكر لاشتهارهما بمضادة المسلمين ومقابلتهما اياهم في
تصديق الرسول المقتضي لنجاتهم انتهى وفيه ان عرض ذلك بالفكاك تارة وبالعذاب اخرى
في وجه المجاز ولا امتناع اذا لم يرد به تعذيب الكتابي بذنب المسلم لقوله تعالى ولا تزر
وازرة وزر اخرى رواه مسلم وفي الجامع رواه مسلم عن ابي موسى بلفظ اذا كان يوم القيمة
اعطى الله تعالى كل رجل من هذه الامة رجلا من الكفار فيقال له هذا فداؤك من النار ورواه
الطبراني في الكبير والحاكم في الكنى عن ابي موسى ولفظه اذا كان يوم القيمة بعث الله تعالى الى
كل مؤمن ملكا معه كافر فيقول الملك للمؤمن يا مؤمن هاك هذا الكافر فهذا فداؤك من النار
وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء اي يؤتى بنوح
يوم القيمة فيقال له هل بلغت فيقول نعم يا رب وهذا لا ينافي قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل
فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب لان الاجابة غير التبليغ وهي تحتاج
الى تفصيل لا يحيط بكنهه الا علمه سبحانه بخلاف نفس التبليغ لانه من العلوم الضرورية
البديهية فيسأل امته اي امة الدعوة هل بلغكم اي نوح رسالتنا فيقولون ما جاءنا من نذير
اي منذر لا اولا ولا اخرا مبالغة في الانكار ونوها انه يعفهم الكذب في ذلك اليوم عن خلاصهم من

كونم

النار فنظيره قوله حكاية عن الكفار والله ربنا ما كنا مشركين فيقال أي لنوح من يشهد لك وإنما طلب الله من نوح شهداء على تبليغه الرسالة أمته وهو أعلم به إقامة للحجة وإنافة لمنزلة أكابر هذه الأمة فيقول محمد وأمته والمعنى أن أمته شهداء وهو مزكي لهم وقدم في الذكر للتعظيم ولا يبعد أنه صلى الله عليه وسلم يشهد لنوح عليه السلام أيضا لأنه محل النصرة وقد قال تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين إلى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجاء بكم وفيه تنبيه نبيه أنه صلى الله عليه وسلم حاضر ناظر في ذلك العرض الأكبر فيؤتى بالرسل وأولهم نوح فيؤتى بشهوده وهم هذه الأمة فتشهدون أي أنتم أنه أي أن نوحا قد بلغ أي رسالة ربه ونبيكم تزكية لكم وأنتم ونبيكم معكم تشهدون ففيه تغليب ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم استشهادا بالآية للدلالة على العموم مادة الخصوص وكذلك جعلناكم أمة وسطا قيل أي عدولا وخيارا لأنهم لم يغلوا غلو النصارى ولا قصروا تقصير اليهود في حق أنبيائهم بالتكذيب والقتل وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم تفسير الوسط بالعدل وفي النهاية يقال هو من وسط قومه أي خيارهم لتكونوا شهداء على الناس أي على من قبلكم من الكفار ويكون الرسول أي رسولكم واللام للعوض أو اللام للعهد والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم عليكم شهيدا أي مطلعا ورقيبا عليكم وناظرا لأفعالكم ومزكيا لأقوالكم قال الطيبي فإن قلت كيف قال محمد وأمته وقد قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا مقدما صلته الشهادة لتفيد اختصاصهم بشهادته عليهم للزوم التقدم قلت الكلام وارد في مدح الأمة فالغرض هنا أنه يزكيهم فتضمن شهد معنى رقيب لأن العدول يحتاج إلى رقيب يحفظ أحوالهم ليطلع عليها ظاهرا أو باطنا فيزكيهم ولما كانوا هم العدول من بين سائر الأمم خصهم الله بكون الرسول عليهم شهيدا أي رقيبا مزكيا وهذا لا يدل على أنه لا يشهد على سائر الأمم مع أن مزكيات شهدا يقتضي شهدا فتقول لا ظهران معنى الآية سواء أن الأمة يشهدون على الأمم وأنه صلى الله عليه وسلم يشهد على هذه الأمة وأن الأنبياء بأجمعهم يشهدون على الكل والله سبحانه أعلم ويؤيده ما أخرجه ابن جرير عن أبي سعيد في قوله لتكونوا شهداء على الناس بأن الرسل قد بلغوا ويكون الرسول عليكم شهيدا بما عملتم رواه البخاري وكذا الترمذي والنسائي وأحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات وأخرج سعيد بن منصور وأحمد والنسائي وابن ماجه والبيهقي في البعث والنشور عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم هذا فيقولون لا فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال من يشهد لك فيقول محمد وأمته فيدعى محمد وأمته فيقال لهم هل بلغ هذا قومه فيقولون نعم فيقال وما علمكم فيقولون جاء نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا الآية وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا ود أنه منا وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه وعن أنس قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما أضحك قيل إنما أي أنه لا ينبغي الضحك إلا من غريب وحكم عجيب قال أي جوابا قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرني من الظلم أي ألم تجعلني في إجارة منك بقولك وما ربك بظلام للعبيد من الظلم والمعنى ألم تؤمني من أن تظلم علي قال أي النبي صلى الله عليه وسلم يقول أي الله تعالى في جواب العبد بلى قال فيقول بلى أي قد أجرتني من الظلم

قال

قال فإني لا أجيز بالزاي المعجمة أي لا أجوز ولا أنفذ على نفسي إلا شاهدا مني أي من جنسي لأن الملائكة شهدوا علينا بالإنشاد فيرد الإيجاد قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا نصبه على الحال وعليك متعلق به تقدم عليه للاهتمام وللاختصاص مرادا به زائدة في فاعل كفى واليوم ظرف له أو لشهيدا وبالكرام أي وكفى بالعدول المكرمين الكاتبين أي لصحف الأعمال شهودا قال الطيبي فإن قلت دل إرادة الحصر على أن لا يشهد عليه غيره فكيف أجاب بقوله كفى بنفسك وبالكرام الكاتبين قلت بذل مطلوبه وزاد عليه تقريرا وتأكيدا قال فيختم بصيغة المجهول على فيه أي فمه ومنه قوله تعالى اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون وفي آية أخرى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وفي آية أخرى شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم وهذا معنى قوله فيقال لأركانه أي لأعضائه وأجزائه انطقي قال فتنطق أي الأركان بأعماله أي بأعماله التي باشرها وارتكبها بسببه ثم يخلى أي يترك بينه وبين الكلام أي يرفع الختم من فيه حتى يتكلم بالكلام العادي لشهادة الألسنة في الآية يراد بها نوع آخر من الكلام على خرق العادة والله أعلم به قال فيقول أي العبد بعدا لكن وسحقا بضم فسكون وبضم أي هلاكا دعاء منصوبان على المصدر والخطاب للأركان أي أبعدكن وأسحقكن فعنكن أي عن قبلكن ومن جهتكن ولأجل خلاصكن كنت أناضل أي أجادل وأخاصم وأدافع في ما في النهاية وقال شارح أي أخاصم لخلاصكن وأتمنى تلخيص أنفسكن فيه والمناضلة المراماة بالسهام والمراد هنا المحاجة بالكلام يقال فلان يناضل عن فلان إذا تكلم عنه بعذر ودفع قلت ونحوها هذا محذوف عند قوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين رواه مسلم وأخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقال هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقال أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقال احلفوا فيحلفون ثم يصمتهم الله فتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم ثم يدخلهم النار وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قالوا أي بعض الصحابة يا رسول الله هل نرى ربنا الاستفهام للاستخبار والاستعلام يوم القيامة فيه إيماء إلى الإجماع على أنه تعالى لا يرى في الدنيا لأن الذات الباقية لا ترى بالعين الفانية قال هل تضارون بضم التاء وبفتح وبتشديد الراء أي أنه من باب المفاعلة أو التفاعل من الضرر والاستفهام للتقرير وهو حمل المخاطب على الإقرار والمعنى هل يحصل لكم تزاحم وتنازع يتضرر به بعضكم من بعض في رؤية الشمس أي لأجل رؤيتها أو عندها في الظهيرة وهي نصف النهار وقت ارتفاعها وظهورها وانتشار ضوئها في العالم كله ليست أي الشمس في سحابة أي غيم يحجبها عنكم قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما قال النووي روي تضارون بتشديد الراء وتخفيفها والتاء مضمومة فيهما وفي الرواية الأخرى هل تضامون بتشديد الميم وتخفيفها فمن شددها فتح التاء ومن خففها ضمها وفي رواية البخاري لا تضارون أو لا تضامون على الشك وقال القاضي البيضاوي تضارون المشدد من الضرر والمخفف من الضير أي يكون رؤيته تعالى رؤية جلية بينة لا تقبل مراء ولا مرية فيخالف فيها بعضكم بعضا ويكذبه كما لا يشك في رؤية أحدهما يعني الشمس والقمر ولا ينازع فيه فالتشبيه إنما وقع في الرواية باعتبار جلائها وظهورها بحيث لا يرتاب فيها لا في سائر كيفياتها ولا في المرئي

فانه سبحانه منزه عن الجسمية وما يؤدي اليها وفي تضامون بالتشديد من الضم اي لا ينضم بعضكم الى
بعض في طلب رؤيته لاشكاله وخفائه كما تفعلون في الهلال اي لا يضمكم شيء دون رؤيته ليجود بينكم وبينه
وبالتخفيف من الضيم اي لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض بل تستوون فيها وافده يضيمون
نقلت فتحة الياء الى الضاد فصارت الفا لسكونها وانفتاح ما قبلها وكذلك تضارون بالتخفيف
واما المشدد فيحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وعلى معنى لا تضارون اي تتنازعون في رؤيته هذا قال
الطيبي قوله الا كما تضارون كان الظاهر ان يقال لا تضارون فيه وفي احدهما ولكنه اخرج مخرج قوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ۞ بهن فلول من قراع الكتائب

اي لا تشكوا في رؤيته تعالى كما لا تشكون في رؤيتهما شك فلا تشكون فيهما البتة قال اي النبي صلى الله
عليه وسلم فيلقى اي الرب العبد اي عبدا من عباده فيقول اي فل بضم الفاء وسكون اللام وبفتح
وبضم اي يا فلان وفي النهاية معناه يا فلان وليس ترخيما له لانه لا يقال الا بسكون اللام ولو كان
ترخيما لفتحوها او ضموها قلت وتبرد ذلك كما يقال سعي في سعيد قال سيبويه ليست
ترخيما وانما هي صيغة ارتجلت في باب الندا وقد جاء في غير الندا قال في لجة امسك فلانا عن فل
بكسر اللام للقافية وانما قال ليس بترخيم لانه شرط مثله ان يبقى بعد حذف النون والالف ثلاثة
احرف كم واد وقال قوم انه ترخيم فلان فحذفت النون للترخيم والالف لسكونها وبفتح اللام وبضم
على مذهبي الترخيم الم اكرمك اي الم افضلك على ساير الحيوانات واسودك اي اجعلك سيدا في قومك
وازوجك اي الم اعطيك لك زوجا من جنسك ومكنتك منها وجعلت بينك وبينها مودة ورحمة
والفة واسخر لك الخيل والابل اي الم اذللها لك وخصصنا بالذكر لانها اصعب الحيوانات واذرك
اي الم اتركك والمعنى الم ادعك ولم امكنك في قومك ترأس اي تكون رئيسا في قومك والجملة حال
وتربع اي تاخذ من رباعهم وهو ربع الغنيمة وكان ملوك الجاهلية ياخذونه لانفسهم فيقول بلى
اي بلى كلا وفي الكل فقال فيقول اي الرب افظننت اي اتعلمت انك ملاقي بضم الميم وتشديد
الياء المحذوفة العائدة بحذف التنوين والاشارة بالمتكلم المضاف اليه فيقول لا فيقول فاني
قد انساك اي اليوم اتركك من رحمتي كما نسيتني اي في الدنيا من طاعتي قال الطيبي هو
مسبب عن قوله افظننت انك ملاقي يعني مودتك وزوجتك وفعلت بك من الاكرام في
لتشكرني وتلقاني فتزيد في الانعام واجازيك عليه فلما نسيتني في الشكر نسيناك
وتركنا جزاءك وعليه قوله تعالى كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى
النسيان في الله تعالى اما مشاكلة واما مجاز عن الترك ثم يلقى اي الرب الثاني من العبيد
فذكر مثله اي قال الراوي فذكر صلى الله عليه وسلم في الثاني مثل ما ذكر في الاول من سؤال
الله تعالى له وجوابه ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب امنت بك وبكتابك
ورسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني اي يمدح الثالث على نفسه بخير ما استطاع
فيقول اي الرب ها هنا اذا بالتنوين قال الطيبي اذا جواب وجزاء لتقدير اذا اثنيت على نفسك
بما اثنيت اذن فاثبت هنا كي نريك اعمالك باقامة الحجة عليه وقال شارح اي يقول
اذن نجزيك باعمالك ههنا وقال ابن الملك اي اقرأ انك بطنه لقاء الله تعالى وعداعماله
الصالحة فيقول ههنا اذا اي قف في هذا الموضع اذا ذكرت اعمالك حتى نتحقق خلاف
ما زعمته ثم يقال الان نبعث شاهدا عليك ويتفكر اي العبد الثالث في نفسه من ذا
الذي يشهد علي حال تقديره يتفكر في نفسه قايلا من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه
اي فمه فيقال وفي نسخة ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه اي المتعلقة
بفخذه بعمله وذلك اي انطاق اعضائه ليعذر اي ليزيل العذر من نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة اعضائه عليه قال الطيبي اشار الى المذكور

من

من السؤال والجواب وختم الفم ونطق الفخذ وعزم ليعذر من نفسه قال التوربشتي
ليعذر في بناء الفاعل من الاعذار والمعنى ليزيل الله عذره من قبل نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة
اعضائه عليه بحيث لم يبق له عذر يتمسك به وقيل ليصير ذا عذر في تعذيبه من قبل نفس
العبد وذلك اي العبد الثالث المنافق وذلك الذي سخط بكسر الخاء اي غضب الله عليه رواه
مسلم وذكر حديث ابي هريرة يدخل من امتي الجنة صوابه على ما سبق يدخل الجنة من امتي
سبعون الفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون في
باب التوكل برواية ابن عباس فكان البغوي رحمه الله ذكر الحديث مكررا باسنادين احدهما
عن ابي هريرة والاخر هنا عن ابن عباس فحذف صاحب المشكاة ما هنا واشار الى انه
ذكر هناك برواية ابن عباس فتنبيه في ذلك فاندفع ما توهم من التدافع بين قوله حديث
ابي هريرة وقوله برواية ابن عباس انتهى والله اعلم

الفصل الثاني

عن ابي امامة اي الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني
ربي ان يدخل الجنة من امتي اي من ادخال لقوله سبعين الفا والمراد به اما هذا العدد او الكثرة قال
الازهري سبعين في قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة جمع السبع الذي يستعمل
للكثرة الا ترى انه لو زاد على السبعين لم يغفر لهم لا حساب عليهم اي لا مناقشة
لهم في المحاسبة ولا عذاب اي بالاولى ولا عذاب مما يترتب على الحساب مع كل الف سبعون
الفا وثلاث حثيات بفتح الحاء والمثلثة جمع حثية من حثيات ربي قال شارح الحثية والحثوة
يستعمل فيما يعطيه الانسان بكفيه دفعة واحدة من غير وزن وتقدير ثم يستعار لما يعطي
من غير تقدير واضافة الحثيات الى ربه تعالى للمبالغة في الكثرة قال صاحب النهاية
الحثيات كناية عن المبالغة والكثرة والا فلا كف ثم ولا حثي جل الله عن ذلك قوله وثلاث
مرفوع عطف على سبعون وهو الظاهر وقيل منصوب عطفا على سبعين اي وان يدخل ثلاث
قبضات من قبضاته اي عددا غير معلوم والمعنى يكون مع هذا العدد المعلوم عدد كثير غير
معلوم والمراد بهما جميعا المبالغة في الكثرة قال الاشرف يحتمل النصب عطفا على قوله
سبعين الفا والرفع عطفا على قوله سبعون الفا والرفع اظهر في المبالغة اذ التقدير مع
كل الف سبعون الف وثلاث حثيات بخلاف النصب قال التوربشتي الحثية ما يحثيه الانسان
بيديه من ماء او تراب او غير ذلك ويستعمل فيما يعطيه المعطي بكفيه دفعة واحدة والمعنى به
ههنا في وجه التمثيل والله اعلم بالحقيقة اي يعطي بعد هذا العدد المفسر عدة ما يخفى
على العاد بحصره وتعداده فان عطاءه الذي لا يضبطه الحساب اوفى واربى من النوع
الذي يداخله الحساب قلت ويمكن حمله على التجلي الصوري والله سبحانه اعلم بالصواب
رواه احمد والترمذي وابن ماجه وعن الحسن اي البصري عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس اي على الله يوم القيامة ثلاث
عرضات بفتحتين فيها ثلاث مرات فاما العرضتان فجدال ومعاذير فيجادلون عن انفسهم ويقولون
لم يبلغنا الانبياء ويحتجون على الله تعالى وفي الثانية يعترفون ويعتذرون بان يقولوا كل ذلك
سهوا وخطأ او جهلا ونحو ذلك وهذا معنى قوله فاما عرضتان فجدال ومعاذير
جمع معذرة ولا يتم تقضيتهم في المرتبتين بالكلية واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير
الصحف كذا هو في سنن الترمذي وجامع الاصول وفي نسخ المصابيح تطاير اي تتطاير
الصحف وهو بضمتين جمع الصحيفة وهي المكتوب وقال شارح المصابيح تطاير الصحف اي
تفرقها الى كل جانب وفي رواية بالمصدر واما على رواية من المضارع اي تسرع وقوعها في الايدي

اي ايدي المكلفين جميعا فآخذ بيمينه وآخذ بشماله الفاء تفصيلية اي فمنهم آخذ بيمينه وهم من اهل السعادة ومنهم من آخذ بشماله وهم من اهل الشقاوة فيتبين بهم تفصيلهم على وفق البداية وتميز اهل الضلالة من اهل الهداية رواه احمد والترمذي وقال اي الترمذي لا يصح هذا الحديث من قبل بكسر ففتح اي من جهة ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة اي فاسناده منقطع غير متصل لكن قال الشيخ الجزري في تصحيح المصابيح ان البخاري اخرج في صحيحه للحسن عن ابي هريرة ثلاثة احاديث وبينها قال واما مسلم فلم يخرج للحسن عن ابي هريرة شيئا لقلة تمييزه انتهى ولا يلزم من عدم اخراج مسلم حديثه عنه انه لا يصح اسناده اذ شرط البخاري وتحقق اللقي ولو مرة انوى من شرط مسلم وهو مجرد وجود المعاصرة ورواه اي هذا الحديث بعضهم اي بعض المخرجين عن الحسن عن ابي موسى يعني فالحديث متصل من طريقه واعتضد باسناده فان المؤلف ذكر في اسماء رجاله ان الحسن روى عن الصحابة كابي موسى وانس بن مالك وابن عباس وغيرهم وعن عبد الله بن عمرو وبالواو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سيخلص بتشديد اللام اي يختار رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيمة فينشر بضم الشين المعجمة اي فيفتح عليه تسعة وتسعين سجلا بكسرتين فتشديد اي كتابا كبيرا كل سجل مثل مد البصر اي كل كتاب منها طوله وعرضه مقدار ما يمتد اليه بصر الانسان ثم يقول اي الرب اتنكر من هذا اي المكتوب شيئا اي مما تقدم اظلمك كتبتي بفتحات جمع كاتب والمراد الكرام الكاتبون الحافظون اي لاعمال بني ادم فيقول لا يا رب جوابا لهما جميعا او لكل منهما فيقول افلك عذر اي فيما فعلت من كونه سهوا وخطأ وجهلا ونحو ذلك قال لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا ما يقوم مقام عذرك ان لك عندنا حسنة اي واحدة عظيمة مقبولة تمحو جميع ما عندك قال نعالى ان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما واذا قال الله لشيء فهو عظيم وقد قال عمر رضي الله عنه لئن كانت لي حسنة الله لغنيت وانه اي الشان لا ظلم عليك اليوم لعله مقتبس من قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم اي بنقصان اجرك ولا بزيادة عقاب عليك بل لا حكم الا لله وهو اما بالعدل واما بالفضل فتخرج بصيغة المجهول اي فتظهر بطاقة بكسر الباء اي رقعة صغيرة تثبت فيها مقدار ما يجعل فيه في الثوب ان كان عينا فوزنه او عدده وان كان متاعا فقيمته او ثمنه وقيل سميت بذلك لانها تشد بطاقة من هدب الثوب فيكون الباء حينئذ زائدة وهي كلمة كثيرة الاستعمال بمصر ويروى بالنون وهو غريب فيها اي مكتوب في البطاقة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله يحتمل ان الكلمة هي او لما نطق بها واختلف العلماء في ان الاقرار شرط الايمان او شطره ويحتمل ان تكون عبارة عن تلك المرة ونعت مقبولة عند الحق وهو الاظهر في مادة الخصوص من عموم الامة فيقول احضر وزنك اي الوزن الذي لك او وزن عملك او وقت وزنك وهو الميزان ليظهر لك انتفاء الظلم وظهور العدل وتحقيق الفضل فيقول يا رب ما هذه البطاقة اي الواحدة مع هذه السجلات اي الكثيرة وما قدرها بجنبها ومقابلتها فيقول انك لا تظلم اي لا يقع عليك الظلم لكن لا بد من اعتبار الوزن كي يظهر ان لا ظلم عليك فاحضر الوزن قيل وجه مطابقة هذا جوابا لقوله تعالى ما هذه البطاقة ان اسم الاشارة للتحقير كانه انكر ان يكون مع هذه البطاقة المحقرة موازنة لتلك السجلات فرد بقوله انك لا تظلم بحقيرة اي لا تحقر هذه فانها عظيمة عنده سبحانه اذ لا يثقل مع اسم الله شيء ولو ثقل عليه شيء لظلمت قال فتوضع السجلات في كفة بكسر فتشديد اي فردة من زوجي الميزان وفي القاموس

الكفة

الكفة بالكسر من الميزان معروف ويفتح والبطاقة اي وتوضع في كفة اي في اخرى فطاشت السجلات اي خفت وثقلت البطاقة اي رجحت والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه في الدنيا اخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة انه تلا هذه الآية يعني ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فقال لان تفضل حسناتي على سيئاتي بمثقال ذرة احب الي من الدنيا وما فيها ثم هذا الحديث يحتمل ان تكون البطاقة وحدها غلبت السجلات وهو الظاهر المتبادر ويحتمل ان يكون مع سائر اعماله الصالحة ولكن الغلبة ما حصلت الا ببركة هذه البطاقة فلا يشتغل بالرفع في بعض النسخ بالجزم لا يظهر وجهه بحسب المعنى اي فلا يرجح ولا يغلب مع اسم الله شيء والمعنى لا يقاومه شيء من المعاصي بل يترجح ذكر الله تعالى على جميع المعاصي قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ولذكر الله اكبر فان قيل الاعمال اعراض لا يمكن وزنها وانما توزن الاجسام اجيب بانه يوزن السجل الذي كتب فيه الاعمال ويختلف باختلاف الاحوال او ان الله يجسم الافعال والاقوال فتوزن فتثقل الطاعات وتطيش السيئات لثقل العبادة على النفس وخفة المعصية عليها ولذا ورد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات رواه الترمذي وابن ماجه وعن عائشة رضي الله عنها انها ذكرت اي في نفسها النار فبكت اي خوفا منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك اي ما سبب بكائك قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون اهليكم يوم القيمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما في ثلاثة مواطن فلا يذكر احد احدا اي بالخصوص واما الشفاعة العظمى فهي عامة للخلائق كلهم عند الميزان قال اهل الحق الميزان حق قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة يضع ميزانا يوم القيمة يوزن به الصحائف التي يكون فيها اعمال العباد وله كفتان احدهما للحسنات والاخرى للسيئات وعن الحسن له كفتان ولسان ذكره الطيبي حتى يعلم اي كل احد ايخف ميزانه ام يثقل ظاهره انه يعم كل احد لا يستثنى منه نبي ولا مرسل وعند الكتاب اي تطايره او عند عطايه حين يقال اي يقول من يعطي بيمينه هاؤم اي خذوا اقرؤا كتابيه تنازع فيه الفعلان والهاء للسكت بيان بالافضاء حتى يعلم اين يقع كتابه ابيمينه ام في شماله ام من وراء ظهره كذا في سنن ابي داود وفي بعض نسخ المصابيح وفي اكثرها ام من وراء ظهره وفي جامع الاصول ام بدل او والاول اولى وهو للجمع بين معنى الآيتين فان من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه وان من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا الكشاف قيل يغل يمناه الى عنقه ويجعل شماله وراء ظهره فيؤتي كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل يخلع يده اليسرى من وراء ظهره كذا ذكره الطيبي وعند الصراط اذا وضع بين ظهري جهنم اي وسطها وفوقها والمعنى حتى يعلم انه ينجو بالمرور منها والورود عنها او يقع ويسقط وذلك فيها قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا قال النووي مذهب اهل الحق انه جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب اعمالهم ومنازلهم والآخرون يسقطون فيها عافانا الله الكريم والمتكلمون من اصحابنا والسلف يقولون انه ادق من الشعر واحد من السيف وهكذا جاء في رواية ابي سعيد رواه ابو داود وقال السيد جمال الدين اي عن الحسن البصري عن عائشة وهو منقطع والله اعلم

الفصل الثالث

عن عائشة رضي الله عنها قالت جاء رجل فقعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي قدامه فقال يا رسول الله ان لي مملوكين بكسر الكاف اي مماليك وهو يحتمل الذكور والاناث تغليبه تغليب يكذبونني اي يكذبون في اخبارهم لي ويخونونني اي في مالي

ويقصون أي في أمري ونهيي واشتمهم بكسر التاء وبضمها في المصابيح شتم من باب ضرب وفي القاموس من باب نصر أيضا أي أسبهم واضربهم أي ضرب تأديب فكيف أنا منهم أي كيف يكون حالي من أجلهم وبسببهم عند الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيمة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك أي مقدارها وعقابك عطف على ما خانوك أي ويحسب أيضا قدر شتمك وضربك إياهم فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم أي عرفا وعادة كان أي أمرك كفافا بفتح الكاف في القاموس كفاف الشيء كسحاب مثله ومن الرزق ما كف عن الناس وأغنى وفي النهاية الكفاف الذي لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة إليه وهذا هو لا نسب بالمقام وكذا قال بيانا له لا لك ولا عليك أي ليس لك فيه ثواب ولا عليك فيه عقاب بل فعله مباح ليس عليك جناح فإن وفي نسخة وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم أي أقل منه كان فضلا لك أي عليهم فإن قصدت الثواب تجزى به وإلا فلا وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم بالجمع هنا وبالإفراد فيما سبق المراد منه الجنس نفس في الكلام أي أكثر منها اقتص بصيغة المجهول أي أخذ بمثله لهم أي لأجلهم منك الفضل أي الزيادة فتنحى الرجل أي بعد عن المجلس وجعل يهتف بكسر التاء أي جعل يصيح ويبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما تقرأ قول الله تعالى ونضع الموازين القسط أي ذوات القسط وهو العدل ليوم القيمة أي بسبب ذلك اليوم فاللام للتوقيت فلا تظلم نفس شيئا أي قليلا من الظلم وإن كان أي العمل والظلم مثقال حبة أي مقدارها وهو بالنصب عند الجمهور على أن كان ناقصة ورفع نافع مثقال على كان التامة من خردل أتينا بها أي أحضرناها والضمير للمثقال وتأنيثه لإضافته إلى الحبة وكفى بنا حاسبين إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا فقال الرجل يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء أي المملوكين قال الطيبي الجار والمجرور هو المفعول الثاني لأجد شيئا أي محلصا خيرا من مفارقتهم أي من مفارقتي إياهم لأن المحاسبة تطلقه في درجات المحاسبة والمطالبة عنى جدا أشهدك أنهم كلهم بالنصب على التأكيد ويجوز رفعه على الابتداء والخبر قوله أحرار ونظيره قوله تعالى قل إن الأمر كله لله حيث قرئ بالوجهين في السبعة رواه الترمذي وعنها أي عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته أي من الفرائض أو النوافل أو في بعض أجزائها من أول القيام أو الركوع أو القومة أو السجود أو القعدة اللهم حاسبني حسابا يسيرا وهذا إما تعليم للأمة وتنبيه لهم عن نوم الغفلة وإما تلذذا بما يجري له من هذه النعمة وإما خشية له كما يقتضيه مقامه من معرفة رب العزة وذهوله عن مرتبة النبوة ومنزلة العصمة قلت يا نبي الله ما الحساب اليسير قال أن ينظر أي العبد في كتابه فيتجاوز بالرفع وبنصب أي الله عنه وفي نسخة بصيغة المجهول فيهما أنه أي الشأن من نوقش الحساب بالنصب على نزع الخافض أي في المحاسبة والمضايقة في المطالبة يومئذ يا عائشة هلك أي عذب وفي الصحاح المناقشة الاستقصاء وفي الحديث من نوقش في الحساب عذب وقد تقدم بعض طرقه رواه أحمد قال السيد وابن ماجه وأصله في صحيح البخاري قلت وفي الدر أخرجه أحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه والحاكم وصححه وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرني من يقدر أي يقوى على القيام أي على الوقوف للحساب بين يدي الله سبحانه يوم القيمة الذي قال الله عز وجل أي في حقه فالموصول صفة ليوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين قال الطيبي بدل من قوله ليوم عظيم أي يوم يتجلى سبحانه بجلاله وهيبته ويظهر سلطانه فيهم في الجبار وروي أن ابن عمر قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا ولم يقدر على قراءة ما بعده فقال يخفف أي يوم القيمة على المؤمن أي الكامل والمصلي حتى يكون أي طوله عليه كالصلاة المكتوبة أي كمقدار أدائها أو قدرتها والظاهر أنه يختلف باختلاف أحوال المؤمنين كما أشار إليه سبحانه بقوله تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وبقوله فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير فمفهومه أنه على المؤمنين يسير يسير إما في الكمية وإما في الكيفية وإما فيهما جميعا حتى بالنسبة إلى بعضهم يكون كساعة وهم من جعلوا الدنيا ساعة فجعلوها طاعة وعنه أي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما طول هذا اليوم أي ما حال الناس في طول هذا اليوم فهل يستطيعون القيام فيه مع طوله فقال والذي نفسي بيده إنه أي الشأن ليخفف على المؤمن أي الكامل حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة أي من أدائها أو وقتها يصليها في الدنيا رواهما أي الحديثين البيهقي في كتاب البعث والنشور وعن أسماء بنت يزيد أي ابن السكن بفتحتين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس في صعيد أي في مكان واحد يوم القيمة فينادي وفي نسخة فينادي مناد فيقول أين الذين كانت تتجافى جنوبهم أي تتنحى وتتباعد عن المضاجع وفي الإسناد مجاز وفيه تلميح إشارة إلى قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم أي داعين ربهم عابدين له خوفا وطمعا أي من سخطه وفي رحمته أو من ناره وفي جنته ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون واختلف في المراد بهم فقيل هم المتهجدون وقيل هم الأوابون ويحتمل أن يراد بهم من يصلي العشاء في الصبح فيقومون أي فيستيقظون للقيام ويتميزون عن سائر الأنام وهم قليل أي من أهل الإسلام قال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وقال عز وجل إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وقليل من عبادي الشكور فيدخلون الجنة بغير حساب بصيغة الفاعل والمفعول بغير حساب لأنهم صبروا على مرارة الطاعة وترك لذة الراحة وقد قال سبحانه إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ثم يؤمر بسائر الناس إلى الحساب أي المحاسبة والمناقشة والمداقة رواه البيهقي في شعب الإيمان انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب

باب الحوض والشفاعة

قال القرطبي لله صلى الله عليه وسلم حوضان أحدهما في الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة وكلاهما يسمى كوثرا والكوثر في كلامهم الخير الكثير ثم الصحيح أن الحوض قبل الميزان فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم فيقدم الحوض قبل الميزان وكذلك حياض الأنبياء في الموقف قلت وفي الجامع إن لكل نبي حوضا وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة رواه الترمذي عن سمرة وقال الراغب الشفع ضم الشيء إلى مثله ومنه الشفعة وهو طلب تملك ما ابتاعه الشريك وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى ومنه الشفاعة في القيمة

الفصل الأول

عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا أسير في الجنة إذا بالألف أنا بنهر بفتح الهاء ويسكن أي جدول حافتاه بفتح الفاء أي جانباه وطرفاه قباب الدر بكسر القاف جمع قبة بالضم أي خيم اللؤلؤ المجوف أي الذي لا جوف في وسطه خلا يسكن فيه قلت ما هذا يا جبريل أي النهر المذكور على الوصف المسطور قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك إشارة إلى قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر وهو فوعل من الكثرة والمراد منه الخير الكثير الذي أعطاه ربه من القرآن والنبوة وكثرة الأمة وسائر المناقب العلية ومنها المقام المحمود واللواء الممدود والحوض المورود وكل منها زيادة بلا عدد وإذا أخر في الكوثر وأن كان أنسبها في معنى الحوض الكثير فإذا طينه مسك أذفر أي شديد الرائحة قال الطيبي أي طيب الريح والأذفر بالتحريك يقع على الطيب والكريه ويفرق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به رواه البخاري وعن عبد الله بن عمرو بالواو رضي

دونها

باب الحوض والشفاعة

الفصل الأول عن أنس رضي الله عنه

انهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي اي مقداره مسيرة شهر وزواياه جمع زاوية
وهي الجانب والناحية اي اطراف حوضي سوا اي مربع مستو لا يزيد طوله على عرضه ولا عكسه ابيض ماؤه
استثنى فيبان ابيض من اللبن قال النووي النحويون يقولون لا يبنى فعل التعجب وافعل التفضيل
من الالوان والعيوب بل يتوصل اليه بنحو اشد وابلغ فلا يقال ما ابيض زيدا ولا زيد ابيض من عمرو
وهذا الحديث يدل على صحة ذلك وحجة على ما نقول وهي لغة وان كانت قليلة الاستعمال
وريحه اطيب من المسك وكيزانه جمع كوز كنجوم السما اي في الكثرة والنور انيته من يشرب
بالرفع وفي نسخة بالجزم قال الطيبي يجوز ان يكون مرفوعا على ان من موصولة ومجزوما على انها
شرطية وقوله منها اي كيزانه وفي رواية منه اي من الحوض او من ماءه فلا يظما برفع الهمزة وقيل
بالجزم اي فلا يعطش ابدا فيكون شربه في الجنة تلذذا كاكله تنعما كقوله تعالى ان لك الا
تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى متفق عليه وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حوضي اي بعد ما بين طرفي حوضي ابعد من ايلة
بفتح فسكون فتحية اي ازيد من بعد ايلة وهي بلدة في الساحل من اخر بلاد الشام مما يلي بحر
اليمن من عدن بفتحتين بلد يعرف ولا يصرف وهو اخر بلاد اليمن مما يلي بحر الهند قال الطيبي
من الاولى متعلقة بابعد والثانية متعلقة ببعد مقدر ثم التوفيق بين هذا الحديث وبين الخبر
الذي فيه ما بين عدن وعمان وهو بفتح المهملة وتشديد الميم اسم بلد بالشام وما بين صنعا والمدينة
ونحو ذلك بان ذلك الاخبار على طريق التقريب لا على سبيل التحديد والتفاوت بين اختلاف
احوال الشي معين في الاحاطة به علما قال القاضي في اختلاف الاحاديث في مقدار الحوض لانه
صلى الله عليه وسلم ندبه على سبيل التمثيل والتخمين لكل احد على حسب ما رآه وعرفه
لهو بضم الهاء وبسكونها واللام للابتدا اي لحوضي اشد بياضا من الثلج ولعله صلى الله عليه
وسلم راى الثلج في اسفاره م واحلى اي الذ من العسل من اللبن اي المخلوط به وللانية
جمع انا اي وللظروف من كيزانه وغيرها اكثر من عدد النجوم واني لاصد اي لارفع وامنع الناس
اي المنافقين والمرتدين عنه اي عن الحوض كما يصد الرجل اي الراعي ابل الناس اي الاجانب عن حوضه
اي صب الماء عن المشاركة والمخالطة قالوا اي بعض الصحابة اتعرفنا اي تميزنا من غيرنا يومئذ
قال نعم لكم سيما بالقصر وتمد وهي العلامة قال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود
ليست اي تلك السيما لاحد من الامم اذ المقصود التميز بمنزلة العلم تردون بكسر الرا من الورود
اي تمرون علي غرا جمع الاغر وهو من في جبهته بياض محجلين بتشديد الجيم المفتوحة جمع محجل وهو الذي
في يديه ورجليه بياض من اثر الوضوء بفتح الواو اي استعماله وفي نسخة بالضم اي ما الوضوء
ونصبهما على الحال والظاهر ان المراد بالسيما ما ذكر من الوصفين فهما من مختصات هذه
الامة وان كان الخلاف موجودا في كون الوضوء هل كان لسائر الانبيا وامهم اولا وانما كان
لهذه الامة وقال بعضهم وكان ايضا للانبيا عليهم السلام دون اممهم وفي هذه فضيلة
عظمى ومرتبة كبرى لهذه الامة المرحومة رواه مسلم اي عن ابي هريرة وفي رواية له اي لمسلم عن انس
قال ترى بصيغة المجهول فيه اي في حوضي اباريق الذهب والفضة لعل اختلاف الوصفين
باختلاف مراتب الشاربين من الاوليا والصلحا كعدد نجوم السما اي من كثرتها وفي اخرى
له اي في رواية اخرى لمسلم عن ثوبان قال سئل اي النبي صلى الله عليه وسلم على ما هو الظاهر
من السائل عن شرابه اي صفة مشروبه فقال اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يغت
بضم الغين المعجمة وبكسر وبتشديد الفوقية اي يصب ويسيل فيه اي في الحوض ميزابان
قال القاضي اي يدفق دفقا متتابعا دائما فكانه من ضغط الما لكثرته عند خروجه

واصل

واصل الغت الضغط والميزاب بكسر الميم وقال الحافظ ابو موسى بفتحها ايضا من وزب الما اي
سال فاصل ميزاب موزاب قلبت الواو يا لسكونها وانكسار ما قبلها ولا يظهر وجه فتح الميم
في القاموس وزب الما كوعد جرى ومنه الميزاب او هو فارسي معرب اي بل الما هذا يجوز الهمز
الميزاب ولا تبدل همزة يا وقال ايضا وزب الما سال ومنه الميزاب او هو فارسي معرب ومعناه بل
الما تعريبه بالهمز ولهذا جمعوه مازيب يمدانه بضم الميم وفي نسخة بضم اليا وكسر الميم اي يزيدان
الحوض في ماءه من الجنة اي من انهارها او من الحوض الذي له في الجنة المتفرعة منه الكوثر
احدهما من ذهب والاخر من ورق بكسر الرا وسكونها اي من فضة والمقصد بها الزينة باختلاف
لونهما صفرة وبياضا لكون الذهب عزيز الوجود هناك في اشيا ما في الدنيا ويمكن ان
يكون ميزاب الذهب من نهر العسل وميزاب الفضة من نهر اللبن او احدهما من الما والاخر من
العسل او اللبن يخلط به في الحوض والله اعلم وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اني فرطكم بفتحتين اي سابقكم ومتقدمكم على الحوض قال النووي الفرط بفتح الفا
والرا وهو الفارط الذي يتقدم الوراد ليصلح لهم الحياض والدلا والارشية وغيرها من امور
الاستقا فمعنى انا سابقكم الى الحوض كالمهيئ لكم من مر علي شرب ومن شرب لم يظما قال القاضي
عياض ظاهر هذا الحديث يدل على ان الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة ليردن من الورود
اي ليمرن علي اقوام اي جماعات اعرفهم ويعرفونني بنعت تعرفهم وانهم الذين ذكرهم الله حيث قال
اصيحابي ثم يحال بيني وبينهم فاقول انهم مني اي من امتي او من اصحابي فيقال انك لا تدري
ما احدثوا بعدك اي من الارتداد فان سائر المعاصي لا تمنع المؤمن من ورود الحوض والشرب
من ماءه ويدل عليه ايضا قوله فاقول سحقا سحقا بضم فسكون ويضم اي بعدا كرر للتاكيد اي
بعدا وهلاكا ونصبهما على المصدر والجملة دعا بالعذاب لمن غير اي دينه بعدي اي بعد موتي
او بعد قبول ديني والزحزحة فيه متفق عليه وعن انس رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال يحبس المؤمنون اي يوقف المؤمنون يوم القيمة حتى يهموا بصيغة
المفعول اي يحزنوا بذلك اي بسبب ذلك الحبس وفي نسخة بفتح اليا وضم الها على بنا الفاعل
ولعله تصحيف قال النووي هو على بنا المجهول اي يحزنوا لما امتحنوا به من الحبس من قولهم
اهمني الامر اذا اقلقك واحزنك فيقولون لو استشفعنا اي لو طلبنا احدا يشفع لنا الى
ربنا فيريحنا اي يعطينا الراحة ويخلصنا من مكاننا قال الطيبي لو هي المتضمنة للتمني
وقوله فيريحنا مكاننا من الاراحة ونصبه بان المقدرة بعد الفا الواقعة جوابا للو والمعنى
لو استشفعنا احدا الى ربنا فيشفع لنا فيخلصنا مما نحن فيه من الكرب والحبس قال
في اساس البلاغة شفعت له الى فلان واشفعته وشفعته واستشفعني اليه
فشفعت له واستشفع بي قال الاعشى

مضى زمن والناس يستشفعون بي ⁂ فهل لي الى ليلى الغداة شفيع

فيأتون آدم الظاهر ان المراد بهم رؤسا اهل المحشر لا جميع اهل الموقف فيقولون اي بعضهم
انت آدم بحذف حرف لقوله انا ابو النجم وشعري شعري وهو مبهم فيه معنى الكمال اي يعلم
ما يراد منه ففسره بعده من قوله ابو الناس خلقك الله بيده اي بلا واسطة
او بقدرته الكاملة وارادته الشاملة واسكنك جنته اي الى حصول ما لك من
المنال وما تميل اليه النفس من حسن الحال واسجد لك ملائكته اي سجود تحية وفيه
اشارة الى كمال الجاه والعظمة وعلمك اسما كل شي فيه اشعار باعطا الفضيلة العظمى
والرتبة الكبرى قال الطيبي وضع كل شي موضع اشيا اي المسميات لقوله تعالى وعلم آدم

وسلم

الاسماء كلها اي اسماء المسميات ارادة للتقصي اي واحدا فواحدا حتى يستغرق المسميات كلها اشفع
لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا اي المكان العظيم والموقف الاليم فيقول لست
هناكم قيل انما ذا الحق بكاف الخطاب يكون للعبد من المكان المشار اليه فالمعنى انا بعيد
من مقام الشفاعة قال القاضي البيضاوي اي يقول لهم آدم عليه السلام لست في المكان
والمنزلة الذي تحسبونني فيه يريد به مقام الشفاعة وقال القاضي عياض يكون فيه نفي
المنزلة دون المنزلة المطلوبة قاله تواضعا واكبارا لما يسألونه قال وقد يكون فيه اشارة
الى ان هذا المقام ليس لي بل لغيري قال العسقلاني وقد وقع في رواية فيقول لست لها وكذا
في بقية المواضع وفي رواية انس لست لها حيث ذاك وهو يريد بها الشفاعة المذكورة ويذكر خطيئته
التي اصاب اي اعتذارا عن الشفاعة وان الراجع الى الموصوف محذوف
اي التي اصابها وقوله اكله من الشجرة بالنصب بدل من خطيئته اي يذكر اكله من الشجرة ذكره
البيضاوي قال الطيبي ويجوز ان يكون بيانا للضمير المبهم المحذوف نحو قوله تعالى فسواهن
سبع سموات وقد نهي اي آدم عنها اي عن الشجرة او عن الخطيئة والجملة حال من المفعول
ولكن ائتوا نوحا فانه اول نبي بعثه الله الى اهل الارض استشكلت هذه الاولية بان آدم نبي مرسل
وكذا شيث وادريس وهم قبل نوح واجيب بان الاولية مقيدة بقوله اهل الارض ويشكل هذا
بحديث جابر في البخاري في التيمم وكان النبي يبعث الى قومه خاصة ويجاب
بان العموم لم يكن في اصل بعثة نوح وانما اتفق بالحصر في الموجودين بعد
هلاك سائر الناس وفيه نظر لا يخفى وقيل ان الثلاثة كانوا انبياء ولم يكونوا رسلا
ويرد عليه حديث ابي ذر عند ابن حبان فانه كالصريح بانزال الصحف على شيث وهو علامة الارسال
انتهى وفيه بحث اذ لا يلزم من انزال الصحف ان يكون المنزل عليه رسولا لاحتمال ان يكون في الصحف
ما يعمل به خاصة لنفسه ويحتمل ان لا يكون فيه امر ونهي بل مواعظ ونصائح تختص به فالاظهر ان يقال
الثلاثة كانوا مرسلين الى المؤمنين والكافرين واما نوح فانما ارسل الى اهل الارض وكلهم كانوا كفارا
هذا وقد قيل انه اول نبي مبعوث اي مرسل ومن قبله كانوا انبياء غير مرسلين كآدم وادريس فانه
جد نوح على ما ذكره المورخون قال القاضي وقيل ان ادريس هو الياس وهو نبي من بني اسرائيل
فيكون متاخرا عن نوح فيصح ان نوحا اول نبي مبعوث مع كون ادريس نبيا مرسلا واما آدم
وشيث فهما وان كانا رسولين الا ان آدم ارسل الى بنيه ولم يكونوا كفارا بل امر بتعليمهم
الايمان وطاعة الله وشيث كان خلفا له فيهم بعده بخلاف نوح فانه مرسل الى كفار اهل
الارض وهذا اقرب من القول بان آدم وادريس لم يكونوا رسولين وقد يقال انه اول نبي
بعثه الله بعد آدم وان شيثا كان خليفة له فلا ينافي انه اول نبي بعثه من اولي
العزم فالاولية حقيقية وهذا اوفق لما في الحديث وبه يزول الاشكال والله اعلم بالحال
وفي شرح مسلم قال المازري قد ذكر المورخون ان ادريس جد نوح فان قام دليل على انه
ارسل ايضا لم يصح انه قبل نوح لاخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن آدم عليه السلام ان نوحا
اول رسول بعث وان لم يقم دليل جاز ما قالوه وصح ان يحمل ان ادريس كان نبيا مرسلا قال
القاضي عياض وقد قيل ان ادريس هو الياس وانه كان نبيا في بني اسرائيل كما جاء في بعض الاخبار
فان كان هكذا سقط الاعتراض وبمثل هذا يسقط الاعتراض بآدم وشيث ورسالتهما
الى من معهما وان كانا رسولين فان آدم انما ارسل الى بنيه ولم يكونوا كفارا وكذلك شيث خلفه
بعده بخلاف رسالة نوح الى كفار اهل الارض قال القاضي وقد رايت ابا الحسن ذهب الى ان آدم
ليس برسول الله ليسلم من هذا الاعتراض وحديث ابي ذر يفرق ان آدم وادريس رسولا

والله

والله سبحانه اعلم فيأتون نوحا فيقول اي عقيب مسألتهم للشفاعة لست هناكم قال شارح اي لست
في مكان الشفاعة واشار بقوله هناكم الى البعد من ذلك المكان وفي شرح مسلم للنووي قال
القاضي عياض انما يقولون هذا تواضعا واكبارا لما يسألونه وقد يكون اشارة من كل واحد منهم
الى ان هذه الشفاعة وهذا المقام ليس له بل لغيره وكل واحد منهم يدل على الاخر حتى ينتهي الامر
الى صاحبه ويحتمل انهم علموا ان صاحبها محمد صلى الله عليه وسلم معينا ويكون احالة كل واحد منهم
على الاخر لتدريج الشفاعة في ذلك الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومبادرة النبي صلى
الله عليه وسلم لذلك اجابته لرغبتهم لتحققه ان هذه الكرامة والمقام له خاصة قال الشيخ
محي الدين والحكمة في ان الله تعالى الهمهم سؤال آدم ومن بعده صلوات الله عليهم في الابتداء
ولم يلهموا بسؤال نبينا صلى الله عليه وسلم اظهار الفضيلة نبينا صلى الله عليه وسلم فانهم
لما سألوه ابتداء لكان يحتمل ان غيره يقدر على هذا واما اذا سألوا غيره من رسل الله تعالى واصفيائه
فامتنعوا ثم سألوه فاجاب وحصل غرضهم هو النهاية في ارتفاع المنزلة وكمال
القرب وفيه تفضيله على جميع المخلوقين من الرسل الادميين والملائكة المقربين
فان هذا الامر عظيم وهي الشفاعة العظمى لا يقدر على الاقدام عليه غيره صلوات الله وسلامه
عليه وعليهم اجمعين ويذكر اي نوح خطيئته التي اصاب يعني سؤاله ربه بغير علم اي قوله ان
ابني من اهلي الخ وكان سؤال انجاء ابنه وكان غير عالم بانه لا يجوز هذا السؤال ولذا قال تعالى
انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم الخ قال الطيبي قوله سؤاله ربه بغير
علم بدل من سؤاله هو موقع الكلمة في القرينة السابقة وقوله بغير علم حال من الضمير المضاف
اليه في سؤاله اي صادرا عنه بغير علم وربه مفعول سؤاله والمراد بالسؤال قوله ان ابني من اهلي
وان وعدك الحق طلب ان ينجيه من الغرق والمراد من قوله بغير علم انه سأل ما لا يجوز سؤاله
وكان يجب عليه ان لا يسأل كما قال تعالى فلا تسألني ما ليس لك به علم وذلك انه قال ان ابني
من اهلي وان وعدك الحق اي وعدتني ان تنجي اهلي من الغرق وان ابني من اهلي فنجه فبين له ما غرضه
من المراد بالاهل وهو من امن وعمل صالحا لانه عمل غير صالح ولكن ائتوا ابراهيم خليل
الرحمن قال فيأتون ابراهيم فيقول لست هناكم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن بالتخفيف
اي قالهن كذبا قال البيضاوي احد الكذبات المنسوبة الى ابراهيم عليه السلام قوله اني سقيم
وثانيها قوله بل فعله كبيرهم هذا وثالثها قوله لسارة هي اختي والحق انها معاريض ولكن لما كانت
صورتها صورة الكذب سماها اكاذيب واستنقص من نفسه لها فان من كان اعرف بالله
واقرب منه منزلة كان اعظم خطرا واشد خشية وعلى هذا القياس سائر ما اضيف الى الانبياء
من الخطايا قال ابن الملك الكامل قد يؤاخذ بما هو عبادة في حق غيره كما قيل حسنات الابرار سيئات
المقربين ولكن ائتوا موسى عبدا اتاه استئناف تعليل وبيان ان المعنى اعطاه الله التوراة
وهي اول الكتب الاربعة المنزلة وكلمه اي بلا واسطة وقربه نجيا اي مناجيا او مناجا
بناء على انه حال من الفاعل او المفعول قال فيأتون موسى فيقول اني لست هناكم ويذكر
خطيئته التي اصاب قتل النفس اي نفس القبطي وفي نسخة قتل النفس بغير حق ولكن
ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله اضافه اليه تشريفا ولانه كان يحيي الموتى وكلمته
اي خلق بامر كن او كلمة في دعوته كانت مستجابة قال فيأتون عيسى فيقول لست هناكم
انما قال كذا مع ان خطيئته غير مذكورة لعله من استحيائه من افتراء النصارى في حقه بانه ابن
الله ونحو ذلك كذا ذكره ابن الملك في شرح المشارق ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر اي فلم يكن مانع من مقام الشفاعة العظمى قال النووي هذا مما اختلفوا

في منامه قال القاضي يريد المتقدم ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمته بعدها وقيل المراد
به ما وقع منه صلى الله عليه وسلم عن سهو وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري
وقيل ما تقدم لأبيه آدم وما تأخر من ذنوب امته وقيل المراد انه مغفور له غير مؤاخذ بذنب
لو كان وقيل هو تنزيه له من الذنوب فاذهبوا فأتوني بتشديد النون وتخفف كما في قوله
تعالى في حكاية عن ابراهيم عليه السلام اتحاجوني في الله فأستأذن على ربي اي فاطلب الاذن
منه للادب مع الرب في داره اي في دار ثوابه وهو الجنة وقيل غير ذلك تحت عرشه قال
الطيبي اي فاستأذن في الدخول في دار ربي فيؤذن لي عليه اي في الدخول في الرب
سبحانه قال التوربشتي اضافة دار الثواب الى الله تعالى هنا كاضافته في قوله تعالى
لهم دار السلام عند ربهم في ان السلام من اسماء الله تعالى على احد الوجهين واضافتها
الى الله تعالى للتشريف والكرامة والمراد بالاستئذان عليه ان يدخل مكانا لا يقف فيه داع
الا استجيب ولا يقوم به سائل الا اجيب ولم يكن بين الواقف فيه وبين ربه حجاب
والحكمة في نقلة النبي صلى الله عليه وسلم من موقفه ذلك الى دار السلام لعرض الحاجة
هي ان موقف العرض والحساب موقف السياسة ولما كان من حق الشفيع ان يقوم مقام
كرامة فيقع الشفاعة موقعها ارشده صلى الله عليه وسلم الى النقلة عن موقف الخوف
في القيمة الى موقف الشفاعة والكرامة وذلك ايضا مثل الذي يتحرى الداعي مواقف
الخدمة ليكون احرى بالاجابة قال القاضي عياض معناه فيؤذن لي في الشفاعة الموعود
بها والمقام المحمود الذي ادخره الله تعالى له واعلمه انه يبعثه فيه فاذا رأيته اي بارتفاع
الحجاب عني وفي المشارق فاذا انا رأيته بزيادة انا قال ابن الملك في رأيتني وهذا
التفات من المتكلم الى الغيبة وقعت ساجدا اي خوفا منه واجلالا او شوقا ومقالا
والا فالرؤية حالة لا دالة فيدعني اي يتركني ما شاء الله ان يدعني اي في السجود
في مسند احمد انه يسجد قدر جمعة من جمع الدنيا كذا ذكره السيوطي في حاشية مسلم
فيقول ارفع اي رأسك من السجود محمد اي يا محمد فانك صاحب المقام المحمود وقل اي ما شئت
تسمع بصيغة المجهول اي يقبل قولك او قل ما الهمك من الثنا تسمع اي تجب واشفع
اي فيمن شئت تشفع بفتح الفاء المشددة اي تقبل شفاعتك وسل اي ما تريد من المزيد تعطه
بهاء السكت وفي نسخة بالضمير اي تعط ما تسأل فالضمير راجع الى المصدر او المفهوم من الفعل
وهو بمعنى المفعول قال فارفع رأسي فاثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه بتشديد اللام
اي يلهمنيه حينئذ ولا احسنه الان ثم اشفع قال الطيبي وجاء في حديث انس وحديث
ابي هريرة ابتداء النبي صلى الله عليه وسلم بعد سجوده وحمده والاذن له في الشفاعة بقوله
امتي امتي فيحد بضم الياء وفتح الحاء وفي نسخة بالعكس اي فيعين لي حدا وهو اما مصدر
او اسم اي مقدارا معينا في باب الشفاعة حدا اتخطاه فلا اتعداه مثلا ان يقول شفعتك
فيمن اخل بالجماعات ثم يقول شفعتك فيمن اخل بالجمعات ثم يقول شفعتك فيمن اخل
بالصلوات ومثله فيمن شرب الخمر فيمن زنى وعلى هذا هو ترقي على سبيل الشفاعة في عظم الذنب على تفاوت
من الشفاعة فاخرج اي من دار ربي فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة قال الطيبي فان
قلت دل اول الكلام ان المستشفعين هم الذين حبسوا في الموقف وهموا وحزنوا
كذلك فطلبوا ان يخلصهم من ذلك الكرب ودل قوله فاخرجهم من النار على انهم من الداخلين
فيها فما وجهه قلت فيه وجهان احدهما لعل المؤمنين صاروا فرقتين فرقة سيق بهم
الى النار من غير توقف وفرقة حبسوا في المحشر واستشفعوا به صلى الله عليه وسلم فخلصهم

مما هم فيه

مما هم فيه وادخلهم الجنة ثم شرع في شفاعة الداخلين في النار زمرا بعد زمر كما دل عليه قوله فيحد لي
حدا الى آخره فاختصر الكلام وهو من جليل التنزيل وقد ذكرنا نحوا في فتوح الغيب في سورة
هود ترجم اليه مثل هذا الاختصار قلت مراده انه ذكر الفرقة الثانية واقتصر على
خلاصها لانه يفهم منه خلاص الفرقة الاولى بالاولى وقد يقال انه من باب الاكتفاء وثانيهما
انه يراد بالنار الحبس والكربة وما كانوا فيه من الشدة ودنو الشمس الى رؤسهم وحرها واحجامهم
العرق او بالخروج الخلاص منها قلت وهذا القول وان كان مجازا لكنه في تحقيق الامر
اقرب والى اصل القضية انسب فان المراد بهذه الشفاعة الكبرى وهي المعبر عنها بالمقام المحمود
ولواء الحمد وهي مما له صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيمة ومحط
هذه الشفاعة عمومها بالخلاص من الحبس والقيام والامر بالمحاسبة للانام واما له صلى الله عليه
وسلم وكذا لغيره من الانبياء والاولياء والعلماء والشهداء والصالحين والفقراء بعد ذلك
شفاعات متعددة في ادخال بعض المؤمنين الجنة بلا حساب وادخال بعضهم الجنة
ولو استحقوا دخول النار واخراج بعضهم من النار وفي تخفيف عذاب بعضهم وفي ترفيع
درجات بعضهم في الجنة وامثاله ولكن فيه انه لو اريد هذا المعنى لما كررت هذه القضية
مرات في مكان يخفى اللهم الا ان يقال لتقسيم اهل الموقف من المؤمنين العصاة على
اقسام ثلاثة وقال ابن الملك تكرار الشفاعة اشارة الى ان اولها للاراحة من الموقف
وثانيها لادخالهم الجنة بغير حساب وثالثها عند المرور على الصراط ورابعها للاخراج
من النار وذكر في الحديث القسمين وطوى الاخريين من البين والله اعلم ثم اعود
اي ارجع الى دار ربي الثانية اي المرة الثانية فاستأذن على ربي في داره اي في دخولها
فيؤذن لي عليه اي بالدخول عليه فاذا رأيته اي في ذلك المكان او رأيت ربي مع تنزيهه عن المكان
وعن سائر صفات الحدثان وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني اي في مقام اللقاء
ثم يقول رد الى الحالة الاولى ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع
رأسي فاثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرج فاخرجهم من النار
وادخلهم الجنة ثم اعود الثالثة فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته
وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع
وسل تعطه قال فارفع رأسي فاثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرج
فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار الا من هذه الامة الا من قد حبسه
القرآن اي منعه من خروج النار بان اخبر انه يخلد في دار الفجار وهذا معنى قول الراوي
للحديث عن انس وهو قتادة من اهل النار بعينه اي وجب عليه الخلود اي دل القرآن على
خلوده وهم الكفار ومعنى وجب اي ثبت وتحقق او وجب بمقتضى اخباره تعالى فانه لا يجوز
فيه التخلف ابدا ثم تلا اي النبي صلى الله عليه وسلم او انس او قتادة تذكرا واستشهادا
او استدلالا عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال اي انس وهو الاشبه او قتادة وهو
اقرب ويحتمل ان قائله النبي صلى الله عليه وسلم على بعد وهذا المقام مبتدأ وخبر موصوف
بقوله المحمود الذي وعده اي الله سبحانه نبيكم وفي نسخة وعده نبيكم بصيغة المجهول وهذا
على ان قائله غيره صلى الله عليه وسلم ظاهر لا اشكال واما على القول بان القائل هو
صلى الله عليه وسلم فتوجيهه انه وضع المظهر موضع المضمر كان الاصل ان يقول وعدنيه
وقال الطيبي يحتمل ان يكون قائله الراوي وان يكون النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل
التجريد تعظيما لشأنه والله سبحانه اعلم متفق عليه وعنه اي عن انس رضي الله تعالى عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة ماج اي اختلط واضطرب
بعضهم في بعض اي داخلين فيهم مقبلين مدبرين متحيرين فيما بينهم فيأتون آدم فيقولون
اشفع اي لنا الى ربك ليأمر بالحساب ثم يجازي بالثواب او العقاب فيقول لست لها اي
لست كائنا للشفاعة ولا مختصا بها قال الطيبي اللام فيه مثلها في قوله تعالى امتحن الله قلوبهم
للتقوى اي لكينك اللام متعلقة بمحذوف واللام هي ايضا في قوله انت لهذا الامر اي كائن له
ومختص به قال [..] انت لها احد بين البشر
في نزله انا لها وقوله لست لها ولكن عليكم بابراهيم اي الزموه فانه اي فاتوه او المعنى تشفعوا
وتوسلوا به فانه خليل الرحمن فيأتون ابراهيم فيقول اي بعد قولهم اشفع الى ربك خص
للعلم به او تبادر بذكره لهذا المرتبة في كشف الفضيلة عنده لست لها ولكن عليكم بموسى
فانه كليم الله اي وتنبيه الكلام في تمام هذا المقام فيأتون موسى فيقول لست لها ولكن
عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فان روحه مستطابة وكلمته مستجابة فيأتون عيسى
فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد اي فانه خاتم النبيين وسيد المرسلين فيأتوني بتشديد
النون وتخفيف فاقول انا لها فاستأذن على ربي اي في كلامه وفي دخول داره فيؤذن لي فيلهمني
محامد احمده بها اي حينئذ لا تحضرني الان فاحمده بتلك المحامد وفي جمع حمد على غير قياس
كمحاسن جمع حسن او جمع محمدة واخر بكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء اي اسقط له اي لله تعالى
او للشكر ساجدا حال فيقول يا محمد ارفع راسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاقول
اي بعد رفع الراس او في حال السجود يا رب امتي امتي اي ارحمهم واغفر لهم يوم القيامة وتفضل
عليهم بالكرامة وكرر للتاكيد او اريد بها السابقون او اللاحقون فيقال انطلق اي اذهب
فاخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة اي وزنها قال النووي والله اعلم بقدرها من ايمان ثم
المثقال ما يوزن به من الثقل تخفيفا وهو اسم لكل سنج واختلف العلماء في تاويله حسب
اختلافهم في اصل الايمان وان قيل المستقيم هو ان يراد بالامر المقدار بالشعيرة والذرة
والحبة والخردلة غير الشيء الذي هو حقيقة الايمان من الجزئيات وهو ما يوجد في القلوب
من ثمرات الايمان ونتائج الايقان ولمعات العرفان لا حقيقة الايمان الذي هو التصديق
الخاص القلبي ولذا الاذعان المفرد المسائل لا يدخلها التجزي والتبعيض ولا الزيادة ولا
النقصان على ما عليه المحققون وجهوا ما قاله غيرهم على الاختلاف اللفظي والنزاع الصوري
فانطلق اي اذهب فافعل اي ما اذن لي من الاخراج ممن عينت وبين لي ثم اعود فاحمده بتلك
المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع
فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فاخرج من كان في قلبه مثقال ذرة ومن اقل الاشياء
الموزونة وقيل هي الهباء الذي يظهر في شعاع الشمس كرؤوس الابر وقيل النملة الصغيرة
او خردلة من ايمان يحتمل ان يكون او للتخيير او للتنويع او للشك فانطلق فافعل ثم اعود
فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك وقل تسمع وسل تعطه
واشفع تشفع فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فاخرج من كان في قلبه ادنى ادنى
ادنى مثقال حبة خردلة من ايمان وكرر ادنى ثلاثا للمبالغة في القلة فاخرجه من النار
فانطلق فافعل ثم اعود الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع
راسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله
اي ولو مرة في عمره لغير اقتران السابق فانه من جملة عمل اللاحق وان الله لا يضيع اجر من
احسن عملا او لاطلاق حديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة فانه يشهد دخوله اولا واخرا

قال

قال الطيبي هو يريد دنا فذر ذلك بمثقال شعيرة ثم بمثقال حبة او خردلة فيراد بها الذي يعرفه عن النقد
وهو ما يوجد في القلوب من ثمرة الايمان وترجيح وجهين الذي دلت الثمرة ازديادا اليقين وطمانينة النفس لان تظاهر
الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لعدمه والذي يراد بها العمل لان الايمان يزيد وينقص بالعمل وينصر هذا الوجه خبر
ابي سعيد بعد هذا يعني قوله ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط
قال اي الله تعالى ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لاخرجن منها من قال لا اله الا
الله قال القاضي اي ليس هذا لك وانما افعل ذلك تعظيما لاسمي واجلالا لتوحيدي وهو مخصص لعموم قوله
صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة اسعد الناس بشفاعتي الحديث على ما سياتي ويحتمل ان يجري
على عمومه ويحمل على حال ومقام اخر قال الطيبي اذا تقرر ان هذا مختص بالله تعالى التصديق المجرد عن الثمرة
وذكرنا ان ما يختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الايمان مع الثمرة من ازدياد اليقين او العمل
فلا اختلاف وقال شارح من علمائنا المحققين المعنى ليس اخراج من قال لا اله الا الله من النار الي
اليك يعني مفوضا اليك وان كان لك فيهم مكان شفاعة ولسنا نفعل ذلك لاجلك بل لانا احقاء
بان نفعله كرما وتفضلا ثم انه يتبين بهذا الحديث ان الامر في اخراج من لم يعمل خيرا قط من النار خارج
عن حد الشفاعة بل هو منسوب الى محض الكرم موكول اليه والتوفيق بين هذا الحديث وحديث ابي هريرة
اسعد الناس الخ اما على الاول فظاهر لانه اخرجهم الله بشفاعته صلى الله عليه وسلم واما في المعنى
الثاني فهو ان المراد بمن قال لا اله الا الله في الحديث الاول هم الامم الذين امنوا بانبيائهم لكنهم
استوجبوا النار وفي الثاني هم من امته صلى الله عليه وسلم ممن خلطوا عملا صالحا واخر سيئا
متفق عليه وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه اسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله
خالصا من قلبه اي لا يشوبه شك وشرك ولا يخلط نفاق وسمعة وريا او نفسه شك من الراوي
قيل اسعد هنا بمعنى اصل الفعل وقيل بل على بابه وان كل واحد يحصل له سعادة بشفاعته
لكن المؤمن الخالص اكثر سعادة فانه صلى الله عليه وسلم يشفع في اراحة الخلق من هول الموقف
ويشفع في بعض الكفار كابي طالب في تخفيف عذاب النار وقال الكرماني المراد هو اسعد ممن
لم يكن له في هذه المرتبة من الاخلاص ان لفظ غايته وابرز في التاكيد ذكر القلب اذ الاخلاص
محله القلب ففائدته التاكيد كما في قوله تعالى فانه اثم قلبه قال القاضي اسعد هنا بمعنى السعيد
اذ لا اسعد بشفاعته من لم يكن من اهل التوحيد او المراد بمن قال من لم يكن له عمل يستحق به
الرحمة ويستوجب به الخلاص من النار فان احتياجه الى الشفاعة اكثر وانتفاعه بها اوفر قال
الطيبي قد سبق ان حلول شفاعته انما هو في حق من اتم ايمانه بما يزيد طمانينة او عمل ويختلف مراتب
اليقين والعمل فيكون التفضيل بحسب المراتب ولذلك اكد خالصا بقوله من قلبه خالصا
اي كائنا من قلبه وقد علم ان الاخلاص معدته ومكانه القلب فذكر القلب هنا تاكيد وتقرير
كما في قوله تعالى فانه اثم قلبه الكشاف فان قلت [..] هلا اقتصر على قوله فانه اثم وما
فائدة ذكر القلب والجملة هي الاثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم
بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك
تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي رواه البخاري
وفي رواية الجامع خالصا مخلصا من قلبه ولم يذكر او من نفسه وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم اي جيء بلحم فرفع اليه الذراع وكانت اي الذراع تعجبه
فنهس بالمهملة وقيل بالمعجمة اي فاخذ بمقدم اسنانه منها اي من الذراع يعني من لحمه نهسة
قال القاضي عياض اكثر الرواة رووه بالسين المهملة ورواه ابن ماهان بالمعجمة والنهس بالمهملة
الاخذ باطراف الاسنان وبالمعجمة الاخذ بالاضراس ثم قال انا سيد الناس اي جميعهم من الانبياء

ويشير بهم يوم القيامة أي حيث يحتاجون إلى شفاعتي في ذلك اليوم لكرامتي عند الله تعالى فإذا منتظروا
لوائي وطالبين شفاعتي لهم ويؤيده حديث أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد
ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق الأرض عنه ولا فخر
وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد يوم
يقوم الناس لرب العالمين قال الطيبي بدل من قوله يوم القيامة وقال ابن الملك يحتمل أن يكون
جواب سائل قال ما يوم القيامة فقلت ويحتمل أن يكون منصوبا بأعني مقدرا أو مرفوعا
بتقدير مبتدأ محذوف هو هو وفتح يوم في الحكاية وتدنو الشمس أي تقرب من رؤوس الناس
فيبلغ الناس بالنصب أي فيلحقهم وفي نسخة بالرفع أي فيصلون من الغم أي من أجله وبسببه
والكرب وهو الهم الشديد الحاصل من القيام ودنو الشمس المترتب عليه الحر التام الموجب للعرق
في وجه الإلجام ما لا يطيقون أي ما لا يقدرون على الصبر عليه فيجزعون ويفزعون فيقول الناس
أي بعضهم لبعض ألا تنظرون أي ألا تتأملون ولا تتفكرون أو لا تبصرون من يشفع لكم إلى ربكم
أي ليريحكم من هذا الهم والغم فيأتون آدم وذكر أي أبو هريرة أو النبي صلى الله عليه وسلم حديث الشفاعة
بطوله كما سبق وقال فأنطلق أي فأذهب فآتي بالمد تحت العرش قيل وجه الجمع بينه وبين حديث
أنس في ... أن الانطلاق ... الجنة تحت العرش وقد ... حديث أنس في الجنة وحديث أبي هريرة
في الموقف فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على
أحد قبلي ثم قال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه جملة مستأنفة واشفع تشفع فأرفع رأسي
فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب ثلاث مرات للتأكيد والمبالغة أو إشارة إلى طبقات
العصاة فقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة
وهم أي من لا حساب عليهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب أي ليسوا ممنوعين من
سائر الأبواب بل هم مخصوصون للعناية بذلك الباب ثم قال والذي نفسي بيده إن ما بين
المصراعين بكسر الميم أي البابين المكتنفين في مدخل واحد من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر
بفتحتين مصروفا وقد لا يصرف في الصحاح هجر اسم بلد مذكر مصروف وقال شارح هي قرية من قرى
البحرين وقيل من قرى المدينة والأول هو المعول قال المظهر المصراعان البابان المغلقان على منفذ
واحد فالمصراع مفعال من الصرع وهو الإلقاء وإنما سمي الباب المغلق مصراعا لأنه كثير الإلقاء والد...
متفق عليه وعن حذيفة في حديث الشفاعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وترسل
الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط بفتحات أي بجانبيه يمينا وشمالا قال التوربشتي
يريد بجنبتي الصراط ناحيته اليمنى واليسرى والمعنى أن الأمانة والرحم لعظم شأنهما وفخامة
أمرهما يلزم العباد من رعاية حقهما يمثلان هنالك للأمين والخائن والواصل والقاطع فيحاجان
عن المحق الذي راعاهما ويشهدان على المبطل الذي أضاعهما ليميز كل منهما وقيل ترسل من الملائكة
من يحاج لهما وعنهما وفي الحديث حث على رعاية حقهما والاهتمام بأمرهما وقال الطيبي ويمكن أن يحمل
الأمانة على الأمانة العظمى وهي ما في قوله تعالى إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال
وصلة الرحم صلتها الكبرى وهي ما في قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة
إلى قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام فيدخل في الحديث معنى التعظيم لأمر الله والشفقة
على خلق الله وكأنهما اكتنفا جنبتي الإسلام الذي هو الصراط المستقيم وفطرتي الإيمان والدين القويم
رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى في إبراهيم
أي في سورته أو حكاية في حقه رب إنهن أي الأصنام أضللن كثيرا من الناس أي صرن سبب ضلالة
كثير منهم فمن تبعني أي في التوحيد والإخلاص والتوكل فإنه مني أي من أتباعي وأشياعي وتمامه ومن

عصاني

عصاني فإنك غفور رحيم أي تغفر ما دون الشرك لمن تشاء وترحم بالتفضل على من تشاء أو تغفر للتائب
المشرك بأن توفقه للإيمان والطاعة في الذنب وترحم عليه بزيادة المثوبة في العقبى وقال عيسى
قال النووي هو مصدر رفعا قال قولا وقالا وقيلا وقد قال أي عيسى عطفا في مفعول تلا أي تلا
قول الله وقول عيسى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم أي الغالب
في ملكك القوي القادر وتحكم بما تشاء فأنت الحاكم الذي لا معقب لحكمه أو الحكيم الذي يضع الأشياء
في مواضعها ... تعالى ... فرفع أي النبي صلى الله عليه وسلم يديه أي كريمتيه فقال
اللهم أمتي أمتي أي اللهم اغفر لأمتي اللهم ارحم أمتي ولعل هذا وجه التكرار وأريد به التأكيد وتعدد به
الأولون والآخرون وبكى لما تذكر النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة ... وروح
الله فرقا منه فقال الله تعالى يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم جملة معترضة حالية دفعا
لما يتوهم فسله بالهمز والنقل ما يبكيه فأتاه جبريل فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما قال أي بقوله قاله النبي صلى الله عليه وسلم من سبب البكاء وهو الخوف لأمته فقال الله لجبريل اذهب
إلى محمد فقل إنا أي بعظمتنا سنرضيك أي نجعلك راضيا في أمتك أي في حقهم ولا نسوءك أي
ولا نحزنك في حق الجميع بل ننجيهم ولأجل رضاك نرضيهم وهو في المعنى تأكيدا إذ ربما يتوهم من سنرضيك
نرضيك في حق البعض ولذا قال بعضهم ما يرضى محمد وواحد من أمته في النار قال الطيبي
لعله عليه السلام لما ذكر الشفاعة التي صدرت من النبي عن الخليل بتقدير الشرط والصيغة الشرطية
لأن المعنى أن الأصنام أضللن كثيرا من الناس فمن تاب من عبادتها فتبعني في التوحيد فإنه متصل
بي فأنا أشفع فيهم فلا بد من تقدير تاب لأنه مصحح الشفاعة في حق المشركين قلت
إنما يحتاج لتقدير تاب في الشرطية الثانية وهي قوله ومن عصاني فإنه روح الله كذلك
لأن الضمير في فاغفر لهم راجع إلى من اتخذه وأمه إلهين من دون الله فيكون التقدير أن تغفر لهم
بعدما تابوا عن ذلك فإنك غفور رحيم قلت لا يلائمه ما قبله وهو قوله إن تعذبهم
فإنهم عبادك مع أن هذا الكلام يصدر عنه يوم القيامة ولا يمكن تقدير التوبة هناك ثم الجزاء في
الآية إنما هو قوله فإنك أنت العزيز الحكيم في كلام عيسى وأما قوله فإنك غفور رحيم جزاء للشرطية
الواقعة في كلام إبراهيم ومن عصاني فإنك غفور رحيم قال وعقبه بقوله اللهم أمتي أمتي ليبين
الفرق بين الشفاعتين وبون ما بين المنزلتين ولهذا احتاج هذا البيان إلى البرهان والتبيان
قال العرض بطريق الكناية أبلغ من التصريح بالدعاء كما هو مقرر عند أرباب الفناء والبقاء وكذلك طريق
التفويض والتسليم والرضا بالقضاء ولا يظهر بيان للمدعي ولا تبيان للمعنى في قوله وتخريج أن قوله
أمتي أمتي متعلق بمحذوف إما أن يقدر شفعني في أمتي وارض عني فيها أو أمتي ارحمهم وارض عني بالشفاعة
فيهم والحذف لضيق المقام وشدة الاهتمام قلت يحتاج أيضا هذا الكلام إلى توضيح المرام
قال وهذا أدل على الجزم والقطع قلت الدعاء لا يكون بطريق القطع إذ لا حكم على الله سبحانه
فمآل الطريقين في الدعاء واحد وليس لهذا التفصيل حاصل والتكرير لمزيد التقرير قلت
قد تقدم وجوه أخر والأظهر أنه من مستحبات الدعاء فإن الإلحاح من العبد في المسألة ...
الرضا بالقضاء قال ومن ثم أجيب في الحديث بقوله إنا سنرضيك حيث بنى بأن وضمير التعظيم
وسين التوكيد ثم أتبعه بقوله لا نسوءك تقريرا ... على الطرد والعكس في التنزيل
ولسوف يعطيك ربك فترضى زيد لام الابتداء على حرف الاستقبال ولفظ ربك وجمع بين
حرفي التوكيد والتأخير فيكون المعنى ولا شك سوف يعطيك ربك وإن تأخر العطا وقوله وربك أعلم
من باب التتميم صيانة عما لا ينبغي أن يتوهم فهو كقوله والله يعلم إنك لرسوله في قوله تعالى
قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون

قال النووي هذا الحديث مشتمل على انواع من الفوائد منها بيان كمال شفقته صلى الله عليه وسلم على امته
واعتنائه بمصالحهم واهتمامه في امرهم ومنها البشارة العظيمة لهذه الامة المرحومة زادها الله
تعالى بقوله سنرضيك في امتك ولا نسوءك وهذا ارجى الاحاديث لهذه الامة ومنها بيان
عظم منزلة النبي صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى والحكمة في ارسال جبريل عليه السلام لسؤاله صلى
الله عليه وسلم اظهار شرفه وانه بالمحل الاعلى فيرضى ويكرم رواه مسلم وكذا البخاري والنسائي
ذكره السيد وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان ناسا قالوا يا رسول الله
هل نرى ربنا يوم القيمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اي ترون ربنا ذكره السيوطي
في تعظيمه تعالى بقوله ان رؤية الله تعالى يوم القيمة في الموقف حاصلة لكل احد من الرجال والنسا
حتى قيل للمنافقين والكافرين ايضا ثم يحجبون بعد ذلك ليكون عليهم حسرة والقول فيه بحث
لقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ولقوله صلى الله عليه وسلم في ما سيأتي حتى
اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من رب العالمين ولان لذة النظر ولو مرة تنسي كل محنة وشدة
بل يرتفع به كل حسرة اذ من المعلوم ان النظرة يوجد دائما لاهل الجنة ايضا قال واما الرؤية
في الجنة فاجمع اهل السنة على انها حاصلة للانبياء والرسل والصديقين من كل امة ورجال
المؤمنين من البشر من هذه الامة وفي النساء من هذه الامة ثلاثة مذاهب لا يرين ويرين ويرين
في مثل ايام الاعياد دون غيرها وفي الملائكة قولان لا يرون ربهم ويرونه وفي الجن ايضا خلاف
هل تضارون بضم التاء وفتحها مع تشديد الرا وتخفيفها قال شيخنا المرحوم مولانا عبد الله
السندي ففيه اربعة اوجه لكن فيه نظر لان ضم التاء مع التشديد ظاهر لانه من باب المفاعلة
مع احتمال بنائه للفاعل والمفعول وكذلك فتح التاء مع التشديد فانه من باب التفاعل على
حذف احدى التائين وهو يتعين ان يكون بصيغة الفاعل واما ضم التاء مع تخفيف الرا فيتعين
على انه للمجهول من ضاره يضيره او يضوره على ما في القاموس بمعنى ضره واما فتح التاء مع
الرا المخففة فلا وجه له بحسب القواعد العربية والمعنى هل تتنازعون وتتزاحمون فيحصل
لكم ضرر في رؤية الشمس بالظهيرة اي وقت انتصاف النهار صحوا اي حين لا سحاب ولا غبار
من صحت السما اذا خلت من الغيم كذا ذكره شارح وفي القاموس الصحو ذهاب الغيم
فقوله ليس معها سحاب تأكيدا والمراد بالسحاب ما هو اعم من ان يكون من جانب الرائي ومن
جهة المرئي ثم اكد ثانيا واظهر مثالا اخر بقوله وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا
ليس فيها اي في السما بقرينة المقام وان لم يجر لها ذكر او في جهة رؤية القمر من السما سحاب
اي مانع وحجاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون في رؤية الله يوم القيمة اي في
الموقف وما بعده من دخول الجنة الا كما تضارون في رؤية احدهما وفيه مبالغة وتعليق بالمحال
اي لو كان في رؤية احدهما مضارة لكان في رؤيته مضارة والتشبيه انما هو لمجرد الظهور وتحقق
الرؤية مع التنزه عن صفات الحدوث من نحو المقابلة والجهة ولعل ذكر الشمس والقمر للاشعار
بان رؤية الله حاصلة للمؤمنين في الليل والنهار على غاية من الظهور ونهاية من الانوار
وايماء الى تفاوت التجلي الرباني بالنسبة الى الابرار اذا كان يوم القيمة اذن مؤذن اي نادى
مناد ليتبع بتشديد التاء المفتوحة وكسر الموحدة وفي نسخة بالسكون والفتح اي ليعقب
كل امة ما كانت تعبد فلا يبقى احد كان يعبد غير الله من الاصنام اي من غير الله والانصاب
جمع نصب بفتح النون وضمها وسكون الصاد وبضمهما وهي حجارة كانت تنصب وتعبد من
دون الله تعالى ويذبحون عليها تقربا الى الصنم ولذا كل ما نصب واعتقد تعظيمه من الحجر والشجر
فهو النصب الا يتساقطون في النار لان الانصاب والاصنام ملقاة فيها حتى اذا لم يبق

الا من كان يعبد الله اي وحده من بر اي مطيع صالح وفاجر اي فاسق اتاهم رب العالمين
اي اتاهم امره كما سيأتي والله يقول قال اي الرب فماذا تنتظرون اي تنتظرون ويجوز ان يعبر بالاتيان
عن التجليات الالهية والتقريبات الربانية بل هذا هو الاولى لكن هو بالاعتبار اولى واحق وقيل
الاتيان عبارة عن رؤيتهم اياه لان من غاب عن غيره لا يمكن رؤيته الا بعد الاتيان فعبر بالاتيان عن
الرؤية مجازا وقيل الاتيان فعل من افعال الله سبحانه سماه اتيانا وقيل المراد اتيان بعض
الملائكة قال القاضي عياض وهذا الوجه اشبه عندي بالحديث او يكون معناه يأتيهم الله في صورة
الملائكة مخلوقا فانه الي لا تشبه صفات الاله ليختبرهم فاذا قال لهم الملك او هذه الصورة
انا ربكم ورأوا عليه من علامة المخلوق ينكرونه ويعلمون انه ليس ربهم فيستعيذون بالله
منه وقيل الرؤية حقيقة عندنا لا نكيف ذلك وقيل كنه معرفتها الى علم الله تعالى وقال
التوربشتي اتيان الله في الكتاب منتسب الى اتيان امره والاتيان باسه ولفظ التنزيل يحتمل
لكلا القولين فاما هذا الحديث فانه يؤول على اتيان امره وهو قوله فماذا تنتظرون ومن لم
من يتنزه عن تأويله خشية الخطأ مع تمسكه بعروة الوثقى في تنزيه الله تعالى عن الانتقال
بما يتحدث به النفوس من اوصاف الخلق قال الشيخ الامام ابو الفتوح العجلي في كتاب
الاقاويل المشهورة قال الايمة في تكلم الشيخ ابو سليمان الخطابي رحمه الله في تفسير هذا
الحديث فقال وتأويله بما فيه الكفاية قال ان هذا موضع يحتاج الكلام فيه تأويلا وتخريج وليس
ذلك من اجل انا ننكر رؤية الله سبحانه وتعالى بل نثبتها ولا من اجل انا ندفع ما جاء في الكتاب
والسنة من ذكر المجيء والاتيان غير انا لا نكيف ذلك ولا نجعله حركة وانتقالا كمجيء الاشخاص
واتيانها فان ذلك من نعوت الحدث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ويجب ان يعلم ان الرؤية
التي هي ثواب الاولياء وكرامة لهم في الجنة غير هذه الرؤية المذكورة في مقامهم واحتج بحديث
صهيب في الرؤية يعني كما سيجيء في باب رؤية الله تعالى وانما تعرضهم لهذه الرؤية امتحان
من الله تعالى لهم يقع بها التمييز بين من عبد الله تعالى وبين من عبد الطواغيت ليتبع
كل من الفريقين معبوده وليس ينكر ان يكون الامتحان اذ ذاك بعد قائما وحكمه على الخلق
جاريا حتى يفرغ من الحساب ويقع الجزاء بما يستحقونه من الثواب والعقاب ثم ينقطع اذا
حقت الحقائق واستقرت امور العباد قرارها الا ترى الى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق
ويدعون الى السجود فلا يستطيعون وجاء في الحديث ان المؤمنين يسجدون ويصير ظهور المنافقين
طبقا واحدا قال وتخريج اتيان الله تعالى في هذا انه يشهدهم رؤيته ليعرفوه فيكون معرفتهم
له في الاخرة عيانا كما كان اعترافهم بربوبيته في الدنيا علما واستدلالا ويكون طريق الرؤية بعد ان لم يكن
بمنزلة اتيان الاتي من حيث لم يكونوا شاهدوه قبل ثم قوله فماذا تنتظرون اي قيل لكم ليتبع كل امة ما كا
نت تعبد فبعضكم اتبع ما عبده فلم انتم ايضا لا تتبعونه وهذا معنى قوله ليتبع كل امة ما كانت تعبد فان
لفظه خبر ومعناه امر قالوا يا ربنا فارقنا الناس اي الذين عبدوا غير الله فضلا عن ان نعبد ما سواه
في الدنيا والمعنى ما اتبعناهم مادمنا في الدنيا افقر ما كنا اليهم بالنصب على الظرفية اي في افقر اكواننا
الى الناس ولم نصاحبهم اي في افعالهم بل قاتلناهم وحاربناهم وعاديناهم وقاطعناهم لمرضاتك ورجا
لتجلياتك وحاصله انا ما اتبعناهم حينئذ والامر غيب عنا ونحن محتاجون اليهم فكيف نتبعهم الان
وقت العيان انهم وما يعبدون من دون الله حصب جهنم قال الطيبي افقر حال من ضمير فارقنا
وما مصدرية والوقت مقدر قال النووي معناه انهم تضرعوا الى الله تعالى ولجأوا اليه وتوسلوا
بهذا القول الشريف الاخلاص في الخلاص يعني ربنا فارقنا الناس في الدنيا الذين زاغوا عن طاعتك
من الاقربا وممن نحتاج اليهم في المعاش والمصالح الدنيوية وهكذا كان داب الصحابة ومن بعدهم

من المؤمنين في جميع الزمان فانهم كانوا يتقاطعون من حاد الله ورسوله مع حاجتهم اليه واثروا رضى الله
تعالى في ذلك وفي رواية لابي هريرة فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا اي يتجلى علينا بوجه نعرفه
فاذا جاء ربنا اي على ما عرفناه من انه منزه عن الصورة والكمية والكيفية والجهة واما لها عرفناه اي حق
المعرفة فبلا تشبيه والله اعلم ان يكون انما منعهم عن تحقق الرؤية في الكرة الاولى حتى قالوا هذا مكاننا
حتى يأتينا ربنا من اجل من معهم من المنافقين لا يستحقون الرؤية وهم عن ربهم محجوبون فلما
تميزوا عنهم ارتفع الحجب فقالوا عندما رأوه انت ربنا وهذا معنى قوله وفي رواية ابي سعيد فيقول
هل بينكم وبينه اي بين ربكم آية اي علامة تعرفونه اي بتلك الآية وهي المعرفة والمحبة التي هي نتيجة
التوحيد وثمرة الايمان والتصديق فيقولون نعم فيكشف عن ساق بصيغة المجهول وقيل على بناء
الفاعل قيل معنى كشف الساق زوال الخوف والهول فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه
اي من نحوه ووجهه مخلصا لا لجهة اتقاء الخلق وتعلق الرجاء بهم الا اذن الله له بالسجود ولا يبقى من
كان يسجد اتقاء اي احترازا من السيف او خوفا من الناس ورياء اي مراياة وسمعة للخلق الا جعل
الله ظهره طبقة واحدة وفي شرح مسلم للنووي قوله طبقة واحدة اي صفحة ايضا فقاظهره واحدة
كالصفيحة كلما اراد ان يسجد خر اي سقط على قفاه قال الشيخ والذي يوضح ما ذكره الامام ابو سليمان
ان الدنيا وان كانت دار ابتلاء فقد يستحق الجزاء في بعض الاحوال كما قال وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم فكذا الآخرة وان كانت دار جزاء فقد يقع فيها الابتلاء اي بالتجلي والسجود ونحوهما
بدليل ان القبر هو اول منزل من منازل الآخرة يجري فيه الابتلاء ثم قال ولكن معنى الخبر في ذلك
والمعنى مما اراد صلى الله عليه وسلم مع تنزيه الله تعالى عن كل ما ثلة وشبهة وقال النووي
هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده وقد استدل بهذا وبقوله تعالى يدعون الى
السجود فلا يستطيعون على جواز تكليف ما لا يطاق قول الاظهر ما قال العسقلاني في
ان التحقيق ان التكليف خاص بالدنيا واما ما يقع في القبر وفي الموقف فانما هو من آثار ذلك
قال النووي وقد يتوهم من هذا الحديث ان المنافقين يرون الله تعالى وانما فيه ان الجميع
الذين فيهم المؤمنون والمنافقون يرون الله تعالى ثم يمتحنوا بالسجود فمن سجد كان مخلصا
ومن لم يقدر عليه كان منافقا وهذا لا يدل على ان المنافقين يرون الله تعالى ثم يضرب اي يمد
الجسر بكسر الجيم ويفتح في القاموس الجسر الذي يعبر عليه ويكسر والمعنى موضع الصراط
كما في رواية في جهنم اي متنها ووسطها وتحل الشفاعة بكسر الحاء ويضم اي يقع ويؤذن فيها
ويقولون اي الانبياء والرسل بدليل حديث آخر بعد هذا اللهم سلم سلم تكراره مرتين
المراد به الكثرة او باعتبار كل واحد من اهل الشفاعة او للالحاح في الدعاء كما هو من آدابه
ونقول من يخاطب اي يقول كل نبي امتي اللهم سلم امتي من ضرر الصراط اللهم اجعلهم سالمين
من آفاته آمنين من مخافته فيمر المؤمنون كطرف العين وفي المصابيح كطرفة العين قال
شارح له التاء للوحدة يقال طرف طرفا اذا طبق احد جفنيه على الآخر وكالبرق وكالريح وكالطير
اي يجيئون منها بمراتبهم وعلى قدر حالاتهم في انواع الجذبة وفوق الطير واسرعه الجري المعبر
عنه بقوله وكاجاويد الخيل هي جمع جواد من الفرس السابق الجيد كذا في النهاية جواد
من جاد اذا اسرع في السير وهو من اضافة الصفة الى الموصوف وقوله والركاب
بكسر الراء عطف على الخيل والمراد بها الابل ولا واحد له من لفظه فناج بالفاء للتفريع او التفصيل
وتقسيم المارة في الصراط بطريق الاجمال على ثلاث فرق بحسب مراتبهم في العقيدة والعمل
والمعرفة والمعنى فمنهم ناج سلم بتشديد اللام المفتوحة اي نجي من العذاب لا يناله مكروه
من ذلك الباب ومخدوش اي ومنهم مجروح مرسل اي مخلص فالشارح اي الذي يخدش بالكلوب

فيرسل الى النار من عصاة اهل الايمان وقوله مرسل اي مطلق من القيد والغل بعد ان عذبوا مدة
ومكدوس بالسين المهملة اي ومنهم مدفوع في نار جهنم يقال كدس اذا دفع من ورائه فسقط
ومنهم الذين لا شفيعا ولا ملجا لهم المقضيون بالخلود عليهم كذا قاله شارح وهو غير صحيح لقوله
ويمر المؤمنون اللهم الا ان يقال قوله فناج عطف على قوله فيمر لا انه تفريع له والضمير
في منهم المقدر راجع الى الجميع المار على الجسر وروي بالشين المعجمة من كدشه اذا ساقه
شديدا وخدشه وجرحه وطرده وروي مكدوش اي مكفى في نار جهنم قال النووي مكدوس
بالسين المهملة هكذا هو في الاصول وكذا نقله القاضي عياض عن اكثر الرواة قال
ورواه العذري بالشين المعجمة ومعناه بالمعجمة السوق الشديد وبالمهملة كون الاشياء
بعضها راكبة على بعض ومنه تكدست الدواب في سيرها اذا ركب بعضها بعضا وفي النهاية
مكدوس في النار اي جمعت يداه ورجلاه والقي فيها قال الطيبي تقسيم المارة على الصراط
من المؤمنين على ثلاث فرق قسم مسلم فلا يناله شيء اصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص
وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم وخدش الجلد قشره بعود حتى اذا خلص بفتح اللام
اي نجا المؤمنون من النار اي من وقوعهم فيها لحصول غاية لمرور البعض على الصراط وسقوط
وسقوط البعض في النار وقال الطيبي حتى غاية لقوله مكدوس في نار جهنم اي يقع المكدوس
في النار حتى يخلص بعد العذاب بمغفرة ذنبه او بشفاعة احد او بفضله سبحانه ووضع المؤمنون
موضع الراجع الى المكدوس اشعارا بالعلية وان صفة الايمان سبب للخروج من النار فوالذي
نفسي بيده جواب اذا ما من احد منكم خطاب للمؤمنين وقوله باشد خبر ما وقوله مناشدة
منصوب على التمييز اي اشد مطالبة ومن ظرف وقوله في الحق ظرف للمناشدة وقد تبين لكم
صفة للحق لانه في المعنى نكرة اي في حق تبين لكم على خصمكم او حال او من الضمير في اشد واما من
الحق وقال شارح حال من الحق والتقدير ما من احد منكم باشد مناشدة في حال الذي تبين لكم
الامر الحق وقوله من المؤمنين متعلق باشد اي باشد مناشدة فيكم منكم فوضع المظهر موضع
المضمر وقوله لله متعلق بمناشدة وقوله يوم القيامة ظرف اشد اي مناشدون الله لاخوانهم
اي لاجل اخوانهم الذين في النار بالشفاعة من الجبار الغفار قال النووي معناه ما منكم
من احد يناشد الله في الدنيا في استيفاء حقه واستقصائه وتحصيله من جهة خصمه
والمعتدي عليه باشد منكم مناشدة لله تعالى في الشفاعة لاخوانكم يوم القيامة وقال
شارح من علمائنا معناه ما من احد منكم اكثر اجتهادا ومبالغة في طلب الحق حين ظهر لكم
الامر الحق من المؤمنين في طلب خلاص اخوانهم العصاة في النار من النار يوم القيامة ثم
بين مناشدتهم بقوله يقولون ربنا كانوا يصومون معنا اي موافقين لنا ويصلون
اي صلاتنا ويحجون اي على طريقتنا فيقال لهم اخرجوا من عرفتم اي بهذه الاوصاف فتحرم بفتح
الرا المشددة اي تمتنع صورهم اي بغيرها في النار اي بان تأكلها او تسودها بحيث لا تعرف
وجوههم فيعرفهم المؤمنون فانهم يعرفون بسيماهم فيخرجون خلقا كثيرا اي منها ثم يقولون ربنا
ما بقي فيها احد ممن امرتنا به اي باخراجه من ارباب الصيام والصلاة والحج فيقول ارجعوا فمن
وجدتم في قلبه مثقال دينار اي مقداره من خير فاخرجوه في شرح السنة قال القاضي عياض
قيل معنى الخير هنا اليقين قال والصحيح ان معناه شيء زائد على مجرد الايمان لان مجرد الايمان
الذي هو التصديق لا يتجزى وانما يكون هذا التجزي لشيء زائد عليه من عمل صالح او ذكر خفي او عمل
من اعمال القلب من الشفقة على مسكين او خوف من الله تعالى ونية صادقة فيخرجون
خلقا كثيرا ثم يقولون ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون

خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر اي لم نترك فيها اي في جهنم خيرا اي اهل خير قال الطيبي اي من كان
فيه شيء من ثمرات الايمان من ازدياد اليقين او العمل الصالح فوضع الخير موضع الذات كما يوضع
العدل موضعه مبالغة اي فيقال رجل عدل واريد به المعنى المصدري مبالغة في ان المعنى
كانه بلغ هو هو مع انه قد يقال ان العدل مصدر بمعنى العادل او على تقدير مضاف اي صاحب
عدل نحو قوله تعالى واسئل القرية والله اعلم فيقول الله شفعت الملايكة وشفع النبيون
وشفع المومنون ولم يبق احد اي احد ممن يرحم في اخد الا ارحم الراحمين اي الذي رحمته وسعت
كل شيء وادرج في رحمته كل احد بحسب رحمته كل شيء فيقبض قبضة اي ما يسع الكف من النار
اي من اهلها فيخرج اي الله منها اي من النار او من جهة تلك القبضة قوما لم يعملوا خيرا قط
اي لم يكسبوا خيرا زايدا على مجرد الايمان قال النووي هم الذين معهم مجرد الايمان ولم يؤذن فيهم
الشفاعة وتفرد الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب بالرحمة لمن ليس عنده الا مجرد الايمان وفيه
دليل على انه لا ينفع من العمل الا ما حضر له القلب وصحبته نيته وفي زيادة الايمان ونقصانه
والقوم مذهب اهل السنة قلت المحققون منهم على ان التصديق الذي هو الايمان
على التحقيق لا يقبل الزيادة والنقصان وانما التفاوت في انواره وثمراته ونتايجه
من حقايق الايقان ودقايق العرفان ومراتب الاحسان ومنازل العرفان والله اعلم
بالحال قد عادوا اي الجماعة صنفا او حالا والمعنى صاروا حمما بضم ففتح جمع حممة وهي الفحم
فيلقيهم اي يامر الله بالقايهم بلا واسطة في نهر بفتح الها ويسكن اي كاين
في افواه الجنة اي في اوايلها وهو جمع فوهة بضم الفا وتشديد الواو المفتوحة وهو جمع سمع
من العرب على غير قياس وافواه الازقة والانهار اوايلها كذا ذكره الطيبي ويمكن ان يكون الافواه
كناية عن ابواب الجنة وهو الملايم لدخولهم ابوابها على احسن الهيئة يقال له اي لذلك النهر
نهر الحيوة فيخرجون اي من النهر كما تخرج الحبة بكسر الحا فتشديد الموحدة في حميل السيل
بفتح الحا وكسر الميم اي محموله وفي شرح السنة بالكسر اسم جامع لحبوب البقول التي تنتشر
اذا هاجت ثم اذا مطرت من قابل نبتت قال الكسائي هي حب الرياحين فاما الحنطة ونحوها
فهي الحب والحبة من الحب فبالفتح وحميل السيل هو ما يحمله السيل من غثا او طين فاذا
اتفق فيه الحبة واستقرت على شط مجرى السيل تنبت في يوم وليلة وهي اسرع نابتة
نباتا قال النووي وانما شبههم بها لسرعة نباتها وحسنها وطراوتها انتهى فالتشبيه في سرعة
الظهور وقال شارح الحبة بالكسر بزور الصحرا مما ليس بقوت وقال العسقلاني الحبة
بالكسر بزر الصحرا والجمع حبب واما الحبة بالفتح فهو ما يزرعه الناس والجمع حبوب فيخرجون
كاللولو اي في البياض والصفا في رقابهم الخواتيم جمع الخاتم والجمع لمقابلة الجمع بالجمع
والمراد بها علامة تظهر في رقابهم ليكونوا متميزين من المغفورين بواسطة العمل الصالح
كذا قاله شارح وقال صاحب التحرير المراد بالخواتيم هنا اشيا من ذهب او غيره تعلق في
اعناقهم يعرفون بها فيقول اهل الجنة اي جميعهم وقد ظهر لهم تلك العلامة هولا عتقا الرحمن
ادخلهم اي الله الجنة بغير عمل اي عملوه على ما في نسخة صحيحة ولا خير اي من عمل
باطني قدموه فيقال لهم لكم الخطاب للعتقا اي لكم ما رايتم اي مقدار مد بصركم من الجنة ومثله
معه او لكم ما رايتم مما في نظركم ومثله معه من الحور والقصور وقال الطيبي فيه حذف اي
فينظرون في الجنة اشيا ينتهي مد بصرهم اليه فيقال لهم لكم ما رايتم ومثله انزل وفيه
ايما الى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان اي جنة ظاهرة وجنة باطنة او جنة من جهة
العدل وجنة من طريق الفضل متفق عليه وعنه اي عن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يقول الله تعالى
اي للانبيا ولغيرهم من الشفعا او للملايكة وهو الاظهر لما سياتي مصرحا في رواية ابي هريرة
من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجوه اي من النار وفي هذا الحديث
يظهر ان من اخرجهم الرحمن بقبضته كانوا مومنين بلا خير وعمل زايد على الايمان دون الكفار
كما يوهمه ظاهر العبارة هناك فانه يخالفه سياق فيخرجون بصيغة المجهول قد امتحشوا
على بنا الفاعل اي احترقوا والجملة حالية وفي بنا المفعول فكانه جعل متعديا بمعنى المحش وهو
احراق النار الجلد في النهاية المحش احراق الجلد وظهور العظم وفي القاموس امتحش احترق
وقال العسقلاني امتحشوا احترقوا وزنا ومعنى وعند بعضهم بضم المثناة وكسر الحاء
ولا يعرف في اللغة امتحشه متعديا وانما سمع لازما مضارع محشه وقال النووي
هو بفتح التا والحا المهملة والشين المعجمة هكذا هو في الروايات وبه ضبط الخطابي
والهروي ونقله القاضي عياض عن متقني شيوخهم ومعناه احترقوا قال القاضي وروى بعض
شيوخنا بضم التا وكسر الحا وقد عادوا حمما فيلقون في نهر الحيوة فينبتون اي تعود
ابدانهم اليهم كما تنبت الحبة في حميل السيل الم تروا اي الم تبصروا والم تعلموا انها اي
الحبة تخرج اي ابدا او لا صفرا اي خضرا ملتوية اي ملفوفة مجتمعة وقيل منحنية متفق عليه
وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا
يوم القيمة فذكر اي ابو هريرة معنى حديث ابي سعيد اي الذي تقدم ذلك عن كشف الساق
وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم وابو هريرة مرفوعا فيضرب الصراط اي يمد بين ظهري جهنم
اي بين طرفيها يوافق رواية في متنها وظهرها وفوقها فاكون اول من يجوز من الرسل بامته
البا للتعدية اي من يجاوزهم عنها ولا يتكلم يومئذ اي في ذلك المقام الا الرسل قال ابن
الملك اراد بقوله يومئذ وقت جواز الصراط وانما فسرناه بهذا لان ثمة مواطن لا يتكلم فيها
الناس قلت لقوله هذا يوم لا ينطقون ولكن هناك مواقف يتكلم فيها عموم
الناس ايضا فالحصر يفيد التقييد بحيثية وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم كرر للتاكيد
وفي جهنم اي في اطرافها كلاليب بلا صرف لكونه على صيغة منتهى الجموع جمع كلاب بالضم
وكلوب بالفتح وتشديد اللام فيهما وهي حديدة معوجة الراس يختطف بها او تعلق عليها
اللحم وترسل في التنور وعود في راسه اعوجاج يجر بها الجمر مثل شوك السعدان بفتح
فسكون وهو نبت له شوك عظيم ويقال لشوكه حسك السعدان وفي تشبيه حكمة الذي
لا يعلم قدر عظمها بكسر ففتح اي عظمة تلك الكلاليب الا الله تخطف اي تاخذ الكلاليب
بسرعة والطا مفتوحة وروي بكسرها والاول هو الاولى لموافقته القران الذي هو اللغة
الفصحى قال النووي يروى بفتح الطا وكسرها اي يختطف الناس باعمالهم اي بسبب اعمالهم
القبيحة او بحسب اعمالهم السيئة فمنهم اي من الناس او من العصاة او من المختطفين
من يوبق اي يهلك ويحبس بعمله اي القبيح من وبق اي هلك وابقه غيره ففي النهاية وبق
يبق ويوبق فهو وبق اذا هلك واوبقه غيره فهو موبق اي مهلك ومنهم من يخردل بالدال
المهملة على صيغة المجهول اي يصرع او يقطع قطعا كالخردلة ففي النهاية المخردل المقطع
تقطعه كلاليب الصراط حتى يهوي في النار يقال خردلت اللحم بالدال والذال اي فصلت اعضاه
وقطعته قال ابن الملك وقيل يقطع الكلاليب لحمه على الصراط ويجرح اعضاوه ثم ينجو
اي من الوقوع في النار فالكافر يوبق والفاسق يخردل ثم يتخلص حتى اذا فرغ الله من
القضا اي من الحكم بين عباده بما يستحق كل من اجر اعماله واراد ان يخرج من اراد ان يخرج

٥

ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله امر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله اي يوحده او يعرفه
بالوحدانية او يقبله على نعت التوحيد فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود قال تعالى
سيماهم في وجوههم من اثر السجود وحرم الله على النار اي منعها أن تأكل اثر السجود اي من
وجوههم او جباههم قال النووي ظاهر هذا ان النار لا تأكل جميع اعضاء السجود السبعة
وهي الجبهة واليدان والركبتان والقدمان وقال القاضي عياض المراد باثر السجود الجبهة
خاصة والمختار الاول قلت ويؤيد الثاني ما سبق من القرآن وما في رواية مسلم
الا دارات الوجوه وهو المتبادر مما تقدم فتخرج صورهم على النار وهو المقول فكل ابن آدم
اي اثر افعاله من اعضائه تأكله النار الا اثر السجود وهذا تأكيد لما قبله فيخرجون
من النار قد امتحشوا اي احترقوا وقد سبق فيصب عليهم ماء الحياة وقد تقدم انهم يلقون
في نهر الحياة ولعل الاختلاف باختلاف الاشخاص فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل
اي محموله ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر اهل النار دخولا تمييز الجنة بالنصب في
انه مفعول الدخول مقبل جر آخر عطف على آخر او خبر مبتدأ آخر هو مقدر اي متوجه
بوجهه قبل النار بكسر القاف وفتح الباء اي الى جهتها فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار
اي رده عنها قد قشبني بفتح القاف والشين المعجمة والموحدة اي آذاني واهلكني ريحها
وقيل سمني واهلكني من القشيب وهو السم المهلك وفي المقدمة اي ملأ خياشيمي غير جلدي
وصورتي واحرقني ذكاؤها بفتح المعجمة والمد وفي نسخة صحيحة كاها بالقصر صحيحة
قال النووي هو بالمد وفتح الذال المعجمة كذا وقع في جميع روايات الحديث اي لهبها
واشتعالها وشدة وهجها والاشهر في اللغة مقصورة وقيل ان القصر والمد لغتان ه
فيقول اي الرب هل عسيت اي يتوقع منك ان فعل ذلك اي بك والاشارة الى صرف
الوجه والجملة الشرطية معترضة بين اسم عسى وخبرها وهو قوله ان تسأل غير ذلك
والمعنى هل يتوقع منك بعد حصول ذلك سؤال غيره قال الطيبي فان قلت
كيف يصح هذا من الله تعالى وهو عالم بما كان وما يكون قلت معناه انكم يا بني
آدم لما عهد منكم من رخاوة الوعد ونقض العهد احقاء بان يقال لكم يا هؤلاء ما تدرون
هل يتوقع منكم ذلك ام لا وخلاصته ان معنى عسى راجع الى المخاطب لا الى الله تعالى
وهو من باب ارخاء العنان وبعث المخاطب على التفكر في امره وشأنه ليصف من نفسه
ويذعن للحق فيقول لا اي لا اسألك غير ذلك وعزتك لا اسأل غير ذلك فيعطي اي الرجل
ربه ما شاء الله مفعول ثان ليعطي اي ما قدره وقضاه او ما اراده من عهد وميثاق
اي بشيء يوثق العهد به ويؤكده فيصرف الله وجهه عن النار فاذا اقبل بصيغة الفاعل
وفي نسخة على بناء المفعول به اي توجه على الجنة رأى بهجتها اي حسنها وكثرة خيرها
سكت لذا في الاصول بلا عاطف في الفعلين هنا والظاهر ان يكون احدهما جواب
اذا والآخر عطف على الشرط او الجزاء ولعل توجيهه ان قوله رأى بهجتها جملة حالية على
مذهب من يجوزه ولفظ المشارق فاذا اقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله ان
يسكت اي سكوته ثم قال يا رب قدمني عند باب الجنة اي الى بابها كما سيأتي ويمكن ان
يكون الظرف حالا مقدرة فيقول الله تبارك وتعالى أليس اي الشأن قد اعطيت
العهود والميثاق ان لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يا رب لا اكون اشقى خلقك
اي لا تجعلني اشقاهم والمراد بالشقوة هنا الحرمان اي لا اكون محروما فيقول اي الرب
فما عسيت ما استفهامية مبتدأ اي فهل عسيت ان اعطيت ذلك بصيغة المجهول ان تسأل

[illegible]

غيره

غيره اي غير ذلك فيقول لا وعزتك لا اسألك غير ذلك تأكيد وبيان لقوله لا قبل ذلك وفي نسخة
صحيحة لا اسأل غير ذلك فيعطي اي الرجل ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه اي الله الى باب
الجنة فاذا بلغ بابها فرأى زهرتها بفتح الزاي طيب العيش فيها والزهرة البياض وزهرة الدنيا نضارتها
وما فيها من النضرة اي الحسن والرونق والسرور اي الفرح بما فيها من السرور والقصور وكثرة
الحور والتنعم بالحبور فسكت ما شاء الله ان يسكت بالفاء هنا في ما في جميع نسخ المشكاة قال
الطيبي قوله فسكت كذا في صحيح البخاري واكثر نسخ المصابيح وفي بعضها هذا جواب اذا محذوف
والمعنى اذا رأى ما رأى تحير فسكت ونظيره قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا
حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها انتهى وقيل الواو زائدة ونسميها واو الثمانية تحقيقا لقوله تعالى
ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وقال ابو البقاء الواو زائدة عند قوم لان الكلام جواب حتى
اذا وليست زائدة عند المحققين والجواب محذوف تقديره اطمأنوا ونحو ذلك فيقول
يا رب ادخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويلك يا ابن آدم قال شارح ويلك منصوب
على المصدر لا غير اذا اضيف وان لم يضف يرفع على الابتداء وينصب باضمار الفعل مثل ويل
لزيد وويلا لزيد اي اهلكك الله اهلاكا وحكمة هنا كما ما اغدرك بالغين المعجمة والدال
المهملة وما فيه للتعجب اي يستحق ان يتعجب منك بكثرة غدرك في عهودك بان لا تسأل
غير ذلك ويجوز ان يكون ما للاستفهام والهمزة للتصيير اي اي شيء صيرك غادرا في
عهودك وفي نسخة بالعين المهملة والذال المعجمة اي اي شيء جعلك في هذا السؤال
معذورا أليس قد اعطيت العهود والميثاق ان لا تسأل غير الذي اعطيت بصيغة المجهول
فيقول يا رب لا تجعلني اشقى خلقك قال الطيبي فان قلت كيف طابق هذا الجواب
قوله أليس قد اعطيت العهود والميثاق قلت كأنه قال يا رب بلى اعطيت العهود
والميثاق ولكن تأملت في كرمك وعفوك ورحمتك وقوله لا تيأسوا من روح الله انه
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فوقفت على اني لست من الكافرين الذين ايسوا من
رحمتك وطمعت في كرمك وسعة رحمتك فسألت ربك فكأنه تعالى رضي عنه بهذا القول
فضحك انتهى وهذا معنى قوله فلا يزال يدعو حتى يضحك الله اي يرضى منه اي من اجل او بسبب
كلامه ودعائه فاذا ضحك اذن له في دخول الجنة فيقول تمن امر مخاطب فيتمنى حتى اذا انقطعت
امنيته بضم الهمزة وتشديد التحتية اي مطلوبه ومتمناه قال الله تعالى تمن من كذا وكذا قال
المظهر فيه للبيان يعني تمن من كل جنس ما تشتهي منه قال الطيبي ونحوه يغفر لكم من ذنوبكم
ويحتمل ان يكون من زائدة في الاثبات على مذهب الاخفش وقوله اقبل يذكره ربه بدل من الجملة
التي قبله على سبيل البيان وربه بالنصب تنازع فيه العاملان انتهى واقبل بمعنى شرع ويذكره بتشديد
الكاف اي يلهمه ويلقنه ربه بما ينبغي ان يتمناه فيتمنى حتى اذا انتهت به الاماني اي انقطعت
ولم يبق له امنية قال الله لك ذلك اي مسئولك ومأمولك ومثله معه اي تفضلا عليك وفي رواية
ابي سعيد قال الله لك ذلك اي ما تمنيته وعشرة امثاله اي في الكيفية وان كان مثله في الكمية
وبهذا يرتفع التدافع ويندفع التمانع والله سبحانه اعلم متفق عليه وعن ابن مسعود رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة قال الطيبي الفاء
يجوز ان تكون تفصيلية ابهم اولا دخوله الجنة ثم فصل كيفية دخوله ثانيا وان يكون للتعقيب
الاخباري وان تقدم ما بعده على ما قبله في الوجود وتوقفت ثم في هذا المعنى كأنه قيل
آخركم عقيب هذا القول حاله فهو يمشي قبل دخوله في الجنة مرة ويكبو بضم الموحدة اي ينكب
وينقلب ويسقط بوجهه مرة اي اخرى وتسفعه النار بفتح الفاء اي تحرقه مرة وتجعل عليه علامة من

سواد الوجه وزرقة العين يقال سفع من النار اي علامة منها وسفعت الشيء اذا جعلت عليه علامة
قال ابن الملك اي تلفحه لفحا يسيرا فيتغير لون بشرته قال اي تعلمه علامة اي اثرا منها وفي القاموس
لفحة النار حرها كمنعه احرقته وسفع الشيء كمنعه اعلمه ووسمه والسموم وجهه لفحه لفحا يسيرا
فاذا جاوزها التفت اليها فقال تبارك اي تعظم وتعالى او تكاثر خير الذي نجاني منك هذا فرح بما
اعطاه من النجاة وقوله لقد اعطاني الله شيئا ما اعطاه احدا من الاولين والاخرين جواب قسم
محذوف القسم من الفرح والنجاة نعمة ما ظفر بها احد من العالمين ولعل وجهه انه ما راى احدا من
له في خروجه من النار ولم يدر ان لله عبادا يقيم ذا القرار فترفع له شجرة اي عنده عين ما لها شيئا في
فيقول اي رب واي في الاصل لنداء القريب وبابه للتبعيد تارة ينظر الى قرب الرب من العبد كما قال
سبحانه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتارة الى بعد العبد من الرب كما قيل ما للتراب ورب الارباب
ادنني امر من الادناء اي قربني من هذه الشجرة فلاستظل بكسر اللام الاولى ونصب الفعل قال
الطيبي اللام سببية لا للام مزيدة او بالعكس يعني اللام مزيدة واللام للعلة تنبيه مسامحة لا يخفى
ثم في الكلام تجريد والمعنى لا نتفع بظلها واشرب من مائها فيقول الله تعالى يا ابن ادم لعلي ان اعطيتك
ها اي ما سالتك اياه منيتك ان سالتني غيرها هو جواب الشرط وهو دال على خبر لعل فيقول لا يا رب
ويعاهده ان لا يسأله غيرها وربه يعذره بفتح الياء وبضمها اي يجعله اي يجعله معذورا وفي النهاية
وقد يكون اعذر بمعنى جعله موضع العذر وفي المشارق عذرته واعذرته اي قبلت عذره وفي المصباح
عذرته فيما صنع عذرا من باب ضرب رفعت عنه اللوم فهو معذور واعذرته بالالف لغة واعتذر
طلب قبول معذرته واعتذر عن فعله اظهر عذره لانه اي العبد يرى ما لا صبر له عليه كذا في الاصول
في المرتين الاوليين وكذا في الثالثة في بعض الاصول وفي اكثرها عليها بلا وبل ما بنعمة وفي
بمعنى عن كذا في شرح مسلم للنووي وذكره السيوطي في حاشيته على مسلم فيدنيه منها اي فيقربه
من الشجرة فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة اي اخرى هي احسن من الاولى لانه
ارادة الترقي من الادنى الى الاعلى فيقول اي رب ادنني من هذه الشجرة لاشرب من مائها واستظل
بظلها الواو لمطلق الجمع لان الظاهر ان الاستراحة بظلها قبل الشرب من مائها لا اسالك غيرها
قال الطيبي هو حال فتنازع فيه استظل واشرب فيقول يا ابن ادم الم تعاهدني ان لا تسالني
غيرها فيقول اي الرب لعلي ان ادنيتك منها تسالني بالرفع اي تطلبني غيرها فيعاهده ان لا يساله
غيرها وربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها
ثم ترفع له شجرة اي ثالثة عند باب الجنة هي احسن من الاوليين فيقول اي رب ادنني من هذه
فلاستظل بظلها واشرب من مائها لا اسالك غيرها فيقول يا ابن ادم الم تعاهدني ان لا تسالني
غيرها قال بلى يا رب هذه منصوب المحل بفعل يفسره ما بعده اي هذه اسالك لا اسالك غيرها
حالا واستئنافا وربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليه وفي بعض النسخ عليها وقد سبق الكلام
عليها فيدنيه منها فاذا ادناه منها سمع اصوات اهل الجنة اي في مصاحبتهم مع ازواجهم ومحاورتهم
معا صحبهم فاراد دخولها استئناسا بهم او في غنائهم فاراد التقرب ليتلذذ بانغامهم فيقول اي رب
ادخلنيها فيقول يا ابن ادم ما يصريني منك بفتح الياء وسكون الصاد المهملة قال صاحب
النهاية وفي رواية ما يصريك مني اي ما يقطع مسالتك ويمنعك من سؤالي يقال صريت الشيء
اذا قطعته وصريت الماء جمعته وحبسته انتهى والمعنى قد كررت سؤالك مع معاهدتك ان
لا تسالني فاذا ينقطع سؤالك عني وترضيك قال التوربشتي صري عنه شر اي دفع ومرتبه
منعته وصري ما بينهم صريا اي فصلت يقال اختصما الى الحاكم فصرى ما بينهما صريا اي قطع
ما بينهما وفصل وحسن ان يقال ما يفصل بيني وبينك اي ما الذي يرضيك حتى تترك مناشدتك

والمعنى

والمعنى اي اجيبك الى مسالتك كرة بعد اخرى واخذت ميثاقك ان لا تعود ولا تسال غيره وانت
لا تفي بذلك فما الذي يفصل بيني وبينك في هذه القضية ويكون في وجه المجاز والاتساع به
والمبتغى منه التوقيف على فضل الله ورحمته وكرمه ورافته بعباده حتى انه يخاطبهم مخاطبة المستفهم
الباحث سايله في مستزاده قال وفي كتاب المصابيح ما يصريك مني وهو غلط والصواب
ما يصريني منك كذا رواه المتقنون من اهل الرواية قال المظهر يمكن ان يحمل على القلب فاصله ما يصريك
مني وقلب للعلم به والقلب شايع في كلامهم ذايع في استعمالهم قال الطيبي الروايتان صحيحة
والمعنى صحيح على سبيل الكناية قال النووي ما يصريني منك بفتح الياء واسكان الصاد المهملة
كذا في صحيح مسلم وروي في غير مسلم ما يصريك مني قال ابراهيم الحربي هو الصواب وانكر الرواية
التي في صحيح مسلم وغيره وليس كما قال بل كلاهما صحيح وان السائل متى انقطع من المسؤول انقطع
المسؤول عنه والمعنى اي شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك ايرضيك ان اعطيك الدنيا
ومثلها معها قال يا رب اتستهزئ مني اي تخاطبني مخاطبة المستهزئ به وانت رب العالمين والجملة حالية
ولا يستهزا بالشيء اذا اسند الى الله تعالى يراد لازمه عقيبه واحلاله اياه محل المستهزا به كذا ذكره
شارح وفي شرح مسلم للنووي هذا وارد من السؤال في سبيل الفرح والاستبشار قال القاضي
عياض هذا الكلام صادر عنه وهو غير ضابط لما ناله من السرور وبلوغ ما لم يخطر بباله فلم ينضبط لسانه
دهشة وفرحا وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوق ونحوه حديث التوبة قال الرجل عند
وجدان زاده مع راحلته من شدة الفرح انت عبدي وانا ربك انتهى وتوضيحه ما ذكره ابن الملك
الذي ذكر كيف صدر منه هذا القول بعد كشف الغطاء واستواء العالم والجاهل في معرفة الله
فيما يجوز على الله وما لا يجوز قلنا شابه هذا العالم ما في العالم العارف الذي يستولي عليه الفرح
بما اتاه الله فيزل لسانه من شدة الفرح كما اخطا في القول من ضلت راحلته بارض فلاة عليها
طعامه وشرابه فايس منها ثم لقيها بعد ما وجدها واخذ بخطامها قال من شدة الفرح اللهم انت عبدي
وانا ربك فضحك ابن مسعود فقال الا بالتخفيف تسالوني بتشديد النون وتخفيف
مم اضحك اي من اي شيء اضحك فقالوا مم تضحك فقال هكذا ضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا مم تضحك يا رسول الله قال من ضحك رب العالمين حين قال اتستهزئ
مني وانت رب العالمين قال التوربشتي الضحك من الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم
وان كانا متفقين في اللفظ فانهما متباينان في المعنى وذلك ان الضحك من الله سبحانه يحمل
على كمال الرضى من العبد وارادة الخير بمن يشاء من عباده ان يرحمه وقال القاضي وانما ضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجابا وسرورا بما راى من كمال رحمة الله ولطفه في عبده
المذنب وكمال الرضى عنه وانما ضحك ابن مسعود فكان اقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقوله هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا الظاهر انه لا حظ الى المرتب
للضحك لانه بمجرد تقليد وحكاية لفعله صلى الله عليه وسلم فانه المتبادر اخبارا ولا يصدر
من غير باعث من قول عجيب او فعل غريب فيقول اني لا استهزئ منك ولكني على ما اشاء قادر
وفي نسخة قدير قال الطيبي فان قلت مم استدركه قلت من مقدر فانه
تعالى لما قال له ايرضيك ان اعطيك الدنيا ومثلها معها فاستبعده العبد لما راى انه ليس اهلا
لذلك وقال اتستهزئ بي قال سبحانه وتعالى نعم كنت لست اهلا له لكن اجعلك اهلا لها
واعطيك ما استبعدته لاني على ما اشاء قدير رواه مسلم اي عن ابن مسعود وفي رواية له
اي لمسلم عن ابي سعيد نحوه اي نحو المروي عن ابن مسعود الا انه اي ابا سعيد لم يذكر فيقول
يا ابن ادم ما يصريني منك الى اخر الحديث وزاد اي نقص من الحديث وزاد فيه ويذكره الله بالتشديد

اي بعلمه سل كذا وكذا في اذا انقطعت به الاماني قال الله هو لك وعشرة امثاله قالا اي النبي صلى
الله عليه وسلم ثم يدخل اي العبد بيته اي قصره فيدخل عليه زوجتاه من الحور العين قال النووي
زوجتاه بالف تثنية زوجة هكذا ثبت في الروايات والاصول وهي لغة صحيحة معروفة
فتقولان الحمد لله الذي احياك لنا واحيانا لك اي خلقك لنا وخلقنا لك وضع احيا موضع
خلق اشعارا بالخلود وانه تعالى جمع بينهم في هذه الدار التي لا موت فيها وان هذه الجنة لتتمة الحيوان
قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اي العبد ما اعطي
احد مثل ما اعطيت اي بعدما اطلع على اعطائهم والله اعلم وعن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ليصيبن اي والله ليدركن وليمسن اقواما سفع من النار بفتح فسكون اي سواد من
سفع النار او علامة منها كذا في المقدمة وقيل احراق قليل منها بذنوب اي بسببها وقوله اصابوها
صفة ذنوب وقوله عقوبة مفعول له ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته لا بانه احصل التسبيد
او بفضل الشيخ وفي بعضها بفضل رحمته فيقال لهم الجهنميون قال الطيبي ليست التسمية بها
تنقيصا لهم بل استذكارا ليزدادوا فرحا الى فرح وابتهاجا الى ابتهاج وليكون ذلك علما لكونهم عتقاء
الله تعالى رواه البخاري وكذا ابو داود والترمذي وعن عمران بن حصين قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخرج قوم وفي نسخة اقوام من النار بشفاعة محمد وفي نسخة بشفاعة
النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة بصيغة المفعول وقيل بالفاعل ويسمون الجهنميين
وفي المصابيح الجهنميون قال شارح له الرواية بالواو وجهته ان انه مفعول يسمون وجهه
انهم يكونون الجهنميون بالواو وعلما لهم فلم يغير رواه البخاري وكذا ابو داود والترمذي وابن ماجه
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر اهل
النار خروجا منها واخر اهل الجنة دخولا اي فيها والظاهر انهما متلازمان فالجمع بينهما للتوضيح
ولم يبعد ان يكون اخرا نسبيا اذ يتوهم من جنس احد في الموقف من اهل الجنة حينئذ والله
اعلم رجل يخرج من النار حبوا حال وهو مصدر من حبا الصبي اذا مشى على اربع او دب على استه اي
زحفا كما في رواية فيقول الله اي له اذهب فادخل الجنة فياتيها اي فيجي فيها فيخيل اليه انها ملأى
فيخيل اليه تفويضه تعالى انها اي الجنة ملأى قائلين فيقول اي رب وجدتها ملأى بحيث لا يبقى
بامكان فيها فيقول اذهب فادخل الجنة المراد بها جنسها الجنة بخصوصها فان لك مثل الدنيا
اي في سعتها وقيمتها وعشرة امثالها اي زيادة عليها في الكمية والكيفية وفيه ايماء الى قوله تعالى
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فالمؤمن حيث ترك الدنيا وهي فانية كالحسنة في حقه جوزي
بمثلها عدلا وباضعافها فضلا فيقول اي الرجل اتسخر بفتح الخاء اي تستهزئ بي او تضحك مني شك من الراوي
وانت الملك اي والحال انك الملك القدوس الجليل فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بضحك حتى بدت اي ظهرت نواجذه اي اواخر اضراسه وكان يقال الظاهر ان هذا كلام عمران او من
بعده من الرواة فالمعنى وكان يقول الصحابة والسلف ذلك ادنى اهل الجنة منزلة متفق عليه
وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر اهل الجنة دخولا
الجنة اي فيها واخر اهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا بكسر الهمزة
دا الراي اي اظهروا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها اي بمحوها باخفائها فيعرض عليه صغار ذنوبه
فيقال عملت يوم كذا وكذا اي في الوقت الفلاني كذا وكذا اي من عمل السيئات وعملت يوم كذا وكذا
وكذا اي من ترك الطاعات فيقول نعم اي في كل منها او بعدها جميعها لا يستطيع ان ينكر
اي شيئا منها استثناء فقال وهو اي الرجل مشفق اي خائف من كبار ذنوبه ان تعرض اي تلك
الكبائر عليه ان العذاب المترتب عليها اكبر واكثر فيقال له فان لك مكان كل سيئة حسنة وهو

نهم

انما لكونه تائبا الى الله وقد قال تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات لكن يشكل بانه كيف يكون اخر اهل النار خروجا ويمكن ان يقال تعمل بعد التوبة ذنوبا
استحق بها العقاب واما وقع التبديل من باب التفضل من رب الارباب ولما ظهر ذلك
انه حينئذ يطمع في كرم الله سبحانه فيقول رب قد عملت اشياء من الكبائر لا اراها ههنا اي في
الصحائف او في مقام التبديل فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه
رواه مسلم وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار اربعة قال ابن الملك
هم الاخرون منها فيعرضون على الله ثم يؤمر بهم الى النار فيلتفت احدهم فيقول اي رب لقد رجوت
اذا اخرجتني منها ان لا تعيدني فيها قال فينجيه بالتخفيف ويشدد اي فيخلصه الله منها رواه
مسلم قال الطيبي ولعل هذا الخروج والله اعلم بعد الورود المعني بقوله تعالى وان منكم الا واردها
وقيل معنى الا فادرها وقيل معنى الورود الدخول فيه ونجي خامدة فيعبرها المؤمن وتنهار
بغيرهم والى هذا اشار بقوله في الحديث الذي يليه وهو قوله وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة
والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا قد ذكر من الاربعة واحدا وحكم
عليه بالنجاة وترك الثلاثة اعتمادا على المذكور لان العلة متحققة في الاخراج من النار والنجاة
منها ولان الكافر لا اخراج له البتة فيدخل مرة اخرى ولهذا قال حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول
الجنة قال ونحوه في الاسلوب وهو ان يذكر واحدا ويذكر بعضه ويترك بعضه قوله تعالى فيه ايات
بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا جمع الايات وفسرها بشيئين احدهما قوله مقام
ابراهيم وثانيهما ومن دخله كان امنا الكشاف ذكرهما ثنتان الايات وطوي ذكر غيرهما
دلالة على تكاثر الايات ونحوه في طي الذكر قول جرير
كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها
هذا وضبط قوله يخلص المؤمنون بصيغة المجهول مخففا من الاخلاص وفي نسخة بالتشديد
من التخليص وفي اخرى بفتح الياء وضم اللام من الخلاص وفي النهاية خلص سلم ونجا ثم المراد بالقنطرة
الصراط الممدود والمظالم جمع مظلمة بكسر اللام وهي ما تطلبه عند الظالم مما اخذه منك وقوله
ونقوا من التنقية عطف تفسيري لهذبوا بصيغة المجهول من التهذيب فوالذي نفس محمد
بيده لاحدهم اي من اهل الجنة اهدى بمنزله اي الى منزله فالباء بمعنى الى او بمعنى في الموحد
كقوله تعالى وقد احسن بي اي الي فالمعنى اعرف واكثر هداية اي منزلته في الجنة منه بمنزله
كان له في الدنيا وقال الطيبي هدى لا يتعدى بالباء بل بالى واللام ولعل الوجه ان يضمن معنى
اللصوق اي الصق بمنزله هاديا اليه وفي معناه قوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم تجري من
تحتهم الانهار بيان له وتفسير لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها رواه البخاري
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل احد الجنة
الا اري بصيغة المجهول من الاراءة وقوله مقعده بالنصب مفعول ثان له وقوله من
النار بيان للمقعد لو اساء اي لو اساء وعصى فرضا وتقديرا لكان ذلك مقعده ليزداد
شكرا على الارب ويحتمل ان يكون الاراءة في القبر على ما يشهد له بعض الاحاديث ويحتمل ان يكون
يوم القيمة على ما هو الظاهر المتبادر من هذا الحديث والله اعلم ولا يدخل النار احد الا اري
مقعده من الجنة لو احسن اي لو امن والجواب مقدر على ما سبق اي لو بان الموضعين للتمني
ليكون اي الاراءة ولكونه مصدرا ذكر فعله حسرة بالنصب على الخبرية وفي نسخة بالرفع
على ان كان تامة اي ليقع عليه حسرة وندامة وملامة يوم القيمة رواه البخاري وعن ابن عمر

لو اساء ثم

رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل
النار الى النار جيء بالموت اي احضر به وزيد في رواية يؤتى به على صورة كبش املح ليتيقنوا غاية
اليقين والعرفان حتى يجعل اي يوقف بين الجنة والنار ثم يذبح قال العسقلاني والحكمة فيه الاشارة
الى انه حصل لهم الفدا كما فدي ولد ابراهيم بالكبش وفي الاملح اشارة الى صفتي اهل الجنة والنار
لان الاملح ما فيه بياض وسواد ثم ينادي مناد يا اهل الجنة لا موت اي ابدا بل خلود بلا موت كما
في رواية ويا اهل النار لا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم
بضم الحاء وسكون الزاي ويجوز فتحهما وبهما قرئ في السبعة قال التوربشتي المراد منه ان يمثل
لهم على المثال الذي ذكر في غير هذه الرواية يؤتى بكبش له غير الحديث وذلك ليشهدوه
باعينهم فضلا ان يدركوه ببصائرهم والمعاني اذا ارتفعت عن مدارك الافهام واستعلت
عن معارج النفوس لكبر شانها صيغت لها قوالب من عالم الحس حتى يتصور في القلوب
وتستقر في النفوس ثم ان المعاني في الدار الاخرة تنكشف للناظرين انكشاف الصور في هذه
الدار الفانية واما ان الحيوانات الذين لا اقدام في سبيل لا معلم لها لا حد من الانام فاكتفينا
بالمروي عن الامام متفق عليه انتهى والله اعلم

الفصل الثاني

عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حوضي من عدن بفتحتين وهو بلد بطرف اخر بلاد اليمن مما يلي
بحر الهند الى عمان البلقا بضم العين المهملة وتشديد الميم وقاف ممدودة قال الطيبي عمان
مدينة بالشام وفي شرح السنة موضع بالشام وبضم العين وتخفيف الميم موضع بالبحرين
قلت لكن الاصول المعتمدة والنسخ المصححة اجتمعت على الضبط الاول فهو الموضع
ثم الظاهر ان البلقا مدينة بالشام وعمان موضع بها وانما اضيف لقربها اليها على ما اشار اليه
العسقلاني والمعنى مقدار سعة حوضي في العمق كما بين الموضعين في البعد ثم اعلم
ان اختلاف الاحاديث في تقدير الحوض كحديث انس ما بين ايلة وصنعا وحديث ابن عمر كما بين
جربا واذرح وحديث ابن عمرو مسيرة شهرين وحديث حارثة بن وهب كما بين صنعا والمدينة
ونحو ذلك مبني على ان المقصود تصوير كثرة طوله وعرضه لا تبيين قدره بعينه وحمل ورد
الحديث في كل مقام بما يوافق ادراكات مع ذي المرام ولا يبعد ان يختلف باختلاف مذهب الناس
ومشرب الواردين وسعة صدورهم وخداقتهم كاختلاف سعة القبر ومنازل الجنة بالنسبة
الى الكل والله اعلم ماؤه اشد بياضا من اللبن فيه ايماء الى ان البياض هو اللون المحبوب
خلافا لما اختاره بعض من اللون الاصفر بمقتضى طبعه المقلوب واغرب منه انه سيكون الى التغير
شغفت نفسه بهم المحرم الى لون السواد مع انه مما يغم الفؤاد ويورث الفواد للكبار واحلى من العسل
اي انه منه مع ما فيه من الشفا للحب ودفعه اشفا لا ما منه شرب الخمر لما فيه من الحرارة مع قطع
النظر عما يترتب على شربه من الغفلات واكوابه جمع كوب وهو الكوز الذي لا عروة له على ما في
الشرح او لا خرطوم له على ما في القاموس عدد نجوم السما بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي
عدد اكوابه عدد نجوم السما وفي بعض النسخ بالنصب على نزع الخافض وهو الاظهر اي بعدد
نجوم السما من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا فيه ايما الى التفاوت في مراتب الشربين واختلاف
رفع ظما الواردين اول الناس ورودا اي عليه فقرا المهاجرين اي لتعطشهم الظاهري
والمعنوي وقد قال صلى الله عليه وسلم اجوعكم في الدنيا اشبعكم في الاخرة وعلى قياسه اظماكم
وقال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية والمراد من المهاجرين الذين هاجروا
من مكة الى المدينة وهو صلى الله عليه وسلم سيدهم وفي معناهم كل من هجر وطنه لامتثال
امر الله سبحانه وتعالى واختار الفقر على الغنى والخمول على الشهرة وزهد في تحصيل المال

والجاه

ثوبان ... رضي الله تعالى عنه

والجاه واشتغل بالعلم والعمل برضا مولاه الشعث بضم الشين المعجمة وسكون العين المهملة جمع اشعث
بالمثلثة اي المتفرق الشعر رؤسا تمييز والراس قد يتناول الوجه فيدخل اللحية في شعر الراس من هذا الوجه
الدنس بضم الدال والنون وتسكن جمع الدنس وهو الوسخ ثيابا الذين لا ينكحون بصيغة المجهول
وفي نسخة بفتح الناء وكسر الكاف اي الذين لا يتزوجون المتنعمات لتركهم الشهوات وزهدهم في اللذات
ولا يفتح لهم السدد بضم السين وفتح الدال الاولى المهملتين جمع سدة وهي باب الدار سمي بذلك
لان المدخل يسد به والمعنى لو دقوا على باب ارباب الدنيا فرضا وتقديرا لا يفتح لهم ولا يبوب بهم
او هو كناية عن عدم الالتفات اليهم في الضيف وتعدد انواع الدعوة حيث لم يدعوهم الى مقامهم ولم
يتباركوا باقدامهم رواه احمد والترمذي وابن ماجه وكذا الحاكم وقال الترمذي هذا حديث غريب
وعن زيد بن ارقم قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلا فقال
ما انتم اي ايها الصحابة الحاضرون جزء بالرفع في اصل السيد وكثير من النسخ وفي نسخة بالنصب
من مائة الف جزء ممن يرد علي الحوض قال ابن الملك يجوز نصب جزء على لغة اهل الحجاز باعمال ما
واجرائه مجرى ليس ويجوز رفعه على لغة بني تميم يريد به كثرة من امن به وصدقه من الانس
والجن قيل كم كنتم يومئذ كم استفهامية مميزها محذوف نصب على انه خبر كان اي كم رجلا او عددا كنتم
حين اذ كنتم معه في السفر قال اي زيد بن ارقم سبعمائة بالنصب اي كنا وفي نسخة بالرفع
اي عددنا سبعمائة او ثمانمائة يحتمل الشك من الراوي عن زيد ويحتمل ان يكون بمعنى بل ويحتمل
التردد من زيد كما هو معروف في باب التخمين والمراد ان العدد ما بينهما لا ينقص عن الاول ولا يزيد
على الثاني والله اعلم رواه ابو داود وعن سمرة اي ابن جندب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا اي يشرب امته من حوضه وانهم اي الانبياء ليتباهون بفتح الهاء
اي يتفاخرون ايهم اكثر واردة اي ناظرين ايهم اكثر امة واردة ذكره الطيبي وقيل ايهم موصول
صدر صلتها محذوف او مبتدا وخبر كما تقول بين العلما ايهم اكثر علما اي قائلين واني لارجو
ان اكون اكثرهم واردة ولعل هذا الرجاء قبل ان يعلم ان امته ثمانون صفا وباقي الامم
اربعون في الجنة على ما سبق ثم الحوض على حقيقته المتبادر منه على ما في المعنى واغرب الطيبي
حيث قال يجوز ان يحمل على ظاهره فيدل على ان لكل نبي حوضا وان يحمل على المجاز ويراد به العلم
والهدى ونحوه ومنبري على حوضي يحوه وجد واليه يلمح قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من
الانبياء الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي
فارجو ان اكون اكثرهم تبعا يوم القيمة قلت هذا المعنى لا ينافي الحوض الحسي الذي
هو مبني على مراتب الواردة بقدر اخذ الفيض من العلم والهدى الذي حصل لهم من جهة انبيائهم
بل اقول لا بد في التفاوت بين ما كل حوض في الصفة والزوار للقلة والكثرة بحسب اختيار
مذهبهم ونوع منوالهم فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم رواه الترمذي
وقال هذا حديث غريب وعن انس رضي الله تعالى عنه قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم
ان يشفع لي يوم القيمة اي الشفاعة الخاصة من بين هذه الامة دون الشفاعة العامة
فقال انا فاعل قلت يا رسول الله فاين اطلبك قال الطيبي اي في اي موطن من المواطن التي
احتاج الى شفاعتك اطلبك لتخلصني من تلك الورطة فاجاب على الصراط وعند الميزان
والحوض اي انفرادا فان في الاشعار بهذه المواطن قال قلت كيف التوفيق بين هذا
الحديث وحديث عائشة في الفصل الثاني من باب الحساب فهل تذكرون اهليكم يوم القيمة
فقال صلى الله عليه وسلم اما في ثلاثة مواطن فلا يذكر احد احدا قلت جوابه ان الغاية
بذلك في الانكار على كون حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوابه لا نسب بل التناسب اقول

اي لا يزوجون لتطفلوا [illegible] بنت الغني مم [illegible] نسخه

في انه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو محل الاشكال ايضا اذ الياس غير ملايم لها ايضا
فالاوجه ان يقال ان الحديث الاول محمول على الغائبين فلا احد يذكر احدا من اهله الغيب
والثاني محمول على من حضر من امته فيقول بين عموم التذكر في وجود الشفاعة عند المختصر
كما يدل عليه قوله فاين اطلبك قال اطلبني اول ما تطلبني اي في اول طلبك اياي على الصراط
فما مصدرية واول نصب على الظرفية قال الطيبي نصبه على المصدر قلت فان لم القك على
الصراط قال فاطلبني عند الميزان فيه ابتداء بالميزان بعد الصراط قلت فان لم القك عند
الميزان قال فاطلبني عند الحوض فاني لا اخطئ بضم همز وكسر طا بعدها همز اي لا اتجاوز هذه
الثلاث اي البقاع وفي نسخة هذه الثلاثة بالتاء اي المواطن والمعنى لا اتجاوزهن ولا احد
يفقدني فيهن جميعهن فلا بد ان تلقاني في موضع منها وقد استشكل كون الحوض بعد الصراط
لما ثبت في حديث الباب ان جماعة يردون عن الحوض بعد ان كادوا يردون ويذهب بهم
الى النار ووجه الاشكال ان الذي يمر على الصراط الى الحوض يكون قد نجا من النار فكيف
يرد اليها ويمكن ان يحمل على انهم يقربون من الحوض بحيث يرونه فيدفعون في النار قبل ان يخلصوا
من الصراط كذا حققه الشيخ ابن حجر العسقلاني رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب
وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قيل له ما المقام المحمود
اي الذي وعد به في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال ذلك يوم بالرفع والتنوين
على الرواية الصحيحة على ما صرح به جمع من علمائنا ويجوز فتحه وهو خبر ذلك على التقديرين اما
على الثاني فظاهر واما على الاول فتقديره ذلك اليوم الذي ابلغ فيه المقام المحمود يوم ينزل الله
تعالى على كرسيه يمكن ان يكون كناية عن حكمه بالعدل في يوم الفصل لاظهار الفضل المترتب
على شفاعته صلى الله عليه وسلم اشعارا لمزيد فضله على خلقه فكانه لولاه لما خلق الافلاك
ولما وجد الاملاك فكذا لولاه اخر الوقت الانام في الهلاك فهو الاول والاخر والظاهر والباطن
وهو مظهر الكمال المعرفية بانه مظهر الجامع الاسمي بالله وفي الهدى على طريقة الاستعارة التمثيلية
كما اشار اليه القاضي بقوله مثل التجلي لعباده بنعت العظمة والكبرياء والاقبال عليهم للعدل
والقضاء وفاء المقربين منهم على حسب مراتبهم وكشف الحجاب فيما بينه وبينهم بنزول السلطان
من غرف القصر الى صدر الدار وجلوسه على كرسيه للحكومة والقصد واقامة خواصه واهل كرامته
حواليه قداما ووراء ويمينا وشمالا على تفاوت مراتبهم لديه وقيل معنى نزول الله تعالى
على كرسيه ظهور مملكته وحكمته محسوسا وقيل معناه التجلي له بنعت العظمة والاقبال بوصف
الكبرياء في اليوم الموعود حتى يتقضى يوم احتمال ما اتعسيه من ذلك ونعدم لم يتعد عن
الحق لما فيه كشف الحجاب [illegible] معارج الجلال في مدارج الجمال فيئط بكسر
الهمزة وتشديد الطاء اي يصوت الكرسي كما يئط الرحل اي الاكاف الجديد اي بسبب ركوب
راكبه اذا كان عظيما قال الطيبي وهو مبالغة وتصوير لعظمة التجلي على طريق الترشيح من تضايقه
متعلق بقوله فيئط اي من عدم اتساع الكرسي بالله تعالى كذا قاله شارح وقيل اي من تضايق
الكرسي بملائكة الله وهذا تمثيل عن كثرة الملائكة الحافين حول عرشه ويجاء بكم حفاة عراة غرلا
وهو كسعة ما بين السماء والارض بفتح سين سعة وبكسرها وفي نسخة بسعة ما بين السماء
والارض في القاموس وسعه الشيء بالكسر يسعه كيضعه سعة كدعة ودية وفي المغرب
يقال وسع الشيء المكان ومعناه وسعه المكان ذلك اذا لم يضق عنه والجملة حال والضمير
راجع الى الكرسي اي والحال ان الكرسي يسع ما بين السماء والارض اشارة الى قوله تعالى وسع
كرسيه السموات والارض لكن جاء في الحديث ان الارض بجنب السماء كحلقة في فلاة وهذا كل سماء

بالنسبة

بالنسبة الى ما فوقها والسموات السبع والارضين عند الكرسي كحلقة في فلاة وكذا هو في جنب
العرش قال الطيبي قوله وهو يسعه حال ومعترضة جيء بها لتوهم من يتوهم ان اطيط الكرسي
للضيق بسبب تشبيهه بالرحل في الاطيط ويجاء بكم حفاة عراة غرلا اي غير مختونين في هذه
الحالات فيكون اول من يكسى ابراهيم برفعه وبنصب اول وفي نسخة بعكسه قال الطيبي
في الاول فيه تقديم وتأخير كقوله تعالى ان خير من استأجرت القوي الامين يقول الله تعالى
استيناف بيان اكسوا بضم الهمزة والسين امر للملائكة اي البسوا خليلي فيؤتى بريطتين
بيضاوين من رياط الجنة بكسر الراء جمع ريطة بفتحها وهي الملاءة الرقيقة اللينة لكنها لا تكون
لفقتين بل تكون قطعة واحدة يؤتى بهما من اكرام ثم اكسى بصيغة المفعول اي البس على
اثره بفتحتين وبكسر فسكون اي عقب ابراهيم وبعده ثم اقوم عن يمين الله اي مقام كرامته
مقاما يغبطني بكسر الموحدة اي يتمناه الاولون والاخرون فان قيل كيف وجه المطابقة
بين السؤال والجواب اجيب بان الدال على الجواب هو قوله ثم اقوم عن يمين الله لكنه
صلى الله عليه وسلم ذكر اولا الوقت الذي يكون فيه المقام المحمود ووصفه بما يكون فيه من الاهوال
ليكون اعظم من النفوس موقعا ثم اشار الى الجواب بقوله ثم اقوم عن يمين الله وحاصل الجواب
ان المقام المحمود هو المقام الذي اقوم فيه عن يمين الله يوم القيمة قال الطيبي وفي الحديث
دلالة ظاهرة على تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على ما سوى الله تعالى من الموجودات وحيازته
قصب السبق من بين السابق واللاحق من الملائكة والثقلين وكفى به شهيدا على ان
الملك الاعظم اذا ضرب سرادق الجلال لفصل القضاء بين العباد وجمع اساطين دولته واشراف
مملكته وجلس على سرير ملكه لا يخفى ان يكون عن يمينه هو اولى القرب واما كسوة ابراهيم عليه
السلام قبله صلى الله عليه وسلم فلا يدل على تفضيله عليه بل على فضله وانه اول من كسوته
مثل من يغبط الاولون والاخرون اظهارا لفضله وكرامته ومكانته وتحقيق قوله تعالى ان ابراهيم
كان امة قانتا لله حنيفا الى قوله ثم اوحينا اليك الاية الكشاف في ثم هذه ما فيها من تعظيم
منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله من
الكرامة واجل ما اولي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل انها دلت على
تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله تعالى عليه بها انتهى وقيل
لا يلزم منه التفضيلة المطلقة ويمكن ان يقال لا يبعد ان النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الى النور
بان المتكلم لا يدخل في عموم خطابه قلت هذا غفلة من القائل عن تصريح قوله ثم اكسى
على اثره ويمكن ان يقال بان نبينا صلى الله عليه وسلم انما جيء به كاسيا وانما اكسى ثانيا الكرامة
بخلاف غيره فانه كسي للعري اقول وهذا مستبعد جدا بل الظاهر انهم يبعثون عراة ثم يخلق لهم
الكفان فيلبسونها ثم يخلع الله تعالى على من يشاء من عباده ولما كان الخليل افضل الانبياء عليهم
السلام ابتدي به ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل ختم به واقيم عن يمين الرحمن
مع انه قد يكون الامر ترقيا على ان ابراهيم كان جده عليه السلام ومتبوعه في بعض المقام مع
مراعات كونه اول من عري في ذات الله حين اراد والقاه في النار فيما ذكرنا اما ان الخليل عن
سائر الانبياء باعطاء الخلعة على طريقة الابتداء او تبيين مقام نبينا صلى الله عليه وسلم
في الانتهاء والله سبحانه اعلم رواه الدارمي وعن المغيرة بن شعبة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم شعار المؤمنين بكسر الشين المعجمة اي علامتهم التي يتعارفون بها [illegible]
كل امة برسولهم فقولهم يوم القيمة على الصراط رب سلم سلم والتكرار للالحاح او المراد به
التكثير ويمكن ان يكون شعار المؤمنين قول الانبياء في حقهم هذا الدعاء ويؤيده ما رواه الطبراني

عن ابن عمر وسعادة امتي اذا دخلوا في الصراط بلا اله الا انت ويمكن الجمع بان هذا من خصوصيات هذه
الامة والاول لسائر الامم والاظهر ان قوله رب سلم سلم انما هو من شعار المؤمنين الكاملين
من العلماء العاملين والشهداء الصالحين ممن لهم مقام الشفاعة تبعا للانبياء والمرسلين
رواه الترمذي وكذا الحاكم وقال اي الترمذي هذا حديث غريب وروى ابن مردويه عن انس
مرفوعا شعار المؤمنين يوم القيمة في ظلم القيمة لا اله الا انت وعن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال شفاعتي لاهل الكبائر من امتي اي شفاعتي في العفو عن الكبائر من امتي خاصة
دون غيرهم من الامم وقال الطيبي اي شفاعتي التي تنجي الهالكين مختصة باهل الكبائر وفي
شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض مذهب اهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها
سمعا بصريح قوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا
وقد جاءت في الاثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الاخرة واجمع السلف
الصالح ومن بعدهم من اهل السنة عليها ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها وتعلقوا
لمذاهبهم في تخليد المؤمنين في النار بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وبقوله سبحانه
ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع واجيب بان الايتين في الكفار والمراد بالظلم
الشرك واما تاويلهم احاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل والفاظ الاحاديث
في الكتاب وغيره مصرحة في بطلان مذهبهم واخراج من استوجب النار لكن الشفاعة هذا
الحديث حيث لا معنى لزيادة الدرجات في الجنة لاصحاب الكبائر الذين هم في ذمتهم من اهل الخلود
في النار قال والشفاعة خمسة اقسام اولها مختصة بنبينا صلى الله عليه وسلم وهي الاراحة
من هول الموقف وتعجيل الحساب الثانية في ادخال قوم الجنة بغير حساب وهذه ايضا وردت
في نبينا صلى الله عليه وسلم الثالثة الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم
نبينا صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله تعالى الرابعة فيمن دخل النار من المذنبين فقد جاءت
الاحاديث باخراجهم من النار بشفاعة نبينا والملائكة واخوانهم من المؤمنين ثم يخرج الله تعالى
كل من قال لا اله الا الله الخامسة الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها وهذه لا ينكرها
ايضا رواه الترمذي وابو داود عن انس ورواه ابن ماجه عن جابر وفي الجامع رواه احمد
وابو داود والترمذي وابن حبان والحاكم عن انس ورواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان
والحاكم عن جابر ورواه الطبراني عن ابن عباس والخطيب عن ابن عمر وعن كعب بن عجرة وفي رواية
للخطيب عن ابي الدرداء شفاعتي لاهل الذنوب من امتي وان زنى وان سرق على رغم انف ابي الدرداء
وفي رواية له عن علي شفاعتي لامتي من احب اهل بيتي وروى ابو نعيم في الحلية عن عبد الرحمن
ابن عوف شفاعتي مباحة الا لمن سب اصحابي وروى ابن منيع عن زيد بن ارقم وبضعة عشر
من الصحابة ولفظه شفاعتي يوم القيمة حق فمن لم يؤمن بها لم يكن من اهلها وعن عوف بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني آت اي ملك عظيم من عند ربي فخيرني
اي ربي والملك ان يدخل بفتح الياء وضم الخاء فيما في الاصول المعتمدة وفي نسخة صحيحة بصيغة
المجهول وفي اخرى بضم اوله وكسر الخاء على ان الفاعل هو الله او الملك مجازا فقوله نصف امتي
مرفوع على الاولين ومنصوب على الثالثة وقوله الجنة بالنصب على انه مفعول فيه كما في كلام من
الروايات وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة اي لانها الاجابة اكثرهم اليها وهي اي الشفاعة
لمن مات لا يشرك بالله شيئا واعلم انه تقرر في نسخة السيد جمال الدين المحدث ان تدخل بالتاء
المثناة من فوق على بناء الفاعل من الثلاثي المجرد ونصف بالرفع فيحتاج الى تكلف بان الى نفسه
ان يقال اكتسب التانيث من المضاف اليه وضبط بالتحتية ايضا يدخل من باب الافعال

على البناء للفاعل مخاطبا ويرده قوله نصف امتي والقول بالالتفات في مثل هذا مما لا يلتفت اليه
رواه الترمذي وابن ماجه وكذا ابن حبان عن عوف ورواه احمد عن ابي موسى وعن عبد الله بن ابي
الجدعاء بفتح الجيم وسكون الدال كذا في جامع الاصول وهكذا في النسخ المعتمدة وايضا نسب
الى العسقلاني لكنه في نسخة السيد بالذال المعجمة ويؤيده ما في التهذيب من انه بجيم مفتوحة
فدال مهملة ساكنة كنانى صحابي له حديثان تفرد بالرواية عنه عبد الله بن شقيق وعداده في البصريين
وقال المؤلف تميمي يذكر في الوحدان روى عنه عبد الله بن شقيق قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول يدخل الجنة بشفاعة رجل اي واحد من امتي اكثر من بني تميم وهو قبيلة
كبيرة قيل الرجل هو عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل اويس القرني وقيل غيره قال زين العرب
وهذا اقرب رواه الترمذي والدارمي وابن ماجه وعن ابي سعيد اي الخدري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان من امتي اي بعض افرادهم من العلماء والشهداء والصلحاء من يشفع
للفئام بكسر الفاء بعده همزة وقد يبدل قال الجوهري هي الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه والعامة
تقول فيام بلا همز قلت الاظهر ان يقال معنى الفئام القبائل بل هو في المعنى جمع بقرينة
لقوله ومنهم من يشفع للقبيلة وهي قوم كثير جدهم واحد ومنهم من يشفع للعصبة بضم
فسكون وهم ما بين العشرة الى الاربعين من الرجال لا واحد لها من لفظه والاظهر ان المراد بها
جمع قليل ليناسب قوله ومنهم من يشفع للرجل ويمكن ان يقال طوى ما بين العصبة والرجل لما
يدل عليه الرجل بالبرهان الجلي كما يدل على المرأة بالقياس الخفي حتى يدخلوا اي الامة كلهم الجنة قال
الطيبي حتى هنا لان يكون غاية يشفع والضمير لجميع الامة اي ينتهي شفاعتهم الى ان يدخلوا جميعهم
الجنة ويجوز ان يكون بمعنى كي فالمعنى ان الشفاعة لدخول الجنة رواه الترمذي
اي وحسنه على ما نقله عنه السيد وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله عز وجل وعدني ان يدخل الجنة من امتي اربعمائة الف بلا حساب اي ولا كتاب
ولا مناقشة عذاب فقال ابو بكر زدنا يا رسول الله اي زدنا في الاخبار عما وعدك ربك ادخاله
امتك الجنة بشفاعتك يدل على هذا التاويل حديث ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول وعدني ربي ان يدخل الجنة من امتي سبعين الفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل
الف سبعون الفا وثلاث حثيات من حثيات ربي كذا ذكره الطيبي وهو مستحسن جدا لان
الذي قبله يشفع عنك لا دلالة للكلام عليه والظاهر ان هؤلاء يدخلون الجنة من غير شفاعة له
مخصوصة وان كانوا داخلين في الشفاعة العامة هذا وفي قوله زدنا دليل على انه صلى الله
عليه وسلم له مدخل ومجال في الامور الاخروية في التصرفات الربوبية حسب ما اولاه مولاه
من المرتبة الجليلة والمرتبة العلية فقال اي النبي هكذا اي وفعل هكذا وتفسيره فحثى بكفيه
وجمعهما فقال ابو بكر زدنا يا رسول الله فقال وهكذا اي فحثى بكفيه وجمعهما والظاهر
ان هذا حكاية لفعله سبحانه وكذا قال الشراح انما ضرب المثل بالحثيات لان شأن المعطي الكريم
اذا استزيد ان يحثي بكفيه من غير حساب وربما ناوله ملء كفه فتمثيل كناية عن المبالغة في الكثرة
والا فلا كف ولا حثا فقال عمر دعنا يا ابا بكر اي اتركنا على ما بين لنا الحال بطريق الاجمال لنكون
بين الخوف والرجاء على وجه الاعتدال فقال ابو بكر وما عليك اي باس وضرر ان يدخلنا الله كلنا
اي جميعنا وهو تاكيد للضمير في يدخلنا الجنة فقال عمر ان الله عز وجل اي بعد التنزل زيادة على ما انتز
على ما هو المعتقد بالمنقول والمعقول وهو ان الله عز وجل ان شاء ان يدخل خلقه الجنة اي جميع
مخلوقاته من الجن والانس مؤمنهم وكافرهم ومطيعهم وفاجرهم بكف واحد اي بمرتبة واحدة فعل
لا قال سبحانه ولو شاء لهداكم اجمعين ولكن الله يفعل ما يريد فيدار دبكى واحد عطاء وتفضلا

اي لو اراد ان يدخل كلهم بفضل رحمته تعالى فانها اوسع من ذلك هذا واكتفى بما في القاموس كما ليدل
في الكوع وجعلها صاحب المغرب من المؤنثات السماعية وعدها ابن الحاجب ايضا في رسالة مما يجب
تأنيثه فنقول بكف واحد مؤول بعطاء واحدا و بمقبوض واحد فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق
عمر قال التوربشتي وانما يجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر بمثل كلام عمر رضي الله عنهما
لانه وجد للبشارات مدخلا عظيما في توجه النفوس القدسية فان يجتهد في خلقه من عذابه للشفاعة
ان تعين الفوج بعد الفوج والقبيل بعد القبيل ثم تخلص من نفر عنه بشفاعة الشافعين
بفضل رحمته وهم الذين سلم لهم الايمان ولم يعملوا خيرا قط على ما نبين في الحديث قال بعض
العارفين ما ذهب اليه ابو بكر هو من باب التضرع والمسكنة وما ذهب اليه عمر من باب
التفويض والتسليم انزل التسليم اتم والله اعلم رواه اي صاحب المصابيح في شرح السنة
اي باسناده ورواه احمد في مسنده على ما ذكره السيد وعنه اي عن انس رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف بضم وفتح وتشديد فاء اي يجعل صفا وفي نسخة
بفتح فضم اي يصير صفا اهل النار اي من عصاة المؤمنين والفجار في طريق اهل الجنة من علماء
الاخيار والصلحاء الابرار على هيئة المساكين السائلين في طريق الاغنياء في هذه الدار فيمر بهم
الرجل من اهل الجنة فيقول الرجل منهم اي من اهل النار يا فلان كن في غرابه اما تعرفني انا
الذي سقيتك شربة اي من ماء ولبن او نحوهما وقال بعضهم انا الذي وهبت لك وضوءا بفتح الواو
اي ماء وضوء وعلى هذا القياس من لقمة او خرقة او نوع اعانة او جنس عطية كلية او جزئية ولو بشق
تمرة او كلمة طيبة فان التنوين يتعلق بكل حسنتين فيشفع له اي ذلك الصالح فيدخله الجنة
اي يصير سببا لدخوله اياها او المعنى فيدخله معه الجنة والله اعلم فان المظهر فيه تحريض على الاحسان
الى المسلمين لاسيما مع الصلحاء والمجالسة معهم ومحبتهم فان محبتهم زين في الدنيا ونور في العقبى
رواه ابن ماجه وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما اي تضرعهما واستغاثتهما فقال الرب تعالى اي للزبانية
اخرجوهما فقال لهما لاي شيء اشتد صياحكما اي بعد ما كنتما ساكتين عامدين قالا فعلنا ذلك
اي اشتداد الصياح لترحمنا اي فانك تحب من يتضرع اليك قال فان رحمتي لكما ان تنطلقا اي تذهبا
فتلقيا انفسكما حيث كنتما من النار فيه ايماء الى ان مجرد التضرع الظاهري لا يفيد الرحمة بدون
الانقياد الباطني وكذا قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين قال الطيبي قوله ان تنطلقا فتلقيا
خبر ان فان قلت كيف يجوز حمل الانطلاق الى النار والقاء النفس فيها على الرحمة قلت
هذا من حمل السبب على المسبب وتحقيقه انهما فرطا في جنب الله وتفريطهما في العاجلة في امتثال
امره اثرا هنالك بالامتثال في القاء انفسهما في النار ايذانا بان الرحمة انما هي على امتثال امر الله
عزوجل فيلقي احدهما نفسه اي في النار فيجعلها الله عليه بردا وسلاما اي كما جعلها بردا وسلاما
على ابراهيم ويقوم الاخر اي يتوقف فلا يلقي نفسه فيقول له الرب تعالى ما منعك ان تلقي نفسك
اي من التابعة في النار كما القى صاحبك اي كالقائه فيها فيقول رب اني لارجو ان لا تعيدني فيها
بعدما اخرجتني منها فالاول لعله يخوف والعهد ان سبق عذابا لعهد والاخر فيقول له الرب
تعالى لك رجاؤك اي مقتضاه ونتيجته كما ان لصاحبك خوفه وعمله بموجبه فيدخلان بصيغة
المفعول اي فيدخلهما الله جميعا الجنة برحمة الله اي المرتبة على العمل والمعرفة رواه الترمذي وعن
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد الناس النار
يرد على وزن يعد مضارع من الورود وجمعه الحضور فيقال وردت مكان كذا اي حضرته وانما سماه ورودا
لان المار على الصراط يشهدها ويحضرها وعلى هذا يؤول قوله تعالى وان منكم الا واردها

وفيه

وفيه ايماء الى انهم حينئذ في العطش الشديد وان مرورهم على الصراط الموصول الى الحوض المورود وقال
التوربشتي الورود لغة قصد الماء ثم يستعمل في غيره والمراد منه هنا الجواز على جسر جهنم ثم يصدرون
منها بعملهم اي ينصرفون عنها قال الصدر اذا عدي بعن اقتضى الانصراف وهذا على الاتساع ومعناه
النجاة اذ ليس هناك انصراف وانما هو المرور عليها فوضع الصدر موضع النجاة لما بينهما من المناسبة التي بين الصدر
والورود قال الطيبي ثم في ثم يصدرون منها في قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فيها انها للتراخي
في الرتبة لا الزمان بين الله تعالى التفاوت بين ورود الناس النار وبين نجاة المتقين فيها وكذلك
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم التفاوت بين ورود الناس النار وبين صدورهم منها على ان
المراد بالصدور الانصراف انتهى والخلاصة ان الخلق بعد شروعهم في الورود يتخلصون
من خوف النار وحر هذه زينتها وتملا منفعة لهبها ودخانها وتعلق اشواكها وامثالها على مراتب
شتى في سرعة المجاوزة وابطائها باعمالهم اي بحسب مراتب اعمالهم الصالحة فاولهم اي اسبقهم
كلمح البرق اي الخاطف ثم كالريح اي العاصف ثم كحضر الفرس اي جريه وهو بضم الحاء وسكون الضاد
العدو الشديد ثم كالراكب في رحله اي على راحلته وعداه بفي لتمكنه من السير كذا قاله الطيبي
وقيل اراد الراكب في منزله وماواه فانه يكون حينئذ الستير والسرعة اشد كشد الرجل اي
عدوه وجريه ثم كمشيه اي كمشي الرجل على هينته رواه الترمذي والدارمي انتهى والله اعلم
الفصل الثالث عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان امامكم بفتح الهمزة اي قدامكم يوم القيمة حوضي اي بعد الصراط ما بين جنبيه اي طرفيه كما بين
جربا بفتح جيم وسكون را ومرحلة ممدودة واذرح بفتح همزة وسكون ذال معجمة وضم را وبحاء مهملة
غير منصرفين قال بعض الرواة اي رواة هذا الحديث هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال
قال صاحب القاموس الجرباء قرية بجنب اذرح وغلط من قال بينهما ثلاثة ايام وانما الوهم من رواة
الحديث من اسقاط زيادة ذكرها الدارقطني وهي ما بين ناحيتي حوضي كما بين المدينة وجربا واذرح
وفي رواية فيه اي موضوع في اطرافه وعلى اجابه اباريق كنجوم السماء اي في الكثرة والضياء
من ورده فشرب منه اي شربة لم يظما بعدها اي بعد تلك الشربة وبعد الشرب وهو مصدر يذكر ويؤنث
ابدا اي دائما سرمدا فيكون شرب الاشربة في الجنة بعدها بناء على التلذذ والتفكه والتكيف بها
متفق عليه ورواه احمد والترمذي وابن ماجه عنه بلفظ الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب
ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب ريحا من المسك وماؤه احلى من العسل واشد بياضا
من اللبن وعن حذيفة وابي هريرة رضي الله تعالى عنهما قالا اي كلاهما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يجمع الله تبارك وتعالى الناس المراد بهم الخلق وخصوا بالذكر للتشريف فانهم
عمدة ارباب التكليف فيقوم المؤمنون اي الخواص من عموم الناس حين تزلف بضم التاء وسكون الزاي
وفتح اللام وبالفاء اي تقرب لهم الجنة ومنه قوله تعالى واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت
فياتون اي المؤمنون ادم والمراد منهم بعضهم الخواص من كل امة فيقولون يا ابانا استفتح لنا
الجنة اي اطلب فتح بابها حتى ندخلها فيقول وهل اخرجكم من الجنة الا خطيئة ابيكم اي وصاحب
الخطيئة لا يصلح للشفاعة بل هو محتاج بنفسه الى الضراعة وهذا معنى قوله لست بصاحب ذلك
اي ذلك المقام الذي اوردتموه من الشفاعة الكبرى والمرتبة العظمى المسماة بالمقام المحمود المخصوص
لصاحب اللواء المعقود اذهبوا الى ابني ابراهيم خليل الله اي فانه من افضل الرسل وجد خاتم الانبياء
فتقربوا اليه واعرضوا امركم عليه قال فيقول ابراهيم لست بصاحب ذلك اي المقام الموعود
والمرام المشهود انما كنت خليلا من وراء وراء بالفتح فيهما على ما في الاصول المعتمدة والنسخ المعتمدة
المصححة قال النووي المشهور الفتح فيهما بلا تنوين ويجوز في الترتيب بنا وهو على الضم قال ابو البقاء

الفصل الثالث عن ابن عمر

الصواب الضم فيهما لان تقديره من وراء ذلك قال ذا في الفتح قلت قال الشيخ ابو عبد الله الفتح
افتح وتكون الكلمة مركبة كشذر مذر وشغر بغر فبناؤها على الفتح وان ورد منصوبا منونا جاز
ذلك اعمدوا بكسر الميم اي اقصدوا الى موسى الذي كلمه الله تكليما اي بلا واسطة كتاب ومن غير
وراء حجاب قال صاحب التجريد وهذا ورد على سبيل التواضع اي لست بصدد تلك الدرجة
الرفيعة ومعناه ان المكارم التي اعطيتها كانت بواسطة سفارة جبريل عليه السلام ولكن ايتوا
موسى عليه السلام فانه حصل له الكلام بغير واسطة قال وانما كرر وراء لان نبينا صلى الله
عليه وسلم حصل له السماع بغير واسطة وحصلت له الرؤية ايضا فكانه قال انا وراء الذي هو وراء
محمد صلى الله عليه وسلم فياتون موسى فيقول لست بصاحب ذلك اذهبوا الى عيسى كلمة
الله وروحه بالجر على البدلية ويجوز رفعهما ونصبهما على المدح فيقول عيسى لست بصاحب ذلكم
وحينئذ يتحصل الامر في نبينا خاتم الرسالة ومقدم الكل فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيه وضع
الظاهر موضع الضمير المتكلم على سبيل الالتفات او على طريق التجريد فيقوم اي عن يمين عرش
الرحمن ويستاذن بالشفاعة في نوع الانسان لازاحة كرب الموقف وعموم الاخراب
فيؤذن له فيشفع على ما سبق وترسل الامانة والرحم اي مصورتين كما تقدم فيقومان
بالتانيث على تغليب الامانة المتقدمة وبالتذكير على تغليب الرحم المذكر اي فيقفان او
فيحضران جنبتي الصراط بالفتحات اي طرفيه يمينا وشمالا كالبيان لما قبله ونصبهما على
البدلية او الظرفية فيمر اولكم التفات من الغيبة العامة الى الخطاب للحاجة كالبرق اي
في سرعة السير قال اي ابو هريرة قلت بابي انت وامي الباء للتعدية اي افديك بهما اي شيء
استفهام كمر البرق اي اي شيء شبيه به والمعنى في اي شيء تشبيهه بالبرق قال الم تروا الى البرق
كيف يمر اي سريعا ثم يرجع في طرفة عين ذكره على سبيل الاستطراد وعلى طريق التتميم للمعنى
المراد فيكون الجواب بانه يشبهه في سرعة السير كذا حققه الشراح وعندي ان التشبيه مركب
من سرعة المرور ومن ضيا الظهور ليجتمع نور على نور ويكون اشارة الى البدن والروح
والى الظاهر والباطن والى الكمية والكيفية وايضا المرور مذكور في كلام السايل ولا بد
في الجواب من امر زايد والله اعلم ثم الظاهر ان المراد بهم الانبياء ويحتمل ان يراد بهم الاصفيا من
هذه الامة وهم ارباب الجذبات الالهية ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال اي جريهم والرجال
اما جمع رجل او جمع راجل قال الطيبي قوله اي شيء كمر البرق اي ما الذي يشبهه من المارين بمر البرق
وقوله الم تروا الى البرق بيان لما شبهوا به بالبرق وهو سرعة اللمعان يعني سرعة مرورهم على الصراط
كسرعة لمعان البرق كانه اي السايل استبعد ان يكون في الانسان ما يشبه البرق في سرعته
فسال عن ذلك الامر هذا المشبه فاجاب بان ذلك غير مستبعد وليس بمستنكر اي يجعلهم
الله تعالى ذلك بسبب اعمالهم الحسنة الا ترى كيف اسند الجريان الى الاعمال في قوله تجري بهم
اعمالهم اي تجريهم وهي ملتبسة بهم كقوله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال ويجوز ان يكون
الباء للتعدية اي تجعلهم جارين ونبيكم قائم على الصراط يقول يا رب سلم سلم حتى تعجز اعمال
العباد متعلق بتجري والجملة قبله معترضة بيانية او حالية والمعنى تجري بهم اعمالهم حتى تعجز اعمالهم
عن الجريان بهم حتى يجيء الرجل بدل من قوله حتى تعجز وتوضيح له فلا يستطيع اي الرجل الضعيف عمله
وتقاعده عن السبق في الدنيا السير اي المرور على الصراط الا زحفا اي حبوا كما تقدم والله اعلم
قال اي النبي صلى الله عليه وسلم او ابو هريرة مرفوعا وفي حافتي الصراط بتخفيف الفاء اي جانبيه
كلاليب جمع كلوب معلقة مامورة باخذ اي بحبس من امرت به ولو روي بالبناء وفتح الهمزة وسكون
الحاء المصدر لكان له وجه وجيه فمخدوش اي فمنهم مجروح ناج اي من الوقوع في النار ومكردس في النار

بفتح

بفتح الدال المهملة وبالسين المهملة وقيل المعجمة وهو الذي جمعت يداه ورجلاه ثم القي في موضع كذا في
النهاية بالسين المهملة ثم قال والمكردس بمعجمة وفي نسخة بالمهملة اي مدفوع في النار وذكره في
النهاية ثم قال ويروى بالمعجمة من الكدش وهو السوق الشديد والكدش الطرد والجرح ايضا وفي
القاموس كدسه اي صرعه وبالمعجمة دفعه دفعا عنيفا والذي نفس ابي هريرة بيده هذا يوهم ان
يرجع ضمير قال اليه ثم هذا القسم اما موقوف عليه او مرفوع اليه صلى الله عليه وسلم ان قعر
جهنم لسبعين خريفا قال الدماميني ان مسافة السير اليه لسبعين خريفا وقال صاحب المغني
وجهه ان القعر مصدر قعرت البير اذا بلغت قعرها وسبعين ظرفه اي ان بلوغ قعرها يكون في سبعين
عاما وفي نسخة بالواو وهو ظاهر وفيه حذف اي مسافة قعر جهنم مسيرة سبعين خريفا
وفي معظم الاصول والروايات لسبعين باللام وهو صحيح ايضا على تقدير مسيرة سبعين
فحذف المضاف وترك المضاف اليه على اعرابه او يكون التقدير ان بلوغ قعر جهنم لكاين في سبعين
خريفا وسبعين ظرفا لمحذوف رواه مسلم وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار قوم بالشفاعة كانهم الثعارير بالمثلثة والعين
المهملة والرائين جمع ثعرور كعصفور قيل وما الثعارير قال انه على ما في نسخة صحيحة
وفي نسخة قال الضغابيس بضاد وغين معجمتين وموحدة وتحتية وسين مهملة جمع
ضغبوس في النهاية الثعارير هي القثاء الصغار شبهوا بها لان القثاء ينمي سريعا وقيل هي رؤوس
الطراثيث يكون بيضا شبهوا ببياضها واحدها طرثوث وهو نبت يوكل والضغابيس صغار القثاء
متفق عليه وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه بلا صرف ويصرف قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة اي ثلاثة اصناف من الاصفياء الانبياء ثم العلماء
اي العاملون ثم الشهداء اي المخلصون وفي العطف بثم دلالة مرجحة على تفضيل العلماء
على الشهداء كما يدل عليه ما رواه الشيرازي عن انس وابن عبد البر عن ابي الدرداء وابن الجوزي
في العلل عن النعمان بن بشير مرفوعا يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد
العلماء على دم الشهداء فضلا عن غيرهم رواه ابن ماجه وروى ابو داود عن ابي الدرداء مرفوعا
يشفع الشهيد في سبعين من اهل بيته انتهى والله اعلم

باب صفة الجنة واهلها

الجنة البستان من الشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه والتركيب دائر على معنى الستر في الجنة
والجنة والجنين والجنون ونحوها فكان الجنة لتكاثفها وتظللها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر
جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان
او لكونها مستورة عن اعين الانسان فيكون الايمان بالغيب لا بالعيان او لان الله تعالى
اخفى من قرة الاعين لاهلها الاعيان والله سبحانه اعلم الفصل الاول عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اعددت
اي هيات لعبادي الصالحين بفتح يا المتكلم ما لا عين رات قال الطيبي ما هنا اما موصولة او موصوفة
وعين وقعت في سياق النفي فافاد الاستغراق والمعنى ما رات العيون كلهن ولا عين واحدة منهن
والاسلوب من باب قوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع فيحتمل نفي الرؤية والعين
معا او نفي الرؤية فحسب اي لا رؤية ولا عين او لا رؤية وعلى الاول الغرض منه العين وانما ضمت
اليه الرؤية ليؤذن بان انتفاء الموصوف امر محقق لا نزاع فيه وبلغ في تحققه الى ان صار كالشاهد
على نفي الصفة وعكسه ولا اذن بضمتين ويسكن الذال سمعت ولا خطر اي وقع على قلب بشر
قال الطيبي هو من باب قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم اي لا قلب ولا خطور او لا خطور

تعليلا او للتبشير لهم قلب مخطر بحيث لا ينتفي الصفة وينتفي انتفاء الذات اذا لم يحصل ثمرة القلب وهو
الاخطار فلا قلب كقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فان قلت لم خص البشر هنا
دون القرينتين السابقتين قلت لانهم هم الذين ينتفعون بما اعد لهم ويهتمون بشانه
ويخطرون ببالهم بخلاف الملائكة والحديث كالتفصيل للاية فانها نفت العلم والحديث نفى طريق
حصوله واقرؤا ظاهره انه مرفوع ويؤيده العاطف والاظهر انه موقوف لقوله ان شئتم اي اردتم
الاستشهاد والاعتضاد فلا تعلم في محل النصب على انه مفعول اقرؤا والتقدير فلا تعلم نفس
اي منتفس من الملائكة وغيرهم ما اخفي لهم على قراءة الجمهور اخفي بتحريك الياء على البناء للمفعول وقرا
حمزة بسكونها على انه مضارع مسند للمتكلم ويؤيده قراءة ابن مسعود نخفي بنون العظمة وقرا
اخفي بفتح اوله والفاعل على البناء للفاعل وهو الله تعالى من قرة اعين الكشاف لا تعلم النفوس
كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله تعالى
لاولئك واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة
ولا مطمح وراءها وفي شرح السنة يقال اقر الله عينك اي ابرد الله دمعتها لان دمعة الفرح باردة
حكاه الاصمعي وقال غيره معناه بلغك الله امنيتك حتى ترضى به نفسك وتقر عينك فلا تستشرف
الى غيره قال الطيبي يعني هذا من القرة البرد وان اشتق من القرار وفي قوله اعددت دليل على ان الجنة
مخلوقة ويعضده سكنى ادم وحوا الجنة ومجيئها في القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام
كالنجم والثريا والكتاب ونحوها وذلك ان الجنة كانت تطلق على كل بستان ملتفة اغصان اشجارها
ثم غلبت على دار الثواب وانما قلنا اللاحقة بالاعلام لكونها غير لازمة للام وتحقيق القول
انها منقولة شرعية على سبيل التغليب وانما تغلب اذا كانت موجودة معهودة وكذلك اسم
النار منقولة لدار العقاب على سبيل الغلبة وان اشتملت على الزمهرير والمهل والضريع وغير
ذلك ولولا ذلك لما كان يغني عن طلب القصور والحور والولدان بالجنة ولا عن طلب الوقاية
من الزمهرير والمهل والضريع عن مطلق النار متفق عليه وكذا رواه احمد والترمذي وابن ماجه
عن ابي هريرة من غير قوله اقرؤا ان شئتم الى اخره على ما في الجامع فهو يؤيد كونه موقوفا وروى الطبراني
عن سهل بن سعد مرفوعا ولفظه ان في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
ورواه البزار والطبراني في الاوسط عن ابي سعيد ولفظه في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب احد وروى الطبراني عن ابن عباس مرفوعا قال لما خلق الله تعالى جنة عدن خلق فيها
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون هذا
وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني سبب هذا الحديث ان موسى عليه السلام سال ربه من اعظم اهل
الجنة منزلة فقال غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلا عين رأت الخ اخرجه مسلم والترمذي
انتهى ولا يخفى ان الضمير في ما اخفي لهم لقوم تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا
وطمعا ومما رزقناهم ينفقون والمراد المجتهدون او الاوابون ولما اخفوا اعمالهم عن اعين الناس
جوزوا باخفاء الله تعالى لهم ما اعد لهم من الاعلا جزاء وفاقا على حسب ما وفقوا من الامداد
والاسعاد وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم موضع سوط في الجنة اريد به قدر قليل منها وقيل مقدار موضعه فيها خير اي كمية وكيفية
من الدنيا وما فيها لان الجنة مع نعيمها باقية والدنيا مع ما فيها فانية قال ابن الملك سوى
كلام الله تعالى وصفاته وجميع انبيائه وغيرها مستثناة مما لا يخفى ثم قال وما هو باق
لا يوازنه ما هو في معرض الزوال قلت فلفظ خير لمجرد الزيادة وقال التوربشتي انما خص
السوط بالذكر لان من شان الراكب اذا اراد النزول في منزل ان يلقي سوطه قبل ان ينزل معلما

بذلك

بذلك المكان الذي يريده لئلا يسبقه اليه احد متفق عليه وفي الجامع رواه البخاري والترمذي
وابن ماجه عن سهل بن سعد والترمذي عن ابي هريرة فقول المؤلف متفق عليه محل بحث نوقف
بين وجهين وفي الجامع لقيد سوط احدكم من الجنة خير مما بين السماء والارض رواه احمد عن ابي
هريرة وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لغدوة اي مرة
من ذهاب اول النهار في سبيل الله او روحة اي مرة من رواح اخر النهار او اول
الليل واو للتنويع لا للشك بل للتنويع اي كل واحدة منهما في سبيل مرضاته من غزو او حج
او هجرة او طلب علم خير من الدنيا وما فيها اي جزاء وثوابا ومالا وما بالا ولو ان امرأة
من نساء اهل الجنة اطلعت بتشديد الطاء اي اشرفت ونظرت الى الارض لاضاءت ما بينهما
اي ما بين المشرق والمغرب او ما بين السماء والارض او ما بين الجنة والارض وهو الاظهر
لتحقق ذكرهما في العبارة صريحا ولملأت ما بينهما ريحا اي طيبا ولنصيفها كلام
مستأنف اي ولخمارها في راسها قيد به تحقيرا له بالنسبة الى الخمار المدلل جميعه خير من
الدنيا وما فيها اي تكيف الجنة نعمتها ومالها من نعيمها رواه البخاري وفي الجامع
لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها رواه احمد والشيخان وابن
ماجه عن انس والبخاري والترمذي والنسائي عن سهل بن سعد ومسلم وابن ماجه عن ابي
هريرة والترمذي عن ابن عباس ورواه احمد ومسلم والنسائي عن ابي ايوب مرفوعا ولفظه
لغدوة في سبيل الله او روحة خير مما طلعت عليه الشمس وغربت وروى الطبراني
والضياء عن سعيد بن عامر مرفوعا لو ان امرأة من نساء اهل الجنة اشرفت الى الارض
لملأت الارض من ريح المسك ولاذهبت ضوء الشمس والقمر وروى احمد والشيخان
والترمذي وابن ماجه عن انس بلفظ الغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا
وما فيها ولقاب قوس احدكم او موضعه في الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو اطلعت
امرأة من نساء اهل الجنة الى الارض لملأت ما بينهما ريحا ولاضاءت ما بينهما ولنصيفها على
راسها خير من الدنيا وما فيها والقد بكسر القاف وتشديد الدال وقيل القوس وقيل السوط
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لشجرة
قال ابن الجوزي يقال انها طوبى قال العسقلاني وشاهد ذلك عند احمد والطبراني
وابن حبان يسير الراكب في ظلها اي في ناحيتها والا فالظل في عرف اهل الدنيا ما يقي من
حر الشمس واذاها وقد قال تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا فالمراد بالظل
هنا ما يقابل شعاع الصبح الى طلوع الشمس ومنه ما بين طلوع الصبح الى طلوع الشمس
ولذا قال تعالى وظل ممدود ويمكن ان يكون للشجرة من النور الباهر ما يكون لما تحته كالحجب
الستر مائة عام لا يقطعها اي لا ينتهي الراكب الى انقطاع ظلها ولقاب قوس احدكم
في الجنة القاب والقيب كالقاد والقيد بمعنى القدر وانه علامة يعرف بها المسافة
بين الشيئين من قولهم نزلوا في هذه الارض اذا ابروا فيها بمواطيهم ومحلهم وقال التوربشتي
الراجل يبادر الى تعيين المكان بوضع قوسه كما ان الراكب يبادر اليه برمي سوطه انتهى
والاظهر في المعنى لقدر موضع قوس احدكم في الجنة او لمقداره وقيمته لو فرض انه تقوم
فيه خير مما طلعت عليه الشمس اي شمس الدنيا او تغرب وفي نسخة او غربت واو اما
للشك واما للتخيير واما بمعنى الواو فان المراد بهما ما بين الخافقين وهو المعبر عنه بمن
الدنيا وما فيها متفق عليه وفي الجامع ان في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر
السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها رواه احمد والبخاري والترمذي عن انس والشيخان

س سهل بن سعد واحمد والشيخان والترمذي عن ابي سعيد والشيخان والترمذي وابن ماجه
عن ابي هريرة وعن ابي موسى اي الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان للمؤمن في الجنة لخيمة اي عظيمة من لؤلؤة بهمزتين وتبدلان وتبدل الاولى دون
الثانية اي درة واحدة مجوفة عرضها فالطول بالاولى وفي رواية طولها اي وعلى قياسه
عرضها ويحتمل بالرواية بين ان طولها وعرضها كل واحد منهما ستون ميلا في كل زاوية اي من
الزوايا الاربعة منها اي من تلك الخيمة اهل اي للمؤمن من زوج وغيره ما يرون اي ذلك الاهل
وجمع باعتبار معناه الاخرين اي الجمع الاخرين من اهل الكائنين في زاوية اخرى يطوف
عليهم اي يدور ويأتي جميعهم المؤمنون بصيغة الجمع في اصل السيد وكثير من نسخ المشكاة
وفي بعضها بصيغة الافراد قال الطيبي كذا في البخاري وشرح السنة ونسخ المصابيح
وفي مسلم والحميدي وجامع الاصول المؤمن فعلى هذا جمع لارادة الجنس انتهى وقال
شارح وتبعه ابن الملك اذ المعنى يجامع المؤمن الاهل والطواف كناية عن المجامعة
وجنتان مبتدأ خبره محذوف اي وللمؤمن جنتان واغرب من قال انه عطف على اهل لكونه
بعيدا عن المعنى وان كان قريبا في اللفظ قال شارح اي درجتان او قصران من فضة آنيتهما
وما فيهما اي من القصور والاثاث كالسرر وكقضبان الاشجار وامثال ذلك قيل قوله
من فضة خبر آنيتهما والجملة صفة جنتان او من فضة صفة قوله جنتان وخبر آنيتهما
اي آنيتهما وما فيهما كذلك او آنيتهما فاعل الظرف اي تفضض آنيتهما وكذا من جهة المبنى والمعنى
قوله وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ثم ظاهره ان الجنتين من فضة لا غير وبالعكس
فالجمع بينه وحديث وصف بناء الجنة من ان لبنة من ذهب ولبنة من فضة ان الاول
صفة ما في الجنة من آنية وغيرها والثاني صفة حوائط الجنان او المراد به التبعيض
لا التلميع او يقال الجنتان من ذهب للمقربين فلا ينافيه مقام الخوف الموجب للمقام
بالطاعة على الوجه الاكمل كما قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان والجنتان من فضة
لمن يكون في مرتبة النقصان من مقام ارباب الكمال كما اشار اليه تعالى بقوله ومن
دونهما جنتان والحاصل ان المراد بالاولين هم السابقون وبالاخرين هم
اللاحقون واما الجنة المعلومة فاصحابها المخلطون والله سبحانه اعلم هذا وقال البيهقي
دل الكتاب والسنة على ان الجنان اربعة وذلك لان الله تعالى قال في سورة الرحمن ولمن
خاف مقام ربه جنتان ووصفهما ثم قال ومن دونهما جنتان وروينا عن ابي موسى ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال جنتان آنيتهما وما فيهما من ذهب وجنتان آنيتهما وما فيهما من فضة
قلت ويؤيده ما قدمناه في رواية جنتان من ذهب للسابقين وجنتان
من فضة لاصحاب اليمين ولا يبعد ان يكون المراد بالجنتين نوعان من الجنة احدهما من
ذهب والاخر من فضة وقد يكون لارباب الكمال جنتان من ذهب وجنتان من فضة
على حسب قصورهم وشئ لهم طلبا للزينة ان يفقدوا الا الذهب او كثرة القيمة على انه قد يراد
بالتثنية التكثير ويؤيده ان ابواب الجنة وطبقاتها ثمانية فقد قال في المجاة هي دار الجنة
عدن وجنة الفردوس وجنة الخلد وجنة نعيم وجنة المأوى ودار السلام ودار القرار
ودار المقامة وما بين القوم اي وليس فيما نعم من الموانع بين اهل الجنة وبين ان ينظروا الى
ربهم الا رداء الكبرياء اي صفة العظمة على وجهه اي ثابتا على ذاته فهو حال من الرداء في جنة عدن
اي كائنين في جنة اقامة وخلود وهو بدل من قوله في الجنة لذائذ وتوهم الاختصاص مع ان
وصف الاقامة والخلود لا ينفك عن جنس الجنة فلا عبرة بالمفهوم الموهوم قال الطيبي قوله

على وجهه

على وجهه حال من رداء الكبرياء والعامل معنى ليس وقوله في الجنة متعلق بمعنى الاستقرار في الظرف
فتقييد بالمفهوم انتفى هذا الحصر في غير الجنة قلت هذا مسلم لكن لفظ الحديث
في جنة عدن وقال الشيخ التوربشتي اي يتبين العبد المؤمن اذا تبوأ مقعده من الجنة مع
ارتفاع حجب الكدورات البشرية واضمحلال الموانع الحسية هناك ويتمنى النظر الى ربه
لم يمنعه من هيبة الجلال وسبحات الجمال ولا يتم ذلك منهم الا برأفته ورحمته منه
تفضلا على عباده وانشد في المعنى

اشتاقه فاذا بدا ⁂ اطرقت من اجلاله
لا خيفة بل هيبة ⁂ وصيانة لجماله
واصد عنه تجلدا ⁂ واروم طيف خياله

متفق عليه وفي الجامع ان المؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا
للمؤمن فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا رواه مسلم عن ابي موسى وروى
احمد والترمذي عن ابي موسى بلفظ في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا
في كل زاوية منها اهل ما يرون الاخرين يطوف عليهم المؤمن وروى احمد والطبراني عن ابي
موسى مرفوعا جنات الفردوس اربع جنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما وجنتان
من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه
في جنة عدن وهذه الانهار تشخب من جنة عدن ثم تصدع بعد ذلك انهارا وعن عبادة
ابن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة يحتمل ان يراد
به الكثرة لما ورد من رواية البيهقي عن عائشة مرفوعا عدد درج الجنة عدد آي القرآن
فمن دخل الجنة من اهل القرآن فليس فوقه درجة ويمكن ان يقال في الجنة مائة درجة لكل
واحد من اهلها فيكون بيانا لانزل ما يكون فيها من انواع السعة واصناف النعمة ما بين كل
درجتين كما بين السماء والارض ويمكن تقييد وصف المائة بما ذكر وغيرها يكون على خلافه
مما كونه اقل واكثر وروى الديلمي في مسند الفردوس عن ابي هريرة مرفوعا ان في الجنة درجة
لا ينالها الا اصحاب الهموم والفردوس اي الجنة المسماة بالفردوس المذكور في القرآن في قوله
تعالى قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس اعلاها اي اعلى
سائر الجنان درجة اي هذه المائة باعتبار كل فرد او باعتبار المجموع فانها في الفردوس
في اللغة البستان الذي فيه الكروم والاشجار ومنه جنة الفردوس قلت لا يبعد ان
وصفه زائد بتخصيص وبحث زائد عن غيره كالبستان في نفسه قوله منها وفي رواية الجامع ومنها اي
من جنة الفردوس تفجر بصيغة المجهول اي تنشق وتجري انهار الجنة الاربعة بالرفع صفة
لانهار وهي انهار الماء واللبن والخمر والعسل المذكورة في القرآن فيها انهار من ماء غير آسن وانهار
من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ومن فوقها يكون
عرش الرحمن فهذا يدل على ان الفردوس فوق جميع الجنان ولذا قال صلى الله عليه وسلم تعليما
للامة وتعظيما للهمة فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس اي فانه سر الجنة على ما رواه الطبراني
عن العرباض وهو بضم السين وتشديد الراء اي وسطها وخيرها وروى الطبراني عن سمرة مرفوعا
الفردوس ربوة الجنة واعلاها واوسطها ومنها تفجر انهار الجنة الاربعة وروى ابن مردويه عن ابي امامة
مرفوعا ان اهل الفردوس يسمعون اطيط العرش رواه الترمذي وفي الجامع رواه ابن ابي
شيبة واحمد والترمذي والحاكم في مستدركه قال المؤلف ولم اجد اي هذا الحديث في الصحيحين
اي في متنيهما ولا في كتاب الحميدي اي في الجامع بينهما ولعله سكت عن جامع الاصول لمانع عن

تنبيه وحاصل كلامه الاعتراض على صاحب المصابيح حيث اورد الحديث في الصحاح والحال
انه لم يوجد الا في الحسان قال ميرك كذا قاله المص ووافقه الشيخ الجزري في تصحيح المصابيح
واقول قد اخرجه البخاري في كتاب الجهاد عن ابي هريرة مثل عبادة والتفاوت بينهما
اي بين حديث ابي هريرة وحديث عبادة يسير فكانه غفل صاحب المشكاة والشيخ ايضا انتهى
ورواه البخاري من حديث ابي هريرة مع تفاوت يسير انتهى وقال الحافظ ابن حجر في تخريج
احاديث المشكاة وعجيب من ادخال البغوي له في احاديث الصحيحين تم كلامه وفيه تنبيه
صاحب المشارق ايضا الى البخاري وقد قيل انه موجود في البخاري في موضعين الاول
في كتاب الجهاد والثاني في باب وكان عرشه على الماء وكذا في مسلم في باب فضل الجهاد في
سبيل الله فمن حفظ حجة على من لم يحفظ وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لسوقا اي مجمعا فيه الصور المشتهاة يأتونها اي يجيء اهل
الجنة ذلك السوق كل جمعة بضمتين ويسكن الثاني قال النووي السوق مجمع لاهل الجنة
يجتمعون فيها في كل مقدار جمعة اي اسبوع وليس هناك اسبوع حقيقة لفقد الشمس
والليل والنهار قلت وانما يعرف وقت الليل والنهار بارخاء الستائر والانوار وعدمه
على ما ورد في بعض الاخبار فبهذا يعرف يوم الجمعة وايام الاعياد وما يترتب عليها من الزيادة
والرتبة وتيسير الامداد والاسعاد وفي الجامع ان اهل الجنة يحتاجون الى العلماء في الجنة
وذلك انهم يزورون الله تعالى في كل جمعة فيقول لهم تمنوا علي ما شئتم فيلتفتون
الى العلماء فيقولون ماذا نتمنى فيقولون تمنوا كذا وكذا فهم يحتاجون اليهم في الجنة كما يحتاجون
اليهم في الدنيا رواه ابن عساكر عن جابر فهذا وتسميته يوم الجمعة يوم المزيد في الجنة يدل
على تمييزه من سائر الايام والله اعلم بالمرام فتهب ريح بضم الهاء وتشديد الموحدة اي تثور ريح
الشمال بفتح اوله [illegible] وخصت بالذكر لانها ريح المطر عند العرب فتحثو اي تنثر
تلك الريح والمعنى تحدث اي المسك فانواع الطيب في وجوههم اي ابدانهم وخصت
الوجوه لشرفها او المراد بها ذواتهم وثيابهم فيزدادون اي في ثيابهم حسنا وجمالا
جمع بينهما للتاكيد او المراد باحدهما الزينة وبالاخر حسن الصورة فيرجعون اي من
السوق الى اهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيه يكون زيادة حسنهم بقدر حسنهم
فيقول لهم اهلوهم والله لقد ازددتم اي انتم ايضا وفيه تغليب لكون الاهل اعم من
النساء والولدان او اريد به التعظيم والتكريم اذ وقع المشاكلة والمقابلة بعدنا اي
بعد مفارقتكم عنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا وهو
اما لاصابتهم من تلك الريح او بسبب انعكاس جمالهم اذ لا حجاب بين رجالهم ونسائهم
رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان اول زمرة بضم الزاي اي جماعة وهم الانبياء والاولياء كذا قاله شارح والاظهر ان
المراد بهم الانبياء خاصة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ولعل دخولهم على صورة
الشمس مختص بنبينا صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم اي يقربون تلك الزمرة في قرب
المرتبة من الاولياء والعلماء والشهداء والصلحاء كاشد اي كل واحد منهم كاشد كوكب دري في السماء
وهو بضم الدال وتشديد الراء وتشديد الياء لانه منسوب الى الدر وتقرأ بلغات اخر مع
بيان مبانيها ومعانيها ثم قوله اضاءة تمييز مبين وجه الشبه قال الطيبي افرد المضاف
اليه ليفيد الاستغراق في هذا النوع من الكوكب يعني اذا تقصيت كوكبا كوكبا رأيتهم كاشد اضاءة
قلوبهم اي قلوب اهل الجنة جميعا او قلوب الزمرة الاخيرين فالاولى بالاولى على قلب رجل

واحد

واحدا اي في الاتفاق والمحبة فقوله لا اختلاف بينهم ولا تباغض تفسير لقوله قلوبهم
الخ وهذا المعنى مقتبس من قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين
لكل امرئ منهم زوجتان اي عظيمتان من الحور بضم الحاء اي النساء البيض الابدان
من الحور وهو البياض فالحور المراد منه الجواري والحور العين بكسر العين يرى بصيغة
المجهول اي يبصر مخ سوقهن جمع ساق اي مخ عظامها من وراء العظم واللحم والواو لمطلق
الجمع او الترتيب للترقي من الحسن اي من اجل لطافة خلقهن قال الطيبي هو تتميم صونا
من توهم ما يتصور من تلك الرؤية مما ينفر عنه الطبع والحسن هو الصفاء ورقة البشرة
ونعومة الاعضاء هذا ولعل الزوجتين المذكورتين لعموم افراد المؤمنين من اهل الجنة
واما اهل الخصوص فيزاد لهم على حسب مقاماتهم قال الطيبي الظاهر ان التثنية
للتكرير لا للتحديد كقوله تعالى فارجع البصر كرتين لانه قد جاء ان للواحد من اهل الجنة
العدد الكثير من الحور العين يسبحون الله اي اهل الجنة ينزهونه تعالى عن صفات
النقصان ويثبتون له نعوت الكمال فان النفي والاثبات متلازمان كما حقق كلمة التوحيد
من الجمع بينهما للتوكيد والى ذلك اشارة في قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم
بكرة وعشيا اي دائما على انه ارادهما ليلا ونهارا باطلاق الجزء وارادة الكل مجازا وقال
الطيبي يراد بهما الديمومة كما يقال العرب انا عند فلان صباحا ومساء لا يقصد الوقتين
المعلومين بل الديمومة لا يسقمون بفتح القاف ويضم في القاموس سقم وكرم والمعنى
لا يمرضون ولا يضعفون ولا يشيبون ولا يبولون اي من قبل ولا يتغوطون اي من
دبر ولا يتفلون بضم الفاء ويكسر اي لا يبزقون ولا يتمخطون اي ليس في فيهم وانفهم
من المياه الزائدة والمواد الفاسدة ليحتاجون الى اخراجها ولان الجنة مساكن طيبة
للطيبين فلا يليق بها الادناس والانجاس آنيتهم جمع اناء اي ظروفهم الذهب والفضة
اي مطلقة على ارادة الزينة اي ظروف بعضهم الذهب وظروف بعضهم الفضة فالواو بمعنى
او للتنويع وامشاطهم جمع مشط الذهب ووقود مجامرهم بفتح الواو اي ما يوقد به
مباخرهم الالوة بفتح الهمزة وبضم اللام وتشديد الواو وقال النووي هو العود الهندي
وقال شارح المجمر بالفتح ما يوضع فيه الجمر ويحترق فيه العود وبالكسر الآلة وقال بعضهم
فيه انه لا نار في الجنة واجيب بانه يفوح بغير نار او قد يكون بنور ولهم
في غاية من الظهور وفي النهاية المجامر جمع مجمر بالكسر وهي التي توضع فيها النار للبخور وبالضم
فهو الذي يتبخر به واعد له الجمر قال الطيبي والمراد في الحديث هو الاول وفائدة الاضافة
ان الالوة هي الوقود نفسه بخلاف المتعارف فان وقودهم غير الالوة انتهى وهذا
كله من اللذات المتوالية والشهوات المتعالية والا فلا تلبد لشعورهم ولا وسخ
ولا عفونة لابدانهم وثيابهم بل ريحهم اطيب من المسك فلا يحتاجون الى التمشط والتبخر
الا لزيادة الزينة والتلذذ بانواع النعمة الحسنية كما قال ورشحهم اي عرقهم رائحة
المسك فهو تشبيه بليغ على خلق رجل واحد بضم الخاء واللام ويسكن والمعنى انهم على
قلب واحد كما سبق وبفتح الاول والمعنى انهم اتراب في سن واحد وهو ثلاثون
او ثلاث وثلاثون سنة على ما سيأتي في الحديث وهو الملائم المناسب لقوله
على صورة ابيهم ادم اي في القامة وبينه بقوله ستون ذراعا في السماء اي طولا فكنى
عنه به قال الطيبي وفي العرض سبعة والله اعلم قال النووي روي بضم الخاء واللام
وبفتح واسكان اللام وكلاهما صحيح ورجح الضم بقوله في الحديث الاخر لا اختلاف

بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد وقد يرجح الفتح بقوله لا يمتخطون ولا يتفلون
وقال الطيبي فعلى هذا يكون قوله على صورة ابيهم آدم بدلا من قوله على خلق رجل واحد بل
يكون خبر مبتدأ محذوف فاذا فيه الموصوف بالصفات المذكورة كلها على خلق رجل واحد
حسنا لا بدا انتهى وانما الاختلاف في المراد بلفظ الحديث ولا خلاف ان اهل الجنة
كلهم كاملون في الخلق والخلق جميعا بل الخلق بالضم هو التحقيق باعتبار انه موجب
لحسن الخلق بالفتح وكذا فيه الظاهر عنوان الباطن وقد ورد انه سبحانه ما خلق
الله نبيا الا حسن الصورة وحسن الصوت لكن قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم
بيان انه يكون له صلى الله عليه وسلم شأن عظيم في خلق تقويم الجنسين فان المؤمن
مرآت المؤمن بمعنى ان صفا المرآة وصفا لها وتخليتها وتحليتها تنعكس وتتجلى فيها
صورة المحبوب والمطلوب متفق عليه وفي الجامع اول زمرة يدخل الجنة على صورة القمر
ليلة البدر والثانية على لون احسن كوكب دري في السما لكل رجل منهم زوجتان على كل
زوجة سبعون حلة يبدو مخ ساقها من ورائها رواه احمد والترمذي عن ابي سعيد
وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة يأكلون
فيها ويشربون اي فيها ولا يتفلون اي لا يبصقون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا
يمتخطون من باب الافتعال وفيما سبق من باب التفعل قالوا اي بعض الصحابة
فما بال الطعام اي ما شأن فضلته قال جشاء بضم الجيم وهو تنفس المعدة من الامتلاء
قال شارح اي صوت مع ريح يخرج من الفم عند الشبع اقول التقدير هو جشاء ورشح
اي عرق كرشح المسك اي يصير فضل طعامهم جشاء اي نظيفا ولا يحتمل الجنة
لا يكون مكروها بخلاف جشاء الدنيا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اقصر عنا جشاءك
ويصير رشحا وعرقا اما باعتبار اختلاف الاشخاص او الاوقات او بعض الطعام يكون
جشاء والشراب يعود رشحا والطعام قد يطلق عليهما نظرا الى معنى الطعم ففي القاموس
طعم الشيء حلاوته ومرارته وما بينهما يكون في الطعام والشراب اقول وبه يتم التتميم
في قوله وهو يطعم ولا يطعم هذا وفي رواية الجامع ولكن طعامهم ذلك جشاء ورشح كرشح
المسك واما قول الطيبي اي يبدل نفع الطعام بالجشاء والرشح فهو حاصل المعنى لاجل
المبنى كما لا يخفى ثم بين بعض احوال الاخر لاهل الجنة على سبيل الاستيناف والبيان حيث
قال يلهمون اي اهل الجنة التسبيح والتحميد اي ونحوهما من الاذكار كما تلهمون
اي انتم في هذه الدار النفس بفتحتين اي التنفس فالمعنى لا يتعبون من التسبيح
والتهليل كما لا تتعبون انتم او هم من التنفس ولا يشغلهم شيء من ذلك كما لا يمنعهم
من التنفس كالملائكة او يريد انه تصير صفته لازمة لا ينفكون عنها كالنفس اللازم
للحيوان والحاصل انه لا يخرج عنهم الا مقرونا بذكره وشكره سبحانه وكذا قال
العارفون ولمن خاف مقام ربه جنتان جنة عاجلة في الدنيا وجنة آجلة في العقبى
فالاولى وسيلة للاخرى والاخرى نتيجة للاولى وقد اشير الى هذا المعنى في قوله
تعالى ان الابرار لفي نعيم اي من دوام ذكر الكريم وان الفجار لفي جحيم فان الحجاب اشد
انواع العذاب قال الطيبي الالهام القاء الشيء في الروع ويختص ذلك بما كان من جهة
الله وجهة الملا الاعلى فقوله تلهمون وارد على سبيل المشاكلة لان المراد النفس
رواه مسلم وكذا احمد والترمذي وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من يدخل الجنة ينعم بفتح العين اي يتنعم ولا يبأس بسكون الموحدة

فالهمزة

فالهمزة المفتوحة اي لا يفتقر ولا يتموّهم قال الطيبي هو تأكيد لقوله ينعم والاصل
ان لا يجيء بالواو ولكن اراد به التقرير عن الطرد والعكس كقوله تعالى لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون قلت وفي رواية الجامع لا يبأس بلا عطف ولا يبلى بفتح اللام مع الف
والثانية اي لا يخلق ثيابه ولا يفنى اي لا يذهب شبابه قال القاضي معناه ان الجنة دار الثبات
والقرار وان التغير لا يتطرق اليها فلا يشوب نعيمها بؤس ولا يعتريه فساد ولا تغيير فانها ليست
دار الاضداد ومحل الكون والفساد رواه مسلم وعن ابي سعيد وابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ينادي مناد اي في الجنة وقيل اذا راه من بعيد ان لكم بكسر الهمزة اي قائلا
ان لكم ان تصحوا بكسر الصاد وتشديد الحاء اي تكونوا صحيحة البدن دائما فلا تسقموا اي فلا
تمرضوا ابدا وان لكم ان تحيوا بفتح اليا اي تكونوا احيا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا
بكسر الشين المعجمة وتشديد الموحدة اي تدعوا شبابا فلا تهرموا بفتح الرا اي لا تشيبوا
ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا ابدا قال الطيبي هذا النداء والبشارة الذ واشهى فيه
من المسرة وفي عكسه انشد المتنبي

اشد الغم عندي في سرور ** تيقن عنه صاحبه ارتحالا

رواه مسلم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
اهل الجنة يتراءون اي ينظرون او يرى بعضهم بعضا اهل الغرف بضم ففتح جمع غرفة وهي بيت
يبنى فوق الدار والمراد هنا القصور العالية في الجنة من فوقهم وفي هذا تصريح بان قوله
تعالى في جنة عالية يراد بها العلو الحسي ايضا كما تتراءون اي انتم في الدنيا الكوكب الدري
اي المضيء لونه وتلألؤه الغابر بالغين المعجمة من الغبور اي الباقي في الافق بضمتين جمع
الافاق اي في اطراف السما وفي نسخة بالمهملة بدلها من الغبور اي الذاهب في الافق البعيد الغائر
فيه من المشرق اي من جانبه او المغرب اي من طرفه والظاهر ان او للتخيير في التشبيه كقوله تعالى
او كصيب من السما وغوا وكظلمات في بحر لجي والتبيين للشك قال التوربشتي قد اختلف
في الغابر فمنهم من رواه بالمهملة بعد الالف من الغور يريد ان انحطاطه في الجانب الغربي ومنهم
من رواه بالبا من الغبور والمراد منه الباقي في الافق بعد انتشار ضوء الفجر فانما يستنير في ذلك
الوقت الكوكب المضيء ولا شك ان الرواية الاولى تصحيف انتهى ولم يذكر وجه التصحيف
فيه وقال شارح وروي الغابر من الغور وهو الانحطاط وهو تصحيف لانه لا يناسب قوله من المشرق
والمغرب كذا في المصابيح اي بالواو والصواب من المشرق الى المغرب كما في كتاب مسلم قال المؤلف
وكذا في شرح السنة وجامع الاصول ورياض الصالحين بلفظ او لما ذكر المشرق والمغرب دون
السما لان المقصود البعد والابانة معه وقال النووي معنى الغابر الذاهب الماضي اي الذي تدلى
للغروب وبعد عن العيون وروي في غير صحيح مسلم الغارب بتقديم الرا وروي الغارب بالعين
المهملة والزاي ومعناه البعد في الافق فكلها راجعة الى معنى واحد قال الطيبي فان قلت
ما فائدة تقييد الكوكب بالدري ثم بالغابر في الافق قلت للايذان بانه من باب التمثيل
الذي وجهه منتزع من عدة امور متوهمة في المشبه شبه رؤية الرائي في الجنة صاحب الغرفة برؤية
الرائي الكوكب المستضيء الباقي في جانب الشرق او الغرب في الاستضاءة مع البعد فلو قيل الغابر
لم يصح لان الاشراق يفوت عند الغروب اللهم الا ان يقدر المستشرف على الغروب كقوله تعالى فاذا بلغن
اجلهن اي شارفن بلوغ اجلهن لكن لا يصح هذا المعنى في الجانب الشرقي نعم يجوز على التقدير
كقولهم متقلدا سيفا ورمحا وعلفتها تبنا وماء باردا اي طالعا في الافق من المشرق وغابرا في المغرب
لتفاضل ما بينهم علة للتراءي والمعنى انما ذلك لتزايد مراتب ما بين ساير اهل الجنة العالية

ومائتين ارباب الغرف العالية في الجنة طبقات اعلاها للسابقين واوسطها للمقتصدين
واسافلها للمخلصين قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى اي يبلغها
غيرهم من الاولياء وبيان كونها منهم للبعض لا صنفيا والذي نفسي بيده رجال اي يبلغها رجال
اي كاملون في الرجولية كقوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله آمنوا بالله اي حق
الايمان وشهود مقام الايقان وهو مرتبة الاحسان وصدقوا المرسلين في اجابة ما امروا به ونهوا عنه
وقاموا بصفة الصابرين والشاكرين وترقوا الى مقام الراضين قال تعالى وعباد الرحمن الذين
يمشون على الارض هونا الى ان قال اولئك يجزون الغرفة بما صبروا والاية وفي جمع المرسلين
اشعار بان هذه المرتبة العلية غاية للسابقين على حسب تفاوتهم في الرتب السنية وتثبت
خاصة لهذه الامة مع ان تصديق المرسلين على وجه التحقيق انما هو لهذه الجماعة نعم قد يراد
به مقابلة الجمع بالجمع فالمراد رسوله خاصة بالاصالة وسائر الرسل بالتبعية فانه يلزم
من التصديق بواحد التصديق بالكل وكذا في جانب التكذيب ومنه قوله تعالى كذبت قوم نوح
المرسلين متفق عليه وكذا رواه احمد وابن حبان والدارمي عن ابي سعيد وكذا الترمذي
عن ابي هريرة ورواه احمد والشيخان وابن حبان عن سهل بن سعد ولفظه ان اهل الجنة ليتراءون
اهل الغرف في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء ورواه احمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان
عن ابي سعيد والطبراني عن جابر بن سمرة وابن عساكر عن ابن عمر وعن ابي هريرة بلفظ
ان اهل الدرجات العلى ليراهم من هو اسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع في افق السماء
وان ابا بكر وعمر منهم وفي بعض طرق الحديث قيل وما معنى انعما قال اهلا لذلك هما وروى ابن
عساكر عن ابي سعيد مرفوعا ان اهل عليين ليشرف احدهم على الجنة فيضيء وجهه لاهل الجنة
كما يضيء القمر ليلة البدر لاهل الدنيا وان ابا بكر وعمر منهم وانعما وروى ابن ابي الدنيا
في كتاب الاخوان والبيهقي عن ابي هريرة مرفوعا ان في الجنة لعمدا من ياقوت عليها غرف
من زبرجد لها ابواب مفتحة تضيء كما يضيء الكوكب الدري يسكنها المتحابون في الله والمتجالسون
في الله والمتلاقون في الله وروى احمد وابن حبان والبيهقي عن مالك الاشعري والترمذي
عن علي مرفوعا ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله لمن
اطعم الطعام والان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام وعن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة اقوام افئدتهم اي قلوبهم
مثل افئدة الطير اي في الرقة واللينة والرحمة والصفا والخلو عن الحسد والحقد والغل
والبغض ونحوها لكونها خالية من كل ذنب سليمة من كل عيب قال النووي قيل مثلها في رقتها
كما ورد اهل اليمن ارق افئدة والين قلوبا وقيل في الخوف والهيبة والطير اكثر الحيوان خوفا
وفزعا قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقيل في التوكل كما ورد لو انكم تتوكلون
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقد قال تعالى وكاين من دابة
لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم رواه مسلم وكذا احمد في مسنده وعن
ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول
لاهل الجنة يا اهل الجنة يقولون لبيك ربنا اي يا ربنا وسعديك والخير اي جنسه او جميع
افراده في يديك اي متحصر في قبضة قدرتك وارادتك فيقول هل رضيتم اي عن ربكم
فيقولون وما لنا لا نرضى الاستفهام للتقرير والمعنى اي شيء مانع لنا من ان لا نرضى عنك يا رب
اي يا ربنا والفاء سببية كانه اذ ذاك اعطانا كل نائل وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك
الجملة حالية فيقول الا اعطيكم افضل من ذلكم اي من عطائكم هذا فيقولون يا رب واي شيء

افضل

افضل من ذلك اي من عطائك هذا فيقول احل بضم الهمزة وكسر الحاء اي انزل عليكم رضواني بكسر الراء وضمها
اي دوام رضواني فانه لا يلزم من كثرة العطاء دوام الرضا ولذا قال فلا اسخط بفتح الخاء المعجمة
اي لا اغضب عليكم بعده ابدا اي ثم اللقاء يترتب على الرضا من الرتب المتفرع على الرضا من العبد
للقضاء ترتيب البقاء بعد تحقق الفناء قال ابن الملك في الحديث دلالة على ان رضوان الله تعالى
على العبد فوق ادخاله اياه الجنة وقال الطيبي الحديث ماخوذ من قوله تعالى وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر
الكشاف انما كبر من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم
تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب لان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في
نفسه مما وراءه من النعم وانما يتهنا له برضاه كما يتنغص عليه بسخطه ولم يجد لها لذة وان
عظمت قال الطيبي واكبر اصناف الكرامة رؤية الله تعالى قلت ولعل الرضوان اكبر
لاشتماله على تفصيل اللقاء وسائر انواع النعماء متفق عليه وكذا رواه احمد والترمذي وعن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى مقعد احدكم اي ادنى مرتبة
ملكه ومسيرة جناته ومسافة قصوره من الجنة اي فيها ان يقول له اي الله او الملك له تمن
فيتمنى ويتمنى والظاهر ان المراد بالتكرير هو التكثير قال الطيبي قوله ان يقول له خبر ان
والمعنى ان ادنى منزلة احدكم في الجنة الى ما فيه كلها يحبه لا يبقى له امنية وهو نحو قول
الشاعر ۞ لم يبق جودك لي شيئا اؤمله ۞ تركتني اصحب الدنيا بلا امل ۞
فيقول اي الرب له هل تمنيت اي جميع امانيك فيقول نعم فيقول له فان لك ما تمنيت اي عددا
وعدلا ومثله معه اي زيادة وتفضلا وفيه ايماء الى ان يكون منتهى تمناه رضا مولاه وما
يترتب عليه من لقاه فلا يتصور له مزيد ان يعطاه رواه مسلم وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان بفتح اولهما نهران بالشام
اولهما من السيح بالسين والحاء المهملتين وهو جري الماء على وجه الارض والنون فيه زائدة
وثانيهما من جح الصبي بالجيم والحاء اذا سار بغذائه والنون فيه اصلية والفرات نهر بالكوفة
والنيل نهر مصر واما سيحون نهر بالهند وجيحون نهر بلخ وينتهي الى خوارزم كذا قاله شارح
وقيل سيحان نهر بالشام وقيل بالهند وجيحان نهر بلخ وقال النووي سيحان وجيحان
غير سيحون وجيحون والمذكوران في الحديث في بلاد الارمن فسيحان نهر المصيصة وجيحان
نهر اذنه وهما نهران عظيمان جدا هذا هو الصواب واما قول الجوهري جيحان نهر بالشام
فغلط وقال صاحب نهاية الغريب سيحان وجيحان نهران بالعواصم عند المصيصة وطرسوس
واتفقوا على ان جيحون بالواو نهر خراسان وقيل سيحون نهر بالسند كل اي كل واحد منهما
من انهار الجنة انما جعل الانهار الاربعة من انهار الجنة لما فيها من العذوبة والهضم
ولتضمنها البركة الالهية وتشرفها بورود الانبياء اليها وشربهم منها وذلك مثل قوله صلى
الله عليه وسلم في عجوة المدينة انها من ثمار الجنة وقيل انه سمى الانهار التي هي اصول
انهار الجنة بتلك الاسامي ليعلم انها في الجنة بمثابة الانهار الاربعة في الدنيا او لانها
مسميات بتلك الاسماء فوقع الاشتراك فيها كذا ذكره شارح من علمائنا وقال القاضي جعل
الانهار الاربعة لعذوبة مائها وكثرة منافعها كانها من انهار الجنة ويحتمل ان يكون المراد بها
الانهار الاربعة التي هي اصول انهار الجنة وسماها باسامي الانهار الاربعة التي هي اعظم انهار
الدنيا واشهرها واعذبها وافيدها عند العرب على سبيل التشبيه والتمثيل ليعلم انها في
الجنة بمثابتها واما ما في الدنيا من انواع المنافع والنعايم امور زجانية لما يكون في الاخرة

وكذا ما فيها من المضار الردية والمستكرهات المؤذية وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض كون
هذه الانهار من الجنة ان الايمان عم بلادها وان الاجسام المتغذية بمائها صائرة الى الجنة والاصح انها
على ظاهرها وان لها مادة من الجنة مخلوقة لانها موجودة اليوم عند اهل السنة وقد ذكر مسلم
في كتاب الايمان في حديث الاسراء ان الفرات والنيل يخرجان من الجنة وفي البخاري من اصل سدرة
المنتهى وفي معالم التنزيل روي عن ابن عباس ان الله تعالى انزل هذه الانهار من عين واحدة من عيون
الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال واجراها في الارض
وجعل فيها منافع للناس وذلك قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاذا كان عند خروج ياجوج
وماجوج ارسل الله جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم والحجر الاسود ومقام ابراهيم وتابوت
موسى وهذه الانهار فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون رواه مسلم وعن عتبة
بضم عين مهملة فمثناة فوقية ساكنة فموحدة في ما في اسماء الرجال للمؤلف ابن غزوان بفتح معجمة
وسكون زاي قديم هو سابع سبعة في الاسلام قال ذكر لنا هو في حكم المرفوع لان الغالب في الصحابي
الكبير انه لا ياخذ من غير النبي صلى الله عليه وسلم او من الصحابة ومراسيل الصحابي حجة بالاتفاق
المعنى بلغنا ان الحجر يلقى اي يرمى من شفة جهنم بفتح اوله وبكسر واحدة الشفاه اي من طرف جهنم
وطرفها فيهوي اي فيسقط الحجر وينزل فيها اي في هواء جهنم سبعين خريفا اي سنة لا يدرك
اي الحجر لها اي لجهنم قعرا وهو ابلغ من ان يقال لا يصل الى قعرها والمعنى انها مع طولها وعرضها
وعمقها والله لتملان بصيغة المجهول اي جهنم من الكفار ثم قال عتبة بعد وصف جهنم انتقالا
الى نعت الجنة ولقد ذكر لنا ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة اي ما بين طرفي باب
من ابوابها مسيرة اربعين سنة وليأتين عليها يوم وهو لعله كلام من ضمير عليها وهو يرجع
الى ما فالاول باعتبار المعنى لان ما عبارة عن الاماكن والثاني باعتبار اللفظ فالمعنى واتحاد
ان ما بينهما كظيظ بالمعجمتين اي مملو فعيل بمعنى مفعول وقيل اي ممتلئ من الزحام بكسر
الزاي الكثرة رواه مسلم

الفصل الثاني

عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال قلت يا رسول الله مم خلق الخلق قال من الماء قيل اي من النطفة والظاهر ان يكون
اقتباسا من قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي اي وخلقنا من الماء كل حيوان لقوله سبحانه والله
خلق كل دابة من ماء وذلك لان الماء اعظم مواده او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه بعينه
وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغوا والشيء مخصوص بالحيوان قلنا
وفي نسخة صحيحة قلت الجنة ما بناؤها اي هل من حجر او مدر او خشب او شعر قال لبنة
من ذهب ولبنة من فضة اي بناؤها يلمع وترصع فيها او ذكر النوعين باعتبار الجنتين
كما تقدم والله اعلم وملاطها بكسر الميم اي ما بين اللبنتين موضع النورة المسك الاذفر
اي الشديد الريح في النهاية الملاط الطين الذي يجعل بين سافي البناء يملط به الحائط
اي يخلط وحصباؤها الحصى الصغار التي في الانهار اللؤلؤ والياقوت اي مثلهما في اللون والصفا
وتربتها اي مكان ترابها الزعفران اي الناعم الاصفر الطيب الريح فجمع بين الوان الزينة وفي
البياض والحمرة والصفرة ويكمل بالاشجار الملونة بالخضرة ولما كان السواد مما يغم الفؤاد خص
باهل العناد من العباد من يدخلها ينعم ولا يبأس بفتح وسطهما قال التوربشتي قد وجدناه
في المصابيح وفي بعض كتب الحديث ييؤس بالهمزة المضمومة لدلالة الواو في النعيم وباس الرجل
يبؤس اذا اشتد وباس ويبأس اذا افتقر الغلط انما وقع في رسم الخط والصواب لا ييأس
انتهى وفي القاموس البأس العذاب والشدة في الحرب ومنه الباس وبؤس ككرم وبئس كسمع
اشتدت حاجته ومنه البائس يخلد اي يدوم فيها فلا يتحول عنها ولا يموت اي لا يفنى بل دائما

يبقى ولا يبلى بفتح اوله اي لا يخلق ولا ينقطع ثيابهم وكذا اثاثهم ولا يفنى شبابهم اي لا يهرمون
ولا يحزنون ولا يتغيرون بمضي الزمان فانهم خلقوا للنعيم الابدي في ذلك المكان رواه احمد والترمذي
والدارمي وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما في الجنة شجرة الا وساقها من ذهب واما اغصانها فمختلفة فتارة من ذهب واخرى
من فضة او ياقوتة او زمردة او لؤلؤة او مرصعة ملمعة مزينة بانواع الازهار وانواع
الانوار ومن فوقها اجناس الاثمار ومن تحتها تجري الانهار رواه الترمذي وعنه اي عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة
قال ابن الملك المراد بالمائة هنا الكثرة وبالدرجة المرقاة اقول الاظهر ان المراد بالدرجات
المراتب العالية قال تعالى هم درجات عند الله اي ذو درجات بحسب اعمالهم من الطاعات
كما ان اهل النار اصحاب دركات متفاوتة بقدر مراتبهم في شقاء الكفر كما يشير اليه قوله
سبحانه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ويؤيده الحديث الذي يليه فتظاهر قوله
ما بين كل درجتين مائة عام اي مقدار مسافة مائة سنة رواه الترمذي وقال هذا
حديث حسن غريب وعن ابي سعيد رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة لو ان العالمين اي خلق الاولين والاخرين اجتمعوا في
احداهن لوسعتهم اي لكفتهم رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وكذا رواه ابن حبان
من وجه اخر صحيح وعنه اي عن ابي سعيد رضي الله عنه في قوله وفرش مرفوعة قال
ارتفاعها اي اعتلاء فرش الجنة او ارتفاع الدرجة التي فرشت الفرش المرفوعة فيها لكما بين
السماء والارض خبر ارتفاعها كقوله مسيرة خمسمائة سنة وان في ذلك ايذانا بان ثم
دخول اللام في خبر المبتدا كما في قول الشاعر ۝
۝ ام الحليس لعجوز شهربه ۝ ترضى من اللحم بعظم الرقبه ۝
والشهربة العجوز الكبيرة ومثله الشهبرة على ما في الصحاح والكلام في لكما اشتم قاله
الزجاج في قوله تعالى ان هذان لساحران قالت النحاة التقدير ان الضمير فيه مضمر اي انه هذان
لساحران قال الزجاج واصل هذه اللام ان تقع في المبتدا ووقوعها في الخبر جائز وفي الكشاف
في قوله وفرش مرفوعة اي نضدت حتى ارتفعت او مرفوعة على الاسرة وقيل هي النساء لان المرأة
يكنى عنها بالفراش ورفعتها في قوله انا انشاناهن انشاء وعلى التفسير الاول اضمر لهن لان ذكر
الفرش وهي المضاجع دل عليهن انتهى فهن مرفوعة على الفرش والسرر وبالجمال شيئا اهلا لان
على ما فسرنا ذكر فاضطر ونبه لكن ثبت في الحديث ان المؤمنات احسن من الحور العين لصلاتهن
وصيامهن قال التوربشتي ترى من قال المراد منه ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات وما
بين كل درجتين من الدرجات كما بين السماء والارض هذا القول لا نرى وان عرف الوجوه المذكورة
ذلك لما في الحديث ان الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض انتهى وغاية
الطيبي بما لا طائل تحته فاعرضت عن ذكره وتركت بحثه رواه الترمذي اي موقوفا وقال
هذا حديث غريب وعنه اي عن ابي سعيد رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة وهم الانبياء عليهم السلام ضوء وجوههم
اي نورها على مثل ضوء القمر ليلة البدر وهو وقت كمال اناراته والزمرة الثانية على
مثل احسن كوكب دري في السماء وهم الاولياء والصلحاء على اختلاف مراتبهم في الصفا
لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة بضم حاء وتشديد لام ولا تخلق على الغالب
الا انه يرى اي يبصر مخ ساقها اي مخ عظام ساق كل زوجة من ورائها اي من فوق حللها

السبعين لكمال لطافة اعضائها وثيابها والنور يبرق بينه وبين خيرك اي اهل الجنة من له ثنتان وسبعون
زوجة وثمانون الف خادم باذ يقال لكل منهم زوجتان موصوفتان بان يرى مخ سوقهما من ورائها
وهذا لا ينافي ان يحصل لكل منهم كثير من الحور العين الغيراب لعلة في الهيئة الغاية كذا قيل والاظهر
ان لكل زوجتان من نساء الدنيا وان ادني اهل الجنة من له ثنتان وسبعون زوجة في الجملة
يعني ثنتين من النساء الدنيا وسبعون من حور عين والله سبحانه اعلم رواه الترمذي وكذا احمد
في مسنده وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعطى المؤمن في الجنة قوة
كذا وكذا من الجماع وهو كناية عن جماع عدة من النساء كالعشرة مثلا قيل يا رسول الله او يطيق
بفتح الواو اي يعطى تلك القوة ويستطيعون ذلك المقدار والاستفهام في مضمون قوله كذا وكذا
من الجماع قال يعطى قوة مائة اي مائة رجل كما قيل او مائة مرة من الجماع والمعنى فاذا كان كذلك
فهو يطيق ذلك رواه الترمذي وفي الجامع يعطى المؤمن في الجنة قوة مائة في النساء رواه
الترمذي وابن حبان عن انس وفي الجامع ان الرجل من اهل الجنة يعطى قوة مائة رجل في الاكل
والشرب والشهوة والجماع حاجة احدهم عرق يفيض من جلده فاذا بطنه قد ضمر رواه الطبراني
عن زيد بن ارقم وعن سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان ما يقل
بضم الياء وكسر القاف وتشديد اللام اي يحمله ظفر بضمتين ويسكن الثاني قال الطيبي ما موصولة
والعائد محذوف اي ما يقله وقال القاضي اي قدر ما يستقله بحمله ظفر ويحمل عليها مما في الجنة
اي من نعيمها بدا بالالف اي ظهر في الدنيا للناظرين لتزخرفت اي تزينت له اي لذلك المقدار
وبسببه من الاغيار وظهور الانوار ما بين خوافق السموات والارض اي اطرافها وقيل منتهاها
وقيل الخافقان المشرق والمغرب كذا ذكره شارح وقال القاضي الخوافق جمع خافقة وهي الجانب
وهي في الاصل الجوانب التي تخرج منها الرياح من الخفقان وقيل الخافقان للمشرق والمغرب قال
الطيبي وقالت الفعل لما بين بمعنى الاماكن كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم في وجه ولو
ان رجلا من اهل الجنة اطلع بتشديد الطاء اي اشرف على اهل الدنيا فبدا اي ظهر اساوره
جمع اسورة جمع سوار والمراد بعضها ودرج في تنبيه الموصوف فبدا اسواره لطمس ضوء
اي لمحا نوره ضوء الشمس كما تطمس الشمس وفي نسخة كما يطمس ضوء الشمس ضوء النجوم رواه
الترمذي وقال هذا حديث غريب وقد سبق هذا المعنى في احاديث بعضها في صحيح البخاري وبعضها
في الصحيحين في الجامع ان الرجل من اهل العليين ليشرف على اهل الجنة فتضيء الجنة لوجهه
كانها كوكب دري رواه ابو داود عن ابي سعيد وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة جرد بضم الجيم وسكون الراء جمع اجرد وهو الذي لا شعر على
جسده وضده الاشعر مرد جمع امرد وهو غلام لا شعر على ذقنه وقد بدا دبه الحسنى بناء على
الغالب كحلى بفتح الكاف فعيل بمعنى مفعول اي مكحول وهو عبر في اجفانه سواد خلقة كذا قاله
شارح وفي النهاية الكحل بفتحتين سواد في اجفان العين خلقة والرجل اكحل وكحيل وكحلى جمع
كحيل لا تفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم رواه الترمذي والدارمي وعن معاذ بن جبل ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين اي خلقة او كمكتحلين
ابناء ثلاثين اي انزابا او ثلاث وثلاثين سنة اي ابناء ثلاث وثلاثين سنة والشك من الراوي رواه
الترمذي قيل وحسنه وعن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذكر له اي والحال انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى
قيل هي شجرة نبق في السماوات بعضه عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر والمنتهى بمعنى موضع
الانتهاء او الانتهاء كانها في منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها احد وإليها ينتهي علم الملائكة

وغيرهم

وغيرهم ولا يعلم احد ما وراءها قال اي النبي عليه السلام يسير الراكب في ظل الفنن بفتحتين اي الغصن
وجمعه الافنان ومنه قوله تعالى ذواتا افنان ويقال ذلك للنوع من الشيء وجمعه فنون كذا حققه
الراغب منها اي من السدرة مائة سنة او يستظل بظلها مائة راكب والاول ابلغ ويمكن ان
يراد بهما المبالغة في طولها وعرضها فالتخيير او التنويع باختلاف بعض الاماكن او بالنسبة الى نظر
بعض الاشخاص لكن نزله شك الراوي بالسابق ذلك الا انه لم يعرف من كلام من والشك وقع
ممن والله اعلم فيها اي سدرة المنتهى والمعنى فيما بين اغصانها او عليها بمعنى فوقها مما يغشيها
فراش الذهب بفتح الفاء جمع الفراشة وهي التي تطير وتتهافت في السراج قيل هذا تفسير لقوله
تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى ومنه اخذ ابن مسعود حيث فسر ما يغشى بقوله يغشاها
فراش من ذهب قال الامام ابو الفتح العجلي في تفسيره ولعله اراد الملائكة تتلألأ
اجنحتها تلألؤ اجنحة الفراش كانها مذهبة كان ثمرها القلال اي قلال هجر في الكبر رواه
الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن انس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما الكوثر قال ذاك نهر بفتح الهاء ويسكن اي جدول ماء وفي طرفيه حوضان احدهما في الجنة
والاخر في الموقف وانما قال اعطانيه الله يعني في الجنة لكون الكثرة في الجنة او باعتبار ما له
اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وفيه ايماء الى انه ماء جامع بين نوع اللبن ولذة
العسل واشارة الى قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فيه اي في ذلك
النهر او في اطرافه طير اي جنس من الطير طويل العنق وكبيره كاعناق الجزر بضم الجيم والزا
جمع جزور والمعنى انه اعد لاجل ان يكل منه اصحاب شرب ذلك النهر فانه بهم يتم عيش الدهر
قال عمر ان هذه اي الطير لناعمة اي لمتنعمة او لنعمة طيبة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكلتها بفتحات جمع آكل اسم فاعل كطلبة جمع طالب وهذا هو الذي في اصل
الجزري وسائر النسخ المصححة والمعنى من يأكلها انعم منها وفي نسخة مصححة وفي اصل السيد
آكلها بالمد وكسر الكاف على صيغة الوحدة قد يستعمل للجماعة وفي نسخة اكلها بصيغة الفاعل
المذكر وفي اخرى اكلوها بصيغة جمع المذكور رواه الترمذي ورواه الحاكم عنه مرفوعا الكوثر
نهر اعطانيه الله في الجنة ترابه مسك ابيض من اللبن واحلى من العسل ترده طير اعناقها
مثل اعناق الجزر اكلها انعم منها وعن بريدة بالتصغير ان رجلا قال يا رسول الله هل في الجنة خيل
قال ان الله بكسر الهمزة وسكون النون على انها شرطية ثم كسر لالتقاء الساكنين ادخلك الجنة قال
الطيبي الله مرفوع بفعل يفسره ما بعده ولا يجوز رفعه على الابتداء لوقوعه بعد حرف الشرط فلا
تشاء ان تحمل فيها جواب للشرط اي فلا تشاء الحمل في الجنة على فرس من ياقوتة حمراء يطير بالتذكير
ويونث في القاموس الفرس للذكر والانثى اي يسرع بك في الجنة حيث شئت الا فعلت بصيغة
المخاطب المذكر المعلوم والمعنى ان تشأ تفعله وفي نسخة على بناء المجهول اي حملت عليه وركبت
وفي اخرى بنا التانيث ان كانت فالضمير للفرس اي حملتك قال القاضي تقدير الكلام ان ادخلك
الجنة فلا تشاء ان تحمل على فرس كذلك الا حملت عليه والمعنى انه ما من شيء تشتهيه الانفس
الا وتجده في الجنة كيف شئت حتى لو اشتهيت ان تركب فرسا على هذه الصفة لوجدته وتمكنت
منه ويحتمل ان يكون المراد ان ادخلك الله الجنة فلا تشاء ان يكون لك مركب من ياقوتة
حمراء يطير بك حيث شئت ولا ترضى به فتطلب فرسا من جنس ما تجده في الدنيا حقيقة
وصفة والمعنى فيكون لك من المراكب ما يغنيك عن الفرس المعهود ويرد على هذا المعنى ما جاء
في الرواية الاخرى ولعوا اذا دخلت الجنة اتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه
ولعله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبين الفرق بين مراكب الجنة ومراكب الدنيا وما بينهما

من التفاوت في التصوير والتمثيل بان فرس الجنة في جوهرها بما هو عندنا ثابت الجوهر وادونها
وجودا واصنعها لونا واصفاها جوهرا وفي شدة حركته وسرعة انتقاله بالطير واكد ذلك في الرواية
الاخرى بقوله جناحان وعلى هذا فيه سوما وزد في صفة ابنية الجنة ورياضها وانهارها الى غير ذلك
والعلم بحقايقها عند الله تعالى قال الطيبي الوجه الاول ذهب اليه الشيخ التوربشتي وتقدير قوله
الا حملت يقتضي ان يروى قوله الا فعلت على بنا المفعول فانه استثنا مفرغ اي لا تكون
بمطلوبك الا مستعفا واذا تروى على بنا الفاعل كان التقدير فلا تكون بمطلوبك الا فايزا والثاني
الثاني من الوجهين السابقين قريب من اسلوب الحكيم فان الرجل سال عن الفرس المتعارف
في الدنيا فاجابه صلى الله عليه وسلم بما في الجنة اي اتركها طلبته فانك مستغن عنه بهذا
المركب الموصوف وسأله رجل فقال يا رسول الله هل في الجنة من ابل قال اي بريدة فلم
يقل له ما قال لصاحبه اي مثل مقوله لصاحبه كما يتوهم الاجابة مختصرا فقال ان يدخلك الله
الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك اي وجدت عينك لذة بالكسر
لذاذا ولذاذة اي وجدته لذيذا قاله شارح وفيه اشارة الى قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس
وتلذ الاعين رواه الترمذي وعن ابي ايوب قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم اعرابي
اي بدوي فقال يا رسول الله اني احب الخيل اي في الدنيا افي الجنة خيل يعني او ليس فيها او لا يشتهى
للاستغناء عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادخلت الجنة اتيت اي جيئت بفرس من
ياقوتة قيل اراد الجنس المعهود مخلوقا من الجواهر وقيل اذ هنا كمركبا من جنس آخر
يغنيك عن المعهود كما مرّ والاخير هو الاظهر لمناسبته ولقوله له جناحان فحملت عليه بصيغة
المجهول اي ركبت ثم طار بك حيث شئت رواه الترمذي وقال هذا حديث ليس باسناده بالقوي
وابو سورة بفتح السين المهملة الراوي اي راوي هذا الحديث يضعف اي ينسب الى الضعف
باختلال في الحديث اي في علمه او في اسناده وسمعت محمد بن اسمعيل اي البخاري يقول
ابو سورة هذا منكر الحديث يروي مناكير وروى الطبراني عن ابي ايوب مرفوعا ان اهل الجنة يتزاورون
على نجائب بيض كانهن الياقوت وليس في الجنة شيء من البهائم الا الابل والطير وعن بريدة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة عشرون ومائة صف اي تقديرها او صورة
صفوفا ثمانون اي صفا منها اي من جملة العدد كاينون من هذه الامة واربعون اي صفا من ساير
الامم والمقصود بيان تكثير هذه الامة وانهم ثلثا في القيمة قال الطيبي فان قلت
كيف التوفيق بين هذا وما وردت قوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ارجوا ان تكونوا ربع
اهل الجنة فكبرنا فقال صلى الله عليه وسلم ارجوا ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبرنا فقال
صلى الله عليه وسلم ارجوا ان تكونوا نصف اهل الجنة قلت يحتمل ان يكون الثمانون صفا
مساويا في العدد للاربعين صفا وان يكون كما زاد على الربع والثلث يزيد على النصف كرامة له صلى
الله عليه وسلم قلت وهذا هو الاظهر على ان الصف غير مطلق ولم يرد به التساوي في العدد
اذ الصف ولذا يوصف بالانقص والاكثر رواه الترمذي والدارمي والبيهقي في كتاب البعث
والنشور وكذا رواه احمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم عنه والطبراني عن ابن عباس وعن ابن مسعود
وعن ابي موسى وعن سالم تابعي جليل عن ابيه اي عبد الله بن عمر رضي الله عنهم قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم باب امتي الذين كذا في الاصول المعتمدة والنسخ المصححة بصيغة المجهول
الجمع فيكون صفة للامة وفي نسخة بصيغة الافراد على انه صفة الباب وهو الظاهر اذ المعنى
باب امتي الذين يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجود اسم فاعل من التجويد وهو التحسين
قال شارح اي الراكب الذي يجود ركض الفرس من جودته اي جعلته جيدا في اساس البلاغة يجود

في ضبعه يتوقف فيه واجاد الشيء وجوده احسن فيما فعل وجود في عدوه عدا عدوا جوادا وفرس جواد
من خيل جياد قال الطيبي والمجود يحتمل ان يكون صفة الراكب والمعنى الراكب الذي يجود ركض الفرس
وان يكون صفة الفرس والاضافة لفظية اي الفرس الذي يجود في عدوه ثلاثا ظرف مسيرة والمعنى
ثلاث ليال او سنين وهو الاظهر لانه يفيد المبالغة اكثر ثم المراد به الكثرة لئلا يخالف ما سبق
من ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة اربعين سنة على انه يمكن ان ذكر الاربعين
بالقليل ثم اعلم بالكثير او يحمل على اختلاف الابواب باختلاف اصحابها والله اعلم ثم انهم اي اهل الجنة
من امتي عند دخولهم من ابوابها فالمراد بالباب جنسه ليضغطون بصيغة المجهول اي ليعصرون
ويضيقون عليه اي على الباب حتى تكاد اي تقرب مناكبهم تزول اي تنقطع من شدة الزحام
رواه الترمذي وقال هذا حديث ضعيف وفي المصابيح ضعيف منكر قال شارح لان هذا
الحديث منكر لمخالفته للاحاديث الصحيحة التي وردت في هذا المعنى تمامه وسألت محمد بن اسمعيل
عن هذا الحديث فلم يعرفه اي اصل الحديث والعالم بالحديث المحيط بطرق الاحاديث اذا قال
لم اعرفه دل على ضعفه وقال اي البخاري مخلد بضم الميم ابن ابي بكر وهو احد رواة هذا الحديث
يروي المناكير يعني فيكون حديثا ضعيفا وليس فيه ان حديثه هذا منكر قال السيد جمال
الدين قوله مخلد سهو من صاحب المشكوة وصوابه خالد في الترمذي خالد بن ابي بكر وكذا
في كتب اسما الرجال وعن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان في الجنة لسوقا اي مجمعا والسوق مؤنث سماعي وكذا قال ما فيها اي ليس في تلك
السوق شرى بالكسر والقصر اي شرا ولا بيع والمعنى ليس فيها تجارة الا الصور بالنصب
وفي نسخة بالرفع اي التماثيل المختلفة من الرجال والنسا فاذا اشتهى الرجل صورة
دخل فيها وكذا اذا اشتهت صورة النساء دخلن فيها قال الطيبي قد سبق في الفصل الاول
في حديث انس ان المراد بالسوق المجمع وهذا يؤيده يعني حديث قال ما فيها شرى ولا بيع قال
فالاستثنا منقطع ويجوز ان يكون متصلا بان يجعل تبديلا لهيئات من جنس البيع والشرا
كقوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم يعني على وجه والا فالمعنيان
اسنثنا منقطع ثم قال في الحديث معنيين احدهما ان يكون معناه عرض الصور المستحسنة
عليه فاذا اشتهى وتمنى تلك الصور المعروضة عليه صوره الله سبحانه وتعالى بشكل تلك
الصور بقدرته وثانيهما ان المراد من الصورة الزينة التي يتزين الشخص بها في تلك السوق
ويتلبس بها ويختار لنفسه من الحلي والحلل والتاج يقال لفلان صورة حسنة اي هيئة
مليحة يعني فاذا رغب في شيء منها اعطيه ويكون المراد من الدخول فيها التزين بها وفي كلا
المعنيين التغير في الصفة لا في الذات قال الطيبي ويمكن ان يجمع بينهما ليوافق حديث
انس فيهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا الحديث
قلت وهو مقتبس من قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ولعل
التقييد بالمكان وهو السوق والزمان وهو يوم الجمعة لخصوص القصر وكونه يوم المزيد
ويوم اللقا ويوم الجمع ومشاهدة اهل البقا وزيادة اهل الفنا والله سبحانه اعلم وسياتي
في الحديث الذي يليه مزيد بيان لذلك رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن سعيد
ابن المسيب تابعي جليل انه لقي ابا هريرة اي في السوق على ما يدل عليه السياق فقال ابو
هريرة اسال الله ان يجمع بيني وبينك في سوق الجنة اي كما جمع بيننا في سوق المدينة
فقال سعيد افيها اي افي الجنة سوق يعني وهي موضوعة للحاجة الى التجارة قال نعم اخبرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالفتح في اصل السيد وغيره وفي نسخة بالكسر على الحكاية

اي الخبر فهو قوله انا او التقدير قايلا ان اهل الجنة اذا دخلوها اي الجنة نزلوا فيها اي في منازلها ودرجاتها
بفضل اعمالهم اي بقدر زيادة طاعتهم كمية وكيفية ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة اي قدر
ابتدائه والمراد مقدار الاسبوع من ايام الدنيا فيزورون ربهم اي فيه ويبرز من الابراز اي ويظهر
لهم عرشه اي نهاية لطفه وغاية رحمته كما اشير اليه بقوله الرحمن على العرش استوى ولما تقدم
سبق ان العرش سقف الجنة وتبدا ثم ايضا على وجه التنزيه من الجنة قوله ويتبدى بتشديد
الدال اي يظهر ويتجلى ربهم لهم في روضة اي عظيمة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر اي كراسي
مرتفعة من نور ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد بفتح زاي وموحدة فراء ساكنة فجيم مفتوحة
جوهر معروف ومنابر من ذهب ومنابر من فضة اي بحسب مقادير اعمالهم ومراتب احوالهم
ويجلس ادناهم اي اقلهم منزلة وما فيهم دني اي والحال انه ليس في اهل الجنة دون
وخسيس قال الطيبي هو تتميم صونا لما يتوهم من قوله ادناهم الدناءة والمراد به الادنى في المرتبة
والحاصل انه يجلس اقل اهل الجنة اعتبارا على كثبان المسك بضم الكاف وسكون المثلثة
جمع كثيب اي تلال من الرمل المستطيل من كثبت الشيء اذا جمعته والكافور بالجر عطف على المسك
في القاموس هو نبت طيب نوره كنور الاقحوان او الطلع او وعاؤه وطيب معروف يكون من
شجر بجبال بحر الهند والصين يظل خلقا كثيرا وبالفه النمور وخشبه ابيض هش وتوجد
في اجوافه الكافور وهو انواع ولونها احمر وانما يبيض بالتصعيد منه الكرم وعين في الجنة
ما يرون بصيغة المجهول من الاراءة والضمير للجالسين على الكثبان اي لا يظنون ولا يتوهمون
ان اصحاب الكراسي ارباب المناصب بافضل منهم مجلسا حتى يحزنوا بذلك لقولهم على ما في التنزيل
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن بل انهم واقفون في مقام الرضا ومتلذذون بحال
التسليم بما جرى القضا قال ابو هريرة قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا اي بتجلي الذات
قال نعم هل تتمارون بفتح التاء وفي نسخة بحذف احدى التائين اي هل تشكون في رؤية
الشمس اي في رؤيتكم الشمس والقمر اي وفي رؤية القمر ليلة البدر واحترز عن الهلال
ومن القمر في غير ليالي البدر فانه لم يكن حينئذ في نهاية النور قلنا اي لا نشك في رؤية الشمس
والقمر قال وكذلك لا تتمارون في رؤية ربكم والتشبيه انما هو في كمال الظهور لا في غيره
من خطرات تختلج في الصدور ولا يبقى في ذلك المجلس رجل الا حاضره الله محاضرة بالضاد المعجمة
من الحضور وقد صحف بالمهملة قال التوربشتي الكلمتان بالحاء المهملة والضاد المعجمة والمراد من
ذلك كشف الحجاب والمقاولة مع العبد من غير حجاب ولا ترجمان ويؤيده الحديث ما منكم من
احد الا ويكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان الحديث والمعنى خاطبه الله مخاطبة ومحاورة
محاورة حتى يقول للرجل منهم يا فلان بالفتح وفي نسخة بالضم ابن فلان بنصب ابن وصرف
فلان وهما كنايتان عن اسمه واسم ابيه روى احمد وابو داود عن ابي الدرداء مرفوعا انكم تدعون
يوم القيامة باسمائكم واسماء ابائكم فاحسنوا اسماءكم اتذكر يوم قلت كذا وكذا اي مما لا يجوز في الشرع
فكانه يتوقف الرجل فيه ويتامل فيما ارتكبه من معاصيه فيذكره بتشديد الكاف اي فيعلمه
الله ببعض غدراته بفتح الغين المعجمة والدال المهملة جمع غدرة بالسكون بمعنى الغدر وهو ترك
الوفا والمراد معاصيه لانه لم يف بتركها الذي عهد الله اليه في الدنيا فيقول يا رب افلم تغفر لي
اي ادخلتني الجنة فلم تغفر لي ما صدر مني من المعصية فيقول بلى اي غفرت لك فبسعة مغفرتي
بفتح السين وبكسر بلغت اي وصلت منزلتك هذه قال الطيبي عطف على مقدر اي غفرت لك
فبلغت بسعة رحمتي هذه المنزلة الرفيعة والتقديم دل على التخصيص اي بلوغك تلك المنزلة
كائن بسعة رحمتي لا بعملك فبينما وفي نسخة فبينا هم اي اهل الجنة على ذلك اي على ما ذكر

من

من المحاضرة والمحاورة غشيتهم اي غطتهم سحابة من فوقهم فامطرت عليهم طيبا اي عطرا جيدا ولم يجدوا مثل ريحه
شيا قط ويقول ربنا قوموا الى ما اعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فناتي سوقا قد حفت
بتشديد الفا اي احاطت به الملائكة فيه كذا وفي بعض الاصول المعتمدة موجود والمعنى فيه اي في ذلك
السوق ما لم تنظر العيون بضم العين ويكسر جمع العين الى مثله وهو في نسخ اكثر الشراح مفقود فقال
المظهر ما موصولة والموصول مع صلته يحتمل ان يكون منصوبا بدلا من الضمير المنصوب المقدر العايد
الى ما في قوله ما اعددت ويحتمل ان يكون في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي المعد لكم وقال
شارح او هو مبتدا خبره محذوف اي فيها انواع وانواع وتوق قال الطيبي الوجه ان يكون
ما موصوفة بدلا من سوق ولم تسمع الاذان بمد الهمزة جمع الاذن اي وما لم تسمعه بمثله ولم
يخطر بضم الطاء اي وما لم يمر مثله على القلوب وهذا هو معنى الحديث القدسي المشهور اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر على ما رواه ابو هريرة
ايضا كما سبق فيحمل لنا اي الى قصورنا ما اشتهينا اي في تلك السوق من انواع المرزوق
ليس يباع فيها ولا يشترى الجملة حال من مفعول اشتهينا وهو المجهول والضمير في يباع عايد اليه
وفي ذلك السوق هو يذكر ويؤنث فانثه اولا وذكره اخرى وقال التانيث اشهر واكثر اي وفي تلك
السوق يلقى اي يرى اهل الجنة بعضهم بعضا قال اي النبي صلى الله عليه وسلم او ابو هريرة مرفوعا
حقيقة او موقوفا في حكم المرفوع فيقبل من الاقبال اي فيجي في سوقه الرجل ذو المنزلة المرتفعة
فيلقى من هو دونه وما فيهم دني زيد من المبالغة في الاستغراق وفي نسخة صحيحة بدون من
كما في صدر الحديث فيروعه بضم الرا اي يعجب الرجل ما يرى اي يبصره عليه اي على من هو دونه من
اللباس بيانا لما كذا ذكره شارح والظاهر عكس مرجع الضميرين قال الطيبي الضمير المجرور يحتمل
ان يرجع الى من فيكون الروع مجازا عن الكراهة مما هو عليه من اللباس وان يرجع الى الرجل والمنزلة
فالروع بمعنى الاعجاب اي يعجبه حسنه فيدخل في روعه ما يتمنى مثل ذلك لنفسه ويدل عليه
قوله فما ينقضي اخر حديثه اي ما ينتهي روعه من الحديث وضمير المفعول فيه [illegible] من قال شارح
اي حديث من هو دونه مع الرجل الرفيع المنزلة ثم لذلك ويجوز ان يتم الكلام ايضا حتى
يتخيل عليه بصيغة الفاعل وفي نسخة بالبنا للمفعول اي حتى يتصور له اي عليه ما هو احسن منه
والمعنى يظهر عليه لباس احسن من لباس صاحبه وذلك اي سبب ما ذكر من التخييل انه
اي الشان لا ينبغي لاحد ان يحزن بفتح الزاي اي يغتم فيها اي في الجنة لحزن هنا لازم من حزنت
بالكسر لا من باب نصرت لانه متعد غير ملايم للمقام ثم ننصرف اي نرجع ونعود الى منازلنا
فتتلقانا من التلقي اي تستقبلنا وفي نسخة فيلقانا من اللقي اي فيرانا ازواجنا اي من نسا
الدنيا ومن الحور العين فيقلن مرحبا واهلا لقد جئت وان بك من الجمال افضل مما فارقتنا عليه
فنقول انا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحقنا بكسر الحاء وتشديد القاف وفي نسخة بضم الحاء في
المغني يحق الشيء كضرب وقتل اذا ثبت وفي القاموس حق الشيء وجب ووقع بلا شك وحقه وحققه اوجبه
لازم ومتعد فالمعنى يوجبنا ويلزمنا ويمكن ان يكون من باب الحذف والايصال اي يحق لنا ويليق
بنا ان ننقلب بمثل ما انقلبنا اي من الانقلاب وهو الافتراق على وجه الكمال الا من مجالسة ذي
الجمال والجلال وتمت هذه المنزهة عن الحلول والاتحاد والاتصال والانفصال رواه الترمذي
وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث غريب وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة اي اقلهم مرتبة الذي له ثمانون الف خادم واثنتان
اي من نساء الدنيا وسبعون زوجة اي من الحور العين وفي نسخة اثنان بالتذكير لعدد وجهه
انه ذكر باعتبار معنى الزوجية من لفظ الحور والزوج وتنصب بصيغة المجهول اي وتضرب ترفع

لهُ قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت قال القاضي يريد ان القبة معمولة منها او مكللة بها كما بين الجابية
وهي مدينة بالشام الى صنعاء وهي بلدة باليمن قال شارح هي قصبة باليمن وفي دمشق قرية ولا بلدة ببيت
بعد الطرفان والمعنى ان سعة القبة وسعتها طولا وعرضا وبعد ما بين طرفيه كما بين الموضعين
قال السيوطي في الجامع الصغير رواه احمد والترمذي وابن حبان والضياء عنه وبهذا الاسناد
اي بالاسناد الواصل الى ابي سعيد ايضا قال اي النبي عليه السلام او ابو سعيد رفعه وفي المفاتيح
وبه قال اي وبالاسناد المذكور قال من مات من اهل الجنة من صغير او كبير يردون اي يعودون
وفيه تغليب لانه لا يرد في الصغير والمعنى يصيرون بني ثلاثين في الجنة متعلق بقوله يردون
لا يزيدون عليها ابدا اي زيادة مؤثرة في تغيير ابدانهم واعضائهم وشعورهم واشعارهم والا فمن
مالهم في الجنة يتزايد ابد الابد وكذلك اهل النار اي في العمر وعدم الزيادة ولعل اختيار هذا
المقدار من ازمنة الاعمار للابرار والكفار ليكون التنعم والعذاب في وجه الكمال في كل من دار البوار
ودار القرار قال الطيبي فان قلت ما التوفيق بين هذا الحديث وبين ما روي من قبل
عن ابي هريرة في باب البكاء صغارهم دعاميص الجنة اي دخالون في منازلها لا يمنعون من موضع
كما في الدنيا قلت في الجنة ظرف يردون وهو لا ينافي ان يكونوا دعاميص قبل الرد
بهذا الاسناد قال ان عليهم اي على رؤوس اهل الجنة التيجان بكسر المثناة الفوقية جمع تاج
ان ادنى لؤلؤة منها لتضيء بالتانيث في النسخ ولعل وجه التانيث اكتساب التانيث من المضاف
اليه والمعنى لتنور ما بين المشرق والمغرب فاضافة مقدر ويمكن ان يكون لازما والتقدير لتضيء به
ما بينهما من الاماكن لو ظهرت في اهل الدنيا وبهذا الاسناد قال المؤمن اذا اشتهى الولد
في الجنة اي فرضا وتقديرا كان حمله اي الولد ووضعه وسنه اي كمال سنه وهو ايضا ثلاثون
سنة في ساعة لانه لا انتظار اشد من الولد ولا مرض في الجنة ولا حزن كما يشتهي اي من ان يكون
ذكرا او انثى ونحو ذلك وقال اسحاق بن ابراهيم اي ابن حبيب البصري الراوي عن عمر بن سليمان
وروى عنه ابو عبد الرحمن النسائي وغيره مات سنة سبع وخمسين ومائتين في هذا الحديث
اي ذكر في بيان هذا الحديث اذا اشتهى اي في هذا الحديث دلالة على انه اذا اشتهى المؤمن في الجنة
الولد كان اي حصل الولد في ساعة ولكن لا يشتهي فقوله ولكن هو المقول حقيقة رواه الترمذي
وقال هذا حديث غريب وروى ابن ماجه الرابعة اي الفقرة الرابعة من فقرات الحديث والدارمي
الاخيرة وفي ما اورده اسحاق بن ابراهيم وفي تفسير الوصول الى جامع الاصول عن ابي رزين
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون لاهل الجنة ولد اخرجه الترمذي وزاد
في رواية عن الخدري اذا اشتهى الولد كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة قال بعضهم
لكن لا يشتهي وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة
لمجتمعا بفتح الميم الثانية اي موضعا للاجتماع واجتماعا للحور العين قال الراغب الحور جمع احور
وحوراء والحور قيل ظهور قليل من البياض في العين من بين السواد وذلك نهاية الحسن من
العين وقيل للبقر الوحشي اعين وعيناء لحسن عينها وجمعها عين وبها شبه النساء قال تعالى
وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون وروى ابن ماجه وابن مردويه عن عائشة عنه صلى الله عليه
وسلم الحور العين خلقن من تسبيح الملائكة وروى ابن مردويه والخطيب عن انس
مرفوعا الحور العين خلقن من الزعفران قلت ولا تنافي بين الحديثين لان من تعليلية في الحديث
الاول فتامل يرفعن باصوات الباء زائدة تاكيد للتعدية او زائدة والمراد بالاصوات النغمات والمفعول
محذوف اي يرفعن اصواتهن بالنغم لم تسمع الخلائق بمثلها يقلن نحن الخالدات اي الدائمات
في الجنة والمعنى فلا نبيد من باد هلك وفني فلا نفنى ونحن الناعمات اي المتنعمات فلا نبأس

فلا نفتقر ولا نحتاج بالفقر المؤلم ونحن الراضيات اي عن ربنا وعن ازواجنا فلا نسخط اي
بحال من الحالات طوبى اي الحالة الطيبة لمن كان لنا وكنا له اي في الجنان للغايات رواه الترمذي
وعن حكيم بن معاوية اي القشيري قال البخاري في صحبته نظر وروى عنه ابن اخيه معاوية بن حكيم
وقتادة كذا ذكره المؤلف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بحر الماء وبحر
العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد قال الطيبي يريد بالبحر مثل دجلة والفرات
ونحوهما وبالنهر مثل نهر معقل حيث تشقق من احدهما ثم منه تشقق جداول انتهى والظاهر
ان المراد بالبحار المذكورة في اصول الانهار المسطورة في القرآن كما قال تعالى فيها انهار من
ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى
وقوله ثم تشقق بحذف احدى التائين اي تتفرق الانهار اي الجداول بعد تحقق الانهار الاربعة
الابرار وتحت قصور الاخيار فيرجع انه لا بد ان المراد بالبحار هي الانهار وانما سميت انهارا لا
لجريها بخلاف بحار الدنيا فان الغالب منها انها في محل القرار رواه الترمذي اي عن حكيم بن
معاوية ورواه الدارمي عن معاوية الظاهر انه معاوية بن ابي سفيان لان معاوية ابا حكيم
لم يعرف كونه من الصحابة ثم رايت السيوطي ذكر في الجامع الصغير رواه احمد والترمذي
عن معاوية بن حيدة لكنه لم يذكره المؤلف في اسمائه انتهى والله سبحانه وتعالى اعلم

الفصل الثالث

عن ابي سعيد رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الرجل في الجنة اي في داخلها ليتكئ اي ليعتمد ويستند في الجنة اي في جنته الخاصة
به سبعين مسندا بفتح الميم وبضم النون المفتوحة لا غير وهو تمييز لسبعين وهو منصوب
بنزع الخافض اي على سبعين مسندا ومتكأ واحدا بعد واحد كل بلون وصنف من انواع الزينة
قبل ان يتحول اي من شق الى اخر وهو ظرف ليتكئ كما هو الظاهر واغرب الطيبي حيث قال قوله
سبعين مسندا هذا يؤيد قول من فسر قوله تعالى وفرش مرفوعة بانها منضودة بعضها فوق
بعض وقوله قبل ان يتحول ظرف لقوله بانيه ولا يخفى غرابة الاول في المعنى وغرابة الثاني في
المبنى ثم ياتيه امراة فتضرب على منكبه وفي نسخة منكبيه اي ضرب الفتح والدلال وتنبيه على
سطاعة الجمال فينظر اي فيطالع الرجل وجهه في خدها اي عكسه في خدها لانه كمال صفائها
وضيائها حال كون خدها اصفى من المرآة اي النور من جنس المراة المعهودة في الدنيا وان ادنى
لؤلؤة عليها اي على تلك المراة لتضيء ما بين المشرق والمغرب اي لو كانت في الدنيا فتسلم اي
المراة عليه فيرد السلام اي عليها ويسالها من انت فتقول انا من المزيد يراد به ما في قوله
تعالى لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد ومن المزيد فضله كما قال سبحانه للذين احسنوا الحسنى
وزيادة الجنة ورؤية الله تعالى وانما سميت زيادة لان الحسنى هي الجنة وهي وعد الله لهم
بفضله جزاء اعمال المكلفين والزيادة تفضل وانه اي الشان ليكون عليها اي على المراة سبعون
ثوبا اي بالوان مختلفة واصناف مؤتلفة فينفذها بضم الفاء اي يدرك لطافته بدن المراة
بصرها اي نظر الرجل حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك اي مما ذكر من انواع الثياب ولم يمنع بصره
شيء من الحجاب وان عليها من التيجان المرصعة ما يليق في حقها ان ادنى لؤلؤة منها لتضيء
ما بين المشرق والمغرب وفي ان بالكسر مزيدة واللام داخلة في خبر ان الاولى نحو قوله تعالى
الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم اي فله نار جهنم انتهى والظاهر انها
اذا كانت مزيدة فتكون اللام داخلة في خبر المبتدأ والجملة خبر ان الاولى ثم لا شك ان ان
الثانية في الآية غير مزيدة بل لزيادة تاكيد ومبالغة في النسبة رواه احمد وعن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث وعنده رجل من اهل البادية ان رجلا بكسر الهمزة

على الحكاية فهي من جملة ما يتحدث به وفي بعض النسخ بفتحها على انه مفعول يتحدث والجملة بينهما حالية معترضة وقال الطيبي هو بكسر الهمزة مفعول يتحدث في حكاية ما تلفظ به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصله ان رجلا من اهل الجنة استأذن ربه في الزرع بناء على ما تعوده به في الدنيا او لتنزهه به في العقبى فقال اي ربه وفي نسخة فيقال له الست فيما شئت اي من الاكل والشرب وسائر انواع التنعم قال بلى ولكني احب ان ازرع فبذر الفاء فصيحة اي فاذن فبذر اي رمى البذر في ارض الجنة فبادر الطرف بسكون الراء تحريك الجفون في النظر اي فسبق نباته والمعنى فحصل نباته في الحال وكذا قوله واستواؤه واستحصاده اي من غير مؤنة للحصاد ومن عجائب الغيب فكان امثال الجبال فيقول الله تعالى اي حينئذ دونك يا ابن آدم اي خذ ما تمنيته قاله على سبيل التوبيخ فحصل المراد لتمنيه ومن ثم رتب عليه قوله فانه لا يشبعك شيء اي كبير حرص في الجنة وقد يوجد في تعارف الناس مثل هذا التوبيخ من الفواعل المعتدلة الاكل انا اي تشبع بما فيه وان الناس يموتون كما يعيشون ويحشرون كما يموتون اظهر النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في لباس هذا المبنى فقال الاعرابي والله لا تجده اي هذا الرجل الا قرشيا اي من اهل مكة او انصاريا اي من اهل المدينة فانهم اي مجموع الفريقين اصحاب زرع اي في الجنة وان كان الانصار اكثر زرعا فاما بالفاء وفي نسخة صحيحة واما نحن اي معاشر اهل البادية فلسنا باصحاب الزرع اي فلا نشتهي فبذلك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم اي من فطانة البدوي او من مسألته الحسنى وجوابه البديع رواه البخاري وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اينام اهل الجنة قال النوم اخو الموت ولا يموت اهل الجنة اي فلا ينامون وهذا جواب بالدليل البرهاني وهو اوقع في النفس واظهر في اطمئنان الايماني من الجواب الاجمالي بان قال لا رواه البيهقي في شعب الايمان انتهى والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

باب رؤية الله تعالى

الفصل الاول عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم اي ايها المؤمنون سترون ربكم اي ستبصرونه تعالى عيانا بالكسر مصدر مؤكد او حال مؤكدة اما من الفاعل او المفعول اي معاينين بكسر الياء او معاينا بفتح الياء والمعاينة رفع الحجب بين الرائي والمرئي وفي القاموس لقيته عيانا اي معاينة لم يشك في رؤيته اياه وقال الطيبي عيانا اي جهارا ويجوز ان يكون من العين المحسوسة بالعين الظاهرة قال النووي اعلم ان مذهب اهل السنة قاطبة ان رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا واجمعوا ايضا على وقوعها في الآخرة اي نقلا وان المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين وزعمت طوائف من اهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة ان الله تعالى لا يراه احد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين ورواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها اجوبة مسطورة في كتب المتكلمين من اهل السنة واما رؤية الله تعالى في الدنيا فممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم على انها لا تقع في الدنيا وحكى الامام ابو القاسم القشيري في رسالته المعروفة عن الامام ابو بكر بن فورك انه حكى فيها قولين للامام ابي الحسن

متن الفصل الاول عن جرير بن عبد الله

الاشعري احدهما وقوعها والثاني لا يقع ثم مذهب اهل الحق ان الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الاشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك ولكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضا بوجود ذلك على وجه الاتفاق لا على سبيل الاشتراط وقد قرر ائمتنا المتكلمون ذلك بالدلائل الجلية ولا يلزم من رؤية الله تعالى اثبات جهة له تعالى عن ذلك بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة قلت وكما يرانا هو لا في جهة ولا مقابلة ولا غير ذلك والحاصل انه لا يقاس الغائب بالشاهد لا سيما الخالق بالمخلوق وكذا لا يقاس الملوك بالحدادين وفي رواية اي عن جرير قال كنا جلوسا اي جالسين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر قال الاكمل البدر القمر الكامل وسمي ليلة اربعة عشر بدرا لمبادرته الشمس بالطلوع فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر اي المحسوس لكن هذا المرئي ثم استأنف وقال او ذكر على سبيل البيان قال لا تضامون بضم التاء وتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم قاله الحافظ ابن حجر وهو الاكثر اي لا يظلم بعضكم بالتكذيب والانكار وفي نسخة بفتح التاء وتشديد الميم من التضام بمعنى التزاحم وفي اخرى بالضم والتشديد من المضامة وهي المزاحمة وهو حينئذ يحتمل كونه للفاعل والمفعول وحاصل معنى الكل لا تشكون في رؤيته اي في رؤية القمر ليلة البدر قال في جامع الاصول قد يخيل الى بعض السامعين ان الكاف في قوله كما ترون كاف التشبيه للمرئي وانما هو كاف التشبيه للرؤية وهو فعل الرائي ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تمترون قال ولا تضامون روي بتخفيف الميم من الضيم الظلم المعنى انكم ترونه جميعكم لا يظلم بعضكم بعضا في رؤيته فيراه البعض دون البعض وبتشديد الميم من الانضمام بمعنى الازدحام اي لا يزدحم بعضكم بعضا في رؤيته ولا ينضم بعضكم الى بعض من ضيق كما يجري عند رؤية الهلال مثلا دون رؤية القمر فانه يراه كل منكم موسعا عليه منفردا به فان استطعتم ان لا تغلبوا بصيغة المجهول اي لا تصيروا مغلوبين على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ما ذكر من الاستطاعة وعدم المغلوبية قال القاضي ترتيب قوله ان استطعتم على قوله سترون بالفاء يدل على ان المواظب على اقامة الصلوات والمحافظ عليها خليق بان يرى ربه وقوله لا تغلبوا معناه لا تصيروا مغلوبين بالاشتغال عن صلاة الصبح والعصر وانما خصهما بالحث لما في الصبح من ميل النفس الى الاستراحة والنوم وفي العصر من قيام الاسواق واشتغال الناس بالمعاملات فمن لم يلحقه فترة في الصلاة مع ما لها من قوة المانع فبالحري ان لا تلحقه في غيرهما والله اعلم ثم قرأ اي النبي صلى الله عليه وسلم استشهادا او جرير اعتضادا وسبح بالعطف على ما قبله وهو قوله سبحانه فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها اي وصل في هذين الوقتين وعبر عن الكل بالجزء وهو التسبيح المراد به الثناء في الافتتاح المقرون بحمد الرب المشتمل عليه سورة الفاتحة ويدل على هذا المعنى ما بعده وهو قوله ومن آناء الليل اي ساعاته وهي العشاء فسبح واطراف النهار اي طرفيه وهو وسطه يعني الظهر لعلك ترضى بالفتح والضم اي على رجاء ان تكون راضيا او مرضيا او جمعا مثبتا والمراد بالتسبيح تنزيه الرب عن الشريك ونحوه من صفات النقصان والزوال والحدوث والانتقال والمراد بحمده ثناء الكمال بنعت الجمال ووصف الجلال متفق عليه وفي الجامع رواه احمد والبخاري والاربعة عنه لكن بغير قراءة الآية وعن صهيب مصغرا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون اي اتريدون شيئا ازيدكم اي على ما اعطيتكم

فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا بتشديد الجيم وتخفيفها من النار اي الم تخلصنا من
النار اي من دخولها ادخولها قال الطيبي تقرير وتعجب من انه كيف يمكن الزيادة على ما اتاهم
الله تعالى من سعة فضله وكرمه وقوله فيرفع الحجاب بصيغة المجهول ورفع الحجاب رفع
للتعجيب كانه قيل لهم هذا هو المزيد والله سبحانه منزه عن الحجاب فانه محجوب عن محجوب
اذ المحجوب مغلوب فالمعنى فيرفع الحجاب عن اعين الناظرين كما يدل عليه قوله فينظرون
الى وجه الله اي ذاته المنزهة عن الصورة والجهة ونحو ذلك فما اعطوا شيئا احب اليهم
من النظر الى ربهم ثم تلا للذين احسنوا الحسنى اي العمل في الدنيا بان جاءوا به مقرونا بالاخلاص
الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وزيادة اي النظر الى وجهه الكريم وتنكيرها للتعظيم
اي زيادة عظيمة لا يعرف قدرها ولا يكتنه كنهها قال الطيبي واذا كان مفسر التنزيل من
نزل عليه فمن بعده فقد تعدى طوره اقول اذا ذهب الزمخشري في بدعته وتبعه في التاويل
وكذا من تبعه كالبيضاوي ويجب عن التقليد في هذا القول الجميل الثابت ممن نزل
عليه التنزيل رواه مسلم الفصل الثاني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة اي اقلهم مرتبة لمن ينظر
الى جنانه بكسر الجيم اي بساتينه وازواجه اي نسائه ونعيمه اي ما يتنعم به وخدمه
اي من الولدان وسرره مسيرة الف سنة اي حال كون جنانه وما عطف عليه كائنة في مسافة
الف سنة والمعنى ان ملكه مقدار تلك المسافة قيل هو كناية عن كون الناظر يملك في الجنة
ما يكون مقدار مسيرة الف سنة لان المالكية في الجنة خلاف ما في الدنيا وفي التركيب
تقديم وتاخير اذ جعل الاسم وهو قوله لمن ينظر خبرا لان وهو منزلة اسما اعتناء بشان
المقدم لان المطلوب بيان ثواب اهل الجنة وسعته وان ادناهم منزلة من يكون ملكه كذا
ونحوه قوله تعالى ان خير من استاجرت القوي الامين جزاء واكرمهم بالنصب عطفا
على ادنى وفي نسخة بالرفع عطفا على مجموع اسم ان وخبرها اي واكثرهم كرامة على الله
واعلاهم منزلة واقربهم رتبة عنده سبحانه من ينظر الى وجهه اي ذاته غدوة بضم الغين
وعشية اي صباحا ومساء ولهذا وقع بالمحافظة على صلاتي طرفي النهار كما مر والمراد بهما ان يكون
النظر دائما فان الغدوة عبارة عن النهار والعشية عبارة عن الليل مجازا بذكر الجزء وارادة
الكل او بذكر اول الشيء وارادة تمامه لكن الاظهر لانه لو كان النظر على وجه الدوام لما
اشتغلوا بسائر النعيم وقد خلقت لهم ومما يؤيده ايضا ما رواه الحكيم عن بريدة مرفوعا
ان اهل الجنة يدخلون على الجبار كل يوم مرتين فيقرا عليهم القران وقد جلس كل امرئ منهم
مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزمرد والذهب والفضة بالاعمال
فلا تقر اعينهم قط كما تقر بذلك ولا يسمعوا شيئا اعظم منه ولا احسن منه ثم ينصرفون الى
رحالهم وقرة اعينهم ناعمين الى مثلها من الغد ثم قرا وجوه يومئذ ناضرة اي ناعمة غضة
حسنة والمراد بالوجوه الذوات وخصت لشرفها ولظهور اثر النعمة عليها الى ربها ناظرة
قال الطيبي قدم صلته ناظرة اما لرعاية الفاصلة وهي ان قرئ بشرط فاقرة واما لان الناظر
مستغرق عند رفع الحجاب بحيث لا يلتفت الى ما سواه وكيف يستبعد هذا والعارفون
في الدنيا ربما استغرقوا في بحار الحب بحيث لم يلتفتوا الى الكون ويعضده حديث
جابر في اخر الفصل الثالث فتنظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم
ما داموا ينظرون اليه رواه احمد والترمذي وكذا الطبراني ورد هنا وفي الزهد عن
عبيد بن عمير مرسلا ان ادنى اهل الجنة منزلة لرجل له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها

وابوابها

الفصل الثاني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما

وابوابها وعن ابي رزين العقيلي مصغرا قال قلت يا رسول الله اكلنا اي اجميعنا معشر المؤمنين
يرى ربه اي يبصره وحده او منفردا في رؤيته باعتبار لفظ كل مخليا به بميم مضمومة فخاء معجمة ساكنة
فلام مكسورة فتحتية مخففة اي خاليا برؤيته بحيث لا يزاحمه شيء في الرؤية يوم القيمة وقيل بفتح
ميم وتشديد تحتية واصله مخلوي كذا ذكره الجزري وانتصر ابن الملك على الاول بيد ان المعنى منفردا
به في النهاية يقال خلوت به ومعه واليه واخليت به اذا انفردت به اي كلكم يراه منفردا بنفسه
كقوله لا تضارون في رؤيته قال بلى اي نعم كلنا يرى ربه قال اي ابو رزين قلت وهو موجود
في اكثر النسخ المصححة والمعتمد عليه وما اية ذلك اي علامة رؤيته كلنا ربه بحيث لا يزاحمه
فيه والمعنى مثل لنا ذلك في خلقه اي مخلوقاته نظيرا لذلك فان الله تعالى جعل في الدنيا
انموذجا لجميع ما في العقبى قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قال
بلى اي قلت بلى قال فانما هو اي القمر خلق من خلق الله اي فيراه كلنا والله اجل اي اكرم رتبة
واعظم اي افضل منقبة لانه واجب الوجود فهو اولى في نظر العقل بالشهود قال الطيبي
فان قلت ما الفائدة في رؤية الله تعالى في ما في المتعارف فان الحكيم اذا اراد شيئا ينتفع وتوقف
في الرؤية لا سيما شيئا له نوع خفاء ببعضهم بعضا ببعض بالازدحام فمن راى يرى رؤية كاملة
ومن دونه فالمراد بقوله مخليا به اثبات كمالها وكذا طابق الجواب بالتشبيه بالقمر ليلة البدر
لا بالهلال رواه ابو داود انتهى والله اعلم الفصل الثالث عن ابي ذر رضي الله
تعالى عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك اي في ليلة المعراج
قال نور اي هو نور عظيم والمراد انه نور الانوار ومنه قوله تعالى الله نور السموات والارض
اي منورهما ومظهر انوار ما فيهما من الشمس والقمر والكواكب وامثال ذلك ومن اسمائه النور وهو
الذي ظاهر بنفسه ومظهر لغيره على ما ذكره المحققون انى بفتح الهمزة وتشديد النون على
ما في اكثر النسخ اي كيف اراه اي ابصره فان كمال النور يمنع الادراك وفي بعض النسخ نوراني
بتشديد الياء التحتية بزيادة الالف والنون للمبالغة كالرباني وحينئذ قوله اراه بمعنى اظنه من
الرؤية بمعنى الراي فلو روي بضم الهمزة لكان اظهر في هذا المعنى ويمكن ان يكون بمعنى المتبرق ايماء الى انه
ما راه في الدنيا وسيراه في الاخرى او مراده ابصرته والعدول الى المستقبل لحكاية الحال الماضية
فكانه يستحضره ويتلذذ به قال ابن الملك اختلف في رؤيته في تلك الليلة وفي الحديث دليل
للفريقين على اختلاف الروايتين لانه روي بفتح الهمزة وتشديد النون المفتوحة فيكون استفهاما
على الانكار وروي بكسر النون فيكون دليلا للمثبتين ويكون حكاية عن الماضي بحال الاتي وقال
الامام احمد في قوله نوراني اراه بتشديد النون يعني في طريق الايجاب قال الطيبي اراد ليس الاستفهام
على جهة الانكار المستفيد للنفي بل للتقرير المستلزم للايجاب اي نور حيث اراه قال النووي وفي
الرواية الاخرى رايت نورا وانى بفتح الهمزة وتشديد النون المفتوحة هكذا رواه جميع من
الرواة في جميع الاصول ومعناه حجاب نور فكيف اراه قال الامام المازري معناه ان النور منعني
من الرؤية كما جرت العادة فان كمال النور يمنع الادراك وروي نوراني منسوب الى النور وما جاء
في تسمية الله تعالى بالنور في مثل قوله سبحانه الله نور السموات والارض وفي الاحاديث
معناه ذو نورها ومنورها وقيل هاديها وقيل منور قلوب عباده المؤمنين قلت
ويؤيده قوله مثل نوره كمشكاة فيها مصباح رواه مسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما اي
في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى ولقد راه نزلة اخرى قال اي ابن عباس راه بفؤاده
قال صاحب المدارك اي ما كذب فؤاد محمد ما راه ببصره من صورة جبريل عليه السلام اي
ما قال فؤاده لما راه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعني انه راه بعينه

الفصل الثالث عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه

وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما راه حق وقيل المرئي هو الله سبحانه راه بعيني راسه وقيل
بقلبه وفي شرح مسلم للنووي قال ابن مسعود راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل وهذا
الذي قاله هو مذهبه في هذه الاية وذهب الجمهور من المفسرين الى ان المراد انه راى ربه سبحانه
وتعالى ثم اختلفوا فذهب جماعة الى انه صلى الله عليه وسلم راى ربه بفؤاده دون عينيه وذهب جماعة
الى انه راه بعينيه قال الامام ابو الحسن الواحدي قال المفسرون هذا اخبار عن رؤية النبي صلى
الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة المعراج قال ابن عباس وابو ذر وابراهيم التيمي راه بقلبه
هذا راى بقلبه ربه رؤية صحيحة وهو ان الله تعالى جعل بصره في فؤاده او خلق لفؤاده بصرا حتى
راى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين قلت وهذا قول حسن ووجه مستحسن يمكن
به الجمع بين متفرقات الاقوال والله اعلم بالحال ثم قال الواحدي ومذهب جماعة من المفسرين
انه راى بعينه وهو قول انس وعكرمة والربيع قال المبرد الفؤاد في قوله ما كذب الفؤاد ما راى
في موضع النصب اي ما كذب الفؤاد مرئيه وقال القاضي عياض اختلف السلف والخلف هل راى
نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسرى فانكرته عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه
ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروي عن ابن عباس انه راه بعينه ومثله عن ابي ذر وكعب
والحسن كان يحلف على ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود وابي هريرة واحمد بن حنبل وحكي اصحاب
المقالات عن ابي الحسن الاشعري وجماعة من اصحابه انه راه ووقف بعض مشايخنا وقال ليس عليه دليل
واضح ولكنه جائز ورؤية الله تعالى في الدنيا جائزة واختلفوا ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل
كلم ربه سبحانه وتعالى ليلة الاسرى بغير واسطة ام بها فحكي عن الاشعري وقوم من المتكلمين
انه كلمه وعزاه بعضهم الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا في قوله
تعالى ثم دنى فتدلى فالاكثر على ان هذا الدنو والتدلي منقسم ما بين جبريل والنبي عليهما السلام
ومن ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم انه دنو من
النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه او من الله له والدنو والتدلي على هذا متاول ليس على وجهه قال
جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود فدنوه عليه السلام من ربه عز وجل قربه
منه وظهور عظيم منزلته لديه واشراق انوار معرفته عليه واطلاعه على اسرار ملكوته وغيبه ما لم
يطلع عليه سواه والدنو من الله اظهار ذلك له وايصال عظيم بره وفضله اليه وقاب قوسين
او ادنى في هذا عبارة عن لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله
عليه وسلم ومن الله اجابة الرغبة وابانة المرتبة ونحو قوله عليه السلام حكاية عن ربه من تقرب
مني شبرا تقربت منه ذراعا هذا اخر كلام القاضي عياض وقد اوردت بعض النقول ... من هذه
الرياض في رسالتي المدراج للمعراج رواه مسلم وفي رواية الترمذي قال ابن عباس راى محمد
ربه اي بفؤاده فلا يخالف رواية مسلم وقيل راى بعينه وهو الظاهر من الاطلاق الملائم لما بعده
من السؤال ولا فرق في الفؤاد غير منكر باجماع اهل الكمال ولا يعترض عليه اعتراض نقلا ولا اعتقادا
في كل حال قال عكرمة قلت اليس الله يقول لا تدركه الابصار قال اي ابن عباس ويحك كلمة
تعالى عن الشفقة وخالص خوف المزلقة ذاك اي الادراك الكلي اذا تجلى بنوره اي الخاص الذي هو
نوره اي الذاتي وهو الجواب بظاهره انه اراد الرؤية بالفؤاد وفهم عكرمة خلاف ذلك فرد عليه بان
رؤيته بالعين انما هو في الاخرة بالتجلي الخاص لا التجلي العام لكل مؤمن لكن على قدر مراتبهم في المعرفة
وغيرها كلاهما عن المعنى المشهور في الادراك وهو الاحاطة المنفية بالاجماع لقوله تعالى ولا يحيطون
به علما وقال الطيبي قوله ذلك اذا تجلى بنوره يعني دلت الاية على انه تعالى لا يحيط به وحقيقة
ذاته حاسة الابصار وهذا اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وظهر بصفة الجلال واما اذا تجلى بما

يسعه

بسعة نطاق البشرية من صفات الجمال فلا استبعاد اذ ذاك انتهى وقال صاحب الخلاصة فهم عكرمة
من قول ابن عباس راه بفؤاده انه راه بعينه لكن يمكن غير فؤاده فلذلك تمسك بالاية ولو كان
المراد انه كانت الرؤية بالفؤاد حاصلة كالرؤية البصرية لم يحسن السؤال بالاية لان الاجلال في ال
المراد في الادراك الذي يكون كالادراك البصري في الجلاء وانما خص ذكر البصر لانه محل الادراك بحسب
العادة والظاهر ان سؤال عكرمة كان في قول ابن عباس راى محمد ربه كما هو رواية الترمذي لا في قول
راه بفؤاده كما هو رواية مسلم وحينئذ لا اشكال في الاستدلال بالاية الكريمة ومعنى جواب ابن
عباس انه اذا تجلى على قدر ما ينبغي بادراكه القوة البشرية فانه يدرك على ذلك الوجه ثم قوله وقد راى
ربه مرتين يحتمل انه راه بفؤاده مرتين وهو الظاهر الموافق لما في صحيح مسلم او مرة بفؤاده
ومرة بعينيه اذ لم ينقل احد انه راه بعينيه مرتين والحاصل انه ليس في كلام ابن عباس
صريح دلالة على ان مراده رؤية ربه بعين البصر واما صاحب التحرير فانه اختار اثبات الرؤية
فقال الحجة في هذه المسألة وان كانت كثيرة لكنا لا نتمسك الا بالقوي منها حديث ابن عباس
اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد عليهم السلام قلت ليس
في كلامه تصريح ان المراد به الرؤية البصرية لاحتمال ان يكون رؤية الفؤاد مخصصا بما يخصه
مع ان ظاهر هذا الكلام ان لا يكون لنبينا صلى الله عليه وسلم وصف الخلة ونعت الكلام
مع انهما ثابتان له عليه السلام على ما ذكره العلماء الاعلام ثم قال واما الاقوى في الباب حديث
ابن عباس حبر الامة والمرجوع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسألة هل راى
محمد صلوات الله عليه ربه فاخبره انه راه قلت يحتمل ان يكون سؤال ابن عمر وكذا سؤال
عكرمة ناشئا عن تفسير قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى هل الضمير الى جبريل او الى الله
سبحانه فاخبره انه راه اي بفؤاده كما يدل عليه ما رواه مسلم في صحيحه قال ولا يقدح
في هذا حديث عائشة لانها لم تخبر انها سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم ار ربي
قلت وكذا ابن عباس لم يخبر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول رايت ربي
مطلقا فضلا عن ان يكون مقيدا بعين البصر فاذا انما ذكرت متاولة لقوله تعالى ما كان
لبشر ان يكلمه الله الاية ولقوله لا تدركه الابصار قلت هاتان الايتان مستندان
لمنعها على ان ابن عباس ايضا متاول كما لا يخفى على من تتبع ذلك ان اذا صحت الروايات عن
ابن عباس في اثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها فانها ليست مما يدرك بالعقل ويوجد
بالظن وانما يتلقى بالسماع ولا يستجيز احد ان يظن بابن عباس انه تكلم في هذه المسألة بالظن
والاجتهاد قلت الرؤية بعين العين بتصريحه عنه وفي تقدير التسليم فلا شك
انه نشا من باب اجتهاده واخذه من اطلاق الاية قال وقد قال معمر بن راشد حين
ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة باعلم من ابن عباس قلت هذا مع ما فيه
من المناقشة لا يفيد فائدة تامة مع انها ليست منفردة في هذا الباب بل يوافقها ابن
مسعود وغيره من الاصحاب ثم في تقدير التعارض والتناقض ان التناقض بين كلاميه
وبتحقق مرامها قال ثم ان ابن عباس اثبت شيئا نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي قلت
هذا اذا كان الاثبات مستندا الى الحس واما اذا كان من باب العقل فكلام المانع لا سيما
مع سند المنع حجة في نفي الخصم برهان جلي اذ الاصل هو العدم فالوجود يحتاج الى تحقق دليل
قطعي من النقل والعقل هذا اخر كلام صاحب التحرير وما يترتب عليه من التقرير فقال
الامام النووي الحاصل ان الراجح عند اكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ربه
بعيني راسه ليلة الاسرى واثبات هذا ليس الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهذا انما كان لا ينبغي ان يشك فيه قلت ولا ينبغي ان يجزم به ايضا بثبوت السماع اصلا فضلا
عن ان يكون ظنيه قطعا فضلا والمادة فيه خلاف للاقدام والاكرة فتامل وتدبر قال
ثم ان عايشة لم تنف الرؤية بحديث ولو كان معها حديث لذكرته قلت وكذا ابن عباس لم يثبت
الرؤية بحديث ولو كان معه حديث لذكره وانما اخذ من اطلاق الاية المتقدمة لو ثبت النقل
صريحا عنه من اثبات الرؤية بعين البصر وقد علم ايضا مما سبق ان عايشة ما نفت الرؤية المذكورة
وما ذكرته من الادلة فانها في سند منعها للتقوية ولثبت مستند لها في نفي تعالى في حقه من ان لا
وانما اعتمدت في الاستنباط من الايات اما احتجاجها بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه
ان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه
نفي الرؤية بغير احاطة قلت سبق سؤال عكرمة مطابقا لما فهمت عايشة من الاية
وكذا تقرير ابن عباس هذا المعنى وجوابه في تقرير هذا المبنى وان كان هذا جوابا حسنا في نفس
الامر لا يخفى فاما قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا فجوابه انه لا يلزم من
الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام قلت الظاهر ان
هذا المعنى اخذته من سياق قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى
حيث استدل الخصم به في الجمع بين كمال القرب والوحي الخاص المراد به الكلام من غير واسطة
فدفعته بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ان تكلما ظاهرا
يدركه سمع القالب لكن من وراء حجاب والله اعلم بالمراد وفي التفسير الكبير اعلم
ان المنصوص ورد ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه بفؤاده وجعل بصره في فؤاده
او راه ببصره وجعل فؤاده في بصره وكيف لا ومذهب اهل السنة الرؤية بالارادة لا بقدرة
العبد فاذا حصل العلم بالشيء من طريق البصر كان رؤية بالارادة وان حصل من طريق القلب
كان معرفة والله تعالى قادر على ان يجعل العلم يخلق مدركا للعلوم في البصر كما قدر ان
يجعله يخلق مدركا للعلوم في القلب والمسالة مختلف فيها بين الصحابة واختلاف
الوقوع فيما ينبغي في الاتفاق في الجواز انتهى وهو غاية التحقيق ونهاية التدقيق والله ولي
التوفيق وقال صاحب التعريف واجمعوا انه لا يرى بالابصار ولا بالقلب الا بالايقان
لانه غاية الكرامة وافضل النعم ولا يجوز ان يكون ذلك الا في افضل المكان والاخرى الا الدنيا
دار فناء ولا يجوز ان يرى الباقي في الدار الفانية ولو راوه في الدنيا لكان الايمان به ضرورة
وبالجملة ان الله تعالى اخبر انها تكون في الاخرة ولم يخبر انها تكون في الدنيا فوجب الانتهاء الى ما اخبر
الله تعالى وقد اختلفوا في النبي عليه السلام هل راى ربه ليلة الاسرى فقال الجمهور منهم انه لم
ير محمد صلى الله عليه وسلم ببصره واحتجوا بخبر عايشة انها قالت من زعم ان محمدا راى
ربه فقد كذب منهم الجنيد والثوري وابو سعيد الخراز وقال بعضهم راه وانه خص بذلك
بالرؤية واحتجوا بخبر ابن عباس واسما وانس منهم ابو عبد الله القرشي وبعض المتاخرين وقال
بعضهم راه بقلبه ولم يره ببصره واستدل بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى هذا وزعم
بعض الناس ان قوما من الصوفية ادعوا الرؤية لانفسهم فقد اطبقوا كلهم على تضليل من
قال ذلك وصنفوا في ذلك كتبا منهم ابو سعيد الخراز وفي انكار ذلك كتابا ورسايل وكذا
للجنيد في تكذيب من ادعاه رسايل وكلام كثير واجمعوا على ان من ادعى ذلك لم يعرف الله سبحانه
وعن الشعبي بفتح فسكون تابعي جليل قال لقي ابن عباس كعبا بعرفة فساله اي كعبا عن
شيء فكبر كعب حتى جاوبته الجبال قال الطيبي اي كبر تكبيرة من تعجبه صوت فخرج وتبعته الجبال
صدا كانه استعظم ما ساله عنه فكبر لذلك ولعل ذلك السؤال الرؤية الله تعالى كما سالت عايشة

رضي

رضي الله عنها فقال لذلك شعري قلت ظاهر كلام كعب الاثبات من اثباته الرؤية في الجملة بانه عن هذا
المعنى وان يكون نحوه صدر منه عايشة في المبنى فالوجه ان حمل التكبير على تعظيم ذلك المقام والتشو
في ذلك المرام لكنه لم يرد عليه جواب الكلام فقال انا بنو هاشم اي فيجب تعظيما وتكليما وتفهيما
فقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى وقال الطيبي واما قوله انا بنو هاشم
فيعث له في التشكيك من ذلك الغبط والتفكر في الجواب يعني نحن اهل علم ومعرفة فلا نسال
عما يستبعد هذا الاستبعاد ولذلك فكر فاجاب ان الله الخ قوله نحن اهل علم اعلوا عن بعد
الانه لا له في الحديث في ثبوت غبط له ولا في تحقيق فكر فيه مع ان يتبغر هذه المسالة لا نها
نفكر ساعة مع اعتقاد مدة مديدة في خلافه فكلم الله موسى مرتين اي في ميقاتين
وراه محمد اي في المعراج مرتين كما يدل عليه قوله سبحانه ولقد راه نزلة اخرى فهذا يدل على ان
مذهب كعب على ان الضمير في راه الى الله تعالى لا الى جبريل بخلاف قول عايشة لكن لا دلالة فيه
على انه برؤية البصيرة او البصر على ان قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى يؤيد المعنى الاول وكذا
صح عن ابن عباس انه راه بفؤاده مرتين على ما تقدم والله اعلم قال مسروق فدخلت على عايشة
ظاهره انه كان حاضرا في مجلس كعب وابن عباس وسمع ما جرى بينهما فقلت هل راى محمد ربه اي
بالعين او بالفؤاد فقالت استعظاما لهذا السؤال لقد تكلمت بشيء وفي نسخة كلمت لكنه ليس
بشيء لانه يحتاج الى التاويل بزيادة الباء في شيء قف بفتح القاف وتشديد الفاء اي قام من الفزع
له اي لذلك الشيء شعري اي شعر بدني جميعه وهذا لما حصل عندها من عظمة الله وهيبته
واعتقدته من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك قلت رويدا اي ارفقي وامهلي والمقصود تسكينها
والملايمة في تليينها حتى يتفكر في السؤال والجواب معها ثم قرات لقد راى من ايات ربه الكبرى
ظاهر هذه الاية لا يناسب مدعى مسروق بل قال بعض المفسرين انها المعنية لما راى فيما سبق
من قوله ما كذب الفؤاد ما راى فهو تفسير مطلوبه كذا قال الطيبي اي رات الايات التي خاتمتها
هذه الاية كما يشهد له الرواية الاخرى اعني قوله قلت لعايشة فاين قوله ثم دنى فتدلى
مع تعدده لتيسر في الرواية الاخرى يعني فلا يظهر انه اراد بالكبرى الاية العظمى على عظمة الله
تعالى او على تعظيم جنابه صلى الله عليه وسلم وتضمنها الرؤية البصرية او الفؤادية فقالت
اين تذهب بك اي الاية بعيدة فيها قال الطيبي اي اخطات فيما فهمت من معنى الاية وذهبت
اليه فاسند الاذهاب الى الاية مجازا انتهى اي اين تذهب بك الاية الكبرى انما هو اي الاية
الكبرى جبريل فذكر الضمير باعتبار الخبر ومما يدل على انه الاية الكبرى ما ثبت عنها ان
له ستمائة جناح قد سد الافق وتقويه ايضا قولها من اخبرك ان محمدا راى ربه وظاهره انها تنفي
رؤيته تعالى مطلقا غير مقيد بالفؤاد او البصر او كتم شيئا مما امر به اي باظهاره كما يدل عليه قوله
تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته وفيه تعريض
الكتمان عن الجميع او عن البعض فرد الاعتقاد الفاسد للشيعة في اختصاص اهل البيت
ببعض الاحكام الشرعية وفيه ايماء الى انه لو عتق له الرؤية الله تعالى يبوح من الانواع
لتبيينه واظهر للحاجة في تفسير الاية اليه وقد قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم او يعلم
الخمس التي قال الله تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث اي الى اخرها يعني الغيب
ولعلها ارادت بايراد هذه الاية المبالغة في نفي الرؤية وانها بمنزلتها في الفرية ولهذا قالت
في جزاء الكلام الشرطية فقد اعظم الفرية بكسر الفاء اي الكذب الذي هو بلا مرية ولكنه راى
جبريل اي في صورته الاصلية لم يره في صورته الا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة في اجياد
بفتح همزة وسكون جيم موضع معروف باسفل مكة من شعابها له ستمائة جناح قد سد الافق

رواه الترمذي وروى البخاري مع زيادة واختلاف فقد نقل الاول اي ابا ذر روايتهما فهو تعرض
من صاحب المشكاة للاعتراض على صاحب المصابيح وفي روايتهما قال اي مسروق قلت لعائشة
فاين قوله ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى يعني فان الظاهر المتبادر ان ضمير دنى
الى الله وضمير فتدلى الى النبي او بالعكس كما سبق وكذا ضمير فكان الى احدهما وكذا فاوحى
الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما راى وبما تقرر تبين اشكال مسروق قالت ذلك اي مرجع
الضمير في الكل جبريل عليه السلام اي لا الرب سبحانه في هذا المقام ثم استنبطت لبيان
ما سبق اذ يقال انه صلى الله عليه وسلم كان يرى جبريل عليه السلام دائما فما وجه تخصيص
ذكر رؤيته في هذا المقام فقالت كان اي جبريل ياتيه في صورة الرجل اي متشكلا بشكله وغالبا
بصورة دحية وانه اتاه هذه المرة اي في ذلك في صورته التي هي صورته اي الاصلية فسد الافق
اي حتى نحو ما راه ليلة المعراج في صورته الاصلية على وجه التحقيق هذا وكان ابن عباس
اخذ بقول كعب واختاره انه راه مرتين على احتمال ان الرؤية بعين البصر او البصيرة او احدهما
والاخرى باخرى مع الاتفاق على انه لم يره بعينه مرتين والله اعلم واما نفي عائشة فيحمل
الحمل على الاطلاق او بتقييده بنفي البصر وجواز رؤيته بالفؤاد والظاهر هو الاول وقد تبع
وتاملنا الحافظ ابن حجر الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عائشة بان يحمل نفيها على رؤية
البصر واثباته على رؤية القلب لا مجرد العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما به تعالى
على الدوام وان الرؤية التي حصلت له خلقت له في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره والرؤية
لا يشترط لها شيء مخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها في العين وعن ابن مسعود رضي
الله عنه في قوله تعالى فكان اي القرب المعنوي من العبد والرب او الصوري بين جبريل
والنبي صلى الله عليه وسلم قاب قوسين اي قدرهما وهو كناية عن كمال قربهما او ادنى اي بل
اقرب وهو ما بين العينين وقد قال في مقام المزيد لحال المريد ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
وفي قوله ما كذب الفؤاد ما راى ولم يذكر ما بينهما من قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى
لعدم تعلقه بالمبحث وان اختلف في مرجع ضميرا وفي المعنى وفي قوله لقد راى من ايات
ربه الكبرى قال اي ابن مسعود فيها اي في هذه الايات كلها راى اي النبي صلى الله عليه
وسلم جبريل عليه السلام له ستمائة جناح يعني الضمائر كلها راجعة الى جبريل وهذا انما يكون
مطابق وموافق لما فهمت عائشة من الايات كما سبق التنبيه عليه وقد قال بعض علمائنا
ان ابن مسعود اعلم الصحابة بعد الخلفاء الاربعة متفق عليه وفي رواية الترمذي قال
ابن مسعود في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى قال اعاده تاكيدا راى النبي وفي نسخة صحيحة
رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في حلة من رفرف ففي النهاية اي بساط وقيل فراش
ومنهم من يجعل الرفرف جمعا واحده رفرفة وجمع الرفرف رفارف قلت ـــــ المعروف ان
يكون المراد منه ثياب خضر وتونسها ما سيات في قوله تعالى متكئين على رفرف خضر
يحتمل ان يكون المراد منه ما يبسط اجنحته فصار شبيها بالرفرف قال السيوطي مختصر النهاية
رفرف الطائر بجناحيه بسطهما عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه وفي القاموس رفرف
الطائر بسط جناحيه كرفرف والاسم مستعمل والرف شبه الطاق كالرفرف جمعه رفوف
والثوب الناعم والرفرف ثياب تتخذ منها المجالس وتبسط والرقيق من ثياب الديباج وله
اي للترمذي وللبخاري اي ايضا وقدم الترمذي لتقدم مرجعه في قوله متعلق يقال الآية
لقد راى من ايات ربه الكبرى قال اي ابن مسعود راى رفرفا اي ذا رفرف اخضر سد الافق وهو جبريل
كما سبق عنه ايضا وهو المطابق لما قررناه وفي غير الكلام فيه فرق والله سبحانه اعلم

وسيل مالك النسي وهو صاحب المذهب عن قوله تعالى الى ربها ناظرة فقيل قوم اي المعتزلة
واشباههم من اهل البدعة يقولون اي في معنى الاية الى ثوابه اي ناظرة الى ثواب ربها كما قال
بعضهم الى مفرد الالاء بمعنى النعماء واريد بها الجنس اي منتظرة نعمة ربها فاين هم عن قوله
تعالى كلا اي حقا انهم اي الكفار عن ربهم تقديم عن متعلقه للاهتمام او للتعظيم او للاختصاص
او لمراعاة الفاصلة يومئذ اي يوم القيمة او وقت الجزاء لمحجوبون اي لا يرون الله سبحانه
والحجاب اشد العذاب كما ان الرؤية زيادة على كل مثوبة حيث قال للذين احسنوا الحسنى
وزيادة والمعنى فاين ذلك القوم حيث وقعوا في بعد وغفلة عن مفهوم هذا القول
وانهوا ان المؤمنين غير محجوبين بل يكونون في مقام النظر مطلوبين ويبصرون من كمالهم
في مرتبة الحب محبوبين قال مالك الناس اي المؤمنون فانهم في الحقيقة هم الناس ومن سواهم
النسناس كالنسناس ينظرون الى الله يوم القيمة باعينهم وقد سبق ما يدل على ذلك
وقيل الناس كلهم يرون الله ثم الكفار يصيرون محجوبين لزيادة الحسرة عليهم وقد قرر
الكلام عليه وعلى كل فالرؤية للمؤمنين خاصة بلا شبهة وقال مالك لو لم ير المؤمنون
ربهم يوم القيمة لم يعير الله الكفار بالحجاب فقال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون رواه
اي البغوي في شرح السنة اي باسناده وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا وفي
نسخة بينما اهل الجنة في نعيمهم اي وانغمارهم في لذاتهم مشتغلين بشهواتهم اذ سطع
اي سنح لمع لهم نور اي عظيم فرفعوا رؤسهم فاذا الرب قد اشرف اي تجلى بتجلي العظمة والكبرياء
والبهاء والعلاء عليهم من فوقهم اي مبتداء منه اخذا من جميع جهاتهم فقال السلام عليكم
يا اهل الجنة ولعل المراد بهم جماعة تبين في حقهم ان كرى اهل الجنة لا حيث تنعموا باللذات
عن رؤية الذات وعيبوا عن الالباب لا انهم لا اشتغالهم عن النظر الى غرض الارباب
ويؤيده ما رواه الدارقطني في الافراد والديلمي في مسند الفردوس عن ابي هريرة مرفوعا
اهل شغلوا الله في الدنيا هم اهل شغلوا الله في الاخرة واهل شغلوا انفسهم في الدنيا
هم اهل شغلوا انفسهم في الاخرة وفي التنزيل اشارة الى ذلك في قوله ان اصحاب الجنة اليوم
في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم
ما يدعون سلام قولا من رب رحيم قال اي النبي عليه السلام وذلك اي سلام الرب يعني مصداقه
قوله تعالى اي معنى قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم اي لهم سلام عظيم يقال لهم قولا
كائنا من جهة رب الرحيم قال فينظر اي الرب اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من
النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم اي بانقطاع التجلي عليهم بعد رفعه عنهم ويبقى
نوره اي اثر نوره وثمرة ظهوره على ظواهرهم وبواطنهم كما يشاهده اهل المشاهدة في حال
البقاء بعد تحقق الفناء والله اعلم رواه ابن ماجه

باب صفة النار واهلها

الفصل الاول عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ناركم وفي رواية الترمذي قال ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم زاد الترمذي
لكل جزء منها حرها قيل يا رسول الله ان كانت لكافية ان هي المخففة من المثقلة واللام هي
الفارقة اي ان هذه النار التي نراها في الدنيا كانت كافية في العقبى لاحراق الكفار وعقوبة
الفجار فهلا اكتفي بها ولاي شيء زيدت في حرها قال فضلت اي نار جهنم عليهن اي على انيار الدنيا
بتسعة وستين جزءا كلهن اي حرارة كل جزء من تسعة وتسعين جزءا من نار جهنم مثل حرها
اي مثل حرارة ناركم في الدنيا وحاصل الجواب منع الكفاية اي لا بد من التفضيل لحكمة كون

اشد

عذاب الله من عذاب الناس وكذلك اذا تردد كرات رجع بما تراضيا ان العذاب في كثير من الكتاب والسنة منها قوله تعالى ثم ما اصبرهم على النار وقوله فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ائما الله هذه الجزية الدنيا من النار اما مرة خالصة في تلك الدار فقال الامام الغزالي في الاحياء اعلم انك اخطات في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان اشد عذاب في الدنيا عذاب هذه عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد اهل الجحيم مثل هذه لكانوا خاضوها طوعا مما هم فيه متفق عليه واللفظ للبخاري اي وافقه مسلم في المعنى وفي رواية مسلم ناركم التي يوقد ابن ادم من الايقاد ويجوز التشديد من التوقيد جزءا اي في رواية مسلم عليهن وكلهن بدل من عليهن وكلهن بالنصب اي عوضه لفا ونشرا مرتبا وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم اي المعذبة اي يؤتى بها من المكان الذي خلقها الله تعالى فيه ويدل عليه قوله تعالى وجيء يومئذ بجهنم اي يوم القيمة وقت النداء منه والحسرة والملامة لها سبعون الف زمام بكسر الزاي وهو ما يشد به مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها بتشديد الراء اي يسحبونها اي الى المحشر لئلا تبقى في الجنة طريق الا الصراط على ظهرها ونهاية هذه الازمة التي يجرها بعد الاشارة الى عظمتها منعها من الخروج على المحشر الا من شا الله منهم رواه مسلم وعن النعمان بضم النون ابن بشير رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهون اهل النار اي ابسرهم عذابا من له نعلان اي من تحت قدمه وشراكان اي من فوقها من نار اي كائنة منه يغلي اي يفور منهما اي من النوعين وهما النعلان والشراكان دماغه كما يغلي المرجل بكسر الميم وفتح الجيم واي قدر النحاس كذا قاله شارح وقال العسقلاني وبقال ايضا لكل اناء يغلي فيه الماء من اي صنف كان والتحاسي الانه كما قال تعالى يغلي في البطون كغلي الحميم وهذا بالنسبة الى من لم يغمر في الجحيم ولذا قال ما يرى بصيغة المجهول اي ما يظن ان له نعلان وشراكان من نار ان احدا اي من اهل النار اشد عذابا منه اي لانفراده وعدم اطلاعه على حال غيره وانه بالكبرياء والحال انه لاهونهم عذابا فعيه تفريع بتفاوت عذاب اهل النار متفق عليه وفي الجامع اهون اهل النار عذابا يوم القيمة رجل يوضع في قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه رواه مسلم عن النعمان بن بشير اقول ولعل هذا الحديث بالنسبة الى ادنى العصاة من المؤمنين وما في المتن بالنسبة الى ادنا فهم من الكفار كما يدل عليه الحديث الذي يليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهون اهل النار عذابا اي من الكفار ابو طالب لقوله تعالى في حقه باتفاق المفسرين انك لا تهدي من احببت وهو منتعل من باب الافتعال وفي نسخة صحيحة من باب الانفعال اي منلبس بنعلين اي من نار يغلي منهما وفي نسخة يغلي منها اي من نعليه او من جهة نعله وارتفعه الحشر دماغه وانما خفف عذابه لكونه حاميا له صلى الله عليه وسلم عن تشديد عداوة الكفار فلما خفف خفف جزاء وفاقا رواه البخاري واسنده السيوطي في الجامع الصغير الى احمد ومسلم عنه والله اعلم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بانعم اهل الدنيا الى المعذبة اي بحضرتهم نعما واكثرهم تطما لقوله من اهل النار من بيانية في محل الحال يوم القيمة ظرف يؤتى فيصبغ بصيغة المجهول اي يغمس في النار صبغة بفتح الصاد اي غمسة اطلاقا للملزوم على اللازم فان الصبغ انما يكون بالغمس غالبا وفي النهاية اي يغمس في النار كما يغمس الثوب في الصبغ ثم يقال اي له يا ابن ادم هل رايت خيرا اي نعمة قط هل مر بك نعيم قط اي في زمان من الازمنة وفي

الكلام مبالغة لا تخفى حيث انه نفى الاستفهام بمجرد الرؤية والمرور دون الذوق والتمتع والسرور فيقول لا اي ما رايت قط والله يا رب في مؤكدا بالقسم في النداء في الجواب لما شدة العذاب ما مضى عليه من نعيم الدنيا ولم يبق من النعيم نظرا الى ماله وشؤم حاله فابي نعيم اخره الجحيم واي شدة ما لها الجنة كما قال ويؤتى باشد الناس بؤسا بضم الموحدة اي شدة ومشقة ومحنة لما كان فيه من فاقة وحاجة وبلية في الدنيا اي اولا من اهل الجنة حال فيصبغ صبغة في الجنة اي في انهارها او الكوثر منها فيقال له يا ابن ادم هل رايت بؤسا قط وهل مر بك شدة قط فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس ولا رايت شدة قط وكانه اطنب في الجواب تلذذا بالخطاب وتقابل الكلام للفرح التام رواه مسلم وعنه اي عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى لاهون اهل النار عذابا يوم القيمة لو ان لك اي لو فرض ان تملك ما في الارض من شيء من زائدة للاستغراق اي جميع ما فيها وطلب منك ان تفتدي به وتخلص نفسك من النار اكنت تفتدي وتعطي الا فدا بمعنى اعطاء الفدية للانجاء فيقول نعم فيقول اي الله سبحانه اردت منك اهون من هذا اي طلبته فوضع السبب موضع المسبب لان مراد الله تعالى لا يتخلف كما اتفق عليه السلف والخلف بقولهم ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن وحاصله اني امرتك بما هو اسهل من هذا وانت في صلب ادم اي تعلق بك الامر والحال انت في صلب ادم وفيه ايماء الى تعيين الميثاق المنبه عليه بقوله الست بربكم قالوا بلى والمراد منه التوحيد والعبادة على وجه التفريد والابرار بقوله ان لا تشرك بي شيئا وهو بدل او بيان لقوله اهون فابيت اي كل شيء اذا تشرك بي اي بلا جرم الا اقبل منك ولذا تقرر بجميع ما في الارض كما قال ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم وقال في موضع اخر ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وقال الطيبي قوله لو ان لك ما في الارض جميعا اي لو ثبت لان لو يقتضي الفعل الماضي واذا وقع ان المفتوحة بعد لو كان حذف الفعل واجبا لان ما في ان من معنى التحقيق والثبات منزلة ذلك الفعل المحذوف وقوله اردت منك ظاهر هذا الحديث موافق لمذهب المعتزلة فان المعنى اردت منك التوحيد فخالفت مرادي واتيت بالشرك وقال المظهر الارادة هاهنا بمعنى الامر والفرق بين الامر والارادة ان ما يجري في العالم لا محالة كائن بارادته ومشيته واما الامر فقد يكون مخالفا لارادته ومشيته قلت وتوضيحه ان الامر بالايمان توجه على عامة المكلفين وتعلقت مشية الايمان ببعضهم وارادة الكفر ببعضهم ولذا قال ولو شا الله لجمعهم على الهدى وقال سبحانه ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شا الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد وقال ولو شا الله لهدى الناس جميعا وقال فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة قال الطيبي الاظهر ان تحمل الارادة هنا على اخذ الميثاق في قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم الاية بقرينة قوله وانت في صلب ادم فيقول ابيت الا ان تشرك بي اشارة الى قوله تعالى او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم الاية على نقض العهد وقوله الا ان تشرك استثنا مفرغ وانما حذف المستثنى منه مع انه كلام موجب لان ما في الا بى معنى الامتناع فيكون نفيا اي ما اخترت الا الشرك انتهى وهو كلام حسن الا ان اطلاق الارادة وارادة اخذ الميثاق يحتاج الى بيان يدفع به ما تقدم من الايراد والله اعلم متفق عليه وعن سمرة بن جندب مر ذكره مرارا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال منهم اي من اهل النار من تاخذه النار الى كعبيه ومنهم من تاخذه النار

الكلام

بالركبتين ومنهم من تاخذه النار الى حجزته بضم حاء وسكون جيم فزاي اي معقد ازاره وسط ومنهم من تاخذه النار الى ترقوته بفتح اوله وضم قافه اي الى حلقه وفي القاموس لا تضم اوله وفي النهاية هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق وهما ترقوتان من الجانبين ووزنها فعلوة بالفتح وفي الحديث بيان تفاوت العقوبات في الضعف والشدة لان النار تاخذ من الشخص بعضه دون بعض وبه تبين قوله في الحديث السابق وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه رواه مسلم قال الطيبي واول الحديث في شرح السنة برواية ابي سعيد اذا خلص المؤمنون من النار الى قوله فيما نوتهم فيعرفونهم بصورهم لا تاكل النار صورتهم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع قال القاضي يراد في مقدار اعضاء الكافر زيادة في تعذيبه بسبب زيادة المحاسة للنار قال القرطبي هذا يكون للكفار فانه قد جاءت احاديث تدل على ان المتكبرين يحشرون يوم القيمة امثال الذر في صورة الرجال فيساقون الى سجن في جهنم قال ابن الملك في شرح المشارق ونظر فيه الشيخ اكمل الدين رح بقوله الاكمل بان هذا الحديث يدل على عظم اجسامهم في النار والذي ذكره في المحشر اقول الظاهر ان يراد بالمتكبرين عصاة المؤمنين وكلام القرطبي محمول عليه ليلائم الحديث الاتي ضرس الكافر يوم القيمة مثل احد مع ان الاظهر في الجمع ان يكون امثال الذر في موقف يداسون فيه ثم يعظم اجسادهم ويدخلون النار ويكونون فيها كذلك وقال ابن الملك قوله في النار غير مذكور في مسلم كذا قاله النووي فلا وجه في منع قول القرطبي ان يقال ما ذكره لا يدل على انعدام عظمتهم في المحشر لان تشبيه المتكبرين بالذر انما هو في الحقارة لا في العبوة والا فلا يستقيم قوله في صورة الرجال انتهى مباحثه لا تخفى وفي رواية ضرس الكافر مثل احد وغلظ جلده بكسر الجيم وفتح اللام اي غلظه مسيرة ثلاث اي ليال قال الطيبي هو في جامع الاصول وشرح السنة انه باعتبار الليالي قال النووي هذا كله لكونه ابلغ في ايلامه وهو مقدور لله تعالى يجب الايمان باخبار الصادق به رواه مسلم وفي الجامع الصغير اسند الرواية الاولى الى الشيخين والثانية الى مسلم والترمذي والله اعلم وروى البزار عن ثوبان مرفوعا ضرس الكافر مثل احد وغلظ جلده اربعون ذراعا بذراع الجبار وروى ابن ماجه عن ابي سعيد مرفوعا ان الكافر ليعظم حتى ان ضرسه لاعظم من احد وفضيلة جسده على ضرسه كفضيلة جسد احدكم على ضرسه وذكر حديث ابي هريرة اشتكت النار الى ربها في تعجيل الصلوات يعني فهو انما مكرر فاسقط من هنا ونبه عليه واما اعتراض نقل تنبيهه على ان محله اللائق هو ذلك الباب والله اعلم بالصواب

الفصل الثاني عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اوقد بصيغة المفعول وقوله في النار نائب الفاعل قال الطيبي هذا قريب من قوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوقد الوقود فوق النار اي ان زادت طبقات توقد طبقة فوق اخرى وهي مشتعلة عليها الف سنة حتى احمرت بتشديد الراء للمبالغة في الاحمرار ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة زاد في الجامع كالليل المظلم والحديث دليل على ان النار مخلوقة كما ذهب اليه اهل السنة خلافا للمعتزلة وجماعة من اهل البدعة ويؤيده قوله تعالى اعدت بصيغة الماضي رواه الترمذي وكذا ابن ماجه وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر يوم القيمة مثل احد وفخذه بفتح فكسر وفي القاموس الفخذ ككتف ما بين الساق والورك مؤنث كالفخذ ويكسر اي فخذ الكافر مثل البيضاء في النهاية هو اسم جبل وقال شارح هو موضع في بلاد العرب وقيل هو جبل ومقعده اي موضع قعوده من النار اي فيها كما في رواية مسيرة

رضي الله تعالى عنه

ثلاث مثل الربذة بفتح الراء الموحدة والذال المعجمة قرية معروفة قرب المدينة كذا في النهاية وقيل بقرب مكة وقيل قرية من قرى المدينة على ثلاث ليال وقال شارح قريب من ذات عرق بريد ما بين الربذة والمدينة انتهى فقوله مثل الربذة اي مثل بعد الربذة من المدينة او مثل مسافتها اليها فانه صلى الله عليه وسلم قال هذا الحديث وهو في المدينة ويؤيده ما روي من ان مقعده في النار ما بيني وبين الربذة وقال ابن الملك قرية من قرب المدينة بها قبر ابي ذر الغفاري وقيل جبل بان م رواه الترمذي ورواه احمد والحاكم عنه بلفظ ضرس الكافر يوم القيمة مثل احد وعرض جلده سبعون ذراعا وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان ومقعده في النار ما بيني وبين الربذة وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان غلظ جلد الكافر اثنان واربعون ذراعا لفظ الجامع اثنان واربعون ذراعا بذراع الجبار وفي القاموس الذراع بالكسر من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى والساعد وقد يذكر فيهما وذراع الثوب ذراعه وان ضرسه مثل احد وان مجلسه اي موضع جلوسه من جهنم ما بين مكة والمدينة رواه الترمذي وكذا الحاكم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكافر ليسحب بفتح الحاء اي يجر لسانه ويجوز ان يكون على بناء المفعول بل هو الاظهر في المعنى المراد وكذا ضبط في الجامع ولفظه ليسحب لسانه وراءه الفرسخ والفرسخين يتوطاه الناس اي يطاونه باقدامهم ويمشون عليه رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث غريب وعن ابي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصعود بفتح الصاد واللام للعهد اشارة الى قوله تعالى سارهقه صعودا اي سأغشيه عقبة صعبة المسلك جبل وفي القاموس الصعود بالفتح ضد الهبوط وجبل في جهنم والعقبة الكؤود والمشقة انه جبل عظيم من نار يتصعد فيه بصيغة المجهول اي يكلف الكافر ارتقاءه وفي نسخة بفتح اوله اي يطلع في ذلك الجبل سبعين خريفا اي مدة سبعين عاما ويهوى به بصيغة المفعول اي يكلف ذلك الكافر بسقوطه فيه وفي نسخة بفتح الياء وكسر الواو اي ينزل بذلك الكافر من هوى كرمى سقط فالباء للتعدية كذلك اي سبعين خريفا فيه اي في ذلك الجبل ابدا بيان للتغليب اي يكون دائما في الصعود والسقوط ومنه تبين معنى لطيف بما اشتهر عنه صلى الله عليه وسلم ان السفر قطعة من سقر معناه فيه من الايهام باللطافة اللفظية والمجانسة الابجدية وبهذا يندفع ما نقل عن علي كرم الله وجهه انه لو لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم هكذا لعكست وقلت ان سقر قطعة من السفر لكن لا يخفى احسنية ما في كلامه صلى الله عليه وسلم من عدم المبالغة الزائدة لما فيه من المطابقة للواقعة الجادة مع الاشارة الى تفسير الاية وما نتممه مما ذكرنا من الافادة اللطافة والظرافة هذا وقد ذكر صاحب خلاصة الطيبي ظنا ان ضميريه راجع الى الجبل وان الباء بمعنى في ان تكريره على طريقة قولك تلك زيد راشد يعني ان الاعادة للتاكيد والمبالغة ولا شك ان ما قررناه احسن في مقام الافادة رواه الترمذي ولفظ الجامع ثم يهوى فيه كذلك ابدا رواه احمد والترمذي وابن حبان والحاكم عنه وعنه اي عن ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله كالمهل اي في تفسير قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه اي كعكر الزيت بفتح العين والكاف اي درديه وقال الطيبي اي ما زمنه والدنس واغرب شارح وفسر المهل بالصديد مع ظهور النص بالتشديد فاذا قرب بضم فتشديد راء اي المهل اليه اي الى وجهه اي وجه العاصي سقطت فروة وجهه اي جلدته وبشرته فيه اي في المهل وفي النهاية فروة الراس جلدته بما عليها من الشعر فاستعارها من الراس للوجه رواه الترمذي وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم اي في قوله تعالى يصب من فوق رؤوسهم الحميم المفسر بالماء البالغ نهاية الحر ليصب على رؤوسهم اي يكب فوقها

فينفذ الحميم بفتح الفاء النفوذ وهو التأثير والدخول في الشيء أي يدخل أثر حرارته من رأسه إلى
باطنه حتى يخلص بضم اللام أي يصل إلى جوفه أي إلى جوف رأسه وإلى بطنه وهو الظاهر المتبادر بل هو
الصواب لقوله فيسلت بضم اللام من سلت القصعة إذا مسحها من الطعام فيذهب وأصل
السلت القطع فالمعنى فيمسح ويقطع الحميم ما في جوفه أي من الأمعاء وقال القاضي أي يذيب
حتى يمرق بضم الراء أي يخرج من قدميه وهو الصهر بفتح الصاد بمعنى الإذابة والمعنى ما ذكر من
النفوذ وغيره هو معنى الصهر المذكور في قوله تعالى يصهر به ما في بطونهم والجلود ومع هذا لهم الوعيد
الشديد بقوله سبحانه ولهم مقامع من حديد ثم يعاد أي ما في جوفه كما كان لقوله تعالى كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب أي شدة العقاب رواه الترمذي وعن أبي أمامة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله أي تعالى كما في نسخة ويسقى من ماء صديد
قال صديد الجرح ماؤه الرقيق المختلط بالدم السائل منه يتجرعه أي يشربه لا بمرة بل جرعة بعد جرعة
لمرارته وحرارته ولذا قال تعالى ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن
ورائه عذاب غليظ قال أي النبي عليه السلام يقرب بفتح الراء المشددة أي يدنى بالقهر قريبا
إليه أي إلى فم العاصي فيكرهه أي لعفونته وسخونته فإذا أدني بصيغة المجهول أي زيد في قربه
منه أي من العاصي أو من فمه شوى أي أحرق وجهه ووقعت أي سقطت فروة رأسه أي جلدته فإذا
شربه أي ما الصديد إكراها الشديد قطع أمعاءه بتشديد الطاء للمبالغة والتكثير حتى تخرج أي
الأمعاء وفي نسخة بالياء أي الصديد من دبره بضمتين وهو مقر القعود يقول الله تعالى وسقوا ماء
حميما فقطع أمعاءهم ويقول أي الله تعالى في موضع آخر وإن يستغيثوا أي يطلبوا الغياث
بالماء عند تهم الاستغاثة في طلب الغيث وهو المطر يغاثوا أي يجابوا ويؤتوا بماء كالمهل أي كالعكر
وكعكر الزيت على ما صح عنه صلى الله عليه وسلم يشوي الوجوه أي ابتداء ثم يسري إلى البطون ونسأل
الله العفو أنها بئس الشراب أي المهل والماء كالمهل فإنه مكروه ومكره رواه الترمذي وعن أبي
سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم لسرادق النار بكسر اللام وفتح السين وكسر القاف
وفي نسخة بالفتح والرفع قال الطيبي روي بفتح اللام على أنه مبتدأ وكسرها على أنه مجرور وهذا أظهر
وفي النهاية السرادق كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء انتهى وهو إشارة إلى قوله تعالى
إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وفي القاموس السرادق الذي يمد فوق صحن البيت وجمعه
سرادقات وقال شارح هو الذي فوق صحن الدار أقول الظاهر أن المراد به هنا الأعم أي الشامل
للمحيط بجميع جهاتهم ولعل سرادقها من نار غليظة مركبة من دخان وغيره وكذا قال السرادقة أربعة جدر
بضمتين جمع جدار وهو الحائط في البناء إذ يمد من فوقهم فإنه صح في الأخبار أنه يطبق عليهم بل على كل واحد
منهم حتى يظن كل أنه لا يعذب في النار غيره وهو أصعب أنواع البلية إذا عمت طابت ولهذا قيل إذا رأى
المعذب أخف من بعض كثف كل جدار بضم الكاف والمثلثة مرفوع في أصل السيد وكثير من النسخ
وفي بعضها بالكسر والفتح وعليه أكثر الشراح وهو الأظهر فقال صاحب المفاتيح والمحلى بكسر الكاف
وفتح المثلثة أي الغلظ فالمعنى كثافة كل جدار وغلظه مسيرة أربعين سنة وقال شارح بالفتح
والكسر الغلظ وفي النهاية الكثف جمع كثيف وهو الثخين الغليظ لكن لا يخفى أن معنى الجمع غير
ملائم لإضافته إلى كل جدار رغم في نسخة ضبط بضمتين بحر وأي على أنه صفة جدر وكل جدار
بالرفع على الابتداء وسقوطه لفظا ومعنى والله أعلم رواه الترمذي وعن أبي سعيد رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن دلوا من غساق بالتخفيف والتشديد
ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم وقيل ما يسيل من دموعهم وقال التوربشتي في
النهاية وقيل هو الصديد البارد المنتن لا يقدر على شربه من برودته كما لا يقدر على شرب الحميم

حرارته

حرارته قلت وهو الملائم للجمع بينهما في قوله تعالى فليذوقوه حميم وغساق لا يذوقون فيها بردا ولا
شرابا إلا حميما وغساقا على التفسير المشهور أعاذنا الله منهما مع جميع أصحابنا لو أنه لو أن دلوا
منه يهراق بفتح الهاء ويسكن أي يصب في الدنيا أي في أرضها لأنتن أهل الدنيا لصار ذوي نتن
منه فأنتن مرفوع على الفاعلية وعليه الأصول المعتمدة وكذا وجد في بعض النسخ بالنصب على توهم
أن أنتن متعد بزيادة الهمزة فقال شارح أنتن الشيء أي تغير وصار ذا نتن فنصب أهل ليس
بصواب إنما الصواب رفعه كذا قال الإمام التوربشتي رحمه الله وفي القاموس النتن
ضد الفوح نتن ككرم وضرب نتانة وأنتن فهو منتن بكسرتين وبضمتين وكقنديل انتهى
ولعل وجه الكسرتين أنه كسر الميم تبعا كما في قوله الحمد لله قرئ في الشواذ بكسر الدال وضمها
اتباعا لما بعدهما وعلى الكلمتين كلمة لا متراجحة وعلى أنه تعالى أعلم رواه الترمذي وكذا
ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله أوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته أي حق
تقواه من القيام بالواجبات واجتناب السيئات وقد فسره ابن مسعود بقوله هو أن يطاع فلا
يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى ورواه الحاكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا رواه
ابن أبي حاتم وابن مردويه وصححه المحدثون فهذا تفسير لكمال التقوى فلا إشكال ولا يصح أن
يكون منسوخا بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم كما ذكره بعضهم وقال بعض العارفين
هو أن ينزه الطاعة عن الالتفات إليها وعن توقع المجازاة عليها ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون
أي موحدون منقادون ثابتون جامعون بين الخوف والرجاء غالبون حسن الظن بالمولى من الآخرة
والأولى وتفويض الحقيقة إليه وأمر الإسلام فإن النهي في هذا المقام نوجه إلى العبد في الكلام قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم أي من شجر يخرج في أصل الجحيم قال شارح
الزقوم شجرة خبيثة مر كريهة الطعم والرائحة يكره أهل النار على تناوله فلو أن قطرة منه
قطرت بالتخفيف أي نقطت ونزلت في دار الدنيا لأفسدت أي لمرارتها وعفونتها وحرارتها
على أهل الأرض معايشهم بالياء وقد يهمز جمع معيشة فكيف بمن يكون أي الزقوم طعامه أي الذي
إن الزقوم اسم طعام لهم فيه تمر وزبد والزقم أكله فهي في العقبى بدخولهم في الدنيا كما قال تعالى
إن شجرة الزقوم طعام الأثيم قال الطيبي فقوله حق تقاته أي واجب تقواه وما يحسن منها وهو
القيام بالواجب واجتناب المحارم أي بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا
وهذا معنى قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقوله ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون
تأكيد لهذا المعنى أي لا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت ثم واظب في
هذه الحالة تودوا وهم عليها مات مسلما وسلم في الدنيا من الآفات وفي الآخرة من العقوبات
ومن تباعد عنها وتفاعسر وقع في العذاب في الآخرة ومن ثم أتبعه صلى الله عليه وسلم
بقوله لو أن قطرة من الزقوم الحديث وهو مقتبس من الزقم للقم الشديد والشرب المفرط
رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وكذا رواه أحمد والنسائي وابن ماجه
والحاكم وابن حبان وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أي في
قوله تعالى وهم فيها أي الكفار في النار كالحون أي يبسون حين تحرق وجوههم من النار وكذا
ذكره الطيبي وقال شارح أي بادية أسنانهم وهو المناسب لتفسيره صلى الله عليه وسلم
كما بينه الراوي بقوله قال والإعادة للتأكيد تشويه بفتح أوله أي تحرق الكافر النار أي نار
أهل النار فتقلص على صيغة المضارع بحذف إحدى التاءين أي تنقبض شفته العليا بفتح
الشين وبكسر حتى تبلغ أي تصل شفته وسط رأسه بسكون السين وبفتح وتسترخي بالتذكير

وان انيث اي بيستر سل سفلة السفلى تانيث الاسفل كالعليا تانيث الاعلى في تقرب اي تقرب
سترته رواه الترمذي وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس
ابكوا بكسر همزة الوصل وضم الكاف امر من بكى يبكي اي ابكوا خوفا في ذنوبكم او شوقا الى ربكم كما اخبر
الله سبحانه عن حال انبيائه واصفيائه اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا وقد سجد بعض
السلف في هذه الاية فقال هذه السجدة فاين البكا فان لم تستطيعوا اي لم تقدروا على البكا
الحقيقي فانه ليس بالامر الاختياري فتباكوا بفتح الكاف امر من باب التفاعل والمعنى تحملوا انفسكم
في التكلف على البكا وبه يتم الا قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا فان اهل النار اي من الكفار
وتخلد انه يتم البكا يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم اي عليها والتعبير بفي ابلغ
وتوبيخه قوله كانها اي دموعهم جداول جمع جدول وهو النهر الصغير حتى تنقطع الدموع فتسيل
الدما بنصب الفعل ويرفع وكذا الوجهان في قوله فتقرح بتشديد الرا المفتوحة على انه
مضارع من باب التفعل حذف احدى التائين منه اي فيخرج منه اي من سيلان الدما العيون
بضم العين وبكسر جمع العين وفي نسخة تقرح بسكون القاف وفتح الرا فالعيون منصوب
لان قرح كمنع جرح على ما في القاموس فالمعنى فتجرح دموعهم ودماؤهم عيونهم فيزيد في سيلانها
فلو ان سفنا بضم السين والفا جمع سفينة ازجيت بصيغة المجهول من الازجا بالزاي والجيم
اي ارسلت فيها اي في الدموع او الدما لجرت اي السفن بها رواه اي البغوي في شرح السنة
اي باسناده وعن ابي الدردا رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى
اي يسلط على اهل النار الجوع اي الشديد فيعدل بفتح اليا وكسر الدال اي فيساوي الجوع
ما هم فيه من العذاب والمعنى ان الم جوعهم مثل الم ساير عذابهم فيستغيثون اي بالطعام
فيغاثون بطعام من ضريع وهو نبت بالحجاز له شوك لا تقربه دابة لخبثه ولو اكلت ماتت والمراد
هنا شوك من نار امر من الصبر وانتن من الجيفة واحر من النار لا يسمن اي لا يشبع الجايع ولا
ينفعه ولو اكل منه كثيرا ولا يغني من جوع اي لا يدفع ولو بالتسكين شيا من الم الجوع وفيه
ايما الى قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع فيستغيثون بالطعام اي ثانيا لعدم نفع
ما اغيثوا اولا فيغاثون بطعام ذي غصة اي مما ينشب في الحلق ولا يسوغ فيه من عظم
وغيره لا يرتقي ولا ينزل وفيه اشعار الى قوله تعالى ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة
وعذابا اليما والمعنى انهم يؤتون بطعام ذي غصة فيتناولونه فيغصون به فيذكرون انهم
كانوا يجيزون من الاجازة بالزاي اي يسيغون الغصص جمع الغصة بالضم وهي ما اعترض
في الحلق فاشذ في ما في القاموس والمعنى انهم كانوا يعالجونها في الدنيا بالشراب فيستغيثون
اي على مقتضى طبعهم بالشراب اي لدفع ما حصل لهم من العذاب فيرفع اليهم الحميم بالرفع اي
يرفع اطراف انائه فيه الحميم وهو الما الحار الشديد بكلاليب الحديد اي على ايدي الملايكة او بيد
القدرة من غير الواسطة فاذا دنت اي قربت او ادني الحميم من وجوههم شوت وجوههم اي
احرقتها فاذا دخلت اي انواع ما فيها من الصديد والغساق وغيرهما بطونهم قطعت ما في
بطونهم اي من الامعا قطعة قطعة فيقولون ادعوا خزنة جهنم نصب على انه مفعول
ادعوا وفي الكلام حذف اي يقول الكفار بعضهم ادعوا خزنة جهنم فيدعونهم ويقولون لهم
ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون اي الخزنة الم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
قالوا بلى قالوا اي الخزنة تهكما بهم فادعوا اي انتم ما شئتم فانا لا نشفع للكافر وما دعا الكافرين
الا في ضلال اي في ضياع لانهم لا ينفعهم حينئذ دعاء لا منهم ولا من غيرهم وهذا لا يدل لا يستجاب
لهم دعوة في الدنيا كما فهمه بعض العلما وقد استجيب دعا الشيطان في الامهال والله اعلم

بالحال وقال الطيبي الظاهر ان خزنة جهنم ليس بمفعول ادعوا بل هو منادى ليطابق قوله تعالى
وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب وقوله الم تك تاتيكم الزام
للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا ورائهم اوقات الدعا والتضرع وعطلوا الاسباب التي يستجيب لها
الدعوات قالوا فادعوا انتم فانا لا نجترئ على الله ذلك وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن
للدلالة على الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاوه فكيف يسمع دعا الكافرين قال اي النبي عليه
السلام فيقولون اي الكفار ادعوا مالكا والمعنى انهم لما ايسوا من دعا خزنة جهنم لاجلهم وشفا
لهم ايقنوا ان لا خلاص لهم ولا مناص من عذاب الله فيقولون يا مالك ليقض اي ليسئل ربك داعيا
ليحكم بالموت علينا ربك لنستريح او من قضى عليه اذا اماته فالمعنى ليميتنا ربك لنستريح قال
اي النبي عليه السلام فيجيبهم اي مالك جوابا من عند نفسه او من عند ربه تعالى بقوله انكم
ماكثون اي مكثا مخلدا قال ———— الاعمش وهو احد الرواة من اجلا التابعين نبيت بتشديد
الموحدة المكسورة اي اخبرت من بعض الصحابة موقوفا او مرفوعا ان بين دعائهم واجابة مالك
اياهم اي بهذا الجواب الف عام قال فيقولون اي بعضهم لبعض ادعوا ربكم فلا احد اي فليس
احد خير من ربكم اي في الرحمة والقدرة في المغفرة فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا
بكسر فسكون وفي قراءة بفتحتين والف بعدهما وهما لغتان بمعنى ضد السعادة والمعنى سبقت
علينا هلكتنا المقدرة بسوء خاتمتنا وكنا قوما ضالين اي عن طريق التوحيد ربنا اخرجنا
منها فان عدنا فانا ظالمون وهذا كذب منهم فانه تعالى قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
وانهم لكاذبون قال فيجيبهم اي الله بلا واسطة او بغيرها اخسئوا فيها اي ذلوا وانزجروا
كما ينزجر الكلاب اذا زجرت والمعنى ابعدوا اذلا في النار ولا تكلمون اي لا تكلموني في رفع
العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف عنكم قال فعند ذلك ييئسوا اي قنطوا من كل خير اي مما ينجيهم
من العذاب او يخففه عنهم وعند ذلك اي ايضا ياخذون في الزفير اي في اخراج النفس
للشدة وقيل الزفير اول صوت الحمار والشهيق اخر صوته قال تعالى لهم فيها زفير وشهيق
والحسرة اي وفي الندامة والويل اي وفي شدة الهلاك والعقوبة وقيل هو واد في جهنم
قال عبد الله بن عبد الرحمن احد المحدثين من اصحاب التخريج والناس لا يرفعون هذا الحديث
اي بل يجعلونه موقوفا على ابي الدردا لكنه في حكم المرفوع فان ذلك لا يتصور ان يقال
من قبل الراي رواه الترمذي اي مرفوعا كما يفهم من صدر الحديث وعن النعمان بن بشير رضي الله
عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انذرتكم النار اي اخبرتكم بوجودها
وشدتها وخوفتكم بانواع عقوبتها انذرتكم النار اي اعلمتكم بما ينبغي بعينه حتى قلت لكم اتقوا النار
ولو بشق تمرة ثم يمكن ان يراد بهما الانذار في زمان الحال وعبر بالماضي في السابق واللاحق للاستقبال
او الاول اخبار والثاني انشا او جمع بينهما للتاكيد في احد المعاني وفي نسخة كررها ثلاثا فما
زال يقولها اي تكرر الكلمة المذكورة ويرفع بها صوته حتى لو كان اي النبي عليه السلام في مقامي هذا
اي المقام الذي كان الراوي فيه عند روايته هذا الحديث سمعه اي سمع صوته اهل السوق
لانه بالغ في رفع صوته عملا بقول نوح عليه السلام ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت
لهم اسرارا حتى قطعت خميصة وهي نوع ثوب كانت عليه اي فوق كتفه بمنزلة ردائه عند رجليه
اي من حدته الالهية وعدم شعوره من الهيبة الحسية رواه الدارمي وعن عبد الله بن
عمرو بن العاص بحذف اليا في اكثر النسخ المصححة وفي نسخة باليا قال النووي في مقدمة شرح
مسلم اما ابن العاص فاكثر ما يجي في كتب الحديث والفقه ونحوهما بحذف اليا وهي لغة والفصيح
الصحيح العاصي باثبات اليا وكذلك شداد بن الهادي وابن ابي الموالي فالصحيح الفصيح في كل ذلك

وما اشبهه اثبات اليا ولا اعتداد بوجوده في كتب الحديث اذ اكثرهم بحذفها اقول نفيهم بالصحيح
الفصيح غير صحيح اذ جا اثبات اليا وحذفها في الكلام الافصح كتابة وقراءة نعم حذفها رسما
اكثر من اثباتها قراءة اشهر من حذفها في قوله تعالى الكبير المتعال وباق وواق ثم عدم الاعتداد
بكتب الحديث المطابق لرسم المصحف الشريف المنسوب الى كتابة الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين مستبعد جدا خصوصا من الامام النووي الذي هو من اتباع المحدثين ومن الفقها
المتورعين هذا والتصحيح في العاص انه معتل العين لا معتل اللام على ما حققه صاحب القاموس
بقوله الاعياص من قريش ولاد امية بن عبد شمس الاكبر وهم العاص وابو العاص والعيص وابو العيص
فالعاص على هذا يخرج مما نحن فيه بالكلية ولا يجوز اثبات اليا فيه بالمرة والله اعلم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رصاصة بفتح الرا والصاد المهملتين اي قطعة من
الرصاص في القاموس الرصاص كسحاب معروف وفي نسخة السيد رضاضة براء واحدة
ومعجمتين وهي الحصا الصغار على ما في النهاية وفي نسخة المصابيح رضراضة برائين ومعجمتين
وهي الحجارة المرفوقة على ما قاله شارح وهو سهو من الكتاب او من صاحب الكتاب
والله اعلم بالصواب قال التوربشتي في سائر نسخ المصابيح رضراضة مكان رصاصة وهو
غلط لم يوجد في جامع الترمذي ولعل الغلط وقع من بعض مثل هذه اشارة الى محسوسة
معينة هناك كما اشار اليه الراوي بقوله واشار الى مثل الجمجمة بضم الجيمين في النسخ
المصححة للمشكاة وفي قدح صغير وقال المظهر بكتابتها المعجمتين وفي حجة صغيرة صغرا
وقيل بالجيمين وهي عظم الراس المشتمل على الدماغ وقيل العظم الاصح انتهى والجملة حالية
لبيان الحجم والتدوير المعين على سرعة الحركة قال التوربشتي بين مدى قعر جهنم بابلغ من
البيان فان الرصاص من الجواهر الرزينة والجواهر كلما كان اتم رزانة كان اسرع هبوطا الى
مستقره لا سيما اذا انضم الى رزانته كبر جرمه ثم قدره في الشكل الدوري فانه اقوى
انحدارا وابلغ مرورا في الجو انتهى فالمختار عنده ان المراد بالجمجمة جمجمة الراس على ان اللام
للعهد او بدل عن المضاف اليه وهو المعنى الظاهر المتبادر من الجمجمة ثم قوله ارسلت صفة
لرصاصة وما بينهما معترضة اي ادليت من السما الى الارض وهي اي مسافة ما بينهما مسيرة
خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من راس السلسلة اي المذكورة
في قوله تعالى ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فالمراد من السبعين الكثرة والمراد
بذرعها ذراع الجبار وقال شارح اي راس سلسلة الصراط وهو في غاية من البعد لسارت
اي لنزلت وسارت مدة ما سارت اربعين خريفا اي سنة الليل والنهار اي فيهما جميعا لا يختص
مسيرها باحدهما قبل ان تبلغ اصلها اي اصل السلسلة او قعرها شك من الراوي والمراد
بقعرها نهايتها وهو معنى اصلها حقيقة او مجازا فالترديد انما هو في اللفظ المسموع وابعد
الطيبي حيث قال يراد به قعر جهنم لان السلسلة لا تعرف لها قعر فذلك وجهنم في هذا
المقام لا ذكر لها مع لزوم تفكيك الضمائر فيها وان كان ذكرها عميقا على ما رواه هنا وعن
الشعر مرفوعا لو ان حجرا مثل سبع خلفات القي من شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفا لا يبلغ
قعرها والمراد بالخلفات النوق الحوامل فاختيار ذكر جرم المرسل هنا مناسب لما قدمه
التوربشتي رواه الترمذي وعن ابي بردة بضم موحدة عن ابيه قال المؤلف هو ابو بردة بن
عامر بن عبد الله بن قيس احد التابعين المشهورين اكثر سمع اباه وعليا وغيرهما وكان
على قضا الكوفة بعد شريح فعزله الحجاج ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في جهنم لواديا
في القاموس هو مزج بين جبال وتلال او اكام يقال له هبهب بضم الهاء الثانية من غير تنوين

في النسخة

١٩٥

في نسخة الجزري وكثير من النسخ ولعل عدم انصرافه باعتبار البقعة مع العلمية وفي نسخة
السيد بسكون الباء وبالتنوين ولا يظهر له وجه اللهم الا ان يقال انه نكرة اي هبهب امر من الهيبة فكان الراوي
او من حفظ نقل بنسيان انه لما قال الحافظ هبهب بخاطب خطاب العام والله اعلم بالمرام وفي
النهاية الهبهب السريع وهبهب السراب اذا برق قال التوربشتي سمي بذلك اما لسرعة وقوعه
في المجرمين او لسرعة اجيج النار فيها او للمعانه عند الاضطرام والالتهاب والله اعلم بالصواب
يسكنه فيه حذف وايصال اي يسكن فيه كل جبار اي متكبر عنيد عن الحق بعيد وعلى الخلق شديد
رواه الدارمي وروى ابن مردويه عن ابن عمر في الفلق سجن في جهنم يحبس فيه الجبارون والمتكبرون
وان جهنم لتتعوذ بالله منه وروى ابن جرير عن ابي هريرة الفلق جب في جهنم مغطى انتهى

الفصل الثالث عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعظم
اهل النار في النار اي يكبر جثتهم حتى ان بكسر الهمزة ويفتح شحمة اذن احدهم الى عاتقه مسيرة
سبعمائة عام اي ليزيد عذابهم كمية وكيفية وان غلظ جلده سبعون ذراعا عطف على مدخول
حتى او على الجملة التي قبله وكذا قوله وان ضرسه مثل احد وعن عبد الله بن الحارث بن جزء بفتح
جيم وسكون زاي بهمز قال المؤلف هو عبد الله بن جزء ابو الحارث سكن مصر وشهد بدرا
مات سنة خمس وثمانين بمصر انتهى وفيه اشكال لا يخفى قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان في النار حيات كامثال البخت بضم موحدة فسكون معجمة ومفرده بختي في القاموس
بالضم الابل الخراسانية تلسع احداهن اللسعة اي اللدغة الواحدة فيجد اي الملسوع حموتها بفتح
فسكون اي اثر سمها وسورة المها اربعين خريفا وان في النار عقارب كامثال البغال الموكفة
بالهمزة والواو والكاف مفتوحة من الاكاف كالحمار وكفته شددت عليه الاكاف تلسع احداهن
اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا رواهما اي الحديثين احمد وعن الحسن اي البصري قال
حدثنا ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر ثوران
بفتح المثلثة اي كثوران عقيران تشبيه بليغ كقولهم زيد اسد مكوران بتشديد الواو المفتوحة
اي يلفان ذهب ضوءهما ويكونان في النار على ما ذكره الطيبي والمعنى انه يلفان ويطرح كل منهما عن فلكهما
في النار لزيادة عذاب اهلها بحرها لما ورد عن ابن عمر على ما رواه الديلمي في مسند الفردوس وكرما نوعا
الشمس والقمر وجوههما الى العرش واقفاؤهما الى الدنيا ففيه تنبيه على ان وجوههما
لو كانت الى الدنيا لما اطاق حرهما احد من اهل الدنيا وقال ابن الملك اي يلفان وجعلهما ذوي لفيفة
فيهما وكان اخذه من التكوير اللف ومنه قوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل
قال وفي النهاية ومنه حديث ابي هريرة يجا بالشمس والقمر ثورين مكورين في النار والرواية
ثوران بالثا المثلثة كانهما مسحا وقد روي بالنون وهو تصحيف انتهى ومن الغريب انه
وقع في نسخة الشيخ الجزري والسيد بالنون اصلا وبالمثلثة في الهامش نسخة ومما يؤيد
الرواية بالثا ما ذكره السيوطي في البدور عن انس وعن كعب الاحبار ايضا ثوران عقيران
فقال الحسن وما ذنبهما فقال اي ابو هريرة احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الطيبي اي تعاند النص الجلي بالقياس وتجعل موجب دخول النار العمل فان الله يفعل ما يشا ويحكم
ما يريد انتهى والظاهر من سؤاله بيان الحكمة في ادخالهما النار مع انتفا ذنبهما وطاعتهما للملك
الجبار وان النار انما هي دار البوار للكفرة الفجار ونفي رد ابي هريرة احدثك عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما سمعته وليس لي مزيد علم على ذلك فسكت الحسن فسؤال الحسن وكذا
جواب مستحسن مع انه لا يلزم من ادخالهما في النار تعذيبهما فانهما في جهنم فقال بعض العلما انما
جعلا في النار لانهما قد عبدا من دون الله تبكيتا للكافرين قال القرطبي وقد ورد عن ابن عباس

الفصل الثالث عن ابن عمر

يد

كعب الاحبار في قوله هذا حيث قال له هذه يهودية يريد ادخالها في الاسلام والله اكرم من ان
يعذبهما وهما دائبان في طاعته ثم حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انهما يعودان الى ما خلقا منه
وهو نور العرش فيختلطان وحاصله انهما يصيران نورين والنور لا يعذب بالنار وكذا تقول النار
للمؤمن جز يا مؤمن فان نورك اطفا لهبي فيرجع الكلام الى ان فائدة ادخالهما تعيير عبدتهما
فلا منافاة بين قول كعب وبين قول ابن عباس عند ان الامتلاء لا شك في والله العالم مع ان الحديث
المروي عن ابن عباس قال السيوطي في البدور وهذا الحديث اخرجه ابو الشيخ في العظمة من طريق
ابي عصمة نوح بن ابي مريم عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس وابو عصمة كذاب وضاع
رواه البيهقي في كتاب البعث والنشور وفي الجامع الصغير الشمس والقمر مكوران يوم القيامة
رواه البخاري عن ابي هريرة ورواه ابن مردويه عن انس مرفوعا الشمس والقمر ثوران عقيران في
النار ان شاء اخرجهما وان شاء تركهما قيل ثوران عقيران اي زمنان يعني لا يجريان وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار الا شقي قيل يا رسول
الله ومن الشقي قال من لم يعمل لله اي لاجل رضاه او لامره بطاعة اي بواجبة ولم يترك لاجل
الله معصيته وهو شامل للكافر والفاجر فيقول له تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب
وتولى محمول على الصلي على وجه الخلود وقال الطيبي الباء زائدة فيهما وفي المذنبهما مع التنكير
للتقليل وزيادة الباء للتاكيد ... في ترجيح جانب الرحمة وان الله تعالى لا يضيع اجر
من عمل له طاعة ما او ترك لاجله وتحرزه معصية ما نحو قوله واما من خاف مقام ربه ونهى
النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى رواه ابن ماجه انتهى والله سبحانه وتعالى اعلم

باب خلق الجنة والنار

اي في كونهما مخلوقتين على ما هو مذهب اهل السنة والجماعة وفي بيان انهما لما خلقتا وذكر بعض ما فيهما
من خلقتهما الفصل الاول عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تحاجت بتشديد الجيم اي تخاصمت وتجادلت وتعارضت الجنة والنار اي بلسان
القال او بلسان الحال قال الطيبي هذه المحاجة جارية على التحقيق فانه تعالى قادر على ان يجعل
كل واحدة مميزة مخاطبة او على التمثيل قلت لا وهو المعول لان مذهب اهل السنة ان في
العالم ادراكا الله عالم به في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره فلها صلاة
وتسبيح وخشية يجب على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله سبحانه انتهى وادلته كثيرة
ليس هذا موضع ذكرها والله اعلم فقالت النار اوثرت بصيغة المجهول من الايثار اي اخترت
بالمتكبرين اي عن الحق والمتجبرين اي على الخلق بالتسلط والقهر قيل هما بمعنى فيهما التاكيد
وقيل المتكبر المتعظم بما ليس فيه والمتجبر الذي لا يوصل اليه وقيل الذي لا يكترث ولا يبالي بما
الضعفاء والمساكين وقالت الجنة فما لي اي فاي شيء ثبت لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس اي في
البدن والمال وسقطهم بفتحتين اي اراذلهم واكثرهم خمولا واقلهم اعتبارا المحقرون فيما بينهم
الا نظر الناس عليهم وهذا بالنسبة الى ما عند اكثر الناس لانهم كما قال تعالى ولكن اكثرهم
لا يعلمون وفي موضع ولكن اكثرهم يجهلون واما بالنسبة الى ما عند الله عظماء وكذا عند من عرفهم
من العلماء والصلحاء فوصفهم بالسقط والضعف بهذا المعنى والمراد بالحصر الاغلب وغرتهم
بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء وفي عدم التجربة او وجود الغفلة بمعنى الذين لا تجربة لهم
في الدنيا ولا اهتمام لهم بها او الذين هم غافلون عن امور الدنيا شاغلون بهم العقبى على ما ورد
في الخبر اكثر اهل الجنة البله اي في امور الدنيا بخلاف الكفار فانهم كما قال تعالى يعلمون ظاهرا

من

مخ ١٩٢ الاول عن ابي هريرة رضي الله عنه

من الخيوط الذي وهم شرار الخلق مع ذلك فلون هذا وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رواه الاكثر
بغين معجمة مفتوحة فراء فالف مثلثة اي اهل الحاجة من الغوث وهو الجوع ورد وفي بكسر الغين
المعجمة وتشديد الراء وبالمثلثة ونسبها الى الغافلون وهي ثابتة في اكثر النسخ مسلم ورواه
اخرون بعين مهملة فجيم فزاي مفتوحات وبالمثلثة جمع عاجز وفي بضم العين والجيم
جمع عاجز ايضا قال الله للجنة ابتداؤه للحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي وجبرا لها
حيث انكسر خاطرها بما لها من الضعف وغلبت في السؤال وضعفت في الجواب انما انت رحمتي
اي مظهرها في شرح السنة سمي الجنة رحمة لان بها تظهر رحمة الله تعالى كما قال ارحم بك من
اشاء من عبادي والا فرحمة الله من صفاته التي لم يزل بها موصوفا ليست لله صفة حادثة
ولا اسم حادث فهو قديم بجميع اسمائه وصفاته جل جلاله وتقدست اسماؤه وفي المعالم
الرحمة ارادة الخير لاهله وقيل ترك عقوبة من يستحقها واسداء الخير الى من لا يستحق
فهو على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل وقال اي الله للنار انما انت عذابي اي
سبب عقوبتي ومنشأ سخطي وغضبي اعذب بك من اشاء من عبادي والحاصل ان الجنة
والنار فيها مؤمنون والكفار مظاهر الجمال والجلال على وصف الكمال ولا يظهر لاحد وجه تخصيص
كل بكل في مقام الفضل مع العلم بان احدهما من باب العدل والاخر من طريق الفضل ولا يسأل
عما يفعل وهم يسألون ولكل واحدة منكما ملؤها [illegible] فاما النار فلا تمتلئ
قال تعالى يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد اي فتطلب الزيادة ولا تمتلئ
من اهلها المعد لها حتى يضع الله اي فيها او عليها رجله وفي الرواية الاتية قدمه فمذهب
السلف التسليم والتفويض مع التنزيه وارباب التأويل من الخلف يقولون المراد بالقدم
قدم بعض مخلوقاته وقوم قدمهم الله للنار من اهلها وتقدم في سابق حكمه انهم لاحقوها
فتمتلئ منهم جهنم والعرب تقول كل شيء قدمته من خير او شر فهو قدم ومنه قوله تعالى ان
لهم قدم صدق عند ربهم اي ما قدموه من الاعمال الصالحة الدالة على صدقهم في [illegible]
والمراد بالرجل الجماعة وهو وان كان موضوعا لجماعة كثيرة من الجراد لكن استعارته لجماعة
الناس غير بعيد او اخطأ الراوي في نقله الحديث بالمعنى وظن ان الرجل تسد مسد القدم
هذا وقد قيل وضع القدم على الشيء مثل للردع والقمع فكانه قال يأتيها امر الله فيكفها من
طلب المزيد ويدل على هذا المعنى قوله فيضع الرب قدمه عليها ولم يقل فيها كذا قاله شارح
المصابيح لكن الرواية الاتية بلفظ فيها في المشكاة نعم في قرنائي بمعنى على ما في
التنزيل لاصلبنكم في جذوع النخل وفي الارنب به تنكيسي قولها كما يقال للامر يراد ابطاله
وضعته تحت قدمي ذكره في النهاية وفي شرح السنة القدم والرجل المذكوران في هذا
الحديث من صفات الله تعالى المنزهة عن التكييف والتشبيه وكذلك كل ما جاء من هذا
القبيل في الكتاب والسنة كاليد والاصبع والعين والمجيء والاتيان والنزول فالايمان
بها فرض والامتناع عن الخوض فيها واجب فالمهتدي من سلك فيها طريق التسليم والخائض
فيها زائغ والمنكر معطل والمكيف مشبه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير انتهى وهو الموافق لمذهب الامام مالك والطريق الامثل الاعظم
على ما اشار اليه في الفقه الاكبر بالتسليم اسلم والله اعلم تقول اي النار والجملة استئنافية
بيانا او حالا والاول اظهر فيقال فتقول قط بفتح القاف وسكون الطاء وفي نسخة
بكسرها منونة وفي اخرى بكسرها بلا تنوين قط قط ذكر بلا تكرار على ما في النسخ المصححة والمعتمدة
من قول الشراح حيث قال بسكون الطاء اي كفى كفى وحكى اكثر الناس اي حسبي حسبي فالـ

ف

النووي فيه ثلاث لغات باسكان الطاء فيهما وبكسرها منونة وغير منونة وفي القاموس اذا كان قط بمعنى
حسب فقط كعن وقط منونا مجرورا فاقتصاره عليهما مشعر بان الكسر مع غير التنوين ضعيف
فهنالك اي في ذلك الزمان تمتلئ اي النار بقدرة الله تعالى ويزوى بصيغة المجهول اي يضم
ويجمع بعضها الى بعض اي من غاية الامتلاء ولا يظلم الله اي ابدا من خلقه احدا اي لا يعذب الله
خلقا بالنار فانه ظلم بحسب الصورة وان لم يكن ظلما حقيقة فانه تصرف في ملكه والله تعالى
لا يفعل ما يشبه صورة الظلم واما الجنة فان الله ينشئ لها اي من عنده خلقا اي جمعا لم يعملوا
عملا وهذا تفضل من الله تعالى كما انه سبحانه لو اراد ان للنار خلقا الى ما قيل لكان عدلا والله
اعلم متفق عليه وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم
يلقى اي يطرح فيها اي من الكفار والفجار وتقول هل من مزيد اي من زيادة حتى يضع رب العزة اي صاحب
الغلبة والقوة والقدرة فيها قدمه وقد تقدم ما يتعلق به فينزوي اي ينضم ويجتمع بعضها
الى بعض فتقول قط قط اي مرتين والمراد بهما الكثرة او اختصار العدد بعزتك وكرمك اي
زيادة عطائك ولا يزال في الجنة فضل اي زيادة مساكن خالية عن السكان حتى ينشئ الله
لها خلقا فيسكنهم من الاسكان فضل الجنة اي في تلك الزيادة منها قال النووي في قوله
واما الجنة فان الله ينشئ لها خلقا هذا دليل لاهل السنة على ان الثواب ليس متوقفا
على الاعمال فان هؤلاء يخلقون حينئذ ويعطون الجنة بغير عمل قال الطيبي وللمعتزلة ان
يقولوا الذي في الظلم شيء لم يذنب ذنبا عليه انه ان عذبهم كان ظلما وهو عين مذهبنا وجوابه
انا وان قلنا وان عذبهم لم يكن ظلما فانه لم يتصرف في ذلك بعزه لكنه تعالى لا يفعل ذلك
لكرمه ولطفه مبالغة في نفي الظلم اثباتا للكرم متفق عليه وذكر حديث ابي هريرة حفت الجنة
بالمكاره بتمامه وحفت النار بالشهوات في كتاب الرقاق اي لان الحديث انسب به من هذا
الباب والله اعلم بالصواب الفصل الثاني عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر اليها اي نظر اعتبار
فذهب فنظر اليها والى ما اعد الله لاهلها فيها اي مما اعد الله لاهل الصالحين ما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم جاء اي رجع الى موضعه اي الى حيث ما امره او الى تحت العرش
فقال اي رب اي يا رب وعزتك لا يسمع بها احد اي وجب دخولها فالان تشتاق بل العباد اجا
الا دخلها اي طمع في دخولها وجاهد في حصولها ولا يتهم الا بشانها الحسنة في الجنة ثم حفها
اي احاطها الله بالمكاره جمع كره وهي المشقة والشدة على غير قياس والمراد بها التكاليف الشرعية
التي هي مكروهة على النفوس الانسانية وهذا اشارة الى ان المعاني لها صور حسية في تلك المباني
ثم قال يا جبريل اذهب فانظر اليها اي ثانيا لما تجدد من الزيادة عليها باعتبار حواليها قال
اي النبي صلى الله عليه وسلم وفي اكثر الاصول بدون قال فذهب فنظر اليها اي ورأى ما عليها
ثم جاء فقال اي رب وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احد اي لما رايت حولها من الموانع التي هي
العلائق والعوائق للخلائق قال الطيبي اي لوجود المكاره من التكاليف الشاقة ومخالفة
النفس وكسر الشهوات قال فلما خلق الله النار قال يا جبريل اذهب فانظر اليها قال
فذهب فنظر اليها ثم جاء فقال اي رب وعزتك لا يسمع بها احد فيدخلها اي لا يسمع بها احد
احد الا فزع منها واحترز فلا يدخلها فحفها بالشهوات ثم قال يا جبريل اذهب فانظر اليها
قال وهو موجود هنا في اكثر النسخ المصححة فنظر اليها فقال اي رب وعزتك لقد خشيت
ان لا يبقى احد الا دخلها اي لميلان النفس الى الشهوات وحب اللذات وكسلها عن الطاعات
والعبادات فهذا الحديث تفسير للحديث الصحيح السابق حفت الجنة بالمكاره وحفت

النار

النار بالشهوات وفي معناه ما في الجامع الكبير للسيوطي ان الله بنى مكة على المكروهات والدرجات
ونعم ما قال ارباب الحال

لولا المشقة ساد الناس كلهم ** الجود يفقر والاقدام قتال

رواه الترمذي وابو داود والنسائي الفصل الثالث عن انس رضي الله تعالى
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى لنا اي اماما لجماعتنا يوما الصلاة اللام للعهد
الذهني الذي هو في المعنى كالنكرة ثم رقي بكسر القاف اي صعد المنبر فاشار بيده قبل قبلة
المسجد بكسر القاف وفتح الموحدة اي الى جانبه وجهته فقال قد اريت بصيغة المجهول
من الاراءة اي ابصرت الآن اي في هذا الزمن القريب من الماضي والاستقبال المعبر عنه
بالحال مع مراعاة التوسعة باعتبار المآل وكذا قوله منذ صليت لكم الصلاة اي حين صليت
او من ابتداء زمان ما صليت لكم الصلاة الى ان رقيت المنبر الجنة والنار ممثلتين بتشديد
المثلثة اي مصورتين صورة اجمالية او تفصيلية في قبل هذا الجدار بكسر القاف وفتح الباء
وفي نسخة بضمهما اي في مقابلته في القاموس القبل بالضم وبضمتين نقيض الدبر
ورأيته قبلا محركة وبضمتين وكصرد وعنب اي عيانا ومقابلة قال الكرماني فان قلت
فما قولك في صليت فانه للماضي قلت كل مخبر ومنشئ يقصد الزمان الحاضر الا الحفظة
الحاضر الغير المنقسمة المستمرة بحالها انتهى والمعنى ان الحال في كل مقال بحسب ما يناسبه
المقام في تحصيل المرام فلم ار كاليوم في الخير والشر اي لم ار منظرا كمرئي اليوم في الخير ولا منظرا
كمرئي اليوم في الشر لان الجنة جامعة للخيرات من الحور والقصور والنار جامعة لانواع
الشرور من الزقوم والثبور فلا نظير لهما في جميع الخير والشر قال الطيبي الكاف في موضع الحال
وذو الحال هو المفعول به وهو الجنة والنار وشبه ذات الشيء بنفسه والمعنى لم ار الجنة والنار في الخير
والشر بهما من الايام مثل ما رايت اليوم اي رايتهما رؤية جلية ظاهرة مثلا في قبل هذا الجدار
ظاهرا خيرها وشرها رواه البخاري ورواه مسلم عن انس ايضا عرضت علي الجنة والنار
انفا في عرض هذا الحائط فلم ار كاليوم في الخير والشر ولو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا انتهى والله اعلم

باب بدء الخلق وذكر الانبياء عليهم السلام

البدء بفتح الموحدة فسكون الدال فالهمز بمعنى الابتداء وينبغي ان لا يكتب بالواو حتى لا يشتبه
بضبط بضمتين فواو ساكنة فهمز او بدو مشددة بلا همز فان معناها الظهور على ما حققته في
رسالتي المتعلقة على اول كتاب البخاري مما يتعلق بباب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم منتهيا الى وقول الله تبارك وتعالى ونظم من اتيان الاعراب على وجه الخلو
من الاعراب نعم لو رسم بالياء وجه وجيه الفصل الاول عن عمران بن حصين قال اني
كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه قوم اي وقت مجيئهم من بني تميم قبيلة عظيمة
مشهورة فقال اقبلوا بفتح الموحدة اي تقبلوا من البشرى بضم الموحدة اي البشارة المطلقة
او المعهودة يا بني تميم وثم لما لم يفهموا الاشارة بالبشارة لم يعرفوا طريق الشغف لها
بالقبول المرتب عليه حصول كل وصول قالوا بشرتنا فاعطنا فحملوا البشارة على الاحسان
العرفي فطلبوا ما يترتب عليه من العطاء الحسي وهذا بمقتضى ما غلب عليهم من لذة الدنيا العاجلة
وغفلتهم عن المراتب الآجلة فكل اناء يترشح بما فيه ويبنى على ذلك البناء بينه وقد علم
كل اناس مشربهم وكل حزب بما لديهم فرحون قال الطيبي اي اقبلوا مني ما يقتضي ان
تبشروا بالجنة من التفقه في الدين والعمل به ولما لم يكن جل اهتمامهم الا بشان الدنيا والاستعطاء

الفصل الثاني عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه

الفصل الثالث عن انس

باب بدء الخلق وذكر الانبياء عليهم السلام

الفصل الاول عن عمران بن حصين

دون دينهم قالوا بشرتنا للتفقه وانما جئنا للاستعطا فاعطنا ومن ثم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذ لم يقبلها بنو تميم وقال العسقلاني بشرتنا هو دال على اسلامهم وانما راموا العطا
وسبب غضبه صلى الله عليه وسلم ولعله تبوله لهم البشرى استشعاره بقلة علمهم وضعف
قابليتهم بكونهم علقوا آمالهم بعاجل الدنيا الفانية وقدموا ذلك على التفقه في الدين الموصل
الى ثواب الآخرة الباقية وكان اللائق عليهم اهتمامهم بالسؤال عن حقائق كلمة التوحيد والمبدا
والمعاد والاعتنا بضبطها والسؤال عن واجباتها والموصلات اليها قد دخل ناس من اهل
اليمن فقال اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا جئناك لنتفقه
في الدين اي عملا بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ولما كانت نيتهم الصالحة خالصة للتفقه
في الدين لا للطمع في الدنيا حصل لهم البشارة والقبول والعلم اللدني والوصول
وحرم الاولون عن البشارة بل وعن العطاية الحقارة ونفوا حضيض الدناءة فالهمة العالية هي الموصلة
الى المرتبة العالية كما قدمناه في الحكاية المروية عن الشيخ ابي العباس المرسي انه خرج من المدينة
المطهرة على قصد زيارة تربة الامير حمزة المنورة وتبعه رجل ففتح له باب المقبرة على خرق العادة
ودخل الشيخ في محل الزيارة فراى جماعة من رجال الغيب برئيسهم من المتصلين بعالم الغيب نعرف
انها ساعة الاجابة فطلب من الله العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة ثم قال للرجل
الذي تبعه ملتفتا اليه رحمة وشفقة عليه يا اخي اطلب من الله تعالى ما تريد فانا اذ وقت
الاجابة والمزيد فسأل الله تعالى دينارا ولم يذكر جنة ولا نارا فرجعا ولما وصلا باب المدينة
اعطى الرجل دينارا واحد من اهل السكينة فدخلا كلاهما على القطب الولي السيد ابي الحسن
الشاذلي وقد كشف له القضية فقال للرجل يا دني الهمة تدرك وقت الاجابة وتطلب
قطعة دينار دنية فهلا طلبت كما ابي العباس العفو والعافية ليكون في امر دينك ودنياك
كافية وافية ثم ما احسن طريق سؤالهم من الابتداء الى اول خلقه الدال على كمال همهم
حيث قالوا ولنسألك اي وجئناك لنسالك عن اول هذا الامر اي اول الامر بخلق ومبدا
العالم ما كان اي اي شيء كان اول هذا قال الطيبي ما في ما كان استفهامية اي اي شيء كان
اول الامر وكرر السؤال لمزيد الاهتمام بالامر قال كان الله اي في الازل الازال كما هو كاين الى
الابد الاباد بلا وصف التغير والحدوث على ما نعتت العباد فان ما ثبت قدمه استحال عدمه
ولم يكن شيء قبله اي فانه خالق كل شيء وموجده فلا يتصور وجود موجود ممكن قبل الموجد الواجب
الوجود وحاصله انه تعالى الاول الذي هو قبل كل شيء ولا شيء قبله فتكرر الجواب على طريق
السؤال مطابقا في الاهتمام بالحال وخلاصته انه اول قديم بلا ابتدا كما انه آخر كريم
بلا انتها قال الطيبي قوله ولم يكن شيء قبله حال وعلى مذهب الكوفي خبر والمعنى يساعده
اذ التقدير كان الله في الازل منفردا متوحدا وهو مذهب الاخفش فانه جوز دخول
الواو في خبر كان واخواتها نحو كان زيد وابوه قائم على جعل الجملة خبرا مع الواو تشبيها
للخبر بالحال انتهى ولما كان السؤال عن الاول فسره بالاولية الازلية ونفى الغيرية القبلية
ولم يتعرض لنفي المعية ولهذا وقع في عبارة السادة الصوفية كان الله ولم يكن معه شيء
ثم قالوا والآن على ما عليه كان اي الآن وجود الشيء الممكن في جنب وجود الواجب كلا شيء وكذا
قال بعضهم ليس في الدار غيره ديار وقال الاخر سوى الله والله ما في الوجود ولان كان الاشيا
انما هي مظاهر صفاته ومرائي ذاته فقد روي كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق
لاعرف وفي قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اشارة الى ذلك على تفسير حبر

الامة

الامة اي ليعرفون قال التوربشتي هو فصل مستقل بنفسه لا امتزاج له بالفصلين اللذين وهو
قوله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض لما بين الفصلين من المنافاة فانك اذا
جعلته وكان عرشه على الماء تمام القول الاول فقد ناقضت الاول بالثاني لان القديم من
لم يسبقه شيء ولم يعارضه في الاولية وقد اشار بقوله وكان عرشه على الماء الى انهما كانا مبدا
التكوين وانهما كانا مخلوقين قبل خلق السموات والارض ولم يكن تحت العرش قبل السموات والارض
الا الما وكيف ما كان فالله سبحانه خالق ذلك كله وممسكه بقوته وقدرته انتهى كلامه قال الطيبي
اراد الشيخ بما قاله ان المعطوف عليه مقيد بقوله ولم يكن قبله شيء ولو جعل المعطوف عليه غير مستقل
لزم المحذور فاذا جعل مستقلا وعطف الثانية على الاولى فلا فاذن لفظه كان في الموضعين بحسب
حال مدخولها فالمراد بالاول الازلية والقدم وبالثاني الحدوث بعد العدم والحاصل ان قوله
وكان عرشه على الما عطف على مجموع قوله كان الله ولم يكن قبله شيء وانه من باب الاخبار عن حصول
الجملتين في الوجود وتفويض الترتيب الى الذهن قالوا وبمنزلة ثم قال العسقلاني ولم يبين المراد
بالما انما البحر بل هو ما تحت العرش كما شا الله تعالى وقال ابن الملك وكان عرشه على الما
والما على متن الريح والريح قائمة بقدرة الله تعالى وقيل خلق العرش والما قبل السموات والارض
ثم خلقهما من الما بان تجلى على الما فتموج واضطرب وحصل له زبد فاجتمع في محل الكعبة الشريفة
ولذا سميت مكة ام القرى ثم دحيت الارض من تحتها ثم القى الجبال عليها لئلا تميد واول الجبال
ابو قبيس على بعض الاقوال وطلع دخان من تموج الما الى جانب السما فخلقت السموات منها
ومجمله في سورة حم فصلت وتفصيله في كتب وسير المورخين والله سبحانه اعلم بالاوليات والا
وكتب اي اثبت جميع ما هو كاين في الذكر اي في اللوح المحفوظ قال الراوي ثم اتاني رجل فقال
يا عمران ادرك ناقتك اي الحقها فقد ذهبت اي منفلتة فانطلقت اطلبها حال او استئناف تعليل
وايم الله بفتح الهمزة وصلا وقطعا وتحتية ساكنة وميم مضمومة مضافة الى الجلالة وهي كلمة قسم
وليست جمعا قال شارح ايم الله اسم موضوع للقسم عند سيبويه وهمزته للوصل ولم يجيء في الاسما
الف الوصل مفتوحة غيرها وتقديره ايم الله قسمي وعند الكوفيين هو محذوف ايمن جمع يمين وهمزة
للقطع لوددت اي لتمنيت انها اي الناقة قد ذهبت اي فقدت ولم اقم اي في طلبها المانع من سماع
كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهل اليمن رواه البخاري وعن عمر رضي الله عنه قال قام فينا
اي خطيبا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما اي قياما عظيما فاخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل
اهل الجنة منازلهم واهل النار منازلهم اي بين المبدا والمعاد وتوضيحه انه صلى الله عليه وسلم
بين احوال الامم كلهم الى وقت دخول الجنة وعين احوال الامة بما يجري عليهم من الخير والشر الى ان يدخل
اهل الجنة منهم الجنة واهل النار النار حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه قال الطيبي حتى
غاية اخبرنا اي اخبرنا مبتديا من بدء الخلق حتى انتهى الى دخول اهل الجنة الجنة ووضع الماضي موضع
المضارع مبالغة للتحقيق المستفاد من قول الصادق الامين وقال العسقلاني اي اخبرنا عن
المبدا شيئا بعد شيء الى ان انتهى الاخبار عن حال الاستقرار في الجنة والنار ودل ذلك على انه اخبر
في المجلس الواحد بجميع احوال المخلوقات من المبدا والمعاد والمعاش وتيسير ايراد ذلك كله في مجلس
واحد من خوارق العادة امر عظيم رواه البخاري وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله كتب اي اثبت او امر ان تكتب الملايكة كتابا اي مكتوبا وهو
اللوح او كتب كتابة مستقلة قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي بكسر الهمزة وفتحها سبقت غضبي اي غلبت
كما في رواية والمعنى غلبت الرحمة بالكثرة في متعلقها على الغضب والحاصل ان ارادة الخير والنعمة والمثو
منه سبحانه للعباد اكثر من ارادة الشر والنقمة والعقوبة لان الرحمة عامة والغضب خاصة كما حقق في

في قوله الرحمن الرحيم حيث قيل رحمة الرحمن منه للمؤمن والكافر بل لجميع الموجودات ولذا لا يطلق الرحمن على غيره سبحانه فإذا عرفت هذا فالأكثر على أنه حكاية ويكون لفظه من جملة المكتوب والفتح على أنه بدل من كتابا وعلى كل فالمكتوب إنما هو نفس الجملة وتوابعه قوله فهو مكتوب عنده فوق العرش والمعنى أنه مكنون عن سائر الخلائق مرفوع عن حيز الإدراك وقيل معناه أنه مثبت في علمه سبحانه وأما اللوح المحفوظ فقد يطلع على بعض معلوماته من أراده الله من ملائكته وأنبيائه وخلفائه وأوليائه من أرباب الكشوف لا سيما إسرافيل فإنه موكل عليه ويأخذ الأمور منه بأمر جبريل وميكائيل وعزرائيل كلا بما هو من جنس عمله على ما ورد في بعض الأخبار والآثار وأما في نزول من فسر الكتاب هنا باللوح المحفوظ والقضاء الإجمالي والتفصيلي فينبغي أن يكون الأكثر في الجنسيات اللهم إلا أن يجعل هذه الجملة المستفادة من الحكمة الإجمالية زبدة ما في اللوح المحفوظ وعمدة ما فيه من أنواع المحظوظ قال التوربشتي يحتمل أن يكون المراد بالكتاب اللوح المحفوظ ويكون معنى قوله فهو مكتوب عنده فعلم ذلك عنده ويحتمل أن يكون المراد منه القضاء الذي قضاه وعلى الوجهين فإن قوله فهو عنده فوق العرش تنبيه على كينونته مكنونا عن سائر الخلائق مرفوعا عن حيز الإدراك ولا يعلق هذا القول بما يقع في النفوس من التصورات تعالى عن صفات المحدثات فإنه هو المباين عن جميع خلقه المتسلط على كل شيء بقهره وقدرته وفي سبق الرحمة بيان أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب وأنها تنالهم من غير استحقاق وأن الغضب لا ينالهم إلا بالاستحقاق ألا ترى أنها تشمل الإنسان جنينا ورضيعا وفطيما وناشيا من غير أن يصدر منه طاعة استوجب بها ذلك ولا يلحقه الغضب إلا بما يصدر عنه من المخالفات ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم فلله الحمد على ما ساق إلينا من النعم قبل استحقاقها وقال النووي غضب الله تعالى ورضاه يرجعان إلى إثابة المطيع وعقاب العاصي والمراد بالسبق هنا والغلبة في أخرى كثرة الرحمة وشمولها كما يقال غلب على فلان الكرم والشجاعة إذا كثرا منه أقول ولعل السبق على حقيقته من غير إرادة المجاز فيهما لأن رحمته تعالى سابقة باعتبار التعلق على غضبه بالنسبة إلى كل أحد من مخلوقاته فإن أول الرحمة نعمة الإيجاد ثم نعمة الإمداد فلا يخلو عن النعمتين أحد من العباد وكذا منحه سبحانه إلى محمد غالبة كثيرة شاملة لعموم الخلائق سواء من أطاع أو عصاه وفي الآخرة قال الطيبي يحتمل أن يكون أن مفتوحة بدلا من كتابا ومكسورة حكاية لمضمون الكتاب وهو على وزان قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أي أوجب وعدا أن يرحمهم قطعا بخلاف ما يترتب عليه مقتضى الغضب فإن الله تعالى عفو كريم يتجاوز عنه بفضله وأنشد

وإني إذا أوعدته أو وعدته * لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

فالمراد بالسبق هنا القطع بوقوعها قلت لا بد أن يخص بالمؤمنين ممن تعلق المشيئة بمغفرتهم وسبق الإرادة برحمتهم وإلا فعذاب الكافرين مقطوع الوقوع بل واجب الحصول لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به والتخلف في حق غيرهم ليس قطعيا وقد حررت هذه المسألة في خصوص رسالة سميتها بالقول السديد في خلف الوعيد متفق عليه وعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلقت الملائكة من نور وخلق الجان أي جنسهم قال النووي الجان الجن وقال شارح يعني أبا الجن وهو المناسب لمقابلته بآدم ثم قيل المراد به إبليس من مارج أي لهب مختلط بسواد دخان النار قال تعالى وخلق الجان من مارج من نار وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم وخلق آدم بصيغة المجهول كما قبله مما وصف لكم على بناء المفعول مما بينه الله لكم في قوله خلقه من تراب وقوله خلق الإنسان من صلصال كالفخار وقوله ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون وقوله إني خالق بشرا من طين ولعل كثرة ما ورد في خلقه مع اشتهارها أوجبت الإبهام في قوله مما وصف لكم رواه مسلم وكذا أحمد وروى الحكيم الترمذي وابن عدي في الكامل بسند حسن

عن أبي هريرة مرفوعا خلق الله آدم من تراب الجابية وعجنه بماء الجنة والجابية في ما في القاموس قرية بدمشق وباب الجابية من أبوابها وروى ابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعا خلقت النخلة والرمان والعنب من فضل طينة آدم وروى الطبراني عن أبي أمامة مرفوعا خلق الحور العين من الزعفران وروى الحكيم وابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه عن أبي الدرداء رفعه خلق الله عز وجل الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله الإنس ثلاثة أصناف صنف كالبهائم وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله وفي قوله وصنف عليهم الحساب والعقاب إيماء إلى تحقيق حقيقة وتوقفه في حق الجن بالثواب والله أعلم بالصواب وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه أي في الجنة قال التوربشتي إن هذا الحديث مشكل جدا فقد ثبت بالكتاب والسنة أن آدم خلق من أجزاء الأرض وقد دل على أنه أدخل الجنة وهو بشر حي وترتيبه المفهوم من نص الكتاب وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وقال شارح قيل يحتمل أن تكون الكلمتان أي في الجنة سهوا من بعض الخطاطين سمعه فيهما قال القاضي الأخبار متظاهرة على أنه تعالى خلق آدم من تراب قبض من وجه الأرض وخمره حتى صار طينا وتركه حتى صار صلصالا وكان ملقى بين مكة والطائف ببطن نعمان وهو من أودية عرفات ولكن ذلك لا ينافي تصويره في الجنة لجواز أن تكون طينته لما خمرت في الأرض وتركت فيها حتى مضت عليها الأطوار واستعدت لقبول الصورة الإنسانية حملت إلى الجنة وصورت ونفخ فيها الروح وقوله تعالى يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة لا دلالة فيه أصلا على أنه أدخل الجنة بعد ما نفخ فيه إذ المراد بالسكون الاستقرار والتمكن والأمر به لا يجب أن يكون قبل الحصول في الجنة كيف وقد تظاهرت الروايات على أن حواء خلقت من آدم في الجنة وهي أحد المأمورين ولعل آدم عليه السلام لما كانت مادته التي هي البدن من العالم السفلي وصورته التي بها يتميز عن سائر الحيوانات ويضاهي بها الملائكة من العالم العلوي أضاف الرسول صلى الله عليه وسلم تكون مادته إلى الأرض لأنها نشأت منها وأضاف حصول صورته إلى الجنة لأنها نفخت فيها فجعل إبليس أي شرع من كمال تلبيسه يطيف به بضم حرف المضارعة قال النووي طاف بالشيء يطوف طوفا وطوافا وأطاف به يطيف إذا استدار حوله ينظر ما هو أي ينظر بيان أو حال أي يتفكر في عاقبة أمره وفيما يظهر منه فلما رآه أجوف أي ذا جوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك أي لا يتماسك بعضه ببعض ولا قوة له ولا ثبات بل يكون متزلزل الأمر متغير الحال معرضا للآفات والتمالك التماسك وقيل المعنى لا يقدر على ضبط نفسه من المنع عن الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عن الغضب وقال التوربشتي الأجوف من الإنسان مقابل للصمد في صفة الباري قيل السيد سمي بالصمد لأنه يصمد إليه في الحوائج ويقصد إليه في الرغائب من صمدت الأمر إذا قصدته وقيل إنه المنزه عن أن يكون بصدد الحاجة وفي معنى الأجوف مأخوذ من الصمد بمعنى المصمد وهو الذي لا جوف له فالإنسان مفتقر إلى الغير في قضاء حوائجه وإلى الطعام والشراب ليملأ جوفه فإنه لا يتمالك لأن في شيء ظاهرا وباطنا أقول ولعل جنس الجن لم يتسموا بصفة الأجوفية ليتم الاستدلال بالصفة المخصوصة للإنسانية رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن إبراهيم النبي أي بنفسه عليه السلام بأمر الملك العلام حين قال تعالى وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن وهو ابن ثمانين سنة وفي الموطأ ابن مائة وعشرين سنة قيل والأول هو الصحيح كذا ذكره الأكمل في شرح المشارق بالقدوم بفتح القاف وضم الدال المخففة وفي نسخة بتشديدها قال صاحب القاموس القدوم آلة النجر وموضع اختتن به إبراهيم عليه السلام وقد يشدد داله وقال الطيبي القدوم

بالتخفيف الثاني للبخاري معروفة وبالتشديد اسم موضع وقيل هو بالتخفيف ايضا هكذا في جامع الاصول
وفي كتاب الحميدي قال البخاري قال ابو الزناد وهو راوي الحديث اختتن ابراهيم بالقدوم مخففة
قال التوربشتي ومن المحدثين من يشدد وهو خطا قال النووي القدوم وقع في رواية البخاري
الخلاف في التشديد والتخفيف وفي رواية لمسلم القدوم بالتخفيف لا غير واما القدوم مكان
بالشام ففيه التشديد والتخفيف فمن رواه بالتشديد اراد القرية ورواية التخفيف تحتمل
القرية والالة والاكثرون على التخفيف متفق عليه ورواه احمد وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات بفتح الذال
وفي نسخة بكسرها قال ميرك نقلا عن الشيخ الجزري اسم لا صفة لانك تقول كذب كذبة كما تقول ركع
ركعة ولو كان صفة لسكن في الجمع وقال ابو البقاء الجيد ان يقال بفتح الذال في الجمع لانه
ولعل وجهه ان المصدر جاء بالفتح والكسر فيما يفهم من القاموس لكن لما كان الفتح مخصوصا
بالمعنى الاسمي بخلاف الكسر فانه مشترك بين الاسم والمصدر كان الفتح اجود هذا وقد ورد في
الخبر مما رواه مسلم من ذكر قول ابراهيم في الكوكب هذا ربي واجيب بانه في حال
الطفولية وهي ليست زمان التكليف او المقصود منه الاستفهام للتوبيخ والاحتجاج قال
المازري اما الكذب في الانبياء فيما طريقه البلاغ عن الله عز وجل فالانبياء معصومون منه
سواء قل او كثر فان تجويزه منهم يرفع الوثوق باقوالهم ومنصب النبوة يرتفع عنه واما
ما لا يتعلق بالبلاغ ويعد من الصغاير كالكذبة الواحدة في حقير من امور الدنيا ففي امكان وقوعه
منهم وعصمتهم منه القولان المشهوران للسلف والخلف قال عياض الصحيح ان الكذب
لا يقع منهم مطلقا واما الكذبات المذكورات فانما هي بالنسبة الى فهم السامعين مع كونها في
صورة الكذب واما في نفس الامر فليست كذبات قلت وافقه شارح من علمائنا
حيث قال انما سماها كذبات وان كانت من جملة المعاريض لعلو شانهم عن الكناية بالحق فيقع
ذلك موقع الكذب عن غيرهم ولانها لما كانت صورتها صورة الكذب سميت كذبات وقال
الاكمل في شرح المشارق يحتمل ان يراد بها حقيقة الكذب لان الاستثناء من النفي اثبات فيحتاج
الى العذر بان الكذب للاصلاح جايز فما ظنك في دفع ظلم الظالمين قال ابن الملك كيف يحتمل
ذلك ومع كلام ابراهيم عليه السلام قرينة حالية او مقالية دالة على انه تجوز فيه ولم يرد ظاهره
الا ترى انه من جهة كذبا نحو قوله لسارة انك اختي في الاسلام فقوله في الاسلام
قرينة على انه لم يرد به الاخت في النسب وقوله بل فعله كبيرهم فان استحالة صدور الفعل
من الجماد قرينة على انه مؤول ومتجوز فيه فلا يكون كذبا قلت ولا سيما فيه قول بالوقف
على بل فعله والابتداء بقوله كبيرهم هذا ثنتين منهن بدل من ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله اي لاجل
الله تعالى او في امر الله او فيما يتعلق بتنزيه ذاته عن الشرك او يراد به القران اي في كلامه
وعبر به عنه لما لا ينفك عن المتكلم كما هو راي الاشعري كذا ذكره ابن الملك وتوضيحه ما
قال شارح اي في امر الله وما يختص به اذ لم يكن لابراهيم نفسه فيها ارب لانه قصد بالاولى ان
يتخلف عن القوم بهذا العذر فيفعل بالاصنام ما فعل وبالثانية الزام الحجة عليهم بالفهم
مثلا سفههم في عبادة ما لا يضر ولا ينفع وقيل يحتمل حذف المضاف اي في كلام ذات الله
يعني ان ثنتين مذكورتان في كلام الله تعالى دون الثالثة وهي قوله لسارة هي اختي قال
النووي وانما خص الثنتين في ذات الله تعالى لانه سبب دفع كافر ظالم عن مواقعة فاحشة عظيمة
لا يرضى الله تعالى بها وانما خص الثنتين بانهما في ذات الله تعالى لكون الثالثة تضمنت
نفعا له ودفعا لحرمه هذا وفي المغرب ذو بمعنى الصاحب يقتضي شيئين موصوفا ومضافا

اليه ويقال للمؤنث امرأة ذات مال ثم اقتطعوا عنها مقتضاها واجروها مجرى الاسماء التامة
المستقلة بانفسها غير المقتضية لما سواها فقالوا ذات قديمة او محدثة ونسبوا اليها من
غير تغيير علامة التانيث فقالوا الصفات الذاتية واستعملوها استعمال النفس والشيء
عن ابي سعيد كل شيء ذات شيء قال الطيبي قوله في ذات الله اي في الدفع عن ذات الله ما لا يليق
بجلاله ويدل عليه ما جاء في حديث اخر ما فيها كذبة الا ما حل بها عن دين الله اي خاصم وجادل وذب
عن دين الله وهو بمعنى التعريض لانه نوع من الكناية ونوع من التعريض يسمى بالاستدراج وهو
ارخاء العنان مع الخصم في المجارات ليعثر حيث يراد تبكيته فسلك ابراهيم عليه السلام مع القوم
المنهج تحقيقه قوله بالرفع وفي نسخة بالجر اني سقيم وذلك حين ما طلبوا منه عليه السلام
ان يخرج معهم الى عيدهم فاراد ان يتخلف عنهم للامر الذي هم به فنظر نظرة في النجوم فقال
اني سقيم وفيه ايهام منه انه استدل بامارة علم النجوم على انه سيسقم ليتركوه فيفعل
بالاصنام ما اراد ان يفعل او سقيم القلب لما به من الغيظ باتخاذهم النجوم الهة وبعبادتهم
الاصنام وقوله بالوجهين وهو حين كسر عليه السلام اصنامهم الا كبيرها وعلق الفاس في عنقه
بل فعله كبيرهم هذا اي فاسألوهم ان كانوا ينطقون يعني ان كان لهم نطق ففعله تنبيه تبكيت
على ان الاله الذي لم يقدر على دفع المضرة عن نفسه كيف يرجى منه دفع الضر عن غيره وايماء الى
ان العاجز عن النطق لا يصلح للالوهية فان الاله من هو منعوت بصفات الكمال من نعوت
الجلال والكمال وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم في بيان الثالثة بينا هو اي ابراهيم عليه
السلام متوجه الى ارض الشام ذات يوم اي بعد هذا كذلك بمدد وسارة عطف على هو وهي بنت عمه
اذ اتى ابراهيم على جبار من الجبابرة اي ظالم متسلط قال الطيبي الجواب بينا اي
بينما هما يسيران ذات يوم اذ اتيا على بلد جبار من الجبابرة وفيه بحث فقيل له اي للجبار ان هنا
اي في بلدنا هذا رجلا معه امراة من احسن الناس فارسل اي رسولا اليه اي الى
ابراهيم يطلبه فذهب اليه فساله عنها اي عن جهتها من هذه اي من تكون لك هذه المراة التي
معك من هذه بيان للسؤال اي سال الجبار بهذا اللفظ قال اختي اي في الاسلام وقيل كان
كاذبا وكان جايزا لاجل دفع الظالم على ما في شرح مسلم لكن حمله على التعريض اولى فانه صلى
الله عليه وسلم قال فيما رواه ابن عدي والبيهقي عن عمران بن حصين ان في المعاريض لمندوحة عن
الكذب مع ان تقرير قوله اختي لا يخلو عن نفي ريب ما حيث لم يقل هذه اختي اذ هي اختي فاتى ابراهيم
سارة فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم ان شرطية اي زعم انك امراتي يغلبني عليك اي ياخذ
بالظلم مني فان سالك اي عن نسبك ونسبتك في تقدير رسالته اليك او حضورك عنده فاخبريه
انك اختي اي على طريق التعريض كي نعدله فانك اختي في الاسلام اي حقيقة بلا اشتراك لاحد
غيرنا في هذا المقام كما بينه بقوله ليس اي موجود على وجه الارض مؤمن غيري وغيرك قال
الطيبي يريد به قوله تعالى انما المؤمنون اخوة بمعنى ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب
القريب والنسب اللاصق ما يفضل الاخوة في النسب السابق وليس احد احق بهذا
العقد مني ومنك الا انه ليس على وجه الارض مؤمن غيري وغيرك انتهى واستشكل بكون
لوط عليه السلام مشاركهما في الايمان كما قال تعالى فامن له لوط ويمكن ان يجاب بان مراده
بالارض هي التي فيها ما وقع له ولم يكن معه لوط اذ ذاك ذكره العسقلاني ثم قيل كان من
امر ذلك الجبار الذي يتدين به في الاحكام السياسية ان لا يتعرض الا لذوات
الازواج ويرى انه اذا اختارت الزوج فليس لها ان تمتنع من السلطان بل يكون هو احق
بها من زوجها فاما اللاتي لا ازواج لهن فلا سبيل عليهن الا اذا رضين ويحتمل ان يكون

ك

المراد انه علم ذلك الرمز بالطلاق او نقصد فيك حرصا عليك وقيل ان دين الملك انه لا يحل له
التزوج والتمتع بقرابات الانبيا فارسل اي الجبار اليها اي الى سارة يطلبها فاتي بها اي جي بها
الى الجبار وقام ابراهيم استيناف بيان كان قائلا قال فما ذا فعل بعد فاجيب قام ابراهيم
يصلي حالا واستقبالا فعلى اي ليصلي عملا بقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وكان صلى
الله عليه وسلم اذا حزبه امر صلى على ما رواه احمد وابو داود عن حذيفة فلما دخلت بصيغة الفاعل
وفي نسخة ادخلت عليه اي على الجبار ذهب اي طفق يتناولها اي ياخذها او يمسها بيده اي من
غير سؤال وجواب او بعد سؤالها وسماع جوابها لكن غلب عليه الميل اليها لكمال حسنها وجمالها فاخذ
بصيغة المجهول مخففا اي حبس عن امساكها او عوقب بذنبها واغمي عليه وفي نسخة بتشديد الخاء
قال شارح ويروى اخذ على بنا المجهول من الاخذة وهو استخلاف يتخذ من قبيلة او غيرها كالسحر
بحيث يصير جنونا وهيمانا او جنونا على ما قاله العسقلاني ويويده رواية التخفيف قول المولف
ويروى اي بدل فاخذ او زيادة عليه فغط بضم غين معجمة وتشديد طا مهملة اي خنق حتى ركض
برجليه اي ضرب برجليه الارض من شدة الغيظ وقال ابن الملك اي حصر حصرا شديدا وقيل الغط
هنا بمعنى الخنق اي اخذ بمجامع مجاري نفسه حتى يسمع له غطيط وهو صوت بالنفس وقال
العسقلاني اي اختنق حتى صار كالمصروع فقال ادعي اي سلي الله لي اي لاجلي بالخلاص ولا اضرك
اي بالتعرض لك فدعت الله فاطلق اي من الاخذة ثم تناولها الثانية اي اراد تناولها المرة الثانية
فاخذ مثلها اي مثل الاخذة الاولى او اشد اي بل اشد منها فقال ادعي الله لي ولا اضرك اي بالتعرض
فدعت الله فاطلق فدعا بعض حجبته بفتحتين جمع حاجب كطلبة جمع طالب فقال انك لم
تاتني بانسان اي حتى اقدر عليها انما اتيتني بشيطان اي حيث لم اقدر عليها بل تضرعت وتزيدت
تهلكتي قال الطيبي اراد به المتمرد من الجن وكانوا يهابون الجن ويعظمون امرهم فاخدمها هاجر اي جعل
الجبار خادمة لسارة لما راى كرامتها وقربها عند الله او جبرا لما وقع من كسر خاطرها حيث تعرض لها
فاتته اي ابراهيم وهو قائم يصلي وهو اما لعدم اطلاعه على خلاصها استمر على حاله او انكشف له
الامر وزاد في العبادة ليكون عبدا شكورا بعد ما كان عبدا صبورا ويويده قوله فاوما
بيده مهيم اي اشار ابراهيم بيده اي الى سارة وهو في الصلاة مهيم بفتح فسكون فتحتية اي ما شانك
وما حالك وهي كلمة يمانية يستفهم بها وها هنا مفسرة للايماء اي او ما بيده بما يفهم منه معناه
والبيت بترجمة لقوله وانه لكان مرخصه اي يقول فاوما بيده وقال مهيم قالت رد الله كيد
الكافر في نحره اي على صدره وهو من قوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله ومن قبيل الدعا
الماثور اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم واخدم هاجر اي اسم عبرانية وقيل سميت
هاجر لانها هاجرت من ام القرى وقيل كان لا يولد له من سارة فوهبت هاجر له وقالت
عسى الله ان يرزقك منها ولدا وكان ابراهيم عليه السلام يومئذ ابن مائة سنة نقله ابن الملك
قال ابو هريرة تلك اي هاجر امكم اي جدتكم يا بني ما السما قال القاضي قيل اراد بهم العرب
سموا بذلك لانهم يتبعون المطر ويتعيشون به والعرب وان لم يكونوا باجمعهم من بطن
هاجر لكن غلب اولاد اسماعيل على غيرهم وقيل اراد بهم الانصار لانهم اولاد عامر بن حارثة الازدي
جد نعمان بن المنذر وهو كان ملقبا بما السما لانه كان يستمطر به وعلى انهم اراد بهم بني اسماعيل
وسماهم بذلك لطهارة نسبهم وشرف اصولهم قال ابن الملك وقيل اشار بهم لكونهم من ولد
هاجر لان اسماعيل نبع الله تبارك وتعالى له زمزم وهي من ما السما والله سبحانه اعلم
قال الطيبي فان قلت فاذا شهد لنا الصادق المصدوق بالبراءة عن ساحة خليله
يشهد على نفسه بها في حديث الشفاعة في قوله واني كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرها قال

نفسي

نفسي نفسي على ان تسميتها وانها معاريض بالكذبات اخبار الشي على خلاف ما هو به قلت يحتمل
وان اخرجها عن مفهوم الكذبات باعتبار التورية وتسميتها معاريض فلا شك ان صورتها صورة
التلويح عن المستقيم فالحبيب قصد الى براءة ساحة الخليل عما لا يليق به فسماها معاريض والخليل
لمح الى مرتبة الشفاعة هنالك وانها مختصة بالحبيب فتجوز في الكذبات متفق عليه وعنه اي عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم
اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال ابن الملك اراد صلى
الله عليه وسلم انه ما صدر من ابراهيم عليه السلام لم يكن شكا بل كان طلبا لمزيد العلم وانا احق به
لاني مامور بذلك لقوله تعالى وقل رب زدني علما واطلق الشك بطريق المشاكلة وقال الامام
المزني معناه لو كان الشك متطرقا الي لكنت احق به وقد علمتم اني لم اشك فاعلموا انه كذلك
وانما رجح ابراهيم على نفسه تواضعا او المقصود قبل ان يعلم انه خير ولد ادم واما سؤال
ابراهيم فللترقي من علم اليقين الى عين اليقين او لانه لما احتج على المشركين بان ربي يحيي ويميت
طلب ذلك ليظهر دليله عيانا وتوضيحه ما قال الخطابي مذهب هذا الحديث التواضع والهضم
من النفس وليس في قوله هذا اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفي الشك
عن كل واحد منهما يقول اذا لم اشك ولم ارتب في قدرة الله تعالى على احيا الموتى فابراهيم اولى
بان لا يشك فيه ولا يرتاب وفيه الاعلام بان المسالة من قبل ابراهيم لم تعرض من جهة الشك
لكن من قبل طلب زيادة العلم واستفادة معرفة كيفية الاحيا والنفس تجد من الطمانينة بعلم
الكيفية ما لم تجده بعلم الانية والعلم في الوجهين حاصل والشك مرفوع وقيل انما طلب
الايمان حسا وعيانا لانه فوق ما كان عليه من الاستدلال والمستدل لا تزول عنه الوساوس
والخواطر فقد قال عليه السلام ليس الخبر كالمعاينة انتهى وفيه ان عدم علم الانبيا من باب
من باب الاستدلال غير ظاهر بل علمهم من باب الكشف والمعرفة التامة والعلم اليقيني
الذي لهم في السراير بحيث لا يتصور فيه تردد الخواطر وتوسوس الضماير نعم مرتبة عين اليقين
فوق مرتبة علم اليقين وان هذا هو حق اليقين والله الموفق والمعين وفي بعض نسخ المصابيح
نحن احق من ابراهيم بدون قوله بالشك فقال شارح له اي نحن احق منه بالسؤال الذي سال له
يريد به تعظيم امره وان سؤاله هذا لم يكن لنقصان في عقيدته بل لكمال تمكنه وعلو همته
الطالبة لحصول الاطمينان بالوصول الى درجة العيان قال وفي بعض الروايات نحن احق
بالشك من ابراهيم ومعناه ما ذكرناه اي لم يكن صدور هذا السؤال منه شكا من ابراهيم
اختلج في صدره وربما لو كان الشان يعتريه لنحن احق بالشك منه ولكنا لا نشك فكيف يجوز ان
يشك هو فيه اقول المراد بقوله نحن ليس صيغة التعظيم ليحتاج الى الاعتذار بانه قال
ذلك تواضعا لابراهيم بل المعنى اني مع امتي لا نشك في قدرة الله تعالى على احيا الموتى بل مع
انا شر الخلق من سائر الامم غالبا نعتقد قدرته على الاحيا وابراهيم عليه السلام من اكمل الانبيا
في مرتبة التوحيد ومقام التفريد حتى امرنا بمتابعته على طريقه القويم وسبيله المستقيم
فكيف يتصور منه الشك اذ لو جاز عليه الشك وهو من المعصومين المتبوعين لجاز لنا بالاولى
او نحن من اللاحقين التابعين والحاصل انه اراد بالترديد البرهاني نفي الشك عن
الخليل الرحماني وايصاله الى المقام الاطميناني والحال العياني ويرحم الله لوطا لقد
تقرير الكلام بهذا الدعا ابتدا لانه تمهيد لتوهم اعتراض عليه فيما شابه من الانبيا على طريقة قوله تعالى
عفا الله عنك لم اذنت لهم حيث كان تمهيدا ومقدما للخطاب المزعج لقد كان ياوي الى ركن شديد
اي عشيرة قوية قال ابن الملك فيه اشارة الى وقوع تقصير منه وقال شارح نقلا عن القاضي

وكانه استغرب منه وعلم بالارادة اذ لا ركن اشد من الركن الذي كان يأوي اليه وهو عصمة الله
وحفظه وعندي اذا اخذ هذا المعنى من هذا المبنى ليس من طريق الادب في الانباء عن الانبياء
لانه صلى الله عليه وسلم اذا كان يتبرأ عن غيبة افراد العامة حيا وميتا فكيف يتصور ان
يكون في خوضه من شأن ما يكون موهما لتقصير من نبينا وتنزلا من علو همته فالمعنى والله اعلم انه كان
بمقتضى الجبلة البشرية في بعض الامور الضرورية يميل الى الاستغاثة بالعشيرة القوية فيجوز
ان من ذلك الحال ناتما ما مورود ثم تابعة ارباب الكمال في التعلق بالاسباب مع الاعتماد على رب
الارباب والله اعلم بالصواب ثم رايت في الجامع الصغير ما يقوي المذكور من التقرير والتحرير وهو ما
رواه الحاكم عن ابي هريرة مرفوعا رحم الله لوطا كان يأوي الى ركن شديد وما بعث الله بعده نبيا
الا في ثروة من قومه قلت ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم شعيب عليه السلام ولولا
رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم كان معظما ومحميا ومكرما
لنزوله من ابي طالب وبني نوالية الاعمام فيه قوله تعالى الم يجدك يتيما فآوى ولو لبثت في السجن
طول ما لبث يوسف اي مقدار طول زمن لبثه وجاء داع بالطلب او سارع الى لاجبت الداعي
اي لبادرت الخروج عملا بالجواز لكن يوسف عليه السلام كما اخبر الله سبحانه عنه فلما جاءه الرسول
قال ارجع الى ربك فاسأله الخ صبر لحكم يقتضيه ذلك اما الاوجب عليه من ترام ذلك المقام
لقصد البراءة مما اشتهر في حقه من الكلام في السنة العوام ليتبين صاحب الامر في جهة التعظيم
والاكرام الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكلم بعض امهات المؤمنين في طريق فمر عليه صحابيا
فقال له مخبرا انها هي فلانة من الازواج الطاهرات فقال يا رسول الله ابظن فيك ظن
السوء فقال ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم قال التوربشتي هو مبني على احماده صبر يوسف
وتركه الاستعجال عن السجن مع امتداده مدة الحبس عليه قال ثم انه في ضمن هذا الحديث تنبيها
في ان الانبياء عليهم السلام وان كانوا من الله بمكان لا يشاركهم فيه احد فانهم بشر يطرا عليهم
من الاحوال ما يطرا على البشر فلا نعد ذلك منقصة ولا تحسبن سيئة قلت هذا بعد
ما ذكرناه من قضية سيدنا لوط عليه السلام وقال ابن الملك اعلم ان هذا البيان اخبار عن نبينا
صلى الله عليه وسلم بتبجح وتلك صبره بل فيه دلالة في مدح يوسف وتركه الاستعجال بالخروج
ليزول عن قلب الملك ما كان متهما به من الفاحشة ولا ينظر اليه بعين مشكوك انتهى وهو بعينه
كما ذكرنا في ما لا يخفى وقيل بل فيه اشارة الى تقصير يوسف وذلك من جهة انه لم يترك الوسائط
ولم يفوض كل ما اتاه اليه تعالى قلت سبق ان مباشرة الاسباب لا ينافي تفويض الامر
الى رب الارباب بل قال بعض العارفين ان مرتبة جمع الجمع مراتب شرح السبب مع ملاحظة عمل
الرب وقيل بل فيه اشارة الى تقصيره من جهة انه كان رسولا ولذا دعا اهل السجن بقوله ارباب متفرقون
خير الخ ولم يكن له طريق الى دعوة الملك فلما وجه اليه سبيلا قدم براءة نفسه مما نسب اليه في حق الله
وهو دعوة الملك قلت وهذا ظاهر البطلان اذ في تقدير تسليم كونه رسولا عاما او خاصا
فتقديم ما يتوقف صحة الرسالة من البراءة عليه يجب المبادرة اليه بلا مرية ولا طعن طاعن
حواليه ومما يدل على صحة ما ذكرناه وفي حقيقة ما قررناه ما اخرجه ابن جرير وابن مردويه عن ابي
هريرة مرفوعا رحم الله يوسف انه كان لذا اتاه [illegible] لو كنت انا المحبوس ثم ارسل الي لخرجت سريعا
وفي رواية احمد في الزهد وابن المنذر عن الحسن مرسلا رحم الله اخي يوسف لو انا اتاني الرسول
بعد طول الحبس لاسرعت الاجابة حين قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة كذا في الجامع
الصغير متفق عليه وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
موسى كان رجلا حييا بكسر التحتية الاولى وتشديد الثانية على انه فعيل اي مستحييا ستيرا بفتح

السبي

السين وتخفيف الفوقية المكسورة فعيل بمعنى فاعل اي مستورا والظاهر انه مبالغة ساتر ويدل عليه
ما في نسخة من كسر الشين والفوقية المشددة وكذا ذكره الحنفي قوله لا يرى من جلده شيء صفة
كاشفة ولتيسير بظاهر بل هو استئناف بيان لما يلزم من كونه كثير التستر وحاصله انه كان من شأنه
ان يبالغ في ستر جميع بدنه عند اغتساله استحياء اي من الناس فاذاه من اذاه بالمد فيهما اي اراد ايذاءه
من بني اسرائيل فقالوا لما جمع باعتبار معنى من كما انه افرد باعتبار لفظه ونحوه كثير في التنزيل اي فقال
بعض المؤذين ما تستر اي موسى هذا التستر البليغ الا من عيب بجلده اما برص واما ادرة بضم همزة
وسكون دال مهملة نفخة بالخصية في ما في النهاية وان الله اراد ان يبرئه بتشديد الراء اي
ينزهه عن نسبة ذلك العيب وتبين له الحياء ونداء الى تبرئه سبحانه بقوله يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها ثم اعلم ان قوله وان الله هو هكذا في
النسخ المصححة بالواو وكذا الطيبي الغاية قوله فان الله للتعقيب واصل الكلام فقالوا كيت
وكيت فاراد الله ان يبرئه وليا بان المؤكدة تاكيدا اعتنى به فخلا يوما وحده اي انفرد عن الناس
وقتا ما حال كونه منفردا ليغتسل فوضع ثوبه على حجر اي بجنب الماء ففر الحجر بثوبه اي للتقدير
الالهي فاذا خرج ان سرى فجمح موسى بجيم وميم مفتوحات اي ذهب واسرع اسراعا لا يرده شيء ومنه
قوله تعالى وهم يجمحون في اثره بفتحتين وقد بكسر الهمزة وبسكون المثلثة اي في عقبه يقول
اي يقول مستعطفا زانح حال ثوبي اي اعطني ثوبي يا حجر ثوبي اي مطلوبي ثوبي يا حجر والتكرير
للتكثير حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل والظاهر انهم المؤذين فراوه عريانا احسن ما خلق الله
قال الطيبي عريانا ولذا قوله احسن لان رؤيته بمعنى النظر فقالوا والله ما بموسى من باس
اي ليس به عيب مما ذكر واخذ ثوبه وطفق اي شرع بالحجر ضربا اي يضربه ضربا فالحجر متعلق بالفعل المقدر
كما في قوله سبحانه وطفق مسحا بالسوق والاعناق فوالله ان بالحجر لندبا بفتح النون والدال
اي اثرا وعلامة باقية من اثر ضربه واصل الندب اثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد فشبه به اثر الضرب
بالحجر وقوله ثلاثا او اربعا او خمسا متعلق بالضرب او الندب والشك من الراوي قال الطيبي
قوله ثلاثا اي ندبات ثلاث بيانا وتفسيرا لاسم ان وضربه هذا من اثر غضبه على الحجر لاجل انه
وقلة ادبه ولعله ذهل عن كونه مأمورا وكان ذلك في الكتاب مسطورا وفيه ما اخذ للعلماء انا
في اثر الخاص يجري لنفع العام والله اعلم بالمرام ثم قيل ان موسى امر بحمل الحجر معه الى ان كان
في التيه فضرب بعصاه مرة او مرات فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قال النووي فيه معجزتان
ظاهرتان لموسى عليه السلام احداهما مشي الحجر بثوبه والثانية حصول الندب في الحجر بضربه وفيه
حصول التمييز في الجماد وفيه جواز الغسل عريانا في الخلوة وان كان ستر العورة افضل وبهذا
قال الشافعي ومالك واحمد وخالفهم ابن ابي ليلى وقال ان للماء ساكنا قلت امامنا الاعظم
مع الجمهور وظاهر مخالفة ابن ابي ليلى في دخول الماء فقال وفيه ابتلاء الانبياء والصالحين من اذى
السفهاء والجهاد وصبرهم عليه وفيه ان الانبياء عليهم السلام منزهون عن النقائص في الخلق والخلق
سالمون من العاهات والمعائب الاسم الاعلى سبيل الابتلاء متفق عليه وعنه اي عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا ايوب يغتسل عريانا اي خاليا عن
يكون لابسا للازار كما يدل عليه قوله الاتي يحثي في ثوبه ويحتمل ان يكون مجردا عن الثياب كلها في الطبق
ما سبق لموسى عليه السلام وكان جابرا شدهم لكنه صلى الله عليه وسلم اشار اليه الى ان الستر
اولى حيا من المولى بناء على انه صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الاخلاق خر بفتح المعجمة والراء
المشددة اي سقط ونزل عليه اي فوقه او في اطرافه جراد اي جنس جراد فجعل ايوب يحتثي اي يجمع
في ثوبه كذا في النهاية دالا ظهر انه باخذ بكفه اثر وكفيه ويضع في ثوبه المتصدبه وهو الازار اللابس

قبل الفصل او بعده او المتصل الذي ما لبسه تعدو في المصابيح بجنبي في ثوبه قال شارح لاني
يجمعه في ذيله ويضم طرف الذيل الى نفسه ثم ناداه ربه اي ندا تلطف يا ايوب الم اكن اغنيتك اي
جعلتك ذا غنى عما ترى قال بلى وعزتك قال الطيبي هذا العتاب منه تعالى في ان الانسان
واذا كان ثريا لا يشبع بثراه بل يريد المزيد عليه بل من قبيل التلطف والامتحان بانه هل يشكر
على النعم عليه فيزيد في الشكر والى هذا الاشارة بقوله ولكن لا غنى بكسر ففتح مقصورا اي لا استغنا
بي عن بركتك اي عن كثرة نعمتك وزيادة رحمتك وفي رواية من يشبع من رحمتك او فضلك
وفيه جواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه الشكر عليه ويصرفه فيما
يجب به ويرضاه ويتوجه الى مراتبه وفيه تسمية المال الذي من جهة الحلال بركة في المال وحسن الخلال
قال الطيبي ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه حين اعطاه عطاء فقال اعطه افقر مني ما جاءك
من هذا المال وانت غير مشرف ولا سائل فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك رواه البخاري وعنه اي عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود بتشديد الموحدة اي تقاولا
من السب وهو الشتم والمعنى سب كل واحد منهما الآخر فقال المسلم والذي اصطفى محمدا على العالمين
اي جميعهم من خلق الاولين والآخرين والمخلوق عليه مقدر فقال اليهودي والذي اصطفى موسى
على العالمين اي في عالمي زمانه لكن لما كان ظاهر كلامه المعارضة وخاصة مرامه المشاركة في الافضلية
على المخلوقين بين الانبيا وهو خلاف ما عليه العلما وكذا انكر عليه فرفع المسلم يده عند ذلك اي القول
المؤذي لخلاف الادب فلطم وجه اليهودي اي ضربه بكفه لفعاله وتاديبا فذهب اليهودي الى النبي صلى
الله عليه وسلم فاخبره بما كان من امره وامر المسلم فدعا النبي صلى الله عليه وسلم المسلم اي المدعى
عليه فسأله عن ذلك اي الامر فاخبره اي بمطابقة الخبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تخيروني
بضم اوله وتشديد الياء من التخيير بمعنى الاصطفاء والمعنى لا تجعلوني خيرا بمعنى لا تفضلوني
على موسى اي ونحوه من اصحاب النبوة تفضيلا يؤدي الى ايهام المنقصة او الى تسبب الخصومة
فان امر التفضيل لغير يقطع على وجه التفضيل فان الناس اي جميعهم يصعقون بفتح العين
يوم القيامة اي عند النفخة الاولى فاصعق معهم من صعق الرجل اذا اصابه فزع فاغمي عليه وربما
مات منه ثم استعمل في الموت لكن المراد هنا الصعقة صعقة فزع قبل البعث لذكر الافاقة بقوله
فاكون اول من يفيق فان الافاقة انما يستعمل للغشي والبعث في الموت فاذا موسى باطش
قال شارح اي قوي والظاهر ان معناه آخذ بجانب العرش فلا ادري كان اي اكان فيمن صعق
فافاق قبلي اي للفضيلة اختص بها او كان فيمن استثنى الله اي في قوله تعالى ونفخ في الصور
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله والمعنى او كان فيمن لم يصعق فله منقبة ايضا
من هذه الجهة قال العسقلاني يعني فان افاق قبلي فهي فضيلة ظاهرة وان كان ممن استثناه
الله تعالى فلم يصعق فهي ايضا فضيلة وانما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التفضيل بين الانبيا
عليهم السلام من يقول ذلك من رايه لا من يقوله بدليل او من يقوله بحيث يؤدي الى تنقيص
المفضول او يجر الى الخصومة او المراد لا تفضلوني بجميع انواع الفضائل بحيث لا يبقى للمفضول
فضيلة او اراد النهي عن التفضيل في نفس النبوة فانهم متساوون فيها وانما التفاضل
بخصائص وفضائل اخر كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض وفي رواية فلا ادري احوسب اي اجوزي بصعقة يوم الطور اي باضافة المصدر
الى الظرف وفي نسخة بالضمير اي بصعق نفسه في ذلك اليوم حيث قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل
جعله دكا وخر موسى صعقا في القاموس صعق كسمع صعقا ويحرك وصعقة وتصعاقا فهو صعق
ككتف غشي عليه او بعث قبلي اي افاق قبلي ثم بعدما شاركني في صعقتي فالبعث مجاز عن

الافاقة

الافاقة توفيقا بين الروايتين ولا اقول ان احدا اي لا انا ولا غيري من الانبيا خير من يونس بن متى
بفتح الميم وتشديد المثناة الفوقية المفتوحة مقصورا اسم ام يونس على ما في جامع الاصول
ثم ان قوله احدا استعمل في الاثبات لان المعنى لا تفضل احدا على يونس وفي رواية لابي سعيد قال
لا تخيروا اي لا تفضلوا بين الانبيا قال التوربشتي قوله لا تخيروني على موسى اي لا تفضلوني عليه
قول قاله على سبيل التواضع اولا ثم ليردع الامة عن التخيير بين انبيا الله من تلقا انفسهم
ثانيا فان ذلك يفضي بهم الى العصبية فينتهز الشيطان منهم عند ذلك فرصة يدعوهم الى
الافراط والتفريط فيطرون الفاضل فوق حقه ويبخسون المفضول حقه فيقعون في مهواة
الغي ولهذا قال لا تخيروا بين الانبيا اي لا تقدموا على ذلك باهوائكم وآرائكم بل بما آتاكم الله
من البيان وعلى هذا النحو قوله صلى الله عليه وسلم ولا اقول ان احدا خير من يونس بن متى اي
لا اقول من تلقا نفسي ولا افضل احدا عليه من حيث النبوة والرسالة فان شانهما لا يختلف
باختلاف الاشخاص بل نقول كل من اكرم بالنبوة فانهم سواء فيما جاؤوا به عن الله وان اختلفت
مراتبهم وكذلك من اكرم بالرسالة واليه الاشارة بقوله سبحانه لا نفرق بين احد من رسله وانما
خص يونس بالذكر من بين الرسل لما قص الله عليه في كتابه من امر يونس وتوليه عن قومه
وضجرته عن تثبطهم في الاجابة وقلة الاحتمال عنهم والاحتفال بهم حين راموا التنصل فقال
عز من قائل ولا تكن كصاحب الحوت وقال وذا النون اذ ذهب مغاضبا فلم يامن صلى الله عليه وسلم ان يخامر بواطن
الضعفاء من امته ما يعود الى تنقيصه في حقه فنبأهم ان ذلك ليس بقادح فيما آتاه الله من
فضله وانه مع ما كان من شانه كسائر اخوانه من الانبيا والمرسلين وهذا قول جامع في بيان
ما ورد في هذا الباب فانهم ترشدنا الى القوم واما ما ذكره في هذا الحديث من الصعقة فهي
قبل البعث عند نفخة الفزع فاما في البعث فلا يتقدم احد فيه على نبينا صلى الله عليه وسلم
واختصاص موسى عليه السلام بهذه الفضيلة لا توجب له تقدما على من تقدم عليه بسوابق
جمة وفضائل كثيرة والله المتعال يعرفنا حقوقهم ويحببنا في محبتهم ويميتنا على سنتهم
ويحشرنا في زمرتهم متفق عليه وفي رواية لا تفضلوا بالضاد المعجمة المكسورة على ما في
اكثر النسخ اي لا توقعوا التفضيل بين انبيا الله وكذا بين رسله على وجه الازرا ببعض
فان ذلك يكون سببا لفساد الاعتقاد في بعض وذلك كفر وفي نسخة بالمهملة وهو الظاهر
اي لا تفرقوا بينهم لقوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد ان يقول اني اي ويعني نفسه او نفسي خير من يونس بن متى
اي تفضلا شرعيا متفق عليه وفي رواية البخاري قال من قال انا خير اي في النبوة من يونس
ابن متى فقد كذب لان الانبيا كلهم متساوون في مرتبة النبوة وانما التفضيل باعتبار الدرجات
وخص يونس بالذكر لان الله تعالى وصفه باوصاف توهم انحطاط رتبته حيث قال فظن
ان لن نقدر عليه اذ ابق الى الفلك المشحون فالتقمه الحوت وهو مليم فيكون راجعا الى النبي
صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون المراد به نفس القائل فيكون كذب بمعنى كفر كنى به عن
الكفر لان هذا الكذب مساو للكفر قال النووي قيل ضمير المتكلم يعود الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل يعود الى كل قائل اي لا يقول بعض الجاهلين من المجتهدين في العبادة او العلم
او غير ذلك من الفضائل فانه لو بلغ ما بلغ لم يبلغ درجة النبوة ويؤيده الرواية الاولى ما ينبغي
لعبد ان يقول اني خير من يونس بن متى اقول في تاييده نظر لتحقيق الاحتمالين فيه ايضا بل
المعنى الثاني اظهر منه حيث قال ما ينبغي لعبد بطريق العموم المشير الى انه حديث تذييلي على ما ذكره
السيوطي في بعضه مع ما في رواية مسلم عن ابي هريرة قال قال تعالى لا ينبغي لعبد لي ان يقول انا خير من يونس

ابن متى قال الخطابي فانما خص يونس بالذكر لان الله تعالى لم يذكره في جملة اولي العزم من الرسل وقال
فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم فقصر به عن مرتبة اولي العزم والصبر من
الرسل فيقول صلى الله عليه وسلم اذا لم اذن لكم ان تفضلوني على يونس بن متى فلا يجوز لكم ان تفضلوني
على غيره من ذوي العزم من اجلة الانبياء صلوات الله عليهم وهذا منه عليه السلام على سبيل التواضع
والهضم من النفس وليس ذلك بمخالف لقوله انا سيد ولد ادم ولا فخر لانه لم يقل ذلك مفتخرا
ولا متطاولا به على الخلق وانما قال ذلك ذكرا للنعمة ومعترفا بالمنة واراد بالسيادة ما يكرم
به في القيامة من الشفاعة والله اعلم وعن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر بفتح فكسر وفي نسخة بكسر فسكون قال
النووي جمهور العلماء انه حي موجود بين اظهرنا لا سيما عند الصوفية واهل الصلاح والمعرفة
وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والاخذ عنه وسؤاله وجوابه وحضوره في المواضع الشريفة
ومواطن الخير اكثر من ان يحصر وصرح الشيخ ابو عمرو بن الصلاح بذلك وشذ من انكره من المحققين
قال الكرماني المعتزل ابو عمرو وهو نبي واختلفوا في كونه مرسلا وقال القشيري وكثيرون هو ولي
واحتج من قال بنبوته بقوله ما فعلته عن امري فدل على انه اوحي اليه وبانه اعلم من موسى عليه السلام
ويبعد ان يكون الولي اعلم من النبي واجاب الاخرون بانه يجوز ان يكون قد القي اليه
بطريق الالهام كما القي الى ام موسى اذ اوحينا الى امك ما يوحى اذ انه نبه قلت لعله الوحي
الى ام موسى فيما يتعلق بتدبير خلاص الطفل لحالته لا انه نظر في امره واما جلا امر الغلام على
الالهام الى الولي غير صحيح اذ لا يصح لاحد من الاولياء ان يقتل نفسا زكية بغير نفس اعتمادا
على الوحي الالهامي بانه طبع كافرا وقد قال الثعلبي المفسر الخضر نبي معمر محجوب عن كثير الابصار
قال وقيل انه لا يموت الا في اخر الزمان حين يرفع القران قلت وقد تقدم انه يقتل
الدجال ثم ذكر انه لا ابنه من زمن ابراهيم الخليل عليه السلام ام بعده بقليل او كثير قلت
ويروى انه من اولاد ادم والله اعلم وفي الجامع الصغير روى الحارث عن انس الخضر في البحر
والياس في البر يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين ياجوج
وماجوج ويحجان ويعتمران كل عام ويشربان من زمزم شربة تكفيهما الى قابل وفي الفتاوى الحديثية
رواه ابن عدي في الكامل ان الياس والخضر عليهما السلام يلتقيان في كل عام بالموسم فيحلق
كل واحد منهما راس صاحبه ويفترقان عن هؤلاء الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله
ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول
ولا قوة الا بالله ثم قوله طبع كافرا اي خلق الغلام على انه يختار الكفر فلا ينافي خبر كل مولود يولد
على الفطرة او المراد بالفطرة استعداد قبول الاسلام وهو لا ينافي كونه شقيا في جبلته وقد
روى ابن عدي في الكامل والطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعا خلق الله يحيى بن زكريا
في بطن امه مؤمنا وخلق فرعون في بطن امه كافرا وفي الحديث المشهور ان بعد نفخ الروح في كل
مولود يكتب شقي او سعيد وعلى طبقه يوم ياتي لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد
وقد قال تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم قال القاضي عياض في هذا
حجة بينة لاهل السنة وصحة مذهبهم في ان العبد لا قدرة له على الفعل الا بارادة الله تعالى
وتيسيره لا خلافا للمعتزلة القائلين بان للعبد فعلا من قبل نفسه وقدرة على الهدى
والضلال ودونه ان الذين قضي لهم بان طبع على قلوبهم وختم عليها وجعل من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا وحجابا مستورا وجعل في اذانهم وقرا وفي قلوبهم مرضا لينتهوا بعقله
ومعنى كلمة لا راد لحكمه ولا معقب لامره ولا تفاوت وقد يحتج بهذا الحديث من يقول ان اطفال

الكفار

الكفار في النار وقالت طائفة لا يقولون بالتفصيل بان من طبع منهم كافرا يكون في النار ومن ولد على
الفطرة فهو في الجنة وبه يحصل الجمع بين اقوال الائمة ويقارب القول بالتوقف الذي
اختاره امامنا الاعظم والله اعلم ويرد عليه قوله ولو عاش اي ذلك الغلام بان زاد ذلك
الكبر لارهق ابويه اي يكلفهما طغيانا وكفرا اي جعل سببا لضلالهم فلحا ملا لشدة فلذة محبته
من كونه طبع كافرا وانه لو قيس لوقع بسببه ان يكونا مضلا فالظاهر قال النووي لما كان ابواه مؤمنين
يكون هو مؤمنا قلت فكيف يجوز قتل المؤمن فالصحيح تاويله بان معناه والله اعلم
ان ذلك الغلام لو بلغ لكان كافرا ولو عاش لارهقوا ابويه اي غشيهما طغيانا وكفرا اي
طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهم فان قلت خوف كفر احد في المال لا يبيح قتله في الحال
فكيف قتله الخضر خوف كفره قلت يجوز ان يكون ذلك في شرعهم قلت تقرير
الله تعالى وتقرير موسى صريح في ذلك بل يرد على جواز مثل ذلك في شرعنا الا انهم قطعا
انه طبع كافرا كما قرره صاحب الشرع في هذا الحديث فبطل كون الغلام مؤمنا حقيقة اذ
لا يجوز قتل المؤمن من غير حق اجماعا في جميع الاديان فالا ونقول هذا علم لدني ولا سير
اخر غير المعهود في الظاهر فلا نشتغل بكيفيته قلت لا مخالفة بين الشريعة والحقيقة
في احكام الطريقة ومن فرق بينهما ممن لم يصل الى مرتبة الجمع ينسب الى الزندقة ثم ان الامر
لا يخلو عن احد شيئين فان الخضر ان كان من اهل النبوة فلابد ان يكون مطلعا على وفق الشريعة
وان كان من اهل الولاية فليس له ان يعتمد على علم لدني واما علم الغيب فمما خص الله به
العظيم والسلطنة الكبرى ثم في الحديث بيان الحكمة في قتل الخضر فكانه خرج موضع الاعتذار عنه
تصريحا بخلاف ما في الاية من الاشارة الى ذلك تلويحا متفق عليه وعن ابي هريرة رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سمي الخضر اي خضر وفي نسخة بنصبه اي انما سمي الرجل
المشهور بالخضر لانه جلس على فروة بيضاء في النهاية الفروة الارض اليابسة وقيل الهشيم
اليابس من النبات قلت معناهما واحد ومؤداهما متحد واختار شارح القول الثاني فقال
المراد بالفروة الهشيم اليابس شبهه بالفروة وقيل الارض اليابسة وقيل جلدة وجه الارض
وقيل قطعة نبات مجتمعة يابسة قلت هذا هو الاظهر قال الطيبي ولعل الثاني من قول
صاحب النهاية اولى لقوله فاذا هي تهتز من خلفه خضرا اما تمييز او حال لكونه نظر الخضر عليه السلام
الى مجلسه ذاك فاذا هي تتحرك من جهة الخضرة والنضارة انتهى ولعله فالارض خلفه مع ان النمو
والاهتزاز انما كان في موضع الجلوس من تحته للاشك ربما ان الخضرة زادت عن المجلس الى نهاية
الفروة البيضا ثم قال شارح قوله خضرا بفتح فكسر مع التنوين اي نباتا اخضر ناعما وروي
بزنة صفراء قلت وهو كذلك في اكثر النسخ المضبوطة المعتمدة لكن لا يخفى ان النسخة
الاولى لمناسبة وجه التسمية اولى للجمع بين المبنى والمعنى رواه البخاري واسنده السيوطي
بهذا اللفظ بعينه في الجامع الصغير الى احمد والشيخين والترمذي عن ابي هريرة والطبراني عن
ابن عباس والله اعلم وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم جاء ملك الموت اي في صورة بشر الى موسى بن عمران فقال له اي لموسى اجب ربك اي تعبو
الموت والمعنى الى اجيبك لاقبضك قال فلطم موسى عين الملك اي
ضربها بباطن كفه ففقاها بفاء فقاف فهمزة مفتوحة اي شقها وقلعها واعماها قيل الملائكة
يتصورون بصورة الانسان وتلك الصورة بالنسبة اليهم كالملابس بالنسبة الى الا
نسان
واللطمة انما اثرت في العين الصورية لا في العين الملكية فانها لا تتأثر باللطمة وغيرها
قال شارح وانما لطمه موسى لاقدامه على تبصره وحين ترك التخيير فالانبياء كانوا مخيرين

ستر الله اخلاص من بين الحيوة والوفاة وسيأتي زيادة تحقيق لذلك قال فرجع الملك الى الله تعالى فقال انك ارسلتني الى عبد لك لا يريد الموت فقد فقأ عيني قال فرد الله اليه عينه وقال ارجع الى عبدي
قال الطيبي فان قلت ما الفرق بين قول الملك ثم لك في التنكير وبين قول الله تعالى عبدي
قلت دل قول الملك في نوع طعن فيه حيث نكره وبينه بقوله لا يريد الموت وقوله سبحانه
دل على تفخيم وتعظيم مكانه حيث اضافه الى نفسه ردا عليه فقل الحيوة بالنصب على انه مفعول
قوله تريد على تقدير حسن ايهام فبدل الفعل ان المفعول ويمكن ان يقرأ الحيوة بهمزة ممدودة كما في قوله تعالى
قال الذكر ين حرم ام الانثيين فالتقدير الحيوة تريد ام الموت ثم فصله بقوله فان كنت تريد الحيوة اي
الطويلة اذ المؤبدة غير متصورة في الدنيا لقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت فضع يدك اي واحدة او
اثنتين على متن ثور اي على ظهر بقرة فما توارت وفي نسخة فما وارت يدك بالرفع وفي نسخة بالنصب
وقوله من شعرة بيان لما وفي نسخة من شعره بالضمير اي من شعر متن الثور فانك تعيش بها اي بكل شعرة
متوارية سنة واعلم انه يقال وارى الشيء اي ستره وتوارى اي استتر ومنه قوله تعالى يتوارى من القوم
فقال شارح فما توارت غلط وقع عن بعض الرواة في كتاب مسلم وفي كتاب البخاري فله بما غطت يده
بكل شعرة سنة وقال القاضي قوله فما توارت يدك هكذا مذكور في صحيح مسلم ولعل الظاهر فما
توارت يدك بالرفع واخطأ بعض الرواة ويدل عليه ما رواه البخاري في صحيحه فله بما غطت يده
بكل شعرة سنة ويحتمل ان يكون يدك منصوبا بنزع الخافض وفي توارت ضمير راجع الى ثانية لكونه
مقترنا بالشعرة قال الطيبي قوله من شعره بيان ما والضمير فيه راجع الى متن ثور وما وارت يده
قطعة منه فانثه باعتبار القطعة التي توارت بيدك او تحت يدك انتهى وقيل انها الاولى رواية لان
معناه وارت اي غطت ذكره الاكمل قال اي موسى ثم مه بفتح الميم وسكون الهاء واصله ما حذفت الفه
ووقفت عليه بالهاء للتفرقة بين الحركة والسكون قال النووي هي هاء السكتة وما استفهامية اي ثم ماذا
يكون احياة ام موت قال ثم تموت قال فالآن من قريب اي فاختار الموت في هذه الحالة رب ادنني امر
من الادنى اي قربني من الارض المقدسة ولعله اراد افضل مواضعها وهو المسمى ببيت المقدس الذي كان
قبلة الانبياء والا فالارض المقدسة تطلق على جميع اراضي الشام رمية بحجر اي كرمية حجر والمراد السرعة
ذكره شارح والظاهر ان المراد ان يكون التقريب مقدار رمية واحدة بحجر ولذا قال ابن الملك اي بمقدار
اقول لعله كان في التيه فاراد التقرب الى بيت الرب ولو بمقدار قليل من موضع دعائه او مرحلة
مطلوبه قال النووي واما سؤاله الادناء من الارض المقدسة فلشرفها وفضيلة ما فيها من المدفونين
من الانبياء وغيرهم من الصالحين قالوا وانما سأل الادناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لانه خاف
ان يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس قلت وهذا بعيد جدا اذ لم يقع الفتنة بقبر غيره
من الانبياء مع امكان الفتنة في كل مكان بل فيه اشارة الى ان المقبرة ينبغي ان تكون قرب القرية
لا داخلها ولعل هذا في زمن بيوت بيت المقدس كانت حينئذ قريبة وعلى كل فقيه استحباب الدفن والاقبار
في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن ارباب الديانة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والله لو اني عنده اي عند بيت المقدس وابعد شارح حيث قال اي عند موسى كاريتكم
قبره الى جنب الطريق اي طرف الجادة من بيت المقدس الى جوانبه عند الكثيب الاحمر اي تل المستطيل
المجتمع من الرمل متفق عليه قال المازري وقد انكر بعض الملاحدة هذا الحديث فقالوا كيف يجوز على موسى
فقأ عين ملك الموت واجابوا عن هذا باجوبة احدها انه لا يمتنع ان يكون موسى عليه السلام قد
اذن الله له في هذه اللطمة وان يكون ذلك امتحانا للملطوم والله سبحانه يفعل في خلقه ما يشاء
ويمتحنهم بما يريد قلت ولا يخفى انه بعيد والثاني ان هذا على المجاز والمراد ان موسى ناظره وحاجه فغلبه
بالحجة يقال فقأ فلان عين فلان اذا غلبه بالحجة قال وفي هذا ضعف لقوله صلى الله عليه وسلم فرد الله اليه عينه

قال

قال فلا اراد رد حجته كان بعيدا والثالث ان موسى لم يعلم انه ملك من عند الله وظن انه رجل قصد
بربه بنفسه فدافعه عنها فادت المدافعة الى فقء عينه وما تصدى بالفقء وهذا جواب الامام ابو بكر
ابن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره القاضي عياض قالوا وانما اتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها انه
ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الاولى قال ابن الملك في شرح المشارق فان قيل كيف صدر من
موسى هذا الفعل اجيب بانه متلبس به بغير علمه الى الله تعالى وبان موسى لم يعرف انه ملك الموت
وظن انه رجل قصد نفسه فدفعه عنها فادت مدافعته الى فقء عينه وهذا مختار المازري والقاضي
عياض وانكر الشيخ التوربشتي رح يعني الاكمل بان هذا غير صحيح لان الرجل اذا اخذ لم يقصده بالمحاربة حتى
يدفعه بل دعاه للموت ومجرد هذا القول لا يصدر من مؤمن صالح مثل هذا الفعل فما ظنك
بموسى عليه السلام واقول ان موسى عليه السلام كان في طبعه حدة حتى روي انه عليه السلام
اذا غضب اشتعلت قلنسوته فاذا هجم عليه رجل فدعاه الى الهلاك عرف انه لا يكون الا بحرب
فدفعه قبل قصده وهذا يحتمل ان يكون جائزا في شرعه ولان موسى عليه السلام زعم انه كاذب
في دعوى قبض روحه لزعمه ان بشرا لا يقبض الروح فغضب عليه فلطمه وكان هذا الغضب لله وفي
الله فلم يكن مذموما ولهذا لم يعاتب الله موسى من اخذ رأس هرون ولحيته وكان يجرهما مع
ان هرون اكبر منه سنا واجل قدرا عند علماء الامة وقد قال صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة
عليهم كحق الوالد على ولده قلت هذا وجه حسن الا ان قوله لزعمه غير مستحسن قال
ومما اختاره الشيخ التوربشتي رح في الجواب ان موسى عليه السلام يحتمل ان يكون مأذونا في هذه اللطمة
ويكون ذلك امتحانا للملطوم فلا يخفى بعده وفي شرح السنة يجب على المسلم الايمان به على ما جاء به
من غير ان يعتبره بما جرى عليه عرف البشر فيقع في الارتياب لانه امر مصدره قدرة الله تعالى
وحكمه وهو مجادلة جرت بين ملك كريم ونبي كليم كل واحد منهما مخصوص بصفة يخرج بها عن حكم
عوام البشر ومجاري عاداتهم في المعنى الذي خصوا به فلا يعتبر حالهما بحال غيرهما وقد اصطفى الله
تعالى موسى بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة فلما دنت وفاته وهو بشر يكره الموت طبعا
لطف الله تعالى به بان لم يفاجئه بغتة ولم يأمر الملك الموكل به بان يأخذه قهرا بل ارسله على سبيل
الامتحان في صورة بشر فلما رآه موسى استنكر شأنه واستوعر مكانه فاحتجز منه دفاعا عن نفسه بما كان
من صكه اياه فاتى ذلك على عينه التي ركبت في الصورة البشرية وقد كان في طبع موسى عليه السلام
حدة على ما قص الله علينا من امره في كتابه من وكزه القبطي والقائه الالواح واخذه برأس اخيه يجره
اليه هذا وقد جرت سنة الدين بحل ما صدر عنه وقد ذكر الخطابي رحمه الله هذه المعاني في كتابه ردا
على من طعن في هذا الحديث وامثاله من اهل البدع الملحدين اباد هم الله تعالى وعن جابر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال عرض علي بصيغة المجهول اي اظهر لدي الانبياء وهم اعم من الرسل وهو
اما في المسجد الاقصى في ليلة الاسراء او في السموات العلى كما يدل عليه الحديث الذي يليه والمعنى
عرض ارواحهم متشكلين بصور كانوا عليها في الدنيا كذا ذكره ابن الملك تبعا لشارح من علمائنا
وهو الظاهر وقال القاضي لعل ارواحهم مثلت له بهذه الصور ولعل صورهم كانت كذلك او صور
ابدانهم كوشف له في نوم او يقظة فاذا موسى ضرب اي نوع من الرجال وقيل اي خفيف اللحم
كانه من رجال شنوءة بفتح الشين المعجمة وضم النون فواو ساكنة فهمزة وهاء ويجوز ابدال الهمزة
واوا وادغامها وقد قال ابن السكيت ازد شنوءة بالتشديد غير مهموز وهي قبيلة معروفة وفي المغني
انه نسبة واحد من هذه القبيلة قال شارح وازد شنوءة اشبه عمن الادنا سوى الكف على ما ذكره
الجوهري ومنهم ازد شنوءة وهم حي من اليمن ولعلهم لقبوا بذلك لطهارة نسبهم ونظافة حسبهم
وحسن سيرتهم واذا بهم ورأيت عيسى بن مريم فاذا هو اقرب من رأيت به شبها بفتحتين اي نظيرا

عن عبد الله بن مسعود قيل هو خبر عبد الله بن مسعود وليس بصحيح ورأيت ابراهيم فاذا اقرب من رأيت
به شبها صاحبكم يعني نفسه اي نبيكم صلى الله عليه وسلم بقوله صاحبكم نفسه ذاته ما ظهر لي في مرآته
ولما كان جبريل ملازما للانبيا فكونه من لوازم الانبيا ذكره في معرض الانبيا ورأيت جبريل فاذا اقرب
من رأيت به شبها دحية بن خليفة بكسر الدال وقد يفتح وهو من الصحابة من اجمل الناس صورة رواه
مسلم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة اسري بي بالاضافة وفي نسخة
بالتنوين اي الليلة التي اسري بي فيها موسى رجلا اي حال كونه في صورة رجل آدم اي اسمر شديد
السمرة على ما في النهاية طوالا بضم الطاء وتخفيف الواو اي طويلا كعجاب مبالغة طويل واما بكسر
الطاء فهو جمع طويل جعدا بفتح فسكون ضد السبط فمعناه غير منبسط الشعر ولعل انقباض شعره مما
يشعر على حرارة باطنه من غيرته كانه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوع الخلق
اي متوسطا لا طويلا ولا قصيرا ولا سمينا ولا نحيلا وفيه ايماء الى اعتدال المزاج ايضا وقوله الى
الحمرة والبياض حال اي مايلا لونه اليهما فلم يكن شديد الحمرة والبياض بل كان بينهما من البياض
المشوب بالحمرة كما نعت نبينا صلى الله عليه وسلم على ما في الشمايل في الوصفين السابقين
سبط الراس بكسر الباء وفتحها ايضا وقد يسكن في القاموس السبط ويحرك ككتف نقيض
الجعد والمعنى منبسط شعر الراس فهذا يدل على انه غلب عليه صفة الجمال كما انه غلب على
موسى نعت الجلال ونبينا صلى الله عليه وسلم لما كان في مرتبة الكمال كان شعره ايضا مبسوطا
والجعودة في غاية من الاعتدال ورأيت مالكا خازن النار والدجال اي ورأيت الدجال
في آيات اي مع علامات اراهن الله اياه اي النبي صلى الله عليه وسلم يعني راى النبي صلى الله عليه
وسلم الدجال مع آيات اخر اراهن الله النبي صلى الله عليه وسلم وما حكاها ونزله في آيات
اراهن الله اياه من كلام الراوي ادرجه في الحديث دفعا لاستبعاد السامعين واماطة
لما عسى ان يختلج في صدورهم ولو كان من قول النبي صلى الله عليه وسلم لقال اراهن الله اياي
كذا ذكره شارح والظاهر ان يكون الضمير راجعا الى الدجال والمراد بالآيات خوارق العادات
التي قدرها الله سبحانه استدراجا للدجال وابتلاء للعباد في ما تقدم والله اعلم وقال الطيبي
قوله في آيات اي رأيتهن المذكورين في جملة آيات ولعله اراد بها الآيات المذكورة في قوله تعالى
لقد رأى من آيات ربه الكبرى يعني هذا في الكلام التفات حيث وضع اياه موضع اياي والراوي
نقل معنى ما تلفظ به والظاهر ان قوله فلا تكن في مرية من لقائه متعلق باول الكلام وهو
حديث موسى عليه السلام تلميحا الى ما في التنزيل من قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب
فلا تكن في مرية من لقائه الكشاف قد من لقائك موسى عليه السلام ليلة الاسرا فيكون
ذكر عيسى وما يتبعه من الآيات على سبيل التبعية والادماج اي لا تكن يا محمد في رؤية
ما رأيته من الآيات في شك يعني هذا الخطاب في قوله فلا تكن لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والكلام كله متصل ليس فيه تغيير من الراوي الا لفظ اياه ويشهد له قول الشيخ محي
الدين في شرح هذا الحديث قال قتادة يفسرها ان النبي صلى الله عليه وسلم لقد لقي موسى عليه
السلام ووافقه عليه جماعة منهم مجاهد والكلبي والسدي ومعناه فلا تكن في شك من لقائك
موسى وان رحوت ذهبوا الى ان قوله في آيات اراهن الله من كلام الراوي الحقه بالحديث
دفعا لاستبعاد السامعين وإماطة لما عسى يختلج في صدورهم وقال المظهر الخطاب في
فلا تكن خطاب عام لمن سمع هذا الحديث الى يوم القيامة والضمير في لقائه عائد الى الدجال
اي اذا كان خروجه موعودا فلا تكن في شك من لقائه وقال غيره الضمير راجع الى ما ذكر اي فلا
تكن في شك من رؤية ما ذكر من الآيات الى يوم القيامة متفق عليه وذكر السيوطي الحديث

في الجامع الصغير الى قوله الدجال وقال رواه احمد والشيخان وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بي ظرف مقدم لقوله لقيت موسى فنعته
اي ثم وصف موسى فقال في حقه فاذا هو رجل مضطرب قال القاضي وغيره من الشراح هو بمعنى انه
كان مستقيم القد حادا فان الحاد يكون قلقا متحركا كان فيه اضطرابا وكذلك يقال درع مضطرب اذا
كان طويلا مستقيما وقيل معناه انه كان مضطربا من خشية الله تعالى وهذه صفة النبيين
والصديقين كما روي انه عليه السلام كان يصلي وللقلب ازيز كازيز المرجل رجل الشعر بكسر الجيم
ويسكن وبفتح في القاموس شعر رجل ككتف وجبل بين السبوطة والجعودة وفي النهاية
اي لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما قلت الظاهر انه يكون جعودته
غالبة على سبوطته لئلا ينافي ما سبق من كون موسى عليه السلام جعدا كانه من رجال شنوءة
سبق بيانه ولقيت عيسى ربعة بفتح فسكون الموحدة ويجوز فتحها على ما ذكره العسقلاني في
اي مربوع الخلق وفي النهاية اي لا طويل ولا قصير والتانيث باعتبار النفس احمر اي شديد الحمرة
كانه خرج من ديماس بكسر الدال ويفتح على ما في القاموس الكن والسرب والحمام قال الجوهري فان
فتحت الدال جمعت على دياميس مثل شيطان وشياطين وان كسرتها جمعت على دماميس
كقيراط وقراريط ثم لما كان الديماس مشتركا بين المعاني قال الراوي يعني اي يريد النبي صلى الله عليه وسلم
به الحمام قال العسقلاني هذا في تفسير عبد الرزاق والمراد وصفه بصفاء اللون ونضارة
الجسم وكثرة ماء الوجه كانه خرج من حمام وهو عرق ورأيت ابراهيم وانا اشبه ولده اي اولاده
من نسل ولده اسمعيل ومطلقا به اي بابراهيم صورة ومعنى فالمشابهة الصورية عنوان
للمناسبة المعنوية مع ان الولد سر ابيه في مبنيه قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فاتيت
باناءين اي احضر لي بهما احدهما لبن قال التوربشتي العالم القدسي يصاغ فيه الصور من العالم
الحسي ليدرك بها المعاني فلما كان اللبن في عالم الحس من اول ما يحصل به التربية ويرشح به
المولود صيغ عنه مثال للفطرة التي بتم بها القوة الروحانية وينشا عنها الخاصية الانسانية
وقال بعضهم ولم يقل فيه لبن كانه جعله لبا كله تغليبا للبن على الاناء ولكثرته وتنكيره لما
اختاره ولما كان الخمر منهيا عنه قلله فقال والآخر فيه خمر اي خمر قليل فقيل لي خذ ايهما شئت
اي اي الاناءين اي اي المشروبين اردته واشتهيته فاخذت اللبن فشربته اي لما بدا لامر بالا
على جواز الشرب لانه المقصود منه وانما عرض عليه كلاهما اظهارا لما في الملائكة فضله باختيار
الصواب فقيل لي هديت الفطرة بصيغة الخطاب مجهولا اي فقالت الملائكة هداك الله
الى الفطرة وتفويضه الاختيار والدعاء والاول الاظهر لما سيأتي في آخر الحديث والمعنى انك
هديت الفطرة الكاملة ان ملتزم اتباعك العالمة العاملة قال القاضي المراد بها
الفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها فان منها الاعراض عما فيه غائلة وفسادا كالخمر المخل
بالعقل الداعي الى الخبائث الوازع عن الشر المودي الى صلاح الدارين وخير المنزلتين والميل الى
ما فيه نفع خال عن مضرة دنيوية ومضرة دينية كشرب اللبن فانه من اصلح الاغذية واول
ما به حصل التربية وقال ابن الملك وفي هذا القول له عند اخذ اللبن لطف وتمنى شيئا فان
اللبن لما كان في العالم الحسي ذا خلوص وبياض واول ما يحصل به تربية المولود وصيغ
منه في العالم القدسي مثال الهداية والفطرة التي يتم بها القوة الروحانية بخلاف الخمر
فانها لكونها فانه مفسدة صيغ منها مثال الغواية وما يفسد القوة الروحانية ولهذا قيل
له ايضا اما بالتخفيف للتنبيه انك لو اخذت الخمر اي شربته او ما شربته والمعنى لو ملت اليها
ادنى الميل غوت امتك اي ضلت اي نوع من الغواية المترتبة على شربها بناء على انه لو شربها

لاجل الامر شرعها فوقعوا في ضررها وشرها ولما كان هو مقصودا ما لم يتعلق له غرض في ما يقتضي
المقابلة وفيه ايماء الي ان استقامة المقتدي من النبي والعالم والسلطان ونحوهم سبب لاستقامة
اتباعهم لانهم بمنزلة القلب للاعضا متفق عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سرنا من
السير اي سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة يحتمل من مكة الي المدينة
وبالعكس فمررنا بواد فقال اي واد هذا فقالوا وادي الازرق وهو موضع بين الحرمين سمي به
لزرقته وقيل منسوب الي رجل بعينه فقال كاني انظر الي موسي فذكر من لونه وشعره شيا
اي بعضا من اوصافهما وهو ان لونه اسمر وشعره جعد علي ما سبق واضعا اي حال كون موسي
واضعا اصبعيه في اذنيه بضم الذال وتسكن والتثنية فيهما علي طريق اللف والنشر له
اي لموسي جوار بضم جيم فهمزة وقد تبدل اي تضرع الي الله بالتلبية ذكره شارح قال الطيبي
رفع صوته بها ولا منع من الجمع مارا بهذا الوادي قال الطيبي واضعا ومارا حالان مترادفان
او متداخلان من موسي عليه السلام وقد تخلل بينهما كلام الراوي يعني الراوي عن حاله وهو
النبي صلى الله عليه وسلم قال اي ابن عباس ثم سرنا اي ذهبنا حتي اتينا علي ثنية بفتح مثلثة
وكسر نون وتشديد تحتية اي عقبة وهي طريق عال في الجبل او بين الجبلين فقال اي ثنية
هذه قالوا هرشي بفتح ها وسكون را فشين معجمة فالف مقصورة تكتب باليا كسكري علي طريق الشام والمدينة
قرب الجحفة او لفت بكسر اللام وسكون الفا علي ما في اكثر النسخ وقال الطيبي يروي فيه كسر اللام
واسكان الفا وفتحهما معه وفتحها وقال شارح هرشي ثنية بقرب الجحفة يقال لها ايضا
لفت والشك للراوي اي قوله ويحتمل ان يكون او للتنويع علي ان بعضهم قال هرشي وبعضهم
لفت ولا خلاف في الحقيقة فقال كاني انظر الي يونس علي ناقة حمرا عليه جبة صوف اي للتواضع
واختيار الزهد وهذا ماخذ للصوفية ومن تبعهم من العلما كالكسائي ولعله لبسها علي
عزيمة المعتاد وكان جائزا في شرعه للمحرم لبس الجبة ونحوها مطلقا والله اعلم خطام ناقته
اي زمامها وزنا ومعني وهو الحبل الذي يقاد به البعير يجعل علي خطمه اي مقدم انفه وفمه
خلبة بضم الخا المعجمة وسكون اللام وبضمهما موحدة فها ليفة نخل مارا بهذا الوادي ملبيا
حال من يونس كما تقدم وفيه اشعار بان الحج من شعار الانبيا احيا وامواتا فيفيد الترغيب
في قصد الحج وما يتعلق به من التلبية الدالة علي التوحيد والهيئة الاحرامية المشعرة الي التجريد
والتفريد والله سبحانه اعلم قال النووي فان قيل كيف يحجون ويلبون وهم اموات
والدار الاخرة ليست بدار عمل فالجواب من وجوه احدها انهم كالشهدا بل هم افضل
والشهدا احيا عند ربهم فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا او يتقربوا الي الله تعالى بما استطاعوا
لانهم وان كانوا قد توفوا فانهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل حتي اذا فنيت مدتها وتعقبتها
الاخرة التي هي دار الجزا انقطع العمل وثانيها ان التلبية دعا من عمل الاخرة قال تعالى دعواهم
فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وثالثها ان تكون
هذه رويا منام في غير ليلة الاسرا كما قال في رواية ابن عمر رضي الله عنهما بينما انا نائم رايتني
اطوف بالكعبة وذكر الحديث في قصة عيسي قلت ورويا الانبيا حق وصدق قال ورابعها
انه صلى الله عليه وسلم اري حالهم التي كانت في حياتهم ومثلوا له في حال حياتهم حتي كانوا وكيف
حجهم وتلبيتهم كما قال صلى الله عليه وسلم كاني انظر الي موسي قلت الظاهر ان المراد بقوله
هذا استحضار تلك الحالة الماضية عند الحالة الراهنة للاشارة الي غاية تحققها ونهاية
صدقها قال وخامسها ان يكون اخبر كما اوحي اليه صلى الله عليه وسلم من امرهم وما كان منهم
وان لم يرهم روية عين قلت يرده قوله كاني انظر اليه قال وهذا اخر كلام القاضي عياض وفي الحد

دليل علي استحباب وضع الاصبع في الاذن عند رفع الصوت بالاذان ونحوه وهذا الاستنباط
والاستحباب يجري علي مذهب من يقول من اصحابنا وغيرهم ان شرع من قبلنا شرع لنا قلت
هذا الاستنباط انما يتم لو قيل باستحباب وضع الاصبعين في الاذنين وقت التلبية
ولا اظن ان احدا قال بهذا واما وضع الاصبع في الاذن حال الاذان فله دليل مستقل
ذكر في بابه رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
خفف اي سهل ويسر علي داود القران اي قراة الزبور وحفظه فكان يامر بدوابه اي بركوبه
وركوب اصحابه فتسرج اي الدواب او ينشرع في سرجها فيقرا القران اي المقروء وهو الزبور قبل
ان تسرج دوابه وفي النهاية الاصل في هذه اللفظة القران الجمع وكل شي جمعته فقد قراته وسمي
القران قرانا لانه جمع القصص والامر والنهي والوعد والوعيد والايات والسور بعضها
وهو مصدر كالقران والغفران وقد يطلق علي القراة نفسها يقال قرا قراة وقرانا قلت
ومنه قوله تعالى فاذا قراناه فاتبع قرانه قال التوربشتي يريد بالقران الزبور وانما قال
له القران لانه قصد اعجازه من طريق القراة وقد دل الحديث علي ان الله تعالى يطوي الزمان
لمن يشا من عباده كما يطوي المكان لهم وهذا باب لا ادراك الي سبيله الا بالفيض الرباني
قلت حاصله انه من خرق العادة علي اختلاف في انه بسط للزمان او طي للسان والاول
اظهر وقد حصل لنبينا صلى الله عليه وسلم في ليلة الاسرا هذا المعني علي وجه الكمال الجمعي
من الجمع بين طي المكان وبسط الزمان بحسب السمع واللسان في قليل من الان ولاتباعه
ايضا ووقع حظ في هذا الشان علي ما حكي ان عليا كرم الله وجهه كان يبتدي القران
من ابتدا قصد ركوبه مع تحقق المباني وتفهم المعاني ويختمه حين وضع قدمه في ركابه
الثانية وقد نقل مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامي قدس الله سره السامي في كتابه نفحات
الانس في حضرات القدس عن بعض المشايخ انه ختم القران من حين استلم الحجر الاسود والركن
الاسعد الي حين وصول محاذات باب الكعبة الشريفة والقبلة المنيفة وقد سمعه ابن الشيخ شهاب
الدين السهروردي منه كلمة كلمة وحرفا حرفا الي اخر قدس الله في اسرارهم ونفعنا ببركة
انوارهم ولا ياكل اي كان لا ياكل داود عليه السلام الا من عمل يديه كما قال تعالى والنا له
الحديد ان اعمل سابغات اي دروعا واسعات وفي ايراد يديه بصيغة التثنية ايما الي انه
كان محتاجا الي مباشرة العضوين فيكون اجره مرتين ورواية الجامع بيده علي صيغة الافراد
يراد بها الجنس وقد روي ابو سعيد مرفوعا علي ما رواه ابن لال افضل الاعمال الكسب الحلال
رواه البخاري وكذا احمد وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كانت امراتان معهما ابناهما اي لكل واحدة ابن جا الذيب استيناف بيان فذهب بابن
احديهما فقالت لصاحبتها اي رفيقتها احديهما الذي ذهب بابنها انما ذهب بابنك وقالت الاخري
انما ذهب بابنك ولعل الولدين كانا شبيهين او كانت احداهما كاذبة لكنها تريد ان تسلي نفسها
بالموجود بدلا عن المفقود ولاغراض اخر فاسدة وافكار كاسدة فتحاكما اي رفعتا الحكومة
الي داود فقضي به اي حكم بالولد للكبري اما لكونه في يدها علي مقتضي القاعدة الشرعية ان
صاحبة اليد اولي ولانه اشبه بها علي اعتبار علم القيافة كما قال ابن الملك فخرجتا علي سليمان
ابن داود عليهما السلام فاخبرتاه اي بما سبق من حالهما وتحقق من مالهما فقال اي لخدمه
ايتوني بالسكين اشقه بفتح القاف المشددة علي جواب الامر وفي نسخة بالرفع اي انا اقطع
الولد فتقسمنه بينكما اي مقسوما بينكما والمعني انه علي فرض انكما لم تظهرا الي الصدق في امر الولد
الاخري ايضا كانت في اول الامر متعلقة بالولد مستمسكة باليد ومع هذا لم يرد حقيقة

التصنيف وانما صورتهما هذا التصوير لتؤدي الى ما اراد به من ظهور امارة التاليف فقالت
الصغرى لا تفعل اي الشق يرحمك الله اي كلا وتعرض في الرحمة على ولدي هو ابنها اي رضيت بانه يكون
ابنها وهو حي ولا ارضى بالشق المفضي الى موته فقضى به للصغرى اي لوجود قرينة الشفقة والرحمة
فيها وتحقق القساوة واليبوسة والغفلة عن العداوة في الاخرى قال شارح واعلم ان قضاءهما حق
لكونهما مجتهدين ومستند قضائهما في هذه القضية هي القرينة التي تقضي بها سليمان فهو من
حيث الظاهر وعند الله انه في الاحوال كانت في شرعهم بمثابة بينة يقضى بها ولو كانت
احداهما ذات البينة والله اعلم وفي شرح مسلم للنووي قالوا يحتمل ان داود عليه السلام قضى
به للكبرى لشبه رآه فيها او لكونه كان في يدها واما سليمان فتوصل بطريق من الحيلة والملاطفة
الى معرفة باطن القضية وانما اراد اختبار شفقتهما لتتميز له الامر فلما قطع بالحقيقة فلما
تميز حكم للصغرى باقرار الكبرى لا بمجرد الشفقة قلت الاقرار ولا دلالة المعاينة عليه
ولا طريق للانسان اليه قال وقال العلماء ومثل ذلك يفعله الحكام ليتوصلوا به الى حقيقة
الصواب قلت وقد حقق ابن القيم الجوزي هذا البحث في كتاب الفراسة في السياسة
قال النووي فان قيل كيف نقض سليمان حكم ابيه داود فالجواب من وجوه احدها ان
داود لم يكن جزم بالحكم والثاني ان يكون ذلك فتوى من داود لا حكما والثالث لعله كان في
شرعهم نسخ الحكم اذا رفعه الخصم الى حاكم اخر يرى خلافه قلت وفي كل منها نظر
ظاهر فالوجه ان القرينة الاولى كانت شدها باعتبار رعوا الاولى واما لو صح اقرار الكبرى
بانها للصغرى فلا اشكال بعد الحال لان الاقرار بعد الحكم معتبر في شرعنا ايضا كما اذا اقر
المحكوم عليه بعد الحكم بان الحق لخصمه والله اعلم متفق عليه وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاطوفن الطواف هنا كناية عن الجماع
والمعنى والله لادورن الليلة اي الاتية على تسعين امراة وفي رواية بمائة امراة قال
الحافظ العسقلاني فيه روايات ستون وسبعون وتسعون وتسع وتسعون ومائة والجمع
ان الستين كن حرائر وما زاد كن سراري او بالعكس واما السبعون فللمبالغة واما التسعون
والمائة فكن دون المائة وفوق التسعين فمن قال تسعون الغى الكسر ومن قال مائة جبره اي كل واحدة
تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله وهذه نية حسنة الا انها غير مبنية على المشيئة فقال
له الملك اي الموكل على يمينه او جبريل او غيرهما او المراد به الهامه قل ان شاء الله
فلم يقل اي اكتفاء بما في الجنان عن النطق باللسان ونسي كعلم وروي بضم النون وتشديد
السين وهو احسن اي حصل له النسيان بالجمع بين القلب واللسان كما هو عند ارباب الجمع
واصحاب العرفان او اراد ان يقوله ونسي فطاف عليهن فلم تحمل منهن اي لم تحبل الا امراة واحدة
جاءت بشق رجل اي بنصفه او بعضه حيث تدرع عن شق الصواب وصوم الكمال وايم الذي
نفس محمد بيده تقدم الكلام على ايم لفظا ومعنى وقال التوربشتي هنا الاصل في ايم الله ايمن
الله حذفت منه النون وايمن اسم موضوع للقسم هكذا بضم الميم والنون والفه الف وصل
عند اكثر النحويين ولم يجيء في الاسماء الف الوصل مفتوحة غيرها وتقديره ايمن الله قسمي واذا حذف
عنه النون قيل ايم الله وايم الله بكسر الهمزة ايضا لو قال ان شاء الله لجاهدوا اي لوجدوا او
ولدوا وكبروا وقاتلوا الكفار في سبيل الله اي طريق رضاه فرسانا حال من ضمير جاهدوا اجمعون
تاكيد للضمير ومنهم من يرويه اجمعين على الحال والرواية المعتبرة اجمعون بالرفع قيل والحديث
يدل على ان من اراد ان يعمل عملا يستحب ان يقول عقيب قوله اني اعمل كذا ان شاء الله تعالى
تبركا وتيمنا وتسهيلا لذلك العهد وقد قال تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان

يشاء الله متفق عليه ولفظ الجامع قال سليمان بن داود لاطوفن الليلة على مائة امراة كلهن
ياتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف
عليهن فلم يحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق انسان والذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله
لم يحنث وكان دركا لحاجته رواه احمد والشيخان والنسائي عن ابي هريرة وعنه اي عن ابي هريرة رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان زكريا بالقصر ويمد نجارا اي يعمل
الخشب وينحته ويأكل من كسب يده وفيه وفيما سبق من حديث داود عليه السلام دلالة على
ان التكسب من سنة الانبياء وانه لا ينافي التوكل بل هو مراعاة الاسباب في الاشياء كما نقله
بعض الانبياء وجماعة من اصحاب الاذكار خلافا في كونا ايهما الفضل عند العلماء وتحقيقه
في كتاب الاحياء رواه مسلم وكذا احمد وابن ماجه وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اولى الناس اي اقربهم بعيسى ابن مريم في الاولى
والاخرة اي في الدنيا والعقبى قال الحافظ ابن حجر اقربهم اليه لانه بشر بانه نبي من بعده ولانه
بينه وبينه قوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي لانه هو اولى الناس
بابراهيم من جهة الاقتداء وانا اولى بعيسى ابن مريم من جهة قرب العهد انتهى لكن لا يخفى مجرد قرب
العهد لا يلائمه قوله الانبياء اخوة فالاولى ما قال القاضي من ان الموجب لكونه اولى الناس بعيسى
عليه السلام انه كان اقرب المرسلين اليه وان دينه متصل بدينه وان عيسى كان مبشرا به
ممهدا لقواعد دينه داعيا للخلق الى تصديقه ثم قال وهذه الجملة استئناف ذكره دليلا على
الحكم اي لو كان سائل سال عن المقتضي للاولوية فاجاب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وهي
ان الاخوة التي بين الانبياء ليست بينهم وبين سائر الناس وجعل ذلك كالنسب الذي هو اقرب
الاسباب ثم يقرب زمانه من زمانه وان اتحاد دعوته بدعوته كما سيجيء الاشارة اليه والدلالة
عليه بقوله وليس بيننا نبي فقوله من علات بفتح فتشديد اي هم اخوة من اب واحد فان العلة
الضرة وبنو العلات اولاد الرجل من نسوة شتى فقوله وامهاتهم شتى اي متفرقة مختلفة اما
تاكيدا وتجريدا والمعنى كما ان اولاد العلات امهاتهم مختلفة فكذلك الانبياء دينهم واحد وشرائعهم
مختلفة قال القاضي وغيره من الشراح العلة الضرة ماخوذة من العلل وهو الشربة الثانية
بعد الاولى وكان الزوج على منها بعد ما كان ناهلا من الاخرى من النهل وهو الشرب الاول
واولاد العلات اولاد الضرات من رجل واحد والمعنى ان حاصل امر النبوة والغاية القصوى
من البعثة التي بعثوا جميعا لاجلها دعوة الخلق الى معرفة الحق وارشادهم الى ما به ينتظم
معاشهم ويحسن معادهم فهم متفقون في هذا الاصل وان اختلفوا في تفاريع الشرع
التي هي كالوصلة المؤدية والاوعية الحافظة له فعبر النبي صلى الله عليه وسلم عما هو الامر
المشترك بين جميع الانبياء بالاب ونسبهم اليه وعبر عما يختلفون فيه من الاحكام
والشرائع المتفاوتة بالصورة المتقاربة في الغرض بحسب الازمنة والمصالح المتعلقة
بالاشخاص المختلفة طبعا بالامهات وهو معنى قوله وامهاتهم شتى فانهم وان تباينت اعصارهم
وتباعدت ايامهم فالاصل الذي هو السبب في اخراجهم وابرازهم كلا في عصره واحد ولذا قال
ودينهم واحد وقيل الذين الحقوا الذي نظر الناس عليه مستعدين لقبوله متمكنين من الرتوق
عليه والتمسك به في نفع هذا المراد بالامهات الازمنة التي اشتملت عليهم وانكشفت عنهم ولذا
قال وليس بيننا اي بيني وبين عيسى نبي اما مطلقا او موعود على نبي ذي شرع اذ عيسى اولو العزم
من الرسل قال ابن الملك اي ليس بيني وبينه نبي بل جئت بعده كما قال ومبشرا برسول ياتي من
بعدي اسمه احمد قال وبهذا بطل قول من قال الحواريون كانوا انبياء بعد عيسى عليه السلام انتهى وكان

حمل النبي على الاطلاق قال الطيبي قوله الانبيا اخوة من علات كالتعليل لنفي في ان يكون بيننا نبي اذ المرجب لقوله صلى الله عليه وسلم انا اولى الناس بعيسى بن مريم في الاولى والاخرة فينبغي ان يكون النبيان على المبين يعني الانبيا كلهم متقنة ودينهما بعثوا لاجله من اصول التوحيد والتبشر خير اختصاص من لكونه اختص الناس بعيسى لانه كان مبشرا من قبل بعثتي وممهدا لقواعد ملتي ثم اخر الزمان متابع لشريعتي وناصر لديني فكانا واحدا في الاولى والاخرة يحتمل ان يراد بهما الدنيا والاخرة وان يراد بهما الحالة الاولى وهي كونه مبشرا والحالة الاخرة وهي كونه ناصرا مقويا لدينه قال قلت كيف التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي اي انه اخص بهم وانزلهم فيه قلت الحديث وارد في كونه صلى الله عليه وسلم متبوعا والتنزيل في كونه تابعا وله القصد تابعا ومتبوعا قال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقدم تفسيره والله اعلم متفق عليه ولفظ الجامع انا اولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والاخرة وليس بيني وبينه نبي والانبيا اولاد علات وامهاتهم شتى ودينهم واحد رواه احمد والشيخان وابو داود ولا يخفى حسن نظم هذه الرواية المطابقة لمراعاة ترتيب الدراية وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بني ادم فيه تغليب الذكور على الاناث اي كل اولاد ادم يطعن الشيطان بفتح العين وتضم من طعنه بالرمح كمنعه ونصر طعنا ضربه ووخزه على ما في القاموس والمراد هنا المس كما في رواية فالمعنى انه يمسه ويصيبه في جنبيه باصبعيه اي السبابة والوسطى وفي التثنية اشعار بكمال العداوة وايما الى قصد اضلاله في امر الدين والاخرة حين يولد اي اول زمن ولادتهم والافراد باعتبار لفظ كل غير عيسى بن مريم اي لدعوة جدته في خزانته بقولها واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ذهب اي اراد الشيطان وشرع وطعن يطعن اي في جنب عيسى فطعن في الحجاب فادونع الطعن في المشيمة وهي ما فيه الولد ثم فيها ترس منه عيسى قال الطيبي وهذا يدل على ان المس في قوله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يمسه الشيطان على الحقيقة كما مر في اول نسوة قلت وتمام الحديث حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها فكانه الراوي اقتصر في هذا الحديث على ذكر عيسى عليه السلام لانه المقصود الاصلي في المرام وخص بعيسى نظرا الى بعض القيود في الكلام متفق عليه ولفظ السيوطي في الجامع الى البخاري وقال لفظ مسلم كل بني ادم يمسه الشيطان يوم ولدته امه الا مريم وابنها وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كمل بضم الميم وفي نسخة بفتحها ويجوز كسرها في القاموس كمل كنصر وكرم وعلم وقال ابن الملك في شرح المشارق فيه ثلاث لغات لكن كسر الميم ضعيف اقول الصحيح الضم لمو افقته المعنى اللازم اي صار كاملا او بلغ مبلغ الكمال من الرجال كثير اي كثيرون من افراد هذا الجنس حتى صاروا رسلا وانبيا وخلفا وعلما واوليا ولم يكمل من النسا الا مريم بنت عمران واسية امراة فرعون والتقدير الا قليل منهن ولما كان ذلك القليل محصورا فيهما باعتبار الامم السابقة نص عليهما بخلاف الكمل من الرجال فانه يبعد تعداد هم واستقصاؤهم بطريق الاحصا سوا اريد بالكمل الانبيا والاوليا قال الحافظ ابن حجر استدل بهذا الحصر على انهما نبيتان لان اكمل الانسان الانبيا ثم الاوليا والصديقون والشهدا فلو كانتا غير نبيتين للزم ان لا يكون في النسا ولية ولا صديقة ولا شهيدة غيرهما وقال الكرماني لا يلزم من لفظ الكمال ثبوت نبوتهما لانه يطلق لتمام الشي وتناهيه في بابه فالمراد بلوغهما النهاية في جميع الفضايل التي للنسا قلت لا يخفى ان هذا المقال لا يندفع به الاشكال لانه يقال لا يلزم من كمال المراة الكلية حتى يلزم

النبوة

النبوة بل يكفي لحصول كمال وصولها للولاية في تقايد ذكرها نظرا الى الحصر اختصاصهما بكمال لم يشاركهما فيه احد من نسا زمانهما او من نسا الامم المتقدمة او مطلقا غير مقيد وذلك لما نقل العلماء الاجماع على عدم نبوة النسا ولما يدل عليه قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا لكن نقل عن الاشعري نبوة حوا وسارة وام موسى وهاجر واسية ومريم وهذا مما يصح بناء على الفرق بين النبي والرسول والله اعلم وقال ابن الملك في شرح المشارق في الجواب عن ايراد السابق قلنا الكمال الذي يكون حصوله للنسا ملاوه الى مرتبة والنبوة ليست اولى بالنسا لان مبناها على الظهور والدعوات وحالهن الاستتار فلا تكون النبوة في حقهن كمالا بل الكمال في حقهن الصديقية وهي قريبة من النبوة انتهى ولا يخفى انه انما يتم على القول بترادف النبوة والرسالة والا فعلى الفرق بينهما كما عليه الجمهور من ان الرسول مامور بالتبليغ بخلاف النبي فلا يلزم من النبوة عدم التستر معنى ان الرسالة تنافي التستر كما لا يخفى والله اعلم وفضل عايشة على النسا اي على جنسهن من نسا الدنيا جميعهن او على النسا المذكورات او في نسا الجنة او في نسا زمانها هذه الامة او على الازواج الطاهرات كفضل الثريد على سائر الطعام قال الطيبي لم يعطف عايشة على اسية لكن ابرزه في صورة جملة مستقلة تنبيها على اختصاصها بما امتازت به عن سائرهن ونحوه في الاسلوب قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من النسا ثلاث الطيب والنسا وجعلت قرة عيني في الصلاة قلت وسياتي ما يدل على خلاف ذلك مع ان لفظ ثلاث غير ثابت في الحديث قال التوربشتي قيل انما مثل بالثريد لانه افضل طعام العرب ولا يرون في الشبع اغنى غنا منه وقيل انهم كانوا يحمدون الثريد فيما طبخ باللحم وروي سيد الطعام اللحم فكانها فضلت على النسا كفضل اللحم على ساير الاطعمة والسر فيه ان الثريد مع اللحم جامع بين الغذا واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المونة في المضغ وسرعة المرور في المري فضرب به مثلا ليوذن بانها اعطيت مع الخلق والخلق حلاوة النطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الراي ورصانة العقل والتحبب الى البعل فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستيناس بها والاصغا اليها وحسبك انها عقلت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما لم تعقل غيرها من النسا وروت ما لم يرو مثلها من الرجال ومما يدل على ان الثريد اشهى الاطعمة عندهم والذه قول الشاعر

ه اذا ما الخبز تادمه بلحم ه فذاك امانة الله الثريد ه

انتهى وقد اختلفوا في التفضيل بين عايشة وخديجة وفاطمة قال الاكمل وروي عن ابي حنيفة ان عايشة بعد خديجة افضل نسا العالمين اقول فهذا يحتمل التساوي بين خديجة وعايشة لكون الاولى من الرفقا السوابق والثانية من الفضلا اللواحق وقال الحافظ ابن حجر فاطمة افضل من خديجة وعايشة بالاجماع ثم خديجة ثم عايشة وقال السيوطي في النقاية وشرحها ونعتقد ان افضل النسا مريم وفاطمة روى الترمذي وصححه حسبك من نسا العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امراة فرعون وفي الصحيحين من حديث علي خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد وفي الصحيح فاطمة خير نسا هذه الامة وروى النسائي عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا ملك من الملايكة استاذن ربه ليسلم علي ويبشرني ان حسنا وحسينا سيدا شباب اهل الجنة وان فاطمة سيدة نسا اهل الجنة وروى الحارث بن ابي اسامة في مسنده بسند صحيح لكنه مرسل مريم خير نسا عالمها وفاطمة خير نسا عالمها ورواه الترمذي موصولا من حديث علي بلفظ خير نسائها مريم وخير نسائها فاطمة قلت وفي الدر المنثور اخرج ابن عساكر عن ابن عباس مرسلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نسا اهل الجنة مريم بنت عمران ثم

فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاطمة سيدة نساء العالمين بعد مريم ابنة عمران ثم قال السيوطي وأفضل
أمهات المؤمنين خديجة وعائشة قال صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم
وآسية وخديجة وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وفي لفظ إلا ثلاث
مريم وآسية وخديجة وفي التفضيل بينهما أقوال ثالثها الوقف قلت وصحح العماد بن
كثير أن خديجة أفضل لما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة حين قالت قد رزقك
خيرا منها فقال لا والله ما رزقني الله خيرا منها آمنت بي حين كذبني الناس وأعطتني مالها
حين حرمني الناس وسئل ابن داود فقال عائشة أقرأها السلام النبي صلى الله عليه وسلم
من جبريل وخديجة أقرأها السلام جبريل من ربها فهي أفضل على لسان محمد فقيل له فأيما أفضل
فاطمة أم أمها قال فاطمة بضعة النبي صلى الله عليه وسلم فلا نعدل بها أحدا وسئل السبكي
فقال الذي نختاره وندين الله به أن فاطمة بنت محمد أفضل ثم أمها خديجة ثم عائشة ثم
استدل لذلك وعن ابن العماد أن خديجة أفضل من فاطمة باعتبار الأمومة لا السيادة
والله أعلم متفق عليه وفي رواية الجامع تقديم آسية على مريم وزيادة وأن فضل
عائشة الخ رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه وذكر حديث التزويج خير البرية ابن خالد
أن أعرابيا للنبي صلى الله عليه وسلم يا خير البرية فقال ذاك إبراهيم وحديث أبي هريرة أي الناس
أكرم تمامه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك
قال فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله الحديث قال شارح أي ذا الله
لسنا نسألك عن هذا فأكرم الناس في زمانه يوسف قلت أو في النسب والحسب كما يدل عليه
تعداد آبائه وأجداده وحديث ابن عمر الكريم ابن الكريم تمامه ابن الكريم ابن الكريم يوسف
ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم في باب المفاخرة والعصبية الفصل الثاني عن أبي رزين
قال المؤلف هو لقيط بن عامر بن صبرة بفتح اللام وسكون القاف وصبرة بفتح الصاد المهملة وكسر
الموحدة عقيلي مما في منهم وعداده في الطائف روى عنه ابنه عاصم وابن عمر وغيره قال
قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه لا شك أن المكان مع الزمان من جملة
خلقه معه وأن قوله أين كان وبحسب الإمكان لأن السؤال وأخرج أبو رزين رضي الله عنه وسيجيء
بيان كشف المعنى من الشراح الأعيان قال كان في عماء بفتح العين ممدود أي في غيب
هوية الذات بلا ظهور وبلا ظهور الصفات كما عبر عنه بقوله كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف
فخلقت الخلق لأعرف وفي قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون إشارة إليه
ودلالة عليه في تفسير حبر الأمة أي ليعرفون قال الشيخ علاء الدولة في كتابه العروة
فأثبت تجلي الذات أولا بقوله كنت كنزا مخفيا ثم تجليه بالصفة الأحدية بقوله أحببت أن
أعرف ثانيا ثم تجليه بالصفة الواحدية بقوله فخلقت الخلق لأعرف ثالثا وفي اصطلاحات
الصوفية للكاشي العماء هي الحضرة الأحدية عندنا لأنه لا يعرفها أحد غيره فهو في حجاب الجلال
أقول ولعل المراد بالأحدية الأحدية الجمع فإنها بين غيب الغيوب وبين أحدية الصوفية
أو المراد بالأحدية الأحدية الفرقة فإنها بين أحدية الجمع وبين الوحدة وهذه البينونة
بالنسبة إلى العلو والتسفل وهذا القول هو الصحيح لأن العماء في اللغة غيم رقيق يحول
بين السماء والأرض وكذلك الأحدية الفرقة حائلة بين سماء الذات وأرض الكثرة الأسمائية
ثم قال وقيل هي الحضرة الواحدية التي هي منشأ الأسماء والصفات لأن العماء هو الغيم الرقيق والغيم
هو الحائل بين السماء والأرض وهذه الحضرة الواحدية هي الحائلة بين سماء الأحدية الفرقة وبين

أرض الكثرة الخلقية وقد عمل العارف الجامي شرحا في هذا الحديث الشريف فإن كنت تريد
التحقيق فعليك بذلك التصنيف فقد علم كل أناس مشربهم وتبع كل فريق مذهبهم هذا وفي
النهاية العماء السحاب الرقيق وقيل السحاب الكثيف المطبق وقيل شبه الدخان يركب رؤوس
الجبال وقال الجزري في الضياء وفي النهاية العمى بالفتح والمد السحاب وفي القاموس هو السحاب
المرتفع أو الكثيف أو المطر الرقيق أو الأسود أو الأبيض أو هو الذي هراق ماءه ولا شك أن أحدا من
هذه المعاني لا يناسب المقام المبنى في الأزل فالسحاب كناية عن حجاب الجلال وهو غيبا
عن حجاب الذات الباعث في سرادقات المتلبسة بالعبوديات والتشعيبات وكذا قال أبو عبيد
لا يدري أحد من العلماء كيف كان ذلك العماء وفي رواية عمى بالقصر وهو ذهاب البصر فقيل هو كل
أمر لا تدركه عقول بني آدم ولا يبلغ كنهه الوصف ولا يدركه الفطن قال الأزهري نحن نؤمن به
ولا نكيفه بصفة أي نجري اللفظ على ما جاء عليه من غير تأويل مع التنزيه عما لا يجوز عليه من الحدوث
والتحديد **ما تحته هواء وما فوقه هواء** ما نافية فيهما وفيه إشارة إلى ما سبق في الحديث كان الله
ولم يكن معه شيء قال القاضي المراد بالعماء ما لا تقبله الأوهام ولا تدركه العقول والأفهام عبر
عن عدم المكان بما لا يدرك ولا يتوهم وعن عدم ما يحويه ويحيط به بالهواء فإنه يطلق ويراد به
الخلاء الذي هو عبارة عن عدم الجسم ليكون أقرب إلى الأفهام ويدل عليه أن السؤال كان
عما خلق قبل أن يخلق خلقه فلو كان العماء أمرا موجودا لكان مخلوقا إذ ما من شيء سواه إلا وهو
مخلوق خلقه وأبدعه فلم يكن الجواب طبق السؤال والله أعلم بحال وقيل في الكلام حذف
مضاف كما في قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فيكون التقدير أين كان عرش
ربنا ويدل عليه قوله **وخلق عرشه على الماء** المطابق لقوله سبحانه وكان عرشه على الماء لأنه
لو لم يكن الاستواء على العرش لما كان حاجة للتعرض إليه وقال الطيبي لم يفتقر إلى التقدير وأما
القول في عماء بالمد فإنه ويرجح بموافقته لرواية الأخرى عمى مقصورا وما ورد في الصحاح
من عمران بن حصين كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وذلك أن قوله ما تحته هواء
فوقه هواء جاء تتميما صونا لما يفهم من قوله في عماء من أن المكان المتعارف محال أن
يوجد بغير هواء فهو نظير قوله وكان بذلك تهميب في ما سبق فأجاب من أسلوب الحكيم سبيل
من المكان فأجاب عن المكان بعين إذ كان هذا مكانا فهو في مكان وهو إرشاد له في تنزيهه عن المطلق
رواه الترمذي وقال قال يزيد بن هارون ويزيد هو أحد مشايخ شيوخ الترمذي من رواة هذا الحديث
العماء أي يعني معناه **ليس معه شيء** وفيه إيماء إلى كلام العارفين في هذا المقام كان الله ولم يكن معه
شيء والآن على ما هو عليه كان ولا شأن إلى قوله تعالى كل من عليها فان **وعن العباس بن عبد المطلب**
زعم أي نقل أنه أي العباس **كان جالسا في البطحاء** أي في المحصب وهو موضع معروف بمكة فوق
مقبرة المعلاة وقد تطلق على مكة وأصل البطحاء على ما في القاموس مسيل واسع فيه دقاق
الحصى **في عصابة** بكسر أوله أي مع جماعة من كفار مكة قال الطيبي استعمل زعم للنسبة إلى
رمز إلى أنه حينئذ لم يكن مسلما ولا تلك العصابة كانوا مسلمين تدل عليه قوله في البطحاء
قلت وكان وجه دلالته عليه أنه كان غالبا مجتمع الكفار ومجمع رأيهم في تلك الدار ومن
جملة ما اتفق منهم أن العرب في ذلك المكان أنهم يهجرون بني هاشم ولا يبايعونهم ولا يشاورون
ولا ينكحونهم ولا يجالسونهم حتى يتركوا نصرة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا نبيه هو في المسير
معروف وكذا المناجاة النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع نزل به عند نزوله من منى إشارة إلى
ما من الله عليه بالغلبة على أعداء الدين وإيماء إلى إعلاء كلمة اليقين هذا وحديث أبي هريرة بعد
الفصل الثالث مما يدل صريحا أن تلك العصابة كانوا مسلمين وأما زعم فكثيرا ما يستعمل بمعنى القول

المحقق والله اعلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فيهم اي بينهم وهذا يحتمل ان يكون في القضية المذكورة او بعد القضية المسطورة بعدما وقع فيها بينهم من المحادثة فمرت سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تسمون هذه ما استفهامية بمعنى التقرير وهو حمل المخاطب على الاقرار والمقصود التنبيه ضد الانكار اي باي شيء تسمون هذه اشارة الى السحابة وهو مفعول ثان لتسمون والاول لفظة ما قالوا السحاب بالنصب اي نسميه السحاب ويجوز رفعه على انه خبر مبتدأ محذوف اي هي السحاب والمعنى ان هذه واحدة من جملة جنس السحاب قال والمزن اي وتسمونها ايضا المزن قالوا والمزن الذي تسمونها ايضا في النهاية هو الغيم والسحاب واحدته مزنة وقيل هي السحاب البيضاء الواحدة بيضاء وماؤه ابيض ومنه قوله تعالى أأنتم انزلتموه من المزن قال والعنان قالوا والعنان كسحاب زنة ومعنى من عن اي ظهر وفي النهاية الواحدة عنانة وقيل ما عن لك فيها اذا اعترض وبدا لك اذا رفعت رأسك وحاصله انه صلى الله عليه وسلم لما لاطفهم وبين لهم معرفته بلغتهم المختلفة في مقام المرام تدريجا بالانتقال من معلومهم الى مجهولهم وترقيا من الشيء الى الحق قال هل تدرون ما بعد ما بين السماء والارض اي ما مقدار بعد مسافة ما بينهما قالوا لا ندري قال ان بعد ما بينهما اما واحدة واما اثنتان او ثلاث وسبعون سنة الشك من الراوي كذا قيل وللتنويع لاختلاف [illegible] المتصاعد والهابط وبهذا يظهر صحة ما قال الطيبي والمراد بالسبعين في الحديث التكثير لا التحديد لما ورد ان بين السماء والارض وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة اي سنة والتكثير هنا ابلغ والمقام له ادعى ثم السماء بالرفع ويجوز النصب التي فوقها اي فوق سماء الدنيا كذلك اي في البعد حتى عد سبع سموات اي على هذه الهيئات ثم فوق السماء السابعة بحر اي عظيم بين اعلاه واسفله كما بين سماء الى سماء ثم فوق ذلك اي البحر ثمانية اوعال جمع وعل وهو العنز الوحشي ويقال له تيس الجبل بين اظلافهن جمع ظلف بكسر الظاء المعجمة المشقوقة وهو للبقر بمنزلة الحافر للدابة والخف للبعير وركبهن بفتح فكسر اي ما فوق اظلافهن مثل ما بين سماء الى سماء قيل المراد بهن الملائكة على اشكال الاوعال ويلائمه قوله ثم على ظهورهن العرش اي محمول كما قال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم بين اسفله اي العرش واعلاه ما بين سماء الى سماء اي من كثرة البعد مع قطع النظر عن الحد والتحديد فجميع المخلوقات بجنب العرش كحلقة في فلاة على ما ورد به في حديث ثم الله اي وسع علمه او اتساع قدرته في ملكه فوق ذلك قال الطيبي اراد صلى الله عليه وسلم ان يشغلهم عن السفليات الى العلويات والتفكر في ملكوت السموات والعرش ثم يترقوا الى معرفة خالقهم ورازقهم ويستنكفوا عن عبادة الاصنام ولا يشركوا بالله الملك العلام فاخذ في الترقي من السحاب ثم من السموات ثم من البحر ثم من الاوعال ثم من العرش الى ذي العرش والفوقية بحسب العظمة لا المكان فالمعنى انه على اتقان عظيم البرهان وقال شارح اي فوق العرش حكما وعظمة واستيلاء رواه الترمذي وابو داود وعن جبير بن مطعم قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جاءه اعرابي اي بدوي فقال جهدت الانفس بصيغة المجهول من الجهد بفتح الجيم المشقة وبضمها الطاقة والمعنى حملت فوق طاقتها وجاع العيال عيال الرجل بالكسر من يعوله ويمونه وينفق عليه من الزوجة والاولاد والعبيد وغير ذلك ونهكت بضم النون وكسر الهاء اي نقصت الاموال اي التي تنموا من الامطار وهلكت الانعام وهو جمع نعم محركة الابل والبقر والغنم كما اخبر الله تعالى عنها بقوله ثمانية ازواج فاستسق الله لنا اي فاطلب الله السقي بالمطر من اجل معاش الزهو [illegible] فانا نستشفع بك اي نطلب الشفاعة بك اي بوجودك وحرمتك ونعظمتك على الله ونستشفع بالله اي نستجير ونستغيث به عليك في ان تشفع لنا عنده بان

يونك

يونك على مساعدتنا لكن لما كان ظاهر هذه العبارة موهم للتساوي في القدر والتشارك في الامر والحال اذ الله سبحانه منزه عن الشرك مطلقا وقال تعالى ليس لك من الامر شيء وقال من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال لا يشفعون الا لمن ارتضى انكر النبي عليه السلام واستعظم الامر لديه وتعجب من هذه النسبة الشنيعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله اي تنزيها له عما ذكره سبحان الله كرره تأكيدا او ذكر الثاني تعجبا فما زال يسبح حتى عرف ذلك بصيغة المجهول اي حتى تبين اثر ذلك التغيير في وجوه اصحابه لانهم فهموا من تكرير تسبيحه انه صلى الله عليه وسلم غضب من ذلك فخافوا من غضبه فتغيرت وجوههم خوفا من الله تعالى فلما اثر فيهم الخوف رق لهم وقطع التسبيح والتفت اليهم ثم قال ويحك بمعنى ويلك الا ان الاول فيه معنى الشفقة عن المزلة والمذلة والثاني دعاء عليه بالهلكة والعقوبة والمعنى اعلم ايها المتكلم الجاهل في كلامه الغافل عن مرامه انه اي الشأن لا يستشفع بصيغة المجهول بالله على احد شأن الله استئناف تعليل اي شأنه العلي وقدره الجلي اعظم من ذلك اي من ان يستشفع به على احد قال الطيبي يقال استشفعت بفلان على فلان اذ استشفع اليه وشفعه اجاب شفاعته ولما كان الشفاعة هي الانضمام الى اخر ناصرا له وسائلا عنه الى ذي سلطان عظيم منع صلى الله عليه وسلم ان يستشفع بالله على احد وقوله ذلك اشارة الى الترفعية اي وخوف استشعر من قوله سبحان الله تنزيها عما نسب الى الله تعالى من الاستشفاع به على احد وتكراره مرارا ويحك كرره تأكيدا للزجر وتنبيها لاهم انه اي ما اسهاب عظمة ملكه وملكوته وسطوة كبريائه وجبروته ان عرشه على سمواته اي محيط بها من جميع جهاتها لهكذا بفتح اللام الابتدائية دخلت على خبر ان تأكيدا للحكم وقال باصابعه اي اشار بها وفعلا بيان للمشار اليه قوله مثل القبة عليه حال من العرش اي مماثلا لها في ما في جوفها قال الطيبي هو حال من المشار به وفي قال معنى الاشارة اي اشار باصابعه الى مشابهة هذه الهيئة الحاصلة للاصابع الموضوعة على الكف مثل حال الاشارة وانه اي العرش مع ما وصف به من المجد والكرم والسعة والعظمة ليئط بكسر الهمزة وتشديد المهملة اي ليتصابق ويعجز عن القيام به اي بحق معرفته وعن سعة علمه واحاطة عظمته حيث يئط اي يصوت ويعجز عما يركبه من عظمة جلاله وهيبته اطيط الرحل بالراكب اي كعجز الرحل بالراكب انما يكون لغير ما فوقه ويعجز عن احتماله قال الخطابي هذا الكلام اذا اجري على ظاهره كان فيه نوع من الكيفية والكيفية عن الله سبحانه وصفاته منفية فعلم انه ليس المراد منه تحقيق هذه الصفة ولا تحديده على هذه الهيئة وانما هو كلام تقريب اريد به تقرير عظمة الله تعالى في النفوس وافهام السائل من حيث يدركه فهمه اذ كان اعرابيا جاهلا لا علم له بمعاني ما دق من الكلام ويقرب هذا التمثيل والتشبيه معنى عظمة الله وجلاله في نفس السائل ومن يكون كذلك لا يجعل شفيعا الى من هو دونه قدرا ويمكن ان يعني يئط يصوت بالتسبيح والتنزيه من عظمة الله واياه حيث يعجز العرش من معرفته ذاته وصفته تركه صوت الرحل الجديد بالراكب الثقيل الشديد والله اعلم بالقول السديد رواه ابو داود وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذن لي ان احدث عن ملك اي عن وصف ملك عظيم من ملائكة الله اي المعظمين لقوله من حملة العرش فانهم اقوى من غيرهم لان المطايا على قدر العطايا ان بفتح الهمزة وكسرها ما بين شحمة اذنيه الى عاتقه وفي الجامع بصيغة الافراد فيهما مسيرة سبعمائة عام يعني بفتح السين في هذا النظام رواه ابو داود وكذا الضياء وعن زرارة بن اوفى بضم الزاي قال المؤلف له صحبة مات في زمن عثمان بن عفان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل رأيت ربك فانتفض جبريل اي ارتعد وتغير اشد من عظمة ذلك السؤال ومن هيبته مما سمع من المقال وقيل فيه دليل على حقيقته

الله تعالى في دار البقاء فانه لو كانت مستحيلة ما سأل النبي صلى الله عليه وسلم لكن اختلف في ان الملائكة
يرون الله تعالى ام لا ثم لما كان الرؤية غاية لتنبيه عن الغربة فارتعد جبريل من الهيبة وقال يا محمد
ان بيني وبينه سبعين حجابا من نور قال الشارح وهو عبارة عن كمال الله ونقصان جبريل
والحجاب من طرف جبريل انتهى والمعنى ان المحجوب هو صفة المخلوق الموصوف بنعت النقصان
واما الخالق ذو الجلال المنعوت بوصف الكمال فلا يحجبه شيء ولو من انوار الجمال لو دنوت
اي قربت قدر انملة كما في رواية من بعضها اي من بعض جميع تلك الحجب النورانية في مظهر الجلال
والجمال فما منا الا له مقام معلوم لاحترقت اي من اثر ذلك النور الذي يغلب النار في الظهور فان
النار تقول جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي فكيف بنور ربي وهو حسبي هكذا اي بهذا اللفظ
الحديث في المصابيح اي عن زرارة ورواه ابو نعيم في الحلية عن انس الا انه اي انسا لم يذكر
فارتعد جبريل وفي الجامع برواية الطبراني في الاوسط عن انس سألت جبريل هل ترى ربك قال
ان بيني وبينه سبعون حجابا من نور ونار لو رأيت ادناها لاحترقت وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق اسرافيل منذ يوم خلقه بفتح الميم على
الاضافة وفي نسخة بالجر منونا صافا بتشديد الفاء اي حال كون اسرافيل صافا قدميه
صافا واما منذ بضم الميم وبكسر وهو مبني في الضم وبنيته مجرور وحينئذ حرف
جر بمعنى من في الماضي وبمعنى في في الحاضر وقال المظهر منذ هنا حرف جر وهو بمعنى في وقال الطيبي
صافا حال من اسرافيل لا من ضمير المنصوب ومنذ يوم ظرف لصافا وليس بمعنى في وقال الدار رحمه الله
النحويون ان مذ ومنذ اسمان خلافا فانهما اسم الزمان تقولا ان اريد ابتداء الزمان الماضي الذي انتهى و
انت فيه يكون لابتداء غوما رأيته منذ يومين اي انا في اخرهما ولتنبيه بمعنى في وقال ابن حجر ان
المفهوم منه في الرؤية مدة معينة انت في اخرها مفقود انه ابتداؤها وانتهاؤها والمعنى ان الله
تعالى خلق اسرافيل صافا قدميه منذ اول مدة خلقه لا يرفع بصره اي الى السماء فوقه او لا يرفع نظره
عن اللوح المحفوظ خوفا بينه وبين الرب تبارك وتعالى سبعون نورا اي من انوار الحجب واسرار
الغيب واستار التنابه في لا يعرفه غيره تعالى ولا يحيطون به علما ما منها اي ليس من السبعين
من نور يدنو اي يقرب منه اسرافيل الا احترق اي من ذلك النور الذي فوق طاقة نظر اسرافيل
رواه الترمذي وصححه وعن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله آدم وذريته اي يوم
الميثاق او بعده قالت الملائكة يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون بكسر الكاف اي يطأون
او يتزوجون ويركبون اي في البر على الدواب وفي البحر في السفن فاجعل لهم الدنيا اي بطريق الدوام
او اجعل لهم الدنيا فقط ولنا الآخرة اي نعيمها لحرماننا عن الحظوظ المذكورة في الدنيا فقال الله
تبيينا قال الله تعالى لا اجعل من خلقته بيدي بصيغة التثنية وروي بالافراد قال الطيبي
قوله لا اجعل يحتمل ان يكون نفيا لاجعل وان يكون كلمة لا ردا لقولهم ثم يبتدئ بالجملة المنفية
انكارا عليهم وهو ابلغ يعني اكثر مبالغة او بلاغة فانه يدل على النفي مكررا واذا كان لا الاولى
لا ظهر تقديرا والمعنى لا اجعل من خلقته بغير واسطة على سبيل التدريج مركبا من مجموع
الكمال المنتهج فابليته الهداية والضلالة واستعداد مظهرية الجمال والجلال ونفخت فيه
من روحي اي بعد تزيينه بكمال جسده وتصويره شكلا كريما تشريفا له وتعظيما كمن قلت له كن اي
بخلق الاشياء فكان اي من غير التوالد قال الطيبي اي لا يستوي في الكرامة من خلقته بنفسي
دون وكلته الى احد ونفخت فيه من روحي وهو آدم واولاده مع من يكون بمجرد الامر بقول
كن وهو الملك واضافة الروح الى نفسه اضافة تشريف كقوله بيت الله وقال ابن الملك اي
لا يستوي البشر والملك في الكرامة والقربة بل كرامة البشر اكثر ومنزلته اعلى وهذا من جملة ما يستند

الفصل الثالث

به اهل السنة في تفضيل البشر على الملك انتهى ووجهه والله اعلم ان الملك خلق معصوما فصار مثل
الجحيم ممنوعا وعن النعيم محروما والبشر خلق مركبا بالطاعة والمعصية ومبتلى بالعطية والبلية
فمن قام بحقهما استحق الثواب في الدارين ومن اعرض عنهما استوجب العذاب في الكونين
رواه البيهقي في شعب الايمان الفصل الثالث عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن اي الكامل من الانبياء والاولياء اكرم على الله
من بعض ملائكته وهم خواصهم او عوامهم من اهل الاصطفاء وقال الطيبي يريد بالمؤمن عوامهم وببعض
الملائكة ايضا عوامهم قال محيي السنة في تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم الاولى ان يقال
عوام المؤمنين افضل من عوام الملائكة وخواص المؤمنين افضل من خواص الملائكة قال الله تعالى
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية ويستدل به اهل السنة في تفضيل الانبياء
على الملائكة انتهى ولا يخفى ان المراد بخواص المؤمنين الرسل والانبياء وبخواص الملائكة نحو جبريل
وميكائيل واسرافيل وبعوام المؤمنين الكاملين الاولياء كالخلفاء وسائر العلماء وبعوام الملائكة
سائرهم وهذا التفصيل اولى من اجمال بعضهم في قوله ان البشر افضل من الملك بمعنى ان
هذا الجنس لما وجد فيهم الكمل من الرسل والاولياء انتفى عن هذا الجنس لعدم وجودهم فيهم
تأمل رواه ابن ماجه قلت حديث المؤمن اعظم حرمة من الكعبة في ابن ماجه بسند عن ابن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ونظر الى الكعبة ما اعظم حرمتك والمؤمن اعظم حرمة عند الله منك وهو بعض حديث طويل
وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي اشارة الى كمال
ضبطه وانه على تمام حفظه ولعل في اخذه ايماء الى تعداد الايام الستة مع قطع النظر عن خلق آدم
بعد الجمعة فانه بمنزلة العلة الغائية والفذلكة الاجمالية فقال خلق الله التربة اي التراب وهو الارض
يوم السبت وكان المراد به اخر يوم السبت لعشية الاحد فلا ينافي قوله تعالى ولقد خلقنا
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب وخلق فيها الجبال يوم الاحد وهذا
معنى قوله تعالى ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين
وجعل فيها رواسي من فوقها وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه اي جنسه يوم الثلاثاء
بالمد في الشر وجدوا وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي في تتمة الاربعة وخلق النور
بالراء وفي نسخة بالنون وفي اخرى قال الطيبي كذا هو بالراء في مسلم ولعله بالنون وهو الحوت ويجوز ان
خلقها في الاربعاء والنور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره انتهى والظاهر ان المراد بالنور هو نفس
وما فيه ظهوره فيها سبب ذكره قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا
او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء
الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم يوم الاربعاء بفتح الهمزة وكسر الموحدة ممدودا
وفي القاموس مثلثة الباء ممدودة واعلم ان لفظ النور كذا في النسخ المصححة والاصول
المعتمدة وبث فيها الدواب اي فرقها في الارض بعد خلق اصولها يوم الخميس وهو لا ينافي
ما سبق من انه قضاهن سبع سموات وخلقهن في يومين وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في اخر
الخلق اي لكونه الفذلكة الاجمالية وبمنزلة العلة الغائية واخر ساعة من النهار اي وفي اخر
ساعة من نهار الجمعة وفي رواية الجامع في اخر الخلق في اخر ساعة من ساعة الجمعة فيما بين العصر
الى الليل ويحتمل انها الساعة المرجوة للاجابة في يوم الجمعة عند جماعة من الائمة رواه مسلم
وكذا احمد في مسنده مرفوعا لكن قال ابن كثير في تفسيره ما ملخصه هو ان هذا الحديث
من غرائب صحيح مسلم وقد تكلم فيه البخاري وغيره وجعلوه من كلام كعب الاحبار وان ابا
هريرة انما سمعه من كعب وانما اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا والله اعلم وعنه اي

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اي معه جلوس
اذ اتي اي مر عليهم سحاب وفي نسخة سحابة فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما هذا
اي السحاب قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا اي السحاب فالتعبير باسم الاشارة للتحقير او بالتذكير
للجنس من باب التفنن العنان بفتح العين من عن اي ظهر كما سبق هذه روايا الارض قيل التقدير
بل هذه وهو غير ظاهر نفي النهاية سمي السحاب روايا البلاد والروايا من الابل الحوامل للماء واحدتها
راوية فشبهها بها ومنه سميت المزادة راوية وقيل بالعكس يسوقها الله اي يجرها او يامر بسوقها
الى قوم لا يشكرونه اي بل يكفرونه حيث ينسبون المطر الى اقتران النجوم وانتراقها وغروبها وطلوعها
ويقولون مطرنا بنوء كذا ولا يدعونه اي لا يذكرون الله ولا يطلبون منه ولا يعبدونه بل يعبدون
الاصنام وهو يعميهم كرمه برزقهم ويعافيهم كما في الانعام ودوابهم الا نعام ثم قال هل تدرون ما فوقكم
اي من السماء قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع وهو اسم لسماء الدنيا وقيل لكل سماء والجمع
ارقعة سقف محفوظ وموج مكفوف اي ممنوع من الاسترسال والمعنى ان الله تعالى حفظها
عن السقوط في الارض وهي معلقة بلا عمد كالموج المكفوف ثم قال هل تدرون ما بينكم
وبينها اي مقدار ما بين الارض والسماء قالوا الله ورسوله اعلم قال بينكم وبينها خمسمائة
عام اي مسيرتها ومسافتها ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك اي المحسوس او المذكور من سماء الدنيا
قالوا الله ورسوله اعلم قال سماءان اي فوقها سماء بعد ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة ثم
قال كذلك اي سماء ثم سماء اخرى حتى عد سبع سموات اي اكمل عدد السبع منها ما بين كل سماء
ما بين السماء والارض اي كما بينهما من خمسمائة عام ففيه نوع تفنن في العبارة ثم قال هل تدرون
ما فوق ذلك اي المذكور قالوا الله ورسوله اعلم قال فوق ذلك بالنصب على انه ظرف وقع خبرا
مقدما لقوله العرش بالنصب على انه اسم له وبينه وبين السماء اي السابعة بعد ما بين السماءين
اي من السموات السبع ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال انها
الارض اي العليا ثم قال هل تدرون ما تحت ذلك اي المشار اليه قالوا الله ورسوله اعلم قال
ان تحتها ارضا اخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة اي وهكذا ذكر ارضا بعد اخرى حتى عد سبع
ارضين بالنسبة اي بين كل ارضين منها مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده
لو انكم دليتم بتشديد اللام المفتوحة من ادليت الدلو ودليتها اذا ارسلتها الى البئر ومنه قوله
تعالى فادلى دلوه على التجريد والتاكيد والمعنى لو ارسلتم بحبل الى الارض السفلى لهبط بفتح
الموحدة اي لنزل على الله اي على علمه وملكه كما صرح به الترمذي في كلامه الاتي والمعنى انه تعالى
محيط بعلمه وقدرته على سفليات ملكه كما في علويات ملكوته تعالى عما يخطر في وهم من لا فهم له
ان له اختصاصا بالعلو دون السفل ولهذا قيل كان معراج يونس عليه السلام في بطن الحوت
كما ان معراج نبينا صلى الله عليه وسلم كان في ظهر السماء فالقرب بالنسبة في مدة الاستواء كما
اخبر عن قربه لعلام الغيب بقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وانما يتفاوت القرب
المعنوي بالتشريف للدنيا وعند قرب الفرائض وقرب النوافل كما هو مقرر في محله ثم قرا
اي النبي صلى الله عليه وسلم استشهادا او ابو هريرة اعتضادا هو الاول اي القديم الذي
ليس له ابتداء والاخر اي الباقي الذي ليس له انتهاء والظاهر اي بالصفات والباطن اي بالذات
وهو بكل شيء اي من العلويات والسفليات والجزئيات والكليات عليم اي بالغ في كمال العلم
به محيط علمه بجوانبه رواه احمد والترمذي وقال الترمذي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاية اي المذكورة تدل على انه اراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه قال الطيبي اما علمه
تعالى فهو بكل شيء عليم واما قدرته فمن قوله هو الاول والاخر اي هو الاول الذي بيده كل شيء ويخرجه

من

من العدم الى الوجود والاخر الذي يفني كل شيء كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
واما سلطانه فمن قوله والظاهر والباطن قال الراغب يقال ظهرت في فلان اذا غلبته
والمعنى هو الغالب الذي يغلب ولا يغلب ويتصرف في المكونات على سبيل الغلبة والاستيلاء
اذ ليس فوقه احد يمنعه والباطن هو الذي لا ملجا ولا منجا دونه ثم قال الترمذي وعلم الله
وقدرته وسلطانه في كل مكان اي يستوي فيه العلويات والسفليات وما بينهما كما ان
الصفات موجودة في كل زمان بلا تفاوت اذ يتجلى الزمان والمكان وهو على العرش كما وصف
نفسه في كتابه قال الطيبي الكاف في كما منصوب على المصدر اي هو مستوي على العرش استواء
مثل ما وصف به نفسه في كتابه وهو متعلق بعلمه باستوائه عليه وفي قول الترمذي
اشعار الى انه لا بد لقوله لهبط على الله من هذا التاويل المذكور لقوله على العرش استوى
من تفويض علمه اليه تعالى والامساك عن تاويله كما سبق ان بعضا من خلاف الظاهر يحتاج
الى التاويل ومنها ما لا يجوز الخوض فيه وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال كان طول ادم ستين ذراعا في سبع اذرع عرضا قال الحافظ
ابن حجر يحتمل ان يريد بقدر ذراع نفسه وان يريد بقدر الذراع المتعارف يومئذ عند المخاطبين
والاول الظاهر لان ذراع كل احد بقدر ربعه فلو كان بالذراع المتعارف لكانت يده قصيرة
في جنب طول جسده والله اعلم اقول في القاموس الذراع بالكسر من طرف المرفق
الى طرف الاصبع الوسطى والساعد وتذكيرهما جمع اذرع اي بفتح الهمزة وضم الراء وقد
تقدم في حديث المتفق عليه ان الله تعالى خلق ادم وطوله ستون ذراعا فالاولى ان يقال
المراد بالذراع طوله هو المتعارف المتبادر الى الفهم الذي يحصل به العلم والمراد بعرض
ذراعه باعتبار ربعه وبه يحصل الجمع ويرتفع الدور الذي هو في مرتبة المنع وعن ابي ذر
قال قلت يا رسول الله اي الانبياء اي اي فرد منهم كان اول بالنصب اي اسبق
قال ادم بالرفع على تقدير هو قلت يا رسول الله ونبي كان قال الطيبي لا بد فيه من تقدير
همزة الاستفهام للتقرير لما قال اولا اي الانبياء واجيب بقوله ادم اي اهو نبي كان قال نعم نبي
مكلم اي بعد قوله نعم يبسط به قوله مكلم اي لم يكن نبيا فقط بل كان نبيا كلمه انزل عليه الصحف
قلت يا رسول الله كم المرسلون الكشاف في قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي هذا دليل بين على تغاير الرسول والنبي والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء من
جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان
يدعو الى شريعة من قبله انتهى والمشهور في الفرق بينهما ان الرسول من امر بالتبليغ
والنبي اعم والله اعلم قال ثلثمائة وبضعة عشر ابهم العدد اشعارا بعدم الجزم كيلا يزيد
او ينقص في احدهما جما غفيرا اي جمعا كثيرا وفي النهاية اي مجتمعين كثيرين واصل الكلمة
من الجموع والجمة وهو الاجتماع والكثرة والغفير من الغفر وهو التغطية والستر فجعلت
الكلمتان في موضع الشمول والاحاطة ولم يقل العرب الجماء الا موصوفا وهو منصوب
على المصدر كطرا وقاطبة فانها اسماء وضعت موضع المصدر وفي رواية عن ابي امامة
الظاهر ان المراد به الباهلي لا ابا امامة الباهلي فانه صحابي جليل بل هو ابو امامة سهل
ابن حنيف الانصاري الاوسي ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بعامين
ولم يسمع منه شيا لصغره ولذلك ذكره بعضهم في الذين بعد الصحابة واثبتها ابن
عبد البر في جملة الصحابة ثم قال وهو احد الجلة الاجلة من العلماء من كبار التابعين
بالمدينة سمع اباه وابا سعيد وغيرهما روى عنه نفر مات سنة مائة وله اثنان وتسعون

سنة كذا ذكره المؤلف قال ابو ذر قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الانبياء اي كمال عددهم
قال مائة الف واربعة وعشرون الفا الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا اي العدد
في هذا الحديث وان كان مجردا ثابتا لكنه ليس بمقطوع فيجب الايمان بالانبياء والرسل اجمالا
من غير حصر في عدد لئلا يخرج احد منهم ولا يدخل احد من غيرهم فيهم وعن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة ان الله تعالى استيناف فيه معنى
التعليل والمعنى لانه سبحانه اخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الالواح اي
لعدم الخبر حينئذ اثرا زائدا باعثا في الغضب الموجب للالقاء فلما عاين ما صنعوا القى الالواح اي
غضبا لله في قومه لمخالفة دينه فانكسرت اي الالواح من شدة القائه الدالة على كثرة غضبه ثم في
القائها ايماء بانها انما تنفع لاهل الايمان فاذا اختاروا الكفر والطغيان لم يبق فايدة في ابقائها
هكذا الظاهر انما ... من كسرها قال الطيبي قوله ان الله الخ استشهاد وتقرير لمعنى قوله
ليس الخبر كالمعاينة فانه تعالى لما قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري فهو نزول
الواح التورية عليه لم يلق الالواح فلما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني
من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ برأس اخيه يجره اليه روى الاحاديث الثلاثة احمد
ورواه الطبراني في الاوسط والحاكم في مستدركه عن ابن عباس وروى الطبراني صدر الحديث
فقط وهو قوله ليس الخبر كالمعاينة عن انس وكذا الخطيب عن ابي هريرة انتهى والله سبحانه اعلم

باب فضائل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه

اعلم ان تفضيل فضائله وتخصيص شمائله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم مما لا يحد ولا يحصى ولا يمكن
ان يعد ويستقصى وانما ذكر مؤلف الكتاب في هذا الباب نبذة من شمائله ونبذة من فضائله تدل على
بقية خصائله الفصل الاول عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعثت اي ولدت من خير قرون بني ادم ان معنى الخيرية في هذا الحديث والاخيرية
في الذريتين المذكورتين في حق القبائل ليس باعتبار الديانة بل باعتبار الخصال الحميدة والشمائل
السعيدة قرنا فقرنا قيل انه حال للتفضيل والفاء فيه للترتيب في الفضل على سبيل الترقي من
القرن الى القرن اللاحق وبه بعده قوله حتى كنت اي من القرن الذي كنت فيه اي وجدت
والقرن من الناس اهل زمان واحد وقد قال صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني وفي شرح السنة
القرن كل طبقة مقترنين في وقت قيل سمي قرنا لانه يقرن امة بامة وعالما بعالم وهو مصدر قرنت اي
وصلت وجعل اسما للوقت او لاهله وقيل القرن ثمانون سنة وقيل اربعون وقيل مائة انتهى
والقول الاول هو المراد هنا فالمعنى بعثت من خير طبقات بني ادم كائنين طبقة بعد طبقة
حتى كنت من القرن الذي كنت فيه فتفيد تفضيله في عشيرة من بني ادم وفي تفضيل امته في سائر
الامم قال الطيبي قوله حتى كنت غاية قوله بعثت والمراد بالبعث تقلبه في اصلاب الاباء ابا فابا
قرنا فقرنا حتى ظهر في القرن الذي وجد فيه يعني انتقلت اولا من صلب ولد اسماعيل ثم من كنانة ثم
من قريش ثم من بني هاشم فالفاء في قوله قرنا فقرنا للترتيب في سبيل الترقي من الاباء الابعد
الى الاقرب فالاقرب كما في قولك خذ الافضل فالافضل واعمل الاحسن فالاحسن وفي معناه انشد
ابن الرومي :: كم من اب قد علا بابن ذوي شرف :: كما علا برسول الله عدنان ::
وفي قوله حتى ظهر في القرن الذي وجد فيه نسخة لما روى الامام ابن الجوزي في كتاب الوفاء عن
كعب الاحبار قال لما اراد الله عز وجل ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم امر جبريل عليه السلام فاتاه
بالقبضة البيضاء التي هي موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجنت بماء التسنيم وغمست

في انهار الجنة وطيف بها في السموات والارض فعرفت الملائكة محمدا صلى الله عليه وسلم قبل ان يعرف
ادم ثم كان نور محمد يرى في غرة جبهة ادم وقيل له يا ادم هذا سيد ولدك من المرسلين فلما حملت
حوا بشيث انتقل النور من ادم الى حوا وكانت تلد في كل بطن ولدين الا شيثا فانه ولدته
وحده كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم لم يزل ينتقل من طاهر الى طاهر الى ان ولدته امنة من عبد
الله بن عبد المطلب انتهى وقد ذكرت مجملا من احوال ولادته صلى الله عليه وسلم في رسالة سميتها
بالمورد في المولد رواه البخاري وعن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة بكسر الكاف ابن خزيمة ابو قبيلة كذا في القاموس من ولد
اسماعيل بفتح الواو واللام وبالضم والسكون اي من اولاده واصطفى قريشا من كنانة وهم
اولاد النضر بن كنانة كانوا تفرقوا في البلاد فجمعهم قصي بن كلاب في مكة فسموا قريشا لانه قرشهم
اي جمعهم وكنانة تولد سوى النضر ولدا لا يسمون قريشا لانهم لم يقرشوا واصطفى من قريش بني
هاشم واصطفاني من بني هاشم في شرح السنة هو ابو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن
كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ولا يصح حفظ النسب فوق
عدنان انتهى وقد ضبطت الاسماء المذكورة في رسالتي المسماة المسطورة رواه مسلم وكذا الترمذي
على ما في الجامع وفي رواية للترمذي اي واثلة ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل
واصطفى من ولد اسماعيل كنانة وتمام الحديث على ما في الجامع واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى
من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة في شرح مسلم للنووي قال الهروي السيد هو الذي
يفوق قومه في الخير وقال غيره هو الذي يفزع اليه في النوائب والشدائد فيقوم بامورهم ويتحمل
عنهم مكارههم ويدفعها عنهم والتقييد بيوم القيمة مع انه صلى الله عليه وسلم سيدهم في الدنيا
والاخرة معناه انه يظهر يوم القيمة سؤدده بلا منازع ولا معاند بخلاف الدنيا فقد نازعه فيها ملوك
الكفار وزعماء المشركين وهو قريب من معنى قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار مع ان الملك له
قبل ذلك لكن كان في الدنيا من يدعي الملك او من يضاف اليه مجازا فانقطع كل ذلك في الاخرة وفي
هذا الحديث دليل على تفضيله صلى الله عليه وسلم على كل الخلق لان مذهب اهل السنة ان الادمي افضل
من الملائكة وهو صلى الله عليه وسلم افضل الادميين بهذا الحديث وغيره واما الحديث الاخر لا تفضلوا
بين الانبياء فجوابه من خمسة اوجه احدها انه صلى الله عليه وسلم قاله قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم
والثاني قاله ادبا وتواضعا والثالث ان النهي انما هو عن تفضيل يؤدي الى تنقيص
المفضول والرابع انما نهي عن تفضيل يؤدي الى الخصومة والفتنة والخامس ان النهي مختص في
نفس النبوة ولا تفاضل فيها وانما التفاضل في الخصائص وفضائل اخرى ولا بد من اعتقاد التفضيل
فقد قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقد قال ايضا ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض واول من ينشق عنه القبر اي فيخرج اول من يبعث من قبره ويحضر في المحشر رواه الترمذي
عن انس انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء
الحمد بيدي يومئذ وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي رواية للترمذي والحاكم عن ابن عمر انا اول
من تنشق عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتي اهل البقيع فيحشرون معي ثم انتظر اهل مكة وفي رواية
للترمذي عن ابي هريرة انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش
ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري واول شافع اي في ذلك المحشر واول مشفع بتشديد
الفاء المفتوحة اي اول من يقبل شفاعته على الاطلاق في انواع الشفاعات وفيه دليل لجميع

انه صلى الله عليه وسلم افضل المخلوقات واكمل الموجودات رواه مسلم وكذا ابو داود وفي رواية
احمد والترمذي وابن ماجه عن ابي سعيد انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر
وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وانا اول
شافع واول مشفع ولا فخر وعن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا اكثر الانبياء تبعا بفتحتين جمع تابع اي اتباعا يوم القيامة لان امته ثلثا اهل الجنة
على ما سبق في الحديث وفيه اشعار بان اكثرية الاتباع توجب افضلية المتبوع فابو حنيفة رحمه
الله له حظ عظيم ونصيب جسيم من ذلك فان غالب اهل الاسلام من اتباعه في فروع الاحكام
وكذلك الامام من بين ائمة الانام وانا اول من يقرع بفتح الراء اي يدق ويستفتح له فيدخله
رواه مسلم وروى البخاري عن انس ايضا انا اول من يدق باب الجنة فلم تسمع الاذان
احسن من طنين الحلق على تلك المصاريع وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم آتي اي اجيء باب الجنة يوم القيامة فاستفتح اي اطلب فتحه فيقول
الخازن من انت سمي الموكل لحفظ الجنة خازنا لان الجنة خزانة الله تعالى اعدها الله للمؤمنين
وهو حافظها فاقول محمد اي انا محمد فيقول بك اي بفتح الباب لك قبل غيرك من الانبياء امرت
ان لا افتح لاحد قبلك قال الطيبي بك متعلق بامرت والباء للسببية قدمت للتخصيص
والمعنى بسببك امرت بان لا افتح لغيرك لا بشيء اخر ويجوز ان يكون صلة للفعل وان لا افتح
بدل من الضمير المجرور اي امرت بان لا افتح لاحد غيرك رواه مسلم وعنه اي عن انس رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول شفيع في الجنة قال المظهر اي انا اول
شافع للعصاة من امتي في دخول الجنة وقيل اي انا اول شافع في الجنة لرفع درجات الناس فيها
لم يصدق نبي من الانبياء ما صدقت ما مصدرية اي لم يصدق نبي تصديقا مثل تصديق امتي اياي
يعني به كثرة مصدقيه قال المظهر وهذا كناية عن انه صلى الله عليه وسلم اكثر الانبياء امة ويؤيده
قوله وان من الانبياء نبيا ما صدقه الا رجل واحد رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي اي صفتي العجيبة الشان الغريبة البرهان
ومثل الانبياء اي من الاخوان المشتركين في اساس البنيان من التوحيد وتحقيق الايمان وتدقيق
الايقان مما يوجب مرتبة القرب والاحسان كمثل قصر اي بناء مرتفع احسن بنيانه اي زين بنيانه واكمل
ترك منه اي من القصر موضع لبنة [illegible] فطاف به
النظار بضم النون وتشديد الظاء المعجمة اي دار به الحاضرون وتفرج في جوانبه الناظرون يتعجبون
من حسن بنيانه اي يستحسنون انواع اركانه الا موضع تلك اللبنة فانه خارج عن موضع
الاستحسان داخل في موضع الاستغراب في ذلك الشان فكنت اي فصرت انا ضمير فصل للتاكيد
وافادة الحصر في وجه التاييد سددت موضع اللبنة اي بكوني خاتم النبيين ختم بي البنيان
حال او استيناف بيان والمراد به بنيان الدين المشبه بذلك البنيان وختم بي الرسل الظاهر
انهم هم بمعنى الانبياء اما على العموم بالترادف او باعتبار التجريد لان الرسول في امر بالتبليغ
ويدل عليه قوله وفي رواية فانا اللبنة وانا خاتم النبيين بكسر التاء ويفتح وفيه ايماء الى قوله
صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق قال الطيبي هذا من التشبيه التمثيلي شبه الانبياء
وما بعثوا به من الهدى والعلم وارشاد الناس الى مكارم الاخلاق بقصر شيد بنيانه واحسن
بناؤه لكن ترك منه ما يصلحه وما يسد خلله من اللبنة فبعث نبينا لسد ذلك الخلل مع مشاركته
اياهم في تاسيس القواعد ورفع البنيان هذا على ان يكون الاستثناء منقطعا ويجوز ان يكون
متصلا من حيث المعنى اذ حاصل المعنى يتعجبون من المواضع الا موضع تلك اللبنة ويشترك المصح

الامانا فنفر به من معنى المحبة وحق الحقيقة الذي يعنيه اهل العرفان وقوله فانا سددت موضع اللبنة
يحتمل ان يكون هذا السد بمثابة ذلك الموضع وان يشبه بنفسه ويكون بمنزلة اللبنة ويؤيد هذه
الرواية الاخرى من قوله فانا اللبنة متفق عليه وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من الانبياء من نبي زيدت من الثانية للمبالغة والاولى للتبعيض والمعنى
ليس نبي من الانبياء الا قد وفي الجامع الا وقد اعطي من الايات اي المعجزات وخوارق العادات ومن
بيان لما في قوله ما مثله امن عليه البشر ما موصولة ومثله مبتدأ وامن خبره وعليه يتعلق بامن
لتضمنه معنى الاطلاع كانه قال امن الاطلاع عليه البشر او حال بحذف اي امن البشر واقفا او مطلعا
عليه والمفعول محذوف والمعنى ان كل نبي قد اعطي من المعجزات ما اذا شوهد واطلع عليه دعا الى
التصديق به فاذا انقطع زمانه انقطعت تلك المعجزة هذا خلاصة بعض الشراح من علمائنا وقال
الطيبي من فيه بيانية ومن الثانية زائدة ترد بعد النفي وما في مثله موصولة وقعت مفعولا
ثانيا لاعطي ومثله مبتدأ وامن خبره والجملة صلة الموصول والراجع الى الموصول ضمير المجرور
في عليه وهو حال اي مغلوبا عليه في التحدي والمباراة والمراد بالايات المعجزات وموقع المثل
هنا موقعه في قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله اي مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو
الطبقة في حسن النظم يعني ليس نبي من الانبياء الا قد اعطاه الله تعالى من المعجزات الدالة
على نبوة النبي الذي هو من صفته انه اذا شوهد اضطر الشاهد الى الايمان به وتحريره ان كل نبي
اختص بما يثبت دعواه من خوارق العادات بحسب زمانه فاذا انقطع زمانه انقطعت تلك
المعجزة كقلب العصا ثعبانا في زمان موسى عليه السلام واخراج اليد البيضاء لان الغلبة في زمنه
السحر فاتاهم بما هو فوق السحر واضطرهم الى الايمان وفي زمن عيسى عليه السلام الطب فاتاهم
بما هو اعلى من الطب وهو احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفي زمن رسولنا صلى الله عليه وسلم
البلاغة والفصاحة فجاء القران فابطل الكل انتهى وفيه ان تقدم جهة قوله فابطل الكل
ان المقصود بيان ان في القران معجزة مستمرة دائمة الى انقراض الزمان بل الى الابد لانا نتلوه
في درجات الجنان بل يسمع من كلام الرحمن وهذا معنى قوله وانما كان الذي اوتيته وفي
الجامع اوتيت والموصول صفة لمحذوف اي كان خرق العادة الذي اعطيته بالخصوص وحيا اي كلاما
منزلا علي نزل به الروح الامين اوحى الله الي اي لا يخص فالمراد بالوحي هنا القران الذي هو نفس
دعوة وفي لفظه معجزة وهو لا ينقرض بموته كما لا ينقرض معجزاته ميزة قال القاضي وغيره اي معظم
الذي اوتيت وافيده اذ كان له غير ذلك معجزات من جنس ما اوتيته والمراد بالوحي القران البالغ
اقصى غاية الاعجاز في النظم والمعنى وهو اكثرها فائدة واعم منفعة من سائر المعجزات فانه يشتمل
على الدعوة والحجة ويستمر على مر الدهور والاعصار وينتفع به الحاضرون عند الوحي المشاهدون
له والغائبون عنه والموجودون بعده الى يوم القيامة على المستوى ولذلك رتب عليه قوله فارجو ان
اكون اكثرهم تبعا يوم القيامة وقد حقق الله رجاءه كما تقدم والله اعلم متفق عليه ورواه احمد ايضا
وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا اي من
الخصال لم يعطهن احد قبلي اي من الانبياء فمن المحال ان يعطى احد بعده من الاولى نصرت اي
نصرني ربي على اعدائي بالرعب بضم فسكون وبضمتين اي بخوف العدو مني مسيرة شهر اي قدر
مسيرة شهر بيني وبينه من قدام او وراء وفي شرح الطيبي الرعب الفزع والخوف وقد اوقع الله
تعالى في قلوب اعداء النبي صلى الله عليه وسلم الخوف منه فاذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر
هابوه وفزعوا منه وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا في شرح السنة اراد ان اهل الكتاب
لم يبح لهم الصلاة الا في بيعهم وكنائسهم واباح الله عز وجل لهذه الامة الصلاة حيث كانوا

تخفيفا عليهم وتيسيرا لهم خص من جميع المواضع الحمام والمقبرة والمكان النجس وقوله طهورا اراد به
التيمم انتهى وفي الحمام والمقبرة تفصيل لمذهبنا وفي زعمه انهم كانوا لا يصلون الا فيما تيقنوا
طهارته من الارض وخصصنا بجواز الصلاة في جميع الارض الا فيما تيقنا نجاسته ثم فرع بعموم
هذا الحكم وفرع على ما قبله بقوله فايما رجل اي شخص من امتي ادركته الصلاة اي وجبت عليه ودخل
وقتها في اي موضع فليصل اي في ذلك الموضع بالشروط المعتبرة في صحة الصلاة واحلت لي الغنائم
اي الغنائم وهي الاموال الماخوذة من الكفار ولم تحل وفي نسخة بصيغة المجهول اي لم تبح الغنائم
لاحد قبلي اي من الانبيا بل غنايمهم توضع فتاتي نار تحرقها هكذا اطلقه بعض الشراح من علمائنا
وقال ابن الملك اي من قبلنا من الامم اذا غنموا الحيوانات يكون ملكا للغانمين دون الانبيا فخص
نبينا صلى الله عليه وسلم باخذ الخمس والصفي واذا غنموا غيرها جمعوه فتاتي نار تحرقه انتهى
ولعل الحكمة في احراق الغنيمة تحصيل تخليص النية وتزيين الطوية في مرتبة الاخلاص
في الجهاد والله اعلم بالعباد والرؤف بالعباد واعطيت الشفاعة اللام فيه للعهد اي الشفاعة
العامة للاراحة من المحشر المعبر عنها بالمقام المحمود الذي يغبطه عليه الاولون والاخرون وكان
النبي اللام فيه للاستغراق اي وكان كل نبي من قبلي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس
اي الى انواع مختلفة منهم من مختصر بقومه من العرب عامة اي شاملة للعرب والعجم قال الطيبي
التعريف في النبي لاستغراق الجنس وهو اشمل من لو جمع لما تقرر في علم المعاني ان استغراق
المفرد اشمل من استغراق الجمع لان الجنسية في المفرد قايمة في وحدانه فلا يخرج منه شيء وفي الجمع
قايمة في الجمعية من المجموع فيخرج منه واحدا واثنان على الخلاف في ان اقل الجمع اثنان او ثلاثة
انتهى وقيل اللام فيه للجنس عند النحويين وللعهد عند الاصوليين وتقول بانه للماهية المتعلقة
بالذهن لا لتعيين الذات وتلك الماهية هي النبوة متفق عليه ورواه النسائي وفي رواية احمد
عن علي كرم الله وجهه اعطيت ما لم يعطه احد من الانبيا قبلي نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض
وسميت احمد وجعل لي التراب طهورا وجعلت امتي خير الامم وروى الحارث وابن مردويه عن انس
ولفظه اعطيت ثلاث خصال اعطيت صلاة في الصفوف واعطيت السلام وهو تحية اهل الجنة
واعطيت امين ولم يعطه احد ممن كان قبلكم الا ان يكون الله اعطاها هرون فان موسى كان
يدعو ويومن هرون وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فضلت على الانبيا بست قال التوربشتي وفي حديث جابر بخمس ولعل هذا باختلاف الزمان
يقوم في حديث الخمس متقدما وذلك انه اعطيها فحدث بها ثم زيد السادس فاخبر عنه قال
ابن الملك فان قلت هذا انما يثبت لو تاخر لنا على الزيادة قلت ان ثبت فلا كلام
والا فيحمل على انه اخبار عن زيادة فضيلة المستقبل عن عشيته بالماضي تحقيقا لوقوعه انتهى وقال
صاحب الخلاصة ويجوز ان يكون ذكر الخمس والست لمناسبة المقام وحينئذ جاز ان يكون
سبعا كما اذا ضم الشفاعة الى هذه الست ثلث ويجوز ان يكون زايدة على التسع لما سيأتي ولما
تقدم والله اعلم اعطيت جوامع الكلم اي قوة ايجاز في اللفظ مع بسط في المعنى فابين بالكلمات
اليسيرة المعاني الكثيرة وقد جمعت اربعين حديثا من الجوامع الواردة على الكلمتين لا اكثر مما
يتصور منه تركب الكلام وفيها نبذة منه اشارة الى المرام نحو قوله عليه السلام العدة دين والمستشار
موتمن ولا تغضب وامثال ذلك وقد روى ابو يعلى في مسنده عن عمر رضي الله عنه اعطيت جوامع
الكلم واختصر لي الكلام اختصارا وفي شرح السنة قيل جوامع الكلم هي القرآن جمع الله تعالى
سبحانه بلطفه معاني كثيرة في الفاظ يسيرة وقيل ايجاز الكلام في اشباع من المعنى فالكلمة
القليلة الحروف منها يتضمن كثيرا من المعاني وانواعا من الكلام ونصرت بالرعب اطلقه هنا

ذكرناه فيما سبق بمسيرة شهر واحلت لي اي لاجلي لامتي الغنايم وجعلت لي الارض مسجدا
وطهورا وارسلت الى الخلق كافة اي الى الموجودات باسرها عامة من الجن والانس والملك والحيوانات
والجمادات كما بينته في الصلوات العلية في الصلوات المحمدية قال الطيبي يجوز ان يكون كافة مصدرا
اي ارسلت ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد وان يكون
حالا اما من الفاعل وان التاء فيه للمبالغة كالراوية والعلامة واما من المجرور اي مجموعهم
وختم بي النبيون اي وجودهم فلا يحدث بعدي نبي ولا يشكل بنزول عيسى عليه السلام وتردد
دين نبينا صلى الله عليه وسلم على اتم النظام وكفى به شهيدا شرفا وناهيك به فضلا على سائر
الانام قال الطيبي اغلق باب الوحي وقطع طريق الرسالة وسد واخبر باستغنا الناس من
الرسل واظهار الدعوة بعد تصحيح الحجة وتكميل الدين كما قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم
واما باب الالهام فلا ينسد وهو مدد يعين النفوس الكاملة فلا ينقطع لدوام الضرورة
حاجتها الى تاكيد وتجديد وتذكير وكما ان الناس استغنوا عن الرسالة والدعوة احتاجوا
الى التذكير والتنبيه لاستغراقهم في الوساوس وانهماكهم في الشهوات فالله تعالى
اغلق باب الوحي بحكمته وفتح باب الالهام برحمته لطفا منه بعباده رواه مسلم وكذا
الترمذي وفي رواية الطبراني عن السايب بن يزيد فضلت على الانبيا بخمس بعثت الى الناس
كافة وادخرت شفاعتي لامتي ونصرت بالرعب شهرا امامي وشهرا خلفي وجعلت لي الارض
مسجدا وطهورا واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وفي رواية البيهقي عن ابي امامة
فضلت باربع جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الناس كافة ونصرت بالرعب
من مسيرة شهرين يسير بين يدي واحلت لي الغنايم وفي رواية الطبراني عن ابي الدردا
فضلت باربع جعلت انا وامتي في الصلاة كما تصف الملايكة وجعل لي الصعيد وضوءا
وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واحلت لي الغنايم فبعض الاحاديث واذا دل بمنطوقه
على انه صلى الله عليه وسلم مخصوص من عند الله تعالى بفضايل متعددة لكن لا يدل بمفهومه
على حصر فضايله في مخصوصة وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا انا نايم رايتني اتيت
بمفاتيح خزاين الارض فوضعت في يدي الظاهر انه من كمال مشاهدة الله تعالى له ولامته
من افتتاح البلاد المتعددات واستخراج الكنوز المتنوعات انتهى والمراد بخزاين
الارض التي فيها الذهب والفضة وسائر المعادن متفق عليه ورواه النسائي وعن ثوبان
وهو مولى النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
زوى لي الارض اي جمعها لاجلي قال التوربشتي زويت الشيء جمعته وقبضته يريد به
تقريب البعيد منها حتى اطلع عليها اطلاعه على القريب منها وحاصله انه طوى له الارض
وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة نظره وكذا قال فرايت مشارقها ومغاربها اي جميعها وان
امتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها قال الخطابي توهم بعض الناس ان من في منها للتبعيض وليس
ذلك كما توهمه بل هي للتفصيل للجملة المتقدمة والتفصيل لا يناقض الجملة ومعناه ان الارض
زويت لي جملتها مرة واحدة فرايت مشارقها ومغاربها ثم هي تفتح لامتي جزءا فجزءا حتى يصل ملك
امتي الى كل اجزائها انتهى ولعل وجه من قال بالتبعيض هو ان ملك هذه الامة ما بلغ جميع
الارض فالمراد بالارض ارض الاسلام وان ضمير منها راجع اليها على سبيل الاستخدام
والله اعلم بالمرام واعطيت الكنزين الاحمر والابيض بدل مما قبلهما اي كنز الذهب والفضة
قال التوربشتي يريد بالاحمر والابيض خزاين كسرى وقيصر وذلك ان الغالب على نقود مما

كسرى الدنانير والغالب في نقود ممالك قيصر الدراهم ولما سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة
عامة أي بقحط جامع لجميع بلاد المسلمين قال الطيبي السنة القحط والجدب وهي من الأسماء الغالبة
وأن لا يسلط عليهم عدوا وهم الكفار وقوله من سوى أنفسهم صفة عدوا أي كائنا من سوى
أنفسهم وإنما قيد بهذا القيد لما سأل أولا ذلك فمنع كما يأتي في الحديث الآتي فيستبيح
أي العدو وهو مما يستوي فيه الجمع والمفرد بيضتهم قال ابن الملك أي مجتمعهم وموضع سلطانهم
ومستقر دعوتهم وبيضة الدار وسطها ومعظمها أراد عدوا يستأصلهم ويهلكهم جميعهم
قيل أراد إذا أهلك أصل البيضة كان هلاك كل ما فيها من طعم أو فرخ وإذا لم يهلك أصل البيضة ربما سلم بعض فراخها وإني قضيت في السبب
والمسبب معا فيفهم منه أنه قد يسلط عليهم عدو لكن لا يستأصلهم فهم وإن ربك قال
يا محمد إني إذا قضيت قضاء أي حكمت حكما مبرما فإنه لا يرد أي بشيء بخلاف الحكم المعلق بشرط
وجود شيء أو عدمه كما حقق في باب الدعاء وأن رد البلاء وإني أعطيتك أي عهدي وميثاقي
لأمتك أي لأجل أمتك أي أجابتك في الأولى في قوله سألت ربي لأمتي أي أعطيت سؤلك
لدعائك لأمتك الكاف هو المفعول الأول وقوله أن لا أهلكهم المفعول الثاني كما هو في قوله سألت
ربي أن لا يهلكها هو المفعول الثاني وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم
ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أي بأطرافها جمع قطر وهو الجانب والناحية والمعنى
فلا يستبيح عدو من الكفار بيضتهم ولو اجتمع على محاربتهم من أطراف بيضتهم وجواب لو ما يدل
عليه قوله وأن لا أسلط حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا حتى بمعنى كي عطف على
يهلك أي ويأسر بعضهم بوضع الظاهر موضع المضمر بعضا أي بعضا آخر وفي نسخة بالنصب
على أن يكون عطفا على يكون قال الطيبي حتى بمعنى كي أي لكي يكون بعض أمتك يهلك بعضا
فقوله إني إذا قضيت قضاء فلا يرد توطئة لهذا المعنى ويدل عليه حديث خباب بن الأرت
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني سألت الله ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني
واحدة سألته أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيه وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من
غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها قال المظهر اعلم أن
الله تعالى في خلقه قضاءين مبرما ومعلقا بفعل كما قال إن فعل الشيء الفلاني كان كذا
وكذا وإن لم يفعله فلا يكون كذا وكذا من قبيل ما يتطرق إليه المحو والإثبات كما قال تعالى
في محكم خطابه يمحو الله ما يشاء ويثبت وأما القضاء المبرم فهو عبارة عما قدره سبحانه
في الأزل من غير أن يعلقه بفعل فهو في الوقوع نافذ غاية النفاذ بحيث لا يتغير بحال ولا يتوقف
على المقضي عليه ولا المقضي له لأنه من علمه بما كان وما يكون وخلاف معلومه مستحيل قطعا
وهذا من قبيل ما لا يتطرق إليه المحو والإثبات قال تعالى لا معقب لحكمه وقال النبي
عليه السلام لا مرد لقضائه ولا مرد لحكمه فقوله صلى الله عليه وسلم إذا قضيت قضاء
فلا يرد من القبيل الثاني ولذلك لم يجب إليه وفيه أن الأنبياء مستجابو الدعوة
إلا في مثل هذا رواه مسلم وعن سعد أي ابن أبي وقاص أحد العشرة المبشرة بالجنة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمسجد من بني معاوية ثم بطن من الأنصار أي كان
المسجد في المدينة دخل حال أو استئناف بيان وفي رواية البغوي فدخل أي دخل المسجد
فركع أي فصلى فيه ركعتين أي تحية أو سنة وصلينا معه أي موافقة ومتابعة ودعا أي
فناجى كما في رواية ربه طويلا أي زمنا كثيرا أو دعاء عريضا بعد الصلوات والظاهر أن أصحابه
دعوا معه أو أمنوا ولا يظهر أن طويلا قيد للصلاة والدعاء لما سيأتي في حديث خباب في أول

الفصل الثالث ثم انصرف إلينا فقال سألت ربي ثلاثا أي من المسؤلات أو ثلاث مرات
فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة فيه زيادة توضيح سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة أي
بالقحط العام فأعطانيها أي المسألة وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق بفتحتين وفي نسخة
بسكون الراء أي بالغرق العام كقوم فرعون في النيل وقوم نوح بالطوفان فأعطانيها وسألته
أن لا يجعل بأسهم أي حربهم الشديد بينهم فمنعنيها رواه مسلم وعن عطاء بن يسار وهو من
أجلاء التابعين قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت أخبرني أي أريد أن تخبرني عن
صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي نعته في التوراة قال أجل بفتحتين وسكون
اللام المخففة قال الطيبي هو حرف يصدق به الخبر خاصة يقول لمن قال قام زيد أجل وزعم بعضهم
أن نوعه بعد الاستفهام وفي الحديث جاء بالأمرين ثانيا ولما قرأ التوراة هل وجدت صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فأخبرني قال أجل أي نعم أخبرك والله إنه لموصوف في
التوراة ببعض صفته في القرآن أي بالمعنى كقوله يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا حال مقدرة
من الكاف أو من الفاعل أو مقدرا أي مقدرين شهادتك على من بعثت إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم
أي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم ذكره الطيبي وشاهدا
لأفعال أمتك يوم القيامة ولجميع الأنبياء بتبليغهم كما قال تعالى فكيف إذا جئنا من كل
أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا أو مزكيا لأمتك في شهادتهم على الأمم بتبليغ رسالة
الأنبياء إليهم كما قال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا وقد تقدم والله أعلم أو مشاهدا للحضرتين وأرادتك في
الخلق كما يشير إليه قوله ومبشرا أي للمؤمنين بالمثوبة ونذيرا أي منذرا ومخوفا للكافرين
بالعقوبة وحرزا بكسر الحاء وسكون الراء للأميين قال القاضي أي حصنا وموئلا للعرب يتحصنون
به من غوائل الشيطان أو عن سطوة العجم وتغلبهم وإنما سموا أميين لأن أغلبهم لا يقرؤون
ولا يكتبون انتهى أو لأنهم ينسبون إلى أم القرى وهي مكة أو لكون نبيهم أميا ولعل هذا الوجه
في هذا المقام أوجه ليشمل جميع الأمة ولا ينبغي متمسك لليهود في ما زعموا من أنه مبعوث
إلى العرب خاصة فإنه بذكره لا ينفي ما عداه مع أنه وقد قال تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس
بشيرا ونذيرا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعي قال ابن
الملك ويجوز أن يكون المراد بالحرز حفظ قومه من عذاب الاستئصال والحفظ لهم من العذاب
ما دام فيهم قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم أنت عبدي أي الخاص كما وصفه في القرآن
في مواضع سبعة بإضافته إلى الله أو ضميره إضافة تشريف ورسولي أي الأخص كما قال تعالى
في مواضع من القرآن هو الذي أرسل رسوله بالهدى فالإضافة للعهد كما يقال أكرم زيد عبده
إذا كان له عبيد متعددة مع أنه إذا أطلق اسم الجنس فالمراد به الفرد الأكمل قال سميتك
المتوكل أي خصصتك بهذا الوصف لكمال توكلك على ربك في نفوذ أمره وتسليمك لدينه عملا بما في القرآن
وتوكل على الحي الذي لا يموت وكذا في قوله سبحانه لا نسألك رزقا نحن نرزقك ورزق ربك خير
وأبقى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولذا توكله عليه وإشارة إليه
ليس بفظ التفات فيه تفنن للمتفنن قال الطيبي يحتمل أن يكون ابتداء خبر في التوراة بيان
صفته وأن يكون حالا من المتوكل أو من الكاف في سميتك فعلى هذا فيه التفات انتهى والمعنى
ليس بسيئ الخلق والقول ولا غليظ أي ضخيم كريه الخلق أو سيئ الفعل أو غليظ القلب وهو الأظهر
لقوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب أي شديده وقساوته فيناسب حينئذ أن يكون الفظ معناه
بذاءة اللسان فيه إيماء إلى طهارة عضويه لكرم بيمين ما دل على الطبع وسخ هو في النفس الذي

ظهر

بيغهم

العقد

وقد قال الكلبي فظا من القول غليظ القلب في الفعل ولا سخاب بتشديد الخاء المعجمة اي صيّاح
في الاسواق قال الطيبي اي هو لين الجانب شريف النفس لا يرفع الصوت على الناس لسوء
خلقه ولا يكثر الصياح عليهم في السوق لدناءته بل يلين جانبه لهم ويرفق بهم قلت
فهو مقتبس من قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم او ماخوذ من قوله تعالى رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يدفع بالسيئة السيئة لقوله تعالى وجزاء سيئة
سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله وقوله سبحانه ادفع بالتي هي احسن الاية
واطلاق السيئة على جزائها اما للمشاكلة او المقابلة وكونه في صورة السيئة او باعتبار
ان دفعها بالحسنة كانه سيئة ومنه قولهم حسنات الابرار سيئات المقربين ولكن
يعفو اي عن المسيء ويغفر اي يستر ويدعو له بالمغفرة لقوله تعالى فاعف عنهم واستغفر
لهم وهذا ارفع مراتب معاملة مع المسيئين وكان فيه تلميحا بهم بالاحسان اليهم لقوله تعالى
والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ولن يقبضه بالياء التحتية
في الاصول المعتمدة وفي نسخة بالنون وبوبيد الا وفي نسخة صحيحة ولن يقبضه الله
بزيادة لفظ الجلالة وكذا الحاكم في الانفال الا بتة قال الطيبي وكذا الثقات في قوله
ولن يقبضه بالياء المثناة من تحت في روايات المشكوة وبعضها ما في شرح السنة ولن
يقبضه الله حتى يقيم به اي يقوّم بسطته الملة العوجاء كاليهود والنصارى والكفار ويصدون
عن سبيل الله ويبغونها عوجا وقال في مدح دين الاسلام ذلك الدين القيم وانك لتهدي الى
صراط مستقيم قال القاضي يريد به ملة ابراهيم فانها قد اعوجت في ايام الفترة فزيدت
ونقصت وغيرت وبدلت وما زالت كذلك حتى قام الرسول صلى الله عليه وسلم فاقامها
الله واداها بان يقولوا لا اله الا الله متعلق بيقيمه وفيه ايماء الى ان اقامتها التوحيد
في اداامة معنى هذه الكلمة من العزيز وقال شارح المصابيح قال الله تعالى ولن يقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تقيم به الملة العوجاء حتى يجعلها مستقيمة
مما كانت العرب تتدين بها وتزعم انها ملة ابراهيم واساقها بالعوجاء
الانساع كما يقال للكفر ملة ويفتح بالياء والنون على ما سبق وهو منصوب عطفا على قوله
يقيم وفي نسخة بهما السيد بالرفع في القطع اي وهو يفتح او نفتح بها اي بواسطة هذه الكلمة
وفي نسخة به اي بهذا النبي او بهذا القول اعينا بالنصب على ما في جميع نسخ المشكاة عميا
بضم اوله جمع اعمى قال الطيبي هذا رواية البخاري والدارمي وكتاب الحميدي وجامع الاصول
وفي المصابيح يفتح بها اعين عمي على بناء المفعول
اصحها الرواية بهوان المعطوف عليه بصيغة الا بالخلاف على الخلاف انه بالياء او النون
ثم قوله واذانا الخ على هذا المنوال وهو بمد الهمزة جمع اذن وقلوبا غلفا بضم
اوله جمع اغلف وهو الذي لا يفهم كانه تلبسه في غلاف واعمالها كونها للاعضاء الات العلوم
والمعارف قال تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة
وقال صم بكم عمي فهم لا يعقلون ولعله لم يذكر اللسان لانه ترجمان
الجنان والانا يترشح بما فيه من الاشياء قال الطيبي قلت
في التوراة بعض صفته في القرآن ليستدل بذلك ان المذكورات كلها مثبتة في القرآن
قلت اجلا ما قوله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا الى قوله الاميين يجمعه
هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
المتوكل الى قوله ولكن يعفو ويغفر في قوله تعالى فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولو كنت

فظا

فظا غليظ القلب الى قوله ان الله يحب المتوكلين وقوله ولا سخاب في الاسواق في قوله تعالى
فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين اي دم على التسبيح والتحميد واجعل نفسك من الذين
لهم مشاهدة ونصيب وافرغ في السجود فلا تغفل ولا تشتغل بغيرها ومن ثم قال صلى الله
عليه وسلم ما اوحي الي ان اكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان اكون من الساجدين فقوله
ولا سخاب في الاسواق من قبيل قوله تعالى ولا شفيع يطاع اذ هو يحتمل ان يراد به نفي
سخاب وحده ونفيهما معا وهو المراد هنا قلت ويحتمل ان يكون قوله في الاسواق قيدا
معتبرا في النفي احترازا من رفع صوته في القراءة والخطبة في المساجد قال وقوله ولا يدفع
بالسيئة السيئة في قوله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن وقوله
حتى يقيم به الملة العوجاء في قوله تعالى قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فانما يوحى الي
الا انما التوحيد وانفي الشرك قال قلت كيف الجمع بين قوله ونفتح بها اعينا
عميا وبين قوله تعالى وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم قلت دل ايلاء الفاعل
المعنوي حرف النفي على ان الكلام في الفاعل وذلك انه تعالى نزله لحرصه على ايمان القوم
منزلة من يدعي استقلاله بالهداية فقال له انت لست بمستقل فيه بل انك لتهدي
الى صراط مستقيم باذن الله وتيسيره انتهى وحاصله انه قد ينسب الهداية اليه صلى
الله عليه وسلم نظرا الى كونه من اسباب الهداية ومنه قوله سبحانه انك لا تهدي من احببت
ليكون من قبيل قوله تعالى وما رميت اذ رميت اي ما رميت خلقا وحقيقة اذ رميت
كسبا وصورة ولكن الله رمى حيث جعلك قادرا على الرمي وفاعلا له ولا ظهور في نفي الهداية
عنه انما هو بالنسبة الى من لم يرد الله هدايته واثباتها له فيمن اراده لهذا فلا منافاة
فهو صلى الله عليه وسلم مظهر هدايته كما ان ابليس مظهر ضلالته والا فهو سبحانه يضل
من يشاء ويهدي من يشاء من يضلل الله فلا هادي له ومن يهد الله فلا مضل له
رواه البخاري اي عن عطاء بن يسار وكذا الدارمي عن عطاء عن ابن سلام وهو صحابي مشهور
نحوه اي نحو ما رواه البخاري في المعنى مع نوع مخالفة في اللفظ وقال شارح المصابيح
في بعض نسخ المصابيح رواه عطاء بن سلام وهو غلط والصواب رواه عطاء عن ابن سلام
يعني عبد الله بن سلام وعطاء هو عطاء بن يسار الراوي عن عبد الله بن عمرو انتهى وحاصله
ان عطاء بن يسار روى هذا الحديث من طريق عمرو كما رواه البخاري ويرويه ايضا من
طريق ابن سلام كما رواه الدارمي والمناسب للصحاح المعبر عنه بالفصل الاول هو رواية
البخاري وقابليته بروايتها الدارمي للالتزام السابق وبه يحصل نوع اعتراض لصاحب
المشكوة على البغوي مع قطع النظر عن غلطية بعض نسخ المصابيح وذكر حديث ابي هريرة
نحن الاخرون اي السابقون يوم القيمة الحديث بطوله في باب الجمعة لكونه انسب
بذلك الباب باعتبار اواخر الحديث وفيه فهو من المؤلف اعتذار قولي واعتراض فعلي

الفصل الثاني

عن خباب رضي الله تعالى عنه بفتح الخاء المعجمة وتشديد الباء
الموحدة الاولى ابن الارت بفتح الهمزة والراء وتشديد الفوقية صحابي مشهور قال
صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فاطالها اي جعلها طويلة باعتبار اركانها
او بالدعاء فيها قالوا يا رسول الله صليت صلاة اي عظيمة لم تكن تصليها اي عادة قال اجل
اي نعم انها صلاة رغبة اي رجاء ورهبة اي خوف قال شارح اي صلاة فيها رجاء الثواب ورغبة
الى الله وخوف منه تعالى قلت الاظهر ان يقال المراد بان هذه صلاة جامعة بين قصد رجاء
الثواب وخوف العقاب بخلاف سائر الصلوات اذ قد يغلب فيها احد الباعثين على الاخر

الفصل الثاني عن خباب

فالواو في قوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا بمعنى او لما نقله الحلومي لما كان سبب صلاة
الدعاء منه وهو كائن بين رجاء الاجابة وخوف الرد طوله ولذا قال واني سألت الله فيها
ثلاثا اي ثلاث مسائل فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة تصريح بما علم ضمنا سألته ان لا يهلك
امتي بسنة اي بقحط عام وفي معناه الوباء والمقصود ان لا يهلكوا بالاستئصال فاعطانيها
وسألته ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم اي من الكفار لان العدو من انفسهم اهون ولانه
يحصل به الهلاك الكلي ولا اعلاء كلمة التشفي فاعطانيها وسألته ان لا يذيق بعضهم بأس
بعض اي حربهم وقتلهم وعذابهم فمنعنيها اي لما سبق من الحكمة قال الطيبي هو من قوله
تعالى او يلبسكم شيعا اي يجعل كل فرقة منكم متابعة لامام وينشب القتال بينكم
وتختلطوا وتشتبكوا في ملاحم القتال يضرب بعضكم رقاب بعض ويذيق بعضكم بأس
بعض المعنى يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى انتهى ذكره بيانا لما اتصل الى البخاري
مسندا الى جابر قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم
قال اعوذ بوجهك او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم
بأس بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اهون او هذا ايسر رواه الترمذي
والنسائي وعن ابي مالك الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله عز وجل اجاركم اي حفظكم وانقذكم من ثلاث خلال اي خصال ان لا يدعوا عليكم
نبيكم اي يحكم بعضكم قال ابن الملك والاظهر انه لا يدعوا عليكم دعاء الاستئصال
فتهلكوا جميعا اي كما دعا نوح وموسى ذكره ابن الملك لكن دعا موسى كان خاصا ببعض
قومه وهو القبط دون السبط وان لا يظهر اي لا يغلب اهل الباطل اي وان كثر
انصاره على اهل الحق اي وان قل اعوانه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي
ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة على ما رواه الحاكم عن عمر وفي رواية ابن ماجه عن ابي هريرة
لا تزال طائفة من امتي قوامة على امر الله لا يضرها من خالفها ولعله مقتبس من قوله
تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون
وفي المصابيح على الحق قال شارح له اي بحيث يمحقه ويطفي نوره وان كانت الرواية
على اهل الحق فانما زاد به الظهور كل الظهور حتى لا يبقى لهم حيلة ولا جماعة قال التوربشتي
يريد ان الباطل وان كثرت انصاره فلا يغلب الحق بحيث يمحقه ويطفي نوره ولم يكن بحمد الله
مع ما ابتلينا به من الامر الفادح والمحنة العظمى بتسلط الاعداء علينا ومع استمرار
الباطل فالحق ابلج والشريعة قائمة لم تخمد نارها ولم يندرس منارها وان لا تجتمعوا على
ضلالة اي وان لا تتفقوا على شيء باطل وهذا يدل على ان اجماع الامة حجة وان ما هو حسن
عند الناس فهو حسن عند الله ويقويه قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا فهذا ما
حسن لقولهم الاجماع حجة استنبطه الشافعي رحمه الله من الكتاب قال العسقلاني
الطيبي وحرف النفي في القران زائد مثل قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد فايدته تأكيد
معنى الفعل الذي عليه وتحقيقه وذلك ان الاجارة انما تستقيم اذا كانت الخلال
مستثناة او منفية رواه ابو داود وعن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لن يجمع الله على هذه الامة سيفين سيفا منها وسيفا من عدوها اي بل
اختار الله الاسلم منهما وهو السيف منها دون السيف من عدوها على وجه الاستئصال
والا فقد يجتمعان في بعض الاحوال نفيه اشارة الى بقاء الملة وبشارة في حفظ هذه

الامة

٣٥٤

الامة الى يوم القيامة لما صح في مسلم عن جابر بن سمرة مرفوعا لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة
من المسلمين حتى تقوم الساعة وقال القاضي معناه ان سيوفهم وسيوف اعدائهم لا يجتمعان عليهم فيؤدي
الى استئصالهم بل اذا جعلوا بأسهم بينهم سلط عليهم العدو فيشغلهم به عن انفسهم ويكف عنهم بأسهم وهو
من قول الشيخ التوربشتي وقال الطيبي الظاهر انه تعالى وعد ان لا يجمع على امتي محاربتين
محاربة بعضهم بعضا ومحاربة الكفار معهم بل يكون احدهما فاذا كانت احداهما لا يكون الاخرى لانه موافق
للاحاديث السابقة لانه صلى الله عليه وسلم سأل ربه تعالى ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيستبيح بيضتهم
وسأله ان لا يذيق بعضهم بأس بعض فأجاب الاول ومنع الثاني فلم يجمع بين المحنتين رواه ابو داود
وعن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجمع الله على هذه الامة سيفين سيفا
منها وسيفا من عدوها بل اختار الله الاسلم منهما وهو السيف منها دون السيف من عدوها على وجه الاستئصال
والا فقد يجتمعان في بعض الاحوال نفيه اشارة الى بقاء الملة وبشارة في حفظ هذه الامة الى يوم القيامة
لما صح في مسلم عن جابر بن سمرة مرفوعا لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى
تقوم الساعة وقال القاضي ان سيوفهم وسيوف اعدائهم لا يجتمعان عليهم فيؤدي الى استئصالهم
بل اذا جعلوا بأسهم بينهم سلط عليهم العدو فيشغلهم به عن انفسهم ويكف شر بأسهم وهو من قول
الشيخ التوربشتي وقال الطيبي الظاهر انه تعالى وعد ان لا يجمع على امتي محاربتين محاربة
بعضهم بعضا ومحاربة الكفار معهم بل يكون احدهما فاذا كانت احداهما لا يكون الاخرى لانه موافق للاحاديث
السابقة لانه صلى الله عليه وسلم سأل ربه تعالى ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيستبيح بيضتهم وسأله ان لا
يذيق بعضهم بأس بعض فأجاب الاول ومنع الثاني فلم يجمع بين المحنتين رواه ابو داود وعن العباس
انه جاء غضبانا اي الى النبي صلى الله عليه وسلم فكانه سمع شيئا اي من الطعن في نسبه او حسبه فقام
النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر اي ليكون نبيا لامره اظهر في رؤس المحضر فقال من انا استفهام تقرير في
جهة التبكيت فقالوا انت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
يعني وهما معروفان عند العارف المنتسب قال الطيبي قوله فكانه سمع مسبب عن محذوف اي جاء العباس
غضبان بسبب ما سمع طعنا من الكفار في نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو قوله تعالى لولا نزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم كانهم حقروا شأنه وان هذا الامر العظيم الشأن لا يليق الا بمن
هو عظيم من احد القريتين كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي مثلا فاجابهم صلى الله عليه وسلم
على سبيل التبكيت بما يلزم تعظيمه وتفخيمه فانه اولى بهذا الامر من غيره لان نسبه اعرف واعلى
واشرف ومن ثم لما قالوا انت رسول الله ردهم بقوله انا محمد بن عبد الله وبقصد هذا الترديد
ما روى البخاري عن ابي سفيان انه حين سأله هرقل اسألك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل
تبعث في نسب قومها الا ترى كيف جعلا النسب ظرفا للبعث [illegible] النسب انتهى ثم اشار
الى بيان ما ارزقه الله من طهارة نسبه ونظافة حسبه عموما وخصوصا تحدثا بالنعمة وترغيبا للامة
في امرنا بقوله ان الله خلق الخلق اي الجن والانس وابعد الطيبي وادخل الملك معهم لقوله فجعلني
في خيرهم وهم الانس ثم جعلهم اي صير هذا الخير يعني المختار [illegible] فرقتين اي عربا وعجما فجعلني في خير
فرقة وهم العرب ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة يعني قريشا ثم جعلهم بيوتا اي بطونا فجعلني
في خيرهم بيتا يعني بطن بني هاشم فانا خيرهم نفسا اي ذاتا وحسبا وخيرهم بيتا اي بطنا ونسبا واليه
اشار تعالى بقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم وقوله لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
بفتح الفاء في قراءة شاذة صحيحة قال الطيبي قوله ثم جعلهم فرقتين اشارة الى بيان الطبقات الست
التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل
خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب

عظيم التوربشتي عن نسبه صلى الله عليه وسلم [illegible]

لان القبائل تتشعب منها فقوله خلق الخلق اي الملائكة والثقلين فجعلني في خيرهم اي في العرب وهم فرقتان
بفضل الله ولطفه على ما في نسخة الاولى خير الخلق نفسا اي خلقني انسانا رسولا خاتما للرسل امام
دائرة المرسلين وجعلني نقطة تلك الدائرة يطوف جميعهم حولي ويحتاجون اليّ وخيرهم بطنا حيث نقلني من
طيب الى طيب الى ان نقلني من صلب عبد الله بالنكاح من اشرف القبائل والبطون فانا افضل خلق الله تعالى
عليه واكرمهم لديه رواه الترمذي ولفظ الجامع ان الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم وخير الفرقتين
ثم خير القبائل فجعلني من خير القبيلة ثم خير البيوت فجعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة اي ثبتت قال وآدم اي وجبت
لي النبوة والحال ان آدم بين الروح والجسد يعني وانه مطروح على الارض صورة بلا روح والمعنى انه قبل
تعلق روحه بجسده قال الطيبي هو جواب لقولهم متى وجبت اي وجبت في هذه الحالة فعامل الحال
وصاحبها محذوفان رواه الترمذي ورواه ابن سعد وابو نعيم في الحلية عن ميسرة الفخر وابن سعد
عن ابي الجدعاء والطبراني في الكبير عن ابن عباس بلفظ كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد كذا في الجامع
وقال ابن ديبع اخرجه احمد والبخاري في تاريخه وصححه الحاكم وروى ابو نعيم في الدلائل وغيره من
حديث ابي هريرة مرفوعا كنت اول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث واما ما يدور على الالسنة
بلفظ كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فقال السخاوي لم اقف عليه بهذا اللفظ فضلا عن زيادة وكنت نبيا
ولا ماء ولا طين وقال الحافظ ابن حجر في بعض اجوبته ان الزيادة ضعيفة وما قبلها قوي وقال الزركشي
لا اصل له بهذا اللفظ ولكن في الترمذي متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد قال السيوطي
وزاد العوام ولا آدم ولا ماء ولا طين ولا اصل له ايضا وعن العرباض بن سارية بكسر العين صحابي
جليل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني عند الله مكتوب خاتم النبيين بفتح التاء
وكسرها وهو مرفوع على انه نائب الفاعل وقيل منصوب على النهي اي مكتوب من هذه الحيثية وان آدم
لمنجدل من الجدل وهو الالقاء على الارض الصلبة والحال انه لساقط وملقى في طينته اي خلقته وهو خبر
ثان لان والجملة حال من ضمير مكتوب اي كنت خاتم الانبياء في الحال التي آدم مطروح على الارض حاصل
في اثنا خلقته لما يفرغ من تصويره ونفخ الروح به كذا ذكره التوربشتي وسأخبركم باول امري فيه ذاك اي
باول ما ظهر من نبوتي ورفعتي في الدنيا على لسان ابي الملة ابراهيم عليه السلام وقوله دعوة ابراهيم
بالرفع اي هو دعوة ابراهيم حين بنى الكعبة فقال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعاءه
وفي نسخة بالجر على البدلية مما قبله وكذا قوله وبشارة عيسى يعني قوله ومبشرا برسول يأتي من بعدي
اسمه احمد ورؤيا امي التي رأت حين وضعتني قال الطيبي وغيره يحتمل ان يراد منها الرؤية في المنام
وفي اليقظة فعلى الاول معنى وضعت اي شارفت وقربت من الوضع وذلك لما روى ابن الجوزي في
كتاب الوفا ان امه صلى الله عليه وسلم رأت حين دنت ولادتها اتاها آت فقال قولي
اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم بعد ان رأت حين حملت به ان اتيا اتاها وقال هل شعرت انك
حملت بسيد هذه الامة ونبيها وعلى الثاني يكون المراد محذوفا ويدل عليه قوله وقد خرج اي ظهر
لها اي لامي نور اضاءت اي بينت لها منه اي من ذلك النور قصور الشام وذلك النور عبارة عن ظهور
نبوته ما بين المشرق والمغرب واضمحلت ظلمة الكفر والضلالة وفي نسخة بنصب قصور وهو لا يخلو
من قصور لوجود منه لازما فاضاءت لازما وقاصرا رواه البغوي الحديث بكماله في شرح السنة
اي باسناده عن العرباض ورواه احمد عن ابي امامة من قوله ساخبركم الخ قلت وفي صحيح ابن حبان
والحاكم عن العرباض اني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وروى ابن عساكر
عن عبادة بن الصامت ولفظه انا دعوة ابراهيم وكان آخر من بشر بي عيسى بن مريم وعن ابي سعيد رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي ولا اقوله تفاخرا

بل

بل اعتدادا بفضله وتحدثا بنعمته او تبليغا لما امرت به او لا افتخر بذلك بل فخري بمن اعطاني هذه المرتبة
او لا اقوله كبرا ويمكن ان يكون المعنى ولا فخر لي بهذه السيادة بل افتخاري بالعبودية له والعبادة فانه يوجب الحسنى
والزيادة قال الطيبي قوله ولا فخر حال موكدة اي اقول هذا ولا فخر قال التوربشتي الفخر ادعاء العظمة
والمباهاة بالاشياء الخارجة عن الانسان كالمال والجاه قال النووي فيه وجهان احدهما قاله امتثالا لامر
الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وثانيهما انه من البيان الذي يجب عليه تبليغه الى امته ليعرفوه
ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه في توقيره صلى الله عليه وسلم كما امرهم الله تعالى به قال الراغب
فان قلت كيف استحسن مدح الانسان نفسه وقد علم ان هذا استقباحه في بد
للحكيم ما الذي لا يحسن واذا كان حقا فان مدح الرجل نفسه قلت قد يحسن ذلك عند
تنبيه المخاطب على ما خفي عليه من حاله كقول المعلم للمتعلم اسمع مني فانك لا تجد مثلي وفي ذلك
قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وسئل بعض المحققين عن شيء لم
يفتح الطلاقه في الله تعالى مع ورود الشرع فانشد

ويقبح من سواك الشيء عندي ... وتفعله فيحسن منك ذاكا

قال الشيخ ابو مدين الاجابة قال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح هو
الذي ينقطع عن العمل وكذلك الممدوح لان المدح يوجب الفتور ويورث الكبر والعجب وهو لذلك
مهلك كالذبح فان سلم المدح عن هذه الآفات لم يكن به باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك
اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا او عجبا
بل يزيدهم ... يستوجبون الحمد من مكارم الاخلاق قلت ونظيره العالم او الشيخ اذا اثنى على تلميذ
او مريد القابل القائل بمحضر جماعة فانه لا شك ان يكون سببا لزيادة رغبتهم في المجاهدة وتحصيل
اعلى مراتب العلم والعبادة نعم يقع نادرا ممن يكون فيه البلادة حيث يحصل له الفتور المؤدي الى
النقصان وتوقف في طلب الزيادة نعوذ بالله من الحور بعد الكور والنقصان بعد الزيادة وقد
قيل من لم يكن في زيادة فهو في نقصان ومن استوى يوماه فهو مغبون وزمان في الحديث مفهوما
لا ينبغي ... وقال تعالى وقل رب زدني علما وفي النهاية قاله صلى الله عليه وسلم اخبارا عما اكرمه
الله تعالى من الفضل والسودد وتحدثا بنعمة الله تعالى عنده واعلاما منه ليكون ايمانهم به
على حسبه وموجبه ولهذا اتبعه بقوله ولا فخر اي ان هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله تعالى
لم انلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوتي فليس لي ان افتخر بها وبيدي اي بتصرفي وقدري يوم
القيامة في المقام المحمود لواء الحمد اللواء بالكسر والمد العلم وفي العرصات مقامات لاهل الخير والشر
ينصب في كل مقام لكل متبوع لواء يعرف به قدره وكان اعلى تلك المقامات مقام الحمد
وفي النهاية اللواء الراية ولا يمسكها الا صاحب الجيش يريد به انفراده بالحمد يوم القيامة وشهرته على رؤوس
الخلائق ويحتمل ان يكون لحمده لواء يوم القيامة حقيقة يسمى لواء الحمد وعليه كلام الشيخ التوربشتي
حيث قال لا مقام من مقامات عباد الله الصالحين ارفع واعلى من مقام الحمد ودونه ينتهي
سائر المقامات ولما كان نبينا سيد المرسلين احمد الخلائق في الدنيا والآخرة اعطي لواء الحمد ليأوي
الى لوائه الاولون والآخرون واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي
ولهذا المعنى افتتح كتابه بالحمد واشتق اسمه من الحمد فقيل محمد واحمد واقيم يوم القيامة المقام
المحمود ويفتح عليه في ذلك المقام من المحامد ما لم يفتح على احد قبله ولا يفتح على احد بعده وامد
امته ببركته من الفضل الذي آتاه فنعتت امته في الكتب المنزلة قبله بهذا النعت فقال
امته الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء ولله الحمد اولا وآخرا ثم فخرنا ثم رتبة القرب المترتب عليه
اللقاء الناشي من مقام الرضا والبقاء وبالتقاء اعلى من ذلك المخلوق التوجه الى المولى والتبري عما سواه

من الورى وما من نبي يومئذ آدم بالرفع وقيل بالخفض على انه بيان او بدل لمحل من نبي او من لفظ نبي
وعطف عليه قوله فمن سواه الا تحت لوائي قال الطيبي نبي نكرة وقعت في سياق النفي وادخل عليه من
الاستغراقية فيفيد استغراق الجنس وقوله آدم فمن سواه اما بيان او بدل من محله ومن فيه موصولة
وسواه صلته وصح لانه ظرف واوثر الفاء التفصيلية في فمن سواه على الترتيب على منوال قولهم
الامثل فالامثل وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر رواه الترمذي وزاد في الجامع وانا اول
شافع واول مشفع ولا فخر رواه احمد والترمذي وابن ماجه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جلس
ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم حال من الضمير في دنا
وقد مقدرة وقوله يتذاكرون حال من الضمير المنصوب في سمعهم لذا ذكره الطيبي والظاهر ان قوله
سمعهم جواب اذا وقوله قال بعضهم اما استئناف بيان للتذاكر او حال بتقدير قد او بدونه
ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وقال اخر موسى كلمه تكليما وقال اخر فعيسى اي اذا كان الكلام في
التفاضل فعيسى كلمة الله وروحه اي تشرف باضافتهما اليه قال الطيبي الفاء في قوله فعيسى جواب
شرط محذوف اي اذا ذكرتم الخليل فاذكروا عيسى كقوله تعالى فلم تقتلوهم اي اذا افتخرتم بقتلهم
فانكم لم تقتلوهم وقال اخر آدم اصطفاه الله اي بتعليم الاسماء وباسجاد ملائكة السماء فخرج
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كرة لينبسط به غيرهما اناطيرا اولا ويكون خرج اولا من مكان
وثانيا منه الى اخر وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم بفتحتين اي وتعجبكم فهو من باب قلدت
سيفا ورمحا ان ابراهيم خليل الله بفتح الهمزة في انه بدل مما قبله او مفعول له وفي نسخة بالكسر
استئناف وهو كذلك اي كون ابراهيم خليل الله حق وصدق وموسى نجي الله فعيل من النجوى بمعنى
الفاعل والمفعول اي كليم الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله
وهو كذلك الا للتنبيه جيء به للتاكيد بنبإ المعطوف عليه حيث قال وانا حبيب الله اي محبه ومحبوبه
ولا فخر قال الطيبي قرر اولا ما ذكروا من فضايلهم بقوله وهو كذلك ثم نبه على انه افضلهم
واكملهم وجامع لما كان متفرقا فيهم واعلم ان الفرق بين الخليل والحبيب ان الخليل من الخلة
اي الحاجة فابراهيم عليه السلام كان افتقاره الى الله تعالى فمن هذا الوجه اتخذه خليلا
والحبيب فعيل بمعنى الفاعل والمفعول فهو صلى الله عليه وسلم محب ومحبوب والخليل محب
لحاجته الى من يحب والحبيب محب لا لغرض وحاصله ان الخليل في منزلة المريد السالك الطالب
والحبيب في منزلة المراد المجذوب المطلوب الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب
ولذا قيل الخليل يكون فعله برضا الله تعالى والحبيب يكون فعل الله برضاه قال تعالى
فلنولينك قبلة ترضاها ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل الخليل مغفرته في حد الطمع كما
قال ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي والحبيب مغفرته في مرتبة اليقين كما قال تعالى ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والخليل قال ولا تخزني يوم يبعثون والحبيب قال تعالى
في حقه يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه والخليل قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين
وقال للحبيب ورفعنا لك ذكرك والخليل قال واجعلني من ورثة جنة النعيم والحبيب قال
له انا اعطيناك الكوثر والاظهر في الاستدلال على ان مرتبة المحبوبية في درجة الكمال قول ذي
الجلال والجمال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وانا حامل لواء الحمد بالاضافة
يوم القيمة تحته آدم فمن دونه ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع اي مقبول الشفاعة
يوم القيمة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة بفتح الحا وبكسر جمع حلقة وفي هـ حلقة باب
الجنة وفي القاموس حلقة الباب والقوم وقد يفتح لامها ويكسر وليس في الكلام حلقة محركة الا جمع
حالق ولغة ضعيفة والجمع حلق محركة وكبدر فيفتح الله لي اي بابها فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين

اي

اي من المهاجرين والانصار وغيرهم على مراتبهم في السبق كما سبق انه يدخل فقراء امتي قبل اغنيائهم بخمسمائة
عام وهذا دليل واضح في ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر قال الطيبي هذا دليل على فضلهم
وكرامتهم على الله تعالى لانهم استغنوا بمحبة الله تعالى بما يغني من حبيبه والتصاقهم وليس الفقر
هنا الفقر القلبي الفاقة والحاجة بل الفقر عندهم الحاجة الى الله تعالى لا الى غيره والاستغناء به لا بغيره
قال الثوري نعت الفقير السكون عند العدم والبذل عند الوجود وقيل لسهل بن عبد الله التستري
النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ من الفقر فقال انما استعاذ من فقر النفس الذي مدح النبي
صلى الله عليه وسلم الغنى في ضده فقال الغنى غنى النفس فكذلك الفقر المذموم فقر النفس
وهو الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم اقول المذموم من الفقر والغنى هو الذي يشغل السالك
عن المولى فانه فيه اذ حالة الفقر اسلم من العوائق ولذا اختاره سبحانه لاكثر انبيائه واوليائه من بين
الخلائق فقد قال حجة الاسلام ان مكاره الفقير اخف من مكاره الغني فاذا كان الفقر ينفع الكل
في الدار فكيف لا ينفع المؤمن في دار القرار ولذا قال صلى الله عليه وسلم اجوعكم في الدنيا
اشبعكم في الاخرة ولا يخرجوا وانا اكرم الاولين والاخرين على الله ولا فخر وهذا ذكر الكل
رواه الترمذي والدارمي وعن عمرو بن قيس قال المؤلف قيل هو عبد الله بن عمرو القرشي
العامري الاعمى وهو ابن ام مكتوم واسم ام مكتوم عاتكة وهو ابن خال خديجة بنت خويلد
اسلم قديما بمكة وكان من المهاجرين الاولين مصعب بن عمير واستخلفه رسول الله صلى الله
عليه وسلم على المدينة ثم ان اخرها في حجة الوداع مات بالمدينة وقيل استشهد بالقادسية
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الاخرون يعني في المجيء الى الدنيا والسابقون
اي في دخول الجنة وغير ذلك من الفضائل يوم القيمة اي في دار العقبى واني قايل قولا
غير فخر اي غير متفخر فيه بل المقصود منه بيان الواقع ابراهيم خليل الله وموسى صفي
الله اي مختاره لكلامه وانا حبيب الله اي جامع بين نسبتي المحبة والمحبوبية في الدنيا
ومعي لواء الحمد اي الدال على كوني احمد ومحمدا يوم القيمة اي في المقام المحمود وان الله وعدني
اي خيرا كثيرا في امتي اي في حقهم وشانهم واجارهم اي انقذهم واعاذهم من ثلاث اي خصال
لا يعمهم اي الله بسنة اي بقحط ولو باستيصالهم ولا يستاصلهم اي ولا ياخذ قتلهم
ولا يهلكهم بالكلية عدو اي لهم من الكفار ولا يجمعهم على ضلالة فلعله سبحانه لم يجمعهم
على هداية لقوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا
من رحم ربك وكان هذا ماخذ من قال اختلاف الامة رحمة رواه الدارمي وعن جابر
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا قايد المرسلين اي متقدمهم في
الاخرة ولا فخر وانا خاتم النبيين اي في الدنيا ولا فخر وعدل عن المرسلين الى النبيين لانهم
اعم فيكون نسبة الخاتمية اتم وانا اول شافع ومشفع اي واول مشفع كما في رواية
ولا فخر رواه الدارمي وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول
الناس خروجا اذا بعثوا اي من قبورهم وانا قايدهم اي متبوعهم اذا وفدوا اي اذا قدموا
على الله والوفد جماعة يأتون الملك لحاجته وانا خطيبهم اي المتكلم عنهم اذا انصتوا
اي اذا سكتوا عن الاعتذار متحيرين فاعتذر عنهم عند ربهم فيكون في قدرتي الكلام في
ذلك المقام دون ساير الانام ناطق اللسان بالثناء على الله تعالى بما هو اهله ولم
يؤذن لاحد حينئذ في التكلم فهو مخصوص من قوله سبحانه هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون او محمول على اول الامر ومختص بالكفار وانا مستشفعهم
بفتح الفاء على بناء المفعول من قولهم استشفعته زيدا الى فلان اي سألته ان يشفع اليه

قريب مستشفع بالفتح وكذا مستشفع اليه وفي بعض النسخ بكسر الفاء على بناء الفاعل اي سائل
الله ان اكون شفيعا لهم اذا حبسوا اي في الموقف ولم يجدوا سبيلا وانا مبشرهم اي المؤمنين بالرحمة
والمغفرة اذا ايسوا اي اذا غلب عليهم الياس من روح الله لغلبة الخوف في الكلام نوع من
الاستخدام الكرامة بالرفع على ما في النسخ المصححة فهو مبتدا والمفاتيح عطف عليه وقوله
يومئذ ظرف والخبر بيدي وهو بصيغة الافراد اي امر الكرامة بانواع الشفاعة ومفاتيح كل خير
يوم القيمة بتصرفي وفي نسخة بتشديد الياء على التثنية للمبالغة او للتوزيع والتنويع وذلك
لانه يفتح انواع اللطف من الله تبارك وتعالى الى اهل العرصات من الانبياء وغيرهم بواسطة
شفاعته العامة في المقام المحمود تحت لواء الحمد وعند الكوثر المورود وفي نسخة بنصب
الكرامة على انه مفعول ايسوا وبيدي خبر المفاتيح فقط اي اذا انقطعوا من حصول الكرامة ونحوها
في وصوله ولواء الحمد يومئذ بيدي بسكون الياء وانا اكرم ولد ادم على ربي وسبق انه اكرم الاولين
والاخرين على الله يطوف علي اي يدور حولي الف خادم كانهن بيض مكنون اي مصون عن الغبار
في اشبههم ببيض النعام في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان
قلت هذا اشد بعض اولاد العرب بخلاف طباع اهل الشام وحلب وطائفة الاعجام
وجماعة الاروام فان الاحسن عندهم هو البياض المشوب بحمرة على ما ورد في شمائله صلى الله
عليه وسلم وفي مدح الحور العين كانهن الياقوت والمرجان حيث فسر المرجان باللؤلؤ ويدل عليه
قوله او لؤلؤ منثور على ان او للتخيير في التشبيه وانما قيده بالمنثور لانه اظهر في النظر من المنظوم
مع ان المناسب تفرق الخدم ويحتمل ان يكون او للتنويع وقال شارح قوله بيض مكنون
اي لؤلؤ مستور في صدفه لم يمسسه الايدي او لؤلؤ منثور او شك الراوي رواه الترمذي
والدارمي وقال الترمذي هذا حديث غريب ولفظ الترمذي على ما في الجامع انا اول الناس
خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وانا
اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
فاكسى صدر الحديث على ما في الجامع وغيره انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى والمعنى فابعث
فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري
رواه الترمذي وفي رواية جامع الاصول اي عن ابي هريرة انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى
اي الى اخر الحديث فاختصره صاحب المصابيح مخلا بالرواية والدراية وعنه اي عن ابي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله لي الوسيلة هي المذكورة في دعاء
الاذان محل الوسيلة فيحمل الاطلاق والتقييد لوقت المسالة وفي النهاية هي في الاصل
ما يتوصل به الى الشيء ويتقرب به قلت ومنه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة قال الطيبي وانما طلب عليه السلام من امته الدعاء له بطلب الوسيلة
افتقارا الى الله تعالى وهضما لنفسه او لينتفع امته ويثابوا به او يكون ارشادا لهم في ان
يطلب كل منهم من صاحبه الدعاء له قالوا يا رسول الله وما الوسيلة اي المطلوبة المسؤولة
قال الطيبي عطف على مقدر اي نفعل ذلك وما الوسيلة انتهى والاظهر ان يقال امرتنا بسؤال
الوسيلة وما الوسيلة مع انه قد يقال لعطف الواو انها للربط بين الكلام قال اعلى درجة في الجنة
لا ينالها اي لا يدرك تلك الدرجة العالية الا رجل واحد ابهمه تواضعا ارجوا وفي نسخة وارجو
ان اكون انا هو وضع الضمير المرفوع اي وهو موضع المنصوب اعني اياه رواه الترمذي ولفظ
الجامع سلوا الله لي الوسيلة اعلى درجة في الجنة لا ينالها الا رجل وارجو ان اكون انا هو رواه
ابن ابي شيبة والطبراني في الاوسط عن ابن عباس سلوا الله لي الوسيلة فانها لا ينالها

عبد في الدنيا الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة وعن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا كان يوم القيمة كنت امام النبيين بكسر الهمزة في نسخ المشكوة قال التوربشتي انه
بكسرها والذي يفتحها وينصبها على الظرف لم يصب ذكره الطيبي وقال شارح فتحها ليس بصواب
وقال ابن الملك الفتح غلط اقول ان كان بحسب الرواية فلا مجال وان كان بحسب الدراية
فلا وجه لا مجال وهو انه يريد به مقدمهم كما تقدم من قوله وانا قائدهم اذا وفدوا ولا يظهر ما
حينئذ لا هذا المعنى وخطيبهم اي اذا انصتوا كما سبق وصاحب شفاعتهم اي في المقام المحمود
غير فخر اي غير مفتخر بذلك او من غير الفخر رواه الترمذي وكذا احمد وابن ماجه والحاكم في مستدركه
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي
ولاة بضم الواو جمع ولي من النبيين قال التوربشتي اي احباء وقرناء هم اولى بهم من غيرهم وان وليي
ابي يعني به ابراهيم عليه السلام وقد بينه بقوله وخليل ربي خبر بعد خبر لان ثم قرا اي استشهادا
ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه اي في زمانه وما بعده اذ كل من جاء بعده من الانبياء
يعرف من اولاده وانباعه في اصل التوحيد وتجريد التوكل وتفويض التفريد وهذا النبي والذين
امنوا والله ولي المؤمنين اي خصوصا وعموما قال التوربشتي وفي كتاب المصابيح وان وليي
ربي وهو غلط ولعل الذي حرف هذا دخل عليه التداخل من قوله سبحانه ان وليي الله الذي نزل
الكتاب والرواية على ما ذكرناه هو الصواب قال المظهر لو كان كما ذكره التوربشتي لكان قياس
التركيب ان يكون وان وليي خليل ربي فمن جرد او العطف المرتب للمغايرة وبامانة الخليل الى
ربي ليكون عطف بيان لا بدل اقول لو كان في خلاف تركيب الشيخ لكان حق البيان اضافة
الخليل الى ضمير ربي قال الطيبي والرواية المعتبرة كما ذكره الشيخ في جامع الترمذي وصحيح الاصول
وكذا في مسند الامام احمد بن حنبل وايضا لو ذهب الى ان خليل ربي عطف بيان لا بدل وان
لزم خمول كون ابراهيم عليه السلام ابا النبي ووليه فاتى به بيانا فاذا جعل معطوفا عليه
لزم شهرته به والعطف يكون لاثبات وصف اخر له عليه السلام على سبيل المدح فعلى ما عليه
الرواية يلزم مدحه مرتين بخلاف ذلك اقول والاظهر ان يقال ان العطف لتغاير الوصفين
كما في قوله تعالى تلك ايات الكتاب وقران مبين فان قلت لم من قوله لكل نبي ولاة ان
يكون لكل واحد منهم اولياء متعددة قلت لا لان النكرة اذا وقعت في المقام لجمع افادت
الاستغراق اي ان لكل نبي واحد واحدا واحدا كقوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام قلت
وفي تنظيره نظر ظاهر ولا يحمد في كون لكل شجرة لها اقلام بل هو الظاهر المطلوب في مقام
البلاغة بان يكون اغصان كل شجرة اقلام رواه الترمذي وكذا احمد وهو كذا في الجامع الصغير دون
قوله ثم قرا الى اخره وعن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني لتمام مكارم
الاخلاق جمع مكرمة خصلة يستحق المتخلق بها ان يكون كريما والمراد من الاخلاق الاحوال ولذا
قوبه بقوله وكمال محاسن الافعال اي الامور الظاهرة من العبادات والاقوال والمحاسن جمع حسن
على خلاف القياس وحاصله ان شريعته افضل الافعال وطريقته اكمل الاحوال قال ابن الملك
اي ارسلني الى العالم ليتم بوجودي مكارم الاخلاق عبادة وليكمل محاسن افعالهم قال الطيبي
الاضافة فيهما من باب اضافة الصفة الى الموصوف قال الراغب كل شيء يشرف في بابه فانه يوصف
بالكرم قال تعالى وانبتنا فيها من كل زوج كريم ومقام كريم وانه لقران كريم واذا وصف الله
تعالى به فهو اسم لاحسانه وانعامه المتظاهر واذا وصف به الانسان فهو اسم للاخلاق
والافعال المحمودة التي تظهر منه ولا يقال هو كريم حتى يظهر ذلك منه انتهى وكلامه يشير الى ان
العطف للتاكيد فما قدمناه اولى لكونه من التاسيس والتقييد لتاييد قال الطيبي

منهم

ومعنى هذا الحديث وحديث ابي هريرة مثلي ومثل الانبياء في قوله انا سددت موضع اللبنة بل نقيت
في معنى اتمام ناقص انتهى والذي تقدم في المعنى اتم والله اعلم رواه البغوي في شرح السنة
ورواه ابن سعد والبخاري في الادب المفرد والحاكم والبيهقي عن ابي هريرة انما بعثت لاتمم صالح الاخلاق
وروى الحكيم والبيهقي عن عائشة مكارم الاخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون
في الابن ولا تكون في الاب وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن اراد به السعادة
صدق الحديث وصدق الناس واعطاء السائل والمكافاة بالصنائع وحفظ الامانة وصلة الرحم
والتذمم للجار والتذمم للصاحب واقراء الضيف وراسهن الحياء التذمم اذ يرغب ذمامه اي حرمته
وقد روى البزار عن ابن عمر مرفوعا اللهم اهدني لصالح الاعمال والاخلاق لا يهدي لصالحها ولا يصرف
سيئها الا انت وعن كعب يحكي عن التورية قال نجد مكتوبا محمد رسول الله بالرفع على حكاية
المكتوب عبدي اي الخالص المختار اي المصطفى على الخلق لا فظ بالرفع على انه عطفه والمعنى انه
ليس بشنيع الخلق ولا غليظ اي سيئ الخلق ولا سخاب اي صياح في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة
اي بل يدفع السيئة بالحسنة وهو معنى قوله ولكن يعفو اي في الباطن ويغفر اي يستر في الظاهر
مولده بمكة وهجرته اي دار هجرته يعني مهاجره بطيبة اي المدينة السكينة وملكه اي بعد ان هاجر مدة
وايام خلافته بالشام كما كان لمعاوية ومن بعده لبني امية في ذلك النظام وقال المظهر اراد بالملك
هنا النبوة والدين فان ذلك يكون بالشام اغلب ولا نهاية جميع الافاق لقوله وسيبلغ ملك
امتي ما زوي لي منها وقيل معناه الغزو والجهاد ثمة لانه يصير بلاد الكفار بالجهاد ملكا لاهل الاسلام
وهذا لا ينقطع الجهاد في الشام اصلا وامر بالمسافرة اليه لادراكه فضيلة الجهاد والمرابطة في سبيل
الله قلت هذا انما كان في زمنه صلى الله عليه وسلم واما اليوم فالغزو والجهاد في بلاد الروم
نعم هو في جهة الشام من الحرمين الشريفين وامته الحمادون اي البالغون في الحمد المكثرون له
كما بينه بقوله يحمدون الله في السراء والضراء اي في حالتي السرور والضرر والمراد الدوام لان
الانسان لا يخلو منهما في الليالي والايام فكانه قال يحمدونه في كل حال وهذه مرتبة بعض
ارباب الكمال وتفوا المعنى بقوله يحمدون الله في كل منزلة اي مرتبة من مراتب الاحوال وقيل
معناه في كل منزل ولعله نبه باعتبار البقعة والاحيان اي اذا نزلوا منزلا شكروا الله
تعالى عليه لانه اوهم في المنزل والسكون فيهم ويلائمه قوله ويكبرونه على كل شرف بفتحتين اي
مكان مرتفع تعجبا لعظمة الله تعالى وتذكرا له لما يشرفون منه على عجائب خلقته كما انهم يسبحون
في كل هبوط رعاة بضم الراء جمع راع اي امته مراعون للشمس اي لطلوعها وغروبها ومحاذ
لاوقات الصلاة واذا ارادوا العبادات وقد روى الحاكم عن عبد الله بن ابي اوفى مرفوعا ان خيار
عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والاظلة لذكر الله وقوله يصلون الصلاة
اذا جاء وقتها استيناف تعليل لما سبق اي يراعون ذلك وينظرون سيرها ليعرفوا مواقيت
الصلاة كيلا يفوت عنهم الصلوات في وقتها ثم استانف لبيان بقية احوالهم بقوله يأتزرون
بتشديد الزاي اي يشدون ازارهم على انصافهم اي من السرة الى الركبة وفي بعض
نسخ المصابيح على اوساطهم اي يشدون مقعد السراويل والمراد بانصافهم في ستر نصفهم
ويجوز ان يكون في بمعنى الى اي الى انصافهم اي انصاف سوقهم قال الطيبي وفيه ادماج لمعنى
التجلد والتشمر للقيام الى الصلاة لان من شد ازاره الى نصفه تشمر لما لزم ما اهتم بشانه
او يكون كناية عن التواضع لان الاسبال كناية عن الكبر والخيلاء ويتوضؤون اي ويصبون الماء
الوضوء على اطرافهم اي على اماكن الوضوء وينشفونها مناديهم اي موذنهم ينادي بنحو الشمس
اي في مكان مرتفع من منارة ونحوها صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء اي في كونهم

كانهم

كانهم بنيان مرصوص قال الطيبي شبه صفهم في الجماعات بسبب مجاهدتهم النفس الامارة والشيطان
بصف القتال والمجاهدة مع اعداء الدين واخرجه مخرج التشابه في التشبيه ايذانا بان كل واحد منهما
يصح ان يكون مشبها ومشبها به بداخرد كرصف الصلاة ليكون مشبها به تكرارا ابلغ لهم بالليل
دوي بفتح الدال وتشديد الياء اي صوت خفي بالتسبيح والتهليل وقراءة القرآن كدوي النحل هذا لفظ
المصابيح ورواه الدارمي مع تغيير يسير قلت كان الاولى ايراد لفظ الدارمي فانه من اجل المخرجين ونقل
الكل عند المحدثين وعن عبد الله بن سلام قال مكتوب في التوراة خبر قوله صفة محمد اي نعته وحليته
قوله وعيسى بن مريم يدفن معه عطف على المبتدا اي ومكتوب فيها ايضا ان عيسى يدفن معه قال
الطيبي هذا هو المكتوب في التوراة اي مكتوب في التوراة صفة محمد كيت وكيت وعيسى بن مريم
يدفن معه والمكتوب صفة محمد كذا وعيسى بن مريم يدفن معه قال ابو مودود وهو احد رواة الحديث
مدني ذكره الطيبي وقال المؤلف هو عبد العزيز بن سليمان المدني راى ابا سعيد الخدري وسمع
السايب بن يزيد وعثمان بن الضحاك وعنه ابن مهدي والقعنبي وكامل وثقوه توفي في امارة المهدي
له ذكر في باب فضائل سيد المرسلين وقد بقي في البيت اي في الحجرة الشريفة موضع قبر فقيل بينه
صلى الله عليه وسلم وبين الصديق وهو اقرب الى الادب وقيل بعد عمر وهو الاظهر فقد قال الشيخ
الجزري وكذا اخبرنا غير واحد ممن دخل الحجرة وراى القبور الثلاثة في هذه الصفة النبي صلى الله
عليه وسلم وراس عمر كذلك من تلقاء رجلي النبي صلى الله عليه وسلم وبقي موضع قبر واحد
الى جنب عمر وقد جاء ان عيسى عليه السلام بعد لبثه في الارض يحج ويعود فيموت بين مكة والمدينة
فيحمل الى المدينة فيدفن في الحجرة الشريفة الى جنب عمر فيبقى هذا الافتخار لهما في الكريمان مصحوبين
بين هذين النبيين العظيمين عليهما الصلاة والسلام ورضي الله عنهما الى يوم القيامة رواه
الترمذي

الفصل الثالث

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الله تعالى فضل
محمدا صلى الله عليه وسلم على الانبياء وعلى اهل السماء فقالوا يا ابا عباس هو كنية ابن عباس بم
فضله اي الله على اهل السماء كانهم قدموا الاهم فالاهم او هو على منوال اليوم يتبين وقوع الاية
قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي
الظالمين وقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فنعم التفضيل من حيث الخطاب وغلظته في مخاطبة اهل السماء وزجرهم لا
في بيانه منهم وجعله كالواقع وترتب الوعيد الشديد عليه اظهارا للكبرياء وجلاله وانهم بعد
امن ان ينسبوا الى ما يشاركونه كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا تحقيرا لهم وتفخيم الشان
ومن ملاطفته في الخطاب معه صلى الله عليه وسلم وان ما صدر ويصدر منه مغفور وجعل الفتح
مكنة علة للمغفرة والنصرة واتمام النعمة والهداية الى الصراط المستقيم وانزال السكينة في قلوب
المومنين انتهى وخلاصة كلامه انه تعالى غلظ في وعيد خطابهم ولاطف في خطاب وعده لكن
فيه نظر فانه سبحانه قد بالغ في مدحهم في مواطن كثيرة على ما لا يخفى ومنها ما قال في هذه الاية
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون
وغلظ في الوعيد لنبيه صلى الله عليه وسلم على طريق الفرض والتقدير بالخطاب كقوله لئن اشركت
ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين مع ان المراد بقوله ومن يقل منهم يحتمل ان يكون من الملائكة
او من الخلائق قال القاضي يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد
مدعي الربوبية انتهى فالاولى ان يقال في وجه التفضيل ان هذه الاية تدل على انه مبعوث الى
الملائكة ايضا كما قال به بعض العلماء قالوا وما فضله اي زيادة فضله على الانبياء قال قال

الفصل الثالث عن ابن عباس

الله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء الاية ويهدي من
يشاء وقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس قال الطيبي واما بيان فضله
على الانبياء فان الاية دلت على ان كل نبي مرسل الى قوم مخصوص وهو صلى الله عليه وسلم مرسل الى كافة الثقلين
ولا ارتياب ان الرسل انما بعثوا لارشاد الخلق الى الطريق المستقيم واخراج الناس من الظلمات الى
النور ومن عبادة الاصنام الى عبادة الملك العلام فكل من كان منهم في هذه الامر اكثر تاثيرا كان افضل
وانضر وكان له صلى الله عليه وسلم في القدح المعلى وحاز قصب السبق ان لم يكن مختصا بقوم دون
قوم وزمان دون زمان بل دينه انتشر في مشارق الارض ومغاربها وتغلغل في كل مكان واستمر ممتدا
في كل زمان زاده الله شرفا على شرف وشرائع من ما درس رفق ذلك باذن فله الفضل بحذافيره
سابقا ولاحقا فارسل الى الجن والانس اي كما يستفاد من بقية الايات القرآنية نحو قوله تعالى
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ونحو قوله عز وجل يا معشر الجن والانس على ما في سورة
الرحمن فذكر الناس من باب الاكتفاء تغليبا او تغليبا او لانه يعمهم ففي القاموس الناس يكون
من الانس ومن الجن جمع انس اصله اناس جمع عزيز ادخل عليه ال وقيل انها للتعقيب وظاهر العبارة
يقتضي ان يكون للنتيجة وتوجيهه ان تعريف الناس للاستغراق الجنسي وكانه اراد وحالا وصفة
مقدر محذوف اي يمكن ان يخرج فرد من افراد هذا الجنس من الارسال والجن تبع للناس فعم
الزمان ان رسالته عمت الثقلين جميعا وعن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه منسوب الى
غفار بكسر اوله قبيلة مشهورة قال قلت يا رسول الله كيف علمت انك نبي حتى استيقنت
قال الطيبي حتى غاية العلم اي كيف تدرج بك العلم حتى بلغ علمك غايته التي هي اليقين فقال
يا ابا ذر اتاني ملكان وانا ببعض بطحاء مكة فوقع اي فنزل احدهما الى الارض وكان الاخر بين
السماء والارض اي واقفا فقال احدهما لصاحبه الظاهر انه النازل اهو هو وضع احدهما موضع هذا
قال نعم قال فزنه برجل فوزنت به بصيغة المجهول فوزنته على بناء الفاعل اي غلبته في الوزن
ورجحته ثم قال زنه بعشرة فوزنت بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة فوزنت بهم فرجحتهم ثم قال
زنه بالف فوزنت بهم فرجحتهم كاني انظر اليهم اي الى الالف الموزونين ينتثرون اي يتساقطون
علي من خفة الميزان اي من خفة تلك الكفة قال فقال احدهما لصاحبه لو وزنته بامته
اي بجميع الخلق من قومه لرجحها قال الطيبي وفيه ان الامة كما يفتقرون في معرفة كون النبي
صادقا الى اظهار خوارق العادات بعد التحدي كذلك النبي يفتقر في معرفته كونه نبيا الى امثال
هذه الخوارق قلت وهذا ايضا يصلح ان يكون جوابا عن الاشكال المذكور المشهور في سؤال
ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى رواهما اي الحديثين الدارمي وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب اي اوجب علي النحر اي الاضحية وقال الطيبي
اي وجب يعني به قوله تعالى فصل لربك وانحر ولم يكتب عليكم قيل النحر كان واجبا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وان لم يكن على الغير ثلاث كتب علي ولم يكتب عليكم الضحى والوتر ذكره
ابن الملك في شرح المشارق في حديث نزلت علي انفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا
اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر الخ وامرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها قال الطيبي لم يوجد في
الاحاديث وجوب الضحى عليه صلى الله عليه وسلم سوى هذا الحديث رواه الدارقطني قال ابن
حجر في شرح الشمائل رواية الدارقطني امرت الخ ضعيفة واما ما بلغنا من خصائصه تفيد ان
الذي من خصوصيته كما صرحوا به وجوب اصل صلاتها لا تكرارها كل يوم قلت ويؤيده ما رواه احمد والطبراني
في الكبير عن ابن عباس ايضا بلفظ كتب علي الاضحى ولم يكتب عليكم وامرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها
فانظر مرتبة هذا الحديث ان يكون حسنا ولولا ثبوته لما عرف من خصائصه ثم المنتسب درس

وجوبها

وجوبها عليه ان يكون في كل يوم كما في بقية الواجبات الشرعية نعم الاولى انه لا يلزم من الامر الوجوب
لاحتمال ان يكون للاستحباب ويدل عليه ما رواه الدارقطني عن انس مرفوعا امرت بالوتر والاضحى
ولم يعزم علي ورواه احمد عن ابن عباس امرت بالوتر وركعتي الضحى ولم يكتب او الجمع بين الادلة ان
اصلها واجب واستمرارها مستحب والله اعلم

باب اسما النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته

الظاهر انه عطف تفسير فانه صلى الله عليه وسلم ليس له اسم جامد نعم لاسمائه نقلت من الوصفية
الى العلمية كاحمد وغيره وله صفات باقية على اصلها مختصة به او يشترك فيها غيره والاظهر
ان المراد بالاسماء المعنى الاعم منها والصفات الشمائل التي يأتي بيانها ثم من القواعد المقررة
ان كثرة الاسماء تدل على عظمة المسمى ففي شرح مسلم للنووي ذكر ابو بكر بن العربي المالكي في كتابه
الاحوذي في شرح الترمذي عن بعضهم ان لله تعالى الف اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم الف
اسم ايضا ثم ذكر منها على التفصيل بضعا وستين وقال ابن الجوزي في الوفا ذكر ابو الحسين
ابن فارس اللغوي ان لنبينا صلى الله عليه وسلم اثنين وعشرين اسما وذكرها الطيبي
مفصلا وقد افرد السيوطي رسالة سماها البهجة السنية في الاسماء النبوية وقد اشتملت
على بضعة وخمسمائة من الصفات المصطفوية ولخصتها باخراج تسعة وتسعين اسما
من صفاته العليا على طبق عدد اسماء الله الحسنى والان اقتصر على ما يرد في الاحاديث الاتية
مما المقصود في [illegible] الثانية والثالثة الفصل الاول عن جبير بن مطعم
رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان لي اسماء اي كثيرة عظيمة شهيرة
انا محمد فقيل هو اسم مفعول من التحميد وهو المبالغة في الحمد يقال حمدت فلانا احمده اذا
اثنيت عليه بجميل خصاله واحمدته اذا وجدته محمودا ويقال هذا الرجل محمود فاذا بلغ النهاية
في ذلك وتكاملت فيه المحاسن والمناقب فهو محمد قال الاعشى يمدح بعض الملوك
الى الماجد القرم الجواد المحمد اراد الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة وهذا البنا ابدا يدل
على بلوغ النهاية كما تقول في الحمد محمد وفي الذم مذمم وقيل هذا البنا للتكثير نحو فتحت الابواب
فهو مفتح اذا تعلق به ذلك مرة بعد اخرى ومحمد اسم منقول على سبيل التفاؤل انه سيكثر
حمد الخلق له وقد كان في الظاهر وما اضمر في الباطن ويحمده الاولون والاخرون في المقام
المحمود تحت لواء الحمد وانا احمد افعل تفضيل من الحمد قطع متعلقه للمبالغة اي احمد
من كل حامد ومحمود بناء على انه للفاعل او المفعول والاول اظهر لئلا يتكرر ولانه تعالى
يلهمه المحامد يوم القيامة [illegible] احد من الاولين والاخرين فهو جامع بين الحامدية والمحمودية
كما جمع له بين المحبة والمحبوبية والمريدية والمرادية وقد اشرت الى بعض النكات الصوفية
مما يتعلق بالمشارب [illegible] في رسالتي المسماة بالصلوات العلية على الصلوات المحمدية
هذا وقال ابن الجوزي في الوفا قال ابن قتيبة ومن اعلام نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم انه
لم يسم قبله احد باسمه صيانة من الله تعالى لهذا الاسم كما فعل بيحيى اذ لم يجعل له سميا
وذلك انه تعالى سماه في الكتب المتقدمة وبشر به الانبياء فلو جعل الاسم مشتركا فيه
شاعت الدعاوى ووقعت الشبهة الا انه لما قرب زمنه وبشر اهل الكتاب بقربه سموا اولادهم
بذلك وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر لانه صلى الله عليه وسلم بعث والدنيا مظلمة بغياهب
الكفر فاتى صلى الله عليه وسلم بالنور الساطع حتى محا الكفر قال النووي يحتمل ان يراد به الظهور
بالحجة والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وجنح جمع الى تفسيره بالذي محيت به
سيئات من تبعه كما قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وانا الحاشر اي ذو الحشر

باب اسما النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الاول عن جبير بن

الذي يحشر أي يجمع الناس على قدمي بفتح الميم وتشديد الياء وبالكسر والتخفيف أي على أثري قال
النووي ضبطوه بتخفيف الياء على الإفراد وتشديدها على التثنية قال الطيبي والظاهر
على قدمي اعتبار الموصول لأنه اعتبر المعنى المدلول للفظة أنا وفي شرح السنة أي يحشر أول الناس لقوله
أنا أول من تنشق عنه الأرض وقال التوربشتي أي على أثري وزمان نبوتي وليس بعدي نبي قال الطيبي هو
من الإسناد المجازي لأنه سبب في حشر الناس لأن الناس لم يحشروا ما لم يحشر وأنا العاقب والعاقب
الذي ليس بعده نبي الظاهر أن هذا تفسير للصحابي أو من بعده وفي شرح مسلم قال ابن الأعرابي العاقب
الذي يخلف في الخير من كان قبله ومنه يقال عقب الرجل لولده متفق عليه ورواه مالك والترمذي والنسائي
وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء
فقال أنا محمد وأنا أحمد والمقفي بكسر الفاء المشددة في جميع الأصول المصححة أي المتبع من قفي أثره إذا
تبعه يعني أنه آخر الأنبياء الآتي في أثرهم لا نبي بعده وقيل المتبع لآثارهم اتباعا لقوله تعالى فبهداهم
اقتده وفي معناه العاقب وفي بعض نسخ الشمائل بفتح الفاء المشددة لأنه قفي به قال الطيبي فإن قلت هو
على صيغة الفاعل وهو الموافق للمذهب يقال قفى عليه أي ذهب به فكأن المعنى هو الآخر الأنبياء فإذا قفي
فلا نبي بعده فمعنى المقفي والعاقب واحد لأنه تبع الأنبياء أو هو المقفي لأنه المتبع للنبيين وكل شيء تبع شيئا
فقد قفاه يقال هو يقفو أثر فلان أي يتبعه قال تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا هذا أحد الوجهين
والوجه الآخر أن يكون المقفي بفتح القاف ويكون مأخوذا من القفي والقفي الكريم والنصيف والقفاوة
البر واللطيف فكأنه سمي المقفي لكرمه وجوده وفضله والوجه الأول أحسن وأوضح انتهى والظاهر
أن هذا الوجه الثاني لا وجه له بل هو تصحيف لمخالفته أصول المشكاة والشمائل والشفا والجامع
ونبي التوبة لأنه تواب كثير الرجوع إلى الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم إني لأستغفر الله في اليوم
سبعين مرة أو مائة مرة أو لأنه قبل من أمته التوبة بمجرد الاستغفار بخلاف الأمم السالفة قال
تعالى ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا
رحيما ولما كان المعنى مختصا به سمي نبي التوبة ونبي الرحمة قال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
وقال صلى الله عليه وسلم إنما أنا رحمة مهداة والرحمة العطف والرأفة والإشفاق لأنه صلى الله عليه
وسلم بالمؤمنين رؤوف رحيم ولذا كانت أمته أمة مرحومة لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرحم إلا من
رحمه الله رواه مسلم وكذا أخرجه ما ذكره السيوطي عنهما لكن بلفظ المرحمة ثم قال وزاد الطبراني
في الكبير ونبي الملحمة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تعجبون
كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم للتعجيب ثم بين وجه الصرف مستأنفا بقوله يشتمون […]
الخ أي يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد أي لا مذمم والمعنى أن ما ذكروا من أوصاف المذمم وأنا
بحمد الله محمد وقيل كانوا يسمونه بمذمم مكان محمد قال التوربشتي يريد بذلك تعريضهم إياه بمذمم
مكان محمد وكانت العوراء بنت حرب زوجة أبي لهب تقول

مذمما قلينا ودينه أبينا وأمره عصينا

رواه البخاري وعن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شمط بكسر الميم
أي شاب مقدم رأسه ولحيته في المغرب شمط بالكسر إذا ابيض شعر رأسه يخالط سواده والوصف
أشمط وبالفارسية دوموي في المعنى ظهر الشيب في شعر رأسه ولحيته وكان أي […] وشيبه
إذا ادهن بتشديد الدال أي استعمل الدهن لم يتبين أي لم يظهر الشيب وإذا شعث بكسر العين
أي تفرق رأسه أي شعره تبين أي ظهر بعض الشيب قال الطيبي دل هذا على أنه عند الادهان يجمع
شعر رأسه ويضم بعضه إلى بعض وكانت الشعرات البيض من قلتها لا تتبين فإذا شعث الرأس
تبين الشيب والأظهر أن شعث الرأس كناية عن عدم الادهان ويدل عليه ما رواه الترمذي عن

جابر

جابر بن سمرة أيضا سئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان إذا ادهن رأسه لم ير منه شيب
فإذا لم يدهن تبين وقد روى الترمذي عن ابن عمر قال إنما كان شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
نحوا من عشرين شعرة بيضا وعن أنس قال ما عددت في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته إلا
أربع عشرة شعرة بيضاء وكان كثير شعر اللحية أي كثيفها لا خفيفها والمراد أنه لم يكن كوسجا فقال
رجل وجهه مثل السيف يعني في البريق واللمعان لكن لما كان يوهم الطول أيضا قال أي جابر
لا بل كان أي وجهه مثل الشمس والقمر أي في قوة الضيا وكثرة النور ويمكن أن يكون الاستفهام
مقدرا أي أكان وجهه مثل السيف فقال لا الخ ثم قال تتميما للمبنى وتعميما للمعنى وكان أي
وجهه مستديرا أي مائلا إلى التدوير إذ ورد في شمائله أنه لم يكن مكلثم الوجه قال الطيبي رده
الراوي ردا بليغا حيث شبهه بالسيف الصقيل ولما لم يكن الوجه شاملا للطرفين فأقام مقامه
المراد من الاستدارة والإشراق الكامل والملاحة فقال لا بل كان مثل الشمس في نهاية الإشراق
والقمر في الحسن والملاحة ولما لم يفهم منه الاستدارة عرفا قال وكان مستديرا أي مائلا
إلى الدقة ورأيت الخاتم بفتح التاء وبكسرها أي خاتم النبوة عند كتفه مثل بيضة الحمامة أي مدورا
يشبه أي لونه جسده أي لون سائر أعضائه والمعنى لم يخالف لونه لون بشرته وفي نفي البرص
رواه مسلم وفي الجامع كان خاتم النبوة في ظهره بضعة ناشزة أي قطعة مرتفعة عن الجسم
رواه الترمذي في الشمائل عن أبي سعيد وفي رواية للترمذي عن جابر بن سمرة كان خاتمه غدة حمراء
مثل بيضة الحمامة وقد جمعت غالب طرق ألفاظ الحديث وبينت ما فيه في شرح الشمائل
وعن عبد الله بن سرجس بالسينين المهملتين وبينهما جيم بوزن نرجس كذا في أسماء الرجال
للمؤلف ونرجس على ما في القاموس بكسر النون وفتحها معروف ذكره في ر ج س فالنون زائدة فيه
كونه غير منصرف على ما في بعض النسخ والمعتمد ما في بعضها من فتح السين وسكون الراء وكسر الجيم
منونا وهو المطابق لما في المغني وفي نسخة بفتح الجيم وما رأيت له وجها قال رأيت النبي صلى
الله عليه وسلم وأكلت معه خبزا ولحما وقال ثريدا شك في اللفظ واتحاد في المعنى أو اختلاف في
المراد وقد جاء في رواية أبي داود والحاكم عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم كان أحب الطعام إليه
الثريد من الخبز والثريد من الحيس ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض
كتفه اليسرى بكسر المعجمة الأولى وفي أوانه الكتف وقيل عظم رقيق على طرفه كذا في النهاية وفي
ابن الملك وقال شارح الناغض الغضروف وهو ما لان من العظم وقيل أصل العنق وقيل ما ارتفع
من الكتف وهو أعلاه ولا اختلاف بين هذا وبين ما هو المشهور من أنه بين كتفيه لأنه يحتمل أنه
وجد كذلك والقول المشهور لا يبعد فيه كونه بينهما على التساوي بل يحتمل أن يكون بينهما على التفاوت
من أحد الجانبين أو كان في التساوي وقيل إنه إلى اليسرى أقرب وكذلك القول فيما روي
عنه كتفه اليمنى جمع بضم الجيم وسكون الميم في النهاية الجمع هو أن تجمع الأصابع وتضمها
يقال ضربه بجمع كفه بضم الجيم انتهى وأما ضم الميم فغلط من الراوي كذا ذكره بعضهم وفي
المصابيح جميعا أي مجموعا قال الإمام التوربشتي لا أحققه رواية ولا أشبه أنه
غلط من الكاتب وفي كتاب مسلم مثل الجمع بضم الجيم وهو الكف حين تقبضها وتورد ما د
في صفة خاتم النبوة كالكف وفي كتاب مسلم من طريق آخر جمعا أي كجمع فنصبه بنزع
الخافض قال ابن الملك ويروى بفتح الجيم فنصبه على أنه حال أي نظرت إليه مجموعا أي
مجتمعا قال النووي وظاهر قوله جمع يحتمل أن يكون المراد تشبيهه به في الهيئة وأن يكون
في المقدار والمراد به هنا الهيئة ليوافق قوله مثل بيضة الحمام عليه خيلان بكسر أوله جمع خال
وهي نقطة تضرب إلى السواد وفي النهاية وهو أن تنبت في الجسد كأمثال الثآليل بفتح المثلثة

وبعد الهمزة وكسر اللام المهملة جمع ثؤلول بضم المثلثة وسكون الهمزة خراج صلب يخرج في الجسد له نتو وارتفاع
وفي النهاية وهو هذه الحبة التي تظهر في الجسد مثل الحمصة فما دونها وبالفارسية زخ بفتح الزاي وسكون
الخاء المعجمة رواه مسلم وعن ام خالد بنت خالد بن سعيد قيل اسلم بعد ابي بكر فهو ثالث او رابع في الاسلام
قال المؤلف هو ابن العاص امها امينة وهي مشهورة بكنيتها ولدت بارض الحبشة وقدم بها الى المدينة وهي
صغيرة ثم تزوجها الزبير بن العوام رضي عنهما نفيها قالت اتي النبي صلى الله عليه وسلم اي جيء بثياب فيها
خميصة اي في جملتها كساء اسود مربع له علمان ذكره المظهر فقوله سوداء تاكيدا وتجريد صغيرة فقال
ايتوني بام خالد فاتي بها اي بام خالد تحمل حال من الضمير في بها اي محمولة لانها طفل فاخذ الخميصة
بيده فالبسها لا يخفى ما فيه وفي ما قبله من التفنن بالمعنى او الالتفات في المبنى قال ابلي
بيان اي امر مخاطبة لها من الابلاء وهو جعل الثوب خلقا واخلقي من الاخلاق بمعناه وجمع بينهما
للتاكيد والمراد بها الدعاء فقوله ثم ابلي واخلقي زيادة مبالغة في الدعاء لها بطول عمرها ثم اعلم
ان اخلقي بالقاف في النسخ المصححة وروي بالفاء وهو تصحيف لا تاكيد لفظا وان كان يؤول
الى معنى واخلفي ثوبا بعد ثوب فان الاخلاق غالبا لا يكون الا بعد الاخلاق ويؤيده ما رواه ابو
داود وانه صلى الله عليه وسلم اذا راى على احد ثوبا جديدا قال له ابلي ويخلف الله وفي
الحصن ابلي واخلقي ثم ابلي واخلقي فذكره بصيغة الافراد ثلاث مرات ولعله نقل بالمعنى
او وقع خطابه صلى الله عليه وسلم لاحد من اصحابه من الرجال بهذا الدعاء ثلاث مرات والله اعلم وكان
فيها اي في الخميصة علم اخضر او اصفر فقال يا ام خالد هذا اي العلم وهذا الثوب سناه اي حسن وهو
بفتح السين المهملة ونون قاله ابن السكيت وفي نسخة بكسر السين وروي سنه بلا الف ونون
خفيفة وروي بنون مشددة وهي بفتح اوله عند الجميع الا القابسي فانه يكسرها وهي اي كلمة سناه
اي بلغة الحبشة حسنة انثها باعتبار انها خبر مبتدا به وهو هي بالحبشة وهو من كلام ام خالد اداد
تفسيرا من غيرها قالت فذهبت العب بخاتم النبوة فزبرني ابي اي صاح علي وزجرني وهددني ونهاني
عن ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها اي لتتبرك بالخاتم ايضا كما تبركت بالباس
الخلعة الشريفة وهذا يدل على كمال حلمه وكرمه وحسن عشرته مع صحابته وقد اشار الى في
القمرات شهاب الدين السهروردي في عوارفه الى اسنادنا للمشايخ الصوفية في لبس الخرقة
بهذا الحديث اقول ولعله اراد اصل خرقة التبرك دون لبس خرقة الاجازة رواه البخاري
وكذا ابو داود وعن انس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن
اي البائن عن حد الاعتدال والمفرط طوله الذي يبعد عن قدر الرجال الطوال او الظاهر البين طوله من بان
اذا بعد او ظهر ولا بالقصير اي المتردد كما في رواية والحاصل انه كان معتدل القامة لكن الى الطول
اميل فان المنفي انصب الى القيد وصف البائن فثبت اصل الطول ونوع منه فهو بالنسبة الى الطويل
البائن قصير ولذا نفي القصر المتردد وفي رواية انه كان الى الربعة الى الطول اقرب فما هو في حد
ذاته وان لم يكن طويلا الا انه صلى الله عليه وسلم فيه الطول وليس بالابيض الامهق اي الذي
بياضه خالص لا يشوبه حمرة ولا اشراق كلون الثلج والجص واللبن فالمراد انه كان نير البياض وقد
جاء في رواية انه كان بياضه مشوبا بالحمرة وهو احسن انواع الالوان المستحسنة عند الطباع
الموزونة وهذا معنى قوله ولا بالادم اي الشديد السمرة وليس بالجعد القطط بفتحتين وبكسر
الثاني اي الشديد الجعودة كشعور الحبش ولا بالسبط بكسر الموحدة وفتحها وسكونها وهو من
السبوطة ضد الجعودة وهو الشعر المنبسط المسترسل كما هو غالب شعور العجم فيكون متوسطا بين
السبط ويحرك والكشف نقيض الجعودة فالمعنى ان شعره صلى الله عليه وسلم كان وسطا بينهما
بعثه الله على راس اربعين سنة المشهور انه صلى الله عليه وسلم بعث بعد استكمال الاربعين سنة

فالمراد

فالمراد بالراس اخر السنة كما في قول الفراء والمفسرين من اذ وسر الاية او اخرهن سواء اريد بلفظ الاربعين
السنة التي تنضم الى التسعة والثلاثين او مجموع السنين من اول الولادة الى استكمال الاربعين سنة
هذا وقال صاحب جامع الاصول ان الصحيح عند اهل العلم بالاثر انه بعث على راس ثلاث واربعين سنة
فاقام بمكة عشر سنين اي على خلاف في ثلاث والاول الصحيح ان عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون
ثم قال سنين الى الكسر ومن قال خمس وستين ادخل سنتي الولادة والوفاة ثم العشر بسكون الشين
واما ما ضبط في بعض النسخ المصححة بفتحها ايضا فغير معروف وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على
راس ستين سنة وليس اي والحال انه لا يوجد عند وفاته في راسه ولحيته عشرون شعرة بسكون
العين وتفتح بيضاء يعني بل ما وجدت فيها الا اربع عشرة شعرة بيضاء كما تقدم والله اعلم وفي رواية
اي يصفة انس النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ربعة بسكون الموحدة وقد تفتح من القوم بين الرجل
ربعة ومربوع اذا كان بين الطويل والقصير فقوله ليس بالطويل ولا بالقصير تفسير وبيان له
ازهر اللون خبر بعد خبر لكان اي نير اللون وحسنه وهو المتوسط بين الحمرة والبياض ذكره شارح وقال
الطيبي نقلا عن الفائق الازهر الابيض المستنير والزهرة البياض النير وهو احسن الالوان
وقال اي انس كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح العين ويسكن الى انصاف اذنيه
بفتح الهمزة ويسكن وفي رواية بين اذنيه وعاتقه متفق عليه وفي رواية البخاري قال كان ضخم الراس
اي عظيمه وهو ممدوح عند العرب لدلالته على عظمة صاحبه وسعة ذهنه واستعداده كما ان صغره
سبب ذمه والقدمين للاشارة الى الشجاعة والثبات والقوة في العبادات لم ار بعده اي بعد شهوده ولا
قبله اي قبل وجوده مثله اي مماثلا في حسن ولياقة في جميع مراتب الكمال خلقا وخلقا في كل الاحوال
وهذا فذلكة شاهدة لعجزه عن مراتب وصفه ومناقب نعته وكان بسط الكفين اي غليظهما
قال ابو عبيد يعني انهما الى الغلظ والقصر اميل وقال غيره هو الذي في انامله غلظ بلا قصر ويحمل انه
كناية عن الجود لان العرب تقول للبخيل جعد الكف وفي ضده سبط الكف وفي اخرى له اي للبخاري
قال كان شثن القدمين والكفين بسكون المثلثة اي غليظ الاطراف من شثن بالضم والكسر اذا
غلظ ويحمد ذلك في الرجال لانه اشد لقبضهم وادل على قوتهم ويذم في النساء لفوات المطلوب
منهن وهو الرعاية ثم المراد غلظ العضو في الخلقة لا خشونة الجلد لما صح عن انس ما مسست ديباجا
ولا حريرا الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن البراء قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مربوعا اي قريبا منه ولا افراط طول منه بعيد ما بين المنكبين روي بكسر ومصغرا
وروي منصوبا على انه خبر ثان لكان ومرفوعا على حذف المبتدأ له شعر يبلغ شحمة اذنيه اي ومثلها في
رواية ابن ماجه والترمذي في الشمايل عن عايشة كان شعره دون الجمة وفوق الوفرة والجمة من شعر
الراس ما سقط على المنكبين والوفرة شعر الراس اذا وصل الى شحمة الاذن ولعل اختلاف الروايات
رايته في حلة حمراء اي فيها خطوط حمر لا انها حمراء بحت وقال العسقلاني هي ثياب ذات خطوط قال ميرك
فلا دليل فيه لمن قال بجواز لبس الاحمر القاني ولو حمل على ظاهره فلا دلالة فيه ايضا اذ يحتمل انه من باب
الاختصار او قبل النهي او لبيان الجواز فيفيد ان النهي عن الحمرة للكراهة لا للحرمة لم ار شيئا قط احسن
منه وهو ايضا يفيد في المبالغة المساواة عرض متفق عليه ورواه ابو داود والترمذي والنسائي
وفي رواية لمسلم وكذا للثلاثة قال ما رايت من ذي لمة بكسر اللام وتشديد الميم في النهاية اللمة
من شعر الراس دون الجمة سميت بذلك لانها المت بالمنكبين فاذا زادت فهي الجمة احسن في حلة
حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره يضرب اي يصل منكبيه بعيد ما بين المنكبين بالرفع
ليس بالطويل ولا بالقصير اي المفرطين وعن سماك بن حرب بكسر السين تابعي مشهور كوفي قال
ادركت ثمانين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم ضليع الفم اي واسعه وهو كناية عن غاية الفصاحة ونهاية البلاغة وقال النووي
اي عظيمه هكذا قاله الاكثرون وهو الاظهر قالوا والعرب تمدح بذلك وتذم صغر الفم اشكل العينين
الاشكل على ما في القاموس ما فيه حمرة وبياض مختلطة او ما فيه بياض يضرب الى حمرة منهوس
العقبين بالسين المعجمة اي قليل لحمهما على ما في القاموس بالمهملة والمعجمة قيل لسماك ما ضليع الفم
قال عظيم الفم وفي القاموس رجل ضليع الفم اي عظيمه او واسعه وعظيم الاسنان متراصفها
والعرب تمدح سعة الفم وتذم صغره قيل ما اشكل العينين قال طويل شق العين بفتح الشين
قال القاضي عياض تفسير سماك اشكل العينين وهم منه وغلط ظاهر وصوابه ما اتفق
عليه العلما ونقله ابو عبيدة وجميع اصحاب الغريب وهو ان الشكلة حمرة في بياض العين
وهو محمود قيل ما منهوس العقبين قال قليل لحم العقب رواه مسلم وكذا الترمذي
وعن ابي الطفيل قال المؤلف هو عامر بن واثلة الليثي لكنه غلبت عليه كنيته ادرك
من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين ومات سنة اثنتين ومائة بمكة وهو اخر من
مات من الصحابة في جميع الارض روى عنه جماعة قال رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان ابيض مليحا اخبر ان كونه ابيض مقصدا بفتح الصاد المشددة اي متوسطا
معتدلا وفي النهاية هو الذي ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم كان خلقه يجي به القصد
من الامور والمعتدل الذي لا يميل الى احد طرفي الافراط والتفريط رواه مسلم وكذا الت
في الشمايل عنه وفي رواية له فيه عن ابي جحيفة كان ابيض كانما صيغ من فضة وروى البيهقي
عن علي انه صلى الله عليه وسلم كان ابيض مشربا بحمرة وفي رواية انه اذا وضع رداءه عن
منكبيه فكانه سبيكة فضة قال سئل انس عن خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكسر الخاء ما يختضب به من خضبه لونه على ما في القاموس فقال انه لم يبلغ ما يخضب بكسر
الضاد وفتح قال شارح فاعل يبلغ ضمير يعود الى شعر النبي صلى الله عليه وسلم وما مصدرية وفي
يخضب النبي صلى الله عليه وسلم اي يبلغ الخضاب وقيل ما موصولة والعايد محذوف اي
يخضبه وهو مفعول يبلغ اي لم يبلغ شعره حدا يخضبه يعني كان في بياضه قليلا قال الطيبي
اي كان قليل الشيب لا يظهر شيبه الا للناظر فيتفكر كانه يخضب لو شئت ان اعد اي احصي
شمطاته بحركات اي شعراته البيض في لحيته جواب لو محذوف اي لعددتها او لعددتهن
او لفعلت وفي رواية لو شئت ان اعد شمطات كن في راسه لفعلت وهو كناية عن قلة
البياض فيهما لان المعدود من اوصاف القليل ومنه قوله تعالى ايام معدودات ودراهم
معدودة وفي رواية لمسلم قال انما كان البياض اي صاحبه وهو الشعر الابيض كناية عن الشيب
في عنفقته بفتح العين وسكون النون فقاف اي شعرات تحت شفته السفلى
وتنزل الذقن وفي الصدغين بضمتين وله اي الشعر المتدلي على ما بين العين والاذن وفي الراس
نبذ بفتح النون وسكون الموحدة فذال معجمة اي شي يسير من شيب وفي نسخة بنون مضمومة
فموحدة مفتوحة اي شعرات متفرقة قال الطيبي نبذ مبتدا وقوله في عنفقته خبر والجملة
خبر كان تامة ولا يبعد ان يكون الجملة معطوفة على جملة انما كان والاظهر انها معطوفة
على ما قبلها من امثاله ونبذ عطف على مبتدا محذوف هو وهو راجع الى البياض وعن انس رضي الله
عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ازهر اللون اي ابيض نيرا كان بتشديد النون
عرقه اللؤلؤ اي في البياض والصفا اذا مشى تكفأ بتشديد الفا فهمز وفي نسخة
صحيحة بالالف قال النووي هو بالهمز وقد يترك همزه وزعم كثير انه بلا همز وليس كما قالوا
ونقل شارح عن التوربشتي ان الرواية المعتمد بها في تكفى بغير همز وذكر الهروي فالاصل

فيه المهرة تركيب قال التوربشتي قيل انما يريد انه يميل الى قدام كما يتكفا السفينة في جريها من قولهم
اكفات الشي وكفاته اذا املته وقيل اصل تكفا ان يتكفا وتكفا ارادا به انه يرفع رجله من قوة
واخذه كما يكون مشي الاقوياء وذوي الجلادة بخلاف المتماوت الذي يجر رجليه الى الارض جرا
عليه قول الواصف اذا مشى تقلع وفي شرح مسلم قال شمر معناه مال يمينا وشمالا كتكفي
السفينة قال القاضي عياض لا يعجبني ما قاله شمر اذ كان خلقه وجبلته والمذموم منه
ما كان مستعملا مقصودا ما مسست بكسر السين الاولى وبفتح ديباجة بكسر الدال وبفتح
وهو نوع من الحرير ولا حريرا اي مطلقا الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت بكسر
الميم وبفتح مسكا ولا عنبرا اطيب من رائحة النبي صلى الله عليه وسلم قال العسقلاني مسست
بكسر المهملة الاولى وبفتحها في الافصح وكذلك شممت بكسر الميم الاولى وفتحها ونقل في المضارع امسه
واشمه بالفتح فيهما على الافصح وبالضم على اللغة المذكورة وفي القاموس الشم حس الانف
شممت بالكسر اشمه وشممته اشمه بالضم شما متفق عليه وفي الشمايل للترمذي كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا ولا مسست خزا ولا حريرا قط ولا شيئا كان الين
من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان اطيب من عرق رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة من عرف بالفا وعنه اي عن انس ان ام سليم بالتصغير كذا
في الاصول المعتمدة وفي بعض النسخ وام سليم بدون قوله وعنه قال المؤلف هي بنت ملحان
بكسر الميم وفي اسمها خلاف تزوجها مالك بن النضر ابو انس بن مالك فولدت له انسا ثم قتل عنها
مشركا واسلمت فخطبها ابو طلحة وهو مشرك فابت ودعته الى الاسلام فاسلم فقالت اني اتزوج
ولا اخذ منك صداقا لاسلامك فتزوجها ابو طلحة روى عنها خلق كثير ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان ياتيها اي في بيتها فيقيل بفتح الياء من القيلولة وهو الاستراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم
عندها اي لانها كانت ام خادمه وهو انس ولا دلالة فيه على الكشف او الخلوة قال النووي ام حرام
وام سليم كانتا خالتين لرسول الله صلى الله عليه وسلم محرمتين اما من الرضاع واما من النسب
فتحل له الخلوة بهما فكان يدخل عليهما خاصة ولا يدخل على غيرهما من النساء وقيل انما كان يدخل عليها
لانها كانت من محارمه من جهة الرضاع والاولم يدخل النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول الحجاب عليها
وعلى اختها ام حرام وقد دخل بعده عليهما دون غيرهما من نسا الانصار وان النبي صلى الله عليه وسلم لم
يكن رضيعا في المدينة فتعين ان يكون ذلك من قبل ابيه عبد الله فانه ولد بالمدينة وقال
التوربشتي قد وجدت في بعض كتب الحديث انهما كانتا من ذوات محارم النبي صلى الله عليه
وسلم لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يتقيد في بيت اجنبية واذا لم يكن بينه وبينها سبب
محرم من رحم او وصلة فلا بد ان يكون ذلك من جهة الرضاع وانا قد علمنا ان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يكن يتقيد في بيت اجنبية واذا لم يكن بينه وبينها سبب محرم من جهة رحم ولم
فلا بد ان يكون ذلك من جهة الرضاع وانا قد علمنا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يجد في المدينة
رضيعا فتعين ذلك ان يكون من قبل ابيه عبد الله فانه ولد بالمدينة وكان عبد المطلب
تزوج ام ابيه هاشم وتزوج بالمدينة في بني النجار وام حرام وام سليم بنتا ملحان كانتا من بني
النجار فعرفنا من جميع ذلك ان المحرمية بينهم كانت من جهة رضاع ولقد وجدنا الحجة القوية من عمل
النقلة والرواة والاحاديث ام حرام وام سليم ولم يبين احد منهم العلة اما من الغفلة عنه واما
لعدم العلم به فاحببت ان ابينه وجه ذلك كيلا يتطرق اهل الانكار الى ذلك سعة من ذلك لمكان
العصمة ولا يتدرج مستبيح الى الخضرمة لا رخصة فيها والله اعلم اي او من ونقلت لذلك
تراحم لما من دقه كتبت مستحسن والله الموفق فتبسط اي فترش ام سليم نطعا بكسر النون

ونتنه وسكون الطاء وفي القاموس هو بالكسر وبالفتح وبالتحريك وكتب بسياطها من الاديم فتبتل
عليه وكان كثير العرق اي لانه كان كثير الحياء فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطشت اي في الطست
الذي معها فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ام سليم ما هذا اي الذي تفعلينه فقالت عرقك نجعله في
طيبنا اي ليطيب طيبنا ببركته او بزيادته وهو اي عرقك او الطيب المخلوط به من اطيب الطيب
وفي رواية قالت يا رسول الله نرجو بركته اي كثرة خيره لصبياننا فقال اصبت اي وافقت
الصواب وفيه استحباب التبرك والتقرب بآثار الصالحين في الما حضر انس بن مالك الوفاة
اوصى ان يجعل في حنوطه من ذلك الطيب متفق عليه وعن جابر بن سمرة قال صليت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلاة الاولى من باب اضافة الموصوف الى الصفة والمتبادر انها
الصبح قال النووي وتبعه ابن الملك هي صلاة الظهر ثم خرج اي من المسجد الى اهله اي متوجها
الى احد الحجرات الشريفة وخرجت معه فاستقبله ولدان جمع وليد وهو الصبي فجعل اي شرع
يمسح اي بيديه الكريمتين خدي احدهم واحدا واحدا حال واما انا فمسح خدي بصيغة التثنية
وفي نسخة بالافراد وفي ارادة الجنس فوجدت ليده بردا اي راحة او ريحا طيبة والظاهر
الثاني ويعني او الواو بمعنى بل كانما اخرجها اي اذا اخرج يده من كمه فكانه اخرجها من جونة عطار
بضم الجيم وسكون الهمز وتبدل اي سلة او خفة وفي النهاية هو بضم الجيم التي يعد فيها الطيب
ويحرز قال النووي وفي الحديث بيان طيب ريحه صلوات الله عليه وهو مما اكرمه الله سبحانه
وتعالى به قالوا وكانت هذه الريح الطيبة صفته وان لم يمس طيبا ومع هذا كان يستعمل الطيب
في كثير من الاوقات مبالغة في طيب ريحه لملاقاة الملائكة واخذ الوحي الكريم ومجالسة
المسلمين رواه مسلم وذكر حديث جابر بن سمرة اسمي ولا تكتنوا بكنيتي في باب الاسامي وحديث
السائب بن يزيد نظرت الى خاتم النبوة تمامه مثل زر الحجلة في باب احكام المياه والله اعلم

الفصل الثاني عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير اي بل كان معتدل القامة ضخم الراس اي عظيمه لكن لا
في عظمه زيادة واللحية اي كثيفها دون الكوسج وقد روى الطبراني عن العداء بن خالد
انه صلى الله عليه وسلم كان حسن السبلة اي اللحية شثن الكفين والقدمين اي انهما يميلان
الى الغلظ والقصر كذا في النهاية شرب حمرة اي مخلوطا لونه بالحمرة وهو على صيغة المفعول مخففا
ويجوز تشديده في النهاية الاشراب خلط لون بلون كان احد اللونين سقى الآخر يقال بياض مشرب
حمرة بالتخفيف فاذا شدد كان للتكثير والمبالغة ضخم الكراديس اي عظيم الاعضاء وهو جمع
الكردوس وهو كل عظمين التقيا في مفصل نحو المنكبين والركبتين والوركين وقيل هو رؤوس
العظام طويل المسربة بفتح الميم وسكون السين وضم الراء الشعر المستدق الذي يأخذ من
الصدر الى السرة اذا مشى تكفأ بتشديد الفاء بعدها همزة وقد يترك الهمز وهو المناسب بقوله تكفيا بكسر
الفاء المشددة بعدها تحتية على الاصل تكفؤا بضم الفاء والهمزة فلما خففت ما فيه بالابدال
لحق مصدره بالمعتل وفي نسخة تكفؤا على الاصل وقال شارح تكفأ تكفؤا بالهمز وبغير الهمز
تمايل الى اليمين والاخرى الى الشمال في المشي وقيل تكفأ اي تمايل الى القدام من قولهم كفأت الاناء
اذا قلبته ويؤيده قوله كانما ينحط بتشديد الطاء اي يسقط من صبب اي منحدر من الارض
فمن تفسيره بمعنى في طرفيه ولذا قيل اي يسقط من موضع عال والمعنى يمشي مشيا قويا
سريعا وفي شرح السنة الصبب الحدور وهو ما انحدر من الارض يريد به انه كان يمشي مشيا
قويا يرفع رجليه من الارض رفعا بائنا لا كمن يمشي اختيالا ويقارب خطاه تنعما لم ار قبله
اي قبل موته لانه علم ادراكه زمانا قبل وجوده ولا بعده اي بعد موته مثله صلى الله عليه

رضي الله تعالى عنه

وسلم وربما يكون هذا الكلام كناية عن عدم رؤية المماثل له مطلقا مع قطع النظر عن القبلية
والبعدية فهذه نكتة مشتملة على اظهار العجز عن غاية وصفه ونهاية نعته رواه الترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح وعنه اي عن علي كان اذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم اي من
جهة خلقته قال لم يكن بالطويل الممغط بضم الميم الاولى وتشديد الثانية المفتوحة وكسر الغين
المعجمة اي الممتد ومن المغط وهو المد وهو من باب الانفعال على ما اختاره ابن الاثير في
الاصول وخطأ المحدثين في جعله اسم فاعل من التمغط ووافقهم الجوهري وتبعه الشيخ
الجزري في تصحيح المصابيح كذا ذكره ميرك وفي النهاية هو بتشديد الميم الثانية المتناهي
في الطول من امغط النهار اذا امتد ومغطت الحبل وغيره اذا مددته واصله منمغط
والنون للمطاوعة فقلبت ميما وادغمت في الميم ويقال بالعين المهملة ولا بالقصير المتردد
اي المتناهي في القصر كانه تردد بعض خلقه على بعض وانضم بعضه الى بعض وتداخلت اجزاؤه
وكان ربعة من القوم اي متوسطا فيما بين افرادهم فهو في المعنى تأكيد لما قبله ولم يكن
بالجعد القطط ولا بالسبط تقدم بيان مبناه وبيان معناه قوله كان جعدا رجلا بكسر
الجيم وبفتح وبسكون اي لم يكن شديد الجعودة ولا البسوطة ولم يكن بالمطهم بتشديد
الهاء المفتوحة اي الفاحش السمن وقيل النحيف الجسم وهو من الاضداد وقيل هو
المنتفخ الوجه ولا بالمكلثم بفتح المثلثة اي المدور الوجه غاية التدوير بل كان وجهه
مائلا الى التدوير ولذا قال وكان في الوجه اي في وجهه تدوير اي نوع تدوير او تدويرا ما
والمعنى انه كان بين الاسالة والاستدارة ابيض اي هو ابيض اللون مشرب اي مخلوط
بحمرة ادعج العينين اي اسود العينين مع سعتهما ذكره شارح وفي النهاية الدعج والدعجة
شدة السواد في العين وغيرها يريد ان سواد عينيه كان شديدا وقيل الدعج شدة سواد
العين في شدة بياضها اهدب الاشفار بفتح الهمز جمع شفر بالضم اي كثير اطراف الجفون كثير
الهدب عليها والاهدب الرجل الكثير اشفار العين والاشفار هي اطراف الجفون التي تنبت
عليها الشعر وهو الهدب كذا حققه شارح وفي النهاية اي طويل شعر الاجفان جليل
المشاش بضم الميم اي عظيم رؤوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين وقال الجوهري
هي رؤوس العظام التي يمكن مضغها وقال شارح اي عظيم رؤوس العظام والمناكب والكتد اي
وجليله وهو بفتح الفوقية وبكسر ما بين الكاهل والظهر ذكره شارح وفي النهاية هو مجتمع
الكتفين وهو الكاهل اجرد اي الذي ليس على بدنه شعر ولم يكن صلى الله عليه وسلم كذلك وانما
اراد به ان الشعر كان في اماكن من بدنه كالمسربة والساعدين والساقين فان ضد الا
الاشعر الذي على جميع بدنه شعر وتبين بقوله ذو مسربة انه لم يكن اجرد في الاطلاق ومن
اسمى بالنجح رب من الهند وغيرهم لا يجد الرجل اذا كان في سائر اعضائه اجرد ولا سيما القدر
شثن الكفين والقدمين اي غليظهما الا انه لا يلين مع قوة البطش والثبات المشيرين الى منتج
الشجاعة ونعت العادة اذا مشى يتقلع بتشديد اللام اي يرفع رجليه من الارض رفعا بائنا
بقوة مترادف كل احدهما بالاخر في مشية اهل الجلادة لا كالذي يمشي رفق الخطا احتشاما واختيالا
فان ذلك من مشي النساء ويوصفن به كانما يمشي اي ينحط في صبب اي منحدر من الارض
نفيه اراد قوة المشي والميل الى القدام واذا التفت اي اراد الالتفات الى احد جانبيه
التفت معا اي بكليته بمعنى انه لا يسارق النظر وقيل اراد انه لا يلوي عنقه يمنة ويسرة
اذا نظر الى الشيء وانما يفعل ذلك الطائش الخفيف ولكن كان يقبل جميعا او يدبر جميعا
قال التوربشتي يريد انه كان اذا توجه الى الشيء توجه بكليته ولا يخالف ببعض جسده بعضا

جرد

كيلا يخالف بدنه قلبه وبضعة مضغة لما في ذلك من التلون واثار الحكمة بين كتفيه خاتم النبوة جملة من خبر ومبتدأ وهو خاتم النبيين اجود الناس صدرا اتم من الجودة بفتح الجيم بمعنى السعة والانفتاح اي اوسعهم قلبا فلا يمل ولا يتضجر من اذى الامة ومن جفاء الاعراب وانما من الجود بالضم بمعنى الاعطاء ضد البخل في احد شيئا من زخارف الدنيا ولا من العلوم والحقائق والمعارف التي في صدره فالمعنى انه اسخى الناس قلبا واصدق الناس لهجة بسكون الهاء وبفتح اي لسانا في القاموس اللهجة اللسان ويحرك وكذا في الصحاح وقال في الديوان اللهجة بالتحريك اللسان وفي الفصحى بسكون الهاء لغة ضعيفة وفي الفائق روي في اللهجة فتح الهاء وسكونها والفتح افصح وقال الابوي ثم شرح اصيحي اللهجة بها ساكنة ولم يعرف اللهجة والينهم عريكة اي جانبا وطبيعة في النهاية فلان لين العريكة اذا كان سلسا مطاوعا منقادا قليل الخلاف واكرمهم عشيرة بفتح فكسر فتحتية اي قبيلة وفي نسخة صحيحة بكسر فسكون اي معاشرة ومصاحبة وقال الطيبي قوله عشرة هكذا هو في الترمذي والجامع اي صحبة وفي المصابيح العشيرة اي الصاحب انتهى وفيه نظر اذ النسختان موجودتان في الشمائل وغيرهما مما بينا والله اعلم من راه بديهة اي اول مرة او فجاة وبغتة هابه اي خافه وقارا وهيبة من هاب الشيء اذا خافه ووقره وعظمه ومن خالطه معرفة بمراحبه اي بحسن خلقه وشمائله والمعنى ان من لقيه قبل الاختلاط به والمعرفة اليه هابه لوقاره وسكونه فاذا جالسه وخالطه بان له حسن خلقه فاحبه حبا بليغا يقول ناعته اي واصفه عند العجز عن وصفه لم ار قبله اي قبل وجوده ولا قبل موته ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي اي في جامعه وفي الشمائل وعن جابر رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يسلك طريقا اي زقاقا فيتبعه اي فيتتبعه احد الا عرف اي ذلك التابع انه اي النبي صلى الله عليه وسلم سلكه اي ذلك الطريق من طيب عرفه بفتح فسكون نفحا اي رائحة يعني بتكييف هوا ذلك الطريق بكيفية الطيب منه فيعرف منه انه قد سلكه هذا الطريق او قال اي جابر من ريح عرقه بفتحتين فالشك من الراوي والمال واحد اذ المقصود بيان طيب عرقه الخلقي لا طيب عرقه العرضي كما سبق من انه خصه الله بطيب العرق وقال ابن الملك هذا من خصائصه دون سائر الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام رواه الدارمي وعن ابي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال المؤلف عبيدة بفتح العين والنون تابعي روى عن جابر وروى عنه عبد الرحمن بن اسحاق قال قلت للربيع بضم ففتح فتشديد بنت معوذ بن عفراء بتشديد الواو المكسورة صحابية جليلة صفي اي لي مخاطبة من الوصف اي انعتي لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا بني بتشديد الياء المكسورة او المفتوحة تصغير شفقة ومرحمة لو رايته اي نور وجهه وطالعت فيه مطلعه وذاتك الطالع الميمون والبخت الهمايون رايت الشمس طالعة اي في وجهه كما في نسخة او التقدير فكانك رايت الشمس طالعة وهو اظهر رواه الدارمي وعن جابر بن سمرة قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة اي غطية اضحيان بكسر الهمزة والحاء وتخفيف التحتية كما في المقدمة وهو منصرف وان جاز الفتح وتنوينه زائدتين لوجود اضحيانة واصلا للكلمة البروز والظهور قال الشارح اي ليلة مضيئة لا غيم فيها يقال ليلة اضحيان واضحيانة وضحيا وضحياة من الضحو وفي الفائق اي مقمرة من اولها الى اخرها وانما ذكرها تنبيها لكلامهم فجعلت انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي نظرة والى القمر اي اخرى لا نظر الترجيح بينهما في الحسن الصوري وعليه حلة حمراء جملة حالية معترضة فاذا هو احسن عندي اي في نظري او معتقدي

والقو

ولفظ الترمذي في الشمائل فلهو عندي احسن من القمر اي لزيادة الحسن المعنوي فيه صلى الله عليه وسلم كما قال بعض ارباب العشق من اهل المجاز مخاطبا لمحبوبه بيتا يحكي لقمر لكن من اين له الكلام وسائر مراتب النظام رواه الترمذي والدارمي وعن ابي هريرة قال ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في الصورة مع قطع النظر عن السيرة كان بنصب النون اي رايته كان الشمس تجري في وجهه قال الطيبي شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه وفيه معنى قول ابن شرف

يزيد وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا

وفيه ايضا عكس التشبيه للمبالغة وما رايت احدا اسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم اي مع تحقق وقاره وسكونه ورعاية اقتصاده متمثلا لقوله تعالى واقصد في مشيك كانما الارض تطوى له بصيغة المجهول اي تزوى وتجمع على طريق خرق العادة تهوينا عليه وتسهيلا لامره وانا لنجهد انفسنا بضم النون وكسر الهاء وفي نسخة بفتحهما من الاجتهاد والجهد وهو الحمل على الشيء فوق طاقته قال التوربشتي يجوز فيه فتح النون وضمها يقال جهد دابته واجهدها اذا حمل عليها فوق طاقتها فالمعنى على انفسنا من الاسراع عقيبه فوق طاقتها وانه لغير مكترث بكسر الراء اي غير مبال بمشينا او غير مسرع بحيث تلحقه مشقة فكانه يمشي في هينته يقال ما اكترث به اي ما عبأ به فكانه مما بالى به لكذا ذكره شارح وفي النهاية اي غير مبال ولا يستعمل الا في النفي وانما في الاثبات شاذ رواه الترمذي وعن جابر بن سمرة قال كان في ساقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حموشة بضم الحاء المهملة والميم اي دقة ولطافة من شدة لينا لعصب وكان لا يضحك اي في غالب احواله الا تبسما وهو مقدمة الضحك فتجنبها اذ جعل الاستثناء متصلا او منقطعا قال الطيبي جعل التبسم من الضحك واستثناه منه فان التبسم من الضحك بمنزلة السنة من النوم ومنه قوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها اي شارعا في الضحك وكنت بصيغة المتكلم ولوروي بالخطاب لكان له وجه اذا نظرت اليه اي رايته قلت اي في ضميري اكحل العينين اي هو مكحل العينين وليس باكحل اي كانت عينه كحلاء من غير اكتحال رواه الترمذي وقوله كان لا يضحك الا تبسما رواه احمد والحاكم ايضا انتهى والله اعلم

الفصل الثالث

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم افلج الثنيتين وفي نسخة من الشمائل افلج الثنايا في النهاية الفلج بالتحريك فرجة ما بين الثنايا والرباعيات والفرق فرجة بين الثنيتين انتهى كلامه وفي الحديث استعمل الفلج موضع الفرق كذا ذكره الطيبي والمفهوم من القاموس عدم الفرق حيث قال الفلج بالتحريك تباعد ما بين القدمين وتباعد ما بين الاسنان وهو المراد الثنايا لابد من ذكر الاسنان يعني ليحصل الفرق اذا تكلم روي بمجهول اي ابدى رئي كالنور اي شيء مثل النور يخرج اي حال كونه يظهر من بين ثناياه وهو اما ذبر اد به كلامه البهي المنور شبه او امر ايدركه الذوق والوجدان ولا منع من الجمع لما رواه احمد عن ابي الدرداء من انه صلى الله عليه وسلم كان لا يحدث حديثا الا تبسم ولعل العارف ابن الفارض اشار اليه في قوله

عليك بها صرفا فان شئت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

قال الطيبي الضمير في يخرج يجوز ان يرجع الى ما دل عليه تكلم وان يرجع الى النور والكاف زائدة نحو قولك مثلك يجود نفى الاول تشبيه ووجهه البيان والظهور كما سميت الحجة الظاهرة بالنور وفي الثاني لا تشبيه فيه فيكون من معجزاته صلى الله عليه وسلم رواه الدارمي وكذا

الترمذي في الشمائل وعن كعب بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر بضم السين
وتشديد الراء اي فرح وصار مسرورا استنار وجهه حتى كأن بتشديد النون وجهه قطعة قمر
لعل الاضافة بيانية او بمعنى من نظيرها اصل القمر من الكبر لا بحسب بادي الرأي في النظر وكنا نعرف
ذلك اي من عادته او ذلك لا يختص بسبب بل لا يخفى على احد منا قال الطيبي حال من كنه اي كان ذلك خافيا
علينا لا يخفى على كل ذي بصر وبصيرة متفق عليه وعن انس ان غلاما اي ولدا يهوديا اي واحدا من اليهود
كان يخدم بضم الدال وبكسر النبي صلى الله عليه وسلم فمرض اي الغلام فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم
يعوده تواضعا واجرا ورجاء فوجد اباه عند راسه يقرأ التوراة اي بعضا منها كما يقرأ سورة يس عند
حالة النزع فقال له اي لابيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يا يهودي انشدك بضم الشين اي
اقسم عليك بالله الذي انزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة اي في بعض اياتها نعتي اي
باعتبار ذاتي وخلقتي وصفتي اي باعتبار اخلاقي واحوالي ومخرجي اي مكان خروجي او زمانه من
ولادة او بعثة او هجرة قال لا قال الفتى اي الغلام بلى يا رسول الله انا نجدك في التوراة
نعتك ووصفك وفي نسخة صحيحة وصفتك ومخرجك واني اشهد ان لا اله الا الله وانك
رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه اقيموا هذا اي اباه من عند راسه ولوا اخاكم
الواو للعطف على اقيموا ولوا امر مخاطب من ولي الامر يليه اذا تولاه اي كونوا اولياء اخيكم في الاسلام وتولوا
امر تجهيزه وتكفينه وسائر الاحكام قال السيد جمال الدين محدث وفي بعض محدثي زماننا
هذه الكلمة على انها حرف شرط وهو تصحيف وتحريف رواية ودراية رواه البيهقي في دلائل النبوة
وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما انا رحمة مهداة بضم الميم اي ما انا الا
رحمة للعالمين اهداها الله اليهم فمن قبل هديته افلح وظفر ومن لم يقبل خاب وخسر كقوله تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين رواه الدارمي والبيهقي في شعب الايمان وكذا ابن سعد والحكيم
عن ابي صالح مرسلا والحاكم في مستدركه عنه عن ابي هريرة مرفوعا انتهى والله سبحانه اعلم

باب في اخلاقه وشمائله صلى الله عليه وسلم

في النهاية الخلق بضم اللام وسكونها الدين والطبع والسجية وحقيقته انه لصورة
الانسان الباطنة وهي نفسه واوصافها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة واوصافها
ومعانيها ولهما اوصاف حسنة وقبيحة والثواب والعقاب يتعلقان باوصاف الصورة الباطنة
اكثر مما يتعلقان باوصاف الصورة الظاهرة والشمائل جمع شمال وهو الخلق انتهى والشمال
بالكسر بمعنى الطبع لا بمعنى اليسار ومنه قوله تعالى يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل
ولا بالفتح والضم لانه بمعنى الريح وكل منهما غير مناسب للباب الفصل الاول عن
انس رضي الله عنه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين وفي رواية مسلم
تسع سنين فما قال لي اف بضم الهمزة وكسر الفاء المشددة وفي نسخة بفتحها وفي نسخة
بتنوين المكسورة وهي ثلاث قراءات متواترات وقال النووي في شرح مسلم فيه عشر لغات
اف بضم الفاء وفتحها وكسرها بلا تنوين وبالتنوين ثلاثة اخرى بضم الهمزة واسكان الفاء
وان بكسر الهمزة وفتح الفاء وافي بضم همزة بهما قال شارح وهي كلمة تبرم اي ما قال لي شيئا
تبرم ولا لم صنعت اي لاي شيء صنعت هذا الفعل ولا الا بتشديد اللام اي هلا صنعت
اي لم لا فعلت هذا الامر والمعنى لم يقل لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء لم اصنعه وكنت مأمورا
به لم لا صنعته وقال الطيبي اذا استعمل بمعنى التضجر واكره دخلت التخصيص على الماضي افاد
التنديم كما في المضارع يفيد التحريض واعلم ان ترك اعتراض النبي صلى الله عليه وسلم على انس

الفصل الاول عن انس رضي الله عنه

رضي الله عنه فيما خالف امره انما يفرض فيما يتعلق بالخدمة والاداب لا فيما يتعلق بالتكاليف الشرعية فانه
لا يجوز ترك الاعتراض فيه وفيه ايضا مدح انس فانه لم يرتكب امرا يتوجه اليه من النبي صلى الله عليه وسلم
اعتراض ما متفق عليه ورواه الترمذي في الشمائل وزاد فقط بعد قوله اف ثم قال وما قال لشيء صنعته
لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعنه اي عن انس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
من احسن الناس خلقا بضمتين وبسكون اللام اي عشرة فارسلني يوما لحاجة فقلت والله
لا اذهب اي بلساني وكان اراد به الوقت الاتي ورتب عليه قوله وفي نفسي اي وفي قلبي وجناني ان
اذهب لما امرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لاجل امره اياي به فخرجت اي على قصد
الذهاب اليه حتى امر بالنصب وفي نسخة بالرفع كقوله تعالى حتى يقول الرسول قال الطيبي
هو حكاية الحال الماضية ويجوز ان يكون حتى ناصبة بمعنى كي قلت لكنه لا يلائمه المعنى والمراد اي خرجت
الى ان ذهب الي ان مررت في طريقي على صبيان وهم يلعبون في السوق والظاهر انه وقف عندهم اما للعب
او للتفرج ولذا قال فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض اي اخذ بقفاي والقفا بالقصر
مؤخر العنق فقوله من ورائي للتأكيد ومتعلق بقبض قال اي انس فنظرت اليه وهو يضحك فقال
يا انيس بتصغير انس للشفقة والرحمة ذهبت اي اذهبت حيث امرتك قلت نعم انا في انه
شرع في الذهاب فقوله انا اذهب اي الآن اذا كان الذهاب يا رسول الله قال شارح انما قال
نعم لان المامور كالموجود بناء على انه جزم العزم على الذهاب او لان ذهبت في السوال بمعنى
اتذهب لعلمه صلى الله عليه وسلم بانه ما ذهب انس الى تلك الحاجة واقتصر الطيبي على الاول
ثم قال وتحقيقه قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا اذهب وامثاله على انه كان
صبيا غير مكلف قال الجزري ولذا ما ادبه بل داعبه واخذ بقفاه وهو يضحك رفقا به رواه
مسلم وعنه اي عن انس قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد
اي ثوب مخطط على ما في النهاية نجراني بفتح نون وسكون جيم منسوب الى نجران بلد باليمن ذكره
شارح وفي النهاية هو موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن غليظ الحاشية اي الطرف
فادركه اعرابي اي لحقه من ورائه فجبذه اي جذب الاعرابي النبي صلى الله عليه وسلم بردائه جبذة
شديدة والجبذ لغة في الجذب وقيل هو مقلوب منه ورجع نبي الله صلى الله عليه وسلم في نحر
الاعرابي اي في صدره ومقابله من شدة جبذه قال الطيبي اي استقبل صلى الله عليه وسلم
نحره استقبالا تاما ويوضحه قوله فاذا التفت التفت معا وهذا بيان لما انه لم يتغير ولم
يتاثر من سوء ادبه حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو موضع
من المنكب قد اثرت بها اي في صفحة حاشية البرد من شدة جبذته قلت وصدق التمييز قوله
الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله ثم قال يا محمد
الظاهر انه كان من المؤلفة فلذلك تغافل عن فعله ثم خاطبه باسمه قائلا على وجه العنف
مقابلا بحسن اللطف مر لي اي من وكلائك بان يعطوا لي او مر بالعطاء لي من مال الله الذي عندك
اي من غير تضييع لكنه في اعطائك كما صرح به ابن حجر قال لا من مالك ولا من مال ابيك
قيل المراد به مال الزكاة فانه كان يصرف بعضه الى المؤلفة فالتفت اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي فنظر اليه تعجبا ثم ضحك اي تلطفا ثم امر له بعطاء وفيه استحباب
احتمال الوالي من اذى قومه وفيه دفع المال لحفظ على عرض الرجال متفق عليه وعنه اي عن انس
رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس اي خلقا وخلقا وصورة
وسيرة ونسبا وحسبا ومعاشرة ومصاحبة واجود الناس اي اكثرهم كرما وسخاوة واشجع الناس
اي اقواهم قلبا وقد دل عليه قوله تعالى فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين

في القتال ولذا كان يركب البغل لانه لا يتصور معه الكر والفر ولقد فزع بكسر الزاي اي خاف اهل المدينة
وفي المصابيح فزع الناس وفي شرح السنة اي استغاثوا يقال فزع منه بالكسر اي خاف وفزع اليه
اي استغاث كذا ذكره شارح ذات ليلة اي حيث سمعوا اصواتا انكروها فانطلق الناس قبل
الصوت بكسر القاف وفتح الموحدة اي جانبه فاستقبلهم اي النبي صلى الله عليه وسلم الناس راجعا
اليهم حال كونه قد سبق الناس الى الصوت اي الى نحوه وتحقق عدم الفزع عنده ثم رجع قال الطيبي
في قوله الضمير في فاستقبلهم راجع الى ما دل عليه الصوت الذي فزع منه اهل المدينة يعني القوم
قال ميرك والظاهر ان الضمير للناس والمراد انه صلى الله عليه وسلم سبق الناس الى الصوت
ثم رجع فاستقبل الناس الذين خرجوا نحو الصوت فتدبر بل هذا هو المتعين لقوله
وهو يقول لم تراعوا بضم التاء والعين مجهول من الروع بمعنى الفزع والخوف اي لم تخافوا ولم
تفزعوا وفي نسخة بصيغة الجحد مبالغة في النفي وكانه ما وقع الروع والفزع قط لم تراعوا كرره
تاكيدا او لكل المخاطبين يمنة ويسارا وفي شرح السنة ويروى لن تراعوا والعرب
تضع لم ولن موضع لا انتهى يعني هذا يكون خبرا في معنى النهي ذكره الطيبي والظاهر انه على
الاول من غير نا ويكون خبرا في معنى النفي واما على هذا فيكون نهيا على الحقيقة قال
التوربشتي هو في المعنى لن تراعوا اي لا خوف ولا فزع فاستكنوا يقال ريع فلان
اذا فزع وهو اي النبي صلى الله عليه وسلم على فرس لابي طلحة عري بضم فسكون اي ليس
عليه سرج مبالغة وتاكيد واخبار عن كونه بلا لجام وفي عنقه اي النبي صلى الله عليه وسلم
سيف اي متقلد وفي نسخة بكسر السيف اي في جيد الفرس حبل من سبق السيف واقتصر
عليه شارح وهو بعيد جدا في المعنى وان كان قريبا في المبنى فقال لقد وجدته اي الفرس
بحرا اي جوادا واسع الجري وكان يسمى ذلك الفرس المندوب بمعنى المطلوب وكان يبطا
ضعيف الجري فانقلب حاله ببركة ركوبه صلى الله عليه وسلم ويشبه الفرس اذا كان جوادا بالبحر
لاستراحة راكبه به كراكب الماء اذا كانت الريح طيبة متفق عليه قال النووي فيه بيان
ما اكرمه الله تعالى به من جليل الصفات وفيه معجزة انقلاب الفرس سريعا بعدما كان
بطيئا وفيه جواز سبق الانسان وحده في كشف اخبار العدو ما لم يتحقق الهلاك وجواز
العارية وجواز الغزو على فرس المستعار واستحباب تقلد السيف في العنق وتبشير الناس
بعد الخوف اذا ذهب وعن جابر رضي الله عنه قال ما سئل اي ما طلب رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئا قط فقال لا اي لا اعطيه بل اما اعطى او اعتذر ووعد له فيما ينتمي علا
بقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا فقد روى
البخاري في الادب المفرد عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان رحيما فكان لا ياتيه احد الا
وعده وانجز له ان كان عنده هذا وكان يقول صلى الله عليه وسلم انفق يا بلال وقيل بلالا
ولا تخش من ذي العرش اقلالا كما رواه البزار عن بلال وعن ابي هريرة والطبراني عن ابن مسعود
وما ابلغ قول الفرزدق في زين العابدين

حمال اثقال اقوام اذا فدحوا ٭ حلو الشمائل تحلو عنده نعم
ما قال لا قط الا في تشهده ٭ لولا التشهد لم ينطق بذاك نعم

متفق عليه وفي الجامع كان لا يسال شيئا الا اعطاه او سكت رواه الحاكم عن انس وعن انس
رضي الله عنه ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين اي قطعة غنم تملا ما بينهما
فاعطاه اياه اي مطلوبه على وجه تمامه فاتى قومه اي متعجبا من كرمه الدال على كمال توكله
وزهده فقال اي قوم اي يا قوم اسلموا اي فان الاسلام يهدي الى مكارم الاخلاق فوالله ان محمدا

ليعطي

ليعطي عطاء اي عطية ما يخاف الفقر قال الطيبي يجوز ان يكون حالا من ضمير يعطي وان يكون صفة لعطاء
اي عطاء ما يخاف الفقر معه فان قلت ـــ كيف لا تقرر الوصف في وجوب الاسلام قلت
مقام ادعاء النبوة مع اعطاء الجزيل بدليل في ذلك يحيط من ارسل الى دعوة الخلق فان من جبلة الانسان
خوف الفقر قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر رواه مسلم وعن جبير بن مطعم بينما هو اي جبير
يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مقفله مصدر ميمي واسم زمان اي وقت قفوله ورجوعه
من حنين اي عند رجوعه او وقت رجوعه من حنين بالتصغير موضع بين مكة والطائف
تعلقت بكسر اللام اي تشبثت الاعراب او طفقت يسألونه اي يطلبون منه العطايا والمطايا وهو
يعطيهم او يبعدهم ويمنعهم حتى اضطروه اي الجاؤوه الى سمرة بفتح فضم اي شجرة طلح فخطفت بكسر
الطاء اي اخذت السمرة بسرعة رداءه حيث تعلقت به قال شارح اي سلبت انتهى ولا يبعد ان
يكون الضمير راجعا الى الاعراب كما يدل عليه قوله فوقف النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعطوني
ردائي واغرب الطيبي حيث قال اي علق رداءه فاستعير لها الخطف لو كان لي عدد هذه العضاه
بكسر العين المهملة وبالضاد المعجمة وبالهاء في الاخر شجر الغيلان وقيل كل شجر يعظم وله شوك واحده عضاه
وعضة بحذف الهاء الاصلية كما حذف من الشفة وعدد نصب على الضمير اي بعدد هذه او في
نزع الخافض اي بعددها او كعددها والمراد به الكثرة نعم بفتحتين وفي نسخة بضم النون وسكون العين
عينه الابل والشاء او خاص بالابل وجمعه انعام وقيل ويرد عليه قوله سبحانه ومن الانعام
ثمانية ازواج حيث يراد بها اصناف الابل والبقر والضان والمعز من الذكور والاناث لقسمته
بينكم اي لزهدي في النعم وتركي للنعم وطلبي رب المنعم ثم لا تجدوني بخيلا ثم هنا المعنى اي
او للتراخي في الزمان اي بعد ما خبرتموني في العطاء وعرفتم طبعي في الوعد بالوفاء واعتمادي
على رب الارض والسماء لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا قال المظهر اذا اخبرتموني في
الوقايع لا تجدوني متصفا بالاوصاف الرذيلة وفيه دليل على جواز تعريف نفسه بالاوصاف
الحميدة لمن لا يعرفه ليعتمد عليه وقال الطيبي ثم هنا للتراخي في الرتبة يعني انا به ذلك العطاء
لست بمضطر اليه بل اعطيه من اريحية نفسه ووفور نشاطه ولا بكذب اي تكلم على
نفسي ثم امنعكم عنه ولا جبانا اذا خاف احدا فهو كالتتميم للكلام السابق رواه البخاري
وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة اي الفجر جاء وفي الجامع
جاءه خدم المدينة جمع خادم من غلام او جارية بانيتهم جمع اناء فيها الماء اي فيطلبون البركة
والنماء والعافية والشفاء فما يؤتى وفي الجامع فما يؤتى باناء الا غمس يده فيه اي لتطييب
خواطرهم وتحصيلا لمقاصدهم فربما جاءه بالغداة اي في الغداة الباردة فيغمس يده فيها
قال الطيبي فيه تحمل المشاق لتطييب قلوب الناس خصوصا مع الخدم والضعفاء وتبركوا
بادخال يده الكريمة في انيتهم وبيان تواضعه صلى الله عليه وسلم مع الضعفاء رواه مسلم
وكذا احمد الا انه في الجامع عنهما بدون قوله فربما الخ وروى ابن عساكر عن انس انه صلى الله عليه
وسلم كان ارحم الناس بالصبيان والعيال وفي الجامع كان لا يقول لخادم حاجة رواه احمد
عن رجل وعنه اي عن انس رضي الله تعالى عنه قال كانت امة اي جارية من اماء اهل المدينة اي
رضا وتقديرا تاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل المراد من الاخذ باليد لازمه
وهو الرفق فتنطلق به حيث شاءت اي ولو خارج المدينة وهذا يدل على غاية تواضعه مع
الخلق ونهاية تنزيهه مع الخلق رواه البخاري وعنه اي عن انس ان امراة كان في عقلها شيء
من الخفة والجنون فقالت يا رسول الله ان لي اليك حاجة اي خفية عن الناس فقال يا ام
فلان انظري اي تفكري وابصري اي السكك بكسر ففتح جمع السكة وهي الزقاق شئت اي

اردت احضاري لئن حتى تقضي لك حاجتك اي كي احصل لك مقصودك ومرادك فخلا اي مضى
معها في بعض الطرق ووقف معها وسمع كلامها ورد جوابها حتى فرغت من حاجتها وفيه تنبيه
على ان الخلوة مع المراة في زقاق ليس من باب الخلوة معها في بيت على احتمال انه بمرأى الاصحاب
كانوا واقفين بعيدا عنهما مراعاة لحسن الادب رواه مسلم وعنه اي عن انس قال لم يكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا اي آتيا بالفحش من القول والفعل ولا لعانا ولا سبابا
المقصود منها نفي اللعن والسب وكل ما يكون من قبيل الفحش اللغوي لا نفي المبالغة فيهما
وكانه نظر الى ان المقصود هو المبالغة فيها لتنافيها على صيغة المبالغة والمقصود نفيهما
مطلقا كما يدل عليه آخر كلام قال الطيبي قاله قلت بنا فعال للتكثير او للمبالغة
ونفيه لا يستلزم نفي اللعن والسب مطلقا قلت المفهوم ههنا غير معتبر لانه زاد في
مدحه صلى الله عليه وسلم فان ذا ربما للتكثير فيعتبر الكثرة فيمن يستحقه من الكفار والمنافقين
اي ليس بلاعن واحد منهم وان ذا ربما للمبالغة فان المعنى ان اللعن بلغ في العظم بحيث لولاه
استحقاق لكان اللاعن بمثله فعالا بليغ اللعن نحو قوله تعالى وان الله ليس بظلام
للعبيد قلت الظاهر في معنى الاية والحديث ان فعالا للنسبة كتمار ولبان
اي ليس الله بذي ظلم مطلقا ولا رسوله بصاحب لعن ولا سب لمن لم يكن مستحقا من الكفار
والفجار لكونه نبي الرحمة ولذا استانف الراوي بقوله كان يقول عند المعتبة بفتح التاء
وقيل بكسرها ايضا بمعنى الملامة والعتاب في ما في القاموس واختاره ابن الملك وبمعنى
الغضب كما في النهاية واختاره شارح والمعنى عاتبه ما يقول عند المعاتبة والمخاطبة
هذه الكلمة معرضا عنه غير مخاطب له ماله ترب جبينه وفي النهاية ذا نحو في اذ يحتمل ان
يكون دعاء على المعقول له بمعنى رغم انفك وان يكون دعاء له بمعنى سجد لله وجهك رواه البخاري
وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال اني لم ابعث
لعانا اي ولو بعث جاء عنه مخصوصة من الكافرين لقوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب
عليهم او يعذبهم وانما بعثت رحمة اي للناس عامة وللمؤمنين خاصة متخلقا بوصف الرحمن
الرحيم ولقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابن الملك اما للمؤمنين فظاهر
واما للكافرين فلان العذاب رفع عنهم في الدنيا بسببه كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم آخره بل عذاب الاستيصال مرتفع عنهم ببركة وجوده الى يوم القيمة
وقال الطيبي اي انما بعثت لاقرب الناس الى الله والى رحمته وما بعثت لابعدهم عنها فاللعن
منافي لحالي فكيف العن رواه مسلم وكذا البخاري في الادب المفرد وروى الطبراني عن
كريز بن شامة قوله اني لم ابعث لعانا وروى البخاري في تاريخه عن ابي هريرة بلفظ انما بعثت
رحمة ولم ابعث عذابا وعن ابي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اشد حياء
من العذراء اي البكر في خدرها بكسر اوله اي في سترها قال الطيبي هو تتميم فان العذراء
اذا كانت في خدرها اشد حياء مما اذا كانت خارجة عنه فاذا رأى شيئا يكرهه اي من
جهة الطبع او من طريق الشرع عرفناه في وجهه اي من اثر التغير ناثرناه فانه ما كان
يعاين احدا بخصوصه في امر كراهة دون الحرمة قال النووي معناه انه صلى الله عليه
وسلم لم يتكلم بالشيء الذي يكرهه لحيائه بل يتغير وجهه فنفهم كراهيته وفيه فضيلة
الحياء وانه محثوث عليه ما لم ينته الى الضعف والخوف متفق عليه وعن عائشة قالت
ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا بكسر الميم الثانية قط ضاحكا قال النووي
يريد ضاحكا كل الضحك يقال استجمع الفرس جريا قال الطيبي فعلى هذا ضاحكا ومنع موضع

يتحو

وان تجمعت له الامور وهو لازم ونزلهم استجمع الفرس جريا نصب على التمييز وان ترد
الفتها مستجمعا شرائط الجمعة فللتنبيه بين النفي والمعنى ما رأيته ضاحكا كل الضحك بجميع
الفم حتى ارى منه لهواته بفتحتين جمع لهاة وهي لحمة مشرفة على اقصى الفم من سقفه وانما كان
اي غالبا يتبسم وربما يضحك لكن لا على سبيل المبالغة رواه البخاري وكذا مسلم وابو
داود وعنها اي عن عائشة رضي الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يكن يسرد بضم الراء اي لم يكن يتابع الحديث اي الكلام كسردكم اي المتعارف بينكم من كمال
اتصال الفاظكم بل كان كلامه فصلا بينا واضحا لكونه مامورا بالبلاغ المبين كما بينه بقوله
كان يحدث حديثا لو عده العاد اي اراد عده مريدا للعدد لاحصاه اي لعده وانتقصاه وفيه
وضع احصاه موضع عد مبالغة لانه فان المراد بالاحصاء هو العد بالحصى كما شك في حصر
المهملة عد عدد من رفعه وخطه قال الطيبي يقال فلان سرد الحديث اذا تابع الحديث
استعجالا وسرد الصوم توالبه يعني لم يكن حديث النبي صلى الله عليه وسلم متتابعا بحيث
يأتي بعضه اثر بعض فيلتبس على المستمع بل كان يفصل كلامه لو اراد المستمع عده
امكنه فتكلم بكلام واضح مفهوم في غاية الوضوح والبيان متفق عليه وروي الترمذي في
الشمائل ولفظ الجامع كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه رواه الشيخان وابو داود
وفي الجامع ايضا كان يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه رواه الترمذي والحاكم عن انس
وعن الاسود قال المؤلف هو ابن هلال المحاربي روي عن عمر ومعاذ وابن مسعود وعنه جماعة
قال سالت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته اي من الاشغال في بيته
قالت كان اي من عادته يكون في مهنة اهله بفتح الميم وبكسر وبسكون
الهاء اي مشتغلا في مصالحهم والمهنة الخدمة والابتذال ففيه مبالغة لقيامه مقام الرجال
ولهذا قال الراوي تعني خدمة اهله اي اهل بيته ممن يكون اهل الخدمة قال صاحب النهاية
المهنة الخدمة والرواية بفتح الميم وقد يكسر قال الزمخشري وهو عند الاثبات خطأ قال
الاصمعي المهنة بفتح الميم ولا يقال مهنة بالكسر وكان القياس لو قيل مثل جلسة وخدمة
الا انه جاء على فعلة واحدة وفي القاموس المهنة بالكسر والفتح والتحريك وكلمة الحذق
بالخدمة والعمل مهنه كمنعه ونصره مهنا ومهنة ويكسر خدمه وقال العسقلاني في المهنة بفتح
الميم وكسرها وانكر الاصمعي الكسر وفسرها بخدمة اهله وثبت ان التفسير من قول
الراوي عن شعبة وان جماعة رووه بدونه لكن اخرج ابن سعد في رواية بدونه وفي
رواية في اخره تعني بالمهنة خدمة اهله فاذا حضرت الصلاة خرج الى الصلاة اي
وترك جميع عمله وكانه لم يعرف احدا من اهله رواه البخاري وكذا الترمذي وعن عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت ما خير اي ما جعل مخيرا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
امرين الا اخذ اي اختار كما في رواية الترمذي ايسرهما ما لم يكن اي الايسر اثما اي ذا اثم
وفي رواية الترمذي ما لم يكن ماثما اي اثما او موضع اثم بناء على انه مصدر ميمي او اسم مكان
وليا هنا انتهى رواية الترمذي فان كان اثما كان ابعد الناس منه اي وكان يجتنب عن
ارشدهما ولو اعسرهما واشدهما قال العسقلاني ابهم فاعل الخير ليكون اعم من ان
يكون من قبل المخلوقين او من قبل الله تعالى لكن التخيير بين ما فيه اثم وبين ما لا اثم
فيه من قبل الله مشكل لان التخيير انما يكون بين جائزين الا ان حملناه على ما يفضي
الى الاثم فذلك ممكن بان يخير بين ان يفتح عليه من كنوز الارض ما يخشى من الاشتغال
به ان لا يتفرغ للعبادة وبين ان لا يؤتيه من الدنيا الا الكفاف وان كانت السعة اسهل

عة

قال الاسم في هذا المقام لا يراد به الخطبة لسوق العظة وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما عاقب
احدا لنفسه اي لاجل حظها في شيء اي يتعلق بنفسه ابدا اي ابدا الا ان ينتهك حرمة الله بصيغة المجهول
اي يرتكب فينتقم بالرفع وفي نسخة بالنصب اي فيعاقب حينئذ لله اي لاجل اغراضه اي بسبب
تلك الحرمة ثم انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل يقال فلان انتهك محارم الله اي فعل ما حرم الله
فعله عليه قال الطيبي استثناء منقطع اي ما عاقب احدا لخاصة نفسه بجناية جنى عليه بل
بحق الله تعالى اذا فعل احد شيئا من المحرمات انتقم لا لقوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في
دين الله قال العسقلاني في الفتح ما انتقم لحاجة نفسه فلا يرد امره صلى الله عليه وسلم
بقتل عقبة بن ابي معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه
وسلم لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله وقيل ذلك في غير السبب الذي يفضي الى
الكفر وقد يختص ذلك بالمال واما العرض فقد اقتص ممن نال منه متفق عليه ورواه ابو
داود وعنها اي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئا اي ادميا ثم صلى الله عليه وسلم ربما ضرب مركوبه قط بيده ولا امرأة ولا خادما
خصتا بالذكر اهتماما بشأنهما ولكثرة وقوع ضرب هذين والاحتياج اليه وضربهما وان جاز بشرط
فالاولى تركه قالوا بخلاف الولد فالاولى تأديبه ويوجه بان ضربه لمصلحة تعود اليه
فلم يندب العفو عنهما بخلاف هذين لهواهما وكظم الغيظ الا ان يجاهد في سبيل الله فانه صلى الله
عليه وسلم قتل ابي بن خلف باحد ثم لم يقتل بيده احدا لما ديه الغير ومع الكفار فقط بل يدخل فيه الحدود
والتعزيرات وغيرها وما نيل بكسر النون مجهول نال ينال نال منه شيئا اذا اصاب وفي
الحديث ان رجلا كان ينال من الصحابة اي يقع فيهم ويصيب منهم فالمعنى ما اصيب منه
شيء قط فينتقم من صاحبه اي من صاحب ذلك الشيء الا ان ينتهك شيء من محارم الله فينتقم
لله رواه مسلم وروى الترمذي في الشمائل الا ان بلفظ ما ضرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادما ولا امرأة وفي الشمائل ايضا
بلفظ ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك
من محارم الله تعالى شيء فاذا انتهك من محارم الله تعالى شيء كان من اشدهم في ذلك غضبا
انتهى والله اعلم

الفصل الثاني

عن انس رضي الله تعالى عنه قال خدمت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن ثمان سنين عد ثمانية من ثمان والجار حال ذا كذا في
اول الخدمة ولذا اطلقه ثم اعاده مقيدا بقوله خدمته عشر سنين فما لامني على شيء قط اتى فيه
بصيغة المجهول اي اهلك واتلف من قولهم اتى عليهم الدهر اي اهلكهم وافناهم وضمير فيه عائد
الى شيء والجار والمجرور قائم مقام الفاعل قال الطيبي في صفة شيء اي ما لامني على شيء اتلف على
يدي بصيغة التثنية وفي نسخة بالافراد قال الطيبي في صفة شيء وضمن فيه معنى عيب
او طعن وعلى يدي حال فان لامني لائم من اهله قال دعوه اي اتركوه فانه اي الشأن لو قضي
شيء لكان اي لو قدر امر لوقع فهذا لفظ المصابيح وكذا رواه ابن حبان في صحيحه وروى
البيهقي في شعب الايمان مع تغيير اي يسير في بعض الفاظه وعن عائشة رضي الله تعالى
عنها قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا اي ذا فحش في اقواله وافعاله
ولا متفحشا اي متكلفا فيه ومتعمدا كذا في النهاية قال القاضي نفت عنه تولي الفحش والتفوه
به طبعا وتكلفا ولا سخابا اي صياحا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة اي بالسيئة لقوله ولكن
يعفو اي في الباطن ويصفح اي يعرض في الظاهر عن صاحب السيئة لقوله تعالى فاعف عنهم
واصفح ان الله يحب المحسنين رواه الترمذي وعن انس رضي الله تعالى عنه يحدث عن النبي صلى

الله عليه وسلم كان يعود المريض ويتبع بفتح الموحدة وفي نسخة بتشديد التاء وكسر الباء اي يعقب ويشيع
الجنازة بفتح الجيم وكسرها ويجيب دعوة المملوك اي المأذون او المعتوق او في بيت مالكيه
ويركب الحمار وهذا كله يدل على كمال التواضع ومحو الخلق وحسن الخلق في معاشرة الخلق ولقد رأيته يوم
خيبر على حمار خطامه بكسر اوله اي زمامه ليف قال ابن الملك فيه دليل على ان ركوب الحمار سنة
فمن استنكف من ركوبه كبعض المتكبرين وجماعة من جهلة الفقهاء فهو اخس من
الحمار رواه ابن ماجه والبيهقي في شعب الايمان وفي الجامع كان يجلس على الارض ويأكل على
الارض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير رواه الطبراني في الكبير
عن ابن عباس ورواه الحاكم في مستدركه عن انس كان يردف خلفه ويضع طعامه على الارض
ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار وفي رواية لمن لبس عليه وروى ابن عساكر عن ابي
ايوب كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن
سنتي فليس مني وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخصف بكسر الصاد اي يخرز ويرقع النعل وفي شرح السنة اي يطبق طاقة على طاقة واصل الخصف
الضم والجمع ومنه قوله تعالى يخصفان عليهما من ورق الجنة اي يلصقان ورقة على بدنهما
ويخيط بكسر الخاء ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل احدكم في بيته تعميم بعد تخصيص وفي الجامع برواية
احمد عن عائشة كان يخيط ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم وقالت كان بشرا من البشر
يفلي ثوبه بكسر اللام اي يفتش في الثوب هل فيه شيء من القمل ونحوه لا انه كان فيه قمل وربما ان القمل
لا يكن يؤذيه وفي الشمائل رح اي يلتقط القمل ويحلب شاته بضم اللام ويخدم نفسه بضم الدال
وبكسر وهو تعميم وتتميم قال الطيبي قوله كان بشرا تمهيد لما بعده لانها لما رأت من اعتقاد
الكفار ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يليق بمنصبه ان يفعل ما يفعله عامة الناس وجعلوه
كالملوك فانهم يترفعون عن الافعال العادية الدنيئة تكبرا كما حكى الله تعالى عنهم في
قوله ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق فقالت انه صلى الله عليه وسلم
كان خلقا من خلق الله تعالى وواحدا من اولاد ادم شرفه الله بالنبوة وكرمه بالرسالة
وكان يعيش مع الخلق بالخلق ومع الخالق بالصدق فيفعل مثل ما يفعلوا ويعينهم في
افعالهم تواضعا وارشادا لهم الى التواضع ورفع الترفع وتبليغ الرسالة من الحق الى
الخلق كما قال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي رواه الترمذي وكذا ابن حبان وصححه
وفي الجامع كان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم
رواه ابو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن سهل بن حنيف
وعن خارجة بن زيد بن ثابت اي الانصاري المدني قال المؤلف تابعي جليل القدر ادرك
زمن عثمان وسمع اباه وغيره من الصحابة وهو احد فقهاء المدينة السبعة قال دخل نفر
اي جماعة من التابعين وقيل النفر عدة رجال من ثلاثة الى عشرة على زيد بن ثابت وهو
ابو خارجة صحابي جليل انصاري نجاري كاتب الوحي ومن اعظم القراء اخذ عنه ابن عباس
وغيره من الصحابة والتابعين فقالوا له حدثنا احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي نسخة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانهم ارادوا ما يدل على حسن الخلق
وجميل المعاشرة مع الخلق قال كنت جاره فيه ايماء الى قربه اليه حسا ومعنى واشارة الى
الدلالة خبرة به اتم من غيره فكان اذا نزل عليه الوحي بعث الي اي ارسل الي احدا يطلبني فجئته
فكتبته اي الوحي له اي لاجله فكان اي من عادته في مجالسته ومكالمته مع صحبه اذا ذكرنا
الدنيا اي ذمها او مدحها لكونها مزرعة الاخرة ذكرها معنا زيادة في الخير وتقوية في النفوس

وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا وتبشيرا لفوائده وحكمه ولطائفه وآداب الأكل وحكايات
أنه كان يلاطفهم في الكلام لئلا يحصل لهم السآمة والملال ويؤنسهم فيما يتحدثون فيه شرع
إليه من تبليغ المواعظة والأحكام ولا ينافي هذا ما ورد من أنه صلى الله عليه وسلم كان يخزن
لسانه إلا فيما يعنيه وأن يجلسه مجلس علم لأن ذكر الدنيا والطعام قد يتضمن فوائد علمية
أو حكمية أو دينية ويتعلق بتخلقه فيه جواز تحدث الكبير مع أصحابه في المباحات
ومثل هذا البيان واجب عليه صلى الله عليه وسلم والله أعلم فكل هذا بالرفع وينصب
أي جميع ما ذكر أحدثكم فتقدير الرواية بالرفع وفي خبره الرابطة محذوف ويجوز النصب
فتقديره أحدثكم إياه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود من هذه الجملة تأكيد صحة
الحديث وإظهار الاهتمام به والله أعلم رواه الترمذي وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صافح الرجل لم ينزع بكسر الزاي أي لم يخلص
ولم يفك يده من يده حتى يكون أي الرجل هو الذي ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون
هو الذي يصرف وجهه عن وجهه ولم ير بصيغة المجهول أي لم يبصر النبي صلى الله عليه وسلم
مقدما بكسر الدال المشددة بين يدي جليس له أي مجالس له بل ما كان يجلس بحيث يكون
ركبتاه متقدمتين على ركبتي صاحبه كما يفعل الجبابرة في مجالسهم وقيل ما كان يقدم
ركبتيه عند من يجالسه بل كان يخفضهما تعظيما لجليسه وقالوا أراد بالركبتين الرجلين وتقديمهما
مدهما وبسطهما كما يعتاد تقديم رجلا وأخرى ومعناه كان صلى الله عليه وسلم لا يمد رجله عند جليس
تعظيما له قال الطيبي في قوله كان لا ينزع يده قبل نزع صاحبه تعظيم لا مزيد في إكرام صاحبه
وتعظيمه فلا يبتدر بالمفارقة منه ولا يهينه بمد الرجلين إليه رواه الترمذي وعنه أي عن أنس
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر أي لا يبقي شيئا لغد توكلا على الله اعتمادا على
خزائنه وهذا بالنسبة إلى نفسه النفيسة خاصة وإلا فقد كان يدخر لأجل أهله وعياله قوتا كان يدخر
لهم قوت سنتهم لضعف حالهم وعدم قوة احتمالهم وقلة كمالهم رواه الترمذي وعن جابر بن
سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويل الصمت أي كثير السكوت والمعنى أنه
لا يتكلم إلا لحاجة وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت وقد قال الصديق الأكبر ليتني
كنت أخرس إلا عن ذكر الله رواه البغوي في شرح السنة بإسناده ورواه أحمد في مسنده
عن جابر بن سمرة أيضا ولفظه كان طويل الصمت قليل الضحك فكان نحو صاحب المشكاة إلى
بسند لينه فإن حديث مسند أحمد ما ينقل عنه وعن جابر أي ابن عبد الله ولذا لم يقل وعنه لأنه
غيره وهو المراد عند الإطلاق به قال كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل أي تبيين
في قراءته لقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا أي وتمهيل في حديثه أي في ساعته ومراعاة لقوله
تعالى وما عليك إلا البلاغ المبين وقال ابن الملك هما بمعنى وهو التبيين والإيضاح في الحروف
انتهى ولا يخفى أن الأنسب بالتقييد وبأن من الجملتين التأكيد وإن كان ما لهما واحدا وأصل
معانيهما متحدا فالمراد منهما أنه كان لا يعجل في إرسال الحروف بل يلبث فيها ويبينهما
تبيينا لذاتها من مخارجها وصفاتها وتمييز حركاتها وسكناتها وخلاصته أن الكلام ينبغي أن يجعله بين
وإثباته النوعة وفي النهاية الترتيل في القراءة التأني فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات
تشبيها بالثغر المرتل وهو المشبه بنور الأقحوان يقال رتل القراءة وترتل فيها والترسيل
الترتيل يقال ترسل الرجل في كلامه ومشيه إذا لم يعجل وهو الترسل سواء رواه أبو داود
وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد أي في كلامه

ركبتيه صح

سردكم هذا أي كسردكم من العجلة والمتابعة ولكنه كان يتكلم بكلام بينه أي بين أجزائه فصل أي فرق
أو فاصل يحفظه من جلس إليه وعن عبد الله بن الحارث بن جزء بفتح جيم وسكون زاي فهمز كذا ذكره
المؤلف في أسماء رجاله وهو بكسر زاي وبعدها ياء وفي نسخة بزاي كذا في المغني وهو أبو الحارث السهمي
شهد بدرا وسكن مصر ومات بها قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه
وسلم رواه الترمذي وعن عبد الله بن سلام قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس
يتحدث بكسر من الأكثر أي يتحدث معه كثيرا ما يرفع طرفه بسكون الراء أي نظره إلى السماء أي كان
ينظر إلى السماء حال التكلم منتظرا لجبريل أو انتظار الوحي الموعود وشوقا إلى الرفيق الأعلى رواه أبو
داود الفصل الثالث عن عمرو بن سعيد عن أنس رضي الله تعالى عنه كذا في النسخ
المعتمدة والأصول المشهورة وبوب ثانيا الذي شك وفي نسخة عن أنس عن عمرو بن سعيد والظاهر
أنه سهو قلم وزلة قدم وقلب كلام لما في أسماء الرجال للمؤلف هو عمرو بن سعيد مولى ثقيف
بصري روى عن أنس وأبي العالية وغيرهما وعنه ابن عون وجرير بن حازم وعدة قال ما رأيت
أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النووي هذا هو المشهور ويروى
بالعباد ويلائم الأول ما سيأتي في البيان بقوله كان إبراهيم ابنه مسترضعا بفتح الضاد
وقيل بكسرها في عوالي المدينة أي القرى التي عند المدينة فكان أي النبي صلى الله عليه وسلم ينطلق
ونحن معه فيدخل البيت أي الذي فيه إبراهيم وإنه ليدخن بضم الياء وتشديد الدال وكسر الخاء
ثم بين سببه بقوله وكان ظئره قينا وهو أبو سيف القين واسمه البراء بن أوس الأنصاري وهو
معروف بكنيته قال النووي الظئر بكسر الظاء مهموزة المرضعة ولد غيرها وزوجها ظئر لذلك
المرضع والظئر يقع على الذكر والأنثى والقين بالفتح الحداد ثم الجملتان حاليتان معترضتان
بين المعطوف عليه وهو قوله فيدخل البيت والمعطوف وهو قوله فيأخذه أي ابنه فيقبله ثم
يرجع قال عمرو ولما قال الأعز أنس خلافا لمن توهم أنه الراوي فإنه من أن يعين على أنه يكون
يكون مقول الراوي مؤنثا عليه ومنقطعا عما قبله فلما توفي إبراهيم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إن إبراهيم ابني فإنه التقرير لأن مارية وهي مارية القبطية أهداها المقوقس
القبطي صاحب مصر والإسكندرية وولدت إبراهيم في ذي الحجة سنة ثمان وإنه مات في الثدي
وهو كناية عن الرضاع والمراد به اللبن وزوجته التي أرضعت إبراهيم أم بردة كذا ذكره المؤلف
بذكر المحل وإرادة الحال وقال الطيبي أي في زمن رضاعه الثدي أو في حال تغذيه بلبن الثدي
وإن له لظئرين أي لمرضعتين بدل واحدة في الدنيا تكملان من باب الإفعال وفي نسخة من باب
التفعيل أي توفيان ويتمان رضاعه بفتح الراء ويكسر أي مدة رضاعه وتمامها الحولان فإنه توفي وله
ستة عشر شهرا أو سبعة عشر وقيل وله سبعون يوما فترضعانه بقية السنتين في الجنة قال
صاحب التحرير وهذا الإتمام لإرضاع إبراهيم يكون عقيب موته فيدخل الجنة متصلا بموته فيتم
فيها رضاعه كرامة له ولأبيه صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وأما حديث لو عاش إبراهيم
لكان صديقا نبيا فأخرجه الباوردي عن أنس وابن عساكر عن جابر وابن عباس وعن ابن أبي أوفى وزاد
ابن سعد عن مكحول مرسلا لو عاش إبراهيم ما رق له خال ورواه ابن سعد عن الزهري مرسلا لو
عاش إبراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطي كذا ذكره الشيخ جلال الدين السيوطي في الجامع الصغير وقال
الربيع في تمييز الطيب من الخبيث أخرج ابن ماجه وغيره من حديث ابن عباس قال لما مات
إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وقال إن له مرضعا في الجنة ولو عاش لكان صديقا نبيا ولو عاش
لعتقت أخواله من القبط وما استرق قبطي وفي سنده أبو شيبة إبراهيم بن عثمان الواسطي
وهو ضعيف والله أعلم انتهى وقال النووي في تهذيبه وما روي عن بعض المتقدمين حديث

لو عاش ابراهيم لكان نبيا طال وحسبك تهجمه على الكلام بالمغيبات ومجازفته وهجومه على عظيم وقال
ابن عبد البر في تمهيده لا ادري ما هذا فقد ولد نوح غير نبي ولو لم يلد الا نبيا لكان كل احد نبيا لانهم من ولد
نوح انتهى ولا يخفى على احد انه ليس في الكلام ما يدل على ان ولد النبي يجب ان يكون نبيا لانه صرح في تخصيصه
التقدير والفرضية مع انه لا يستلزم وقوع المقدم في القضية الشرطية فلا ينافي في كونه صلى الله عليه وسلم
خاتم النبيين فهو قريب من قوله صلى الله عليه وسلم على ما رواه احمد والترمذي والحاكم عن عقبة بن عامر مرفوعا
لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب والله سبحانه وتعالى اعلم بما كان وبما يكون وبما لا يكون ان لو كان
كيف يكون هذا وقد قال شيخ مشايخنا العلامة الرباني الحافظ ابن حجر العسقلاني في الاصابة
وهذا عجيب من النووي مع وروده عن ثلاثة من الصحابة ولا يظن بالصحابي انه يهجم على مثل هذا
بظنه فكذلك مع انهم لم يقولوه موقوفا بل اسندوه مرفوعا كما بينه خاتمة الحفاظ السيوطي
اسانيده في رسالة في حدة مع ان من القواعد المقررة في الاصول ان موقوف الصحابة اذا لم يتصور ان
يكون من رايه فهو في الحكم المرفوع فانكار النووي كابن عبد البر لذلك اما لعدم اطلاعهما او لعدم
ظهور تاويله او بعد سندهما والله اعلم وعن علي رضي الله تعالى عنه ان يهوديا كان يقال له فلان كان له
من اسمه حبر اي عالم من علماء اليهود كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم دنانير اي معدودة معلومة
فتقاضى النبي صلى الله عليه وسلم اي فطالبه اياها فقال له يا يهودي ما عندي ما اعطيك ما الاولى
نافية والثانية موصولة اي شيئا اعطيكه اياه عوضا عن الدنانير قال فاني لا افارقك يا محمد
حتى تعطيني اي كي تعطيني او الا ان تعطيني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بالتنوين
اجلس معك بالرفع وفي نسخة بالنصب فجلس معه فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة اي الفجر وهو يحتمل كونها في المسجد او في احد
بيوت اهله والاول اظهر وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهددونه اي بالضرب
ويتوعدونه اي بالاخراج والقتل ففطن بكسر الطاء اي فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي
يصنعون به من التهديد والوعيد الشديد وما موصولة او موصوفة وكان انكر عليهم او بالغضب
نظر اليهم ولما نظر صنيعهم ارادوا الاعتذار فقالوا يا رسول الله يهودي يحبسك قال
الطيبي همزة الانكار مقدرة والتنكير فيه للتحقير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم منعني
ربي ان اظلم معاهدا بكسر الهاء وفتحها الذمي والمستامن وغيره تعميم بعد تخصيص ووجه تقديم المعاهد
لما يقتضيه المقام ولان مخاصمته اشد يوم القيمة لانه يكثر ان ياخذ حسنة مسلم لا وضع
سيئة له على مسلم كما في مظالم الدواب ولعل الاصحاب رضي الله تعالى عنهم لم يكونوا قادرين على
قضاء دينه او ما كانوا يريدون بادائه مراعاة لامر دينه وتقواه ولذا لم يبذل من الامر تسليم لحكمة ولعلها
تبرئته من نوع طمع او صنف يؤدي الى التهمة تاجرا قال تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا ونظايرها
سيرا لتشريع نزلهم وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين او ليكون حجة على اليهود
لكونه صلى الله عليه وسلم منعوتا في كتبهم بانه يختار الفقر على الغنى ونبكتهم في قولهم عند نزول
قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا على ما حكى الله عنهم في قوله سبحانه لقد سمع
الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ومن جملة الحكم ما ظهر في حصول هذه القضية كما
ترحل النهار اي ارتفع الضحى وتقلص الظل وتبدل الظلمة بالنور وتغير الشدة بالسرور قال
اليهودي اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله وشطر مالي اي نصفه في سبيل الله
اي في مرضاته شكرا لنعمة الاسلام وطلبا لمزيد الانعام اما بالتخفيف للتنبيه والله ما فعلت
الذي فعلت بك اي من غلظ القول وخشونة الفعل الا لانظر الى نعتك اي الى موافقة وصفك
في التوراة محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره بفتح الجيم اي موضع هجرته بطيبة اي المدينة

وملكه

وملكه اي معظمه بالشام ونواحيه ليس بفظ اي سيئ اللسان ولا غليظ اي جافي الجنان ولا سخاب
اي صياح في الاسواق اي بين اهلها ذوي الزمان ولا متزي اي متصف بالفحش اي في الفعل ولا قول
الخنا بفتح اوله مقصورا اي الفحش وهو خشونته اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وهذا مالي
اي كله فكانه سمعه واشار الى مكانه فاحكم فيه اي في جميعه او في شطره بما اراك الله اي احكم بانه
محله اللائق به وكان اليهودي كثير المال اي ومع هذا احسن الحال والمآل في المال رواه البيهقي في
دلائل النبوة وعن عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر اي
ذكر الله وما يتعلق به لما في مسند الفردوس عن علي بسند من احب شيئا اكثر من ذكره ويقل اللغو اي
غير الذكر المذكور من ذكر الدنيا وما يتعلق بها فانه ولو كان ما يخلو عن مصلحة وحكمة لكنه بالاضافة
الى الذكر الحقيقي لغو ولذا قال الغزالي ضيعت قطعة من العمر العزيز في تاليف البسيط والوسيط
والوجيز فاطلق عليه اللغو نظرا الى الصورة والمبنى مع قطع النظر عن المعنى ومنه قولهم حسنات
الابرار سيئات المقربين والاظهر قال تعالى في حق كمل المؤمنين والذين هم عن اللغو معرضون وقال
عز وجل واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه واما ما قيل من ان المعنى لا يلغو اصلا فان القلة تستعمل
في النفي مطلقا نحو قليلا ما تؤمنون فياباه حسن المقابلة بقوله ويكثر واما قول بعضهم ويجوز ان
يراد باللغو المزاح وان ذلك كان منه قليلا فمردود اذ مزاحه صلى الله عليه وسلم من اللغو هو
اللغو فانه روى الترمذي عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول الله انك تداعبنا قال اني لا اقول الا حقا
فالكلام في مزاح هو الحق فكيف يجعله الذي هو الصدق المطلق وقد صرح العلماء بان المزاح بشرطه من جملة
المستحبات فكيف يعد من اللغويات اللهم الا ان يقال ما كان منه من الامر النسبي والتنزل الاضافي
ويطيل الصلاة اي خصوصا في الجمعة لقوله ويقصر الخطبة من التقصير وفي نسخة من القصر ولعل
وجهه ان الصلاة معراج المؤمن ومحل مناجاة المهيمن فيناسبها الاطالة بلا ملالة والخطبة محل التوجه
الى الخلق ودعائهم الى الحق وفيها زيادة مظنة الرياء والسمعة لطلاقة اللسان في الفصاحة والبلاغة
ولذا ورد من فقه الرجل طول صلاته وقصر خطبته ولا يانف بفتح النون من الانف وزاد في
الجامع ولا يستنكف اي لا يستكبر ان يمشي مع الارملة في النهاية الارامل المساكين من رجال
ونساء وهو بالنساء اخص واكثر والواحد ارمل وارملة وفي القاموس كامراة ارملة محتاجة او
مسكينة والارامل الجماعة منهما اذ لا يقال للعزب الموسر ارملة انتهى ولا يخفى ان المعنى الاخير
هو المراد هنا لقوله والمسكين اللهم الا ان يقال عطف تفسيري كما يدل عليه قوله فيقضي له
الحاجة حيث افرد بصيغة الافراد والمراد لكل منهما او لما ذكر رواه النسائي والدارمي وفي الجامع
بزيادة والعبد بعد قوله والمسكين وقال رواه النسائي والحاكم عن ابن ابي اوفى وعن
وعن علي رضي الله تعالى عنه ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا اي معشر قريش لا نكذبك
بالتشديد ويجوز تخفيفه اي لا ننسبك الى الكذب فانك عندنا مشهور بالصدق ولكن
نكذب بما جئت به اي نكذبك بسبب ما جئت به من القرآن والتوحيد والمعنى ننكره ومنه قوله تعالى
وكذب به قومك وهو الحق وفي القاموس كذب بالامر تكذيبا انكره وفلانا جعله كاذبا وقلت له كذبت
والمعنيان في الحديث فانزل الله تعالى فيهم اي في ابي جهل واضرابه فانهم لا يكذبونك والجمهور
على التشديد وقرئ بالتخفيف ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون بيان لجحده حقيقة وعنه
كمنعه انكره مع علمه كذا في القاموس قال الطيبي روي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا
الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام هو كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق
وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر
قريش فقوله ولكن نكذب بما جئت به وضع موضع ولكن نحسدك وضعا للمسبب موضع السبب

رواه الترمذي وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة
لو شئت اي لو اردت من مال الدنيا ومنالها لسارت معي جبال الذهب جاءني اسنيت في بيان منقضي
للتقليل اي نزل الي ملك اي عظيم طويل كما بين بقوله وان حجزته بضم الحاء وسكون الجيم فزاي معقد
ازاره لتساوي الكعبة اي تعادل طولها ولعل وجه ظهوره بهذه العظيمة لتعظيم لهذا الامر وتهيا
فقال ان ربك يقرا عليك السلام في النهاية اقرئ فلانا السلام واقرا عليه السلام كانه حين يبلغه
سلامه يحمله على ان يقرا عليه السلام ويرده وفي القاموس قرا عليه السلام ابلغه كاقراه او لا
يقال اقراه الا اذا كان السلام مكتوبا ويقول ان شئت نبيا عبدا اي ان اردت ان يكون نبيا
كعبد اي جامعا بين وصف النبوة والعبودية فعل او اختر ونحوه وان شئت نبيا ملكا
اي فكذلك وحاصله ان الله خيرك فاختر ما شئت وفيه ايماء الى ان الملوكية وكمال العبودية لا يجتمعان
قال الطيبي قوله نبيا عبدا خبر يكون محذوف بدليل الرواية الاخرى ان الله يخيرك بين ان تكون
عبدا نبيا وجزاء الشرط محذوف اي ان شئت ان يكون نبيا عبدا فكن اياه فنظر الى جبريل عليه
السلام اي نظر مشاورة واختيار في موضع اختيار لقوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولان بعض الانبياء جمع لهم بينهما وربما يظن انه هو
الكمال كما ورد نعم المال الصالح للرجل الصالح ولكونه وسيلة الى فتح البلاد وتوسيع العباد
وامثال ذلك فاشار الي ان تضع نفسك اي مصدرية وضع امر من وضع او تفسيرية لما في
اشار من معنى القول والحاصل انه اوما الي بان حط نفسك عن طمع مرتبة الملوكية واختر ان
تكون في مقام العبودية فانه في المال الى العلي وفي الدنيا احلى فان الملك
لله الواحد القهار وقد قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليظهر عبوديتهم
لي والوهيتي وربوبيتي لهم كما ورد في الحديث القدسي كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف
فخلقت الخلق لاعرف وفي تقديم الشرطية الاولى اشعار بالمرتبة الاولى وفيه دليل صريح على ان
الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر خلافا لمن خالفه كابن العطا وقد اطلق الجنيد بالبلا
المؤدي الى العطاء وفي رواية ابن عباس فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل
كالمستشير فاشار جبريل بيده اي الى الارض ان تواضع اي اختر الفقر والعبودية المورثة للتواضع
لله المنتجة لرفع القدر عند الله لا الملك والغنى الباعث على الطغيان والغنيان الموجب للتكبر
والكفران المقتضي لوضعه عن نظر الله وهذا باعتبار غالب الاحوال ولذا اختار الله الفقر
لاكثر الانبياء والاولياء والعلماء والصلحاء جعلنا الله منهم وحشرنا معهم فقلت نبيا عبدا
اي اكون نبيا عبدا قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا ياكل متكئا
لترك الكبر لانه كان يميل الى احد الجانبين لانه يمنع مجرى الطعام وقيل التقاعي
عبارة في الشفا عن المحققين انهم فسروه بالتمكن للاكل في الجلوس كالمتربع المعتمد على وطاء
لان هذه الهيئة تدعي كثرة الاكل يقول اسنيت في بيان لقوله لا اكل بل كما ياكل العبد اي تمام تيسير له
من ادب الماكول واجلس كما يجلس العبد اما على الركبتين كهيئة الصلاة وهذا افضل الهيئات
او ينصب احدى الركبتين حالة الاكل ويجزي اذ يرفع الركبتين على صفة الاختباء وهو احد انواع جلوسه
صلى الله عليه وسلم في غير الصلاة رواه اي البغوي في شرح السنة اي باسناده وفي الشمائل
للترمذي عن ابي جحيفة مرفوعا اما انا فلا اكل متكئا وفي الجامع الصغير انما انا عبد اكل كما ياكل
العبد واشرب كما يشرب العبد رواه ابن عدي في الكامل عن انس ورواه احمد ومسلم وابو داود
عن كعب بن مالك انه صلى الله عليه وسلم كان ياكل بثلاث اصابع ويلعق يده قبل ان يمسحها
وروى البيهقي والطبراني عن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم كان اذا شرب تنفس في الاناء

ثلاثا يسمي عند كل نفس ويشكر في اخرهن وفي الحلية لابي نعيم عن ابي جعفر مرسلا انه صلى الله
عليه وسلم كان اذا شرب الماء قال الحمد لله الذي سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا
بذنوبنا وروى الطبراني عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان يجلس على الارض وياكل على الارض
ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك الى خبز الشعير انتهى والله سبحانه وتعالى اعلم

باب المبعث وبدي الوحي

هذا من باب ما قاله ارباب الهداية من ان النهاية هي الرجوع الى البداية فتنزل الى باب مثله
البواب فثبت الواو لفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ويجمع على ابواب وقد قالوا ابوبه ذكره
العيني والمراد هنا نوع من الكلام المشتمل على جنس لكتاب المجموع لافراد الانواع كما
بينته في تعليقي الاول باب كتاب البخاري في بيان الاعراب بدون الاعراب ثم البعث
مصدر ميمي والاظهر المقصود به بمعنى البعث من بعث اذا ارسل ذكره ابن الملك فالمراد به
انه مصدر ميمي والاظهر المقصود به معرفة زمان البعث ومكانه كما نبه عليه اول الحديث
من الفصل الاول وفي البدء بموحدة مفتوحة فدال ساكنة فهمزة بمعنى الابتداء فيد وير وي
بدو كظهور وزنا ومعنا ونقل الاحسن الاول لانه يجمع المعنيين او الثاني لانه اعم ايان
ذلك انما محله قول البخاري كيف كان بدء الوحي فانه يحتمل الاحتمالين كما او ضحناه في
محله واما ما نحن فيه فلا يلائم الا رسم الثاني فانه يكتب بالالف بخلاف ما في الصحيح فانه
يكتب فيه بالواو قال ميرك ولا يتم دعوى ما نقلنا ايضا انه قال العسقلاني في فتح الباري
قال عياض روي بالبدء بالهمز وسكون الدال من الابتداء وبغير همز مع ضم الدال وتشديد الواو
من الظهور قلت ولم ار مضبوطا في شيء من الروايات التي اتصلت بنا الا انه وقع في بعضها
كيف كان ابتداء الوحي فهذا يرجح الاول وهو الذي سمعناه من افواه المشايخ وقد استعمله
يعني البخاري في هذه الحالة كثيرا كبدء الحيض وبدء الاذان وبدء الخلق والوحي لغة الاعلام في
خفاء واصله التفهيم ومنه قوله تعالى واوحى ربك الى النحل وشرعا هو الاعلام بالشرع
وقد يطلق ويراد به اسم المفعول اي الموحى وهو كلام الله المنزل على نبي من انبيائه وقال الشارح
البعث مصدر بمعنى الارسال والبدء الابتداء والوحي هنا الرسالة ولعل اختياره كيفية
معنى المصدر في المبعث لاشتماله على الزمان والمكان ايضا مع الدلالة على كيفية اصل الفعل
والله اعلم

الفصل الاول عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث بصيغة المجهول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاربعين سنة اي
اي جعل مبعوثا الى الخلق بالرسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاربعين سنة
اي تمام هذه المدة قال الطيبي اللام فيه بمعنى الوقت كما في قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس فمكث
بضم الكاف وبفتح اي لبث بمكة ثلاث عشرة سنة بسكون الشين المعجمة وبكسرها يوحى اليه
جملة حالية او استئناف فيه اي يوحى اليه في اثناء تلك السنين ثم امر بالهجرة اي الى المدينة
فهاجر اي اليها عشر سنين بالسكون لا غير ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة وهذا
هو الصحيح وقيل ابن خمس وستين كما سيأتي عن انس بل الغاء ابن عباس ايضا بادخال سنتي
الولادة والوفاة وقيل ابن ستين كما سيأتي عن انس بالغاء الكسر متفق عليه وعنه اي عن ابن
عباس قال اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة اي بادخال سنتي
الولادة والهجرة يسمع الصوت اي صوت جبريل ويرى الضياء اي النور في الليالي المظلمة
ضياء عظيما سبع سنين قال الطيبي يعني انه صلى الله عليه وسلم كان يرى من امارات النبوة
سبع سنين ضياء مجردا ولا يرى معه ملكا وهو معنى قوله ولا يرى شيئا اي سوى الضوء قال لما

باب المبعث وبدي الوحي

الفصل الاول عن ابن عباس

والحكمة في رؤية الضوء المجرد دون رؤية الملك حصول الاستيناس به اولا بالضوء المجرد وذهاب
روعه اولا ورؤية الملك مظنة دهشة وذهاب عقل لغلبة دهشته فانه امر خطير انتهى ولعل
احسن ان الملك في قوله الشريف ان الملك لا يفارقه ضوء الملكية ونور الربوبية فلو رآه
ابتداء لكان بما لم يطقه القوة البشرية وعسى ان يجرد من ذلك عنه فاستوحش اولا بالضوء
ثم غشيه الملك ويجوز ان يراد بالضوء انشراح صدره قبل نزول الوحي فينتج الانشراح منه
ولا يكمل انشراح صدره الا بعد وصوله الى اربعين لتستعد الى ان يكون واسطة بين الله وبين
خلقه وثمان سنين يوحى اليه اي في مكة واقام بالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن خمس وستين
سبق الكلام عليه متفق عليه قال ميرك قوله متفق عليه لم يقع في موقعه لان البخاري لم يخرجه
بل هو في صحيح مسلم فقط كما صرح به الحميدي في الجمع بين الصحيحين واشار اليه شيخنا ابن حجر في
شرح صحيح البخاري ومنشأ توهم صاحب المشكاة صنيع ابن الاثير في جامع الاصول والحاصل
انه اغتر بظاهر كلامه من غير رجوع الى الماخذ فلذا وقع فيما وقع والله اعلم وعن انس قال توفاه
الله على راس ستين سنة قال الطيبي مجاز قوله في راس ستين سنة اي اخر كمجاز قولهم راس
الآية اي اخرها سمي اخر الشي راسا لانه مبدأ مثله من اية اخرى او عقد اخر متفق عليه وزاد الترمذي
في الشمائل وعنه اي عن انس رضي الله تعالى عنه قال قبض النبي صلى الله عليه وسلم اي توفي
وهو ابن ثلاث اي والحال انه صاحب ثلاث سنين وستين اي سنة كما في نسخة وابو بكر وهو
ابن ثلاث وستين وقيل ابن تسع وخمسين وقيل ثمان وخمسين وقيل ست وخمسين
قال المؤلف طعنه ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة بالمدينة يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة
سنة ثلاث وعشرين ودفن يوم الاحد غرة محرم سنة اربع وعشرين وله من العمر ثلاث وستون
وهو اصح ما قيل في عمره وكانت خلافته عشر سنين ونصفا واما عثمان فقد قتل ليلة السبت
بالبقيع وله يومئذ من العمر اثنتان وثمانون سنة وقيل ثمان وثمانون وقيل غير ذلك
وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة واما علي فاستخلف يوم قتل عثمان وهو يوم الجمعة لثمان
عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي بالكوفة صبيحة
الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة اربعين ومات بعد ثلاث ليال من ضربته
ودفن سحرا وله من العمر ثلاث وستون سنة وقيل سبعون وقيل ثمان وخمسون وكانت
خلافته اربع سنين وتسعة اشهر واياما ولعل السكوت عن ذكر علي مع ان الصحيح في عمره
انه ثلاث وستون لانه اذ ذاك في قيد الحياة او لانه ما خرج عنه والله اعلم رواه مسلم
وروى الترمذي عن جرير عن معاوية انه سمعه يخطب قال مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو ابن ثلاث وستين وابو بكر وعمر كذلك وانا ابن ثلاث وستين اي وانا متوقع ان اموت
في هذا السن موافقة لهم ففي جامع الاصول كان معاوية في زمان نقله هذا الحديث
في هذا السن ولم يمت فيه بل مات وله ثمان وسبعون سنة وقيل ست وثمانون سنة قال
ميرك يمكن لكن لم ينل مطلوبه بل مات وهو ذهب من تمنيه قلت لكن حصل مرغوبه من
ثلاث لتوافق الدين هو موجود مع زيادة عمره واملة فيه المرجو من عمله قال محمد بن اسمعيل
البخاري ثلاث اي بحرف الحكاية والتقدير رواية ثلاث وستين اكثر اي رواية من غيرها وترجح
الامام احمد ايضا هذه الرواية قال النووي في شرح مسلم ذكر ثلاث روايات احدها انه
صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة والثانية ابن خمس وستين والثالثة ثلاث
وستين وهي اصحها واشهرها رواه مسلم هاهنا من رواية انس وعائشة وابن عباس ومعاوية
رضي الله تعالى عنهم فرواية ستين مقتصرة على العقود ورواية الخمس بتأويل وانكروا

عروة عن ابن عباس قوله وتأولوه انه لم يعد كسر اول النبوة ولا كسر صحبته بخلاف الباقين والرابع
الى غير الصحيح المشهور وادعى القاضي عياض الاجماع عليه واتفقوا على انه ولد يوم الاثنين
في شهر ربيع الاول واختلفوا هل هو ثاني الشهر ام ثالثه ام عاشره او ثاني عشره يوم الاثنين ثاني
عشر ربيع الاول ضحى صلوات الله وسلامه عليه انتهى ولا يخفى ان هذا قول الخرافين وهو ان عمره
صلى الله عليه وسلم اثنان ونصف وستين سنة وانه جمع ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من
ان عمر كل نبي نصف عمر نبي كان قبله وعمر عيسى عليه السلام خمس وعشرون ومائة وقيل
هذا الحديث لا يخلو من ضعف ويمكن ان يقال الغاء النصف من الكسر بعيد عند اهل
الحساب والله اعلم بالصواب وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت اول ما بدئ به رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال النووي هذا الحديث من مراسيل الصحابة فان عائشة لم تدرك
هذه القضية فيكون سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم او من صحابي ومرسل الصحابي حجة
عند جميع العلماء الا ما انفرد به الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني قال الطيبي والظاهر
انها سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم لقولها قال فاخذني فغطني فيكون قولها اول
ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية ما تلفظ به صلى الله عليه وسلم كقوله
تعالى قل للذين كفروا ستغلبون بالتاء والياء وقيل انه صلى الله عليه وسلم يؤدي بلفظ التاء او
الياء ومعناه فلا يكون الحديث حينئذ من المراسيل قلت هذا غريب من الطيبي لانها لما
لم تنشد في صدر الحديث انها سمعت منه صلى الله عليه وسلم كان من المراسيل الا ان عاد
عن صحابي ولا يبقى فيه قولها قال فانه انما نقل كلامه صلى الله عليه وسلم او نقل كلام الصحابي
والتقدير قال لنا فلا غنى عليه السلام والله اعلم بالمرام ثم الظاهر ان من في قوله من الوحي
لبيانية كما قيل اي اول ما ابتدئ به من اقسام الوحي الرؤيا الصادقة وقوله في النوم اما تأكيد
واما في الرؤيا تجريدا فالرؤية ما رأيت في منامك على ما في القاموس ثم اعلم ان حقيقة الرؤيا
الصادقة ان الله يخلق في قلب النائم او في حواسه الاشياء كما يخلقها في اليقظان وهو سبحانه
وتعالى يفعل ما يشاء لا يمنعه نوم ولا يقظة فربما يقع ذلك في اليقظة كما رآه في المنام
وربما ما رآه علما على امور اخرى يخلقها في ثاني الحال او كان خلقها فيقع ذلك كما جعل الله
تعالى الغيم علامة للمطر كذا حققه العلامة الكرماني فكان لا يرى رؤيا وفي نسخة الرؤيا
الا جاءت اي تلك الرؤيا يعني اثرها الدال على تحققها مثل فلق الصبح بفتح الفاء واللام اي ضوئه
اذا انفلق كما في شرح السنة والمعنى مشبهة بضيائه او مجيئا مثله قال شارح الفلق بالتحريك
الصبح بعينه وجنس ايضا فقيل الصبح وان كانت الاضافة للتعيين يكون من الالفاظ المترادفة
فانه يطلق الفلق على الصبح وعلى المطمئن من الارض مشبهة ما جاءه في اليقظة مما نقلا لما
رآه في المنام في الفلق لان رتبته واضاءته وصحته وقال القاضي شبه ما جاءه في اليقظة
ووجده في الخارج طبقا لما رآه في المنام بالصبح في انارته ووضوحه والفلق الصبح لكن
لما كان مستعملا في هذا المعنى وفي غيره للخلق كما في قوله قل اعوذ برب الفلق وغير ذلك اضيف اليه
للتخصيص والبيان اضافة العام الى الخاص كقولهم عين الشيء ونفس الشيء وقال الطيبي للفلق
شان عظيم ولذلك جاء وصفا لله تعالى في قوله سبحانه وتعالى فالق الاصباح وامر بالاستعاذة
برب الفلق لانه ينبئ عن انشقاق ظلمة عالم الشهادة وطلوع تباشير الصبح بظهور سلطان
الشمس واشراقها الآفاق كذا الرؤيا الصالحة مبشرات تنبئ عن وفور انوار عالم الغيب
وآثار مطالع الهدايات بسبب الرؤيا التي هي جزء من اجزاء النبوة لان النبي انما سمي نبيا
لانه ينبئ عن عالم الغيب الذي لا يستقل العقول بادراكه وفي شرح مسلم للنووي قالوا انما

ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا يحتملها قوى
البشرية فبدئ بتباشير الكرامة وصدق الرؤيا استئناسا **فكانت** أي فتقتضي
الظهور والنور يجيئه في الأمور المدينية وكان الرؤيا شبهت بالفلق الذي هو الصبح وهو مقدمة
طلوع الشمس المشبه بها إتيان جبريل بالوحي المنزل الذي هو نور وكتاب مبين يهدي الله لنوره
من يشاء ثم يكون بين النور الحسي الإنساني والنور العقلي الخلائقي **ثم حبب إليه الخلاء** بالمد أي
الخلوة لمناسبة لرتبته الخاصة عن الغير المتقدمة على الخاصية المترتبة عليها بثبوت نور وجود
كرمه وجوده قال النووي الخلوة شأن الصالحين وعباد الله العارفين قال الخطابي حبب الخلوة
لأن معها فراغ القلب وهي معينة على التفكر وبها ينقطع عن مألوفات البشر ويتخشع قلبه
ويجمع همه فالمقتصر في الخلوة يفتح الله عليه ما يؤنسه في خلوته من تقويم التمثل لله تعالى إياه
ثم تركه لأجله فاشتغل رغبته بنور الغيب حتى تذهب ظلمة النفوس واختيار الخلوة لسلامة
الدين وتنقية أحوال النفس وإخلاص العمل لنهي واختلف في أفضلية الخلوة والجلوة والخلطة
والعزلة والصحيح أن كل واحدة بشروطها المعتبرة في محلها هي الأفضل ولا كل المصلحة المترتبة
عليها الحكمة الإلهية وانقضائها صفة الربوبية **وكان يخلو بغار حراء** بكسر الحاء المهملة وتخفيف
الراء وبالمد مذكور مصروف في الصحيح وقيل مؤنث غير مصروف ذكره النووي وقال القاضي
الزاهد صاحب ثعلب والخطابي وغيرهما العوام يخطئون في حراء في ثلاثة مواضع يفتحون الحاء
وهي مكسورة ويكسرون الراء وهي مفتوحة ويقصرون الألف وهي ممدودة وهو جبل بينه وبين
مكة ثلاثة أميال على يسار الذاهب من مكة إلى منى وقال ش رح هو بالكسر والمد والتصغير
خطأ يذكر ويؤنث فيصرف على الأول ولا يصرف على الثاني أفرد ولعل وجه التذكير اعتبار الموضع
والتأنيث باعتبار البقعة وقال الخشنقدي في حراء هو بالمد وكسر أوله وهو الصحيح رواية
وحكي فتحه وقصره لكن لا يجوز لا رواية وعند الأصيلي بالفتح والقصر **فيتحنث فيه**
أي فيتعبد في ذلك الغار وقال [illegible] في سيرة ابن هشام فيتحنف بالفاء أي يتبع
الحنيفية وهي دين إبراهيم [illegible] كلامهم ذكره السيوطي **وهو** أي التحنث
التعبد وكان المتعبد يتحرز عن الحنث بمعنى الإثم ويجتنب عنه بعبادته وهذا التفسير إما
من قول عائشة رضي الله تعالى عنها أو من قول الزهري أدرجه في الحديث والتحنث في
اللغة نفي الحنث عن نفسه [illegible] التعبد [illegible] بمعنى التلافي عن النفس
الإثم التحنث والتأثم والتحرج كذا ذكره ش رح وقال السيوطي [illegible] وهو التعبد مدرج في
الخبر قطعا قال العسقلاني وهو محتمل أن يكون من كلام عروة أو من دونه قال وجزم
الطيبي بأنه من تفسير الزهري ولم يذكر دليله انتهى وقال التوربشتي فسرت التحنث
بقولها وهو التعبد ويحتمل أن يكون التفسير من قول الزهري أدرجه في الحديث وذلك
من دأبه قال النووي وقوله **الليالي ذوات العدد** متعلق بيتحنث لا بالتعبد ومعناه يتحنث
الليالي ولو جعل متعلقا بالتعبد فسد المعنى فإن التحنث لا يشترط فيه الليالي بل يطلق
على القليل والكثير وهذا التفسير اعتراض بين كلامي عائشة رضي الله تعالى عنها وأما
كلامها فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد وإنما أطلق الليالي وأريد بها الليالي مع أيامهن
على سبيل التغليب لأنها أنسب للخلوة ووصفت بذوات العدد لإرادة التقليل كما في قوله
تعالى دراهم انتهى فالمراد بذات العدد القلة وقيل يحتمل الكثرة إذ الكثرة يحتاج للعدد
لا التقليل وقيل أبهم العدد لاختلافه بالنسبة إلى المدة التي يتخللها مجيئه إلى أهله
وإلا فأصل الخلوة قد عرفت مدتها وهي شهر في كل سنة وذلك الشهر كان رمضان أول

ويحتمل أن يكون المدة أربعين يوما شاع بينها أنه موسى عليه السلام ولما فيها من الحرا من الأسرار التي
تظهر آثارها وأنوارها على الصوفية الأبرار ومع ما فيها من مطابقة الأربعينات في الأطوار
وقد قال صلى الله عليه وسلم من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه
هذا وقال الحافظ العسقلاني ولم يأت التصريح بصفة تعبده لكن في رواية عبيد بن عمير
عند ابن إسحاق فيطعم من يرد عليه من المساكين وجاء عن بعض العلماء أنه يتعبد بالتفكر ذكره
السيوطي في حاشية مسلم وفي التجريد للإمام البارزي المراد المختار أنه صلى الله عليه وسلم
قبل مبعثه متعبد بشرع نوح وقيل إبراهيم وقيل موسى وقيل عيسى ونفاه
المالكية والآمدي وتوقف الغزالي في تعبده قبل البعثة بشرع من قبله وفي شرح
التحرير قال الإمام الحرمين والمازري وغيرهما لا يظهر لهذه المسألة ثمرة في الأصول ولا في
الفروع بل تجري مجرى التواريخ المنقولة ولا يترتب عليها حكم في الشريعة انتهى والظاهر
أن المراد بالتعبد هنا التجلي المعبودية وهو الانقطاع عن الخلق بالكلية والتبتل إلى
الحق بحسب ما يقتضيه صفة الربوبية والخلو عن المطالب النفسية والمآرب الشهوية
وخلاصة الغيبة عما سواه والحضور مع الله المترجم عنه قوله لا إله إلا الله الوارد فيه أفضل
الذكر لا إله إلا الله المعني بقوله فاعلم أنه لا إله إلا الله المعبر عنه عند الصوفية بالفناء والبقاء
والاتصال والانفصال والبينونة والكينونة ونحوها من مراتب العبد ومطالب العباد
قبل أن ينزع إلى أهله يقال نزع إلى أهله ينزع إذا اشتاق ومال وإذا قيل ينزع كيرجع زنة
ومعنى قال ش رح والمعنى أنه كان لا يمكث عن أهله بالكلية إلى الخلوة بل لا يصبر لقوله **ويتزود**
بالرفع أي فيجيء إلى أهله ويأخذ زاده **لذلك** أي للتعبد الليالي ذوات العدد ولما ذكرت الليالي
مستقلا يترتب العدد ومنتهيا لأن المعادلة إلى أن الزاد **ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها**
أي لمثل تلك الليالي ونحو تلك العودة التي فيها الجودة وفيه إيماء إلى أن أخذ الزاد لا ينافي
التوكل والاعتماد **وأما تعلقه** أنه صلى الله عليه وسلم استمر على تلك الحال من الذهاب
للإنماد والرجوع ليرى المآل وحسن المآل **حتى جاءه الحق** أي الأمر الحق وهو الوحي أو رسول الحق
وهو جبريل عليه السلام ذكره التوربشتي والمعنى بين له الحق وظهر له الحال المطلق للإرادة
والمراد **وهو في غار حراء فجاءه الملك** اللام للعهد وهو جبريل وفي النسائية **فقال اقرأ**
أي مطلقا وهو مقتضي الأمر الماضي أو كما أقرأ وهو الظاهر **قال ما أنا بقارئ** أي لا أحسن
القراءة ولم أتعلم القراءة كما هو المعنى دونهم يقرأ **قال فأخذني فغطني** بتشديد الطاء أي عصرني
وأصل الغط في الأصل الغطس في الماء والتغويص فيه على ما في النهاية وغيره ولما كان الغط ما أخذ
بنفس المغطوط استعمل مكان الخنق وفي بعض الروايات فخنقني ويحتمل أن الغط هو العصر
أمام جهة البطن أو الظهر لكن شدة تأثيره يضيق النفس فيشابه حالة الخنق فعبر عنه بالخنق
وهذا المعنى أولى وأحلى وفي شرح مسلم قالوا والحكمة في الغط شغله عن الالتفات والمبالغة
في أمره بإحضار قلبه لما يقوله وإنما كرره ثلاثا مبالغة في التنبيه ففيه أنه ينبغي للمعلم أن
يحتاط في تنبيه المتعلم وأمره بإحضار قلبه وقيل إنما غطه ليختبره هل يقول من قبل نفسه
شيئا وحاصل المعنى عصرني عصرا شديدا **حتى بلغ مني الجهد** بضم الجيم وبفتح وبالرفع وبالنصب قال
النووي الجهد يجوز فيه فتح الجيم وضمها وهو الغاية والمشقة ويجوز نصب الدال ورفعها فعلى
النصب بلغ جبريل مني الجهد وعلى الرفع بلغ الجهد مني مبلغه وغايته وقد ذكر الوجهين في الدال
وفتحها صاحب التحرير انتهى وقال ش رح هو بضم الجيم ورفع الدال وهو بالضم الوسع والطاقة
وبالفتح المشقة وقيل المبالغة والغاية وقيل هما لغتان في الوسع وأما المشقة والغاية

في الفتح لا غير وقال التوربشتي لا أرى الذي يرونه بنصب الدال إلا وهمًا فيه وجوزه من طريق الاحتمال
فإنه إذا نصب الدال يعود المعنى إلى أنه غطه حتى استفرغ قوته في ضغطه وجهد جهده بحيث
لم يبق فيه مزيد وهذا قول غير سديد فإن البنية البشرية لا تستدعي استيفاء القوة الملكية
لا سيما في مبدأ الأمر وقد دلت القضية على أنه اشمأز من ذلك وتداخله الرعب قال الطيبي
لا شك أن جبريل في حالة الغط لم يكن على صورته الحقيقية التي تجلى بها عند سدرة المنتهى وعند
ما رآه مستويًا على الكرسي فيكون استفراغ جهده بحسب الصورة التي تجلى له وغطه وإذا
صحت الرواية اضمحل الاستبعاد قلت لا يلزم من تشكل الملك بصورة الآدمي وتبدله
عن صورته وهيئته الملكي سلب القوة عنه وفي الغلبة منه فإن الأمر المعنوي لا يتغير بتغير الهيكل
الصوري فكلام الشيخ في محله وصحة الرواية من قوته في نفسها لا بمجرد جوازها وذكرها
وجهها **ثم** أي بعد ما بلغ لغرضه مني الجهد **أرسلني** أي تركني في مقام البعد وكأنه نقلني من مقام الجمع
إلى حال التفرقة ومن مرتبة الولاية إلى مرتبة النبوة ترقيًا إلى درجة جمع الجمع **فقال اقرأ**
فقلت ما أنا بقارئ الظاهر من صنيع الشراح أن قوله ما أنا بقارئ في كل مرتبة على معنى واحد
ويمكن أن يقال إن ما الأولى نافية والثانية استفهامية والثالثة إخبارية أو في لغة أهل [illegible]
أي أي شيء أنا أقرأه **فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت**
ما أنا بقارئ أي لست بقارئ ما هو في [illegible] إذ ما موصولة مبتدأ وخبره محذوف والفرق بينه
وبين ما قدمنا في المعنى المرام إذ الأولى استفهام إنكار وهذا استفهام إعلام **فأخذني**
فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك قال التوربشتي هذا دليل
صحيح في أن أول ما نزل من القرآن اقرأ وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف
وقيل أول ما نزل يا أيها المدثر والتوربشتي قلت الظاهر أن اقرأ أول الحقيقي ويا أيها المدثر أول
الإضافي وهو بعد فترة الوحي لا غير قال واستدل بهذا الحديث من يقول بسم الله الرحمن
الرحيم ليست بقرآن في أوائل السور لكونها لم تذكر هنا وجواب المثبتين لها أنها لم تنزل أولًا
بل نزلت البسملة في وقت آخر كما نزلت باقي السورة في وقت آخر قلت فلا يكون البسملة
جزء الجميع وأوائل السور لعدم القائل بالفصل فثبت مدعى أهل الفصل ولعل النووي لما
أشعر ضعف الجواب أسند إليهم تبريًا من قولهم والله أعلم بالصواب قال الطيبي اقرأ
أمر بإيجاد القراءة مطلقًا وهو لا يختص بمقروء دون مقروء فقوله باسم ربك حال أي اقرأ مفتتحًا
باسم ربك أي قل باسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ وهذا يدل على أن البسملة مأمور قراءتها
في ابتداء كل قراءة فيكون مأمورًا قراءتها في هذه السورة أيضًا قلت لا يخفى بعد ما ذكر
على أولي النهى أما قوله أمر بإيجاد القراءة ففيه بحث فإن الإيجاد والإمداد من أفعال
رب العباد فيما هو مقرر في الاعتقاد فالأمر إنما توجه بمباشرة القراءة لا بإيجادها
ثم قوله وهو لا يختص بمقروء دون مقروء وتعقبه أن لفظ اقرأ هنا أيضًا مقروء فالظاهر أن
الباء للاستعانة أو للإلصاق أو الملابسة كما حققوه في البسملة والمعنى اقرأ
مستعينًا باسم ربك أو ملتصقًا به قراءتك أو حال كونك متلبسًا به وعلى التقدير فلا
يلزم منه الافتتاح باسم الرب أي بقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقرأ كما هو ظاهر بل ظاهره
خلاف المأمور على أنه يلزم منه أن المقروء بعد قوله اقرأ باسم ربك والحال أنه لا ترتيب
كذلك فإن مدعي أن [illegible] أن يثبتوا البسملة قبل قوله اقرأ باسم ربك ثم قوله وهذا يدل
على أن البسملة مأمور قراءتها في ابتداء كل قراءة ممنوع ومدفوع لاتفاق العلماء على استحباب
التعوذ ووجوبه قبل قراءة وفي جواز البسملة كذلك لا الأوائل [illegible] على الصواب وفي

اثنا

اثنا سورتها خلاف والمعتمد منعها **الذي خلق** أي الأشياء ومن جملتها خلق القدرة على القراءة
والقوة في الطاعة **خلق الإنسان من علق** تخصيص بعد تعميم إشعارًا بأن الإنسان خلاصة
المخلوقات وزبدة الموجودات وهو في غاية مما اختاره الطيبي من أنه أبهم ثم بين ولعل العدول عن قوله خلق
الإنسان من نطفة لمراعاة الفاصلة وللإشارة إلى نقله في أطوار الخلقة إلى مرتبة النبوة بالوصول
إلى الحق المطلق وإلى مقام الرسالة من دعاء الخلق إلى دعوة الحق **اقرأ** تأكيد للتقرير وتمهيد للتكثير
وربك الأكرم أي من كل كريم فإنه أكرم كل كريم من أثر كرمه وذلك من صفاته ظهور شمس نعمه وفيه إشارة
إلى أن صفة الأكرمية تقتضي بلوغ وصول الأمي إلى حصول مقام الأعلم وصيرورته واسطة أيضًا لفيض
العلم إلى أفراد العالم **الذي علم بالقلم** أي بواسطة كثيرًا من العلوم المتعارف لأفراد بني آدم **علم**
الإنسان أي بطريق البيان للسان والبيان للجنان **ما لم يعلم** أي من الأشياء الحادثة في المكان
والزمان ويمكن أن يراد بالإنسان الكامل في هذا الشأن واللام للعهد في الأذهان فيكون
فيه إشارة إلى قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا صلى الله عليه وسلم
تسليمًا **فرجع بها** أي رجع النبي صلى الله عليه وسلم بالآيات أي معها متوجهًا إلى مكة يرجف بفتح الجيم أي
يضطرب فؤاده ورجع يجيء بمعنى [illegible] انتهى وقيل يتحرك شديدًا من الرعب الذي دخل في قلبه
فدخل على خديجة وقال الطيبي أي رجع بسبب تلك الضغطة يضطرب فؤاده ورجع يجيء بمعنى
تصدر أيضًا انتهى وما قدمناه هو الظاهر كما لا يخفى **فقال زملوني** بتشديد الميم المكسورة أي لفوني
بالثياب ولفوني بها **زملوني** كرره للتأكيد أو للزيادة التأبيد **فزملوه حتى ذهب عنه الروع**
بفتح الراء أي الخوف والرعب الشديد **فقال لخديجة وأخبرها الخبر** أي خبر ما تقدم والجملة حالية
معترضة بين القول ومقوله وهو **لقد خشيت** أي خفت **على نفسي** أي من الجنون أو الهلاك
وقال شارح أدهشته هيبة البديهة فخشي على نفسه من تخبط الشيطان وفي شرح مسلم
للنووي قال القاضي عياض ليس هو بمعنى الشك فيما أتاه الله تعالى لكنه ربما خشي أنه لا يقوى على
مقاومة هذا الأمر ولا يقدر على حمل أعباء الوحي فتزهق نفسه أو يكون هذا لأول ما رأى التباشير في
النوم أو اليقظة وسمع الصوت قبل لقاء الملك وتحقق رسالة ربه فيكون خاف أن يكون من
الشيطان فأما منذ جاءه الملك برسالة ربه سبحانه وتعالى فلا يجوز الشك فيه ولا تسلط
الشيطان عليه قال الشيخ محيي الدين وهذا الاحتمال ضعيف لأنه تصريح بأن هذا بعد غط الملك
وإتيانه باقرأ باسم ربك وقال السيوطي قيل خشي الجنون وأن يكون ما رآه من جنس الكهانة قاله
الإسماعيلي وذلك قبل حصول العلم الضروري له أن الذي جاءه ملك وأنه من عند الله وقيل الموت من شدة
الرعب وقيل المرض وقيل العجز عن حمل أعباء النبوة وقيل عجزه عن النظر إلى الملك وقيل عدم الصبر على أذى قومه وقيل أن يقتلوه
وقيل أن يكذبوه وقيل أن يعيروه **فقالت خديجة كلا** كلمة ردع أي لا تظن ذلك أو لا تخف أو
معناه حقًا فقوله **والله** للتأكيد أو للتأييد **لا يخزيك الله أبدًا** قال النووي هو بضم الياء
وبالخاء المعجمة في رواية يونس وعقيل ومعمر وفي رواية معمر بالحاء المهملة والنون ويجوز فتح الياء في أوله
وضمها وكلاهما صحيح انتهى ولا يخفى أن فتح الياء إنما يكون مع فتح الزاي بخلاف ضم الياء فإنه مع كسر الزاي
كما في بعض منوال الآية قوله تعالى ولا تخزني يوم يبعثون وأما الرواية الأولى فمن الإخزاء بمعنى الإذلال
والإهانة ومنه قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه **إنك** بالكسر استئناف فيه
شائبة تعليل **لتصل الرحم** أي ولو قطعوك **وتصدق الحديث** بفتح الدال أي تتكلم بصدق في الكلام
ولو كذبوك أي كذبوك **وتحمل الكل** بفتح الكاف وتشديد اللام وهو من لا يستقل بأمره وقد
يعبر عنه بالثقيل ومنه قوله تعالى وهو كل على مولاه والمعنى أنك تتحمل مؤنة العاجز وتنفق بحسب الكل
تركوك ولم يساعدوك ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والأرامل وأمثال العيال

نضاح

من النساء والرجال وتكسب المعدوم بفتح التاء هو الصحيح المشهور وروي بضمها ذكره النووي والمعنى
تحصل المال للفقير او تعطي المحتاج فكان الفقير معدوم في نفسه او في نظر الغني او كان الفقير بفقد
الغنى والاسكان كما يوجب الظهور والتحرك والتقلب فكان تعدب والخطابي وغيره يقال
كسبت الرجل مالا واكسبته مالا لغتان افصحهما كسبته بحذف الالف فمعنى الضم يكسب غيرك
المال المعدوم اي تعطيه اياه ويحتمل بحذف الموصوف واقيم الموصوف به مقامه وقيل المعنى يعطي
الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفايس الفوائد ومكارم الاخلاق او يصيب منه ما يعجز غيرك
عن تحصيله وكانت العرب تتمادح بكسب المال لا سيما قريش وكان صلى الله عليه وسلم مغبوطا
في تجارته قال النووي وهذا القول ضعيف او غلط ويمكن تصحيحه بان يضم معه زيادة فمعناه تكسب
المال العظيم الذي يعجز غيرك ثم تجود به في وجوه الخير وابواب المكارم كما ذكرت من حمل الكل وصلة الرحم
وغيرهما وصاحب المنح جعل المعدوم شبابه من الرجل المحتاج المعدم العاجز عن الكسب وسماه
معدوما كالمعدوم الميت حيث لم يتصرف في معيشة الحياة انتهى وقيل الصواب ويكسب المعدم
اي يعطي العائد ونحوه لان المعدوم لا يدخل تحت الافعال قال التوربشتي المعدوم في اللفظ الصحيح
بين اهل الرواية واجازه بعضهم في التوسع فرايا انه نزل العايد منزلة المعدوم مبالغة في العجز كقوله
للعجز والحياة الدنيوية فقال ويكسب من كسبته زيدا مالا واكسبته مالا وعن بعضهم انه امر كسبت
زيدا مالا قال الخطابي والافصح كسبته فمعنى تكسب اذ جعل متعديا الى واحد انك تكسب مالا يكون
موجودا ولا حاصلا لنفسك ويقرب به الضيف ليكون المجموع سببا لان يخزيك الله وتكسب المعدوم
وهو الفقير سمي معدوما للمبالغة كانه صار من غاية فقره معدوما وان المتصدق عليه يكسبه ويجعله
موجودا وان جعل متعديا الى اثنين فالمحذوف اما المفعول الاول اي يكسب غيرك المعدوم اي يعطيه
ما لا يكون موجودا شله ويوصله اليه او المفعول الثاني اي تكسب المعدوم اي الفقير مالا اي
تعطيه اياه وانما ذكرت لفظ الكسب ارادة انك لا تزال تسعى في طلب عاجز تنعشه
كما ينبغي غيرك في طلب مال ينعشه انتهى وزيد انها ارادت انك ممن لا يصيبه مكروه
لما جمع الله فيك من مكارم الاخلاق ومحاسن الشمائل وفيه دلالة على ان مكارم الاخلاق
وخصال الخير سبب للسلامة من مصارع السوء وفيه مدح الانسان في وجهه في بعض الاحوال
لمصلحة تطرأ وفيه تانيس من حصلت له مخافة من امر وتبشيره وذكر اسباب السلامة وفيه اعظم
دليل وابلغ حجة على كمال خديجة رضي الله تعالى عنها وجزالة رايها وقوة نفسها وثبات قلبها وعظم
فقهها وفيه تنبيه على انه صلى الله عليه وسلم مرضيا اخبار يأمن مكروها لما انطوى عليه ونشا
كمال الكرم والسخاوة وعلى ان هذه التمكنات المذكورة والنعوت المسطورة كانت له جبلية
خلقية قبل بعثته الباعثة لتتميم مكارم الاخلاق ثم انطلقت به خديجة الى ورقة بفتحتين
ابن نوفل اي ابن اسد القرشي ابن عم خديجة اي ابن عمها خويلد بن اسد فهو ابن عمها حقيقة واختلف
في اسلامه ذكره صاحب القاموس فقالت له يا ابن عم اسمع من ابن اخيك وهذا بطريق المجاز كقولهم
يا اخا العرب قال الشارح انما قالت ذلك على سبيل التعظيم لا على سبيل الحقيقة فقال له ورقة
وقد كان تنصر في الجاهلية وقرأ الكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي ذكره المؤلف في فصل الصحابة يا ابن
اخي ماذا ترى فبلدا زاية وما شأنها مبنية وبلدا موصولة اي ما الذي تراه فاخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى اي بخبره واطلعه على ما ظهر عليه من الملك واثره فقال ورقة
هذا اي الملك الذي اتيته هو الناموس الذي انزل الله اي انزله الله على موسى قيل الناموس الرجل صاحب سر
الذي يطلعه على باطن امره واهل الكتاب يسمون جبريل الناموس وقال اهل اللغة الناموس
صاحب سر الخير والجاسوس صاحب سر الشر وقيل سمي بذلك لان الله تعالى خصه بالوحي بالنبي

اي كنت كان في تتمة فيها اي في ايام النبوة ومدة الدعوة لا انه لا زمنة التي تظهر فيها جذعا بفتح الجيم
والذال المعجمة اي جلدا شابا قويا حتى ابالغ في نصرتك بمنزلة الجذع من الخيل وهو ما دخل في السنة
الثالثة فالجذع في الاصل للدواب وهنا استعير للانسان اما باضمار كنت او بالنصب على انه وابل تمنيت
والاصح انه حال اي ليتني حاضر فيها جذعا كما هو مذهب البصريين في يا ليت ايام الصبا رواجعا قال
الخطابي وابن مالك وغيرهم نصب على انه خبر كان المحذوفة تقديره ليتني اكون فيها جذعا على مذهب
الكوفيين وقال القاضي الظاهر عندي انه منصوب على الحال وخبر ليت قوله فيها والعامل الظرف
هذا وفي قوله يا ليتني المنادي محذوف اي يا محمد وقال ابن الملك ظن اكثر الناس ان يا التي يليها ليت حرف
نداء والمنادي محذوف وهو عندي ضعيف لان قائل ليتني قد يكون وحده فلا يكون معه منادي
كقول مريم يا ليتني مت قبل هذا قلت يمكن ان يكون التقدير يا رب او يا نفسي او يا ولدي
او اراد به الخطاب العام المقصود فيه او وهم الا انهم قالوا ان الشي انما يجوز حذفه اذا كان الموضع
الذي ادعي فيه حذفه مستعملا فيه ثبوته كحذف المنادي قبل امر ودعا فانه يجوز حذفه لكثرة ثبوته
ثمة فمن ثبوته وحذفه قبل الامر الا يا اسجدوا في قراءة الكسائي الا يا هؤلاء وقيل الدعاء قوله يا اسلمي
يا دار مي على البلا الا يا دار سلمي فمن حذف المنادي جعلها اعتمادا على ثبوته بخلاف ليت فان
العرب لم تستعمله ثابتا فادعا حذفه باطل فتعين كون يا هذه لمجرد التنبيه مثل الا في نحو
الا ليت شعري هل ابيتن ليلة قلت لعل وجه حذف المنادي مع ليت كثرة استعماله
فانه يكون مفردا مذكرا او مؤنثا وتارة تثنية او جمعا كذلك وتارة يكون مخففا واخرى يكون موسوعا
ولا شك ان كثرة الاستعمال من موجبة الحذف والتخفيف حتى ربما يجعل الحذف واجبا فادعا حذفه بهذا
الاعتبار حق بدل واجب لا باطل وذاهب ثم رايته في القاموس ذكر جواز الوجهين وتقدم ما يتضمنه
حيث قال واذا وليه ما ليس بمنادي كالفعل الا يا اسجدوا والحرف نحو يا ليتني كنت معهم
ويا رب كاسية في الدنيا عارية في العقبى والجملة الاسمية نحو يا لعنة الله والاقوام كلهم والصالحين
على سمعان من جار فهي للنداء والمنادى محذوف او لمجرد التنبيه لئلا يلزم الاجحاف بحذف الجملة
كلها انتهى وتبعه صاحب المغني وفيه بحث لا يخفى والله سبحانه وتعالى اعلم بالسر واخفى ليتني
اكون حيا اي وان لم اكن قويا اذ يخرجك اذ هنا للاستقبال كاذا والمعنى حين يتسبب لخروجك
من بلدك قومك اي اقاربك من كفار قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اومخرجي هم
بفتح الواو وتشديد الياء المفتوحة ويجوز كسرها كقوله بمصرخي وتقوم خبر لقوله هم والمخرجو
اضيف الى ياء الاضافة فكسر الجيم للمناسبة فاذا به تقديري كمسلمي والجملة عطف على مقدر
والاستفهام للاستعلام على وجه التعجب من تعذر الاخراج لتاكيد المرام اي ايكونون ما قلت
وهو محزونا قال نعم اي يخرجونك وسببه انه لم يات رجل قط بمثل ما جئت به اي من الرسالة الا عودي
ما من مجهول من المعادات والاستثناء مفرغ من اعم عام الاحوال وان يدركني يومك شرط
جزاؤه انصرك نصرا مؤزرا بتشديد الزاء المفتوحة قال القاضي يريد باليوم الزمان الذي يظهر
فيه الدعوة او عاداه قومه فيه وقصدوا ايذاءه واخراجه والموزر بالغ في القوة من
الازر وهو القوة قلت ومنه قوله تعالى اشدد به ازري ثم لم ينشب بسكون
النون وفتح الشين اي لم يلبث ولم يبرح وحقيقته انه لم يتعلق بشي ولم يشتغل بغير ما هو
عليه فكني به عن ذلك وقوله ان توفي نصب على التمييز اي من جهة الوفاة اي لم يلبث وفاته
بل مات سريعا وقال الطيبي بدل اشتمال من ورقة اي لم يلبث وفاته وفتر الوحي اي انقطع ايام
كما سيأتي في الحديث الاتي متفق عليه وزاد البخاري اي على رواية مسلم قوله حتى حزن النبي
صلى الله عليه وسلم بكسر الزاي من الحزن والحزن خلاف السرور يقال حزن الرجل فهو حزن وحزين

ضع
فيكاد ان يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما
اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل
...

وآخره غير ذي حزنه أيضاً لكن بفتح الزاي في المتعدي فيما بلغنا أي من الأحاديث الدالة على حزنه وهو معترض
بين فعل ومصدره المنصوب في أنه مفعول مطلق اشتمل حزناً بضم فسكون ويجوز فتحهما أي حزناً عظيماً من
صفته أنه غدا أي ذهب في الغدو قوله منه أي من أجل الحزن أو من جهة فتور الوحي وفي نسخة غدوا وفي
هذا يكون بغين معجمة ذكره زين العرب وقال العسقلاني عدا بعين مهملة وهو الذهاب بسرعة ومنهم
من أنكرها من الذهاب غدوة انتهى والقسطلاني رجح في الغين المعجمة تفعل أي مشى من الغدو مراراً أي مرة بعد
أخرى كي يتردى أي يسقط من رؤوس شواهق الجبال أي عواليه هو جمع شاهق وهو الجبل المرتفع
قطعها أو فيه وصل وخفي بذروة جبل بكسر الذال ويجوز تثليثه أي بأعلاه لكي يلقي نفسه بإعلائه منه
تبدى أي تبين وظهر له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقاً مصدر مؤكد للجملة التي نفيه وفي قوله
إنك الرسول الله نصب مضمر أي أحق هذا الكلام حقاً فيسكن أي يطمئن لذلك جأشه وفي قوله لذلك
اضطراب قلبه وقلقه وروعه وفزعه وتقر بكسر القاف وتشديد الراء تسكن نفسه أي من اضطرابها
وخرج بأنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي أي انقطاعه أياماً أم
حصوله متتابعاً قال فبينا وفي نسخة فبينما أنا أمشي أي في أرض مكة في أثناء طلب أو فوق جبل
حراء بدل عليه قوله الآتي حتى هويت سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني
بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئثت بضم جيم وكسر همزة وسكون مثلثة أي فزعت وخفت منه أي من
الملك رعباً بضم فسكون وبضمتين إما حال أي حال كوني مرعوباً كلا يرعب والرعب يتعدى ولا
يتعدى أو مفعول مطلق أو مفعول لأجله قال القاضي الفزع انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف
وهو من باب الجزع فالرعب الانقطاع من امتلاء الخوف كذا حققه التوربشتي وجزم من أتباعه
والأظهر عندي أنه تمييز مؤكد وتطبيقه ذرعها مفعول ذراعاً حتى هويت بفتح الواو أي سقطت ونزلت إلى
الأرض فجئت أهلي أي قاربتهم فقلت زملوني زملوني أي دثروني وتلففوني من التزميل وهو التلفف
المتاع والتكرير للتأكيد أو للتكثير فزملوني فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر بتشديد الدال والثاء أي المتدثر
بمعنى المزمل المتلفف ولهذا قيل معناه يا أيها المتلبس بعبا النبوة والمتحلي بها قم الرب لا تنم فأنذر
بأمرنا وقد يكون القيام بالطاعة مطلقاً أو بإدامة الليل المستفاد من قوله تعالى يا أيها المزمل قم
الليل والمراد الاهتمام بالقيام للنبوة وهذا أمر بالقيام للرسالة كما يشير إليه قوله فأنذر أي أعلم
الناس بالتخويف عن العذاب وبشر المؤمنين بأنواع الثواب فهو من باب الاكتفاء ولاقتضاء ربط
الإنذار بنا على عيب الكفار وعموم الجهار وربك فكبر أي فخص ربك بوصف الكبرياء والعظمة وثيابك
فطهر أي من النجس شأنه ويؤخذ منه الطهر عن النقائص ورأيت بالأولى وقيل معناه فقصر ثيابك في
ذكر المسبب وإرادة السبب مع ما فيه من الدلالة على التواضع الملائم للعبودية المناسب
لما قبله من ظهور كبرياء الربوبية والرجز بكسر الراء وضمها أي الشرك والعصيان فاهجر أي فاتركه
الظاهر أن هذا اختصار من الراوي أو تمامه ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر ثم حمي الوحي بكسر الميم
أي اشتد حره وتتابع أي تواتر قوله متفق عليه وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن الحارث بن هشام
هو مخزومي أخو أبي جهل شقيقه أسلم يوم الفتح وكان من فضلاء الصحابة واستشهد في فتوح
الشام قاله الطيبي وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة من الإبل سأل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ظاهر الحديث أنه من مسند عائشة وعليه
اعتمد أصحاب الأطراف فأما حضرت القصة ويحتمل أن يكون الحارث أخبرها بذلك بعد فيكون مرسلاً
صحابي وحكمه الوصل اتفاقاً ويؤيده أنه في مسند أحمد وغيره من طريق عامر بن صالح الزهري عن هشام
عن أبيه عن عائشة عن الحارث بن هشام قال سألت وعامر فيه ضعف لكن له متابع عند ابن منده
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياناً أي بعض الأحيان والأزمان قيل وهو وقت

اتيان

إتيان الوحي يأتيني أي الوحي مثل صلصلة الجرس أي إتياناً مثل صوته فقال الطيبي يجوز أن يكون مفعولاً
مطلقاً والأحسن أن يكون حالاً أي يأتيني الوحي مشابهاً صوته بصوت الجرس والصلصلة صوت الحديد
إذا حرك وهو أي هذا النوع من الوحي أشده أي أصعبه علي أي تعبه قال العسقلاني لأن الفهم من كلام
مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود في ما يشابه والعلة في قوله
تعالى إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً إشارة إلى ذلك قال الخطابي يريد والله أعلم أنه صوت متدارك
يسمعه ولا يتبينه عند ما يقرع سمعه حتى يفهمه ويثبت فيتلقنه حينئذ ويعيه ولذا قال
وهو أشده علي فيفصم عني بفتح الياء وكسر الصاد أي ينقطع عني وفي نسخة بضم الياء وكسر الصاد
من الفصم القطع وقال الطيبي أي فيقلع في ما في الفائق وفي نسخة أخرى بصيغة المجهول أي يقلع
عني كرب الوحي قال العسقلاني في قوله فيفصم أي الوحي أو الملك فكأنه جوز تقدير المضاف أي
الوحي الشديد أي كيفية إتيان صاحب الوحي وهو الملك ثم قال وهو بفتح المثناة التحتية
وسكون الفاء وكسر الصاد المهملة كذا في الوقت من فصم من باب ضرب يضرب والمراد قطع
الشدة أي يقلع وينجلي ما يغشى به من الكرب والشدة وتروى فيفصم بضم الياء وكسر الصاد
من أفصم المطر إذا أقلع رباعي قال في الفائق وهي لغة قليلة وفي رواية أخرى فيفصم بضم
أوله وفتح ثالثه مبني للمفعول والفصم القطع من غير بينونة فكأنه قال إن الملك
يفارقني ليعود إلي وقد وعيت عنه ما قال جملة حالية وهو بفتح العين أي حفظت الذي ذكر
أي موصولة والعائد محذوف ثم الواو لما قيل للانضمام وفي بعد حال الكلام فلذلك ورد ولا
ما مضى وقال الحال لا جيء قال وأحياناً يتمثل أي يتصور وفي نسخة لي الملك رجلاً أي مثل رجل
فيكلمني فأعي ما يقول قال التوربشتي هذا حديث يتغالط فيه أبناء الضلالة ويتخذونه
ذريعة إلى تضليل العامة وتشكيكهم وهو حق أبلج وبرهان نير من حجة مباركة يحاد بذهنه
ينبغي ولو لم يستند إلا بتغليظ إلا من أعمى الله عيني قلبه وجملة القول في هذا الباب
أن نقول كان النبي صلى الله عليه وسلم معنياً بالبلاغ مهيمناً على الكتاب مكاشفاً بالعلوم الغيبية
مخصوصاً بالمسامرة القدسية وكان يتوفر على الأمة حصتهم بقدر الاستعداد فإذا أراد أن
ينبئهم بما لا عهد لهم به من تلك العلوم صاغ لها أمثلة من عالم الشهادة ليعرفوا مما شاهدوه
فلما سأل الصحابي عن كيفية الوحي وكان ذلك من المسائل الغويصة والعلوم الغريبة التي
لم يكشف تفسير الشعري عن وجهها لكل طالب ومتطلب وعالم ومتعلم ضرب لها في الشاهد مثلاً
بالصوت المتدارك الذي يسمع ولا يفهم منه شيء تنبيهاً على أنها ترد في القلب في هيئة الجلال
وأبهة الكبرياء فتأخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب ويلاقي في ثقل القول ما لا علم له بالقول
مع وجود ذلك فإذا سري عنه وجد القول المنزل بيناً ملقى في الروع واقعاً موقع المسموع
وهذا معنى قوله فيفصم عني وقد وعيت ومعنى يفصم يقلع في كرب الوحي شبهه بالحمى إذا انفصمت
في المحموم وقيل الفصم المطر إذا أقلع وهذا الضرب من الوحي شبيه بما يوحى إلى الملائكة على ما رواه
أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا قضى الله في السماء أمراً ضربت الملائكة بأجنحتها
خضعاناً لقوله كأنها سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق
وهو العلي الكبير هذا وقد سبق لنا من حديث عائشة أن الوحي كان يأتيه على صفتين وأنهما
أشد من الأخرى وذلك لأنه كان يرد فيها الملك إلى شكله من الطباع البشرية إلى الأوضاع
الملكية فيوحي إليه كما يوحي إلى الملائكة على ما ذكر في حديث أبي هريرة وهو حديث حسن صحيح
والأخرى يرد فيها الملك إلى شكل البشر وشكله فكانت هذه أيسر وقال الطيبي لا يبعد أن
يكون هناك صوت في الحقيقة يتضمن المعاني مدهش للنفس لعدم مناسبتها إياه وكل

القلب لمن شبه بشرب منه فاذا سكن القلب ان ذا النفس حينئذ يبلغ النفس من القلب
ما يبلغ اليه فينبغي ان لا نعلم بكيفية ذلك من الاسرار التي لا يدركها العقل قال شارح مسلم قال
القاضي عياض اراد ان حامد ذلك يجري على ظاهره وكيفية ذلك وصورته مما لا يعلمه الا الله
سبحانه ومن اطلعه الله على شيء من ذلك من ملائكته ورسله وما يتاول هذا ويحيله عن
ظاهره الا ضعيف النظر والايمان اذا جاءت به الشريعة ودلائل العقول لا تحيله قالت عائشة
قال الكرماني فيه يحتمل ان يكون داخلا تحت الاسناد المذكور ايضا اذا جوزنا العطف بحذف
حرف عطف وان يكون من ادخاله تحته بدلا ذاتا باسناد اخر كره في شيء التعليق
تاييدا لامر الشدة وتاكيدا له قال العسقلاني هو بالاسناد الذي قبله وان كان بغير عطف
ولقد رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان بكسر الهمزة والواو
للحال اي فينفصل الوحي عنه والحال ان جبينه اي مقدم وجهه ليتفصد اي ليتصبب
عرقا تمييز محول عن الفاعل والمعنى ليسيل عرقه مثل سيلان الدم من العرق المفصود متفق
عليه ورواه الترمذي وعن عبادة بن الصامت قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انزل
بصيغة المجهول من الانزال عليه الوحي اي جبريل انزل الله عليه كرب بصيغة المجهول اي اصابه الكرب
وحزن لذلك اي لشدة نزوله وصعوبة حصوله قال الشيخ الكرب والكربة الغم الذي ياخذ
بالنفس يقال كربه الغم اذا اشتد عليه والمستكن في كرب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى
انه كان لشدة اهتمامه بالوحي كمن اخذه غم اي بسبب ثقله او خوف عدم حفظه ولذا قيل له لا تحرك
لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه الاية او الخوف ما عسى ان يتضمنه الوحي من التشديد
والوعيد لذلك او المستكن الوحي بمعنى اشتد فان الاصل في الكرب الشدة قلت حينئذ لا يلائمه
قوله لذلك قال التوربشتي يحتمل انه كان يهتم بامر الوحي اشد الاهتمام ويهاب مما يطالب
به من حقوق العبودية والقيام بشكر المنعم ويخشى على عصاة الامة اذ بين لهم من
الله خزي ونكال فياخذه الغم الذي ياخذ بالنفس حتى يعلم ما يوحى اليه ويحتمل ان
المراد منه كرب الوحي وشدته فان الاصل في الكرب الشدة وانما قال الصحابي كرب
لما وجد من شبه حاله بحال المكروب وقوله وتربد وجهه اي تغير واكثر ما يقال ذلك في
التغير من الغضب وتربد الرجل اي تغير وفي رواية نكس راسه اي اطرقه كالمتفكر ونكس
اصحابه رؤوسهم اي اتباعا له وتادبا معه فلما اتلي عنه بضم همزة وسكون فوقية وكسر لام
وفتح تحتية اي سري عنه وكشف كانه ضمن معنى الانجلاء وهو الا حالة مفرا لكشف فعري عن
وهذا هو المشهور في الاصول ولم يوجد في نسخ المشكوة غيره والمعنى فلما ارتفع الوحي
في الرواية الاولى والكرب في الرواية الاخرى رفع راسه اي وتبعه اصحابه قال
النووي اتلي بهمزة ومثناة فوق ساكنة ولام فياء هكذا هو في معظم نسخ بلادنا
ومعناه ارتفع عنه الوحي هكذا فسره صاحب وغيره وفي بعض النسخ اجلي بالجيم وفي
رواية ابن ماهان انجلى بالجيم ومعناهما ازيل عنه وزال عنه وقال الطيبي ضمن اتلي
معنى انتح عنه وقال التوربشتي قوله فلما اتلي عنه كذا هو في المصابيح والرواية فلما
اتلي عليه من التلاوة وان كان اتلي عليه تخفيفا ثم فعل اجل فيقال تابعته اي
احليته اي اجرت البلاغ وذلك ان الملك اذا قضى عليه ما نزل به فقد احال الايه
البلاغ رواه مسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت وانذر عشيرتك
الاقربين اي قومك خرج النبي وفي نسخة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد
بكسر العين اي طلع الصفا فجعل ينادي اي يقول باعلى صوته يا بني فهر بكسر فسكون

يا بني عدي اي وامثال ذلك لبطون قريش لتقدم تحقيقه وتفصيله حتى اجتمعوا اي حضر من كل قبيلة
فجعل الرجل اي من قريش يجيئهم واكابرهم اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو اي من
الخبر فجاء ابو لهب وقريش اي سائر منهم فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم ارايتكم اي اخبروني وصدقوني
ان اخبرتكم ان خيلا يعني فرسانا تخرج اي تظهر من صفح هذا الجبل اي من جنبه وسفحه في القاموس
ان الصفح الجانب ومن الجبل مضطجعه وان السفح عرض الجبل المضطجع او اصله او اسفله وفي رواية
ان خيلا تخرج بالوادي اللام فيه للعهد الذهني ولعل المراد به الوادي المشهور بوادي فاطمة
في طريق مكة الى المدينة تريد اي الخيل والمراد اصحابها وركابها ان تغير عليكم اي تاتيكم بغتة ليلا
عليكم ليلا او صباحا اكنتم مصدقي قالوا نعم اي نصدقك لانك محمد الامين ما جربنا عليك الا
صدقا قال الطيبي جرب معنى الفى اي ما الفينا عليك شيئا من الاخبار مجربين اياك الا وجدناك
فيه صادقا قال فاني نذير لكم اي منذر ومخوف بين يدي عذاب شديد اي قدامه وهو اما في
الدنيا او في الاخرة قال ابو لهب تبا بتشديد الموحدة اي خسرانا وهلاكا لك الهذا اي لهذا
الامر الذي ذكرته جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب بفتح الهاء ويسكن اي خسرت وهلكت
هو واليد مقحمة اي عبارة عن نفسه لان اكثر مزاولتها ومعالجتها بهما ونحوه قوله تعالى ذلك
بما قدمت يداك فقوله وتب تاكيدا والاول في الدنيا والثاني في الاخرة فالمعنى خسر الدنيا
والاخرة او الاول دعاء والثاني اخبار متفق عليه وعن عبد الله بن مسعود قال بينما
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة اي قريبا منها وجمع قريش في مجالسهم
اي حاضرون جمع من قريش في مجالسهم حول الكعبة اذ قال قائل اي ابو جهل منهم ايكم يقوم اي يتوجه
الى جزور آل فلان اي بعيرهم فيعمد بكسر الميم اي فيقصد القائم الى فرثها وهو السرجين ما دام في الكرش
في ما في الصحاح والضمير الى الجزور لانه يطلق على الذكر والانثى الا ان اللفظ مؤنث يقال
هذه الجزور وان اردت ذكرا كذا في النهاية ودمها وسلاها بفتح السين وتخفيف اللام وهو
الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن امه ملفوفا فيه وقيل هو في الماشية السلاء
وفي الناس المشيمة والاول اشبه لان المشيمة تخرج بعد الولد ولا يكون الولد فيها حين
يخرج كذا في النهاية فانبعث اي تقام وذهب الى ما ذكر اشقاهم اي اشقى كفار قريش وهو
ابو جهل وقيل عقبة بن ابي معيط كذا ذكره شارح وقال النووي هو عقبة بن ابي معيط كما صرح
في الرواية الاخرى فلما سجد اي النبي عليه السلام وضعه اي ما ذكر والمعنى طرحه احدهما
ولعله بهذا يحصل الجمع بين القولين بين كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا
اي حال كونه مستمرا في سجوده ومستغرقا في شهوده وما يلتفت بقلبه مشتغلا لا قربه وخشي
بلابه فهو في غاية من السرور ونهاية من الحضور لما حصل من قرب الرب وهم لبعدهم عن الحق
المطلق وتعلقهم بالخلق الخلق غفلوا عن ذلك وهلكوا هنالك فضحكوا حتى مال بعضهم
على بعض اي وانحنى وسقط بعضهم من الضحك اي من كثرته الناشئة عن تعجبهم
بفعلهم وتعجبهم من فعله صلى الله عليه وسلم فانطلق منطلق الى فاطمة اي واخبرها بما
جرى فاقبلت تسعى اي حال كونها تسرع وهي صغيرة فانها ولدت وعمره صلى الله عليه
وسلم احدى واربعون سنة على ما في المواهب وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا
هو تاكيد لما قاله وتمهيد لما بعده وهو قوله حتى القته اي طرحته عنه فاطمة والبعد منه
واقبلت اي توجهت عليهم تسبهم اي تشتمهم وتلعنهم وهم ساكتون عنها لصغرها وبعد
هذا هو السبب في اغرها الملامة على هذا الفعل لما كان غير المودية الى
القتال بين الفئتين فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة اي اداها وفرغ منها

قال اللهم عليك بقريش الباء زائدة وعليك اسم فعل والمعنى خذهم اخذا شديدا اخذ عزيز مقتدر ثلاث مرات
اي كرره ثلاثا وكان اي من عادته انه اذا دعا اي الله دعا ثلاثا واذا سال اي طلب من الله سال ثلاثا
قيل هذا تاكيد لدعا والاظهر انه تخصيص له هذا وفي شرح مسلم للنووي فان قيل كيف استمر في
الصلاة مع وجود النجاسة على ظهره اجاب القاضي عياض بان هذا ليس بنجس لان الفرث
ورطوبة البدن طاهران وانما النجس الدم وهو مذهب مالك ومن وافقه من ان روث ما يوكل لحمه
طاهر ومذهبنا ومذهب ابي حنيفة انه نجس وهذا الذي قاله القاضي ضعيف لان هذا السلا يتضمن
النجاسة من حيث انه لا ينفك من الدم الغالب ولانه ذبيحة عباد الاوثان قلت يعني
في تقدير ان يكون مذبوحة والا فميتة نجسة اتفاقا وكان النووي غفل عن التصريح في الحديث
بذكر الدم حتى نقل بان السلا لا ينفك عن الدم غالبا ثم قال والجواب المرضي انه صلى
الله عليه وسلم لم يعلم ما وضع على ظهره فاستمر في سجوده استصحابا للطهارة قلت
ورد بانه لو كان كذلك لاخبره جبريل فان الصلاة مع النجاسة لا تصح ولابد من البيان
في مثل ذلك فالجواب الصواب ما في شرح السنة قيل كان هذا الصنيع منهم قبل تحريم
هذا شيء من الفرث والدم وذبيحة اهل الشرك فلم يكن يبطل الصلاة بها كالخمر كانت تصيب
ثيابهم قبل تحريمها قال الطيبي ولعل سياقه في ذلك كان مزيلا للشكوك واظهارا لما صنع
اعداء الله برسول الله صلى الله عليه وسلم ليأخذهم اخذا وبيلا ولذا كرر الدعاء ثلاثا اللهم
عليك بعمرو بن هشام اي خصوصا وهو ابن المغيرة المخزومي الجاهلي المعروف كان يكنى بابي الحكم
فكناه النبي صلى الله عليه وسلم ابا جهل فغلبت عليه هذه الكنية قتله ابنا عفراء وقطع راسه
ابن مسعود في بدر وعتبة بن ربيعة اي ابن عبد شمس بن عبد مناف جاهلي قتله علي بن
ابي طالب يوم بدر مشركا والوليد بن عتبة اي ابن ربيعة جاهلي قتل ببدر مشركا وامية بضم الهمزة
وفتح الميم وتشديد التحتية ابن خلف بفتحتين قتل يوم بدر مشركا واما اخوه ابي بن خلف
فانه قتل يوم احد مشركا قتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده ذكره المؤلف في اسمائه وعقبة بضم
فسكون ابن ابي معيط بالتصغير وعمارة بضم فتخفيف ابن الوليد قال عبد الله فوالله لقد رايتهم
صرعى المذكورين صرعى اي هلكى وهو حال من المفعول اي مصروعين مطروحين يوم بدر ثم سحبوا بصيغة
المجهول اي جروا الى القليب وهو البير قبل ان تطوى قليب بدر بالجر في البدلية ويجوز رفعه ونصبه
ثم بدر اسم موضع معروف وقيل هو اسم رجل كان صاحب ذلك الموضع قال العسقلاني قد استشكل
عد عمارة في المذكورين فانه لم يقتل ببدر ذكر اصحاب المغازي انه مات بارض الحبشة والجواب
ان كلام ابن مسعود محمول على الاكثر ويدل عليه ان عقبة بن ابي معيط انما قتل صبرا بعد ان رحلوا
عن بدر وامية بن خلف لم يطرح في القليب كما هو بل مقطعا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
واتبع بصيغة المجهول مخففا اصحاب القليب لعنة اي اتبع هؤلاء بهم الذي بعذاب الاخرة مثل
قوله تعالى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة وفي نسخة بفتح الهمزة وكسر الموحدة ونصب
اصحاب على الدعاء عليهم بابعاد اللعنة المتواصلة اليهم قال العسقلاني في جملة واتبع الى اخره
يحتمل ان يكون من تمام الدعاء والماضي فيكون فيه علم عظيم من اعلام النبوة ويحتمل ان يكون قاله
صلى الله عليه وسلم بعد ان القوا في القليب متفق عليه وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها
قالت يا رسول الله هل اتى عليك يوم اي هل مر عليك وقت وزمان كان اي صعوبته اشد من يوم
احد فقال لقد لقيت من قومك اي ما هو اشد من يوم احد ولقيت من قومك ما لقيت بحذف
المفعول المبهم ليذهب الوهم كل المذهب في الفهم وكان اشد ما لقيت منهم بنصب اشد وفي
نسخة برفعه واما قوله يوم العقبة فبالنصب لا غير والمراد بها ما يضاف اليه جمرة العقبة قال

شارح اشد بالنصب خبر كان وما لقيت منهم في محل الرفع اسمه ويوم العقبة ظرف لقيت والتقدير
وكان ما لقيته منهم يوم العقبة اشد مما لقيته منهم في سائر الايام ويجوز ان يكون على العكس وقيل
ما لقيت منهم يوم العقبة اسم كان ويكون اشد خبره بتقدير المضاف اليه وبتقدير من وقال الطيبي
اشد ما لقيت خبر كان واسمه عائد الى مقدر وهو مفعول قوله لقيت ويوم العقبة ظرف والمعنى
كان ما لقيت من قومك يوم العقبة اشد ما لقيت منهم واراد بالعقبة التي بمنى وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقف عند العقبة في الموسم ويعرض نفسه على قبائل العرب يدعوهم الى الله
تعالى والى الاسلام انتهى والمعنى انهم ما اجابوا ذلك فاشتد عليه حينئذ وهو معنى قوله اذ عرضت
نفسي وفي نسخة اذ وهو الذي نقله الطيبي ومعنى اذ الحينية لا الشرطية لاستقبالها موضع اذ يعني الموقع عنه
لما في استحضار تلك الحالة الفظيعة والمعنى حين عرضت نفسي بالامان والاجارة في النزول
في جوار العادة على ابن عبد ياليل بكسر اللام الاولى ابن كلال بضم الكاف قال العسقلاني
اسمه كنانة والذي في المغازي ان الذي كلمه هو عبد ياليل نفسه وعند اهل النسب ان كلالا اخو
لا ابوه وانه عبد ياليل بن عمرو بن عمير ويقال اسم عبد ياليل مسعود وكان ابن عبد ياليل من
اكابر اهل الطائف من ثقيف وقيل انه قدم مع وفد الطائف سنة عشر فاسلموا وذكره ابن
عبد البر في الصحابة لكن ذكر الواقدي ما يدل على انه لم يسلم قال الشيخ فلم يجبني الى ما اردت
اي ما قصدت وطلبت منه جنبته من العهد والامان فانطلقت وانا مهموم جملة حالية
معترضة بين الفعل ومتعلقه وهو قوله على وجهي اي ذهبت مهموما على جهتي قال الطيبي اي
فانطلقت حيرانا هائما لا ادري اين اتوجه من شدة ذلك الغم وكيفية ذلك الهم فلم استفق
الا بقرن الثعالب يقال افاق واستفاق من مرضه وسكره بمعنى اي فلم افق مما كنت فيه من
الغم وشدة الهم حتى بلغت قرن الثعالب والقرن جبل صغير وقرن الثعالب جبيل بحيثه بين مكة
والطائف فرفعت راسي اي الى السماء لانها قبلة الدعاء ومهبط الرحمة فاذا انا بسحابة قد اظلتني
اي بالزيادة في العادة فاذا فيها اي في السحابة جبريل فناداني فقال ان الله تعالى قد سمع
قول قومك اي تركك اياهم وما ردوا عليك اي من ابائهم ويحتمل ان يكون الثاني تاكيدا للاول وبيانا
في ان الاول منه فيه من المصدرية انا عرو وقد بعث اي ارسل الله اليك ملك الجبال لتامره بما شئت
فيهم قال اي النبي عليه السلام فناداني ملك الجبال اي بنحو ما ناداني به جبريل فسلم علي اي تسليم
تعظيم وتكريم ثم قال يا محمد ان الله تعالى قد سمع قول قومك وانا ملك الجبال وقد بعثني
ربك اليك لتامرني بامرك اي بما تريد ان شئت ان اطبق بضم الهمزة وكسر الموحدة
المخففة من اطبق اذا جعل الشيء فوق الشيء محيطا بجميع جوانبه كما ينطبق الطبق على موضعه
الارض والمعنى اذا اردت ان انكب عليهم الاخشبين وهما جبلان يضافان الى مكة احدهما
اخرى وهما واحد ذكره شارح وفي النهاية الاخشبان الجبلان المطيفان بمكة وهما ابو قبيس
والاحمر وهو جبل مشرف وجهه على قعيقعان والاخشب كل جبل غليظ وفي القاموس قعيقعان
كزعفران جبل بمكة وجهه الى ابي قبيس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لا اريد ذلك
واذا استحقوا الكفار رهم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم اي من انساب بعضهم من يعبد الله
وحده اي من يوحده منفردا او يطيعه مخلصا لا يشرك به شيئا اي من الشرك جليا او خفيا متفق عليه
وعن انس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته بفتح الراء
وتخفيف التحتية على وزن الثمانية السن الذي بين الثنية والناب وكانت الرباعية المكسورة
في السفلى من الجانب الايمن يوم احد وشج بضم شين وتشديد جيم اي جرح راسه فقوله في راسه
اتمام باب التجريد او نوع من التاكيد قال الطيبي وهو من قبيل قوله يجرح في عراقيبها نصلي

بولغ في التبجح حيث اوقع الراس على الدماغ بعض فكانه قال دق ونفح الشج في راسه نفسه فجعل
يسلت بضم اللام اي يزيل الدم عنه ويقول اي استعظاما واستبعادا كيف يفلح قوم شجوا راس نبيهم
وكسروا رباعيته عن الزهري انه ضرب وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد بالسيف سبعين
ضربة وقاه الله شرها كلها ذكره الشيخ في شرح البخاري ولعل وجه حصول المباركة مع السبب
من الشهداء الا ان الله عصمه لقوله والله يعصمك من الناس وانما حصل بعضها ليزيد الشج
والكسر لتحقيق الثواب والاجر الاظهر ويقتضي الاوصاف البشرية من العجز والضعف والتاثير
المناسبة للعبودية وتوجب نعت الكبرياء والعظمة والاستغناء والقوة والقدرة الملائمة للربوبية
رواه مسلم وكذا الترمذي والنسائي وابن ماجه وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه يشير الى رباعيته
حال من رسول الله وعامله قال وقيل مفسر المفعول فعلوا هذا اشتد غضب الله على رجل
يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله لعل حذف العاطف بين الفصلين
للاشارة الى انهما حديثان مستقلان جمع بينهما الراوي ويؤيده تكرار اشتد غضب الله والدلالة
بان كل واحد منهما يستحق ما ذكر دفعا لتوهم الاشتراك ولم يات بالواو كيلا يظن الشك قال
الطيبي يحتمل ان يراد به الجنس وان يراد به نفسه وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من
يقتله من هو رحمة للعالمين لم يكن الا اشقى الناس ولذا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابي بن خلف قال النووي وقوله في سبيل الله احتراز عمن يقتله في حد او قصاص مراده
من يقتله في سبيل الله كان قاصدا له صلى الله عليه وسلم متفق عليه وهذا الباب خال عن
الفصل الثاني تقدم توجيهه مرارا انتهى والله اعلم

الفصل الثالث عن يحيى بن ابي كثير رحمه الله تعالى عنه قال المؤلف يكنى ابا النضر اليمامي مولى الطي اصله بصري سكن اليمامة راى
انس بن مالك وسمع عبد الله بن قتادة وغيرهم روى عنه عكرمة وابن عمرو والاوزاعي وغيرهما قال سألت
ابا سلمة بن عبد الرحمن قال المؤلف روى عن ... عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي
احد الفقهاء السبعة المشهورين بالفقه في المدينة في قول ومن مشاهير التابعين
واعلامهم ويقال ان اسمه كنيته وهو كثير الحديث سمع ابن عباس وابا هريرة وابن عمر وغيرهم
وروى عنه الزهري ويحيى بن ابي كثير والشعبي وغيرهم عن اول ما نزل من القرآن قال يا ايها المدثر
قيل شبه الحال على الراوي فادرج لفظ يا ايها المدثر كان بعد فترة الوحي كما علم من حديث
عائشة فاوليته اضافية كما ذكره ... او اوليته مخصوصة بالانذار وقيل يفيد انما دل الوحي بالرسالة
والذي قبله كان لنسبة النبوة والله اعلم قلت يقولون الجمهور وبعض العلماء اقرأ باسم ربك
اي هو اول ما نزل قال ابو سلمة سألت جابرا عن ذلك اي عن سؤالك وقلت له مثل الذي قلت لي
اي في جوابه للسؤال مما يرد ويرد من الاشكال فقال جابر لا احدثك الا بما اي بمثل ما حدثنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي به من غير تغيير مما يدل على انه اول ما نزل بغير تخصيص قال جاورت بحراء
شهرا فيه اشعار بان ايام الفترة كانت شهرا فلما قضيت جواري بكسر الجيم اي مجاورتي واعتكافي
هبطت اي نزلت ... الى انه في الحالة لا لنزول اقرا كان في غار حراء كما سبق من الفقه ... فنوديت
فنظرت عن يميني فلم ار شيئا ونظرت عن شمالي فلم ار شيئا ونظرت عن خلفي فلم ار شيئا فرفعت
راسي فرايت شيئا وقد سبق في حديث جابر ايضا انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة
الوحي قال فبينا انا امشي سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحراء
الحديث فهو صريح بان مراده الاول الاضافي فاتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني وصبوا
علي ماء باردا لعل لحل التعب لدفع الغشيان فلا ينافي ما قبله مما يدل على البرودة انسب

من تحقيقات فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر قال الطيبي قوله لا احدثكم
الخ اخبار عما سمع واستفيد منه ان اول ما نزل من القرآن يا ايها المدثر كناية عن المطلوب لانه قال
في اخره فقلت دثروني فنزلت يا ايها المدثر وقد سبق في حديث عائشة ان اول ما نزل من القرآن اقرأ
باسم ربك انتهى فالجمع بينهما قد مضى ولا يخفى ولذا قال بعض المحققين من قال ان اول ما نزل
يا ايها المدثر ضعيف والصواب ان اول ما نزل على الاطلاق اقرأ باسم ربك كما صرح به في حديث عائشة
واما يا ايها المدثر فكان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن جابر وابي سلمة في قوله
وهو يحدث عن فترة الوحي الى ان قال فانزل الله تعالى يا ايها المدثر قال النووي وقول من قال
من المفسرين ان اول ما نزل الفاتحة فباطل ونبه بعض لانه يمكن ان يقال مراده اول سورة نزلت
بكمالها اول سورة بالمدينة في القول بانها مدنية واول سورة بعد اقرأ والمدثر فيكون اوليته
ايضا اضافية وترتيبه تنزيله وذلك اي نزول المدثر قبل ان تفرض الصلاة اي مطلق الصلاة المتو
فتحها او كلها على قراءة الفاتحة والله اعلم متفق عليه انتهى والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

باب علامات النبوة

الفصل الاول عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل وهو
يلعب مع الغلمان بكسر الغين اي الصبيان فاخذه فصرعه اي فطرحه والقاه على قفاه فشق عن
قلبه اي عن جانب قلبه وشقه فاستخرج وفي جامع الاصول فاستخرجه فاستخرج منه علقة
بفتحتين اي دما غليظا وهو ام المفاسد والمعاصي في القلب فقال هذا حظ الشيطان منك
اي نصيبه لو دام معك ثم غسله اي قلبه وجوفه او محل شقه في طست بفتح الطاء وبكسر وبسين
مهملة ثم تاء فوقية بدل من السين الاخيرة قال ابن الملك في شرح المشارق الطست بفتح الطاء وفي
لغات طس وطس وطست وطست وطسة وطسة بالفتح والكسر في جميعها وقوله من
ذهب لعل الاختيار لما فيه من معنى الذهاب ولانيا فيه حرمة استعماله في الشريعة المطهرة اما لكون
الملائكة غير مكلفين بالافعال او لوقوعه قبل تقرير الاحكام بماء زمزم استدل به على انه افضل
مياه العالم حتى ماء الكوثر لكن الماء الذي نبع من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم فلا شك انه افضل
المياه على الاطلاق لكونه من اثر يده الشريفة وما زمزم من اثر قدم اسماعيل المنيفة والبون
بين بينهما ولان الاعجاز الكائن في يده صلى الله عليه وسلم ابلغ نعم قد يقال ان ماء المبارك
اكمل من الكمال ولو مزج بما غيره ولعل العارف ابن الفارض اشار اليه بقوله

عليك بها صرفا وان شئت مزجها ... فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

ثم لامه بلام فهمز اي اصلح موضع شقه واعاده اي القلب المخرج على ما بدا عليه ورده الى مكانه ثم
في مكانه والواو لمطلق الجمع فلا ينافي انه لالتئام بعد الاعادة قال التوربشتي يقول لامت
الجرح والصدع اذا شددته فالتام برئ اي سواه واصلحه وجاء الغلمان اي الذين كانوا يلعبون
معه في الصحراء يسعون اي يسرعون الى امه اي الرضاعية يعني ... ظئره اي مرضعته
حليمة فقالوا ان محمدا قد قتل اي تصور خرجته بعد شق البطن ومعالجته من خوارق العادة
وعلامة النبوة فاستقبلوه اي توجهوا جمع من قومها اليه فراوه وهو منتقع اللون بفتح القاف
اي متغير في القاموس انتقع لونه مجهولا اذا تغير وقال التوربشتي يقال انتقع لونه اذا تغير
من خوف او فزع وكذلك امتقع بالميم وهذا الحديث وامثاله مما يجب فيه التسليم ولا يتعرض له
بتاويل من طريق المجاز اذ لا ضرورة في ذلك اذ هو خبر صادق مصدوق عن قدرة القادر انتهى
وزبدة ما في ... انه صار بهذا مقدس القلب منورة ليستعد لقبول الوحي ولا ينظر الا اليه

باب

بمواجس النفس وينقطع طمع الشيطان عن اغفاله كما يشير اليه قوله هذا حظ الشيطان منك
قال انس فكنت اري اثر المخيط بكسر الميم اي اثر الخياطة في صدره ولعل مراده بهذا ان امر الشق كان
حسيا لا معنويا وان خالفه ما كما ذكر الشق للقدر وغسله مختصا به او وقع لغيره من الانبيا
ايضا وقد وقع شق له صلى الله عليه وسلم عند حليمة وهو ابن عشر ثم عند مناجاة جبريل عليه
السلام له بغار حرا ثم في المعراج ليلة الاسرا رواه مسلم وكذا النسائي وعن جابر بن سمرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي اي ويقول السلام
عليك يا نبي الله كما ورد في رواية قبل ان ابعث قيل انه الحجر الاسود وكذا في بعض حواشي الشفا ويحكي
ان يكون الحجر المتكلم المعروف بزقاق الحجر في المسجد ويبع بيت خديجة رضي الله تعالى عنها اني لاعرفه
الان تقرير لقوله اني لاعرف واستحضار له كانه يسمع كلامه الان هذا خلاصة كلام الطيبي ويمكن
ان يكون التقدير اني لاعرفه الان بالوصف المذكور فانه ينبغي وجوده بالاولى من الحالة
الاولى فتدبر وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول
الله ونبيا ايما انه مبعوث الى كافة الخلق كما بينته في شرح كلام شيخي جلال الدين محمد البكري
عند قوله خليفتك على كافة خليفتك رواه مسلم وكذا الامام احمد في مسنده والترمذي
في جامعه وعن انس رضي الله تعالى عنه قال ان اهل مكة اي كفارهم سالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يريهم اية اي يظهر لهم اية اي علامة دالة على نبوته ورسالته فاراهم القمر شقتين
بكسر فتشديد اي قطعتين منفصلتين فرقتين حتى راوا حرا بينهما باد كانت شقة فوق الجبل وشقة
دونه كما سياتي وعن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله اي في زمانه صلى الله
عليه وسلم فرقتين اي قطعتين شقه فرقة فوق الجبل اي جبل حرا وفرقة دونه والمراد
انهما نبا بيننا فاحدىهما الى جهة العلو والاخرى الى السفل فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشهدوا اي على نبوتي او معجزتي من الشهادة ذوي دمعة احضروا وانظروا من الشهود
متفق عليه قال الزجاج زعم قوم عدلوا عن القصد وما عليه اهل العلم ان تاويله ان القمر ينشق
يوم القيمة والامر بين اللفظ بقوله تعالى وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فكيف
يكون هذا يوم القيمة ومعجزات نوح قوله مستمر اي مطرد يدل على انهم راوا قبله ايات اخر مترادفة
ومعجزات سابقة وقال الامام فخر الدين الرازي انما ذهب المنكر الى ما ذهب لان الانشقاق
امر هايل لو وقع لعم وجه الارض وبلغ مبلغ التواتر واما المخالف فربما ذهلا وحسب نحو
الخسوف والقران او في ذيل وانوي شاهدوا مكانه لا شك فيه اي عقلا وقد اخبر عنه الله
المصدوق فيجب اعتقاد وقوعه واما امتناع الخرق والالتيام فحديث اللئام وفي شرح
مسلم للنووي قالوا انما هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون
والابواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم وقيل من يتفكر في السما وينظر اليها وفي شرح
السنة هذا شي طلبه قوم خاص على ما حكاه انس فاراهم ذلك ليلا واكثر الناس نيام
ومستكنون بالابنية والايقاظ في محال البراري والصحرا قد يتفقوا ان يكونوا مشاغيل
في ذلك الوقت وقد يكسف القمر فلا يشعر به كثير من الناس مع انه قد يمتد واما كان ذلك
قدر اللحظة التي هي مدرك البصر ولو دامت كهذه الاية حتى يشترك فيها العامة والخاصة
ثم لم يؤمنوا لاستوجبوا الهلاك فان من سنة الله تعالى في الامم قبلنا ان نبيهم كان اذا اتى
باية عامة يدركها الحس فلم يؤمنوا اهلكوا كما قال تعالى في المائدة اني منزلها عليكم فمن يكفر
بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فلم يظهر الله هذه الاية للعامة لهذه الحكمة

والله اعلم قالت وفي نفس القضية اشارة الى ان ذلك حيث شقته منه فوق الجبل واخرى دونه ولاشك
انه يجب ان يغفر الناس ممن يسكن من وراء الجبل فكيف يستبعد من اهل الحجاز وبقية مع اختلاف
المطالع على ان ارادة المعجزة لقوم على ما اقترحوا كانه صالح لا يستلزم ظهورها لغيرهم
وعن ابي هريرة قال قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بتشديد الفا المكسورة من التعفير وهو التمريغ
في التراب اي هل يصلي ويسجد على التراب بين اظهركم فيما بينكم على ان الاظهر مقحمة للاشارة الى وقوعه على
وجه الظهور والاستناد الى ظهر احد وحمايته ونحو ذلك قال الطيبي يريد به سجوده على التراب وانما
اوثر التعفير على السجود تعنتا وعنادا واذلالا وتحقيرا فقيل نعم والات والعزى لئن رايته يفعل
ذلك لاطان اي لادوس على رقبته فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فجاه ابو جهل
وهو يصلي حال من المفعول والحال الفاعل قوله زعم بفتح العين اي قصد ابو جهل ليطا اي ليضع
رجله على رقبته قال ابن الملك وفي نسخة بفتح اللام على انه لام تاكيد قلت فالتقدير والله
وفي نسخة زعم بكسر العين ففي القاموس زعم كفرح طمع قال الطيبي زعم وقع حالا من الفاعل
بتقدير قد الحال من المفعول وزعم بمعنى طمع واراد قال في اساس البلاغة ومن المجاز زعم فلان في
غير مزعم طمع في غير مطمع لان الطامع زاعم ما لم يستيقن فما فجيهم بكسر الجيم وبفتح ففي القاموس
فجئه كسمع ومنه هجم عليه واتاه بغتة اي فما فجا قومه بمجاة منه اي من النبي صلى الله عليه وسلم
او من ابي جهل الا وهو اي ابو جهل ينكص بكسر الكاف ويضمها اي يرجع على عقبيه
اي قهقري ويتقي بيديه اي يحذر بهما ويدفع شيا يشبهها قال الطيبي المستثنى فاعل فجا اي فما
فجي اصحاب ابي جهل من امر ابي جهل الا نكوصه على عقبيه فقد سد الحال مسد الفاعل ويجوز رفعا على ان
الكلام لا لفظ نظيره كما سدت مسد الخبر في ضربي زيدا قائما نفي الكلام مبني المعنى دون اللفظ
ويجوز ان يكون الضمير في فجي راجعا الى ابي جهل وفي منه الى الامر اي فما فجي ابو جهل اصحابه كائنا
من الامر على حال من الاحوال الا في هذه الحال هذا وفي القاموس نكص على عقبيه نكوصا رجع
عما كان عليه من خير خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهري في اطلاقه او في الشر قليل وقد ثبت
الحديث يدل على استعماله في الشر وكذا في قوله تعالى فلما ترات الفئتان نكص على عقبيه ثم في
القاموس يتبعه انه بضم الكاف في المضارع لكن اتفق القرا على كسره حتى لم يوجد في الشواذ ايضا
نعم قال الزجاج يجوز ضم الكاف ذكره الكرماني في قوله تعالى على اعقابكم تنكصون فقيل له اي
لابي جهل ما لك اي ما حصل لك من المنع وما وقع لك من الدفع فقال ان بيني وبينه لخندقا
من نار وهولا بفتح فسكون خوفا وامرا شديدا واجنحة جمع جناح الطاير او هو الملايكة
الذين يحفظونه ويؤيده ما ذكره الراوي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني
اي قرب عندي لاختطفته الملايكة اي استلبته بسرعة عضوا عضوا والمعنى لاخذ كل ملك
عضوا من اعضايه رواه مسلم وعن عدي بن حاتم قال بينا انا عند النبي صلى الله عليه وسلم
اي حاضر او كنت عنده اذ اتاه رجل فشكا بالالف وفي نسخة بالياء على انه لغة في الواو كما في القاموس
اليه الفاقة اي الفقر وشدة الحاجة ثم اتاه الاخر وفي نسخة اخر وهو الاظهر فشكا اليه قطع السبيل
اي بسبب قطاع الطريق او لقلة الزاد وعدم علفة الدواب وطمع اهل البادية وتعرضهم للقافلة
فقال يا عدي هل رايت الحيرة بكسر الحا وهو البلد القديم بظهر الكوفة ومحلة معروفة بنيسابور
على ما في النهاية والظاهر ان المراد هو الاول لانه المعروف عند العرب ولذا اقتصر عليه الشراح وان
كان الثاني اغرب واعذب قيل واجاب عدي ما رايتها لكن انبئت عنها اي اخبرت ويمكن ان يكون رايت
بمعنى علمت وانه لا يتوقف الكلام على جوابه حيث قال فان طالت بك حياة فلترين بفتحات
متواليات اي فلتبصرن الظعينة اي المراة المسافرة وقيل لها ذلك لانها تظعن مع الزوج حيث

ما ظعن ولانها تحمل على الراحلة اذا ظعنت وقيل الظعينة المرأة في الهودج ثم قيل للهودج بلا امرأة
وللمرأة بلا هودج كذا في النهاية وقال شارح الظعينة المرأة ما دامت في الهودج فاذا لم تكن فيه
فليست بظعينة والمراد هنا المرأة سواء كانت في الهودج او لا افرد كونها في الهودج ابلغ في
المعنى المراد في ما بدا له عليه لزوله ترتحل من الحيرة اي وحدها حتى تطوف بالكعبة لا تخاف احدا الا
الله رواية قال عدي فقلت في نفسي فاين دعار طي ولئن طالت بك حياة لتفتحن بصيغة
المجهول من الفتح وفي نسخة من باب الافتعال اي فتحت واستفتحت طلبت الفتح والمعنى
لتؤخذن كنوز كسرى اي في وجه الغنيمة قال عدي كسرى بن هرمز قال صلى الله عليه وسلم كسرى
ابن هرمز وفي القاموس كسرى بالكسر ويفتح ملك الفرس معرب خسرو اي واسع الملك ولئن
طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه اي مثلا من ذهب او فضة اي من نوعي النقدين
يعني تارة من هذا وتارة من هذا ويحتمل ان يكون او بمعنى الواو او للشك يطلب من يقبله
اي واحدا منهما او ما ذكر فلا يجد احدا يقبله منه اي لعدم الفقر في ذلك الزمان او لاستغناء
قلوبهم والاكتفاء بما عندهم والقناعة بما في ايديهم قيل انما يكون ذلك بعد نزول عيسى عليه
السلام ويحتمل ان يكون اشارة الى ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز بما يصدق الحديث وبذلك
جزم البيهقي فيرد ما شك في رجحان الاول لقول عدي الآتي ولئن طالت بكم حياة لترون
والحاصل ان قضية الشرطية لا تلزم الوقوع ولئن عطف على صدر الحديث وليلقين الله
مفعول مقدم قدم للاهتمام وتعظيم المقام وفاعله احدكم وظرفه قوله يوم يلقاه وهو حال
اعرابية كما لا يخفى في الضميرين وكذا الحال في قوله وليس بينه وبينه ترجمان بفتح التاء
وضم الجيم وبضمهما وبفتحهما كما في نسخة اي مترجم يترجم له يعني بل يكون التكلم بلا
واسطة قال صاحب المشارق هو بفتح التاء وضم الجيم وضبطه الاصيلي بضمهما انتهى وفي
النهاية الترجمان بالضم والفتح الذي يترجم الكلام اي ينقله من لغة الى اخرى والتاء والنون
زائدتان وفي القاموس الترجمان كعنفوان وزعفران وريهقان المفسر للسان وقد ترجمه
وعنه والفعل يدل على اصالة التاء وفي المغني نحو وزن زعفران ويجوز بفتح التاء وضم
الجيم وبضمهما والله اعلم فليقولن اي الله سبحانه وتعالى الم ابعث اليك رسولا فيبلغك
بالنصب مشددا ومخففا فيقول بلى فيقول الم اعطك مالا واتفضل بالجزم من الافضال
اي الم احسن اليك او لم انعم عليك والاستفهام للتقرير يعني اعطيتك المال وانعمت
عليك بالكمال ومكنتك من انفاقه والاحسان منه والتصرف في اهل استحقاقه
فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم لتركه الطاعات وينظر عن يساره فلا يرى
الا جهنم لارتكابه السيئات والظاهر انهما كنايتان عن الاحاطة وان الخلاص منها ليس
الا بالمرور عليها كما قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي
الذين اتقوا اي بالايمان ونوع الاحسان ولذا قال فاتقوا النار ولو بشق تمرة اي بنصفها او
ببعضها فمن لم يجد فبكلمة طيبة اي من الباقيات الصالحات وهي انواع الاذكار والدعوات
او بكلمة طيبة للسائل بقرينة ما قبله وهو الوعد قصدا لوفائه او للترجي مع حسن الرد
وهذا الذي سماه الله تعالى قولا معروفا وقولا ميسورا قال الطيبي فان قلت
ما وجه نظم هذا الحديث قلت لما شكى الرجل الفاقة والخوف وهو العسر المعني
في قوله تعالى ان مع العسر يسرا وهو ما كانت الصحابة عليه قبل فتح البلاد واجاب
عن ذلك السائل بما ضمن بشارة العدي وعن من الصحيح بالبشر والامن ثم بين ان هذا
البشر والغنى الدنيوي عسير في الاخرة بلا منة الا من وفقه الله تعالى بان يسلط على انفاقه

فيصرفه

فيصرفه في مصارف الخير ونظيره حديث علي رضي الله عنه كيف بكم اذا غدا احدكم في حلة وراح
في حلة ووضعت بين يديه صحفة قالوا انتم اليوم خير منكم يومئذ وقد سبق في باب
تغير الناس قال عدي فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف
الا الله اي كما اخبر به رسول الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز بضم الهاء والميم
زاد في المصابيح الذي في الابيض قال شارح اراد القصر الابيض الذي كان بالمداين
يقال له بالفارسية سپيد كوشك ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال [illegible]
النبي وهو الرجل الذي يخرج ملء كفه الى اخره فقوله ابو القاسم صلى الله عليه وسلم بدل او عطف
بيان للذي يخرج ملء كفه او بيان لقوله ما قال والمعنى يخرج الرجل كما في نسخة فهو نقل بالمعنى
مختصرا والذي يخرج في ما سبق في الاصل فهو نقل باللفظ مختصرا رواه البخاري وعن خباب
بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الاولى ابن الارت بفتح الهمزة والراء وتشديد الفوقية
قال المؤلف يكنى ابا عبد الله التميمي وانما لحقه سبي في الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة
واعتقته اسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهو ممن عذب في الله
على اسلامه نزل الكوفة ومات بها وروى عنه جماعة قال شكونا اي الكفار الى النبي
صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة اي كساء مخططا والمعنى جاعلا البردة وسادة له
من توسد اي جعله تحت راسه وقد وفي نسخة وقد لقينا اي رأينا وحصل لنا من
المشركين اي من كفار مكة شدة اي محنة شديدة فقلنا الا تدعو الله اي على المشركين
فانهم يؤذوننا فقعد وهو محمر وجهه من احمر يحمر بتشديد الراء اذا اشتد حرارته وقال كان الرجل
اللام للعهد الذهني الذي هو في المعنى نكرة فيمن قبلكم يحفر له بصيغة المجهول اي يجعل له
حفرة في الارض فيجعل فيه ثم يجاء بمنشار بالنون ويروى بالهمز وابداله
اي آلة يشق بها الخشبة فيوضع فوق راسه فيشق باثنتين اي فيقطع نصفين فما
يصده ذلك اي فلا يمنعه ذلك العذاب الشديد عن دينه ويمشط بصيغة المجهول
مخففا والمعنى يمشطون بامشاط الحديد بفتح الهمزة جمع المشط وهو ما يمشط به الشعر
ما دون لحمه اي ما تحت لحم ذلك الرجل اي تحته وهو الظاهر من عظم وعصب بفتحتين
قال الطيبي من بيان لما وفيه مبالغة بان الامشاط لحدتها وقوتها كانت تنفذ من اللحم
الى العظم وما يلتصق به من العصب وما يصده ذلك عن دينه جملة حالية والله ليتمن
بفتح الياء وكسر التاء وتشديد الميم اي ليكملن هذا الامر اي امر الدين وفي نسخة بصيغة المجهول
وفي اخرى بضم حرف المضارعة وكسر التاء فان الفاعل هو الله وقوله هذا الامر منصوب
على المفعولية وبناه الى قوله تعالى ليظهره على الدين كله ويأبى الله الا ان يتم نوره
حتى يسير الراكب اي رجلا او امرأة وحده من صنعاء بلد باليمن الى حضرموت موضع باقصى
اليمن وهو بفتح الميم غير منصرف للتركيب والعلمية وقيل اسم قبيلة وقيل موضع حضر
فيه صالح عليه السلام ومات فيه جرجيس ذكره شارح وتبعه ابن الملك وفي القاموس حضرموت
بضم الميم قبيلة ويقال هذا حضرموت ويضاف فيقال حضرموت بضم الراء وان شئت لا تنون
الثاني لا يخاف الا الله او الذئب على غنمه وفي نسخة بالواو وهو يحتمل انه يكون بمعنى او وان يكون
او بمعنى الواو للجمع او للشك وعلى كل تقدير فلا يخفى ما فيه من المبالغة في حصول الامن
وزوال الخوف فاندفع ما قيل ان ذكر الحديث انما هو للامن من عدوان بعض الناس
على بعض كما هو في الجاهلية لا الامن من عدوان الذئب فان ذلك انما يكون في اخر الزمان
عند نزول عيسى عليه السلام ولكنكم تستعجلون اي تريدون عذاب المشركين فاصبروا

على امر الدين كما صبر من سبقكم من المومنين على اشد من عذابكم لتقوية اليقين رواه البخاري
وكذا ابو داود والنسائي وعن انس رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدخل على ام حرام بنت ملحان بكسر الميم وهي اخت ام سليم وهي خالة انس نسبا وهي
وامه ام سليم من خالات النبي صلى الله عليه وسلم رضاعا او نسبا قال النووي اتفق العلما
على انها كانت محرما له صلى الله عليه وسلم واختلفوا في كيفية ذلك فقال ابن عبد البر وغيره
كانت احدى خالاته من الرضاعة وقال اخرون بل كانت خالة لابيه او لجده عبد المطلب وكانت
امه من بني عبد النجار وقد سبق ذكر وجه الدخول عليها في حديث اختها ام سليم مع زيادة
تحقيق فتذكر وكانت تحت عبادة بن الصامت اي زوجته قال المؤلف اسلمت وبايعت
وماتت في غزوة مع زوجها بارض الروم وقبرها بقبرس روى عنها ابن اختها انس بن مالك
وزوجها عبادة قال ابن عبد البر لا اقف لها على اسم صحيح غير كنيتها وكان موتها في خلافة
عثمان فدخل اي النبي صلى الله عليه وسلم عليها يوما فاطعمته ثم جلست تفلي بكسر اللام مخففة
اي تفتش راسه اي شعر راسه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ اي انتبه
بعد نومه وهو يضحك قالت فقلت ما يضحكك بضم اليا وكسر الحا اي اي شي صيرك مبتهجا في
الضحك يا رسول الله فان شانك لا يضحك بلا سبب من امر عجيب قال ناس اي جمع من
امتي عرضوا علي غزاة اي حال كونهم مجاهدين في سبيل الله اي مع الكفار يركبون ثبج هذا
البحر بفتح مثلثة وموحدة فجيم اي وسطه ومعظمه ملوكا على الاسرة او مثل الملوك على الا
سرة الظاهر انه شك من الراوي وهو اما حال او صفة مصدر محذوف اي يركبون ملوكا على الاسرة
او ركوبا مثل ركوب الملوك على الاسرة قال الطيبي شبه ثبج البحر بظهر الارض والسفينة بالسرير
وجعل الجلوس عليها مشبها بجلوس الملك على سريره ايذانا بانهم بذلوا انفسهم في
هذا الامر العظيم مع ثبوت طيشهم وتمكنهم منه كالملوك على اسرتهم وفي شرح مسلم
قيل هو صفة لهم في الاخرة اذا دخلوا الجنة والاصح انه صفة لهم في الدنيا اي يركبون مراكب
الملوك لسعة حالهم واستقامة امرهم وكثرة عددهم انتهى وفيه اشعار بان الجهاد مقدر
في المغيبين بخلاف ما ذكره الطيبي فانه حينئذ بخفيفة قلت يا رسول الله ادع الله ان
يجعلني منهم فدعا لها فيه التفات او تجريد فتفكر بالمعنى او من كلام انس ثم وضع راسه فنام
ثم استيقظ وهو يضحك فقلت يا رسول الله ما يضحكك اي الان قال ناس من امتي
عرضوا علي غزاة في سبيل الله كما قال اي النبي صلى الله عليه وسلم في الاولى اي في المقالة
الاولى وهو من كلام الراوي اختصارا فقلت اي ثانيا يا رسول الله ادع الله ان يجعلني
منهم قال انت من الاولين فيه ايماء الى ان مرتبة الاولين فوق مرتبة الاخرين فركبت ام حرام
البحر في زمن معاوية اي في ايام ولايته ومن ثم لا ينافيه ما تقدم من ان موتها في خلافة عثمان
فصرعت عن دابتها بصيغة المجهول اي سقطت عن ظهر مركوبها حين خرجت من البحر فهلكت
اي ماتت ونظيره قوله تعالى حتى اذا هلك اي مات يوسف متفق عليه ورواه ابو داود
والترمذي والنسائي وعن ابن عباس قال ان ضمادا بكسر الضاد وبضم وتخفيف الميم وبالدال
في اخره ويروى ضمام بميمين في اخره قدم مكة بكسر الدال اي نزل بها من سفره وكان من ازد شنوءة
بفتح الشين وضم النون فواو ساكنة فهمزة قبيلة كبيرة من اليمن والازد قبيلة منهم قال ابن
الملك وهو بضم الضاد المعجمة وكسرها اسم رجل كان صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان
يبعث وقال المؤلف هو ضماد بن ثعلبة الازدي كان يتطبب ويطلب العلم اسلم في اول
الاسلام وكان يرقي بكسر القاف اي يعالج الذي يصيبه الجن من هذا الريح قال الطيبي

ادع الله

الاشارة

الاشارة بهذا الى جنس العلة له وذكره باعتبار المجنون قال التوربشتي الاشارة بهذا الى جنس
العلة التي كانوا يرونها الريح وكانهم كانوا يرون ان الخبل الذي يصيب الانسان والادواء التي
كانوا يرونها من مسة الجن نفحة من نفحات الجن فيسمونها الريح انتهى وقال ابو موسى الريح هنا
بمعنى الجن سموا بها لانهم يرون كالريح فسمع اي ضماد سفهاء مكة اي جهال من الكفار يقولون ان
محمدا مجنون فقال لو اني رايت اي ابصرت هذا الرجل اي بالوصف المذكور لداويته بجواب لو
مقدر والاظهر ان لو للتمني كما يشير اليه قوله لعل الله يشفيه على يدي اي بسببي قال
اي ابن عباس فلقيه اي محمدا فقال يا محمد اني ارقي من هذا الريح فهل لك اي رغبة في ان ارقيك
واخلصك من الجنون فقال صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله اي ثابت له مختص به شواهدا ولم اجد
نحمده اي لوجوبه علينا وتعود نفعه الينا ونستعينه اي في جميع امورنا من يهده الله اي الى
طريق توحيده وشهود تفرده بمقتضى فضله فلا مضل له ومن يضلل اي ومن يضلله
عن سواء السبيل بموجب عدله فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده اي منفردا
ذاتا وصفات لما قيل كقوله لا شريك له او المراد بالاول توحيد الذات وبالثاني تفريد الصفات
واشهد ان محمدا عبده اي المختص المكرم ورسوله المخصوص المعظم صلى الله عليه وسلم وشرف
وكرم اما بعد اي واراد ان يخطب له خطبة عظيمة وموعظة جسيمة تنجع عنه البدعا ويجبر
ثم القضي ليعلم العقلا انهم يجتنبون المجانين والسفها فقال اعد علي كلماتك هولاء اي العقد
الدالة على كمال الخاتمة فاعادهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات يحتمل
ان يكون التثليث بالاولى كما كان له العادة او بغيرها كما يفيد حقيقة الاعادة فيكون ذلك
في مقام الافادة وتمام الاستفادة فقال اي ضماد لقد سمعت قول الكهنة بفتحتين جمع كاهن
وهو المخبر عن الغيب بعبارات مسجعة واشارات مبدعة وقول السحرة جمع ساحر وهو
المخبر في الغيب والدين من جهة ... وقول الشعرا جمع شاعر وهو المحابي
باللسان في كل شان ... يريد انهم ينسبونك تارة الى
الكهانة وتارة الى السحر واخرى الى الشعر وقد سمعت مقالاتهم فما سمعت اي
منهم مثل كلماتك هولاء يعني فلو كنت منهم لاشبه كلامك كلامهم فاذا كانت كلامك ابلغ من
كلام هولاء فلا يعده مجنون الا السفهاء ثم انهم كانوا يرون ان الكهانة والسحر والشعر
اهل البلاغة والمتصرفين في القول على ما شاؤوا فاشار بقوله هذا الى ان محمدا
اي حاز كلامك حد البلاغة وخاصة انه صلى الله عليه وسلم قابل كلام ضماد بما تقدم
ليظهر له كمال عقله وبينة جهل اعدائه وقال الطيبي طابق هذا القول منه صلى الله عليه
وسلم قول ضماد من انه لما سمع من سفهاء اهل مكة ان محمدا مجنون اعتقد انه كذلك فقال
هل لك رغبة في الخلاص كان صلى الله عليه وسلم ما التفت الى قوله ذلك وارشده الى الحق
البحث والصدق المحض اي اني لست بمجنون اتكلم كلام المجانين بل كلامي عن هذا وامثاله
فتفكر فيه هل ينطق المجنون بمثل هذه الكلمات وعن هذا قوله تعالى ويقولون انه لمجنون
وما هو الا ذكر للعالمين اي انهم جننوه لاجل القران وما هو الا ذكر وموعظة للعالمين
وكيف يجنن من جاء بمثله قلت بل المجنون من غفل عن ذكر الحق واشتغل بكلام الخلق
ولذا قال صلى الله عليه وسلم اذكروا الله حتى يقولوا مجنون ثم قال الطيبي والغرض
من الاستشهاد بها انه عن العقلا وقد شهد به التنزيل قال تعالى ان السمع والبصر
والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا وقال الشاعر

دع المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد اولئك الايام

ولذا بلغني أن هؤلاء الكلمات الجامعات المحيطات بجواهر كاللآلئ المنظومات التي تعجز الغواص
عن إخراجها وإبرازها لما فيها من الدلالات البينة على إعجازها من كمال إيجازها قاموس البحر الكلام
ووسطه ولجته المرام والمعنى بلغت غاية الفصاحة ونهاية البلاغة قال صاحب القاموس القمس
الغوص والغمس والقاموس معظم ماء البحر كالقاموس والبحر أو أبعد موضع فيه
غورا هات يدك نبايعك أي أعط يدك أبايعك بالجزم جواب الأمر على الإسلام قال أي ابن عباس
فبايعه أي النبي صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وفي بعض نسخ المصابيح بلغنا أي بصيغة
المتكلم مع الغير ناعوس البحر بالنون والعين وهو تصحيف وتحريف حيث لم يذكر أن ناعوس في
القاموس قال التوربشتي في كتاب المصابيح بلغنا وهو خطأ لا سبيل إلى تقويمه من طريق المعنى
والرواية بل لم نروه وناعوس البحر أيضا خطأ وكذلك رواه مسلم في كتابه وغيره من أهل الحديث
وإنه وهم منه والظاهر أنه سمع بعض الرواة خطأ فيه فرووه كذلك وهذا من الألفاظ
التي لم تسمع في لغة العرب والصواب فيه قاموس البحر وهو وسطه ومعظمه من القمس
وهو الغوص والقماس الغواص قال الطيبي قوله بلغنا خطأ إن أراد به من حيث الرواية
فلا ننكره لأنا ما وجدناه في الأصول وإن أراد به من حيث المعنى فممنوع إذ معناه قد وصلنا
إلى لجة البحر ومحل اللآلئ والدرر فينبغي أن نقف عنده ونغوص فيه استخراجا للفوائد واللطائف
لغرابته فذلك التصحيح في المعنى اللغوي الحقيقي إذ يحمل الكلام في المعنى المجازي الذي
هو بإشارات الصوفية أشبه فتدبر وتنبه قال وأما قوله ناعوس البحر أيضا فليس بصواب
أما رواية فقد قال الشيخ محيي الدين في شرح صحيح مسلم ناعوس البحر ضبطناه بوجهين
أشهرهما بالنون والعين وهذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا والثاني قاموس
البحر بالقاف والميم وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم
قلت هذا ما ينافي قول الشيخ فإنه لم ينكر وجود النقل في الرواية بل الطعن فيه
من حيث اللغة والدراية قال وقال القاضي عياض أكثر نسخهم ناعوس بالنون
والعين وقال شيخنا أبو الحسين ناعوس البحر بمعنى قاموسه قلت وهذا يفيد أن القاموس
هو الأشهر والأكثر وإنما جاء الناعوس في رواية وهو لكونه لا يستقيم في المعنى حمل على
أنه بمعنى القاموس وإن لم يسمع في كلام العرب قال وفي النهاية قال أبو موسى ناعوس
البحر كذا وقع في صحيح مسلم وفي سائر الروايات قاموس البحر وهو وسطه ولجته ولعله لم يجود
كتبته فصحفه بعضهم وليست هذه اللفظة أيضا أصلا في مسند إسحاق بن راهويه
الذي روى عنه مسلم هذا الحديث غير أنه قرنه بأبي موسى وروايته فلعلها فيه قال
وإنما أوردت نحو هذه الألفاظ لأن الإنسان إذا طلبه ولم يجده في شيء من الكتب فتحير
فإذا نظره في كتابنا عرف أصله ومعناه قلت وهذا كله يؤيد الشيخ فيما ذكره ويؤكد
ما حرره من جهة عدم صحة ما يتعلق به من الرواية قال الطيبي وأما دراية فقال القاضي
ناعوس البحر معظمه ولجته الذي يغاص فيها لاستخراج اللآلئ من نعس إذا نام
لأن الماء من كثرته لا يظهر حركته فكأنه نائم قلت ثبت العرش ثم انقش فكان
تحقيق الرواية مقدم على تدقيق الدراية مع أن هذا المبنى معناه اللغوي بل تكلف وتعسف
في تصحيحه بالمعنى المجازي فانتفى بناء قول الشيخ وهذا من الألفاظ التي لم تسمع في
لغة العرب وأغرب الطيبي حيث قال ومن المجازي يكون الناعوس حقيقة في القاموس
وكانت لغة عربية خفي مكانها فلم تنقل نقلا فاشيا انتهى ولا يخفى أن [illegible] باب
الإمكان السد طريق التحقيق في كل مكان والله المستعان وذكر حديثا أبي هريرة وجابر

الفصل الثالث عن ابن عباس رضي

ابن سمرة بإضافة الحديثين إلى الراويين لفائدة تشريفهما والتقدير أحدهما يهلك كسرى أي إلى
آخره والآخر لتفتحن عصابة أي الحديث في باب الملاحم متعلق بذكر وجهه من ذكره وكذا آخر
توجيه قوله وهذا الباب خال عن الفصل الثاني انتهى والله أعلم

الفصل الثالث

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال حدثني أبو سفيان بن حرب بتثليث السين وجوز تثليث
واسمه صخر بمهملة فمعجمة ولد قبل الفيل بعشر سنين وأسلم ليلة الفتح وشهد الطائف وحنينا
وفقئت عينه في الأولى والأخرى يوم اليرموك توفي بالمدينة وصلى عليه عثمان رضي الله تعالى
عنهما من فيه إلى في من للابتداء أي الحديث الذي أرويه انتقل من فمه إلى فمي ولم يكن بيني وبينه واسطة
كذا ذكره الطيبي والأظهر أن معناه لم يكن أحد حاضرا غيري معه كما يدل عليه حدثني وكذا قوله في
فإنه لو كان غيره لجاز أن يرويه فلا يكون الحديث مخصوصا به إلى فمه فقط قال أي أبو سفيان
انطلقت أي سرت في المدة أي في مدة الصلح التي كانت بيني وبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعني صلح الحديبية ذكره النووي وكانت سنة ست ومدته عشر سنين لكنهم
نقضوا العهد بقتل بعض خزاعة من حلفائه صلى الله عليه وسلم فغزاهم سنة ثمان وفتح مكة
قال أي أبو سفيان فبينا أنا بالشام أي من أهل المقام إذ جيء بكتاب من النبي صلى الله عليه
وسلم إلى هرقل بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف وهذا هو المشهور على ما في شرح مسلم
وفي نسخة بكسر الهاء والقاف وسكون الراء وهو غير منصرف للعجمة والعلمية وهو ملك الروم
ولقبه قيصر وهو أول من ضرب الدنانير وأول من أحدث البيعة على ما في القاموس قال
أي أبو سفيان وكان دحية الكلبي بكسر الدال وبفتح جاء به أي بالكتاب فدفعه إلى عظيم بصرى
أي أميرها وهي بضم الموحدة مقصورة بلدة بين المدينة ودمشق الشام فدفعه عظيم
بصرى إلى هرقل فقال هرقل هل ها هنا أي في أرضي أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم
أنه نبي لكي يتسائل عن صفته ليتبين أنه صادق أو كاذب قالوا أي بعض خدمه وحشمه
نعم فدعيت في نفر أي مع نفر من قريش وكانوا ثلاثين رجلا وفيهم المغيرة بن شعبة منهم وفيه
أنه سبق إسلامه لأنه أسلم عام الخندق فيبعد أن يكون حاضرا وسكت مع كونه
مسلما قلت ويحتمل أنه لم يذكر نسبه في تلك سفرته فدخلنا على هرقل فأجلسنا
المجهول وفي نسخة على بناء الفاعل أي أمر بجلوسنا بين يديه أي قدامه لنسمع كلامه
ونسمع كلامنا فقال أيكم أقرب نسبا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي قال العلماء إنما
سأل أقرب النسب لأنه أعلم بحاله وأبعد من أن يكذب في حقه قال أبو سفيان فقلت
أنا أي أقرب نسبا منه فأجلسوني بين يديه أي وحدي وأجلسوا أصحابي خلفي وإنما
أجلسهم خلفه ليكونوا عونا عليهم في تكذيبه إن كذب ولا يستحيوا منه أو ليمكن لهم أن يشيروا
إليه ويدلوا عليه بما يخالف إما بالإيماء وتحريك الرأس ونحو ذلك ولا يبعد أنه قصد في
تعيين نقطتهم لكون الأقرب في النسب على ما يقتضيه الأدب ثم دعا بترجمانه بفتح التاء
وضم الجيم وبضمها والفتح أفصح وسبق أنه يجوز فتحها وضمها وهو المعبر عن لغة بلغة أخرى ثم
التاء زائدة أو التقدير دعا أحدا بإحضار ترجمانه فقال قل لهم أي لأصحاب أبي
سفيان إني سائل هذا وفي نسخة بالإضافة والمعنى إني أريد أن أسأل أبا سفيان
عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي أي عن وصفه فإن كذبني بتخفيف الذال أي فإن نقل
بالكذب فكذبوه بالتشديد أي انسبوه إلى الكذب ولا تسكتوا على الباطل واحموا
بالحق قال أبو سفيان وايم الله بهمزة وصل وبقطع وبضم ميم وتخفيفه لقدم وهو قسم
لولا مخافة أي لولا بصيغة المجهول أي يروى علي الكذب بفتح فكسر وفي نسخة بكسر فسكون

والمعنى لولا خوف ان ينقلوا عني الكذب الى قومي ويتحدثوا به لكذبت اي لكذبت عليه لبغضي اياه وذاتما
عداه بعلى لتضمنه معنى المضرة اي كذب يكون عليه لا لي وفي هذا بيان ان الكذب قبيح في الجاهلية
كما هو قبيح في الاسلام والقول الظاهر ان معناه لولا مخافة ان يكذبني هولاء الذين معي لكذبته في تكذيبه
في بعض كلامي لتخصيصه مرادي ثم قال لترجمانه سله كيف حسبه فيكم الحسب ما يعده الانسان
من مفاخر ابائه ذكره الجوهري فهو اعم من النسب ولذا عدل عنه اليه وقد وقع في البخاري كيف
نسبه فيكم وفي جامع الاصول كيف حسبه قال قلت هو فينا ذو حسب اي عظيم فان رسول
الله هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وان ابا سفيان بن حرب بن امية
ابن عبد شمس بن عبد مناف والتنوين في للتعظيم هو منهما احد من بني عبد مناف عرفي قال فهل كان
من ابائه اي اسلافه اجداده واسلافه وفي نسخة ابائه اي في جملتهم من ملك اي من سلطان
وفي نسخة من من موصولة وملك بصيغة الماضي اي من كان ملكا قال بعض المحققين هو كذا
بخط الجزري ملك صفة مشبهة والمور رواية كريمة والاصيلي وفي الوقت وابن عساكر في نسخة
وابو ذر عن الكشميهني من ملك بفتح الميم موصولة وملك فعل ماض وللاصيلي وابي ذر كما في الفتح
من ابائه ملك باسقاط من وكان والاصل اشهر قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بتشديد التاء الثانية
اي تنسبونه الى التهمة بالكذب اي بما ينافيه قبل ان يقول ما قال اي من دعوى النبوة قلت
لا قال ومن بالواو وفي نسخة بسكون التاء وفتح الباء وفي نسخة بتشديد الفوقية وكسر
الموحدة اشراف الناس اي اشرافهم ام ضعفاؤهم قال الطيبي وفي الحميدي وجامع الاصول
يتبعه وام هنا متصلة وفيه وفي غيره قرينة لهذا الاشكال لان هذا سند عن السؤال عن حصول
الجملة وام المتصلة تستدعي حصولها لان السؤال بها عن تعيين احد المتقابلين مسند او مسند
اليه والظاهر في صحيح مسلم وشرحه والمشكوة ثم تبعه فيكون همزة الاستفهام مقدرة
في قوله اشراف الناس يتبعه اولا مجملا ثم سال ثانيا مفصلا قال قلت بل ضعفاؤهم المراد به
بالاشراف اهل النخوة والتكبر لا كل شريف والالو ورد مثل ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما
من اسلم قبل سؤال هرقل كذا ذكره بعضهم وتعقبه العيني بان حمزة وعمر كانوا من اهل
النخوة فقول ابي سفيان جرى على الغالب قال ايزيدون اي بزيادة اما لهم ام ينقصون
اي برجوع بعضهم الى ادبارهم او يموت بعضهم من غير عوضهم بكثرتهم قلت لا اي لا ينقصون ابدا
بل يزيدون اي دائما قال فهل يرتد اي يرجع احد منهم عن دينه بعد ان يدخل فيه اي بطيب نفسه
سخطة بفتح السين وتضم وسكون الخاء المعجمة اي كراهة وتغيبا له اي لدينه وهي مفعول
له وخرج به من ارتد مكرها او لحظ نفساني قال قلت لا قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال
كيف كان قتالكم اياه قال قلت يكون باتا بيت وتذكر الحرب اي المحاربة بيننا وبينه سجال
بكسر اوله اي جلة ومداولة يصيب منا ونصيب منه اي هو بيان نوبة لمن تزم تعلقه وحكى ثالث
مثل اخري لغلبتنا فهو تفسير لقوله سجال وقد قال تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس
وقال الشاعر

فيوما علينا ويوما لنا ... ويوما نسر ويوما نساء

قال الطيبي واصله من السجل الذي هو الدلو لان لكل واحد من الواردين دلوا منها للاخر
ولكل واحد منهم يوم في الاستقاء ومعناه ان الحرب دولة نوبة له ونوبة عليه وقال الاخر السجال
جمع سجل وهو الدلو الكبير والحرب اسم جنس ولهذا جاز الاخبار عنه بالجمع وما فيه تشبيه بليغ
اي الحرب نوب نوبة لنا ونوبة له وتقع المقاتلة بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم
قبل هذه القصة في ثلاث مواطن بدر واحد والخندق فاصاب المسلمون من المشركين في بدر

وعكس

وعكس في احد واصيب من الطائفتين ناس في الخندق فصدق ابو سفيان في كلامه سجال في انه لا يلزم منه
التساوي قال فهل يغدر بكسر الدال اي ينقض العهد وخلاف الوعد قلت لا اي ما وقع منه غدر فيما مضى
ونحن منه اي على خطر في هذه المدة اي مدة الهدنة والصلح الذي جرى يوم الحديبية لا ندري ما هو فاعل فيها والله
ما هو صانع فيها اي الغدر في مدة هذا الصلح ام لا قال اي ابو سفيان والله ما امكنني من كلمة اي ما قدرت
على كلمة والمراد بها جملة مفيدة ادخل فيها اي في اثناء كلماتي شيئا اي مما يطعن فيه في الجملة غير هذه الكلمة
التي فيها تجويز احتمال الغدر في هذه الهدنة قال فهل قال هذا القول اي من ادعاء النبوة ودعوى الرسالة احد
قبله اي ممن سبقه من غير الانبياء كابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وموسى وعيسى عليهم
السلام قلت لا ثم قال اي بعد ذكر من الاسئلة الواردة في النبوة والرسالة واراد ان يشرع في تبيين
توجيهها من جهة المنقول والمعقول والعرف والعادة قال لترجمانه قل له اني سالتك عن حسبه فيكم
فزعمت اي ذكرت انه فيكم ذو حسب وكذلك الرسل تبعث في احساب قومها اي من افضلهم في احساب
انواعهم فتعديته بفي لتضمين معنى الايقاع ويمكن ان يكون في بمعنى من على ما جوزه صاحب القاموس في المعنى
وهو ظاهر جدا بعيني مما تكلف له الطيبي لقوله المؤمن بالنحو نحو يبعث ذوي حسب وهو هو
كقولك في البيضة عشرون رطلا وهي في نفسها هذا المقدار والحكمة في ذلك انه ابعد
من انتحال الباطل واقرب الى انقياد الناس له ولا يخفى ان هذا القول انما يستند لمن ليعتقد
وليس على العقل وسالتك هل كان في ابائه ملك اي في جملتهم احد من الملوك والرواية
بفتح الميم لكان له وجه فزعمت ان لا فقلت اي في نفسي بمقتضى رايي لو كان من ابائه ملك
اي لو كان ظهر منهم سلطان لقلت رجل يطلب ملك ابائه اي سلطنتهم وهذا دليل عقلي لا يخالفه نقل
وسالتك عن اتباعه اضعفاؤهم وهم اي فقراء الناس واهل الخمول ام اشرافهم اي اغنياؤهم وهم واهل جاههم
فقلت بل ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل اي ابتداء لانه لا المنكرين هذه في اتباع العلماء والاولياء قال
النووي واما قوله ان الضعفاء هم اتباع الرسل فلكون الاشراف يانفون من تقدم مثلهم عليهم والضعفاء
لا يانفون فيسرعون الى الانقياد واتباع الحق وسالتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول
ما قال فزعمت ان لا فعرفت انه لم يكن ليدع اللام لام الجحود اي ليترك الكذب على الناس ثم يذهب
فيكذب على الله اي فانه من المعلوم عند كل احد ان الكذب على الله افحش واشد لقوله تعالى
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وسالتك هل يرتد احد عن دينه بعد ان يدخل فيه سخطة له
فزعمت ان لا وكذلك بالواو والظاهر انه بالفاء وكذلك اي لا يخرج ولا يرجع الايمان اذا خالط
بشاشته بفتح الموحدة اي انسه القلوب اي فانه من دخل بحقيقته في امر محقق لا يرجع
عنه بخلاف من دخل في الاباطيل ذكره النووي وقد عبر صلى الله عليه وسلم عن الثبات تارة
بالطعم واخرى بالحلاوة فان من ذاق لذة في احد لا محالة ومن لم يذق لم يدر ومن شرب العرفان
لم يذق ولذا قال بعض المشايخ انما رجع من رجع من الطريق يعني فمن وصل مع الفريق الى الرفيق
فهو كالغريق في الامر الداخل في البيت العتيق وقد قال شيخ مشايخنا ابو الحسن البكري
قدس الله سره السري الايمان اذا دخل القلب امن السلب ثالثة ولعل الاشارة الى هذا المعنى
والدلالة على هذا المعنى في قوله تعالى سبحانه فمن يكفر بالطاغوت اي بما سوى الله ويؤمن بالله
اي حق الايمان وحق يقينه فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها اي لا انقطاع ولا
انفصال ولا اتحاد ولا اتصال وسالتك هل يزيدون ام ينقصون ولعل ترك الواسطة
وفي المسئلة والاشارة الى ان من لم يكن في الزيادة فهو في النقصان لان التوقف مبني في طريق
الانسان فزعمت انهم يزيدون وكذلك الايمان اي يزيد بنفسه واهله حتى يتم اي يكمل بالامور
المعتبرة فيه من صلاة وزكاة وصيام وغيرها ولذا نزل في اخر عمره صلى الله عليه وسلم اليوم اكملت

لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي انجازا لما وعد سبحانه وتعالى بقوله يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم
ويأبى الله الا ان يتم نوره ونحن بحمد الله الى الان بعد مضي الالف من الزمان في زيادة الايمان تحت
اشعة انواره وفي بركة لمعان اسرار المستفادة من اخباره والمستفهمة من آثاره وسألتك هل
قاتلتموه فزعمت انكم قاتلتموه فيكون الحرب بينكم وبينه سجالا ينال منكم وننال منه اي
يصيب منكم ونصيب منه وكذلك الرسل تبتلى فيه ايماء الى ان الدار دار ابتلاء ولذا قال بعض العارفين
ما دمت في هذه الدار لا تستغرب وقوع الاكدار وقد قال تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وتفسر البلاء
بالمحنة والمنحة وهو من الاضداد الحاصل للعبد والغالب ان البلاء لاهل الولاء كما اشار اليه صلى الله
عليه وسلم بقوله اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم تكون لهم اي للرسل فانتهيا العاقبة اي المحمودة
قال تعالى والعاقبة للتقوى وللآخرة خير وابقى قال النووي يعني يبتليهم بذلك ليعظم اجرهم
بكثرة صبرهم وبذل وسعهم في طاعة الله وسألتك هل يغدر فزعمت انه اي النبي او الشأن لا يغدر
والاصل بقاء الشيء على ما هو عليه كما هو مقرر في مسئلة الاستصحاب ولهذا اعرض عن الجملة المدخولة
المعلولة وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك هل قال هذا القول احد قبله فزعمت ان لا فقلت
لو كان قال هذا القول احد قبله قلت رجل ائتم اي هو رجل اقتدى بقول قيل قبله قال اي ابو سفيان
ثم قال بما يأمركم بصيغة الجمع تغليبا او التفاتا ولذا اعرض عن قوله قلت اي قول قلنا يأمرنا بالصلاة
والزكاة اي بالعبادة المالية والبدنية والصلة اي صلة الرحم وكل ما امر الله به ان يوصل والعفاف
بفتح العين اي الكف عن المحارم وكل ما يخالف المكارم قال ان يك ما تقول حقا فانه نبي وفي شرح مسلم
قال العلماء قول هرقل ان يك ما تقول حقا فانه نبي اخذه من الكتب القديمة ففي التوراة هذا او نحوه
من علامات رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفه بالعلامات واما الدليل القاطع على النبوة فهو
المعجزة الظاهرة الخارقة للعادة وهكذا قاله المازري وقال الشيخ اكمل الدين ومع هذا لم يؤمن
ولم ينتفع بتلك المعرفة فانه هو الذي جيش الجيوش على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في تبوك ولم يقتصر في تجهيز الجيش عليهم من الروم وجرت كرة بعد كرة بينهم اهلكهم الله ولم يرجع اليه
منهم الا القليل واستمر على ذلك الى ان مات وقد فتح اكثر بلاده في زمن بني بعده ولده واهلكه وهلكت
المملكة الرومية نعت بقيا الرومية الجاهلية ثم انقلبت لهم المملكة الاسلامية بالغلبة والشوكة
الايمانية حتى اقامهم الله تعالى للطايفة الشرقية والمقابلة الرافضة الكفرانية وقاموا بخدمة
الحرمين الشريفين من عمارتهما وخيراتهما ومبراتهما في البلدين المنيفين وارسال امير الحاج من كل
فج عميق لامن الطريق الواصل الى البيت العتيق مع ما فيهم من تعظيم الشريعة وتكريم العلما
واحترام المشايخ والاولياء جزاهم الله احسن الجزاء ونصرهم على جميع الاعداء الى يوم الندا هذا ومن يهده
الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له ولا حول ولا قوة الا بالله فما اعتذر به معفو له اكمل لكن
ما شاء كم لعدم السعادة الازلية ووجود الشقاوة الابدية والسبب في ذلك طمع الرياسة
وظهور الحالة والميل الى صور المال وحصول المنال والغفلة عن المال وما يؤدي الى النكال
ولذا قال وقد كنت اعلم اي علما يقينيا انه اي النبي عليه السلام خارج اي ظاهر في آخر الزمان ولم اك
اظنه منكم اي من نسل اسمعيل وبنوا ابوا العرب بل كنت اظنه انه من معشر بني اسحاق فان اكثر
الانبياء بعد ابراهيم عليه السلام منهم وهذه حجة داحضة وشبهة مفندة فان الظن لا يغني من الحق
شيئا وما يتبع اكثرهم الا ظنا والحال انه تبع ولو اني اعلم اني اخلص بضم اللام اي اصل اليه في الاخذ
ودولته وحضرته وزينته لتجشمت لقاءه اي ذوق لقاء الملاقاة وسعادة بعثته ولو كنت عنده اي
ولو حضرت في مقامه ووصلت الى موضع قدومه لغسلت اي وجهي عن قدميه اي غسلا صادرا عن ماء
اقدامه لما ارى له من الشان في الحق واقدامه اداء التقدير غسلت الغبار والوسخ عن قدميه

فضلا

كيد

فضلا عن تقبيل قدميه وليبلغن ملكه ما تحت قدمي بالتشديد للتثنية المبنية عن المبالغة والتا
قال النووي ولا عذر له في هذا لانه عرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم وانما شح بالملك ورغب في
الرياسة فآثرها على الاسلام وقد جاء ذلك مصرحا به في صحيح البخاري ولو اراد الله هدايته لوفقه
كما وفق النجاشي وما زالت عنه الرياسة وقال شيخ مشايخنا الحافظ جلال الدين السيوطي اختلف
في ايمانه والارجح بقاؤه على الكفر ففي مسند احمد انه كتب من تبوك الى النبي صلى الله عليه وسلم اني
مسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب بل هو على نصرانيته قلت الشيخ في بيته نص على موته بالكفر
وانما رجح بناء على الاصل ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه اي تعظيما او لغرض في
محافظته فصار سببا لبقاء الملك في ذريته بخلاف كسرى حيث شقه ومزقه فمزق الله ملكه ومزق
ولده واخرج الله عنهم ملكه قال السيف الدين ارسل ملك الغرب الى ملك الفرنج في شفاعة قلت
وشفع عليه الامانة فابيت فقال له لا تحفظك بتحفة سنية فاخرج من صندوق مقلمة من ذهب
فاخرج منها كتابا قد زال اكثر حروفه فقال هذا كتاب نبيكم الى جدي قيصر ما زلنا نتوارث الى الان
وقرأ وصيته انه ما دام عندنا لا يزول الملك عنا فنحن نحفظه ليدوم الملك لنا ذكره الكمال الدين
متفق عليه وقد سبق تمام الحديث وهو انه كتب اليه في باب الكتاب الى الكفار والله تعالى اعلم

باب في المعراج

العروج هو الذهاب في صعود قال تعالى تعرج الملائكة والروح والمعراج بالكسر شبه السلم مفعال
من العروج يعني الصعود فكأنه آلة له وقيل بل هو آلة وفرق بينه وبين الاسرا كما بينته في رسالتي
المسماة بالمعراج للمعراج وانما سميت ليلة المعراج لصعود النبي صلى الله عليه وسلم فيها الى السما
وفي شرح السنة قال القاضي عياض اختلف الناس في الاسرا برسول الله صلى الله عليه وسلم
فقيل انما كان جميع ذلك في المنام والحق الذي عليه اكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين
من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين انه اسري بجسده ثم ظاهرها ويجب عنها فلا يعدل عن ظاهرها
الا بدليل ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج الى تأويله وقيل ذلك انه اوحي اليه وهو غلط لم يوافق
قال الاسرا فقيل كان قبل الهجرة انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الحربي
كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان ذلك بعد
مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحق اسري به صلى الله عليه وسلم وقد فشا
الاسلام بمكة واشبه هذه الاقوال قول الزهري وابن اسحق وقد اجمعوا على ان فرض الصلاة
كان ليلة الاسرا فكيف يكون هذا قبل ان يوحى اليه واما قوله في رواية شريك وهو نائم وفي
الرواية الاخرى بينا انا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولا
حجة فيه اذ قد يكون ذلك حالة اول وصول الملك اليه وليس في الحديث ما يدل على كونه
نائما في القصة كلها وقال محيي السنة في المعالم والاكثرون على ذلك تحكمه ومن العلماء من
قال يحتمل انه الاسرا نوما ويقظة وبه يجمع بين الادلة المختلفة قال الطيبي وقد روي عن
البخاري والترمذي عن ابن عباس في قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس قال
هي رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به الى بيت المقدس وفي مسند
الامام احمد بن حنبل عن ابن عباس قال اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة رآه بعينيه ولانه
قد انكرته قريش وارتدت جماعة ممن كان اسلموا حين سمعوه وانما ينكر اذا كانت في اليقظة
فان الرؤيا لا ينكر منها ما هو ابعد من ذلك على ان المحققين ان المعراج مرتان مرة بالنوم واخرى باليقظة
قال محيي السنة رؤيا اراه الله قبل الوحي بدليل قوله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام

ثم فرج به في اليقظة بعد الوحي قبل الهجرة تحقيقا لرؤياه كما انه راى فتح مكة في المنام سنة ست من
الهجرة ثم كان تحققه سنة ثمان وعن بعض المحققين ان الارواح ماخوذة من انوار الكمال والجلال
وهي بالنسبة الى الابدان بمنزلة قرص الشمس بالنسبة الى هذا العالم وكما ان كل جسم يصل اليه نور
الشمس يتنور ظاهره بالانوار فكذلك كل وصل اليه نور الروح انقلب حاله من الموت الى الحياة وقالوا
الارواح اربعة اقسام الاول الارواح المكدرة بالصفات البشرية وهي ارواح العوام غلبت القوى
الحيوانية لا تقبل العروج والثاني الارواح التي لها كمال القوة النظرية باكتساب العلوم وهي
ارواح العلماء والثالث الارواح التي لها كمال القوة المدبرة للبدن باكتساب الاخلاق الحميدة وهي
ارواح المرتاضين اذا كسروا قوى ابدانهم بالارتياض والمجاهدة والرابع الارواح الحاصلة لها كمال
القوتين وهذه غاية الارواح البشرية وهي للانبياء والصديقين فلما ازدادوا قوة ارواحهم
ازدادوا ارتفاعا ابدانهم عن الارض ولهذا لما كان الانبياء عليهم السلام قوي فيهم هذه الارواح
عرج بهم الى السماء واكملهم قوة نبينا صلى الله عليه وسلم فعرج به الى قاب قوسين او ادنى انتهى

الفصل الاول عن قتادة رضي الله تعالى عنه تابعي جليل عن انس بن مالك اي خادم
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مالك بن صعصعة الصحابي رضي من بني مازن بن النجار وهو
قيل الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم اي الصحابة ومنهم انس عن ليلة اسري به بالاضافة
وفي نسخة بالتنوين اي في ليلة اسري به فيها قال زين العرب في شرح المصابيح انها مضافة الى الماضي
وفي نسخة رواية مجرورة منونة وقال الطيبي يجوز بناء ليلة واعرابها واسري بصيغة المجهول
ايماء الى قوله سبحانه وتعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا والاسراء السرى وهو السير في الليل
يقال سرى واسرى بمعنى وقيل اسرى سار من اول الليل وسرى سار من اخره قيل وهو الاقرب فالبا
فيه للتعدية وذكر الليل للتجريد او للتاكيد وفي الاية بالتنكير للتقليل والتعظيم بينما
انا في الحطيم قال القاضي بل هو الحجر سمي حجرا لانه حجر عنه بحيطانه وحطيما لانه حطم جداره
من ساواة الكعبة وعليه ظاهر قوله بينما انا في الحطيم وربما قال في الحجر فلعله صلى الله عليه وسلم
حكى لهم قصة المعراج مرات فعبر بالحطيم تارة وبالحجر اخرى وقيل الحطيم غير الحجر وهو ما بين
المقام الى الباب وقيل ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر والراوي شك في انه سمع في الحطيم
او في الحجر انتهى وقال ابن حبيب الحطيم ما بين الركن الاسود الى الباب الى المقام حيث يتحطم
الناس للدعاء وقيل كان اهل الجاهلية يتحالفون هنالك ويتحطمون بالايمان كذا ذكره الخ
الاول والله اعلم مضطجعا قيد للروايتين وهو عطف بين النوم واليقظة اذ اتاني ات اي جاء
ملك فشق اي قطع ما بين هذه الى هذه يعني نفسه من مالك عما هو الظاهر اي يريد النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله هذه من ثغرة نحره بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة اي نقرة نحره
التي بين الترقوتين الى شعرته بكسر الشين اي عانته وقيل منبت شعرها كذا في النهاية
فاستخرج قلبي قال شارح وهذا الشق غير ما كان في زمن الصبي اذ هو لاخراج مادة الهوى
من قلبه وهذا لادخال كمال العلم والمعرفة في قلبه قلت وفيه ايماء الى التخلية والتحلية
ومقام الفناء والبقاء ونفي الصور واثبات لمولى كما يشير اليه الكلمة العليا ثم اعلم ان هذا
معجزة فان من المحال العادي ان يعيش من يشق بطنه ويستخرج قلبه وكان بعضهم
حملوه على المعاني المجازية ولذا قال التوربشتي ما ذكر في الحديث من شق النحر واستخراج
القلب وما يجري مجراه فان السبيل في ذلك التسليم دون التعرض بصرفه الى وجه
بتعزيه متكلف ادعاء للتوفيق بين المنقول والمعقول هربا مما يتوهم انه محال ونحن
بحمد الله لا نرى العدول عن الحقيقة الى المجاز في خبر الصادق عن الامر المحال به

الله تعالى عنه

في القلب ثم اتيت بطست بفتح الطاء وبكسر مهملة في العربية ومعجمة في المعجمة من ذهب لعله لم يكن
قبل التحريم او القضية مخصوصة بتجليه السلام مملوء وفي نسخة مملوء ايمانا وليشد ايمانا تمييز
قال القاضي لعله من باب التمثيل او تمثيله المعاني كما تمثل له الارواح باجساد هي الغائبة وتكون
الانبياء بعد في الارض اذ كانوا بالخواص الانبياء ثم لو قيل بنفي اجسادهم المنفقة بها ارواحهم في
عالم الملك وتمثيلها في عالم الملكوت توجيه وجهها وتنبيه بينهما بما هو الظاهر بل لا يبعد عن قدرة
القاهر وفي شرح مسلم معنى جعل الايمان في الطست جعل شيء فيه يحصل به الايمان فيكون مجازا
وقد قال التوربشتي لا مانع من ارادة الحقيقة انزل والحاصل ان المعاني قد تتجسم كما في خبر
في وزن الاعمال وورد مجيء كبش الموت ونحوهم فغسل قلبي ثم حشي ما فرجهم ورد من الحشو اي ملئ من
ترتيبه ثم اعيد اي القلب الى موضعه الاول في الوجه الاول وفي رواية ثم غسل البطن اي الجوف
تطهيرا او تكميلا للقلب فانه بيت الرب بماء زمزم ثم ملئ ايمانا وحكمة اي ايقانا واحسانا تمهيدا
تكميلا وتنويرا ثم اتيت بدابة هي نطق في الذكر والانثى لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا
على الله رزقها والتاء فيه للوحدة فالمعنى مركوب متوسط دون البغل صغرا منه وفوق الحمار اي اكبر
منه ابيض بالنصب في الحالة والتعقيب يقال له البراق بضم اوله سمي به لبريق لونه او لسرعة
سيره كبرق التسمية وهو اصلح من الجمع وان كان دبوتيرا فيه قوله يضع خطوه عند اقصى طرفه بفتح
وسكون في كل منهما اي يضع قدمه عند منتهى بصره وغاية نظره قيل لا صح انه كان معدا للركوب
للانبياء وقيل لم يكن بنبي براق في حقه وهو المناسب لمراتب الاصفياء في شرح مسلم قال اهل اللغة هو اسم
للدابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى قال الزبيدي في مختصر العين
وصاحب التحرير هي دابة كانت الانبياء عليهم السلام يركبونها وهذا الذي قاله يحتاج الى نقل صحيح
قال الطيبي ولعلهم حسبوا ذلك من قوله في حديث اخر ربطه بالحلقة التي ربطها الانبياء اي ربطت
البراق بالحلقة التي يربطها الانبياء البراق قلت وليس فيه دلالة في التقدير مع تسليم التقدير
لان المراد بالبراق الجنس في الثاني قال واظهر منه حديث انس في الفصل الثاني فوجد جبريل
للبراق فما ركبك احد اكرم على الله منه قلت هو مع ظهوره لا يخفى ما فيه من الاحتمال المانع من
صحة الاستدلال اذ يحتمل انه ركبه بعض الملائكة وجبريل نفسه عند نزوله الى النبي صلى الله عليه وسلم
تمثيلا والتقدير فما ركب ملكا او جنسك احد اكرم على الله منه فلا ينبغي ان تستعصي عنه فحملت
عليه بصيغة المجهول اي ركبت عليه بمعاونة الملك اذ باعانته الملك وفيه ايماء الى صغر قدمه كما في
وجهه فانطلق بي جبريل حتى اتى باب السماء الدنيا فظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الى السماء
وتمسك به من زعم ان المعراج كان في ليلة غير ليلة الاسرى الى بيت المقدس فاما المعراج فعلى
ما في هذه الرواية من الاخبار انه لم يكن على البراق بل رقي في المعراج وهو السلم كما وقع به مصرحا ذكره
العسقلاني انزل الاظهر ان هذا اختصار من الراوي والا لما سبق انه ربط البراق بالحلقة التي يربط
بها الانبياء ثم يمكن ان يكون سيره على البراق في بيت المقدس ثم اسري به الى السماء بالمعراج الذي هو
السلم والله اعلم فكان الراوي طوى الرواية فاختصر بها الدراية ثم قيل الحكمة في الاسرى الى بيت
المقدس قبل العروج الى السماء اظهار الحق للمعاندين لانه لو عرج به من مكة الى السماء اولا لم يكن
سبيل الى ايضاح الحق للمعاندين كما وقع في الاخبار بصفة بيت المقدس وما صادفه في الطريق
من العير ومع ما في ذلك من حيازة فضيلة الرحالية لانه محل الهجرة غالب الانبياء ولما روي ان باب
السماء الذي يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس فاسرى اليه ليحصل العروج مستويا
من غير تعويج ذكره السيوطي فاستفتح اي طلب جبريل فتح باب السماء الدنيا قيل من هذا اي
المستفتح قال جبريل للتقدير هو وانا قال انا ففي عبارة مزية فيه ان السماء ابواب حقيقة وحفظة موكلة

بها وفيه اثبات الاستيذان وانه ينبغي ان يقول انا زيد مثلا يعني لا يكتفي بقوله انا كما هو المتعارف الآن وزاد في النهي قيل ومن معك اي انت تفرقك ومن معك حتى تستفتح قال محمد قيل وقد ارسل اليه الواو للعطف وحرف الاستفهام مقدر اي اطلب وارسل اليه بالعروج او بالوحي والاول اشهر والاظهر وعليه الاكثر قال النووي وفي رواية اخرى وقد بعث اليه للاسرا وصعود السموات وليس مراده الاستفهام عن اصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى على الملائكة الى هذه المدة فهذا هو الصحيح وقال البيضاوي اي ارسل اليه للعروج وقيل معناه اوحي اليه وبعث نبيا والاول اظهر لان امر نبوته كان مشهورا في الملكوت لا يكاد يخفى على خزان السموات وحراسها واوفق للاستفتاح والاستيذان ولذلك تكرر معه وتحت هذه الكلمات ونظائرها اسرار يتفطن لها من تتحقق بعزيمة واستعدت نجيبته قلت ولعل ماخذها ورود في جميع الابواب على ذا بادا بادر في الابواب من السموات وراى التجلي وكذا الجواب بمرحبا كما يدل عليه الجواب المشعر بالنزل الرحماني في الهداية النهاية والايات القرانية المشير اليها قال في الحديث القدسي المعبر عن الكلام النفسي من اتاني يمشي اتيته هرولة ومن تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا الموحي اليه قوله سبحانه وهو معكم اينما كنتم المصرح بالمعية الخاصة في المقام المريد وغاية قرب اليه من حبل الوريد ثم الرازدي لسان الحال الجمع ان الله معنا ثم ترضي كونهم معه وخصوص احترامه في باب الاكرام واخوانه العظام في تلك الليلة الانعام فيما لهم من مشاهدة ذلك ينقصون زيادة وقيل كان سؤالهم للاستعجاب بما انعم الله تعالى عليه او للاستبشار بعروجه اليه اذ كان من البين عندهم ان احدا من البشر لا يترقى الى اسباب السموات من غير ان ياذن الله له ويامر ملائكته باصعاده فان جبريل لم يصعد بمن لم يرسل اليه ولا يستفتح له ابواب السما قال اي جبريل نعم اي ارسل اليه بالتقريب لديه والانعام عليه قيل مرحبا به اي الله باتي مرحبا اي موضعا واسعا فالبا للتعدية ومرحبا مفعول به والمعنى جا اهلا وسهلا فنعم المجي اي مجيه جا فنعم ما فيه تنعم استئناف بيان زمانه او حال والمجي فاعل نعم والمخصوص بالمدح محذوف قال الطيبي فيه تقديم وتاخير وحذف المخصوص بالمدح اي جا فنعم المجي مجيه جا وقيل تقديره نعم المجي الذي جاه محذوف الموصول واكتفى بالصلة او نعم المجي مجي جا بحذف الموصوف ففتح اي باب السما فلما خلصت بفتح اللام اي وصلت اليها ودخلت فيها فاذا فيها ادم فقال اي جبريل هذا ابوك اي جدك ادم فسلم عليه قال التوربشتي امر بالتسليم على الانبيا لانه كان عابرا عليهم وكان في حكم القائم وكانوا في حكم القعود والقائم يسلم على القاعد وان كان افضل منهم فكيف والحديث دل على انه اعلى مرتبة والتوبة كلا ثم زوجا فسلمت عليه فرد السلام اي رد احسانا او فيه تلميح الى الاجابة احسانا حقيقة ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قيل وانما اقتصر الانبيا في هذا الوصف اذ الصلاح صفة تشمل جميع خصائل الخير ولذا يقال الكريم ولذا قيل الصالح من يقوم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق عباده ولذا ورد في السنة الانبيا توفني مسلما والحقني بالصالحين ويمكن ان يكون المراد بالصالح بهذا المقام العالي والمقصود المتعالي ثم صعد بي بكسر العين اي طلع بي جبريل والبا للتعدية والمصاحبة حتى اتى السما الثانية فقد ورد ان بين كل سمائين مسافة خمسمائة عام فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا في تكرار هذا السؤال والجواب في كل من الابواب اشعار بانبساط الزمان وطول المكان والتسلية للسالك والتنزلة السالك في ذلك الحال بقول الرحمن ففتح فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة جملة معترضة يحتمل ان يكون من اصل الحديث وان تكون مدرجة من كلام الراوي وهذا وقال ابن الملك في شرح المشارق المراد كان ارواح الانبيا متشكلة بصور رهم التي كانوا عليها الا عيسى فانه مرفوع بشخصه

وسبقه النور بشتي حيث قال ورؤية الانبيا في السموات وفي بيت المقدس حيث امهم يحتمل رؤية روحانيتهم الممثلة بصورهم التي كانوا عليها غير عيسى فان رؤيته محتملة للامرين او احدهما قال وقد تمسك اذا الانبيا لا يموتون كسائر الاحياء بل ينتقلون من دار الفنا الى دار البقا وقد ورد به الاحاديث والانبيا فانهم احيا في قبورهم فانهم افضل من الشهدا وهم احيا عند ربهم قال اي جبريل هذا يحيى قدمه لسبقه في الوجود وهذا عيسى ختم به لانه تم في الشهود ولعله من ارباب الفضل والجود فسلم عليهما اي جملة او على حدة فسلمت فردا اي السلام على باحسن رد ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة ولما سبق في الحديث من ان الانبيا اخوة من علات وامهاتهم شتى ودينهم واحد والنبي الصالح ثم صعد بي الى السما الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فيه اشعار بان كلا من الانبيا لم يحصل لهم الاشتغال الا بالاستيذان الملكي وان الفتح الالهي وان كلا منهم كالملائكة لهم مقام معلوم وحال مفهوم لا متقدم لما اخر ولا موخر لما قدم والله اعلم فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد اي رد احسنا ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السما الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا وهذا التكرير والبيان في وجه التكرير بعد من قبل لا عد ذكر نعما زنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع ففتح فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح قال عياض هذا يخالف قول اهل التاريخ ان ادريس كان من ابائه صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون قول ادريس ذلك تلطفا وتادبا وهو اخ ايضا وان كان ابا فان الانبيا اخوة كذا في شرح مسلم ثم صعد حتى اتى السما الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فيه اشعار بانه لم يفتح باب السما الا لمن يكون مسبوقا بنعت العلا ووصف الولا واما الاعدا فلا يفتح لهم ابواب السما حتى يلج الجمل في سم الخياط فلما خلصت فاذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السما السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فيه تنبيه نبيه على ان من فتح له يفتح له باب ما منع من باب اخر ولم ينفع الحجاب بل يفتح له ابواب الرحمة ثم ابواب الجنة وما احسن من قال من ارباب الحال

على بابك مدمن لا بد الرجا ... وحرام هذا الباب يحيى الردا

فلما خلصت اذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما جاوزت اي موسى او مقامه بكى اي موسى تاسفا على امته وشفقة على اهل ملته فانهم فقروا في الطاعة ولم يتبعوه حق اتباعه مع طول مدته وامتداد ايام دعوته فلم ينتفعوا به انتفاع هذه الامة بمحمد صلى الله عليه وسلم مع قلة عمره وقصر زمانه وبهذا يظهر وجه قوله قيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر ممن يدخلها من امتي فانه لم يرد بذلك استنقاصا رتبة بل ان الغلام قد يطلق ويراد به القوي الطري الشباب وهذا زبدة كلام التوربشتي وقد حمله بعضهم على الغبط وفيه نظر ظاهر لا هل الغبطة اللهم الا ان يحمل على التمني فانه قد يتصور في امر الجهاد والله اعلم بالحال وقال بعض العلما لم يكن بكا موسى عليه السلام حسدا معاذ الله فان الحسد في ذلك العالم منزوع من احاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله

وهو في عالم الملكوت بل كان اسفا على ما فاته من الاجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع
من امته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص اجورهم المستلزم لتنقيص اجره لان لكل نبي مثل اجر
كل من اتبعه واما قوله غلام فليس على سبيل التنقيص بل على سبيل التنويه بقدرة الله
وعظيم كرمه اذ اعطى لمن كان في ذلك السن ما لم يعطه احدا قبله ممن هو اسن منه وقال
العسقلاني ويظهر لي ان موسى عليه السلام اشار الى ما انعم الله به على نبينا صلى الله عليه
وسلم من استمرار القوة في الكهولة الى ان دخل في اول الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعترى
قوته نقص قلت ويمكن ان يكون وجه تسميته غلاما انه حين مروره على الانبياء كان في
مدة عمره قليلا بالنسبة الى اعمارهم في الدنيا ثم مرور الازمنة عليهم في حال البرزخ وقد يعتبر
كونه غلاما بما حصل له المرتبة العلية في قليل من مدة البعثة النبوية فان المعراج على ما سبق
انما كان بعد الوحي بزمان قليل اذ نقل انه قبل الهجرة بسنة فيصدق في عمر
الغلام بناء على ان ذلك له لتيسر العمل التام والله اعلم بحقيقة المرام ثم صعد بي الى السماء
السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه
قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء في اطباق كلمتهم واتفاق جملتهم على هذا المدح المطلق اشعار
بان السنة الخلق اقلام الحق وليتنبه هنا في الاصول لفظ فنعم لكانه سقط من لفظ الراوي
او اكتفاء بما سبق وذلك لئلا يحتاج اليه بقوله فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك اي جدك
الاقرب ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام وكان نبينا عليه السلام كان في الاستغراق
التام ومشاهدة المرام غافلا عن الانام كما اشار اليه سبحانه وتعالى بقوله ما زاغ البصر
وما طغى حتى احتاج في كل من المقام الى تعليم جبريل بالسلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي
الصالح قال الحافظ السيوطي استشكل رؤية الانبياء في السموات مع ان اجسادهم مستقرة
في قبورهم واجيب بان ارواحهم تشكلت بصور اجسادهم او احضرت اجسادهم لملاقاته
صلى الله عليه وسلم تلك الليلة تشريفا له واختلف في حكمة اختصاص من ذكر من الانبياء
بالسموات التي لقيه فيها حسب تفاوت درجاتهم في الدرجات وعن هذا قال ابن ابي جمرة اختصاص
ادم بالاولى لانه اول الانبياء واول الآباء فكان في الاولى لاولويته وعيسى بالثانية لانه اقرب الانبياء
عهدا من نبينا صلى الله عليه وسلم ويليه يوسف لان امة محمد يدخلون الجنة على صورته وادريس
في الرابعة لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا والرابعة من السبع وسط معتدل وهارون
في الخامسة لقربه من اخيه وموسى ارفع منه لفضل كلام الله تعالى وابراهيم فوقه لانه افضل
الانبياء بعد نبينا انزل الكلام على سائر الانبياء عليهم السلام ولعلهم كانوا موجودين في السموات
بما يناسبهم من المقام ولم يذكر في كل سماء الا واحد من المشاهير الاعلام واكتفى بذكرهم عن بقية الكرام
ثم رفعت الى سدرة المنتهى وفي نسخة السيد وفي بعض النسخ رفعت لي سدرة المنتهى
وتوجيه قوله الاتي ثم رفع لي البيت المعمور وفي نسخة الي بتشديد الياء قال الحافظ العسقلاني
الاكثر بضم الراء وسكون العين وضم التاء بضمير المتكلم وبعده حرف الجر وللكشميهني رفعت
بفتح العين وسكون التاء اي رفعت السدرة لي باللام اي من اجلي ويجمع بين الروايتين
بان المراد انه رفع اليها اي ارتقى به واظهرت له وان الرفع الى الشيء يطلق على التقرب منه وقال
النووي معنى الرفع تقريب الشيء وقد قيل في قوله تعالى وفرش مرفوعة اي مقربة لهم فكانه
اراد ان سدرة المنتهى استبينت له بنعوتها كل الاستبانة حتى اطلع عليها كل الاطلاع بمثابة
الشيء المقرب اليه وفي معناه رفع لي البيت المعمور ورفع لي البيت المقدس قال النووي سميت
سدرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم يجاوزها احد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وحكي

وحكي عن عبد الله بن مسعود انها سميت بذلك لكونه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها
من امر الله تبارك وتعالى وقال السيوطي واضيفت الى المنتهى لانها مكان ينتهي دونه اعمال العباد
وعلوم الخلائق ولا يتجاوزها الملائكة والرسل منهم الا النبي صلى الله عليه وسلم وهي في السماء السابعة
واصلها في السادسة فاذا نبقها بكسر الموحدة وبسكون اي ثمرها من كبره الدال في كبرها
مثل قلال هجر بكسر القاف جمع قلة بالضم وهي الة العرب كالجرة الكبيرة وهجر اسم بلد ينصرف ولا
ينصرف ولما كانت الثمرة في قشرها كالمظروف في ظرفه ضرب مثل ثمرها بالكبر مما كانوا يتعارفونه
بينهم من الظروف كذا ذكره شارح وفي القاموس هجر محركة بلد باليمن مذكر مصروف وقد يؤنث
ويمنع وقرية كانت قرب المدينة ينسب اليها القلال او ينسب الى هجر اليمن واذا ورقها
اي ورقها في الكبر مثل اذان الفيلة بكسر الفاء وفتح التحتية واللام جمع الفيل مثل الديكة
والاذان بالمد جمع الاذن قال اي جبريل هذا اي هذا المقام او هذه الشجرة سدرة المنتهى
فاذا اربعة انهار اي فظاهره وقال شارح اذا للمفاجاة اي فاذا انا باربعة انهار نهران باطنان
ونهران ظاهران فقلت ما هذان اي النوعان من الاربعة نحو قوله تعالى هذان خصمان اختصموا
في ربهم يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة قال ابن الملك يقال لاحدهما الكوثر
وللاخر نهر الرحمة كما في خبر وانما قال باطنان لخفاء امرهما فلا يهتدي العقول الى وصفهما
او لانهما مخفيان عن اعين الناظرين فلا يريان حتى يصبا في الجنة واما الظاهران
فالنيل والفرات قال القاضي الحديث يدل على ان اصل سدرة المنتهى في الارض لخروج النيل
والفرات من اصلها وقال ابن الملك يحتمل ان يكون المراد منهما ما عرفا بين الناس ويكون ماؤهما
مما يخرج من اصل السدرة وان لم يدرك كيفيته وان يكون من باب الاشتراك في الاسم بان تسميتهما
بنهري الجنة في الهضم والعذوبة او من باب توافق الاسم بان يكون اسم نهري الجنة موافقين
لاسم نهري الدنيا وفي شرح مسلم قال مقاتل الباطنان هو السلسبيل والكوثر والظاهران
النيل والفرات يخرجان من اصلها ثم يسيران حيث اراد الله تعالى ثم يخرجان من الارض
ويسيران فيها وهذا لا يمنعه شرع ولا عقل وهو ظاهر الحديث فوجب المصير اليه ثم رفع
لي اي قرب واظهر لاجلي البيت المعمور وهو بيت في السماء السابعة حيال الكعبة وحرمته
في السماء كحرمة الكعبة في الارض ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن
قال ابن الملك اعلم ان اللبن لما كان اول ما يحصل به تربية المولود صور
في العالم المقدس مثل الهداية والفطرة التي يتم بها القوة الروحانية وفيه الاستعداد للسعادات
الابدية اولها الكتب والشرع واخرها الوصول الى الله تعالى فقال هي الفطرة انت عليها
اللبن مع انه المذكر مراعاة للخبر انت عليها وامتك اي عليها وكذلك ثم فرضت علي الصلوات
الى المقام الذي فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى وفرضت في الصلاة
وفي الحديث الانسي في الفرض ولامته خمسين صلاة تعبدا باعتبار وقوله كل يوم اي وليلة
ظرف فرجعت فمررت على موسى اي بعدما ابراهيم فقد روى الترمذي انه صلى الله عليه وسلم
قال لقيت ابراهيم ليلة اسري بي فقال يا محمد اقرئ امتك مني السلام واخبرهم ان الجنة
طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر فقال بما امرت قال امرت بخمسين صلاة اي فيها
ركعتان قال ابن الملك وقيل كانت كل صلاة ركعتين الا ترى ان من قال على صلاة
يلزمه ركعتان كل يوم ظاهره اختصاصها بالنهار والظاهر ان المراد كل يوم وليلة لما سيأتي
من قوله خمس صلوات في كل يوم وليلة فيكون من باب الاكتفاء للظهور او الاستغناء

قال ان امتك لا تستطيع قيد بالامة لان قوة الانبياء وعصمتهم تمنعهم عن المخالفة وتعينهم
على الموافقة في الطاعة ولو في النفس غاية المشقة والطاقة والمعنى لا تقدر امتك عادة او
سهولة لضعفهم او كسلهم خمسين صلاة اي اداءها كل يوم ثم بين عدم استطاعتهم بقوله
واني قد جربت الناس اي زاولت ومارست الاقوياء من الناس قبلك بعيني ولقيت الشدة فيما
اردت منهم وعالجت بني اسرائيل اي بالخصوص اشد المعالجة اي ولم يقدروا على مثل ذلك فكيف
امتك فارجع الى ربك فسئله اي من سائله بهمز او مبدلا او منقولا ثلاث لغات ومقروات
وقراءات صحيحات اي فاطلب التخفيف لامتك فرجعت اي الى ربي فوضع عني عشرا وهو
خمس الاصل وتشبيها انه وضع عنه خمسا وكانه كان اولا ثم صار عشرا او عشرا من الخمسين
بالعشر اقتصارا واختصارا فرجعت الى موسى فقال مثله اي مثل المقالة الاولى فرجعت
اي ثانيا فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت اي ثالثا فوضع عني عشرا فرجعت
الى موسى فقال مثله فرجعت اي رابعا فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال
مثله فرجعت اي خامسا فامرت بخمس صلوات كل يوم اي وليلة ولعل الاكتفاء به للتغليب
حيث اكثر الصلوات فيها او لان الليل تابع لما قبله كما في ليلة عرفة وليالي ايام النحر فرجعت
الى موسى فقال بما امرت فقلت امرت بخمس صلوات كل يوم وليلة قال ان امتك اي الامة
لا تستطيع خمس صلوات اي مواظبتها وتمامها ومحافظتها كل يوم واني قد جربت الناس
قبلك وعالجت بني اسرائيل اي ولم يستطيعوا ما دون ذلك فارجع الى ربك فسئله التخفيف
لامتك قال الطيبي مراجعة النبي في باب الصلوات انما جازت من رسولنا محمد وموسى عليهما الصلاة
والسلام لانهما عرفا ان الامر الاول غير واجب قطعا لما صدرت منهما المراجعة فصدور المراجعة
دليل على ان ذلك غير واجب قطعا لان ما كان واجبا قطعا لا يقبل التخفيف ذكره الطيبي
وتبعه ابن الملك واقول وما لم يكن واجبا لا يحتاج الى سؤال التخفيف قطعا فالصحيح
ما قيل انه تعالى في الاول فرض خمسين ثم رحم عباده ونسخها بخمس كاية الرضاع عند بعض
وعدة المتوفى عنها زوجها في قول وفيه دليل على انه يجوز نسخ الشيء قبل وقوعه كما قال
به الاكثرون وهو الصحيح وقالت المعتزلة وبعض العلماء لا يجوز ذكره النووي قال اي
النبي صلى الله عليه وسلم سالت ربي اي التخفيف حتى استحييت اي من كثرته وفي نسخة
بياء واحدة فيهما لغتان او الثانية تخفيف للاولى بالنقل والحذف والمعنى فلا ارجع لطلب
التخفيف وان كان الظاهر ان الامة لا يستطيعون دوام المحافظة ولكني ارضى اي بما
قضى ربي وقسم واسلم اي امري وامرهم الى الله وانقاد لما حكم قال الطيبي فان قلت
حق لكن ان يقع بين كلامين متغايرين معنى فما وجهه ههنا قلت تقدير الكلام ههنا
حتى استحييت فلا ارجع فاني اذا رجعت كنت غير راض ولا مسلم ولكني ارضى واسلم انتهى
ولا يخفى ان المراجعة عن من غير منافية للرضا والتسليم والا لما رضي موسى ونبينا عليهما افضل
الصلاة واكمل التسليم ونظيره ان سؤال العافية ودفع البلا وطلب الرزق ودعا النصر
على الاعدا وامثال ذلك كما صدر من الانبيا والاوليا لا ينافي الرضا بالقضا ابدا ولا
التسليم لما في الازل ابدا قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاوزت اي موسى وتركت
المراجعة نادى مناد اي حاكيا كلام ربه امضيت فريضتي اي احكمتها وانفذتها اولا وخففت
عن عبادي اي ثانيا وسياتي لهذا تتمة بعد مفرقتها متفق عليه ورواه النسائي وعن
ثابت البناني بضم الموحدة قبل النون الاولى تابعي من اعلام اهل البصرة وثقاتهم اشتهر
بالرواية عن انس بن مالك وصحبه اربعين سنة وروى عنه نفر عن انس ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل اي وسطا بين لقوله فوق الحمار ودون
البغل يقع حافره عند منتهى طرفه اي نظره فركبته حتى اتيت بيت المقدس بفتح الميم وسكون القاف
وكسر الدال ويروى بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال المفتوحة فربطته بالحلقة بسكون اللام
وتفتح قال النووي هو بسكون اللام في اللغة الفصيحة المشهورة وحكي فتحها وليربطها بالبدل
ويجوز تانيثه وهو بكسر الموحدة وتضم وفي القاموس ربطه يربطه ويربطه شده وفي المصباح ربطت
الشيء اربطه واربطه ايضا من الاخفش ايضا تنبيه ان الضم لغة ضعيفة ولهذا اجمع القراء
الكسر في قوله تعالى وليربط على قلوبكم ثم قوله التي بضمير المؤنث في جميع نسخ المشكوة وهو الموافق
وفي شرح مسلم الحلقة التي يربط به كذا هو في الاصول بضمير المذكر اعادة على معنى الحلقة وهو
الشيء اي الذي يربط به والمعنى بالشيء الذي يربط به الانبياء اي براقهم او نفس البراق على خلاف تقدم
نعم لو كان المراد يربط الانبياء لوقع الاتفاق على اتحاد البراق قال ثم دخلت المسجد
اي الاقصى وهذا المقدار من الاسراء مما اجمع عليه العلماء وانما خلاف المعتزلة في الاسرا
الى السماء بناء على منع الخرق والالتيام تبعا لكلام الحكماء اللئام فصليت فيه ركعتين اي
تحية المسجد والظاهر ان هذه غير الصلاة التي اقتدى به الانبياء وصار فيها امام الاصفيا
ثم خرجت اي من المسجد فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن ولعل ترك العسل من اختصار
الراوي فاخترت اللبن اي لما سبق فقال جبريل اخترت الفطرة اي التي فطر الناس عليها وهو
الدين القيم كما قال تعالى واشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كل مولود يولد على الفطرة
انتهى لانه يفطر به المولود ويتغذى من اللبن المعهود ثم عرج بفتح العين والراء على ما ذكره النووي
وتبعه السيوطي فالفاعل جبريل والرب الجليل لقوله بنا اي بي وبجبريل ويحتمل ان يكون قوله
بنا بناء التعظيم وفي نسخة بصيغة المجهول اي صعد بنا الى السماء فساق اي وذكر ثابت الحديث
عن انس بمعناه اي بمعنى الحديث السابق برواية قتادة عن انس قال اي النبي عليه
السلام او ثابت او انس مرفوعا فاذا انا بادم فرحب لي اي قال لي بعد رد السلام مرحبا بالابن
الصالح والنبي الصالح ودعا لي بخير يحتمل ان يكون بيانا لقوله نعم المجيء وان يكون غيره من
وقال في السماء الثالثة فاذا انا بيوسف اذا هو بدل من الاول وفي معنى بدل الاشتمال قد اعطي
شطر الحسن قال المظهر اي نصف الحسن واقول وهو يحتمل ان يكون المعنى نصف جنس الحسن
مطلقا او نصف حسن جميع اهل زمانه او بعضه لان الشطر كما يراد به نصف الشيء
قد يراد به بعضه مطلقا اقول لكنه لا يلايمه مقام المدح وان اقتصر عليه بعض الشراح اللهم
الا انه يراد به بعض زائد على حسن غيره وهو اما مطلق محمول على زيادة الحسن الصوري دون
الملاحة المعنوية لئلا يشكل بنبينا صلى الله عليه وسلم واما مقيد بنسبة اهل زمانه وهو
الاظهر وكان الطيبي اراد هذا المعنى لكنه اغرب في المبنى حيث عبر عنه بقوله وتقريرا له بجهة
ايضا نحو قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام اي الى جهة من الحسن ومسحة منه
كما يقال على وجهه مسحة جمال اي اثر ظاهر ولا يقال ذلك الا في المدح انتهى وغرابته لا يخفى
على ذوي النهى هذا وقد قال بعض الحفاظ من المتاخرين وهو من مشايخ المعتبرين انه
صلى الله عليه وسلم كان احسن من يوسف عليه السلام اذ لم ينقل ان صورته كان يقع من
ضوئها على الجدران ما يصير كالمرآة يحكي ما قابله وقد حكي ذلك عن صورة نبينا صلى الله
عليه وسلم لكن الله تعالى ستر عن الصحابة كثيرا من ذلك الجمال الباهر فانه لو برز لهم
لم يطيقوا النظر اليه كما قاله بعض المحققين واما جمال يوسف عليه السلام فلم يستر منه شيء
انتهى ويؤيده ما تقدم من ان زيادة الحسن الصوري ليوسف عليه السلام لا الزيادة

الحسن المعنوي لنبينا صلى الله عليه وسلم مع الاشتراك في اصل الحسن في انه قد يقال المعنى اعطي
شطر حسني فرحب بي ودعا لي بخير ولم يذكر اي ثابت عن انس في هذا الحديث بكامريه وقال
السهلات لعنه اي زيادة في ما سبق فاذا انا بابراهيم مسندا بكسر النون منصوبا على الحال وفي جميع
نسخ المشكاة لمطابقا لما في صحيح مسلم وشرحه وشرح السنة وفي المصابيح مرفوعا على حذف
المبتدا وقوله ظهره منصوب على المفعولية لمسندا المتخفيف وقوله الى البيت المعمور متعلق الى
المسند فاذا هو اي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه اي الى البيت
المعمور قال الطيبي الضمير المجرور في يدخله راجع الى البيت المعمور اي يدخلون فيه ذاهبين غير
عائدين اليه ابدا لكثرتهم ثم ذهب بي بصيغة الفاعل وفي نسخة للمفعول اي انطلق بي الى
السدرة المنتهى هكذا في نسخ الاصول السدرة بالالف واللام وفي الروايات بغير هذا سدرة
المنتهى كذا في شرح مسلم فاذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها اي السدرة
وهو بكسر الشين المعجمة وفتح الخشبة اي جاءها ونزل عليها من امر الله بيانية مقدمة او تعليلية
معترضة ما غشي اي غشيها الى قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قيل انوار اجنحة الملائكة
وقيل فراش الذهب قال التابعي ولعله مثل ما يغشى الانوار التي تنبعث منه وتساقط في
مواقعها بالفراش وجعلها من الذهب لصفائها واضائتها في نفسها او المراد لا يدري ما هي وهو
الاظهر تغيرت اي السدرة عن حالها الاولى الى مرتبة اعلى وهو جواب لما فما احد من خلق الله
اي من مخلوقاته وممكنات ارضه وسمواته يستطيع ان ينعتها بفتح العين اي يصفها من حسنها
تعليلية اي من كمال جمالها وعظمة جلالها واوحى الى ما اوحى في ابهام الموصول والموصوفة ايماء الى تعظيم
الموحى وانه من قبيل ما لا يحكى ولا يروى ففرض علي خمسين صلاة كل يوم فنزلت الى موسى منتهيا
اليه فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة وزيد في نسخة صحيحة في كل يوم وليلة
قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فاني بلوت اي جربت بني اسرائيل
وخبرتهم اي اختبرتهم وامتحنتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف على امتي وعدل لتنبيه
المهونين لخطيئتي اي لموضع شرعي ولا يجب عن امتي خمسا اي خمس صلوات ولعل التقدير خمسا
خمسا فوقفوا رواية عشرا اي الاظهر رواية عشرا فتقصاد من رواية خمسا ويؤيده قوله فرجعت الى
موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا تطيق ذلك اي المقدار الباقي ايضا فارجع الى
ربك فاسأله التخفيف فلم ازل ارجع بين ربي وبين موسى قال النووي معناه بين المواضع
الذي ناجيته اولا فناجيته ثانيا وبين موضع ملاقاة موسى اولا حتى قال اي سبحانه وتعالى يا محمد
انهن خمس صلوات اي محتمة كل يوم وليلة قال الطيبي الضمير فيه مبهم يفسره الخبر كقوله هي النفس
ما حملتها تحمل لكل صلاة خفيفة واختيار ان عشر اي فهو ثواب عشر صلوات اي حكما واعتبارا فذلك
اي فمجموعها ذكر خمسون صلاة ثم استانف تبشيرات تقضيه اخرى وعطية اخرى منفصمة بهذه
الجزئية المندرجة في القاعدة الكلية حيث قال ومن هم بحسنة اي عزم على فعلها فلم يعملها لمانع شرعي
او عذر شرعي كتبت بصيغة المجهول اي كتبت له تلك الحسنة وان ثبت من افعال الخير الى الحسنة او
قبيل حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه له اي لعاملها حسنة بالنصب اي ثواب حسنة
واحدة قال الطيبي كتبت مبني للمفعول والضمير فيه راجع الى قوله بحسنة وحسنة في
موضع المصدر اي كتب الحسنة كتابة واحدة وكذا عشرا وكذا شيئا منصوبات على المصدر في بعض
جامع الاصول وشرح السنة وفي بعض نسخ المصابيح حسنة وعشر مرفوعات وهو غلط الناسخ اقول
لعله من جهة الرواية واما من طريق الدراية فله وجه في الجملة وهو ان يكون قوله كتبت له جملة
مستقلة مجملة وقوله حسنة بتقدير هي جملة مبينة مفصلة فان عملها اي بعد ما هم بها وعزم

بشانها

بشانها كتبت اي تلك الحسنة المهموم بها المعمولة له عشرا اي ثواب عشر حسنات لانضمام قصد القلب
الى شرع عمل القالب كقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وهذا اقل المضاعفة في غير الحرم
ومن هم بسيئة اي ولم يصمم في فعلها فلم يعملها اي فتركها من غير باعث او بسبب مباح كخلاف
ما اذا تركها لله لم يكتب اي تلك السيئة المرصودة له شيئا اما لو تركها وقد عزم على عملها فان
تركها لله فلا شك انها تكتب له حسنة وان تركها لغرض فاسد فيكتب له سيئة في ما بينه وبين الله
في الاحيا وصرح به كثير من العلماء فان عملها كتبت اي له كما في نسخة صحيحة سيئة واحدة لان
السيئة لا تضاعف بحسب الكمية قال تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون
اشارة الى ان هذا عدل كما ان المضاعفة فضل قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال
ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى
ربي اي وراجعته في امر مني حتى استحييت منه رواه مسلم وعن ابن شهاب اي الزهري وهو
احد الفقهاء والمحدثين والعلماء الاعلام من التابعين بالمدينة المشار اليه في فنون علوم الشريعة
سمع نفرا من الصحابة وروى عنه خلق كثير منهم قتادة والسري بن مالك عن انس قال كان ابو ذر
اي الغفاري من اعلام الصحابة وزهادهم والمهاجرين اسلم قديما بمكة ويقال كان خامس الاسلام
وكان يتعبد قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين
ذكره المؤلف يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج بضم فاء وتخفيف راء وتشديد
من الفرج والتفريج بمعنى الشق والكشف اي ازيل عن سقف بيتي قال الطيبي قال ذلك قيل
قد روي انس في حديث المعراج عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم بينما انا في
الحطيم في الحجر وفي هذا الحديث قال فرج عن سقف بيتي قلنا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
معراجان احدهما حالة اليقظة ما رواه مالك والثاني في النوم ولعله اراد صلى الله عليه وسلم
بيتي بيت ام هانئ في اذن وربما اضافه الى نفسه تارة لانه كان ساكنا واليها اخرى لانها
صاحبته وقال بعض المحققين الجمع بين الاقوال الواردة في تعيين المواضع انه صلى الله عليه وسلم
نام عند بيت ام هانئ وبيتها عند شعب ابي طالب ففرج سقف بيتها واضاف البيت الى نفسه
لكونه يسكنه فنزل منه الملك فاخرجه من البيت الى المسجد وكان مضطجعا وبه اثر النعاس
اخرجه من الحطيم الى باب المسجد فاركبه البراق ثم قوله وانا بمكة جملة حالية للتسلي بان القضية
مكية لا مدنية فنزل جبريل ففرج صدري اي شقه ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ
حكمة وايمانا فافرغه اي صب ما في الطست في صدري ثم اطبقه اي غطى صدري ولام سقفه
ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء فلما جئت اي وصلت الى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء
افتح قال من هذا قال جبريل قال هل معك احد قال نعم معي محمد فقال ارسل اليه قال نعم
فلما فتح وفي نسخة بصيغة المجهول علونا السماء الدنيا اي طلعناها اذا رجل قاعد على يمينه
اسودة جمع سواد كازمنة جمع زمان بمعنى الشخص لانه يرى من بعيد اي اشخاص من اولاد
وعلى يساره اسودة اذا وفي نسخة فاذا نظر قبل يمينه بكسر القاف وفتح الموحدة جانب يمينه
ضحك اي لما يرى بما يدل على سروره ويمنه واذا نظر قبل شماله بكى اي لما يشاهده مما يشعر
بشروره وشومه فقال اي بعد السلام ورده مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت
لجبريل من هذا قيل ظاهره انه سال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان قال له آدم مرحبا ورواية
مالك بن صعصعة بعكس ذلك وهي المعتمدة فتحمل هذه عليها اذ ليس في هذه اداة ترتيب اقول
الاظهر ان المراد بهذا في السؤال انما هو الاسودة ولا عبرة بذكر آدم في الجواب ليعطف
عليه مقصود الخطاب بفتح كلام الراوي قال اي جبريل هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه

وشماله وفي نسخة صحيحة وعن شماله نسم بنيه بفتح النون والسين جمع نسمة وهي الروح أو النفس
ماخوذ من النسم ونفس النفس ومن نسيم الهب أي أرواح أولاده إن بفتيين أو مع شموله للأجنة
وذكر البنين للتغليب كما في قوله تعالى يا بني آدم فأهل اليمين أي الأسودة التي عن يمينه منهم
أي من جملة جمع الأسودة أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه
ضحك وإذا نظر قبل شماله وفي نسخة صحيحة وإذا نظر عن شماله بكى قال القاضي فإن قيل أرواح
الكفار محبوسة في سجين وأرواح الأبرار منعمة في عليين فكيف تكون مجتمعة في السماء أجيب
بأنه يحتمل أنها تعرض على آدم أوقاتا فصادف وقت عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم وبأن الجنة
كانت في جهة يمين آدم والنار في جهة شماله وكان يكشف له عنهما ويحتمل أن النسم المرئية
هي التي لم تدخل الأجساد بعد وهي مخلوقة قبل الأجساد ومستقرها عن يمين آدم وشماله وقد أعلم
بما سيصيرون إليه فقوله نسم بنيه عام مخصوص والله أعلم حتى عرج بي مضبط للفاعل وغير للمفعول
والمعنى عرج بي جبريل إلى السماء الثانية وفي جامع الأصول هكذا ثم عرج بي جبريل إلى السماء الثانية
فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال الأول أي مثل مقول الخازن الأول قال أنس
فذكر أي النبي صلى الله عليه وسلم وأبو ذر مرفوع والأظهر أنه أي النبي صلى الله عليه وسلم وجد في
السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم الظاهر وجودهم أو وجود هارون ويحيى ويوسف
ويحتمل أنه سقط ظهم من الرواية ولم يثبت بكسر الموحدة من الإثبات أي لم يبين أبو ذر والنبي صلى الله
عليه وسلم كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا هذا لا خلاف فيه وإبراهيم في السماء
السادسة هذا موافق لرواية شريك عن أنس وإن ثبت في جميع الروايات غيرها وهو أنه في
السابعة فإن قلنا بتعدد المعراج فلا إشكال وإلا فالأرجح رواية الجماعة لقولهم فيها أنه رآه مسند
ظهره إلى البيت المعمور وتقدم أن يقع بلا اختلاف ولأنه قال هنا إنه لم يثبت كيف منازلهم
ثم رأيته من أثبت أرجح قال ابن شهاب أي الزهري فأخبرني ابن حزم بفتح الحاء وسكون الزاي قال
المؤلف هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم روى عن أبي حبة وابن عباس وعنه الزهري ثم أبوه وجده
أيضا من الصحبة بن حيث قال المؤلف أبوه أنصاري ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنة عشر بنجران وكان أبوه عاملا للنبي صلى الله عليه وسلم على نجران وكان محمد فقيها روى عن
أبيه وعن عمرو بن العاص وعنه جماعة قتل يوم الحرة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وذلك سنة
ثلاث وستين أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري بفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة
كذا في شرح السنة وفي المصابيح بالياء قال النووي هو بالحاء المهملة والباء الموحدة هكذا ضبطناه
هنا وفي ضبطه واسمه اختلاف قيل حية بالياء المثناة تحت وقيل بالنون والأصح ما ذكرناه
واختلف في اسمه فقيل عامر وقيل مالك وقيل ثابت وقال المؤلف هو ابن ثابت بن النعمان
الأنصاري البدري وفي كنيته واسمه خلاف كثير ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدرا فذكره
بكنيته ولم يسمه وحبة بتشديد الموحدة هو الأكثر قتل يوم أحد كانا يقولان قال النبي صلى الله
عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت أي علوت لمستوى بفتح الواو منونا وهو المستقر وموضع الاستعلاء
وثبوت الياء بعد الواو وعلى أنه صيغة اسم المفعول واللام فيه للعلة أي علوت لاستعلاء مستوى
أو لرؤيته أو لمطالعته ويحتمل أن يكون متعلقا بالمصدر أي ظهرت ظهور المستوى ويحتمل أن
يكون بمعنى إلى كقوله تعالى أوحى لها أي إليها وقيل بمعنى على أسمع فيه أي في ذلك المكان أو في
ذلك المقام صريف الأقلام أي صوتها عند الكتابة وقيل هو عبارة عن الاطلاع على جريانها
بالمقادير والأصل فيه صوت البكرة عند الاستقاء يقال صرفت البكرة تصرف تصريفا والمعنى
إني أقمت مقاما بلغت فيه من رفعة المحل إلى حيث اطلعت على الكوائن وظهر لي ما يراد من أمر الله

وتدبيره في خلقه وهذا والله هو المنتهى الذي لا يتقدم فيه لأحد عليه كذا حققه بعض ان رجبي
من علمائنا وقال النووي المستوى بفتح الواو وقال الخطابي المراد به المصعد وقيل المكان
المستوي وصريف الأقلام بالصاد المهملة صوت ما يكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووحيه وما
ينسخونه من اللوح المحفوظ أو ما شاء الله تعالى من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراده الله من أمره وتدبيره
قال القاضي عياض هذا حجة لمذهب أهل السنة في الإيمان بصحة كتابة الوحي والمقادير في كتب
الله تعالى من اللوح المحفوظ بالأقلام التي هو تعالى يعلم كيفيتها على ما جاءت به الآيات لكن كيفية ذلك
وصورته هنا لا يعلم إلا الله تعالى وما يتأول هذا ويحيله عن ظاهره إلا ضعيف النظر والإيمان
إذ جاءت به الشريعة ودلائل العقول لا تحيله قال ابن حزم وأنس عطف على فأخبرني فهو من
مقول ابن شهاب الزهري قال النبي صلى الله عليه وسلم ففرض الله على أمتي وهو الأظهر فيما سبق
من قوله فرض على خمسين صلاة فرجعت بذلك أي أخذا به وقابلا لعلمه حتى مررت على موسى
فقال ما فرض الله ما استفهامية ونقوله لك أي لأجلك على أمتك قلت فرض خمسين صلاة
قال فارجع إلى ربك أي فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق أي هذا الحمل الثقيل فراجعني
بمعنى رجعني أي ردني موسى يعني صار سببا لرجوعي إلى ربي فوضع أي الله شطرها أي بعض الخمسين
وهو الخمس الذي هو العشر أو النصف الذي هو الخمس على خلاف تقدم فرجعت إلى موسى فقلت وضع
شطرها فقال راجع ربك أي ارجع إليه بالمراجعة فإن أمتك لا تطيق أي ذلك كما في نسخة فرجعت
أي إلى مكاني الأول فراجعت أي فراودت الكلام وطالبت المرام مبالغا في ذلك المقام فإن
المفاعلة إذا لم تكن للمغالبة فهي للمبالغة فوضع شطرها فرجعت إليه أي إلى موسى فقال
ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك أي ما قدر هنا لك فراجعته وفي نسخة فراجعت أي ربي
فقال أي في المرة الأخيرة كما في المصابيح والمعنى فقال للنبي صلى الله عليه وسلم في آخر المراجعات
هي وفي نسخة هن خمس أي خمس صلوات في الأداء وهي خمسون أي صلاة في الثواب
والأجر لا يبدل القول لدي يحتمل أن يراد في الأساس وفي بين الخمس الخمسين في الثواب وهذا القول
غير مبدل أي جعلت الخمسين خمسة ولا تبديل فيه قال الطيبي وقوله استحييت من ربي الى اخره
المعنى قلت لا يبقى بيني وبين ربي سبب آخذ على ما تقدم وجود العالم بعد التبديل فرجعت إلى موسى
فقال راجع ربك فقلت استحييت من ربي أي حين قال لا يبدل القول لدي مع أنه لا مانع
من تعدد المانع ثم انطلق بي حتى انتهى بي بصيغة المجهول فيهما والمعنى ثم ذهب بي حتى وصل بي
إلى سدرة المنتهى وغشيها أي بالتخفيف والحال أنه غشيها الوان أي من الأنوار أو أمثال
من أجنحة الملائكة أو غيرها لا أدري أي الآن وفي ذلك الزمان لدهشة نظري إلى المكون دون
المكان ما هي أي حقيقة ما هي في ذلك المكان والزمان ثم أدخلت الجنة فإذا المفاجأة فيها
جنابذ اللؤلؤ بفتح الجيم وكسر الموحدة والذال المعجمة جمع جنبذة بضم الجيم والباء وهي ما ارتفع
من الشيء واستدار كالقبة تقوله العامة الجنبدة بفتح الباء معرب كنبذ وإذا ترابها المسك
وهو أطيب الطيب وفي الخبر أنه يفوح ريح الجنة مسيرة خمسمائة عام متفق عليه وعن عبد الله
أي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي به إلى
سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة قال شارح وهم بعض الرواة في أن السادسة والصواب في
السابعة على ما هو المشهور بين الجمهور من الرواة انتهى والمعنى إذا فإنه التبس على واحد منهم
أولى ولأنه ورد أن علم الخلائق ينتهي إليها وليس كذلك في السادسة على ما لا يخفى وقال النووي
هكذا هو في جميع الأصول وقال القاضي كونها في السابعة هو الأصح وقول الأكثرين وهو الذي
يقتضيه المعنى وتسميتها بالمنتهى قال النووي ويمكن أن يجمع بينهما فيكون أصلها في السادسة

ومعظمها في السابعة فقد علم انها في نهاية من العظم وقد قال الخليل السدرة في السابعة قد
اظلت السموات والجنة وقد ذكر القاضي عياض ان مقتضى خروج النهرين الظاهرين النيل والفرات
من اصل المنتهى ان يكون اصلها في الارض فان سلم له هذا امكن حمله على ما ذكرناه (اليها) اي الى السد
رة (ينتهي ما يعرج به من الارض) اي ما يصعد به من الاعمال والارواح الكائنة في الجهة السفلى
(فيقبض منها) بصيغة المجهول فيه وفيما بعده ويجوز تعدد القابض واتحاده فيهما واليها ينتهي
ما يهبط به اي من الوحي والاحكام كاملا ان زل من الجهة العليا فيقبض منها (قال) اي ابن مسعو
د وقال الله تعالى (اذ يغشى السدرة ما يغشى) قال اي ابن مسعود في تفسير قوله ما يغشى فرا
اي هو فراش من ذهب يحتمل ان يكون مرفوعا او له حكم المرفوع قال الطيبي فان قلت
كيف التوفيق بين هذا وبين قوله في غير هذا الحديث فغشيها الوان لا ادري ما هي قلت
قوله غشيها الوان لا ادري ما هي في موقع قوله اذ يغشى في ارادة الابهام والتهويل وان كان
معلوما كما في قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم في حق فرعون ثم قوله فراش من ذهب
بيان له اقول الاظهر والله اعلم ان ما يغشى اشياء كثيرة لا تحصى ومما لا يمكن ان يحاط به فيستقصى
لان السدرة اذا كانت هي المنتهى فكيف يكون احاطة العلم بما فوقها مما يغشى وهو لا ينافي ذكر
بعض ما راى وروي وبه يجمع بين سائر الروايات ومن الاقوال فقيل يغشاها جمع غفير من الملائكة
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال رايت في كل ورقة ملكا قائما يسبح وقيل فرق من الطير الخضر
وهو ارواح الانبياء وقيل غير ذلك على الابهة قوله لا ادري اشارة الى انها لا تشبه الاعيان المشهودة
المستحضرة في النفوس الموجودة فتنبعث لهم بذكر نظاير ثم اعلم ان الفراش بالفتح طير
معروف ومنه قوله تعالى كالفراش المبثوث وقد قال شارح الفراش ما تراه كصغار البق
يتهافت وينبتها فظني انها روي فيحتمل ان يكون المراد بالفراش ارواح الانبياء وهذا اتيانا
قوله في غير هذا الحديث فغشيها الوان لا ادري ما هي لجواز ان يكون هذا ايضا مما غشيها
انتهى ونظير التوفيق بين هذه الاية وبين قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم حيث انه
وقع الابهام هنا للتعظيم والعجز عن احاطته وفي قضية فرعون اشارة الى معلوميته
وحقارته قال اي ابن مسعود فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي تلك الليلة او في
ذلك المقام والحالة ثلاثا اي لها شان لا يخفى كما اعطي الصلوات الخمس اي فرضيتها
واعطي خواتيم سورة البقرة اي اجابة دعواتها فان قلت هذا بظاهره يناقض ما ثبت في
صحيح مسلم وغيره من حديث ابن عباس بينا جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع
نقيضا من فوقه اي صوتا فرفع راسه فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم
فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن
تقرا بحرف منها الا اعطيته قلت لا منافاة فان الاعطا كان في السما من جملة
ما اوحى الى عبده ما اوحى بقوله اعطي الصلوات الخمس في المقام الاعلى ونزول
الملك المعظم لا لتعظيم ما اعطي وبشارة ما خص به من بين سائر الانبياء نعم يشكل هذا
بكون سورة البقرة مدنية وقضية المعراج بالاتفاق مكية فيندفع باستثناء الخواتيم
من السورة فهي مدنية باعتبار الكل فقد نقل ابن الملك عن الحسن وابن سيرين ومجاهد
ان الله تعالى اوحاها بلا واسطة جبريل ليلة المعراج فهي مكية عندهم واما الجواب على
قول الجمهور ان السورة بكمالها مدنية فقد قال التوربشتي لعل معنى اعطي انه انزل
عليه بدا المعنى انه استجيب له فيما لقن فيها الا بتلي من قوله سبحانه غفرانك ربنا الى قوله
انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ولمن يقوم بحقها من السابلين قال الطيبي في كلامه

اشعار بان الاعطا بعد الانزال لان المراد منه الاستجابة وهي مسبوقة بالطلب والسورة بعد
المعراج في مكة ويمكن ان يقال هذا من قبيل ما اوحي اليه اولا ووحي ثانيا بالنزول بالمدينة من
قبيل وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى انتهى وحاصله انه وقع تكرار
الوحي فيه تعظيما له واهتماما بشانه فاوحي اليه في تلك الليلة بلا واسطة ثم اوحي اليه
في المدينة بواسطة جبريل كما اشار اليه سبحانه وتعالى بقوله نزل به الروح الامين
على قلبك لتكون من المنذرين ويمكن ان يحمل كلام الشيخ على ان المراد هنا بالاعطا استجا
بة الدعا مما اشتمل الاتيان عليه وهو لا ينافي نزولها بعد الانزال اليه قال الطيبي وانما
اوثر الاعطا لما رتبه بكنز تحت العرش فقد روينا عن احمد بن حنبل اعطيت خواتيم سورة
البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبي قبلي وكان لنبينا صلى الله عليه وسلم مع الله
تعالى مقامان يغبطه بهما الاولون والاخرون احدهما في الدنيا ليلة المعراج وثانيهما في
العقبى وهو المقام المحمود ولا اهتم فيهما الا بشان هذه الامة المرحومة (وغفر) بصيغة
المجهول (لمن لا يشرك من امته شيئا المقحمات) بالرفع على نيابة الفاعل وهو بكسر الحا اي الكبا
ئر المهلكة التي تقحم صاحبها النار اي تدخله فيها وزعمه الملك الغفار والمعنى انه صلى الله عليه
وسلم وعد تلك الليلة الكاملة بهذه المغفرة الشاملة وادرك قوله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء بعد ذلك فانه من سورة النسا وهي مدنية ولعل عدم
ذكر المشية في الحديث لظهور القضية في حكم القديم هذا وقال ابن حجر المراد بغفرانها انه
لا يخلد في النار بخلاف المشركين وليس المراد انه لا يعذب امته اصلا اذ قد علم من نصوص
الشرع واجماع اهل السنة اثبات عذاب العصاة من الموحدين انتهى وفيه انه حينئذ
لا يبقى خصوصية لامته ومزية لحضرته الا ان يقال المراد به غالب هذه الامة فانها
امة مرحومة والله اعلم (رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقد رايتني) اي والله لقد ابصرت نفسي لا نفسا وكنت ذاتي الا انه
(في الحجر) اي قائما (وقريش تسالني) والحال ان جماعة من قريش تسالني (عن مسراي) بفتح الميم مصدر ميمي
اي عن سيري الى بيت المقدس بالضبطين (فسالتني) اي قريش (عن اشياء من بيت المقدس
لم اثبتها) من الاثبات اي لم احفظها ولم اضبطها لاشتغالي باهم امورهم منها (فكربت) بصيغة
المفعول اي احزنت (كربا) كذا في جميع نسخ المشكاة وهو مفعول مطلق والمعنى حزنا
شديدا وفي نسخة قوله (ما كربت مثله) اي مثل ذلك الكرب وفي القاموس الكرب
الحزن ياخذ بالنفس كالكربة وكربه الغم فهو مكروب قال الطيبي كذا في المصابيح وفي
شرح صحيح مسلم كربة قال النووي الضمير في قوله مثله يعود على معنى الكربة وهو
الغم او الهم او الشي المقدس اي لاجلي قال الجوهري الكربة بالضم الغم الذي ياخذ النفس
لشدته (فرفع الله) اي بيت المقدس (لي) اي لاجلي (انظر اليه) حال والمعنى رفع الحجاب بيني وبينه
لانظر اليه واخبر الناس بما اطلعت عليه وهذا معنى كلامه مستانفا مبينا (ما يسالوني)
بتشديد النون وتخفيف (عن شيء الا انباتهم) اي اخبرتهم به في تلك الحالة المستحضرة
ولذا لم يقل ما سالوني بصيغة الماضية (وقد رايتني في جماعة من الانبيا) اي مع جميع
في ليلة الاسرا كما دلت عليه السباق والسياق وهذه الرواية عزيزة وفي السما
بالاتفاق ثم قيل رؤيته اياهم في السما محمولة على رؤية ارواحهم الا عيسى لانه ثبت
انه رفع بجسده وقد قيل في ادريس ايضا ذلك واما الذين صلوا معه في بيت المقدس فيحتمل
الارواح ويحتمل الاجساد والاظهر ان صلاته لهم في بيت المقدس كان قبل العروج

تلك قد سبقوا انهم احياء عند ربهم وان حرم على الارض ان تأكل لحومهم ثم اجسادهم كارواحهم لطيفة غير كثيفة فلا مانع لظهورهم في عالم الملك والملكوت في وجه الكمال بقدرة ذي الجلال ومما يؤيد تشكل الانبياء وتفرقهم في وجه الجمع بين اجسادهم وارواحهم قوله فاذا موسى قائم يصلي فان حقيقة الصلاة وهي الاتيان بالافعال المختلفة انما تكون للاشباح لا للارواح سيما وكان التصريح في المعنى المراد قوله فاذا رجل ضرب اي نوع وسط من الرجال اي خفيف اللحم على ما في النهاية جعد بفتح فسكون وفيه معنيان احدهما جعودة الجسم وهو اجتماعه والثاني جعودة الشعر والاول اصح هنا لما جاء في رواية ابي هريرة انه رجل جعد الشعر كذا قاله صاحب التحرير وقال النووي يجوز ان يراد به المعنى الثاني ايضا لانه يقال شعر رجل اذا لم يكن شديد الجعودة كأنه من رجال شنوءة وهي قبيلة مشهورة واذا عيسى قائم يصلي فيه ايماء الى ان الصلاة معراج المؤمن من حيث انها حالة الحضور والرب وكمال القرب في الحالات والنزاع في الانتقالات وهو من اعظم اللذات عند عشاق اللذات والتقربات اقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي نسبة الى ثقيف قبيلة وليس هذا اخا لعبد الله بن مسعود كما في بعض حواشي المصابيح فانه هذلي واذا ابراهيم قائم يصلي اشبه الناس به اخبار من فيه صاحبكم يعني نفسه هذا من كلام الراوي قال الطيبي والمعنى اكثر الناس شبها بابراهيم صاحبكم يعني نفسه وذاته اشارة الى تعينه او من بعده اي يريد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله صاحبكم نفسه كذا الى قوله تعالى وما صاحبكم بمجنون ثم رأيتهم يصلون يحتمل انها كانت في اثناء الاسراء الى بيت المقدس او في نفس المسجد الاقصى وهو المعتمد الاصح ويؤيده الفاء التعقيبية في قوله فحانت الصلاة اي دخل وقتها ولعل المراد بها صلاة التحية او يراد بها صلاة المعراج على الخصوص فاممتهم اي صرت لهم اماما وكنت لهم اماما في شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض فان قيل كيف رأى موسى عليه السلام يصلي وام صلى الله عليه وسلم الانبياء في بيت المقدس ووجدهم على مراتبهم في السموات فالجواب يحتمل انه صلى الله عليه وسلم رآهم وصلى بهم في بيت المقدس ثم صعد الى السماء فوجدهم فيها وان يكون اجتماعهم وصلاته معهم بعد انصرافه ورجوعه عن سدرة المنتهى انتهى والاظهر انه لا مانع من الجمع حيث لا استحالة في العقل والسمع مع ان الامور الخارقة للعادة عن الكيفية المعتقدة خارجة فقد روي انه قيل للسيد عبد القادر ان فقيب البان ما يصلي فقال لا تقولوا فان رأسه دائما على باب الكعبة ساجد وتشكله بصورة المتعددة في الاماكن المختلفة معروف عند طائفة الصوفية فالانبياء عليهم السلام كانوا يصلون في قبورهم ويستزيدون في سرورهم بنورهم وظهورهم فحالة تيسير لهم انتظار سيد الانبياء الى جهة السماء استقبلوه واجتمعوا معه في بيت المقدس الذي هو منزل الاصفياء واقتدوا بالامام الحي الذي هو افضل رجال الطي ثم تقدموا بطريق المشايعة والادب الممتاز بعده الى السموات ووقفوا كل في ما اعطاه الله تعالى من المقامات فرحب بهم وخصر كلا بالسلام عليه ثم اظهروا الترحيب والتعظيم لديه مع سائر الملائكة المقربين وحملة العرش والكروبيين الى ان جاوز عن سدرة المنتهى وانتهى الى مقام قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما رأى وقدات في القرب ونهاية الحب ثم بمقتضى البقاء بعد الفناء والتفرقة بين الجمع والتدلي بعد الترقي والرجوع الى البداية بعد العروج الى النهاية بالحكم الصمدانية والقسم الفردانية رجع مرحلا من العظمة النبوية والدولة الخاتمية واجتمع بسائر الانبياء ثانيا ونزلوا معه متقدم او متأخرين او تابعا الى ان اجتمعوا الى المسجد الاقصى اخرا وصلى بهم صلاة مودع فخاتم نبوة فلما فرغت من الصلاة يحتمل ان يكون قبل صعوده وان يكون بعد شهوده قال قائل يا محمد هو جبريل او غيره من ملك جليل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه اي تعظيما لجلال الملك القهار

او تواضعا كما هو دأب الابرار فالتفت اليه اي على قصد السلام عليه فبدأني بالسلام اي لما شرع في تعظيم المقام واداب الكرام وقال الطيبي انما بدأ بالسلام ليزيل ما استشعر من الخوف منه بخلاف سلامه على الانبياء ابتداء كما سبق قلت قد سبق انه ابتدأ بالسلام عليهم تواضعا له وتكريما لهم او لانه قائما وهم قعود على ما صرح به في ادم او لانه كان مارا وهم وقوف وانه مختار الشيخ التوربشتي او لانه جاءهم في صورة الاموات والله اعلم بحقيقة الحالات انتهى

الفصل الثالث عن جابر رضي الله تعالى عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني اي نسبني الى الكذب قريش اي فيما ذكرته من قضية الاسراء وطلبوا مني علامات بيت المقدس وما في طريقه من الاشياء قمت في الحجر اي في موضع بدى ليس في القعود ولا يتبين لي ليشهدوا قياما فجلى الله بتشديد اللام من التجلية اي فاظهر لي بيت المقدس اي وطريقه الاقدس فطفقت بكسر الفاء قبل القاف اي فشرعت اخبرهم عن اياته اي علامات بيت المقدس وذلك لانه مما يكون من شواهده لان النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل معجزاته وانا انظر اليه اي وكان نظري واقع عليه وحسبه حاضر لديه متفق عليه انتهى والله سبحانه وتعالى اعلم

باب في المعجزات

المعجزة مأخوذة من العجز الذي هو ضد القدرة وفي التحقيق المعجز فاعل العجز في غيره وهو الله سبحانه وتعالى وتسميتها بها لانها تصدق الانبياء واعلام الرسل معجزة لعجز المرسل اليهم عن معارضتهم بمثلها والهاء فيها اما للمبالغة كعلامة ونسابة واما ان يكون صفة لمحذوف كاية وعلامة ذكره الطيبي الفصل الاول عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان ابا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بصيغة الافراد في اصح النسخ بناء على نهاية خصوصيته وغاية مرتبته لاسيما في هذا المقام فانه بالنسبة الى انس كالسيد والكلام نظرا الى انه لاسناد في الاسناد مع احتمال ان الترضية من كلام انس وفي نسخة رضي الله عنهما جمعا بينهما لاداء حقوقهما واصلا تستحقانها قال نظرت الى اقدام المشركين على رؤوسنا اي فانها فوق رؤوسنا ونحن اي انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار اللام للعهد الذهني كما في قوله تعالى اذ هما في الغار اي غار ثور للاختفاء من الكفار حين قصد الهجرة الى دار القرار قال الطيبي الغار نقب في اعلى ثور وهو جبل بمنى مكة على مسيرة ساعة اي ساعة نجومية والمراد بها مدة قليلة والمعنى طلع المشركون فوق الغار في طلب سيد الابرار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان تصب اليوم ذهب دين الله وقال ايضا ما كان الاضطراب خوفا على ذلك الجناب ما رواه انس عنه فقلت يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدمه اي موضعها ابصرنا اي لتعلقنا بها فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما فنزل قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ونسبة الاخراج اليهم لكونهم سببا لخروجه بامر الله اياه لحكمة ارادها الله روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه اي عن رؤيته ولا يخفى ان القضية بانفاتهم هذه الرواية وما في معناه من قضية الحمامة والعنكبوت حيث اظهرها الله في عيونهم على باب الغار تصير معجزة وقال الطيبي معنى قوله الله ثالثهما جاعلهما ثلاثة بضم نفسه تعالى اليهما في المعية المعنوية التي اشار اليها بقوله سبحانه ان الله معنا ثم قال قال قلت اي وبين هذا وبين قوله تعالى لموسى وهارون لا تخافا انني معكما قلت بينهما بون بعيد لان معنى قوله معكما ناصركما وحافظكما من فرعون وقومه ومعنى فقول الله ثالثهما ان الله تعالى جاعلهما ثلاثة بكونه

باب في المعجزات

الفصل الثالث في ذكر ...

الفصل الاول ...

سميا احدا لثلاثة لان كل واحد منهم مشترك فيما له وعليه من النصف والجزء لا فان قلت
ما الفرق بين قوله ثالث ثلاثة وبين قوله ثاني اثنين قلت بينهما بون بعيد لان الاول انهما مختصان بان
الله ثالثهما وليس ثالث غيرهما وفي عكسه بخلاف لان الله تعالى ثالثهما لا يجزم وكم بين العبارتين
وقال الاكمل الدين في شرح المشارق استشكل بان في قوله ثالثهما اطلاق الثالث على الله وهو كلام
حق ليس فيه زيغ وفي قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اطلاق الثالث عليه
كفر وكفر القايلون به فما سبب ذلك اجيب بان في الحديث اضافة الثالث الى العدد انقص منه
بواحد وذلك بمعنى التصيير وهو مصير كل شي في مرتبة اضافته الى العدد مثله وذلك بمعنى واحد
منهم تعالى وتقدس قلت ولذا زال الاشكال به مع قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة
الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم حيث لم يقل ثالثهم وخامسهم ثم رابعهم وهم المعية الكاينة
بالحجة السمية البينة البرهانية حيث عم الحكم بقوله ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم
اينما كانوا الآية متفق عليه وعن البراء بن عازب صحابيان جليلان عن ابيه انه قال لابي بكر يا ابا
بكر حدثني كيف صنعتما حين سريت من سرى لغة في اسرى بمعنى السير في الليل اي حين سافرت
من مكة الى المدينة للهجرة بعد الخروج من الغار قال اسرينا ليلتنا اي جميعها ومن الغد اي بعضه
وهو نصفه كما يفيده قوله حتى قام قايم الظهيرة اي بلغت الشمس وسط السماء فيخيل انها بقيت قايمة
الشمس وقت الزوال من قولهم قامت به دابته اي وقفت والمعنى ان الشمس اذا بلغت وسط
السماء ابطات حركة الظل الى ان تزول فيحسب الناظر انها قد وقفت وهي سايرة لكن سيرا لا يظهر له
اثر سريع كما يظهر قبل الزوال وبعده فيقال لذلك الوقوف المشاهد قام قايم الظهيرة وخلا
الطريق اي صار خاليا عن مرور الفريق لا يمر فيه احد تاكيد لما قبله او بيان فرفعت لنا صخرة طويلة
اي ظهرت قال الطيبي ومنه رفع الحديث وهو اذاعته واظهاره وقيل يحتمل ان الحديث المرفوع
خاص بما اسند اليه صلى الله عليه وسلم وسمي الحديث به لانه كال الرفعة بسببه لها اي لتلك
الصخرة ظل اي عظيم من منفعة انه لم تات بالتانيث وتذكيرا اي لم يحكم عليه الشمس اي بشعاعها حينئذ
فنزلنا عنده اي عند الصخرة وسويت للنبي صلى الله عليه وسلم مكانا بيدي بصيغة التثنية اسقط
[illegible] من الحذف ينام عليه [illegible] لمكانا وبسطت عليه فروة اي وفرشت
على المكان جلدا بشعره وقلت نم يا رسول الله وانا انفض ما حولك بضم الفا اي اتجسس الاخبار
والتحفظ عن العدو وارى هل هناك من عدو وشرح من النفض الذي هو تحريك النظافة من نحو
الغبار وفي النهاية اي احرسك واطوف هل ارى طلبا يقال نفضت المكان اذا نظرت جميع ما فيه
والنفضة بفتح الفا وسكونها والنفيضة قوم يبعثون متجسسين هل يرون عدوا او خوفا فنام
وخرجت انفض ما حوله فاذا انا براع مقبل بالجر صفة راع ومعه غنم قبلنا ومن جهته قلنا
قلت افي غنمك لبن قال نعم قلت افتحلب بضم اللام ويجوز كسرها في ما في القاموس والمعنى افتحلبه لي
قال نعم فاخذ شاة فحلب في قعب بفتح القاف وسكون العين اي قدح من خشب مقعر كثبة بضم
الكاف وسكون المثلثة بموحدة اي قدر حلبة من لبن وقيل ملا القدح من اللبن تقول كثب لبن على
قصد التجريد والمزيد التاكيد ومعي اداوة بكسر الهمزة اي ظرف ماء من مطهرة او سقاية حملتها للنبي
صلى الله عليه وسلم اي خاصة وخالصة في النية وقصد الطوية يرتوي فيها قال التوربشتي
رويت من الماء بالكسر اروى ريا وروى وترويت كلها بمعنى قال الطيبي فعلى هذا ينبغي ان يقال يرتوي
منها الا انها قلت في القاموس في تاتي بمعنى من والتقدير يرتوي من الماء فيها وقال النووي معناه
يرتوي فيه جعل القدح الذي يستقي وضمنه الرا وينتهي الى ان يستقي عليه الماء انتهى فعلى هذا يكون
في بمعنى الباء ثم قوله يشرب ويتوضا مستانفا للبيان والجملة في قوله ومعي الخ حالية معترضة

بين قوله يحلب وبين نزوله فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم اي باللبن فكرهت ان اوقظه اي انبهه من
النوم لاستغراقه فيه فوافقته بتقديم الفاء على القاف في النسخ المصححة اي فاتيت بحيث استيقظ
والبعد من قاله اي فوافقته في النوم الا ان يقال المعنى فوافقته في اختيار النوم لا الايقاظ لانه
مخالفة له قال صاحب الخلاصة وفي بعض نسخ البخاري حين استيقظ اي وافقت اياه في وقت
استيقاظه ويؤيده ما في بعض الروايات فوافقته وقد استيقظ وقال شارح اي بتقديم
القاف على الفاء من الوقوف والمعنى صبرت عليه ووقفت في المجي اليه حتى استيقظ فصببت من الماء اي
بعضه على اللبن اي فبردته حتى برد اسفله كما في نسخة فقلت اشرب يا رسول الله فشرب حتى رضيت
اي طاب خاطري ثم قال الم يان للرحيل من انى يانى اذا دخل وقت الشي والمعنى الم يدخل وقت الرحيل كذا قاله
شارح والاظهر في المعنى الم يات وقت التحول والرحيل وهو التسير الجميل بالمزمنع التعجيل فيطابق
قوله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قلت بلى قال اي ابو بكر فارتحلنا بعد ما مالت
الشمس اي من وسط السماء وحصل برد الهوا واتبعنا بتشديد التاء الفوقية وفي نسخة بهمزة
قطع وسكون فوقية اي ادركنا ولحقنا سراقة بن مالك بضم السين قال المؤلف في فصل الصحابة
سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني كان ينزل قديد ويعد في اهل المدينة روى عنه جماعة وكان
شاعرا مجيدا فقلنا اتينا بصيغة المجهول اي اتانا العدو يا رسول الله فقال لا تحزن ان الله معنا
فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فارتطمت به فرسه اي ساخت قوايمها كما تسوخ في الرمل الى
بطنها في جلد بفتحتين اي صلب من الارض فقال اني اراكما بفتح الهمزة من الراي دعوتما علي اي بالمضرة
فادعوا لي اي بالمنفعة والنجاة من المشقة فالله لكما بالرفع وفي نسخة بالنصب قال شارح
هو مرفوع بالابتداء اي فالله كفيل علي لكما ان اردهم بعد ذلك لعزركما او فالله متجيب والفا سببية
ان ارد عنكما الطلب متعلق بادعوا اي لانا ردا ومنصوب باضمار فعل اي اسال الله لكما ان ارد عنكما
الطلب اي طلب الكفار الذين طلبوكما وقال الاشرف الجار محذوف وتقديره بان ارد وقوله فالله
لكما حشو بينهما ويمكن ان يقال فالله مبتدا ولكما خبره وقوله ان ارد خبر ثان للمبتدا وقال الطيبي معنى
فادعوا لي كي لا يرتطم فرسي على ان اترك طلبكما ولا اتبعكما بعد ثم عللهما بقوله فالله لكما ان
الله حافظكما وناصركما حتى تبلغا بالسلامة الى مقصدكما ويجوز ان يكون معناه ادعوا لي انصرف
عنكما فان الله تعالى قد تكفل بحفظكما عني وحسبكما من بلوغ اليكما قال الطيبي الفا في فالله تقتضي
ما يترتب ما بعدها عليه فالتقدير ادعوا لي بان تخلصني مما انا فيه فانكما ان تفعلتما فالله اشهد لاجلكما
ان ارد عنكما الطلب ويؤيد هذا التقدير ما في شرح السنة والله لكما على القسم اي اقسم بالله لكما على ان
ارد الطلب عنكما فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم فنجا اي فتخلص من العنا كما رجا فجعل اي فشرع في
الوفا بما وعد لا يلقى احدا اي من ورائهما الا قال كفيتم بصيغة المفعول وفي نسخة كفيتم اي استغنيتم
عن الطلب في هذا الجانب لاني كفيتم ذلك ما هيهنا اي ليس ها هنا احد فانه تنبيه على ما ذكر تبعض
الشراح وقال الطيبي ما هيهنا بمعنى الذي اي ليس الذي ها هنا انتهى ولا يخفى ان الاول اظهر وهو اولى لما يستفاد
منه التاكيد كما لا يخفى كقوله فلا يلقى احدا الا رده اي بهذا الجنس متفق عليه قال النووي فيه فوايد
منها هذه المعجزة الظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفضيلة الباهرة لابي بكر رضي الله
تعالى عنه من وجوه وفيه خدمة التابع للمتبوع واستصحاب الركوة ونحوها في السفر للطهارة
والشرب وفيه فضل التوكل على الله تعالى وحسن عاقبته وعن انس قال سمع عبد الله بن سلام
بتخفيف اللام وهو من اجلاء الصحابة الكرام ومن اولاد يوسف عليه السلام وكان من احبار
اليهود وعلمائهم بالتوراة بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الميم والدال اي بقدومه
من مكة الى المدينة وهو اي والحال ان ابن سلام في ارض اي في بستان يخترف اي يجتني من الفواكه

فاتى النبي صلى الله عليه وسلم اي نجاه فقال اني سائلك عن ثلاث اي ثلاثة اشيا لا يعلمهن الا نبي
اي او من ياخذ منه ومن كان يرسل الاشكال بانه كان ممن يعلمها اما اجمالا او مفصلا ولهذا اصار جوابها معجزة
له دلت على نبوته عنده وهو الظاهر من ايراد الحديث في هذا الباب ويمكن ان يكون قد تحقق عنده
معجزات اخر منضمة الى هذا الجواب والله اعلم بالصواب فما اول اشراط الساعة اي علاماتها
وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع بكسر الزاي اي يميل وينزع الولد الى ابيه اذا اشبهه ذكره العزيزي
فالمعنى وما يشبه الولد بالنصب الى ابيه او الى امه للتنويع ولعل المراد نوعهما واصل الشبه
او الحكم غالبي عادي وفي نسخة برفع الولد والى بمعنى مع قال الطيبي اي ما سبب نزوع الولد
وميله الى احد الابوين فحذف المضاف وان المصدرية من المضارع كما في قوله احضر الوغى انتهى
والاظهر ما قاله شارح معناه اي شيء يجذب الولد الى ابيه في الشبه قال اخبرني بهن جبريل انفا لدفع
لتوهم انه سمع من بعض علماء اهل الكتاب انفا بالمد وبقصر اي الآن ثم اما اول اشراط الساعة
فنار تحشر الناس اي تجمعهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة اي المسمى نزلا
منه بما حضر وهو تقدمة بقية النعمة فزيادة كبد حوت اي طرفه وهي اطيب ما يكون من الكبد وقد
يقال انه الحوت الذي على ظهره الارض واذا جعل الارض طعمة لاهل الجنة فالحوت كالادم لها
كذا ذكره شارح وهو مشعر بان هذه الطعمة يوم القيمة لاهل الجنة واذا سبق ماء الرجل اي علا
وغلب ماء المرأة نزع الولد بالنصب اي جذب الرجل وماؤه الولد الى شبهه وبرفع واذا سبق ماء
المرأة نزعت اي جذبت المرأة الولد وفي نسخة برفع الولد والى بيطر ما قال المظهر يعني اذا غلب
ماء الرجل اشبهه الولد واذا غلب ماء المرأة اشبهها الولد فيعلى هذا الثاني في نزعت نبا وفي التشبيه
وقال شارح قوله نزعت اي جذبت المرأة بالولد الى مشابهتها بسبب غلبة مائها اوجذبت ماؤها
فالتشبيه الثاني من المضاف اليه انتهى واما نسبته المذكورة والاتي فاعتبار ميتا بقرما الرجل
وعكسه على ما ورد في حديث اخر قال اي ابن سلام اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله
ثم استانف وقال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت بضم موحدة وسكون هاء في النهاية هو
جمع بهوت من بنا المبالغة في البهت كصبور وصبر ثم سكن تخفيفا وانهم ان يعلموا باسلامي
من قبل ان تسالهم اي عني يبهتوني بتشديد النون وتخفيفه اي يبهتونني كما في بعض النسخ المصححة
اي ينسبوني الى البهتان ويجعلوني مبهوتا متحيرا ولم يكن اسلامي عليهم حجة واضحة البرهان
فجاءت اليهود اي باحبارهم وانفا فانه فيما قاتهم وابن سلام في اختفا عنهم فقال اي النبي عليه السلام
اي رجل عبد الله فيكم اي فيما بينكم او في زعمكم ومعتقدكم قالوا خيرنا وابن خيرنا اي في الحسب
مع العلم والصلاح وسيدنا وابن سيدنا اي في النسب او في شاير مكارم الاخلاق قال ارايتم
اي اخبروني ان اسلم عبد الله بن سلام اي فهل تسلمون قالوا اعاذه الله من ذلك اي معاذ
الله ان يفعل وهذا منه فخرج عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
فقالوا شرنا اي بزعمهم وابن شرنا فانتقصوه من النقص وهو العيب قال هذا اي هذا المقام
الذي كنت اخاف اي احذره وحملتك في سوالهم لتضد نقلها لهم وتشهد على مقالهم يا رسول
الله رواه البخاري وعنه اي عن انس رضي الله تعالى عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
شاور اي اهل المدينة للامتحان حين بلغنا اقبال ابي سفيان اي بالعير من الشام الى مكة وقام
سعد بن عبادة اي وتكلم من بين الصحابة وهو رئيس الانصار وذاك ما قال بما سيأتي
وانما خص بالبعث من الاستشارة لان سبب الاختبار الانصار لانه لم يكن بايعهم على ان يخرجوا
معه للقتال وطلب العدو وانما بايعهم على ان يمنعوه ممن نقصده فلما عرض له الخروج لعير ابي
سفيان اراد ان يعلم انهم يوافقونه على ذلك ام لا فاجابوا احسن بالموافقة التامة في هذه

المرة وفي غيرها ونبه حث على استشارة الاصحاب واهل الراي والخبرة قال الطيبي وذلك ان عيرا
اقبلت من الشام فيها تجارات عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان فاعجب المسلمين تلقي العير
لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا
النجا ابو جهل بجميع اهل مكة نقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة
فقال لا والله فمضى بهم الى بدر ونزل جبريل فاخبر ان الله وعدكم احدى الطائفتين فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقام سعد بن
عبادة فقال يا رسول الله والذي نفسي بيده لو امرتنا ان نخيضها بضم النون وكسر الخاء اي ندخلها
الدواب بقرينة المقام وذلالة المرام البحر لاخضناها قال القاضي الاخاضة الادخال في الماء والكناية
للخيل والابل وان لم يجر ذكرها بقرينة الحال ولو امرتنا ان نضرب اكبادها قال القاضي ضرب الاكباد
عبارة عن تكليف الدابة للسير بابلغ ما يمكن فالمعنى لو امرتنا بالسير البليغ والسير السريع
الى برك الغماد اي مثلا من المواضع البعيدة وهو بفتح الموحدة وضم الغين المعجمة وبكسرها قال شارح
ومنهم من يجعل كسر الغين وكسر الباء اصح الروايتين قال النووي هو بفتح الباء واسكان الراء هو المشهور
في كتب الحديث وروايات المحدثين وقال القاضي عياض عن بعض اهل اللغة صوابه كسر الباء وكذا
قيده شيوخ حديث ابي ذر في البخاري وانفقوا على ان الراء ساكنة الا ما حكاه القاضي عن الاصيلي
باسكانها وفتحها وهذا غريب ضعيف والغماد بكسر الغين المعجمة وضمها لغتان مشهورتان
واهل الحديث على ضمها واللغة على كسرها قلت رواية المحدثين ارجح وللاعتماد اصح قال وهو موضع
باقصى هجر واختار شيخ انه موضع من وراء مكة بخمس ليال من جانب البحر وقيل بلد من اليمن
ثم قوله لفعلنا جواب لو ولعل وجه العدول عن ضرب اكبادها الى الايجاز للايماء الى ان كلام
صعب كالسير في البحر والسفر في البر لو امرتنا بفعله لفعلنا قال اي انس فندب اي فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم الناس اي المهاجرين والانصار فانهم كانوا هم الناس فانطلقوا حتى نزلوا
بدرا وهو مشهد معروف وبابه فيما بينه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لاصحابه
هذا مصرع فلان اي مقتل فلان من الكفار وهذا مهلك فلان وهذا مطرح فلان في غد سبعين
منهم ويضع يده على الارض هنا وههنا اشارة الى خصوص تلك القطعة من الارض لزيادة
توضيح المعجزة قال اي انس فما ماط اي ما زال وبعد ونحى احدهم اي من الكفار عن موضع يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال وهو اي والحال انه في قبة يوم بدر والحديث من جملة مراسيل
الصحابة لان ابن عباس ما حضر بدرا والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله اللهم انشدك
بضم الشين اي اطلبك واسالك عهدك اي امانك ووعدك اي بنجازه اللهم ان تشا اي عدم العبادة
او عدم الاسلام او هلاك المؤمنين لا تعبد بالجزم على جواب الشرط بعد اليوم لانه لا يبقى على وجه الارض
من وفيه اشعار بان الله سبحانه لا يجب عليه شيء مع انه لا خلاف في وعده بل ولا في وعيده من حيث انه
لا يجوز الخلف في خبره فيخوف انما هو لاحتمال استثناء مقدر او قيد مقرر وقيل تحذيرا وهذا اجمال
المرام في هذا المقام واما تفصيل الكلام فقد قال التوربشتي يقال نشدتك فلانا انشدك نشدا
اذا قلت له نشدتك الله اي سالتك بالله وقد يستعمل في موضع السوال والعهد ههنا بمعنى
الامان يريد اسالك امانك وانجاز وعدك الذي وعدتنيه بالنصر وانما قال ذلك لان النبي صلى
الله عليه وسلم اعلم الناس بالله وقد علم ان الله سبحانه وتعالى لم يكن ليعده وعدا فيخلفه فما
وجه هذا السوال قلت الامتثال الذي لا يفارق الحكم هو ان العلم منه وبالله عليه علم الداعي خطوب
المطلوب او لم يعلم ثم ان العلم بالله يقتضي الخشية منه ولا نزع الخشية من الانبيا عليهم السلام

بما اذنبوا او بعدوا من حسن الظن به فيجوز ان يكون خوفه من مانع يمنع ذلك من قبله او من قبل امته
فيحبس عنهم النصر الموعود ويجتهد انه وعد بالنصر ولم يعين له الوقت وكان على وجل من تاخر الوقت فتضرع الى الله
تعالى لينجز له الوعد في يومه ذلك واما ما اظهر من الضراعة فتقبل الا حسن ان يقال ان ما بالغه رسول الله
صلى الله عليه وسلم في السؤال مع عظم ثقته بربه وكمال علمه كان فيه تشجيع للصحابة وتقوية لقلوبهم لانهم
كانوا يعرفون ان دعاءه لا محالة مستجاب ولاسيما اذا بالغ فيه قلت وفيه اشعار بان من لم يقدر على المحاربة
او لم يوم بالمقاتلة ينبغي له ان يجتهد في الدعاء بالنصرة ليحصل له ثواب المشاركة فانه صلى الله عليه وسلم
لما راى اصحابه انهم توجهوا الى الخلق رجع بنفسه الى الحق المطلق وراجع ربه في طلب حقوقهم قال الطيبي
المراد بالوعد ما في قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم ولعله صلى الله عليه وسلم
استحضر معنى قوله تعالى ان الله لغني عن العالمين وقوله سبحانه والله هو الغني الحميد ان يشا
يذهبكم فاخذ ابو بكر بيده فقال حسبك اي يكفيك ما دعوت يا رسول الله الححت على ربك
اي بالغت في السؤال والجملة استئناف بيان للحال فخرج اي صلى الله عليه وسلم من قبته وهو
يثب بكسر المثلثة المخففة قبل الموحدة من الوثوب اي يسرع فرحا ونشاطا في الدرع اي
حال كونه في درعه للمحافظة وعلى نية المقاتلة وهو يقول اي يقرا ما نزل عليه سيهزم الجمع اي
جمع الكفار ويولون اي ويدبرون الدبر بضمتين اي الظهر وقال شارح بضم الباء وسكونها ثم
الجملة الثانية تاكيد للاولى ويمكن ان يكون الهزيمة كناية عن المغلوبية فالمعنى سيغلب الجمع
بالحجة عليهم اولى براعة للتسبيب كما لا يخفى رواه البخاري وكذا النسائي وعنه اي عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر قال النووي بدر ماء معروف على نحو اربع مراحل من
المدينة بينها وبين مكة قال ابن قتيبة هو بئر كانت لرجل يسمى بدرا وكانت غزوة بدر يوم الجمعة
لسبع عشرة خلت من رمضان في السنة الثانية من الهجرة هذا جبريل اخذ براس فرسه عليه
على جبريل اداة الحرب اي آلته ولعله صلى الله عليه وسلم اظهره لا شرحه اي بصره كما يشير اليه
قوله هذا فان في اسم الاشارة اصل موضوع للمحسوس وبهذا تبين وجه ايراد الحديث في باب المعجزات
رواه البخاري وعنه اي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال بينما رجل اي انصاري من المسلمين
يومئذ يشتد اي يسرع ويعدو في اثر رجل بكسر الهمزة وسكون المثلثة وفي نسخة بفتحهما
اي في عقب رجل من المشركين امامه وانتهى ما اذ سمع اي المسلم بحديث من قرر سبيل الصحابة
كما يدل عليه اخره ضربة اي صوت ضربة بالسوط فوقه اي فوق المشرك وصوت الفارس يقول
اقدم بفتح الهمزة وكسر الدال بمعنى اقدم حيزوم اي يا حيزوم وهو اسم فرسه وفي نسخة بضمها
بمعنى تقدم قال النووي هو بهمزة قطع مفتوحة وبكسر الدال من الاقدام قالوا وهي كلمة زجر
للفرس انتهى فكانه يومر بالاقدام فانه لتيسر له فهم الكلام واما بالنسبة الى فرس الملك فيمكن
حمله على الحقيقة او على خرق العادة ويريد النداء باسمه والله اعلم ثم قال وقيل بضم الدال وهمزة
وصل مضمومة من التقدم والاول اشهر وحيزوم اسم فرس الملك وهو منادى بحذف حرف
النداء وقال شارح يعني باقوى ما يكون من الاعضاء منه واشدها ليستظهر به الفارس في ركوبه
منه وهو وسط الصدر وما يضم عليه الحزام قلت ويمكن ان يكون بمعنى للمبالغة من مادة
الحزم وهو شدة الاحتياط في الامر اذ نظر اي المسلم الى المشرك امامه فخر مستلقيا اي سقط
على قفاه فنظر فاذا هو اي المشرك قد خطم بضم الخاء المعجمة من الخطم وهو الاثر على الانف فقوله
انفه للتاكيد ايماء الى التجريد وقال شارح للمصابيح اي كسر فظهر اثر انفه وهو يشعر بان رواية
المصابيح بكسر انفه كما لا يخفى والحاصل انه جرح انفه وشق وجهه اي قطع طوله كضربة السوط
فاخضر ذلك اجمع بتشديد الراء اي صار موضع الضرب كله اخضر او اسود فان الخضرة قد تستعمل

بمعنى

بمعنى السواد وعكسه للمبالغة ومن تبعيد الثاني في قوله تعالى مدهامتان فجاء الانصاري فحدث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت في ان هذا الكشف كرامة للصحابي وكرامة التابع
بمنزلة معجزة المتبوع لا سيما وقد وقع في حضرته وحصوله لاجل بركته او يقال اخبار الصحابي وهو
ثقة بمنزلة الصحيح عما يدل على نزول الملك للمعونة وتقريره وتصديقه الصادق المصدوق هذه
المقالة يتضح عده من المعجزة ثم في قوله ذلك من مدد السماء الثالثة تنبيه على ان المدد كان
من السموات كلها وهذا من الثالثة خاصة فالاشارة الى الملك وفي ذلك وهو مبتدا خبره ما بعده
وان عرف الخبر حيث اعرب وقال ذلك مبتدا صدقت وفي الاشارة الى المذكور من قوله سمع
ضربة الخ فقتلوا اي المسلمون يومئذ سبعين واسروا سبعين وفي نسخة بالبناء للمفعول
فيهما فضميرهما راجع الى المشركين رواه مسلم وعن سعد بن ابي وقاص قال رايت عن يمين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين الظاهر انهما على سبيل التوزيع
بان يكون كل منهما في جانب منه والا لكان اربعة عليهما ثياب بيض يقاتلان كاشد القتال
الكاف زائدة للتاكيد ذكره الطيبي ولا يظهر وجه كونه للتاكيد والاظهر انه نعت قتالا اي اشد
قتال رجال الا نسمي ما رأيتهما قبل ولا بعد اي فتعين انهما من الملائكة وقوله يعني جبريل وميكائيل
من قول الراوي اذ رجح بيانا ولعله عرف ذلك من دليل رواه البخاري وعن البراء قال بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا قال شارح الرهط ما دون العشرة من الرجال ليست
فيهم امراة وفي القاموس الرهط ويحرك من ثلاثة او سبعة الى عشرة او ما دون العشرة او ما
فيهم امراة ولا واحد له من لفظه الى ابي رافع قال القاضي كنيته ابو الحقيق اليهودي اعد به رسول
الله صلى الله عليه وسلم نقض عهده وتعرضه بالهجاء وتحصنه بحصن كان له فبعثهم اليه
ليقتلوه فدخل عليه عبد الله بن عتيك بفتح فكسر بيته ليلا وهو نائم فقتله فقال عبد الله بن
عتيك اي في صفة قتله فوضعت السيف في بطنه حتى اخذ في ظهره قال الطيبي عداه بفي
على شدة التمكن واخذه منه كل ما اخذ واليه اشار بقوله حتى اخذ في ظهره فعرفت اي فعلمت انه قتلته فجعلت
افتح الابواب ولعله لتعذر فتحها اولا ردها حفظا وراءه او تطلع عليه من طرفها اخر حتى انتهيت
الى درجة فوضعت رجلي اي على ظنها وصلت الارض فوقعت اي سقطت من الدرجة في ليلة
مقمرة بفتح الميم الاولى وكسر الثانية اي مضيئة قال الطيبي يعني كان سبب وقوعه على الارض
ان ضوء القمر وقع في الدرج وذكر انه فحسب ان الدرج منتها وللارض فوقع منه على الارض
فانكسرت ساقي فعصبتها بتخفيف الصاد ويشدد للمبالغة والتكثير اي شددتها بعمامتي
بكسر العين فانطلقت الى اصحابي اي من الرهط الذين اشتغلوا للحفظة فانتهيت الى النبي
صلى الله عليه وسلم اي مع اصحابي فحدثته اي بما جرى علي فقال ابسط رجلك اي مدها فبسطت
رجلي فمسحها فكانما لم اشتكها قط اي كانها لم تتوجع ابدا رواه البخاري وعن جابر رضي الله عنه
قال انا اي نحن مع سائر الصحب كنا يوم الخندق نحفر اي الارض حول المدينة تحصينا وتبعيدا للاعدا
فعرضت اي ظهرت في عرض الارض معارضا للمقصد فالكدية بضم الكاف وسكون الدال اي
قطعة شديدة اي صلبة لا يعمل فيها الفاس فجاؤوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية
عرضت في الخندق فقال انا نازل في الخندق ثم قام وبطنه معصوب اي مربوط بحجر اي من شدة الجوع
ولبثنا ثلاثة ايام لا نذوق ذواقا بفتح اوله اي ماكولا او مشروبا وهو فعال بمعنى مفعول من الذوق
يقع على المصدر والاسم والجملة معترضة لبيان سبب ربط الحجر فاخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم المعول بكسر الميم وفتح الواو بالفارسية كلند قاله شارح وفي القاموس المعول
كمنبر الحديدة ينقر بها الجبال فضرب فعاد اي انقلب الحجر وصار كثيبا اي رملا اهيل اي سائلا ومنه

قوله تعالى وكانت الجبال كثيبا مهيلا قال القاضي والمعنى انها الكدية التي تحتها صخر واعترضها صارت
بمرة واحدة فربها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا مرارا معصوب بحجر فانكفأت
الى امرأتي اي انقلبت وانصرفت الى بيتها فقلت هل عندك شيء اي من الماكول فاني رأيت بالنبي
صلى الله عليه وسلم خمصا بفتحتين ويسكن الثاني واقتصر عليه القاضي وسكت عليه الطيبي
اي جوعا وسمي به لان البطن يضمر به وفي المشارق لعياض رايت به خمصا بفتح الميم اي ضمورا
في بطنه من الجوع ويعبر بالخمص عن الجوع ايضا وقال السيوطي قوله خمصا بفتح المعجمة والميم وقد
يسكن وبمهملة انتهى والمراد به اثر الجوع وعلامته من ضمور البطن وصفار الوجه ونحو ذلك
من طول مكثهم وشدة كدهم في حفر الخندق من غير ذواق فهم فيه سوى قوتهم فاخرجت اي المرأة جرابا
بكسر الجيم فيه صاع اي قدر صاع من شعير ولنا بهيمة بفتح موحدة وسكون هاء قال النووي هي الصغيرة
من اولاد الضان ويطلق على الذكر والانثى كالشاة وفي نسخة بهمة وهي اصل المصابيح قال
شارح له هي تصغير بهمة بفتح الباء وسكون الهاء ولد الضان ذكرا وانثى ولذلك اذا ارادوا التفرقة
انثه وتسكين السخلة وهي ذكر المعز داجن اي سمينة قاله صاحب المواهب وفي شرح مسلم
ما الف البيت ويربيه مما في القاموس دجن بالمكان دجونا اقام والحمام والشاة وغيرهما
الف وهي داجن فذبحتها وطحنت اي المرأة الشعير وفي نسخة بصيغة المتكلم والاول
اوفق لمقام كل من الرجل والمرأة بخدمة يليق به مع تحقق المشاركة كما يدل عليه رواية البخاري
ففرغت الى فراغي اللحم الا ان ذبح وقيل لم تعد امرها وشرعها بالطحن حتى جعلنا اي الى ان جعلنا
اللحم في البرمة اي القدر من الحجر وهي القدر مطلقا واصلها المتخذ من الحجر ثم جئت النبي صلى الله
عليه وسلم فساررته قال النووي فيه جواز المسارة بالحاجة في حضرة الجماعة وانما المنهي ان يناجي
اثنان دون الثالث انتهى وفيه بحث لا يخفى والاظهر ان يقال انما محل النهي توهم ضرر الجماعة فقلت
يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا بالتصغير فيها للتحقير يوجب عظمة الضيف الكبير وطحنت
بالوجهين صاعا من شعير والمقصود ان هذا قدر يسير والاصحاب كثير فتعال انت ونفر معك
وهو ما دون العشرة من الرجال ويطلق على الناس كلهم على ما في القاموس وكانه صلى الله عليه
وسلم الى المعنى الثاني لما فيه من الامر الرباني فصاح النبي صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق
ان جابرا صنع سورا بضم فسكون واو اي طعاما وفي القاموس السور الضيافة فارسية
شرفها النبي صلى الله عليه وسلم فحي بتشديد الياء المفتوحة هلا بفتح الهاء واللام منونة
وفي نسخة بغير تنوين والباء بكم للتعدية اي اسرعوا بانفسكم اليه قال النووي السور بضم
السين غير مهموز هو الطعام الذي يدعى اليه وقيل الطعام مطلقا وهي لفظة فارسية وقد
تظاهرت احاديث صحيحة بان رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم بالالفاظ الفارسية وهو
يدل على جوازه واما حي هلا فهو بتنوين هلا وقيل بلا تنوين على وزن علا ويقال حي هل ومعناه
عليكم بكذا وفي القاموس بسط لهذا المبنى والمعنى ولكن اقتصرنا على ما ذكرنا بناء على ان
الجوع مانع والعطش لما هنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلن بضم التاء واللام
برمتكم ولا تخبزن بفتح التاء وكسر الباء وضم الزاي عجينكم حتى اجيء اي اليكم وجاء فاخرجت
له اي انا وفي نسخة بصيغة الواحدة عجينا اي قطعة من العجين فبصق فيه قال النووي
هو بالصاد في اكثر الاصول وفي بعضها بالسين وهي لغة قليلة انتهى والمعنى رمى بالبزاق فيه
وبارك اي دعا بالبركة فيه ثم عمد بفتح الميم اي قصد الى برمتنا فبصق اي فيها كما في نسخة
وبارك ثم قال ادعي بهمزة وصل مضموم وكسر عين امر مخاطبة من دعا يدعو اي اطلبي خابزة قال
النووي في بعض الاصول ادعي على خطاب المؤنث وهو الصحيح الظاهر ولهذا قال فلتخبز معك

يعني لم وفي بكسر الكاف وفي بعضها ادعوا بالواو اي اطلبوا وفي بعضها ادع واقدحي بفتح الدال اي اغرفي
من برمتكم قال التوربشتي يقال قدحت المرق اي غرفته ومنه المقدح وهو المغرفة سلك بالخطاب
مسلك التلوين فخاطب به رب البيت قال الطيبي لعل في نسخة فلتخبز معي بالاضافة الى
المتكلم كما هو في بعض نسخ المصابيح فحمل على ما ذهب اليه وقد علم من كلام النووي ان معي لم يثبت
في رواية واذا ذهب الى ادعي فلتخبز معك لم يكن من تلوين الخطاب في شيء انتهى وتقرير ما
منه انه اراد الشيخ انه صلى الله عليه وسلم خاطبهم بصيغة الجمع اولا بقوله لا تنزلن
ولا تخبزن ثم قال ادعي فلتخبز معك ثم قال واقدحي من برمتكم بالجمع بين الافراد والجمع
ثم قال ولا تنزلوها بصيغة الجمع المذكر على طريق الالتفات على سبيل التغليب فاي تلوين اكرمن
هذا من التفات الى المخاطبة بالامر وخاطب شاملا لها وربة البيت عن خارجة عن سنن الاستقامة
في المقام وبهذا التقرير والتحرير تبين لك انه لا فرق بين قوله فلتخبز معك او معي بالتلوين الكلام
والله اعلم بحقيقة المراد قال جابر وهم اي عدد اصحابه صلى الله عليه وسلم الف اي الف رجل الا كل
في جوع ثلاثة ايام وليال فاقسم بالله لاكلوا اي من ذلك الطعام حتى تركوه اي متفضلا وانحرفوا
اي وانصرفوا وان برمتنا لتغط بكسر الغين المعجمة وتشديد الطاء المهملة اي لتفور وتغلي ويسمع
غليانها كما هي اي ممتلئة على هيئتها الاولى والخبر محذوف والمعنى تغلي غليانا مثل غليانها التي هي
عليه قبل ذلك قال الطيبي ما كافة وهي مصححة لدخول الكاف على الجملة وهي مبتدأ والخبر محذوف
اي كما هي قبل ذلك وان عجيننا ليخبز كما هو اي القطعة ما نقص منه شيء قال النووي قد تظاهرت
الاحاديث بمثل هذا من تكثير طعام القليل ونبع الماء وتكثيره وتسبيح الطعام وحنين الجذع
وغير ذلك مما هو معروف حتى صار مجموعها بمنزلة التواتر وحصل العلم القطعي به وقد جمع العلماء
اعلاما من دلائل النبوة في كتبهم كالقفال الشاشي وصاحبه ابي عبد الله الحليمي وابي بكر
البيهقي وغيرهم مما هو مشهور واحسنها كتاب البيهقي ولله الحمد على ما انعم به على نبينا صلى
الله عليه وسلم وعلينا باكرامه متفق عليه وعن ابي قتادة صحابي مشهور ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لعمار اي ابن ياسر حين يحفر الخندق حكاية حال ماضية يجعل يمسح راسه
اي راس عمار عن الغبار ترحما عليه من الاغبار ويقول بؤس بضم موحدة وسكون همز ويبدل
وبفتح السين مضاف الى ابن سمية وهي بضم السين وفتح الميم وتشديد التحتية ام عمار وهي
قد اسلمت بمكة وعذبت لترجع عن دينها فلم ترجع وطعنها ابو جهل فماتت ذكره ابن الملك
وقال المظهر كانت امة لابي حذيفة المخزومي زوجها ياسرا وكانت حليفه فولدت له عمارا
فاعتقه ابو حذيفة اي يا شدة عمار احضري فهذا اوانك وفي الشرح في حذف حرف النداء من اسماء
الاجناس وانما يحذف من اسم الاعلام وروي بالرفع على ما في بعض النسخ اي عليك بؤس
او يصيبك بؤس وعلى هذا ابن سمية منادى مضاف اي يا ابن سمية وقال شارح المعنى يا شدة
ما يلقاه ابن سمية من الفئة الباغية فاراد دنواه ولذا خاطبه بقوله تقتلك الفئة الباغية
اي الجماعة الخارجة على امام الوقت وخليفة الزمان قال الطيبي ترحم عليه بسبب الشدة التي
تقع فيها عمار من قبل الفئة الباغية يريد به معاوية وقومه فانه قتل يوم صفين وقال ابن
الملك اعلم ان عمارا قتله معاوية وفئته فكانوا طاغين باغين بهذا الحديث لان عمارا كان
في عسكر علي وهو المستحق للامامة فامتنعوا عن بيعته وحكي ان معاوية كان يأول
معنى الحديث ويقول نحن فئة باغية طالبة لدم عثمان وهذا كما ترى تحريف اذ معنى طلب الدم غير
مناسب هنا لانه صلى الله عليه وسلم ذكر الحديث في اظهار فضيلة عمار وذم قاتله لانه جاء
في طريق ويح بدل كلمة يقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها فيترحم عليه ويرثى له بخلاف وقيل

فانها كلمة عقوبة يقال للذي يستحقها ذلك بهذا وفي الجامع الصغير برواية الامام احمد
والبخاري عن ابي سعيد مرفوعا ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى
النار وهذا كالنص الصريح في المعنى الصحيح المتبادر من البغي المطلق في الكتاب كما في قوله تعالى
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقوله سبحانه وتعالى فان بغت احداهما على الاخرى فاطلاق اللفظ
الشرعي على ارادة المعنى اللغوي عدول عن العدل وميل الى الظلم الذي هو وضع الشيء في غير
موضعه والحاصل ان البغي بحسب المعنى الشرعي والاطلاق العرفي خص من العموم معنى
الطلب اللغوي الى طلب الشر الخاص بالخروج المنهي فلا يصح ان يراد به طلب دم خليفة الزمان
وهو عثمان رضي الله تعالى عنه وقد حكي عن معاوية تاويل اقبح من هذا حيث قال انما
قتله علي وشيعته حيث حملوه على القتال وصار سببا لقتله في المآل فقيل له في الجواب
فاذن قاتل حمزة هو النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان باعثا له على ذلك والله سبحانه
وتعالى حيث امر المؤمنين بقتال المشركين والحاصل ان هذا الحديث فيه معجزات ثلاث
احدها انه سيقتل وثانيها انه مظلوم وثالثها ان قاتله باغ من البغاة والكل صدق
وحق ثم رايت الشيخ اكمل الدين قال الظاهر ان هذا اي التاويل الثاني عن معاوية وما حكي
عنه ايضا من انه قتله من اخرجه للقتال وحرضه عليه كل منهما افتراء عليه اما الاول فتحريف
للحديث واما الثاني فلانه ما اخرجه احد بل هو خرج بنفسه وماله مجاهدا في سبيل الله
قاصدا لاقامة الفرض وانما كان كل منهما افتراء على معاوية لانه رضي الله تعالى عنه اعقل
من ان يقع في شيء ظاهر الفساد على الخاص والعام قلت فاذا كان الواجب عليه
ان يرجع عن بغيه باطاعته الخليفة ويترك المخالفة وطلب الخلافة المنيفة فتبين
بهذا انه كان في الباطن باغيا وفي الظاهر متسترا بدم عثمان مراعيا مرائيا فجاء هذا
الحديث عليه ناعيا وعن عمله ناهيا لكن كان ذلك في الكتاب مسطورا فصار عنده كل
من القرآن والحديث مهجورا فرحم الله من انصف ولم يتعصب ولم يتعسف وتولى الاقتصاد
في الاعتقاد لئلا يقع في جانبي سبيل الرشاد من الرفض والنصب بان يحب جميع الآل
والصحب رواه مسلم وعن سليمان بن صرد بضم ففتح مصروفا قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم حين اجلي بصيغة الفاعل وفي نسخة بالمفعول اي تفرق وانكشف الاحزاب عنه وهم طوائف
من الكفار تحزبوا واجتمعوا لحرب سيد الابرار يوم الخندق منهم قريش وقد اقبلت في عشرة آلاف
من بني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد
وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامنهم اليهود من قريظة والنضير
ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله
تعالى النصر بان ارسل عليهم ريحا الصبا وجنودا لم تروها وهم الملائكة وقذف في قلوبهم
الرعب فقال طلحة بن خويلد الاسدي النجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وهذا معنى الاجلاء
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اي حينئذ الآن اي فيما بعد هذا الزمان وعبر عنه بالآن
للمبالغة في البيان نغزوهم اي ابتداء ولا يغزونا بتشديد النون وتخفف اي ولا يغزوننا
كما في نسخة والمعنى لا يجاوزوننا فنفيه مشاكلة للمبالغة نحن نسير اليهم اي وهم لا يسيرون
الينا وكان الامر كما اخبر فغزاهم بعد صلح الحديبية وفتح مكة وحصلت له الغلبة ولله الحمد
والمنة قال الطيبي قوله الآن نغزوهم اخبار بانه تنكسر شوكة المشركين من اليوم فلا ينصدون
البتة بعد بل نحن نغزوهم ونقتلهم ويكون عليهم دائرة السوء وكان كما قال فكان معجزة رواه
البخاري وعن عائشة قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح

اي نفسه واغتسل اي اراد ان يغتسل اتاه جبريل وهو اي النبي صلى الله عليه وسلم وهو في
اللفظ اقرب وفي معنى الحث النسب ينفض راسه من الغبار فقال اي جبريل قد وضعت السلاح
والله ما وضعناه اخرج اليهم اي الى الكفار وابهمهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاين اي ابن
انقصد والى من اخرج فاشار الى بني قريظة وهم طائفة من اليهود حول المدينة وقد نقضوا العهد
وساعدوا الاحزاب فخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم اي ونصره الله عليهم وكيفية نصرته وبيان
قصته في كتب السير وبعض التفاسير مبسوطة وما وقع له في كل قضية من المعجزات
مضبوطة متفق عليه وفي رواية للبخاري قال انس كاني انظر الى الغبار ساطعا اي مرتفعا
في زقاق بني غنم بفتح الغين المعجمة وسكون النون قبيلة من الانصار والزقاق بضم الزاي السكة
موكب جبريل عليه السلام بالنصب على نزع الخافض على ما في صحيح البخاري وشرح السنة واكثر
نسخ المصابيح وفي بعضها بالرفع والموكب بفتح الميم وكسر الكاف جماعة ركاب يسيرون
برفق على ما في النهاية حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة الظاهر ان ذلك
الزقاق كان ثم مجوزا من سيرة الناس فيه وفي الغبار الساطع منه دلالة على انه من جند
الملائكة والغالب انه رئيسهم جبريل عليه السلام وهو معهم او هو مع النبي صلى الله عليه وسلم
واضافته اليهم لانهم كالاتباع له وعن جابر قال عطش الناس بكسر الطاء يوم الحديبية بالتخفيف
النصح ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة اي ظرف ماء مطهرة او شبهها فتوضا
منها ثم اقبل الناس نحوه اي الى جانبه طالبين فتح الجبر من ماء قالوا استغنيا ان يناله
ليس عندنا ماء نتوضا به ونشرب الا ما في ركوتك اي من الماء فيها مقتصرون موضوعة
واستثناء بجمل الاتصال والانقطاع ثم في القضية جملة مطوية وهي اذ من المعلوم بحسب
ان ما في الركوة لم يكف الجماعة فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة اي في جوفها اذ في فمها
فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون اي التي تخرج من بين صخور الجبال وعروق
الارض قال فشربنا وتوضانا اي جميعا فنطوي لهم من طهر في الظاهر والباطن من ذلك الماء
الذي هو افضل من جنس الماء المعين والله الموفق والمعين قيل لجابر كم كنتم اي يومئذ فخبر
ولما كان هذا السؤال غير مناسب في مقام المعجزة قال اي في الجواب لو كنا مائة الف اي
مثلا لكفانا ثم قال تنبيها لفصل الخطاب كنا خمس عشرة مائة قال الطيبي عدل عن الظاهر
لاحتمال التجوز في الكثرة والقلة وهذا يدل على انه اجتهد فيه وغلب على ظنه هذا المقدار
وقول البراء في الحديث الذي يتلوه هذا الحديث كنا اربع عشرة مائة كان عن تحقيق لما سبق
في الفصل الثاني من باب قسمة الغنائم ان اهل الحديبية كانوا الفا واربعمائة تحقيقا
وقول من قال هم الف وخمسمائة فيه زيادة وقال الحافظ السيوطي الجمع انهم كانوا اربعمائة وزيادة
لا تبلغ المائة فالاول الغى الكسر فان في جبره ومن قال الفا وثلاثمائة فعلى حسب اطلاعه
ونقدرو الالف وستمائة والالف وسبعمائة وكانه محمول على ضم الاتباع والصبيان ورواية ابن مردويه
عن ابن عباس كانوا الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وهذا تحرير بالغ والله سبحانه اعلم
متفق عليه وعن البراء بن عازب قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة
يوم الحديبية بئر بالهمز ويبدل فنزحناها اي نزعنا ماءها فلم نترك فيها قطرة فبلغ النبي صلى
الله عليه وسلم اي خبر نفادها فاتاها فجلس على شفيرها اي طرفها ثم دعا باناء من ماء فتوضا ثم
مضمض ودعا ثم صبه اي مجه فيها ثم قال دعوها اي اتركوها ساعة لعله للاشارة الى ان دعا
الاجابة وقعت تدريجية وان المراد بها الساعة النجومية لا اللغوية او المدة القليلة بحسب
الاطلاقات العرفية فارووا اي سقوا سقيا كاملا انفسهم وركابهم اي ابلهم ودوابهم

على ذلك حتى انخلوا اي سائر رواتبها والظاهر ان قضية جابر متقدمة على هذه القضية وان المعجزة
في الحديبية متكررة والعجب من الناس عموما وخصوصا انهم ما ضبطوا هذه البير ولا جعلوا
من البنا الكبير المحيرا لكثير مع انها زينية من مكة على طرف حدة في طريق جدة رواه البخاري
وعن عوف لم يذكره المص ولعله من اتباع التابعين عن ابي رجاء هو عمران بن تميم العطاردي اسلم
في حيوة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وروى عن عمر وعلي وغيرهما وعنه خلق كثير كان عالما عاملا
معمرا وكان من القراء مات سنة سبع ومائة ذكره المؤلف في التابعين عن عمران بن حصين قال
كنا في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى اليه الناس من العطش فنزل فدعا فلانا اي شخصا
معروفا كان يسميه ابو رجاء ونسيه عوف اي فعبر عنه بفلان ودعا عليا اي ايضا فقال اذهبا
فابتغيا الماء اي فاطلباه فانطلقا فتلقيا امراة بين مزادتين بفتح الميم اي راكبة بين
راويتين وهي في الاصل ما يوضع فيه الزاد او سطيحتين قال القاضي هي نوع من المزادة يكون
من جلدين قوبل احدهما بالاخر فسطح عليه وقال الجوهري هي اصغر من المزادة ثم قوله من ماء بيان
لما فيهما فجاءا بها اي بالمراة وما معها الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستنزلوها عن
بعيرها قال الطيبي الضمير لا يجوز ان يرجع الى المزادة اي طلبوا منها ان تنزل من البعير وقيل
راجع الى المزادة بمعنى انزلوها واستنزل وانزل بمعنى ودعا النبي صلى الله عليه وسلم باناء
اي طلبه ففرغ بتشديد الراء اي صب فيه من افواه المزادتين فيه اشارة الى ترجيحها عند الراوي
ونودي في الناس اسقوا بهمزة قطع مفتوحة وقيل بهمزة وصل مكسورة اي اسقوا انفسكم
وغيركم والمعنى خذوا الماء لحاجتكم فاستقوا اي فاخذوا الماء جميعهم قال اي عمران فشربنا
عطاشا بكسر اوله جمع عطشان حال من فاعل شربنا اربعين رجلا بيان له ذكره الطيبي
وقال شارح حال من ضمير عطاشا او شربنا حتى روينا بكسر الواو وملأنا كل قربة معنا وايم
الله اي وايمن الله قسمي لقد اقلع عنها بصيغة المجهول اي انكف الجماعة عن تلك المزادة
ورجعوا عنها وانه اي الشان ليخيل علي بنا المفعول اي ليشبه الينا انها اي تلك المزادة اشد ملئة
بكسر الميم وبفتح وسكون اللام فعلة من الملا مصدر ملان امتلا فامنها اي من المزادة حين ابتدا
اي النبي صلى الله عليه وسلم ان اخذ منها وفي نسخة ابتدي بصيغة المجهول اي الاستقاء والشرب
منها والمعنى انها حينئذ كانت اكثر ما من تلك الساعة التي استقوا منها متفق عليه وعن جابر
قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا افيح اي واسعا على ما في النهاية فذهب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به واذا شجرتين قال
الطيبي بالنصب كذا في صحيح مسلم واكثر نسخ المصابيح وفي بعضها شجرتان بالرفع وقوله
معتبر فتقديره بالنصب فوجد شجرتين نابتتين بشاطي الوادي اي بطرفه وقال شارح
المصابيح وروي شجرتين باضمار راي وفي شجرتين وهو ظاهر فانطلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي اي للستر علي باذن الله وقال
الطيبي اي لا تعصي علي ونظيره قوله تعالى ما لك لا تامنا على يوسف اي لم تخاف علينا فانقادت
معه كالبعير المخشوش وهو الذي في انفه الخشاش بكسر الخا المعجمة وهو عويد يجعل في انف
البعير ليكون اسرع الى الانقياد كذا في النهاية الذي يصانع قائده قال التوربشتي اي ينقاد
له ويوافقه والاصل في المصانعة الرشوة وهي ان تصنع لصاحبك شيئا ليصنع لك شيئا
حتى اتى الشجرة الاخرى فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه
كذلك حتى اذا كان بالمنصف هو بفتح الميم والصاد المهملة نصف الطريق والمراد هنا الموضع الوسط
مما بينهما قال التئما اي تقاربا قال الطيبي هو حال اي اجتمعا منطبقتين علي باذن الله فالتامتا

اي

اي حتى تقضي الحاجة بينهما قال جابر فجلست احدث نفسي اي بامر من الامور فحانت اي فظهرت مني
لفتة اي التفاتة فاذا انا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال الطيبي يقال حان اذا
اتى وقت الشيء واللفتة فعلة من الالتفات واذا الشجرتين اي وجدتهما اي رايتهما قد افترقتا
فقامت كل واحدة منهما على ساق اي وقفت بانفرادها في مكانها في مجيئها رواه مسلم وعن
يزيد بن ابي عبيد هو شيخ شيخ البخاري روى البخاري عن المكي بن ابراهيم عنه ووقع للبخاري عن المكي
ثلاثيات من هذا الطريق وقال المؤلف هو مولى سلمة روى عنه يحيى بن سعيد وغيره قال
رايت اثر ضربة في ساق سلمة بن الاكوع فقلت يا ابا مسلم ما هذه الضربة قال هذه ضربة اصابتني
يوم خيبر وفي نسخة اصابتها اي الساق وفي نسخة اصابته وفي نسخة اصيبتها بصيغة المجهول
فقال الناس اصيب سلمة اي مات لشدة اثرها فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيه اي في
موضع الضربة وفي نسخة فيها اي في تفسير الضربة او في الساق ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى
الساعة بالجر وفي نسخة بالنصب قال بعض المحققين الساعة في اكثر نسخ البخاري بالجر خلاف
ما جعله الكرماني فانه قال يلزم من ظاهر العبارة الاشتكا من حكايته واجاب بان الساعة
منصوب وحتى للعطف فالمعطوف داخل في المعطوف اي ما اشتكيتها زمانا حتى الساعة نحو
اكلت السمكة حتى راسها قلت يمكن ان يكون معناه ما وجدت اثر وجع الى الان واما بعده فلا
ادري احدا لا يتصدق عليه ان حكم بعدها خلاف ما قبلها او المراد في الشكاية باكد وجه بان زاده ما وجدت
وجعا الى الان فلو امكن ان يوجد وجع يكون بعد ذلك ومن المحال عادة ان يوجد وجع بعد مدة مضت من بركة
رواه البخاري وكذا ابو داود وعن انس قال نعى النبي صلى الله عليه وسلم زيدا اي زيد بن حارثة وجعفر
اي ابن ابي طالب وابن رواحة اي اخبر بموتهم للناس في جواز النعي قبل ان ياتيهم خبرهم اي فكان معجزة
وقد كانوا بارض بعيدة لها موته بميم مضمومة فهمزة ساكنة ففوقية قرية بالشام وكانت
في السنة الثامنة وكان المسلمون ثلاثة الاف والروم مئة الف فقال تفسير وتفصيل
لما قبله اي فقال صلى الله عليه وسلم اخذ الراية زيد اي العلم اذ العادة ان ياخذه امير العسكر
فاصيب اي استشهد ثم اخذ جعفر اي الراية فاصيب اي في تقصيبه المشهور ثم اخذ ابن رواحة
فاصيب وعيناه تذرفان بكسر الرا اي تسيلان دمعا للدلالة من حزن موتهم حتى اخذ الراية سيف
من سيوف الله اي شجيع من شجعانه فانه كان يعد الفا وانقطع في يده يوم مؤتة ثمانية اسياف
والاضافة للتشريف يعني خالد بن الوليد تفسير من كلام انس او من بعده والمعنى يريد النبي صلى
الله عليه وسلم بالوصف المذكور خالد بن الوليد حتى فتح الله عليهم اي على يديه وزمانه اما زمنه
واختلفوا هل كان قتال فيه هزيمة المشركين حتى رجعوا غانمين او المراد بالفتح حيازة المسلمين
حتى رجعوا سالمين رواه البخاري وعن عباس قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم حنين بالتصغير قيل غزوة حنين كانت في شوال سنة ثمان وحنين واد بين مكة والطائف
وراء عرفات فلما التقى المسلمون والكفار اي ووقع القتال الشديد بينهم ولى المسلمون
اي بعضهم من المشركين مدبرين اي لكن مقبلين الى سيد المرسلين فطفق اي شرع رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي يركض بفتح الكاف اي يحرك برجله بغلته قبل الكفار بكسر القاف وفتح
البا اي الى جهتهم ونحوهم قال العلماء بغلته هي التي يقال لها دلدل اهداها له فروة بن نفاثة
نفيه قبول هدية المشركين وورد انه رد بعض الهدايا من المشركين فقيل قبول الهدية ناسخ
للرد وفيه نظر لجهالة التاريخ والاكثر على انه لا نسخ وانما قبل ممن طمع في اسلامه ورد ممن
المسلمين ورد ممن على خلاف ذلك وانا اخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفها بضم
الكاف وتشديد الفا اي امنعها وعلة منعها ارادة لا تسرع اي البغلة الى جانب العدو وابو سفيان

قيل اسمه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم آخذ بصيغة الفاعل اي ماسك
بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اي تأدبا وحافظة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي
عباس اي يا عباس ناد اصحاب السمرة بفتح فضم الشجرة التي بايعوا تحتها يوم الحديبية فقال عباس وكان
اي العباس رجلا صيتا جملة معترضة من كلام الراوي لبعده والصيت بتشديد الياء اي قوي الصوت واصله
صيوت فاعل اعلال سيد فقلت اي فناديت باعلى صوتي اين اصحاب السمرة اي لا تنسوا ما
بيعتكم الواقعة تحت الشجرة وما يترتب عليها من الثمرة فقال والله لكأن بتشديد النون عطفتهم
بالنصب اي رجعتهم وفي نسخة لكان بالتخفيف وعطفتهم بالرفع حين سمعوا صوتي عطفة
البقر بالرفع على الاول وبالنصب على الثاني على اولادها وفي نسخة اولاده بناء على ان اسم الجنس
يؤنث ويذكر فقالوا اي باجمعهم او واحد بعد واحد يا لبيك يا لبيك التكرير للتاكيد او التكثير قال
عباس فاقتتلوا اي المسلمون والكفار بالنصب اي معهم والدعوة في الانصار يقولون
اي والنداء في حق الانصار بخصوصهم بذلك لما تقدم في حق المهاجرين بحسب تغليبهم يا معشر
الانصار فاطلق الفعل واريد المصدر على طريق قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وقوله
ان احضر الوغى وتسمع بالمعيدي ونحو ذلك قال اي العباس ثم قصرت الدعوة بصيغة المجهول
اي اقتصرت واختصرت على بني الحارث بن الخزرج اي فنودي يا بني الحارث وهم قبيلة كبيرة فنظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته الراوي الحال اي نظر صلى الله عليه وسلم حال
كونه على بغلته وقوله كالمتطاول عليها حال من الضمير المرفوع في على بغلته اي كالغالب للقادر
في سوقها وقيل كالذي يمد عنقه لينظر الى ما هو ابعد منه الى قتالهم وقال الطيبي هو
متعلق بنظر ثم ذكر كلاما ليس في النسخة فيه بعض اختصار محال على ذوقه في المصابيح فقال
اي النبي عليه السلام هذا حين بالفتح وفي نسخة بالضم حمي بفتح فكسر الوطيس قال ابن الملك يجوز
ان يكون هذا اشارة الى القتال وحين بالفتح ظرف له وان يكون اشارة الى وقت القتال وحين
بالرفع خبره وقال الاكمل يجوز في حين الفتح بانه مضاف الى مبني والضم على انه خبر مبتدأ وقال
الطيبي هذا مبتدأ والخبر محذوف وحين مبني لانه مضاف الى غير متمكن متعلق باسم الاشارة
اي هذا القتال حين اشتد الحرب وفيه معنى التعجب واستعظام الحرب قلت الاظهر
ما قال ان هذا مبتدأ وحين خبره وبني على الفتح لاضافته الى الفعل اي هذا زمان اشتداد الحرب
ثم الوطيس شبه التنور او التنور نفسه يضرب مثلا لشدة الحرب التي تشبه حرها حره وفي
النهاية الوطيس شبه التنور وقيل هو الضراب في الحرب وقيل هو الوطء الذي يطيس الناس
اي يدقهم وقال الاصمعي هو حجارة مدورة اذا حميت لم يقدر احد يطؤها ولم يسمع هذا الكلام من احد
قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو من فصيح الكلام عبر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق
ثم اخذ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار اي قائلا شاهت الوجوه ثم قال اي تفاؤلا واخبارا
انهزموا ورب محمد فوالله ما هو اي ليس انهزام الكفار الا ان رماهم اي سوى رميهم بحصياته اي ولم يكن
بالقتال والضرب بالسيف والطعان ويحتمل ان يكون الضمير عبارة عن الامر والشان ويكون هو
المستثنى منه فما زلت ارى حدهم اي باسهم وحدتهم وشوكتهم وشدتهم كليلا اي ضعيفا وامرهم مدبرا
اي وحالهم ذليلا قال النووي فيه معجزتان ظاهرتان لرسول الله صلى الله عليه وسلم احداهما فعلية
والاخرى خبرية فانه اخبر بهزيمتهم ورماهم بالحصيات فولوا مدبرين رواه مسلم وكذا النسائي
وعن ابي اسحاق قال المؤلف هو ابو اسحاق السبيعي الهمداني الكوفي رأى عليا وابن عباس وغيرهما
وسمع البراء بن عازب وزيد بن ارقم روى عنه الاعمش وشعبة والثوري وهو تابعي مشهور كثير
الرواية قال قال رجل جاء في رواية من قيس لكن لا يعرف اسمه للبراء يا ابا عمارة بضم فتخفيف

فررتم

فررتم اي انهزمتم كما في نسخة يوم حنين وفي رواية افررتم كلكم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي لا حقيقة ولا صورة في العدو ولا عن يقينه في احسن عبادة ولكن خرج اي الى العدو شبان
اصحابه بضم الشين وتشديد الموحدة اي جماعة من الشباب اي ممن ليس لهم وقار ولا رأي عليه مدار ولهذا عبر
عنهم في رواية اخرى بقوله اخفاؤهم ولكن وفي سرعان الناس اي الذين يتسارعون الى الشيء من غير روية
ومعرفة كاملة كما يدل عليه قوله ليس عليهم كثير سلاح فلقوا قوما رماة اي لقيتهم هوازن بالنبل
في رواية كما في نسخة بدله لا يكاد يسقط لهم سهم في الارض فرشقوهم اي فرموهم رشقا ما كانوا يخطئون
قال النووي هذا الجواب اجاب به البراء بديع الادب لان تقدير الكلام فررتم كلكم فيقتضي ان النبي
صلى الله عليه وسلم وافقهم في ذلك فقال البراء لا والله ما فر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن
جماعة من اصحابه جرى لهم كذا وكذا فاقبلوا اي الشبان هناك اي في ذلك الزمان والمكان
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي متحيزين اليه والمعنى انه مع هذا لا يصدق عليهم الفرار لقوله
تعالى ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة وقد كان صلى الله عليه وسلم فئتهم
فان قلت ذكر في الحديث السابق وولى المسلمون مدبرين وفي هذا الحديث فاقبلوا فكيف
الجمع قلت المراد برجوعهم من المسلمين وقع لهم صورة الادبار ثم بعد توجهه صلى الله
عليه وسلم اليهم وسماعهم بصياح العباس حصل لهم سعادة الاقبال ودولة الانتقال
من صورة الفرار الى سيرة القرار ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء قال العسقلاني
وقع عند البخاري على بغلته البيضاء وعند مسلم من حديث العباس ان البغلة التي كانت تحته يوم حنين
اهداها له فروة بن نفاثة وهذا هو الصحيح وذكر ابو الحسن بن عبدوس ان البغلة التي ركبها يوم حنين
هي دلدل وكانت شهباء اهداها له المقوقس صاحب الاسكندرية واما التي اهداها له فروة
فقال لها فضة ذكره ابن سعد وذكر عكسه والصحيح ما في مسلم وابو سفيان بن الحارث يقوده
اي يمشي قدامه او يقود بغلته على حذف مضاف او فيه ويراد المركوب وهذا بظاهره يعارض ما تقدم
من ان العباس كان آخذا باللجام وان ابا سفيان كان آخذا بالركاب لكن يمكن حمله على التناوب
او على ان تلك الحالة لشدتها احتاج الى اثنين فنزل اي النبي صلى الله عليه وسلم واستنصر اي طلب
النصر والفتح لا منه كما في نسخة فقصته وفي نسخة فقال وقال انا النبي لا كذب انا ابن عبد
المطلب بسكون الباء فيهما على جري العادة في السجع والنظم وانما صدر هذا من مشكوة صدر
النبوة مستقيما على وزن الشعر بمقتضى طبعه الموزون من غير تعمد منه فلا يعد ذلك شعرا
قال القاضي قد غفر بعض الناس وقال الرواية انا النبي لا كذب بفتح الباء وعبد المطلب بالخفض
حرصا على تغيير الرواية ليستغني عن الاعتذار وانما الرواية باسكان الباء وقال الخطابي اختلف
الناس في هذا وما اشبهه من الرجز الذي جرى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره
واوقاته وفي تاويل ذلك مع شهادة الله تعالى بانه لم يعلم الشعر وما ينبغي له فذهب بعضهم الى
ان هذا وما اشبهه وان استوى على وزن الشعر فانه اذا لم يقصد به الشعر اذ لم يكن صدوره عن
نية له وروية فيه وانما هو اتفاق كلام يقع احيانا فيخرج منه الشيء بعد الشيء على بعض اعاريض
الشعر وقد وجد في كتاب الله العزيز من هذا القبيل وهذا مما لا يشك فيه انه ليس بشعر قال
النووي فان قيل كيف نسب نفسه الى جده دون ابيه وانتسب بذلك مع ان الافتخار من عمل
الجاهلية فالجواب انه صلى الله عليه وسلم كانت شهرته بجده اكثر لان اباه توفي شابا
قبل اشتهاره وكان جده مشهورا شهرة ظاهرة شايعة وكان سيد اهل مكة وكان مشتهرا عندهم
ان عبد المطلب بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه سيظهر ويكون شانه عظيما وكان اخبره بذلك سيف
ابن ذي يزن وجماعة من الكهان وقيل ان عبد المطلب رأى رؤيا تدل على ظهور النبي صلى الله

ن

ي

عليه وسلم وكان ذلك مشهورا اشدهم فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يذكرهم بذلك ويبنيهم بانه صلى
الله عليه وسلم لا بد له من ظهوره على الاعداء وان العاقبة له لتقوى نفوسهم واعلمهم ايضا انه ثابت يلازم
الحرب لم يول مع من ولي وعرفهم موضعه ليرجع اليه الراجعون وانما نزل لان النبي لا كذب بمعنا انا النبي
حقا فلا افر ولا ازول وفيه دليل على جواز قول الانسان في الحرب انا فلان او انا ابن فلان يعني انه
يجري على مقتضى العادة اظهارا للشجاعة العادة فلا يعد من باب الرياء والسمعة ثم اي بعد
ما اجتمع المسلمون ورجع الشبان المسرعون صفهم اي جعلهم صفا فيكانهم بنيان مرصوص رواه
مسلم وللبخاري معناه اي ما معنى الحديث متفق عليه في مواده وفي رواية لهما قال البراء كنا والله اذا
احمر الباس اي اشتد الحرب من قولهم موت احمر وقال النووي احمرار الباس كناية عن اشتداد الحرب
واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة او لاستعار نار الحرب واشتعالها كما في الحديث السابق حمي الوطيس
نتقي به اي نلتجي اليه ونطلب الاحتماء بسببه وان الشجاع بضم اوله اي البليغ في الشجاعة
منا للذي يحاذيه اي يوازيه ويحاذي منكبيه بمنكبه والمعنى ان احدا لم يقدر حينئذ على التقدم
عليه تماما الا ان يكون رجلا قابلا عنه وشجيعا يتقدم ذنبه ويلوذ اليه يعني اي يريد البراء بالضمير في به
النبي صلى الله عليه وسلم وفيه بيان شجاعته وعظيم وثوقه بالله سبحانه وعن سلمة بن الاكوع قال غزونا
اي الكفار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا اي يوم حنين فولى صحابة رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي بعضهم فلما غشوا على زنة رموا والضمير للكفار اي لما قاربوا غشيانه نزل عن البغلة
فقبض قبضة من تراب من الارض ثم استقبل به اي بالتراب وجوههم فقال اي دعاء او خبرا
شاهت الوجوه اي تغيرت وقبحت فما خلق الله منهم انسانا اي فما بقي منهم احد الا ملا عينيه ترابا
بتلك القبضة والتعبير بما خلق الله زيادة للتكثير والتاكيد وتقرير الحصر على وجه التابيد قال
الطيبي فيه بيان المعجزة من وجهين احدهما ايصال التراب تلك القبضة الى اعينهم جميعا وثانيهما
انها ملات عين كل واحد منهم من تلك القبضة اليسيرة وتمام رمية الالاف بهم ضاقت بهم من الامداد
سائر الغيب بذلك وان انهزامهم بذلك كما يشير اليه قوله فولوا مدبرين حال موكدة
او منقلبين اي غير راجعين فهزمهم الله اي ونصر رسوله واستجاب دعاءه وجمع له بين عز النجاة وحسن
الحال وغنيمة المال ولذا قال وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين
رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال شهدنا اي حضرنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم حنينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل اي في حقه وشانه ممن معه يدعي الاسلام
حالا واستقبالا بيان قال النووي اسم الرجل قزمان قاله الخطيب البغدادي وكان من المنافقين
كذا في جامع الاصول هذا من اهل النار بمعنى المخذول فلما حضر القتال اي وقته قاتل الرجل من
اشد القتال وكثرت به الجراح بكسر الجيم جمع الجراحة على ما في القاموس فجاء رجل اي منهم فقال
يا رسول الله ارايت الذي تحدث اي اخبرني عن حال من اخبرت عنه انه من اهل النار فانه قد قاتل
في سبيل الله من اشد القتال فكثرت به الجراح اي وظاهر حاله انه من اهل الجنة لانه قاتل في سبيل
الله اشد القتال ورد عليه فقال اما انه من اهل النار اي القول ما قلت لك وان ظهر لك خلافه لانه
لا عبرة بصورة الاعمال وانما المدار على حسن الاحوال وخاتمة الاعمال فكاد اي قرب بعض
الناس اي بعض المسلمين ممن له ضعف في الدين وقلة معرفة بعلم الغيب يرتاب اي يشك في امره
لقوله انه من اهل النار فبينما هو اي الرجل على ذلك اي ما ذكر من بهم الحال اذ وجد الرجل الم الجراح
فاهوى بيده اي قصد ومال الى كنانته بكسر اوله اي جعبته وهي ظرف سهمه فانتزع سهما
اي نزعه واخرجه فانتحر اي نحر نفسه بها اي بالمعبلة التي من كنانته في السهم كمكنسة نصل عريض طويل
على ما في القاموس والحاصل انه لما كان الخبث باطنا وقتل نفسه فاشتد رجال من

المسلمين اي عدوا واسرعوا قاصدين ومتوجهين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول
الله صدق الله حديثك بتشديد الدال اي جعله صادقا اي حققه وفي نسخة بتخفيفها اي صدق
في اخبارك المطابق للواقع قد انتحر فلان وقتل نفسه عطف تفسير وبيان فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر اشهد اني عبد الله ورسوله قال شارح هذا كلام يقال عند امر
فرح عليه السلام حين ظهر صدقه وقال الطيبي تعجب وتعجب وحال من نوع ما اخبر عنه تعظيما لله تعالى
حمدا وشكرا لتصديق قوله وان يكون كسر النفس ودفعها في لا يتوهم انه من عنده وبتصرفه قوله
يا بلال قم فاذن اي فاعلم الناس انه لا يدخل الجنة الا مؤمن اي خالص احترازا عن المنافق
او مؤمن كامل فالمراد دخولها مع الفائزين دخولا اوليا غير مسبوق بعذاب وان الله ليؤيد هذا
الدين بالرجل الفاجر اي المنافق او الفاسق ممن يظهر رياء او يختلط به معصيته وربما يكون عملا به
سوء الخاتمة نسال الله العافية والجملة يحتمل ان تكون داخلة تحت الاذن او استئناف بيان
لاختلاف احوال العالمين ومن نظائره من يصنف او يدرس او يعلم او يتعلم او يوذن او يوم
او يا ثم واشاد ذلك كمن بنى مسجدا او مدرسة او زاوية لغرض فاسد وقصد كاسد مما يكون
سببا لنظام الدين وقوام المسلمين وصاحبه من جملة المحرومين جعلنا الله تعالى من المخلصين
رواه البخاري وكذا مسلم وفي الجامع ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم رواه
النسائي وابن حبان عن انس واحمد والطبراني عن ابي بكرة وفي رواية للطبراني عن ابن عمر بلفظ
ان الله تعالى ليؤيد الاسلام برجال ما هم من اهله وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت
سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي سحره يهودي حتى انه ليخيل اليه بصيغة المفعول اي
ليظهر انه يفعل الشيء اي العذاب مثلا وما فعله اي والحال انه ما فعل ذلك الشيء وفي معنى الاول انه
غلب عليه النسيان بنوعهم من خبث الشيطان انه فعل الشيء الفلاني وما فعله او انه فعله
وقد فعل وذلك في امر الدنيا لا في امر الدين ونظيره ما قال تعالى في حق موسى فاذا حبالهم
وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اي والحال انها لا تسعى بل انهم لطخوها بالزيبق فلما حر
عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك قال النووي قد انكر بعض المبتدعة هذا الحديث
وزعم انه يحط من منزلة النبوة فلذلك وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع وهذا الذي ادعاه باطل
لان الدلائل القطعية تدل على صدقه وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك
وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل فاما ما يتعلق ببعض امور الدنيا التي لم يبعث لاجلها
فهو مما يعرض للبشر فغير بعيد ان يخيل اليه من السحر وقد قيل انه انما كان يتخيل اليه ما يجد
ولكنه لم يعتقد صحته وكانت معتقداته على الصحة والسداد قلت ويمكن ان يعتقد
صحة ما لم يتعلق بالدين ثم ينبه عليه ويتبين له صحيح الاعتقاد كما قال تعالى لموسى لا تخف انك
انت الاعلى وقد يعني يتخيل اليه اي يظهر له من نشاطه انه قادر على اتيان النساء فاذا دنا
منهن اخذته اخذة السحر فلم يتمكن من ذلك قال النووي وكل ما جاء من انه يخيل شيئا لم يفعله
فمحمول على التخيل بالبصر لا بالعقل وليس فيه ما يطعن بالرسالة قال المظهر واما ما زعموا
من دخول الضرر في الشرع باثباته فليس كذلك لان السحر انما يعمل في ابدانهم وهم بشر يجوز عليهم
من العلل والامراض ما يجوز على غيرهم وليس تاثير السحر في ابدانهم باكثر من القتل وتاثير السم
وعوارض الاسقام فيهم وقد قتل زكريا وابنه وسم نبينا صلى الله عليه وسلم واما امر الدين
فانهم معصومون فيه بعصمة الله عز وجل وارصدهم له ووعد ذكره حافظ لدينه وخادم لوحيه
ان يلحقه فساد وتبديل بان لا يطول ذلك بل يزول سريعا وكانه ما مر من بين الحلول تنبيه على
انهم بشر مثلكم وعلى ان السحر تاثيره حق فانه اذا اثر في اكمل الانسان فكيف عمن هو دون ذلك

ذات يوم بالنصب ويجوز الرفع ذكره العسقلاني لكن الرفع لا يلائم قولها عندي دعا الله ودعاه
كرر للتأكيد او للتكثير اي وأكثر الدعاء قال الطيبي اي دعا عقب دعاء واستمر عليه وتردد في هذا التأويل
الرواية الاخرى ثم دعا ثم دعا قال النووي هذا دليل لاستحباب الدعاء عند حصول الامور المكروهة
وحسن الالتجاء الى الله تعالى ثم قال اشعرت اي اعلمت يا عائشة ان الله تعالى قد افتاني اي بين لي
فيما استفتيته اي فيما طلبت بيانه لا من منه وكشفه عنه ثم بينه بقوله جاءني رجلان اي ملكان في
صورة رجلين جلس احدهما عند رأسي والآخر عند رجلي وفي نسخة بالتثنية ثم قال احدهما لصاحبه
ما وجع الرجل اي ما سبب تعبه الذي بمنزلة وجعه قال مطبوب اي هو مسحور فيقال طب الرجل
اذا سحر يكنوا بالطب عن السحر كما كنوا بالسليم عن اللديغ قال اي الآخر ومن طبه قال لبيد بن الاعصم
اليهودي قيل اي بناته لقوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد اي النساء او النفوس السواحر
التي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن فيها والنفث النفخ مع ريق قال القاضي وتخصيصه بالنفوذ
لما روي ان يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض
النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت المعوذتان واخبره جبريل بموضع السحر فارسل عليا رضي الله
تعالى عنه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق
الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر انتهى والظاهر ان ذلك قضية اخرى
فانها مغايرة لما في هذا الحديث ويمكن الجمع بينهما بوقوع نوعين من السحر له صلى الله عليه وسلم
ليكون اجره مرتين وان احدهما وهو ما في هذا الحديث وقع من لبيد والآخر من بناته والله اعلم
قال اي الآخر فيماذا اي سحره في اي شيء قال في مشط بضم الميم وفي القاموس المشط مثلثة
وككتف وعنق وعتل ومنبر ما يمتشط به ومشاطة بضم الميم ما سقط من شعر الرأس واللحية
عند تسريحه بالمشط وجف طلعة ذكر بضم الجيم وتشديد الفاء وهو وعاء طلع النخل وطلعة ذكر
على الاضافة واراد بالذكر فحل النخل قيل ويروى جب بالباء الموحدة اي داخل طلعة ذكر النووي
الجف بضم الجيم والفاء هكذا هو في اكثر بلادنا وفي بعضها جب بالباء وهما بمعنى وهو وعاء طلع
النخل ويطلق على الذكر والانثى فلهذا اضافه في الحديث طلعة الى ذكر اضافة بيان قال فاين
هو اي ما ذكر من ما سحر به قال في بئر ذروان بفتح الذال المعجمة قال شارح وفي كتاب مسلم
في بئر ذي اروان قيل هو الصواب لان ذروان بالمدينة اشهر من ذروان على مسيرة ساعة من
المدينة وفيه بني مسجد الضرار قلت لو اراد ان تنوع في هذا المقام والله اعلم بالمرام وقال النووي
وفي كتاب مسلم في بئر ذي اروان وكذا وقع في بعض روايات البخاري وفي معظمها ذروان
وكلاهما صحيح مشهور والاول اصح واجود وهي بئر في المدينة في بستان بني زريق فذهب
النبي صلى الله عليه وسلم في اناس اي مع جمع من اصحابه اي المخصوصين الى البئر فقال هذه
البئر التي اريتها بصيغة المفعول وكان بالتشديد ماءها نقاعة الحناء بضم النون اي لونه والمعنى
ان ماءها متغير لونه مثل ما ينقع فيه الحناء والنقاعة ما يخرج من المنقوع وكان نخلها رؤس
الشياطين قال التوربشتي اراد بالنخل طلع النخل وانما اضافه الى البئر لانه كان مدفونا فيها
وانما شبهه بذلك برؤس الشياطين لما شاهدوا عليه من الوحشة والنفرة وقبح المنظر وكان
العرب يعدون صور الشياطين من اقبح المناظر ذهابا في الصورة الى ما يقتضيه المعنى وقيل اراد
بالشياطين الحيات الخبيثات العرمات وانما كان ذلك لان شأن هذا المنظر في الحديث
منسوق على نمط الكتاب في التمثيل قال تعالى كأنه رؤس الشياطين فاستخرجه اي ما ذكر
مما سحر به متفق عليه وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال بينما نحن اي حاضرون
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما قال التوربشتي القسم مصدر قسمت الشيء

فالقسم

فالقسم مثل الشيء المقسوم وهو الغنيمة بالمصدر والقسم بالكسر الحظ والنصيب ولا وجه للمكسورة
في الحديث لانه يختص بها اذا الفرد نصيب وهذا القسم كان في غنائم حنين قسمها بالجعرانة اتاه
ذو الخويصرة بتصغير الخاصرة وهو رجل من بني تميم قبيلة كبيرة شهيرة ونزل فيه قوله تعالى
ومنهم من يلمزك في الصدقات فهو من المنافقين وسيجيء انه من اصله يخرج الخوارج قال شارح وانما نزل
شارح هو رئيس الخوارج لتغيبه منشأ لخلافة ولظهورهم في زمن علي كرم الله وجهه فقال
يا رسول الله اعدل الظاهر انه اراد بذلك التسوية كما هو عادة اهل النفاق بان يراد بالعدل
التسوية وليست الحق اللائق بكل احد العدل الذي في مقابل الظلم لكنه صلى الله عليه وسلم
علم بنور النبوة او ظهور الفراسة او قرينة الحالية فانه صلى الله عليه وسلم كان في اعطائه يري
نظر الحاجة والفاقة وغيرها من المصلحة فتغيير انه اراد المعنى الثاني او لان التسوية في
مكان ينبغي التفاضل نوع من الظلم فغضب عليه فقال ويلك فمن يعدل اذا لم اعدل قد
خبت بكسر الخاء المعجمة وسكون الموحدة وفتح الخطاب اي حرمت المقصود وخسرت في الخطاب
ايضا ان لم اكن اعدل قال التوربشتي وانما رد الخيبة والخسران الى المخاطب على تقدير عدم العدل
منه لان الله تعالى بعثه رحمة للعالمين وبعثه ليقوم بالعدل فيهم فاذا قدر انه لم يعدل
فقد خاب المعترف بانه مبعوث اليهم فخاب وخسر لان الله لا يحب الخائنين فضلا من ان يرسلهم
الى عباده انتهى وخلاصته انه اذا حكم ذلك القائل بانه لا يعدل فقد خاب القائل وخسر
بهذا الحكم فقال عمر ائذن لي اضرب عنقه بالجزم ويجوز رفعه وفي نسخة صحيحة ان اضرب عنقه
فقال دعه اي اتركه في شرح السنة كيف منع النبي صلى الله عليه وسلم من قتله مع انه قال لئن ادركتهم
لاقتلنهم قيل انما اباح قتلهم اذا كثروا وامتنعوا بالسلاح واستعرضوا الناس ولم يكن هذه
المعاني موجودة حين منع من قتلهم واول ما نجم ذلك في زمان علي رضي الله تعالى عنه وقاتلهم
حتى قتل كثيرا منهم انتهى والاظهر ما ذكره الاكمل حيث قال فيه دلالة على حسن اخلاقه صلى الله عليه
وسلم وانه ما كان ينتقم لنفسه لانه قال اعدل وفي رواية اتق الله وفي اخرى ان هذه القسمة
ما عدل فيها وكل ذلك يوجب القتل لانه انتقص النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا الرقى لواحد
عمر بالحكم بكفره او ارتداده انتهى وهذا لا ينافي تعليل منعه من قتله بقوله فان له اصحابا
اي اتباعا سيوجدون من نسله يحقر احدكم صلاته اي كميته وكيفيته مع صلاتهم اي في جنب
صلاتهم المزينة المحسنة للرياء والسمعة وصيامه مع صيامهم اي في تزيينهم قال شارح
فيه تنبيه على انهم يصلون وانه نهي عن قتل المصلين انتهى وفيه انه ليس هذا النهي على اطلاقه
يقرؤن القرآن استئناف بيان اي يداومون على تلاوته ويبالغون في تجويده وترتيله
ومراعاة مخارج حروفه وصفاته لا يجاوز تراقيهم اي حال كونه لا يجاوز زعمهم وفهمهم على حلوقهم
وهو كناية عن عدم صعوده بعملهم وعدم قبوله لانهم قال شارح والتراقي جمع ترقوة وهي العظم
بين ثغرة النحر والعاتق قال التوربشتي انه لا يتخلص عن السنتهم وآذانهم الى قلوبهم وقال القاضي اي
لا يجاوز آذانهم الى قلوبهم فلا تؤثر فيها او لا ينصاع عند مخرج الحروف وحيز الصوت
الى محل القبول والاثابة يمرقون بضم الراء اي يخرجون من الدين اي من طاعة الامام او من اهل
الاسلام ويمرون عليه سريعا من غير حظ وانتفاع به كما يمرق السهم من الرمية بفتح بالتشديد للتحتية
فعيلة بمعنى مفعولة وهي الصيد ويقال مرق السهم من الرمية اذا خرج من الجانب الآخر وخرج
السهم ومروره بجميع اجزائه وتنزهه عن التلوث بما يمر عليه من فرث ودم قال شارح شبههم
في ذلك بالرمية لاستيحاشهم بما يرمون به من القول انتهى ثم وصف السهم به في سرعة
تخلصه وتنزهه عن التلوث بما يمر عليه من فرث ودم لبيين المعنى المقصود به فقوله ينظر الى نصله

بصيغة المجهول إلى رصافه بضم الراء وبكسر ويدل وهو عصب يلوى فوق مدخل النصل إلى نضيه بفتح
فكسر فتشديد وهو قدحه بكسر القاف وهو ما جاوز الريش إلى النصل المنقول لأنه بري حتى صار نضوا
فهو مجاز باعتبار ما كان وهو جملة معترضة من كلام الراوي تفسير للنضي ثم ينظر إلى قذذه من
كلامه صلى الله عليه وسلم وهو جمع قذة بضم القاف وتشديد الذال المعجمة ريش السهم
قال القاضي أخبر متعلقات الفعل في سبيل التعداد على التنسيق فلا يوجد فيه أي في السهم
أو في كل واحد من المذكورات شيء أي من الفرث والدم والحال أنه السهم أو كل واحد منها قد سبق
الفرث والدم أي تعديهما والمعنى كما نفذ السهم في الرمية بحيث لم يتعلق به شيء من الروث والدم
كذلك دخولهم في الإسلام ثم خروجهم منه سريع بحيث لم يؤثر فيهم هذا وقيل المراد بالنصل القلب
الذي هو المؤثر والمتأثر فإذا نظر في القلب فلا يجد فيه أثرا مما شرع فيه من العبادة وبالرصاف الصدر
الذي هو محل الانشراح بالأوامر والنواهي فلم يتبين له ذلك ولم يظهر فيه أثر السعادة وبالنضي البدن
والمعنى أن البدن وإن تحمل تكاليف الشرع من الصلاة والصوم وغير ذلك لكنه لم يحصل له منه
فائدة وبالقذة أطراف البدن التي هي بمنزلة الآلات لأفعال الحسنات أي لم يحصل له بهما ما يحصل لأهل
السعادة آيتهم أي علامتهم التي يعرفون بها الكائنة فيهم والكائنة منهم رجل أسود أي ظاهرا أو باطنا إحدى
عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة بفتح الموحدة أي قطعة اللحم وأو للتنويع في التشبيه
أو للشك من الراوي تدردر بحذف إحدى التاءين أي تضطرب وتجيء وتذهب وقال الطيبي أي تحرك
وتتحرك ما وجانبا انتهى وظاهره أنه جعله فعلا ماضيا وهو خلاف ما عليه الأصول أي المضبوط
ويخرجون عطف على يمرقون على خير فرقة أي في زمانهم من الناس يريد عليا وأصحابه رضي الله تعالى
وفي رواية على حين فرقة بضم الفاء فعلى بمعنى في أي يظهرون في حين تشتت أمر الناس واضطراب
أحوالهم وظهور المحاربة فيما بينهم قال أبو سعيد أي الخدري راوي الحديث أشهد أي أحلف إني سمعت
هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه أي فهو من
معه الفرقة فأمر أي علي بذلك الرجل أي بطلب ذلك الرجل الذي آيتهم وعلامتهم فالتمس بصيغة
المجهول أي نطلب وأخذ فأتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعته أي
سابقا وفي رواية قال ابن الملك أي بدل أتاه ذو الخويصرة في أول هذا الحديث أقبل رجل غائر
العينين اسم فاعل من الغور أي غارت عيناه ودخلتا في رأسه ناتئ الجبهة بكسر الفوقية
بعد همز أي مرتفعها كث اللحية بفتح فتشديد مثلثة أي كثيفها مشرف الوجنتين أي عالي الخدين
محلوق الرأس أي لأن المبالغة في النظافة والتأكيد في قطع التعلق وهو مخالفة لطائفة
لما عليه أكابر أصحابه صلى الله عليه وسلم من إبقاء شعر رأسه وعدم حلقه إلا بعد فراغ النسك
غير علي كرم الله وجهه فإنه كان يحلق كبير المانز من سببه ووجهه فقال يا محمد اتق الله أي
في نسبك فقال فمن يطع الله أي ينبغيه من أمتي إذا عصيته أي مع عصمتي وثبوت نبوتي فيأمنني
الله أي يجعلني أمينا على أهل الأرض ولا تأمنوني بتشديد النون وتخفيف والخطاب على وجه الفتا
الذي يكون بحضرته وقومه فسأل رجل وهو عمر رضي الله تعالى عنه كما سبق قتله أي تجويز قتله فمنعه أي
لما تقدم فلما ولى أي الرجل قال إن من ضئضئ هذا بكسر معجمتين وبهمزتين بينهما لام وليهما أي من
نسله وعقبه على ما في النهاية وقال النووي من ذهب إلى أنهم يتولدون منه فقد أبعد
إذ لم يذكر في الخوارج قوم من نسل ذي الخويصرة ثم إن الزمان الذي قال فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا القول إلى أن نابذ المارقة عليا رضي الله تعالى عنه وحاربوه لا يحتمل ذلك بل معناه
أي من الأصل الذي هو منه في النسب أو من الأصل الذي هو عليه في المذهب قوما يقرؤون القرآن
لا يجاوز أي يعدوهم حناجرهم أي ظواهرهم ولا يؤثر في بواطنهم يمرقون من الإسلام أي من كماله

النبال لإمام استدل به من كفر الخوارج وقال الخطابي المراد بالإسلام هنا طاعة الإمام مروق السهم
أي كخروج سهم سريعا من الرمية أي من الصيد المرمي بها فيقتلون أهل الإسلام أي لتكفيرهم إياهم بسبب ارتكاب
الكبائر ويدعون بفتح الدال أي يتركون أهل الأوثان أي أهل عبادة الأصنام وغيرهم لئن أدركتهم
لأقتلنهم قتل عاد أي استئصالهم بالهلاك فإن عادا لم يبق منهم أحد وإنما أهلكت
بالريح واستؤصلت بالإهلاك قيل دل الحديث على جواز القتل إذا اجتمعوا ونصبوا حربهم
ولذلك منع من قتل ذلك الرجل انتهى وفيه أن منعه من قتله لم يكن لانفراده بل لسبب آخر بيناه فيما تقدم
والله أعلم متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كنت أدعو أمي إلى الإسلام
وهي مشركة حال مؤكدة أو المراد بها أنها مستمرة في الشرك فدعوتها يوما أي إلى الإسلام ومنها
شديد الإنعام فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم أي في حقه وشأنه ما أكره أي شيئا
أكرهه من الكلام وأكره ذكره بين الأنام فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي أي من
الحزن والغضب حيث لم أقدر على تأديبها كونها أمي قلت وفي نسخة فقلت يا رسول الله ادع
الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال اللهم اهد أم أبي هريرة فخرجت مستبشرا أي مسرورا مسرعا
بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم فلما جئت أي وصلت إلى الباب أي باب أمي فإذا هو أي الباب مجاف
أي مردود منه الحديث أجيفوا أبوابكم أي ردوها كذا في النهاية فسمعت أمي خشف قدمي بالمثلثة
وفي نسخة بالإفراد أي حركتهما وخشخشتهما وهو بفتح الخاء وسكون الشين المعجمتين
ويحرك على ما في القاموس فقالت مكانك بالنصب أي الزمه يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء
أي تحريكه وفيه صوته فاغتسلت ولبست درعها بكسر الدال أي قميصها وعجلت بكسر الجيم
عن خمارها أي تركت خمارها من العجلة يقال عجلت عنه تركته والمعنى أنها بادرت إلى فتح الباب
بعد لبسها الثياب قبل أن تلبس خمارها وهذا معنى ما قال الطيبي أي عجلت لفتح متجاوزة عن
خمارها ففتحت الباب أي بعد ما رفع عنها الحجاب ثم قالت يا أبا هريرة
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأنا أبكي من الفرح فحمد الله وقال خيرا أي قولا خيرا وكلاما يتضمن خيرا والتقدير وصلت يا أبا
هريرة خيرا بإسلام أمك رواه مسلم وعنه أي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال إنكم أي معشر
التابعين وقيل الخطاب مع الصحابة المتأخرين تقولون أكثر أبو هريرة أي الرواية عن النبي صلى الله
عليه وسلم والله الموعد أي موعدنا فيظهر عنده صدق الصادق وكذب الكاذب لأن الأسرار تنكشف
هناك وقال الطيبي أي لقاء الموعد يعني به يوم القيامة فهو يحاسبني على ما أزيد وأنقص
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار
وإن إخوتي أي إخواني وأصحابي من المهاجرين كان يشغلهم بفتح الياء والغين وأما الضم
والكسر فلغة قليلة أو رديئة أي يمنعهم الصفق بفتح فسكون أي ضرب اليد على اليد عند البيع
قال الطيبي هو كناية عن العقود في البيع والشراء وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل
أموالهم أي المواضع التي فيها نخلهم والحاصل أن المهاجرين كانوا أصحاب تجارات والأنصار
أصحاب زراعات وكنت امرأ مسكينا أي عاجزا عن مال التجارة وأسباب الزراعة ألزم رسول
الله صلى الله عليه وسلم أي صحبته وخدمته على ملء بطني قال الطيبي هو حال أي ألزمه
صلى الله عليه وسلم قانعا بما يملأ بطني نقدا وفي معناه قول الشاعر

فإن ملكت كفا قوتا تكن به ... قنيعا فإن المستغني لله ...

وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوما لن يبسط أي لن يفرش أحد منكم ثوبه حتى أقضي أي أفرغ من مقالتي
هذه كأنه إشارة إلى دعاء دعاه حينئذ ذكره الطيبي وقيل كانت مقالته دعاء للصحابة بالحفظ

والفهم والاظهر ان المراد بها الكلام الذي كان شرع فيه ثم جمعه بالنصب والرفع اي بضم ثوبه الي صدره
ينسي من مقالتي اي من احاديثي شيئا ابدا قال الطيبي هو جواب النفي علي تقدير ان فيكون عدم النسيان
شيئا من المذكورات كلها واوثرت لن لتاكيد النفي دلالة علي ان النسيان بعد ذلك كالمحال ذكره ابن الملك
مقالتي شيئا الشارة الي الجنس المقالات كلها بسطت نمرة بفتح النون وكسر الميم قال الطيبي اي
شملة مخططة من مآزر الاعراب وجمعها نمار كانها اخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض
حتي قضي النبي صلي الله عليه وسلم مقالته اي تلك ثم جمعتها الي صدري فوالذي بعثه بالحق ما نسيت
من مقالته اي من جنس مقالته تلك فلا تحتمل لما ذكرنا عنا ان معناها هو القول
والكلام قال الطيبي الشارة الي جنس المقالة باعتبار المذكور في يومي هذا وتنوعت روايات هذا الحديث
متفق عليه وعن جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الا تريحني
اي من الاراحة وهي اعطاء الراحة اي الا تخلصني من ذي الخلصة بفتحتين وهو بيت كان فيه صنم يدعي
كعبة اليمانية والخلصة اسم طاغيتهم التي كانت فيه الا الاشرف فيه اي انما اراد النفوس الزكية
الكاملة المكملة ان يخلو بما هو علي خلاف ما ينبغي من عبادة غير الله تعالي وغيرها مما لا يجوز
ولا ينبغي فقلت بلي وكنت لا اثبت علي الخيل بل كنت اقع عنها احيانا فذكرت ذلك اي عدم الثبوت
للنبي صلي الله عليه وسلم فضرب بيده في صدري حتي رايت اثر يده اي تاثيرها لقوة ضربها
في صدري وقال اللهم ثبته اي ظاهرا وباطنا واجعله هاديا اي لغيره مهديا بفتح وتشديد
الياء اي مهتديا في نفسه لا يرتفع عن هديه قال فما وقعت اي سقطت عن فرسي بعد اي بعد
ذلك الدعاء او بعد ذلك اليوم فانطلق قال الطيبي هو من كلام الراوي وقيل هو من كلام جرير
بتنبيه الالتفات والمعني فذهب جرير في مائة اي مع مائة وخمسين فارسا من احمس اي من قوم قبيلة
والاحمس الشجاع نعت لهم لانهم من قريش وهم من ولدت قريش وكانت توجد بهم الحمس سموا حمسا
لانهم تحمسوا في دينهم اي تشددوا واحكما سنة الشجاعة واصلها انهم كانوا متقلين في الدين والقتال
فلا يستظلون ايام مني ولا يدخلون البيوت من ابوابها واشال ذلك فحرقوها اي وبشدة بالراء
اي احرق جرير الخلصة وكسرها اي وابطلها متفق عليه وعن انس قال ان رجلا اي لم يعرف اسمه
وقيل هو عبد الله بن ابي السرح وقيل انه غلط فانه مات مسلما بل هو رجل كان نصرانيا فاسلم
وقرا البقرة وال عمران كان يكتب اي الوحي للنبي صلي الله عليه وسلم فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين
اي فعاد نصرانيا وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فقال النبي صلي الله عليه وسلم ان الارض لا تقبله
فاماته الله فدفنوه فاصبح ولفظته الارض فقالوا هذا فعل محمد واصحابه نبشوا عن صاحبنا
فالقوه فحفروا له فاعمقوا فاصبح ولفظته الارض فعلموا انه ليس من
الناس اي الفعل قال انس فاخبرني ابو طلحة وهو زوج ام انس انه اي ابا طلحة اتي الارض التي مات
فيها فوجده منبوذا اي مطروحا ملقي علي وجه الارض فقال ما شان هذا فقالوا دفناه مرارا فلم
تقبله الارض متفق عليه وعن ابي ايوب قال خرج النبي صلي الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس
اي سقطت وغربت ومنه قوله تعالي فاذا وجبت جنوبها فسمع صوتا يحتمل انه سمع صوت
ملائكة العذاب او صوت يهود المعذبين او صوت وقع العذاب وعند الطبراني بما يؤيد الثاني
وكذا ظاهر ما بينته رواية صلي الله عليه وسلم فقال يهود اي هذا يهود اي صوته يعني صوت جماعة من اليهود
تعذب في قبورها فيه اثبات عذاب القبر وهو معجزة من حيث كشف احوالهم متفق عليه وعن جابر قال
قدم النبي صلي الله عليه وسلم من سفر فلما كان قرب المدينة بالنصب علي نزع الخافض والخبر متعلقه
اي فلما كان النبي صلي الله عليه وسلم واصلا بقربها هاجت اي ثارت وظهرت ريح اي عظيمة تكاد ان
تدفن الراكب بكسر الفاء اي تغيبه عن النظر من شدتها وكثرة ترابها فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم
بعثت هذه الريح بصيغة المجهول اي ارسلت لموت منافق اي لاجل موت منافق فقدم المدينة فاذا عظيم
من المنافقين قد مات قيل هو رفاعة بن زيد والسفر سفرة تبوك وقيل رابغ والسفرة غزوة بني
المصطلق رواه مسلم وكذا البخاري وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالي عنه قال خرجنا اي من
مكة مع النبي صلي الله عليه وسلم حتي قدمنا عسفان بضم اوله في القاموس عسفان كعثمان موضع علي مرحلتين
من مكة وقال شارح اي راجعين من السفر ووصلنا الي عسفان موضع قريب المدينة فالظاهر انه
سهو غلط بل هو علي مرحلتين من مكة ذكره المغرب وغيره فاقام بها اي بتلك البقعة او القرية ليالي اي
وايام فقال الناس اي بعضهم لبعض ما نحن هاهنا في شيء اي من الدين او الدنيا واليقين ما نحن هنا في شيء اي شغل
وعمل او في شيء من امر الحرب وان عيالنا لخلوف بالضم اي لغائبون او نساء بلا رجال فيقال حي خلوف
اذا لم يبق منهم الا النساء والخلوف ايضا الحضور المتخلفون والجملة حال وقوله ما نامن عليهم في عيالنا
خبر بعد خبر ولعل تذكير الضمير للتغليب او تنزيلا منزلة الرجال في الجلادة والشجاعة فبلغ ذلك النبي
صلي الله عليه وسلم اي في رواية هذا الكلام فقال والذي نفسي بيده ما في المدينة شعب بكسر الشين
المعجمة طريق في الجبل ولا نقب اي طريق بين الجبلين اي ليس في المدينة ما يطلق عليه الشعب والنقب
الا عليه ملكان يحرسانها بضم الراء اي يحفظانها بامر الله تعالي حتي تقدموا بفتح الدال اي ترجعوا اليها
قال الطيبي قوله عليه اي علي كل واحد من الشعب والنقب والضمير في يحرسانها راجع الي المدينة
والمراد شعبها ونقبها فلذا اظهر اذ يراد بهما جميعها ثم قال ارتحلوا فارتحلنا واقبلنا الي المدينة
اي متوجهين اليها فوالذي يحلف به اي بالله سبحانه ما وضعنا رحالنا اي متاعنا عن ظهور رحالنا
حين دخلنا المدينة حتي اغار علينا اي معشر المدينة بنو عبد الله بن غطفان بفتح المعجمة فالمهملة
والمعني ان المدينة حال غيبتهم عنهم كانت محروسة كما اخبر النبي صلي الله عليه وسلم انجازا ولم يكن
ما نعا من الاغارة والتهييج عليها الا حراسة الملائكة وهذا معني قوله وما يهيجهم بتشديد الياء
ما يثيرهم الي الغارة علي الاعادة قبل ذلك اي قبل دخولنا المدينة شيء اي من البواعث وقال شارح
اي قبل الغارة وهو ليس بشيء رواه مسلم وعن انس رضي الله تعالي عنه قال اصابت الناس سنة
اي قحط علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم اي في زمانه فبينا النبي صلي الله عليه وسلم يخطب يوم
الجمعة قام اعرابي فقال يا رسول الله هلك المال اي المواشي لانها اكثر اموالهم وهلاكها اما
بفقرها او بموتها وجاع العيال وهو بكسر العين من تلزمه النفقة من الاهل فادع الله لنا
اي متضرعا اليه فرفع يديه بالسؤال لديه وما نرى في السماء قزعة بفتح القاف والزاي
اي قطعة من السحاب فوالذي نفسي بيده ما وضعها اي يديه واورد الضمير باعتبار ارادة الجنس
حتي ثار السحاب اي سطع وظهر جنس السحاب ظهورا كاملا امثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره
حتي رايت المطر يتحادر اي ينزل ويقطر وهو تفاعل من الحدور ضد الصعود يتعدي ولا
يتعدي والمعني حتي نشا نقط المطر علي لحيته وقيل يريد ان السقف قد وكف حتي نزل الماء
عليه ذكره ابن الملك ولا يخفي بعده فمطرنا بصيغة المفعول اي جاءنا المطر يومنا اي تلك يومنا ذلك
ومن الغد ومن بعد الغد يحتمل ان يكون من تبعيضية والاظهر انها ابتدائية لقوله حتي
الجمعة الاخري اي الي الجمعة الاخري حالا اي وقد قام ذلك الاعرابي بقوله بعينه او غيره
من الاعراب او من غيرهم قال الحافظ العسقلاني وفي رواية ثم دخل في الجمعة المقبلة وهو
ظاهره انه غير الاول وفي رواية حتي جاء ذلك الاعرابي في الجمعة الاخري وهذا يقتضي الجمع بكونه
واحدا فلعل الراوي نساه ذكره بعد ان نسيه بعد ان ذكره فلينا ويحتمل انه تردد فيه كون القائم الثاني
هو الاول لكن غلب علي ظنه انه هو فعبر عنه بالجزم وتارة انه غيره فعبر عنه بالتنكير وتارة
اتي بصيغة الشك لانه استوي الامران عنده فالشك منه لا من غيره والله اعلم فقال اي القائم

بعثت

يا رسول الله تهدم بتشديد الدال اي خرب البناء وغرق المال بكسر الراء اي صار غريقا فادع الله لنا فرفع
يديه فقال اللهم حوالينا اي امطر حوالينا بفتح اللام اي في مواضع المنابت الحاصلة لنا ثم اكده بقوله
ولا علينا اي لا تمطر في مواضع المضرة الواقعة علينا قال العسقلاني اي انزل الغيث في مواضع النبات
لا في الابنية يقال قعدوا حوله وحواله وحوليه وحواليه بفتح اللام ولا يقال حواليه بكسر اللام قاله
الجوهري وغيره ثم قال وفي قوله ولا علينا بيان للمراد بقوله حوالينا ثم في ادخال الواو هنا معنى
لطيف وذلك لانه يقتضي ان طلب المطر على حوالينا ليس مقصودا لعينه بل ليكون وقاية من اذى المطر
قلت الواو خالصة للعطف لكنها للتعليل كقولهم تجوع الحرة ولا تاكل بثدييها فان الجوع
ليس مقصودا لعينه لكن لكونه مانعا من الرضاع باجرة اذ كانوا يكرهون ذلك انتهى وقال بعض
المحققين او ان حوالينا مراعاة للازدواج مع قوله علينا نحو قوله تعالى من سبا بنبا يقين وقال
الطيبي قوله ولا علينا عطف على جملة حوالينا ولو لم تكن الواو لكان حالا اي امطر في المزارع ولا تمطر
على الابنية وادخل في قوله علينا معنى المضرة كانه قال اجعل لنا لا علينا فما يشير حكاية حال
ماضية بيده الى ناحية اي جانب من السحاب جمع سحابة الا انفرجت اي انكشفت وتفرقت وصارت المدينة
اي جوها مثل الجوبة بفتح الجيم وسكون الواو اي الفرجة في السحاب والمعنى ان المطر والغيم انكشف
عن جو المدينة واحاط بما حولها بحيث صار جو المدينة مثل الجوبة خاليا عن السحاب فحذف المضاف و
الجو واقيم المضاف اليه مقامه كذا ذكره شارح وقيل المعنى صارت المدينة مثل الجوبة المستديرة
الواسعة وصار الغيم محيطا باطراف المدينة منكشفة عنها وسال الوادي قناة بالضم على انه بدل
او بيان للوادي وهو علم لغير منصرف وفي نسخة بالفتح اي بتقدير وفي اخرى بتنوينها شهرا ظرف سال
قال ميرك اعرب قناة بالضم على البدل على ان قناة اسم الوادي ولعله من تسمية الشيء باسم ما جاوره
انتهى فالقناة اسم ارض يجنب الوادي والظاهر انها محفورة في الارض يكون نهرا في بطنها يقال لها
بالفارسية كاريز وسمي به لطولها المشبه بالقناة وهي الرمح وقيل هو بالنصب والتنوين على
التشبيه اي سال مثل قناة وقيل وقع في رواية البخاري حتى سال وادي قناة شهرا وصحح بغير
تنوين في هذه الرواية انتهى كلامه نقلا عن العسقلاني وقال شارح قناة نصب على الحال
من فاعل سال اي سال الوادي سيلا مثل القناة ولما كان من شان القناة الاستمرار في الجري
حسن ان يجعلها حالا عن الوادي ويجوز في المقدر اي سيلا مثل القناة وقال الطيبي نصب على
الحال والمصدر على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي مثل القناة وسيلان
القناة في الدوام والاستمرار والقوة والمقدار وقال بعض المحققين قناة بفتح القاف
والنون المخففة علم على ارض ذات مزارع ناحية احد وواديها احد اودية المدينة المشهورة
قاله الحازمي وذكر محمد بن الحسن المخزومي في اخبار المدينة ان اول من سماه وادي قناة
تبع اليماني لما قدم يثرب قبل الاسلام وقال الفقهاء يقولون بالنصب والتنوين في قو
قناة من القنوات وليس كذلك وهو الذي جزم به بعض الشراح وقال الحنفي على التشبيه اي سال
مثل القناة وعبارة البخاري حتى سال الوادي وادي قناة شهرا قال الكرماني قناة علم
موضع قيل انه الوادي الذي عنده قبر حمزة رضي الله تعالى عنه وهو بالقرب من الطايف وقيل
نصب قناة على التمييز اي مقدار قناة فيا عجبا ان تفسير قناة بالرمح اذ لم يسم به محفور في الارض
لانه قلما يبلغ القناة في كثرة ماها مبلغ السيول وفيه انه لا يخفى على ذوي النهى ولم يجي احد
من ناحية اي من جوانب المدينة الا حدث اي اخبر بالجود بفتح الجيم وسكون الواو اي المطر
الكثير وفي رواية قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الاكام بالمد وفي نسخة بكسر الهمزة
جمع الاكمة وهي التل والرابية وقيل الاكمة تجمع على اكم ويجمع الاكم على اكام كجبل وجبال

ويجمع

ويجمع الاكام على اكم مثل كتاب وكتب ويجمع الاكم على اكام كعنق واعناق وقال ابن الملك هو بفتح
الهمزة ممدودة وكسرها مقصورة جمع اكمة محركة وهو ما ارتفع من الارض والظراب بكسر
الظاء المعجمة اي الجبال الصغار وبطون الاودية اي بحالها عن الابنية ومنابت الشجر اي المنبع للثمر
قال اي الراوي فاقلعت وفي نسخة بصيغة المجهول اي كفت السحاب عن المطر وقيل انكشفت
والتانيث لانه جمع سحابة يقال اقلع المطر انقطع وفي القاموس اقلعت عنه الحمى تركته والاقلاع
عن الامر الكف وفي المشارق اقلع المطر كف ومنه قوله تعالى يا سماء اقلعي انتهى وتبين ان صيغة
المفعول من رواية المجهول والله اعلم وخرجنا نمشي في الشمس قال النووي في استحباب
طلب انقطاع المطر عن المنازل والمرافق اذا كثر وتضرروا به ولكن لا يشرع له صلاة ولا
اجتماع في الصحراء متفق عليه وعن جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب استند الى جذع
نخلة بكسر الجيم اي اصلها وساقها من سواري المسجد جمع سارية بمعنى الاسطوانة فلما صنع له
المنبر بصيغة المفعول فاستوى عليه اي قام صاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت
ان تنشق اي تنفلق وتنقطع فنزل النبي صلى الله عليه وسلم اي ومشى اليها فاخذها اي
بيده فضمها اليه اي الى نفسه صلى الله عليه وسلم وعانقها تسلية لها فجعلت اي طفقت الاسطوانة
او جذع النخلة واكتسبت التانيث من المضاف اليه تئن انين الصبي الذي يسكت بتشديد الكاف
المفتوحة اي مثل انينه حتى استقرت اي سكنت وسكتت قال اي النبي صلى الله عليه وسلم
في سبب بكائها بكت على ما كانت تسمع من الذكر اي على فوته وفوت قرب الذاكر رواه البخاري
وعن سلمة بن الاكوع ان رجلا قال التوربشتي يقال له بسر بن راعي العير وقيل بسر بالسين
المهملة وهو من اشجع وضبط في الاذكار العير بفتح العين وبالياء المثناة من تحت وقال هو صحابي
اكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال كل بيمينك قال لا استطيع قال لا استطعت
دعا عليه لانه كذب في اعتذاره ما منعه من قبول الحق وقال شارح اي من الاكل باليمين الا الكبر اي
الا العجز قال الطيبي هو قول الراوي ورد شيئا فالبيان موجب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
كان قائلا قال لم دعا عليه بلا استطعت وهو رحمة للعالمين فاجيب بان ما منعه من الاكل
باليمين العجز بل منعه الكبر قال اي سلمة فما رفعها اي الرجل يمينه الى فيه اي فمه بعد ذلك لدعائه
صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وعن انس ان اهل المدينة فزعوا بكسر الزاي اي خافوا من اتيان العدو
مرة فركب النبي صلى الله عليه وسلم فرسا اي عريانا لابي طلحة بطيئا اي في الجري والمشي وكان
اي الفرس يقطف بكسر الطاء اي يمشي مشيا ضيقا ذكره شارح وقال الطيبي اي تتقارب خطاه
فلما رجع اي النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد سبق الناس قال وجدنا فرسكم هذا بحرا اي جوادا سريع
الجري انه جريه لا ينفد كما لا ينفد ماء البحر وقال الطيبي هو المفعول الثاني لوجدنا وشبه الفرس
بالبحر في سعة خطوه وسرعة جريه فكان وفي نسخة وكان بعد ذلك لا يجارى بفتح الراء اي
لا يغالب ولا يسابق في الجري ولا يسبق وفي رواية لا يجارى بعد وفي رواية فما سبق بعد
ذلك اليوم رواه البخاري وكذا مسلم وعن جابر قال توفي بصيغة المجهول اي قبض ومات
ابي وعليه دين فعرضت على غرمائه ان ياخذوا التمر اي جميع تمرنا بما عليه اي في مقابلة ما على ابي
فابوا اي امتنعوا لانه كان في اعينهم قليلا وهم يهود فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
قد علمت اي انت ان والدي استشهد يوم احد وترك دينا كثيرا واني بكسر الهمزة احب ان يراك الغرماء
اي عندي لعلهم يراعوني فقال لي اذهب فبيدر كل تمر على ناحية اي اجمع كل نوع منه في جرين
امر من بيدر الطعام اذا داسه في البيدر وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام والمراد هنا اجعل
كل نوع من تمرك بيدرا اي صبرة واحدة وقيل زن كل نوع في موضعه ففعلت اي صبرا وبيادر

ثم دعونه اي طلبته صلى الله عليه وسلم فلما نظروا اليه كانهم اغروا بي بصيغة المجهول اي يجوز خطا لبني
والجوا لان دواعيهم حملهم على الاغراء من اغريت الكلب اي هيجته والمعنى اغلظوا في فكانهم هيجوا
بي وفي النهاية هو من تعرية بالشي اذا ولع به والاسم الغرا بالفتح والمد والمعنى اغروا بي المسئولين تلك
اي ظنا منهم انه صلى الله عليه وسلم يامرهم بالمسامحة او يحط بعض الدين او بالصبر فاظهروا ما يدل على
انهم لا يرضون بشي من ذلك فلما راى ما يصنعون طاف اي دار حول اعظمها اي اكبر تلك البيادر بيدرا
تمييز للتاكيد نحو قوله تعالى ذرعها سبعون ذراعا ثلاث مرات ظرف طاف ثم جلس عليه اي على اعظمها
ثم قال ادع لي اصحابك اي اصحاب دينك فما زال يكيل لهم حتى ادى الله عن والدي اي قضى
عنه امانته اي دينه وسمي امانة لانه ايتمن على ادائه قال تعالى وتخونوا اماناتكم اي ما ايتمنتم عليه
ذكره التوربشتي وانا ارضى اي كنت ارضى حينئذ ان يؤدي الله امانة والدي ولا ارجع بالنصب
ويجوز رفعه على ان تكون الجملة حالية اي ولا انقلب الى اخواتي بتمرة فسلم الله البيادر كلها
اي جعلها سالمة عن النقصان ذكره شارح او خلصها من ايدي الغرما ببركته صلى الله عليه وسلم
وحتى اني بفتح الهمزة ويجوز كسرها قال الطيبي حتى هي الداخلة على الجملة بعدها فيما قبلها وهي عاطفة
على مقدر يجمع الاقسام نحو قوله فسلم الله البيادر كلها لم ينقص من تلك البيادر التي لم يكلها شي
اصلا حتى اني انظر الى البيدر الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم اي جالسا كانها اي النقصان والبيدر
والتانيث باعتبار الصبرة لم تنقص تمرة بالرفع على ان النقص لازم اي لم ينقص تمرة منها وفي نسخة
بالنصب على انها تمييز او مفعول والاسناد الى الصبرة مجازي وقوله واحدة للتاكيد رواه
البخاري وكذا النسائي وعنه اي عن جابر ان ام مالك اي البهزية من بني سليم لها صحبة
ورواية وفي مجازيتها روى عنها طاوس ومكحول كانت تهدي من الاهدا للنبي صلى الله عليه
وسلم في عكة بضم فتشديد قربة صغيرة ذكره شارح وفي النهاية بضم العين وعا من جلد مستدير يختص
بالسمن والعسل وهو بالسمن اخص لها اي كانت لام مالك سمنا مفعول تهدي فيأتيها بنوها
فيسالون الادم بضمتين ويسكن الثاني اي الادام وليس عندهم شي تغليب شي اي من
الادام او مما يشترى به والجملة حال فتعمد بكسر الميم اي تقصد امهم الى الذي اي الى العكة والتذكير
باعتبار الظرف كانت تهدي فيه للنبي صلى الله عليه وسلم فتجد فيه سمنا فما زال اي الظرف او
السمن الذي تجده فيه يقيم لها ادم بيتها حتى عصرته اي لزيادة الطمع فانقطع الادام بناء على ان الحرص
شوم والحريص محروم فاتت النبي صلى الله عليه وسلم اي واخبرته بالخبر جميعا وقال الطيبي اي فاتت
وشكت انقطاع الادام بينهما من العكة فقال عصرتيها اي العكة والياء للاشباع وهمزة الاستفهام
مقدرة قالت نعم قال لو تركتيها بالاشباع ايضا اي لو تركت ما فيها من السمن وما عصرتيها
ما زال اي ادام بيتك قائما اي ثابتا دائما فان البركة اذا نزلت في شي ولو كان قليلا كثر ذلك
القليل رواه مسلم وعن انس رضي الله تعالى عنه قال ابو طلحة لام سليم وهي ام انس زوجة
ابي طلحة لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا اعرف فيه الجوع فهل عندك
من شي اي ولو قليلا من الماكول فقالت نعم فاخرجت اقراصا من شعير ثم اخرجت خمارا لها
وهو ما تستتر المراة به راسها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته اي خبأته واخفته تحت يدي
اي يد انس في النهاية يقال دسسته اذا ادخلته في الشي بقهر وقوة ولاثتني بالثا المثلثة
اي عممتني ببعضه اي ببعض الخمار وهو الطرف الاخر منه قال القاضي اي عممتني ولففت
بي من اللوث وهو لف الشي بالشي وادارته عليه انتهى وفيه دلالة على قلة الخبز ثم ارسلتني
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به اي بالخبز اليه فوجدت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المسجد قال العسقلاني المراد بالمسجد هو الموضع الذي اعده النبي صلى الله عليه وسلم

للصلاة

للصلاة فيه حين محاصرة الاحزاب للمدينة في غزوة الخندق ومعه الناس اي الكثير وهم سبعون رجلا
على ما سياتي فسلمت عليهم اي بلفظ الجمع وقصد الجميع فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارسلك بهمزة مقدرة وقال العسقلاني بهمزة ممدودة للاستفهام اي ابعثك ابو طلحة قال
نعم وقوله فيما في ارسال امه لا ينافيه لان مرادهما واحد ومالهما متحد ولعله صلى الله عليه وسلم عرف
من ذلك اختصاصا ما اولا بابي طلحة لانه الباعث الاول فانه المعول قال بطعام فقلت
نعم والظاهر انه فهم ذلك بالتفهيم او بحسب قرائن الوجه والتفرس فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لمن معه قوموا قال ابن حجر ظاهره انه صلى الله عليه وسلم فهم ان ابا طلحة استدعاه
الى منزله فلذا قال لمن حوله قوموا واول الكلام يقتضي ان ام سليم وابا طلحة ارسلا الخبز مع
انس فيجمع بانهما ارادا ارسال الخبز مع انس ان ياخذه النبي صلى الله عليه وسلم فيأكله فلما
وصل انس وراى كثرة الناس استحيى وظهر له ان يدعو النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم معه وحده
الى المنزل فيحصل مقصودهم من اطعامه ويحتمل ان يكون ذلك عن راي من ارسله عهد اليه اذا راى
كثرة الناس ان يستدعي النبي صلى الله عليه وسلم وحده خشية ان لا يكفيهم ذلك الشي وقد عرفوا ايثار
النبي صلى الله عليه وسلم وانه لا ياكل وحده وقد وجدت اكثر الروايات تقتضي ان ابا طلحة استدعى
النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة قلت هذا الكلام كله غير مستقيم على المنهج القويم
لانه صلى الله عليه وسلم لما عرف بنور الوحي ان ابا طلحة ارسل انسا بطعام واخبره بركيف
يفهم ان ابا طلحة استدعاه الى منزله ثم قوله واول الكلام يقتضي الخ ليس في محله لانه صريح
في ذلك المرام لا مقتضى الكلام لا دلالة للاستحيا والاستدعا المنتسبين لانس لا في
تبديله ولا فيه ذلك ولا في راي من ارسله لانه لو كان بامر ابي طلحة لما حصل له فزع ومشى
بما اتى النبي صلى الله عليه وسلم انه قاله ليقوا بانه صلى الله عليه وسلم اراد اظهار المعجزة ولا
اشباع جمع كثير بخبز قليل وهو متضمنة لمعجزة اخرى وهي تفتيش العكة الماثبة في بيت
ابي طلحة وام انس امه ليحصل لهم بركة عظيمة بحضور نبيهم واخلاص طويتهم واذا بحرفتهم
ويكون نظرنا فيما تقدم والله اعلم قال انس فانطلق اي النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه
من الناس وانطلقت بين ايديهم اي قدامهم كهيئة الخادم والمضيف او مسرعا لايصال
الخبر لقوله حتى جئت ابا طلحة فاخبرته اي باتيانهم فقال ابو طلحة يا ام سليم قد جاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالناس اي معهم وليس عندنا ما نطعمهم اي عرفنا ارسلناه اليه
وثم جمع كثير فكيف نقدم لهم شيئا قليلا فقالت الله ورسوله اعلم اي فلولا انه ظهر له بعض
الحكم قال النووي فيه منقبة عظيمة لام سليم ودلالة على عظم دينها ورجحان عقلها وقوة
يقينها لعلمها انه صلى الله عليه وسلم قدر الطعام فهو اعلم بالمصلحة ولو لم يعلم المصلحة لما فعلها
فانطلق ابو طلحة اي مسرعا حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابو طلحة معه اي حتى دخلا على ام سليم والناس وراهم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هلمي يا ام سليم اي تعالي واحضري ما عندك اي من الخبز فاتت بذلك الخبز فامر
به رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ابا طلحة او غيره بالخبز ففت اي فتتته ففت بصيغة
المجهول الماضي اي جعل فتيتا اي قطعا صغارا مفتوتا قال شارح او هو امر مخاطب ولعل الفد
نادرة وقال ففت وعصرت ام سليم عكة فادمته بفتح الهمزة وفي نسخة بمدها اي جعلت
ما خرج من العكة وهو السمن اداما لذلك المفتت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه اي في ذلك الخبز مع الادام او فيما ذكر من الخبز والادام ما شاء الله ان يقول اي من الدعا
او الاسما وفي رواية ثم قال بسم الله اللهم اعظم فيها البركة ثم قال اي لابي طلحة او لانس

أو لغيرها ائذن لعشرة وإنما أذن لعشرة عشرة ليكون أرفق بهم فإن القصعة التي فيها الطعام لا يتحلق عليها أكثر من عشرة
إلا بضرر يلحقهم عليها لبعدها عنهم ذكره الطيبي وقيل إنما لم يأذن للكل مرة واحدة لأن الجمع الكثير إذا نظروا إلى طعام
قليل يزداد حرصهم في الأكل ويظنون أن ذلك الطعام لا يشبعهم فالحرص عليه يمحق البركة ويمكن أن يكون بناء على
أن الجمع الجليل إذا أبصروا الطعام القليل لا يتعرضون تعففا في أنفسهم أو استحيوا من الأكل الكثير واشتغلوا
في أكلهم ولم يحصل لهم مرادهم من القوة في الشبع ونحوه في أداء الطاعة وقيل لضيق المنزل فأذن لهم فأكلوا حتى
شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة أي وهلم جرا فأكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا
قال ابن حجر كذا ذكره بالشك وفي غير هذا الطريق بالثمانين وفي رواية بضعة وثمانون وفي رواية ابن أبي ليلى
فعل ذلك بثمانين رجلا وفي رواية عند أحمد قلت كم كانوا قال كانوا نيفا وثمانين ولا منافاة بينهما
لاحتمال أن يكون ألغى الكسر لكن في رواية عند أحمد حتى أكل منه أربعون وبقيت كما هي وهذا يؤيد التغاير وأن
القضية متعددة قلت القضية متحدة والجمع بأن الجمع الأول كانوا أربعين ثم لحقهم أربعون آخرون
كانوا وراءهم أو وقع منه صلى الله عليه وسلم دعاؤهم متفق عليه وفي رواية لمسلم أنه قال ائذن لعشرة فدخلوا
فقال كلوا وسموا الله فأكلوا حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم أي بعد فراغ أكل أصحابه أكل النبي صلى الله عليه
وسلم وأهل البيت وتركوا سؤرا بضم سين وسكون همز ويبدل وجزم التوربشتي وقال هو بالهمز أي بقية
وفي رواية للبخاري ثم أدخل عشرة حتى عد أربعين ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم أي من غير انتظار للأربعين
الأخر ليحصل بركته للطرفين من الأربعين أو المعنى ثم بعد فراغ الكل فجعلت أنظر إلى التكرر وأتردد أنه
هل نقص منه شيء أي أم لا فلا يظهر منه نقص أصلا وفي رواية لمسلم ثم أخذ ما بقي فجمعه ثم دعا فيه بالبركة فعاد
كما كان فقال أي لأهل البيت دونكم هذا أي خذوه قال التوربشتي فإن قيل كيف يستقيم هذا الروايتان
من صحابي واحد في أحدهما يقول تركوا سؤرا وفي الأخرى يقول فجعلت أنظر هل نقص منه شيء وفي الثالثة ثم أخذ
ما بقي فجمعه الحديث قلنا وجه التوفيق بينهن هين بين وهو أن نقول إنما قال وتركوا سؤرا باعتبار أنهم
كانوا يتناولون منه فما نقص منه شاهدوه سؤرا وإن كان فيجيب بحسب أنه لم ينقص منه شيء أراد بذلك ما نقص
عنهم بعد أن رفعوا منه وفي الأخرى الأولى أنه دعا فيه بالبركة وفي الثالثة يحكيه على ما وجده عليه بعد الدعاء
وعوده إلى المقدار الذي كان عليه قبل التناول ولا التباس فيه على ما ذكرناه وعنه أي عن أنس
قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم بإناء أي جيء بإناء وهو بالزوراء بالفتح والمد وفي النهاية الصغير وقيل موضع قريب
بالمدينة ذكره شارح والظاهر أن الثاني هو المراد قال ابن حجر هو مكان بالمدينة عند السوق وفي القاموس
موضع بالمدينة قرب المسجد فوضع يده في الإناء فجعل أي شرع الماء ينبع بفتح الموحدة وضمها وجوز كسرها
فيكون فيه ثلاث لغات والمختار الفتح وفي المصباح نبع كنصر ومنع لغة وفي الأساس نبع ينبع مثلثة
خرج من العين من بين أصابعه قال النووي في كيفية هذا النبع قولان حكاهما القاضي وغيره أحدهما أن
الماء يخرج من نفس أصابعه وينبع من ذاتها وهو قول المزني وأكثر العلماء وهو أعظم في المعجزة من نبعه من حجر ويؤيده
ما جاء في رواية فرأيت الماء ينبع من أصابعه وثانيهما أنه تعالى أكثر الماء في ذاته فصار يفور من بين أصابعه فتوضأ
القوم أي منه قال قتادة قلت لأنس كم كنتم أي يومئذ قال ثلاثمائة بالنصب على تقدير كنا وفي نسخة
بالرفع أي نحن أو القوم ثلاثمائة وكذا قوله أو زهاء ثلاثمائة بنصب زهاء ورفعه وهو بضم الزاي وبالمد أي مقدار
قال الطيبي ثلاثمائة منصوب على أنه خبر كان المقدر وزهاء ثلاثمائة يعني قدر ثلاثمائة من زهوت القوم إذا حزرتهم
متفق عليه وعن عبد الله بن مسعود قال كنا نعد الآيات أي المعجزات والكرامات بركة وأنتم تعدونها
تخويفا أي إنذارا وهلاكة قال شارح سميت آية لأنها علامة نبوته فقيل أراد ابن مسعود رضي
الله تعالى عنه بذلك أن عامة الناس لا ينتفع بهم إلا الآيات التي نزلت بالعذاب والتخويف وخاصتهم
يعني الصحابة كان ينتفع بهم الآيات المقتضية للبركة انتهى وحاصله أن طريق الخواص مبني على المحبة والرجاء
وسبيل العوام مبني على كثرة الخوف والمخافة وبينهما الواصلون بالطيران بالجناحين بين المراد وبين الإحسان

بيا

بالسبب بين السالكين المريدين وتفصيل هذا المرام مما لا يقتضيه المقام قال الطيبي قوله وأنتم تعدونها تخويفا
من قوله تعالى وما نرسل بالآيات إلا تخويفا والآيات إما أن يراد بها المعجزات أو آيات الكتاب المنزلة وكلاهما
بالنسبة إلى المؤمن الموافق بركة وازدياد في إيمانه وبالنسبة إلى المخالف المعاند إنذار وتخويف يعني لا نرسلها
إلا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة وفيه مدح للذين اتبعوا سنته واتبعوا
هديه ولزموا طريقته وذم لمن عدل عن الطريق المستقيم قلت إيراد الآية المذكورة في هذا المقام
غير مناسب للمرام فإن معناها على ما قاله المفسرون وما نرسل بالآيات أي الآيات المقترحة كما يدل عليه
ما قبله من قوله وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها
وقوله إلا تخويفا أي من نزول العذاب المستأصل فإن لم يخافوا نزل وبغير المقترحة كالمعجزات وآيات
القرآن إلا تخويفا بعذاب الآخرة فإن أمر من بعث إليهم مؤخر إلى يوم القيامة فالتخويف مطلوب من المؤمنين
على كلا المعنيين على ما نطق به الكتاب في أبلغ وجه وأكد حيث جاء بصيغة الحصر فكيف يستقيم لابن
مسعود رضي الله تعالى عنه أن ينكر عليهم في عدها تخويفا فتبين أن مراده غير هذا الذي مما تقدم والحكم
والأظهر أن يقال معناه كنا نعد خوارق العادات الواقعة من نبيه تنبيه طلب مما يترتب عليها البركة
آيات ومعجزات وأنتم تحصرون خوارق العادات في الآيات المقترحة التي يترتب عليها مخافة العقوبة
ويدل عليه ما بعده بقوله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة
من ماء فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال حي على الطهور بفتح الطاء أي الماء المبارك أي
الكثير البركة والمعنى هلموا إليه واشربوا والبركة من الله أي لا من أحد سواه ثم قال ابن مسعود ولقد
رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا أي أحيانا نسمع تسبيح
الطعام وهو يؤكل وذكر صاحب الشفاء وغيره عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ كفا من حصى فسبحن
في يده حتى سمعنا التسبيح رواه البخاري وكذا الترمذي وعن أبي قتادة قال خطبنا أي خطب لنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال إنكم تسيرون عشيتكم أي أول ليلتكم وليلتكم أي بقيتها أو آخرها وتأتون الماء أي
غدا إن شاء الله فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد أي لا يلتفت إليه ولا يعطف عليه يعني
كل واحد في حدته من غير انتظار للصحبة اهتماما بطلبه وتوصله إليه قال أبو قتادة فبينما رسول
الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل بسكون الموحدة وتشديد الراء ومصدره ابهيرار
كاحمار احمرارا أي انتصف وتوسط ذكره التوربشتي وقيل ذهب معظمه وأكثره وقيل ابهار
الليل إذا طلعت نجومه واستنارت ثم ذكر الطريق أي لقصد النوم فوضع رأسه ثم قال أي لبعض
خدمه احفظوا علينا صلاتنا أي وقتها وهي صلاة الصبح فكأنه غلب عليهم النوم فرقدوا فكان أول
من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أيسر كان ذخيرة وأول عكسه والشمس في ظهره
أي طالعة جهة خلفه ثم قال اركبوا قال ابن الملك فيه أن من خبره صلى الله عليه وسلم فيفوت الصلاة
دليل في أن من نام عن صلاة أو نسيها ثم ذكرها لا يجب عليه القضاء على الفور وعلى ندب مفارقة
الموضع الذي تركه فيه المأمور أو ارتكب فيه المنهي يعني ولو من غير قصد لكن الأظهر أن يجيء أنما هو
لرجاء أن يصل إلى الماء أو لخروج وقت الكراهة كما يدل عليه قوله فركبنا فسرنا حتى إذا ارتفعت
الشمس أي بقدر رمح أو أكثر نزل ثم دعا بميضأة بكسر الميم وفتح الهمزة وفي نسخة بالألف بدل الهمزة
وأصله موضأة أبدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها قال ابن الملك بكسر الميم على مفعلة من
الوضوء وفي الفائق هي مفعلة ومفعالة مطهرة كبيرة يتوضأ منها ذكره الطيبي وفي النهاية
بالكسر والقصر قد يمد والمعنى ثم طلب مطهرة كانت معي فيها شيء أي قليل من ماء فتوضأ منها وضوءا
دون وضوء يعني وضوءا وسطا وذلك لقلة الماء ذكره شارح ونقله الطيبي وقيل أراد به أنه استنجى
في هذا الوضوء بالحجارة بالماء والصواب الأول قاله ابن الملك والأظهر أن يقال وضوءا دون وضوء

يتوفاها في سائر الازمان من التثليث بالكيفية بمرة او مرتين قال اي ابن مسعود ونحن نيام ثم قال
اي النبي عليه السلام احفظ علينا اي لاجلنا ميضاتك اي اذاتها وما فيها فيكون لنا بها اي خبر عظيم وشان
جسيم وفي نسخة جليلة ونتيجة جميلة يتحدث بها ويروى حكايتها وقال ابن الملك اي معجزة كما سيأتي ثم اذن
بلال بالصلاة فيه استحباب الاذان للقضا كما هو سنته للادا فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ركعتين اي سنة الصبح لفوتها مع فرضه المؤدي قبل الزوال واما اذا فاتت وحدها فلا تقضى لها
عند محمد لكن بعد طلوع الشمس الى زوالها وبعد الزوال لا يقضي اتفاقا ثم صلى الغداة اي فرض
الصبح قضا وركب وركبنا معه فانتهينا الى الناس اي لحقنا بهم من اهل القافلة حين امتد النهار
اي ارتفع وحمي كل شيء اي اشتد حرارته وهم يقولون يا رسول الله هلكنا اي من حرارة الهوا وعطشنا
بكسر الطا اي من عدم الما فقال لا هلك بضم فسكون اي لا هلاك عليكم ودعا بالميضاة اي طلبها وجرودعا
فجعل يصب اي الما وابو قتادة يسقيهم بفتح اوله ويضم فلم يعد مضارع عدا اي لم يتجاوز ان راى الناس
الماء في الميضاة اي رايتهم ما اي كثيرا في الميضاة تكابوا بتشديد الموحدة اي تزاحموا عليها اي على الميضاة
مكبا بعضهم على بعض قال الطيبي لم يضبط لشيخ محي الدين هذه اللفظة وفي اكثر نسخ المصابيح
ونعت بفتح اليا وسكون العين وضم الدال واثبات الفا في قوله فتكابوا كما في نسخ مسلم وفي شرح
الفا وان راى الناس بجملة ان يكون فاعلا اي لم يتجاوز رؤية الناس الما كبابهم وان يكون مفعولا
اي لم يتجاوز التسقي والصب رؤية الناس في تلك الحالة وهي كبهم عليه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم احسنوا الملا بفتحتين اي الخلق في القاموس الملا محركة الخلق ومنه احسنوا املاكم اي
اخلاقكم وفي الفايق الملا حسن الخلق وفيه تخلق بحسن ملا لانه اكرم ما في الرجل وافضله
من قولهم لكرام القول وكوجوههم ملا وانما قيل للكرام لانهم يتمالون اي يتعاونون اوقول لا ظهارانه يتفالا
لانهم يملون المجلس او يملون العيون عظمة او حشمهم وخدمهم كثرة كلكم سيروى بفتح الواو اي جميعكم
تروون من هذا الملا فلا تزدحموا ولا تنسوا اخلاقكم بالتدافع قال اي الراوي ففعلوا اي الناس
احسان الخلق ولم يزدحموا حيث اطاعوا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب واسقيهم
حتى ما بقي غيري اي من الصحابة وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صبت فقال لي اشرب فقلت
لا اشرب حتى تشرب يا رسول الله فقال ان ساقي القوم اخرهم اي شربا كما في بعض الروايات
في ما شربي ولا شك ان الساقي في حقيقة هو النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينافي قول ابي قتادة وكيفيته
انه بمعنى اياه ولهم قال فشربت وشرب قال اي ابو قتادة فاتى الناس الما اي وصلوا الى مكانه الماء
جامين بتشديد الميم اي مستريحين ذكره التوربشتي رواه بالكسر والمد جمع راو وهو الذي روي
من الماء او جمع ريان كعطشان جمع عطشى اي ممتلين من الماء وقال شارح قوله جامين اي
مجتمعين من الجمام او مستريحين من الجمام بالفتح وهو الراحة ذكر والها عيا قال التوربشتي واكثر
ما يستعمل ذلك في الفرس يعني لانه كثير العطش رواه مسلم اي كذا في صحيحه وكذا في كتاب
الحميدي وجامع الاصول اي ساقي القوم اخرهم بدون شربا وهو كذلك في كتاب البخاري ورواية
احمد وابي داود عن عبد الله بن ابي اوفى وزاد في المصابيح بعد قوله اخرهم لفظة شربا قلت
وهو رواية الترمذي وابن ماجة عن ابي قتادة وكذا رواه الطبراني في الاوسط والقضاعي عن
المغيرة وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال لما كان يوم غزوة تبوك بعدم الانصراف وقد
يصرف وهو موضع بينه وبين المدينة مسيرة شهر قال ابن حجر المشهور في تبوك عدم الصرف
للتانيث والعلمية ومن صرفها اراد الموضع انتهى والاظهر انه لا يجوز صرفه للعلمية ووزن الفعل
على وزن تزيد قال السيوطي وكانت سنة تسع في رجب وهي اخر غزواته صلى الله عليه وسلم رايته قوما
من اصحابه يبوكون عين تبوك اي يدخلون فيها القدح اي السهم ويحركونه ليخرج الماء فقال ما زلتم

تبوكونه

تبركونه بوكا فسمى الناس جراب لما اي حصل لهم مجاعة بفتح الميم اي جوع شديد قالوا يا رسول
الله لو اذنت لنا بفضلا ازوادهم في الحديث اختصار اذ روي انهم اصابهم مجاعة فقالوا يا رسول الله
لو اذنت لنا فنحرنا نواضحنا فاكلنا وادهنا فقال افعلوا فجاء عمر فقال يا رسول الله ان فعلت قلت
الظهور ولكن ادعهم بفتح بفضلا ازوادهم في النفل ما زاد عن شي والازواد جمع زاد وهو طعام
يتخذ للسفر فالمعنى مرهم بان يأتوا بفضلات ازوادهم والفضل ما زاد عن شي ثم ادع الله لهم عليها اي على تلك
الازواد بالبركة اي كثرة الخير فقال نعم فدعا بنطع بكسر النون وفتح الطا وفي نسخة بفتح فسكون
والاول افصح في ما صرح به شراح الشفا ذكره النووي وفي النطع لغات فتح النون وكسرها مع فتح الطا
واسكانها وافصحهن كسر النون وفتح الطا وفي القاموس النطع بالكسر والفتح وبالتحريك وكعنب بساط
من الاديم فبسط بصيغة المجهول اي النطع ثم دعا بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجي بكف ذرة بفتح
الذال المعجمة وتخفيف الرا في القاموس الذرة كثبة حب معروف اصله ذرو ويجي الاخر بكف تمر اسم
جنس واحده تمرة بالتا ويجي الاخر بكسرة اي بقطعة من الخبز حتى اجتمع على النطع شي يسير اي
قليل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة اي بنزولها عليه ثم قال خذوا اي ما تريدون
من الزاد الواقع في النطع في اوعيتكم وقال الطيبي اي صبوا في اوعيتكم اخذين او خذوا
ما يبين في اوعيتكم انتهى وقد اشار الى نوعي التضمين لكن التضمين الجعل ادل في المطلب في هذا
المقام من جهة المعنى كما لا يخفى في الذوق النهي فاخذوا في اوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر اي في العسكر
او في العسكريين المملوة ومما اجلى ذلك الماء الحلال قال اي ابو هريرة فاكلوا اي جميع العسكر حتى
شبعوا وفضلت بفتح الضاد ويكسر اي زادت فضلة بالرفع اي زيادة كثيرة في القاموس الفضل
ضد النقص وقد فضل كنصر وكرم والجمع فضول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد
ان لا اله الا الله واني محمد رسول الله فيه ايماء الى ان في المعجزة سبب زيادة اليقين من المعتقد
لا يلقي الله بهما اي بالشهادتين عبد قال الطيبي يجوز ان يكون الباء فيه سببية او الباء للحال
وتدخل بالجملة استطرادا وان لا يلقى الله الامة وقوله غير شاك مرفوع صفة عبد قلت وفي نسخة
منصوب على الاستثنا او الحال فيحجب بالنصب وفي نسخة بالرفع اي فيمنع عن الجنة قال
شارح فيحجب بالنصب بانه جواب النفي وهو لا يلقى انتهى قال ابن الملك والمعنى من يلقى
الله بالشهادتين من غير تردد وشك فلا يحجب عن الجنة ابدا وقال الطيبي فيحجب مرفوع عطف
على الجملة المنفية لا النفي منصب عليهما معا رواه مسلم وكذا البخاري بمعناه عن سلمة وعن انس
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم عروسا هو نعت يستوي فيه المذكر والمؤنث والمعنى زوجا جديدا
بزينب اي بسببها وفي نسخة متزوجا بها فعمدت بفتح الميم اي قصدت امي ام سليم بدلا او بيان
الى تمر وسمن واقط بفتح فكسر اي لبن مجفف يابس مستحجر في النهاية وفي القاموس الاقط
مثلثة ويحرك وككتف ورجل وابل شي يتخذ من المخيض الغنمي فصنعت حيسا فالحيس مجموع الثلاثة
والحديث متفق عليه فقول ابن حجر في شرح الشمائل الحيس تمر وسمن واقط او بدل الاقط دقيق
فتيت غير مرضي والصواب ان يقال وقد يطلق على التمر مع السمن والاقط كما يأتي وقد يجعل بدل الاقط
دقيق وفتيت ويؤيد ما ذكرناه ما في القاموس الحيس الخلط وتمر يخلط بسمن واقط فيعجن
شديدا ثم يندر منه نواه وربما يجعل فيه سويق فجعلته اي ام سليم في تور بمثناة فوقية فواو
ساكنة فرا اناء كالقدح فقالت يا انس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت
بهذا اليك امي وهي تقرئك السلام وتقول ان هذا لك منا قليل اي زهيد غير لائق بك فذهبت
اي به اليه فقلت اي ما ذكرته به فقال ضعه اي في مكانه لحاله اذا البشير عنده كثير
وله بعد القبول فضل كبير ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا وفلانا رجالا اي ثلاثة سماهم

اي عينهم باسمائهم ونسبتهم فعبرت عنهم بفلانا وفلانا وفلانا نعدله رجالا باسمائهم من كلام انس يدل
من فلانا الخ او بتقدير اعني او يعني والله اعلم وادع لي من لقيت اي على العموم فدعوت من سمى ومن لقيت
فرجعت فاذا البيت غاص بتشديد الصاد المهملة اي ممتلئ بهم والظاهر ان المراد بالبيت هو الدار
ويحتمل ان يكون على بابه ويكون فيه معجزة اخرى حيث وسع خلقا كثيرا قيل لانس عدد كم كانوا جمع
الضمير نظرا الى معنى العدد لكونه على الواحد قال زهاء ثلاثمائة بنصب زهاء على تقدير كانوا زهاء بالمد
اي قدر ثلاثمائة فرايت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله
اي من الذكر والدعوة ثم جعل يدعو عشرة عشرة اي عشرة بعد عشرة لما سبق بالمرة منه ويقول
لهم اذكروا اسم الله وليأكل بسكون لام الامر ويكسر اي بتبيانه كل رجل مما يليه اي مما يقرب من
الوعاء قال اي انس فاكلوا حتى شبعوا فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى اكلوا كلهم اي وشبعوا جميعهم
قال لي يا انس ارفع اي القدح فرفعت فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت اي في الصورة
والا فلا شك انه حين الرفع اكثر ببركة وضع يده صلى الله عليه وسلم وتفضلا لاصحابه رضي الله
تعالى عنهم هذا وقد قيل ظاهره ان الوليمة لزينب كانت من الحيس الذي اهدته ام سليم والمشهور
من الروايات انه اولم عليها بخبز ولحم ولم يقع في القصة تكثير ذلك الطعام واجيب بانه يحتمل ان يكون
حضور الحيس صادف حضور الخبز واللحم عجيب فان انسا يقول اولم عليها بشاة وانه اشبع المسلمين
خبزا ولحما يومئذ ونحو الالف فلمن ثلث لا دلالة فيه على الحيس ليلة وانما وقع ارسال الهدية
اما في اول ذلك اليوم واما في يوم اخر ولم عليها بشاة وشبع الالف خبزا ولحما فلا منافاة بين
القضيتين والجمع اوضح بين المحدثين والله سبحانه اعلم متفق عليه وعن جابر قال غزوت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا على ناضح اي راكب على بعير يستقى عليه كما في النهاية قد اعيى اي عجز عن المشي
قال ابن الملك هو لازم ومتعد فلا يكاد يسير اي لا يقرب السير المطلوب منه فتلاحق اي لحق بي النبي
صلى الله عليه وسلم فقال لي ما لبعيرك قلت قد عيي بكسر الياء اي عجز فتخلف رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي تاخر عن العسكر وعن ان صح فزجره اي بالضرب او الصياح فدعا له فما زال بين يدي الابل قدامها
قدامها بدل او بيان لقوله بين يدي الابل وهو ظرف لقوله فما زال ويجوز ان يكون ظرفا لقوله يسير
وليسير خبره قراسه عاما اي فصح كذا حققه الطيبي فقال لي كيف ترى بعيرك اي الان قلت بخير
قد اصابته بركتك قال افتبيعنيه بوقية اي باربعين درهما وهي بضم الهمزة وتفتح مد
وكسر القاف وتشديد التحتية قال في المصباح وجرى على السنة الناس بالفتح وهي الوقية وهي لغة
حكاها بعضهم وفي نسخة صحيحة باوقية بضم الهمزة وسكون الواو وفي الهروي هذا هو المشهور
والوقية بغيرها الا ان المستعربون وهو بالضم لغة عامرية والاوقية لغتهم فيه في الحديث اربعون
درهما وعند الاطباء متعارف الناس الاذ عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم وفي القاموس
الوقية بالضم سبعة مثاقيل كالوقية بالضم وفتح المثناة التحتية مشددة واربعون درهما
وقيل صاحب النهاية بن بغوى في القدم فبعته على ان لي فقار ظهره الى المدينة بفتح الفاء اي ركوب
فقار ظهره وهي عظام الظهر وفي النهاية بن فقار الظهر خرزاته الواحدة فقارة اي بالفتح كما في خطب
القاموس واسم سيفه صلى الله عليه وسلم ذو الفقار لانه كانت فيه حفر صغار حسان على ما في النهاية قال
ابن الملك فيه جواز استثناء بعض منفعة المبيع مدة فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
غدوت عليه بالبعير اي اتيته به غدوة فاعطاني ثمنه ورده علي قال ابن حجر هذا بطريق المجاز لان
المعطي انما وقع له بواسطة بلال كما رواه مسلم فلما قدمت المدينة قال لبلال اعطه اوقية من ذهب
وزده انتهى وفيه بحث اذ الظاهر ان امره بلالا سبق ثم اعطاه فيه عن تحقيق مع ان حقيقة العطا
انما يكون للامر به متفق عليه وعن ابي حميد بالتصغير الساعدي نسبة الى بني ساعدة قال خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك بالتابها وتنصب غزوة على نزع الخافض في غزوة وزاد المغربي
بسكون في الوادي لكنها تسقط في الدرج وفي بعضها بتميم وهو ظاهر في التركيب اضافي لامتزاج
فقال الشمرتنى وادي القرى لا يعرف الا من الوادي فلا كلمتين جعلتا اسما واحدا انتهى وهو موضع
معروف اي جيبه حتى مر على حديقة اي بستان عليه حائط لامراة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخرصوها بضم الراء اي قدروا وخمنوا ثمرتها فخرصناها اي مختلفين في قدرها وخرصها
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة اوسق والوسق ستون صاعا فقال احصيها بفتح الهمزة اي
اضبطيها واحفظي عددها كم يبلغ ثمرها حتى نرجع اليك ان شاء الله تعالى فانطلقنا حتى قدمنا
تبوك سمي بغير الصرف في جميع النسخ بناء على انه علم مؤنث لا غير فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ستهب بضم الهاء وتشديد الموحدة اي ستثور عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم فيها احد
اي من مكانه فانه يتضرر ثم كان ذلك تعبير للمبتدا اي فليربط من الا بل عقاله بكسر العين ما يربط به
وظيف البعير الى ذراعه فهبت ريح شديدة فهذه معجزة فقام رجل فحملته الريح حتى القته بجبلي طي
مشددة بعدها همزة وزن سيد وهو بتهامة ابي ذكره في شرح مسلم وكذا في القاموس
ثم قيل الجبلان احدهما اجا بالتحريك وهو بهمز وحيم ثم بعدهما جبل وقيل كلاهما والاخر سلمى بفتح
السين وهما بارض نجد وقيل انهما سميا باسم رجل وامراة من العماليق واحتملا ان هذا معجزة اخرى
قال اي الراوي ثم اقبلنا اي شرعنا الرجوع حتى قدمنا وادي القرى فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المراة عن حديقتها بلغ ثمرها بفتح المثلثة ويجوز ضمها والمراد ثمرها كما في نسخة فقالت عشرة اوسق
بالنصب اي بلغ وفي نسخة بالرفع اي عددا وثمرها عشرة اوسق مطابقا لقوله عليه السلام فهذه معجزة
ثالثة لاجل تحديدها وطلب معرفتها فلا ينبغي انه ينبغي مثل هذا التفاتيا ولعله صلى الله عليه
وسلم اراد بهذه المنجى انه اظهر ونبوته للذين كانوا معه من اهل النفاق ولزيادة ايقان اهل
العرفان متفق عليه وعن ابي ذر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انكم ستفتحون مصر وهي بلد معروفة وهي ارض يسمى اي يذكر فيها القيراط وهو نصف عشر دينار
وفي حديث بشيرانه واصله قراط بتشديد الراء ابدلت الراء الاولى يا ونظيره دينار وقال التفاني
اي يكثر اهلها ذكر القراريط فيما بينهم لمشتهر بنيهم وذلك لانهم في القراريط كلمة يذكر اهلها
في المسابة ويقولون اعطيت فلانا قراريط اي سمعته المكروه ونحو ذلك والطيبي وفي عنهم وهو
اسم بلهجة اهل بلدة لانهم ومعنى الحديث ان القوم لهم دناءة وخسة او في لسانهم بذاء وفحش
فاذا فتحتموها اي اذا استوليتم على اهلها وتمكنتم منهم فاحسنوا الى اهلها اي بالصفح والعفو عما
تنكرون ولا يحملنكم سوء افعالهم وانواعهم على الاساءة فان لهم اي لاهلها ذمة اي حرمة وامانا من
جهة ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم ورحما بفتح فكسر اي قرابة من قبل هاجر ام اسمعيل عليه السلام
فان هاجر ومارية كانتا من القبط او قال ذمة وصهرا شك من الراوي فان دخل في هذه الرواية
القصة تختص بمارية والذمة بهاجر فاذا رايتم رجلين يختصمان في موضع لبنة بفتح لام وكسر موحدة
وهي الاجر قبل طبخه فاخرج اي يا ابا ذر منها اي من مصر الظاهر المطابق لقوله رايتم ان يقال فاخرجوا
ولعله صلى الله عليه وسلم خص الامر به شفقة عليه من ان يقع في الفتنة ثم قال اي الراوي فيهم
قال اي ابو ذر فرايت عبد الرحمن بن شرحبيل بضم ففتح فسكون فكسر فسكون بلا انصراف
ابن حسنة بفتحات واخاه ربيعة لم يذكرهما المؤلف في اسمائه يختصمان في موضع لبنة فخرجت
منها وقد وقع هذا الاختصام في زمن عثمان واخرجه عبد الله بن سعد بن ابي سرح اخيه
من الرضاعة فهذا من قبيل ما كوشف النبي صلى الله عليه وسلم من الغيب انه سيحدث الفتن الحادثة
بالمصر وسيكون عقيب ذلك فتن وشرور بها كخروج المصريين على عثمان رضي الله تعالى عنه اولا

رسول

قتلهم محمد بن ابي بكر فانها نبا وهو قال عليهم من قبل علي فاختبا حين احسوا بالشر في جوف حمار ميت فرموه
بالنار فجعل ذلك علامة واماته لذلك الغش وامرا باذر بالخروج منها حينما رآه وهذا هو الظاهر
وعليه اكثر الشراح وقال الطيبي وعلم ان في طباع ساكنها خشونة وتماكسة كما دل عليه صدر الحديث
فاذا انتقلت الحال الى التخاصم في هذا المحقر فينبغي ان يتجنب عن مخالطتهم ويجتنب عن مساكنتهم
رواه مسلم وعن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في اصحابي وفي رواية قال في امتي اثنا عشر
منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها مع انه يشم من مسافة خمسمائة عام حتى يلج الجمل في سم الخياط
اي حتى يدخل البعير في ثقب الابرة وهو من باب التعليق بالمحال كقوله تعالى ان الذين كذبوا باياتنا
واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط قال الشيخ التوربشتي
سماهم النبي صلى الله عليه وسلم المعتد بها هي المقترنة بالايمان وانما يصح اطلاق الصحبة على الاعم من
صدق في ايمانه وظهر منه امارته دون من اتهم عليهم بالنفاق فانما نسبهم اليهم لا يجوز الا على
المجاز لتشبههم بالصحابة وتسترهم بالكلمة وادخالهم انفسهم في غمارهم ولهذا قال في اصحابي
ولم يقل من اصحابي وذلك مثل قولنا ابليس كان في الملائكة اي في زمرتهم ولا يصح ان يقال
كان من الملائكة فان الله سبحانه وتعالى يقول كان من الجن وقد اشار بهذا القول الى خاصة
وذوي المنزلة منه من صحبه بامر هذه الفئة المسومة المذبذبين لئلا يقبلوا منهم الايمان ولا يقبلوا منهم
قبلهم المكروه والخداع ولم يكن يخفى عن المحفوظين شانهم لاشتهارهم بذلك في الصحابة انهم
كانوا يواجهونهم بصريح المقال اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حذيفة اعلمهم باسمائهم
وذلك انه كان ليلة العقبة مع النبي صلى الله عليه وسلم مرجعه من غزوة تبوك حين هموا بقتله ولم
يكن في العقبة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمار يقود به وحذيفة يسوق به وكان منهم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نادى ان خذوا بطن الوادي فهو اوسع لكم فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اخذ الثنية فلما سمعه المنافقون طمعوا في المكر به فاتبعوه متلثمين
وهم اثنا عشر رجلا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم خشفة القوم من ورائه فامر حذيفة
ان يردهم فاستقبل حذيفة وجوه رواحلهم بمحجن كان معه فضربها ضربا فرعبهم الله حين ابصروا
حذيفة فانقلبوا مسرعين على اعقابهم حتى خالطوا الناس فادرك حذيفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لحذيفة هل عرفت احدا منهم قال لا فانهم كانوا متلثمين ولكن اعرف
رواحلهم فقال ان الله تعالى اخبرني باسمائهم واسماء ابائهم وساخبرك بهم ان شاء الله عند
الصباح فمن ثم كان الناس يراجعون حذيفة في امر المنافقين وقد ذكر عن حذيفة انهم
كانوا اربعة عشر فتاب اثنان وبقي اثنا عشر على النفاق في ما اخبر بالصادق المصدوق واذا طلعت
في اسمائهم في كتب حفاظ الحديث مرويا عن حذيفة عن ابي وجدت في بعضها اختلاف فلم ار ان
اخاطر بديني فيها لا ضرورة لي ثمانية منهم اي من الاثني عشر منافقا تكفيهم اي تدفع شرهم الدبيلة
قال القاضي الدبيلة في الاصل تصغير الدبل وهي الداهية فاطلقت على قرحة ردية تحدث في باطن
الانسان ويقال لها الدبلة بالفتح والضم سراج من نار تفسير للدبيلة والظاهر انه من كلام
حذيفة يظهر اي يخرج السراج في اكتافهم حتى ينجم بضم الجيم اي تظهر وتطلع النار من صدورهم
اي في بطونهم وفي كلام القاضي ابهام اي اذ ترك لفظ بصيغة الغائب حيث قال وفي شرح السنة في
الحديث نار تخرج في اكتافهم حتى ينجم اي يظهر من نجم ينجم اذا ظهر وطلع ثم قال ولعله اراد به ورما
حارا يجدون عقبه يظهر اثر تلك الحرارة وشدة لهيبها في صدورهم تمثيلا بسراج من نار وهو شعلة
المصباح وقد روي عن حذيفة انه صلى الله عليه وسلم عرفه اياهم وانهم هلكوا كما اخبر الرسول
صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وسنذكر حديث سهل بن سعد لاعطين هذه الراية غدا اي رجلا

يفتح

يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله في باب مناقب علي اي فانه اولى وحديث
جابر اي وسنذكر حديث جابر من يصعد الثنية بكسر الدال للتقاء الساكنين على ان من شرطية وفي نسخة
يصعد بالرفع على ان من استفهامية وتمامه فانه يحط عنه ما حط عن بني اسرائيل في باب جامع المناقب
اي فانه المناسب ان شاء الله تعالى متعلق بسنذكر الفصل الثاني عن ابي موسى قال
خرج ابو طالب الى الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في اشياخ من قريش اي في جملتهم
والمراد منهم اكابرهم فلما اشرفوا اي اطلعوا على الراهب اسمه بحيرا وهو بفتح الباء وكسر الحاء ممدودا في
المشهور لكن ضبط الشيخ الجزري بفتح الباء وكسر الحاء المهملة وبالياء لكنه بفتح الراء والف مقصورة
وهو رواية اهل الانصار قاله شارح وقال المظهر وكان اعلم النصرانية وكذا ذكره الجزري والجمع بانه
لا مانع من الجمع هبطوا اي نزلوا في ذلك الموضع وهو بصرى من بلاد الشام على ما ذكره المظهر فحلوا
رحالهم اي ففتحوها فخرج اليهم الراهب وكانوا اي الناس من قريش قبل ذلك يمرون به اي بمكانه
فلا يخرج اليهم قال اي الراوي فهم يحلون رحالهم اشتغال بحوائجهم ونزولهم في اول حلولهم وصرفهم
فجعل يتخللهم الراهب اي اخذ يمشي فيما بينهم لتفرسهم ويطلب في خلالهم شخصا حتى جاء فاخذ بيد رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اي مستبشرا ببيانه هذا سيد العالمين اي على الاطلاق هذا رسول
رب العالمين اي الى العالمين جميعهم نظرا الى التبعية والالحاق كما اشار اليه بقوله يبعثه الله
اي برسالته او بظهور رسالته رحمة للعالمين لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وفيه ايماء الى
انه مبعوث الى كافة الخلق اجمعين فقال له اشياخ من قريش ما علمك اي ما سبب علمك وبيان
كيفيته فقال انكم حين اشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا خر اي سقط ساجدا اي متواضعا
اليه ولا يسجدان الا لنبي اي عظيم ورسول كريم واني اعرفه اي النبي ايضا بخاتم النبوة بفتح التاء وكسرها
والنبوة بالادغام وفي نسخة اسفل بالنصب اي في مكان اسفل من غضروف كتفه بضمتين وهو راس
لوح الكتف مثل التفاحة بالنصب وفي نسخة صحيحة بالرفع وفي اخرى بالجر على انه صفة خاتم
ذكره شارح وقال بعض المحققين يروى بالرفع على انه خبر محذوف وبالنصب على اضمار الفعل
ويجوز الجر على الابدال دون الصفة لان مثلا وغيرا لا يتعرفان بالاضافة الى المعرفة ثم رجع
اي الراهب فصنع لهم طعاما فلما اتاهم به اي بالطعام وكان هو اي النبي صلى الله عليه وسلم في رعية
الابل بكسر الراء وسكون العين اي في رعيها فقال اي الراهب ارسلوا اليه اي فان المدار عليه
فاقبل اي بعد الارسال او قبله وعليه غمامة اي سحابة تظله اي تجعله تحت ظلها فلما دنا من القوم
اي قرب منهم وجدهم اي وجد النبي صلى الله عليه وسلم القوم قد سبقوه الى فيء شجرة اي الى ظلها
فلما جلس مال فيء الشجرة عليه اي زيادة على ظل السحابة او زالت السحابة ومالت الشجرة اظهارا
للخوارق وقال الطيبي قوله عليه اي وانقطع ظله عليه فقال اي الراهب للقوم انظروا الى فيء الشجرة
مال عليه اي ان كنتم ما تنظرون الى مظلة السحاب فانظروا الى مظلة الاشجار وكرر الله سبحانه
اعماهم كما اخبر به بقوله وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون واظهر هذا المعنى في قوله سبحانه
فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فقال اي الراهب انشدكم الله بنصب
الجلالة وبضم الشين اي احلف عليكم بالله واطلب منكم بالله جواب هذا السؤال
وبطل عمل الفعل للتعليق بالاستفهام في قوله ايكم وليه اي قريبه والجملة مبتدا وخبر قالوا ابو طالب
اي وليه فلم يزل اي الراهب يناشده اي يناشد ابا طالب ويطالب رده عليه السلام خوفا عليه من
اهل الروم ان يقتلوه في الشام ويقول لابي طالب بالله عليك ان ترده الى مكة وتحفظه
من العدو حتى رده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا وفيه وهم وانه قال عن ابيه قال فرده معه رجالا
وكان فيهم بلال اخرجه رزين وزوده الراهب من الكعك وهو الخبز الغليظ مما يؤكل من الزيت

وقال شارح هو نوع من الخبز وقال الطيبي هو الخبز وهو دخيل معرب وكذا في القاموس والزيت اي
ادام ذلك الخبز كذا ورد من طرق رواه احمد وغيره كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة
رواه الترمذي اي وقال حسن غريب وقال الجزري اسناده صحيح ورجاله رجال الصحيحين
او احدهما وذكر ابو بكر وبلال فيه غير محفوظ وعده ائمتنا وهما وهو كذلك فان سن النبي صلى الله
عليه وسلم اذ ذاك اثنا عشر سنة وابو بكر اصغر منه بسنتين وبلال لعله لم يكن ولد في ذلك الوقت
انتهى وقال في ميزان الاعتدال وفيه ما يدل على بطلانه وهو قوله وبعث معه ابو بكر بلالا فان
ابا بكر اذ ذاك ما اشترى بلالا وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة الحديث رجاله ثقات وليس فيه
سوى هذه اللفظة فيحتمل انها مدرجة فيه منقطعة من حديث آخر وهما من احد رواته كذا
في المواهب اللدنية ولا يخفى ان ايراد هذا الحديث في باب علامات النبوة كان اوفق للتحقيق
والله ولي التوفيق وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه
وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل اي حجر كما في رواية ولا شجر الا وهو يقول
السلام عليك يا رسول الله فالحديث معجزة للنبي وكرامة للولي رواه الترمذي والدارمي
وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي اي جيء بالبراق ليلة اسري به باضافتها على البناء
وجواز تنوينها منونا والتقدير اسري فيها به صلى الله عليه وسلم ملجما مسرجا على بناء المفعول
فيهما اي موضوعا عليه اللجام والسرج فاستصعب اي استصعب البراق عليه ولم يمكنه من الركوب
ويقال استصعب عليه الامر اي صعب فالمعنى صعب عليه ركوبه باستصعابه فقال له جبريل
أبمحمد تفعل هذا ولم تفعله بغيره او ولو فعلت بنبي من الانبياء فما ركبك احد اكرم على الله منه برفع
اكرم وفي نسخة صحيحة قال التوربشتي وجدنا الرواية في اكرم بالنصب فلعل التقدير فما
ركبك احد كان اكرم على الله منه قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فارفض بتشديد الضاد المعجمة اي انصب البراق
عرقا تمييز والمعنى سال منه العرق حال كونه اهتز اذ صدر عنه حياء وظرافة ونفع استعصاءه رواه الترمذي وقال
هذا حديث غريب وعن بريدة بالتصغير اي اسلم قبل بدر ولم يشهدها وبايع بيعة الرضوان قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس سبق ضبطه بالوجهين قال جبريل باصبعه
اي اشار بها فخرق اي جبريل بها اي بتلك الاشارة الحجر فشد اي جبريل او النبي صلى الله عليه وسلم به اي بالحجر
البراق قال الطيبي فان قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله في حديث انس فربطته بالحلقة
التي كان يربط بها الانبياء قلت لعل المراد من الحلقة الموضع الذي كانت فيه الحلقة فخرقه واسند الخرق
جبريل عليه السلام رواه الترمذي وكذا ابن حبان وصححه وعن يعلى بن مرة الثقفي قال المؤلف شهد
الحديبية وخيبر والفتح وحنينا والطائف روى عنه جماعة وعداده في الكوفيين قال ثلاثة اشياء
اي من المعجزات رايتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في سفر واحد بينا نحن نسير معه اذ مررنا
ببعير يسنى على بناء المفعول اي يستقى عليه فلما رآه البعير جرجر اي صاح من الجرجرة وهي صوت يردد
البعير في حلقه على ما ذكره القاضي فالمعنى ردد الصوت في حلقه ثم وقف عليه النبي صلى الله عليه
وسلم فقال اين صاحب هذا البعير اي مالكه فجاءه فقال بعنيه فقال بل نهبه لك اي لا نبيعه اياك
بل نعطيك هبة يا رسول الله فانا نرضى بذلك لتقتضي جلالتك وانه بكسر الهمزة والضمير للبعير اي
والحال انه لاهل بيت اراد نفسه وقبيلته ما لهم معيشة اي لتيسر لقمة ما يعيشون به غيره قال
اما بتشديد الميم وفي نسخة بتخفيفها على انها للتنبيه والتقرير ظاهر لقوله اذ ذكرت هذا من امره
اي هذا علم لي ما طلبت شراءه لا للتخليص لغرض آخر به فانه شكى كثرة العمل وقلة العلف فاذا كان
كذلك فان امتنع البيع فاحسنوا اليه اي بكثرة العلف وقلة العمل مع جواز كثرته وقلته اذ الظلم
هو الجمع بين كثرة العمل وقلة العلف قال الطيبي جزاء اما محذوف وتقديره فانه شكى جواب لاما تقدم

تقديره اما اذ ذكرت ان البعير لاهل البيت ما لهم معيشة فلا التمس شراءه واما البعير فقد
اشتكى فاني علمته للحلوب والله اعلم بالصواب وفي المغني واما بالفتح والتشديد فهو حرف شرط وتفصيل
وتوكيد ثم قال وقد يترك تفصيلا اصلا نحو اما زيد فمنطلق واما التوكيد فقل من ذكره ولم ار
من احكم شرحه غير الزمخشري فانه قال فائدة اما في الكلام ان تعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب
فاذا قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد
فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين
بيان كونه توكيدا وانه في معنى الشرط ثم سرنا اي سافرنا او تحولنا من مكاننا حتى نزلنا منزلا فنام
النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الارض اي تقطعها حتى غشيته اي اتته وظللته
ثم رجعت الى مكانها فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له اي انا وفي نسخة
المجهول اي ذكرت القضية له وهو يحتمل الخطاب فقال هي شجرة استاذنت ربها في ان تسلم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لها اي فجاءت للسلام قال اي يعلى ثم سرنا فمررنا بماء اي بموضع
ما فيه جمع من اهله وقال شارح اي بقبيلة فاتته امرأة بابن لها به جنة بكسر الجيم اي جنون فاخذ
النبي صلى الله عليه وسلم بمنخره بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة في النسخ كلها وفي القاموس المنخر
بفتح الميم والخاء وبكسرهما وضمهما وكمجلس الانف ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم للجنون او لمن كان
الذي فيه اخرج اي منه اني محمد رسول الله ثم سرنا فلما رجعنا مررنا بذلك الماء فسالها اي المرأة
عن الصبي فقالت والذي بعثك بالحق ما رأينا منه اي من الصبي ريبا بفتح الراء وسكون الياء اي
شيئا نكرهه بعدك اي بعد مفارقتك او بعد دعائك ومنه قوله تعالى ريب المنون اي حوادث
الدهر وقيل ما رأينا منه ما اوقعنا في شك من حاله وتحيرنا من امره ومنه قوله سبحانه لا ريب
فيه رواه اي البغوي في شرح السنة اي باسناده وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ان
امرأة جاءت بابن لها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون
وانه ليأخذه اي الجنون عند غدائنا وعشائنا اي عند حضورهما او وقت استعمالهما وقال شارح
اي صباحا ومساء فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره اي صدر الولد ودعا فثع بفتح
بالمثلثة والعين المشددة اي قاء ثعة اي قيئة واحدة وفي النهاية الثع القيء والثعة المرة الواحدة
وخرج من جوفه مثل الجرو بكسر الجيم وسكون الراء اي ولد الكلب الاسود صفة الجرو وقوله يسعى
حال اي يمشي ذلك الجرو ويسرع رواه الدارمي وعن انس رضي الله تعالى عنه قال جاء جبريل
عليه السلام على ما في نسخة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو اي النبي جالس حزين وقد تخضب
بالدم اي تلوث به يوم احد عند كسر رباعيته من فعل اهل مكة اي من ضرب كفارهم وقد قال عبد الرزاق
عن معمر عن الزهري ضرب وجه النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف سبعين ضربة وقاه الله تعالى
ذكره السيوطي في حاشية البخاري وذلك لقوله تعالى والله يعصمك من الناس لكن حصل له
هذا الكسر ليكثر له الاجر ويحتذي به من ركب مشقة المؤمنين ومحنة المجاهدين ولذا لما اصاب
حجر اصبعه ودميت قال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فقال اي جبريل
يا رسول الله هل تحب ان نريك آية اي علامة منك على نبوتك تسليتك على محنتك لتعرف
انها سبب لمزيد محبتك ورفع منزلتك قال نعم فنظر اي جبريل الى شجرة من ورائه اي من خلفه
اي من خلف النبي عليه السلام فقال اي جبريل ادع بها اي اطلبها فدعا بها فجاءت فقامت بين يديه
اي منتصبة لديه ومنقادة اليه صلى الله عليه وسلم فقال اي جبريل مرها اي بالرجوع فلترجع الى
محلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرها فرجعت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي اي كفاني حسبي
تزيد اليقين او اشارة الى انكار خرق العادة بالمجيء والاعادة والمعنى كفاية في تسليتي عما لقيته

من الخرق هذه الكرامة من ربه رواه مسلم وعن ابن عمر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر
أي في طريق أو سفرة فأقبل أعرابي أي بدوي فلما دنى أي قرب قال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم تشهد أي أتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وقال ومن
يشهد أي على وجه خرق العادة وظهور المعجزة على ما تقول أي من دعوى الرسالة قال هذه السلمة
بفتحات شجرة من البادية ذكره شارح وفي النهاية السلم شجر من العضاة واحدها سلمة بفتح
اللام وورقها القرظ الذي يدبغ به وبها سمي الرجل سلمة فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو أي والحال أن النبي صلى الله عليه وسلم بشاطئ الوادي أي كان واقفا بطرفه فأقبلت أي
الشجرة كما في نسخة تخد الأرض بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة أي تشقها أخدودا
وقوله خدا في ما في بعض النسخ مفعول مطلق حتى قامت بين يديه أي مستسلمة عليه ومسلمة لديه
فاستشهدها أي طلب الشهادة منها من الشجرة ثلاثا أي مرات ثلاثا متواليا فشهدت ثلاثا أنه
كما قال أي أن الشأن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من كونه رسول رب العالمين ثم رجعت
إلى منبتها بكسر الموحدة أي موضع نباتها ومقر طراوتها رواه الدارمي وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما قال جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بما أعرف أي من معجزاتك
أنك نبي أي صادق قال إن دعوت بكسر التاء في أكثر الأصول وفي بعضها بفتحها وهو الأظهر أي إن
دعوت هذا العذق بكسر العين وهو العرجون بما فيه من الشماريخ وهو بمنزلة العنقود من
العنب وبالفتح النخلة والمراد به الأول لقوله من هذه النخلة يشهد أي حال كون العذق
يشهد أني رسول الله وقال الطيبي إن دعوت جواب لقوله بما أعرف أي بأني إن دعوته يشهد
انتهى ومقتضاه أن يكون يشهد مجزوما بصيغة الغائب والمعنى تعرف بأني إن دعوته يشهد
وذكر شارح أن الشرط يشهد جزاؤه والمصدرة ويشهد جملة حالية انتهى وظاهره أن يكون تشهد
على الأول مخاطبا مجزوما كما في نسخة ليكون جواب إذ البتة له جواب صواب جزم فدعاه أي العذق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل أي فشرع العذق ينزل من النخلة حتى سقط أي وقع على
الأرض إلى النبي صلى الله عليه وسلم أي منتهيا إليه ومستسلما لديه ثم قال ارجع فعاد أي إلى ما كان
عليه فأسلم الأعرابي رواه الترمذي وصححه وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال جاء ذئب بهمزة
ساكنة ويبدل إلى راعي غنم أي إلى قطعة غنم راعيها معها فأخذ أي الذئب منها شاة فطلبه الراعي
أي تبعه وجد عليه حتى انتزعها منه أي خلصها من فمه قال أي الراعي فإنه هو الراوي والراوي ذكره شارح
فصعد الذئب على تل بتشديد اللام أي مكان مرتفع فأقعى أي جلس مقعيا بأن قعد على وركيه ونصب
يديه واستثفر بالمثلثة فالفاء أي أدخل ذنبه بين رجليه وقيل بين ليتيه وقال قد عمدت
بفتح الميم على صيغة المتكلم إخبارا على سبيل الشكاية وفي نسخة بصيغة الخطاب على
أنه استفهام على سبيل الإنكار والمعنى قصدت إلى رزق رزقنيه الله أي أباحه لي أخذته ثم انتزعته
مني أي بناء على وجوب تخليصه عليك فالحال أنا ذوو تحت أمره مطيعون لحكمه مستسلمون
لقضائه وقدره فقال الرجل أي الراعي قال التوربشتي اسمه أهبان بن أوس الخزاعي ويقال له
مكلم الذئب تالله قسم فيه معنى التعجب إن رأيت أي ما رأيت كاليوم أي ما رأيت ذئبا يتكلم
كاليوم وفي الفائق أي ما رأيت أعجوبة كأعجوبة اليوم فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه
وحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ذئب يتكلم خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل أي شيء هو
فقال ذئب يتكلم فقال الذئب أعجب من هذا أي من تكلم الذئب رجل في النخلات بالفتحات
نخيل المدينة الواقعة بين الحرتين بفتح الحاء وتشديد الراء تثنية حرة وهي أرض ذات حجارة
سود بين جبلين من جبال المدينة يخبركم بما مضى أي بما سبق من خبر الأولين بما قبلكم وما هو

كائن

كائن بعدكم أي من أنباء الآخرة وفي الذنب ومن أحوال الأجمعين في العقبى قال أي الراوي وهو أبو هريرة
فكان الرجل أي الراعي يهوديا فيه رد على ما قيل من أن ذلك الرجل خزاعي كذا وخزاعة ليست يهود
اللهم إلا أن يقال كان يهوديا فجاء أي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أي بخبر الذئب وأسلم فصدقه
النبي صلى الله عليه وسلم أي فيما رواه ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم إنها أمارة أي يجوز أن يكون
الضمير للقصة وأن يكون ضميرا مبهما يفسره ما بعده وأن يرجع إلى ما تكلم به الذئب
باعتبار المقالة والقصة ذكره الطيبي والمعنى أن الحالة التي رآها وأمثالها علامات من بين يدي
الساعة أي قدامها قد أوشك الرجل أي قرب أن يخرج أي من بيته فلا يرجع ظاهره النصب
لكن النسخ المصححة على رفعه على أن التقدير فهو لا يرجع حتى تحدثه نعلاه أي في رجله وسوطه
أي في يده بما أحدث أهله أي من أفعال السوء والحسنى بعده أي بعد خروجه من أهله ومن زينة
إياهم رواه أي البغوي في شرح السنة أي بإسناده وعن أبي العلاء بفتح العين قال المؤلف
في فصل التابعين اسمه يزيد بن عبد الله بن الشخير عن سمرة بن جندب تقدم ضبطهما وسبق
ذكرهما قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نتداول بفتح الدال وتشديد اللام أي نتناوبه
يعني أخذته هذه مرة وتلك مرة ذكره شارح يتناوب أخذ الطعام من قصعة بفتح القاف
أي من صحفة كبيرة من غدوة بضم فسكون ويجوز بفتحتين قاله أي من أول النهار حتى الليل
أي إلى دخول العشية يقوم عشرة أي بعد فراغهم من الأكل منها ويقعد عشرة أي للأكل ولعله
قلنا أي لسمرة فمما كانت تمد بصيغة المجهول من الإمداد وهو الظاهر ومن المد ومنه قولك مد البحر
بالزيادة والمعنى فأي شيء كانت القصعة تمد منه وتزاد فيه ومن أين يكثر الطعام فيها طول النهار
ولما كان في هذا السؤال نوع من التعجب قال أي سمرة من أي شيء تعجب والخطاب لأبي العلاء
من جملة القائلين فإنه من رؤساء التابعين أو المراد خطاب العام والمعنى لا تتعجب في الحال
ما كانت تمد إلا من ههنا وأشار بيده إلى السماء والمعنى لا يكون كثرة الطعام فيها إلا من عالم
الغيب ونزول البركة فيها من السماء وفيه إيماء إلى قوله تعالى وفي السماء رزقكم وهذا ظاهر شرح الكلام
على وفق المرام وقال شارح ضمير قال للنبي صلى الله عليه وسلم وإليه ذهب المظهر ومن تبعه
وقال الطيبي ويحتمل أن يكون القائل سمرة والسائل أبو العلاء وهو الظاهر انتهى ووجه ظهوره لا يخفى
إذ قد تقرر هذا السؤال من الأصحاب المشاهدين للمعجزة في غاية من الغرابة وأما سؤال التابعي
من الصحابي فقد يوجه بأنه توهم أنه كان يأتي الطعام ويوضع في القصعة كل مرة بعد فراغ
عشرة أو نحوها كما يقع في العرف على طريق الإعادة فأجاب الصحابي بأن هذا لم يقع إلا
على سبيل خرق العادة فالمدد من رب السماء لا من أحد من المخلوقين من سكان الأرض رواه
الترمذي والدارمي وعن عبد الله بن عمرو بالواو أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم بدر في ثلاثمائة
بكسر المثلثة أي ثلاثمائة على الإضافة وخمسة عشر بفتح الجزئين على التركيب قال أي شارح
بيان أو حال اللهم إنهم أي غالبهم حفاة بضم الحاء جمع حاف وهو من لا نعل له فاحملهم بهمزة وصل وكسر
ميم أي أعنهم والمعنى أعط كلا منهم المركوب اللهم إنهم عراة بالضم جمع عار أي عريان في بعض الأزار
فاكسهم بضم السين أي أعطهم الكسوة وألبسهم لباس الزينة اللهم إنهم جياع فأشبعهم
أي باطنا وظاهرا ليتقووا على الطاعة ففتح الله له أي للنبي صلى الله عليه وسلم ونصره على مشركي
مكة وصناديد قريش وأكابرهم حتى قتل منهم سبعون وأسر سبعون فانقلبوا أي رجعوا حين
وما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين واكتسوا وشبعوا أي من غنائم أعدائهم لقصد قال الله في
قوله عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وقال تعالى فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا
كما أخبر عنهم بقوله وإن فريقا من المؤمنين لكارهون وفي الحديث إن الصبر على ما تكرهونه

خير كثير ثم هذا نتيجة في الدنيا وفي الآخرة خير ثواب وفي رواية رواه ابو داود وعن ابن مسعود عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انكم منصورون اي على الاعداء ومصيبون اي للغنائم ومفتوح لكم اي
البلاد الكثيرة فمن ادرك ذلك اي ما ذكر منكم فليتق الله اي في جميع اموره ليكون كاملا وليأمر
بالمعروف ولينه عن المنكر ليكون مكملا مستقيما في ايام امارته وتخصيص على ذلك وقيل المراد الكلام
الغلول وهو الخيانة في الغنيمة والظاهر ان المراد هو المعنى الاعم والله اعلم رواه ابو داود
وعن جابر ان يهودية من اهل خيبر قيل انها زينب بنت الحارث وهي بنت اخي مرحب بن ابي مرحب
سمت شاة اي جعلتها مسمومة مصلية بفتح الميم وكسر اللام وتشديد التحتية اي مشوية
ثم اكثرت السم في الكتف والذراع لما بلغها انه احب الاعضاء اليه ثم اهدتها لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم اهدتها الى رسول الله اي اليه صلى الله عليه وسلم فاخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذراع فاكل منها واكل رهط اي جماعة من اصحابه معه اي من لحم تلك الشاة فقال صلى الله
عليه وسلم ارفعوا ايديكم اي كفوها وامنعوها عن الاكل وارسل الى اليهودية فدعاها اي طلبها
بحضرته فقال سممت هذه الشاة بتقدير الاستفهام او بتجريدها في اخبار الكلام وكذا لم تقل لا
او نعم فقالت من اخبرك اي الله اي خدم الخلق قال اخبرتني هذه اي الذراع بانطاق الله اياها
وقوله في يدي حال من هذه اي مستقرة في يدي للذراع وقيل اللام بمعنى من نحو قال زيد انا لم يفعل
السرائر الشيء للذراع انها اخبرتني ويحتمل ان يكون تمهيدا في اي قال ذلك مشير
اليه قالت نعم قلت جواب سؤال مقدر ان كان نبيا فلن يضره اي الشاة المسمومة وان لم
يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الطيبي فيه اختلاف الرواية
ورد انه امر بقتلها فقتلت ووجه التوفيق بينهما انه عفا عنها في اول الامر فلما مات بشر بن
البراء بن معرور من الاكلة التي ابتلعها امر بها فقتلت مكانه انتهى وفي المواهب وقيل انها اسلمت ولم
تقتل وقال بعض المحققين فقوله فعفا عنها اي تركها اولا لانه كان لا ينتقم لنفسه ثم لما مات
بشر بن البراء بن معرور امر بقتلها قصاصا ويحتمل ان يكون تركها لكونها اسلمت ثم امر بقتلها قصاصا
لقتل بشر ولم ينفرد الزهري بدعواه انها اسلمت فقد جزم به سليمان التيمي في مغازيه ولفظه
بعد قولها وان كنت كاذبا ارحت الناس منك وقد استبان لي انك صادق وانا اشهدك ومن حضر
على دينك ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وتوفي اصحابه الذين اكلوا من الشاة اي بعضهم
وهو بشر واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله بكسر الهاء اي بين كتفيه من اجل الذي اكل
من الشاة اي المسمومة حجمه ابو هند قيل اسمه يسار الحجام بالقرن والشفرة
بفتح فسكون اي كانت المحجمة قرنا والشفرة السكين العريضة وهو اي ابو هند مولى لبني بياضة
بفتح الموحدة وتخفيف التحتية قبيلة من الانصار رواه الدارمي وعن سهل بن الحنظلية قال المؤلف
هي ام جده وقيل امه وابيه ينتسب وبها يعرف واسم ابيه الربيع بن عمرو وكان سهل ممن بايع تحت الشجرة
وكان فاضلا معتزلا عن الناس كثير الصلاة والذكر وكان عقيما لا يولد له سكن الشام ومات بدمشق
في اول ايام معاوية انهم اي الصحابة ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين اي وقت
توجههم اليها فاطنبوا السير اي طالوا وبالغوا فيه حتى كان عشية بالنصب ممتدا الى وقت العشية
كذا ذكره الطيبي والاظهر انه بالرفع اي حتى كان الوقت عشية فجاء رجل اي راكب فرس فقال
يا رسول الله اني طلعت بكسر اللام وفي بعض النسخ بفتحها اي علوت على جبل كذا وكذا وفي القاموس
طلع الجبل علاه كطلع بالكسر واقتصر الجوهري على الكسر وصاحب المغني على الفتح وفي نسخة السيد
ضبط بالكسر ووضع عليه صح والله اعلم فاذا انا بهوازن بفتح الهاء وكسر الزاي قبيلة كبيرة على بكرة
ابيهم بفتح فسكون اي كلهم مجتمعين قيل كان الرجل يجمع جميع اولاده على بكرة والبكر بالفتح الفتي

من الابل بمنزلة الغلام من الناس والانثى بكرة وجاؤوا على بكرة ابيهم كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وتوفر العدد
بنعالهم اي القوم على بكرة ابيهم اي جاؤوا جميعهم بحيث لم يبق منهم احد وعلى ههنا بمعنى مع وهو مثل يضرب
العرب وكان السبب ان جمعا من العرب عرض لهم انزعاج فارتحلوا جميعا ولم يخلفوا شيئا حتى ان بكرة كانت
لابيهم اخذوها معهم فقالت ورآهم جاؤوا على بكرة ابيهم فصار ذلك مثلا في من جاؤوا بجمعهم وان
لم يكن معهم بكرة وهي التي يستقى عليها الماء فاستعيرت في هذا الموضع بظعنهم بضمتين ويسكن
الثاني جمع ظعينة من الرجال والنساء الذين يظعنون اي يرتحلون كذا قاله شارح وقال الجزري اي بنسائهم
وهو الاظهر لانه جمع الظعينة وهي المرأة ما دامت في الهودج وقيل هي الهودج كانت فيه امرأة
او لا وهو مركب من مراكب النساء مقتب وغير مقتب ونعمهم اي ودوابهم ومواشيهم اجتمعوا الى حنين
اي متوجهين اليه فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي متعجبا من حسن صنيعه سبحانه
وقال تلك اي الجماعة من الرجال والنساء والاموال غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله تعالى
للتبرك وللتقييد احتياطا ثم قال من يحرسنا بضم الراء اي يحفظ عسكرنا من العدو الليلة
اي الاتية قال انس بن ابي مرثد بفتح الميم والمثلثة الغنوي بفتحتين انا يا رسول الله
قال المؤلف شهد انس بن مرثد بن ابي مرثد فتح مكة وحنينا ومات سنة عشرين وله ولابيه وجده
ولابيه صحبة واسم ابي مرثد كناز بفتح الكاف وتشديد النون وبالزاي وقيل ان انسا هذا انيس
قال ابن عبد البر وهو اكثر ويقال انه الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم اغد يا انيس الى امرأة
هذا فان اعترفت فارجمها وفيه نظر والله اعلم قال اركب فركب فرسا له فقال استقبل هذا
الشعب بكسر اوله وهو الطريق بين الجبلين حتى تكون في اعلاه فلما اصبحنا خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى مصلاه فركع ركعتين اي سنة الصبح ثم قال هل احسستم بكسر السين اي
ادركتم بالحس فارسكم بالاضافة لانه منكم فقالوا رجل يا رسول الله ما احسسناه
اي ما عرفنا له خبرا ولا رأينا له اثرا فثوب بتشديد الواو المكسورة اي اقيم بالصلاة قال
الطيبي الاصل في التثويب ان يجيء الرجل مستصرخا فيلوح بثوبه ليرى ويشتهر فسمي الدعاء تثويبا لذلك
وكل داع مثوب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي جملة حالية معترضة والمعنى
شرع حال الصلاة يلتفت الى الشعب اي يميل الطرف عينه الى جهة الطريق في الجبل حتى اذا قضى
الصلاة اي اداها وفرغ منها قال ابشروا فقد جاء فارسكم بالاضافة لادنى ملابسة فجعلنا ننظر
الى خلال الشجر في الشعب بكسر الخاء المعجمة جمع الخلل بفتحتين وهو الفرجة بين الشيئين فاذا هو
اي الفارس قد جاء حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي راكبا او نازلا فقال اني انطلقت
حتى كنت في اعلى هذا الشعب حيث امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى حسن العدول
عن قوله حيث امرتني فلما اصبحت طلعت الشعبين كليهما اي فتشت طريقي الجبل وجوانبهما
مخافة ان يكون فيه احد مختفيا فلم ار احدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل نزلت
اي عن الدابة الليلة اي للاستراحة وهي الماضية قال لا الا مصليا او قاضي حاجة اي من بول او غائط
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا عليك اي ليس عليك حرج في ان لا تعمل من النوافل
والفضائل بعدها اي بعد هذه الخصلة التي فعلتها فانه قد حصل لك فضيلة كافية قال ابن
الملك وفيه بشارة منه صلى الله عليه وسلم بان الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
انتهى ولا يخفى ما فيه من النظر وقال الطيبي اي لا بأس عليك بان لا تعمل بعد هذه الليلة من الخيرات
والخيرات فان هذه الليلة كافية لك عند الله مثوبة وفضيلة واراد النوافل والتبرعات
من الاعمال لا الفرائض فان ذلك لا يسقط ويمكن ان يراد في ما عليه من عمل الجهاد دون ذلك اليوم
جبرانا لقلبه وتسلية له رواه ابو داود وعن ابي هريرة قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم

تمرات بعثمان قال الشيخ ابو نصر كانت التمرات احدى وعشرين كذا في الازهار فقال لي رسول الله ادع الله
فيهن بالبركة اي اسال الله البركة فيهن او لاجلهن فضمهن اي فاخذهن بيديه او وضع يديه عليهن ثم دعا لي
اي لاجلي خصوصا فيهن بالبركة اي بالبركة فيهن وكثرة الخير في اكلهن وبقائهن قال اي الطريق ثم قال
خذهن فاجعلهن اي ادخلهن في مزودك بكسر الميم وتفتح وعاء يجعل فيه الزاد من الجراب وغيره كلما اردت ان
تاخذ منه اي من التمر او المزود شيئا قال الطيبي اي فجعله صلة لتاخذ وشيئا مفعول فيكون نكرة
شايعة فلا يختص بالتمر اي فاجعلها لا من شيء اختص به فادخل فيه اي في المزود يدك فخذه اي التمر منه
ولا تنثره بضم المثلثة ويكسر نثرا مفعول مطلق وفي المصباح نثرته نثرا من باب نصر وضرب رميت به
متفرقا فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق اي ستين صاعا في ما هو المشهور وصرح به شارح
او حمل بغير ما ذكر في القاموس في سبيل الله قال الطيبي يجوز ان يجعل حملت في الحقيقة وان يجعل في
معنى الاخذ اي اخذت منه مقدارا كذا بدفعات انتهى والحمل في الحقيقة اولى فانه ابلغ في المدعي ويؤيده قوله
فكنا اي انا واضيافي ناكل منه ونطعم اي غيرنا وكان اي المزود لا يفارق حقوي اي وسطي قال شارح
الحقو الازار وقال الطيبي الحقو معقد الازار ثم سمي به الازار للمجاورة حتى كان يوم بالرفع في كان تامة
وجوز نصبه على ان كان ناقصة اي الى ان كان الزمان يوم قتل عثمان بصيغة المصدر مضافا الى المفعول
وفي نسخة بصيغة المجهول وعثمان نائب الفاعل قال الخطابي يجوز فتح يوم مضافا الى قتل
او جملة لكونه مبنيا ويجوز رفعه على انه فاعل كان التامة فانه اي المزود انقطع اي في ذلك اليوم وسقط
مني وضاع فحزنت عليه حزنا شديدا وفيه ايماء الى ان الفتنة كان سببا لانقطاع البركة وكان يقول
ابو هريرة للناس هم وبين هم بينهم هم الجراب وهم الشيخ عثمان ذكره ابن الملك رواه الترمذي

الفصل الثالث عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال تشاورت قريش ليلة بمكة

اي في دار الندوة وحضرهم الشيطان على صورة شيخ نجدي فقال بعضهم اذا اصبح فاثبتوه بفتح
همز وكسر موحدة اي فاربطوه بالوثاق بفتح اوله وكسره ما يشد به يريدون النبي صلى الله عليه وسلم
اي يعينونه بالضمير المستتر والبارز والاظهر ان المراد باثباته حبسه وقال بعضهم بل اقتلوه اي
وحصلوا لكم منه الراحة وقال بعضهم بل اخرجوه اي في وجه الارض كما اخبر الله سبحانه عنهم بقوله
واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم
خافوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ فقال انا من
نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه
في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الراي
ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من
ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا اري ان تاخذوا
من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم
على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاطلع الله
نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك اي بان جاء جبريل واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا كرم الله
وجهه في مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله تعالى عنه الى الغار فبات علي رضي الله تعالى عنه على فراش
النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار وبات المشركون
يحرسون عليا اي للتعمية عنهم في التخلية اذ كان يرى الكفار انه النبي انهم يحرسونه في الليل ثم في الصبح
يقتلونه كما يشير اليه قوله يحسبونه بكسر السين وفتحها اي يظنون عليا النبي صلى الله عليه وسلم
فلما اصبحوا ثاروا بمثلثة اي قاموا اليه ووثبوا عليه اي على من في المرقد ظنا انه عليه السلام فلما راوا
اي مكانه رد الله مكرهم اي عليهم كما قال سبحانه ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فقالوا اين

لعلي اي ابن ذهب صاحبك هذا اي المشار اليه صلى الله عليه وسلم قال اي علي من كمال عقله لا ادري وهو
اما حقيقة او تورية فاقتصوا بتشديد الصاد المهملة اي فتتبعوا اثره اي اثر قدمه فلما بلغوا الجبل اي جبل
ثور اختلط اي اشتبه امر الاثر عليهم فصعدوا الجبل بكسر العين في القاموس صعد في السلم كسمع انتهى
فصعد والجبل من باب دخلت الدار اي فتطلعوا عليه فمروا بالغار اي بالكهف الذي فوق ذلك الجبل فظنوا انه
فيه فراوا على بابه نسج العنكبوت اي منسوجه فقالوا لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه وقد
لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وروي ان المشركين طلعوا
فوق الغار فحيث لو نظر واحد الى قدميه لرآهما فاشفق ابو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله
فلم يروه ولا منع من جمع الجمع فمكث بضم الكاف وفتحها اي لبث فيه ثلاث ليال اي ثم توجه الى المدينة
رواه احمد وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال لما فتحت خيبر اهديت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم شاة فيها سم بفتح السين وتضم وبكسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوا الي اي لاجلي
وفي نسخة لي اي منتهين الي او اجعلوا مجتمعين عندي من كان هاهنا اي في هذا المكان من اليهود فجمعوا
اليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سائلكم عن شيء اي او لا فهل انتم مصدقي بتشديد الدال
والياء اي مصدقون في الاخبار عنه اي ثانيا قال بعض المحققين في اصل المالكي صادقي بالتحقيق
قال كذا في ثلاثة مواضع في اكثر النسخ فبدل في الاصل دخول نون الوقاية في الاسماء المعربة
المضافة الى ياء المتكلم لشبهها في خفاء الاعراب فلما منعوها ذلك صار الاصل متروكا فنبهوا عليه في بعض
الاسماء المعربة المشابهة للفعل قالوا نعم يا ابا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ابوكم اي جدكم قالوا فلان اي بطريق الكذب في وجه الامتحان قال كذبتم بل ابوكم فلان قالوا
صدقت وبررت بكسر الراء اي احسنت قال فهل انتم مصدقي عن شيء ان سالتكم عنه اي ثم اخبرتكم به
قالوا نعم يا ابا القاسم وان كذبناك اي في قولنا هذا عرفته كما عرفته في ابينا فقال لهم من اهل
النار قالوا نكون فيها يسيرا اي زمانا قليلا كما اخبر الله سبحانه عنهم بقوله وقالوا لن تمسنا النار
الا اياما معدودة ثم تخلفونا بضم اللام وتشديد النون وتخفيف ان تخلفونا فيها وهذا على زعمهم الفاسد
واعتقادهم الكاسد انه ترك صدق وجرح حق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسئوا فيها اشارة
الى قوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وهو في الاصل زجر الكلب فالمعنى اسكتوا سكوت هوان فانكم
كاذبون في اخباركم والله لا نخلفكم فيها ابدا ثم قال هل انتم مصدقي عن شيء ان سالتكم عنه فقالوا
نعم يا ابا القاسم قال هل جعلتم في هذه الشاة سما قالوا نعم قال فما حملكم على ذلك قالوا اردنا
ان كنت كاذبا اي في دعوى رسالتك ان نستريح منك وان كنت صادقا لم يضرك بتشديد الراء
المفتوحة ويجوز ضمها ولم يضرك بكسر الضاد وسكون الراء المخففة لجازم كما في قوله تعالى لا يضركم شيء
في القران قال الطيبي قوله ان نستريح مفعول اردنا وجزاء الشرط المتوسط بين الفعل والمفعول
محذوف لوجود القرينة اي ان كنت كاذبا فيضرك فنستريح منك وان كنت صادقا لم يضرك فنستفيد
بينك [margin]
نحاصله اردنا الامتحان بحيث انا ان نعلم انك كاذب فنستريح منك وان كنت نبيا نعلم انك نبي
فنتبعك وفيه انه تبين من فحواهم انهم كاذبون في دعواهم فثبت عليهم الحجة البالغة بظهور المعجزة
السابقة رواه البخاري وعن عمرو بن اخطب الانصاري قال المؤلف هو مشهور بكنيته ابي زيد
غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوات ومسح راسه ودعا له بالجمال فيقال انه بلغ مائة سنة
وليس في راسه ولحيته الا نبذ من شعر ابيض عداده في اهل البصرة وروى عنه جماعة قال صلى بنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الفجر اي صلاة الصبح وصعد بالكسر اي طلع على المنبر فخطبنا
اي خطب لنا او وعظنا حتى حضرت الظهر اي صلاة الظهر بدخول وقتها فنزل فصلى ثم صعد المنبر فيه

اشعاراً بانه قد يتعدى بنفسه فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر حتى غربت بفتح الراء
اي غابت الشمس فاخبرنا بما هو كائن الى يوم القيمة اي مجملا ومفصلا لا تنبيه للاعجاز اكثرنا اي اكثرنا علما
اي بالاشياء احفظنا اي لما ذكره الطيبي وقال السيد جمال الدين الاولى ان يقال احفظنا الان لذلك النقصه
اعلمنا اي الان رواه مسلم وعن معن بفتح فسكون ثقة وفي التابعين ابن عبد الرحمن اي ابن عبد الله
ابن مسعود الهذلي قال اي معن سمعت ابي اي عبد الرحمن ولم يذكرها المؤلف في اسمائه قال سألت
مسروقا وهو تابعي مشهور من اذن بالمد اي من اعلم النبي صلى الله عليه وسلم بالجن اي بحضورهم ليلة
بالتنوين ويجوز فتحها بناء على اضافتها الى قوله استمعوا القرآن بلا تنوين وهو افصح في قوله ليلة اسري به
وكذا في يوم ولد ونظائره ومنه قوله تعالى يوم ينفع الصادقين عند جمهور القراء فقال اي مسروق لعبد
الرحمن حدثني ابوك يعني عبد الله بن مسعود فتفسير من بعض الشراح المتأخرين انه اي ابن مسعود
ولا يبعد رجع الضمير الى النبي صلى الله عليه وسلم قال اذنت بالمد اي اعلمت بهم شجرة متفق عليه وعن انس
قال كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال اي فتطالبنا رؤيته وكنت رجلا حديد البصر فرأيته وليس
احد يزعم انه رآه اي الهلال غيري فجعلت اقول لعمر اما تراه فجعل لا يراه قال الطيبي كانه ابتاع لقوله
فجعلت اي طفقت اريد الهلال فهو لا يراه فالمحم جعل مشاكلة كما التحم فلا تخمسهم ثم ثمغارة من العذاب
تاكيد لقوله لا تحسبن بمفرحون انتهى ولا يبعد ان يقال التقدير فجعل عمر يطالع في السماء حال كونه
لا يراه قال يقول عمر اي بعد عجزه عن رؤيته ساراه وانا مستلق على فراشي الجملة حال من الفاعل اي
المفعول والمعنى ساراه بلا مشقة ولبسي الى رؤيته الان حاجة قال الطيبي اي لا يهمني الان
رؤيته بتعب ساراه بعد من غير تعب ثم انشأ اي ابتدأ عمر يحدثنا عن اهل بدر قال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا بضم فسكون اي يعلمنا مصارع اهل بدر اي مواضع طرحهم
وصرعهم وهلاكهم بالامس اي بالامس القضية لا الحكاية يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله هذا
مصرع فلان اي غدا كما في نسخة ان شاء الله يعني وهكذا الى ان بين مصارع سبعين منهم قال
عمر والذي بعثه اي النبي بالحق اي بالصدق ما اخطأوا اي ما تجاوزوا المذكورين الحدود التي حدها
اي المواضع التي بينها وعينها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة السيد جمال الدين ما اخطأ
بصيغة المتكلم من الافعال المجرد والمعنى ما غلطها بل احفظها واعرفها لكن لفظ مبني في سقوط
الواو عن اسم لكن يترجح بين حينئذ ان يكون في بنا الغائب المذكر المفرد والضمير راجع الى الله
والى النبي صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم قال اي عمر فجعلوا بصيغة المجهول اي فالقوا
في بئر اي غير مطوية بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان
بن فلان ويا فلان بن فلان بفتح النونين الاولين وهما كنايتان عن العجمي وبابه لا ذبن فلان وهكذا الى ان نادى كلهم
او بعضهم اكثرهم او اقلهم هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني قد وجدت ما وعدني الله حقا
ذنبه ايما الى قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد
ربكم حقا قالوا نعم وهو ايضا لا يبعد انهم قالوا نعم بما بلسان الحال او ببيان المقال قال عمر يا رسول
الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها اي بظاهرها او بكمالها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم متعلق
باسمع والمعنى لستم باقوى واكثر سماعا منهم لما اقول لهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيئا
اي من الجواب او يجيب انكم تسمعون رواه مسلم وعن انيسة بضم الهمزة بنت زيد بن ثابت
لم يذكرها المؤلف في اسمائه وعن ابيها قال المؤلف يكنى ابا عمرو الانصاري الخزرجي يعد في الكوفيين سكنها
ومات بها سنة ثمان وستين وهو ابن خمس وثمانين سنة روى عنه عطاء بن يسار وغيره ان النبي صلى
الله عليه وسلم دخل على زيد يعني نفسه اما على التجريد واما على الالتفات او بتصرف الرواة يعوده من
مرض كان به قال ليس عليك من مرضك باس ولكن كيف لك اي كيف حالك اذا عمرت بتشديد الميم

المكسونة اي طال عمرك بعدي فعميت بكسر الميم اي صرت اعمى قال احتسب اي اطلب الثواب واصبر اي
في حكم رب الارباب قال اذا بالتنوين وفي نسخة اذا تدخل الجنة بغير حساب وفي نسخة الجزري بالرفع و
وجهه انه تدخل بمعنى تستحق دخولها بغير محاسبة قال اي الشخص الراوي سواء كان انيسة او غيرها فعمي
بعد ما مات النبي صلى الله عليه وسلم ثم رد الله عليه بصره ثم مات ولعله صلى الله عليه وسلم لم يذكر له
رد بصره ليكون مشقة صبره اكثر واجر المرتب عليه اكبر ثم حصل له النظر مع الصبر وعن اسامة بن
زيد صحابيان جليلان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تقول بتشديد الواو
اي من كذب وافترى علي ما لم اقل اي متعمدا كما في رواية فليتبوأ مقعده من النار وهذا القدر من الحديث
كاد ان يكون متواترا في المعنى كما بيناه في موضعه وذلك اي وسبب ورود هذا الحديث انه اي النبي عليه
السلام بعث رجلا اي الى قوم او الى احد فكذب عليه اي على النبي عليه السلام وانكشف له بنور النبوة او
بلغه خبره فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد ميتا وقد انشق بطنه ولم تقبله الارض
وهذا ابن ثور الجويني ان المفتري على النبي عليه السلام عمدا كافر وما هو الا كذب بين لان بلغت البيهقي
في دلائل النبوة وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل يستطعمه فاطعمه شطر
وسق شعير اي نصف وسق وهو ستون صاعا الحمل بعير ويحتمل ان يراد بالشطر البعض فانه بعض
معانيه كما في قوله تعالى فولوا وجوهكم شطره وهو النصف بالمقام بدلالة الاغلبية في المرام وقد
سبق تحقيقه في حديث الطهور شطر الايمان فما زال الرجل ياكل منه وامرأته بالرفع اي وتاكل
في ايضا منه وضيفهما اي من الرجال والنساء كذلك وهو يطلق على المفرد والجمع حتى كاله اي الرجل بقية
الماكول ففني اي نفد سريعا فاتى النبي صلى الله عليه وسلم اي فذكر له ام لم يذكر فقال لو لم تكله لاكلتم اي
انت وامرأتك واضيافكم ولقام لكم اي على وجه الدوام ببركة النبي صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وعن
عاصم بن كليب بالتصغير قال المؤلف في فصل التابعين هو الجرمي الكوفي سمع اباه وغيره ومنه الثوري
وشعبة وحديثه في الصلاة والحج والجهاد انتهى وكان حقه ان يقول وفي المعجزات عن ابيه لتندرج كريم
المؤلف في اسمائه عن رجل من الانصار قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة بكسر الجيم
وتفتح فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على القبر اي طرفه والجملة حال يوصي الحافر بتخفيف
الصاد ويشدد حال اخرى يقول اي في ذلك اوسع من قبل رجليه بكسر القاف وفتح
الباء اي من جانبهما اوسع من قبل راسه فلما رجع اي من المقبرة استقبله داعي امرأته اي زوجة المتوفى
فجاء وجيء بالطعام فوضع يده اي فيه ثم وضع القوم اي ايديهم فاكلوا هذا الحديث بظاهره يرد
على ما قرره اصحاب مذهبنا من انه يكره اتخاذ الطعام في اليوم الاول والثالث وبعد الاسبوع كما
في البزازية وذكر في الخلاصة انه لا يباح اتخاذ الضيافة عند ثلاثة ايام وقال الزيلعي ولا باس
بالجلوس للمصيبة الى ثلاث من غير ارتكاب محظور من فرش البسط والاطعمة من اهل البيت
وقال ابن الهمام يكره اتخاذ الضيافة من اهل البيت والكل عللوه بانه شرع في السرور لا في الشرور
قال وهي بدعة مستقبحة روى الامام احمد وابن ماجه باسناد صحيح عن جرير بن عبد الله قال
كنا نعد الاجتماع الى اهل البيت وصنعهم الطعام من النياحة انتهى فينبغي ان يقيد كلامهم
بنوع خاص من اجتماع يوجب استحياء اهل البيت فيطعمونهم كرها ويحمل على كون بعض الورثة
صغيرا او غائبا او لم يعرف رضاه او لم يكن الطعام من عند احد معين من مال نفسه لا من مال الميت
قبل قسمته ونحو ذلك وعليه يحمل قول قاضيخان يكره اتخاذ الضيافة في ايام المصيبة لانها ايام
تاسف فلا يليق بها ما يكون للسرور وان اتخذ طعاما للفقراء كان حسنا واما الوصية باتخاذ
الطعام بعد موته ليطعم الناس ثلاثة ايام فباطلة في الاصح وقيل يجوز ذلك من الثلث وهو الاظهر
فنظرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الى رسول الله كما في نسخة يلوك لقمة في فيه اي يمضغها من ثمه

إلى جانب آخر في النهاية اللوك ادارة الشيء في الفم ثم قال اجعلهم شاة أخذت وفي نسخة اتخذت بغير اذن
اهلها فارسلت المرأة تقول يا رسول الله إني ارسلت إلى النقيع بالنون وهو موضع يباع فيه الغنم
لتشترى من بعض الرواة وفي المقدمة النقيع موضع بشرق المدينة وقال في التهذيب هو في
صدر وادي العقيق على نحو عشرين ميلا من المدينة قال الخطابي اخطأ من قال بالموحدة والجملة معترضة
بين الفعل وهو قوله ارسلت وبين متعلقه وهو قوله ليشترى لي شاة بصيغة المجهول فلم توجد
فارسلت إلى جاري قد اشترى شاة أن يرسل إلي بها أي بان يرسل الجار بها أي بالشاة المشتراة لنفسه إلي
بثمنها أي بالذي اشتراها به فلم يوجد أي الجار فارسلت إلى امرأته فارسلت أي المرأة إلي بها أي بالشاة فظهر
ان شراءها غير صحيح لأن ذلك بدون اجازته ورضاه غير صحيح وهو يقارب بيع الفضولي الموقوف على الاجازة وحيث
وفي كلا لشبهة قوية والمباشرة غير ضمنية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمي هذا الطعام
الأسرى جمع اسير والغالب انه نصير وقال الطيبي وهم كفار وذلك انه لما لم يوجد صاحب الشاة
ليستحلوا منه وكان الطعام في صدد الفساد ولم يكن بد من اطعام هؤلاء باطعامهم انتهى وقد لزمها
قيمة الشاة بالاتلاف ووقع هذا القصد تابعا رواه ابو داود والبيهقي في دلائل النبوة متعلق
بروى المقدر وعن حزام بكسر حاء مهملة فزاي ابن هشام عن ابيه أي هشام ولم يذكرهما المؤلف في اسمائه
عن جده حبيش بضم حاء مهملة وفتح موحدة وسكون تحتية فشين معجمة وفي نسخة بخاء معجمة فنون
ثم سين مهملة والاول اصح في ما في جامع الاصول واقتصر عليه المغني ابن خالد قال المؤلف حبيش
ابن خالد الخزاعي قتل يوم فتح مكة مع خالد بن الوليد روى عنه ابنه هشام وهو أي حبيش
اخو ام معبد الخزاعية وهي عاتكة بنت خالد ويقال انها اسلمت لما نزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم
في هجرته إلى المدينة ويقال انها قدمت المدينة فاسلمت وحديثها المعروف بأم معبد مشهور
ذكره المؤلف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اخرج بصيغة المفعول أي امر بالخروج من مكة
او صار اهل مكة سبب خروجه اذ لم يقع اخراجهم كما يشير اليه قوله خرج أي باختياره مهاجرا أي
من مكة لكفر اهلها إلى المدينة أي واهلها من الانصار ومن انضم اليهم من المهاجرين الكبار هو وابو بكر
وعامر بن فهيرة بضم الفاء وفتح الهاء ولم يذكره المؤلف ودليلهما أي مرشد النبي والصديق في الطريق عبد الله
بن اريقط مولى لابي بكر الصديق هاجر معهما إلى المدينة وكان قد اسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار
الارقم كذا ذكره بعضهم ولم يذكره المؤلف مروا على خيمتي ام معبد بلفظ التثنية مضاف فسألوها
لحما وتمرا ليشتروا منها فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك أي مما ذكر من اللحم والتمر ومن جنس المأكول
وكان القوم مرملين أي نافدين الزاد في شرح السنة المرملون نفد زادهم يقال ارمل الرجل اذا ذهب
طعامه مسنتين أي اصابهم القحط يقال اسنت الرجل فهو مسنت فنظر رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى شاة في كسر الخيمة بفتح الكاف وسكون السين وبكسرها وله أي جانبها قال الطيبي كسر الخيمة
بكسر الكاف وفتحها جانب الخيمة وفي القاموس الكسر جانب البيت والشقة السفلى من الخباء او
يكسر ويبنى على الارض منه والناحية ويكسر فقال ما هذه الشاة يا ام معبد قالت شاة خلفها
بتشديد اللام أي تركها الجهد بضم الجيم ويفتح أي الهزال عن الغنم أي متخلفة عنها قال هل بها من لبن
أي بعضه قالت هي اجهد من ذلك والمعنى ليس فيها لبن اصلا قال أتأذنين لي ان احلبها من باب
نصر في ما في المصباح وفي القاموس الحلب ويحرك استخراج ما في الضرع من اللبن يحلب ويحلب
وفي النهاية حلبت الشاة والناقة احلبها حلبا بفتح اللام قالت بأبي انت وامي ان رأيت بها حلبا
بفتحتين وسكون اللام أي لبنا محلوبا فاحلبها قال صاحب المفتاح الحلب محركة تطلق على المصدر
وعلى اللبن المحلوب فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أي طلبها فمسح بيده ضرعها وسمى الله
تعالى ودعا لها أي لام معبد في شاتها كما في نسخة أي في حقها فتفاجت عليه بتشديد الجيم أي فتحت

مابين

ما بين رجليها للحالب ودرت بتشديد الراء أي سال الدر بالفتح وهو اللبن واجترت بالراء المشددة قال
الطيبي الجرة ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه فدعا باناء يربض الرهط بضم الياء وكسر
الموحدة أي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الارض من ربض في المكان اذا لصق به واقام ملازما
له فحلب فيه أي في الاناء ثجا أي حلبا ذا سيلان حتى علاه أي ظهر على الاناء البهاء أي بهاء اللبن وهو بفتح
الباء وضمه وهو بفتح الراء وضمها وحكي كسرها الزبد يعلو اللبن عند غليانه ثم سقاها أي ام معبد
حتى رويت ولعل الابتداء بها كرامة لها ولكونها صاحبة الشاة وترغيبا لها إلى الاسلام وسقى اصحابه أي
بعدها حتى رووا بضم الواو ثم شرب آخرهم أي في آخرهم لقوله ساقي القوم آخرهم شربا ثم حلب فيه ثانيا
بعد بدء بفتح فسكون أي بعد ابتداء الامر حتى ملأ الاناء ثم غادره أي تركه عندها أي معجزة باقية زوجها
وبايعها أي النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام وارتحلوا عنها رواه البغوي في شرح السنة أي
باسناده وابن عبد البر في الاستيعاب وابن الجوزي في كتاب الوفاء وفي الحديث قصة أي طويلة وهي
انه لما ارتحل النبي صلى الله عليه وسلم جاء ابو معبد يسوق اعنزا عجافا وراى في البيت لبنا فقال من اين
هذا فقالت مر بنا رجل مبارك وذكرت من وصف النبي صلى الله عليه وسلم ونعته بعبارة فصيحة فقال
ابو معبد هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من امره ما ذكر بمكة ولقد هممت ان اصحبه ولافعلن
ان وجدت إلى ذلك سبيلا واصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول

شعر . جزى الله رب الناس خير جزائه . رفيقين حلا خيمتي ام معبد
هما نزلاها بالهدى واهتدت به . فقد فاز من امسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم . به من فعال لا تجارى وسودد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم . ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها وانائها . فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
فغادرها رهنا لديها لحالب . تردها في مصدر ثم مورد

قال محيي السنة الصوت الذي سمعوا بمكة بعض مسلمي الجن اقبل من اسفل مكة والناس يتبعونه
يسمعون الصوت ولا يرونه حتى خرج باعلى مكة قالت اسماء فلما سمعنا عرفنا حيث وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وان وجهه إلى المدينة وقال ابن عبد البر فلما بلغ حسان بن ثابت ذلك جعل يجاوب
الهاتف وهو يقول

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم . وقدس من يسري اليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم . وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم . وارشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا . عماية وهاد يهتدي بمهتد
لقد نزلت منه على اهل يثرب . ركاب هدى حلت عليهم باسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله . ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وان قال في يوم مقالة غائب . فتصديقها في اليوم او في ضحى الغد
ليهن ابا بكر سعادة جده . بصحبته من يسعد الله يسعد
ليهن بني كعب مقام فتاتها . ومقعدها للمؤمنين بمرصد

باب الكرامات

الكرامات جمع كرامة وهي اسم من الاكرام والتكريم وهي فعل خارق للعادة غير مقرون بالتحدي وقد
اعترف بها اهل السنة وانكرها المعتزلة واحتج اهل السنة بحدوث الحبل لمريم من غير فحل وحصول الرزق

باب الكرامات

عندها من غير سبب ظاهر وأيضا في قصة أصحاب الكهف في الغار ثلثمائة سنة وازديادهم في النوم أحياء من غير
أنه دليل ظاهر وكذا في إحضار آصف بن برخيا عرش بلقيس قبل أن يرتد الطرف معجزة واضحة وأما المعتزلة
فتعللوا بأنه لو جاز ظهور الخارق في حق الولي لخرج الخارق عن كونه دليلا على النبوة وأجيب بأنه
يمتاز المعجزة عن الكرامة باشتراط الدعوى في المعجزة وعدم اشتراطها في الكرامة بل في الحقيقة
كرامة كل ولي معجزة لنبيه إذ لولا أنه في حقيقة متبوعه وأما قول ابن الملك ولعل أنه الأنبياء عليهم السلام في
إرادتها لبيسر عليهم تمهيدا للأديان والشرائع ففيه نظر ظاهر الفصل الثالث عن أنس رضي
الله تعالى عنه أن أسيد بن حضير بالتصغير فيهما قال المؤلف أنصاري أوسي كان ممن شهد العقبة وشهد
بدرا وما بعدها من المشاهد روى عنه جماعة من الصحابة مات بالمدينة سنة عشرين ودفن بالبقيع
وعباد بفتح العين وتشديد الموحدة ابن بشر بكسر وسكون أنصاري أسلم بالمدينة قبل إسلام سعد
ابن معاذ شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف اليهودي وكان من فضلاء
الصحابة روى عنه أنس بن مالك وعبد الرحمن بن ثابت وقتل يوم اليمامة وله خمس وأربعون سنة
تحدثا عند النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة لهما حتى ذهب ساعة من الليل أي طائفة في ليلة شديدة
الظلمة ثم خرجا أي انصرفا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقلبان أي حال كونهما يرجعان
إلى بيتهما وبيد كل واحد منهما عصية تصغير عصاة فأضاءت عصا أحدهما لهما والأظهر أن يكون هو
أسبقهما إسلاما وهو المقدم ذكرا حتى مشيا في ضوئها حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه
فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أي وصل كل واحد أهله رواه البخاري قال ميرك ليس الحديث
في البخاري بهذا اللفظ بل فيه عن أنس أن رجلين كانا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجا من عند
النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباح يضيئان بين أيديهما فلما افترقا
صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله أخرجه في أبواب علامات النبوة في الإسلام وأخرج
في كتاب مناقب الأنصار في باب منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر بلفظ أن رجلين خرجا من عند
النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة فإذا نور بين أيديهما حتى تفرقا فتفرق النور معهما وقال
معمر عن ثابت عن أنس أن أسيد بن حضير ورجلا من الأنصار وقال حماد أخبرنا ثابت عن أنس
قال كان أسيد بن حضير وعباد بن بشر عند النبي صلى الله عليه وسلم هذا ما في صحيح البخاري
وقد رواه محيي السنة في شرح السنة من طريق البخاري باللفظ الأول ثم رواه بإسناد آخر باللفظ
الذي أورده صاحب المشكاة فتأمل ويفهم من كلام الشيخ ابن حجر العسقلاني أن اللفظ الذي
أورده في المصابيح والمشكاة أخرجه عبد الرزاق في مصنفه من طريق الإسماعيلي في مستخرجه
ورواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه بنحوه انتهى والله أعلم وعن جابر قال لما حضر أحد أي
حربه دعاني أبي من الليل أي في بعض من الليل فقال ما أراني بضم الهمزة أي ما أحسبني إلا مقتولا
في أول من يقتل أي في أول جمع يقتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإني لا أترك بعدي
أعز علي منك غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم أي فإنه أعز علي من نفسي وإن علي دينا
أي كثيرا فاقض أي سريعا واستوص بأخواتك أي البنات وهن كن تسعا ثم انتصاب قوله
خيرا على المصدر أي استيصاء خيرا وقيل التقدير افعل وقيل بالخير في شأنهن فكان أي أبي أول قتيل
ودفنته مع آخر وهو عمرو بن الجموح وكان صديق والد جابر وزوج أخته في قبر قال ابن الملك فيه دليل على
جواز دفن الاثنين في قبر واحد انتهى والظاهر أن محله إذا كان لضرورة رواه البخاري وعن عبد الرحمن بن
أبي بكر ذكره المؤلف في التابعين وقال روى عنه ابنه محمد وقال ابن الملك أسلم عام الحديبية وكان
أسن أولاد أبي بكر وكان اسمه عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وهو الظاهر من الحديث
كما لا يخفى قال إن أصحاب الصفة كانوا أناسا أي جماعة فقراء أي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

ثم مشاهيرهم على ما ذكره الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء أبو ذر الغفاري عمار بن ياسر سلمان الفارسي صهيب
بلال أبو هريرة خباب بن الأرت حذيفة بن اليمان أبو سعيد الخدري بشير بن الخصاصية أبو مويهبة مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم وفيهم نزل قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي يريدون وجهه وكانت الصفة في المسجد مسقفة بجريد النخل وكان هؤلاء الفقراء يسكنون
تلك السقيفة ويبيتون فيها فنسبوا إليها وكان الرجل إذا قدم المدينة وكان له بها عريف ينزل
على عريفه وإذا لم يكن له بها عريف ينزل الصفة وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال مرة من كان عنده
طعام اثنين أي من عياله فليذهب بثالث أي من هؤلاء الفقراء أصحاب الصفة قال الطيبي وهذا هو
الصحيح وفي أكثر نسخ المصابيح بثلاثة وهو غير صحيح رواية ومعنى ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب
بخامس أي إذا لم يكن عنده ما يقتضي أكثر من ذلك أو سادس أي أو بسادس أو للتنويع أو للتخيير
ويحتمل أن يكون للشك أو بمعنى بل على سبيل المبالغة في باب الضيافة على المقتضي من كان عنده طعام
اثنين أن يذهب بثالث أي من يكون عنده طعام أربعة أن يذهب باثنين بل روى أحمد ومسلم
والترمذي والنسائي عن جابر مرفوعا طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة
وطعام الأربعة يكفي الثمانية وأن أبا بكر جاء بثلاثة وانطلق النبي صلى الله عليه وسلم بعشرة قال
ابن حجر عبر في أبي بكر بلفظ المجيء لبعد منزله من المسجد وعن النبي صلى الله عليه وسلم بالانطلاق
لقربه انتهى ولا دلالة في الحديث على ما ذكره بل مفهومه العكس كما لا يخفى فالأولى أن يقال
إنما عبر بالمجيء لأن الراوي هو ابنه وهو من أهل البيت فكأنه قال جاء بثلاثة وذهب النبي صلى الله
عليه وسلم بعشرة وأن أبا بكر تعشى عند النبي صلى الله عليه وسلم أي أكل العشاء بالفتح وهو طعام
الليل في بيته صلى الله عليه وسلم معه أو مع أضيافه أو بانفراده عند بيته ثم لبث أي مكث أبو
بكر بعد تعشيه فيما بين العشاء حتى صليت بصيغة المجهول أي أديت معه عليه السلام العشاء
بكسر العين أي صلاة العشاء ثم رجع أي إلى بيته عليه السلام حتى تعشى النبي صلى الله عليه وسلم أي
وحده أو مع أضيافه في بيت عائشة أو غيرها وإنما رجع معه اهتماما لرؤيته وإلفه آداب الصحبة
مع احتمال أنه أعاد الأكل في حضرته فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله وفي رواية ثم ركع بدل رجع
أي صلى النافلة وفي أخرى حتى نعس بدل حتى تعشى وأخر عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى نعس النبي صلى
الله عليه وسلم وقال فرجع إلى بيته قال الكرماني إن قلت هذا يشعر بأن تعشيه عند
النبي صلى الله عليه وسلم كان بعد الرجوع إليه وما تقدم أشعر بأنه كان قبله قلت الأول
بيان حال أبي بكر في عدم احتياجه إلى الطعام عند أهله والثاني هو سوق القصة على الترتيب
الواقع أو الأول كان تعشي أبي بكر والثاني تعشي النبي صلى الله عليه وسلم انتهى والحاصل
أن أبا بكر لما أبطأ في رجوعه إلى بيته قالت له امرأته ما حبسك عن أضيافك أي عن الحضور
معهم قال أو ما عشيتهم بتشديد الشين والهمزة للاستفهام والواو للعطف على مقدر أي أو ما أطعمتهم العشاء
وفي إعطاء العشاء والمعنى أقصرت في خدمتهم وما أطعمتهم عشاءهم قالت أبوا أي امتنعوا من الأكل
حتى تجيء أي تحضر معهم وتشاركهم في أكلهم فغضب أي على أهله لظنه أنهم قصروا في الإلحاح
والمبالغة أو على نفسه حيث غفل عن هذا المبنى وذهل عن هذا المعنى وقال وفي نسخة فقال
والله لا أطعم بفتح الهمزة والعين أي لا آكل الطعام أبدا فحلفت المرأة أن لا تطعمه أي أبدا كما
في نسخة وحلف الأضياف أن لا يطعموه أي لا يأكلوه منفردين أو مطلقا قال أبو بكر كان
هذا أي الحلف من الشيطان أي من إغوائه فدعا بالطعام فأكل وأكلوا قال الكرماني إن قلت
كيف جاز له خلاف اليمين قلنا لأنه أتى بالأفضل لأن من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها
فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه أو كان مراده لا أطعمه معكم أو في هذه الساعة أو عند

الغضب وهذا مبني على انه فعل يقبل التشبيه اذا كانت لها الفاظ منه وعلى ان الاشعار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب انتهى ولا يخفى ضعف هذه الوجوه الاخيرة لا سيما مع لفظ الشيخ فعلوا اي ابو بكر واضرابه في لا يرفعون لقمة اي من القصعة الا ربت من اسفلها اي من الموضع الذي اخذت منه اكثر منها اي من تلك اللقمة وضبط اكثر بالنصب في اكثر النسخ وفي نسخة بالرفع قال الطيبي اي ارتفع الطعام من اسفل القصعة ارتفاعا اكثر انتهى وفيه تنبيه على ان اكثر منصوب على انه صفة لمفعول مطلق محذوف فوجه الرفع ان يكون النقدير الا ربت لقمة هي اكثر منها ثم قال اسناد ربت الى القصعة مجازي انتهى وكونه مجازا لان الارتفاع انما هو بالنسبة الى ما في القصعة من طعامها لا الى القصعة ذاتها لكن الظاهر ان الاسناد الى اللقمة في سبيل البدلية فتأمل ثم ان ام رومان ام عبد الرحمن وام عائشة من بني فراس بن غنم بن مالك بن النضر بن كنانة والمنسوب الى بني ابن كنانة كلهم قريش ذكره التوربشتي يا اخت بني فراس بكسر الفاء ما هذا اي الامر العجيب والشأن الغريب قالت وقرة عيني بالجر وفي نسخة بالنصب ولعلها على نزع الخافض وقال ابن الملك بالجر الواو للقسم وبالنصب منادى حذف حرف ندائه انتهى وفيه نظر من وجوه كما لا يخفى وقال بعض المحققين قرة العين يعبر بها عن المسرة ورؤية ما يحبه الانسان لان عينه قرت وسكنت لحصول غرضها فلا تستشرف لشيء اخر فكانه ماخوذ من القرار وقيل ماخوذ من القر وهو البرد ولذا قيل دمعة السرور باردة وانما حلفت ام رومان بذلك لما وقع عندها من السرور بالكرامة التي حصلت لهم ببركة الصديق وزعم بعضهم ان المراد بقرة عينها النبي صلى الله عليه وسلم انها اي القصعة والمراد ما فيها الان لاكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات بكسر الميم اي ثرات فاكلوا وبعث اي الصديق بها اي بالقصعة او ببعض ما فيها الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر بصيغة المجهول اي فروي انه اكل منها متفق عليه وذكر حديث عبد الله بن مسعود كنا نسمع تسبيح الطعام في المعجزات لكن الاظهر ان يلحق بباب الكرامات انتهى والله اعلم

الفصل الثاني عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لما مات النجاشي سبق ضبطه وتقدم ذكره كنا نتحدث اي يحدث بعضنا لبعض انه لا يزال يرى على قبره نور اي في الحبشة والمعنى ان هذا امر مشهور بيننا من كون عمرها اي يرى نور قبره مرة ولا ينقطع فكانا ذلك كان يكون متواترا رواه ابو داود وعنها اي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لما ارادوا اي الصحابة واهل البيت غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا والله ما ندري انجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه اي ونكشف عورته من غيرها كما نجرد موتانا او نغسله وعليه ثيابه جملة حالية والمعنى فاختار بعضهم التجريد قياسا وبعضهم عدمه اختصاصا فلما اختلفوا القى الله اي سلط عليهم النوم حتى ما منهم رجل الا وذقنه بفتحتين وصدره في القاموس الذقن بالتحريك مجتمع اللحيين من اسفلهما وبكسر ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو صفته مكلم قيل هو الخضر عليه السلام اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه ان تقوله كلهم والحديث يدل على ان غسل الميت وعليه قميصه مستحب ذكره ابن الملك وفيه نظر اذ لا يدل الا على جوازه او اختصاصه ولم يذكر في المذهب انه مستحب فقاموا فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص وبدلكونه بالقميص قال ابن الهمام قد ذكروا انه صلى الله عليه وسلم غسل في قميصه الذي توفي فيه فلبسوه الا كفان فوقه وفيه بالراية ثلاثة لا دلالة فيه على انهم البسوه الكفن فوق القميص ولا ادعي ستر عورته ثم نزع قميصه ثم البسوه كفنه بقميص والله اعلم رواه البيهقي في دلائل النبوة وعن ابن المنكدر قال المؤلف هو محمد بن المنكدر التيمي سمع جابر بن عبد الله وانس بن مالك وابن الزبير وعنه ربيعة وروى عنه جماعة منهم الثوري مات سنة ثلاثين ومائة وله نيف وسبعون سنة وهو تابعي كبير من مشاهير التابعين واجلائهم جمع بين العلم والزهد والورع والعبادة والدين المتين والصدق ان سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المؤلف قيل مولى ام سلمة

زوج

زوج النبي صلى الله عليه وسلم اشترته واشترطت عليه خدمة النبي صلى الله عليه وسلم ما عاش وقيل اسمه مختلف فيه وسفينة لقب له وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر وهو معه فاعيى رجل فالقى عليه سيفه وترسه ورمحه فحمل شيئا كثيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت سفينة روى عنه بنوه عبد الرحمن ومحمد وزياد وكثير اخطأ الجيش اي ضل طريقه بحيث لا يهتدي اليهم سبيلا بارض الروم او اسر اي فيها شك من الراوي فانطلق هاربا يلتمس الجيش فاذا هو اي سفينة بالاسد اي بفرد عظيم من جنس الاسد فقال يا ابا الحارث وهو كنية الاسد انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من امري كيت وكيت استنبئ ذنبي ان بحاله في اعوان الطريق اولكاله في خدمته نعم الرفيق فاقبل الاسد له بصبصة اي تحريك ذنب لفعل الكلب تملقا الى مالكه وتذللا لصاحبه والجملة حال وفي النهاية بصبص الكلب بذنبه اذا حركه وانما يفعل ذلك لطمع او خوف حتى قام اي الاسد الى جنبه كلما سمع اي الاسد صوتا اهوى اليه اي قصد لدفعه اذ كان الصوت اذى ثم اقبل يمشي الى جنبه اي الى جانب سفينة حتى بلغ الجيش ثم رجع الاسد فكانه كان دليلا ولا يصاله كفيلا وقد اشار صاحب البردة الى هذه الرتبة بقوله

ومن تكن برسول الله نصرته ۞ ان تلقه الاسد في اجامها تجم ۞

رواه اي البغوي في شرح السنة باسناده وعن ابي الجوزاء قال المؤلف هو اوس بن عبد الله الازدي من اهل البصرة تابعي مشهور بالحديث سمع عائشة وابن عباس وابن عمرو روي عنه عمرو بن مالك وغيره قتل سنة ثلاث وثلاثين قال قحط اهل المدينة على بناء المفعول قحطا شديدا فشكوا اي الناس الى عائشة فقالت انظروا قبر النبي بالنصب على نزع الخافض وفي نسخة الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه اي من قبره كوى بفتح الكاف وبضم ففي المغرب الكوة نقب البيت والجمع كوى وقد يضم الكاف في المفرد والجمع انتهى وقيل يجمع على كوى بالكسر في الفتح والمد ايضا والكوة بالضم ويجمع على كوى بالضم والمعنى اجعلوا من مقابلة قبره في سقف حجرته منافذ متعددة حتى لا يكون بينه اي بين قبره وبين السماء سقف اي حجاب ظاهري ففعلوا فمطروا بضم فكسر مطرا اي شديدا حتى نبت العشب بضم فسكون اي الكلا في مدة قريبة وسمنت بكسر الميم الابل وكذا سائر المواشي بلا اي حتى تفتقت اي انشقت خواصرها من الرعي وقيل انشقت من الشحم اي من كثرته فسمي عام الفتق اي سنة الخصب الذي ينتهي الى الفتق هذا وقد قيل في سبب كشف قبر النبي صلى الله عليه وسلم اذا السماء مادرات قبر النبي صلى الله عليه وسلم سال الوادي من بكائه قال الله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض كناية عن حال الكفار فيكون الامر في خلاف ذلك بالنسبة الى الابرار وقيل انه صلى الله عليه وسلم يستشفع به عند الجدب فتمطر السماء فامرت عائشة رضي الله تعالى عنها بكشف قبره مبالغة في الاستشفاع به فلا يبقى بينه وبين السماء حجاب اقول وكانه كناية عن عرض الغرض المطلوب بتوجهه الى السماء وجعل قبلة الدعاء ومحل رزق الضعفاء كما قال تعالى وفي السماء رزقكم رواه الدارمي وعن سعيد بن عبد العزيز قال المؤلف تنوخي دمشقي كان فقيه اهل الشام في زمن الاوزاعي وبعده قال احمد ليس بالشام اصح حديثا منه وهو والاوزاعي عندي سواء وكان سعيد بكاء فسئل فقال ما قمت الى الصلاة الا امتثلت لي جهنم قال لما كان اي وقع ايام الحرة بفتح فتشديد قال الطيبي يعني يوم مشهور في الاسلام ايام يزيد بن معاوية لما نهب المدينة عسكر من اهل الشام بعثهم لقتال اهل المدينة من الصحابة والتابعين وامر عليهم مسلم بن عقبة المري في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وعقيبها هلك يزيد والحرة هذه ارض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة وكانت فيها هذه الوقعة لم يؤذن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا اي ثلاث ليال بايامها ولم يقم على بناء المفعول بصيغة المجهول اي لم يؤذن احد فيه لاجل الفتنة من الاقامة اي ولم يقم احد للصلاة ايضا ولم يبرح بفتح الراء لم يفارق سعيد بن المسيب المسجد وكان الناس يقولون في اخته انه شيخ مجنون قال المؤلف كان سيد التابعين جمع بين الفقه والحديث

والزهد والورع والعبادة في جماعة كثيرة من الصحابة وروى عنهم وعنه الزهري وكثير من التابعين وغيرهم
مات سنة ثلاث وسبعين وكان أي سعيد في ذلك الوقت الشديد لا يعرف وقت الصلاة إلا
بهمهمة أي بصوت خفي لا يفهم يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم رواه الدارمي وعن أبي خلدة بفتح المعجمة
وسكون اللام قال المؤلف هو خالد بن دينار التميمي السعدي البصري الخياط من الخياطة من ثقات
التابعين روى عن أنس وعنه وكيع وغيره قال قلت لأبي العالية قال المؤلف اسمه رفيع بن مهران
الرياحي مولاهم البصري رأى الصديق وروى عن عمر وأبي وعنه عاصم الأحول وغيره قالت حفصة بنت
سيرين كان يقول قرأت على عمر ثلاث مرات أدرك النبي صلى الله عليه وسلم بعد سنتين من وفاته
توفي سنة تسعين سمع أنس بحذف همزة الاستفهام أي أسمع أحاديث من النبي صلى الله عليه وسلم
أي بلا واسطة بينه وبينه أو له مراسيل من الصحابة مع أنها حجة اتفاقا وكأنه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم
تردد بعض الناس فيه قال أي أبو العالية خدمه أي خدم أنس النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين
أي قوم عشر سنين ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم أي بالبركة في عمره وولده وماله فهو آخر من مات
بالبصرة من الصحابة سنة إحدى وتسعين وله من العمر مائة وثلاث سنين وقيل إنه ولد له مائة ولد
وكان له بستان يحمل أي يثمر في كل سنة الفاكهة مرتين وكان فيها أي في الحديقة وفي نسخة فيه أي البستان
وفي نسخة صحيحة فيها أي في ذلك البستان ريحان وهو نبت معروف له ريح طيب يجيء منه ريح المسك
وحاصل الجواب أنه من كان له هذه المنزلة والصحبة وطول الملازمة كيف لا يسمع ولا يروي عنه
رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب الفصل الثالث عن عروة بن الزبير أي ابن العوام
يكنى أبا عبد الله القرشي سمع أباه وأمه أسماء وعائشة وغيرهم من كبار الصحابة وروى عنه ابنه هشام
والزهري وغيرهما ولد سنة اثنين وعشرين وهو من كبار التابعين وهو أحد الفقهاء السبعة من أهل
المدينة أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بضم نون ففتح فاء وهو أحد العشرة المبشرة بالجنة خاصمته
أروى بفتح الهمزة والواو مقصورا قال صاحب جامع الأصول أروى صحابية بنت أنيس وفي نسخة
بنت أوس بفتح فسكون هكذا في نسخ المشكاة وكذا في نسخ المصابيح وفي جامع الأصول
أويس بضم الهمزة وفتح الواو وفي أسماء الرجال للمؤلف في فصل الصحابة أوس بن أوس ويقال أوس
ابن أبي أوس الثقفي وهو نجيم ولده عمرو بن أوس روى عنه أبو الشعثاء التميمي وابنه عمرو وغيرهما
والخاصمة أنها رافعته في الخصومة إلى مروان بن الحكم قال المؤلف يكنى أبا عبد الملك القرشي الأموي جد
عمر بن عبد العزيز أمر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فلم يزل بها حتى ولي عثمان فرده إلى المدينة
وروى عن نفر من الصحابة منهم عثمان وعلي وعنه عروة بن الزبير وعلي بن الحسين مات بدمشق سنة
خمس وستين انتهى وكأنه كان واليا بالمدينة وادعت أي أروى أنه سعيدا أخذ شيئا من أرضها أي
ظلما فقال سعيد أنا كنت آخذ من أرضها شيئا فيه معنى الإنكار في نفسه المتضمن الإنكار غيره وقوله
بعد الذي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرر لجهة الإنكار قال أي مروان ماذا سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أي سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من أخذ شبرا أي قدر شبر وأراد شيئا يسيرا من الأرض من أرض ظلما أي أخذ ظلم أو من جهة ظلم
طوقه بضم الطاء وكسر الواو المشددة أي طوقه الله كما في نسخة أي جعل ذلك الشبر منها طوقه
إلى سبع أرضين بفتح الراء ويسكن قال النووي بفتح الراء وإسكانها قليل وفي الحديث تصريح بأن
الأرض سبع طباق وهو موافق لقوله تعالى سبع سموات ومن الأرض مثلهن ومن قال المراد بالسبع
الأقاليم فقد وهم لأنه لو كان كذلك لم يطوق الظالم بشبر من كل إقليم بخلاف طباق الأرض فإنها
تابعة لهذا الشبر قال له مروان لا أسألك بينة وفي نسخة ببينة أي لا أطالبك بحجة بعد هذا
أي بعد إيرادك لهذا الحديث والمعنى أصدقك في أن الأرض لك غير ظالم أو لا يمكن في نقلك الحديث

قوله عن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنه

ولا احتاج لرواية أخرى فإنك بمنزلة لا و بين وأكثر وقال الطيبي وكان سعيدا لما أنكر توجه عليه البينة
توجه إليه اليمين فأجرى مروان هذا الكلام منه مجرى اليمين وقال لا أسألك بينة بعد هذا انتهى ولا
يخفى أن اعتبار هذا غير شرعي في باب الدعوى فالصواب ما ذكره الكرماني من أن سعيدا ترك لها ما ادعت
كما يشير إليه قوله تعالى عن قريب فقال سعيد اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها بفتح الهمزة وكسر الميم أي اجعل بصرها
أعمى واقتلها في أرضها أي التي ادعت فيها وفي رواية واجعل قبرها في دارها وكان سعيد مجاب الدعوة
في مطلب المهتدي قال أي عروة فما ماتت حتى ذهب بصرها وبينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة
أي عميقة لما سيأتي من رواية في بئر فماتت متفق عليه وفي رواية للبخاري عن ابن عمر مرفوعا من أخذ
من الأرض شيئا بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين وفي رواية أحمد والطبراني عن
يعلى بن مرة من أخذ من الأرض شبرا ظلما جاء يوم القيامة يحمل ترابها إلى المحشر وفي رواية للطبراني وأيضا
عن الحكم بن الحارث من أخذ من طريق المسلمين شيئا جاء يوم القيامة يحمله من سبع أرضين وفي رواية لمسلم
عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بمعناه قال المؤلف روى عن جده وابن عباس وعنه بنوه والأعمش
وغيرهم ثقة وأنه أي محمد المذكور رآها عمياء تلتمس الجدر بضمتين ويجوز إسكان الدال جمع جدار وفي
نسخة بفتح فسكون في القاموس الجدر الحائط كالجدار جمع جدر وجدران المعنى أنها تتوزع الجدار
وتمسكها تقول أصابتني دعوة سعيد وأنها مرت على بئر أي حفرة عميقة كما سبق في الدار التي خاصمته
فيها فوقعت فيها فكانت أي فصارت قبرها أي حقيقة وحكما وعن ابن عمر أن عمر رضي الله تعالى عنه
بعث جيشا أي أرسل إلى نهاوند مثلثة النون بلد من بلاد العجم بنواحي همدان وأمر بتشديد الميم
أي جعل أميرا عليهم رجلا يدعى أي يسمى سارية في القاموس هو ابن زنيم الذي ناداه عمر على المنبر
يا سارية الجبل انتهى ولم يذكره المؤلف فبينما عمر يخطب في مسجد المدينة على رؤوس الأشهاد من
أكابر الصحابة والتابعين منهم عثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين بهذه كرامة عظيمة ومنقبة
جسيمة دالة على مرتبة جلالته وصحة خلافته فجعل أي عمر يصيح أي في أثناء خطبته أو بعدها يا سار
يا سارية وفي نسخة يا سارية الجبل بالنصب أي الزم الجبل واجعله وراء ظهرك فتعجب الناس
فقدم رسول من الجيش فقال يا أمير المؤمنين لقينا بكسر القاف وفتح الياء فقوله عدونا بالرفع وفي
نسخة بسكون الياء والنصب عدونا فهزمونا أي فغلبونا أولا فإذا بصائح يصيح يا سارية الجبل
فأسندنا ظهورنا إلى الجبل فهزمهم الله تعالى فيه أنواع من الكرامة لعمر كشف معركة وإيصال صوته
وإسماع كل منهم بصيحته وتقويتهم ونصرتهم بهزيمتهم رواه البيهقي في دلائل النبوة وعن نبيه بضم النون
وفتح الموحدة وسكون التحتية فهاء كذا ضبطه المؤلف في أسمائه وفي نسخة نبيه بدون ها وهو
الظاهر قيل هو الصواب فإنه الموافق لما في القاموس والمغني وكذلك في التحرير للعسقلاني ابن وهب
أي الكعبي الحجازي سمع أبان بن عثمان وكعب مولى سعد بن العاص وروى عنه نافع ذكره المؤلف في التابعين
أن كعبا أي كعب الأحبار بالحاء المهملة وهو من كبار التابعين قال المؤلف هو كعب بن ماتع يكنى أبا إسحاق
المعروف بكعب الأحبار أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وأسلم في زمن عمر بن الخطاب
روى عن عمر وصهيب وعائشة ومات بحمص سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنهم
دخل على عائشة فذكروا أي أهل المجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بعض نعته أو نعت موته
فقال كعب أي نقلا من الكتب السابقة كالتوراة أو سمعه ممن قبله أو انكشف له فاله وهو الحسن سبب
لم يكن كرامة له ويمكن أن يكون كرامة لغويته يعني أن الله تعالى أكرم نبيه صلى الله عليه وسلم
بما ذكره من قوله ما من يوم يطلع بضم اللام أي يظهر فجره أو تطلع شمسه إلا نزل سبعون ألفا
من الملائكة حتى يحفوا بضم الحاء والفاء المشددة أي يحيطوا بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يضربون
بأجنحتهم أي لغبار حوله أو تنوقه يلتمسون بركته وقربه ويكثرون يصلون على رسول الله صلى الله

ت

عليه وسلم اي بالثنا الجزيل والدعا الجميل حتى اذا استووا اي دخلوا ودنوا لما عرجوا بفتح الرا اي صعدوا الى السما وهبطوا اي نزلوا من السما مثلهم اي مرة من الملايكة في سبيلهم فصنعوا مثل ذلك اي من ضرب الاجنحة وكثرة التعلية حتى اذا انشقت عنه الارض اي عند النفخة الثانية خرج اي ظهر في سبعين الفا من الملايكة يزفونه بفتح الزا وبكسر وتشديد الفا اي يهدونه كما يهدون المحبوب الى الحبيب او المحب الى المحبوب والاول فيه المبالغة في اكرامه وهو باعتبار الاصل اللغة اظهر فان يزفون بالضم من زفت العروس الى زوجها اذا اهديتها اليه ويزفون بالكسر من زف البعير او الظليم زفيفا لذكر من النعام اذا اسرع ففيه حذف وايضا الذي يزفون به اليه والمفهوم من القاموس انه يجوز في الحديث ضم اليا وكسر الزاي على المعنيين حيث قال زف العروس الى زوجها من باب كتب كازفها والظليم وغيره يزف من باب ضرب اسرع كازف رواه الدارمي والله اعلم

باب

بالتنوين منونا وفي نسخة بالسكون تنبيها لمعنى هذا الباب في بيان هجرته اي صلى الله عليه وسلم من مكة وفي بيان وفاته صلى الله عليه وسلم وفي نسخة باب ما يتعلق بموته صلى الله عليه وسلم من المقدمات الفصل الاول عن البرا اي ابن عازب قال اول من قدم علينا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير بالتصغير وابن ام مكتوم فجعلا يقرئاننا اي يعلماننا القران ثم جا عمار اي ابن ياسر وبلال اي ابن رباح وسعد اي ابن ابي وقاص ثم جا عمر بن الخطاب في عشرين اي رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اي معهم الصديق الاكبر فما رايت اهل المدينة فرحوا بشي اي في الدنيا فرحهم به اي مثل فرحهم بمجيئه عليه السلام الى المدينة حتى رايت الولايد جمع وليدة وهي الجارية الصغيرة والذكر وليد والغلام بمعنى مفعول وقد يطلق على الامة وان كانت كبيرة وقال شارح الوليدة الصبية والامة وما سبق قوله والصبيان جمع الصبي يقولون اي من كمال الفرح والسرور هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جا اي وحصل به الرجا والنجا قال البرا فما جا اي النبي عليه السلام حتى قرات سبح اسم ربك الاعلى اي تعلمتها ففيه ذكر المسبب وهو القراة وارادة السبب وهو التعليم في سور اي في جملة سور او مع سور مثلها اي مثل سورة سبح في المقدار من المفصل اي من اوساطه وهذا يدل على ان سبح اسم ربك نزلت بمكة ويشكل عليه ان قوله تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى نزلت في زكوة الفطر ووجوب صدقة الفطر وصلاة العيد في السنة الثانية ويحتمل ان يكون السورة مكية الا هاتين الايتين والاصح انها كلها مكية ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم ان المراد بقوله قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى زكوة الفطر وصلاة العيد فليس في الاية الا الترغيب في الزكوة والصلاة من غير بيان المراد فبين السنة بعد ذلك كذا ذكره بعض المحققين والله اعلم رواه البخاري وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر اي في مرضه الذي مات فيه كما في رواية وفي اخرى كان هذا قبل ان يموت بخمس ليال فقال ان عبدا اي عظيما كما يدل عليه تنوينه خيره الله اي جعله مخيرا بين ان يوتيه من زهرة الدنيا بفتح الزاي اي بهجتها وحسنها وزينتها ما شا مفعول مؤخر عن منيته والمعنى مقدارا ما اراد من طول العمر والتمتع في الدنيا والتنعم بها وبين ما عنده اي الله من الاجر من انواع النعيم المقيم ولذة اللقا من الوجه الكريم فاختار ما عنده اي لانه خير وابقى فبكى ابو بكر اي لكمال فهمه وادراكه حيث عرف من قرينته صلى الله عليه وسلم من الدنيا بقرينة المرض ان المختار رضا عند الله وترك زهرة الدنيا بحسب الظاهر من مقدمات مراتب الاوليا ومن المعلوم انه لا يناسب مقام سيد الانبيا فانه تعريض لنفسه بطريق الاشارة اختيار الموت واللقا وترك الحياة والبقا قال اي ابو بكر فديناك بابائنا وامهاتنا اي مع انهم لو كان ينفع الفدا قال الراوي فعجبنا له اي لابي بكر حيث بكى وفدى ولا هناك باعث يقتضيه وما ذاك الا لعدم فهمهم ما فهمه من الاشارة لتغيرهم بظاهر العبارة فقال الناس اي بعضهم لبعض انظروا اي نظر تعجب الى هذا الشيخ اي مع

كرع المتقين لوقوره وزيادة عقله وفهمه يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد اي منكر عن معين خيره الله بين ان يوتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده وهو اي الشيخ يقول فديناك بابائنا وامهاتنا اي ومثل هذا انما يقال للاجل العظيم يريدون انه لا تعلق له بالذي اخبر به النبي قال ابو سعيد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير بالنصب وهو ضمير الفصل وفي نسخة بالرفع وله وجه والمعنى تظهر لنا بعد اخره الامر انه صلى الله عليه وسلم كان العبد المخير وكان ابو بكر اعلمنا اي اكثرنا علما حيث علم اولا ان المخير هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم اسم تفضيل ولا يبعد ان يكون فعلا ماضيا وقد كان اعلمنا بالقضية لكنا ما فهمناها بالكلية متفق عليه وعن عقبة بن عامر الجهني روى عنه نفر من الصحابة وخلق كثير من التابعين ذكره المؤلف في الصحابة قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى احد جمع قتيل والمراد بهم الشهدا بعد ثماني سنين اي من دفنهم فقيل صلى عليهم صلاة الجنازة وهو الظاهر المتبادر فهو من خصوصياته او خصوصياتهم وقال النووي المراد بالصلاة الدعا كالمودع للاحيا والاموات قال الطيبي اي استغفر لهم استغفار المودع للاحيا والاموات اما الاحيا فيخرج من بينهم واما الاموات فبانقطاع دعايه واستغفاره لهم قال السيوطي وذلك قرب موته صلى الله عليه وسلم ثم طلع المنبر فقال اني بين ايديكم فرط بفتح الفا والرا وهو الذي يتقدم الوارد فيهيي لهم الارشاد والدلو ويتهيي لهم وهو فعل بمعنى فاعل كتبع بمعنى تابع يريد انه شفيع لهم لانه يتقدمهم والشفيع يتقدم على المشفوع وقد روى الترمذي في الشمايل عن ابن عباس حديث انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان له فرطان من امتي ادخله الله بهما الجنة فقالت له عايشة فمن كان له فرط من امتك قال ومن كان له فرط يا موفقة قالت فمن لم يكن له فرط من امتك قال فانا فرط لامتي لن يصابوا بمثلي وانا عليكم شهيد اي مطلع على احوالكم اذ تعرض علي اعمالكم او انا شاهد لكم ومثن عليكم وان موعدكم اي مكان وعدكم للشفاعة الخاصة بكم في يوم الجمع الحوض اي وروده فانه حينيذ يتميز الخبيث من الطيب والمنافق من المومن فتكون الشفاعة لاهل الاجابة واني لانظر اليه اي الى الحوض وانا في مقامي هذا اي فوق المنبر ويحتمل ان يكون كشف له عنه في تلك الحالة واني قد اعطيت مفاتيح خزاين الارض اي يستفتح لامتي خزاين الارض بفتح بلادها واتيان عبادها واني لست اخشى عليكم اي في مجموعكم ان تشركوا بعدي لان ذلك قد وقع من بعض ولكني قد اخشى عليكم ان تنافسوا بحذف احدى التاين اي ترغبوا فيها رغبة الحريص بعد التنافس وتميلوا اليها كل الميل فان المنافسة لا تناسب النعم الفانية بل الامور الباقية قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون اي المومنون الكاملون وزاد بعضهم اي بعض الرواة في ما سبق قوله فتقتتلوا اي يقتل بعضكم بعضا للملك والمال فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم اي في المال بسوء الحال قال النووي فيه معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان معناه الاخبار بان امته تملك خزاين الارض وقد وقع ذلك وانهم لا يرتدون وقد عصمهم الله تعالى من ذلك وانهم يتنافسون في الدنيا وقد وقع ذلك متفق عليه وعن عايشة قالت ان من نعم الله علي اي من جملة احسانه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي اي لا في بيت غيري وفي يومي اي نوبتي لا كون منتشرا في حجري وبين سحري مع الاصول كان ابتدا مرض النبي صلى الله عليه وسلم من صداع عرض له وهو في بيت عايشة فكان له مدة مرضه اثني عشر يوما ومات يوم الاثنين ثاني عشر من ربيع الاول فقيل لليلتين خلتا منه وقيل لاثني عشر خلت منه وهو الاكثر وبين سحري ونحري بفتح فسكون فيهما وهو بدل في كلال قربه وزيادة المعنى انه صلى الله عليه وسلم وهو مستند الى صدرها وما يحاذي سحرها منه اذ السحر الرية في ما في النهاية وقيل السحر ما لصق بالحلقوم من اعلى البطن وقال ابن الملك النحر موضع القلادة من اعلى الصدر وقال ابن حجر السحر

هو القصد وهو في الاصل الرتبة والمراد بالنحر موضعه انتهى وجاء في رواية ابن حبان حاقنتي وذاقنتي اي كان
راسه بين منكبيها وصدرها ولا ينافيه ما عند الحاكم وابن سعد من طرق ان راسه الكريم كان في حجر علي
كرم الله وجهه لان كل طريق منهما لا يخلو عن شيء كذا قاله الحافظ ابن حجر وعلى تقدير صحتهما يجمع بانه
كان في حجره قبل الوفاة وان الله جمع بين ريقي وريقه عند موته قالوا السحر بفتح اوله عظم في
من نعم الله فيكون بحجرها اخبار وانزل لو صحت الرواية بالكسر لكان الوجه ان يقال الراو
للجار الرئة بالكسر ما الفم والا كان الجمع بينهما احتاج الى بيان سبب قالت لبطريق الاستيناف
دخل عبد الرحمن بن ابي بكر والمراد بها اخوها وبيده اي وبيد عبد الرحمن سواك اي
غير مستعمل لما سياتي وانا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاضافة وفي نسخة بتنوين
مسندة ونصب الرسول وهو بضم الميم وكسر النون يقال سند اليه استند واسندته انا
كذا في القاموس فرايته اي النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه اي الى السواك او الى صاحبه وعرفت
اي والحال اني قد عرفت في الماضي من طبعه انه يحب السواك اي مطلقا او عند تغير الفم خصوصا
فقلت آخذه لك اي منه فاشار براسه ان نعم فاذا معترضة فتناولته اي اخذته منه وناولته
اليه فاستعمله فاشتد اي السواك عليه اي شديد او قلت وفي نسخة فقلت الينه لك بتشديد
الياء المكسورة فاشار براسه ان نعم فلينته اي لينت السواك بريقي واعطيته النبي صلى
الله عليه وسلم فامره على اسنانه بتشديد الراء امرار والمعنى فاجتمع الريقان في
حلقي وكذا في خلقه عند موته وبين يديه الى رضي الله عنها حين عند الموت وبين يديه ركوة او
فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه واريد بلفظ التثنية اشعارا بانه
واستعمالها اظهار تجرعه وعبوديته قيل وسببه انه كان يغمى عليه من شدة الوجع ثم يفيق ويؤخذ منه
انه ينبغي فعل ذلك لكل مريض فان لم يفعل فعل به لانه نوع تخفيف الكرب كالترجيع بل هو
الترجيع اذا اشتدت حاجة المريض اليه ويقول لا اله الا الله اي الواحد القهار الذي قهر العباد
بالموت وهو الحي الذي لا يموت ان للموت سكرات بفتحات جمع سكرة اي شدائد ومشقات
عظيمات من حرارات ومرارات طبيعيات حتى للانبياء وارباب الكمالات فاستعدوا لتلك
الحالات واطلبوا من الله تهوينها للامرات وفي شرح الترمذي عنها قالت رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو بالموت اي مشغول او متلبس وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح
ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول اللهم اعني على منكرات الموت او قال على سكرات الموت والمراد
بمنكرات الموت شدائده ومكروهاته مما يجهل العقل من انقطعته المشابهة للسكر فهو يعني
سكرات الموت والشك انما هو في اللفظ ثم تلك السكرات زيادة رفع الدرجات ثم نصب يديه
اي رفعهما بطريق الدعاء او على وجه الابتهال الى جهة السماء فجعل يقول اي مكررا في الرفيق الاعلى
متعلق بمحذوف اي اجعلني في الرفيق الاعلى وهم هنا الانبياء الذين يسكنون اعلى عليين اسم
جاء على فعيل يقع على الواحد والجماعة كالصديق والخليط والمراد هنا الجمع كقوله تعالى وحسن
اولئك رفيقا والرفيق المرافق في الطريق وقيل التقدير اجعلني ساكنا فيه قال
الجوهري الرفيق الاعلى الجنة ذكره ابن حجر وهو لا يخلو عن غرابة وقيل الرفيق الاعلى من اسمائه
تعالى من الرفق والرافة فهو فعيل بمعنى فاعل لانه سبحانه رفيق بعباده واختار لفظ الدلالة
على زيادة القرب المشعر بالاستغراق حضرة الرب والفنا بمقام بقاء الحب مع ما فيه من
الاشارة الى التوحيد المغير لكذا في الاعيد وقد غلط الازهري عن هذا المعنى الاظهر
والمعنى الانور وغلط قائل ذلك على ما نقله ابن حجر قال وقد تبرم رايت التوربشتي قال
وقد ذهب بعضهم في الرفيق الاعلى انه اسم من اسماء الله تعالى قال الازهري غلط قائل هذا وكر

ان

ان الله رفيق لم يوجب اطلاق هذا الاسم عليه كما لم يوجب ان الله جميل اطلاق ذلك عليه وانما
اراد به ايضاح معنى لم يكن يتبين في الافهام الا من هذا الطريق قال الفاضل الطيبي لا يجوز ان
يستدل بهذا الحديث في اطلاق هذا الاسم عليه وما المانع والتشبيه انما يجوز فيه ان الله
جميل لان ذلك اخبار وقول صاحب النهاية انه اختار ما عند الله تعالى لتصريح بان المراد منه
القرب والزلفى عند الله تعالى قلت وانما يريد به الملائكة والنبيون القربين من عند الله وقوله
حديث ابي سعيد ان عبدا خيره الله بين زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده
وحديث جعفر في اخر الفصل الثالث من هذا الباب ان محمدا ان الله قد اشتاق الى لقائك
الحديث وان حصول هذه البغية يستلزم حصول تلك المنزلة كما قال تعالى يا ايتها
النفس المطمئنة ارجعي الى ربك في ادخالها في الرفيق اعلام بغاية القرب وشدة تمكنها فيه
وحلول رضوانه عليه واليه الاشارة بقوله راضية مرضية قلت وتويده رواية بين
الانبياء اللهم الرفيق الاعلى ثم المعنى كان هذا حاله ومقاله حتى قبض وما لت يده اي عن يمينه وشماله
او عن الطريقين اماله الى اعلم من عين الكونين والمبالغة المكونات الذي لقاؤه قرة العين ولذا قال
سيد الثقلين رواه البخاري وعنها اي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي يمرض بفتح الراء اي مرض الموت الا خير بين الدنيا والاخرة
اي بين لقائه مدة اخرى في الدنيا وبين توجهه الى عالم العقبى ولا شك انه لا يختار الا ما عند الله
لانه خير وابقى وكان في شكواه اي مرضه الذي قبض اخذته بحة شديدة بضم موحدة وتشديد
مهملة اي غلظ الصوت وخشونته على ما في النهاية وقال ابن حجر هي شيء يعرض في الحلق فيتغير له
الصوت فيغلظ وقيل المراد هنا سعلة في القاموس البحة السعال والسعلة بفتحهما وهي حركة
تدفعها الطبيعة اذي عن الرئة والاعضاء التي تتصل بها فسمعته يقول اي الرفيق الاعلى مع
الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين اي وحسن اولئك رفيقا
يعني مع الرفيق الاعلى فالجمع بما ذكر وهو الاولى عن حشرنا الله معهم في العقبى فعلمت انه خير اي بين
البقاء في الدنيا وما عند الله في الاخرى من لقاء المولى متفق عليه وعن انس رضي الله تعالى عنه
قال لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم بفتح المثلثة ثم قاف اي اشتد مرضه جعل اي طفق يتغشاه
الكرب وفي المصابيح يتغشى بلا ضمير وفي لفظ الكرب وقال شارح له اي يغطيه ويستره بالتاء ب
اي يغشى عليه من شدة المرض وفي بعض النسخ جعل يتغشى الكرب وهو بالفتح وسكون الغم الذي
ياخذ بالنفس انزل وهو الف سبب لقوله فقالت فاطمة اي ابنته رضي الله تعالى عنها واكرب
اباه بسكون الهاء للسكت والالف قبلها للندبة وسيلة ولهذا الصوت في الكلمة المقيدة للنداء لغة
فقال لها ليس على ابيك كرب بعد اليوم يعني ان الكرب كان بسبب شدة الالم وصعوبة الوجع
وبعد هذا اليوم لا يكون ذلك لان الكرب كان بسبب العلائق الجسمانية وبعد اليوم ينقطع
تلك العلائق الصورية ولا كرب في التعلقات الروحانية المعنوية وزاد الترمذي انه قد حضر
من ابيك ما ليس بتارك منه احدا الوفاة يوم القيمة اي هو الموت الى تمام الحديث فلما مات قالت
يا ابتاه قال الطيبي اصله يا ابي ابدلت من الياء الالف لانها من حروف الزوايد والالف للندبة لمد الصوت
والهاء للسكت ولا بد للندبة من احد اي العلامتين يا او وا لان الندبة لاظهار التوجع ومد
الصوت والحاق الالف في اخره للفصل بينهما وبين النداء وزيادة الهاء في الوقف ارادة بيان
الالف لانها خفية وتحذف في الوصل اجاب ربا دعاه اي الى العقبى فاختارها على الدنيا وهو بضم
الهاء الضمير ولكن في الوقف مراعاة للسجع ولا يبعد ان يكون الهاء للسكت على ان المقول لحذف
للعلم به لكن لا يستقيم هذا في قولها يا ابتاه من جنة الفردوس ماواه فانه ينبغي ان يكون للضمير

بخلاف قوله في (ما) فانه لا جبر فيه فعله فانه يحتمل الاحتمالين ثم نزلها من جنة الفردوس بفتح الميم وكسر الجيم
في الاصول المصححة وفي نسخة بكسرها وخفض الجنة قال الجزري بفتح الميم من حيث انها موصولة وكسرها
كسرها على انها حرف جار موضع ذا له من جنة الفردوس قال الطيبي قوله من جنة الفردوس في البخاري
وشرح السنة وقع من موصولة وفي بعض نسخ المصابيح بفتح وبعضها بكسرها والاول انسب لانه مراد في
قولهم وامر حين ... ما في انتهى وقوله فنعاه اي فنطق خبر موته اليه من النعي كذا قاله شارح
وفي الازهار اي تبكي ليه وفي التعزية وقيل اخبره اتولى واوسطها اعلاها فلما دفن قالت فاطمة
يا انس اطابت انفسكم اي ... في انفسكم ايها ان تحثوا بفتح التاء وضم المثلثة
اي تكبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فوقه التراب وهما فيا سبب ابنها في تعزيتها

ماذا على من شم تربة احمد • الا يشم مدى الزمان غواليا

صبت علي مصائب لو انها • صبت على الايام صرن لياليا

رواه البخاري الفصل الثاني عن انس رضي الله تعالى عنه قال لما قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة لعبت الحبشة اي زفنت بحرابهم بكسر الحاء المهملة جمع حربة وهي رمح
وفي رواية الدارمي عن انس قال ما رايت يوما
قط كان احسن اي ازهر في الخاطر ولا اضوا اي في نور الظاهر من يوم دخل علينا فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي فانه كان يوم الرضا للمؤمنين فبين في ذلك الجلاد وما رايت يوما انتج
اي اسوا واحزن في القلب ولا اظلم اي في عين الغالب من يوم مات فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه كان يوم الفراق على العشاق وفي رواية الترمذي قال لما كان اليوم
الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء منها اي من المدينة كل شيء بالرفع
فان اذا لازم وقد يتعدى ومن ثم تقرن قال الطيبي الضمير راجع الى المدينة وهذا يدل على ان
الاضاءة كانت محسوسة فلما كان اليوم الذي مات فيه اظلم منها كل شيء فالنور شمس العالم
الصوري والمعنوي وتخصيص المدينة لكونها ... وفي رواية الراوي ... وما نفضنا
ايدينا عن التراب من النفض وهو تحريك الشيء ليزول ما عليه من التراب والغبار ونحوهما وانا لفي
دفنه مشغولون بعد جملة حالية حتى انكرنا قلوبنا اي تغيرت حال قلوبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وظهور انواع الظلمة علينا ولم نجد قلوبنا على ما كانت عليه من انوار الصفا والالفة
لانقطاع مادة الوحي وفقدان ما كان يمدهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم من التاييد
والتعليم ولم يرد انهم لم يجدوها على ما كانت من التصديق وعن عائشة قالت لما قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في دفنه اي في موضع يدفن فيه فقيل يدفن في مسجده وقيل
بالبقيع بين اصحابه وقيل بمكة وقيل عند ابيه ابراهيم عليه السلام او في القدس الادنى والمعنى
... وقال الترمذي في الشمائل عن سالم بن عبيد وكانت له صحبة قالوا لابي بكر يا صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اين يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قالوا اين يدفن
قال في المكان الذي قبض فيه روحه فان الله لم يقبض روحه الا في مكان طيب فعلموا انه قد صدق
انتهى وهو لا ينافي ما روي عنه في هذا الحديث فقال ابو بكر سمعت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئا اي ما نسيته كما في الشمائل للترمذي قال يجهل ان يكون ... منه لشيئا
او استنباطا اي ... رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما قبض الله نبيا الا في الموضع الذي يجب
اي ... ان يدفن فيه ادفنوه في موضع فراشه اي الذي
مات فيه ولعله لم يحول الى موضع من المواضع الشريفة ليكون شرف المكان بالمكين ويتشرف به
اهل التهذيب رواه الترمذي اي وقال غريب وفي اسناده عبد الرحمن بن ابي بكر المليكي يضعف

سنن

من قبل حفظه وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه رواه ابن عباس عن ابي بكر عن النبي صلى الله
عليه وسلم وقد روي مالك هذا الحديث وقال بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفي قال
ناس يدفن عند المنبر وقال الاخرون يدفن بالبقيع فجاء ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دفن نبي قط الا في المكان الذي توفي فيه فحفر فيه ذكره
ميرك عن تصحيح المصابيح انتهى والله اعلم الفصل الثالث عن عائشة رضي الله تعالى
عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح اي في حال انه في حال صحته انه
اي الشان لن يقبض نبي اي لن يموت حتى يرى بصيغة المجهول من الاراءة وفي نسخة بالمعلوم من الرؤية
اي يبصر او يعرف مقعده اي الخاص به من الجنة اي من منازله العالية ثم يخير بالنصب وبرفع اي يجعل
مخيرا بين خلوده في الدنيا وبين وصوله الى مقعده في العقبى قالت عائشة فلما نزل به اي الموت
بعني علامات الموت به اي بالنبي صلى الله عليه وسلم وراسه على فخذي حال وجواب لما قوله غشي عليه
اي اغمي ثم افاق فاشخص اي رفع بصره الى السقف اي الى جهة السموات العلى ثم قال اللهم الرفيق
اي اختار او اسالك الرفيق الاعلى قلت اذا بالتنوين وفي نسخة اذن لا يختارنا بالرفع وبالنصب
قالت وعرفت انه اي هذا الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صحيح قال الطيبي اي ان هذا القول اشارة
الى الحديث الذي قاله في حالة صحته في قوله انه لن يقبض وفي نسخة لم يقبض نبي قط وهو يؤيد
النسخة لكني اراد به ابدا حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير قالت عائشة فكان اخر كلمة تكلم بها
النبي صلى الله عليه وسلم قوله بالنصب وفي نسخة بالرفع اللهم الرفيق الاعلى قال السهيلي
وان كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع عند حليمة الله اكبر ذكره ابن حجر
وروي انه صلى الله عليه وسلم انه اول ما تكلم يوم قال الست بربكم متفق عليه وعنها اي
عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي
مات فيه يا عائشة ما زال اي ما برح اجد الم الطعام اي السموم الذي اكلت بخيبر وهذا اوان وجدت
بفتح النون وفي نسخة بضمها قال الطيبي يجوز في اوان الضم والفتح فالضم لانه خبر المبتدا والفتح
على البناء لاضافته الى المبني قلت وهذا هو المختار على ما سبق في يوم ولدته ولد اشرابه
والمعنى وهذا زمان صادفت فيه انقطاع ابهري بفتح الهمزة والهاء بينهما مرحلة وهو عرق يتعلق به القلب
فاذا انقطع مات صاحبه من ذلك السم اي من اثره بتاثير سبحانه والسم مثلثة السين والضم
اشهر والفتح اكثر هكذا وفي النهاية الابهر عرق في الظهر وهما ابهران وقيل هما الاكحلان اللذان
في الذراعين وقيل هو عرق مستبطن القلب فاذا انقطع لم يبق معه حياة وقيل الابهر عرق
منشؤه من الراس ويمتد الى القدم وله شرايين يتصل باكثر الاطراف والبدن فالذي في الراس
منه يسمى النامة ومنه قوله اسكت الله نامته اي اماته ويمتد الى الحلق فيسمى الوريد ويمتد
الى الصدر فيسمى الابهر ويمتد الى الساق فيسمى الصافن والهمزة في الابهر زائدة رواه البخاري
وروى ابن السني وابو نعيم في الطب عن ابي هريرة ما زالت اكلة خيبر تعاودني كل عام حتى كان
هذا اوان انقطاع ابهري قال الجزري الاكلة بضم الهمزة وقال لم يا كل منها الا لقمة واحدة انتهى
وتعاودني بضم التاء وتشديد الدال اي تعاودني وقطع بصيغة الماضي مضافا اليه وعن
ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيغة المفعول اي حضره الموت وفيه
نحوه فانه عاش بعد ذلك اليوم وهو يوم الخميس الى يوم الاثنين وقيل التقدير لما حضره وهم
الموت وفي البيت رجال اي كثيرة منهم عمر بن الخطاب جملة حالية معترضة بين لما وجوابه
وهو قوله قال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اي تعالوا واحضروا اكتب لكم كتابا بالجزم جوابا وقوله
لن تضلوا بعده صفة لكتابا قال النووي في شرح مسلم اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم معصوم

من الكذب ومن تغيير شيء من الأحكام الشرعية في حال صحته ومرضه ومعصوم من ترك بيان ما أمر
ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه وليس هو معصوما من الأمراض والأسقام العارضة
للأجسام مما لا نقص فيه لمنزلته ولا فساد لما تمهد من شريعته وقد سحر عليه السلام حتى صار يخيل
إليه أنه يفعل الشيء ولم يكن فعله ولم يصدر منه في هذا الحال كلام في الأحكام مخالف لما سبق فإذا علمت
ما ذكرناه فقد اختلفوا في الكتاب الذي أراد كتابته فقيل أراد أن ينص على الخلافة في انسان
معين لئلا يقع نزاع وفتن قلت هذا بعيد جدا إذ التنصيص على خلافة أبي بكر أو عمر أو العباس
أو علي لا يحتاج إلى كتابة بل كان مجرد القول كافيا وهو المقصود وأيضا مع أنه قد أشار إلى خلافة أبي بكر رضي
الأمة مع التصريح بقوله يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر نعم لو قيل إنما أراد أن يكتب الخلافة المستمرة
خلفا وأنه لن يستحقها واحد بعد واحد إلى خروج المهدي ثم عيسى عليه السلام لكان له وجه وجيه
وتنبيه نبيه ولكنه أراد الله الأمر مستورا وكان ذلك في الكتاب مسطورا وقيل أراد أن يكتب كتابا يبين
فيه مهمات الأحكام ملخصة ليرتفع النزاع ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه قلت لم يكن
في زمانه نزاع لم يرتفع ولا خلاف لم يبين نعم ربما أشار إلى ما يقع من الزمان فيما سيقع الاختلاف
في مكان فقد أخبر بوقوعه بقوله اختلاف أمتي رحمة وبقوله أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم
وبقوله عليكم بالسواد الأعظم وبقوله وإن افتراق المفترقون وقد قال تعالى ولا يزالون مختلفين
إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم في الأحكام الشرعية المتفرقة في عشرين سنة كيف تصير
ملخصة منضبطة في ساعة بحيث لا يتصور فيه اختلاف طاعة نعم لو أريد به أنه قصد أن يكتب
كتابا يبين فيه بعض الأحكام التي تقع وتجد في الأزمنة الآتية تتميما لما هو مذكور في الكتاب
ولا يحفظ في السنة لا يبعد من طريق الرأفة وسبيل الرحمة على كافة الأمة من الأئمة والعامة
أو أراد أن يكتب كتابا يبين فيه طريق الفرقة الناجية ويفصل فيه أحوال الفرق الضالة من المعتزلة
والخوارج والرافضة وسائر المبتدعة فقال قد غلب عليه الوجع أراد به ما ذكره التخفيف على رسول
الله صلى الله عليه وسلم عند شدة الوجع وقوله حسبكم كتاب الله أي كافيكم في أمر الدين لقوله
تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا وهو خطاب لمن نازعه في ذلك ورد على من نازع النبي صلى الله عليه وسلم
مع أنه رضي الله عنه أهل الموافقات وقد نهى في مواضع من المخالفات فيكون هذه العقبة في الموافقة
فقد يقع المخالفة ويدل عليه سكوته صلى الله عليه وسلم في تلك المغالبة ومن غلبة شأن ترك الكتابة
هذا وقد عرف أن ذلك الأمر لم يكن حتما عليه بل رعاية لمصالحهم وكان أصحابه إذا أمرهم بشيء غير جزم راجعوه
فيه وكان يترك برأيهم فاختلف أهل البيت أي من كان في البيت عنده من الصحابة وكانوا رجالا فمنهم من
يقول قربوا أي للرواة والقلم يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجزم على جواب الأمر أي يملي
عليكم ما أراد كتابته ومنهم من يقول ما قال عمر أي من المنع لشدة الوجع فلما أكثروا اللغط بفتحتين
أي الصوت الذي لا يفهم منه ولا يتبين معناه والاختلاف في الوجع للتراب والخلاف قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قوموا عني أي فإني تركت تعمدا الكتابة قامعا داعي ما ثبت عندكم من الكتاب
والسنة قال النووي وكان النبي صلى الله عليه وسلم هم بالكتاب حين ظهر له أنه مصلحة أو أوحي إليه
بذلك ثم ظهر أن المصلحة تركه أو أوحي إليه بذلك ونسخ أما قول عمر رضي الله عنه حسبكم كتاب الله
فقد اتفقوا على أنه من دلائل فقهه وفضائله ودقائق نظره لأنه خشي أن يكتب النبي صلى الله
عليه وسلم أمورا ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة عليها لكونها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها
وأشار بقوله حسبكم كتاب الله إلى قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء وقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم
قال عبيد الله أي ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ابن أخي عبد الله بن مسعود وهو أحد الفقهاء
السبعة من أهل الحديث سمع ابن عباس وخلقا كثيرا من الصحابة فكان ابن عباس يقول إن الرزية

بفتح

بفتح الراء وكسر الزاي بعدها ياء ساكنة ثم همزة وقد يسهل فيشدد الياء يعني ما في شرح البخاري أي المصيبة كل
الرزية أي تمامها وكمالها ما حال أي حجز وقع حائلا وصار مانعا بين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم متعلق بحال وكان ابن عباس رأى الاختلاف
ما قال عمر ومن تبعه من الصحابة فقد تقدم قال البيهقي في كتاب دلائل النبوة إنما قصد عمر رضي الله تعالى
عنه بذلك التخفيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غلب الوجع عليه ولو كان مراده صلى
الله عليه وسلم أن يكتب ما لا يستغنون عنه لم يتركه لاختلافهم لقوله تعالى بلغ ما أنزل إليك من ربك
كما لم يترك التبليغ لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه وكما أمر في تلك الحالة بإخراج اليهود من
جزيرة العرب وغير ذلك يعني مما ثبت في الباب وقد حكى سفيان بن عيينة عن أهل العلم
قبله أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب استخلاف أبي بكر رضي الله تعالى عنه ثم ترك ذلك اعتمادا
على علمه من تقدير الله تعالى ذلك كما هم بالكتاب في أول مرضه حين قال وارأساه ثم ترك الكتاب وقال يأبى
الله والمؤمنون إلا أبا بكر وذلك بسبب استخلافه أبا بكر في الصلاة قال البيهقي وإن كان المراد
به بيان أحكام الدين ورفع الخلاف فيها فقد علم عمر حصول ذلك من قوله تعالى اليوم أكملت لكم
دينكم وعلم أنه لا تقع واقعة إلى يوم القيامة إلا وفي الكتاب والسنة بيانها نصا أو دلالة وفي تكلف
النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه مع شدة وجعه كتابة ذلك مشقة ورأى الاقتصار على ما سبق بيانه
تخفيفا عليه ولئلا ينسد باب الاجتهاد على أهل العلم والاستنباط وإلحاق الفروع بالأصول فرأى
عمر الصواب ترك الكتابة تخفيفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضيلة للمجتهدين وفي
تركه صلى الله عليه وسلم الإنكار على عمر دليل على استصواب رأيه وكان عمر أفقه من ابن عباس
وموافقيه وفي رواية سليمان بن أبي مسلم الأحول قال الراوي هو خال ابن أبي نجيح ثقة يعني من ثقات
المكيين وأئمتهم سمع طاوسا وأبا سلمة وروى عنه ابن عيينة وابن جريج وشعبة قال ابن عباس
يوم الخميس رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وعكسه وقد روي يوم الخميس بنصبه على إرادة
تفخيم الأمر وشدته والتعجب منه كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة ثم بكى
أي ابن عباس حتى بل دمعه الحصى أي حتى سال دموعه بلا إحصاء وصارت بالماء الأرض من جهته
ثم بكاؤه يحتمل أن يكون لتذكر وفاته وتفقد حياته صلى الله عليه وسلم وتجدد الحزن عليه ولعله لما
فاته في معتقده من خير الذي كان يحصل لو كانت كتب ذلك الكتاب وهذا هو الأظهر في المقام
والأنسب فيما أراده من المرام قلت يا ابن عباس وما يوم الخميس قال ميرك قائله سعيد بن جبير
الراوي عن ابن عباس وظاهره أن المراد يقتضي أن قائله سليمان وليس كذلك وهذا ظاهر سياق
البخاري قال اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه في ذلك اليوم فقال ائتوني بكتف أكتب
لكم كتابا بالجزم في جميع النسخ الحاضرة المصححة المعتمدة فيعود هذا بإشكال جزمه قوله لا تضلوا بعده
أبدا ولعل وجهه أن يكون جوابا لشرط مقدر أي أن أكتب لكم وعملتم به لا تضلوا أي لا تتميزوا فيما بينـ
وفي نسخة أن لا تضلوا وهو واضح جدا أي لئلا تضلوا أو مخافة أن لا تضلوا فتنازعوا أي بينهم
واختلفوا في رأيهم ولا ينبغي عند نبي تنازع فيه نوع من جملة الحديث المرفوع ويؤيده ما تقدم في العلم
بلفظ ولا ينبغي عندي التنازع ويحتمل أن يكون مدرجا من قول ابن عباس وهو الظاهر المتبادر
فقالوا أي بعضهم ما شأنه أي حاله صلى الله عليه وسلم أهجر بفتحات أي اختلف كلامه من جهة المرض
على سبيل الاستفهام وفي النهاية أي هل تغير كلامه واختلط لأجل ما به من المرض ولا يجعل إخبارا
فيكون من الفحش والهذيان والقائل عمر ولا يظن به ذلك قاله الخطابي ولا يجوز أن يحمل قول عمر على
أنه توهم الغلط على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ظن به غير ذلك مما لا يليق بحاله لكنه لما رأى ما غلب
عليه صلى الله عليه وسلم من الوجع وقرب الوفاة مع ما غشيه من الكرب خاف أن يكون ذلك

العزائم بقول المريض مما عزيمته له فيجدوا المنافقون بذلك سبيلا الى الكلام في الدين وقد كان
اصحابه يراجعونه في بعض الامور قبل ان يجزم فيها بتحتم كما راجعوه يوم الحديبية في الخلاف وفي
كتاب الصلح بينه وبين قريش فاما اذا امر بالشيء امر عزيمة فلا يراجعه فيه احد منهم ومعلوم انه
صلى الله عليه وسلم وان كان الله تعالى رفع درجته فوق الخلق كلهم لم يتنزه من سمات الحدوث
والعوارض البشرية وقد سها في الصلاة فينبغي ان يتوقف في مثل هذا حتى يتبين حقيقته فلهذا
المعنى وشبهه راجعه عمر رضي الله تعالى عنه وفي شرح مسلم قال القاضي عياض اهجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم هكذا في صحيح مسلم وغيره اهجر على الاستفهام وهو اصح من رواية من روى هجر
يهجر لان هذا كله لا يصح منه صلى الله عليه وسلم لان معنى هجر هذى وانما جاء هذا من قائله استفهاما للانكار
على من قال لا تكتبوا اي لا تتركوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلوه كامر من هجر في كلامه لانه
صلى الله عليه وسلم لا يهجر وان صحت الرواية الاخرى كانت خطأ من قائلها لانه قالها بغير تثبت لما
اصابه من الحيرة والدهشة لعظم ما شاهده من النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحالة الدالة على
وفاته وخوف الفتن والضلال بعده اجاب انه لو صحت الرواية لزم حملها على تقدير حرف الاستفهام
كما يدل عليه قوله استفهموه بكسر الهاء وفي بعض النسخ بفتحها هذا وفي فتح الباري قوله اهجر بهمزة عند
جميع رواة البخاري في كتاب المغازي وفي رواية في الجهاد بلفظ قالوا هجر بغير همزة وعند الكشميهني
فقالوا هجر قال القاضي معنى هجر افحش يقال هجر الرجل اذا هذى واهجر اذا افحش وتعقب فانه
يستلزم سكون الهاء والروايات كلها انما هي بفتحها وقد تكلم القاضي وغيره في هذا الموضع فلخصه
القرطبي تلخيصا حسنا ثم لخصته من كلامه وحاصله ان قوله هجر الراجح فيه اثبات الهمزة الاستفهامية
وبفتحات على انه فعل ماض والمراد به هنا ما يقع من كلام المريض مما لا ينتظم ولا يعتد به لعدم فائدته
ووقوع ذلك منه صلى الله عليه وسلم مستحيل لانه معصوم في صحته ومرضه لقوله تعالى وما
ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولقوله صلى الله عليه وسلم اني لا اقول في الغضب والرضا الا حقا
واذا عرف ذلك فانما قاله من قاله منكرا على من يتوقف في ذلك الظن انه كغيره يقول الهذيان
في مرضه امتثل الامر باحضار اسباب الكتابة فكانه قال لا تتوقف في ذلك واحضر ما طلبه فانه لا يقول
الا الحق وهذا احسن الاجوبة قال ويحتمل انه قال ذلك عن شك عرض له ولكن يبعد انه لا ينكره
الباقون عليه مع كونهم من كبار الصحابة ولو انكروه لنقل ويحتمل ان يكون الذي صدر منه قال
ذلك من دهشته وحيرته كما اصاب كثيرا منهم عند موته وقال غيره ويحتمل ان قائله اراد انه اشتداد
وجعه وقيل قال ذلك لارادة سكوت الذين لغطوا ورفعوا اصواتهم عنده فكانه قال ان ذلك يؤذيه
ويفضي في العادة الى ذلك ويحتمل ان يكون قوله اهجر فعلا ماضيا من الهجر بفتح اوله وسكون ثانيه والمفعول
محذوف اي الحياة وذكره بلفظ الماضي مبالغة لما رأى من علامات الموت عليه قلت ويظهر ترجيح ثالث
الاحتمالات التي ذكرها القرطبي ويكون قائله بعض من قرب دخوله في الاسلام انتهى وقوله هذا
بعيد من مقام الكرام فان مثله لا يكون مع الاصحاب الفخام وفي التنزيل فلا يسكتون عنه من غير زجر
ولو بالكلام والله اعلم بحقيقة المرام فذهبوا اي فشرع بعضهم يردون عليه اي هذا الرأي
بخلاف قول عمر فانه كان يلوح فقال دعوني ذروني اي اتركوني وهو بمعناه تأكيد له والمعنى دعوني من
النزاع واللغط الذي شرعتم فيه فالذي انا فيه اي من مراقبة الله تعالى والتأهب للقائه والتفكر
في ذلك ونحوه خير مما تدعوني اليه اي افضل مما انتم عليه من الاختلاف واللغط قال الخطابي وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اختلاف امتي رحمة والاختلاف في الدين ثلاثة اقسام
احدها في اثبات الصانع ووحدانيته وانكار ذلك كفر وثانيها في صفاته وانكارها بدعة وثالثها
في احكام الفروع المحتملة وجوها فهذا جعله الله تعالى رحمة وكرامة للعلماء وقال المازري الا

قيل

قيل كيف جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب مع قوله ائتوني اكتب لكم فالجواب ان الاوامر قد يقارنها
قرائن تنقلها من الندب الى الوجوب عند من قال اصلها الندب ومن الوجوب الى الندب عند من قال اصلها الوجوب
فلعله ظهر منه صلى الله عليه وسلم من القرائن ما دل على انه لم يوجب ذلك عليهم بل جعله الى اختيارهم
فاختلف اختيارهم بحسب اجتهادهم وهو دليل على رجوعهم الى الاجتهاد في الشرعيات وادى اجتهاد عمر
رضي الله تعالى عنه الى الامتناع ولعله اعتقد ان ذلك صدر منه صلى الله عليه وسلم من غير قصد جازم
وكان قصده اذن التنبيه الى ارادة عدم الوجوب والله اعلم فامرهم بثلاث اي خصال فقال تفسير لما قبله اخرجوا
المشركين من جزيرة العرب مر بيانه في باب اخراج اليهود من جزيرة العرب واجيزوا الوفد اي اكرموا الوافدين
عليكم والواصلين اليكم من جوانبكم واعطوهم الجائزة والعطية فيما لديكم بنحو ما كنت اجيزهم اي بمثله
وكيفيته والتمييز بينهم بحسب ما يليق بهم قال النووي امر صلى الله عليه وسلم باكرام الوفود وضيافتهم
تطييبا لنفوسهم وترغيبا لغيرهم من المؤلفة وقالوا سواء كان الوفد مسلمين او كفارا لان الكافر انما يفد
غالبا فيما يتعلق بمصالحنا ومصالحه وسكت اي ابن عباس عن الثالثة اي نسيانا فاما اختصارا
او قالها اي ذكرها فنسيتها وفي نسخة بفتح النون وتشديد السين قال سفيان الظاهر انه ابن عيينة
هذا اي قوله سكت من قول سليمان اي الاحول خال الساكت هو ابن عباس والناسي سعيد بن جبير
قال المهلب الثلاثة تجهيز جيش اسامة وقال القاضي عياض يحتمل انه قوله صلى الله عليه وسلم لا
تتخذوا قبري وثنا يعبد متفق عليه وعن انس قال قال ابو بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما بصيغة
التثنية انطلق بنا او نحوها من مقول انس وفي نسخة عنهم بصيغة الجمع بعد وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق بنا الى ام ايمن هي ام اسامة بن زيد بن حارثة كانت مولاة النبي صلى
الله عليه وسلم تزوجها زيد واسمها بركة وهي حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم ورثها النبي صلى الله عليه
وسلم عن ابيه عبد الله وكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى وكانت من الحبشة وتوفيت بعد عمر بعشرين
يوما واما زيد فملكته خديجة الكبرى فاستوهبه صلى الله عليه وسلم فوهبته له فاعتقه صلى الله
عليه وسلم وكذا ذكره بعض المحققين ولم يذكر ام ايمن نزورها كما كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يزورها استئناف بيان كانه قيل لم تنطلقون اليها فاجيب نزورها لانها مستحقة لذلك
فهو ابلغ من ان لو قيل نزورها حسب ما اقتضاه تعظيم المزور فلما انتهينا اي انا والشيخان
بصيغة التثنية اي وصل ابو بكر وعمر اليها بكت فقالا لها اي الشيخان ما يبكيك اما تعلمين ان ما
عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني لا ابكي الا اني اعلم بفتح الهمز على انه مفعول لقوله
لا ابكي الا اعلم ان ما عند الله تعالى خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لان هذا امر ظاهر وظهوره
باهر ولكن ابكي ان اي لان الوحي اي بالاحكام الالهية قد انقطع من السماء فهيجتهما بتشديد
الياء اي حركتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها والبكاء لهذا المعنى لا ينقطع الى آخر الدهر رواه مسلم وعن
ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه
الذي مات فيه ونحن في المسجد حال من المفعول وقوله عاصبا رأسه حال من ضمير فاعل
خرج اي رابطا رأسه بخرقة اي عصابة حتى اهوى اي قصد نحو المنبر اي الى جهته
فاستوى عليه واتبعناه بهمز قطع واسكان تاء وفي نسخة بهمز وصل وتشديد تاء اي لحقناه وتبعناه
بان قعدنا تحت المنبر قريبا لديه متوجها اليه صلى الله عليه وسلم قال اي بعد الحمد والثناء والذي
نفسي بيده اني لانظر الى الحوض اي الكوثر ثم من مقامي هذا الان وزاد من قوله ومنبري على
حوضي وقد سبق بيانه وتحقيق شأنه ثم قال ان عبدا اي عظيما وعند الله وجيها كريما عرضت عليه الدنيا
وزينتها اي الدنيا فاختار الاخرة اي ونعيمها الباقية وقد قال بعض العارفين لو خير الدنيا
لو خير احدهم خزف باق وذهب فان لاختار الباقي على الذهب الفاني فكيف والامر بالعكس

فان الآخرة ذهب باق والدنيا خزف فان كما اشار اليه بقوله سبحانه والآخرة خير وابقى فلم يفطن
بفتح الطاء ويضم من باب فرح ونصر على ما في المصباح وفي القاموس فطن به واليه وله كفرح ونصر وكرم
تنبيه انما في بعض النسخ من كسر الطاء سهو قلم نشأ من قلة فطانة الكاتب على البداية ويتصل
اي الا ابا بكر فانه عرفها فذرفت عيناه اي سالت دموع عيني ابي بكر فبكى ثم قال بل نفديك بآبائنا
وامهاتنا وانفسنا واموالنا اي عبيدنا واماثنا وغيرها لو كان جاز الفداء بشيء منها او بجميعها قال
ابو سعيد ثم هبط اي نزل عن المنبر فما قام عليه حتى الساعة اي الى الآن قال الطيبي حتى هي الجارة
والمراد بالساعة القيمة يعني ما قام على المنبر بعد ذلك في حياته رواه الدارمي وعن ابن عباس
قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح اي الى آخر السورة المشيرة الى حصول الكمال المستعقب
للزوال فكانه قال اذا صحت نصرتك فاشتغل بحمدك من تنزيه ربك وشكر نعمتك فقد
تم المقصود من بعثتك دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة فقال لها قال استيناف
بيان ذا وكان نعيت الي نفسي بصيغة المجهول المؤنث اي اخبرت بانيان الموت قال الطيبي ضمن نعيت معنى
الانهاء وعدي بالى اي انهي الي نفسي كما يقول احدكم فلانا نعى الميت ينعاه اذا اذاع موته
واخبر به ولعل التشبيه في ذلك انه تعالى رتب قوله فسبح بحمد ربك على مجموع قوله اذا جاء نصر الله والفتح
ورأيت الناس فهو امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاسبة نفسه من التسابيح الله بصفات
الجلال حمدا له على ما اولي من النعم بصفات الاكرام وبذل المجهود فيما كلف به من تبليغ الرسالة
ومجاهدة اعداء الدين وبالاتيان في العبادة والتقوى والتأهب للمسير الى المقامات العليا
واللحوق بالرفيق الاعلى فبكت اي فاطمة رضي الله تعالى عنها حزنا على فراقه فقال لا تبكي فانك
اول اهلي لحوقا بي فضحكت اي فرحا بسرعة وصاله فرآها بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
يراد بها عائشة رضي الله تعالى عنها وجمعها في قوله فقلن تعظيما لشأنها ذكره الطيبي ولا يبعد
ان يكون غيرها معها في ما رآها وقوله الظاهر من قوله بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم مع قوله فقلن
يا فاطمة رأيناك بكيت ثم ضحكت ولعلهن كن في مكان متأخر عنها او تنتنا (?) النبي صلى الله عليه وسلم
معها كما هو مصرح في رواية اخرى حيث استفسرت عن الجواب حينئذ ثم اخبرت بعد موته عليه السلام
فقالت وفي النسخة الصحيحة قالت انه اخبرني انه قد نعيت اليه نفسه فبكيت فقال لا تبكي
فانك اول اهلي لحوقا بي فضحكت قال الاكمل والصحيح انها عاشت بعده ستة اشهر وقيل ثمانية
اشهر وقيل ثلاثة اشهر وقيل شهرين وقيل سبعين يوما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن عطف على جاء نصر الله وتفسير لقوله تعالى ورأيت الناس يدخلون
في دين الله افواجا وايذان بان المراد بالناس هم اهل اليمن هم ارق افئدة اي ارحم قلوبا والايمان
والايمان يمان اي يمني والالف عوض عن يا النسبة فيه انما قال ذلك لان الايمان بدا من مكة
وهي تهامة وتهامة من ارض اليمن ولذا يقال الكعبة اليمانية وقيل انه قال هذا القول وهو بتبوك
ومكة والمدينة يومئذ بينه وبين اليمن فاشار الى جهة اليمن وهو يريد مكة وقال ابو عبيد المراد
بهم الانصار لانهم يمانيون في الاصل فنسب الايمان اليهم لكونهم انصاره وقال الشيخ ابو
عمرو بل المراد به اهل اليمن كما هو الظاهر ونسب الايمان اليهم اشعارا بكماله فيهم لان من اتصف بشيء وقوي
قيامه به نسب ذلك الشيء اليه اشعارا بتمييزه به وكمال حاله فيه ولا ينبغي لذلك نفي الايمان عن غيرهم فلا منافاة بينه وبين قوله صلى الله عليه
وسلم الايمان في اهل الحجاز ثم المراد به الموجودون في ذلك الزمان لا كل اهل اليمن في جميع الاحيان
والحكمة وهي عبارة عن اتقان العلم والعمل وقيل الاصابة في القول والفعل وكلمة متعارفة قال
تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقال الطيبي الحكمة كل كلمة صالحة تمنع
صاحبها عن الوقوع في المهالك يمانية بتخفيف الياء وكذلك الالف فيه عوض وحكى المبرد وغيره ان

التشديد

التشديد لغة رواه الدارمي وفي الجامع الصغير الايمان يمان رواه الشيخان عن ابن مسعود وروى
ابن عدي في الكامل وابو نعيم في الحلية عن انس الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع العبد المملوك حتى
تجلسه مجالس الملوك وفي رواية ابن عدي وابن لال عن علي هي الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها
في العزلة وواحد في الصمت وعن عائشة انها قالت اي شاكية صداعها وا رأساه ندبت رأسها واشارت
الى الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك بكسر الكاف اشارة الى ما يستلزمه المريض من الموت
لو كان اي لو حصل ذاك اي موتك وانا حي اي والحال اني حي فاستغفر لك اي لمحو سيئاتك وادعو لك اي
لرفع درجاتك فقالت عائشة واثكلياه الثكل بالضم وبحركة في القاموس الموت والهلاك
وفقدان الحبيب او الولد وقال غيره الثكل فقد الولد وفقد الموت او من يعز على الفاقد وليست حقيقته
مرادة هنا بل هو كلام يجري على السنتهم عند المصيبة والله اني لاظنك اي احسبك تحب موتي
فلو كان ذلك اي لو حصل موتي في يوم لظللت بكسر اللام اي صرت في ذلك اليوم آخر يومك معرسا بضم
ميم فسكون وفي نسخة بتشديد الراء اي عروسا ببعض ازواجك والمعنى انك تتسلى وتمتعت بعدي
تزوجت لغيري وتشبيهي بنيتي يقال عرس واعرس اذا بنى على زوجته ثم استعمل في كل جامع ذكره
ابن حجر وفي النهاية التعريس نزول المسافر آخر الليل للاستراحة منه عرس واعرس والرجل فهو معرس وبين
بامرأته وقد يقال عرس وفي القاموس اعرس اتخذ عروسا وبها بنى عليها والقوم نزلوا في آخر الليل للاستراحة
كعرسوا وهذا اكثر فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل انا وا رأساه بل للاضراب اي دعي ما تجدين من وجع
رأسك واشتغلي بي فانا اهتم من امرك وفي نزالي محنتها اي مايلي محنتها على نفسه وخوف خروج الدم في المجنون
العامري وفيه اشعار ايضا لقد هممت اي قصدت او اردت شك من الراوي ان ارسل الى ابي بكر وابنه
اي عبد الرحمن واعهد اي اوصي ابا بكر بالخلافة بعدي واجعله ولي عهدي ان يقول القائلون اي لئلا
يقول القائلون ادعى نفسه ان يقول القائلون لم يعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر الخلافة
الكبرى وانما استخلف الخلافة الصغرى وهي الامامة مع ان فيها الاشارة الى الامامة تلك الامامة
او يتمنى المتمنون اي الخلافة لغيرهم من انفسهم او لغيرهم فاو للتنويع لا للشك وقال ابن الملك اي
كراهة ان يقولوا ابو بكر احق منه بالخلافة او يتمنى احد ان يكون الخليفة غيره وقال الطيبي لئلا يقول
مفعول له على تقدير محذوف اي اجعل ابا بكر ولي عهدي كراهة ان يقولوا او اخره فانت تعرف ان
الفعل المعلل مذكور وهو اعهد ولعله محذوف في اصل الطيبي فاتقه ثم قلت اي في الخاطر في
الظاهر يابى الله اي الا الخلافة ويدفع المؤمنون اي عن خلافة غير ابي بكر او يدفع الله شك من الراوي
ويابى المؤمنون اي ابقيا ما استخلف في الامامة الصغرى فانها امارة الامامة الكبرى كانهم يقولون
الصحابة حيث قال عند المنازعة اختاره صلى الله عليه وسلم لامر ديننا افلا نختاره لامور دنيانا
فهذا برهان جلي وتبيان ذلك عند كل ولي ثم في قوله يابى الله والمؤمنون اشارة الى تقرير الكرامة
حقيقة خلافة الصديق لانهم لا ان يقال المراد بالمؤمنين اكثرهم تنبيها ان مخالفتهم لجمهور
المسلمين وقال ابن الملك اي تركت الايصاء اعتمادا على ان الله تعالى يابى كون غيره خليفته ويدفع المؤمنون
غيره وفيه تنبيه الى ابي بكر اخبار بما سيقع فكان كما قال رواه البخاري وعنها اي عن عائشة رضي
الله تعالى عنها قالت رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من جنازة اي من اجل جنازة هو مشغول
له من البقيع متعلق برجع فوجدني وانا اجد صداعا بضم اوله اي وجع رأس والحال اني حزن وجع رأسي
وانا اقول وا رأساه فقال بل انا يا عائشة وا رأساه قال وما ضرك لو مت قبلي بضم الميم وكسرها
فغسلتك بالتخفيف وكفنتك بالتشديد وصليت عليك ودفنتك فيه ايماء الى انها زوجته في الجنة فخير
من حياتها بعده قالت لكاني بك اي والله لكاني متلبسة بك قال الطيبي اللام فيه جواب قسم
محذوف والمذكور معترض بين الحال وصاحبها المعنى والله لكاني ابصرك والحال كيت وكيت لو فعلت

ذلك أي مما ذكر من الغسل وغيره ثم رجعت إلى بيتي أو مكانه ثم عرست فيه ببعض نسائك بتشديد الراء في
الصحاح أعرس الرجل بأهله إذا بنى بها ولا تقل عرس والعامة تقوله انتهى والحديث حجة على القزويني اللهم
إلا أن يراد بالتعريس هنا النزول للاستراحة في آخر الليل فيكون متعقبا على سبيل التجريد ويكون كناية
عن الجماع ويجعل من باب الاستعارة التبعية ثم تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يدل عبارتها
على كمال غيرتها ثم بدئ أي ابتدئ بصيغة المجهول أي شرع في وجعه الذي مات فيه رواه الدارمي
وعن جعفر أي الصادق ابن محمد الباقر عن أبيه أي محمد أن رجلا من قريش دخل على أبيه أي أبي محمد علي بن الحسين
بن أبي طالب … والمراد به زين العابدين فقال أي علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم ألا أحدثك عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أي الرجل بلى حدثنا عن أبي القاسم صلى الله عليه وسلم قال أي علي بن
الحسين مرسلا لأنه من أجلاء التابعين لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل أي للعيادة
والرسالة فقال يا محمد إن الله أرسلني إليك تكريما لك وتشريفا لك أي تعظيما خاصا لك أي
… يسألك أي الله سبحانه عما هو أعلم به منك أي لأنه أقرب إليه من حبل الوريد يقول كيف
تجدك أي من الأحوال قال أجدني يا جبريل مغموما أي مهموما وأجدني يا جبريل مكروبا أي محزونا وإنما
أشكو بثي وحزني إلى الله … في كل حال الحمد لله ثم جاءه اليوم الثاني أي جبريل فقال له ذلك
أي ما سبق من السؤال فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم كما رد عليه أول يوم أي من بيان الحال ثم جاءه
اليوم الثالث فقال له كما قال أول يوم … ورد عليه كما رد عليه أي فيما
تقدم وجاء معه ملك أي في هذا اليوم أو يوما آخر يقال له إسماعيل على مائة ألف ملك أي حاكم كل ملك
على مائة ألف ملك أي أمير فاستأذن عليه أي في الدخول … ثم قال …
قال جبريل هذا ملك الموت يستأذن عليك أي في الدخول ما استأذن على آدمي قبلك أي من الأنبياء
ولا يستأذن على آدمي بعدك أي من الأولياء فقال ائذن له فأذن له فسلم عليه أي فرد
ثم قال يا محمد إن الله تعالى أرسلني إليك فإن أمرتني أن أقبض روحك قبضت
وإن أمرتني أن أتركه تركته والروح يذكر ويؤنث وفي نسخة بترك الضمير فقال أو تفعل أي أو تفعل
مأموري يا ملك الموت قال نعم بذلك أي بتخيير أمرت وأمرت أن أطيعك أي فيما أمرتني به وهذا أولى …
الطيبي قوله وأمرت عطف على قوله بذلك أمرت أي بتخييرك … العطف المختص المعطوف عليه قال
أبو جعفر فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل عليه السلام أي كالمستشير إليه فقال جبريل يا محمد
إن الله قد اشتاق إلى لقائك … فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لملك الموت امض بكسر همزة الوصل والضاد أي أنفذ لما أمرت به ولا تتوقف فيه قال الطيبي وفي
ها هنا ذكر الجوزي في كتاب الوفا وذكر بعده فقال جبريل عليه السلام عليك يا رسول الله هذا آخر
موطئي الأرض إنما كنت حاجتي في الدنيا فقبض روحه إنا لله وإنا إليه راجعون فلما توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية أي من كان في البيت سمعوا صوتا من ناحية البيت السلام عليكم
أهل البيت ورحمة الله وبركاته إن في الله أي في كتابه عزاء بفتح العين أي تسلية من كل مصيبة
… إلى قوله تعالى وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة أو في ثوابه عوضا من كل محنة وبلية قال
صاحب النهاية وفي الحديث من لم يتعز بعزاء الله فليس منا قيل أراد بالتعزي في هذا الحديث التسلي والتصبر عند
المصيبة وأن يقول إنا لله وإنا إليه راجعون قال الطيبي يعني هذا وجه آخر …
أي في لقاء الله تعالى تسلية من كل مصيبة وأن يراد في الله تسلية على التجريد أي الله
معز ومسل … وفي الرحمن للضعيف كاف … قوله خلفا بفتحتين أي عوضا
من كل هالك ودركا بفتح الدال والراء أي تداركا من كل فائت وما أحسن ما قاله أرباب الحال
شعر: لكل شيء إذا فارقته خلف … وليس لله إن فارقت من عوض

فبالله

فبالله أي فإذا كان الأمر كذلك فثقوا به وحده وتوكلوا عليه فاتقوا أي في الجزع والفزع اشتغالا بقوله تعالى
واصبر وما صبرك إلا بالله وفي بعض النسخ من المصابيح المعتمد المحققين فثقوا بكسر المثلثة وتخفيف
القاف المضمومة أي فاعتمدوا وإليها إشارة قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت وإياه فارجوا أي
لا ترجوا سواه فإنه لا راحم إلا الله أو من عنده فارجوا الثواب فإنما المصاب أي في الحقيقة من حرم الثواب
بصيغة المفعول أي من منع المثوبة بسبب ترك الصبر في نفس المصيبة وأن الصبر المعتبر عند المولى
هذا الذي يكون عند الصدمة الأولى هذا وقال الطيبي الفاء في قوله فبالله جواب للشرط وبالله حال
قدمت على عاملها اختصاصا كما في قوله تعالى فإياي فاعبدون أي إذا كان الله معزيا وخلفا ودركا
فخصوه بالتقوى مستغنين به والفاء في فاتقوا زائدة تأكيدا للربط وكذا في قوله فارجوا وتقديم
المفعول لتبين إرادة التخصيص … في القرآن العظيم …
في إرادة الاختصاص المفيد للإخلاص وحصول … فقال علي أي ابن زين العابدين
أو علي بن أبي طالب أتدرون من هذا أي صاحب الصوت هذا هو الخضر عليه السلام بفتح الخاء وكسر الضاد
وقيل بكسر فسكون وفي تهذيب الأسماء يجوز إسكان الضاد مع فتح الخاء وكسرها وفتح الخاء وكسرها
قال الطيبي … دلالة بينة على أن الخضر عليه السلام حي موجود رواه البيهقي أي الحديث بكماله
في دلائل النبوة وقد علمت أن صدر الحديث إلى قوله فلما توفي ذكره ابن الجوزي في كتاب الوفا وأما ما بعده
فقد ذكره ابن الجزري في الحصن ولفظه ولما توفي صلى الله عليه وسلم عزتهم الملائكة السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا
فإنما المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته رواه الحاكم في مستدركه عن
جابر ثم قال ودخل رجل أشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكى ثم التفت إلى الصحابة
فقال إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فإلى الله فأنيبوا
وإليه فارغبوا ونظره إليكم في البلاء فانظروا فإنما المصاب من لم يجبره الثواب فقال أبو بكر وعلي
هذا الخضر عليه السلام رواه في المستدرك من حديث أنس قال ميرك ولكنه بصحيح وقال العسقلاني
في هذا الحديث وفي الإسناد أي ضعيف بخصوص هذا السند لكن إذا انضم إلى … يتقوى
إلى درجة الحسن … قال الخيضري في شرح المشكاة مع أن هذا الحديث موضوع رواه عبد
الله بن محرر عن يزيد الأصم عن زين العابدين وابن محرر متروك كما في … انتهى ولا يخفى أنه
لا يستلزم من كون أحد الرواة متروكا كون الحديث موضوعا لا سيما إذا جاء الحديث من طريق
أخرى وتعدد طرقه فلا يبعد كونه ثابتا ولا يضر عدم كونه صحيحا إذ لا يتعلق به حكم شرعي مع أن
الأكثر الأحكام إنما تثبت بأحاديث حسان لغلبة التصحيح حيث لا معارض انتهى والله سبحانه أعلم

باب الوصايا

الفصل الأول عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ولا أوصى بشيء قال النووي وفي رواية أخرى ذكروا عند عائشة
رضي الله تعالى عنها أن عليا رضي الله تعالى عنه كان وصيا فقالت متى أوصى إليه وقد كنت مسندته
… فمات فما شعرت أنه مات … أي لم يوص بثلث ماله ولا بغيره إذ لم يكن له مال ولا أوصى إلى علي ولا
إلى غيره خلاف ما يزعمه الشيعة وأما الأحاديث الصحيحة في وصيته صلى الله عليه وسلم بكتاب الله
ووصيته بأهل البيت وإخراج اليهود من جزيرة العرب وإجازة الوفد فليست مرادة بقولها ولا أوصى
وأما الأرض التي كانت له صلى الله عليه وسلم بخيبر وفدك فقد سبلها صلى الله عليه وسلم في حياته ونجزها
صدقة للمسلمين رواه مسلم وكذا الترمذي في الشمائل فقوله ولا أوصى بشيء ثم قال رزين …

الراوي شك في لفظة او شك في العبد والامة وشيا في نفيهما ايضا واما ما حكي بعض اهل السير من ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له ابل كثيرة وكان له عشرون ناقة يحفظونها في لواحق المدينة
ويأتون بالبانها في كل ليلة وكان له سبع شياه يشربون البانها وكان له سبع معز يشربون من البانها
فلا يصلح لمعارضة هذا الحديث الصحيح ولو صح لحمل على انها كانت من ابل الصدقة وكان اصحابه
الفقراء من اهل الصفة وغيرهم يشربون من البانها وعن عمرو بن الحارث اي الخزاعي له صحبة على ما في [illegible]
اخي جويرية بالتصغير احدى امهات المؤمنين قال ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته
دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا امة اي في الرق فعلم منه ان جميع ما ذكر من رقيق النبي صلى الله عليه
وسلم في جميع الاخبار كان مات او اعتقه ولا شيئا تعميم بعد تخصيص الا بغلته البيضاء اي
التي كان يختص بركوبها وسلاحه اي الذي يختص بلبسه من نحو سيف ورمح ودرع ومغفر وحربة ولعل
هذا الحصر فيما ينبني على عدم اعتبار شيء آخر مثل الاثواب والامتعة والبيت والا فقد ثبت انه
ترك اثوابا وغيرها ثم تثبيت في موضعها ولعل حكمة سكوت الراوي عن ذكرها كونها محقرة بالنسبة
للمذكورات وارضا جعلها صدقة قال شارح الضمير المفعول لما ذكر من البغلة والسلاح والارض
والظاهر المتبادر انه للارض قال العسقلاني اي تصدق بمنفعة الارض فصار حكمها حكم الوقف
والمعنى انه جعلها في حياته صدقة جارية الى انه فيدوم ثواب الصدقة بدوامها فلا ينافي ان
ما عداها من املاكه بعد موته تصير صدقة كما لا يخفى قال العلامة الكرماني في شرح البخاري
هي نصف ارض فدك وثلث ارض وادي القرى وسهمه من خمس خيبر وحصته من ارض بني النضير
وضمير جعلها راجع الى كل الثلاثة لا الى الارض فقط فانه صلى الله عليه وسلم قال نحن معاشر الانبياء
لا نورث ما تركنا صدقة انتهى وسيأتي في تحقيقه رواه البخاري وعن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقتسم ورثتي دينارا باثبات النفي ورفعه فهو خبر
حقيقة ومعناه ليس تقتسم ورثتي بعد موتي دينارا اذ لست اخلف بعد موتي دينارا املكه
فيقتسمون ذلك او يحتمل ان يكون اخبارا في الصورة ونهيا في المعنى فهو ابلغ من النهي الصريح قال
الطيبي ويجوز ان يكون بمعنى النفي فهو في منوال قوله ۞ على لاحب لا يهتدى بمناره ۞
اي لا دينار هناك فيقتسم انتهى وفي نسخة بالتذكير وفي اخرى بالجزم وفي بعض النسخ لا تقتسم
من الانقسام مرفوعا ومجزوما قال ميرك هو باسكان الميم على النهي وبضمها على النفي وهو الاشهر
وبه يستقيم المعنى حتى لا يعارض ما ثبت انه صلى الله عليه وسلم لم يترك ما لا يورث عنه وتوجيه
رواية النهي انه لم يقطع بانه لا يخلف شيئا بل كان ذلك محتملا فنهاهم عن قسمة ما يخلف ان اتفق انه خلف
ذكره العسقلاني وقال ابن حجر في شرح الشمائل رواية مسلم لا يقتسم وهو نفي لا نهي اذ المنهي عنه
شرطه الامكان ووارث النبي غير ممكن فتمحض للاخبار بانهم لا يقتسمون شيئا لانه لا يورث انتهى
وفيه ان الشرط هو الامكان العقلي وهو متصور لا الامكان الشرعي فيه لا ينافي ايضا ثم قوله ورثتي اي بالقوة
والا فليس ثمة ورثة فلا وراثة قال ابن حجر اي من يصلح ورثتي لو امكنت وقال ميرك هم ورثته
باعتبار انهم كذلك بالقوة لكن منعوا من الميراث بالدليل الشرعي وهو قوله لا نورث ثم بين سببه
وعلته في ما تركت ما موصولة مبتدأ وتركت صلته والعائد محذوف اي الذي تركته بعد نفقة
نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة والفاء لتضمين المبتدأ معنى الشرط كقولهم الذي يأتيني فله درهم
وهو ضمير الفصل يفيد التوكيد وان تبين وفي شرح السنة قال سفيان بن عيينة كان
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في معنى المعتدات اذ كن لا يجوز لهن ان ينكحن ابدا فجرت لهن النفقة
وتركت حجرهن لهن يسكنها وقوله ومؤنة عاملي اراد بالعامل الخليفة بعده وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ نفقة اهله
من الصفايا التي كانت له من اموال بني النضير وفدك ويصرف الباقي في مصالح المسلمين ثم ابو

بكر

بكر ثم عمر كذلك فلما صارت الى عثمان استغنى عنها بماله فاقطعها مروان وغيره من اقاربه فلم تزل في ايديهم
حتى ردها عمر بن عبد العزيز ذكره شارح ومن عجيب ما يزيد فيما تركه من امواله التي كان يتصرف فيها تصرف
الملاك ولم يكن ذلك لغيره وقوله بعد نفقة نسائي لان نفقة نسائه بعده كانت تتعلق بحيوة كل واحدة
منهن لكونهن محبوسات عن النكاح في الله وفي رسوله وفي حكم نكاح النبي صلى الله عليه وسلم بالنبي مدة حياته
توجب لهن النفقة من ماله التي وجوب نفقة النساء على ازواجهن انتهى والحاصل انه ليس
معنى نفقة نسائي ارثهن منه بل لكونهن محبوسات وممنوعات عن الازواج بسببه فهن في حكم المعتدات
ما دام حياتهن وقيل لا عدة عليهن لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وكذلك سائر الانبياء فمعنى هذا لا
اشكال في نفقة النساء وقال بعضهم لعظم حقوقهن وقدم هجرتهن وكونهن امهات المؤمنين ولذلك
اختصصن بمساكنهن ولم يرثها ورثتهن قال التوربشتي واما نفقة عامله فانها تتعلق بعامل ذلك وهو
العامل الذي استعمله على ماله التي فاستحق العمل لنفقة عمله ولم يكن يأخذها فاستثنى ذلك من ماله التي
انتهى ولفظ ومؤنة عاملي في شرح السنة رد المؤنة الثقل فعولة من مانت القوم اي احتملت مؤنتهم
وفي الصحاح المؤنة يهمز ولا يهمز وقال الفراء مفعلة من الاين وهو التعب والشدة وقيل هي مفعلة من الاود
وهو الخرج والعدل لانه ثقل على الانسان انتهى وفي الحديث المعونة لغة في نذر المؤنة وقال بعض
المحققين اختلف في المراد بقوله مؤنة عاملي فقيل الخليفة بعده وهذا هو المعتمد وقيل يريد بذلك
العامل على النخل والمقيم على الارض وبه جزم الطبري وابن بطال وابعد من قال المراد به حافر قبره
عليه السلام وقال ابن دحية في الخصائص المراد بعامله كل عامل على الصدقة وقيل العامل فيها
كالاجير واستدل به على اجرة القسام وقيل كل من المسلمين اذ هو عامل له ونائب عنه في امته
متفق عليه ورواه الترمذي في الشمائل بزيادة ولا درهما [illegible] التنبيه على ان
ما فوقه بذلك اولى وهذا الحكم عام في الانبياء لورود الحديث الانبياء لا يورثون ما تركنا صدقة وفي رواية لا نورث
نحن معاشر الانبياء كان من جملة الفقراء ومن شرط الفقير عند الصوفية انه لا يملك فما ثبت في ايديهم اما امانة
امانة او وقف وصدقة وخاصة الحديث ما ميراثنا الا [illegible] ومخصص بحرف احوال الفقراء والمساكين
كما جاء في حديث اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يورث انما ميراثه في فقراء المسلمين والمساكين وقيل
لئلا يفرح احد بموته من ورثته من جهة اخذ تركته وخالف الحسن البصري في المسألة العامة وقال
هذا الحكم مختص بنبينا صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى يرثني ويرث من آل يعقوب وقال وورث سليمان داود
لا نبوة والا لم يقل واني خفت الموالي من ورائي اذ لا يخافهم على النبوة واجيب عن الجمهور بحمل قوله
على النساء فانهن من الانبياء لا يورث والمراد في الآية وراثة النبوة دون حقيقة الارث [illegible]
[illegible] وحلوله مكانه وفي هذا فانه خاف من اساءة الموالي على امته لطاهر بالشر والفسق والعلة
هذا وقال الباجي اجمع اهل السنة ان هذا حكم جميع الانبياء وقال ابن عيينة ان ذلك للنبي عليه السلام
وقالت الامامية ان جميع الانبياء يورثون ذكره السيوطي وعن ابي بكر رضي الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نورث بسكون الواو وفتح الراء اي نحن معاشر الانبياء لا نورث
قال الطيبي اي لا يورث منا لحذف الجار فاستتر ضمير الجمع في الفعل فانقلب الفعل عن لفظ
الغائب الى لفظ المتكلم انتهى وهذا بناء على انه لا يتعدى بنفسه وجعله بعض اللغويين متعديا بنفسه
وبمن فلا حذف ولا تحويل على الاسناد كما اختلفه لاسناد مولانا عبد الله السندي رحمه الله
وقد جاء اللغتان في التنزيل يرثني ويرث من آل يعقوب وفي القاموس ورث اباه ومنه بكسر الراء
يرثه كيعده وارثه جعله من ورثته وحكى نورث على صيغة المعلوم وكذا ضبط في نسخة اي ما تركت
ما لا ميراثا لاحد فهو العصب وارث اباه ما لا يرث وارث وهو وارث والاب والمال كلاهما مورث
ومنه ان نحن معاشر الانبياء لا نورث وكسر الراء خطأ رواية انتهى وفيه اندفع زعم من قال انه هو الاظهر

والمعنى انه ليس بخطأ دراية لو فرضت رواية لما تقرر في المعنى المستفاد من القاموس ان ما تركناه الضمير
راجع الى ما الموصولة صدقة بالرفع جملة مستانفة كانه لما قيل لا نورث قيل ما تفعلون بتركتكم
فاجيب ما تركناه صدقة ذكره الطيبي وتبعه ابن حجر وروي صدقة بالنصب وهو كذلك في نسخة اي ما
تركناه مبذول صدقة فحذف الخبر وبقي الحال كالعوض ونظيره قوله تعالى ونحن عصبة بالنصب
في قراءة شاذة واما قول الشيعة ان ما نافية وصدقة مفعول تركنا فيهن ذوو زور ويرده وجود
الضمير في تركناه في اكثر الروايات ووجود فهو صدقة في بعضها وصرائح بعض الاحاديث كقوله انا
معشر الانبياء لا نورث لما يلزم منه النقض ان يقال للاحق والله الموفق للتصديق واما ما
في رواية ما تركنا صدقة من غير ضمير فهو كما قال المالكي ان ما في تركناه موصولة مبتدا وتركنا صلته
والعائد محذوف وصدقة خبره وبه يحصل الجمع رواية ودراية متفق عليه وعن ابي موسى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اذا اراد رحمة امة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا
وسلفا بتخفيفيهما وان في تفسيره لانها اي سابقا ومتقدما وشفيعا بين يديها اي قدامها في
ما ذر اصيب عنها واذا اراد الله هلكة امة بفتحتين اي هلاكها عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر
اي اليها اولى امورة خالقه فاقر الله عينيه بالتثنية للمبالغة اي سره بما تراه مما يشفي غلطه
بهلكتها اي بسبب هلاكها حين كذبوه اي من الكفار وعصوا امره اي من الفجار رواه مسلم وعن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ليأتين
على احدكم يوم ولا يراني اي احدكم حينئذ ثم لان يراني اي لرؤيته
اياي احب اليه من اهله وماله معهم اي مع اهله وهو يفيد التاكيد دفعا لما يتوهم من ان يكون
الواو بمعنى او وجيها ان لا احد تارة وفي المال اخرى رواه مسلم وفي الحديث ايماء الى معنى ما ورد
من الحديث المشهور طوبى لمن رآني وامن بي انتهى والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

باب مناقب قريش وذكر القبائل

المناقب جمع المنقبة وهي الشرف والفضيلة وذكر القبائل عطف على المناقب والمراد بذكرهم اعم من
مدحهم وذمهم الفصل الاول عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال الناس تبع بفتحتين جمع تابع كخدم جمع خادم اي الناس كلهم اتباع لقريش في هذا
الشان اي في الدين والطاعة او في الخلافة وتوكيدا لمعنى الاول قوله مسلمهم اي مسلم الناس
تبع لمسلمهم اي مسلم قريش وكافرهم تبع لكافرهم قال شارح واذ قد علمنا ان احدا من قريش لم
يبق بعد على الكفر علمنا ان المراد منه في الاسلام انهم يتبعهم مما كانوا عليه في الجاهلية من الشرف
فهم سادة في الاسلام كما كانوا قادة في الجاهلية انتهى وقيل معناه ان كانوا خيارا سلط الله
عليهم خيارا منهم وان كانوا اشرارا سلط الله عليهم اشرارا منهم كما قيل اعمالكم عمالكم وكما
تكونوا يولى عليكم وفي شرح السنة معناه تفضيل قريش على قبائل العرب وتقديمها في
الامامة والامارة وقال المظهر كانت العرب تقدم قريشا وتعظمها اذ كانت دارهم موسما والبيت
الذي هم سدنته منسكا وكانت لهم السقاية والرفادة يعظمون الحجيج ويسقونهم فحازوا
به الشرف والرياسة عليهم وقال القاضي المراد بهذا الشان الدين والمعنى ان مسلمي قريش
قدوة غيرهم من المسلمين لانهم المتقدمون في التصديق السابقون في الايمان وكافرهم
قدوة غيرهم من الكفار فانهم اول من رد الدعوة وكفر بالرسول واعرض عن الايات قال الاشرف
فلا يكون حينئذ قوله وكافرهم تبع لكافرهم في معرض المدح قلت فلا يكون ولا محذور حينئذ مع انه قد
يقال التبشير مدح شرعي لكنه متضمن مدحا عرفيا وثمرا ان هذا الجنس متبوعون في الجاهلية

كما في التاريخ ان الناس تبع لقريش في الخير والشر ويتوقف ان لما بعث صلى الله عليه وسلم توقفت عنه
العرب تنتظر ما يصنع قومه فلما فتح مكة واسلمت قريش تبعهم العرب ودخلوا في دين الله افواجا
ولهذا استمرت خلافة النبوة في قريش ثم رأيت الطيبي قال ويؤيده قول الغالب الحديث الاتي
بتلوه كانه قيل متبوعون في كل امر والناس يقتفون اثارهم ويقتحمون اذ كل ما صدر عنهم
خير وشر ونحوه قول الشاعر

ونحن الراكبون لما سخطنا ... ونحن الاخذون لما رضينا

اقول وفيه اشعار بان الخلق لا ينفكون عن متابعتهم وان تابلية المتبوعية مجبولة في
جبلتهم فينبغي ان لا يخرج عنهم امر الخلافة لئلا يترتب عليه المخالفة وبه يحصل الجمع بين
اقوال الائمة في معنى الحديث متفق عليه وعن علي قال سمعته اذناي ووعاه قلبي من
رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس تبع لقريش صالحهم تابع لصالحهم وشرارهم تابع لشرارهم
اخرجه احمد في المناقب وعن جابر رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
الناس تبع لقريش وجه تبعيتهم لقريش مبسوط في الفصل الاول في الخير اي في الاسلام والشر
اي الكفر رواه مسلم وكذا احمد وفي الجامع الصغير قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس الا بهم
كما ان الطعام لا يصلح الا بالملح رواه ابن عدي في الكامل عن عائشة مرفوعا وفي رواية ابن
عساكر عن عمرو بن العاص مرفوعا قريش خالصة الله تعالى فمن نصب لها حربا سلب ومن
ارادها بسوء خزي في الدنيا والاخرة وروى ابن عدي عن جابر مرفوعا قريش على مقدمة الناس
يوم القيامة ولولا ان تبطر قريش لاخبرتها بما لمحسنها عند الله من الثواب وروى احمد والترمذي
عن عمرو بن العاص مرفوعا قريش ولاة الناس في الخير والشر الى يوم القيامة وفي رواية لاحمد عن
ابي بكر وسعد مرفوعا قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم وعن
ابن ابي ذئب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرار قريش خير شرار الناس اخرجه الشافعي
في مسنده وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قوة رجل من قريش تعدل قوة رجلين من غيرهم وامانة رجل من قريش تعدل امانة رجلين من غيرهم
رواه احمد وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر بني هاشم والذي بعثني بالحق نبيا
لو اخذت بحلقة الجنة ما بدأت الا بكم اخرجه احمد في المناقب وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يزال هذا الامر اي امر الخلافة في قريش ما بقي منهم اي من الناس اثنان اي يكون واحد
خليفة وواحد تابع له قال النووي بهذه الاحاديث وما اشبهها فيها دليل ظاهر على ان الخلافة
مختصة بقريش لا يجوز عقدها لغيرهم وعلى هذا انعقد الاجماع في زمن الصحابة ومن بعدهم
ومن خالف فيه من اهل البدع فهو محجوج باجماع الصحابة وبين صلى الله عليه وسلم ان هذا الحكم
مستمر الى اخر الدهر ما بقي من الناس اثنان وقد ظهر ما قاله صلى الله عليه وسلم الى الان انتهى
والتحقيق ان هذا خبر بمعنى الامر اي من كان مسلما فليتبعهم ولا يخرج عليهم والا فقد خرج هذا الامر
عن قريش في اكثر البلاد ومن مدة اكثر من مائتي سنة ويحتمل ان يكون على ظاهره وانه مقيد بقوله
في الحديث الاتي ما اقاموا الدين ولم يخرج منهم الا لما انتهكوا حرمته كذا ذكره السيوطي وفيه
على ظاهره والمراد بالناس اي سائر العرب ذكره ابن حجر قلت بل متفق عليه وفي ذخائر العقبى نسبه
الى البخاري ورواه احمد في مسنده وعن معاوية اي ابن ابي سفيان قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر اي امر الامامة في قريش لا يعاديهم احد اي لا يخالفهم الا كبه
الله اي اسقطه وفي رواية الا كبه الله على وجهه والمعنى اذله واهانه ما اقاموا الدين اي قريش
اي احكام دين الاسلام ثم ما مصدرية والوقت مقدر وهو متعلق بقوله كبه الله قال ابن الملك

أي مدة محافظتهم الدين وإقامته وفي المراد الصلاة لرواية ما أقاموا الصلاة لكن في هذا أنه يستقيم
المعنى إذا علق قوله ما أقاموا بكبه لأن هذا الأمر في قريش لا أن منهم من لم يقم الصلاة ولم ينزع
عنه الأمر كذا قال التوربشتي وفيه دلالة على اختصاص الإمامة بقريش وهم بنو النضر بن كنانة
وجميع بطونها في ذلك بمنزلة واحدة ولعل ذلك لعلمه صلى الله عليه وسلم أنه يوجد فيهم من هو جامع
لأمر الملك والدين وصالح لأمور المسلمين وفي شرح الطيبي قال المظهر الخلافة في قريش لا يعادي
ولا يخالفهم أحد في ذلك إلا أذله الله ما داموا في حفظ الدين انتهى كلامه ويفهم من كلام الشيخ
التوربشتي أن قوله ما أقاموا الدين إذا علق بكبه يستقيم المعنى إذا حمل الدين على الصلاة
وأما إذا حمل على الدين بأصوله وفروعه فلا لأن منهم من غير وبدل ولم ينزع عنه الأمر قيل
معنى الحديث لا يخالف قريشا أحد في الأمور المتعلقة في الدين بأن أراد انتقاصه وإبطاله
وقريش يريدون إتيانه وإقامته إلا أذله الله وقهره قال الطيبي واللفظ لا يساعد ما عليه
المظهر وهو أظهر قولا لتظاهر أن المراد بالصلاة الدين وإنما عبر عنه بها لأنها عماد الدين وكونها
أم العبادات وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر قلت ويؤيده وذكرها في منوال الثالث أي الصلاة ونحوها من أمور الدين
والله أعلم رواه البخاري وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه قال خطبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقال أيها الناس قدموا قريشا ولا تقدموها وتعلموا
منها ولا تعلموها أخرجه البيهقي في مسنده وأحمد في المناقب وعن جابر بن سمرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال الإسلام عزيزا أي قويا شديدا ومستقيما
سديدا إلى اثني عشر خليفة قال الطيبي إلى فيه نحو حتى في الرواية الأخرى لأن التقدير لا يزال
الدين قائما حتى يكون عليهم اثنا عشر خليفة في أن ما بعدها داخل فيما قبلها قال الكشاف في قوله
تعالى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق إلى يفيد معنى الغاية مطلقا فأما دخولها
في الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله تعالى ثم أتموا الصيام إلى
الليل لأنه لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن
من أوله إلى آخره لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله كلهم من قريش قال بعض المحققين
قد مضى منهم الخلفاء الأربعة ولا بد من تمام هذا العدد قبل قيام الساعة وقيل إنهم يكونون
في زمن واحد يفترق الناس عليهم وقال التوربشتي السبيل في هذا الحديث وما يتعقبه
في هذا المعنى أن يحمل على المقسطين منهم فإنهم هم المستحقون لاسم الخليفة على الحقيقة
ولا يلزم أن يكونوا على الولاء وإن قدر أنهم على الولاء فإن المراد منه المسمون بها على المجاز
وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض توجه هنا سؤالان أحدهما أنه قد جاء الخلافة بعدي
ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا وهو مخالف لهذا الحديث وأجيب بأن المراد
بثلاثين سنة خلافة النبوة وقد جاء مفسرا في بعض الروايات خلافة النبوة بعدي ثلاثون
سنة ثم يكون ملكا ولم يشترط هذا في الاثني عشر وفي المراد بالاثني عشر أن يكون مستحق الخلافة
من العادلين وقد مضى منهم من علم ولا بد من تمام هذا العدد قبل قيام الساعة وقد
حمل الشيعة الاثني عشر على أنهم من أهل بيت النبوة متوالية أعم من أن تكون لهم خلافة حقيقة
أو استحقاقا فأولهم علي فالحسن فالحسين فزين العابدين فمحمد الباقر فجعفر الصادق فموسى
الكاظم فعلي الرضا فمحمد التقي فعلي النقي فحسن العسكري فمحمد المهدي رضوان الله عليهم أجمعين
على ما ذكرهم زبدة الأولياء خواجه محمد پارسا في كتاب فصل الخطاب مفصلة وتبعهم مولانا
نور الدين عبد الرحمن الجامي في آخر شواهد النبوة وذكر فضائلهم ومناقبهم وكراماتهم ونعتهم تمم
كلمة وفيه رد على الروافض حيث يظنون بأهل السنة أنهم يبغضون أهل البيت باعتقادهم

الفاسد

الفاسد ومنهم الكاسد وإنما أهل الحق يحبون جميع الصحابة وكل أهل البيت لا كالخوارج الأعداء
لأهل بيت النبوة ولا كالروافض المعاندين لجمهور الصحابة وأكابر الأمة وفي رواية لا يزال الناس
أي أمر دينهم ماضيا أي جاريا مستمرا على الصواب والحق ما وليهم أي مدة ما تولى أمرهم اثنا عشر رجلا
كلهم من قريش وفي رواية لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة أو بمعنى الواو ولمطلق الجمع
أي وحتى يكون عليهم أي على الناس متوليا اثنا عشر خليفة كلهم من قريش متفق عليه وعن ابن
عمر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار بكسر الغين المعجمة
وتخفيف الفاء وبالراء قبيلة في الناس من بني كنانة رهط أبي ذر الغفاري وهو مبتدأ
خبره غفر الله لها قال ابن الملك أي أنزل في حقهم وأنزل إنما يغفر ذنبهم هذا إما خبر أو دعاء حيث
يصح حمل الجملة الإنشائية على الاسم المرفوع بالابتداء وأسلم قبيلة أخرى سالمها الله
أي صالحها الله بأن وفقهم من أمر الإسلام من غير محاربة وعصية بالتصغير بطن من بني سليم في القاموس
والمراد به قبيلة أو جماعة عصت الله ورسوله وفي الحديث إيماء إلى الإسم تنزل من السماء
قال الطيبي الجملتان الأوليان يحتمل أن يكونا خبريتين وأن يحملا على الدعاء وأما قوله وعصية
عصت الله فهو إخبار ولهذا لا يجوز حمله على الدعاء لكن فيه إظهار شكاية منهم يستلزم الدعاء عليهم
بالخذلان بالعصيان وفي شرح السنة قيل إنما دعا لغفار وأسلم لأن دخولهما في الإسلام
كان من غير حرب وكانت غفار متهمة بسرقة الحاج فأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمحو عنهم
تلك السبة ويغفر لهم وأما عصية فهم الذين قتلوا القراء ببئر معونة فكان النبي صلى الله عليه و
سلم يقنت عليهم وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي هو من حسن الكلام والمجانسة في الألفاظ
مأخوذ من سالمته إذا لم تر منه مكروها فكأنه دعا لهم بأن يصنع الله لهم ما لا يبغي الذي كانوا به
متفق عليه ورواه أحمد والترمذي وفي رواية لأحمد والطبراني والحاكم عن سلمة بن الأكوع وعن أبي هريرة
مرفوعا أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها أما والله ما أنا قلته ولكن الله قاله وفي رواية الطبراني
عن عبد الرحمن بن سندر بلفظ أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وتجيب أجابوا الله وفي القاموس
تجيب بن كندة بطن وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قريش أي مسلموهم من أهل مكة وغيرهم والأنصار أي قبيلتهم من أهل المدينة وفي
المغرب أن الأنصار إنما غلبت عليهم الصفة وجهينة بالتصغير قبيلة ومزينة
كذلك وأسلم وغفار وأشجع أبو قبيلة والمراد هنا أولاده موالي بفتح الميم وكسر اللام
وتشديد الياء التحتية جمع مولى مضافا إلى المتكلم قال شارح يروى على الإضافة أي أحبائي
وأنصاري ويروى موالي بفتح الميم وكسر اللام وتشديد الياء التحتية أي أحباء وأنصار بالتنوين
أي بعضهم لبعض أحباء وأنصار ولا مولى لهم إلا الله ورسوله وقال النووي أي هم ناصروه
والمختصون به وهم أيضا وليهم والمتكفل بهم ومصالحهم لقوله ليس لهم مولى دون
الله ورسوله أي غيرهما قال الطيبي جملة مقررة للجملة الأولى على الطرد والعكس وفي تمهيد ذكر
الله لذكر رسوله وتخصيص ذكر الرسول إيذانا بمكانته ومنزلته عند الله وأشعر بأن توليه
إياهم بلغ مبلغا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه متفق عليه وعن أبي بكرة بالتاء وهو الثقفي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وغفار ومزينة وجهينة خير من بني تميم في القاموس
تميم كأمير أبو قبيلة ويعرف ومن بني عامر عطف على من بني تميم أي ومن الحليفين يعني
المتحالفين على التناصر بني أسد بفتح فسكون وغطفان بفتحتين وهو بدل من الحليفين أو
عطف بيان قال النووي وتفضيل تلك القبائل لسبقهم في الإسلام وحسن آثارهم فيه أكثر
متفق عليه إلا أن البخاري لم يذكر الحليفين ذكره ميرك وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ما زلت

بكسر الزاي اي ما برحت احب بني تميم منذ ثلاث اي خصال او كلمات وقوله سمعت صفة ثلاث والعائد
محذوف اي سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهم جملة حالية اي قائلا اي باعتبار
حقهم والمعنى اني دائما احبهم من الوقت الذي كان لي في حقهم ثلاث خصال قال الطيبي قوله
ثلاث صفة موصوف محذوف وكذا سمعت انتهى والاظهر ما سمعت ثم قوله سمعته يقول بيان او بدل
لقوله سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالجملة هو تفصيل لمجمل الثلاث احدها قوله
هم اشد امتي على الدجال اي حين ظهوره وبقاء نسلهم ووجودهم الى زمانه بكرامة قال اي ابو هريرة
وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه صدقات قومنا شرفهم باضافتهم
الى نفسه صلى الله عليه وسلم وهذه ثانيتها قال ابو هريرة وكانت سبية بفتح فكسر فتشديد تحتية
اي اسيرة منهم عند عائشة قال ابن الملك فيه دليل على جواز استرقاق العرب انتهى وفي استدلاله
نظر لا يخفى فقال اي النبي عليه السلام اعتقيها فانها من ولد اسماعيل بضم الواو وسكون اللام
جمع ولد ذكره الطيبي وفي نسخة بفتحهما ففي الصحاح الولد يكون واحدا وجمعا وكذلك الولد
بالضم وقد يكون الولد جمع الولد كالاسد والاسد وهذه ثالثتها فانه دل على انه فضلهم لكونهم
من بني اسماعيل متفق عليه الفصل الثاني عن سعد عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من يرد من الارادة اي من يقصد هوان قريش اي ذلهم واهانتهم اهانه الله
اي اذله واخزاه رواه الترمذي وكذا الامام احمد في مسنده والحاكم في مستدركه وعن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اذقت اول قريش اي يوم بدر
والاحزاب نكالا بفتح النون اي بلاء ووبالا وفسر الشارح شرحها بالقحط والغلاء وقال الطيبي النكال
العقوبة وقيل العقوبة فاذق آخرهم نوالا اي انعاما وعطاء ونوالا رواه الترمذي وعن ابي عامر
الاشعري لم يذكره المؤلف في اسمائه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الحي
القبيلة الاسد بفتح فسكون قال التوربشتي ابو حي باليمن ويقال لهم الازد وهو بالسين افصح
وهما ازدان ازد شنوءة وازد عمان انتهى وفي نسخة الازد فالمراد هنا ازد شنوءة والاشعرون وفي نسخة
والاشعريون بالياء التحتية قال الطيبي هو بسقوط الياء في جامع الترمذي وجامع الاصول
وباثباتها في المصابيح قال الجوهري تقول العرب جاءتك الاشعرون بحذف الياء لا يفرون في القتال
اي في حال لقائهم مع الكفار وهو حال من القبيلتين على حدة او خصهما لاختصاصهما ولا يغلون
بفتح فضم فتشديد اي ولا يخونون في المغنم هم مني اي من اتباعي في سنتي وطريقتي او من اوليائي
وانا منهم اي من اوليائهم وفيه اشعار بانهم متقون لقوله تعالى ان اولياؤه الا المتقون رواه الترمذي
وقال هذا حديث غريب ورواه ابن عدي عن البراء مرسلا الاشعريون في الناس كصرة فيها
مسك وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الازد اي ازد شنوءة وفي الحج
ازد الغوث وهو بالسين افصح ابو حي من اليمن ومن اولاده الانصار كلهم ازد الله اي جنده
وانصار دينه في الارض فاكرمهم الله بذلك ثم يضاف الى الله يريد الناس ان يضعوهم
اي يحقروهم ويذلوهم ويابى الله الا ان يرفعهم اي ينصرهم ويغلبهم على اعدائهم قال
القاضي يريد بالازد ازد شنوءة وهو حي من اليمن اولاد ازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن
كهلان بن سبا واضافهم الى الله تعالى من حيث انهم حزبه واهل نصرة رسوله قال الطيبي قوله
ازد الله يحتمل وجوها احدها انه اشتهر بهذا الاسم لانهم ثابتون في الحرب لا يفرون على ما مر
في الحديث السابق وثانيها كلام القاضي وثالثها ان يكون الاضافة للاختصاص والتشريف
كبيت الله وناقة الله على ما يدل عليه قوله يريد الناس ان يضعوهم الى آخره ولذا اردفه
التي عنه والكلام على التشبيه اي الازد اسد الله في الحرب تم مشاكلة وتلبيسا واياما لاتي

وبعده صاحب الازهار من شراح المصابيح لكن انما يتم هذا لو كان الاسد بالفتح والسكون لغة في الاسد بفتحتين
كما لا يخفى وهو ليس كذلك على ما يفهم من القاموس قال ليأتين على الناس زمان يتمنى الرجل اي فيه ذلك الزمان
يا ليت ابي كان ازديا وياليت امي كانت ازدية رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب قال ميرك وقد روي
مرفوعا في النسخ وهو عندنا اصح انتهى ولا يخفى انه لو كان موقوفا فهو في الحكم يكون مرفوعا لان مثله
لا يقال من قبل الراوي والله اعلم وعن عمران بن حصين اسلم الخزاعي هو وابوه وسكن البصرة الى ان مات
بها سنة اثنين وخمسين قال مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكره ثلاثة احياء جمع حي بمعنى
قبيلة ثقيف كامير ابو قبيلة من هوازن واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن كذا في القاموس وبني حنيفة
كسفينة لقب اثال بن لجيم ابو حي منهم خولة بنت جعفر الحنفية ام محمد بن علي بن ابي طالب وبني امية
بضم ففتح فتشديد تحتية قبيلة من قريش قال العلماء انما كره ثقيفا للحجاج وبني حنيفة لمسيلمة
وبني امية لعبيد الله بن زياد قال البخاري قال ابن سيرين اتي عبيد الله بن زياد براس الحسين
فجعل في طست وجعل ينكته بقضيب وقال الترمذي في الجامع قال عمارة بن عمير لما جيء براس
عبيد الله بن زياد واصحابه نضدت في المسجد في الرحبة فانتهيت اليهم وهم يقولون قد جاءت قد جاءت
حية قد دخلت في منخر عبيد الله بن زياد فمكثت ساعة ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت ثم قالوا قد
جاءت ففعلت ذلك مرتين او ثلاثا قال الترمذي هذا حديث صحيح كذا في الازهار رواه الترمذي
وقال هذا حديث غريب وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ثقيف كذاب اي مبالغ في الكذب ومبير بضم ميم وكسر موحدة اي مفسد ومهلك من البوار
وهو الهلاك والفساد وتنوينهما للتعظيم قال ابن عبد الله بن عصمة بفتح فسكون كوفي حنفي
روى عنه ابو سعيد وابن حميد واسرائيل وشريك يقال الكذاب هو المختار بن ابي عبيد بالتصغير
وهو ابن مسعود الثقفي قام بعد قتل الحسين ودعا الناس الى طلب ثاره وكان غرضه في ذلك ان
يصرف الى نفسه وجوه الناس ويتوسل به الى الامارة وكان طالبا للدنيا مدلسا في تحصيلها
كذا ذكره القاضي وقيل كان يبغض عليا وقيل كان يدعي النبوة بكونه قد سمي كذابا ومن جملة
كذبه دعواه ان جبريل عليه السلام ياتيه بالوحي ذكره ابن الملك وقال ابن عبد البر كان ابوه
من جلة الصحابة وولد المختار عام الهجرة وليست له صحبة ولا رواية واخباره غير
مرضية وذلك من طلب الامارة الى ان قتله مصعب بن الزبير سنة سبع وستين وكان قبل
ذلك معدودا في اهل الفضل والخير يظهر بذلك كله ولا يكتم الفسق فظهر منه ما كان يكتمه الى
ان فارق ابن الزبير وطلب الامارة وكان المختار يزعم بطلب دم الحسين ويستر طلب الدنيا والامارة
فياتي منه الكذب والجنون وانما كانت امارته ستة عشر شهرا ويقال كان في اول امره خارجيا
ثم صار زبيريا ثم صار رافضيا وكان ينقم بغض علي كرم الله وجهه ويظهر منه لضعف عقله
احيانا كذا نقله ميرك عن التصحيح وكذا ذكره المؤلف في اسمائه والمبير هو الحجاج بن يوسف
وهو بفتح الحاء المهملة لغة الحاج بمعنى الآتي بالحجة قال المؤلف هو عامل عبد الملك بن مروان على
العراق وخراسان وبعده لابنه الوليد مات بواسط في شوال سنة خمس وتسعين وعمره
اربع وخمسون سنة وقال هشام بن حسان بفتح فتشديد غير منصرف وقد ينصرف احصوا
بفتح الهمزة وفتح الصاد اي ضبطوا وعدوا ما قتل الحجاج صبرا بفتح فسكون اي مقتولا
يعني محبوسا ما سوى الذي في معركة ولا خلسة فبلغ مائة الف وعشرين الفا رواه الترمذي
وروى مسلم في الصحيح اي في صحيحه لانه كتاب آخر فهما نيفه حين قتل الحجاج عبد الله
ابن الزبير قالت اسماء اي امه بنت الصديق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ان في ثقيف
كذابا ومبيرا فاما الكذاب فرايناه اي ابصرناه وعلمناه وهو المختار على ما تبين واما المبير فلا

اخالك بكسر الهمزة وتفتح قال شارح اخال بالفتح هو القياس وبالكسر هو الافصح في الازهار والكسر اشهر
اي لا اظنك الا اياه اي الا الظاهر فلا اخاله الا اياك تقدم المفعول الثاني للاهتمام وفي تمام
الحديث اي بسطه في الفصل الثالث وعن جابر قال قالوا اي بعض الصحابة يا رسول الله احرقتنا
نبال ثقيف بكسر النون جمع نبل اي سهامهم والعلة في غزوة الطائف ومحاصرتهم فادع الله عليهم
قال اللهم اهد ثقيفا اي الى الاسلام او غالبهم الى طاعة الاحكام رواه الترمذي وعن عبد الرزاق
قال المؤلف في فصل الالقاب هو ابن همام يكنى ابا بكر احد الاعلام روى عن ابن جريج ومعمر وغيرهما وعنه
احمد واسحاق وصنف الكتب مات سنة احدى عشرة ومائتين وله خمس وثمانون سنة عن ابيه
اي همام بن الحارث النخعي سمع ابن مسعود وثابت بن بشير وغيرهما من الصحابة وروى عنه ابراهيم النخعي
عن ميناء بميم مكسورة فتحتانية ساكنة فالف ممدودة هذا هو المشهور وقال صاحب
المطالع يمد ويقصر كذا ذكره الامام النووي في شرح مسلم وقال المؤلف روى عن مولاه عبد الرحمن
ابن عوف وعثمان وابي هريرة وعنه عبد الرزاق متفق على ضعفه عن ابي هريرة قال كنا عند النبي صلى
الله عليه وسلم فجاءه رجل احسبه بكسر السين وفتحها اي اظنه من قيس في القاموس قيس عيلان
بالفتح ابو قبيلة واسمه الياس بن مضر فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم العن حميرا
بفتح فكسر فسكون اي ادع عليهم بالبعد عن الرحمة وهو ابو قبيلة من اليمن وفي القاموس حمير له
موضع غربي صنعاء اليمن وابن سبا بن يشجب ابو قبيلة فاعرض عنه اي عن الرجل بان دار وجهه
ثم جاءه من الشق الاخر فاعرض عنه ثم جاءه من الشق الاخر فاعرض عنه والمعنى انه عرض من الجانبين
فقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله حميرا افواههم سلام اي ذات سلام او محل سلام وايديهم
طعام اي ذات طعام قال شارح مضاف مقدر لصحة الحمل قال ابن الملك ويجوز ان يجعل افواههم
نفس السلام وايديهم نفس الطعام مبالغة انتهى وانتصر عليه الطيبي والمعنى انهم يفشون السلام
ويطعمون الطعام فيجمعوا بين الاحسان وحلاوة اللسان وهم اهل امن اي من المفزع والايمان ونعتهم
كاملة ايمانهم في مرتبة الايقان رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد
الرزاق اي من طريقه الى مينا ويروى بصيغة المجهول عن ميناء هذا اي المشار اليه احاديث مناكير
قال ميرك قال ابو حاتم مينا يكذب وقال ابن معين ليس بثقة انتهى وقال شارح للمصابيح قول منكر
هذا الحديث من بعض اهل المعرفة بالحديث لان المؤلف رحمه الله يعني محي السنة لو كان يعلم انه منكر لم
يتعرض له لانه قد التزم الاعراض عن ذكر المنكر في عنوان كتابه والله اعلم بالصواب وعنه اي
عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ونقله في التقريب السيد جمال الدين قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم
ممن انت اي من اي قبيلة قلت من دوس بفتح فسكون قبيلة من اليمن من الازد كذا في الازهار وفي
القاموس دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران ابو قبيلة قال اي تعجبا ما كنت ارى
بضم الهمزة على المجهول اي ما كنت اظن قبل ذلك ان في دوس احدا فيه خير قال في الازهار رغبة منقبة
لابي هريرة ومذمة لدوس لولا ابو هريرة رواه الترمذي قال قال لي اي خاصة في الخطاب او فيما بيني
وبينه بلا حجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبغضني فتفارق دينك بالنصب على جواب
النهي كما صرح به زين العرب قلت يا رسول الله كيف ابغضك اي كيف يتصور مني ان ابغضك وانت
حبيب الله محبوب امتك وبك هدانا الله اي الى الاسلام وسائر مكارم الاحكام قال تبغض العرب
فتبغضني اي حين تبغض العرب عموما تبغضني في ضمنهم خصوصا او اذا ابغضت جنس العرب
فربما يجر ذلك الى بغضك اياي نعوذ بالله والحاصل ان بغض العرب قد يصير سببا لبغض سيد الخلق
والحذر الحذر كيلا يقع في الخطر قال الطيبي العرب ما يقابل العجم وفي النهاية العرب اسم لهذا الجيل المعروف
من الناس ولا واحد له من لفظه وسواء اقام بالبادية او المدن والنسبة اليها اعرابي وعربي وفي القاموس

العرب بالضم والتحريك خلاف العجم مؤنث وهم سكان الامصار والاعراب منهم سكان البادية لا واحد
له رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن وعن عثمان بن عفان بغير صرف وقد يصرف من غش العرب
اي خانهم وقال شارح اي ابغضهم لم يدخل في شفاعتي اي الصغرى لعموم الكبرى ولم تنله مودتي
اي لم تصبه محبتي اياه ولم تصل له محبتنا اياه والمقصود نفي الكمال رواه الترمذي وقال هذا
حديث غريب لا نعرفه الا من حديث حصين بن عمر وليس هو اي حصين المذكور عند اهل الحديث
بذاك القوي قلت فليكن الحديث ضعيفا من طريقه وهو معتبر في الفضائل وكيف وهو مؤيد بادلة
كثيرة تكاد تصل الى التواتر المعنوي كقوله صلى الله عليه وسلم حب العرب ايمان وبغضهم نفاق
رواه الحاكم عن انس وفي رواية للطبراني في الاوسط عنه حب قريش ايمان وبغضهم كفر وحب العرب
ايمان وبغضهم كفر فمن احب العرب فقد احبني ومن ابغض العرب فقد ابغضني وفي رواية للطبراني
في الكبير عن سهل بن سعد احبوا قريشا فان من احبهم احبه الله وروى الحاكم في مستدركه عن ابي
هريرة مرفوعا احبوا الفقراء وجالسوهم واحب العرب من قلبك وليردك عن الناس ما تعلم من نفسك
هذا والحديث المذكور في المتن رواه احمد في مسنده ايضا والحاكم في ترتيب اسانيده فيكون حسنا
فالحديث حسن لغيره وعن ام الحرير بفتح الحاء المهملة مصغرا وبقال بفتح اوله لا يعرف لها الا
الرابعة مولاة طلحة بن مالك لم يذكرها المؤلف قالت سمعت مولاي يعني طلحة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اقتراب الساعة اي من علامات قرب القيامة هلاك العرب اي مسلمهم
او جنسهم وفيه ايماء الى ان غيرهم تابع لهم ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس ولا يكون في الارض
من يقول الله الله رواه الترمذي وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الملك بالضم اي الخلافة في قريش اي غالب او ينبغي ان يكون فيهم وهو الاظهر المطابق
لبقية القرائن الاتية وهي قوله والقضاء في الانصار اي الحكم الجزئي قال التوربشتي لعلهم لانهم
اووا ونصروه فيهم من عمود الاسلام وفي بلدهم تم امره واستقام وبنيت المساجد وجمعت الجماعات
ذكره ابن الملك وقال في الازهار المراد بالقضاء النقابة لان النقباء كانوا منهم وقيل
القضاء المعروف لبعثه الحربي وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال اعلمكم بالحلال والحرام
معاذ وفي القضاء المعروف لبعثه صلى الله عليه وسلم معاذا قاضيا الى اليمن انتهى والاظهر
ان الاظهر القول والاذان في الحبشة اي لان بلالا مؤذنه صلى الله عليه وسلم كان حبشيا
والامانة في الازد اي ازد شنوءة وهم حي من اليمن ولا ينافي قول بعض الرواة يعني اليمن لكن
الظاهر المتبادر من كلامه ارادة عموم اهل اليمن فانهم ارق افئدة واهل امن وايمان والله اعلم
وفي رواية موقوفا اي جاء هذا الحديث موقوفا ولو قال موقوف بالرفع لكان اظهر والمعنى انه
وقفه بعضهم على ابي هريرة ولم يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم لكن مثله موقوفا يكون حكمه
مرفوعا رواه الترمذي وقال هذا اي سنده موقوفا اصح اي من اسناده مرفوعا ورواه الامام
احمد في مسنده مرفوعا وروى الطبراني عن ابي معاوية الازدي الامانة في الازد والحياء في قريش انتهى

الفصل الثالث عن عبد الله بن مطيع عن ابيه قال المؤلف قرشي عدوي من اهل المدينة
ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب به ابوه اليه وكان اسمه العاص فسماه
النبي صلى الله عليه وسلم مطيعا وكان عبد الله من رجال قريش وهو الذي امر اهل المدينة عليهم
حين خلعوا يزيد بن معاوية وفي سمع اباه وروى عنه الشعبي وغيره وقتل مع عبد الله بن الزبير بمكة
سنة ثلاث وسبعين وكان ابن الزبير استعمله على الكوفة فاخرجه منها المختار بن ابي عبيد قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم فتح مكة لا يقتل بصيغة النفي المجهول
قرشي اي منسوب الى قريش بحذف الزائد وفي القاموس قرشي صبرا اي لا في المعركة كما في الازهار

بعد هذا اليوم أي يوم الفتح إلى يوم القيمة قال الحميدي وذلك ولم يفهم بعضهم هذا الحديث فقال معنى
لا يقتل قرشي بعد هذا اليوم صبرا وهو ثابت على الكفر انتهى والمعنى انه لا يوجد قرشي مرتدا فيقتل
وتوبته ما وردت من أن الشيطان قد أيس من جزيرة العرب وقال الطيبي ويجوز أن يكون النفي بمعنى
النهي وهو أبلغ من صريح النهي كما في رحمك الله بمعنى ليرحمك الله ونحوه قوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية
في وجه قلت هذا وجه عن وجيه كما لا يخفى على نبيه ثم قال وهذا الوجه أقرب إلى مدح قريش
وتعظيمهم ويبقى الكلام على اطلاقه لانه لا يجب القتل على قرشي قصاصا أو حدا وهو لا يكون
الا من أن يكون حكمه كحكم غيره فلا يختص القرشي من بين فضل لامر ان يكون أقرب إلى مدحهم وتعظيمهم
والله أعلم رواه مسلم وعن أبي نوفل معاوية بن مسلم قال المؤلف سمع ابن عباس وابن عمر وروى
عنه شعبة وابن جريج قال رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة يريد على عقبة مكة
والعقبة في طريق أهل المدينة حين ينزلون مكة وكان عبد الله بن الزبير مصلوبا هناك ولذا قال
لذكر انه في الحجون وفي ثبت العقبة بكسر قريش ثبت وكذا ثبت بن حنبل القضى به في مقبرة مكة لعله له محل
معين على وجه الصحة في تربة خديجة رضي الله تعالى عنها أيضا وانما بني عليها المقام والله أعلم
بعض الاولياء والله أعلم قال أي أبو نوفل فجعلت قريش تمر عليه أي على ابن الزبير والناس أي ولكن
الناس يمرون عليه أيضا حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال السلام عليك يا أبا
خبيب بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة الأولى بعدها تحتية ساكنة كنية ابن الزبير كني بابنه خبيب
أكبر أولاده السلام عليك يا أبا خبيب السلام عليك يا أبا خبيب فيه استحباب تثليث
السلام على الميت ولو لم يدفن لقد كنت أنهاك عن هذا أي المنازعة بهذا أي صلبه والمعنى كنت
أنهاك عما يؤدي إلى ما أرى فيه قال الطيبي يعني هذا هو وادي قوله نعالى إنما يأكلون في بطونهم
نارا يعني من جهة مجاز الاول نحو قوله أعصر خمرا أما بالتخفيف للتنبيه والله لقد كنت أنهاك الخ
من المشاجرة وضمينك ذو تحذف ونزله ما رأيتك علمت أي علمتك صواما أي كثير القيام في الليل
قواما أي كثير القيام في الليل وصولا بفتح الواو أي بالغا في الغاية الصلة للرحم أي للقرابة وفي شرح السنة
قال القاضي عياض هذا أصح من قول بعض الاخباريين ووصفه بالامساك وقد تعقب صاحب
كتاب الاجوار بينهم وهو المعروف من أحوال الاثني وقد زاد ابن عمر بهذا القول براءة ابن الزبير مما
نسب إليه الحجاج من قوله عدو الله وظالم ونحوه واعلام الناس بمحاسنه وان ابن الزبير كان مظلوما
ومغفورا وعاش سعيدا ومات شهيدا أما والله لأمة أي جماعة أنت شرها أي شرهم لا منة بفتح
السين أي بضم أي لفتك دفنهم وتسوء اعتقادهم وقوله لامة منهم وأنت شرها صفتها أي ولا مة
أنت أكرمة وصل إليها أنت شرها أي أنا شر منه سوء حكم فيهم ونقيض ما يرى وزعم في ادعائه على طريق
الانكار وفي رواية لامة خير ومعنى شيء لا يكفي قد تهزأ به ونظيره ما قال بعضهم حين أخرج
يزيد البسطامي من بلده بلد أبو يزيد شرها أي نعم البلد وفي شرح مسلم للنووي هكذا
هو في جميع نسخ بلادنا وكذا نقله القاضي عن جمهور رواة صحيح مسلم ونقل القاضي عن رواية
السمرقندي لأنت لا سوء لها أنت وهو خطأ وتصحيف أي شهور وتخريف لكن حيث صحت الرواية وطابقت الدراية
فلا معنى للتخطئة ثم نفذ بفتح النون والفاء والذال المعجمة أي ذهب ومضى عبد الله بن عمر
فبلغ الحجاج أي الظالم موقف عبد الله وقوله أي خبره وثوبه عليه وثناؤه عليه خفية لديه فأرسل أي الحجاج
إليه أي إلى ابن الزبير فأنزل بصيغة المجهول عن جذعه أي المصلوب عليه فألقي بصيغة المجهول
أي فطرح في قبور اليهود أي في موضع قبورهم من مقابر مكة أو رمى وأراد به موضع آخر هنالك أي هناك
ما سبق من انه مدفون في أعلى المعلى لا خاصة بعد ذلك من ذلك المحل الا دفنه وذكر في الموضع الاول
ثم أرسل أي الحجاج إلى أمه أسماء بنت أبي بكر أي يطلبها فأبت أن تأتيه أي امتنعت من الاتيان إليه

والوقوف لديه وأن الاسلام فأعاد عليها الرسول أي فأرسل إليها الرسول ثانيا لتأتين بتشديد النون في صيغة
الخطاب لقوله أو لأبعثن إليك أي لأرسلن إليك من يسحبك بفتح الحاء أي يجرك بقرونك
أي بضفائر شعرك قال أي الراوي أبو نوفل فأبت وقالت والله لا آتيك بمد الهمزة أي لا أجيئك حتى تبعث
إلي من يسحبني بقروني قال أي أبو نوفل فقال أي الحجاج أروني سبتي بكسر السين المهملة وسكون
الموحدة وفتح الفوقية وتشديد التحتية أي نعلي وكذا ضبطه النووي وقال في النعل التي لا شعر
عليها وفي نسخة صحيحة سبتي بكسر فسكون وكسر فوقية وتشديد تحتية بفتح فوقية وتحتية
مشددة في النهاية السبت بالكسر الجلود المدبوغة بالقرظ وهو بالتحريك وقال السلم يتخذ منها النعال
أي السبتية سميت بذلك لأن شعرها قد سبت عنها أي حلق وأزيل وقيل لانها انسبتت بالدباغ
أي لانت ويقال للنعل المتخذة منها سبت اتساعا ومنه يا صاحب السبتين وتردد في المسبتين
على المنسب وقال أبو داود هو منسوب إلى موضع يقال له سوق السبت وفي المشارق قوله أروني
سبتي وفي يا صاحب السبتين بياءين وذكره الهروي وأحدة مخففة تثنية سبت انتهى والمعنى
ائتوني بهما أو قدموهما إلي فأخذ نعليه أي لتلبسهما ثم انطلق يتوذف بالواو والذال المعجمة المشددة
قال أبو عبيد معناه يسرع وقيل يتبختر حتى دخل عليها أي على أسماء فقال كيف رأيتني بكسر التاء وفي نسخة
بالاشباع كسرتها أي كيف وجدتني صنعت بعدو الله أراد به ابنها في زعمه الفاسد واعتقاده
الكاسد قالت رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك ولا منافاة بين فهمها ثم
قالت بلغني أنك تقول له أي في حياته وبعد مماته يا ابن ذات النطاقين بكسر النون وهو ما يشد
به المرأة وسطها عند معاناة الاشغال لئلا تعثر بثوبها وسميت بذلك لانها تطعمت نطاقا فنصفين
عند هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف ذات النطاقين وقيل شدت بأحدهما قربة وبالاخر
سفرته فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات النطاقين وكان الحجاج من خبثه جاهلا برسول
الله صلى الله عليه وسلم في حقها ذات النطاقين في الذم وانها خادمة وخراجة للاجانب تشد نطاقا
لخدمة مكانها سميت أنها ذات نطاقين ولكن نطاق للبشر فذلك ثم رأيته الا أنك تقول لها أنا والله
ذات النطاقين أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أبي
بكر من الدواب متعلق بأرفع أي أربط به سفرة طعامهما وأعلقها من قربة حشية من الدواب كالفأر
والنمل ونحوهما وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه أما الحذر منها للتفارقة في بينها
الممدوحة وأما لربطها بها بقالها لها حشية أن تصير بطونتها كما هو الآن عادة العرب من الخرام المصنوع
من الجلد للفقراء والخدم والمصنوع من الذهب والفضة للاغنياء قال الطيبي وهو نظير قوله تعالى
ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين كأنه قيل نعم هو أذن لكن نعم الاذن
أذن خير لا أذن شر فسلم لهم قولهم فيه الا أنه فسره بما هو مدح وأن كانوا قصدوا به المذمة أما
بالتخفيف للتنبيه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن بالفتح ويجوز الكسر على أنه
من جملة المحدث في ثقيف كذابا ومبيرا أي مهلكا فأما الكذاب فرأيناه يعني المختار وأما المبير فلا
أخالك بكسر الهمزة ويفتح أي فلا أظنك الا إياه أي ذلك المبير قال الطيبي الظاهر أن يقال لا أخاله الا
اياك فقدم ثاني مفعوليه اهتماما لأن المحكوم عليه بهذا الحكم هو المبير وهو نظير قوله وجعلوا
لله شركاء الجن فقدم شركاء وهو المفعول الثاني على الاول وهو الجن وقدم أيضا لله عليهما اهتماما وتوبيخا
للانكار قال النووي في سلام ابن عمر عليه وهو مصلوب استحباب السلام على الميت وتكريره وفي
الثناء على الموتى بجميل صفاتهم المعروفة وفيه منقبة عظيمة لابن عمر لقوله الحق في الملأ وعدم اكتراثه بالحجاج
لانه يعلم أن مقامه هذا يبلغه فلم يمنعه ذلك أن يقول الحق ويشهد لابن الزبير بما يعلمه من الخير
وبطلان ما أشاع عنه الحجاج من قوله عدو الله وظالم ونحوه فأراد ابن عمر رضي الله تعالى عنهما براءة ابن الزبير

من الذين ينسب إليه الحجاج وأعلام الناس بمحاسنه ومذهبنا أن ابن الزبير كان مظلوما انتهى ولا أظن
أن فيه خلافا فإنه مذهب من المذاهب إلا عند الخوارج قال أي أبو نوفل فقام عنها أي الحجاج فلم يراجعها
أي لم يرد عليها الكلام ثم إنها ماتت بعد قتل ابنها بعشرة أيام ولها مائة سنة ولم يقع لها سن رواه
مسلم وعن نافع أن رجلين أتيا ابن عمر في فتنة ابن الزبير أي قبل قتله رضي الله تعالى عنهما فقالا إن الناس
صنعوا ما ترى أي من الاختلاف وأنت ابن عمر أي وأنت كما ترى خليفة وصاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعني ومن رضي به ابتداء فلا شك أنك من الوجهين أولى بالخلافة من عبد الملك الذي من جملة
أمرائه الحجاج فما يمنعك أن تخرج أي عليه لظهور كمال ظلمه فقال يمنعني أن الله حرم علي دم أخي المسلم فقالا
أي الرجلان ألم يقل الله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة أي لا توجد ونحوه ويكون الدين لله
فقال ابن عمر قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة أي شرك وكان الدين لله أي وصار دين الإسلام خالصا لله
وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة أي تقع فتنة بين المسلمين ويكون الدين لغير الله أي
لتزلزل دينه وعدم ثبات أمره والحاصل أن الذي يدعي فقال من خالف الإمام الذي يعتقد هو طاعته
وكان ابن عمر يرى ترك القتال فيما يتعلق بالملك في خفيه كما يدل عليه قوله لقد كنت أنهاكم عن هذا
رواه البخاري وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال جاء الطفيل بالتصغير ابن عمرو الدوسي
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال له ذو النور لأنه لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعثه إلى
قومه فقال اجعل لي آية فقال اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رسول الله أخاف
أن يقولوا إنه مثلة فتحول إلى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فدعا قومه إلى الإسلام
فأسلم أبوه ولم تسلم أمه وأجابه أبو هريرة وحده وهذا يدل على تقدم إسلامه وقد جزم ابن أبي حاتم
أنه قدم يعني مع أبي هريرة وكأنه قد ترك الثانية كذا ذكره ابن حجر وفي المؤلف أسلم وصدق النبي صلى
الله عليه وسلم بمكة ثم رجع إلى بلاد قومه فلم يزل بها حتى هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر
بمن تبعه من قومه فلم يزل مقيما عنده إلى أن قبض النبي صلى الله عليه وسلم وقتل يوم اليمامة شهيدا وقيل
قتل عام اليرموك في خلافة عمر روى عنه جابر وأبو هريرة وعداده في أهل الحجاز فقال أي الطفيل
إن دوسا قد هلكت أي استحقت الهلاك عصت وأبت أي امتنعت عن الطاعة
فادع الله عليهم أي بنوع العذاب فظن الناس أنه يدعو عليهم فقال أي لكونه رحمة للعالمين
وهاديا للناس اللهم اهد دوسا وائت بهم أي إلى المدينة مهاجرين أو قربهم إلى طريق المسلمين وأبعد
بقلوبهم عن الذنوب الذين متفق عليه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أحبوا العرب لثلاث أي خصال وأسباب لأني عربي وكل ما ينسب إلى الحبيب محبوب والقرآن
بالنصب ويرفع عربي أي لأنه نزل بلغتهم وبلغتهم تعرف بلاغته وفصاحته ولأنهم حملوا الشريعة
ونقلوها إلينا وضبطوا أقواله وأفعاله ونقلوا إلينا معجزاته ولأنهم مادة الإسلام وبهم فتحت البلاد
وانتشر الإسلام في أقطار العالم ولأنهم أولاد إسماعيل عليه السلام ولأن سوء الفعل بعضهم ولذا
قيل من أسلم فهو عربي وكلام أهل الجنة عربي وكفيهم منة أن كلام أهل النار غير عربي رواه البيهقي في
شعب الإيمان وكذا الطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه والعقيلي في الضعفاء انتهى والله أعلم

باب مناقب الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين

قال القرطبي المناقب جمع منقبة وهي الخصلة الجميلة التي يحصل بسببها شرف وعلو رتبة إما عند
الله وإما عند الخلق والثاني لا عبرة به إلا إذا وصل إلى الأول فإذا قيل فلان ذو مناقب فمعناه أن له
منزلة عند الله ولا يوصل إليه إلا بالنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ذكره السيوطي وقال
الطيبي الصحابي المعروف عند أهل الحديث وبعض أصحاب الأصول كل من رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو مسلم ثم يعرف كونه صحابيا بالتواتر كأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما أو بالاستفاضة أو بقول
صحابي عنه أنه صحابي أو بقوله عن نفسه إنه صحابي إذا كان عدلا والصحابة كلهم عدول مطلقا لظواهر
الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به وفي شرح السنة قال أبو منصور البغدادي أصحابنا مجمعون على أن
أفضلهم الخلفاء الأربعة في الترتيب المذكور ثم تمام العشرة ثم أهل بدر ثم أحد ثم بيعة الرضوان وممن له مزية
من أهل العقبتين من الأنصار وكذلك السابقون الأولون وهم من صلى إلى القبلتين وقيل أهل
بيعة الرضوان وكذلك اختلفوا في عائشة وخديجة أيهما أفضل وفي عائشة وفاطمة وأما معاوية فهو
من العدول الفضلاء والصحابة الأخيار والحروب التي جرت بينهم كانت لكل طائفة شبهة اعتقدت
تصويب أنفسها بسببها وكلهم متأولون في حروبهم ولم يخرج بذلك منهم من العدالة لأنهم مجتهدون
اختلفوا في مسائل كما اختلف المجتهدون بعدهم في مسائل ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم والله أعلم
الفصل الأول عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال النبي وفي نسخة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي الخطاب بذلك للصحابة لما ورد أن سبب
الحديث أنه كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فالمراد بأصحابي أصحاب
مخصوصون وهم السابقون على الآخرين منهم في الإسلام وقيل نزل الساب منهم لتعاطيه ما لا يليق
به من السب منزلة غيرهم فخاطبهم خطاب غير الصحابة ذكره السيوطي ويمكن أن يكون الخطاب للأمة الآ
من الصحابة حيث علم بنور النبوة أن مثل هذا يقع في أهل البدعة فنهاهم بهذه السنة وفي شرح
مسلم اعلم أن سب الصحابة حرام من أكبر الفواحش ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر وقال
بعض المالكية يقتل وقال القاضي عياض سب أحدهم من الكبائر انتهى وقد صرح بعض علمائنا بأنه
يقتل من سب الشيخين في كتاب السير من كتاب الأشباه والنظائر لابن نجيم كل كافر تاب
فتوبته مقبولة في الدنيا والآخرة إلا جماعة الكافر بسب النبي وبسب الشيخين أو أحدهما
أو بالسحر أو بالزندقة ولو امرأة إذا أخذ قبل توبته وقال سب الشيخين ولعنهما كفر وإن فضل
عليا عليهما فمبتدع كذا في الخلاصة وفي مناقب الكردري يكفر إذا أنكر خلافتهما أو يبغضهما لمحبة
النبي لهما وإذا أحب عليا أكثر منهما لا يؤاخذ به انتهى ولعل وجه تخصيصهما لما ورد في تفضيلهما من
قوله صلى الله عليه وسلم في حقهما خاصة على ما سبق في باب على حدة لهما وللإجماع على خلافتهما خلافا
للخوارج في حق عثمان وعلي ومعاوية فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا زاد البرقاني
كل يوم ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه أي ولا بلغ نصفه من بر أو شعير لحصول بركته ومضاعفته
لإعلاء الدين وكلمته مع ما كانوا من القلة وكثرة الحاجة والحرقة ولذا ورد سبق درهم مائة
درهم وذلك مفقود فيما بعدهم وكذلك شرطا عظيمهم ذاتهم وغزواتهم وحكامهم ثم اعلم
أن المد بضم الميم ربع الصاع والنصيف لغة في النصف كالعشير بمعنى العشر وفي الضمير راجع إلى
المد وقيل النصيف مكيال يسع نصف مد فالضمير راجع إلى أحد قال القاضي النصيف
النصف أي نصفه مد وقيل هو مكيال دون المد والمعنى لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبا من
الأجر والفضل ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصفه لما يقارنه من مزيد الإخلاص وصدق النية
وكمال النفس قال الطيبي ويمكن أن يقال فضيلتهم بحسب فضيلة إنفاقهم وعظم موقعه كما
قال تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا
من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى فإن من قبل الفتح أي فتح مكة يعني قبل عز الإسلام وقوة
أهله ودخول الناس في دين الله أفواجا وقلة الحاجة إلى القتال والنفقة فيه وهذا في
الأنفس فكيف بمجاهدتهم وبذل أرواحهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى ولا يخفى
أن هذا إنما يتم على ما سبق من سبب الحديث المستفاد منه تخصيص الصحابة بالكبار لكن العلم بعمومه

سبّ غير الصحابي للصحابي من باب الاولى لان المقصود هو الزجر عن سبّ احد ممن سبقه في الاسلام
والفضل لان الواجب تعظيمهم وتكريمهم حيث قال الله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا متفق عليه ورواه
احمد وابو داود والترمذي عن ابي سعيد وكذا مسلم وابن ماجه عن ابي هريرة واخرجه ابو بكر البرقاني
في شرطه واخرج علي بن حرب الطائي وخيثمة بن سليمان عن ابن عمر قال لا تسبوا اصحاب محمد فلمقام
احدهم ساعة خير من عمل احدكم عمره واخرج الخطيب البغدادي في الجامع عن جابر انه صلى الله عليه وسلم
قال اذا ظهرت الفتن او قال البدع وسبّ اصحابي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله له صرفا ولا عدلا واخرج الحاكم عن ابن عباس مرفوعا
ما ظهر اهل بدعة الا اظهر الله فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه واخرج المحاملي والطبراني والحاكم
عن عويم بن ساعدة مرفوعا ان الله اختارني واختار لي اصحابا وجعل لي منهم وزراء وانصارا واصهارا
فمن سبّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا
وروى العقيلي في الضعفاء عن انس ان الله اختارني واختار لي اصحابي وانصارا واصهارا وسيأتي
قوم يسبونهم وينتقصونهم فلا تجالسوهم ولا تشاربوهم ولا تواكلوهم ولا تناكحوهم
وروى احمد عن انس دعوا لي اصحابي فو الذي نفسي بيده لو انفقتم مثل احد ذهبا ما بلغتم اعمالهم
وروى احمد وابو داود والترمذي عن ابن مسعود لا يبلغني احد عن احد من اصحابي شيئا فاني احب
ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر وعن ابي بردة عن ابيه وهو ابو موسى الاشعري قال اي ابو موسى رفع
يعني النبي صلى الله عليه وسلم هذا قول ابي بردة وضمير يعني الى ابيه يعني ابا موسى والضمير الفاعل
في قوله رفع الى النبي صلى الله عليه وسلم ترك اسمه لظهوره والمعنى رفع النبي صلى الله عليه وسلم
راسه الى السماء وكان كثيرا مما يرفع راسه الى السماء اي انتظارا للوحي الالهي بالنزول الملكي
قال الطيبي من بيان لكثيرا ويجوز ان يكون من زائدة وجيء كان اي كان كثيرا رفع راسه وما مصدرية
انتهى والجملة حالية معترضة فقال النجوم امنة للسماء بفتح الهمزة والميم اي امان وتلك امانة وامنة
جمع وهو امن منه وامنة وفلان امنة وامنة بسكون الميم كاهن المرة من الامن ويجوز ان يكون
جمع امين كبار وبررة فاذا ذهبت النجوم اي انكدرت للشمس والقمر اتى السماء ما توعد اي من وعد
لمن الانشقاق والطي يوم القيامة والمراد بذهاب النجوم تكويرها وانكدارها وانعدامها في
النهاية وغيرها وانا امنة لاصحابي قال الطيبي اذا نسب امنة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحتمل وجهين احدهما ان يكون مصدرا مبالغة نحو رجل عدل والثاني جمعا فيكون من باب قوله تعالى
شبها بارشدا اي راشدين وقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا فجعله صلى الله عليه وسلم امنا لاصحابي
بمنزلة الجماعة فاذا ذهبت اتى اصحابي ما يوعدون اي من الفتن والمخالفات والمحن واصحابي
امنة لامتي فاذا ذهب اصحابي اتى امتي اي جميعهم الى اتى ما يوعدون اي من ذهاب اهل الخير ومجيء اهل
الشر وقيام الساعة عليهم قال في النهاية والاشارة في الجملة الى مجيء الشر عند ذهاب اهل الخير فانه
صلى الله عليه وسلم لما كان بين اظهرهم كان يبين لهم ما يختلفون فيه فلما توفي جالت الآراء
واختلفت الاهواء فكان الصحابة يسندون الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم في قول او فعل او دلالة
حال فلما فقد قلت الانوار وقويت الظلم وكذلك حال السماء عند ذهاب النجوم قلت
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم رواه مسلم وكذا الامام
احمد في مسنده وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ياتي على الناس زمان فيغزو بالتذكير ويؤنث اي تغازى فيام بكسر الفاء فهمزة
ابدالها بالياء اي جماعة من الناس في القاموس لا واحد له من لفظه والجمع فيوم ككتب وفي شرح

مسلم

مسلم بفا مكسورة ثم همزة جماعة وحكى القاضي عياض بابا مخففة بلا همزة ولغة اخرى بفتح
الفاء عن الخليل والمشهور الاول فيقولون اي الذين يغزون الفيام لهم وفي نسخة فيقال هل
فيكم من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن الموصولة قبله صاحب فعل ماض
ونصب رسول الله صلى الله عليه وسلم على المفعولية وفي نسخة بمن الزائدة على ان صاحب
اسم فاعل مضاف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم على بناء المفعول ثم ياتي على
زمان فيغزو فيام من الناس فيقال كذا هنا بالاتفاق هل فيكم من صاحب اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الموصولة بلا خلاف فيقولون نعم فيفتح لهم ثم ياتي على الناس زمان فيغزو فيام
من الناس فيقال لهم هل فيكم من صاحب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموصولتين
فيقولون نعم فيفتح لهم في الحديث معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفضل لاصحابه وتابعيهم
وتابعيهم متفق عليه وفي رواية لمسلم قال ابن حجر هذه رواية شاذة واكثر الروايات مقتصرة على
الطبقات قال اي النبي صلى الله عليه وسلم او ابو سعيد مرفوعا ياتي على الناس زمان يبعث اي فيه
منهم البعث اي المبعوث وهو الجيش فيقولون اي المبعوث اليهم انظروا هل تجدون فيكم احدا من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوجد الرجل اي الواحد فيهم فيفتح لهم اي ببركته ثم يبعث
البعث الثاني اي من الناس او جمع اخر فيقولون انظروا هل فيكم وفي نسخة هل فيكم من راى اصحاب
النبي وفي نسخة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي احدا من اصحابه صلى الله عليه وسلم فيوجد اي من راى
الصحابة وهو يوجد في بعض النسخ فيفتح لهم ثم يبعث البعث الثالث فيقال انظروا هل ترون
فيهم من راى من راى اي الذي راى اي بالواسطة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم يكون بعث الرابع
بالاضافة وهو مصدر والموصوف محذوف اي بعث البعث الرابع وفي نسخة البعث الرابع على الوصف
فالمراد بالبعث الجيش المبعوث فيقال انظروا هل ترون فيهم احدا راى من راى احدا راى ذلك الاحد اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فيلتمس ويوجد الرجل فيفتح له اي لاجل ذلك التابع للتابعي وفي
نسخة لهم اي ببركته ولما كان اهل الخير نادرا في القرن الرابع اقتصر على القرون الثلاثة في اكثر الروايات
لكثرة اهل العلم والصلاح فيهم وقلة السفه والفساد منهم وفي صحيح مسلم عن عائشة مرفوعا
خير الناس القرن الذي انا فيه ثم الثاني ثم الثالث وروى الطبراني والحاكم عن جعدة بن هبيرة خير الناس
قرني الذي انا فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والاخرون اراذل وروى الحكيم الترمذي عن ابي الدرداء
خير امتي اولها واخرها اولها فيهم رسول الله واخرهم فيهم عيسى بن مريم وبين ذلك همج اعوج ليسوا
مني ولا انا منهم وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير امتي قرني
اي الذين ادركوني وامنوا بي وهم اصحابي ثم الذين يلونهم اي يقربون منهم في الرتبة او يتبعونهم في
الايمان والايقان وهم التابعون ثم الذين يلونهم وهم اتباع التابعين والمعنى ان الصحابة والتابعين
وتبعهم هؤلاء القرون الثلاثة المرتبة في الفضيلة في النهاية القرن اهل كل زمان وهو مقدار
التوسط في اعمار اهل كل زمان ماخوذ من الاقتران فكانه المقدار الذي يقترن به اهل ذلك الزمان
في اعمارهم واحوالهم وقيل القرن اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة وقيل هو مطلق من
الزمان وهو مصدر قرن يقرن قال السيوطي والاصح انه لا ينضبط بمدة فقرنه صلى الله عليه وسلم هم
الصحابة وكانت مدتهم من البعث الى اخر من مات من الصحابة مائة وعشرين سنة وقرن التابعين
من سنة مائة الى نحو سبعين وقرن اتباع التابعين من ثم الى نحو العشرين ومائتين وفي هذا الوقت
ظهرت البدع ظهورا فاشيا واطلقت المعتزلة السنتها ورفعت الفلاسفة رؤسها وامتحن اهل
العلم ليقولوا بخلق القران وتغيرت الاحوال تغيرا شديدا ولم يزل الامر في نقص الى الان وظهر مصداق
قوله صلى الله عليه وسلم ثم يفشو الكذب قال الطيبي ثم فيه لتراخي الرتبة فان قوله الافضل فالافضل

في أنه بيان لتراخي الرتبة في النزول وتحقير المذكور أو لا أطلق على ما اقتضاه معنى التعقيب من الاشتراك في أنهم جاءوا أخيرا فنقطع فيه الاشتراك فيختص بالموصوف فلا يدخل ما بعده من قوله ثم إن بعدهم قوما يشهدون فهو جملة كما في قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ومن ذلك الصيف أحر من الشتاء قال شارح في أكثر نسخ المصابيح ثم إن بعدكم وليس بسديد والصواب ثم إن بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون بصيغة المجهول أي والحال أنه لا يطلب منهم الشهادة ولا يبعد أن يكون الواو عاطفة كيفية ما يأتي والحاصل أنهم يشهدون قبل أن يطلب منهم الشهادة فهو ذم في الشهادة قبل الاستشهاد قال النووي وهذا مخالف في الظاهر للحديث الآخر خير الشهود من يأتي بالشهادة قبل أن يسألها قال العلماء والجمع بينهما أن الذم في ذلك لمن بادر بالشهادة في حق من هو عالم بها قبل أن يسألها صاحبه وأما المدح فهو لمن كانت عنده شهادة لأحد لا يعلم بها فيخبره بها ليستشهد به عند القاضي ويلحق به من كانت عنده شهادة في حد ورأى المصلحة في الستر هذا ما عليه الجمهور انتهى وقيل المدح في حقوق الله والذم في حقوق الناس ويخونون ولا يؤتمنون جمع بينهما تأكيدا أي يخونون الناس في أماناتهم إياه ولا يجعلون أمناء وغير بعضهم لظهور خيانتهم وقال النووي ومعنى الجمع في قوله يخونون ولا يؤتمنون أنهم يخونون خيانة ظاهرة بحيث لا يبقى معها ثقة بخلاف من خان حقيرا مرة فإنه لا يخرج به عن أن يكون مؤتمنا في بعض المواطن وينذرون بضم الذال وبكسر في ما في القاموس أي يوجبون في أنفسهم أشياء ولا يفون من الوفاء أي ولا يقومون بالخروج عن عهدتها ولا يبالون بتركها بخلاف الأبرار في ما قال سبحانه في حقهم يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا وقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أي بالأيمان والنذور والعهود ويظهر فيهم السمن بكسر السين وفتح الميم مصدر سمن بالكسر والضم سمانة بالفتح وسمن كعنب فهو سامن وسمين قال صاحب النهاية في الحديث يكون في آخر الزمان قوم يتسمنون أي يتكثرون بما ليس فيهم ويدعون ما ليس لهم من الشرف وقيل أراد جمعهم الأموال وقيل يحبون التوسع في المآكل والمشارب وهي أسباب السمن وقال التوربشتي كنى به عن الغفلة وقلة الاهتمام بأمر الدين فإن الغالب على ذوي السمانة أن لا يهتموا بارتياض النفوس بل معظم همتهم تناول الحظوظ والتفرغ للدعة والنوم وفي شرح مسلم قالوا والمذموم من السمن ما يستكسب وأما ما هو خلقة فلا يدخل في هذا انتهى وبه يظهر معنى ما ورد من أن الله يبغض الحبر السمين وفي رواية ويحلفون ولا يستحلفون أي يحلفون من غير ضرورة داعية إليه ومن غير حاجة تتعلق عليه متفق عليه وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة ثم يخلف بفتح اللام أي ثم يعقبهم ويظهر ورائهم قوم يحبون السمانة بفتح السين وروى أحمد والشيخان والترمذي عن ابن مسعود ولفظه خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته وروى الترمذي والحاكم عن عمران بن حصين بلفظ خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمنون ويحبون السمن ويعطون الشهادة قبل أن يسألوها انتهى والله أعلم

الفصل الثالث

عن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا أصحابي أي الصحب منهم والأخص أحبائي فإنهم خياركم والخطاب للأمة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب أي يفشو كما في رواية حتى إن الرجل بكسر الهمزة ويفتح ليحلف بلام التأكيد ولا يستحلف ويشهد عطف على يحلف ولا يستشهد ألا للتنبيه من سره أي أعجبه بحبوحة الجنة بضم الموحدتين أي وسطها وخيارها فليلزم الجماعة أي السواد الأعظم وما عليه الجمهور من الصحابة والتابعين والسلف الصالحين

عمر رضي الله تعالى عنه

فيدخل فيه خيهم وإكرامهم دخولا أوليا فإن الشيطان مع الفذ بفتح الفاء وتشديد الذال المعجمة أي مقارن للفرد الذي تفرد برأيه وهو أي الشيطان من الاثنين أبعد أي بعيد قال الطيبي أفعل هنا لمجرد الزيادة ولو كان مع الثلاثة لكان بمعنى التفضيل إذ البعد مشترك بين الثلاثة والاثنين دون الاثنين والفذ في ما لا يخفى ولا يخلون رجل بامرأة تأكيد وتشديد بامرأة أي أجنبية فإن الشيطان ثالثهما أي فلا بد أن يغويهما ومن سرته حسنته أي إذا وقعت منه وساءته سيئته أي أحزنته إذا صدرت عنه فهو مؤمن أي كامل لأن المنافق حيث لا يؤمن بيوم القيامة استوت عنده الحسنة والسيئة وقد قال تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة رواه هكذا بياض في أصل المصنف وألحق به النسائي وسنده صحيح ورجاله رجال الصحيح إلا إبراهيم بن الحسين الخثعمي فلم يخرج له الشيخان وهو ثقة ثبت ذكره الجزري فالحديث بكماله إما صحيح أو حسن وروى أحمد وابن حبان في صحيحه والطبراني والحاكم والبيهقي والضياء عن أبي أمامة مرفوعا إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن ورواه الطبراني عن أبي موسى مرفوعا ولفظه من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمس النار مسلما رآني أو رأى من رآني رواه الترمذي وكذا الضياء وحسنه الترمذي وروى عبد بن حميد عن أبي سعيد وابن عساكر عن واثلة طوبى لمن رآني ولمن رأى من رآني ولمن رأى من رأى من رآني وروى الطبراني والحاكم عن عبد الله بن بسر طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن رأى من رآني ولمن رأى من رأى من رآني طوبى لهم وحسن مآب وأنشد شعر

واستنشق الأرواح من نحو أرضكم ۞ لعلي أراكم أو أرى من رآكم

وقال بعضهم شعر

سعدت أعين رأتك وقرت ۞ والعيون التي رأت من رآكا

وكأنه صلى الله عليه وسلم لما تذكر المحبين من ذلك الجناب دعا في زمنه الأصحاب ومن بعدهم من الأتباع من أولياء الألباب قال بنشدته طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن لم يرني وآمن بي ثلاث مرات رواه الطيالسي وعبد بن حميد عن ابن عمر وقال أيضا طوبى لمن رآني وآمن بي ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني رواه أحمد وابن حبان عن أبي سعيد وقال أيضا طوبى لمن رآني وآمن بي مرة وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات رواه أحمد والبخاري في تاريخه وابن حبان والحاكم عن أبي أمامة ورواه أحمد أيضا عن أنس ولعل وجهه أنه يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل كما هنا من الإيمان بالغيب من مشاهدة المعجزات التي قارب من رآها أن يكون إيمانه بالعيان وعن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله بالنصب فيهما أي اتقوا الله ثم اتقوا الله في أصحابي أي في حقهم والمعنى لا تنقصوا من حقهم ولا تسبوهم أو التقدير أذكركم الله ثم أنشدكم في أصحابي وتعظيمهم وتوقيرهم كما يقول الأب المشفق الله الله في حق أولادي ذكره الطيبي أو التقدير اتقوا مخالفته اتقوا عقابه في حق أصحابي المقربين بباب الملتجئين إلى جنابي لا تتخذوهم غرضا بفتح الغين المعجمة والراء أي هدفا للكلام القبيح لهم في المحاورات وترميهم في غيبتهم بالرديء والمكروهات فمن أحبهم فبحبي أي بسبب حبي إياهم أحبهم وقال الطيبي بسبب حبه إياي أحبهم وهذا أنسب بقوله ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم والمعنى إنما أحبهم لأنه يحبني وإنما أبغضهم لأنه يبغضني والعياذ بالله تعالى فحق لذلك أن يكون من سبهم [illegible] استوجب القتل في الدين على ما سبق من مذهب المالكية ومن آذاهم فقد آذاني أي حكما ومن آذاني فقد آذى الله ونظيره من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه أي يعاقبه في الدنيا أو في الآخرة ولعله مقتبس من قوله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا

٥٥

وإنما قيل رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثل أصحابي في أمتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح استئناف مبين لوجه
الشبه ولا يلزم من التشبيه أن يكون من جميع الوجوه حتى يقال كثرة الملح يفسد الطعام كما في النحو
في الكلام كالملح في الطعام بل المراد منه أن الطعام بدونه ليس كما المرام قال الحسن أي
البصري فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح أي في حالنا قلت فنفع بكلامهم ورواياتهم
ومعرفة مناقبهم وحالاتهم وبالاقتداء بأخلاقهم وصفاتهم فإن العبرة بهذه لا شيئا دون صورهم
رواه أي البغوي في شرح السنة أي بإسناده وكذا رواه أبو يعلى في مسنده عن أنس مرفوعا
وعن عبد الله بن بريدة بالتصغير عن أبيه يعني بالأسلمي الأسلمي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من أحد من أصحابي يموت
بأرض إلا بعث أي الأحشر ذلك الأحد من أصحابي في تلك الأرض قائدا ونورا أي هاديا لهم
يوم القيامة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وكذا رواه أيضا وذكر حديث ابن مسعود
لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر أي مع كلكم بأن لا يكون
شيء منكم ربما تغير خاطري بمقتضى البشرية فالأولى باب الذريعة المؤدية إلى الأذية في حفظ
اللسان إلى والله أعلم بالصواب

الفصل الثالث

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم أي أبصرتم أو عرفتم
الذين يسبون أصحابي فقولوا لعنة الله على شركم قيل إشارة إلى أن لعنهم يرجع إليهم فإنهم
أهل الشر والفتنة وأن الصحابة من أهل الخير المستحقين للرضى والرحمة قال الطيبي وهو من كلام
المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك ومنه بيت حسان
يخاطب في هجو رسول الله صلى الله عليه وسلم شعر

أتهجوه ولست له بكفؤ ... فشركما لخيركما الفداء

والتعريض والتورية أو باب المجاراة في العرض وأتهم به في المغلبة مع قلة شعب الخصم وتلك شوكته بالتهويل
رواه الترمذي وكذا الخطيب ورواه ابن عدي عن عائشة بلفظ شرار أمتي أجرؤهم على أصحابي
وفي الحديث المرفوع يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام فاقتلوهم
فإنهم مشركون وفي رواية ينتحلون حب أهل البيت وليسوا كذلك أنهم يسبون أبا بكر وعمر كذا
في القراءتين ولعل الحكمة في سب الروافض بعض الصحابة والخوارج بعض أهل البيت أنهم لما انقطع
عنهم أعمالهم بانتهاء آجالهم أراد الله أن يتم لهم الثواب لمزيد حسن المآب وأن يرفع أعلامهم في يوم
الحساب ونشرة العذاب وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول سألت ربي عن اختلاف أمتي أي عن حكمة تخالفهم في فروع الشرائع
من بعدي فأوحى أي الله إلي يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء أي في إظهار
الهداية وإبطال الغواية كما قال تعالى وبالنجم هم يهتدون بعضها أقوى من بعض أي بحسب مراتب
الأنوار المقتضية لها ولكل نور أي وكذلك لكل من الأصحاب نور بقدر استعداده فمن أخذ بشيء مما هم
عليه أي من اختلافهم بيان لما فهو عندي على هدى وفيه أن اختلاف الأئمة رحمة للأمة قال
الطيبي المراد به الاختلاف في الفروع لا في الأصول كما يدل عليه قوله فهو عندي على هدى قال
السيد جمال الدين الظاهر أن مراده صلى الله عليه وسلم الاختلاف الذي في الدين لا عن اختلاف
الغرض الدنيوي فلا يشكل اختلاف بعض الصحابة في الخلافة والإمارة قلت
الظاهر أن اختلاف الخلافة أيضا من باب اختلاف فروع الدين الناشئ عن اجتهاد كل لا من
الغرض الدنيوي الصادر عن الحظ النفسي فلا يقاس الملوك بالحدادين قال أي عمر وقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم أي في الاهتداء فبأيهم أي بجميعهم أو بأكثرهم وإن لم يتيسر فبأيهم
اقتديتم اهتديتم وكأنه أخذ من هذا بعضهم فقال من تبع عالما لقي الله سالما رواه رزين قال ابن الربيع
اعلم أن حديث أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أخرجه ابن ماجه كذا ذكره الجلال السيوطي
في تخريج أحاديث الشفا ولم أجده في سنن ابن ماجه بعد البحث عنه وقد ذكره ابن حجر العسقلاني في
تخريج أحاديث الرافعي في باب أدب القضاء وأطال الكلام عليه وذكر أنه ضعيف واه بل ذكر
عن ابن حزم أنه موضوع باطل لكن ذكر عن البيهقي أنه قال إن حديث مسلم يؤدي بعض معناه يعني
قوله صلى الله عليه وسلم النجوم أمنة للسماء الحديث قال ابن حجر صدق البيهقي هو يؤدي صحة
التشبيه للصحابة بالنجوم أما في الاقتداء فلا يظهر نعم يمكن أن يتلمح ذلك من معنى الاهتداء
بالنجوم قلت الظاهر أن الاهتداء فرع الاقتداء قال وظاهر الحديث إنما هو إشارة
إلى الفتن الحادثة بعد انقراض الصحابة من طمس السنن وظهور البدع ونشر الجور في أقطار
الأرض انتهى وتكلم على هذا الحديث ابن السبكي في شرح ابن الحاجب الأصلي في الكلام على عدالة
الصحابة ولم يعزه لابن ماجه وذكره في جامع الأصول ولفظه عن ابن المسيب عن عمر بن الخطاب
مرفوعا سألت ربي الحديث إلى قوله اهتديتم وكتب بعده أخرجه فهو من الأحاديث التي ذكرها
رزين في تجريد الأصول ولم يقف عليها ابن الأثير في الأصول المذكورة وذكره صاحب المشكاة
وقال أخرجه رزين انتهى والله أعلم

باب مناقب أبي بكر رضي الله تعالى عنه

الفصل الأول عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال إن من أمن الناس بفتح الهمزة وتشديد الميم أي أكثرهم جودا علي أي لأجلي في صحبته أي
ملازمته ببذل نفسه في خدمتي وماله أي وبذل ماله بل جميع ماله في طريقتي أبو بكر هكذا في جميع
نسخ مسلم وفي البخاري أبا بكر أي بالنصب وهو الظاهر لأنه اسم إن والرفع مشكل ذكره الطيبي قال المظهر
وفيه وجهان الأول أن يكون من زائدة في مذهب الأخفش والثاني أن يكون إن بمعنى نعم كما في جواب قوله
لعن الله ناقة حملتني إليك إن وصاحبها فقوله أبو بكر مبتدأ ومن أمن الناس خبره وقيل اسم إن
ضمير الشأن انتهى فالتقدير إنه من أمن الناس وهو من باب علي بن أبو طالب وأما ما توهم بعضهم
من أن قوله أبو بكر خبر مبتدأ محذوف أي هو على أنه جواب عن سؤال كأنه قيل من أمن الناس فقيل
أبو بكر فغير صحيح لبقاء الجملة بلا خبر قال التوربشتي يريد أن من أبذلهم وأسمحهم من منّ عليه منا
لا من من يعتبه منه إذ ليس لأحد أن يمتن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه ورد موردا الاقتضاء
أن أجر على معنى لا منة جاء المنة تهدم الصنيعة ولو كنت متخذا خليلا قال
القاضي الخليل الصاحب الواد الذي يفتقر إليه ويعتمد في الأمور عليه فإن أصل التركيب من الخلة
بالفتح وهي الحاجة والمعنى لو كنت متخذا من الخلق خليلا أرجع إليه في الحاجات وأعتمد إليه في
المهمات لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن الذي ألجأ إليه وأعتمد عليه في جملة الأمور ومجامع الأحوال
هو الله تعالى وإنما سمي إبراهيم عليه السلام خليلا من الخلة بالفتح التي هي الخصلة فإنه تخلق
بخلال حسنة اختصت به أو من التخلل فإن الحب تخلل شغاف قلبه واستولى عليه أو من
الخلة من حيث إنه عليه السلام ما كان يفتقر حال الافتقار إلا إليه وما كان يتوكل إلا عليه
فيكون فعيلا بمعنى فاعل وفي الحديث بمعنى مفعول ولكن أخوة الإسلام استدراك عن
مضمون الجملة الشرطية وفحواها كأنه قال ليس بيني وبينه خلة ولكن بيننا أخوة الإسلام
أخوة في الخلة المنبئة عن الحاجة وأثبت الإخاء المقتضي للمساواة في المحبة والألفة وإن
قال ومودته أي ومودة الإسلام الناشئة عن المحبة الدينية لا الغرض من الأغراض الدنيوية

او النفسية الدنيوية قال السيد جمال الدين اي لكن بيني وبينه اخوة الاسلام او لكن اخوة
الاسلام حاصلة او تكون اخوة الاسلام افضل كما وقع في بعض الطرق فاذا زيد افضلية اخوة
الاسلام ومودته من الخلة كما هو الظاهر من المستوى يشكل فيجب ان يراد افضليتها من غير
الخلة او يقال افضلية بمعنى فضل او يقال اخوة الاسلام التي بيني وبين ابي بكر افضل من اخوة
الاسلام التي بيني وبين غيره او من اخوة الاسلام التي بينه وبين غيري والاولى ان احسن
تاملا ثم قال ويمكن ان يكون الحديث محمولا على ما كان تتعاهده العرب من عهد الاخوة وعقد
الخلة والمحبة فيما بينهم فقال لو كنت متخذا خليلا من الخلق لعهد الخلة وعهد المحبة لاتخذت ابا
بكر خليلا من بين اصحابي ولكن اخوة الاسلام ومودته ان مثلته له ولغيره كافية او افضل
حيث انها خالصة لله وفيه ونحو رضاه ومن غير ملاحظة من سواه وقال ابن الملك اللام في قوله
ولكن اخوة الاسلام للعهد اي ولكن اخوة الاسلام الذي سبق من المسلمين افضل لان اتخاذ
خليلا بفعله واخوة الاسلام بفعل الله تعالى فما اختاره الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم
يكون افضل مما اختاره لنفسه لا يبقين بصيغة المجهول نهيا مؤكدا مسندا الى وفي نسخة
بفتح اوله والمعنى لا تتركن باقية في المسجد اي مسجد المدينة خوخة الا خوخة ابي بكر الخوخة بفتح
الخائين المعجمتين وسكون الواو كوة في الجدار تؤدي الضوء الى البيت وقيل باب صغير بين
بيتين او دارين لم يدخل من احدهما في الاخر قال التوربشتي وهذا الكلام كان في مرضه الذي توفي
فيه في اخر خطبة خطبها ولا خفاء بان ذلك تعريض بان ابا بكر هو المستخلف بعده وهذه الكلمة
ان اريد بها الحقيقة فذلك لان اصحاب المنازل الملاصقة بالمسجد قد جعلوا من بيوتهم مخترقا
يمرون فيه الى المسجد او كوة ينظرون اليها منه فامر بسد جميعها سوى خوخة ابي بكر تكريما
له بذلك اولا ثم تنبيها للناس في ضمن ذلك على امر الخلافة وسد ابواب المقالة دون التطرق اليها
والتطلع عليها وارى المجاز فيه اقرب اذ لم يصح عندنا ان ابا بكر كان له منزل بجنب المسجد وانما كان
منزله بالسنح من عوالي المدينة ثم انه مهد المعنى المشار اليه وقرره بقوله ولو كنت متخذا خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا ليعلم انه احق الناس بالنيابة عنه وكفانا حجة في هذا الامر تقديمه
اياه في الصلاة واباؤه كل الاباء ان يقف غيره ذلك الموقف انتهى وقيل اراد صلى الله عليه وسلم
بخوخة ابي بكر خوخة بنته عائشة فانه صلى الله عليه وسلم امر بسد باب خوخات الازواج الا
خوخة عائشة رضي الله تعالى عنها ووجه الاضافة الى ابي بكر ظاهر الا ان فيه انه لا يشير اليه
لفظ المسجد ذكره السيد جمال الدين وفي الرياض عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
امر بسد ابواب الشوارع في المسجد الا باب ابي بكر اخرجه الترمذي وابو حاتم واخرجه ابن اسحاق
وزاد في اخره فاني لا اعلم رجلا كان افضل في الصحبة يدا منه وعن جبير بن نفير ان ابوابا كانت مفتحة
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بها فسدت غير باب ابي بكر فقالوا سد ابوابنا
غير باب خليله فبلغه ذلك فقام فيهم فقال انكم تقولون سد ابوابنا وترك باب خليله فلو كان
منكم خليل كان هو خليلي ولكن خليل الله فهل انتم تاركون لي صاحبي فقد واساني بنفسه وماله
وقال لي صدقت وقلتم كذب وفي رواية اي مستقلة لو كنت او في رواية بدل الاتمام فكان المعنى
انه يقول متخذا خليلا غير ربي اي بالنسبة بدل الزيادة لاتخذت ابا بكر خليلا لكن لا يجوز لي
غير الله خليلا لا كون له خليلا سواء يكون بمعنى الفاعل او المفعول متفق عليه ورواه احمد والترمذي
وابو حاتم وفي مسند ابي يعلى عن ابن عباس ان ابا بكر صاحبي ومؤنسي في الغار سدوا كل خوخة في
المسجد غير خوخة ابي بكر واخرجه احمد والبخاري وابو حاتم واللفظ له عن ابن عباس قال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج في مرضه الذي مات فيه عاصب راسه فجلس على المنبر فحمد الله واثنى

عليه

عليه ثم قال انه ليس من الناس احد امن علي في نفسه وماله من ابي بكر بن ابي قحافة ولو كنت متخذا خليلا لاتخذته
ولكن خلة الاسلام افضل سدوا عني كل خوخة في المسجد غير خوخة ابي بكر قال ابو حاتم وفي قوله سدوا الى اخره
دليل على حسم اطماع الناس كلهم من الخلافة الا ابا بكر وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه
قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكنه اخي زاد احمد في الدين وصاحبي زاد احمد في
الغار ذكره السيوطي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا يعني نفسه الى قوله تعالى وما صاحبكم بمجنون واشار
جعل خبر ربه خليلا يكون مجنونا في عقل عنده ويفسر محذورا ولا ذليلا قال الطيبي في قوله اتخذ الله مبالغة
من وجهين احدهما انه اخرج الكلام على التجريد حيث قال صاحبكم ولم يقل اتخذني وثانيهما اتخذ
صاحبكم بالنصب عكس ما يرجع اليه الحديث الاتي من قوله غير ربي فالحديثان في حصول المخالفة
في الطرفين رواه مسلم ورواه احمد والبخاري عن الزبير ورواه احمد والبخاري ايضا عن ابن عباس
بلفظ لو كنت متخذا من امتي خليلا دون ربي لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخي وصاحبي وفي رواية
البخاري لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذته خليلا ولكن اخوة الاسلام افضل وروى مسلم عن
جندب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يموت بخمس ليال وهو يقول اني ابرأ
الى الله عز وجل ان يكون لي منكم خليل فان الله عز وجل قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت
متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا واخرج الواحدي في تفسيره عن ابي امامة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وانه لم يكن نبي الا له في امته خليل
الا وان خليلي ابو بكر واخرج الحافظ ابو الحسن علي بن عمر الحربي السكري عن ابي بن كعب انه قال ان احدث
عهدي بنبيكم صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بخمس ليال دخلت عليه وهو يقلب يديه وهو يقول
انه لم يكن نبي الا وقد اتخذ من امته خليلا وان خليلي من امتي ابو بكر بن ابي قحافة الا وان الله تعالى
قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا والاحاديث السابقة للاتخاذ اصح واثبت واوضح فمن
الروايتين يكون قد اذن الله له بعد نهيه من خلة غير الله مع تشوقه بخلة ابي بكر لا خلة النبي في انه اتخاذه
خليلا مراعاة لجبر خاطره وتعظيما لشأن ابي بكر ولا يكون ذلك الا بعد تخلله الله عز وجل بان اتخاذه
ثابتتان كما تضمنه الحديث احدهما تشريف للمصطفى صلى الله عليه وسلم والاخرى تشريف لابي بكر
رضي الله تعالى عنه والله اعلم وبالجملة ففي الحديث دليل ظاهر على ان ابا بكر افضل الصحابة رضي الله عنهم
وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه اي الذي توفي
فيه ادعي لي بضم همز وصل وكسر عين في الاصل ادعوي على بالنقل والحذف اي انا امرت بمخاطبة اي
نادي ابا بكر اباك بدل او عطف بيان على ابا بكر والمراد به تشبيد الرحم وفي شرح مسلم ان طلب لاجلها
ليكتب الكتاب فقوله حتى اكتب كتابا اي امر ان يكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى متمن اي الخلافة
مع تقدير عدم الكتابة ويقول قائل اي واخاف ان يقول قائل بمقتضى الاماني انا اولى اي انا مستحق
للخلافة دون ابي بكر ومستحقا لها مع وجود ابي بكر كما يدل عليه قوله ويابى الله والمؤمنون اي خلافة
والرافضة في امر الخلافة الا ابا بكر قال شارح يابى خلافة كل احد الا خلافة ابي بكر انتهى ومعنى
يابى الله يمتنع لعدم رضاه الا ان تقع رواه مسلم وفي كتاب الحميدي وهو الجامع بين
الصحيحين وفي نسخة انا اولى والا بدل انا ولا وفي شرح مسلم قوله انا ولا هكذا هو في بعض النسخ
المعتمدة اي يقول انا احق بالخلافة ولا يستحقها غيري وفي بعضها انا اولى اي انا احق بالخلافة قال
القاضي عياض هذه الرواية اجود انتهى فالجزم من المصنف انه رواه مسلم خلافا للحميدي ليس
من الجزم قال النووي وهذا دليل لاهل السنة في ان خلافة ابي بكر رضي الله تعالى عنه ليست
بنص من النبي صلى الله عليه وسلم صريحا بل اجمعت الصحابة على عقد الخلافة له وتقديمه لفضله
ولو كان هناك نص عليه او على غيره لم يقع المنازعة بين الانصار وغيرهم اولا ولذكر حافظ النص ما معه

نفيس

ورجعوا اليه واتفقوا عليه واما ما يدعيه الشيعة من النص على علي كرم الله وجهه والوصية اليه فباطل
لا اصل له باتفاق المسلمين واول من يكذبهم في ذلك علي حيث سئل هل عندكم شيء ليس في القرآن فقال ما عندي
الا هذه الصحيفة الحديث ولو كان عنده نص لذكره وعن جبير بن مطعم قال اتت النبي صلى الله
عليه وسلم امرأة فكلمته في شيء اي من امرها فامرها ان ترجع اليه اي الى النبي صلى الله عليه وسلم مرة
اخرى حتى يعطيها شيئا ذكره شارح قالت يا رسول الله ارأيت اي اخبرني ان جئت ولم اجدك
ولعل مسكنها كان في بعيدات المدينة كأنها اي قال جبير كان المرأة تريد اي تعني بعدم الوجدان
الموت اي موته صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجديني فأتي ابا بكر اي فانه خليفتي مطلقا او وصيي
في هذا الامر والاول اظهر ولذا قال النووي فيه نص على خلافة ابي بكر وفيه اخبار بالغيب
الذي اعلمه الله ذلك ويؤيده ما اخرجه ابن عساكر عن ابن عباس قال جاءت امرأة الى النبي صلى
الله عليه وسلم تسأله شيئا فقال لها تعودين فقالت يا رسول الله ان عدت فلم اجدك تعرض بالموت
قال ان جئت فلم تجديني فأتي ابا بكر فانه الخليفة من بعدي متفق عليه وعن سهل بن ابي حثمة
قال بايع اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال الاعرابي احد فقال علي للاعرابي ائت النبي صلى الله عليه وسلم
فسله ان اتى عليه اجله من يقضيه قال يقضيك ابو بكر فرجع الى علي فاخبره فقال علي ارجع فسله
ان اتى على ابي بكر اجله من يقضيه فاتى الاعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال يقضيك
عمر فقال للاعرابي سله من بعد عمر فقال يقضيك عثمان فقال علي للاعرابي ائت النبي صلى الله
عليه وسلم فسله ان اتى على عثمان اجله من يقضيه فسأله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتى
على ابي بكر اجله وعلى عمر وعثمان فان استطعت ان تموت فمت اخرجه الاسماعيلي في معجمه
وعن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه اي ارسله اميرا على جيش ذات السلاسل
بافتح الجيش وقد تضم السلاسل موضع تسلسل بعضه ببعض وسمي الجيش بذلك لانهم كانوا
مسلسلين او ارضها رمل كذلك قال فاتيته اي قبل التسفر وبعده لكون ربعه الذي يكون بعده قلت
اي الناس احب اليك اي الموجودين في زمنك والمراد بهم اهل الجيش وذلك لان سبب سؤاله
لما امره النبي صلى الله عليه وسلم على الجيش وفيهم ابو بكر وعمر لمصلحة كانت تقتضيه وتوهم في نفسه
مزية انه مقدم عنده في المنزلة عليهم فسأل لذلك لكن يؤيده الاول وهو ارادة العموم الذي هو المفهوم
المفهوم جوابه قال عائشة اي من النساء قلت من الرجال اي سواها منهم والتقدير من
احب اليك قال ابوها قلت ثم من قال عمر فعد رجالا اي فعد النبي صلى الله عليه وسلم رجالا
اخرى بعد ما سبق اخرى فسكت اي عن ذلك السؤال مخافة ان يجعلني في اخرهم اي اخر الناس
سلطنا او اخر اسامي عنهم لو سألته متفق عليه وعن محمد بن الحنفية سبق ذكره وهو ابن علي
من فاطمة رضي الله تعالى عنهم قال قلت لابي اي علي كرم الله وجهه اي الناس خير بعد النبي صلى
الله عليه وسلم قال اي علي ابو بكر اي هو ابو بكر او ابو بكر هو الخير قلت ثم من قال عمر وخشيت ان
اقول عثمان اي لو قلت عثمان ثم من بعدك تشتمل الحسنة قلت ثم انت قال
ما انا الا رجل من المسلمين وهذا على سبيل التواضع منه مع العلم بانه حين المسألة خير الناس
بلا نزاع لانه بعد قتل عثمان رضي الله تعالى عنهم رواه البخاري وكذا احمد وعن ابن عمر قال كنا
اي معشر الصحابة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل اي لا نساوي بابي بكر احدا اي من
الصحابة بل نفضله على غيره ثم عمر ثم عثمان اي ثم نعدل بهما احدا وثم نفضلهما على غيرهما ثم نترك
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نفاضل اي لا نوقع المفاضلة بينهم والمعنى لا نفضل بعضهم على
بعض لا المراد نفي فضلهم فان اهل بدر وكذا اهل بيعة الرضوان ونحو هم من الصحابة افضل
وبعد هذا التفاضل بين الاصحاب واما اهل البيت فهم اخص منهم وحكمهم يغاير هم فلا يرد عدم

ذكر

ذكر علي والحسنين والعمين رضي الله عنهم اجمعين وجه ذلك انه اراد به الشيوخ وذوي الاسنان منهم الذين كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزنه امر شاورهم فيه وكان علي رضي الله عنه في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حديث السن وتعقبه لا ينكره ابن عمر ولا يخرجه من الصحابة قال التوربشتي اي بعض
ندعو ذلك الا اهل بدر واهل بيعة الرضوان واصحاب العقبتين الاولى والثانية يفضلون غيرهم ولذلك
عد العلماء الصحابة ثم دونوا الفهم منهم فلا يستقيم حمل الحديث رواه البخاري وفي رواية لابي داود
قال كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي افضل امة النبي صلى الله عليه وسلم اي الذين
هم خير الامم بعده اي بعد النبي واما الانبياء عليهم السلام وبعد وجوده ابو بكر ثم عمر ثم عثمان
رضي الله تعالى عنهم لا يخفى ان الاحاديث المتقدمة لها المناسبة التامة بباب مناقب الثلاثة

الفصل الثاني

عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما لاحد عندنا يد اي عطاء وانعام الا وقد كافيناه بهمزة ساكنة بعد الفاء ويجوز ابدالها
الفا في القاموس كافاه مكافاة وجازاه ذكره في المهموز وكفاه مؤونته كفاية ذكره في المعتل ولا يخفى
ان المناسب للمقام هو المعنى الاول وفي بعض النسخ المصححة بالياء ولا يظهر له وجه والمعنى جازيناه
مثلا بمثله او اكثر ما خلا ابا بكر اي ما عداه في الجزاء فان له عندنا يدا اي ارادها يدا النعمة
وقد بذلها كلها اياه صلى الله عليه وسلم وهي المال والنفس والاهل والولد ذكره شارح ويحتمل ان
يكون المراد بذلك اليد اعتاق بلال كما يشير اليه قوله وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى
وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى وتشير بالمراد منه ابو
بكر والية تنظر قوله يكافيه الله اي يجازيه بها يوم القيامة اي جزاء كاملا والتعرض من الرباعي
في هذا المقدار من الحديث وقال رواه الترمذي وقال حسن غريب وما نفعني مال احد قط ما
نفعني ما استفدته فيه ومثله نفعني اي مثل ما نفعني مال ابي بكر ولو كنت متخذا اي من الناس خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا الا للنبيه وان صاحبكم خليل الله بحيث لا يكون تخليلا يعني فاعل
او مفعول والاول اظهر في هذا المقام فتدبر رواه الترمذي وفي الجامع ما نفعني مال قط
ما نفعني مال ابي بكر رواه احمد وابن ماجه عن ابي هريرة وفي الرياض عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما نفعني مال قط ما نفعني مال ابي بكر فبكى ابو بكر وقال هل انا ومالي
الا لك اخرجه احمد وابو حاتم وابن ماجه والحافظ الدمشقي في الموافقات وعن ابن المسيب ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما مال رجل من المسلمين انفع لي من مال ابي بكر وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقضي في مال ابي بكر كما يقضي في مال نفسه اخرجه عبد الرزاق وعن عروة
قالت وكان انشئ الى قوله تعالى وسيجنبها هذا وعن عائشة قالت انفق ابو بكر على النبي
صلى الله عليه وسلم اربعين الفا اخرجه ابو حاتم وعن عروة قال اسلم ابو بكر وله اربعون الفا
انفقها كلها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله اخرجه ابو عمرو وعن عروة
قال اشترى ابو بكر سبعة كانوا يعذبون في الله منهم بلال وعامر بن فهيرة اخرجه ابو عمرو وعن
اسم عبيد بن نصر قال اشترى ابو بكر بلالا وهو مدفون بالحجارة بخمس اواق ذهب فقالوا
لو ابيت الا اوقية لبعناكه فقال لو ابيتم الا مائة اوقية لاخذته اخرجه في الصفوة وعن عمر رضي
الله عنه انه كان يقول قال اي عمر ابو بكر سيدنا اي نسبا وحسبا وخيرنا اي افضلنا معرفة وكسبا
واحبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي حضورا وغيبا ذكره الترمذي وعن ابن عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر انت صاحبي في الغار اي في غار ثور بمكة حال الهجرة
من ديار الكفار رجب قال تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله
معنا فالمعنى انت صاحبي المخصوص حينئذ او انت صاحبي بشهادة الله اذا جمع المفسرون على

الفصل الثاني عن ابي هريرة

ان المراد بصاحبه في الاية هو ابو بكر وقد قالوا من انكر صحبة ابو بكر كفر لانه انكر النص الجلي بخلاف انكار صحبة غيره من عمر او عثمان وفي رواية وصاحبي اي المخصوص مني على الحوض وفيه ايماء الى انه صاحبه في الدارين كما انه صاحبه في البرزخ رواه الترمذي وفي مسند الفردوس للديلمي شرع في بشر ابو بكر مني وانا منه وابو بكر اخي في الدنيا والاخرة وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لقوم فيهم ابو بكر ان يؤمهم غيره وفيه معنا من يؤم افضل القوم من غيرهم ودينه دل على انه افضل جميع الصحابة فاذا ثبت هذا فقد ثبت استحقاقه الخلافة ولا ينبغي ان يجعل المفضول خليفة مع وجود الفاضل رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتصدق اي في بعض الجهات ووافق عندي مالا اي صادف امره بالتصدق حصول مال عندي فقلت خالي من مال والجملة حال مما قبلها يعني والحال انه كان مال كثير في ذلك الزمان فقلت اليوم اسبق ابا بكر اي بالمبادرة او بالمبالغة ان سبقته يوما من الايام وان شرطية ذل على جوابها ما قبلها او التقدير ان سبقته يوما فهذا اليوم وقيل ان نافية اي ما سبقته يوما فهذا يومه في ذلك فهو استئناف تعليل قال اي عمر فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابقيت لاهلك فقلت مثله اي ابقيت مثله يعني نصف ماله وابى ابو بكر بكل ما عنده وهو ابلغ من كل ماله بكسر اللام واصرح من كل ماله بالفتح فقال يا ابا بكر ما ابقيت لاهلك فقال ابقيت لهم الله ورسوله اي رضاهما وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لهما ما بينكما كما بين كلمتيكما قلت اي في باطني واعتقدت لا اسبقه الى شيء اي من الفضائل بدا ابدا لانه اذا لم يقدر عليه مع غلبته حين كثرة ماله وقلة مال ابي بكر ففي غيره الحال اولى ان لا يسبقه رواه الترمذي وابو داود وقال الترمذي حسن صحيح ومما يناسبه ما اخرجه احمد عن ابن مسعود قال لم يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وانا احمد الله تعالى زوجل واصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال سل تعطه ولم اسمعه فادلج ابو بكر فبشرني بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قد سبقك اليها ابو بكر قال عمر ما استبقنا بخير الا قد سبقني اليه انه كان سباقا للخيرات فقال عبد الله ما صليت فريضة ولا تطوعا الا دعوت الله في دبر صلاتي اللهم اني اسالك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في اعلى جنات الخلد وانا ارجو ان اكون دعوت بهن البارحة اخرجه احمد وابن شاهين وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سمع قراءة ابن مسعود ليلا من سره ان يقرا القران رطبا فليقراه ابن ام عبد فلما اصبحت غدوت اليه لابشره فقال قد سبقك ابو بكر قال ما سابقته الى خير قط الا سبقني اليه اخرجه ومعناه في الصحيحين وعن عائشة ان ابا بكر دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم انت عتيق الله من النار فيومئذ سمي عتيقا قال الراغب العتيق المتقدم في الزمان او المكان او المرتبة ولذا قيل للقديم عتيق وللكريم عتيق ولمن خلى من الرق عتيق انتهى وسمي البيت العتيق لكرمه او لقدم زمانه او لرفعة مكانه او لانه عتيق عن الطوفان او عن تصرف الجبابرة ثم قوله فيومئذ سمي عتيقا اي لقب به من ذلك اليوم قال المؤلف اسمه عبد الله بن عثمان بن ابي قحافة بضم القاف ابن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة وصل بآباء السابع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى ابي بكر شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ولم يفارقه في الجاهلية والاسلام وتولى الخلافة الرجال اسلاما كان ابيض نحيفا خفيف العارضين معروف الوجه غائر العينين ناتئ الجبهة لم يزل ابويه وولده وولد ولده صحبة ولم يجتمع هذا لاحد من الصحابة كان مولده بمكة بعد الفيل بسنتين واربعة اشهر الا اياما ومات بالمدينة ليلة الثلا

لثمان بقين من جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة بعد المغرب والعشاء وله ثلاث وستون سنة واوصى ان تغسله زوجته اسماء بنت عميس فغسلته وصلى عليه عمر بن الخطاب وكانت خلافته سنتين واربعة اشهر روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين ولم يرو عنه من الحديث الا القليل لقلة مدته بعد النبي صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض اي من الخلق ثم ابو بكر اي من امتي او مطلقا ثم عمر ثم اتي بصيغة المتكلم اي اجي اهل البقيع وهو مقبرة المدينة فيحشرون معي اي يجمعون تبعا وان يحشرون سريعا ثم انتظر اهل مكة حتى احشر بين الحرمين اي بين اهليهما في محشر الفئة وفيه ايماء الى ما ورد من اجتماع قوم حشر معهم وقال الطيبي اي اجمع معهم بين حرم مكة وحرم المدينة وقال شارح اي اجمع انا وهم حتى يكون شبه وهم اجتماع بين الحرمين وذلك بظاهره يخالف قوله انتظر اهل مكة لان كلامهما يدل على انه صلى الله عليه وسلم يتوجه الى حرم مكة وان اهل مكة يتوجهون اليه صلى الله عليه وسلم فيحصل الاجتماع بين الحرمين والظاهر من كلامه انه ينتظرهم في البقيع الى ان يجتمعوا فيتوجهوا الى المحشر وهو ارض الشام فيجتمعون هناك مع سائر الانام رواه الترمذي وذكر الحديث في الجامع الى قوله ثم انتظر اهل مكة وقال رواه الترمذي والحاكم عن ابن عمر فهذا ولا يخفى ان هذا الحديث كان انسب ايراده في مناقب الشيخين رضي الله تعالى عنهما وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل فاخذ بيدي فاراني باب الجنة الذي يدخل منه امتي فقال ابو بكر يا رسول الله وددت بكسر الدال اي احببت اني كنت معك حتى انظر اليه اي الى باب الجنة فقال اما للتنبيه انك يا ابا بكر اول من يدخل الجنة من امتي اي فتنظر بابها وتدخلها قبل احد من امتي وفيه دليل على انه افضل الامة والا لما سبقهم في دخول الجنة وايماء الى انه سبق الامة ايمانا لقوله تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم قال الطيبي لما تمنى رضي الله تعالى عنه بقوله وددت والتمني انما يستعمل فيما لا يستقيم على امكان حصوله بدل انه لا يتمنى النظر الى الباب فان ذلك ما هو الى منه واجل وهو دخولك فيه قوله اما حرف التنبيه ينبهك على الرمز الذي لوحنا ها رواه ابو داود

الفصل الثالث عن عمر رضي الله تعالى عنه ذكر عنده ابو بكر جملة حالية وحاصله انه روي عن عمر انه ذكر عنده ابو بكر فبكى اي عمر وقال وددت ان عملي كله اي في جميع الايام مثل عمله اي ابي بكر يوما واحدا من ايامه اي في زمن حياته صلى الله عليه وسلم وليلة واحدة من لياليه اي او قال ذلك انه على السلام والظاهر ان الواو بمعنى او وقال ابعد في المبالغة عنها كل من الحالين اي التوزيع بحسب الوقتين المختلفين اما ليلته فليلة سار بالرفع والتنوين اي سافر فيها جرينها مع النبي وفي نسخة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار وفي بعض النسخ المصححة بفتح ليلته بنيت للاضافة الى المبني وهو الاشهر فلما انتهيا اليه اي وصلا الى الغار قال اي ابو بكر والله لا تدخله بالرفع وفي نسخة بالجزم حتى ادخل قبلك اي الى الغار لمادكره بقوله فان كان فيه شيء اي مما يؤذي من عقرب او هوام اصابني دونك فدخل فكسحه اي كنسه ووجد في جانبه اي في اطرافه ثقبا بضم مثلثة وفتح قاف جمع ثقبة كغرفة وغرف وقد جاء ثقب كنفل ونفل بكسر كل منهما لغة في المفرد بمعنى الخرق والحجر لكن المراد هنا الجمع لقوله ازاره وسدها به وبقي منها وفي منها اثنان فالقمهما رجليه اي جعل رجليه كاللقمتين لهما غاية للحرص في سدهما حيث لم يبق من ازاره ما يدخلهما ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع راسه في حجره بكسر الحاء وفي نسخة بفتحها في القاموس الحجر بالكسر ويفتح الحضن وفي النهاية الحجر بالفتح والكسر الحضن والثوب وكذا في المشارق وزاده واذا اريد به المصدر فالفتح لا غير واذا اريد به الاسم فالكسر لا غير ونام اي النبي صلى الله عليه وسلم فان نوم العالم عبادة كما ان نوم

الفصل الثالث عن عمر

الكلام شهادة باعتبار نبي مختلفين فلذع ابو بكر في رجله بدل من ابو بكر بدل البعض وجي بغي بيانا لشدة تمكن اللذع فيه كانه قيل فاين لذع فخرج بفي قرانيه يفصل له
من الجحر اي من الجحر ولم يتحرك اي ابو بكر مخافة ان ينتبه من باب الانفعال وفي نسخة ان ينبهه
النفعل اي حشية ان يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بعز وانه فتقطر اي
وجهه تسقط دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فانتبه فرأى بكاءه
فقال ما لك يا ابا بكر قال لذغت فداك ابي وامي بفتح الفا ويكسر وفي القاموس فداه تفدية قال
فداه وبفتح اعطى شيئا فانقذه والفداء كالكسا والفدى فدى ذلك المعطي انتهى قال الاصمعي الفدا يمد
ويقصر اما المصدر ثم فاديت تمد وتقصر والتابع كل ذلك مكسور وحكى الفراء لك مقصور
ممدود ومفتوح وذاك في ذا وهي نعلها من مقصور مفتوح الاول ويكون اسم على ما حكاه الفرا
كذا في المشارق فتفل اي بزق رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عليه كما في نسخة اي على موضع
اللذع فذهب ما يجده اي ما كان يجده من الالم ثم انتقض بالقاف المعجمة اي رجع اثر السم عليه
قال الطيبي اي ينكسر الجرح بعد ان انزمل بتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اي الانتقاض
سبب موته اي تحصل له شهادة في سبيل الله حالة كونه رفيقا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في طريقه واما يومه اي يوم ابي بكر فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا
لا نؤدي زكاة بحتمل ان يكون عطف تفسير لما قال بعض علمائنا من قبله ارتدوا الزكوة فقال
لو منعوني عقالا بكسر اوله اي حبلا صغيرا لجاهدتهم عليه اي لقاتلتهم على اخذ
اداد في كلمة في النهاية اراد بالعقال الحبل الذي يعقل به البعير الذي كان يؤخذ في الصدقة
لان على صاحبها التسليم وانما يقع القبض بالرباط وقيل اراد ما يساوي عقالا من حقوق
الصدقة وقيل اذا اخذ المصدق عينها قيل اخذ عقالا واذا اخذ اثمانها قيل اخذ نقدا
وقيل اراد بالعقال صدقة العام يقال اخذ المصدق عقال هذا العام اذا اخذ منهم صدقته وبعث فلان
على عقال بني فلان اذا بعث على صدقاتهم واختاره ابو عبيد وقال هذا اشبه عندي بالمعنى وقال الخطابي
انما يضرب المثل في مثل هذا بالاقل لا بالاكثر وليس بسائر في لسانهم ان العقال صدقة عام قلت
ولهذا قال ابو عبيد بالمعنى فلا اعتراض عليه بالمبنى وسببه استبعاد ان يقاتل على الشيء الحقير وان
كان في تعبيره عن الكثير بالقليل على قصد المبالغة كما لتغبير والعظيم وتويد ابا عبيد انه في اكثر الروايات
لو منعوني عناقا وفي اخرى جديا قال الطيبي قد جاء في الحديث ما يدل على القولين فمن الاول
حديث عمر رضي الله تعالى عنه انه كان يأخذ مع كل فريضة عقالا فاذا جاءت الى المدينة باعها ثم تصدق
بها وحديث محمد بن مسلمة انه كان يعمل الصدقة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يأمر الرجل
اذا جاء بفريضتين ان يأتي بعقاليهما وقرانهما ومن الثاني حديث عمر انه اخر الصدقة في عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكان يأمر الرجل اذا جاء بفريضتين ان يأتي بعقاليهما وقرانهما ومن الثاني
حديث عمر انه اخر الصدقة عام الرمادة فلما احيا الناس بعث عاملا فقال اعقل عنهم عقالين
فاقسم فيهم عقالا وائتني بالآخر يريد صدقة عامين انتهى ولا خلاف في اطلاق العقال على كل منهما
وانما الخلاف في المراد به هنا والله اعلم فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف
الناس اي اطلب الفتهم اي فتنهم وارفق بهم بفتح الفا اي الطف بهم ولا تغلظ عليهم فقال لي اجبار
في الجاهلية اي انت شجيع متهور مغضوب في زمن الجاهلية وخوار بتشديد الواو اي جبان ذو عطوف
في الاسلام اي في ايامه واحكامه مع ان ما ورد من ان معادن العرب خيارهم في الجاهلية خيارهم
في الاسلام اذا فقهوا مشعر بان طباعهم الاصلية لم تتغير عما كانوا لهم الاولية وانما يختلف ايقاعهم
في الامور الدينية بعد ما كان يصرف حصولها في الحالات النفسية من الامور النفسية

والعزيمة

والعزيمة في النهاية يقال رجل خوار اذا ضعفت قوته ووهنت شوكته قال الطيبي انكر عليه ضعفه
ووهنه في الدين ولم يرد ان يكون جبارا بل اراد به التصلب والشدة في الدين لكن لما ذكر الجاهلية
قرنه بذكر الجبار قلت هذا وهم فان المراد به انه كان جبارا متسلطا متمردا على الحق
في الجاهلية وقد عصمه الله عما سلف فهذا مما لا يفرح به ابدا ولا شك ان الارادة بهذا المعنى ايضا
ابلغ في تخصيل المدعى من المودي انه اي الشأن قد وهو استيناف تعليل قد انقطع الوحي اي فلا
نصل الى اليقين فلا بد لنا من الاجتهاد المبين وتم الدين وفي نسخة فتم الدين اي لقوله تعالى اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي اينقص اي الدين وهو بصيغة الفاعل وفي نسخة على بناء المفعول
بناء على انه لازم او متعد وانا حي جملة حالية على طبق قولهم جاء زيد والشمس طالعة رواه رزين
وفي الرياض ذكر من قوله لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ثم قال رواه النسائي
بهذا اللفظ ومعناه في الصحيحين ونقل الحلبي في حاشية الشفا للقاضي عياض عن ابي الحسن
الاشعري انه قال لم يزل ابو بكر بعين الرضا من الله وقد اختلف الناس في مراده بهذا الكلام فقال
بعضهم لم يزل مؤمنا قبل البعثة وبعدها وهو الصحيح المرضي وقال آخرون بل اراد انه لم يزل
بحالة غير مغضوب فيها عليه لعلم الله تعالى بانه سيؤمن ويصير من خلاصة الابرار قال الشيخ
تقي الدين السبكي لو كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر الصحابة في ذلك وهذه العبارة
التي قالها الاشعري في حق الصديق لم يحفظ عنه في حق غيره فالصواب ان الصديق لم يثبت
عنه في حال كفر بالله انتهى وهو الذي سمعناه من مشايخنا وممن يقتدي به وهو الصواب
ان شاء الله ونقل ابن ظفر في انباء نجباء الابناء ان القاضي ابا الحسن احمد بن محمد الزبيدي
روى باسناده في كتاب المستجلي معالي العرش الى عوالي الفرش ان ابا هريرة قال اجتمع المهاجرون
والانصار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر وعيشك يا رسول الله اني لم اسجد
لصنم قط وقد كنت في الجاهلية كذا وكذا سنة وان ابا قحافة اخذ بيدي فانطلق بي الى مخدع
فيه الاصنام فقال هذه آلهتك الشم العلى فاسجد لها وخلاني ومضى فدنوت من الصنم فقلت اني
جائع فاطعمني فلم يجبني فقلت اني عار فاكسني فلم يجبني فاخذت صخرة فقلت اني ملق عليك هذه
الصخرة فان كنت الها فامنع نفسك فلم يجبني فالقيت عليه الصخرة فخر لوجهه واقبل ابي فقال
ما هذا يا بني فقلت هو الذي ترى فانطلق بي الى امي فاخبرها فقالت دعه فهو الذي ناجاني الله تعالى
به فقلت يا امه ما الذي ناجاك به قالت ليلة اصابني المخاض لم يكن عندي احد فسمعت هاتفا يقول
يا امة الله على التحقيق ابشري بالولد العتيق اسمه في السماء الصديق لمحمد صاحب ورفيق قال
ابو هريرة فلما انقضى كلام ابي بكر نزل جبريل عليه السلام وقال صدق ابو بكر انتهى وتم بوبة كنت
انا وابو بكر كفرسي رهان لانه لو كان على الكفر لما صدق عليه هذا الامر ولعل وجه ما قال صلى الله
عليه وسلم لو اتخذت احدا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا هو انه صدر عنه ما صدق منه بها لما وقع من
الخليل في حق الصنم وتعالى لغة الاب والله اعلم

باب مناقب عمر رضي الله تعالى عنه

الفصل الاول

عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيما قبلكم من الامم بيان لما بعضهم من ابي في الذين كانوا قبلكم محدثون بفتح الدال المشددة اي ناس ملهمون كما فسره ابن وهب فان يك في امتي احد اي واحد منهم فرضا وتقديرا فانه عمر اي فان ذلك الاكرام فهو حينئذ اولى وانظر قال التوربشتي المحدث في كلامهم هو الرجل الصادق
الظن وهو في الحقيقة من القي في روعه شيء من قبل الملأ الاعلى فيكون كالذي حدث به وفي قوله
فان يك في امتي احد فهو عمر لم يرد هذا القول مورد التردد فان امته افضل الامم واذا كانوا موجودين

في غيرهم من الامم فبالحري ان يكونوا في هذه الامة اكثر عددا واعلى رتبة وانما ورد مورد التاكيد والقطع
ولا يخفى ما في ذكر الفهم محله من المبالغة كما يقول الرجل ان يكن لي صديق فانه فلان يريد بذلك اختصاصه
بالكمال في صداقته لا نفي الاصدقاء انتهى وتوضيحه انك لا تريد بذلك الشك في صداقته والتردد
في انه هل لك صديق بل المبالغة في ان الصداقة مختصة به لا تتخطاه الى غيره وقيل هو على ظاهره لان
الحكمة في كونهم في بني اسرائيل احتياجهم الى ذلك حيث لا يكون بينهم نبي وكتبهم طرا عليه التبديل
واحتمل عدمه صلى الله عليه وسلم اذ لا يحتاج الامة الى ذلك لاستغنائها بالقرآن المامون تبديله
وتحريفه ذكره السيوطي وقال الطيبي هذا الشرط من باب قول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي
وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه ان تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق
مع وضوحه فالمراد بالمحدث الملهم المبالغ فيه الذي انتهى الى درجة الانبياء في الالهام فالمعنى
لقد كان فيما قبلكم من الامم انبياء يلهمون من قبل الملأ الاعلى فان يك في امتي احد هذا شانه فهو عمر
جعله لانقطاع قرينه وتفوقه على اقرانه في هذا كانه تردد في انه هل هو نبي ام لا فاستعمل ان ويؤيده
ما اوردنا في الفصل الثاني لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب فلو في هذا الحديث بمنزلة
على سبيل الفرض والتقدير كما في قول عمر رضي الله تعالى عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم
يعصه متفق عليه قال ميرك ولفظه للبخاري ولمسلم نحوه من عائشة ومن العجب ان الحاكم اخرج
حديث عائشة في مناقب عمر مستدركا على مسلم في كونه لم يخرجه وقد اخرجه في المناقب ايضا فلعل
وقد سبق عنه الجواب والله اعلم بالصواب ثم لفظ الحديث في الجامع قد كان فيما مضى قبلكم من الامم
ناس محدثون فان يك في امتي منهم احد فانه عمر بن الخطاب رواه احمد والبخاري عن ابي هريرة واحمد
ومسلم والترمذي والنسائي عن عائشة وفي قول المصنف متفق عليه مسامحة لا تخفى كما اشار اليه
ميرك ثم اعلم ان لفظ احمد ومسلم عن عائشة قد كان يكون في الامم محدثون فان يكن في امتي
احد فهو عمر بن الخطاب ذكره في الرياض ثم قال واخرجه الترمذي وصححه ابو حاتم واخرجه البخاري
عن ابي هريرة واخرج عنه من طريق اخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن قبلكم
من بني اسرائيل رجال يكلمون من غير ان يكونوا انبياء فان يكن في امتي منهم احد فهو عمر ومعنى محدثون
والله اعلم ملهمون الصواب ويجوز ان يحمل على ظاهره بان تحدثهم الملائكة لا بوحي بل بما يطلق عليه
اسم حديث وتلك فضيلة عظيمة وعن سعد بن ابي وقاص قال استاذن عمر بن الخطاب على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة اي جماعة من النساء من قريش قال العسقلاني هن عائشة
وحفصة وام سلمة وزينب بنت جحش وغيرهن وقال العسقلاني اي نسوة من ازواجه صلى الله عليه
وسلم ويحتمل ان يكون معهن غيرهن لكن قرينة قوله يكلمنه ويكثرنه يؤيد الاول وقوله ويكثرنه في الكلام ولا
يراعين مقام الاحتشام وقال النووي اي يطلبن منه النفقة الكثيرة وفي رواية يسالنه
ويستكثرنه عالية بالنصب على الحال وقال السيوطي او بالرفع على الوصف انتهى وفي رواية
عالية اصواتهن بالرفع على الفاعلية قال القاضي عياض يحتمل ان هذا قبل النهي عن رفع الصوت
فوق صوته صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان علو اصواتهن انما كان لاجتماعهن في الصوت لا ان كلام كل
واحدة بانفراده اعلى من صوته صلى الله عليه وسلم انتهى وقول الطيبي في الكلام دليل على ان رفع اصواتهن
كان فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم ليرد الاشكال بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي لا يبني بل المراد انهن في تلك الحالة على خلاف عادتهن من الخفض رفعن
اصواتهن في كلامهن معه صلى الله عليه وسلم اعتمادا على حسن خلقه صلى الله عليه وسلم فلما استاذن
عمر لحال انه من الاجانب بالنسبة الى اكثرهن لانه وهو غيور غضوب غالب عليه الصلابة لا سيما
قمن اي من مكانهن فبادرن الحجاب اي مسرعات الى حجابهن على مقتضى ادابهن فدخل عمر ورسول الله

صلى الله عليه وسلم يضحك اي يتبسم ومن الغريب ان عمر مع غلبة قهره وشدة سطوته كان مظهرا
لبسطه صلى الله عليه وسلم فقال اي عمر كما في رواية اضحك الله سنك وفي رواية يا رسول الله اي ادام الله
فرحك الموجب لبروز سنك وظهور نور ثغرك ولكن لا بد لك من سبب وظهور امر عجيب فاطلعني عليه وشرفني
بالاشارة اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي اي في حالة غريبة
وفعالة عجيبة فلما سمعن صوتك لا باذن ابتدرن الحجاب اي بالانتقال من مكانهن واخفائها
وشانهن خوفا منك وهيبة لك قال عمر اي خطابا لهن يا عدوات انفسهن اتهبنني اي يقال
هبت الرجل بكسر الها اذا وقرته وعظمته من الهيبة اي اتوقرنني ولا تهبن اي تعظمن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قلن نعم هذا غير راجع الى مجموع قول عمر بل الى قوله توقرنني فقط والا فيشكل كما لا يخفى
ولا يبعد ان يكون نعم تقريرا وتاكيدا وتمهيدا لما يعلله بقوله انت افظ واغلظ اي انت كثير الفظا اي سيء
وكثير الغلظة اي شديد القلب بخلافه صلى الله عليه وسلم فانه حسن الخلق كما اخبر الله سبحانه
بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقد قال
صلى الله عليه وسلم على ما رواه ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا خياركم لنسائهم قال الطيبي لم يرد اثبات
الفظاظة والغلظة لعمر في رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان رجلا مواسيا رقيق
القلب في الغاية بل المبالغة في فظاظة عمر وغلظته مطلقا انتهى وخلاصته ان فيك زيادة
فظاظة وغلظة بالقياس الى غيرك لا بالقياس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان
رقيقا حليما جدا لكن يشكل هذا بما ذكره البخاري في رواية اخرى في باب التبسم من كتاب الادب
بلفظ انك افظ واغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمكن دفعه بان يجعل من باب العسل
احلى من الخل والشتاء ابرد من الصيف فيرجع المعنى الى ان كلامهن على ما في خاطرهن الاعلى من منزلة كماله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايه بكسر الهمزة والها منونا وقد تترك تنوينه اي حدث
حديثا ولا تلتفت الى جوابهن يا ابن الخطاب وفي رواية يا عمر وقيل هو اسم فعل يطلب به الزيادة
اي استزد على ما انت عليه من التصلب وقويته قوله والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان
سالكا فجا اي ذاهبا طريقا واسعا الا سلك فجا غير فجك ففيه منقبة عظيمة لعمر الا ان ذلك
لا يقتضي وجوب العصمة اذ لا يمنع ذلك من وسوسته المرجية لغفلته قال التوربشتي ايه اسم
سمي به الفعل لان معناه الامر تقول للرجل اذا استزدته من حديث او عمل ايه بكسر الهاء فان وصلت
نونت فقلت ايه حدثنا واذا اسكته وكففته قلت ايها عنا ومن خففه في هذا الحديث انكر ان
ايها اي كف يا ابن الخطاب عن هذا الحديث ورواه البخاري في كتابه مجرورا منونا والصواب
ايه وروي مسلم هذا الحديث في جامعه والتبس هذه الكلمة في روايته ذكر وقول اذا اصح الرواية
وطابقت الدراية على ما قررناه من تصحيح معناه فلا معنى للتخبط في مبناه والله اعلم بالصواب
واليه المرجع والماب وقال الطيبي معنى قول عمر اتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتوقرنني ولا توقرن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شرح السنة تقول فيهم هبت الرجل
اذا وقرته وعظمته يقال هب الناس يهابوك اي وقرهم يوقروك انتهى كلامه ولا شك ان
الامر بتوقير رسول الله صلى الله عليه وسلم مطلوب لذاته تجب الاستزادة منه فكان قوله
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايه استزادة منه في طلب توقيره وتعظيم جانبه ولذلك عقبه
بقوله والذي نفسي بيده الخ فانه يدل على استرضاء ليس بعده استرضاء حيث اخبر صلى الله عليه
وسلم انقياد الخ كلها لا سيما هذه الفضيلة قال التوربشتي في قوله ما لقيك الشيطان سالكا تنبيه
على صلابته في الدين واستمرار حاله على الجد الصرف والحق المحض فكان بين يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم كالسيف الصارم والحسام القاطع ان امضاه مضى وان كفه كف فلم يكن له على

الشيطان سلطان الهام من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هو كالوازع بين يدي الملك فلهذا
كان الشيطان ينحرف عن الفج الذي سلكه ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم رحمة مهداة الى العالمين
مامورا بالعفو عن المذنبين معنيا بالصفح عن الجاهلين لم يكن ليواجههم فيما لا يحمدون بفعل مكروه
او سوء ادب بالفظاظة والغلاظة والزجر البليغ اذ لا يتصور الصفح مع تلك الخلال فلهذا انساح
هو فيها وان تحسس اشعار دهن الهيبة من عمر رضي الله تعالى عنه قال النووي هذا الحديث محمول
على ظاهره وان الشيطان متى راه سالكا فجا هرب لهيبته من عمر رضي الله تعالى عنه وفارق ذلك
الفج لشدة باسه قال القاضي عياض ويحتمل انه ضرب مثلا بالشيطان واغوائه وان عمر رضي الله تعالى
عنه فارق سبيل الشيطان وسلك طريق السداد وخالف ما يامر به والصحيح الاول
متفق عليه وكذا اخرجه احمد واخرجه النسائي والبوحاتم والطبراني ولفظه فيما سبق سمعت صوت عمر انتهى وقال الحميدي
واسكن في ذلك وان بدعى تعالى عمر بابي وانه الفيصل الحديث من غير ذكر جوابه
اي يبقى معه بين الصحيحين زاد البرقاني بفتح الموحدة وقد يكسر منسوب الى برقان قرية من قرى خوارزم
بعد قوله يا رسول الله ما اضحكك انتهى فكانه حذفه بعض الرواة نسيانا او اختصارا لظهوره
او هذا من زيادة بعض الثقات او من ادراج بعض الرواة والمعنى عليه كما اشار اليه شارح الحديث اليه
وعن جابر قال قال النبي وفي نسخة رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة اي ليلة المعراج
او في عالم الكشف او حالة الرؤيا فاذا انا بالرميصا بالصاد المهملة تصغير رمصا وهي امراة في عينها
رمص بفتحتين وهو ما جمد من الوسخ في الموق وهو ههنا اسم ام انس ولقبها امراة ابي طلحة بدلا وعطف
بيان ويجوز رفعها وكذا نصبها سمعت خشفة بفتح المعجمتين والفاء اي حركة وزنا ومعنى وفي نسخة
بالسكون اي صوتا في المشي قال الخشفة بفتح الخاء وسكون الشين هو الصوت ليس بالشديد
قال ابو عبيد وقال الفراء هو الصوت الواحد وبتحريك الشين الحركة وفي النهاية الخشفة بالفتح
والسكون الحركة وقال شارح هي صوت زجر النعل وهي في الاصل الحركة انتهى والمراد هنا صوت النعل
الناشي من حركة الماشي فقلت من هذا اي المتحرك وصاحب الحركة فقال اي قائل من جبريل او غيره من الملائكة
او حور الجنة هذا بلال ورايت قصرا بفنائه بكسر الفاء وتخفيف النون والمد اي بما امتد من جوانبه
جارية اي مملوكة او حورا فقلت لمن هذا اي القصر وما فيه وفي حواشيه فقالوا وفي نسخة قال الا
جماعة من اهل الجنة او من سكان القصر لعمر بن الخطاب فاردت ان ادخله اي القصر انظر المفصلا وفي
باطنه كما رايت ظاهره فذكرت غيرتك اي شدتها وحدتها وفي القاموس يقال غار على امراته وهي عليه تغار
غيرة بالفتح فقال عمر بابي انت وامي الباء للتعدية وانت مبتدا وبابي خبره اي انت مفدي بابي
وامي كذلك وفي نسخة بابي وامي اي انت مفدي بهما والمعنى جعلهما الله فداك يا رسول الله اعليك اي
على فعلك او دخولك اغار منكم من العكس وقيل في الكلام قلب والاصل ابعها اغار منك وزاد عبد
العزيز وهل رفعني الله الا بك وهل هداني الله الا بك ذكره السيوطي متفق عليه ورواه احمد والترمذي
وابن حبان والنسائي عن انس واخرجه الشيخان عن جابر واحمد ايضا عن بريدة وعن معاذ مرفوعا
دخلت الجنة فاذا انا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا القصر قالوا لشاب من قريش فظننت اني انا
هو فقلت ومن هو قالوا عمر بن الخطاب فلولا ما علمت من غيرتك لدخلته ورواه احمد ومسلم
والنسائي عن انس مرفوعا دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي فقلت ما هذه الخشفة فقيل
الغميصا بنت ملحان ورواه عبد بن حميد عن انس والطبراني عن جابر بلفظ دخلت الجنة فسمعت
خشفة فقلت ما هذه قالوا هذا بلال ثم دخلت الجنة فقلت ما هذه فقالوا هذه الغميصا بنت
ملحان قال في الرياض عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة
فرايت قصرا من ذهب ولؤلؤ فقلت لمن هذا القصر قالوا لعمر بن الخطاب فما منعني ان ادخله الا علمي

بغيرتك قال عليك اغار يا رسول الله واني عليك اغار اخرجه ابو حاتم واخرجه مسلم ولم يقل من ذهب
ولؤلؤ وعن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلت الجنة فاذا انا بقصر من ذهب
قالوا لعمر بن الخطاب اخرجه احمد وابو حاتم وعن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا
نائم رايتني في الجنة فاذا انا بامراة تتوضا الى جانب قصر فقلت لمن هذا فقالت لعمر بن الخطاب
فذكرت غيرة عمر فوليت مدبرا قال ابو هريرة فبكى عمر ونحن جميع في ذلك المجلس ثم قال بابي انت وامي
يا رسول الله اعليك اغار اخرجه مسلم والترمذي وابو حاتم وعن بريدة قال لما اصبح رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعا بلالا فقال يا بلال بم سبقتني الى الجنة ما دخلت الجنة الا سمعت
خشخشتك امامي دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك امامي فاتيت على قصر مربع
مشرف من ذهب فقلت لمن هذا القصر فقالوا لرجل من قريش فقلت انا قرشي لمن هذا القصر فقالوا
لرجل من امة محمد صلى الله عليه وسلم قال انا محمد لمن هذا القصر قالوا لعمر بن الخطاب فقال بلال
يا رسول الله ما اذنت قط الا صليت ركعتين وما اصابني حدث قط الا توضات عنده ورايت
ان لله علي ركعتين فقال صلى الله عليه وسلم بهما وعن ابي سعيد رضي الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم رايت الناس يعرضون علي وعليهم قمص بضمتين
جمع قميص والجملة حالية منها اي من القمص ما يبلغ الثدي بضم المثلثة وكسر الدال وتشديد
التحتية جمع الثدي وفي نسخة بالفتح والسكون والتخفيف فهو مفرد اريد به الجنس ومنها
ما دون ذلك اي قمص اقصر منه او اطول منها واعم منها بناء على ان دون ذلك بمعنى غير ذلك لقوله
تعالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك وفي فتح الباري يحتمل ان يريد دونه من جهة السفل
وهو الظاهر فيكون اطول ويحتمل ان يريد دونه من جهة العلو فيكون اقصر ويؤيد الاول ما في رواية
الحكيم الترمذي من طريق اخرى عن ابن المبارك عن يونس عن الزهري في هذا الحديث فمنهم من كان
قميصه الى سرته ومنهم من كان قميصه الى ركبته ومنهم من كان قميصه الى انصاف ساقيه
انتهى وفي رواية الرياض ومنها ما هو اسفل من ذلك وعرض علي عمر بن الخطاب اي
فيما بينهم وعليه قميص اي عظيم يجره اي يسحبه في الارض لطوله قالوا اي بعض الصحابة من
الحاضرين فما اولت ذلك يا رسول الله اي فما عبرت جر القميص لعمر قال الدين بالنصب اي اولت
الدين وفي نسخة بالرفع اي المراد به هو الدين والمعنى بقاء الدين في اثار
خلافته مع طول زمان امارته وبقاء اثر فتوحاته خارجا عن وفاته ولا ان الدين يشمل الانسان
ويحفظه ويقيه المخالفات كوقاية الثوب وشموله قال النووي القميص الدين وجره يدل
على بقاء اثاره الجميلة وسنته الحسنة في المسلمين بعد وفاته ليقتدى به واما تفسير
اللبن بالعلم فلكثرة الانتفاع بهما وفي انهما سببا الصلاح فاللبن غذاء الانسان وسبب
صلاحهم وقوة ابدانهم والعلم سبب الصلاح وغذاء للارواح في الدنيا والاخرة متفق عليه
ورواه احمد وابو حاتم وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
بينا انا نائم اتيت بقدح لبن وفي رواية اذ رايت قدحا اتيت به فيه لبن فشربت حتى اني
بكسر الهمزة وقد يفتح لارى الري بكسر الراء وتشديد الياء اي اثر اللبن من الماء يخرج اي يظهر وفي
رواية يجري في اظفاري ثم اعطيت فضلي اي سؤري لكبير الخلفاء عمر بن الخطاب فلا ينافي
ان سورة حصل للصديق ايضا فانه كان قليلا جدا ولان سوره لعثمان وعلي ايضا ومما ناله
لهما لم يكن صافيا قالوا فما اولته اي اللبن وفي رواية فما اولت ذلك يا رسول الله قال
العلم بالنصب وروي بالرفع على ما قدمناه والمراد بالعلم هو علم الدين والله اعلم قال العلماء
يعني عالم الاجسام وعالم الارواح علم اخر يقال له عالم المثال وهو نوراني شبيه بالجسماني

والنوم سبب لسير الروح المنور في عالم المثال وترائيه ما فيه من الصور غير الجسدانية والعلم مصور
بصور اللبن في ذلك العالم بمناسبة أن اللبن أول غذاء البدن وسبب صلاحه والعلم أول غذاء
الروح وسبب صلاحه وقيل في تخصيص اللبن لأن في الجنة أربع أنهار من الماء واللبن والخمر والعسل وتلك
الأنهار ذكرت أنها في الجنة فمن شرب الماء يعطى العلم اللدني ومن شرب اللبن يعطى بأسرار الشريعة
ومن شرب الخمر يعطى العلم بالكمال ومن شرب العسل يعطى العلم بطريق الوحي وقد قال بعض
العارفين أن الأنهار الأربعة عبارة عن الخلفاء الأربعة تخصيص اللبن بعمر رضي الله تعالى عنه
في هذا الحديث وأما الري في العلم فقد اختلف فيه فمنهم من قال بوجوده لأن الاستعداد
متناه ولا يزيد على ما رتب له فيحصل الري وظاهر الحديث معهم ومنهم من قال بعدمه لقوله
تعالى وقل رب زدني علماً فالأمر بطلب زيادة العلم بلا ذكر النهاية يدل على أنه لا ينتهي ولذا
قيل من لم يكن في زيادة فهو في نقصان وإن التوقف ليس في طور الإنسان ويدل عليه حديث
منهومان لا يشبعان ومنه ما نقل عن أبي يزيد البسطامي قدس الله سره السامي أنه قال

شربت الحب كأساً بعد كأس ... فما نفد الشراب وما رويت

ويمكن الجواب عن دليلهم بأن العلم إذا حصل بقدر الاستعداد القابل أعطاه الله
تعالى استعداد العلم آخر فيحصل له عطش آخر وعن هذا قيل طالب العلم كشارب البحر كلما ازداد
شرباً ازداد عطشاً وعن الحديث بأنه محمول على البداية قبل نزول الآية التي تدل على عدم
النهاية متفق عليه وأخرجه أحمد وأبو حاتم والترمذي وصححه ولهذا بلغ علمه ما روي عن ابن مسعود
أنه قال لو جمع علم أحياء العرب في كفة ميزان ووضع علم عمر في كفة لرجح علم عمر ولقد كانوا يرون
أنه ذهب بتسعة أعشار العلم وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول بينا أنا نائم رأيتني على قليب أي بئر لم تطو وضدها المطوية بالحجارة والآجر
عليها أي فوقها دلو أي دلو معلقة عليها فنزعت أي جذبت منها منها ما شاء الله أي ما قدر
الله وقضاه ثم أخذها أي الدلو ابن أبي قحافة بضم القاف فنزع منها ذنوباً بفتح الذال المعجمة
وهو الدلو فيها ماء أو الملأى أو دون الملأى كذا في القاموس أو ذنوبين شك من الراوي والصحيح
رواية ذنوبين ذكره ابن الملك والأظهر أو بمعنى بل فلا يحتاج إلى تغليط الراوي وإلا في
شكه وتردده ويمكن أن يكون المراد بذكرها الإشارة إلى قلته مع عدم النظر عن تحقق عدده
وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه جملة حالية دعائية وقعت اعتراضية مبينة أن
الضعف الذي وجد في نزعه لما يقتضيه تغير الزمان وقلة الأعوان غير راجع إليه بنقيصة
ثم استحالت أي انقلبت الدلو التي كانت ذنوباً غرباً بفتح فسكون أي دلواً عظيمة كما في القاموس
وزاد ابن الملك التي يتخذ من جلد ثور فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقرياً بتشديد الياء النخبة أي
رجلاً قوياً من الناس ينزع بكسر الزاي نزع عمر أي جذبه وهو مفعول مطلق حتى ضرب الناس
بعطن بفتحتين أي حتى أرواهم فبركوها وضربوا لها عطناً وهو مبرك الإبل حول الماء قال القاضي
لعل التغليب إشارة إلى الدين الذي هو منبع ما به يحيى النفوس ويتم أمر المعاش ونزع الماء
ذلك إشارة إلى أن هذا الأمر ينتهي من الرسول عليه السلام إلى أبي بكر ومنه إلى عمر ونزع أبي بكر
ذنوباً أو ذنوبين إشارة إلى قصر مدة خلافته وأن الأمر يكون بيده سنة أو سنتين ثم
ينتقل إلى عمر وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وضعفه فيه إشارة إلى ما كان في أيامه
من الاضطراب والارتداد واختلاف الكلمة أو إلى ما كان له من لين الجانب وقلة السياسة
والمداراة مع الناس ويدل على هذا قوله والله يغفر له ضعفه وهو اعتراض ذكره صلى الله عليه
وسلم ليعلم أن ذلك موضوع ومغفور عنه غير قادح في منصبه ومصير الدلو في

نوبته

في نوبته عمر وهو الدلو الكبير الذي يستقى به البعير إشارة إلى ما كان في أيامه من تنظيم الدين
وإعلاء كلمة الله وتوسع خطته وقوته وجده في النزع إشارة إلى ما اجتهد في إعلاء أمر الدين
وانتشاره في مشارق الأرض ومغاربها اجتهاداً لم يتفق لأحد قبله ولا بعده والعبقري القوي
وقيل العبقر اسم واد يزعم العرب أن الجن تسكنه فنسبوا كل من تعجبوا منه من أمر كنوه ونحوها
فكأنهم وجدوا ما وجدوا منه خارجاً عن وسع الإنسان فحسبوه أن جنياً من العبقر ثم قالوا
لكل شيء نفيس وقال النووي قوله في نزعه ضعف ليس فيه حط لمنزلته ولا إثبات فضيلة
لعمر عليه وإنما هو إخبار عن مدة ولايتهما وكثرة انتفاع الناس في ولاية عمر لطولها ولاتساع
الإسلام وفتح البلاد وحصول الأموال والغنائم وأما قوله والله يغفر له ضعفه فليس
فيه تنقيص ولا إشارة إلى ذنب وإنما هي كلمة كان المسلمون يزينون بها كلامهم وقد جاء في صحيح
مسلم أنها كلمة كان المسلمون يقولونها افعل كذا والله يغفر لك وفي قوله فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذ
ابن أبي قحافة إشارة إلى أن أبا بكر خليفة بعده وأن راحته صلى الله عليه وسلم بموته من نصب الدنيا
ومشقتها وفي قوله ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر إلى آخر قوله وضربوا بعطن إشارة إلى أن أبا بكر قاتل أهل
الردة وجمع شمل المسلمين وابتدأ الفتوح ومهد الأمور وتمت ثمرات ذلك وتكاملت في زمن عمر رضي
الله تعالى عنهما وفي رواية ابن عمر قال ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر فاستحالت في يده
غرباً فلم أر عبقرياً يفري فريه بفتح فسكون وفي نسخة بفتح فكسر فتشديد أي
أي يعمل عمله قال النووي يروى بإسكان الراء وتخفيف الياء وبكسر الراء وتشديد الياء وهما لغتان
صحيحتان وأنكر الخليل التشديد ومعناه لم أر سيداً يعمل عمله ويقطع قطعه وأصل الفري
بالإسكان القطع تقول العرب تركته يفري الفري إذا عمل العمل فأجاد تشبيه للمفهوم من
الرؤيا أن الرواية الأولى لمسلم وحده وأن الرواية الثانية لهما ولأحمد وزاد بعد قوله يفري
فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن وفي بعض الطرق رأيت إلى أنزع على حوض فأخذ أبو بكر الدلو
من يدي فنزع ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له فأخذها ابن الخطاب حتى تولى الناس
والحوض يتفجر أخرجه أحمد والترمذي والحديث مناسب لباب مناقب الشيخين لكن لما كان
فيه زيادة مدح لعمر خص بباب مناقبه انتهى والله أعلم الفصل الثاني عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله جعل الحق أي أظهره ووضعه على لسان عمر وقلبه قال
الطيبي ضمن جعل معنى أجرى فعداه بعلى وفيه معنى ظهور الحق واستعلائه على لسانه وفي وضع
الجعل موضع أجرى إشعار بأن ذلك كان خلقياً ثابتاً مستقراً رواه الترمذي أي وصححه وكذا رواه أحمد
وأبو حاتم عن أبي هريرة وعن ابن عمر مثله وفي رواية بعد قوله وقلبه يقول الحق وإذا كان في رواية
أن الله تعالى نزل الحق على قلب عمر ولسانه أخرجه البغوي في الفضائل وفي رواية أبي داود عن
أبي ذر قال إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به أي عمر به أي بالحق أو النفذ يقول
الحق بسبب ذلك الموضع والجملة استئناف بيان وقال غيابه وعن علي رضي الله تعالى عنه
قال ما كنا أي أهل البيت أو معشر الصحابة وتوقيه رواية وغير متوافرون أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم نبعد من الإبعاد بمعنى الاستبعاد وقيل معناه ما كنا نبعد
بعيداً أن السكينة أي ما به تسكين النفس والميل إليه وتطيب به القلب ويعتمد عليه تنطق
أي تجري على لسان عمر أي من قبله وقد قال ابن مسعود ما رأيت عمر قط إلا وكأن بين عينيه ملكاً
يسدده قال التوربشتي أي لم يكن يبعد أنه ينطق بما يستحق أن تسكن إليه النفوس وتطيب
به القلوب وأنه أمر غيبي ألقي على لسانه ويحتمل أنه أراد بالسكينة الملك الذي يلهمه ذلك القول
وفيه لها فيه قيل أراد بها السكينة التي ذكرها الله في كتابه العزيز وقيل في تفسيرها أنها حيوان

له وجه كوجه الانسان مجتمع وسائره خلق رقيق كالريح والهوا وقيل هي صورة كالهرة كانت معهم في جيوشهم
فاذا ظهرت انهزم اعداؤهم وقيل هي ما كانوا يسكنون اليه من الايات التي اعطيها موسى عليه السلام والاشبه
بحديث عمر انه يكون من الصورة المذكورة ذكره الطيبي ولا يخفى بعد ارادة القولين فالاقرب من القول
الاخير الذي اشار اليه التوربشتي والاولى ان يحمل على معناه في جميع ما جاء في القران من لفظ السكينة
كقوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين وقوله فانزل الله سكينته على رسوله وعلى
المؤمنين ونحو ذلك رواه البيهقي في دلائل النبوة وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
الظاهر انه من المراسيل قال اللهم اعز الاسلام اي قوه بابي جهل بن هشام او بعمر بن الخطاب
او للتنويع لا للشك ولا يبعد ان يكون بل للاضراب فاصبح عمر اي دخل في الصباح فغدا اي ذهب عليه السلام
قيل غدا اي انطلق ذاهبا غدوة او ذهابا على النبي صلى الله عليه وسلم قال الطيبي هو ماخوذ
اي غدا متصلا في النبي صلى الله عليه وسلم او ضمن غدا معنى اقبل ونحوه قوله تعالى وغدوا على حرد
قادرين انتهى فعلى الاول غدا من الافعال الناقصة وعلى الثاني يتعلق على بغدا فاسلم ثم
صلى اي النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة بصيغة المجهول اي صلى المسلمون في المسجد
ظاهرا [illegible] ورواه الحاكم ابو عبد الله في دلائل النبوة عن ابن عباس ان ابا جهل
قال من قتل محمدا فله علي مائة ناقة والف اوقية من فضة فقال عمر الضمان صحيح فقال نعم عاجلا غير اجل
فخرج عمر فلقيه رجل فقال اين تريد فقال اريد محمدا ثم قال الا ادلك انهم قد صبوا قال الا الخبر
بالعجب من هذا ان اختك وختنك قد صبوا وتركا دينك فتوجه عمر الى منزل اخته وكانت تقرا سورة طه
فوقف يستمع ثم قرع الباب فاخفوه فقال عمر ما هذه الهينمة فاظهرت الاسلام فاخذ عمر الكتاب
فانزل لذلك الى الذي من الاخت وزوجها يقرا طه ما انزلنا عليك القران لتشقى فلما سمع قال
ناوليني الكتاب حتى انظر فيه فلما قراه الى قوله الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى قال اللهم ان هذا
اهل ان يعبد سواه اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فبات ساهرا يقول في كل
ساعة واشوقاه الى محمد حتى اصبح فدخل عليه خباب بن الارت فقال يا عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بات الليلة يدعو الله بان يعز الاسلام بك او بابي جهل وانا ارجوا ان تكون
دعوته قد سبقت فيك فخرج متقلدا سيفه فلما وصل الى المنزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عمر اسلم او ينزل الله بك ما انزل بالوليد بن المغيرة
فارتعدت فرائص عمر ووقع السيف من يده فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
فقال لا تعبدوا اللات والعزى فتعبد على رؤوس الجبال وفي بطون الاودية والله يعبد سرا والله لا يعبد الله
سرا بعد يومنا هذا رواه احمد والترمذي وانتهت روايته الى قوله فاسلم ولم يذكر ما بعده الى اخره وقال
غريب من هذا الوجه وفي سنده ابو عمرو بن النضر تكلم فيه بعضهم وقال الذهبي المناكير قبل حنظلة
انتهى وزيادة ثم صلى الى اخره رواه محيي السنة في شرح السنة من جهة الحديث في هذا السند ذكره
ميرك وقال ابن الربيع في مختصر المقاصد الحسنة للسخاوي حديث اللهم ايد الاسلام باحب هذين
الرجلين اليك بابي جهل او بعمر بن الخطاب رواه الامام احمد والترمذي في جامعه وغيرهما عن ابن عمر
به مرفوعا وقال الترمذي حسن صحيح غريب وصححه ابن حبان والحاكم في مستدركه عن ابن عباس اللهم
ايد الدين بعمر بن الخطاب وفي لفظ اعز الاسلام بعمر وقال انه صحيح الاسناد وفيه عن عائشة اللهم اعز
الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة وقال انه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه قلت واما ما يدور على الالسنة
من قوله اللهم ايد الاسلام باحد العمرين فلا اعلم له اصلا انتهى كلامه وقال الزركشي حديث اللهم اعز
الاسلام الخ رواه الترمذي وروى الحاكم عن عائشة اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة وقال
صحيح على شرط الشيخين وذكر ابو بكر التاريخي عن عكرمة انه سئل عن حديث اللهم ايد الاسلام فقال

معاذ الله قد اعز الله الاسلام من ذلك ولكنه قال اللهم اعز عمر بالدين او ابا جهل انتهى لمنافرته لما ورد من
الحديث بخلافه وقد روي من قبيل قوله تعالى فعززنا بثالث اي قوينا الرسولين وثانيهما من القلب من باب
قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القران باصواتكم على انه يحتمل ان يكون من نوع القلب في الكلام كما في عرضت
الناقة على الحوض ولذا ورد ايضا زينوا اصواتكم بالقران والحاصل انه اذا صحت الرواية وطابقت الدراية
فلا وجه للتخطئة ثم لا شك في حصول اعزاز الدين به رضي الله تعالى عنه اولا من اخفائه الى اعلانه كما في
قوله تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وهو كمال الاربعين ابدا الى ذلك واخرا من فتوحات
البلاد وكثرة ايمان العباد وفيما بينهما من تغليظه على المنافقين والمشركين كما في قوله تعالى اشداء على الكفار
رحماء بينهم وما تم امر خلافة الصديق رضي الله عنه مع المرتدين الا بمعونته وما فتح باب النزاع والمخالفة
الباغية في المقاتلة فيما بين المسلمين الا بعد موته وبعد غيبته ولعله صلى الله عليه وسلم اشار بذلك
في قوله لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب وقال داود بن الحصين والزهري لما اسلم عمر نزل جبريل فقال
يا محمد استبشر اهل السماء باسلام عمر وهو مروي عن ابن عباس فيما رواه ابن ماجه والدارقطني وقال المؤلف
هو عدوي قرشي يكنى ابا حفص اسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس بعد اربعين رجلا واحدى
عشرة امراة ويقال به تمت الاربعون قال ابن عباس سالت عمر بن الخطاب لاي شيء سميت الفاروق
فقال اسلم حمزة قبلي بثلاثة ايام ثم شرح الله صدري للاسلام فقلت الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى
فما في الارض نسمة احب الي من نسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اين رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالت اختي هو في دار الارقم عند الصفا فاتيت الدار وحمزة في اصحابه
جلوس في الدار ورسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت فضربت الباب فاستجمع القوم
فقال لهم حمزة ما لكم قالوا عمر بن الخطاب قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ بمجامع
ثيابي ثم نترني نترة فما تمالكت ان وقعت على ركبتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انت بمنته
يا عمر فقلت اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فكبر اهل الدار
تكبيرة سمعها اهل المسجد فقلت يا رسول الله السنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى
والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم فقلت ففيم الاختفاء والذي بعثك بالحق لتخرجن
فاخرجناه صلى الله عليه وسلم في صفين حمزة في احدهما وانا في الاخر وله كديد ككديد الطحين
حتى دخلنا المسجد فنظرت الي قريش والى حمزة فاصابتهم كابة لم يصبهم مثلها فسماني رسول
الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق فرق الله بي بين الحق والباطل انتهى وذكر اهل التفسير
عن ابن عباس ايضا ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه
المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي
فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال مكانكما حتى اخرج
اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض
بقضاء الله ورسوله فنزلت الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من
قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنت
اظن ان يجترئ عمر على قتل مؤمن فانزل الله تعالى الاية فهدر دم ذلك الرجل وبرئ عمر من قتله
فلهما وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق قال السيوطي
وورد ايضا بلفظ ابن عمر من حديث عمر نفسه اخرجه البيهقي في الدلائل ومن حديث انس اخرجه
البيهقي ومن حديث ابن مسعود اخرجه الحاكم ومن حديث ربيعة السعدي اخرجه البغوي
في معجمه ومن حديث ابن عباس وخباب اخرجهما ابن عساكر في تاريخه ومن حديث عثمان بن

به

لا تقدم من مرسل سعيد بن المسيب ومراسيل الزهري اخرجهما ابن سعد في الطبقات وورد بلفظه
عائشة من حديث ابن عباس رواه الحاكم ومن حديث ابن عمر اخرجه ابن سعد ومن حديث ابي بكر الصديق
اخرجه الطبراني في الاوسط ومن حديث ابن مسعود اخرجه ابن عساكر ومن حديث ثوبان اخرجه الطبراني
ومن مرسل الحسن اخرجه ابن سعد وقال ابن عساكر في الجمع بين اللفظين انه دعا بالاول
اولا فلما اوحي اليه ان ابا جهل لن يسلم خص عمر بدعائه فيرى جيب دينه وقد اشتهر هذا الحديث على
الالسنة بلفظ باحب العمرين ولا اصل له من طرق الحديث بعد الفحص البالغ انتهى كلام السيوطي رحمه الله
وعن جابر قال قال عمر لابي بكر يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر اما
للتنبيه انك ان قلت ذلك اي اذ قلت ذلك الكلام وعظمتني من بين الانام فاجازيك بمثل
هذا المرام من التبشير في هذا المقام فلقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر دهرا اما محمول على ايام خلافته او مقيد ببعد ابي بكر او انه
في باب العدالة او في طريق السياسة ونحو ذلك جمعا بين الالفاظ الواردة في السنة قال
الطيبي جواب قسم محذوف ونحو جوابا للشرط على سبيل الاخبار كانه انكر عليه قوله يا خير الناس
بعد رسول الله لقوله ما طلعت الشمس الخ ونحوه في الاخبار رواه انكار نعت له تنبيها فكم من
نعمة من الله انتهى والتحقيق ما قدمناه مع ان ينبغي الاية هو الاخبار عن كون النعمة من الله
على طريق الاعتراف ولا ان كان يتضمن انكارا انه يكون نعمة من الاعتبار صحيحا في نظر الابرار
ومثل هذه الاخبار كافية للبيبي في الدارين رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب
في النقد في الميزان شرح هذا الحديث تضعيفه واقول يقويه ما في الجامع من ان قوله ما طلعت
الشمس على رجل خير من عمر رواه الترمذي والحاكم في مستدركه عن ابي بكر مرفوعا وقد اخرج البغوي
في الفضائل عن ثابت بن الحجاج قال خطب عمر ابنة ابي سفيان فابوا ان يزوجوه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتي المدينة خير من عمر ولا شك ان المراد بعده صلى الله عليه وسلم
وبعد ابي بكر لما تقدم والله اعلم وعن عقبة بن عامر قال قال النبي وفي نسخة رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب
بل هو حسن في نسخة من الترمذي وقد نقد ابن الجوزي ايضا عنه ورواه ايضا احمد في مسنده
والحاكم في صحيحه والطبراني عن عصمة بن مالك وفي بعض طرق الحديث لو لم ابعث لبعثت
يا عمر وعن بريدة بالتصغير قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه اي من
غزواته فلما انصرف جاءت اي الى النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة جاءت جارية سوداء فقالت
يا رسول الله اني كنت نذرت ان ردك الله صالحا اي منصورا وفي رواية سالما ان اضرب
بين يديك اي قدامك وفي حضورك بالدف بضم الدال وتشديد الفاء وهو افصح واشهر وروي
الفتح ايضا ما يطبل به والمراد به الدف الذي كان في زمن المتقدمين واما ما فيه الجلاجل
فينبغي ان يكون مكروها اتفاقا وفيه دليل على ان الوفاء بالنذر الذي فيه قربة واجب والسرور
بمقدمه صلى الله عليه وسلم قربة سيما من الغزو الذي فيه تهلك الانفس وعلى ان الضرب
بالدف مباح وفي قولها واتغنى دليل على ان سماع صوت المرأة بالغناء مباح اذا خلا عن
الفتنة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نذرت فاضربي والا فلا قيل
دل لفظه على ان الضرب بالدف لا يجوز الا بالنذر ونحوه مما ورد فيه الاذن من الشارع
كضربه في اعلان النكاح فما استشهد به بعض مشايخ اليمن من ضرب الدف حال الذكر فمر انه قبيح
الفضيح والله ولي دينه وناصر نبيه فجعلت تضرب فدخل ابو بكر وهي تضرب ثم دخل علي
وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب ثم دخل عمر فالقت الدف تحت استها بهمزة وصل مكسورة

وسكون

وسكون بين اليتيها ثم رفعتها ووضعته تحتها ثم قعدت عليها اي على استها لتستره عن عمر رضي الله عنه
وفي رواية ثم قعدت عليه اي على الدف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليخاف
منك يا عمر يريد به تلك المرأة السوداء لانها شيطان الانس وتفعل فعل الشيطان او المراد شيطانها
الذي يحملها على فعلها المكروه وهو زيادة الضرب التي هي من جنس اللهو على ما حصل به اظهار الفرح
اني كنت جالسا استئناف تعليل وهي تضرب فدخل ابو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي
تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخلت انت يا عمر القت الدف اي تحت استها ثم قعدت
عليها قال التوربشتي وانما مكنها صلى الله عليه وسلم من ضرب الدف بين يديه لانها نذرت فدل
نذرها على انها عدت انصرافه على حال السلامة نعمة من نعم الله عليها فانقلب الامر فيه من صنعة
اللهو الى صنعة الحق ومن المكروه الى المستحب ثم انه لم يكن يكره من ذلك ما يقع به الوفاء بالنذر
وقد حصل ذلك بادنى ضرب ثم عاد الامر في الزيادة الى حد المكروه ولم ير ان يمنعها لانه لو منعها
صلى الله عليه وسلم كان يرجع الى حد التحريم فلذلك سكت عنها وحمد انتهاؤها عما كانت فيه بمجيء
عمر انتهى وفيه انه كان يمكن ان يمنعها منعا لا يرجع الى حد التحريم قال الطيبي فان قلت
كيف قرر امساكها عن ضرب الدف هاهنا بمجيء عمر ووصفه بقوله ان الشيطان ليخاف منك
يا عمر ولم يقرر انتهاء ابي بكر رضي الله تعالى عنه الجاريتين اللتين كانتا تدففان ايام
منى قلت منع ابو بكر بقوله دعهما وعلله بقوله فانها ايام عيد وقرر ذلك هاهنا فدل
ذلك على ان الحالات والمقامات متفاوتة فمن حالة تقتضي الاستمرار ومن حالة تقتضي الانقضاء
اقول ويمكن ان يقال منع الصديق لهما عن فعلهما بحضور الحضرة النبوية لا يخلو انه من قصور
اداب البشرية فلذا ما زجره ذلك وبين له سبب استمرار فعلهما هنالك واما هنا فلو دخل عمر
وراها على حالها بحضرة [illegible] عن النبي صلى الله عليه وسلم فتحا به لم يكن يمنعها كما هو مقتضى حسن
ادابه لكن لما جعل الله ما ناداه لانتهائها عن فعلها المكروه بحسب اصله ولزيادته عما يتم
نذرها استحسنه صلى الله عليه وسلم وقرر امتناعها ونزل منعه بالقوة الالهية الغالبة
على الارادة الشيطانية وبين انه صلى الله عليه وسلم علم انتهاءها عما كانت فيه بمجيء عمر ليمسك
لتظهر بذلك فضل عمر ويقويه قال انتهى ولا يخفى ان هذه العلة [illegible]
لا يبعد ان يكون انتهى [illegible] ضرب الدف على طريق العرف بابتدائها في عمر في مجلس الحضرة النبوية
والظن ان هذا اظهر مما تقدم والله اعلم [illegible] ظهر لي وجه وهو ان يقال ان عمر رضي الله تعالى عنه
ما كان يحب ما صورته يشبه الباطل وان كان [illegible] ويؤيده ما روي عن الاسود بن سريع
قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني قد حمدت الله بمحامد فقال
عليه السلام ان ربك تعالى يحب المدح هات ما امتدحت به ربك قال فجعلت انشده فجاء رجل
[illegible] فاستنصتني له رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصف لنا ابو سلمة كيف
استنصته قال كما يصنع بالهر فدخل الرجل فتكلم ساعة ثم خرج ثم اخذت انشده ايضا ثم
رجع بعد فاستنصتني فقلت يا رسول الله من ذا الذي تستنصتني له فقال هذا
رجل لا يحب الباطل هذا عمر بن الخطاب اخرجه احمد واطلق على هذا باطلا وهو متضمن
حقا لانه حمد ومدح لله لانه من جنس الباطل اذ الشعر كله جنس واحد ومن هذا القبيل
ما روي عن عائشة انها قالت اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بحريرة طبختها له
فقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي فابت فقلت لتاكلين او لالطخن
وجهك فابت فوضعت يدي في الحريرة فطليت وجهها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه لها وقال لسودة الطخي وجهها فلطخت
وجهي فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ايضا فمر عمر فنادى يا عبد الله فظن النبي صلى الله عليه

وسلم انه سيد خلق الله تعالى تزوجها عشا دخولها كما قالت عائشة فما زلت اهاب عمر لهيبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم اياه رواه ابن عساكر من حديث انها سمع وخرجه الملا في سيرته رواه الترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم جالسا فسمعنا لغطا بفتح لام وغين معجمة اي صوتا شديدا لا يفهم
وصوت صبيان فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا حبشية بفتحتين اي جارية
او امرأة منسوبة الى الحبشة تزفن بسكون الزاي وكسر الفاء وتضم اي ترقص والصبيان حولها اي
ينظرون اليها ويتفرجون عليها فقال يا عائشة تعالي اي تقدمي فانظري وهو امر مخاطبة
من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم كذا ذكره
البيضاوي وفي قوله تعالى قل تعالوا وقرئ بضم لام تعالوا فان الاصل فيه تعاليوا فنقلت فتحة
الياء الى ما قبلها بعد سلب حركة ما قبلها وحذفت الياء لالتقاء الساكنين وعلى هذا يجوز
كسر اللام في تعالي كما هو المشهور على السنة اهل زماننا خصوصا اهل الحرمين الشريفين
واما اعلال فتح اللام في الجمع والمخاطبة بناء على النقل والحذف فجئت فوضعت لحيي
بالاضافة الى يا المتكلم تثنية لحي بالفتح وتسكون الحاء المهملة منبت اللحية من الانسان على منكب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مجتمع راس الكتف والعضد فجعلت اي شرعت انظر اليها
اي الى الحبشية ما بين المنكبين ظرف لانظر حذف منه في اي فيما بين المنكب الى راسه فقال
لي اي بعد ساعة او نحوها يقول لي اما شبعت اما شبعت اي مكررا فجعلت اقول لا
اي لا لعدم الشبع حرصا على النظر اليه بل لانظر منزلتي اي نهاية مرتبتي
وغاية محبتي عنده اذ طلع عمر اي ظهر فارفض الناس عنها بتشديد الضاد المعجمة اي تفرقوا لمظانه
التي كانوا يأخذون الحبشية الرافضة عنها لهيبة عمر والخوف عن انكاره عليهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني لانظر الى شياطين الجن والانس وفي رواية شياطين الانس
والجن قد فروا من عمر قالت اي عائشة فرجعت اي من عند النبي صلى الله عليه وسلم الى بيتي
وفيه دليل على عظمة خلقه عليه السلام وغلبة صفة الجمال عليه كما يدل على غلبة نعت الجلال
على عمر رضي الله تعالى عنه رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب واخرجه ابو
السمان في الموافقة عن عائشة قالت دخلت امرأة من الانصار الي فقالت اني اعطيت لله
عهدا ان رايت النبي صلى الله عليه وسلم ان انقر على راسه بالدف قالت عائشة فاخبرت
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال قولي لها فلتف بما حلفت فقامت بالدف على راس النبي
صلى الله عليه وسلم فنقرت نقرتين او ثلاثا فاستفتح عمر فسقط الدف من يدها واسرعت الى خدر
عائشة فقالت لها عائشة ما لك قالت سمعت عمر فهبته فقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
ليفر من حس عمر انتهى والله اعلم الفصل الثالث عن ابن عمر رضي الله تعالى
عنهم قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث قال الطيبي ما احسن هذه العبارة وما الطفها حيث ادى
فيها الادب الحسن ولم يقل وافقني ربي مع ان الايات انما نزلت موافقة لرايه واجتهاده
الزائد ولعله رضي الله تعالى عنه اشار بقوله هذا الى ان فعله حادث لاحق وقضاء ربه قديم سابق
في ثلاث لكن الترمذي عن انس قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث الحديث اخرجه الشيخان
وابو حاتم قال الحافظ العسقلاني ليس في تخصيصه العدد ما ينفي الزيادة لانه حصلت
له الموافقة في اشياء من مشهورها قصة اسارى بدر وقصة الصلاة على المنافقين وهما
في الصحيح وكذا وقفت منها بالتعيين خمسة عشر او صاحب الرياض منها سبعة لفظيا
واربع معنويات واشار في النورية فاذا زدت تعقيبا ذا جمعها قلت يا رسول الله

بفتح اللام مع

... رضي الله تعالى عنهم

و

لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى اي لكان حسنا او للتمني والمراد ان يجعل مصلى للصلاة الطواف بان
يكون فيما حوله افضل فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى بكسر الخاء على الامر للاستحباب
وقيل للايجاب وفي نسخة بفتح الخاء وهي قراءة المدنيين والشامي بمرات بفتحه قال القاضي اي واتخذ
الناس منه ما اي الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها انتهى والاظهر انه خبر معنى امر وقرا بلغ
في الحكم المقدر فكانه امر به وامتثل فاخبر والمراد بمقام ابراهيم الحجر الذي اثر قدمه والموضع الذي
كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم وروي
انه عليه السلام اخذ بيد عمر رضي الله تعالى عنه فقال هذا مقام ابراهيم عليه السلام فقال عمر افلا نتخذه
مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت والمراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر
انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى قال البيضاوي وللشافعي في وجوب الركعتين قولان انتهى وواجبتان عقب كل
طواف عندنا وقلت يدخل على نسائك البر بفتح الموحدة اي البار وهو الصالح والفاجر اي الفاسق
فلو امرتهن ان يحتجبن اي عن الاجانب مطلقا فنزلت اية الحجاب وهي قوله تعالى واذا سألتموهن
متاعا فاسألوهن من وراء حجاب وقد اخرج الطبراني عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت
كنت اكل مع النبي صلى الله عليه وسلم حيسا في قعب فمر عمر فدعاه فاكل فاصابت اصبعه اصبعي
فقال حس او اوه لو اطاع فيكن ما رأتكن عين فنزلت اية الحجاب وقوله حس بكسر السين والتشديد
كلمة يقولها الانسان اذا اصابه ما احرقه كالجمرة والضربة ونحوهما فقلت عسى ربه ان
طلقكن ان يبدله واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عن عائشة رضي الله تعالى
عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلوا وكان اذا انصرف من العصر
دخل على نسائه فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها اكثر مما كان
يحتبس فغرت فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت
النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له الحديث فنزلت يا ايها النبي لم تحرم
ما احل الله لك فقلت عسى ربه ان طلقكن ان يبدله بالتشديد والتخفيف اي يعطيه بدلكن
ازواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وفي رواية لابن عمر قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث
في مقام ابراهيم وفي الحجاب وفي اسارى بدر فتفصيله باعادة الجار متفق عليه لكن الرواية
الثانية منسوبة الى مسلم على ما في الرياض واخرج الواحدي في اسباب النزول وابو الفرج عن
انس بن مالك قال قال عمر وافقت ربي في اربع قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم
مصلى فانزل الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله لو اتخذت على نسائك
حجابا فانه يدخل عليك البر والفاجر فانزل الله تعالى واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء
حجاب وقلت لازواج النبي صلى الله عليه وسلم لتنتهن او ليبدلنه الله ازواجا خيرا منكن فنزلت وقوله
تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن
الخالقين فنزلت وفي رواية فقال صلى الله عليه وسلم تزيد في القران يا عمر فنزل جبريل عليه السلام
بها وقال انها تمام الاية اخرجه السلمي والثعلبي في تفسيره وقد روي مثل ذلك عن عبد الله بن ابي
سرح كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابتلي بذلك قال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك
فارتد وقد روي انه رجع الى الاسلام واستعمله عمر وعن ابن مسعود اي موقوفا قال فضل الناس
بضم فا وتشديد ضاد معجمة ونصب الناس على انه مفعول ثان تقدم على نائب الفاعل وهو
قوله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اي فضله الله عليهم لاختصاصه باربع اي من الخصال بذكر
الاسارى يوم بدر اي بذكرهم اياهم وبذكرهم عنده يوم بدر امر بقتلهم فاستشب ذلك فانزل الله

٥

تعالى لولا كتاب أي مكتوب أو حكم من الله سبق أي إثباته في اللوح أو في العلم بأنه لا يعاقب المخطئ في
اجتهاده أو أن أهل بدر مغفور لهم لمسكم أي لأصابكم فيما أخذتم أي من الفداء عوضا عذاب عظيم
أي في الدنيا قبل الآخرة وكان أخذهم الفدية يوم بدر من الكفار خطأ في الاجتهاد مبنيا على أن
أخذ المال منهم أنسب ليتقوى المؤمنون به ولعلهم يؤمنون به بعد ذلك وذهب إليه أبو بكر ومن
تبعه من أرباب الجمال وقد ينبغي قتلهم فإنهم أئمة الكفر ورؤساؤهم وهو قول عمر ونفر من أصحاب
الجلال ولما كان صلى الله عليه وسلم من كمال ميله إلى الجمال اختار قول الصديق في الحال وكان
مطابقا لما في الأزل لأن الإسلام حسن المآل وتفصيله على ما في الرياض عن ابن عباس عن عمر قال
لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترون في هؤلاء الأسارى فقال أبو بكر يا رسول
الله بنو العم وبنو العشيرة والإخوان غير أنا نأخذ منهم الفداء فيكون لنا قوة على المشركين وعسى
الله أن يهديهم إلى الإسلام ويكونوا لنا عضدا قال فما ترى يا ابن الخطاب قلت يا رسول
الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدهم فنقربهم فنضرب أعناقهم قال
فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء فلما أصبحت
غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان قلت يا نبي الله
من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإلا تباكيت لبكائكما فقال لقد عرض علي
عذابكم أدنى من الشجرة وشجرة قريبة حينئذ فأنزل الله تعالى ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى
يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة أخرجه مسلم وعند البخاري معناه وفي
رواية أحمد نزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم الآية وفي طريق أن النبي صلى
الله عليه وسلم لقي عمر فقال لقد كاد يصيبنا بلاء أخرجه الواحدي في مسنده في أسباب النزول وفي بعضها
لقد كاد يصيبنا بخلافك شر يا ابن الخطاب وفي رواية لو نزل من السماء عذاب لما نجا منه إلا عمر
وفي هذه الآية دليل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يحكم باجتهاده وبذكر الحجاب
والضمير لعمر أمرت النبي صلى الله عليه وسلم أن يحتجبن فقالت له زينب ابنة جحش وهي
بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم وأحد أمهات المؤمنين وإنك علينا أي تحكم أو تغار يا ابن
الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا جملة حالية فأنزل الله تعالى وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن
بالهمز وتفعله أي اطلبوهن حال كونهن من وراء حجاب أي ستر وفي دعوة النبي أي وبإجابة دعاء النبي
صلى الله عليه وسلم في حقه بقوله اللهم أيد الإسلام أي أعزه بعمر وبرأيه في أبي بكر رضي الله تعالى
عنه أي وباجتهاده في شأن أبي بكر حال خلافته كان أول ناس وفي نسخة صحيحة أول الناس
بايعه أي بايع أبا بكر ثم تبعه الناس رواه أحمد وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذاك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة قال أبو سعيد والله ما كنا نرى بضم النون وفتح
الراء أي ما كنا نظن ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب حتى مضى سبيله أي مات عمر وفيه دفع لتوهم أنه
وقع له تغيير في آخر عمره رواه ابن ماجه قال الطيبي فإن قلت فيلزم من هذا أنه أفضل
من أبي بكر قلت قوله صلى الله عليه وسلم ذاك الرجل إشارة إلى مبهم والمقصد فيه أن يجتهد
ويتحرى كل واحد من أمته أن ينال تلك الدرجة وإنما بيان أبي سعيد للعمل وتحري الأصوب من أهل الخلال
الفاضلة والاجتهاد في الدين والمواظبة على الخيرات ولم يشاهد هذه الخلال في أحد كما شاهد
منه رضي الله تعالى عنه من أول حاله إلى انتهائه وبهذا الغيب سقطوا أن المشار إليه هو لا غير وبحوم
اختفائه لئن العذر في البيان فلا يلزم من هذا أنه أفضل من أبي بكر وأيضا يجوز أن يحمل على الخصوص
ويؤيده التعريض ألم ترَ الحديث الذي يتلوه انتهى وحاصل كلامه أن كون المراد بذلك الرجل تمام ع
مظنون فيه عند بعضهم فلا يرد على أن أفضل أبي بكر عند الجمهور كما تقرر في محله لا نعلم ده حصل

به

به الاعتنا مع أنه قد يقال المراد به أفضل أهل زمانه حال خلافته فيرتفع الإشكال من أصله لكن يبقى أن
المشار إليه بذلك لم يتبين مبهما بل هو مبين في الحديث كما هو مقرر في سياق حديث ابن ماجه من طريق عبد
الرحمن بن محمد المحاربي عن أبي أمامة الباهلي قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أكثر
خطبته حديثا حدثنا عن الدجال وحذرناه منه وكان من قوله أنه قال إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ
ذرأ الله آدم من فتنة الدجال وذكر الحديث إلى أن قال وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة
فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى يلقي شقتين ثم يقول انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه الآن ثم
لم يزعم أن له ربا غيري فيبعثه الله فيقول له الخبيث من ربك فيقول ربي الله وأنت عدو الله
أنت الدجال والله ما كنت أشد بصيرة بك مني اليوم قال أبو الحسن الطنافسي فحدثنا المحاربي
حدثنا عبيد الله بن الوليد الوصافي عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذاك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة قال أبو سعيد والله ما كنا نرى ذلك الرجل إلا
عمر بن الخطاب حتى مضى سبيله انتهى سياق ابن ماجه فانظر وتأمل سياق الحديث وخفي
عليهم المقصود من الحديث ذكره ميرك فيعلم هذا بقوله والله ما كنا نرى لمح معنى أنا كنا
نظن أن ذلك الرجل الذي يقتل على يد الدجال هو عمر حتى مات تبين أنه غيره لكن يشكل أنه يلزم أن ذلك
الرجل يبرز بأن يكون في زمانه وقد تقدم عن الخضر في باب العلامات بين يدي الساعة أن ذلك
الرجل المقتول على يد الدجال هو الخضر عليه السلام فلا إشكال بناء على أنه حي كما هو أصح الأقوال
والله أعلم بالحال وعن أسلم هو مولى عمر بن الخطاب كنيته أبو خالد كان حبشيا وقيل من سبي اليمن
اشتراه عمر بمكة سنة إحدى عشرة سمع عمر وغيره بعثه أبو بكر ليقيم الحج بالناس سمع ويروي عنه زيد بن أسلم
وغيره مات في ولاية مروان وله مائة وأربع عشرة سنة قال سألني ابن عمر بعض شأنه وفي بعض النسخ
عن بعض شأنه يعني ابن عمر بالضمير عمر ولعل المراد بعض شأنه المختص بما لم من عادته الكائنة
بينه وبين الله على طريق الإخلاص فأخبرته فقال ما رأيت أحدا قط بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الطيبي يحتمل وجهين أي بعد زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الخلال
والتعقيبة بقوله من حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على الأول والثاني المراد بعد زمانه
استمراره على تلك الحالات وثباته عليها حتى مضى سبيله انتهى وضبط حين بالفتح وفي نسخة بالجر
كان أي ذلك الأحد أجد أي أجهد في الدين وأجود أي أحسن في طلب اليقين حتى انتهى أي إلى آخر عمره من
عمر فشا زعم فيه أجد وأجود ذكره الطيبي وقال التوربشتي طرأ عليه في زمن خلافته ليخرج أبو بكر رواه البخاري
وعن المسور بكسر فسكون ففتح ابن مخرمة بفتح فسكون فخاء معجمة مفتوحة ابن أخت عبد الرحمن
ابن عوف ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين وقدم به إلى المدينة في ذي الحجة سنة ثمان وقبض النبي صلى الله
عليه وسلم وله ثمان سنين وسمع منه وحفظ عنه وكان فقيها من أهل الفضل والدين وتقدمت
بقية ترجمته قال لما طعن عمر بصيغة المجهول أي طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة بالمدينة
يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين جعل أي طفق عمر يألم أي يظهر الألم بالأنين
ونحوه فقال له ابن عباس وكأنه أي ابن عباس يجزعه بتشديد الزاي بنسبه إلى الجزع ويلومه عليه
ويقول له ما يسليه مما يزيل عنه الجزع نحو قوله تعالى فزع عن قلوبهم أي أزيل عنهم الفزع والجملة معترضة
بين القائل ومقوله يا أمير المؤمنين ولا كل ذلك بالرفع وفي نسخة بالنصب والمعنى ولا تبالغ
فيما أنت فيه من الجزع قال ميرك وفي نسخة ولئن كان ذاك كذا وقع عند أكثر رواة البخاري والأ
في الأصل رواية الكشميهني ولئن بضم ولا كان ذلك وكان دعاء أي لا يكون ما تخافه أو لا يكون
الموت بتلك الطعنة لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبته ثم
فارقته وهو عنك راض أي بقوله لو كان بعدي نبي لكان عمر ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته

ثم فارقته وهو عنك راض اي بخبث خبعلك امير المؤمنين ثم صحبت المسلمين اي ايام خلافتك فحسنت
صحبتهم اي بالعدالة والشفقة والسياسة ولئن فارقتهم اي في هذه القضية لتفارقنهم وفي
نسخة لتفارقنهم وهم عنك راضون اي وهذا الكلام يدل على ان الله عنك راض وانت راض عنه
فانت مبشر بقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والموت تحفة المؤمن
حيث يكون سببا للقاء المولى في المقام الاعلى قال اي عمر اما ما ذكرت من صحبة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورضاه فانما ذلك من بفتح ميم وتشديد نون اي منة عظيمة من الله من به علي اي
تفضل علي به من غير كسب بل بمجرد منه فلا انكر به بل اشكره واحمده واما ما ذكرت من صحبة ابي بكر
ورضاه فانما ذلك من من الله به علي اي حيث وفقني على تقديمه ومساعدته في تقويمه ولعل
اعراضه عن رضا الناس للاشعار بانه لا اعتبار لهم واما المدار على رضا الله كما قال الله تعالى
والله ورسوله احق ان يرضوه وللايماء الى ان رضاهم ايضا من اثر رضا الله ورسوله ومن جملة ما من
الله به عليه ولهذا اماله اليه واما ما ترى من جزعي اي فزعي المتوهم انه من اجل موتي فهو من
اجل اصحابك عطف باعادة الجار اي من جهة اني اخاف عليكم من وقوع الفتن بينكم لما كان كانها
يسر المحن ومع هذا كله اخاف ايضا في نفسي ولا امن من عذاب ربي لانه والله لو ان لي طلاع
الارض بكسر اوله اي ما يملاها ذهبا حتى يطلع ويسيل لافتديت به من عذاب الله اي
الله او عذابه وانما قال ذلك لغلبة الخوف الذي وقع له في ذلك الوقت من خشية التقصير
فيما يجب من حقوق الله او من الفتنة بمدحهم كذا في فتح الباري وقال الطيبي كانه رضي الله عنه
رجح جانب الخوف على الرجاء لما اشعر من فتن تقع بعده في امة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج خوفا عليهم وترحما لهم وان استغنى الله عن العالمين كما قال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم
عبادك وكان جانب الخوف عليه غالبا فاستر في ذلك هضما لنفسه وانكسارا ولذلك نسب
ما حصل له من الفضيلة الى منة الله تعالى وافضاله وفي الاستيعاب ان عمر رضي الله تعالى عنه
حين احتضر قال ورأسه في حجر ابنه عبد الله الظلوم لنفسي غير اني مسلم اصلي صلاتي كلها واصوم
فالمرة وكذا قبض يوم الاحد غرة شهر محرم سنة اربع وعشرين وله من العمر ثلاث وستون وهو الاصح
ما قيل في عمره وكانت خلافته عشر سنين ونصفا وصلى عليه صهيب ودفن مع ابي بكر في بيت
عائشة وخلق كثير من الصحابة وان بعثه رضوان الله عليهم اجمعين رواه البخاري وفي الرياض
ومن جملة كراماته ومكاشفاته ما روي عن عمرو بن الحارث قال بينا عمر يخطب يوم الجمعة اذ ترك الخطبة
ونادى يا سارية الجبل مرتين او ثلاثا ثم اقبل على خطبته فقال ناس من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه لمجنون ترك خطبته ونادى يا سارية الجبل فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان
ينبسط عليه فقال يا امير المؤمنين تجعل للناس عليك مقالا بينما انت في خطبتك اذ ناديت
يا سارية الجبل اي شيء هذا فقال والله ما ملكت ذلك حين رايت سارية واصحابه يقاتلون عند
جبل يؤتون منه من بين ايديهم ومن خلفهم فلم املك ان قلت يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلم
يمض ايام حتى جاء رسول سارية بكتابه ان القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حين صلينا الصبح
الى ان حضرت الجمعة ودار حاجب الشمس فسمعنا صوت مناد ينادي الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم
نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله تعالى ومنها ان مصر لما فتحت اتى اهلها عمرو بن العاص فقالوا
له ان هذا النيل يحتاج في كل سنة الى جارية بكر من احسن الجواري فنلقيها فيه والا فلا يجري
وتخرب البلاد وتقحط فبعث عمرو الى امير المؤمنين عمر يخبره بالخبر فبعث اليه عمر ان الاسلام يجب
ما قبله ثم بعث اليه ببطاقة وفيها بسم الله الرحمن الرحيم الى نيل مصر من عبد الله عمر بن الخطاب اما
بعد فان كنت تجري بامر الله فاجر على اسم الله وامر ان يلقيه في النيل فجرى في تلك الليلة

ستة

ستة عشر ذراعا فزاد على كل سنة ستة اذرع وفي رواية فلما القي كتابه جرى ولم يعد بعد ذلك خرجها الملا في
سيرته ثلثه الاول اخرجه البيهقي وابو نعيم واللالكائي وابن الاعرابي والخطيب وابن مردويه
عن نافع عن ابن عمر باسناد حسن والثاني اخرجه ابو الشيخ في العظمة بسنده الى قيس بن الحجاج
عمن حدثه ولما دخل ابو مسلم الخولاني المدينة من اليمن وكان الاسود بن قيس الذي ادعى النبوة
في اليمن عرض عليه ان يشهد انه رسول الله فابى فقال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال
فامر بنار عظيمة فالقي فيها ابو مسلم فلم تضره فامر بنفيه من بلاده فقدم المدينة فلما دخل
من باب المسجد قال عمر هذا صاحبكم الذي زعم الاسود الكذاب انه يحرقه فنجاه الله تعالى منها
ولم يكن لقيه ولا عمر سمعوا بقضيته ولا راوه ثم قام اليه واعتنقه وقال انت عبد الله بن
ايوب قال بلى فبكى عمر ثم قال الحمد لله الذي لم يمتني حتى اراني في امة محمد صلى الله عليه وسلم
شبيها بابراهيم الخليل عليه السلام وروي انه عس ليلة من الليالي فسمع امرأة وهي تقول
لابنتها قومي وامزجي اللبن فقالت لا تفعلين فان امير المؤمنين عمر نهى عن ذلك قالت ومن
يروي فقالت ان لم يعلم هو فان رب امير المؤمنين يروي ذلك فلما اصبح عمر قال لابنه عاصم
اذهب الى مكان كذا وكذا فان هناك صبية فان لم تكن مشغولة فتزوج بها لعل الله ان يرزقك
منها نسمة صالحة مباركة فتزوج عاصم تلك الصبية فولدت له ام عاصم بنت عاصم بن عمر فتزوجها عبد
العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز خرجهما في الفضائل وروي ان عمر انشد اعرابيا
بازائه من خلف فقال له هذا رجل مصاب بولده ثم نظم فيه سبعة ابيات لو انشدها لاستعطفكم
ثم قال يا اعرابي من اين اقبلت فقال من اعلى هذا الجبل قال وما صنعت فيه قال اودعت
وديعة لي قال وما وديعتك قال بني لي هلك فدفنته فيه قال فاسمعنا مرثيتك فيه
قال وما يدريك يا امير المؤمنين فوالله ما تفوهت بذلك وانما حدثت به نفسي ثم انشد شعر

يا غائبا ما يؤوب من سفره ... عاجله موته على صغره
يا قرة العين كنت لي انسا ... في طول ليلي نعم وفي قصره
ما تقع العين حيث ما وقعت ... في الحي مني الا على اثره
شربت كاسا ابوك شاربه ... لا بد منه له على كبره
يشربها والانام كلهم ... من كان في بدوه وفي حضره
فالحمد لله لا شريك له ... في حكمه كان ذا وفي قدره
قدر موتا على العباد فما ... يقدر خلق يزيد في عمره

قال فبكى عمر حتى بل لحيته ثم قال صدقت يا اعرابي ومن كرامة اتباعه للسنة ما رواه احمد
عن عبد الله بن عباس قال كان للعباس ميزاب على طريق عمر فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة
وقد كان ذبح للعباس فرخان فلما وافى الميزاب صب ماء بدم الفرخين فاصاب عمر فامر عمر
بقلعه ثم رجع فطرح ثيابه ولبس ثيابا ثم جاء فصلى بالناس فاتاه العباس وقال والله
انه للموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر للعباس وانا اعزم عليك
لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل
ذلك العباس اخرجه وهذه الاستقامة خير من الف كرامة ومن ذلك ان نفقته في حجة كانت
ستة عشر دينارا ومع ذلك يقول اسرفنا في هذا المال ولم يستظل الا تحت كساء او نطع
ملقى على شجرة انتهى والله اعلم

باب مناقب ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما

الفصل الاول عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

باب مناقب ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما

قال بينما رجل يسوق بقرة اي يدفعها من ورائها اذ اعيي بفتح الهمزة وفي نسخة صحيحة ذ عيي بفتح
العين وكسر الياء الاولى اي تعب الرجل من المشي فركبها فقالت انا اي جنسنا البقر لم نخلق لهذا
اي للركوب انما خلقنا لحراثة الارض بفتح الحاء اي لاثارتها لزراعتها وفيه دلالة على ان الركوب للبقر
والحمل عليها غير مرضي كما ذكره ابن الملك فالحصر اضافي لتاكيد ما قبله وقال ابن حجر استدل به على
انه لا يجوز ان تستعمل الا فيما جرت العادة باستعمالها فيه ويحتمل ان يكون ذلك اشارة الى تعظيم
ما خلقت له ولم يرد الحصر في ذلك لانه غير مراد اتفاقا لانها من جملة ما خلقت له ان تذبح وتؤكل بالاتفاق
قلت ـــ لا شك ان الحديث يفيد نفي جواز ركوب البقر حيث ما ذكره صلى الله عليه
وسلم وليس الكلام في ذبحها واكلها لانهما معلومان من الدين بالضرورة فهما مستثنيان
شرعا وعرفا فقال الناس اي الحاضرون سبحان الله اي تعجبا تكلم بضم الميم مضارع حذف منه
احدى التائين اي البقرة تتكلم والحال انها من الحيوان الصامتة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاني اومن به جزاء شرط محذوف اي فاذا كان الناس يستغربونه ويتعجبون منه فاني
لا استغربه وامن به انا وابو بكر وعمر قال شارح عطف على المستكن في امن وانا تاكيد له
وقال الطيبي فان قلت ـــ ما فائدة ذكر انا وعطف ما بعده عليه وهذا عطف في المستتر
في اومن مستغنيا عنه بالجار والمجرور قلت ـــ لو لم يذكر انا لاحتمل ان يكون وابو بكر عطفا
على محل ان واسمها والخبر محذوف فلا يدخل في معنى التاكيد وتكون هذه الجملة واردة على
التبعية ولا كذلك في هذه الصورة يعني في زيادة انا فانه يفيد حينئذ الاشتراك وما هما
ثم بفتح المثلثة وتشديد الميم اي وليس ابو بكر وعمر في المكان الذي قال صلى الله عليه وسلم
فيه الكلام المذكور وفي رواية الترمذي فاني اومن بذلك انا وابو بكر وعمر وما هما في القوم يومئذ
قال التوربشتي انما اراد بذلك تخصيصهما بالتصديق الذي بلغ عين اليقين وكوشف
صاحبه بالحقيقة التي ليس وراءها للتعجب مجال قال ابن الملك قوله به اي اصدق انا بما
اخبرني به ملك من تكلم تلك البقرة وابو بكر وعمر يصدقون ايضا بما اخبرت قال ابن حجر هو محمول
على انه صلى الله عليه وسلم كان اخبرهما به فصدقاه او اطلق ذلك لما اطلع عليه من انهما
يصدقان بذلك ولا يترددان فيه انتهى والاخير هو الصحيح لما يدل عليه مقام المدح وكما
يشعر اليه قول الراوي وما هما ثم واما فكل مؤمن يصدق النبي فيما اخبر به فلا بد من وجه
يميزهما عن غيرهما كما يشير اليه مشاركتهما في الايمان المنسوب اليه صلى الله عليه وسلم وقال
اي النبي عليه السلام بينما رجل في غنم له اي في قطعة غنم كائن له ملكا او اختصاصا يرعيها
اذ عدا الذئب اي جاء ذئب من الذئاب على شاة منها اي من قطعة الغنم فاخذها اي الذئب
الشاة فادركها صاحبها فاستنقذها اي استخلصها من الذئب فقال له الذئب فمن لها
اي فمن يحفظ للشاة يوم السبع بفتح السين المهملة وسكون الموحدة وفي نسخة بضمها
لا راعي لها غيري اي السبع بضم الباء وسكونها لغتان كعضد وعضد والمراد بيوم السبع حين يموت
الناس ويبقى الوحوش او يوم الاهمال من قولهم سبع الذئب الغنم اذا افترسها واكلها فالمراد
به من لها عند الفتن حين يتركها الناس لا راعي لها نهبة للذئاب والسباع فجعل
السبع لها راعيا اذ هو منفرد بها ويكون حينئذ بضم الباء وقيل بالسكون على لغة تميم وهذا
انذار بما يكون من الشدائد والفتن التي يهمل الناس فيها مواشيهم فتتمكن منها السباع
بلا مانع وقيل يوم السبع بسكون الباء الموضع الذي عنده المحشر يريد يوم القيمة
وهو ضعيف لا يناسب ما بعده من قوله لا راعي لها غيري فقال الناس سبحان الله ذئب
يتكلم فقال اومن به انا وابو بكر وعمر وما هما ثم متفق عليه واخرجه احمد وعن ابن عباس قال

اي الواقف في قوم فدعوا اي القوم لعمر وقد وضع على سريره جملة حالية والمعنى انه وضع
عمر يوم مات على سريره للغسل وحضر جمع من اصحابه اذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه بكسر
الميم وفتح الفاء ويجوز عكسه على منكبي بفتح ميم وكسر كاف يقول اي مخاطبا لعمر يرحمك الله وفي نسخة
رحمك الله اني ارجو وفي نسخة اني كنت لارجو ان يجعلك الله مع صاحبيك اي النبي صلى
الله عليه وسلم وابي بكر في القبر وفي الجنة ذكره السيوطي قال الطيبي واللام في قوله لاني تعليل
للفعل ان يجعلك الله مع صاحبيك اي ارجو ان يجعلك معهما في عالم القدس لاني كثيرا
ما كنت بزيادة ما لافادة المبالغة في الكثرة عكس قوله تعالى وقليل ما هم قال الطيبي كذا
في صحيح البخاري وما فيه انها مبهمة موكدة وليس في جامع الاصول لفظة ما فقوله كثيرا خبر
ان وكثيرا ظرف وعامله كان قدم عليه ونحوه قليلا ما تشكرون وفي اكثر نسخ المصابيح وهي
هكذا لاني كثيرا مما كنت بزيادة من وليس له وجه صحيح الا ان يتعسف ويقال لاني اجد
كثيرا مما كنت اسمع انتهى ويمكن ان يكون ما موصولة بمعنى من والمعنى لاني في كثير من
الاوقات ممن كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كنت اي في مكان كذا
وابو بكر وعمر وفعلت اي الشيء الفلاني من امور العبادة ومن رسوم العادة وابو بكر وعمر
وانطلقت اي ذهبت الى مكان كذا وابو بكر وعمر ودخلت اي المسجد ونحوه وابو بكر وعمر
وخرجت اي من نحو البيت وابو بكر وعمر فيه دلالة على جواز العطف في الضمير المرفوع المتصل
بلا تاكيد وفصل مما لا يجيزه النحويون في النثر الا على ضعف والصحيح جوازه نظما ونثرا كما قاله
المالكي ونظيره قول عمر كنت وجار لي من الانصار وكذا قوله تعالى ما اشركنا ولا اباؤنا فان كلمة
لا بعد العاطف ومع ذلك هي زائدة انتهى وفي رواية زاد هنا فاني كنت لارجوا ان يجعلك الله
معهما قال ابن عباس فالتفت اي الي ورائي فاذا اي ذلك الرجل علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وفي نسخة عنهم متفق عليه وفي رواية لهما عنه وانه وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون
ويثنون ويصلون عليه قبل ان يرفع وانا فيهم فلم يرعني الا رجل قد اخذ بمنكبي من ورائي فالتفت
فاذا هو علي بن ابي طالب فترحم على عمر وقال ما خلفت احدا احب الي ان القى الله بمثل عمله منك
وايم الله ان كنت لاظن ان يجعلك الله مع صاحبيك وذلك اني كنت اسمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول جئت انا وابو بكر وعمر ودخلت انا وابو بكر وعمر وخرجت انا وابو بكر وعمر
وان كنت لارجوا ان يجعلك الله معهما انتهى والله اعلم ـــ الفصل الثاني عن ابي سعيد
الخدري رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة ليتراءون بفتح
الياء قال ميرك من الرؤية واصله يتراءيون من باب التفاعل اي يرى بعضهم بعضا اهل عليين اي
منازلهم ومنازلهم في غاية من العلو والارتفاع كما ترون اي تبصرون الكوكب الدري بضم الدال
وبكسر وتشديد الياء التحتية وبهمز ايضا اي المضيء كالدر والدارئ الدافع بنوره ظلمة ما حوله في افق السماء
بضمتين ويسكن الثاني اي طرفها في القاموس جمعه آفاق وان ابا بكر وعمر منهم اي من
اهل عليين وانعما اي زادا في الدرجة والرتبة وتجاوزا عن كونهما اهل عليين في المنزلة وقيل اي
دخلا في النعيم كما يقال اشمل اذا دخل في الشمال وهو عطف على المقدر في منهم اي استقرا منهم
وانعما رواه اي البغوي في شرح السنة اي باسناده وروى نحوه ابو داود والترمذي قال
التوربشتي وفي اكثر نسخ المصابيح لمنهم واللام زائدة على الرواية فانه نقل هذا الحديث عن
كتاب الترمذي وفيه منهم وانعما من غير لام قال الطيبي وكذا في سنن ابي داود وابن ماجه
وجامع الاصول بغير لام وقال السيوطي في الجامع الصغير ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف
من فوقهم كما ترون الكوكب الدري الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم

رواه احمد والشيخان عن ابي سعيد والترمذي عن ابي هريرة وزاد في الجامع الكبير قالوا يا رسول
الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا
المرسلين رواه ابن حبان والدارمي عن ابي سعيد ورواه ابن حبان عن سهل بن سعد وفي رواية
لاحمد والشيخين عن سهل بن سعد ان اهل الجنة ليتراءون كما تتراءون الكوكب في السماء وفي رواية
لاحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان عن ابي سعيد والطبراني عن جابر بن سمرة وابن عساكر
عن ابن عمر وعن ابي هريرة ان اهل الجنة الدرجات العلى ليراهم من هو اسفل كما ترى الكوكب الطالع
في افق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانعما وفي رواية لابن عساكر عن ابي سعيد ان اهل عليين
ليشرف احدهم على الجنة فيضيء وجهه لاهل الجنة كما يضيء القمر ليلة البدر لاهل الدنيا وان ابا
بكر وعمر منهم وانعما **وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر سيدا**
كهول اهل الجنة الكهول بضمتين جمع الكهل وهو على ما في القاموس من جاوز الثلاثين او
اربعا وثلاثين الى احدى وخمسين فاعتبر ما كانوا عليه في الدنيا حال هذا الحديث والا لم
يكن في الجنة كهل كقوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم وقال شارح يعني الكهول عند الدخول
وهو معقول بدخول وقيل سيدا من مات كهلا من المسلمين فدخل الجنة لانه ليس فيها كهل
بل من يدخلها ابن ثلاث وثلاثين واذا كانا سيدا الكهول فاولى ان يكونا سيدا شبابها
انتهى وفيه بحث لا يخفى ان **من الاولين** اي من اولياء الامم المتقدمين فيكونان افضل من اصحاب
الكهف ومؤمن آل فرعون ومن الخضر بناء على القول بانه ولي **والآخرين** اي من اولياء هذه الامة
وعلمائهم وشهدائهم الا النبيين والمرسلين فخرج عيسى عليه السلام وكذا الخضر على القول
بنبوته **رواه الترمذي** اي عن انس ورواه ابن ماجه عن علي رضي الله تعالى عنه وفي الجامع
الصغير رواه احمد والترمذي وابن ماجه عن علي وابن ماجه عن ابي جحيفة وابو يعلى والضياء
في المختارة عن انس والطبراني في الاوسط عن جابر وعن ابي سعيد وفي الرياض عن علي قال
كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ طلع ابو بكر وعمر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذان سيدا كهول اهل الجنة من الاولين والآخرين الا النبيين والمرسلين يا علي
لا تخبرهما اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب واخرجه احمد وقال سيدا كهول اهل الجنة
عن انس وقال حسن غريب واخرجه احمد وقال سيدا كهول اهل الجنة وشبابها بعد النبيين
والمرسلين واخرجه المخلص الذهبي ولم يقل شبابها وزاد قال علي فما اخبرت به حتى ماتا ولو
كانا حيين ما حدثت به وقوله لا تخبرهما يا علي ربما سبق الى الوهم انه عليه السلام خشي عليهما
العجب والامن وذلك وان كان من طبع البشرية الا ان منزلتهما عنده صلى الله عليه وسلم اعلى
من ذلك وانما معناه والله لا تخبرهما يا علي قبل ان ابشرهما بنفسي فيبلغهما السرور مني
وانما قال سيدا كهول اهل الجنة مع ان اهل الجنة شباب اشارة الى كمال الحال فان الكهل
اكمل لا شابيته وعقلا من الشباب ومدارج الجنة على قدر العقول كما روي انه صلى الله
عليه وسلم قال لعلي يا علي اذا تقرب الناس بانواع البر تقرب انت بانواع العقل اخرجه
الخجندي وعن الشعبي قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد ابي بكر وعمر فاقبل احدهما
اخذ بيد صاحبه فقال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى سيدي كهول اهل الجنة فلينظر
الى هذين المقبلين رواه الغيلاني **وعن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم**
اني لا ادري ما بقائي فيكم وفي رواية الا قليلا قال الطيبي ما استفهامية اي لا ادري كم مدة
بقائي فيكم اقليل ام كثير فيتعلق **فاقتدوا باللذين** بالذال المعجمة ... لا شيء
من بعدي ابو بكر وعمر ... وفي رواية ... ابي بكر وعمر **رواه الترمذي** ...

اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما رواه احمد والترمذي وابن ماجه عن حذيفة وزاد
الحافظ ابو نصر الفضل فانهما حبل الله الممدود ومن تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام
لها **وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد لم يرفع احد** من
الصحابة **راسه** اي راس نفسه لهيبة مجلسه ورعاية الادب حال انبساطه وانسه وابعد شارح
حيث قال اي راس النبي صلى الله عليه وسلم لاشتغاله بذكر الله تعالى غير ابي بكر بالرفع في البدلية
من احد وفي نسخة بالنصب على الاستثناء وعمر **كانا يتبسمان اليه ويتبسم اليهما** استئناف بيان
والتبسم مجاز عن كمال الانبساط فيما بينهم **رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب** وفي الرياض
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج في اصحابه من المهاجرين والانصار وهم
جلوس فلا يرفع اليه احد منهم بصره الا ابا بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه ويتبسمان اليه ويتبسم
اليهما اخرجه احمد والترمذي وقال غريب والمخلص الذهبي والحافظ الدمشقي وعن ابي هريرة قال كنا
نجلس عند النبي صلى الله عليه وسلم كان على رؤوسنا الطير ما يتكلم احد منا الا ابو بكر وعمر
وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم اي من الحجرة الشريفة
ودخل المسجد وابو بكر وعمر احدهما عن يمينه والآخر عن شماله الظاهر انه نوع لف ونشر مرتب
نظرا الى ابي ... مع الظهور عنده **وهو آخذ** بصيغة اسم الفاعل **بايديهما فقال هكذا**
اي بالوصف المذكور من الاجتماع المسطور **نبعث** اي نخرج من القبور الى موضع النشور
يوم القيامة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن عبد الله بن حنطب بفتح الحاء والطاء
المهملتين بينهما نون ساكنة ومنهم من يروي بالظاء المعجمة ومنهم من يضمهما ذكره ابن الملك
وهو تابعي ولم يذكره المؤلف في اسمائه **ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ابا بكر وعمر فقال**
هذان السمع والبصر اي هما منهما مبالغة كرجل عدل او هما في المسلمين او في الدين كالسمع
والبصر في الاعضاء بحذف كاف التشبيه للمبالغة وكذا فيما بعد لتشبيه بليغ او هما في العزة عندي بمنزلة
ويؤيده هذا ما ذهب اليه بعضهم من ان المراد بالاسماع والابصار في قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا ابو بكر وعمر قال القاضي ويحتمل انه صلى الله عليه
وسلم سماهما بذلك لشدة حرصهما على استماع الحق واتباعه وتهالكهما على النظر الى الآيات
المبثوثة في الانفس والآفاق والتأمل فيها والاعتبار بها انتهى وفيه دليل على تفضيل
السمع على البصر كما يؤيده الآيات القرآنية من نحو وجعل لكم السمع والابصار ونحوه
في مواضع كثيرة بتقديم السمع على البصر ولعل وجهه ان حصول العلم بدون البصر يتصور
بخلاف فقد السمع مع انه يستلزم الصمم البكم والله اعلم **رواه الترمذي مرسلا** قال
شارح لهذا الحديث مرسل لان عبد الله الراوي لم ير النبي صلى الله عليه وسلم لانه تابعي
وقد قيل ان له صحبة فقط وقد يقال رؤية لكن ليس له رواية قال السيوطي في الجامع
الصغير ابو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر من الراس رواه ابو يعلى في مسنده عن المطلب
ابن عبد الله بن حنطب عن ابيه عن جده مرفوعا قال ابن عبد البر ما له غيره ورواه ابو نعيم
في الحلية عن ابن عباس مرفوعا والخطيب عن جابر مرفوعا وروى الملا في سيرته عن ابن
مسعود وابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر في امتي
مثل الشمس والقمر في النجوم **وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله**
عليه وسلم ما من نبي الا وله وزيران من اهل السماء ووزيران من اهل الارض الوزير الموازر
لانه يحمل الوزر اي الثقل عن اميره والمعنى انه اذا اصابه امر شاوره كما ان الملك اذا حزبه
امر مستكل شاور وزيره ومنه قوله تعالى واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به

ض

لهما

ازري واشركه في امري اي عضدي ليحصل به نصري واشركه في امري اي في تدبير امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان لهيئة الاجتماعية لها بركة كثيرة في الاهم الا العبادات الالهية فاما وزيري اي من اهل السما فجبريل وميكائيل فيه دلالة ظاهرة في فضله صلوات الله عليه حتى وفي جبريل وميكائيل عليهما السلام كما ان فيه ايماء الى تفضيل جبريل على ميكائيل واما وزيري من اهل الارض فابو بكر وعمر فيه دلالة ظاهرة على فضلهما على غيرهما من الصحابة وهم افضل الامة وفي ان ابا بكر افضل من عمر لان الواو وان كان لمطلق الجمع ولكن الترتيب في لفظ الحكيم لا بد له من سر عظيم رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب ورواه الحاكم عن ابي سعيد والحكيم عن ابي هريرة بلفظ ان لي وزيرين من اهل السما ووزيرين من اهل الارض فوزيراي من اهل السما جبريل وميكائيل ووزيراي من اهل الارض ابو بكر وعمر وروى ابن عساكر عن ابي ذر ولفظه ان لكل نبي وزيرين وزيراي وصاحباي ابو بكر وعمر واخرج الحافظ ابو الحسن عن ابن نعيم البصري عن انس بن مالك قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر عن يمينه وعمر عن يساره فاذ لهذه المباركة بين كتفي ابو بكر وعمر فقال لهما انتما وزيراي في الدنيا وانتما وزيراي في الاخرة هكذا تنشق الارض عني وعنكما وهكذا ازور وانتما رب العالمين وعن الحسن البصري قال مكتوب في ساق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله ووزيراه ابو بكر الصديق وعمر الفاروق اخرجه صاحب الديباج وعن عبد العزيز بن عبد المطلب عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ايدني من اهل السما بجبريل وميكائيل ومن اهل الارض بابي بكر وعمر اخرجه التستري وعن ابي بكرة اي الثقفي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم رايت كان بتشديد النون ميزانا نزل من السما فوزنت بصيغة المجهول المخاطب انت ضمير فصل تاكيد لتصحيح العطف وابو بكر فرجحت بفتح الجيم وسكون نكا اي ثقلت وغلبت انت للتاكيد المجرد ووزن ابو بكر وعمر فرجح ابو بكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان وتبيانا الى وجه ما اختلف في تفضيل علي وعثمان بهمزة وسكون سين فاء نال فيهما اي تحزن لها اي للرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بعد انتوال الراوي فساءه اي احزن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اي ما ذكره الرجل من رؤياه وذلك لما علم صلى الله عليه وسلم من تاويل رفع الميزان انحطاط رتبة الامور وظهور الفتن بعد خلافة عمر ومعنى رجحان كل من الاخرين في الميزان الراجح انه افضل من المرجوح وانما لم يوزن عثمان وعلي لان خلافته على اختلاف الصحابة فرقة منه وفرقة معه وفيه فلا يكون خلافة مستقرة متفقة عليها ذكره ابن الملك وفي النهاية استاء بوزن افتعل من السوء وهو مطاوع ساءه اي استا فلان بمكان اي ساءه ذلك وتروى فاستاء لها اي طلب تاويلها بالنظر والتامل قال التوربشتي انما اساء والله اعلم من الرؤيا التي ذكرها ما عرفه من تاويلها من رفع الميزان فان فيه احتمالا لانحطاط رتبة الامر في زمان القائم به بعد عمر رضي الله تعالى عنه عما كان عليه من النفاذ والاستعلاء والتمكن بالتاييد ويحتمل ان يكون المراد من الوزن موازنة ايامهم لما كان من نضارة ايامهم من رونق الاسلام وبهجته ثم ان الموازنة انما تراعى في الاشياء المتقاربة مع مناسبة ما فيظهر الرجحان فاذا تباعدت كل التباعد لم يوجد للموازنة معنى فلهذا رفع الميزان فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم خلافة نبوة بالاضافة ورفع على خلافة في الخبر اي الذي رايته خلافة نبوة وقيل التقدير هذه خلافة ثم يوتي الله الملك من يشا وفيه ايماء الى انقضت خلافة نبوة يعني هذه الرؤيا دالة على ان الخلافة بالحق تنقضي وتنتهي حقيقتها بانقضاء خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وقال الطيبي دل

اضافة

اضافة الخلافة الى النبوة على انه لا يشوبها طلب الملك والمنازعة فيه لاحد وكانت خلافة الشيخين على هذا وكون المرجوحية انتهت الى عثمان رضي الله تعالى عنه دل على حصول المنازعة فيها وان الخلافة في زمن عثمان وعلي مشوبة بالملك فاما بعدهما فكانت ملكا عضوضا رواه الترمذي وابو داود واخرجه احمد في مسنده عن ابن عمر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بعد طلوع الشمس فقال رايت قبل الفجر كاني اعطيت المقاليد والموازين فاما المقاليد فهذه المفاتيح واما الموازين فهذه التي توزن بها فوضعت في كفة ووضعت امتي في كفة فرجحت ثم جي بابي بكر فوزن بهم فرجح ثم جي بعمر فوزن بهم فرجح ثم جي بعثمان فوزن بهم فرجح ثم رفعت قلت ولعل في الرجحية كلا حدا منهم بجميع الامة ايماء الى اتفاق جميع الامة على خلافته وكان تقدمهم وتحملهم وفي رفع الميزان اشارة الى الاختلاف الواقع بعد ذلك ولا تنافي بين هذا الحديث وبين حديث اخرجه احمد ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال رايت الليلة في المنام كان ثلاثة من اصحابي وزنوا فوزن ابو بكر ثم وزن عمر ثم وزن عثمان فنقص صاحبنا وهو صالح لانه يحتمل على معنيين مختلفين جمعا بين الحديثين بقدر الامكان فان ذلك اولى من الغا احدهما فيحمل قول اول فرجح ابو بكر على ما تقدم من الاتفاق على خلافته ويحمل قوله فوزن على موافقة لا بهم وان رايه وان راهم يجاوزون مقتدين معهم لم يخالفهم في رايه ومن احاديث الباب ما اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتي اهل البقيع فيحشرون معي ثم انتظر اهل مكة حتى احشر بين الحرمين ومما يناسبه ما روي عن مالك بن انس وقد ساله الرشيد كيف كان منزلة ابي بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته قال كقرب قبريهما من قبره بعد وفاته قال شفيتني يا مالك اخرجه البصري والحافظ السلفي وغيره اخرجه ابن السمان في الموافقة عن علي بن الحسين ومما يناسبه ايضا ما اخرجه الخلعي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم استسلف من اليهودي شيئا الى الحول فقال ارايت ان جئت ولم اجدك فالى من اذهب قال الى ابي بكر قال فان لم اجده قال الى عمر قال فان لم اجده قال ان استطعت ان تموت اذا مات عمر فمت ومن احاديث الباب ما اخرجه احمد والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه عن حذيفة مرفوعا اقتدوا باللذين من بعدي ابو بكر وعمر واخرجه الطبراني من حديث ابي الدردا والحاكم من حديث ابن مسعود انتهى والله اعلم

الفصل الثالث عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يطلع بتشديد الطا اي يشرف او يظهر او يدخل عليكم رجل من اهل الجنة فاطلع ابو بكر ثم قال يطلع عليكم رجل من اهل الجنة فاطلع عمر رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت بينا راس رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجري بفتح الحا وكسرها في ليلة صاحية اي مغيمة قلت يا رسول الله هل يكون لاحد من الحسنات عدد نجوم السما قال نعم عمر قلت فاين حسنات ابي بكر قال انما جميع حسنات عمر كحسنة واحدة من حسنات ابي بكر ولعلها سبقه الى الاسلام والله اعلم بالمرام رواه رزين ووافق ذلك في بادي النظر رجعوا اليه في ثانيه متصوبين رايه معترفين بان الحق كان معه كما في قتال اهل الردة ونحو ذلك وهذا بخلاف عثمان فانهم خالفوا رايه في كثير من قضاياه ولم يرجعوا اليه بل اصروا على انكارهم عليه حتى قتلوه وكان مع ذلك على الحق

في ما شهدت به الأحاديث وكان رجلا صالحا على ما دل عليه هذا الحديث فالمقتصر إنما كان عما
ثبت للشيخين وبه كذا حققه الطبري في الرياض النضرة في فضائل العشرة والله أعلم

باب مناقب عثمان رضي الله تعالى عنه

الفصل الأول عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مضطجعا في بيته كاشفا عن فخذيه أو ساقيه قال النووي احتج به المالكية
وغيرهم ممن يقول ليست الفخذ عورة ولا حجة فيه لأنه شك من الراوي في المكشوف
هل هما الساقان أم الفخذان فلا يلزم منه الجزم بجواز كشف الفخذ قلت ويجوز أن يكون
المراد بكشف الفخذ كشفه عما عليه من القميص لا من الإزار كما يشعر إليه من كلام
عائشة وهو الظاهر من أحواله صلى الله عليه وسلم مع آله وصحبه فاستأذن أبو بكر
فأذن له وهو على تلك الحالة فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ثم
استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بعدما كان مضطجعا وسوى
ثيابه أي بعد تقدم تسويته وفيه إيماء إلى أنه لم يكن كاشفا عن نفس أحد العضوين بل عن
الثياب المرفوعة عليهما ولذا لم يقل وستر فخذه فإن تعين به الاستشهاد [?]
والله أعلم بالأحوال فلما خرج أي عثمان ومن معه أو تحدث فلما خرج القوم قالت
عائشة دخل أبو بكر فلم تهتش له بتشديد الشين أي لم تتحرك لأجله وفي شرح مسلم
الهشاشة البشاشة وطلاقة الوجه وحسن اللقاء ولم تباله أي أبا بكر وفي نسخة
بها السكت في الفاء مرسوما بالبيئة مبالاة أي ما اكترثت والمعنى ثبت على اضطجاعك
وعدم جمع ثيابك ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست
وسويت ثيابك فقال ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة بالياءين في الفعلين
وهي اللغة الفصيحة قال النووي فيه دلالة ظاهرة لعثمان رضي الله تعالى عنه وأن الحياء
صفة جميلة من صفات الملائكة على المظهر وفيه دليل على توقير عثمان رضي الله تعالى
عنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لا يدخل على حط منصب أبي بكر وعمر رضي
الله تعالى عنهما عنده صلى الله عليه وسلم وقلة الالتفات إليهما لأن قاعدة المحبة إذا
كملت واشتدت أن يقع التكلف كما قيل إذا حصلت الألفة بطلت الكلفة قلت
فانقلب الحديث دلالة في فضلهما إلا أنه لما كان الظاهر المتبادر منه تفضيله وتوقيره
ذكر في باب مناقبه وأغرب ابن الملك حيث جزم أن المراد بالاستحياء التوقير وسيأتي
في الرواية الآتية ما يدل على أن المراد به حقيقة الاستحياء وذلك لأنه مقتضى حسن
المعاملة والمجاملة في المعاشرة هو المشاكلة والمقابلة بالنسبة إلى كل أحد من
غلبة الشفقة والحالة التي يكون فيها الإنسان من أن يراعي صاحبه بكثرة
التواضع يقتضي بزيادة التواضع معه وكذا إذا كان كثير الانبساط يوجب
الانبساط وإذا كان كثير الأدب يجد صاحبه في تكلف الأدب معه وفي هذا الفن
سر من أحوال السكوت والكلام والضحك والقيام وأمثال ذلك وقد قال
الحافظ السخاوي في بعض فتاويه سئلت عن الموطن الذي استحيت فيه الملائكة من سيدنا عثمان
رضي الله تعالى عنه فأجبت لم أقف عليه في حديث بعينه ولكن أفاد شيخنا البدر
الشبشيري في بعض مجاميعه عن الجمال الدهان روينا أنه لما جلس بين أمه حربي والأنصار [?]
بالمدينة في عتبة الشريف بمالك وتقدم عثمان لذلك كان صدره مكشوفا فتأخرت

الملايكة

الملائكة حياء فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بتغطية صدره فعادوا إلى مكانهم فسألهم النبي
صلى الله عليه وسلم عن سبب تأخرهم فقالوا حياء من عثمان انتهى فهذا يدل على أن الحياء يوجب
الحياء وأن حياء الملائكة صار سببا لاستحيائه عنهم والله أعلم وعن الحسن وذكر عثمان وشدة
حيائه فقال إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه
الماء يمنعه الحياء أن يقيم صلبه كما أخرجه أحمد وصاحب الصفوة وفي رواية قال ميرك
ظاهر إيراد المصنف يقتضي أن الرواية الثانية من التي قبلها في حديث واحد وإنما هما
حديثان فالمتقدم من حديث عائشة والرواية الثانية من حديث سعيد بن العاص
أن عثمان وعائشة حدثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه
حاجته ثم انصرف ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحالة فقضى إليه حاجته ثم انصرف
قال عثمان ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة اجمعي عليك ثيابك يعني المرط
قال فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت فقالت عائشة يا رسول الله ما لي لم أرك فزعت
لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمان فقال إن عثمان رجل حيي بفعيل بمعنى كثير الحياء وإني
خشيت إن أذنت له على تلك الحالة أن لا يبلغ إلي في حاجته أي إن أذنت له في تلك
الحالة أخاف أن يرجع حياء مني عند ما يراني على تلك الهيئة ولا يعرض علي حاجته لغلبة
أدبه وكثرة حيائه رواه مسلم وكذا أحمد وأبو حاتم وروى أحمد عن حفصة قالت
دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع ثوبه بين فخذيه فجاء أبو بكر يستأذن
فأذن له وهو على هيئته ثم جاء عمر يستأذن فأذن له وهو على هيئته ثم جاء عثمان يستأذن
فتجلل ثوبه ثم أذن له فتحدثوا ساعة ثم خرجوا فقلت يا رسول الله دخل أبو بكر
وعمر وعلي وناس من أصحابك وأنت على هيئتك لم تتحرك فلما دخل عثمان تجللت
ثوبك قال ألا أستحيي ممن يستحيي منه الملائكة وخرجه ابن نزيه مختصرا وقال [illegible]
قال محمد ولا أقول ذلك في يوم واحد وجاء في رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عثمان
رجل ذو حياء فسألت ربي أن لا يقف للحساب فشفعني فيه وفي رواية سأل عثمان حاجة
سرا فقضاها ثم سألت الله أن لا يحاسب عثمان وفي رواية فسألت الله أن يحاسبه
سرا وهو قد رضي بصحائفه إذا ورد ذلك في سياق الترمذي حاسب أبو بكر ثم عمر ثم علي وقد
أخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر مرفوعا أشد أمتي حياء ابن عفان وأخرج ابن عساكر
عن أبي هريرة مرفوعا عثمان حيي تستحيي منه الملائكة وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر مرفوعا
عثمان أحيا أمتي وأكرمها وأخرج أبو نعيم عن أبي أمامة مرفوعا أشد هذه الأمة بعد نبيها
حياء عثمان بن عفان وأخرج أبو يعلى عن عائشة مرفوعا قال إن عثمان حيي تستحيي منه
الملائكة انتهى والله أعلم الفصل الثاني عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه
وهو أحد العشرة المبشرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي رفيق
أي خاص ورفيقي يعني في الجنة عثمان خبر للمبتدأ والجملة معترضة بينهما من كلام طلحة أو
غيره لتفسير أو بيان لمكان الرفاقة والأظهر أنه من كلامه صلى الله عليه وسلم في سبيل
الإطلاق أي في الدنيا والعقبى جزاء وفاقا ثم هذا لا ينافي كون غيره أيضا رفيقا له
صلى الله عليه وسلم كما ورد عن ابن مسعود في رواية الطبراني ولفظه إن لكل نبي خاصة
من أصحابه وإن خاصتي من أصحابي أبو بكر وعمر نعم يستفاد منه أن لكل نبي رفيقا أي
له رفيق ولا منع من ذلك في مقام الجمع ومع هذا في تخصيصه ذكره إشعار بتعظيم مرتبته

وارتفع تدليه رواه الترمذي اي عن طلحة ورواه ابن ماجه عن ابي هريرة قال وفي نسخة وقال
الترمذي هذا حديث غريب والغرابة لا تنافي الصحة ولذا قال وليس اسناده بالقوي
وهو اي الحديث اي اسناده منقطع وهو ان يكون الساقط من الرواة اثنين متواليين
او سقط واحد فقط او اكثر من اثنين لكن بشرط عدم التوالي فيتحصل منه ان الحديث
ضعيف لكنه يعتبر في فضائل الاعمال ويؤيده ما رواه ابن عساكر عن ابي هريرة مرفوعا
لكل نبي خليل في امته وان خليلي عثمان بن عفان واورد السيوطي حديث الاصل في الجامع بلفظ
لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان رواه الترمذي عن طلحة وابن ماجه عن ابي هريرة وفي
الرياض عن زيد بن اسلم قال شهدت عثمان يوم حوصر ولو القي حجر لم يقع الا على راس رجل فرايت
عثمان اشرف من الخوخة التي مقام جبريل عليه السلام فقال يا طلحة انشدك الله اتذكر يوم كنت
انا وانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضع كذا وكذا ليس معنا احد من اصحابه
غيري وغيرك قال نعم قال فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يا طلحة انه ليس من
نبي الا ومعه من اصحابه رفيق في الجنة وان عثمان رفيقي في الجنة يعنيني قال طلحة اللهم
نعم ثم انصرف اخرجه احمد واخرجه الترمذي مختصرا عن طلحة بن عبيد الله ولفظه لكل نبي
رفيق ورفيقي عثمان ولم يقل في الجنة وعن عبد الرحمن بن خباب بفتح الخاء المعجمة وتشديد
الموحدة الاولى ولم يذكره المؤلف في اسمائه قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم اي
حضرت وهو يحث بضم حاء وتشديد مثلثة اي يحرض الناس على جيش العسرة اي على تجهيز
غزوة تبوك وتسميته جيش العسرة لانها كانت في زمان اشتداد الحر والقحط وقلة الزاد
والماء والمركب بحيث تعسر عليهم الخروج من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ولما كان
المناهضة الى عدو جم العدد شديد الباس بالنسبة الى المخلصين مع كثرتهم حينئذ فانه
نقل عن ابي زرعة ان رح كان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة
عشر ويوم احد سبعمائة ويوم الحديبية الف وخمسمائة ويوم الفتح عشرة الاف ويوم
حنين اثنا عشر الفا وفي اخر مغازيه اي يوم حنينه عليه السلام فقام عثمان فقال يا رسول
الله علي اي بتقدير علي مائة بعير باحلاسها اي مع جلالها واقتابها اي برحالها قال التوربشتي
وغيره الاحلاس جمع حلس بالكسر وسكون اللام وهو كساء رقيق يجعل تحت البرذعة والاقتاب
جمع قتب بفتحتين وهو رحل صغير على قدر السنام للبعير وهو للجمل كالاكاف لغيره يعني يريد
على هذه الابل بجميع اسبابها وادواتها في سبيل الله اي في طريق رضاه ثم حض بتشديد
المعجمة اي حث وحرض على الجيش اي في ذلك المكان او في غيره من الزمان فقام عثمان فقال
علي مائتا بعير اي غير تلك المائة لا باعتبار انهم كانوا ثم لا تقه اعلم باحلاسها واقتابها في
سبيل الله ثم حض اي ثالث في روايته ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال علي ثلاثمائة
بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله فالتزم عثمان رضي الله تعالى عنه في كل مرتبة
بحكم رتبة المقام في المقام الاول مائة واحدة وفي الثاني مائتين وفي الثالث
ثلثمائة فالمجموع ستمائة بناء على ان الزيادة قال طلحة فانا اي بنفسي من غير
ان اسمع من غيري رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عن المنبر وهو يقول
ما على عثمان ما هذه نافية بمعنى ليس ما عمل بعد هذه موصولة اسم ليس عليه ولا
يضره الذي يعمل في جميع عمره بعد هذه الحسنة والمعنى انها مكفرة لذنوبه الماضية مع
زيادة سيئات لاتية كما ورد في ثواب صلاة الجماعة وفيه اشارة في بشارة لحسن
الخاتمة وقال شارح ما نافية اما موصولة اي ما باس عليه الذي يعمله من الذنوب

بعد هذه الفضائل في سبيل الله او مصدرية اي ما على عثمان عمل من النوافل بعد هذه العطايا
لان تلك الحسنة تنوب عن جميع النوافل قال المظهر اي ما عليه ان لا يعمل بعد هذه من النوافل دون
الفرائض لان تلك الحسنة تكفيه عن جميع النوافل انتهى وهو محمول على الصحيح والا فلا يطابق قوله في
ما على عثمان ما عمل بعد هذه كررت تاكيدا لما كررته قال الطيبي وعلى نحوه قوله صلى الله عليه وسلم
في حديث حاطب بن ابي بلتعة لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت
لكم انتهى ولا يخفى ما بينهما من الفرق عند ذوي النهى اذ الاول مجزوم به قطعا والثاني مبني
على الرجا رواه الترمذي وكذا رواه احمد وقال في اخره فقال فرايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها واخرج عبد الصمد يحرك يده كالمتعجب ما على عثمان
ما عمل بعد هذا وقال ابو عمر جهز عثمان جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا واتم الالف بخمسين
فرسا وعن ابن شهاب الزهري قال حمل عثمان بن عفان في غزوة تبوك على تسعمائة واربعين بعيرا
وستين فرسا اتم بها الالف اخرجه القزويني والحاكمي وعن عبد الرحمن بن سمرة اي القرشي اسلم
يوم الفتح وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه ابن عباس والحسن وخلق سواهم
قال جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم بالف دينار في كمه حين جهز بتشديد الهاء اي
حين رتب وهيا جيش العسرة فنثرها اي كبها في حجره بكسر الحاء وفتحها اي ثوبه او حضنه
صلى الله عليه وسلم فرايت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها اي الدنانير بيده في حجره ويقول
ما ضر عثمان ما عمل اي عمرو ابي ما يضر عثمان الذي عمله من الذنوب ستر ما الا حقا بعد
اليوم اي بعد عمله اليوم مرتين ظرف يقول ولفظ التكرار فيه وفيه تنبيه للاستغراب بعد من
ضرة ويدوام نفعه في الدارين والمراد بالتثنية التكرير والتكثير ويؤيده انه في رواية احمد
ويردد ذلك مرارا هذا موافق للسيد جمال الدين في تكميله رجال جيش العسرة واختلفوا احدهما
انهم سبعون الف رجل والاخر انهم عشرون الفا وفي اختلاف الروايتين جزء ما يرضي
الله تعالى عنه ثلث جيش العسرة نفي هذا لا يكون الف دينار الذي به عثمان الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مكة ثم ثلثمائة بعير والله اعلم انتهى وفي الرياض عن عبد الرحمن
ابن عوف قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء عثمان بن عفان في جيش
العسرة بسبعمائة اوقية من ذهب اخرجه الحافظ الدمشقي وبهذه الاختلافات في روايات
قد توهم التضاد بينهن والجمع ممكن بان يكون عثمان دفع ثلثمائة بعير باحلاسها واقتابها
على ما تضمنه الحديث الى ان بلغ ثم جاء بالف لاجل المؤلف الى ان بدا للمنافقين ثم لما اطلع على
ان ذلك لا يكفي زاد في الابل وازدف بالخيل فتممها الالف ثم لما يكتف بذلك تمم الالف العري
وزاد عشرين فرسا على تلك الخمسين وبعث بعشرة الاف دينار للمرة في رواية اخرجه
الدارقطني عن عثمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر في وجوه القوم فقال من
يجهز هؤلاء غفر الله له يعني جيش العسرة فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقالا ولا خطاما رواه
واخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعن حذيفة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم
الى عثمان في جيش العسرة فبعث اليه عثمان بعشرة الاف دينار فصبت بين يديه فجعل
النبي صلى الله عليه وسلم يقول بيده ويقلبها ظهرا لبطن ويقول غفر الله لك يا عثمان
ما اسررت وما اعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالي ما عمل بعدها اخرجه الملا
في سيرته والفضائل وعن انس رضي الله تعالى عنه قال لما امر رسول الله صلى الله عليه و
ببيعة الرضوان وهي البيعة التي كانت تحت الشجرة عام الحديبية سميت بها لانه نزل
في اهلها لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة كان عثمان رضي الله عنه

ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رسولا منه اليهم رسلا من الحديبية الى مكة وفي رواية
الى اهل مكة اي لتبليغ بعض الاحكام لنشاع انهم قتلوه فبايع اي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس اي بيعة خاصة على الموت فلما بايعوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان
في حاجة الله اي نصرة نبيه حيث احتاج خلقه اليه وتطبيقه قوله سبحانه يخادعون الله والذين
امنوا جنب نزل ذاته الحقيرة تشريفا للمومنين تشريفا وتعظيما او بتقدير مضاف ويقال
في حاجة خالقه وحاجة رسوله اي تخصيصا او ذكر الله للتزيين زيادة الكلام من التحسين
وقال الطيبي هو من باب قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله اذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمنزلة من الله ومكانة وان حاجته حاجة الله تعالى لكنه تنزه عن الاحتياج علوا كبيرا
انتهى ولا يخفى ان الظاهر معنى الاية ان الذين يؤذون اولياءه كما حقق في حديث يؤذيني ابن ادم والله
اعلم فضرب باحدى يديه على الاخرى اي في البيعة في جهة عثمان في ان ظن انه حي في المكان
والزمان والمعنى انه جعل احدى يديه نائبة عن يد عثمان فقيل هي اليسرى وقيل هي اليمنى
وهو الصحيح لما سبق في بيانه بالتصريح فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا
وفي رواية لعثمان اي لاجله في رواية من ايديهم اي من ايدي بقية الصحابة لانفسهم لغيبته
لثبت بمنقصة بل بسبب منقبة رواه الترمذي وقال صحيح غريب وعن ثمامة بضم المثلثة
ابن حزن بفتح الحاء المهملة وسكون زاي فنون القشيري بالتصغير يعد في الطبقة الثانية
من التابعين راي عمر وابنه عبد الله وابا الدرداء وسمع عائشة وروى عنه الاسود بن شيبان
البصري قال شهدت الدار اي حضرت دار عثمان التي حاصروه فيها وتفصيله يقتضيه محل تقريره
في الرياض وغيره حين اشرف عليهم عثمان اي اطلع على الذين قصدوا قتله فقال انشدكم
الله والاسلام بنصب الله والاسلام بنزع الخافض اي اسألكم بالله والاسلام اي بحقهما هل
تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب اي
يعد عذبا اي حلوا غير بئر رومة بنصب غير ويجوز رفعه والبئر مهموز وتبدل ورومة بضم
الراء وسكون الواو وفتح الميم اسم بئر في العقيق الاصغر اشتراها عثمان رضي الله تعالى عنه
بعشرين الف درهم وفي المدينة عقيقان سميا بذلك لانهما عقا من حرة المدينة اي قطعا
فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين
بكسر الدال جمع دلو وهي كناية عن الوقف العام وفيه دليل على جواز انتفاع الواقف بوقفه
خروج الموقوف عن ملك الواقف حيث جعله مع غيره سواء ذكره ابن الملك وحمله فيما يقول
لا وحال اي ارادة ان يجعل دلوه منساوي ان مصاحب مع دلائهم في الاستقاء ولا يخصها من بينهم
بالملكية نقوله مع دلاء المسلمين هو المفعول الثاني لجعلا يجعل دلوه روي عن عثمان رضي
الله تعالى عنه انه قال ان المهاجرين لما قدموا المدينة واستنكروا الماء وكان لرجل من بني غفار
عين يقال لها رومة وكان يبيع القربة منها بمد فقال صلى الله عليه وسلم له تبيعنيها بعين
في الجنة قال يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي سواها فلا استطيع ذلك فقال من يشتري
بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير متعلق بيشتري والباء للبدل قال الطيبي
وليست مثلها في قولهم اشتريت هذا بدرهم ولا في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى فالمعنى من يشتريها بثمن معلوم ثم يبدلها بخير منها اي بانضمام كلام وبخير صلة له
اي لاجله منها اي من تلك البئر او من جهتها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي بضم الصاد
اي من اصله وخالصه في الرواية قال فلما بلغ ذلك عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين الف
درهم ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتجعل لي مثل الذي جعلته له عينا في الجنة قال

نعم قال قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين اخرجه النسائي وانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها حتى
اشرب من ماء البحر اي مما فيه ملوحة كماء البحر في الاضافة فيه للبيان اي مما يشبه البحر فقالوا اللهم
نعم قال المظهري قد يؤتى باللهم قبل الا اذا كان المستثنى عزيزا نادرا وكان قصدهم بذلك الاستظهار
بمشيئة الله تعالى في اثبات كونه ووجوده الما انه ابلغ من الندرة وحد الشذوذ وقيل كلمتي الجحد
والتصديق في جواب المستفهم كقولهم الله لا ونعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون
ان المسجد اي مسجد المدينة ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري
بقعة ال فلان فيزيدها بالرفع وفي نسخة بالنصب اي فيزيد تلك البقعة في المسجد
بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي اي بعشرين الفا او خمسة وعشرين الفا على ما رواه
الدارقطني وروى البخاري عن ابن عمر ان المسجد كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
مبنيا باللبن وسقفه بالجريد وعمده خشب النخل فلم يزد فيه ابو بكر شيئا وزاد فيه عمر وبناه
على بنائه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد واعاد عمده خشبا ثم غيره عثمان
فزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج
واخرج ابو الخير القزويني الحاكمي عن سالم بن عبد الله بن عمر انه كما زعم ان عثمان ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لرجل من اهل مكة يا فلان الا تبيعني دارك ازيدها في مسجد الكعبة
ببيت اضمنه لك في الجنة فقال الرجل يا رسول الله مالي بيت غيره فان انا بعتك داري لا يؤويني
وولدي بمكة شيء قال لا بل بعني دارك ازيدها في مسجد الكعبة ببيت اضمنه لك في الجنة فقال
الرجل والله مالي في ذلك حاجة فبلغ ذلك عثمان وكان الرجل صديقا له في الجاهلية فلم
يزل به عثمان حتى اشترى منه داره بعشرة الف دينار ثم قال يا رسول الله بلغني انك اردت
من فلان داره لتزيدها في مسجد الكعبة ببيت تضمنه له في الجنة وانما هي داري فهل انت اخذها
ببيت تضمنه لي في الجنة فاخذها منه وضمن له بيتا في الجنة واشهد له على ذلك المومنين الذي
الرياض ثم بالغاهنا خلافا لما تقدم اليوم تمنعوني ان اصلي فيها اي في تلك البقعة
فضلا من سائر المسجد فقالوا اللهم نعم قال بلا اقلها وفيه بعد خلافا لما قبله انشدكم
بالله والاسلام هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة من مالي [illegible]
على حسن مالي وما لي فقالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة بفتح مثلثة وكسر موحدة وتحتية ساكنة فراء جبل بمكة
وفي المصباح جبل بين مكة ومنى وهو يرى من منى وهو على يمين الذاهب منها الى مكة وقال الطيبي
ثبير جبل بالمزدلفة على يسار الذاهب الى منى وهو جبل كبير مشرف على كل جبل بمنى ومكة جبال
كل منها اسمه ثبير انتهى والمشهور ان ثبير جبل مشرف على منى من جمرة العقبة الى تلقاء مسجد الخيف وامامه
قليلا على يسار الذاهب الى عرفات كذا حكاه محب الدين بن جماعة وقال عياض في المشارق
انه على يسار الذاهب الى منى وان الذي بمزدلفة غيره وقيل هو جبل عظيم بالمزدلفة على يمين الذاهب الى عرفة
قال الطبري وقيل هو على جبل بمكة شرف برجوم الهذيل كان اسمه ثبيرا دفن فيه فسمي به
والسهيلي والمطري في المغرب هو جبل من جبال مكة اي بقرب مكة وقيل هو جبل يقابله الجبل حرا
انتهى وفي رواية قال كان على حراء ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل اي اهتز ابتهاجا بهم حتى تساقطت قطت
حجارته اي بعضها بالحضيض اي باسفل الجبل قال فركضه اي ضربه برجله قال اسكن
اسكن ثبير اي يا ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان اي حكما فلا تضطرب
التطفل وما فانها من اثر الفرحة وهما عمر وعثمان وكان بالقرب ان النبي صلى الله عليه وسلم والصديق
شهيدان حكما حيث كان ان رموتهما من السم القديم لهم قالوا اللهم نعم قال الله اكبر كلمة تقولها

المتعجب عند الزام الخصم وتبكيته ولذلك قال اشهد واورث الكعبة اي شهيد بفتح الهمزة مفعول
اشهد واي شهدا ان ساني شهيد ثلاثا اي قال الله اكبر الخ ثلاث مرات زيادة للمبالغة في اثبات
الحجة على الخصم وذلك لانه لما اراد ان يظهر لهم انه على الحق وان خصماءه على الباطل على طريق يلجيهم
الى الاقرار بذلك اورد حديث ثبير مكة وانه من احد الشهيدين مستغنيا عنهم فاقروا بذلك
واكد اقرارهم بقولهم اللهم نعم فقال الله اكبر تعجبا وتعجيبا لهم واستهجانا لفعلهم ونظيره
قوله تعالى هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون فانه تعالى لما ضرب مثلا للمشرك بالله
وعابد الله تعالى برجلين احدهما له شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي انه عبده فهم
يتجاذبونه وهو متحير في امره لا يدري ايهم يرضي بخدمته والاخر قد سلم لمالك واحد وخلص له
فهو معتبر لخدمته فهمه واحد وقلبه مجتمع واستفهم منهم بقوله هل يستويان مثلا فلا بد لهم
ان يذعنوا ويقولوا لا فقال الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون كذا حققه الطيبي رواه الترمذي
والنسائي والدارقطني وفي بعض النسخ وزاد وانشدكم بالله من شهد بيعة الرضوان
اذ بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين اهل مكة فقال هذه يدي وهذه يد
عثمان فبايع لي فانتشد له رجال زاد الدارقطني في بعض طرقه وانشدكم بالله هل تعلمون
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجني احدى ابنتيه بعد الاخرى رضيا بي ورضا بي قالوا
اللهم نعم وعن مرة بن كعب بضم ميم وتشديد راء قال المؤلف في فصل الصحابة عداده في
اهل الشام روى عنه نفر من التابعين مات بالاردن سنة سبع وخمسين قال سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل في زيادة من تاكيد افادة السماع بلا واسطة
وذكر الفتن جملة حالية فقربها بتشديد الراء اي قربها النبي صلى الله عليه وسلم الفتن يعني وقوعها
فمر رجل مقنع بفتح النون المشددة اي مستتر بثوب جعله كالقناع فقال اي رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا اي هذا الرجل المقنع يومئذ اي يوم وقوع تلك الفتن على الهدى
من قبيل قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم فهو مقول سمعت محذوف دل عليه قوله هذا
يومئذ على الهدى فقمت اليه اي الى ذلك الرجل لا عرفه فاذا هو عثمان بن عفان قال اي
الراوي فاقبلت عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه اي بوجه عثمان والمعنى ادرت
وجهه اليه ليتبين لما مر عليه فقلت هذا اي اهذا هو الرجل الذي يومئذ على الهدى فقال نعم
بيه ثم لعله في استحضار القضية وتاكيدها بتحقيق القرينة الجلية رواه الترمذي
وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي الرياض عن كعب بن عجرة قال ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم فتنة فقربها وعظمها قال ثم مر رجل مقنع في ملحفة فقال هذا يومئذ
على الحق فانطلقت فاخذت بضبعيه فقلت هذا يا رسول الله قال هذا فاذا هو عثمان
ابن عفان اخرجه احمد واخرج الترمذي معناه عن مرة بن كعب البهزي وقال هذا يومئذ على
الهدى ورواه احمد ايضا عن مرة بن كعب البهزي قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في طريق من طرق المدينة قال كيف تصنعون في فتنة تثور في اقطار الارض
كانها صياصي بقر قالوا فنصنع ماذا يا رسول الله قال عليكم بهذا واصحابه قال
فاسرعت حتى عطفت الرجل فقلت هذا يا نبي الله قال هذا فاذا هو عثمان بن عفان
وفي رواية لاحمد قال فاسرعت حتى عييت فلحقت بالرجل فقلت هذا يا نبي الله الخ
وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان انه لعله
كما في رواية يا عثمان انه اي الشان لعل الله وفي رواية ان الله لعله يقمصك بتشديد الميم
اي يلبسك قميصا فيه اي خلافة والمراد خلعة الخلافة فان ارادوك اي حملوك على خلعه

اي نزعه

اي نزعه فلا تخلعه لهم وفي رواية فلا تخلعه ثلاثا اي ان قصدوا عزلك فلا تعزل نفسك عن
الخلافة لاجلهم لكونك على الحق وكونهم على الباطل وفي نفوذ تخليع ايهام وتهمة فبهذا الحديث
كان عثمان رضي الله تعالى عنه ما عزل نفسه حين حصروه يوم الدار قال الطيبي استعار القميص
للخلافة ورشحها بقوله على خلعه قال في اساس البلاغة ومن المجاز قمصه الله وشي الخلافة
وتقمص لباس العز ومن هذا الباب قوله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري وقولهم المجد بين
ثوبيه والكرم بين برديه انتهى رواه الترمذي وابن ماجه وكذا البغوي ثم قال
الترمذي حسن غريب وفي رواية فان ارادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه لهم ولا كرامة يقولها
مرتين او ثلاثا وفي رواية فان ارادك المنافقون خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني يا عثمان ان الله عسى
ان يلبسك قميصا فذكره ثلاث مرات اخرجه احمد وقال الترمذي في الحديث قصة طويلة انتهى
وعن ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة اي عظيمة فقال يقتل هذا فيها
مظلوما لعثمان بيان لهذا رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب اسنادا واخرج
احمد وقال يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوما فنظرت فاذا هو عثمان بن عفان انتهى
وعن ابي سهلة قال المؤلف في فصل الصحابة هو السائب بن خلاد يكنى ابا سهلة الانصاري الخزرجي
مات سنة احدى وسبعين روى عنه ابنه خلاد وعطاء بن يسار انتهى والظاهر ان المراد به هنا مولى
عثمان كما سياتي قريبا والله اعلم قال قال لي عثمان يوم الدار ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد عهد الي عهدا اي وصاني ان لا اخلع بنفسي وان ارادوك على خلعه فلا تخلعه لهم
وانا صابر عليه اي على تعهد ذلك العهد رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وعن
عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا لي بعض اصحابي قلت ابا بكر
قال لا قلت عمر قال لا قلت ابن عمك قال لا قلت عثمان قال نعم فلما جاء قال تنحي فجعل
يسار له ولون عثمان يتغير فلما كان يوم الدار وحصر فيها قلنا يا امير المؤمنين الا تقاتل
قال لا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا واني صابر نفسي عليه رواه
احمد والله اعلم

الفصل الثالث

عن عثمان بن عبد الله بن موهب رضي الله
تعالى عنه بفتح الميم وسكون الواو وفتح الهاء والباء الموحدة في ما في الجامع والمغني وفي القاموس
موهب كمقعد اسم فما وقع في شرح ابن حجر من ضبطه بكسرها وهم قال المؤلف هو تيمي روى
عن ابي هريرة وابن عمر وغيرهما وعنه شعبة وابو عوانة قال جاء رجل من اهل مصر اي البلدة
يريد حج البيت فراي قوما جلوسا اي جالسين فقال من هؤلاء القوم قالوا اي قال بعضهم
من يليهم هؤلاء قريش اي اكابرهم قال فمن الشيخ اي العالم المعتبر فيهم فان الشيخ في قومه
كالنبي في امته قالوا عبد الله بن عمر قال يا ابن عمر اني سائلك عن شيء فحدثني اي اخبرني عن
جوابه هل تعلم ان عثمان فر يوم احد يعني انهزم من نقيصة عظيمة قال نعم قال هل تعلم
انه تغيب عن بدر ولم يشهد اي ولم يحضرها ذكره تاكيدا وايذانا بانه فقد اجله قال
نعم قال هل تعلم انه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها قال نعم قال الله اكبر
قال الطيبي قوله الله اكبر بعد ما عدم الامور بمنزلة الله اكبر في الحديث السابق فانه
اراد ان يعلم ابن عمر يحط من منزلة عثمان على الطريق المذكور فلما قال ابن عمر نعم قال
الله اكبر تعجبا وتعجيبا واظهارا لافحامه اياه قال ابن عمر تعال اي ارتفع عن حضيض
مقامك من الجهل الى علو فهم القضايا المبهمة المبينة عند ارباب العلم والمعرفة ابين لك
بالجزم على جواب الامر وفي نسخة بالرفع اي فانا ابين لك اما فراره يوم احد فاشهد ان
الله عفا عنه وفي رواية وغفر له يعني لقوله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان

الفصل الثالث عن عثمان بن [illegible]

اي ما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم ومن المعلوم
ان المعفو لا حرج عن معتبة المعيبة واما تغيبه عن بدر فانه كانت تحته اي في نكاحه وشغله رقية
بالتمريض بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وهذا علامة كمال رضى النبي صلى الله عليه
وسلم حيث زوجه بنته ثم الاخرى وتمام كلثوم وبه سمي ذا النورين ثم قال لو كانت لي بنت
اخرى لزوجتها اياه وفي الرياض عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اوحى الي ان ازوج كريمتي عثمان بن عفان اخرجه الطبراني واخرج خيثمة بن سليمان
عن عروة بن الزبير عن عايشة وزاد بعد قوله كريمتي يعني رقية وام كلثوم وعن ابي هريرة قال
لقي النبي صلى الله عليه وسلم عثمان عند باب المسجد فقال يا عثمان هذا جبريل اخبرني ان
الله تعالى قد امرني ان ازوجك ام كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها اخرجه ابن ماجه
والقزويني والحافظ ابو بكر الاسماعيلي وغيرهما وعنه قال لما ماتت ابنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم بكيت بكاء شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك
فقلت ابكي على انقطاع صهري منك فقال هذا جبريل يأمرني بامر الله عز وجل ان ازوجك اختها وعن
ابن عباس مثله وزاد فيه والذي نفسي بيده لو ان عندي مائة بنت تموت واحدة بعد
واحدة زوجتك اخرى حتى لا يبقى من المائة شيء هذا جبريل اخبرني ان الله عز وجل امرني ان
ازوجك اختها وان اجعل صداقها مثل صداق اختها اخرجه الفضائلي [illegible] عن سعيد
ابن المسيب قال آم عثمان من رقية وآمت حفصة بنت عمر من زوجها فمر عمر بعثمان فقال هل لك
في حفصة وكان عثمان قد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها فلم يجبه فذكر ذلك عمر
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال هل لك في خير من ذلك اتزوج انا حفصة وازوج عثمان خيرا منها
ام كلثوم اخرجه ابو عمر وقال حديث صحيح وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني
جبريل فقال ان الله يأمرك ان تزوج عثمان ابنتك قالت عايشة كن لما تزوجه ارجى منك لما تزوجه فان فيه على
السلام [illegible] اخرجه الحافظ ابو نعيم البصري وكانت اي رقية مريضة
اي في المدينة وفي [illegible] عن ابن شهاب انها كانت اصابتها الحصبة فمرضت وتخلف عليها
عثمان واقام بالمدينة وجاء زيد بن حارثة بشيرا بفتح بدر وعثمان قائم على قبر رقية اخرجه ابو
عمر وعن ابن عباس قال لما عزي رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنته رقية قال الحمد لله
دفن البنات من المكرمات اخرجه الدولابي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لك
اجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه اي جمع له بين اجر العقبى وغنيمة الدنيا فلا نقصان في حقه
اصلا فيكون نظير تغيب علي في تبوك حيث جعله خليفته على اهله وامره بان لا يخرج معهم لكن لم يرد
انه جعل لعلي سهم من الغنيمة ايضا ام لا والله اعلم ثم رايته في الرياض انه كذلك واما تغيبه
عن بيعة الرضوان فلو كان احد اعز اي اكثر عزة من جهة العشيرة من تغيبه لعدم بيعة ببطن مكة
من عثمان لبعثه اي مكانه كما في رواية لكن لما لم تعد لا عزيز حتى امتنع عمر رضي الله تعالى عنه
خوفا على نفسه معللا بان رسول الله ما لي قوم بمكة يعينونني ويحفظونني واظهر بي فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان اي الى مكة فاستقبله اهله ورهطه وركبوه
فدانهم وانا جاءوا من [illegible] قالوا طف بالبيت [illegible] فقال ما كنت لا اطوف في
غيبته صلى الله عليه وسلم وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان الى مكة اي وشاع
عندهم ان المشركين تعرضوا لحرب المسلمين فاستعد المسلمون للقتال وبايعهم النبي صلى الله
عليه وسلم تحت الشجرة على ان لا يفروا وقيل جاء الخبر بان عثمان قتل فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي اشار بيده اليمنى هذه اي قائلا هذه يد عثمان فضرب بها على يده اي اليسرى وقال

هذه

هذه اي هذه البيعة او هذه اليد لعثمان اي لاجله وهو غائب وفيه [illegible] وجوده حاضرا واشار الى انه كذب
خبرهما ثم قال ابن عمر اذهب بها اي بالكلمات التي اجبت لك عن سؤالك الآن معك فانه
لا يضرنا بل يضرك وقال الطيبي لما قرر ابن عمر كل واحد منها بان [illegible] من اصله قال له تهكما
بها اي بما اجبت وتمسك به بعد ما تبين لك الحق المحض الذي لا يرتاب فيه انتهى والمعنى لا ينفعك
اعتقادك الفاسد في عثمان بعد ما بينت لك الحق الصريح بالجواب الصحيح رواه البخاري
وكذا الترمذي لكن اللفظ يختلف والمعنى واحد وعن ابي سهلة مولى عثمان رضي الله تعالى عنه
وفي بعض النسخ المصححة رضي الله تعالى عنهما بلفظ التثنية تغليبا ولم يذكره المؤلف في اسمائه
قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم يسر بعثمان فتشديد اي يخفي الكلام الى عثمان ولون عثمان
يتغير اي من الحياء او الخوف او الحمرة الى الصفرة فلما كان يوم الدار بالرفع ويجوز النصب قلنا الا تقاتل
بتخفيف اللام ويشدد قال لا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا [illegible] اي انه
عهد الي امرا فانا صابر بالتشديد نفسي عليه قال الطيبي اي وصاني بان اصبر ولا اقاتل ولا
[illegible] فقال هو قوله فان ارادوك على خلعه فلا تخلعه لهم فان ذلك يوم المنافقين لكن
فعلى هذا ينبغي ان يحمل الحديث الآخر في الفصل الثاني على هذا المعنى فيتعين [illegible] الاظهر
ان العهد كان مركبا من عدم الخلع وترك القتال للدفع بل التجرد للصبر للرضا في مقام
التسليم وعن ابي حنيفة اسمه عمرو بن [illegible] روى عن علي بن ابي طالب ذكره المؤلف
في [illegible] انه دخل الدار وعثمان محصور فيها وانه اي ابا حنيفة سمع ابا هريرة يستأذن
عثمان في الكلام اي [illegible] الحاضرين [illegible] فاذن له فقام
فحمد الله واثنى عليه اي على الله وهو عطف تفسيري [illegible] بمعنى الشكر ثم قال اي
ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم اي ايها الامة او ايها الصحابة
ستلقون بعدي فتنة اي محنة عظيمة واختلافا اي كبيرا او قال اختلافا وفتنة شك
الراوي في تقديم احدى اللفظين فقال له اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائل من الناس
يا رسول الله قال الطيبي هو متوجه الى قوله اختلافا اي ستلقون اختلافا في الامر
ومن خرج عليه فمن تأمرنا ان نتبعه ونلزمه [illegible] اوما تأمرنا به
شك من الراوي بين اللفظين مع اتحادهما في المعنى واحد قال عليكم بالامير واصحابه
وهو اي ابو هريرة والاظهر ان النبي صلى الله عليه وسلم يشير الى عثمان بذلك اي بقوله
الامير بان يكون حاضرا في ذلك المجلس ومذكورا فيه رواهما اي الحديثين البيهقي
في دلائل النبوة قال المؤلف كان اسلامه في اول الاسلام على يد ابي بكر قبل دخول النبي
صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهاجر الى ارض الحبشة الهجرتين وكان ابيض [illegible] حسن
الوجه عظيم اللحية يصفرها استخلف اول يوم من المحرم سنة اربع وعشرين وقتله
الاسود التجيبي من اهل مصر [illegible] ودفن ليلا بالبقيع وله يومئذ من العمر
اثنان وثمانون سنة وقيل ثمان وثمانون وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة الا اياما
روى عنه خلق كثير انتهى والله اعلم

باب مناقب هؤلاء الثلاثة رضي الله تعالى عنهم

الفصل الاول عن انس رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد
بكسر العين اي طلع احدا اي جبل احد وابو بكر وعمر وعثمان اي معه فرجف اي تحرك
احد بهم اي اضطرب واهتز [illegible] فضربه اي النبي صلى الله عليه وسلم برجله فقال
اثبت احد اي ولا تظهر شيئا في ظاهرك كالمتزلزلين [illegible] كما حكي ان الجنيد

باب مناقب هؤلاء الثلاثة رضي الله عنهم

ما بالك يا ابن السماع ظاهرا مع تحقق حالك باطنا فقرا وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
فانما عليك نبي وصديق وشهيدان اي ومعهما اهل التكبر والوقار لا بد لهم منها ثم غير خالد
عن الاخطار وتقدم مثله في جبل ثبير رواه البخاري وكذا احمد والترمذي وابو حاتم واخرج
احمد عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا على حرا ومعه ابو بكر وعمر وعثمان
فتحرك الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبت حرا فانه ليس عليك الا نبي او صديق
او شهيد وفي رواية عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حرا هو وابو بكر
وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسكن حرا فانما عليك الا نبي او صديق او شهيد وفي رواية سعد بن ابي وقاص ولم يذكر عليا
خرجه مسلم وخرجه الترمذي ولم يذكر سعدا وقال اهدا مكان اسكن وقال حديث صحيح وخرجه
الترمذي ايضا عن سعيد بن زيد وذكر انه كان عليه العشرة الا ابا عبيدة وقال ابن حجر
ان اختلاف الروايات محمول على تعداد القضية في الاوقات واثبات الشهادة لبعضهم
حقيقة والباقين حكما والله اعلم وعن ابي موسى الاشعري قال كنت مع النبي صلى الله
عليه وسلم في حائط اي بستان من حيطان المدينة يكمن الحاجة حائط فجاء رجل اي لا يعرف حاله
فاستفتح اي طلب الفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتح له وبشره بالجنة اي العالية
ففتحت له فاذا ابو بكر فبشرته بما قال رسول الله وفي نسخة النبي صلى الله عليه وسلم
فحمد الله اي شكره على تلك البشارة وفي رواية قال اللهم حمدا وفي رواية قال الحمد لله
ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتح له وبشره بالجنة ففتحت له
فاذا عمر فاخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم استفتح رجل فقال لي زاده
هنا لكمال الاهتمام بمعرفته القضية افتح له وبشره بالجنة على بلوى اي مع بلية عظيمة
تصيبه على ما ذكره الاشرف وقال الطيبي اذا جعل على متعلقا بقوله بالجنة يكون المبشر به
مركبا واذا جعل حالا من ضمير المفعول كانت البشارة مقارنة بالانذار ولا يكون المبشر به
مركبا وهو الظاهر وعلى بمعنى مع انتهى والاظهر الاول لان البلا نعمة عند ارباب الولا
فاذا عثمان وانما خص عثمان به مع ان عمر ايضا ابتلي به لتعظيم ابتلاء عثمان لانه امتد مع
امتداد الزمان وتنوع الاعوان من الاعيان فاخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم
فحمد الله ثم قال الله المستعان اي المطلوب منه المعونة في جميع المؤنة ومنه
الصبر على مرارة تلك البلية ثم في تلك البلية ترتيب ما قاموا في الجنة التي فيها النبي صلى
الله عليه وسلم ايماء الى مراتبهم العلية في الجنة العالية في مقعد صدق عند مليك مقتدر
ومن القرب بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم البشير متفق عليه وذكر في الرياض عن ابي موسى
انه خرج الى المسجد فسال عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا وجه ههنا فخرجت في اثره حتى دخل بير
اريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فتوضا
فقمت اليه فاذا هو جالس على بير اريس وتوسط قفها والقف بالضم ما ارتفع من الارض فجلست
عند الباب فقلت لاكونن بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء ابو بكر فدفع الباب فقلت من
هذا فقال ابو بكر فقلت على رسلك ثم ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
هذا ابو بكر يستاذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فاقبلت حتى قلت لابي بكر ادخل ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة فدخل ابو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى
الله عليه وسلم معه في القف ودلى رجليه في البير كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت اخي يتوضا ويلحقني فقلت ان يرد الله

بفلان خيرا يريد اخاه يات به فاذا انسان يحرك الباب فقلت من هذا فقال عمر بن الخطاب
فقلت على رسلك ثم جئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت هذا عمر بن الخطاب يستاذنك
فقال ائذن له وبشره بالجنة فجئت فقلت ادخل ويبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجنة فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في القف عن يساره ودلى رجليه في البير
ثم رجعت فجلست وقلت ان يرد الله بفلان خيرا يات به فجاء انسان فحرك الباب فقلت
من هذا فقال عثمان بن عفان فقلت على رسلك ثم جئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
له فقال ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فجئت فقلت ادخل ورسول الله صلى
الله عليه وسلم يبشرك بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه
من الشق الاخر قال شريك قال سعيد بن المسيب فاولتها قبورهم اخرجاه احمد ومسلم
وابن ماجه وابو حاتم واخرجه البخاري وزاد بعد قوله فاولتها قبورهم اجتمعت وانفرد عثمان
واخرجه مسلم ايضا من طريق اخرى عن ابي موسى ولفظه قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم متكئا في حائط من حيطان المدينة وهو ينكت بعود بين الماء والطين ينكت
به فجاء رجل فاستفتح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتح له وبشره بالجنة فاذا
ابو بكر ففتحت له وبشرته بالجنة ثم استفتح اخر فجلس ساعة ثم قال افتح له وبشره بالجنة
فاذا هو عمر ففتحت له وبشرته بالجنة ثم استفتح اخر فجلس ساعة ثم قال افتح له وبشره
بالجنة على بلوى قال ففتحت له فاذا هو عثمان فبشرته بالجنة وقلت له الذي قال فقال
اللهم صبرا وخرج الترمذي معناه عنه ولفظه انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخل حائطا للانصار فقضى حاجته فقال لي يا ابا موسى املك علي الباب فلا يدخلن
احد علي الا باذن فجاء رجل فضرب الباب فقلت من هذا قال ابو بكر فقلت يا رسول الله
هذا ابو بكر يستاذن قال ائذن له وبشره بالجنة ثم ذكر نحوه في عمر وعثمان وهذا الحديث
يدل على تكرر القضية فان ابا موسى ذكر في حديث مسلم الاول انه سال عن النبي صلى
الله عليه وسلم فقيل وجه ههنا فاتبع اثره وهذا الحديث ينطق بانه انطلق معه ويحتمل
ان يكون لما اتبع اثره لحق به قبل دخول الحائط الذي به بير اريس ثم انطلق معه حتى دخل
فقال له تلك المقالة ويكون ابو موسى ذكر سبب جلوسه بوابا في رواية ولم يذكره في رواية
واستوفى القضية في رواية واختصرها في رواية والقضية واحدة انتهى والله اعلم
الفصل الثاني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال كنا نقول ورسول الله
صلى الله عليه وسلم حي جملة حالية معترضة بين القول ومقوله ابو بكر وعمر وعثمان
اي على هذا الترتيب عند ذكرهم وبيان تفاضلهم رضي الله عنهم وقال شارح وابو بكر وما عطف
عليه مبتدا وخبره رضي الله تعالى عنهم والجملة مقول نقول ورسول الله حي جملة معترضة
اي كنا نذكر هؤلاء الثلاثة بان الله تعالى رضي عنهم وفي بعض النسخ بعد قوله حي افضل
امة النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم اي وسكت عن الباقين
رواه الترمذي وفي رواية له عنه قال كنا نفاضل على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنقول ابو بكر ثم عمر ثم عثمان فيبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينكره
وعنه كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفضل ابا بكر ثم
عمر ثم عثمان خرجه البخاري وعنه كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي افضل
امة محمد بعده ابو بكر ثم عمر ثم عثمان خرجه ابو داود وفي لفظ في الموافقات وعنه قال
اجتمع المهاجرون والانصار على ان خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر وعمر وعثمان وعنه كنا

الفصل الثاني عن ابن عمر رضي الله عنهما

تحدث في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أوفر ما كانوا أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر وعثمان وفي حرجه خيثمة بن سعد وخرج معناه الحاكم وزاد فيبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره كذا في الرياض النضرة انتهى والله أعلم الفصل الثالث عن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أري بضم الهمزة وسكون الراء وفتح الياء أي أبصر في منامه الليلة أي البارحة رجل صالح كأن أبا بكر نيط بكسر النون أي علق برسول الله صلى الله عليه وسلم ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر قال الطيبي كأن فيه الظاهر أن يقال رأيت نفسي الليلة وأبو بكر نيط بي فجرد منه صلى الله عليه وسلم لكونه رسول الله وحبيبه رجلا صالحا ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع رجلا تفخيما عن تفخيم انتهى خلاصته أن قوله رجل صالح بيان للضمير المرفوع في أري في سبيل التجريد وإنما يتم هذا في أري بفتح الراء بصيغة المجهول المتكلم في بعض النسخ لكن تقيد وصح بأنه أري بصيغة الماضي المجهول وأن رجل صالح مفعول لم يسم فاعله ويؤيده أنه لما كان الرجل الصالح في مرتبة الإبهام قال جابر فلما قمنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا أما الرجل الصالح فرسول الله صلى الله عليه وسلم أي بالاجتهاد وإن نظر للغالب والا انتجعهم صالحا كغير مثلا رأى تلك الرؤيا فأخبره صلى الله عليه وسلم وانكشف له بنور النبوة فاظهره لكن لحكمة أبهمه وستره ويؤيده ما قال صاحب الرياض أخرجه أبو حاتم في صحيحه وهكذا الرتب والصواب أن الأول الرائي والأنواط بعضهم ببعض فلعلهم واتصالهم فهم ولاة الأمر بالأمر الذي بعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم رواه أبو داود وزاد في الرياض ذكر ما جاء في مناقب أبي بكر وعمر وفي رضي جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم من تحت الصور رجل من أهل الجنة فطلع أبو بكر فهنأناه ثم لبث هنيهة ثم قال يطلع عليكم من تحت هذا الصور رجل من أهل الجنة فطلع عمر فهنأناه ثم قال يطلع عليكم من تحت هذا الصور رجل من أهل الجنة اللهم اجعله عليا ثلاث مرات فطلع علي أخرجه أحمد والصور جماعة النخل وسيأتي حديث في الفصل الثاني من باب مناقب العشرة من المختصات بالثلاثة انتهى والله أعلم

باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه

قال أحمد والنسائي وغيرهما لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي كرم الله وجهه وكان السبب في ذلك أنه تأخر ووقع الاختلاف في زمانه وكثر محاربوه والخارجون عليه فكان ذلك سببا لانتشار مناقبه لكثرة من كان يرويها من الصحابة ردا على من خالفه وإلا فالثلاثة قبله لهم من المناقب ما يوازيه ويزيد عليه كذا ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء والصحيح من شعره رضي الله تعالى عنه أنا الذي سمتني أمي حيدرة اسم الأسد وكانت فاطمة أمه لما ولدته سمته باسم أبيها فلما قدم أبو طالب كره الاسم فسماه عليا وعن سهل بن سعد قال استعمل على المدينة رجل من آل مروان قال فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليا فأبى فقال له أما إذ أبيت فقل لعن الله أبا تراب فقال سهل ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب إن كان ليفرح به إذا دعي به فقال له أخبرنا عن قصته لم سمي أبا تراب قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت فاطمة فلم يجد عليا في البيت فقال أين ابن عمك فقالت كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج ولم يقل عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان انظر أين هو فجاء فقال يا رسول الله هو في المسجد راقد فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه ويقول قم أبا تراب قم أبا تراب أخرجه الشيخان وفي الرياض عن أبي سعيد قال كنا نبيع الثياب على عواتقنا ونحن غلمان في السوق فإذا رأينا عليا قد أقبل قلنا بزر الله

قال

قال فيما تقولون قال تقول عظيم البطن قال أجل أعلاه علم وأسفله طعام وعن أبي لبيد قال رأيت علي ابن أبي طالب يتوضأ فحسر العمامة عن رأسه فرأيت رأسه مثل راحتي عليه مثل خط الأصابع من الشعر أخرجه ابن الضحاك وعن قيس بن عباد قال قدمت المدينة أطلب العلم فرأيت رجلا عليه بردان وله ظفيرتان قد وضع يده على عاتق عمر فقلت من هذا قالوا أخرجه ابن الضحاك أيضا ولا تضاد بينهما إذ يكون الشعر أخضر وسط رأسه وكان في جوانبه شعر مسترسل جمع فظفر فأتيتني والله أعلم

الفصل الأول عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أحد العشرة المبشرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى يعني في الأخوة وفي المرتبة الظاهرة في أمر الدين كما قاله شارح من علمائنا وقال التوربشتي كان هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم مخرجه إلى غزوة تبوك وقد خلف عليا رضي الله تعالى عنه على أهله وأمره بالإقامة فيهم فأرجف به المنافقون وقالوا ما خلفه إلا استثقالا له وتخففا منه فلما سمع به علي أخذ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم زعم المنافقون كذا فقال كذبوا إنما خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك أما ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى يؤول قول الله سبحانه وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي والمستدل بهذا الحديث على أن الخلافة كانت له بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم زائغ عن منهج الصواب فإن الخلافة في الأهل في حياته لا تقتضي الخلافة في الأمة بعد مماته والمقايسة التي تمسكوا بها تنتقض عليهم بموت هارون قبل موسى عليهما السلام وإنما يستدل بهذا الحديث على قرب منزلته واختصاصه بالمواخاة من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم وفي شرح مسلم قال القاضي عياض هذا مما تعلقت به الروافض وسائر فرق الشيعة في أن الخلافة كانت حقا لعلي رضي الله تعالى عنه أنه وصى له بها فكفرت الروافض سائر الصحابة بتقديمهم غيره وزاد بعضهم فكفر عليا لأنه لم يقم في طلب حقه وهؤلاء أسخف عقلا وأفسد مذهبا من أن يذكر قولهم ولا شك في تكفير هؤلاء لأن من كفر الأمة كلها والصدر الأول خصوصا فقد أبطل الشريعة وهدم الإسلام ولا حجة في الحديث لأحد منهم بل فيه إثبات فضيلة لعلي ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره وليس فيه دلالة على استخلافه بعده لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما قال هذا حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى لأنه توفي قبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة وقال الطيبي وتحريره من جهة علم المعاني أن قوله مني خبر للمبتدأ ومن اتصالية ومتعلق الخبر خاص والباء زائدة كما في قوله تعالى فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به أي فإن آمنوا إيمانا مثل إيمانكم يعني أنت متصل بي ونازل مني منزلة هارون من موسى وفيه تشبيه ووجه الشبه منه لم يفهم أنه رضي الله تعالى عنه فيما شبه به صلى الله عليه وسلم فبين بقوله إلا أنه لا نبي بعدي أن اتصاله به ليس من جهة النبوة فبقي الاتصال من جهة الخلافة لأنها تلي النبوة في المرتبة إما أن يكون في حياته أو بعد مماته فخرج أن يكون بعد مماته لأن هارون عليه السلام مات قبل موسى فتعين أن يكون في حياته عند مسيره إلى غزوة تبوك انتهى وخلاصته أن الخلافة الجزئية في حياته لا تدل على الخلافة الكلية بعد مماته لا سيما وقد عزل عن تلك الخلافة برجوعه صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وفي شرح مسلم قال بعض العلماء في قوله إلا أنه لا نبي بعدي دليل على أن عيسى بن مريم إذا نزل ينزل حكما من حكام هذه الأمة يدعو إلى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولا ينزل نبيا أقول ولا منافاة بين أن يكون نبيا ويكون متابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم في بيان أحكام شريعته وإتقان طريقته ولو بالوحي إليه كما يشير إليه قوله صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعي أي مع

وصف النبوة والرسالة والا تمنع سلبهما لا يفيد زيادة المرتبة فالمعنى انه لا يحدث بعده نبي لانه خاتم
النبيين الذي نبينا وفيه ايماء الى انه لو كان بعده نبي لكان عليا وهو لا ينافي ما ورد في حق عمر صريحا
لان الحكم فرضي وتقديري فكانه قال لو تصور بعدي نبي لكان جماعة من اصحابي انبياء ولكن لا نبي بعدي
وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم لو عاش ابراهيم لكان نبيا واما حديث علماء امتي كانبياء بني اسرائيل
فقد صرح الحفاظ كالزركشي والعسقلاني والدميري والسيوطي انه لا اصل له ثم رايت بعضهم
ذكروا زيادة ولو كان لكنته لكن قال الخطيب هذه الزيادة [illegible] ابن الازهر وكان
يضع وقد ... البخاري بالمتن صحيح والزيادة غير محفوظة والله اعلم بمواضعها متفق عليه ورواه ابن
ماجه وابو بكر المطيري في جزئه عن ابي سعيد ولفظه علي مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي
بعدي ورواه الخطيب عن البراء والديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس بلفظ علي مني بمنزلة راسي
من بدني وعن زر بكسر الزاي وتشديد الراء ابن حبيش بضم مهملة وفتح موحدة وسكون تحتية
فشين معجمة قال المؤلف اسدي كوفي عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام ستين وهو من
اكابر القراء المشهورين من اصحاب عبد الله بن مسعود وسمع عمر وروى عنه خلق كثير من التابعين
وغيرهم قال قال علي رضي الله تعالى عنه والذي فلق الحبة اي شقها واخرج النبات منها وبرا
النسمة اي خلق كل ذي روح انه اي الشان لعهد النبي الامي الي اي اكد ذلك وفي نسخة كانه عهد الي
وفي نسخة بسكون الياء على انه مصدر مرفوع مضاف الى النبي الامي وهو على لغة ... وان في قوله
ان لا يحبني مصدرية او تفسيرية لما في العهد من معنى القول والمعنى لا يحبني حبا مشروعا مطابقا
للواقع من غير زيادة ونقصان ليخرج النصيرية والخوارج الا مؤمن اي كامل الايمان فمن زاد في محبته والبغض
الخارجي مثلا فما احبه حبا مشروعا ايضا كما اشار اليه السيد جمال الدين ... عادته فامر بل
مرهمته حيث قال اي لا يحبني حبا مشروعا فلا ينتقص حقي بحبي وتفضيلي ابا بكر وعمر ولا
يبغضني الا منافق اي حقيقة او حكما رواه مسلم واخرجه الترمذي ولفظه لا يحبك الا مؤمن ...
وقال حسن صحيح وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احبني واحب هذين واباهما
وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة اخرجه احمد والترمذي وقال هذا حديث غريب وعن ام سلمة
رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحب عليا منافق ولا يبغضه
مؤمن اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي لا يبغضك
مؤمن ولا يحبك منافق اخرجه احمد في المسند وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن ابيه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اوصيكم بحب ذي قرباي اخي وابن عمي علي بن ابي طالب
فانه لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق من احبه فقد احبني ومن ابغضه فقد ابغضني اخرجه
احمد في المناقب وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان السعيد كل السعيد حق السعيد من احب عليا في حياته وبعد موته اخرجه
احمد وروى الحاكم عن انس مرفوعا حب العرب ايمان وبغضهم نفاق وروى ابن عدي عن انس حب ابي
بكر وعمر ايمان وبغضهما نفاق وروى ابن عساكر عن جابر حب ابي بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر
وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم كفر ومن سب اصحابي
فعليه لعنة الله ومن حفظني فيهم فانا احفظه يوم القيامة وعن سهل بن سعد الساعدي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر اي زمن محاصرته او اخرها ... بالمحاربة فلما كان
مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعطين هذه الراية
اي العلم الذي هو علامة للامارة غدا اي في غد رجلا يفتح الله على يديه اي بسببه يحب الله ورسوله
ويحبه الله ورسوله وفيه ايماء الى قوله تعالى يحبهم ويحبونه ... في رواية

قال فبات الناس يدوكون ليلتهم انهم يخوضون في الدوك الخوض فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي اتوه وقت الغدو كلهم يرجون اي يتمنون ان يعطاها اي الراية التي آية
الفتح بجمع الضمير في يرجون نظرا الى معنى كلهم وافرد في يعطى نظرا الى لفظه وفيه لطيفة وهي شموله
الرجاء بخصوص الاعطاء فقال اين علي بن ابي طالب وفيه اشارة الى انه في هذا المقام مراد وغيره مريد
والله غالب على امره فيعطي المراد لمن يريد فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه والمعنى انه حصل
عن لديه قال الطيبي اي انه عليه ما لا يخفى على احد فلا يستفهم جوابهم هو يا رسول الله يشتكي عينيه
ونحوه قوله تعالى مالي لا ارى الهدهد كانه صلى الله عليه وسلم استبعد غيبته عن حضرته في مثل
ذلك الموطن لا سيما وقد قال لاعطين هذه الراية الخ وقد حضر الناس كلهم طمعا بان يكرمهم الذي
يكرم به لكن الوعد ولقد تقدم القوم الضمير وبما يشتكي اليه اعتذارا منهم على سبيل التوكيد
قال فارسلوا اليه بكسر السين والمعنى فارسلوا اليه فاتي به اي فجيء به فبصق وفي رواية فتفل
في عينيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الى ... في عينيه وفي رواية ودعا له فبرا بفتح الراء
وبكسرها اي تصحح جهة عينيه وشفي شفاء كاملا حتى كان لم يكن به وجع اي ولا سبب وجع من
الرمد واستعقب اصلا فاعطاه الراية فقال علي يا رسول الله اقاتلهم بهمزة مقدرة
بدونها حتى يكونوا مثلنا اي حتى يسلموا قال انفذ بفتح الفاء اي امض على رسلك بكسر فسكون
اي رفقك وتانيك حتى تنزل بساحتهم اي حتى تبلغ فناء ارضهم ثم ادعهم الى الاسلام اي اولا
واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه اي في الاسلام وكان فيه محذوف او جملة مطوية وهي فان ابوا
عنه فاطلب الجزية فان ابوا فقاتلهم حتى يسلموا حقيقة او حكما او معناه ينقادوا قال الطيبي كان
صلى الله عليه وسلم استخشن قوله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا واستنكر ... الى ما يتصل من معنى القتال وهم
حتى يكونوا امثالنا مهتدين اعلاء لدين الله ومن ثم حثه صلى الله عليه وسلم على ما نواه بقوله فوالله
لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم يراد به حمر الابل وهي اعزها وانفسها
ويضربون بها المثل في نفاسة الشيء وانه ليس هناك اعظم منه قال النووي تشبيه امور الاخرة
باعراض الدنيا انما هو للتقريب الى الافهام والا فذرة من الاخرة خير من الدنيا باسرها وامثالها
معها انتهى والظاهر ان المراد بقوله فوالله الخ تاكيد لما ارشده من دعائهم الى الاسلام اولا فانه
ربما يكون سببا لايمانهم من غير احتياج الى قتالهم المتفرع عليه حصول الغنايم من حمر النعم وغيرها
فان ايجاد مؤمن واحد خير من اعدام الف كافر على ما قرره ابن الهمام في اول كتاب النكاح معللا به
في وجه تقديمه في كتاب السير والجهاد وحمر بضم فسكون جمع احمر واما بضم الميم فهو جمع حمار
والنعم بفتحتين وقد يكسر عينه على ما في القاموس الابل والشاء او خاص بالابل واما النعم بكسر فهو
جمع نعمة متفق عليه وروى الطبراني عن ابي رافع مرفوعا لان يهدي الله على يديك رجلا خير لك
مما طلعت عليه الشمس اي خير من الدنيا وما فيها وقيل ان اراد ان تكون له وتتصدق بها وفي الرياض
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لاعطين هذه الراية رجلا يحب
الله ورسوله يفتح الله عليه وقال عمر ما احببت الامارة الا يومئذ فتساورت لها رجاء ان ادعى لها فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم علي بن ابي طالب فاعطاه اياها وقال امش ولا تلتفت فسار علي شيئا ثم وقف ولم يلتفت
فصرخ يا رسول الله على ماذا اقاتل الناس قال قاتلهم حتى يشهدوا ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله عز وجل اخرجه مسلم وعن سلمة بن الاكوع قال كان علي قد تخلف عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في خيبر وكان به رمد فقال انا اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج
علي فلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما كانت الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية أو ليأخذن الراية غداً رجل يحبه الله ورسوله أو قال يحب الله ورسوله
يفتح الله عليه فإذا نحن بعلي وما نرجوه فقالوا هذا علي فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتح
الله عليه أخرجه البخاري ومسلم وعن بريدة قال حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له
ثم أخذه عمر من الغد فخرج ورجع ولم يفتح له وأصاب الناس يومئذ شدة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إني دافع اللواء غداً إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح عليه فبتنا طيبة
أنفسنا أن الفتح غداً فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قام قائماً ودعا باللواء والناس على
مصافهم فدعا علياً وهو أرمد فتفل في عينيه ودفع اللواء إليه ففتح له قال بريدة وأنا ممن تطاول
لها أخرجه أحمد في المناقب وعن سلمة بن الأكوع قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر
الصديق برايته وكانت بيضاء إلى بعض حصون خيبر فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث الغد
عمر بن الخطاب فقاتل ولم يكن فتح وقد جهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعطين
الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار قال فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم علياً وهو أرمد فتفل في عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض حتى يفتح الله عليك قال
سلمة فخرج والله بها يهرول هرولة وأنا خلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت
الحصن فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال من أنت قال أنا علي بن أبي طالب قال اليهودي
علوتم وما أنزل على موسى أو كما قال فما رجع حتى فتح الله على يديه أخرجه ابن إسحاق وعن أبي رافع
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرجنا مع علي حين بعثه رسول الله صلى الله
عليه وسلم برايته فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه
من يده فتناول علي باباً كان عند الحصن فترس به نفسه فلم يزل بيده حتى فتح الله عليه
ثم ألقاه من يده حين فرغ فلقد رأيتني في نفر مع سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك
الباب فما نقلبه أخرجه أحمد في المناقب وعن جابر بن عبد الله أن علي بن أبي طالب حمل الباب
يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها وأنه بعد ذلك لم يحمله إلا أربعون رجلاً وفي طريق
ضعيف ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً فكان جهدهم أن أعادوا الباب أخرجه الحاكم في الأربعين
وعن علي قال ما رمدت بعد تفل النبي صلى الله عليه وسلم في عيني أخرجه أحمد وأخرج أحمد أيضاً
عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان أبي يسمر مع علي وكان علي يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب
الشتاء في الصيف فقيل له لو سألته فسأله فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلي وأنا
أرمد العين يوم خيبر فقلت يا رسول الله إني أرمد العين قال فتفل في عيني وقال اللهم أذهب
عنه الحر والبرد فما وجدت حراً ولا برداً منذ يومئذ وقال لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله
ويحبه الله ورسوله ليس بفرار فتشرف لها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأعطانيها وذكر حديث
البراء قال لعلي أنت مني وأنا منك في باب بلوغ الصغير أي لما كان له تعلق بالحضانة والحديث
هناك مشتمل على فضل علي وجعفر وزيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهم أجمعين الفصل الثاني
عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن علياً مني وأنا منه
أي في النسب والمصاهرة والمسابقة والمحبة وغير ذلك من المزايا لا في محض القرابة وإلا فغيره
مشارك له فيها وهو ولي كل مؤمن أي حبيبه أو قال ابن الملك أو ناصره أو متولي أمره قال الطيبي
هو إشارة إلى قوله تعالى إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة وهم راكعون وفي الكشاف قيل نزلت في علي رضي الله تعالى عنه فإن قلت
كيف يصح أن يكون لعلي واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به ترغيباً للناس في مثل فعله
لينالوا مثل ثوابه ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر

والإحسان وقال البيضاوي في قوله وهم راكعون أي متخشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة
بيؤتون أي يؤتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة حرصاً على الإحسان ومسارعته إليه فإنها
نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه انتهى والحديث رواه ابن
جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه بروايات مختلفة قال القاضي واستدل به الشيعة على إمامته
زاعمين بأن المراد بالولي المتولي للأمور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع أن سياقه
تعالى لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وإنما قال وليكم ولم يقل أولياؤكم للتنبيه على
أن الولاية لله على الأصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع مع أن حمل الجمع على الواحد أيضاً
خلاف الظاهر وقال السيد معين الدين الصفوي ما قيل لا دلالة في الآية على أن المراد من الولي
المتولي للأمور والمستحق للتصرف كما قالت الشيعة بدليل ذكره بلفظ الجمع تحريفاً في
المبادرة في الصدقة فيدخل فيه كل من بادر فلا يستدل بهذه الآية على إمامته رضي الله
تعالى عنه انتهى والحاصل أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لا سيما و
اللفظ بصيغة الجمع فيدخل علي كرم الله وجهه فيه دخولاً أولياً لا أن المراد محصور فيه حقيقياً
رواه الترمذي وفي الرياض عن عمران بن حصين قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
سرية واستعمل عليهم علياً فمضى في السرية فأصاب جارية فأنكروا عليه وتعاقد أربعة من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا إذا لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه بما
صنع علي فقال عمران وكان المسلمون إذا قدموا من سفرهم بدؤوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالهم فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقام أحد الأربعة فقال يا رسول الله ألم تر أن علياً صنع كذا وكذا فأعرض عنه ثم قام الثاني
فقال مثل مقالته فأعرض عنه ثم قام الثالث فقال مثل مقالته فأعرض عنه ثم قام الرابع
فقال مثل ما قالوا فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والغضب يعرف في وجهه
فقال ما تريدون من علي ثلاثاً إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي أخرجه الترمذي
وقال حسن غريب وأخرجه أحمد وقال فيه فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأربع
وقد تغير وجهه فقال دعوا علياً دعوا علياً إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي وله طرق أخر عن بريدة
وأصله في صحيح البخاري وأخرجه أحمد في المناقب عن أبي رافع قال لما قتل علي أصحاب
الألوية يوم أحد قال جبريل يا رسول الله إن هذه المواساة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
إنه مني وأنا منه فقال جبريل وأنا منكما يا رسول الله وعن زيد بن أرقم ذكره تقدم أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من كنت مولاه فعلي مولاه قيل معناه من كنت أتولاه فعلي يتولاه من الولي ضد العدو
أي من كنت أحبه فعلي يحبه وقيل معناه من يتولاني فعلي يتولاه كذا ذكره شارح من علمائنا وفي النهاية
المولى يقع على جماعة كثيرة كالرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن
العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم عليه وأكثرها قد جاءت في الأحاديث فيضاف كل
واحد إلى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه وقوله من كنت مولاه يحمل على أكثر هذه الأسماء المذكورة قال
الشافعي يعني بذلك ولاء الإسلام كقوله تعالى ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى
لهم وقول عمر لعلي أصبحت مولى كل مؤمن أي ولي كل مؤمن وقيل سبب ذلك أن أسامة قال لعلي
لست مولاي إنما مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي
مولاه وفي شرح المصابيح للقاضي قالت الشيعة هو المتصرف وقالوا معنى الحديث أن علياً رضي الله تعالى
عنه يستحق التصرف في كل ما يستحق الرسول صلى الله عليه وسلم التصرف فيه ومن ذلك أمور المؤمنين
فيكون إمامهم قال الطيبي لا يستقيم أن تحمل الولاية على الإمامة التي هي التصرف في أمور المؤمنين لأن

المشرف المستقل في حياته صلى الله عليه وسلم المؤمن لا غير فيجب ان يحمل على المحبة وولا الاسلام ونحوه انتهى وقيل سبب ورود هذا الحديث كما نقله الحافظ شمس الدين الجزري عن ابن اسحاق ان عليا تكلم بعض من كان معه باليمن فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم حجة خطب تنبيها على قدره وردا على من تكلم فيه كبريدة كما في البخاري وسبب ذلك كما رواه الذهبي وصححه انه خرج معه الى اليمن فراى منه جفوة فنقصه للنبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتغير وجهه عليه السلام ويقول يا بريدة الست اولى بالمؤمنين من انفسهم قلت بلى يا رسول الله قال من كنت مولاه فعلي مولاه رواه احمد والترمذي وفي الجامع رواه احمد وابن ماجه عن البراء واحمد عن بريدة والترمذي والنسائي والضياء عن زيد بن ارقم ففي اسناد المصنف الحديث عن زيد بن ارقم الى احمد والترمذي مسامحة لا تخفى وفي رواية لاحمد والنسائي والحاكم عن بريدة بلفظ من كنت وليه فعلي وليه وروى المحاملي في اماليه عن ابن عباس ولفظه علي بن ابي طالب مولى من كنت مولاه والحاصل ان هذا حديث صحيح لا مرية فيه بل بعض الحفاظ عده متواترا اذ في رواية لاحمد انه سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثون صحابيا وشهدوا به لعلي لما نوزع ايام خلافته وسياتي زيادة تحقيق في الفصل الثالث عند حديث البراء وعن حبشي بضم حاء وسكون موحدة فكسر معجمة فتشديد تحتية ابن جنادة بضم الجيم قال المؤلف راى النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وله صحبة عداده في اهل الكوفة روى عنه جماعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي مني وانا من علي ولا يؤدي عني اي نبذ العهد الا انا او علي كان الظاهر ان يقال لا يؤدي عني الا علي فادخل انا تاكيدا لمعنى الاتصال في قوله علي مني وانا منه قال التوربشتي كان من داب العرب اذا كان بينهم مقاولة في نقض وابرام وصلح ونبذ عهد ان لا يؤدي ذلك الا سيد القوم او من يليه من ذوي قرابته ولا يقبلوا ممن سواهم فلما كان العام الذي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله تعالى عنه ان يحج بالناس راى بعد خروجه ان يبعث عليا كرم الله وجهه خلفه لينبذ الى المشركين عهدهم ويقرا عليهم سورة براءة وفيها انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الى غير ذلك من الاحكام فقال قوله هذا تكريما له بذلك قلت واعتذارا لابي بكر في مقامه هنالك ولذا قال الصديق لعلي حين لحقه من روايته امير او مامور فقال بل مامور وفيه ايماء الى ان امارته انما تكون متاخرة عن خلافة الصديق كما لا يخفى على ذوي التحقيق رواه الترمذي وكذا احمد والنسائي وابن ماجه عن حبشي وفي الجامع رواه احمد عن ابي جنادة فلعل لاحمد روايتان ولم يذكر المؤلف ابا جنادة في اسمائه وعن ابن عمر قال اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمد الهمزة اي جعل المواخاة في الدين بين اصحابه اي كل شخص كابي الدرداء وسلمان فجاء علي تدمع عيناه اي تسيل لما لحقه فقال وفي رواية يا رسول الله اخيت بين اصحابك ولم تواخ بالهمزة ويجوز ابداله واوا بيني وبين احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جبرا له بما كان خيرا له انت اخي في الدنيا والاخرة رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب واخرجه احمد في المناقب عن عمر ابن عبد الله عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخى بين الناس وترك عليا حتى بقي اخرهم لا يرى له اخا فقال يا رسول الله اخيت بين الناس وتركتني قال ولم تراني تركتك لنفسي انت اخي وانا اخوك فان ذكرك احد فقل انا عبد الله واخو رسوله لا يدعيها بعدي الا كذاب وعن انس قال كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير اي مشوي او مطبوخ اهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية اهدت امراة من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم طيرين بين رغيفين فقدمت اليه فقال اللهم ائتني باحب خلقك اليك وفي رواية [illegible] ياكل بالرفع وفي نسخة بالجزم معي هذا الطير فجاء علي فاكل معه رواه الترمذي وقال هذا حديث

غريب اي اسنادا او متنا ولا منع من الجمع قال ابن الجوزي موضوع وقال الحاكم ليس بموضوع وفي المختصر له طرق كثيرة كلها ضعيفة وفي الرياض عن زيد رواه احمد في المناقب قال الامام التوربشتي نحن وان كنا لا نجهد بحمد الله تعالى في حب علي رضي الله تعالى عنه وتقدمه وسوابقه في الاسلام واختصاصه برسول الله صلى الله عليه وسلم لقرابته القريبة ومواخاته اياه في الدين ونتمسك من حبه باقوى واوثق مما يدعيه الغالون فيه فلسنا نرى ان نضرب عن تقدير امثال هذه الاحاديث في نصابها صفحا لما يخشى فيها من تحريف الغالين وتاويل الجاهلين وانتحال المبطلين وهذا باب امر [illegible] فطنته وحمي امره لذب عنه بتحقيق متين اذ هو من الحق ونتقدم فيه [illegible] وهذا حديث يتمسك به المبتدع شانه ويتوصل به المتخرص [illegible] ذريعة الى الطعن في خلافة ابي بكر رضي الله تعالى عنه التي هي اول حكم اجمع عليه المسلمون في هذه الامة واقوم عماد اقيم به الدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول وبالله التوفيق هذا الحديث لا يقاوم ما اوجب تقديم ابي بكر والقول بخيريته من الاخبار الصحيحة منضما اليها اجماع الصحابة لمكان سنده فان فيه لاهل النقل مقالا ولا يجوز حمل امثاله على ما يخالف الاجماع لا سيما والصحابي الذي يرويه ممن دخل في هذا الاجماع واستقام عليه مدة عمره ولم ينقل عنه خلافه فلو ثبت عنه هذا الحديث فالسبيل ان يؤول على وجه لا ينتقض عليه ما اعتقده ولا يخالف ما هو اصح منه متنا واسنادا وهو ان يقال يحمل قوله باحب خلقك على ان المراد ائتني بمن هو من احب خلقك اليك فيشاركه فيه غيره وهم المفضلون باجماع الامة وهذا مثل قولهم فلان اعقل الناس وافضلهم اي من اعقلهم وافضلهم ومما يبين لك ان حمله على العموم غير جائز هو ان النبي صلى الله عليه وسلم من جملة خلق الله ولا جائز ان يكون علي احب الى الله منه فان قيل ذلك شيء عرف بمبادئ الشرع قلنا والذي نحن فيه عرف ايضا بالنصوص الصحيحة واجماع الامة فيؤول هذا الحديث على الوجه الذي ذكرناه او على انه اراد به احب خلقه اليه من بني عمه وذويه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يطلق القول وهو يريد تقييده ويعم به ويريد تخصيصه فيعرفه ذوو الفهم بالنظر الى الحال والوقت او الامر الذي هو فيه قال الطيبي والوجه الذي يقتضيه المقام هو الوجه الثاني لانه صلى الله عليه وسلم كان يكره ان ياكل وحده لانه ليس من شيمة اهل المروات فطلب من الله تعالى ان يبعث اليه من يؤاكله وكان ذلك برا واحسانا منه اليه وابر البر بذوي الرحم وصلته كان قال باحب خلقك اليك من ذوي القرابة القريبة ومن اوجب [illegible] ويبري اليه انتهى وفيه انه لا شك ان العم او بني من ابنه وكذا البنت اولى وادخل في البر الا ان يقال قول الطيبي هذا انما يتم اذا لم يكن احد هناك ممن يؤاكله ولا شك في وجوده [illegible] والشركة ضرورة [illegible] ولم يكن من عادته انه لا ياكل معه الا الوجه الاول وهو الموافق ولنظيره من ورود احاديث بلفظ افضل الاشياء في امور لا يمكن جمعها الا بتقدير من بعضها اذ التقدير من افضلها وعن علي رضي الله تعالى عنه قال كنت اذا سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي طلبت شيئا اعطاني اي المسؤول وجوابه واذا سكت ابتداني اي بالتكلم او الاعطاء ففيه اشعار بان حسن الادب هو السكوت وتفويض الامر الى المرجب للتعظيم المتفرع عليه الافادة المنتج للاعطاء وكونه حديث من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وتمام ذلك من كرمه وزهده ما ذكره احمد في المناقب عن علي قال لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واني لاربط الحجر على بطني من الجوع وان صدقتي اليوم اربعون الفا وفي رواية وان صدقة مالي لتبلغ اربعون الف دينار اخرجها [illegible] بين هؤلاء ما لم يبلغ كونه هذا القدر وليس كذلك فانه كان [illegible]

الناس فقيل من هذا الذي تصدقت به منذ كان في مالي الى يوم كذا وكذا الفا ثم ذكره كذلك انما هو
في معرض الشكر في هذه الحالة وعدم الاكتراث بما هو خارج لله تعالى وانما اخرجه بالغ في الزهد
من عدم ما يعد من ماله وجعل الا يكون في معرض التوبيخ في نفسه بتنقل الحال الى امر
هذا بعد ذلك الحال وعن سهل بن سعد ان علي بن ابي طالب دخل على فاطمة والحسن والحسين
يبكيان فقال ما يبكيهما قالت الجوع فخرج علي فوجد دينارا في السوق فجاء الى فاطمة فاخبرها
فقالت اذهب الى فلان اليهودي فخذ لنا به دقيقا فجاء الى اليهودي فاشترى به دقيقا
فقال اليهودي انت ختن هذا الذي يزعم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم
قال فخذ دينارك ولك الدقيق فخرج حتى جاء به فاطمة فاخبرها فقالت اذهب الى فلان
الجزار فخذ لنا بدرهم لحما فذهب فرهن الدينار بدرهم في اللحم فجاء به فعجنت ونصبت وخبزت
وارسلت الى ابيها فجاءهم فقالت يا رسول الله اذكر لك فان رأيته حلالا اكلنا واكلت
من شأنه كذا وكذا فقال كلوا باسم الله فاكلوا فبينما هم مكانهم اذا غلام ينشد الله والاسلام
الدينار فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعي له فسأله فقال سقط مني في السوق
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا علي اذهب الى الجزار فقل له ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لك ارسل الي بالدينار ودرهمك علي فارسل به فدفعه اليه اخرجه ابو داود
ومما يدل على زهده ما اخرجه البغوي في معجمه عن ابي صالح بياع الاكسية عن جدته قالت
رأيت عليا اشترى تمرا بدرهم فحمله في ملحفته فقيل يا امير المؤمنين الا نحمله عنك قال
ابو العيال احق بحمله وعن زيد بن وهب ان الجعد بن بعجة من الخوارج عاتب عليا في لباسه
فقال ما لي وللباس هذا هو ابعد من الكبر واجدر ان يقتدي به المسلم اخرجه احمد وصاحب الصفوة
ومما يدل على ورعه ما اخرجه احمد عن عبد الله بن زرير قال دخلت على علي يوم الاضحى فقرب
الينا خزيرة فقلت اصلحك الله لو قربت الينا من هذا البط يعني الاوز فان الله قد اكثر
الخير فقال يا ابن زرير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل للخليفة
من مال الله الا قصعتان قصعة ياكلها هو واهله وقصعة يضعها بين ايدي الناس
وعن علي بن ربيعة ان علي بن ابي طالب جاءه ابن التياح فقال يا امير المؤمنين امتلأ
بيت المال من صفراء وبيضاء قال الله اكبر فقام متوكئا على ابن التياح حتى قام وامر فنودي
في الناس فاعطى جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقول يا صفراء يا بيضاء غري غيري
ها وها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم ثم امر بنضحه وصلى فيه ركعتين اخرجه احمد في
المناقب وفي رواية غداة خمس الى تحنيه رجاء ان يشهد له يوم القيمة وعن علي قال جعت
بالمدينة جوعا شديدا فخرجت اطلب العمل في عوالي المدينة فاذا انا بامراة قد جمعت مدرا
فظننتها تريد بله فاتيتها فقاطعتها كل دلو بتمرة فمددت ستة عشر ذنوبا حتى مجلت يداي
ثم اتيتها فقلت بكلتي يدي هكذا بين يديها وبسط اسمعيل راوي الحديث يديه جميعا
فعدت لي ستة عشر تمرة فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فاكل معي منها وقال لي خيرا
ودعا لي اخرجه احمد في المناقب وصاحب الصفوة والفضائلي رواه الترمذي وقال هذا
حديث غريب واخرج ابن سعد عن علي انه قيل له ما لك اكثر اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اني كنت اذا سألته انباني واذا سكت ابتدأني وعنه اي عن علي رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا دار الحكمة وفي رواية انا مدينة العلم وفي
رواية انا دار العلم وعلي بابها اي باب من ابوابها ولكن التخصيص يفيد نوعا من التعظيم
وهو كذلك لانه بالنسبة الى بعض الصحابة اعظمهم وما يدل على ان جميع الاصحاب بمنزلة

الابواب

الابواب لقوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم مع الايماء الى اختلاف
مراتب انوارها في الاهتداء ومما يحقق ذلك ان التابعين اخذوا انواع العلوم الشرعية من القراءة
والتفسير والحديث والفقه من سائر الصحابة غير علي رضي الله تعالى عنه ايضا فعلم عدم انحصار
البابية في حقه اللهم الا ان يختص بباب القضاء فانه ورد في شأنه انه اقضاكم كما جاء في حق
ابي انه اقرأكم وفي حق زيد بن ثابت انه افرضكم وفي حق معاذ بن جبل انه اعلمكم بالحلال والحرام
ومما يدل على جزالة علمه ما في الرياض عن معقل بن يسار قال وضأت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال هل لك في فاطمة تعودها فقلت نعم فقام متوكئا علي فقال انه سيحمل
ثقلها غيرك ويكون اجرها لك قال فكأنه لم يكن علي شيء حتى دخلنا على فاطمة فقال كيف
تجدينك قالت لقد اشتد حزني واشتدت فاقتي وطال سقمي قال عبد الله بن احمد بن حنبل
وجدت بخط ابي في هذا الحديث قال اوما ترضين ان زوجتك اقدمهم سلما واكثرهم
علما واعظمهم حلما اخرجه احمد وعن ابن عباس وقد سأله الناس فقالوا اي رجل كان
علي قال كان قد ملئ جوفه حكما وعلما وبأسا ونجدة مع قرابته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخرجه احمد في المناقب وعن سعيد بن المسيب قال كان عمر يتعوذ من معضلة
ليس لها ابو حسن اخرجه احمد قال الطيبي لعل الشيعة يتمسكون بهذا التمثيل
ان اخذ العلم والحكمة منه مختص به لا يتجاوز الى غيره الا بواسطته رضي الله تعالى عنه
لان الدار انما يدخل من بابها وقد قال تعالى واتوا البيوت من ابوابها ولا حجة لهم فيه اذ ليس
دار الجنة باوسع من دار الحكمة ولها ثمانية ابواب رواه الترمذي وقال هذا حديث
غريب اي اسنادا وقال اي الترمذي وروى بعضهم هذا الحديث عن شريك وهو شريك بن
عبد الله القاضي فقط اي وذكره شارح ولم يذكروا اي ذلك البعض فيه اي في اسناد هذا الحديث
عن الصنابحي بضم الصاد وكسر موحدة وبمهملة ولا نعرف اي نحن هذا الحديث عن احد من
الثقات غير شريك بالنصب على الاستثناء وفي نسخة بالجر على انه بدل من احد وقال وفي
بعض نسخ الترمذي عن شريك بدل غير شريك والله اعلم ثم اعلم ان حديث انا مدينة
العلم وعلي بابها رواه الحاكم في المناقب من مستدركه من حديث ابن عباس وقال صحيح وتعقبه
الذهبي فقال بل هو موضوع وقال ابو زرعة كم خلق افتضحوا فيه وقال يحيى بن معين لا اصل
له كذا قال ابو حاتم ويحيى بن سعيد وقال الدارقطني ثابت ورواه الترمذي في المناقب
في معه وقال انه منكر وكذا قال البخاري انه ليس له وجه صحيح واورده ابن الجوزي في
الموضوعات وقال ابن دقيق العيد هذا الحديث لم يثبتوه وقيل انه باطل لكن قال الحافظ
ابو سعيد العلائي الصواب انه حسن باعتبار طرقه لا صحيح ولا ضعيف فضلا عن ان
يكون موضوعا ذكره الزركشي وسئل الحافظ العسقلاني عنه فقال انه حسن لا صحيح
كما قال الحاكم ولا موضوع كما قال ابن الجوزي قال السيوطي وقد بسطت كلام العلائي والعسقلاني
في التعقبات التي على الموضوعات انتهى وفي خبر الفردوس انا مدينة العلم وابو بكر اساسها
وعمر حيطانها وعثمان سقفها وعلي بابها وشد بعضهم فاجاب [illegible]
من العلو على حد قراءة صراط علي مستقيم برفع علي وتنوينه كما قرأ به يعقوب وعن جابر قال
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا يوم الطائف قال شارح اي يوم ارسل النبي صلى
الله عليه وسلم عليا الى الطائف فانتجاه من باب الافتعال من النجوى اي تكلم معه سرا فقال
له يجوى فقال الناس اي بعض الناس او عوام الصحابة لقد طال نجواه مع ابن عمه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتجيته اي ما خصصته بالنجوى انا ولكن الله انتجاه

بشير ونذير ويخوف والمعنى لا يبلغنه من الله ما أمر به أن يبلغه إياه في سبيل النجوى تحقيقه
انتجاه الله لا انتجيته فهو نظير قوله تعالى وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى قال الطيبي
كان ذلك أسرارا إلهية وأمورا غيبية جعله من خزانتها انتهى وتبين أن الظاهر أن الأمر
المتناجى به من الأسرار الدينية المتعلقة بالأحوال الدنيوية من أمر الغزو ونحوه إذ ثبت
في صحيح البخاري أنه سئل علي كرم الله وجهه هل عندكم شيء ليس في القرآن فقال
والذي خلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهما يعطى رجل
رجل في كتابه وما في الصحيفة فقال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر
ثم هذا التناجي يحتمل أنه بعد نزول آية يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين
يدي نجواكم صدقة واخـ[illegible] لأمر للندب أو للوجوب لكنه منسوخ بقوله
أأشفقتم الآية وأن التصدق بلا ولم يتصل به نزول الآية يمكن العمل به وعن علي رضي الله
تعالى عنه إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته
تصدقت بدرهم رواه الترمذي وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعلي يا علي لا يحل لأحد يجنب بضم أوله وكسر ثالثه قال الطيبي ظاهره أن يجنب
تأملا لقوله لا يحل وقوله في هذا المسجد ظرف ليجنب وفيه إشكال ولذلك أول الطيبي
مرد صفة لأحد غيري وغيرك بالنصب في أكثر النسخ وفي كثير من النسخ بالرفع ولا يظهر
له وجه إلا أن يقال خبر مبتدأ محذوف أي هو غيري وغيرك قال علي بن المنذر قال المؤلف
هو كوفي عرف بالطريقي روى عن ابن عيينة والوليد بن مسلم وعنه الترمذي والنسائي وابن
ماجه وغيرهم قال ابن أبي حاتم سمعت منه مع أبي وهو ثقة صدوق وقال النسائي
شيعي محض ثقة مات سنة ست وخمسين ومائتين قلت لضرار بكسر الضاد المعجمة
ابن صرد بضم ففتح ثقة روى عن أبي نعيم الكوفي الطحان سمع المعتمر بن سليمان وغيره
وروى عنه علي بن المنذر ما معنى هذا الحديث قال لا يحل لأحد يستطرقه جنبا غيري
وغيرك قال النابي ذكر في شرحه أنه لا يحل لأحد يستطرقه جنبا غيري وغيرك وهذا إنما يستقيم
إذا جعل يجنب صفة لأحد ومتعلق الجار محذوف فيكون تقدير الكلام لا يحل لأحد تلبسه
الجنابة يمر في المسجد غيري وغيرك وكان ممرهما خاصة في المسجد قال الطيبي والإشارة
في هذا المسجد مشعرة بأن لهما اختصاصا بهذا الحكم ليس لغيرهما من المساجد ولعل ذلك
لأن باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح في المسجد وكذا باب علي ويؤيده حديث
ابن عباس في الفصل الثالث أمر بسد الأبواب إلا باب علي رواه الترمذي وقال هذا
حديث غريب وقال الجزري هذا الحديث ضعيف باتفاقهم انتهى وسيأتي عن
زارذها في الفصل الثالث عند قوله أمر بسد الأبواب إلا باب علي وعن أم عطية قال
المؤلف هي نسيبة بضم النون وفتح السين المهملة وسكون الياء وفتح الباء الموحدة
بنت كعب وقيل بنت الحارث الأنصارية بايعت النبي صلى الله عليه وسلم تمرض المرضى
وتداوي الجرحى قالت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم علي قالت فسمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رافع يديه يقول أي حين أرسلهم أو عند توديعهم إياهم
اللهم لا تمتني بضم فكسر أي لا تقبضني حتى تريني بضم فكسر أي تبصرني عليا أي رجوعه
بالسلامة رواه الترمذي وعن الحسن أنه قال حين قتل علي لقد فارقكم رجل ما سبقه
الأولون بعلمه ولا أدركه الآخرون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه بالسرية
جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله لا ينصرف حتى يفتح عليه أخرجه أحمد انتهى والله أعلم

الفصل

الفصل الثالث

الفصل الثالث عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يحب عليا منافق ولا يبغضه مؤمن أي كامل رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث
حسن غريب إسنادا وقد سبق ما يؤيده وعنها أي عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سب عليا أي من جملة السب فقد سبني أو من شتم عليا فكأنه شتمني
فمقتضاه أن يكون سبه كفرا وهو محمول في التهديد والوعيد أو مبني على الاستحلال
والله أعلم بالحال رواه أحمد وكذا الحاكم وروى الطبراني عن ابن عباس من سب أصحابي
فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وفي رواية للطبراني عن علي من سب الأنبياء
قتل ومن سب أصحابي جلد وفي الرياض عن عمرو بن شاس الأسلمي وكان من أصحاب
الحديبية قال خرجت مع علي إلى اليمن فجفاني في سفري حتى وجدت في نفسي عليه فلما قدمت
المدينة أظهرت شكايته في المسجد حتى بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت
من أصحابه فلما رآني أمدني عينيه يقول حدد إلي النظر حتى إذا جلست قال يا عمرو
والله لقد آذيتني قلت أعوذ بالله أن أوذيك يا رسول الله فقال بلى من
آذى عليا فقد آذاني أخرجه أحمد وعن ابن عباس قال بعثني رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى علي بن أبي طالب فقال له أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة من أحبك فقد
أحبني وحبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله وعدوك عدوي وعدوي عدو الله والويل
لمن يبغضك أخرجه أحمد في المناقب وعن ابن عباس أيضا لقد سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من سب عليا فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله
عز وجل أكبه الله على منخريه أخرجه أبو عبد الله الجلابي وعن أم سلمة قالت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من سب عليا فقد سبني أخرجه أحمد وعن عروة بن الزبير أن
رجلا وقع في علي بن أبي طالب بمحضر من عمر فقال عمر أتعرف صاحب هذا القبر هو محمد
ابن عبد الله بن عبد المطلب لا تذكر عليا إلا بخير فإنك إن تنقصه آذيت صاحب هذا القبر
صلى الله عليه وسلم أخرجه أحمد في المناقب وعن أبي سعيد الخدري قال اشتكى الناس
عليا يوما فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا فسمعته يقول يا أيها
الناس لا تشكوا عليا فوالله إنه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله أخرجه
أحمد وعن علي رضي الله تعالى عنه قال قال لي أي مخصوصا بي النبي صلى الله عليه وسلم
فيك مثل أي في خلقك شبه من عيسى أي من وجهين متقاربين للنوعين متخالفين
أبغضته اليهود أي بغضا مفرطا حتى بهتوا أمه من بهتت كمنعه قال له ما لم يفعل
والمعنى أنهم افتروا عليها بأن نسبوها إلى الزنى وأحبته النصارى أي حبا بليغا
حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليست له أي مع اختلاف لهم في ذلك المنزلة ثم قال أي
علي مرتوني يهلك في أي بسببي في حقي رجلان أي أحدهما رافضي والآخر خارجي محب
مفرط بضم فسكون أي مبالغ عن الحد يقرظني بكسر الراء المشددة أي يمدحني بما ليس في
أي بتفضيلي على جميع الصحابة أو في الأنبياء أو بإثبات الألوهية كطائفة النصيرية
ومبغض وإنما يقيدها بالمفرط لأن البغض ضد ممنوع بخلاف أصل الحب نعم مذموم
يحمله أي يبعثه ويكسبه شنآني بفتحتين وبسكون النون ويحكى تركها لهم أي عداوتي
على أن يبهتني أي يتكلم في بالبهتان وينسب إلي الزور والعصيان رواه أحمد أي
في المسند وعنه قال يحبني أقوام حتى يدخلوا النار في حبي ويبغضني أقوام حتى
يدخلوا النار في بغضي رواه أحمد في المناقب وعن السدي قال قال علي اللهم العن

كل مبغض لنا وكل محب لنا غال اخرجاه في المناقب وعن البراء بن عازب وزيد بن ارقم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل اي في مرجعه من حجة الوداع في حال اصحابه من
الاجتماع بغدير خم بضم خاء وتشديد ميم لغيضة على ثلاثة اميال من الجحفة عندها غدير
مشهور يضاف الى الغيضة اخذ بيد علي رضي الله تعالى عنه فقال الستم تعلمون اني
اولى بالمؤمنين اي بعضهم من انفسهم وفيه ايماء الى قوله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
قالوا بلى قال الستم تعلمون اني اولى بكل مؤمن اي بخصوصه من نفسه اي فضلا عن
بقية اهله قالوا بلى قال اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
وفي رواية واحب من احبه وابغض من ابغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه
حيث دار فلقيه عمر رضي الله تعالى عنه بعد ذلك فقال له هنيا ابر طوبى او عش عيشا
هنيا يا ابن ابي طالب اصبحت وامسيت اي صرت في كل وقت مولى كل مؤمن ومؤمنة
تمسكت الشيعة بان هذا النص المصرح بخلافة علي رضي الله تعالى عنه فقالوا معنى
المولى الاولى بالامامة والا لما احتاج الى جمعهم كذلك وهذا من اقوى شبههم ودفعه
علماء اهل السنة بان المولى بمعنى المحبوب وهو علي كرم الله وجهه سيدنا وحبيبنا وله
معان اخر تقدمت ومنها الناصر واما انه لم يخرج عن كونه نصا فضلا عن ان يكون صريحا ولو سلم
انه بمعنى الاولى بالامامة فالمراد به المآل والا لزم ان يكون هو الامام مع وجوده عليه السلام
فتعين ان يكون المقصود منه حين يوجد عقد البيعة له فلا ينافيه تقديم الائمة
الثلاثة عليه لانعقاد الاجماع ممن يعتد به حتى من علي ثم سكوته عن الاحتجاج به الى
ايام خلافته قاض على من له ادنى مسكة بانه علم منه انه لا نص فيه على خلافته
عقب وفاته عليه السلام ان عليا كرم الله وجهه صرح لنفسه بانه صلى الله عليه وسلم
لم ينص عليه ولا على غيره ثم هذا الحديث مع كونه احادا مختلف في صحته فكيف ساغ
للشيعة ان يخالفوا ما اتفقوا عليه اشتراط التواتر في احاديث الامامة ما هذا الا
تناقض صريح وتعارض قبيح رواه احمد في مسنده وانكر منه ان يكون حسنا لا
تلا الثقات لم تقدح اي تطعن في ثبوت هذا الحديث والعذر في رده بان عليا كان باليمن
لثبوت رجوعه منها وادراكه الحج مع النبي صلى الله عليه وسلم ولعل سبب قول هذا
القائل انه وهم انه صلى الله عليه وسلم قال هذا القول عند وصوله من المدينة
الى غدير خم ثم قول بعضهم ان زيادة اللهم وال من والاه موضوعة مردود فقد
ورد ذلك من طرق صحح الذهبي كثيرا منها والله اعلم وفي الرياض عن رياح بن الحارث قال
جاء رهط الى علي بالرحبة فقالوا السلام عليك يا مولانا قال كيف اكون مولاكم وانتم
عرب قالوا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم من كنت مولاه فعلي
مولاه قال رياح فلما مضوا تبعتهم فسالت من هولاء قالوا نفر من الانصار فيهم ابو ايوب
الانصاري اخرجه احمد وعن بريدة قال غزوت مع علي اليمن فرايت منه جفوة فلما قدمت
على النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت عليا فتنقصته فرايت وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتغير فقال يا بريدة الست اولى بالمؤمنين من انفسهم قلت بلى يا رسول الله
قال من كنت مولاه فعلي مولاه اخرجه احمد وعن بريدة قال خطب ابو بكر وعمر فاطمة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها صغيرة وفي رواية فسكت ولعله
محمول على مرة اخرى ثم خطبها علي فزوجها منه يوهم انه مما يدل على افضلية علي عليهما
وليس كذلك اذ يحتمل انها كانت صغيرة عند خطبتهما ثم بعد مدة حتى كبرت ودخلت

مولاه ع

بخمسة

في خمسة عشر خطبها علي او المراد انها صغيرة بالنسبة لهما لكبر سنهما وزوجها من علي لما ناسب سنه لها اولو
نزل بتزويجها ازيد في ما في الرياض انه قال لابي بكر وعمر في غيرها ممن خطبها لم ينزل القضاء بعد وارتفع الاشكال
وانه ضعيف الاسناد لا رواه النسائي واخرج ابو الخير القزويني الحاكمي عن انس بن مالك قال خطب ابو بكر الى
النبي صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر لم ينزل القضاء ثم خطبها عمر مع عدة
من قريش كلهم يقول له مثل قوله لابي بكر فقيل لعلي لو خطبت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة لخليق ان
يزوجكها قال وكيف وقد خطبها اشراف قريش فلم يزوجها فخطبها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد امرني
ربي بذلك قال انس ثم دعاني النبي صلى الله عليه وسلم بعد ايام فقال لي يا انس اخرج وادع لي ابا
بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة والزبير
وبعدة من الانصار قال فدعوتهم فلما اجتمعوا اخذوا مجالسهم وكان علي
غائبا في حاجة النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب
من عذابه وسطوته النافذ امره في سمائه وارضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه واعزهم
بدينه واكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى اسمه وتعظمت عظمته جعل المصاهرة
سببا لاحقا وامرا مفترضا اوشج به الارحام والزمه للانام فقال عز من قائل وهو الذي خلق من
الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فامر الله تعالى يجري الى قضائه وقضاؤه يجري الى قدره ولكل
قضاء قدر ولكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ثم ان الله تعالى امرني ان ازوج
فاطمة بنت خديجة من علي بن ابي طالب فاشهدوا اني قد زوجته على اربعمائة مثقال فضة ان رضي
بذلك علي بن ابي طالب ثم دعا بطبق من بسر فوضعه بين ايدينا ثم قال انتهبوا فانتهبنا فبينا نحن
ننتهب اذ دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه ثم قال ان
الله تعالى امرني ان ازوجك فاطمة على اربعمائة مثقال فضة ان رضيت بذلك فقال قد رضيت
بذلك يا رسول الله قال انس فقال النبي صلى الله عليه وسلم جمع الله شملكما واسعد جدكما
وبارك عليكما واخرج منكما كثيرا طيبا قال انس فوالله لقد اخرج منهما كثيرا طيبا وعن ابن عباس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بسد الابواب اي المفتوحة في المسجد الا باب علي ولذا قال
لا يحل لاحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك فلا يشكل هذا الحديث بما في مناقب ابي
بكر من امره بسد الخوخ جميعها الا خوخة ابي بكر لان ذاك فيه التصريح بان امره بالسد كان حال
مرض موته وهذا ليس فيه ذلك فيحمل هذا على انه متقدم على المرض وبذلك يندفع قول العلماء ان ذلك
فيه اشارة الى خلافة ابي بكر على ان ذلك الحديث اصح من هذا واشهر فانه حديث متفق عليه
وهذا كما قال المؤلف رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب اي متنا او اسنادا او معا لكن
قد اخرجه احمد والنسائي عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني امرت بسد هذه
الابواب غير باب علي في الرياض اخرجه احمد عن زيد بن ارقم قال كان لنفر من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابواب شارعة في المسجد فقال يوما سدوا هذه الابواب الا باب علي قال
فتكلم في ذلك ناس فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فاني
امرت بسد هذه الابواب غير باب علي فقال فيه قائلكم واني والله ما سددت شيئا ولا فتحته ولكني
امرت بشيء فاتبعته وعن ابن عمر قال لقد اوتي ابن ابي طالب ثلاث خصال لان يكون لي واحدة
منهن احب الي من حمر النعم زوجه صلى الله عليه وسلم ابنته وولدت له وسد الابواب الا بابه في
المسجد واعطاه الراية يوم خيبر اخرجه احمد وعن عبد الله بن شريك عن عبد الله بن الرقيم الكناني
قال خرجنا الى المدينة زمن الجمل فلقينا سعد بن مالك فقال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسد الابواب الشارعة في المسجد وترك باب علي اخرجه احمد قال السعدي عبد الله بن شريك كذاب

وقال ابن حبان كان غاليا في التشيع انتهى وفي هذا الحديث [illegible] ابن حجر [illegible] والصحيح
ما اخرج في الصحيحين عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبقين في المسجد
الا سد الا باب ابي بكر فان صح الحديث [illegible] حاصله [illegible] توفيقا بين
الحديثين والله اعلم وعن علي رضي الله تعالى عنه قال كانت لي منزلة اي مرتبة قرب من رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم تكن لاحد من الخلائق [illegible] حيث [illegible] الصحابة بجميع الخلائق
[illegible] اتيه بالمد [illegible] في تلك المنزلة [illegible] وهو
السحر [illegible] ما ذكره الكشاف فاقول السلام عليك يا رسول الله اي سلام استئذان
فان تنحنح اي [illegible] جواب السلام [illegible] الاستئذان [illegible] جواب وايجاب لا
انصرفت الى اهلي اي رجعت الى اهل بيتي [illegible] والا اي وان لم يتنحنح
دخلت عليه [illegible] رواه النسائي وعنه اي عن علي
رضي الله تعالى عنه قال كنت شاكيا اي مريضا فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ذاهب
[illegible] وانا اقول اللهم ان كان اجلي [illegible] فارحني اي بالموت من الاراحة
[illegible] وان كان [illegible] فارفعني بفتح الفاء وسكون [illegible]
[illegible] المعيشة [illegible] وفي نسخة صحيحة بالعين المهملة
[illegible] ذكره الطيبي
[illegible] والله اعلم [illegible] الرفع [illegible]
وزاد في الصحاح [illegible] واسع طيب [illegible]
الرجل [illegible] العيش [illegible] الحديث [illegible] الطيبي
[illegible] قال والذي صح في
[illegible] الرفع ومعناه ظاهر [illegible] بالمقام كما لا يخفى
[illegible] اذا [illegible] الامام [illegible] المتعدي
بمعنى [illegible] ومنه قوله تعالى ورافعك الي [illegible]
وان كان [illegible] المعنى [illegible]
[illegible] المكسورة اي اعطني صبرا [illegible]
تعالى واصبر وما صبرك الا بالله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت فاعاد اي
علي عليه ما قاله [illegible] فضربه برجله [illegible]
بركته [illegible] فقال اللهم عافه [illegible] السكت وكذا
في قوله او اشفه شك الراوي [illegible]
ونحوه [illegible] اللهم عافني او اشفني [illegible]
قال اي علي فما اشتكيت وجعي [illegible] بعد اي بعد ذلك [illegible] رواه الترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح قال المؤلف هو امير المؤمنين علي بن ابي طالب القرشي يكنى ابا
الحسن وابا تراب وهو اول من اسلم من الذكور في اكثر الاقوال وقد اختلف في سنه يومئذ
فقيل كان له خمس عشرة سنة وقيل ثمان سنين وقيل عشر سنين شهد مع النبي صلى الله
عليه وسلم المشاهد كلها غير تبوك فانه خلفه في اهله وفيها قال له الا ترضى ان تكون مني بمنزلة
هارون من موسى كان آدم شديد الادمة عظيم العينين اقرب الى القصر من الطول ذا بطن كثير
الشعر عريض اللحية ابيض الراس واللحية استخلف يوم قتل عثمان وهو يوم الجمعة لثمان
عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي بالكوفة صبيحة

الجمعة

الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة اربعين ومات بعد ثلاث ليال من ضربته وغسله
ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه الحسن ودفن سحرا وله من العمر ثلاث وستون سنة وقيل
خمس وستون وقيل سبعون وقيل ثمان وخمسون وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر
واياما [illegible] عنه بنوه الحسن والحسين ومحمد وخلائق من الصحابة والتابعين انتهى ولا يخفى انه كان
ينبغي [illegible] من ترتيب الابواب [illegible] مناقب [illegible] الاربعة [illegible]
[illegible] العشرة المبشرة [illegible] حديث [illegible] الاربعة بخصوصهم [illegible] الفصل الثاني

باب مناقب هؤلاء العشرة المبشرة رضي الله تعالى عنهم

اراد بذكرهم [illegible] ان يكونوا مجتمعين في حديث واحد ومتفقين [illegible]
الصحابة بعد الخلفاء الاربعة بقية العشرة على ما صرح به السيوطي في [illegible] الفصل
الاول عن عمر رضي الله تعالى عنه اي موقوفا قال [illegible] يوم الشورى ما احد احق بهذا الامر
اي امر الخلافة من هؤلاء النفر وهو [illegible] العشرة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو عنهم راض [illegible]
[illegible] قال الطيبي [illegible] ورسول الله عنهم
راض [illegible] الصحابة كلهم [illegible] عنهم [illegible]
لكونهم من العشرة المبشرة بالجنة [illegible] فسمى عليا اي [illegible] وعثمان
والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن [illegible]
[illegible] منفردا [illegible] الله تعالى ثم اعلم
[illegible] العشرة [illegible] ومنهم ابو بكر ومنهم ابو عبيدة
[illegible] واما سعيد بن زيد فهو ابن عم عمر [illegible]
[illegible] المدائني [illegible] سعيد بن زيد [illegible] مات النبي صلى الله عليه وسلم
[illegible] رواه البخاري وفي الرياض
[illegible] عن عمرو بن ميمون انهم قالوا لعمر بن الخطاب لما طعنه ابو لؤلؤة [illegible] امير المؤمنين استخلف
[illegible] بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم
راض فسمى عليا وطلحة وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص [illegible]
عبد الله بن عمر وليس له من الامر شيء [illegible] فان اصابت الامرة سعدا [illegible]
[illegible] فلما فرغ من دفنه ورجعوا [illegible] الرهط [illegible]
[illegible] فقال الزبير قد جعلت امري الى علي وقال سعد قد جعلت
عبد الرحمن اجعلوا امركم الى ثلاثة منكم [illegible]
امري الى عبد الرحمن وقال طلحة قد جعلت امري الى عثمان [illegible]
الرحمن فقال عبد الرحمن [illegible] ايكما [illegible] هذا الامر فنجعله اليه والله عليه والاسلام لينظرن
[illegible] فسكت الشيخان علي وعثمان فقال
[illegible] في نفسه [illegible]
عبد الرحمن [illegible] والله علي ان لا [illegible] قالا نعم فاخذ بيد علي فقال لك [illegible]
والاسلام والقرابة [illegible] الله عليك لئن امرتك لتعدلن ولئن امرت عليك لتسمعن
ولتطيعن ثم خلا بعثمان فقال له مثل ذلك فلما اخذ الميثاق قال ارفع يدك [illegible]
[illegible] اخرجه البخاري [illegible] ذكره ابن الجوزي
[illegible] لما قال لعلي وعثمان [illegible]
في كتاب [illegible] الصحابة [illegible] لابي بكر وعمر
[illegible] لابي بكر وعمر [illegible]

باب مناقب اهل بيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رضي الله تعالى عنهم

الفصل الاول عن [illegible] رضي الله تعالى عنه

فقال في واجهها درأي فخاف ان يترخص في المباح ما لا يجهله من الف ذلك السداد من مستبرع
الشيخين فقال لعثمان ابايعك في سيرة ابي بكر وعمر فقال نعم فبايعه فسار بسيرة ابي بكر
وعمر مدة ثم ترخص في مباحات ولم يحجرها فانكروا عليه واخرج ابو الخير القزويني الحاكمي
عن انس بن مالك عن رجل منهم انه كان يعني عبد الرحمن بن عوف كلما دعى رجلا منهم يعني من اهل
الشورى تلك الليلة وذكر مناقبه وقال انك لها اهل فان اخطاتك فمن يقول ان اخطاتني
فعثمان انتهى والحكمة الخفية في ترتيب الاربعة ما ذكره بعض العارفين من انه اراد الله ان
يشرف كلا منهم بمنصب الخلافة وكان امر الله قدرا مقدورا وكان ذلك في الكتاب مسطورا
وذكر ابو محمد بن جرير الطبري لما قيل لان العباس مع جلالته وقربه من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومنزلته لم يدخل في الشورى فقيل لانها لما جعلها في اهل السبق من المهاجرين
البدريين والعباس لم يكن منهم جاز [illegible] بدريا وسيأتي ان عثمان وطلحة وسعيدا
في حكم اهل بدر حيث اعطى لهم من سهمها واجرها ثم اعلم ان الامامة تثبت اما بعقد واحد من
اهل العقد والحل ان عقدت له من اهلها كابي بكر واما بنص من الامام في الاستخلاف واحد من
اهلها كعمر ويجوز نصب المفضول مع وجود من هو افضل منه باجماع العلماء من الخلفاء الراشدين
في اما من يقصر من قريش مع وجود افضل منه لان عمر جعل الخلافة في ستة منهم عثمان
وفي وهما افضل زمانهما بعد عمر فلو تعين الافضل لعين عمر عثمان او عليا فدل عدم تعيينه
انه يجوز نصب غيرهما مع وجودهما اذ غير الافضل قد يكون اقدر منه في القيام بمصالح الدين
واعرف بتدبير الملك واوفق لانتظام حال الرعية واوثق في اندفاع الفتنة واما اشتراط
العصمة في الامام وكونه هاشميا وظهور معجزة على يديه يعلم بها صدقه فمن خرافات الشيعة
وجهالاتهم لترتيبه وتمهيد لهم في [illegible] لانهم من بطلان خلافة غير علي مع انتفاء ذلك فيه علي
كرم الله وجهه **وعن قيس بن ابي حازم** قال المؤلف بجلي ادرك زمن الجاهلية واسلم وجاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم ليبايعه فوجده قد قبض فهو تابعي لكونه روى عن العشرة الا
عبد الرحمن بن عوف وعن جماعة كثيرة سواهم من الصحابة وليس في التابعين من روى عن
تسعة من العشرة الا هو وروى عن جماعة كثيرة من التابعين شهد النهروان مع علي بن
ابي طالب وطال عمره حتى جاوز المائة سنة ثمان وتسعين **قال رأيت يد طلحة شلاء** بتشديد
اللام فعلاء من الشلل وهو نقص في الكف وبطلان العمل وليس معناه القطع كما زعم بعضهم
وفي استثنيت فبيان علة اي حفظ بها **النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد** اي جعلها وقاية له يوم
تفضل بها ما قصد بسببه من طعنة ونحوها **رواه البخاري** قال المؤلف هو طلحة بن عبيد
الله يكنى ابا محمد القرشي اسلم قديما وشهد المشاهد كلها غير بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم
كان بعثه مع سعيد بن زيد يتعرفان خبر العير التي كانت لقريش مع ابي سفيان بن حرب
فعاد يوم اللقاء ببدر وجرح يوم احد اربعة وعشرين جراحة وقيل كانت فيه خمس وسبعين
بين طعنة وضربة ورمية وكان ادم كثير الشعر حسن الوجه قتل في وقعة يوم الجمل يوم الخميس
لعشر بقين من جمادى الاخرة سنة ست وثلاثين ودفن بالبصرة وله اربع وستون سنة
وعن جابر قال قال النبي وفي نسخة قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم من يأتيني**
بإثبات الياء في لام الفعل قال من هي موصولة وفي نسخة صحيحة بحذفها تخفيفا
او في الذي شرطية محذوفة الجواب والمعنى من يجيئني بخبر القوم اي قوم الكفار يوم الاحزاب وهو يوم
الخندق **قال الزبير انا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا** بتشديد الياء ويجوز
تخفيفها اي ناصرا مخلصا **وحواري** بتشديد الياء المفتوحة وفي نسخة وحواري **الزبير** وفي

شرح

شرح مسلم قال القاضي عياض ضبط جماعة من المحققين بفتح الياء المشددة وضبط اكثرهم بكسرها
انتهى ولا يخفى ان الاخير عليه ان يكون بحذف الياء المشددة بالاضافة مفتوحة على وفق القراءة المتواترة
في قوله تعالى ان وليي الله الذي نزل الكتاب وعليها ان يكون بياء الاضافة ساكنة بحذف وصلا
ويثبت وقفا وعليها ان يكون بالياء المشددة المكسورة فقط كما روي عن السوسي في ان وليي الله
بكسر الياء المشددة ثم لا يخفى انه في تقدير الياء المشددة المفتوحة والمكسورة بلا ياء الاضافة
ينبغي ان يكون مرسوما بياء واحدة كما وجدناه في بعض النسخ المصححة ومنها نسخة الجزري وهو الظاهر
من نقل النووي والموافق للرسم القرآني ثم توجيه المشددة بلا ياء بعدها هو انه حذف الحواري
بتخفيف الياء وتدغم قال الحوار يروى بالتخفيف شاذ [illegible] بالياء الاضافة وهي قد تكون مفتوحة
وقد تكون ساكنة وبكسر لالتقاء الساكنين هذا وفي شرح السنة المراد منه الناصر وحواريو عيسى
عليه السلام النصارى سموا به لانهم كانوا يغسلون الثياب فيحورونها اي يبيضونها قال
المؤلف هو الزبير بن العوام ابو عبد الله القرشي وامه صفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى
الله عليه وسلم اسلم قديما وهو ابن ست عشرة سنة فعذبه عمه بالدخان ليترك الاسلام فلم
يفعل وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو اول من سل السيف في سبيل
الله وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد كان ابيض طويلا يميل الى الخفة في اللحية
قتله عمرو بن جرموز بسفوان بفتح السين والفاء موضع من البصرة سنة ست وثلاثين وله من
العمر اربع وستون سنة ودفن بوادي السباع ثم حول الى البصرة وقبره مشهور بها روى عنه
ابناه عبد الله وعروة وغيرهما متفق عليه وفي الجامع ان لكل نبي حواريا وان حواري الزبير
رواه البخاري والترمذي عن جابر والترمذي والحاكم عن علي وفي الرياض عن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواري وحواري الزبير اخرجه البخاري والترمذي
بزيادة ولفظه ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم
فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواري الزبير واخرجه الترمذي
عن علي وقال حسن صحيح واخرجه احمد عن عبد الله بن الزبير بزيادة ولفظه لكل نبي حواري والزبير
حواري وابن عمتي **وعن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأتي بني قريظة**
اي من يذهب الى طائفة من اليهود من سكان حوالي المدينة **فيأتيني بخبرهم فانطلقت فلما**
رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابويه اي في الفدا **فقال فداك ابي وامي** بفتح
الفاء وقد يكسر وفي هذه التفدية تعظيم لقدره واعتداد بعمله واعتبار بامره ذلك لان الانسان
لا يفدي الا من يعظمه فيبذل نفسه او اعز اهله له وقال صاحب النهاية في الحديث فاشرته
الفدي لا من [illegible] ما اقتضى الاطلاق هذا اللفظ مع الله تعالى محمول على المجاز والاستعارة لانه انما يفدي
من المكاره من يلحقه فيكون المراد بالفدا التعظيم **متفق عليه** واخرجه الترمذي وقال
حديث حسن وهذا القول انما قاله النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب لغيره
واخرج احمد عنه قال جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابويه يوم احد والمشهور
في ذلك يوم احد انه كان لسعد ويحتمل ان يكون جمعهما لهما واشتهر في سعد لكونه تزيد القول
له بذلك وقد روي عنه انه قال جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابويه مرتين
في احد وفي قريظة ومن غرابة قال اوصى الزبير الى ابنه عبد الله صبيحة الجمل فقال
يا بني ما من عضو الا وقد جرح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى ذلك الى
الوجه اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعن عبد الله بن الزبير قال قلت للزبير
ما يمنعك ان تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث عنه اصحابه فقال اما والله

لم انار انه منذ اسلمت ولكني سمعته يقول من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار اخرجه
البخاري وعن علي رضي الله تعالى عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جمع ابويه
اي في الفداء لاحد اي من الصحابة الا لسعد بن مالك فاني سمعته يقول يوم احد يا سعد
ارم فداك ابي وامي قيل الجمع بينه وبين خبر الزبير ان عليا لم يطلع على ذلك او اراد بذلك
تقييده بيوم احد فانه في الظاهر الاطلاق المقيد بنفي السماع بلا واسطة وهو لا ينافي
انه اطلع على تفديته الزبير بواسطة الغير قال المؤلف سعد بن ابي وقاص يكنى ابا اسحاق
واسم ابي وقاص مالك بن وهيب الزهري القرشي اسلم قديما وهو ابن سبع عشرة سنة
وقال كنت ثالث الاسلام وانا اول من رمى بسهم في سبيل الله شهد المشاهد كلها مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مجاب الدعوة مشهورا بذلك تخاف دعوته
وترجى لاشتهار اجابتها عندهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه اللهم
سدد سهمه واجب دعوته وجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم وللزبير ابويه فقال
لكل واحد منهما فداك ابي وامي ولم يقل ذلك لاحد غيرهما وكان ادم اشعر الجسد مات في قصره
بالعقيق على عشرة اميال من المدينة فحمل على رقاب الرجال الى المدينة وصلى عليه مروان بن الحكم وهو
يومئذ والي المدينة ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين وله بضع وسبعون سنة وهو
اخر العشرة موتا وولاه عمر وعثمان الكوفة روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين
متفق عليه وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال اني لاول العرب التعريف فيه للجنس رمى بسهم في
سبيل الله صفة لهم نهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ذكره الطيبي وخلاصته
الذي صفة او ان اللام في العرب للجنس المحمول على العهد الذهني
متفق عليه وتمامه في جامع الاصول ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما لنا طعام الا ورق الحبلة وهذا السمر حتى ان كان احدنا ليضع كما يضع الشاة ماله
خلط اخرجه البخاري وعن عامر بن سعد قال بينا سعد في ابله فجاءه ابنه عمر فلما راه
سعد قال اعوذ بالله من شر هذا الراكب فقال له نزلت في ابلك وتركت الناس يتنازعون الملك
بينهم فضرب سعد صدره وقال اسكت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي اخرجه مسلم قال ابن قتيبة كان اخر العشرة موتا وقال
في المصابيح كان اخر المهاجرين وفاة وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سهر كفرح
اي لم ينم وفي رواية ارق رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه اي وقت قدومه المدينة
ليلة وفي رواية ذات ليلة قال الطيبي قوله مقدمه مصدر ميمي بمعنى الظرف لعمله في
المدينة ونصبه على الظرفية على تقدير مضاف وهو الوقت او الزمان وليلة بدل البعض
من المقدر اي سهر ليلة من الليالي وقت قدومه المدينة من بعض الغزوات فقال ليت
رجلا صالحا وفي رواية من اصحابي يحرسني بضم الراء وفي رواية الليلة اي يحفظني بقية
الليلة لانام مستريح الخاطر مطمئن القلب اذ سمعنا وفي رواية فسمعنا صوت سلاح
بكسر اوله وفي رواية خشخشة السلاح فقال من هذا قال انا سعد قال ما جاء بك قال
وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت احرسه وفي رواية احرسك
فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام وفي رواية حتى سمعنا غطيطه متفق عليه
وفي الرياض اخرجه مسلم والترمذي وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكل امة وفي رواية ان لكل امة امينا اي ثقة ومعتمدا مرضيا وامين هذه الامة وفي رواية
وان اميننا ايتها الامة ابو عبيدة بن الجراح بالتشديد للراء وانما خصه بالامانة وان كانت

مشتركة

مشتركة بينه وبين غيره من الصحابة لغلبتها فيه بالنسبة اليهم وقيل لكونها غالبة بالنسبة
لباس ثم صفة نثر واخرج ابو حذيفة في فتوح الشام ان ابا بكر لما توفي وخالد على الشام
واستخلف عمر كتب الى ابي عبيدة بالولاية على الجماعة وعزل خالد فكتم ابو عبيدة الكتاب
من خالد وغيره حتى انقضت الحرب وكتب خالد الامان لاهل دمشق وابو عبيدة الامير
وهم لا يدرون ثم علم خالد بذلك بعد مضي نحو من عشرين ليلة فدخل على ابي عبيدة وقال
يغفر الله لك جاءك كتاب امير المؤمنين بالولاية فلم تعلمني وانت تصلي خلفي والسلطان سلطانك
فقال له ابو عبيدة يغفر الله لك ما كنت لاعلمك حتى تعلمه من غيري وما كنت لاكسر
عليك حربك حتى ينقضي ذلك كله وقد كنت اعلمك ان شاء الله تعالى وما سلطان الدنيا
اريد ولا للدنيا اعمل وان ما ترى سيصير الى زوال وانقطاع وانما نحن اخوان وقوام
بامر الله عز وجل وما يضر الرجل ان يلي عليه اخوه في دينه ولا دنياه بل يعلم ان الوالي يكاد
ان يكون ادناهما الى الفتنة واوقعهما في الخطيئة لما يعرض من الهلكة الا من عصم الله عز
وجل وقليل ما هم فدفع ابو عبيدة عند ذلك الكتاب الى خالد وتوفي رضي الله تعالى
عنه بالاردن بضم الهمزة وتشديد النون كورة بالشام سنة ثماني عشرة في
خلافة عمر وهو ابن ثمان وخمسين متفق عليه وروى احمد عن عمر مرفوعا ان لكل نبي
امينا واميني ابو عبيدة بن الجراح وعن حذيفة جاء السيد والعاقب الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقالا يا رسول الله ابعث معنا امينك فقال سابعث معكم امينا
حق امين فتشرف لها الناس فبعث ابا عبيدة اخرجه الشيخان وعن ابن مسعود قال
لما جاء العاقب والسيد صاحبا نجران ارادا ان يلاعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال احدهما لصاحبه لا تلاعنه فوالله لئن كان نبيا ولاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا
ابدا فقالا له فاتياه فقالا لا نلاعنك ولكنا نعطيك ما سالت فابعث معنا رجلا امينا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابعث رجلا امينا حق امين فاستشرف
لها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال قم يا ابا عبيدة بن الجراح فلما قفى قال هذا
امين هذه الامة اخرجه احمد واخرجه الترمذي وقال فبعث ابا عبيدة مكانه ثم يا ابا
عبيدة ولم يذكر ما بعده ومن كلامه بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحادثات
والا رب مبيض لثيابه مدنس لدينه الا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين قال المؤلف
هو عامر بن عبد الله الجراح الفهري القرشي اسلم مع عثمان بن مظعون وهاجر الى الحبشة
الهجرة الثانية وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت
معه يوم احد ونزع الحلقتين اللتين دخلتا في وجه النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد
من حلق المغفر فوقعت ثنيتاه وكان طوالا معروق الوجه خفيف اللحية مات في طاعون
عمواس بفتح العين بالاردن سنة ثماني عشرة ودفن ببيسان وصلى عليه معاذ بن
جبل وهو ابن ثمان وخمسون سنة يلقى ابا النبي صلى الله عليه وسلم في فهر بن مالك روى عنه
جماعة من الصحابة وعن ابن ابي مليكة بالتصغير قال المؤلف هو عبد الله بن عبيد الله بن
ابي مليكة واسم ابي مليكة زهير بن عبد الله التيمي القرشي الاحول من مشاهير التابعين
وعلمائهم وكان قاضيا على عهد عبد الله بن الزبير سمع ابن عباس وابن الزبير وعائشة
روى عنه ابن جريج وخلق كثير سواه مات سنة سبع عشرة ومائة قال سمعت عائشة وسئلت
اي والحال انها سئلت من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا اي جاعلا خليفة
لو استخلفه اي مرجحا على الغير قالت ابو بكر فقيل لها ثم من بفتح الميم اي الذي بعد ابي بكر

قال عمر بن الخطاب بعد عمر قال ابو عبيدة بن الجراح نفيه اي اعتقاد عاقبة على انا باعبيدة كان اولى بالخلافة بعده لئلا يتعجب من تقييد صاحب التوربي رواه مسلم وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حرا بكسر الحا منصرفا وقد لا يصرف هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله وفي نسخة النبي صلى الله عليه وسلم اهدا بفتح الدال وسكون الهمزة اي اسكن فما عليك الا نبي او صديق او شهيد يريد به الحبشي ان المذكورين في الحديث بعد الصديق كلهم شهدا او للتنويع او بمعنى الواو وقال النووي في الحديث معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها اخباره انه هؤلا شهدا فقتل عمر وعثمان وعلي مشهور وقتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفا تاركا للقتال وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركا للقتال فاصابه سهم فقتله وقد ثبت ان من قتل ظلما فهو شهيد وفيه بيان فضيلتهم وفيه اثبات التمييز في الحجر وجواز التزكية انتهى واغرب السيد جمال الدين حيث قال في كون من اصابه سهم مقتولا ظلما تامل وزاد بعضهم اي في الحديث قوله وسعد بن ابي وقاص ولم يذكر اي ذلك البعض عليا فقوله زاد فيه منت محة اذ فيه معنى وضعه ومبادلة ثم تقدم ان سعدا مات في قصره بالعقيق فتوجيه هذه الرواية ان يكون بالتغليب او كما قال السيد جمال الدين انه ينبغي ان يقال كان موته بمرض من الامراض التي تورث حكم الشهادة انتهى ومع هذا فيه نوع تغليب كما لا يخفى رواه مسلم وعن عبد الله بن سالم عن سعيد بن زيد قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حرا فتحرك فقال اثبت حرا فما عليك الا نبي او صديق او شهيد قيل ومن هم يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد ابن مالك وعبد الرحمن بن عوف قال قيل فمن العاشر قال انا اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح وفي الرياض انه مات بالمدينة في فراشه فوجه شهادته انه شهيد حكما كسعد وعبد الرحمن حيث ماتا على فراشهما ايضا او دخلوا في صفة الصديقية ولا بعد فيه فانه قال تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهدا عند ربهم

الفصل الثاني في عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه

قال المؤلف يكنى ابا محمد الزهري القرشي اسلم قديما على يدي ابي بكر وهاجر الى الحبشة الهجرتين وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وثبت يوم احد وصلى النبي صلى الله عليه وسلم خلفه في غزوة تبوك واتم ما فاته كان طويلا رقيق البشرة ابيض مشربا بالحمرة ضخم الكفين اقنى اصيب يوم احد عشرين جراحة واكثر فاصابه بعضها في رجله فعرج ولد بعد الفيل بعشر سنين ومات سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع وله اثنتان وسبعون سنة روى عنه ابن عباس وغيره وفي الرياض كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ووصفه بانه الصادق البار وذكر الدارقطني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد ابن ابي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وابو عبيدة بن الجراح في الجنة الظاهر ان هذا الترتيب هو المذكور على لسانه صلى الله عليه وسلم كما يشعر اليه ذكر اسم الراوي بين الاسما والا كان مقتضى المواضع الذي ذكره في اخرهم فينبغي ان يعتمد عليه في ترتيب البقية من العشرة رواه الترمذي عن عبد الرحمن ورواه ابن ماجه وكذا احمد والضيا والدارقطني عن سعيد بن زيد قال المؤلف يكنى سعيد بن زيد ابا الاعور العدوي اسلم

قديما

قديما وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم غير بدر فانه كان مع طلحة يطلبان خبر عير قريش وضرب له النبي صلى الله عليه وسلم بسهمه وكانت فاطمة اخت عمر تحته وبسببها كان اسلام عمر كان ادما طوالا اشعر مات بالعقيق فحمل الى المدينة ودفن بالبقيع سنة احدى وخمسين وله بضع وسبعون سنة روى عنه جماعة انتهى ولم يذكر المؤلف حديثا يدل على مناقبه مستقلا اكتفا بما سبق عنه في باب الكرامات وفي الرياض عن عمر بن الخطاب ابن عم ابيه ابوه زيد يطلب دين الحنيفية دين ابراهيم قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يذبح للانصاب ولا ياكل الميتة ولا الدم وخرج يطلب الدين هو وورقة بن نوفل فتنصر ورقة وابى هو التنصر فقال له الراهب انك تطلب دينا ما هو في وجه الارض اليوم فقال وما هو قال دين ابراهيم كان لا يعبد الا الله لا يشرك به شيا ويصلي الى الكعبة وكان زيد على ذلك حتى مات وعن سعيد بن زيد قال خرج ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو يطلبان الدين حتى مرا بالشام فاما ورقة فتنصر واما زيد فقيل له ان الذي تطلب امامك فانطلق حتى اتى الموصل فاذا هو براهب فقال ما تطلب قال الدين فعرض عليه النصرانية فقال لا حاجة لي فيها وابى ان يقبلها فقال اما ان الذي تطلب سيظهر بارضك فاقبل وهو يقول لبيك حقا حقا تعبدا ورقا هما مجيشمني اي بجهدي ويكلفني فاني جاسم علهن بما عاذ به ابراهيم قال فمر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سفيان بن الحارث ياكلان من سفرة لهما فدعواه الى الغدا فقال يا ابن اخي لا اكل مما ذبح على النصب حتى بعث صلى الله عليه وسلم قال فاتاه سعيد بن زيد فقال ان زيدا كان كما قد رايت وبلغك فاستغفر له فقال نعم فاستغفر له وقال انه يبعث يوم القيامة امة واحدة اخرجه ابو عمرو وعن اسما قالت رايت زيد بن عمرو بن نوفل قائما مسندا ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش والله ما منكم على دين ابراهيم غيري وكان يحيي الموودة ويقول للرجل اذا اراد ان يقتل ابنته لا تقتلها انا اكفيك مؤنتها فياخذها فاذا ترعرعت قال لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها اخرجه البخاري وعن ابي سعيد عن ابيه في رسمه قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها نزلت في ثلاثة نفر كانوا يوحدون الله عز وجل زيد بن عمرو بن نفيل وابي ذر وسلمان اولئك الذين هداهم الله بغير كتاب ولا نبي اخرجه الواحدي وابو الفرج في اسباب النزول وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ارحم امتي اي اكثرهم رحمة بامتي ابو بكر واشدهم في امر الله اي اقواهم في دين الله عمر واصدقهم حيا عثمان وافرضهم اي اكثرهم علما بالفرايض زيد بن ثابت اي الانصاري كاتب رواية كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم وكان حين تقدم النبي صلى الله عليه وسلم ابن احدى عشرة سنة وكان احد فقهاء الصحابة الجلة العالمين بالفرايض وهو احد من جمع القران وكتبه في خلافة ابي بكر ونقله من المصحف في زمن عثمان روى عنه خلق كثير مات بالمدينة سنة خمس واربعين وله ست وخمسون سنة واقراهم اي اعلمهم بقراءة القران ابي بن كعب اي الانصاري الخزرجي كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي وهو احد الستة الذين حفظوا القران في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكناه ابا المنذر وعمر ابا الطفيل وسماه النبي صلى الله عليه وسلم سيد الانصار وعمر سيد المسلمين مات بالمدينة سنة تسع عشرة روى عنه خلق كثير واعلمهم بالحلال والحرام وفي نسخة بالحرام والحلال معاذ بن جبل يكنى ابا عبد الله الانصاري الخزرجي وهو احد السبعين الذين شهدوا العقبة من الانصار وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد وبعثه صلى الله عليه وسلم الى اليمن قاضيا ومعلما روى عنه عمر وابن عمر وابن عباس وخلق سواهم ومات بالشام وهو ابن ثماني عشرة سنة في قول بعضهم واستعمله عمر على الشام بعد ابي عبيدة بن الجراح

ثمان في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة وله ثمان وخمسون سنة وقيل غير ذلك
ولكل امة امين اي ثقة بالغ في الامانة وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وتمام بركته في كمال
زهده ما ذكره في الرياض عن عروة بن الزبير قال لما قدم عمر بن الخطاب الشام تلقاه امراء
الاجناد وعظماء الارض فقال عمر اين اخي قالوا من قال ابو عبيدة قالوا ياتيك الان فلما اتاه
نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته فلم ير في بيته الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر الا
اتخذت ما اتخذ اصحابك فقال يا امير المومنين هذا يبلغني المقيل اخرجه صاحب الصفوة
والفضائلي وزاد بعد قوله وياتيك الان فجاء على ناقة مخطومة بحبل فسلم وقال عمر فقال لهم
اذهبوا بنا الى منزلك قال فدخل منزله فلم ير شيئا قال اين متاعك ما ارى الا لبدا وصحفة
وسيفا وانت امير اعندك طعام فقام ابو عبيدة الى جونة فاخذ منها كسيرات فبكى عمر فقال له
غرتنا الدنيا كلنا غيرك يا ابا عبيدة رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وروي
بصيغة المجهول اي الحديث عن معمر عن قتادة مرسلا اي بحذف الصحابي وفيه اي في هذا
المروي واقضاهم علي اي اعلمهم باحكام الشرع قاله شارح ولا يظهر له معنى اعلم باحكام
الخصومة المحتاج اليها في القضاء قال التوربشتي فان قيل قوله اقضاكم علي يقتضي انه افضل
من ابي بكر وعمر فانه لم يثبت كونهما من المخاطبين واذا ثبت فلا يلزم من كون واحد افضل
من جماعة كونه افضل من كل واحد بعينه لاحتمال الانشاء وبالجمع بعضهم ولا يلزم من كون واحد
افضل ان يكون اعلم من غيره ولا يلزم من كونه اعلم كونه افضل بغير ولا يلزم من كونه اكثر فضيلة
كونه اكثر مثوبة كذا في الازهار وفيه بحث لان المدار عند ائمة النظار اذ لا نطلع على السرائر
وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم واما حديث ما فضلكم
ابو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه فقد ذكره الغزالي بلفظ ما فضل ابو بكر
الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صوم وقال العراقي لم اجده مرفوعا وهو عند الحكيم الترمذي
من قول بكر بن عبد الله المزني نعم لو لوحظ اعتبار المستفيضة في اكثرية الثواب الاخروي من جميع
المشاركين في سابقية ابي بكر بوجه وجيه الى صوت الصواب فقد قالوا المعتبر في السبق بالايمان
في ابي بكر الا شاركه علي وخديجة وزيد اذ ايمان الصغير والمراة والمولى لا يعبأ وهم من الاتباع ليس
لهم شان عند الاعداء ولهذا قوي الايمان بحمزة وعز باسلام عمر كما قال حين ظهرنا بايمانه والحاصل
ان الاحاديث متعارضة والادلة متناقضة فالمعتبر ما اتفق عليه جمهور الصحابة وبما اجمعوا
عليه ائمة اهل السنة ومع هذا فالمسئلة ظنية لا يقينية خلافا لما قاله وقد صرح شيخ الشيوخ
شهاب الدين السهروردي في كتاب الهدى حيث قال فاذا ثبت الجمع فامسك عن التفرقة
في اسرارهم واجعل ذلك من جهة اسرارك ... محبتك للكل في السواء عن ان
ترجح محبة احدهم على الاخر وامسك عن التفضيل والتعديل وان خامرك ظنك بتفضيل احدهم
على الاخر فاجعل ذلك من جهة اسرارك فلا يلزمك اظهاره ولا يلزمك ان تعتقد احدهم
اكثر من الاخر او يعتقد تفضيله اكثر من الاخر بل يلزمك محبة الجميع والاعتراف بفضل
الجميع ويكفيك العقيدة السليمة ان تعتقد صحة خلافة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي
ثم تعلم ان عليا ومعاوية كانا في القتال والخصام وكان الطائفتان بسبب بغضهم
بعضا وما حكم احد منهم بكفر الاخرين وانما كانت ذنوبا لهم فلا تكفر احدا بما جرى منه من
الجهاد والسب واعتقد ان امير المومنين علي اجتهد في الخلافة واصاب في الاجتهاد
وكان احق الناس بالخلافة اذ ذاك وان معاوية اجتهد في ذلك واخطا في الاجتهاد
ولم يكن مستحقا لها مع علي رضي الله تعالى عنه والله تعالى ينفعنا بمحبتهم ويحشرنا في

زمرتهم

زمرتهم وعن الزبير قال كان على النبي صلى الله عليه وسلم درعان يوم احد اي عملا امتثالا لقوله
تعالى خذوا حذركم ولقوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة فانها لتسهيلا للدرع وان تفسيرها النبي صلى
الله عليه وسلم بالقوة ازادها حيث قال الا ان القوة الرمي فنهض اي فقام متبعها او متوجها الى الصخرة
اي التي كانت هناك ليستوي عليها وينظر الى الكفار ويبرز في الابرار ويظهر للفرار والكرار
وفي رواية فذهب لينهض على صخرة فلم يستطع اي لثقل درعيه فقعد طلحة تحته اي وجعل
نفسه تحته وبهذا ارتفع قدره وفي رواية فبرك طلحة تحته حتى استوى اي النبي وفي نسخة
فصعد على الصخرة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اوجب طلحة اي الجنة كما في
رواية والمعنى انه اثبتها بعمله هذا او بما فعل في ذلك اليوم فانه خاطر بنفسه يوم احد وفدى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها وقاية له حتى طعن ببدنه وجرح جميع جسده حتى شلت
يده وجرح ببضع وثمانين جراحة رواه الترمذي وكذا احمد وقال الترمذي حسن صحيح وعن ابي
سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان عتبة بن ابي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم احد فكسر رباعيته اليمنى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهري شجه
في جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ووقع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عمل ابو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فاخذ
بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ومص مالك
ابن سنان ابو ابي سعيد الخدري الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم من مس دمي دمه لم تمسه النار اخرجه ابن اسحاق وعن جابر قال نظر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى طلحة بن عبيد الله فقال استئنافا وحالا من احب ان ينظر الى رجل يمشي
على وجه الارض وقد قضى نحبه اي نذره والمراد به الموت اي مات او كان حيا فلينظر الى هذا
قال السيوطي في مختصر النهاية النحب النذر كانه الزم نفسه ان يصدق اعداء الله في الحرب
فوفى به وقيل الموت كانه الزم نفسه ان يقاتل حتى يموت وقال التوربشتي النذر والنحب
المدة والوقت ومنه يقال قضى فلان نحبه اذا مات وفي المعنيين يحمل قوله سبحانه فمنهم
من قضى نحبه يعني النذر اي نذره فيما عاهد الله عليه من الصدق في مواطن القتال والنصرة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الموت اي مات في سبيل الله وذلك انهم عاهدوا الله ان
يبذلوا نفوسهم في سبيله فجزاء طلحة ممن وفى بنفسه او ممن ذاق الموت في سبيله
وان كان حيا وفي ذلك معجزة قوله وفي رواية من سره اي احبه واعجبه وافرحه ان ينظر الى شهيد
يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وكان طلحة قد جعل نفسه يوم احد فداء
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول عقرت يومئذ في جميع جسدي حتى في ذكري
وكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم اذا ذكروا يوم احد قالوا ذاك يوم كان كله لطلحة
والقولان الروايتان انه يحتمل ان يكون ايماء الى حصول الشهادة في ماله الدالة على
حسن خاتمته وكماله وفي شرح الطيبي قال الشيخ شيخ الاسلام ابو حفص السهروردي
ان هذا البشر على سبيل المجاز يعني انه التعبير بحال الغزالي لما بدا ... معناه حي
من حيث نحواه اذا الموت عبارة عن الغيبوبة عن المشاهدة ... وهذا حال من انجذب
بكليته الى عالم الملكوت وهذا انما يثبت بعد احكام المقامات من كمال التقوى والزهد
في الدنيا والخروج من الارتهان بنظر الخلق وامتطاء صهوة الاخلاص وكمال التسليم لله
عز وجل بتناوب اشغال القلب والقالب وصدق العزيمة في العزلة واعتصام الوحدة والفرار
من مساكنة الانس بجليس واخوان رواه الترمذي ووافقه الحاكم في الرواية الثانية

ب

بلفظ من احب بدل من سره وروى ابن ماجه عن جابر وابن عساكر عن ابي هريرة وابي سعيد طلحة شهيد
يمشي على وجه الارض وروى الترمذي وابن ماجه عن معاوية وابن عساكر عن عائشة طلحة ممن قضى
نحبه وفي الرياض عن ابن طلحة قال دخلت على معاوية فقال الا ابشرك سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه اخرجه الترمذي وقال غريب وعن طلحة ان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه من هو وكانوا لا يجترؤن على مسألته
يوقرونه ويهابونه فسأله الاعرابي فاعرض عنه ثم اني اطلعت من باب المسجد وعلي ثياب خضر فلما
رآني النبي صلى الله عليه وسلم قال اين السائل عمن قضى نحبه قال الاعرابي انا يا رسول الله
قال هذا ممن قضى نحبه اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وفي الرياض عن ان محمدا ولده ويقول
السجاد سمي به لكثرة عبادته ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فسموه محمدا وكنوه ابا القاسم
فقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم سماه محمدا وكناه ابا سليمان وقال لا اجمع بين اسمي
وكنيتي اخرجه الدارقطني وروي ان عمر اراد تغيير اسمه فقيل لا فقال هذا السجاد فقتله ابن رمية بابيه
رواه الدارقطني وعن علي رضي الله تعالى عنه قال سمعت اذني بضم الذال ويسكن
من في رسول الله صلى الله عليه وسلم اي من فمه وهو قول لاذني للمبالغة على طريق انه
يقول وفي رواية وهو يقول طلحة والزبير جاراي في الجنة وهو كناية عن كمال القرب
له رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وكذا رواه الحاكم وعن سعد بن ابي وقاص قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر يوم احد ظرف لقال على تفسير من روى يقول سعد اللهم سدد
بضم الدال الاولى اي قوم رميته بفتح فسكون اي رميه وفي رواية سدد سهمه واجب دعوته
رواه البغوي في شرح السنة وعنه اي عن سعد رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اللهم استجب اي الدعاء لسعد اي ابن ابي وقاص على ما يفهم من الترمذي
اذا دعاك اي كلما دعاك رواه الترمذي واخرجه ايضا عن قيس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
الحديث وعن علي رضي الله تعالى عنه قال ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وامه
اي في التفدية وفي رواية ابويه لاحد الا لسعد اي يوم احد وقد قال في سهم عمير بن ابي وقاص
قوله قال له اي لغيره يوم احد ارم فداك ابي وامي بفتح الفاء وقد يكسر قال له اي ايضا
ارم ايها الغلام اي الشاب القوي الحزور بفتح الحاء المهملة والزاي والواو المشددة وفي
نسخة بسكون الزاي وتخفيف الواو ولذا شدد ذكره شارح وفي النهاية هو الذي قارب
البلوغ والجمع الحزاورة ذكره الطيبي قال التيسير جمال الدين هذا اصل معناه ولكن المراد
ههنا اي ولا دسعدا جاوز البلوغ يومئذ لانه ذكر انه اسلم وهو ابن سبع عشرة
سنة فالجمع على انه قارب بلوغ كمال الرجولية في الشجاعة وفي القاموس الحزور كعملس
الغلام القوي والرجل القوي رواه الترمذي وفي رواية عن سعد بن مالك فانه جعل
يقول له يوم احد ارم فداك ابي وامي رواه مسلم والترمذي وقال حسن صحيح واخرجه
من طريق اخرى ولفظه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ... عن سعد انه قال
يوم احد ويوم حنين ارم فداك ابي وامي اخرجه الملا في سيرته وعنه قال جمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم له ابويه يوم احد قال كان رجل من المشركين قد احرق المسلمين فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم ارم فداك ابي وامي قال فنزعت له بسهم ليس فيه نصل
فاصبت جنبه فسقط وانكشفت عورته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى رايت نواجذه اخرجه الشيخان واخرج الترمذي منه جمع ابويه يوم احد وفي بعض
طرقه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانتي يوم احد وقال ارم فداك ابي وامي

اخرجه

اخرجه الشيخان وفي الرياض ان سعدا كان ممن لزم بيته في الفتنة وامر اهله ان لا يخبروه من
اخبار الناس بشيء حتى يجتمع الامة على الامام وعن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عاده عام حجة الوداع بمكة من مرض اشفى فيه فقال سعد يا رسول الله اني اخاف ان اموت
بالارض التي هاجرت منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشف سعدا اللهم
اشف سعدا وفيه ذكر الوصية وقوله ان الثلث كثير وفيه ان صدقتك من مالك صدقة
وان نفقتك على عيالك صدقة وان ما تاكل امراتك من مالك صدقة رواه الشيخان
وعنه قال اقبل سعد اي الى المجلس الاسعد فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا خالي
اي من قوم امي فليرني بضم ياء وكسر راء اي فليبصر في امريا اي كل امرئ يعني شخص خاله ليظهر
انه ليس لاحد خال مثل خالي رواه الترمذي وقال حسن غريب وقال الترمذي وكان سعد من
بني زهرة اسم امرأة كلاب بن مرة كانت ام النبي صلى الله عليه وسلم من بني زهرة وزهرة
اسم امرأة كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب فلذلك اي لما ذكر من الكون فيهم قال
النبي صلى الله عليه وسلم هذا خالي وفي المصابيح فليكرم امرؤ خاله بدل من الاكرام مؤكدا
بدل فليرني قال ابن حجر هو تصحيف تلف بل هو تحريف تعمد قال الطيبي لا لغائب في نفي
الشرط في الكلام فان الاشارة بهذا الى المزيد التمييز وكمال التعظيم فهو كالاكرام له اي
انا اكرم خالي هذا واذا كان كذلك فليتبع كل سنتي فليكرم كل احد خاله وفي رواية كتاب
كما في الترمذي والجامع لتقديره انا امير خالي كما تميز وتعيين لا ابي بيان فليرني كل امرئ
خاله مثل خالي ونحوه في التمييز قول الشاعر
اولئك ابائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع

الفصل الثالث عن قيس بن ابي حازم قال سمعت سعد بن ابي وقاص يقول
اني لاول رجل رمى بسهم في سبيل الله سبيل من الله مع تحقيق مبناه وهذا القدر من الحديث
اخرجه الشيخان ورايتنا اي جماعة من الصحابة نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما لنا طعام الا الحبلة بضم الحاء المهملة وسكون الموحدة ثم السمر يشبه اللوبيا قاله
ابن الاعرابي وقيل ثمر العضاه وورق السمر بفتح السين وضم الميم شجر معروف واحدها
سمرة وقيل سمو الذي في القاموس وان كان مخففة من الثقيلة كان احدنا ليضع واللام
لام الفارقة والمعنى ليخرج منه كما تضع الشاة اي من البعر والمعنى ان نجوهم يخرج بعرا ليبس
وعدم الغذاء المالوف ما له خلط بكسر الخاء المعجمة اي لا يختلط بعضه ببعض لجفافه ويبسه
ثم اصبحت اي صارت بنو اسد اي قبيلتهم تعزرني بتشديد الزاي اي توبخني على الاسلام
اي على الصلاة لانها عماد الدين او على عدم شرايعه والمراد انهم كانوا يؤدبونني ويعلمونني
الصلاة ويعيرونني باني لا احسنها لقد خبت بكسر الخاء المعجمة وسكون الموحدة اي خسرت
اذا بالتنوين اي اذا لم احسن الصلاة وافتقرت الى تعليم بني اسد اياي وضل عملي اي جميع
طاعاتي وعملي هذا يعني وتمسكي في الاسلام وصدق قدمي في الدين وكانوا اي بنو اسد جميعا
وشوا بفتح الشين المخففة اي نموا وسعوا به اي بغيبته عن زعمهم الى عمر
رضي الله تعالى عنه اي بالرسالة والكتابة وقالوا لا يحسن اي سعد الصلاة اي اركانها
او شرائطها او سننها ومراعاة احوالها هذا وفي النهاية التعزير الاهانة والتوقير والنصر
مرة بعد مرة قلت ومنه قوله تعالى وتعزروه وتوقروه قال واصل التعزير المنع والرد
وكان من نصرته قد رددت عنه اعداءه ومنعتهم من اذاه ولهذا قيل للتاديب الذي هو
دون التعزير لانه يمنع الجاني ان يعاود الذنب فهو من الاضداد ومنه حديث سعد اصبحت

بنو سعد تعزرني على الإسلام أي تؤدبني عليه وقيل توبخني على التقصير فيه قال الطيبي عبر عن
الصلاة بالإسلام كما عبر عنها بالإيمان في قوله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم أي صلاتكم لأنها عماد
الدين ورأس الإسلام متفق عليه وعن جابر بن سمرة قال شكى أهل الكوفة سعد بن مالك إلى
عمر فقالوا لا يحسن الصلاة فقال سعد أما أنا فكنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم أمد في الأوليين وأخفف في الأخريين فقال عمر ذاك الظن بك يا أبا إسحاق قال
فبعث رجالا يسألون عنه في مساجد الكوفة قال فلا يأتون مسجدا من مساجد الكوفة إلا
أثنوا عليه خيرا وقالوا معروفا حتى أتوا مسجدا من مساجد بني عبس فقال رجل يقال
له أبو سعدة اللهم إنه كان لا يسير بالسرية ولا يعدل في القضية ولا يقسم بالسوية
قال فقال سعد أما والله لأدعون بثلاث اللهم إن كان كاذبا فأطل عمره وأطل فقره
وعرضه للفتن فكان بعد ذلك يقول إذا سئل شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة
سعد قال جابر بن سمرة فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وإنه ليتعرض
للجواري في الطريق فيغمزهن وفي رواية وأما أنا فأمد في الأوليين وأحذف في الأخريين
ولا آلو ما اقتديت به من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك
الظن بك أو ظني بك يا أبا إسحاق أخرجه البخاري وأخرجه البرقاني على شرطه بنحوهما
وقال فقال عبد الملك بن عمير الراوي عن جابر فأنا رأيته يتعرض للإماء في السكك فإذا
قيل له كيف أنت يا أبا سعدة قال كبير مفتون أصابتني دعوة سعد وعنده اللهم
إن كان كاذبا فأعم بصره وأطل عمره ثم ذكر ما بعده وعن سعد قال رأيتني وأنا ثالث
الإسلام والآخران أبو بكر وخديجة ذكره السيوطي وهذا يدل على أنه ما تأخر
ويمكن دفعه بأن الكلام في البلغاء أو في الأجانب وما أسلم أحد أي ممن أسلم في الإسلام إلا في
اليوم الذي أسلمت فيه ولقد مكثت بفتح الكاف وضمها أي لبثت سبعة أيام أي على ما
علمه من أهل الإسلام ثم أسلم بعد ذلك من أسلم والمعنى مكثت سبعة أيام على هذه الحالة
وهي قوله وإني لثلث الإسلام بضم اللام ويسكن قال أبو عبد الله معنى ثلث الإسلام
يعني أنه كان ثالث ثلاثة حين أسلم قال بعض المحققين لجمع بينه وبين خبر عمار رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر بأن مراد قول سعد على
الأحرار البالغين ليخرج الأعبد المذكورون وعلي أو لم يكن اطلع على أولئك رواه البخاري
وأخرجه البغوي في معجمه وقال إنما أسلم أحد في وقال ستة أيام وعن جابر بن سعد عن
أبيه قال لقد رأيتني وأنا ثلث الإسلام أخرجه البخاري وفي رواية الفضائلي أنا لا اثنين
أبو بكر وعمر وعن عائشة وفي الرياض عن سعد أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لنسائه إن أمركن أي شأنكن مما يهمني بفتح الياء
وضم الهاء وتشديد الميم وفي نسخة بضم وكسرة مما يوقعني في الهم وروايتهما يهمني من
بعدي أي من بعد وفاتي حيث لم يترك لهن ميراثا وهن قد آثرن الحياة الآخرة على الدنيا حين
خيرن ولن يصبر عليكن أي على بلاء مؤنكن إلا الصابرون أي على مخالفة النفس من اختيار
القلة وإعطاء الزيادة والصديقون أي الكثير والتصدق في البذل والسخاء قالت
عائشة يعني أي يريد بهم المتصدقين قالت عائشة لأبي سلمة أي ابن عوف قال المؤلف
أبو سلمة روى عن عمه عبد الله بن عبد الرحمن الزهري القرشي أحد الفقهاء السبعة المشهور
بالفقه في المدينة في قول ومن مشاهير التابعين وأعلامهم وبغالب اسمه كنيته
وهو كثير الحديث سمع ابن عباس وأبا هريرة وابن عمر وغيرهم وروى عنه الزهري ويحيى بن أبي

كثير والشعبي وغيرهم مات سنة أربع وتسعين وله اثنتان وسبعون سنة انتهى ولا يخفى أنه مخالف
لأصل الحديث سقى الله أباك من سلسبيل الجنة وهي عين في الجنة سميت لسلاسة
انحدارها في الحلق وسهولة مساغها في الباطن ومنه قوله تعالى يسقون فيها كأسا كان مزاجها
زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت
الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال المغني سكيبه
إليه وكان ابن عوف من كلام الراوي عن عائشة والعامل قال كذا قال الطيبي ولا يبعد
أن يكون من قول عائشة بيانا لتصدقه وتبيانا لقوله يعني المتصدقين قد تصدق على
أمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعين ألفا أي من درهم أو دينار رواه الترمذي
وفي رواية وقد وصى لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم بمال بيع بأربعين ألفا أخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن أوصى بحديقة لأمهات المؤمنين
بيعت بأربعمائة ألف أخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعن الزهري قال تصدق
عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف
ثم تصدق بأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل على ألف وخمسمائة
راحلة في سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة أخرجه في الصفوة وعن عروة بن الزبير أنه
قال أوصى عبد الرحمن بن عوف بخمسين ألف دينار في سبيل الله أخرجه الفضائلي
وعن ابن عباس قال لما مرض عبد الرحمن بن عوف قال أوصي بثلث ماله فصح فتصدق به بيده
بنفسه ثم قال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من كان من أهل بدر له على أربعمائة
دينار فأخذها عثمان فيمن أخذ وذهب مع الناس فقيل له يا أبا عمرو لست غنيا قال فهذه وصية
من عبد الرحمن لا صدقة وهو من مال حلال فتصدق عليهم في ذلك اليوم مائة وخمسين
ألف دينار فما جرت على البدريين فيه وكتب حديقة بيعت بتوجيه إلى المهاجرين
والأنصار رحمه كتب أن قميصه الذي على بدنه لفلان وعمامته لفلان ولم يترك شيئا من
الكسوة إلا فرقها فلما صلى الصبح خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم هبط جبريل وقال
يا محمد إن الله تعالى يقول اقرأ على عبد الرحمن السلام واقبل منه الخرقة ثم ردها عليه وقل
له قد قبل الله صدقتك وهو وكيل الله ورسوله فليصنع في ماله ما شاء
وليتصرف فيه ما كان يتصرف فيه قبل ولا حساب عليه وبشره بالجنة أخرجه الملائي في سيرته
وعن جعفر بن برقان قال بلغني أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألفا أخرجه
صاحب الصفوة وعن محمد أن عبد الرحمن بن عوف توفي وكان فيما خلفه ذهب قطع
بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه وترك أربع نسوة فأصاب كل امرأة ثمانون ألفا
أخرجه في الصفوة وعن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن قال صولحت امرأة عبد الرحمن
التي طلقها في مرضه من ثلث الثمن بثلاثة وثلاثين ألفا وفي رواية من ربع الثمن
أخرجه أبو عمر وقال الطائي قسم ميراثه على ستة عشر سهما فبلغ نصيب كل امرأة ثمانين
ألف درهم وعن أم سلمة وهي إحدى أمهات المؤمنين قالت سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول لأزواجه إن الذي يحنو أي يعطف ويشفق عليكن أي ما تنفق بعدي
أي بعد موتي هو الصادق أي الصادق في الإيمان البار بتشديد الراء أي صاحب الإحسان
اللهم اسق بوصل الهمزة وقطعها عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة وهذا دعاء
له بتلك يمد عنه ما صدر منه الحنو كأنه صنع الصنيعة فشكره ودعا له ومن هنا دخلت
الصديقية له بهذا الدعاء حيث تصدق على أمهات المؤمنين بحديقة ورواه أحمد وفي تحفه

لرسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ذكره الطيبي ولا يبعد ان يكون ذلك عاهدا ايضا من كلامه رضي الله تعالى عنهما وعن حذيفة ابن اليمان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبق ذكره قال جاء اهل نجران بفتح نون فسكون جيم موضع باليمن فتح سنة عشر سمي بنجران ابن زيدان بن سبا ومن موضع بحوران من دمشق وموضع بين الكوفة وواسط كذا من القاموس والمراد به الاول وهو ما اشار اليه بقوله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ابعث اي ارسل الينا رجلا امينا اي ثقة يكون اميرا وقاضيا او معلما لنا فقال لابعثن اليكم رجلا امينا حق امين بالنصب على انه مفعول مطلق نحو قولهم قد رمت خير مقدم اي امينا صادق الامين وكان بينه ومستحقا ان يقال له الامين قال الطيبي فيه تاكيد ولذا اضاف نحو اذ زيدا العالم حق عالم وجد عالم اي عالم حقا وجدا يعني عالم بالغ في العلم جدا ولا يترك من الجد المستطاع منه شيئا ومنه قوله تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده اي جهادا حقا خالصا لوجهه ويمكن ان اضيف الحق الى الجهة مبالغة فاستشرف اي تطلع لها اي للامارة ونوقعها الناس رجاء ان يختصهم بها في تخصيص صفة الامانة اي في الولاية من حيث هي قال اي حذيفة فبعث ابا عبيدة بن الجراح متفق عليه وعن علي رضي الله تعالى عنه قال قيل يا رسول الله من نؤمر بضم نون وفتح همزة وكسر ميم مشددة فاراي من نجعله اميرا علينا بعدك اي بعد موتك وفي نسخة صحيحة بالتاء الفوقية بدل النون اي من تجعله اميرا علينا بعدك وتوليه الاولى قوله قال ان تؤمروا ابا بكر تجدوه امينا اي دينا لا يحكم الا بالامانة وفي وجه العدالة زاهدا في الدنيا راغبا في الاخرة فيه اشعار بان الخليفة ينبغي ان يكون بهذه الصفة ليتم الاخلاص الموجب للخلاص وفي رواية تجدوه مسلما امينا وفي رواية تجدوه قويا في امر الله ضعيفا في نفسه وان تؤمروا عمر تجدوه قويا اي قادرا على حمل ثقل اعباء الامانة امينا اي لا يجيء منه الخيانة لا يخاف في الله لومة لائم اي لا يراعي احدا في امر الدين والمعنى انه صلب في الدين اذا شرع في امر من اموره لا يخاف انكار منكر ومعترض فيه كالسهام المحمي لا يرجعه تردد بل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدا واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخاف شيئا قط من لوم احد من اللوام وفي رواية تجدوه قويا في امر الله قويا في نفسه وان تؤمروا عليا ولا اراكم بضم الهمزة اي ولا اظنكم فاعلين اي انكم ما تؤمرون عليا بلا خلاف خالفه خلافه تجدوه هاديا اي مرشدا مكملا مهديا بفتح ميم وتشديد تحتية اي مهتديا كاملا ياخذ بكم الطريق المستقيم قال الطيبي يعني الامر مفوض اليكم ايها الامة انكم اما تجتهدون مصيبين في الاجتهاد ولا تخطئون الا في الحق الحري وهؤلاء المذكورون كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها فما يدري ايهم يستحق الامامة وفيه تقديم ابي بكر اي لتقدمه ولم يذكر عثمان صريحا لكنه في قوله ولا اراكم اشارة الى انه المتقدم على علي ثم بعده قال فيه وفي قوله ولا اراكم فاعلين متعلق بما قبله عمر وعلي تقدم بكن الاتقال المعنى لا اراكم فاعلين تامير علي بعدما علم من قضاء الله وقدره ان عمر علي اطول من اعمارهم فلو قدم لفاتهم الخلافة مع انه كتب لهم الخلافة ايضا فتستعجب انكم غير فاعلين فالظن بمعنى اليقين والله اعلم وهو الموفق والمعين رواه احمد وعن حذيفة قال قالوا لو رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تستخلف قال ان استخلف عليكم فعصيتم خليفتي نزل العذاب قالوا الا تستخلف ابا بكر قال ان تستخلفوه تجدوه قويا في امر الله ضعيفا في نفسه قالوا الا تستخلف عمر قال ان تستخلفوه تجدوه قويا في بدنه قالوا الا تستخلف عليا قال ان تستخلفوه تجدوه هاديا مهديا يسلك بكم الطريق المستقيم

خرجه

خرجه ابن السمان في فضائله عن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر فيه جواز الدعاء بالرحمة للاحياء زوجني ابنته بهمزة ومد والجملة استئناف تعليل وهذا تواضع منه صلى الله عليه وسلم والا فله صنيع عليه من جهة تزوجها وحملني الى دار الهجرة اي في بعيره ولو في نسبة بدل ثمنه وصحبني في الغار اي حين هجرته الى المدينة واعتق بلالا من ماله اي جمع خادما لنبي ما له رحم الله عمر يقول الحق اي الصدق والقول الحق وان كان اي ولو كان الصدق او القول الحق مرا اي صعبا في الحق تركه والحق استئناف بيان وما له من صديق جملة حالية اي صيره قول الحق بهذه الصفة او خلاه بهذه الحالة وفي انه لا صديق له الا كنقا برضى الله ورسوله والمعنى من صديق تكون صداقته للمراعاة والمداراة لا مطلقا والا فلا شك ان المصدقين كانوا معه قال الطيبي قوله تركه الحق جملة مبنية لقوله يقول الحق ولو كان تركه لم يذكر الحق بالمرارة يروي باستبشاع الناس من سماع الحق استبشاع من ذوق العلقم بتقليل لذلك صديقه وقوله وما له من صديق حال من المفعول اذا جعل تركه بمعنى صيره واذا ضمن معنى صير كان المفعول ثانيا والزا وفيه داخلة في المفعول الثاني كما في بعض الاشعار رحم الله عثمان تستحيي منه الملائكة رحم الله عليا اللهم ادر الحق اي من الادارة اي اجعل الحق دائرا وسائرا معه حيث دار اي على اداء الحق رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب انتهى والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

باب مناقب اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم

وفي نسخة صحيحة زيادة رضي الله عنهم الفصل الاول عن سعد بن ابي وقاص قال لما نزلت هذه الاية اي المسماة باية المباهلة ندع ابناءنا وابناءكم اولها فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا نزله منزلة نفسه لما بينهما من القرابة والاخوة وفاطمة اي لانها اخص النساء من اقاربه وحسنا وحسينا فنزلهما منزلة ابنيه صلى الله عليه وسلم فقال اللهم هؤلاء اهل بيتي اي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا رواه مسلم وعن عائشة قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة اي صباحا وفي رواية ذات غداة وعليه مرط بكسر ميم وسكون راء كساء يكون من خز او صوف فيه علم مرحل بفتح الحاء المهملة المشددة ضرب من برود اليمن لما عليه من تصاوير الرجال كذا ذكره شارح وروي بجيم وهو ما عليه صورة الرحال بمعنى الغذور من شعر بفتح شين ويسكن اسود فجاء الحسن بن علي فادخله اي تحت المرط بالاثر او النعمد وفي رواية فادخله فيه ثم جاء الحسين فدخل معه اي باد خال او بغيره لصغره وفي رواية فادخله فيه ثم جاءت فاطمة فادخلها اي فيه كما في رواية ثم جاء علي فادخله اي فيه كما في رواية ثم قال اي قرأ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس تم وكل ما يستقذر من مرتبة اهل البيت نصب على النداء او المدح وفيه دليل على ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم من اهل بيته ايضا لانهن مسبوقون بقوله يا نساء النبي لستن كاحد من النساء وملحوق بقوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن وتضمير الجمع اما للتعظيم او للتغليب ذكر اهل البيت في ما بسياق من الحديث ويطهركم تطهيرا من النفوس والاراد ناس الميت به الكرام اناس قال الطيبي استعار للذنب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات ان يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس واما المحسنات فالعرض منها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر اولي الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به وفيها تراجم الحسنين وامهما في محالها المختلفة رواه مسلم واخرجه احمد عن ام سلمة وزاد في اخرها اللهم هؤلاء اهل بيتي واهل بيتي احق وفيه بهم

الرباطين عن سعد قال امر معاوية سعدا الذهبي ابا التراب قال اما ما ذكرت ثلاثا قالهن

باب مناقب اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
الفصل الاول عن سعد بن ابي وقاص

رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن اسبه لان يكون لي واحدة منهن احب الي من حمر النعم سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له وخلفه في بعض مغازيه فقال علي تخلفني مع النساء والصبيان
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه
لا نبي بعدي وسمعته يقول يوم خيبر لاعطين الراية وذكر القصة ولما نزلت هذه الاية فقل تعالوا
ندع ابناءنا وابناءكم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة والحسن والحسين وقال
اللهم هؤلاء اهل بيتي اخرجه مسلم والترمذي وعن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم جلل على الحسن
والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية للترمذي قالت ام سلمة وانا معهم يا رسول
الله قال انت على مكانك وانت الى خير وعن ام سلمة قالت بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيته يوما اذ قالت الخادم ان عليا وفاطمة بالسدة الباب قالت فقال لي قومي فتنحي
لي عن اهل بيتي قالت فقمت فتنحيت في البيت قريبا فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن
والحسين وهما صبيان صغيران فاخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق عليا باحد
يديه وفاطمة بالاخرى وقبل فاطمة وقبل عليا واغدف عليهم خميصة سوداء ثم
قال اللهم اليك لا الى النار انا واهل بيتي قالت قلت وانا يا رسول الله عليك قال وانت
اخرجه احمد والظاهر ان هذا الفعل تكرر منه صلى الله عليه وسلم في بيت ام سلمة والمنع وقع
من دخولها معهم في جللهم وعليه يحمل قولها في الحديث الاول وانا معهم اي ادخل معهم لانها
ليست من اهل البيت بل هي منهم ولذلك لما قالت في الحديث الاخر وانا ولم تقل معهم اي وانا اليك
الى الله لا الى النار قال وانت الى الله لا الى النار وكذا لما قالت وانا من اهل البيت في رواية
قال وانت من اهل البيت وانسك ايضا على انه تكرر منه صلى الله عليه وسلم اذ ادخلها في الاخر
معهم في الكساء وعن ابي سعيد الخدري في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت ويطهركم تطهيرا قال نزلت في خمسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة
والحسن والحسين اخرجه احمد في المناقب واخرجه الطبراني وعن انس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة يا اهل البيت انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا رواه احمد وعن علي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لفاطمة اني واياك وهذين يعني حسنا وحسينا وهذا الراقد يعني عليا في مكان واحد
يوم القيامة اخرجه احمد وعن ابن عباس قال لما نزلت قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى
قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما اخرجه
احمد في المناقب وعن البراء قال لما توفي ابراهيم اي ابن النبي صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية
سريته بالمدينة في ذي الحجة سنة ثمان ومات وله ستة عشر شهرا وقيل ثمانية عشر ودفن بالبقيع
عند عثمان بن مظعون عمه الرضاعي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له مرضعا بضم الميم
وكسر الضاد اي من يكمل رضاعه وفي نسخة صحيحة بفتحها اي موضع رضاع كاملا في الجنة وفيه دلالة
ظاهرة ان ارباب الكمال يدخلون الجنة في الحال عقيب الانتقال وان الجنة الموعودة مخلوقة موجودة
قال الخطابي هذا يروى على وجهين احدهما مرضعا بفتح الميم اي رضاعا والاخر مضمومة الميم اي من يتم
رضاعه يقال امرأة مرضع بلا هاء اي ارضعت المرضعة فهي مرضعة اذا بني الاسم من الفعل قال
التوربشتي اصوب الروايتين الفتح لان العرب اذا ارادوا الفعل الحقوا به هاء التانيث واذا
ارادوا انها ذات رضيع اسقطوا الهاء فقالوا امرأة مرضع بلا هاء ولما كان المراد من هذا اللفظ
ان الله تعالى يقيم له من لذات الجنة وروحها ما يقع منه موقع الرضاع فانه كان رضيعا لم يستكمل

مدة الرضاع كان المصدر فيه انسب واصوب ولو كان على ما ذكره من الرواية لكان من حقه ان يلحق به
هاء التانيث قال الطيبي هذا اذا اريد تصوير حالة الارضاع والتقام المرضعة الثدي في فم الصبي
بما منشا هذه الرؤية مع كونه ينظر اليه والا فلا اشكال ان في قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت
فان قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي في حال الارضاع ملقمة
ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة
ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته من فيه لما يلحقها
من الدهشة عما ارضعت اي عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل ووجه القاضي في
شرحه المصابيح بقوله ان له من يقوم مقام المرضعة في المحافظة والاستئناس ولا يخفى
ان ارتكاب المجاز من غير ضرورة مع امكان الحقيقة بلا اجلال لما لغة في تحقق الارضاع عن المرضع
بالمرضعة ايماء الى ان حالة ارضاعه مشاهدة له صلى الله عليه وسلم رواه البخاري وعن عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت كنا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم بنصبه على النداء اي سبيل الاختصاص
او تفسير للضمير المبهم على تقدير اعني وخبر كان قوله عنده اي جالسين او مجتمعين وفي رواية
لم نغادر منهن واحدة فاقبلت فاطمة روي انما سميت بها لان الله فطمها وذريتها ومحبيها
عن النار وفي رواية فاقبلت فاطمة فلما راها قال مرحبا بابنتي ثم اجلسها اي امرها بالجلوس
عنده اي قريبا منه وفي رواية عن يمينه او عن شماله ثم سارها بتشديد الراء وفي رواية فسارها
اي كلمها سرا فبكت بكاء شديدا فلما راى جزعها بفتح فسكون وفي نسخة بفتحتين اي شدة حزنها
وكثرة بكائها وفي رواية جزعها سارها الثانية فاذا هي اي فاطمة تضحك اي تتبسم وتنبسط
وتنشرح وفي رواية فضحكت فقلت لها خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين نسائه
بالسرار ثم انت تبكين فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ذهب لقضاء صلاة سالتها
عما سارك الظاهر عما سارها على انها مؤمنة لكن التقدير سالتها قائلة عما ساركت فيما
استغرقها منه وفي رواية سالتها ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ما كنت لافشي
من الافشاء اي اذيع واظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره بكسر السين اي ما اخفاه
لانه لو اراد افشاءه لما اسره فلما توفي قلت عزمت اي اقسمت عليك بما لي عليك من الحق اي
من نسبة الامومة الدينية والاخوة والمحبة الصادقة والمودة السابقة لما اخبرتني لما
بفتح اللام وتشديد الميم اي الا اخبرتني وفي نسخة بالتخفيف وفي رواية لما حدثتني ما قال
لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الطيبي يعني ما اطلب منك الا اخبارك اياي بما سارك
ونحو انشدك بالله الا فعلت قالت اما الان فنعم اي اخبرك وتفصيله هذا اما حين سارني
في الامر الاول اي الموجب للحزن وفي رواية في المرة الاولى فانه اخبرني ان جبريل كان يعارضه
وفي رواية يعارضه القران كل سنة مرة بدل من جميع ما نزل من القران من المعارضة المقابلة
ومنه عارضت الكتاب بالكتاب اي قابلته كذا في النهاية ولعل سبب المقابلة ابقاء المحافظة
وليظهر الناسخ والمنسوخ من المقابلة وفيه اشارة الى استحباب المدارسة انه بكسر الهمزة وفي
نسخة بالفتح عارضني به العام اي هذه السنة وفي رواية انه عارضه الان مرتين فيه ايماء الى
ان هذا الحديث بعد رمضان من الاخرين عمره ولا اراه بضم الهمزة وفتح الراء اي ولا اظن وفي رواية
واني لا ارى الاجل اي اجلي الا قد اقترب فاتقي الله اي دومي على التقوى او زيدي فيها ما استطعت
واصبري اي على الطاعة وعن المعصية وفي البلية لا سيما على مفارقتي فانه وفي رواية فانه نعم
السلف اي الفرط انا لك اي على الخصوص والجملة بيانية فعلية لا خبر لاحق قال الطيبي
انا مخصوص بالمدح وكذا بيان كانه لما قيل نعم السلف انا قيل لمن قيل لك لتكثير وفي رواية

قالت فبكيت الذي رأيت فلما رأى جزعي سارّني الثانية فقال وفي رواية فقال يا فاطمة
ألا ترضين وفي رواية أما ترضين أن تكوني سيدة أهل الجنة أي جميعهم أو مخصوصة بهذه الأمة
وفي رواية سيدة نساء هذه الأمة أو نساء المؤمنين شك من الراوي والحديث بظاهره يدل على
أنها أفضل النساء مطلقا حتى من خديجة وعائشة ومريم وآسية وقد تقدم الخلاف والله أعلم
وفي رواية فسارّني فأخبرني أنه يقبض أي يموت في وجعه فبكيت ثم سارّني فأخبرني أني
أول أهل بيته أتبعه بفتح فسكون ففتح وفي نسخة بتشديد التاء الفوقية وكسر الموحدة أي
ألحقه فضحكت ونوضحهما في الذخائر أنه قال وفي رواية بعد قوله عائشة حتى إذا قبض سألتها
فقالت إنه حدثني أنه كان جبريل يعارضني بالقرآن كل عام مرة وأنه عارضني به في العام
مرتين ولا أرى إلا قد حضر أجلي وإنك أول أهلي لحوقا بي ونعم السلف أنا لك ثم سارّني وذكر
مثل الأول أخرجاه مسلم وعن عائشة قالت ما رأيت أحدا أشبه سمتا ودلا وهديا وحديثا
برسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالت وكانت إذا دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قام إليها فقبلها وأجلسها
في مجلسه وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل عليها قامت له فقبلته وأجلسته في
مجلسها فلما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أتت فاطمة فأكبت عليه فقبلته ثم رفعت
رأسها فبكت ثم أكبت عليه ثم رفعت رأسها فضحكت فقلت إن كنت لأظن أن هذه من أعقل
نسائنا فإذا هي من النساء فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لها أرأيت حين
أكببت على النبي صلى الله عليه وسلم فرفعت رأسك فبكيت ثم أكببت عليه فرفعت رأسك
فضحكت ما حملك على ذلك قالت إني إذا لبذرة أخبرني أنه ميت من وجعه هذا فبكيت
ثم أخبرني أني أسرع أهله لحوقا به فذاك حين ضحكت أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي وقال
الترمذي حسن غريب وفي الذخائر عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر
آخر عهده إتيان فاطمة وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة أخرجه أحمد وعن أبي ثعلبة قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من غزو أو سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم أتى
فاطمة ثم أتى أزواجه أخرجه أبو عمر قال المؤلف في فاطمة الكبرى بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأمها خديجة وهي أصغر بناته في قول وهي سيدة نساء العالمين تزوجها علي بن أبي طالب
في السنة الثانية من الهجرة في شهر رمضان وبنى عليها في ذي الحجة فولدت له الحسن والحسين
والمحسن وزينب وأم كلثوم ورقية وماتت بالمدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بستة
أشهر وقيل بثلاثة أشهر وغسلها علي وصلى عليها ودفنت ليلا روى
عنها علي وابناها الحسن والحسين وجماعة سواهم قالت عائشة ما رأيت أحدا قط أفضل
من فاطمة غير أبيها متفق عليه وأخرج الحاكم عن أبي سعيد فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم
بنت عمران وعن المسور بن مخرمة سبق ذكره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة
وفي رواية إن فاطمة بضعة بفتح موحدة أي قطعة لحم مني وقد يكسر الباء على ما في النهاية وفي
القاموس البضعة بفتح الموحدة وحكي ضمها وكسرها وسكون المعجمة قطعة من اللحم والمعنى
أنها جزء مني كما أن القطعة جزء من اللحم ونعم ما قال الإمام مالك ولا أفضل أحدا على بضعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أغضبها أغضبني أي فكأنه أغضبني ففيه نوع من التشبيه
البليغ فاندفع ما استدل به السهيلي على أن من سبها يكفر إذ لا يخفى أن مثل هذا الكلام
محمول على المبالغة في مقام المرام ومنه قوله عليه السلام على ما رواه ابن عساكر عن علي من آذى شعرة
مني فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومنه ما رواه أحمد والبخاري في تاريخه عن معاوية وابن

حبان عن البراء أحب الأنصار فقد أحبه الله ومن أبغض الأنصار أبغضه الله ومنه ما رواه الطبراني
في الأوسط عن أنس مرفوعا حب قريش إيمان وبغضهم كفر وحب العرب إيمان وبغضهم كفر فمن أحب
العرب فقد أحبني ومن أبغض العرب فقد أبغضني وفي رواية أي بعد قوله فمن أغضبها أغضبني وزيادة
عليه يريبني من الإرابة بالموحدة أي يقلقني في الظاهر ما أرابها ويؤذيني أي في الباطن ما آذاها
في شرح السنة رابني الشيء وأرابني بمعنى شككني وأوهمني ما استيقنته قال الطيبي يقال
معناه يسوءني ما يسوءها ويزعجني ما أزعجها قلت الظاهر أنهما لغتان لمزيد المرتبة ومناسبة
لقوله ما آذاها ويؤيده اتفاق النسخ على الضم والله أعلم ثم أول الحديث قال مسور سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن
ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم
فإنما هي بضعة مني إلى آخر الحديث وفي شرح مسلم قال العلماء في هذا الحديث تحريم إيذاء النبي صلى الله عليه
وسلم بكل حال وعلى كل وجه وإن تولد ذلك الإيذاء مما كان أصله مباحا وهذا من خواصه صلوات الله وسلامه
عليه وذكر لوجهين أحدهما أن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة فيتأذى حينئذ النبي صلى الله عليه وسلم فيهلك
علي رضي الله تعالى عنه من أذاه فنهى عن ذلك لكمال شفقته على علي وثانيهما أنه خاف الفتنة
عليها بسبب الغيرة وقيل ليس المراد به النهي عن جمعهما بل معناه أنه صلى الله عليه وسلم
علم من فضل الله تعالى أنهما لا يجتمعان كما قال أنس بن النضر والله لا يكسر ثنيتها متفق عليه
وفي لفظ الذي عن المسور بن مخرمة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو
يقول إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن لهم
ثم لا آذن لهم إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما ابنتي بضعة مني يريبني
ما أرابها ويؤذيني ما آذاها أخرجاه والترمذي وصححه وعن المسور أن علي بن أبي طالب
خطب بنت أبي جهل وعنده فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمعت بذلك فاطمة
أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي
ناكح ابنة أبي جهل قال المسور فقام النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد ثم قال
أما بعد فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني وإن فاطمة بضعة مني وإنما أكره أن
يفتنوها وإنه والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله عند رجل واحد
أبدا قال فترك علي الخطبة وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على منبره
هذا وأنا يومئذ محتلم فقال إن فاطمة مني وأنا أتخوف أن تفتن في دينها ثم ذكر صهرا له من بني عبد
شمس فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن قال حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي وإني لست
أحرم حلالا ولا أحل حراما ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو
الله مكانا واحدا أبدا وعن يحيى بن سعيد القطان قال ذاكرت عبد الله بن داود قول النبي
صلى الله عليه وسلم لا آذن إلا أن يحب علي أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم قال ابن داود حرم
الله على علي أن ينكح على فاطمة حياتها لقوله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا فلما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا آذن لم يكن يحل لعلي أن ينكح على فاطمة إلا بإذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت عمر بن داود يقول لما قال النبي صلى الله عليه
وسلم فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها حرم الله على علي أن ينكح على فاطمة ويؤذي
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول الله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله أخرجهما
الحاكم فقط أبو القاسم الدمشقي وعن المسور بن مخرمة أنه بعث إليه حسن بن الحسن يخطب ابنته
فقال له فليأتني في العتمة فلقيه فحمد المسور الله عز وجل وأثنى عليه وقال أما بعد فما من نسب

وسبب ولا صهر الا من نسبكم وصهركم ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة
بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها وان الانساب يوم القيمة تنقطع
الا نسبي وسببي وصهري وعندك ابنته ولزوجتك تقبضها ذلك فانطلق عاذرا اخرجه
احمد وفيه دليل ان الميت يراعى فيه الحي وقد ذكر الشيخ ابو علي السنجي في شرح التلخيص
انه يحرم التزوج على بنات النبي صلى الله عليه وسلم ولعله يريد من ينتسب اليه بالبنوة
ويكون هذا دليله وفي الجامع فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها
وان الانساب تنقطع يوم القيمة الا نسبي وسببي وصهري رواه احمد والحاكم عن المسور
فاطمة احب الي منك وانت اعز علي منها قاله لعلي رواه الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة وفي
الصواعق وروى عن ابي ايوب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة نادى مناد
من بطنان العرش يا اهل الجمع نكسوا رؤسكم وغضوا ابصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط
فتمر مع سبعين الف جارية من الحور العين كمر البرق وعن زيد بن ارقم قال قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء اي بموضع فيه ماء يدعى اي يسمى ذلك الموضع الماء او ذلك
المكان خما بضم فتشديد وهو موضع بالجحفة بين مكة والمدينة وتقدم انه كان حين رجوعه
من مكة وتوجهه الى المدينة عام حجة الوداع فحمد الله اي شكره واثنى عليه اي بعلي ذاته وجلي
صفاته ووعظ اي نصحهم وذكر بتشديد الكاف اي نبههم من نوم غفلتهم ثم قال اما بعد اي
بعد الحمد والثنا الا بتخفيف اللام للتنبيه زيادة في الاهتمام على التوجيه ايها الناس انما
انا بشر اي مثلكم لكن امتيازي عنكم بانه يوحى الي يوشك اي يقرب ان ياتيني رسول ربي
اي جبريل ومعه عزرائيل والمراد به ملك الموت فاجيبه بالنصب وانا تارك فيكم الثقلين
بفتحتين الامرين العظيمين في كتاب الله واهل بيته لعظم قدرهما ولان العمل بهما ثقيل قيل
تابعهما ثاء الضاحك الفائق الثقل المتابع المجهول في الذاته والماء في البحر ولا ثني الثقلان
لانهما ثقال الارض فكانهما ثقلاها وقد شبه بهما الكتاب والعترة في ان الدين يستصلح
بهما ويعمر ما عمرت الدنيا بالثقلين وفي شرح السنة سماهما ثقلين لان الاخذ والعمل بهما ثقيل
وقيل في تفسير قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا اي اوامر الله ونواهيه لانه لا يؤدي
الا بتكلف ما يثقل وقيل قولا ثقيلا اي له وزن وسمي الانس والجن ثقلين لانهما فضلا
بالتمييز على سائر الحيوان وكل شيء له وزن وقدر متنافس فيه فهو ثقل اولهما كتاب الله فيه
الهدى اي الهداية من الضلالة والنور اي نور القلب للاستقامة او سبب ظهور النور يوم القيمة
فخذوا بكتاب الله اي استنباطا وحفظا وعملا واستمسكوا به اعتقادا وعملا ومن جملته
الاخذ باحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله سبحانه وتعالى وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله وفي رواية فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به فحث بتشديد المثلثة
اي فحرض اصحابه على كتاب الله اي على محافظته ومراعاة مبانيه ومعانيه والعمل بما فيه ورغب
فيه بتشديد الغين المعجمة اي ذكر المرغبات لمن تمسك بما فيه من الايات ليكون حذرا من باب
الاكتفاء بكونه انه انتصر في الحديث على سعة رحمة الله تعالى وان رحمته للعالمين وامته
امة مرحومة ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم واهل بيتي اي وثانيهما اهل بيتي اذكركم الله
بكسر الكاف المشددة اي احذركم الله في اهل بيتي وضع الظاهر موضع المضمر اهتماما بشأنهم
واشعارا بالعلة اي انبهكم حق الله في محافظتهم ومراعاتهم واحترامهم واكرامهم ومحبتهم ومودتهم
وقال الطيبي اي احذركم الله في شان اهل بيتي واقول لكم اتقوا الله ولا تؤذوهم واحفظوهم

فالتذكير

فالتذكير بمعنى الوعظ يدل عليه قوله وعظ وذكر فليس وقد تقدم التغاير بينهما والحمل على التأسيس
اولى اذكركم الله في اهل بيتي كرر الجملة لافادة المبالغة ولا يبعد ان يكون اراد باحدهما آله وبالاخرى
ازواجه لما سبق من ان اهل البيت يطلق عليهما وفي رواية قال ثلاث مرات وفي رواية اولهما
هو كتاب الله فيه كتاب الله هو حبل الله اي ما يوصل العبد الى ربه ويتوسل به الى قربه والترقي
من حضيض البشرية الى درجة الملكية بحضور في الحضرة الالهية والغيبة عن شهود الامور
الكونية وهو مقتبس من قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا من اتبعه اي ايمانا وحفظا
وعلما وعملا واخلاصا كان على الهدى اي على الهداية الكاملة ومن تركه اي بجهة من الجهات المتعددة
كان على الضلالة اي الغواية الكاملة فالقرآن كما جاء في حديث يجوز ان يكون وسيلة للترقي
وان يكون ذريعة للتنزل والتدني كالبدر ما للمحجوبين يضل به كثيرا القرآن
حجة لك او عليك وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا
نفعنا الله رواه مسلم وفي رواية قال لزيد من اهل بيته اليس نساؤه من اهل بيته قال
بلى ان نساءه من اهل بيته من حرم الله عليهم الصدقة بعده قال ومنهم آل علي وآل جعفر وآل
عقيل وآل عباس قال كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة قال نعم اخرجه مسلم واخرج معناه احمد عن ابي
سعيد ولفظه انه صلى الله عليه وسلم قال اني اوشك ان ادعى فاجيب واني تارك فيكم
الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي
وان اللطيف الخبير اخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا بم تخلفوني فيهما انتهى
وعن ابن عمر اي موقوفا انه كان اي ابن عمر ولا ظهر ان يكون التقدير كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا سلم على ابن جعفر اي ابن ابي طالب وابن جعفر هو عبد الله ولم يذكره المؤلف في اسمائه قال
السلام عليك يا ابن ذي الجناحين بفتح الجيم قال القاضي لما رأى جعفر في الجنة يطير مع الملائكة
لقبه بذي الجناحين ولذلك سمي طيارا ايضا قال المؤلف اسلم قديما بعد احد وثلاثين انسانا
وكان اكبر من علي بن ابي طالب بعشر سنين وكان اشبه الناس خلقا وخلقا برسول الله صلى
الله عليه وسلم روى عنه ابنه عبد الله وخلق كثير من الصحابة قتل شهيدا يوم مؤتة سنة ثمان
وله احدى واربعون سنة فوجد فيما اقبل من جسده تسعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة
بسيف رواه البخاري وعن البراء قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والحسن بن علي بالرفع
والواو للحال على عاتقه بكسر التاء وهو ما بين المنكب والعنق يقول اللهم اني احبه فاحبه
بلغ في حبه ولا شك انه احبه الله بحيث التخلق باخلاق الله والتعلق بشمائل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعلى الرضا بجميع احبائه واحواله قال المؤلف كنيته ابو محمد سبط
رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته وسيد شباب اهل الجنة ولد في النصف من شهر
رمضان سنة ثلاث من الهجرة وهو اصح ما قيل فيه ومات سنة خمسين وقيل سنة
تسع واربعين وقيل سنة ثمان واربعين ودفن بالبقيع روى عنه ابنه الحسن بن الحسن
وابو هريرة وجماعة كثيرة ولما قتل ابوه علي بن ابي طالب بالكوفة بايعه الناس على الموت
اكثر من اربعين الفا وسلم الامر الى معوية بن ابي سفيان في النصف من جمادى الاولى سنة
احدى واربعين واما الحسين فكنيته ابو عبد الله ولد لخمس خلون من شعبان سنة اربع
وكانت فاطمة علقت به بعد ان ولدت الحسن بخمسين ليلة وقتل يوم الجمعة يوم عاشوراء
سنة احدى وستين بكربلاء من ارض العراق فيما بين الكوفة والحلة قتله سنان بن انس النخعي
وقيل الانباس شاذ بن ابي سنان وقيل قتله شمر ذي الجوشن واجهز عليه خولي بفتح الخاء المعجمة
وسكون الواو وكسر اللام وتشديد الياء ابن يزيد الاصبحي من حمير حز رأسه واتى به عبيد الله

ابن زياد وقال

أوقر ركابي فضة وذهبا ... إني قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أبا وأما ... وخيرهم إذ ينسبون نسبا

وقيل إنه قتل مع الحسين من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلا وروى عنه
أبو هريرة وابنه علي زين العابدين وفاطمة وسكينة بضم السين المهملة وفتح الكاف وسكون
الياء والنون ابنتاه وكان للحسين يوم قتل ثمان وخمسون سنة وقضى الله تعالى أن قتل عبيد
الله بن زياد يوم عاشوراء سنة سبع وستين قتله إبراهيم بن مالك بن الأشتر النخعي في الحرب
وبعث رأسه إلى المختار وبعثه المختار إلى ابن الزبير وبعث به ابن الزبير إلى علي بن الحسين
متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في طائفة من النهار أي قطعة منه حتى أتى خباء فاطمة بكسر الخاء المعجمة وبموحدة بعدها ألف
فهمزة أي بيتها كما قاله النووي قال الطيبي هو من المجاز في نحو استعمال المشفر على الشفة
وفي رواية بيتها وهو المخدع وفي بعض نسخ المصابيح خباب فاطمة والظاهر أنه مغير انتهى
وفيه نظر إذ قال شارح للمصابيح الخباب بالفتح مقدم الباب وقال ابن الملك أراد بحجرة
وفي جود ذا رهوى لا بحجرة جباب بفتح الجيم وبالباء الموحدة فناء الدار فقال أي
النبي صلى الله عليه وسلم أثم بفتح المثلثة وتشديد الميم أي أهناك لكع بضم اللام وفتح
الكاف منصرف كعمر وفي نسخة بصرفه قال شارح اللكع الجحش الصغير معدول
من اللكع بكسر الكاف يقال لكع الرجل يلكع لكعا فهو لكع إذا حمق وخسيس وهو
غالب الاستعمال في التحقير الذكر ولا تقول لكاع مبنية وقيل هو ليس بمعدول وإنما هو مثل
نغر وصرد وتحفة ولذا ينون لأنه ليس بمعدول وقال ابن الملك لكع بضم اللام وفتح الكاف
الصغير قدرا أو جثة والثاني هو المراد هنا وقال غيره يقال للصبي الصغير لكع منصرف
ذهابا إلى صغر جثته ويطلق على العبد واللئيم والأحمق لصغر قدرهم وفي القاموس اللكع
كصرد اللئيم ومن لا يتجه لمنطق ولا غيره ويقولون في النداء يا لكع ولا يصرف في المعرفة لأنه معدول
من لكع وفي النهاية اللكع عند العرب العبد ثم استعمل في الحمق والذم وقد يطلق على الصغير
ومنه الحديث أنه صلى الله عليه وسلم جاء يطلب الحسن بن علي قال أثم لكع فإذا أطلق على الكبير أريد به
الضعيف العلم والعقل قال التوربشتي المراد بهذا الاستصغار الرحمة والشفقة كالتصغير في
يا حميراء أثم لكع كررت للاستفهام في تحصيل يعني حبسته نفسه من الراوي فلم يلبث بفتح الموحدة
أي لم يمكث إلى أن جاء يسعى أي يعدو حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه أي طالب صحبته قال ابن الملك
فيه جواز المعانقة وقال النووي فيه استحباب ملاطفة الصبي ومعانقته وملاعبته
رحمة ولطفا واستحباب التواضع مع الأطفال وغيرهم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه اللهم اجعلنا من محبيه ومواليه ولا تجعلنا من
مبغضيه ومعاديه فإن محبوب المحبوب محبوب وقلب المحب المغلوب مطلوب متفق عليه
وعن أبي بكرة أي الثقفي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي
بالرفع ويجوز نصبه إلى جنبه بجنبه الأيمن أو الأيسر وهو أي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقبل على الناس مرة وعليه أي وعلى الحسن أخرى وفي رواية الذهبي ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة
ويقول إن ابني هذا سيد أي سيد يسود قلبت الواو ياء وأدغمت فيه وهو من لا يغلبه غضبه
وقيل الذي يفوقه في الخير والأولى ليثبتها بعده لا يلتبس إلا ظهر أنه إنما يطلق
على جمع أسباب السيادة نسبا وحسبا وعلما وعملا ولعل الله أي بصيغة الرجاء إيماء إلى عدم وجود

يقين على المولى فإن المغني أرجوا منه سبحانه وتعالى أن يصلح به أي بسببه بين فئتين عظيمتين
من المسلمين قال التوربشتي كفى به شرفا وفضلا فلا أسود ممن سماه رسول الله صلى الله
عليه وسلم سيدا وإنما وصف الفئتين بالعظيمتين لأن المسلمين كانوا يومئذ فرقتين فرقة
معه وفرقة مع معاوية وكان الحسن رضي الله تعالى عنه يومئذ أحق الناس بهذا الأمر فدعاه ورعه وشفقته
على أمة جده إلى ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله ولم يكن ذلك لعلة ولا لذلة فقد بايعه على الموت
أربعون ألفا وقال والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعني ويضرني أن إلى أمر محمد صلى الله عليه وسلم على
أن يهراق في ذلك محجمة دم وشق ذلك على بعض شيعته حتى حملته العصبية على أن قال عند الدخول
السلام عليك يا عار المؤمنين فقال العار خير من النار وفي شرح السنة في الحديث دليل على
أن واحدا من الفريقين لم يخرج بما كان منه في تلك الفتنة من قول أو فعل عن ملة الإسلام
إذ النبي عليه السلام جعلهم كلهم مسلمين مع كون إحدى الطائفتين مصيبة والأخرى مخطئة
وهكذا سبيل كل متأول فيما يتعاطاه من رأي ومذهب إذا كان له فيما تناوله شبهة وإن
كان مخطئا في ذلك ومن هذا اتفقوا على قبول شهادة أهل البغي ونفوذ قضاء منهم واختار
السلف ترك الكلام في الفتنة الأولى وقالوا تلك دماء طهر الله عنها أيدينا فلا نلوث بها
ألسنتنا رواه البخاري وعن أبي بكرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وكان
الحسن يجيء وهو صغير فكان كلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وثب على رقبته
وظهره فيرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه رفعا رفيقا حتى يضعه فقالوا يا رسول
الله رأيناك تصنع بهذا الغلام شيئا ما رأيناك تصنعه بأحد قال إنه ريحانتي
من الدنيا إن ابني هذا سيد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين أخرجه أبو
حاتم وأخرجه أحمد معناه ولم يقل ريحانتي من الدنيا وزاد فقال الحسن بن الحسن والله
بعد أن ولي لم يهرق في خلافته ملء محجمة دم وعن أبي هريرة قال كنا نصلي مع النبي صلى
الله عليه وسلم العشاء فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فإذا رفع رأسه أخذهما بيده
من خلفه أخذا رفيقا فيضعهما على الأرض فإذا عاد عادا حتى قضى صلاته فأقعدهما على فخذيه
قال فقمت إليه فقلت يا رسول الله أردهما فبرقت برقة فقال الحقا بأمكما قال فمكث
ضوؤها حتى دخلا أخرجه أحمد وعن معاوية قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمص
لسانه أو قال شفته يعني الحسن وإنه لن يعذب الله لسانا أو شفتين مصهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم أخرجه أحمد وفي الذخائر قال أبو عمر ولما قتل علي بن أبي طالب بايع الحسن أكثر من أربعين
ألفا كلهم قد بايعوا أباه قبله على الموت وكانوا أطوع للحسن وأحب فيه منهم في أبيه فبقي
سبعة أشهر خليفة بالعراق وما وراء النهر من خراسان ثم سار إلى معاوية وسار معاوية إليه
فلما تراءى الجمعان في موضع يقال له مسكن من ناحية الأنبار من أرض السواد علم أنه لن
يغلب أحد الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى فكتب إلى معاوية يخبره أنه يصير الأمر إليه على
أن يشترط عليه أن لا يطالب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه
فأجابه معاوية إلا أنه قال أما عشرة أنفس فلا أؤمنهم فراجعه الحسن فيهم فكتب إليه يقول
إني قد آليت أني متى ظفرت بقيس بن سعد أن أقطع لسانه ويده فراجعه الحسن أني لا أبايعك
أبدا وأنت تطلب قيسا أو غيره بتبعة قلت أو كثرت فبعث إليه معاوية حينئذ برق
أبيض وقال اكتب ما شئت فيه فأنا ألتزمه فاصطلحا على ذلك واشترط عليه الحسن أن يكون
الأمر له من بعده فالتزم ذلك كله معاوية واصطلحا على ذلك وكان كما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إن الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وكان رضي الله تعالى عنه يقول

ما احببت منذ علمت ما ينفعني ويضرني ان يلي امر امة محمد صلى الله عليه وسلم على ان يهراق في ذلك محجمة دم
وعن ابي العريف قال كنا في مقدمة الحسن بن علي اثني عشر الفا مستميتين حرصا على قتال اهل الشام
فلما جاءنا صلح الحسن كانما كسرت ظهورنا من الغيظ والحزن فلما جاء الحسن الكوفة اتاه شيخ
منا يكنى ابا عامر سفيان بن ليلى فقال السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال لا تقل يا ابا عامر فاني
لم اذل المؤمنين ولكني كرهت ان اقتلهم في طلب الملك وعن عبد الله بن بريدة ان الحسن
دخل على معاوية فقال لاجيزنك بجائزة لم اجزها احدا قبلك ولا اجزيها احدا بعدك فاجازه باربعمائة
الف الف فقبلها وروي انه لما جرى الصلح بين معاوية والحسن قال له معاوية قم فاخطب الناس
واذكر ما كنت فيه فقام الحسن فخطب فقال الحمد لله الذي هدانا وحقن بنا دماكم الا ان اكيس الكيس
التقى وان اعجز العجز الفجور وان هذا الامر الذي اختلفت فيه انا ومعاوية اما ان يكون احق به مني
او يكون حقي تركته لله واصلاح امة محمد صلى الله عليه وسلم وحقن دمائهم ثم التفت فقال
وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم نزل فقال [illegible] وفي [illegible] وفي رواية
ان الحسن قال في خطبته يا معاوية ان الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعمل بطاعته وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا اما وابا وعن عبد الرحمن
ابن ابي نعم بضم نون وسكون عين كذا في المغني وهكذا في النسخ المصححة وفي سائر النسخ
الحاضرة ولم يذكره المؤلف في اسمائه بل ذكر عبد الرحمن بن غنم بفتح الغين المعجمة وسكون
النون قال سمعت عبد الله بن عمر وسأله رجل عن المحرم جملة حالية قال شعبة اي احد رواة
هذا الحديث ولم يذكره المؤلف في اسمائه احسبه بكسر السين وفتحها اي اظنه اي السائل سأله
المحرم في الذي يسأل عن ابن عمر وفيه تشديد عن المحرم يقتل الذباب يعني ايجوز قتله ام لا والجملة معترضة قال
وفي رواية فقال اي ابن عمر في جوابه متعجبا اهل العراق اي الكوفة فانها والبصرة سميا عراقي العرب
يسألون بتشديد النون وتخفيف عن الذباب اي عن قتل الذباب كما في نسخة والمعنى انهم يظهرون
كمال رعاية التقوى في نسكهم قال الطيبي قوله قال اهل العراق حال اي سمعت قوله متعجبا وقال
سمعت قول الله وقوله وسأله رجل عن المحرم ايضا حال وقوله قال شعبة احسبه يقتل الذباب
قول بعض الرواة تفسير سؤال الرجل واستثبات رواية اي يسأل عن المحرم يقتل الذباب اي
وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حال من ضمير الفاعل في يسألون وقال
في رواية وقد قال اي والحال انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في حق ابني بنته هما
يعني الحسنين ريحانتي ضبط في جميع النسخ بفتح النون وتشديد ياء المتكلم وسيأتي الكلام عليه
وفي الذكر بدرهما اي نصيبي من الدنيا اي من رزق الله الذي رزقنيه من الدنيا قال تعالى ان الله
وريحانه اي استرح لله واسترزقه وهو مخفف من ريحان مشدد من الروح لان انتعاشه بالرزق
ويجوز ان يراد بالريحان المشموم لان الشمامات تسمى ريحانا وقيل جاءه بطانة نرجس وبطانة
ريحان فيكون المعنى انهما مما اكرمني الله به وحباني به لان الاولاد يشمون ويقبلون فكانهما
من جملة الرياحين التي انبتها الله وفي النهاية الريحان الرحمة والرزق وبه سمي الولد ريحانا وكل
نبت طيب الريح من انواع المشموم وقال الطيبي موقع من الدنيا ها هنا كموقعها في قوله صلى الله عليه
وسلم حبب الي من الدنيا الطيب والنساء اي نصيبي منه ونصيب ريحاني على المدح نزل الظاهر
من كلام الفائق انه جعل ريحاني خبر المبتدا ومن الدنيا بمعنى في الدنيا لكن يشكل على رواية الكتاب
بغير رفع ولعله مبني على ما روي ريحانتي بالياء وريحانتاي بالالف او ريحانتي بكسر النون وتخفيف الياء والالف
باعتبار كل منهما والتقدير كانا ريحانتي ثم رايت التاني عبد ضبط في المشارق قوله وهما ريحانتاي
من الدنيا المولد انتهى ومن هنا بمعنى في اي في الدنيا وقيل اي من جنتي في الدنيا كما قال في الحديث

الولد

الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة وقد قيل يوجد منهما ريح الجنة والريحان ما يستراح اليه ويلتذ
بذلك لان الولد يشم ويقبل انتهى وعن جابر بن عبد الله قال لما رواه احمد في المناقب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب سلام عليك يا ابا الريحانتين فعن قليل يذهب ركناك
والله خليفتي عليك فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علي هذا احد الركنين فلما ماتت
فاطمة قال هذا الركن الاخر رواه البخاري وعن عبد الرحمن بن ابي نعم ان رجلا من اهل العراق سأل
ابن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب فقال ابن عمر انظروا الى هذا يسأل عن دم البعوض وقد
قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا اخرجه الترمذي وصححه وعن انس قال لم يكن احد اشبه
بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي وقال اي انس في الحسين ايضا كان اشبههم برسول
الله صلى الله عليه وسلم وسيأتي في حديث علي في الفصل الثالث في تفصيل معنى هذا الحديث رواه
البخاري وكذا الترمذي وعن ابن عباس قال ضمني بتشديد الميم اي اخذني النبي صلى الله عليه وسلم
الى صدره اي ما يليه انه منبع العلم ومعدن الحكم فقال اللهم علمه الحكمة اي اتقان العلم والعمل قال تعالى
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وليس المراد بها حكم الفلاسفة ففي
النهاية الحكمة عبارة عن معرفة افضل الاشياء بافضل العلوم والحكيم الذي يحكم الاشياء ويتقنها
وفي فتح الباري واختلف في المراد بالحكمة هنا فقيل الاصابة في القول وقيل الفهم عن
الله وقيل ما يشهد العقل بصحته وقيل نور يفرق به بين الالهام والوسواس وقيل
سرعة الجواب مع الاصابة وفي لا يزيد ذلك فلذا لا مانع من الجمع شعر
عباراتنا شتى وحسنك واحد ٥ فكل الى ذاك الجمال يشير
وفي رواية علمه الكتاب اي علمه وما يتعلق به من سائر العلوم الشرعية وحكي عن ابن عباس انه قال
جميع العلم في القران لكن ٥ تقاصر عنه افهام الرجال
وهذه الرواية تؤيد قول من فسر الحكمة بعلم الكتاب ولذا قيل لابن عباس ترجمان الكتاب وقال
الطيبي اريد بالحكمة السنة قال تعالى يعلمهم الكتاب والحكمة قلت الاظهر ان يراد بالكتاب
لفظه وقراءته وبالحكمة معرفة احكامه وتبيين اياته فانه رضي الله تعالى عنه كان مشهورا بالعلمين
اعني القراءة والتفسير على ان تفسير الحكمة بالسنة في الاية ونحوها عطفا على الكتاب والامر
النهي يرشد الى العطف لكن سيأتي انه دعا له بالفقه ايضا وهو العلم بالكتاب والسنة اصولا
وفروعا فهو جامع العلوم رضي الله تعالى عنه قال المؤلف ولد قبل الهجرة بثلاث سنين
وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة وقيل عشر
كان حبر هذه الامة وعالمها دعا له صلى الله عليه وسلم بالحكمة والفقه والتاويل ورأى جبريل عليه
السلام مرتين وكف بصره في اخر عمره ومات بالطائف سنة ثمان وستين في ايام ابن الزبير
وهو ابن احدى وسبعين روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين رواه البخاري وعنه اي عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل الخلاء بالفتح والمد اي مكان البراز فوضعت
له وضوءا بفتح الواو اي ماء الوضوء فلما خرج قال من وضع هذا اي ظرف الماء فاخبر بصيغة الماضي المجهول
اي خبره مخبر وهو ميمونة وغيرها فقال اللهم فقهه بكسر القاف المشددة اي اجعله فقيها عالما
في الدين اي اصوله وفروعه وليس المراد به الفقه المتعارف المختص بفروع المعاملات
والخصومات قال النووي فيه فضيلة الفقه واستحباب الدعاء بظهر الغيب واستحباب
الدعاء لمن عمل خيرا وفيه اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم فكان من الفقه بالمحل الاعلى متفق عليه وعن اسامة
ابن زيد اي ابن حارثة القضاعي وامه ام ايمن واسمها بركة وهي حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكانت مولاة لابيه عبد الله بن عبد المطلب واسامة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن
مولاه وحبه وابن حبه فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين وقيل غير ذلك وتوفي وادي القرى
وتوفي به بعد قتل عثمان وقيل سنة اربع وخمسين قال ابن عبد البر وهو عندي اصح روى عنه
جماعة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذه اي يأخذ اسامة والحسن فيقول اللهم احبهما فاني
احبهما فيه اشعار بان محبته لله ولذا رتب محبة الله على محبته وفي ذلك اعظم منقبة لهما ولفظ
البخاري اللهم احبهما فاني احبهما كما قال رواه البخاري وفي رواية قال اي اسامة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني بضم الياء وكسر العين اي يجلسني على فخذه اي اليمنى والنبي
ويقعد الحسن بن علي على فخذه اليسرى ثم يضمهما كذا في المصابيح وجامع الاصول وفيه التفات
من المتكلم الى الغيبة ذكره الطيبي والظاهر انه من غيرها يضمني على تغليب المتكلم كما ان في
يضمهما تغليب الغائب في تسميته التفاتا نوع مسامحة ثم يقول اللهم ارحمهما اي رحمة
شاملة كاملة تغنيهما عن رحمة من سواك فاني ارحمهما اي رحمة خاصة والا فرحمة عامة
للمؤمنين بل شاملة للعالمين رواه البخاري وعن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث بعثا اي ارسل جيشا وامر بتشديد الميم اي جعل امير عليهم اسامة بن زيد فطعن
بفتح العين من طعن يطعن في العرض والنسب واما بالضم فبالرمح واليد وقيل هما لغتان
والمعنى فتكلم بعض الناس اي المنافقون واجلاف العرب في امارته بكسر الهمزة اي ولايته
لكونه مولى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة النبي صلى الله عليه وسلم ان كنتم
تطعنون في امارته فقد كنتم تطعنون في امارة ابيه يشير الى امارة زيد بن حارثة في غزوة
مؤتة من قبل اي من قبل هذا او من قبل امارة ابنه قال الطيبي قوله فقد كنتم طعنتم هذا
الجزاء انما يترتب على الشرط بتأويل التنبيه والتوبيخ اي طعنكم الان فيه سبب لان اخبركم
ان ذلك من عادة الجاهلية وهجيراهم ومن ذلك طعنكم في ابيه من قبل نحو قوله تعالى ان يسرق
فقد سرق اخ له من قبل وايم الله بهمزة وصل وقيل قطع اي والله ان مخففة اي الشان كان
اي ابوه لخليقا اي جديرا وحقيقا للامارة اي بفضله وسبقه وقربه مني وفي اصل المالكي
وايم الله لقد كان وفي نسخة صحيحة ان كان خليقا فقال استعمال المخففة المتروكة العمل
عارية بعدها من اللام الفارقة لعدم الاحتياج اليها قال التوربشتي انما طعن من طعن في امارتهما
لانهما كانا من الموالي وكانت العرب لا ترى تأمير الموالي وتستنكف عن اتباعهم كل الاستنكاف
فلما جاء الله بالاسلام ورفع قدر من لم يكن له عندهم قدر بالسابقة والهجرة والعلم والتقى
وعرف حقهم المحفوظ من اهل الدين فاما المرتهنون بالعادة والممتحنون بحب الرياسة
من الاعراب ورؤساء القبائل فلم يزل يختلج في صدورهم شيء من ذلك لاسيما اهل النفاق
فانهم كانوا يسارعون الى الطعن وشدة النكير عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث
زيد بن حارثة رضي الله عنه اميرا على عدة سرايا واعظمها جيش مؤتة وسار تحت رايته فيها نجباء
الصحابة منهم جعفر بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وكان خليقا بذلك لسوابقه وفضله وقربه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان يبعث اسامة وقد امره في مرضه على جيش فيهم جماعة
من مشيخة الصحابة وفضلائهم وكان رأى في ذلك سوى ما توسم فيه من النجابة ان يمهد
الامر ويوطئه لمن يلي الامر بعده لئلا ينزع احد يده من طاعته وليعلم كل منهم ان العادات الجاهلية
قد عميت مسالكها وخفيت معالمها وان كان اي ابوه لمن احب الناس الي وان هذا اي اسامة لمن
احب الناس الي بعده اي بعد ابيه زيد متفق عليه وعند النسائي عن عائشة قالت ما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في جيش قط الا امره عليهم قال بعض المحققين

فيه جواز امارة المولى وتولية الصغار على الكبار والمفضول على الفاضل قلت ولعل الاظهر مع
تأمير ابنه ونفع جبر لما اختاره من عبوديته صلى الله عليه وسلم حين خيره فقد قال المؤلف زيد
ابن حارثة سعدي بن ثعلبة من بني معن خرجت به امه تزور قومها فاغارت خيل بني القين في
الجاهلية فمروا على ابيات من بني معن فاحتملوا زيدا وهو يومئذ غلام يفعة له ثمان
سنين فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد لعمته خديجة باربعمائة
درهم فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له فقبضه ثم ان خبره اتصل باهله فحضر
ابوه حارثة وعمه كعب في فدائه فخيره النبي صلى الله عليه وسلم بين نفسه والمقام عنده وبين
اهله والرجوع اليهم فاختار النبي صلى الله عليه وسلم لما يرى من بره واحسانه اليه فحينئذ خرج
به النبي صلى الله عليه وسلم الى الحجر فقال يا من حضر اشهدوا ان زيدا ابني يرثني وارثه فصار يدعى
زيد بن محمد الى ان جاء الله بالاسلام ونزل ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله فقيل له زيد بن
حارثة وهو اول من اسلم من الذكور في قول وكان النبي صلى الله عليه وسلم اكبر منه بعشر سنين
وقيل بعشرين سنة وزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاته ام ايمن فولدت اسامة
ثم تزوج زينب بنت جحش بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم ثم طلقها لتكبرها عليه فتزوجها النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يسم الله تعالى في القرآن احدا من الصحابة غيره في قوله تعالى فلما قضى زيد
منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا
روى عنه ابنه اسامة وغيره وقتل في غزوة مؤتة وهو امير الجيش في جمادى الاولى سنة ثمان
وهو ابن خمس وخمسين سنة وفي رواية لمسلم نحوه اي نحو الحديث المتفق عليه بمعناه وفي
اخرها اي رواية مسلم اوصيكم به اي باسامة فانه من صالحيكم اي ممن غلب عليه الصلاح فيما بينكم
والا فكل الصحابة صالحون والخطاب لجماعة من الحاضرين والمبعوثين معه وعنه اي عن عبد الله
ابن عمر قال ان زيد بن حارثة مولى الرجل من اهل بيته ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد قال النووي
كان النبي صلى الله عليه وسلم تبنى زيدا ودعاه ابنه وكانت العرب تتبنى مواليهم وغيرهم فيصير ابنا له
يوارثه وينتسب اليه حتى نزل القرآن اي الاية منه ادعوهم لابائهم قبله وما جعل ادعياءكم ابناءكم
ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لابائهم هو اقسط اي اعدل
عند الله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم الاية فرجع كل انسان الى نسبه متفق
عليه وذكر حديث البراء قال لعلي انت مني في باب بلوغ الصغير وحضانته بكسر الحاء ويفتح اي تربيته
انتهى والله اعلم

الفصل الثاني

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء بفتح القاف ممدودا
ويقصر قيل سميت قصوى لانها مخدوع الاذن والعضو اللقب له يخطب فسمعته
يقول يا ايها الناس اني تركت فيكم ما موصولة صلتها ان اخذتم به اي تمسكتم به علما وعملا لن
تضلوا بعده اي بعد اخذ ذلك الذي كتاب الله بالنصب بيان ما في ما ان اخذتم به ابدا وفيه
ابدي وفي نسخة بالرفع اي هو كتاب الله وعترتي في محل نصب او رفع وقوله اهل بيتي معرب
من وجهين قال التوربشتي عترة الرجل اهل بيته ورهطه الادنون ولاستعمالهم العترة
على انحاء كثيرة بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اهل بيتي ليعلم انه اراد بذلك نسله
وعصابته الادنين وازواجه والمراد بالاخذ بهم التمسك بمحبتهم ومحافظة حرمتهم والعمل
بروايتهم والاعتماد على مقالتهم وهو لا ينافي اخذ السنة من غيرهم لقوله صلى الله عليه وسلم
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ولقوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون قال ابن الملك التمسك بالكتاب العمل بما فيه وهو الائتمار باوامر الله والانتهاء

الفصل الثاني عن جابر [illegible]

بنواهيه ومعنى التمسك بالعترة محبتهم والاهتداء بهديهم وسيرتهم زاد السيد جمال الدين إذا لم
يكن مخالفا للدين قلت فيه إطلاقه صلى الله عليه وسلم إشعار بأن من يكون من عترتي في الحقيقة
لا يكون هديه وسيرته إلا مطابقا للشريعة والطريقة رواه الترمذي وعن زيد بن أرقم قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أي بعد
وفاتي أحدهما وهو كتاب الله أعظم من الآخر وهو العترة كما بينه بقوله كتاب الله بالنصب
وبالرفع وهو الأظهر هنا لقوله حبل ممدود من السماء إلى الأرض أي نازل للترتيب والتنزيل كما سيأتي بيانه
وسبق برهانه وعترتي أهل بيتي قال الطيبي في قوله إني تارك فيكم إشارة إلى أنهما بمنزلة التوأمين
الخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه يوصي الأمة بحسن المخالقة معهما وإيثار
حقهما على أنفسهم كما يوصي الأب المشفق الناس في حق أولاده ويعضده الحديث السابق
في الفصل الأول أذكركم الله في أهل بيتي كما يقول الأب المشفق الله الله في حق أولادي
وأقول الأظهر هو أن أهل البيت غالبا يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله
فالمراد بهم أهل العلم منهم المطلعون على سيرته الواقفون على طريقته العارفون بحكمه
وحكمته وبهذا يصلح أن يكونوا مقابلا لكتاب الله سبحانه وتعالى كما قال ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويؤيده ما أخرجه أحمد في المناقب عن حميد بن عبد الله بن زيد أن النبي صلى الله
عليه وسلم ذكر عنده قضاء قضى به علي بن أبي طالب فأعجبه وقال الحمد لله الذي جعل فينا
الحكمة أهل البيت وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين عن محمد بن مسعر اليربوعي قال
قال علي للحسين كم بين الإيمان واليقين قال أربع أصابع قال بين قال اليقين ما رأت
عينك والإيمان ما سمعت أذنك وصدقت به قال أشهد أنك ممن أنت منه ذرية بعضها
من بعض وشارف الزهري تهامه على وجهه حبه فقال زين العابدين قنوتك من رحمة الله التي
وسعت كل شيء أعظم عليك من ذنبك فقال الزهري الله أعلم حيث يجعل رسالته فرجع إلى
أهله وماله ولن يتفرقا أي كتاب الله وعترتي في مواقف القيامة حتى يردا علي الحوض أي الكوثر
قال الطيبي في تفصيل مجمل الحديث ما موصولة والجملة الشرطية صلتها وإمساك الشيء التعلق
به وحفظه قال تعالى ويمسك السماء أن تقع على الأرض والتمسك بالشيء إذا تحرى الإمساك
به ولهذا لما ذكر التمسك عقبه بالتمسك به صريحا وهو الحبل في قوله كتاب الله حبل ممدود
من السماء إلى الأرض وفيه تلويح إلى قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض
واتبع هواه فكأن الناس واقعون في مهواة طبيعتهم مشتغلون بشهواتهم وأن الله
تعالى يريد بلطفه رفعهم فأدلى حبل القرآن إليهم يخلصهم من تلك الورطة فمن تمسك
به نجا ومن أخلد إلى الأرض هلك ومعنى كون أحدهما أعظم من الآخر أن القرآن هو أسوة للعترة
وعليهم الاقتداء به وهم أولى الناس بالعمل بما فيه ولعل السر في هذه التوصية واقتران العترة
بالقرآن إيجاب محبتهم لائح من معنى قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى
فإنه تعالى جعل شكر إنعامه وإحسانه بالقرآن منوطا بمحبتهم على سبيل الحصر فكأنه صلى
الله عليه وسلم يوصي الأمة بقيام الشكر وقيد تلك النعمة به ويحذرهم عن الكفران فمن
أقام بالوصية وشكر تلك الصنيعة بحسن الخلافة فيهما لن يفترقا فلا يفارقانه في مواطن
القيامة ومشاهدها حتى يرد الحوض فشكرا صنيعه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحينئذ هو بنفسه يكافئه والله تعالى يجازيه بالجزاء الأوفى ومن أضاع الوصية وكفر النعمة
فحكمه على العكس وعلى هذا التأويل حسن موقع قوله فانظروا كيف تخلفوني فيهما والنظر
بمعنى التأمل والتفكر أي تأملوا واستعملوا الروية في استخلافي إياكم هل تكونون خلف

صدق أو خلف سوء انتهى وقوله تخلفوني بتشديد النون وتخفف رواه الترمذي ورواه أحمد
والطبراني عن زيد بن ثابت ولفظه إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء
والأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وعنه أي عن زيد بن أرقم أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين أي لأجلهم وفي حقهم أنا حرب
أي محارب لمن حاربهم جعل صلى الله عليه وسلم نفسه نفس الحرب مبالغة كرجل عدل وسلم
بكسر أوله وبفتح لمن سالمهم والمعنى من أحبهم أحبني ومن أبغضهم أبغضني رواه الترمذي
وعن جميع بن عمير بالتصغير فيهما قال المؤلف تيمي من الكوفة قال البخاري سمع عمر وعائشة
روى عنه العلاء بن صالح وصدقة بن المثنى قال دخلت مع عمتي على عائشة فسألت
أي أنا وفي نسخة بصيغة التأنيث أي عمتي أي الناس كان أحب إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالت أي عائشة فاطمة أي بنته كانت أحب فقيل من الرجال أي هذا جوابك من
النساء فمن أحب إليه من الرجال قالت زوجها رواه الترمذي وفي الرياض عن عائشة سئلت
أي الناس أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة فقيل من الرجال قالت
زوجها إن كان ما علمت صواما قواما أخرجه الترمذي وقال حسن غريب وفي الأزهار رواه
السدي وقال الحاكم السدي شيخ بيت التشيع انتهى وقد ذكروا أن السدي شيخان كبير
كوفي وصغير وقد رافضي قال السيوطي في شرح التقريب من أمارات كون الحديث موضوعا
أن يكون الراوي رافضيا والحديث في فضائل أهل البيت قال الشيخ الحافظ علي بن عراق
في كتاب تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة وفي ذم من حاربهم وذكر
بعض شيوخي أنه روي عن شيخه الحافظ المحدث البرهان الناجي بالنون أن من أمارات
الموضوع أن يكون فيه ذا عطي ثواب نبي أو النبيين ونحوه قلت كلام السيوطي
وابن العراق ليس على الإطلاق بل ينبغي أن يكون مقيدا بما إذا وجد فيه مبالغة زائدة
غير معروفة في مدح أهل البيت أو ذم أعدائهم وإلا ففضل أهل البيت وذم من حاربهم
أمر مجمع عليه عند العلماء وأكابر الأئمة ولا يلزم من أكثرية المحبة تحقق الأفضلية إذ محبة
الأولاد وبعض الأقارب أمر جبلي مع العلم القطعي بأن غيرهم قد يوجد أفضل منهم وأما بالنسبة
إلى الأجانب فالأفضلية توجب زيادة المحبة وبهذا يندفع الإشكال والله أعلم بالأحوال
وعن عبد المطلب بن ربيعة أي ابن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي سكن المدينة
ثم تحول عنها إلى دمشق ومات بها سنة اثنتين وستين روى عنه عبد الله بن الحارث
ذكره المؤلف في فصل الصحابة أن العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا
بصيغة المفعول وأنا عنده فقال ما أغضبك أي أي شيء جعلك غضبان قال يا رسول
الله ما لنا أي معشر بني هاشم ولقريش أي بقيتهم إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة
على صيغة المفعول من الإبشار وروي من التبشير وعليه بعض النسخ قال الطيبي كما هو
في جامع الترمذي وفي جامع الأصول مسفرة يعني على أنه اسم فاعل من الإسفار ويجيء بمعنى مضيئة
قال التوربشتي هو بضم الميم وسكون الباء وفتح الشين يريد بوجوه عليها البشر من قولهم فلان
مؤدم مبشر إذا كانت له أدمة وبشرة محمودة انتهى والمعنى تلاقي بعضهم بعضا بوجوه ذات
بشر وبسط وإذا لقونا بضم القاف لقونا بغير ذلك أي بوجوه ذات قبض وعبوس وكان
وجهه أنهم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فغضب رسول الله صلى الله عليه
وسلم أي من إظهار ذلك أو من أصل هذه الصفة الذميمة حتى احمر وجهه أي اشتد حمرته
من كثرة غضبه ثم قال والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان أي مطلقا وأريد به [illegible]

السديد او الايمان الكامل فالمراد به تفضيله في الوجه الاكيد **حتى يحبكم** اي اهل البيت **لله ولرسوله**
اي من حيث اظهر رسوله فيكم والله اعلم حيث يجعل رسالته وقد كان يبغضه ابو جهل حب بنوت
اذا كان بنوا هاشم اخذوا الراية والسقاية والنبوة والرتب لذا فما بقي لبقية قريش ثم **قال**
يا ايها الناس من اذى عمي اي خصوصا **فقد اذاني فانما عم الرجل صنو ابيه** بكسر الصاد وسكون
النون اي مثله واصله ان يطلع نخلتان او ثلاث من اصل عرق واحد فكل واحدة منهن صنو يعني
ان عم الرجل وابوه كالصنوين من اصل واحد فهو مثل ابي وفي **رواه الترمذي** اي عن عبد
المطلب وفي المصابيح عن المطلب قال المؤلف هو المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب
ابن هاشم القرشي كان رجلا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عداده في اهل الحجاز روى عنه عبد الله
ابن الحارث قدم مصر لغزو افريقية سنة سبع وعشرين ولم يقع الى اهل الحديث عنه رواية انتهى فما
وقع في المصابيح سهو سببه وهم وفي الجامع روى الترمذي عن ابي هريرة العباس عم رسول الله
وان عم الرجل صنو ابيه وروى ابن عساكر عن علي مرفوعا العباس عمي وصنو ابي فمن شاء فليباهِ
بعمه وفي ذخائر العقبى عن ابن عباس قال ان العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا
لنخرج فنرى قريشا تحدث فاذا رأونا سكتوا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودر
عرق الغضب بين عينيه ثم قال والله لا يدخل قلب امرئ ايمان حتى يحبكم لله ولقرابتي رواه احمد
وعن ابي ايوب الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة نبينا خير الانبياء وهو
ابوك وشهيدنا خير الشهداء وهو عم ابيك حمزة ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء
وهو ابن عم ابيك ومنا سبطا هذه الامة الحسن والحسين وهما ابناك ومنا المهدي اخرجه الطبراني
في معجمه **وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس مني** اي من اقاربي
او من اهل بيتي او متصل بي **وانا منه رواه الترمذي** وكذا الحاكم وروى الخطيب عن ابن عباس مرفوعا
العباس وصيي ووارثي وكان العباس اكبر منه صلى الله عليه وسلم بسنتين ومن لطائف طبعه
وحسن ادبه انه لما قيل له انت اكبر ام النبي صلى الله عليه وسلم فقال هو اكبر وانا اسن قال المؤلف
وامه امرأة من النمر بن قاسط وهي اول عربية كست البيت الحرير والديباج واصناف الكسوة وذلك
ان العباس ضل وهو صبي فنذرت ان وجدته ان تكسو البيت الحرام فوجدته ففعلت ذلك وكان
العباس رئيسا في الجاهلية واليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية فهي معروفة واما العمارة
فانه كان يحمل قريشا على عمارته بالخير وترك السب فيه وقول الهجر قال مجاهد اعتق العباس
عند موته سبعين مملوكا وولد قبل سنة الفيل ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من
رجب سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين ودفن بالبقيع وكان اسلم قديما وكتم اسلامه
وخرج مع المشركين يوم بدر مكرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم من لقي العباس فلا يقتله فانه
خرج مكرها فاسره ابو اليسر كعب بن عمرو ففادى نفسه ورجع الى مكة ثم اقبل الى المدينة مهاجرا
روى عنه جماعة **وعنه** اي عن ابن عباس **قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم** اي للعباس
اذا كان غداة الاثنين بهمز وصل وقد يقطع ولا يلفظ كما يجوز في الاثنين شاع لحنا
لعدم اقترانه الا بهمز القطع مع انه قد يجوز للضرورة في الشعر **فأتني انت وولدك** بفتحتين وبضم
وسكون اي اولادك **حتى ادعو لهم** اي للاولاد معك قال الطيبي وهو كذا في الترمذي وفي جامع الاصول
وبعض نسخ المصابيح لكم انتهى والمعنى حتى ادعو لكم جميعا **بدعوة ينفعك الله بها وولدك** اي وينفع
اولادك **قال ابن عباس فغدا** اي العباس **وغدونا** اي نحن معه من الاولاد معه والمعنى فذهبنا
جميعا اليه صلى الله عليه وسلم وانما قدمت رح في قوله يا ابن عباس فغدا رسول الله صلى الله عليه
وسلم **والبسنا** اي النبي صلى الله عليه وسلم جميعنا او نحن الاولاد مع العباس **كساء** اي لباسه

الخاص

الخاص في وجه الاختصاص من زيادة الاختلاط بهم **فقال اللهم اغفر للعباس وولده** اي اولاده **مغفرة**
ظاهرة وباطنة اي ما ظهر من الذنوب وما بطن من العيوب التي لم يعلمها الا علام الغيوب لا تغادر اي
لا تترك تلك المغفرة ذنبا اي بل تجعله مغفورا **اللهم احفظه في ولده رواه الترمذي** وزاد رزين واجعل
الخلافة باقية في عقبه وقال الترمذي هذا حديث غريب قال التوربشتي اشار النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك الى انهم خاصته وانهم بمنزلة النفس الواحدة التي يشملهم كساء واحد وانه يسأل
الله تعالى ان يبسط عليهم رحمته بسط الكساء عليهم وانه يجمعهم في الاخرة تحت لوائه وفي هذه
الدار تحت رايته لاعلاء كلمة الله تعالى ولنصرة دعوة رسوله اللهم احفظه في ولده اي اكرمه وراع
امره كيلا يضيع في شأن ولده وهذا معنى رواية رزين واجعل الخلافة باقية في عقبه **وعنه** اي
عن ابن عباس **انه** اي ابن عباس كما صرح به شارح **انه رأى جبريل مرتين** روى ابن البخاري عن ابن عباس
قال دخلت انا وابي على النبي صلى الله عليه وسلم فلما خرجنا من عنده قلت لابي اما رأيت الرجل
الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ما رأيت رجلا احسن وجها منه فقال لي ابوك اهو كان احسن وجها
ام النبي صلى الله عليه وسلم قلت هو قال فارجع بنا فرجعنا حتى دخلنا عليه فقال ابي يا رسول
الله ان الرجل الذي كان معك زعم عبد الله انه كان احسن وجها منك فقال يا عبد الله رأيته قال
نعم قال اما ان ذلك جبريل اما انه حين دخلتما قال لي يا محمد من هذا الغلام قلت ابن عمي عبد الله
ابن عباس قال انه لمحب للخير فقلت بلى فادع الله له فقال اللهم بارك عليه اللهم
اجعل منه كثيرا طيبا انتهى ولا يخفى ان قوله احسن يحتاج الى توجيه حسن وهو مستحسن وهو
انه لما رآه اول نظرة استحسنه بحيث انه ظن احسن كما هو مشاهد في المرئيات المستحسنة
اولا او لان جبريل كان متوجها اليه منبسطا عليه او لعدم تمييز ابن عباس حينئذ مع المناسبة
الطفولية المشابهة بالصفة الملكية التي كانها عند الحلم والا فجبريل عليه السلام كان يظهر على صورة
دحية ولم يقل احد من الصحابة انه كان احسن صورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم **ودعا له**
اي لابن عباس **رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين** اي مرة باعطاء الحكمة او علم الكتاب حين
ضمه الى صدره ومرة بتعليم الفقه حين خدمه بوضع ماء وضوئه **رواه الترمذي وعنه** اي عن ابن عباس
انه قال دعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤتيني الله الحكمة اي العلم باصول الشريعة
وفروعها **مرتين** اي مرة بلفظ الحكمة ومرة بعبارة الفقه والظاهر انها في مجلسين كما تقدم والله
اعلم رواه الترمذي **وعن ابي هريرة قال كان جعفر يحب المساكين** اي محبة زائدة **ويجلس اليهم**
اي ويتواضع لديهم **ويحدثهم ويحدثونه** اي بالمؤانسة **فكان** وفي نسخة صحيحة **وكان رسول**
الله صلى الله عليه وسلم يكنيه لكثرة ما ذكر **بابي المساكين** اي ملازمهم ومخالطهم كما كني علي
بابي تراب لمباشرته ومعاشرته بقعوده ورقوده عليه وكما يقال للصوفي ابو الوقت وابن
الوقت والمساكين ابن السبيل **رواه الترمذي وعنه** اي عن ابي هريرة **قال قال رسول الله صلى**
الله عليه وسلم رأيت في المنام جعفرا يطير اي بجناحين روحانية او جسمانية **في الجنة مع الملائكة**
قال التوربشتي كان جعفر قد اصيب بمؤتة من ارض الشام وهو امير بيده راية الاسلام بعد زيد
ابن حارثة فقاتل في الله حتى قطعت يداه ورجلاه فاري النبي صلى الله عليه وسلم فيما كوشف
به ان له جناحين مضرجين بالدم يطير بهما في الجنة مع الملائكة **رواه الترمذي وقال هذا**
حديث غريب وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين
سيدا شباب اهل الجنة قال المظهر يعني هما افضل من مات شابا في سبيل الله من اصحاب
الجنة ولم يرد به سن الشباب لانهما ماتا وقد كهلا بل ما يفعله الشباب من المروة كما يقال فلان
فتى وان كان شيخا يشير الى مروته وفتوته او انهما سيدا اهل الجنة سوى الانبياء والخلفاء الراشدين

وذلك لان اهل الجنة كلهم في سن واحد وهو الشباب وليس فيهم شيخ ولا كهل قال الطيبي ويمكن
ان يراد بهما الآن شباب منهم من اهل الجنة من شاب في هذا الزمان رواه الترمذي وكذا احمد عن ابي
سعيد والطبراني عن عمر وعن علي وعن جابر وعن بريدة وعن ابي هريرة والطبراني في الاوسط عن اسامة
ابن زيد وعن البراء وابن عدي عن ابن مسعود ورواه ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر بلفظ الحسن
والحسين سيدا شباب اهل الجنة وابوهما خير منهما وكذا رواه الطبراني عن قرة وعن مالك بن
الحويرث والحاكم عن ابن مسعود ورواه احمد وابو يعلى وابن حبان والطبراني والحاكم عن ابي
سعيد بلفظ الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة الا ابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى
ابن زكريا وفاطمة سيدة نساء اهل الجنة الا ما كان من مريم بنت عمران وعن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحسن والحسين هما ريحاني بكسر نون وتشديد يا كما سبق
وفي نسخة صحيحة هما ريحاني وفي نسخة ريحانتي بكسر النون من الدنيا رواه الترمذي
وقد سبق اي هذا الحديث في الفصل الاول قال السيد جمال الدين فيه اشارة الى الاعتراض
على صاحب المصابيح فانه ذكره في باب الاول رواية البخاري وتعقب في محله وكذا رواية الترمذي
في موضعه فلا تكرار مع ان اللفظين متغايران في الجملة وعن اسامة بن زيد ابن حارثة
قال طرقت النبي صلى الله عليه وسلم اي طلبت الطريق اليه ففي القاموس الطرق الاتيان بالليل
كالطروق وفي الكلام تجريد وتأكيد والمعنى اتيته ذات ليلة اي ليلة من الليالي وذات مقحمة
لتأكيدها لابهام في بعض الحاجة اي لاجل غرض حاجة من الحاجات احاديثه الاوقات فخرج النبي
صلى الله عليه وسلم مشتمل اي متحجب في شيء لا ادري ما هو فلما فرغت من حاجتي قلت ما هذا
الذي انت مشتمل عليه فكشفه اي ازال ما عليه من الحجاب والمعنى فكشف الحجاب عنه فاذا انه
من باب الحذف والايصال فاذا الحسن والحسين على وركيه بفتح فكسر وفي القاموس بالفتح
والكسر وككتف ما فوق الفخذ فقال هذان ابناي اي حكما وابنا ابنتي حقيقة اللهم اني احبهما
فاحبهما واحب من يحبهما ولعل المقصود من اظهار هذا الدعاء حمل الناس على زيادة في محبتهما رواه
الترمذي وعن سلمى بفتح اوله زوجة ابي رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم قابلة ابراهيم
ابن النبي صلى الله عليه وسلم روى عنها ابنها عبيد الله بن علي قالت دخلت على ام سلمة
وهي من امهات المؤمنين وهي تبكي اخرج احمد في المناقب عن الربيع بن منذر عن ابيه قال كان
حسين بن علي يقول من دمعت عيناه فينا دمعة او قطرت عيناه قطرة آتاه الله عز وجل
الجنة فقلت ما يبكيك بضم اوله وكسر كافيه قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
تعني في المنام هذا من كلام سلمى او ممن بعدها اي تريد ام سلمة بالرؤية الرؤية في المنام
وعلى رأسه ولحيته التراب اي اثره من الغبار فقلت ما لك اي من الحال يا رسول الله
قال شهدت اي حضرت قتل الحسين آنفا بمد الهمزة ويجوز قصرها اي في هذه الساعة القريبة
رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب قال ميرك رواه الترمذي وقال حسن غريب وفي
سنده حسن بن اسامة بن زيد يضعف قال الذهبي ولم يصح خبره قلت لكن لغرابته خبر
لا في الفضائل وعن انس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اهل
بيتك احب اليك قال الحسن والحسين وكان يقول لفاطمة ادعي لي ابني بسكون الياء وفتحها
اي اطلبي لاجلي ابني بصيغة التثنية فيشمهما بضم الشين وقد يفتح ففي القاموس الشم حس
الانف شممته بالكسر اشمه بالفتح وشممته اشمه بالضم قال الجزري شممت الشيء من باب
نصر لغة فيه والمعنى فيحضران فيشمهما لانهما ريحانتان ويضمهما اليه اي بالاعتناق والاحتضان
رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وفي الذهبي حسن غريب وعن يعلى بن مرة قال

جاء

جاء الحسن والحسين يستبقان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء احدهما قبل الاخر
فجعل يده في عنقه فضمه الى بطنه صلى الله عليه وسلم ثم جاء الاخر فجعل يده الاخرى في رقبته
ثم ضمه الى بطنه صلى الله عليه وسلم وقبل هذا ثم قال اني احبهما فاحبوهما ايها الناس الولد
مبخلة مجبنة محزنة رواه احمد وعن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا
اذ جاء الحسن والحسين عليهما وفي نسخة بزيادة الواو والحالية قميصان احمران اي فيهما خطوط
حمر يمشيان ويعثران بضم المثلثة ويجوز تثليثها ففي القاموس عثر كضرب ونصر وعلم وكرم
كبا والمعنى انهما يسقطان في الارض لصغرهما وفي رواية الكشاف يعثران ويقومان فنزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما اي على كتفيه ووضعهما بين يديه ثم قال
صدق الله اي في قوله انما اموالكم واولادكم اي بالخطاب العام فتنة اي محنة نظرت الى
هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر اي عنهما لتأثير الرحمة والرقة في قلبي حتى
قطعت حديثي اي كلامي في الخطبة ورفعتهما اي عندي لتحصيل الرفعة عند الله وعند خلقه
ثم اخذ في خطبته على ما في الكشاف رواه الترمذي وابو داود والنسائي وقال الترمذي
حسن غريب وعن يعلى بن مرة بضم فتشديد قد يقع شهد الحديبية وخيبر والفتح وحنينا
والطائف روى عنه جماعة وعداده في الكوفيين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسين مني وانا من حسين قال القاضي كان صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي ما سيحدث
بينه وبين القوم فخصه بالذكر وبين انهما كالشيء الواحد في وجوب المحبة وحرمة التعرض والمحاربة
واكد ذلك بقوله احب الله من احب حسينا فان محبته محبة الرسول ومحبة الرسول محبة
الله حسين سبط بكسر السين وسكون الموحدة اي ولد ابنتي من الاسباط ومأخذه من السبط
بالفتح وهي شجرة لها اغصان كثيرة واصلها واحد كان الوالد بمنزلة الشجرة والاولاد بمنزلة
اغصانها وقيل في تفسيره انه امة من الامم في الخير قال القاضي السبط ولد الولد اي هو من اولاد
اولادي اكد به البعضية وقررها ويقال للقبيلة قال تعالى وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا
اي قبائل ويحتمل ان يكون المراد هنا هذا على معنى انه يتشعب منه قبيلة ويكون من نسله خلق
كثير فيكون اشارة الى ان نسله يكون اكثر وابقى وكان الامر كذلك رواه الترمذي وكذا
سعيد بن منصور في سننه وقال الترمذي حسن وعن خالد بن معدان قال وفد المقدام بن
معدي كرب وعمرو بن الاسود الى معاوية فقال معاوية للمقدام علمت ان الحسن بن علي توفي
فرجع المقدام فقال له معاوية اتراها مصيبة قال وقد وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حجره فقال هذا مني وحسين من علي اخرجه احمد وهو لا ينافي ما رواه احمد وابن عساكر عن
المقدام بن معدي كرب مرفوعا الحسن مني والحسين من علي والمراد نسبة الوالدية للاب في الكبير
للجد وللصغير للاب كما هو معروف في العرف ولفظ الجامع حسين مني وانا منه احب الله
من احب حسينا الحسن والحسين سبطان من الاسباط اخرجه البخاري في الادب المفرد
والترمذي والنسائي والحاكم في مستدركه عن يعلى بن مرة وعن علي رضي الله تعالى عنه قال
الحسن اشبه بفتح ما قبل الياء وفي نسخة القصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصدر
الى الرأس قال الطيبي بدل من الفاعل سقط في اشبه او من المفعول بدل البعض وكذا قوله ما في
ما كان اسفل والحسين اشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما كان اسفل من ذلك اي كالساق
والقدم فكان الاكبر اخذ الشبه الاقدم لكونه اسبق والثاني للامر فيه تخفيف وفيه اشعار
بانهما لم يأخذا شبها كبيرا من والدتهما رواه الترمذي وكذا ابو عمر وقال الترمذي حسن غريب
وعن حذيفة قال قلت لامي وهي ابي ابنة التركيبي وخفي نسبتي اي بانه اب فهو

بيانا يا انا ابيه النبي صلى الله عليه وسلم فاصلي معه المغرب ولعلها كانت ممنوعة لبعد مجلسه خوفا
عليها او عليه واما انا فيستغفر في ذلك اي فاذنت لي فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم لكن
معه المغرب فصلى اي النبي صلى الله عليه وسلم النوافل حتى صلى العشاء ثم انفتل اي انصرف
فتبعته فسمع صوتي اي صوت حركتي فقال من هذا احذيفة اي وقال قبل جوابي حذيفة
لما علم من نور النبوة او طريق الفراسة وهو خبر مبتدأ محذوف اي هذا او هو انت حذيفة
قلت نعم قال ما حاجتك غفر الله لك ولامك وهذا ايهام وتنبيه الحاجة السابقة ثم
انتقل وقال ان هذا اي المحسوس لشدة صلى الله عليه وسلم الملحوظ حكما عن حذيفة ملك
لم ينزل الارض قط قبل هذه الليلة فيه ايماء الى تعظيم الامر الذي نزل فيه استاذن ربه
ان يسلم علي ويبشرني بان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة وان الحسن والحسين سيدا
شباب اهل الجنة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وفي الذخائر اخرجه احمد والترمذي
وقال حسن غريب وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل الحسن
ابن علي على عاتقه بكسر التاء اي ما بين منكبه وعنقه فقال رجل نعم المركب اي هو ركبت
اي ركبته يا غلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو رواه الترمذي اي وقال غريب
وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه فرض اي قدر وعين اما رزقا ووظيفة لاسامة في ثلاثة الاف
وخمسمائة اي من اموال بيت المال رزقا له وفرض عمر اي لعبد الله بن عمر اي لابنه في ثلاثة الاف
في ثلاثة الاف اي بنقص خمسمائة من وظيفة اسامة فقال عبد الله بن عمر لابيه لم فضلت
اسامة علي اي في الوظيفة المشعرة بزيادة الفضيلة فوالله ما سبقني الى مشهد اي محضر
من الخير علما وعملا وقال الطيبي اراد بالمشهد مشهدا للقتال ومعركة للكفار قال لان زيدا
اي ابا اسامة كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك وفيه دلالة على ما قدمنا
من انه لا يلزم من كون احد احب ان يكون افضل وكان اسامة احب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم منك وسببه انهم من اهل البيت فان مولى القوم منهم ولذا ورد مهدوا
اي اخذت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكسر الحاء وتديمه اي محبوبه على حبي
اي منع قطع النظر عن ملاحظة الفضيلة بالرعاية لجانب المحبة وايثارا للمرفق ومخالفة
لما تشتهيه النفس من مرتبة الزيادة الظاهرة رواه الترمذي وعن جبلة بفتح الجيم والموحدة
ابن حارثة قال المؤلف في فصل الصحابة هو اكبر من اخيه زيد بن حارثة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم روى عنه اسحاق السبيعي وغيره قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت يا رسول الله ابعث معي اخي زيدا اي ابعثه وبدله قال هو ذا هو غائب الى زيد وهذا اشارة له
اي هو حاضر مخير فان انطلق معك لم امنعه قال فقال زيد يا رسول الله والله لا اختار
عليك احدا اي مع ملازمتك احدا اي لا اخا ولا ابا ولا اما ابدا قال اي جبلة فرأيت اي فعلت بعد
ذلك راي اخي اي زيد افضل من رايي حيث اختار الملازمة للحضرة المتفرع عليها خير الدنيا والاخرة
رواه الترمذي وعن اسامة بن زيد قال لما ثقل بضم القاف اي ضعف من مرضه الذي مات منه
رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطت اي نزلت من سكني التي كانت في عوالي المدينة وهبط
الناس اي الصحابة بجميعهم من منازلهم المدينة اي اليها في طريق الحدث ولا يبعد ان يكون قوله
واختار موتي قوما اي منهم قال الشراح انما قال هبطت لانه كان يسكن العوالي والمدينة
من اي جهة توجهت اليه صح فيها الهبوط لانها وانفقه في غاية بطن من الارض ينحدر اليها السيل
واطرافه ونواحيه من الجوانب كلها مشتغلين عليه فدخلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد اصمت على بناء المفعول لقال اصمت العليل اذا اعتقل لسانه فلم يتكلم اي اصمت

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده علي اي يديه ذيرفعهما اي عبثي فاعرف اي بنور
الولاية وظهور الفراسة انه يدعو لي اي بالمحبة ورعاية حرمتي حين سببة حضرته رواه الترمذي
وقال هذا حديث غريب وعن عائشة قالت اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان ينحي بتشديد
الحاء المكسورة اي يزيل مخاط اسامة بضم الميم وهو ما يسيل من الانف قالت عائشة اي
انزله دعني انا الذي افعل اي حتى اتولى ذلك قال يا عائشة احبيه فاني احبه رواه الترمذي وعن
اسامة قال كنت جالسا اي عند باب عليه السلام اذ جاء علي والعباس يستاذنان اي يريدان
طلب الاذن في دخولهما فقالا لاسامة استاذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولعله كان صغيرا اذ ذاك فقلت يا رسول الله علي والعباس يستاذنان اي على الباب
فقال اتدري ما جاء بهما اي ما سبب مجيئهما قلت لا فقال لكني ادري ايذن لهما بهمزة ساكنة
وصلا وبابدالها ياء فدخلا اي بعد اذنه لهما فقالا يا رسول الله جئناك نسالك اي اهلك احب
اليك قال فاطمة بنت محمد قالا ما جئناك نسالك عن اهلك اي عن ازواجك واولادك بل
نسالك عن اقاربك ومتعلقيك قال احب اهلي اي من الرجال من قد انعم الله عليه اي
بالاسلام والهداية والاكرام وانعمت عليه اي انا بالعتق والتبني والتربية وهذا وان
ورد في حق زيد لكن ابنه تابع له في حصول الانعامين قالا ثم من قال ثم علي بن ابي طالب
وفي نسخة بدون ثم فهذا نص جلي على انه لا يلزم من الاحبية الافضلية فان عليا افضل من اسامة
وزيد بالاجماع قال الطيبي اي اهلك ايك مطلق ويراد به المقيد اي من الرجال بينه ما بعده
وهو قوله احب اهلي الي من قد انعم الله عليه وفي نسخ المصابيح فزله ما جئناك نسالك
عن اهلك مقيد بقوله من النساء وليس في جامع الترمذي وجامع الاصول هذه الزيادة ولم
يكن احد من الصحابة الا وقد انعم الله عليه ورسوله الا ان المراد المنصوص عليه في الكتاب
وهو قوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه وهو زيد لا خلاف في ذلك ولا
شك وهو وان نزل في حق زيد لكنه لا يبعد ان يجعل اسامة تابعا لابيه في هذين النعمتين
وكل ما حصل من الله تعالى في التنزيل من الانعام على بني اسرائيل اذكروا نعمتي عليكم نعم
اسدادها الى ابائهم فقال العباس يا رسول الله جعلت عمك اخرهم اي اخر اهلك قال
ان عليا سبقك بالهجرة اي وكذا بالاسلام فهذا اوجب تقديمه لا الاحبية المترتبة على الافضلية
لا على الاقربية ونظيره انه جاء العباس وابو سفيان ذوو بلاد وسهيل في باب عمر بن الخطاب ذوو ثروة
فقال لخادم عمر بعد اسلامه بحجة يدخر بلالا قبل فقال ابو سفيان للعباس اما ترى انه يقدم
علينا موالينا فقال له العباس سرنا يا اخرنا فهذا جزاؤنا رواه الترمذي وروى الديلمي في الفردوس
وذكر ان عم الرجل صنو ابيه في كتاب الزكاة اي حيث قال صلى الله عليه وسلم في قصة زكاة
العباس انتهى والله اعلم

الفصل الثالث عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه

وفي اسلم يوم الفتح عداده في اهل مكة روى عنه عبد الله بن ابي مليكة وغيره قال صلى
ابو بكر العصر اي في زمن خلافته او قبلها ثم خرج يمشي ومعه علي فرأى اي ابو بكر الحسن يلعب
مع الصبيان فحمله على عاتقه وقال بابي قال الطيبي يحتمل ان يكون المفدي وهو مفدي
بابي فيقدر شبيه بالنبي صلى الله عليه وسلم يكون خبرا بعد خبر وان يكون بابي متعلق بفعل هذا شبيه
خبر مبتدا محذوف وفي تنكيره لطف وفيه اشعار بعلية الشبه للتفدية انتهى ولا يعارضه
هذا قوله علي ليس [illegible] عدم الشبه والمشبه على معظم
كما اشار اليه الطيبي بقوله وفي تنكيره لطف اي لطيف اي ان المراد به نوع مشبه
لا شبيه بعلي وعلي يضحك اي فرحا والجملة حال رواه البخاري

الفصل الثالث عن عقبة بن الحارث

كذا وقع في المشكاة قوله شبها بالنصب على انه خبر ليس وهو ظاهر لكنه في البخاري في جميع
الروايات ليس شبيه بالرفع واعرابه لا يخلو من خفاء فقيل ليس حرف عطف وهو مذهب
الكوفيين وقيل يجوز ان يكون شبيه اسم ليس ويكون خبرها ضميرا منفصلا حذف استغناء
عنه بلفظ شبيه ونحوه قوله في خطبته يوم النحر اليس ذو الحجة انتهى ولا يخفى ظهور الوجه
الاول لخلوه عن التكلف وفيه انه لا يخفى ما في التوجيه من التعسف والاظهر ان يقال
ان اسم ليس ضمير الشان وشبيه خبر مبتدا محذوف اي هو شبيه والجملة خبر ليس قلت
وفيه ان هذا التوجيه يستدعي تعسفين بخلاف ما سبق فانه متضمن لتعسف واحد
هذا ولفظ الحديث على ما في الذخائر عن عقبة بن الحارث قال رايت ابا بكر حمل الحسن على
رقبته وهو يقول بابي شبيه بالنبي صلى الله عليه وسلم ليس شبيها بعلي وهو يضحك
اخرجه البخاري وفي رواية خرجت مع ابي بكر من صلاة العصر بعد وفاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعلي يمشي الى جنبه فمر بالحسن يلعب مع الغلمان فاحتمله على رقبته يعني
ابا بكر وهو يقول الحديث وفي الحديث رد على الغرابية وهم على ما في حواشي الشفا طائفة
من الرفضة لقبوا بذلك لقولهم كان محمد اشبه بعلي من الغراب بالغراب فبعث الله
جبريل اليه على فغلط وعن انس قال اتي عبيد الله بن زياد براس الحسين قال المؤلف
هو عبيد الله بن عبد الله بن زياد وهو الذي سير الجيش لقتال الحسين وتقدمهم امير
الكوفة ليزيد بن معاوية وقتل بارض الموصل على يد ابراهيم بن مالك بن الاشتر النخعي
في ايام المختار بن ابي عبيد سنة ست وستين فجعل بصيغة المفعول اي وضع راس
الحسين في طست بفتح طا وسكون سين مهملة وقد تبدل فوقية فجعل اي ابن زياد
ينكت بفتح اليا وضم الكاف والفوقية اي يضرب براس القضيب في انفه كما في نسخة
وفي النهاية قوله ينكت اي يفكر ويحدث نفسه واصله من النكت بالحصى ونكت
الارض به ونكت الارض بالقضيب وهو ان يؤثر فيها بطرفه كفعل المفكر المهموم
وقال اي ابن زياد في حسنه اي في حسن الحسين شيئا اي من المدح كما سيجي قال انس
فقلت والله انه كان اشبههم اي اشبه الصحابة واهل البيت برسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان اي الحسين حينئذ مخضوبا بالوسمة بكسر السين وقد يسكن قال
بعض الشراح الوسمة نبت يختضب به ويميل الى السواد وتسكين السين لغة فيه
وفي المصابيح لغة الحجاز بكسر السين وهي افصح من السكون بل انكر الازهري السكون
وقال كلام العرب بالكسر نبت يختضب بورقه انتهى وهو بفتح الواو واخطا من ضمها
وقيل يجوز فتح سينها وفي القاموس الوسمة وكفرحة ورق النيل او نبات يختضب بورقه
وفي النهاية الوسمة نبت يختضب به رواه البخاري وفي رواية الترمذي قال اي انس
كنت عند ابن زياد فجي براس الحسين اي اليه فجعل اي شرع يضرب بقضيب في انفه ويقول
ما رايت مثل هذا حسنا بضم فسكون فيكون هذا ملايما للسياق الا انه يحتاج الى انه
انتهى فحينئذ استهزا فيه على المكابرة وزيادة المعاندة فقلت اما بالتخفيف للتنبيه
انه اي الحسين كان من اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اي الترمذي هذا
حديث صحيح حسن غريب وللطبراني فجعل يقول بقضيب في يده في عينه وانفه فقلت
ارفع قضيبك فقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضعه وفي رواية البزار
قال فقلت له اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثم حيث يقع قضيبك قال فانقبض
كذا في فتح الباري وفي الذخائر عن عمارة بن عمير قال لما جي براس ابن زياد واصحابه نضدت

في المسجد في الرحبة فانتهيت اليهم وهم يقولون قد جاءت قد جاءت فاذا حية قد جاءت تتخلل الرؤوس
حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد فمكثت هنيهة ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت ثم قالوا قد جاءت
ففعلت ذلك مرتين او ثلاثا اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح وعن ام الفضل بنت الحارث
اسمها لبابة العامرية امرأة العباس بن عبد المطلب وام اكثر بنيه واخت ميمونة ام المؤمنين
ويقال انها اول امرأة اسلمت بعد خديجة روت عن النبي صلى الله عليه وسلم احاديث كثيرة
فعنها انها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني رايت حلما
بضم فسكون وبضمهما ففي النهاية الحلم بضمتين وبضم فسكون ما يراه النائم منكرا بفتح
الكاف المخففة اي مهولا الليلة اي البارحة قال وما هو قالت انه شديد اي صعب
سماعه قال وما هو قالت رايت كان قطعة من جسدك قطعت بصيغة المجهول وكذا قوله
ثم وضعت في حجري بالكسر ويفتح وتقدم ان الحجر بالكسر اشهر في الحضن وبالفتح في التربية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت خيرا تلد فاطمة ان شاء الله غلاما يكون في
حجرك فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخلت يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعته في حجره وفي نسخة في حجري
ثم كانت مني التفاتة اي وقعت مني ملاحظة الى جنب فنظرت الى جانبه فاذا عينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم تهريقان الدموع بفتح الها ويسكن اي تسيلان ما العين للبكا
قالت فقلت يا نبي الله بابي انت وامي ما لك اي من الحال الذي يبكيك قال اتاني جبريل
وفي نسخة عليه السلام فاخبرني ان امتي اي امة الاجابة ستقتل ابني هذا اي ظلما فقلت
اي لجبريل هذا اي ابني هذا للزيادة التاكيد قال نعم واتاني بتربة من تربته اي ترابه الذي
يقتل به حمرا بالفتح صفة لتربة وفي الذخائر عن سلمى قالت دخلت على ام سلمة وهي تبكي
فقلت ما يبكيك قالت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في المنام وعلى راسه ولحيته
التراب فقلت ما لك يا رسول الله قال شهدت قتل الحسين انفا اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب والبغوي في الحسان وعن ابن عباس انه قال رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم اي بعد موته عليه السلام ذات يوم بنصف النهار وفي
الذخائر زيادة وهو قائم اشعث اغبر اي حال كونه متفرق الشعر متغير البدن بيده قارورة
فيها دم فقلت بابي انت وامي ما هذا اي الدم قال هذا دم الحسين واصحابه لم ازل وفي نسخة
ولم ازل التقطه منذ اليوم قال الطيبي هذا من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم يجوز ان
يكون خبرا بعد خبر لقوله هو ويجوز ان يكون خبرا ودم الحسين بدل من هذا وقوله فاحصي
ذلك الوقت من كلام ابن عباس انتهى اي احفظ تاريخ ذلك الوقت من زمن الرؤيا فاجد
قتل ذلك الوقت اي فوجدته قتل في ذلك الوقت والعدول عن الماضي الى المضارع لاستحضار
الحال الغريبة ولا يخفى ان هذا انما يتم اذا كان وقت القتل محفوظا في نفس الرؤيا بان
قال صلى الله عليه وسلم هذا دم الحسين واصحابه يقتلون في وقت كذا لكن يشكل بقوله
لم ازل التقطه منذ اليوم اللهم الا ان يقال تصريحه انا لا اراه في يومه كانه مضى
عليه بعض سنين ثم قال في اخر سنة منها يوم عاشورا سنة كذا راه صلى الله عليه وسلم
بالوصف المذكور والقول المسطور فحفظ تاريخ الوقت فوجده مطابقا للنعت
موافقا والله اعلم ثم رايت الحديث في الذخائر من غير قوله فاحصي ذلك الوقت فاجد
الى اخره بل لفظه بعد قوله لم ازل التقطه منذ اليوم فوجد قد قتل في ذلك اليوم
اخرجه ابن بنت منيع وابو عمر والحافظ السلفي والله اعلم رواهما اي الحديثين ام الفضل

وابن عباس البيهقي في دلائل النبوة واحد الاخبار اي وروي احد الحديث الاخير وهو حديث ابن عباس
فقط وعن زيد قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تفيضان قلت يا نبي الله اغضبك
احد ما شان عينيك تفيضان قال قام من عندي جبريل قبل فحدثني ان الحسين يقتل بشط
الفرات قال فقال هل لك الى ان اشمك من تربته قلت نعم فمد يده فقبض قبضة من تراب فاعطانيها
فلم املك عيني ان فاضتا اخرجه احمد وغيره اي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذوكم اي به كلامه وهو بفتح الياء وضم الذال المعجمة
اي يرزقكم من نعمه اي من اي نعمة لقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفي نسخة صحيحة
من نعمه بكسر النون وفتح العين جمع نعمة فعلى هذا الضمير فاحبوني اي لاجل ثبت بسبب محبة الله
فاحبوني بحب الله لان محبوب المحبوب محبوب ولقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله وفي نسخة واحبوني بالواو في ما قبله واحبوا اهل بيتي لحبي اي اياهم ولحبكم اياي رواه الترمذي
وكذا الحاكم في مستدركه وقال الترمذي حسن غريب وعن ابي ذر قال المؤلف هو جندب بن جنادة
الغفاري وهو من اعلام الصحابة وزهادهم اسلم قديما بمكة ويقال كان خامسا في الاسلام ثم
انصرف الى قومه فاقام عندهم الى ان قدم المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الخندق
ثم سكن ربذة الى ان مات بها سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان وكان يتعبد قبل مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين انه قال اي ابو ذر وهو اخذ
اي متعلق بباب الكعبة قال الطيبي اراد الراوي بهذا مزيد توكيد لاثبات هذا الحديث وكذا ابو
ذر اهتم بشان روايته فاورده في هذا المقام على رؤوس الانام ليتمسكوا به سمعت النبي وفي
نسخة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا ان مثل اهل بيتي بفتح الميم والمثلثة
اي شبههم فيكم مثل سفينة نوح اي في سببية الخلاص من الهلاك الى النجاة من ركبها نجا ومن
تخلف عنها هلك فكذا من التزم محبتهم ومتابعتهم نجا في الدارين والا فهلك فيهما ولو كان يعرف
المال والجاه ما واحد لهم رواه احمد وكذا الحاكم لكن بدون لفظ ان قال الطيبي وفي رواية اخرى
عن ابي ذر يقول من عرفني فانا من قد عرفني ومن انكرني فانا ابو ذر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول الا ان مثل اهل بيتي الحديث اراد بقوله فانا من عرفني وبقوله فانا ابو ذر انا المشهور
بصدق اللهجة وثقة الرواية وان هذا الحديث صحيح لا مجال للرد فيه وهذا التلميح الى ما روي
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما اظلت
الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق من ابي ذر وفي رواية ما اظلت من ذي لهجة اصدق ولا اوفى
من ابي ذر شبه عيسى بن مريم فقال عمر بن الخطاب كالحاسد يا رسول الله افنعرف ذلك له
قال اعرفوه فانه اخرجه الترمذي وحسنه الصغاني في كشف الحجاب شبه الدنيا بما فيها
من الكفر والضلالات والبدع والجهالات والاهواء الزائغة ببحر لجي يغشاه موج من فوقه
موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض وقد احاط باكنافه واطرافه الارض كلها وليس
منه خلاص ولا مناص الا تلك السفينة وهي محبة اهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وما
احسن انضمامه مع قوله مثل النجوم من اقتدى بشيء منه اهتدى ونعم ما قال الامام فخر
الدين الرازي في تفسيره نحن معشر اهل السنة بحمد الله ركبنا سفينة محبة اهل البيت
واهتدينا بنجم هدى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنرجو النجاة من اهوال القيامة ودركات
الجحيم والهداية الى ما يوجب درجات الجنان والنعيم المقيم انتهى وتوضيحه ان من لم يدخل السفينة
كالخوارج هلك مع اول الهالكين ومن دخلها ولم يهتد بنجوم كالروافض ضل وترقى
في ظلمات لا يرجى منها هذا رواه احمد عن انس مرفوعا ان مثل العلماء كمثل النجوم في السماء

يعني

باب مناقب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
الفصل الاول عن علي رضي الله تعالى عنه

يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فاذا انطمست النجوم اوشك ان تضل الهداة ويروى ما اخرجه
احمد في المناقب عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النجوم امان لاهل السماء
واهل بيتي امان لامتي فهذا ان من انتهى والله اعلم

باب مناقب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم

الفصل الاول عن علي رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
خير نسائها اي نساء زمانها او عالمها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد قال القرطبي
الضمير عائد الى غير مذكور يفسره الحال والمشاهدة يعني به الدنيا والذي يظهر لي ان قوله خير نسائها
خبر مقدم والضمير لمريم فكانه قال مريم خير نساء زمانها متفق عليه وكذا رواه الترمذي والنسائي
ورواه الحارث عن عروة مرسلا خديجة خير نساء عالمها ومريم خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها
وفي رواية قال ابو كريب بالتصغير واشار وكيع الى السماء والارض قال التوربشتي والضمير
في الاولى عائد الى الامة التي كانت فيهم مريم وفي الثانية الى هذه الامة ولهذا كرر الكلام تنبيها
تنبيها على ان حكم كل واحد منهما غير حكم الاخر وكلا الفصلين كلام مستانف واشارة وكيع الذي هو
من جملة رواة هذا الحديث الى السماء والارض مبينة عن كونها خير من يدبون على الارض وتحت
اديم السماء وتتوزع من الزيادة في البيان ولا يستقيم ان يكون تفسيرا لقوله خير نسائها
والضمير راجع الى شيء واحد قال القاضي انما وحد الضمير لانه اراد جملة طبقات السماء واقطار
الارض او ان مريم خير من صعد بروحهن الى السماء وخديجة خير نسائهن على وجه الارض والحديث
ورد في ايام حياتها وقال الطيبي يجوز ان يرجع الضمير الى السماء والارض وان اختلفا باختلاف
الدنيا مجازا كما عبر بهما عن العالم في قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
الكشاف اي لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض ونحوه قوله تعالى الحمد لله الذي
له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة على معنى له الحمد في الدنيا والاخرة فعبر بهما
عن الدنيا ويؤيد هذا انا [illegible] في الفصل الثاني في حديث حسبك من نساء
العالمين مريم الحديث وتفسير وكيع انما يستقيم اذا بين ما ابهم في الحديث والمبهم فيه
كل واحدة انتهى قال النووي الاظهر في معناه ان كل واحدة منهما خير من نساء الارض في عصرها
واما التفضيل بينهما فمسكوت عنه فتكره النجري وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال اتى
جبريل النبي صلى الله عليه وسلم اي وهو صلى الله عليه وسلم بحراء فقال يا رسول الله هذه
اشارة الى ما في الذهن خبره خديجة قد اتت اي توجهت من مكة معها اناء فيه ادام اي مع خبز وطعام
اي مشتمل عليهما فاذا اتتك اي تحقق ما تاها عندك فاقرا عليها بفتح الراء اي ابلغها السلام
من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب بفتحتين اي لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف
وقال ابن حجر اي من قصب اللؤلؤ ولم يقيد من لؤلؤ في لفظ القصب من سنة لانها احرزت
قصب السبق لمبادرتها الى الايمان دون غيرها قلت ويؤيده حديث خديجة سابقة نساء
العالمين الى الايمان بالله وبمحمد رواه الحاكم في مستدركه عن حذيفة لا صخب بفتح الصاد والخاء
المعجمة ولا لغو اي لا صياح ولا اختلاط صوت فيه اي في البيت المعرب عن القصر وفي
نسخة فيها فالضمير راجع الى الجنة ويؤيده قوله ولا نصب بفتحتين قال تعالى لا يمسنا
فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب اي كلال قال شارح اي لا يكون لها شاغل يشغلها عن لذائذ
الجنة ولا تعب ينغصها وقال القاضي نفي عن القصب الصخب والنصب لانه ما من بيت في الدنيا
يسكنه قوم الا كان بين اهله صخب وجلبة والا كان في بنائه واصلاحه نصب وتعب فاخبر الله
تعالى ان قصور الجنة خالية عن هذه الافات قال الطيبي ويؤيد الوجه الثاني ان بنا بيت الجنة حاصل

بقوله كما ليس كما بينه الطيبي انما يستثنى بناؤها بفتح ونصب وكذا السكون فيها لا صخب فيها
عنها ولا نصب حكم بيت الجنة كذلك متفق عليه ورواه النسائي وعن عايشة قالت ما غرت على
احد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم بكسر الغين المعجمة من غار يغار غيرة ف بحاف ما غرت على
خديجة ما الاولى نافية والثانية موصولة او مصدرية اي ما غرت مثل التي غرتها او مثل غيرتي
عليها والغيرة الحمية والانفة وما رأيتها الجملة حالية وهي تقتضي عدم الغيرة لعدم الباعث
عليها غالبا وللذات ولكن كان يكثر ذكرها اي في مقام المدح وربما بالتشديد ويخفف ذبح
الشاة اي شاة من الشياه ثم يقطعها بالتشديد للطاء بكسر قطعها اعضاء اي عضوا عضوا
بان يجعل كل عضو قطعة ثم يبعثها اي الاعضاء ثم في صدائق خديجة اي اصدقائها جمع
صديقة وهي المحبوبة فربما قلت له كان اي الشان لم يكن في الدنيا امرأة الا خديجة بالرفع وفي
نسخة صحيحة بالنصب فيقول انها كانت وكانت اي كانت صوامة وقوامة ومحسنة
ومشفقة الى غير ذلك قال الطيبي كرر كانت ولم يرد به التثنية ولكن التكرير ليتعلق به
كل مرة من خصالها ما يدل على فضلها لقوله تعالى اما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة
وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا ولم يذكرها منعقدة للشهرة لفخمة وكان اي مع هذا
لي منها ولد بفتحتين وسكون وفي نسخة صحيحة بفتحتين والمراد بها جمع ولد ومنهم فاطمة قال
المؤلف خديجة بنت خويلد بن اسد القرشية كانت تحت ابي هالة بن زرارة ثم تزوجها عتيق
ابن عابد ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ولها يومئذ من العمر اربعون سنة ولم ينكح
صلى الله عليه وسلم قبلها امرأة ولا نكح عليها حتى ماتت وهي اول من امن من كافة الناس
ذكرهم واناثهم وجميع اولاده منها غير ابراهيم فانه من مارية وماتت بمكة قبل الهجرة
بخمس سنين وقيل باربع سنين وقيل بثلاث وكان قد مضى من النبوة عشر سنين وكان
لها من العمر خمس وستون سنة وكان مقامها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا
وعشرين سنة ودفنت بالحجون متفق عليه ورواه الترمذي وعن ابي سلمة قال المؤلف
هو ابو سلمة عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي احد الفقهاء السبعة المشهورين
بالفقه في المدينة في قول ومن مشاهير التابعين واعلامهم ان عايشة قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا عايش بضم الشين وفي نسخة بفتحها على الترخيم هذا جبريل
يقرئك السلام من الاقراء في القاموس قرأ عليه السلام كاقرأه او لا يقال اقرأه الا اذا كان
السلام مكتوبا قالت وعليه السلام ورحمة الله قالت اي عايشة وهو اي النبي صلى الله
عليه وسلم يرى ما لا ارى وابعد شارح حيث قال او يرى جبريل ما لا اراه انتهى واستنبط من
هذا الحديث فضل خديجة على عايشة لانه ورد في حقها ان جبريل يقرئك السلام من ربك
وهنا من جبريل نفسه متفق عليه ورواه الترمذي والنسائي وعن عايشة قالت قال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اريتك بصيغة المجهول المتكلم من الاراءة اي اعلمتك
في المنام ثلاث ليال يجيء بك الملك اي بصورتك الملك في سرقة بفتحتين من
حرير اي في قطعة من جيد الحرير فارسي معرب سره فقال اي الملك لي هذه اي الصورة
امرأتك اي صورتها فكشفت عن وجهك الثوب فاذا انت هي اي تلك الصورة قال الطيبي
يحتمل وجهين احدهما كشفت عن وجه صورتك فاذا انت تلك الصورة وثانيهما كشفت
عن وجهك عند ما شاهدتك فاذا انت مثل الصورة التي رأيتها في المنام وهو تشبيه
بليغ حيث حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ونحوها عليه كقوله تعالى هذا الذي رزقنا
من قبل ومنه مسالة الكتاب كنت اظن ان العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا الزنبور مثل

العقرب

العقرب يحذف الاداة مبالغة فحذف التشبيه ثم الى التشبيه لمح الاية وانزل به متشابها ومعنى المفاجأة
في اذا البيان عن هذا الوجه انتهى والجمع بينه وبين قولها نزل جبريل بصورتها في راحته حين
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجها بان المراد ان صورتها كانت في الخرقة والخرقة
راحته ويحتمل ان يكون نزل بالصفتين لقوله في نفس نزل مرتين اي نزل جبريل بصورتها في راحته
وتلك اخرى في سرقة فقلت اي في جواب الملك ان يكن هذا اي ما رأيته في المنام من عند الله
يمضه بضم الياء من الامضاء اي ينفذه لي ويكمله الي ويظهره علي وفي نسخة بها السكت
قال الطيبي هذا الشرط مما يقوله المتحقق لثبوت الامر المدل بصحته تقريرا لوقوع الجزاء
وتحققه ونحوه قول السلطان لمن تحت قهره ان كنت سلطانا انتقمت منك اي السلطنة
مقتضية للانتقام وفي شرح مسلم قال القاضي عياض ان كانت هذه الرؤيا قبل النبوة
وقبل تخليص احلامه صلى الله عليه وسلم من الاضغاث فمعناها ان كانت رؤيا حق وان كانت
بعد النبوة فلها ثلاث معان احدها المراد ان يكون الرؤيا على وجهها وظاهرها لا تحتاج الى
تعبير وتفسير فيمضه الله وينجزه فالشك عائد الى انها رؤيا على ظاهرها ام تحتاج الى تعبير
وصرف عن ظاهرها وثانيها ان المراد ان كانت هذه الزوجية في الدنيا يمضها الله فالشك
انها زوجية في الدنيا ام في الجنة وثالثها انه لم يشك ولكن اخبر على التحقيق واتى بصورة
الشك وهو نوع من البديع عند اهل البلاغة يسمونه تجاهل العارف وسماه بعضهم مزج
الشك باليقين قال الطيبي وهذا هو الذي حققناه فيما سبق وكان من توارد الخاطر قال
المؤلف خطبها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها بمكة في شوال سنة عشر من النبوة وقبل
الهجرة بثلاث سنين وقيل غير ذلك واعرس بها بالمدينة في شوال سنة اثنتين من الهجرة
على راس ثمانية عشر شهرا ولها تسع سنين وقيل دخل بها بالمدينة بعد سبعة اشهر من مقدمه
وبقيت معه تسع سنين ومات عنها ولها ثمان عشرة سنة ولم يتزوج بكرا غيرها وكانت
فقيهة عالمة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارفة
بايام العرب واشعارها روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وماتت بالمدينة
سنة سبع وخمسين وقيل سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان
وامرت ان تدفن ليلا فدفنت بالبقيع وصلى عليها ابو هريرة وكان يومئذ خليفة مروان
على المدينة في ايام معاوية متفق عليه وعنها اي عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت ان
الناس كانوا يتحرون بتشديد الراء المفتوحة من التحري وهو طلب الحري بمعنى الاليق
او قصدا للاحري بمعنى اللاحق والاولى قال الطيبي هو الرواية وفي بعض نسخ المصابيح
يتحينون وما وجدناها في الاصول وفي النهاية التحري القصد والاجتهاد في الطلب
والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول وفي الحديث تحروا ليلة القدر في العشر
الاواخر اي تعمدوا طلبها فيها انتهى والمعنى يطلبون زيادة الثواب بهداياهم يوم عايشة
اي في اليوم الذي هو نوبة عايشة والنبي صلى الله عليه وسلم عندها يبتغون بذلك اي بارسال
هداياهم اليه في يومها مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي زيادة رضاه في محبته لها
وقالت ان نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كن حزبين اي طائفتين انقسمت ازواجه كل
طائفة دارها في عشرتها وصحبتها فحزب اي جمع منهن فيه عايشة وسيذكرها وحفصة
وهي بنت عمر بن الخطاب وامها زينب بنت مظعون كانت قبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم تحت خنيس بن حذافة السهمي هاجرت معه مات عنها بعد غزوة بدر فلما انقضت عدتها عرضها
عمر على ابي بكر وعثمان فلم يجبه واحد منهما فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحه

اباها في سنة ثلاث وطلقها تطليقة واحدة ثم راجعها حيث نزل عليه الوحي راجع حفصة فانها صوامة قوامة
وانها زوجتك في الجنة روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين وماتت في شعبان سنة خمس واربعين
وهي ابنة ستين وصفية وهي بنت حيي بن اخطب من بني اسرائيل سبط هارون بن عمران عليه السلام وكانت
تحت كنانة بن ابي الحقيق فقتل يوم خيبر في محرم سنة سبع ووقعت في السبي فاصطفاها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل وقعت في سهم دحية بن الكلبي فاشتراها منه بسبعة ارؤس
فاسلمت فاعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها وماتت سنة خمسين ودفنت بالبقيع روى عنها
انس وابن عمر وغيرهما وسودة اي بنت زمعة اسلمت قديما وكانت تحت ابن عم لها يقال له السكران
ابن عمرو فلما مات زوجها تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ودخل بها بمكة وذلك بعد موت خديجة
قبل ان يعقد على عايشة وهاجرت الى المدينة فلما كبرت اراد طلاقها فسألته ان لا يفعل وجعلت
يومها لعايشة فامسكها وتوفيت بالمدينة في شوال سنة اربع وخمسين والحزب الآخر اي من امهات
المؤمنين ام سلمة وهي بنت ابي امية اسمها هند وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت
ابي سلمة فلما مات ابو سلمة سنة اربع وقيل سنة ثلاث تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في
ليال بقين من شوال في السنة التي مات فيها ابو سلمة وماتت سنة تسع وخمسين ودفنت
بالبقيع وكان عمرها اربعا وثمانين سنة روى عنها ابن عباس وعايشة وزينب بنتها وابن
المسيب وخلق سواهم كثير من الصحابة والتابعين وسائر نساء رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي وباقيهن وهي زينب وام حبيبة وجويرية بالتصغير وميمونة اما زينب فهي بنت جحش
وامها امينة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت تحت زيد بن حارثة مولى النبي صلى
الله عليه وسلم فطلقها ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم سنة خمس وهي اول من مات من ازواجه
بعده وكان اسمها برة فجعله النبي صلى الله عليه وسلم زينب قالت عايشة في شانها لم تكن امرأة
خيرا منها في الدين واتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم واعظم صدقة واشد تبذلا لنفسها
في العمل الذي تتصدق به وتتقرب الى الله تعالى ماتت بالمدينة سنة عشرين وقيل سنة احدى
وعشرين ولها ثلاث وخمسون سنة روت عنها عايشة وام حبيبة وغيرهما واما ام حبيبة فاسمها رملة
بنت ابي سفيان بن صخر بن حرب وامها صفية بنت ابي العاص عمة عثمان بن عفان فقد اختلف
في نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها وموضع العقد فقيل انه عقد بارض الحبشة
سنة ست وزوجه منها النجاشي واصدقها اربعمائة دينار وقيل اربعة آلاف درهم من عنده
وبعث النبي صلى الله عليه وسلم شرحبيل بن حسنة فجاء بها اليه ودخل بها بالمدينة وقيل انه
عقد عليها بالمدينة وزوجه منها عثمان بن عفان وماتت بالمدينة سنة اربع واربعين روى عنها
جماعة كثيرة واما جويرية فهي بنت الحارث بن ضرار سباها النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة المريسيع
وهي غزوة بني المصطلق في سنة خمس فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها فقضى عنها النبي
صلى الله عليه وسلم كتابتها ثم اعتقها وتزوجها وكان اسمها برة فغيره النبي صلى الله عليه وسلم وسماها
جويرية وماتت في ربيع الاول سنة ست وخمسين ولها خمس وستون سنة روى عنها ابن عباس
وابن عمر وجابر واما ميمونة فهي بنت الحارث الهلالية العامرية ويقال ان اسمها كان برة
فسماها النبي صلى الله عليه وسلم ميمونة وكانت تحت مسعود بن عمرو الثقفي في الجاهلية
ففارقها فتزوجها ابو رهم ثم توفي عنها فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة سنة
سبع في عمرة القضاء بسرف على عشرة اميال من مكة وقدر الله تعالى انها ماتت في المكان
الذي تزوجها فيه بسرف سنة احدى وستين وقيل احدى وخمسين وقيل غير ذلك وصلى عليها
ابن عباس وهي اخت ام الفضل امرأة العباس واسماء بنت عميس وهي آخر ازواج النبي صلى الله

عليه وسلم روى عنها جماعة منهم عبد الله بن عباس كذا في الاستيعاب للمؤلف فكلم حزب ام سلمة اي اياها
والمعنى فكلمتها فقلن لها كلمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم الناس بالرفع على ما في النسخ المصححة
على انه استيناف تعليل وقال ابن حجر بالجزم والميم مكسورة لالتقاء الساكنين ويجوز الرفع قلت
الصواب الرفع لقوله فيقول والمعنى ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فيقول لهم
من اراد ان يهدي بضم اليا وكسر الدال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية فليهديه
وضع السيد في نسخة علامة الشك فوق الضمير وفيه انه يستوي وجوده وعدمه في المعنى
المراد نعم قد يحذف ضمير المفعول لكن النسخ اجتمعت على وجوده رهوا فتح من نقديمه فلا وجه
للشك والتشطيب والمعنى فليرسل هداه اي هديته اليه اي الى النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان
اي من حجرات الامهات ومراده بهذا انه لا يتبع التحري في ذلك لا لهن ولا لغيرهن بل بحسب ما يتفق لهم
فيه لينقطع التحير الباعث للغيرة عنهن فقالت اي فكلمته ام سلمة فقال لها لا تؤذيني في عايشة
اي في حقها وهو ابلغ من لا تؤذي عايشة لما يفيد من ان ما اذاها يؤذيه فان الوحي لم ياتني وانا في
ثوب امرأة اي لحاف زوجة الا عايشة قال الطيبي لا بمعنى غير عايشة انتهى والمعنى الا في ثوب
عايشة وفي كتاب الحميدي قالت عايشة نزلت الاية وهو في لحافي وانا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في اللحاف قالت اي ام سلمة اتوب الى الله من ذلك اي مما يجري الى اذاك يا رسول
الله ثم انهن اي حزب ام سلمة دعون فاطمة اي طلبنها فارسلن اي فبعثنها الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي لتكلمه في هذه القضية فكلمته ولعلها ما اطلعت على قصة ام سلمة السابقة
فقال يا بنية تصغير للشفقة والرحمة الا تحبين ما احب قالت بلى قال فاحبي هذه اي عايشة
يعني ولا تذكري ما يكون سببا لكراهية خاطرها متفق عليه ورواه النسائي وذكر حديث انس
فضل عايشة على النساء تمامه كفضل الثريد على ساير الاطعمة في باب بدء الخلق برواية ابي
موسى وتقدم الخلاف في ان المراد بالنساء جنسهن او ازواجه صلى الله عليه وسلم عموما او بعد
خديجة والاظهر انها افضل من جميع النساء كما هو ظاهر الاطلاق من حيث الحيثية المعنوية للكمالات
العلمية والعملية المعبر عنها في التشبيه بالثريد فانما يضرب المثل بالثريد لانه افضل طعام العرب
وانه مركب من الخبز واللحم والخبز للحم والمرقة ولا نظير لها في الاغذية ثم انه جامع بين الغذاء واللذة
والقوة وسهولة التناول وقلة المؤنة في المضغ وسرعة المرور في الحلقوم والمري فضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بها المثل ليعلم انها اعطيت مع حسن الخلق حسن الخلق
وحسن الحديث وحلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الراي ورصانة
العقل والتحبب الى البعل فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والاصغاء اليها
والى غير ذلك من المعاني التي اجتمعت فيها وحسبك من تلك المعاني انها عقلت من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما لم تعقل غيرها من النساء وروت عنه ما لم يرو مثلها من الرجال انتهى

الفصل الثاني

عن انس رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حسبك
اي يكفيك الخطاب العام والمعنى يكفيك من نساء العالمين اي الواصلة الى مراتب الكاملين في الاقتداء
وذكر محاسنهن ومناقبهن وزهدهن في الدنيا واقبالهن على العقبى مريم بنت خويلد وفاطمة
بنت محمد وآسية امرأة فرعون والظاهر ان ترتيبهن على وفق ذكرهن ولعل هذا الحديث قبل
حصول كمال عايشة ووصولها الى وصال الحضرة ثم رأيت في الجامع رواه احمد والشيخان والترمذي
وابن ماجه عن ابي موسى مرفوعا كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم
بنت عمران وان فضل عايشة على النساء كفضل الثريد على ساير الطعام قال الطيبي حسبك
مبتدأ ومن نساء متعلق به ومريم خبره والخطاب اما عام او لانس او كانه قيل من نسك نفسه

الفصل الثاني عشر في النساء

عمران وخديجة بنت

من معرفة سائر الناس انتهى قال السيوطي في النقاية نعتقد ان افضل النساء مريم وفاطمة
وافضل امهات المؤمنين خديجة وعائشة وفي التفضيل بينهما اقوال ثالثها التوقف اقول
التوقف في حق الكل اولى اذ ليس في المسألة دليل قطعي والظنيات متعارضة غير مفيدة
للعقائد المبنية على اليقينيات رواه الترمذي وكذا احمد وابن حبان والحاكم في مستدركه عن
انس ورواه احمد والطبراني عنه ايضا بلفظ خير نساء العالمين اربع مريم بنت عمران وخديجة
بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امرأة فرعون ورواه الحاكم في مستدركه عن عائشة بلفظ
سيدة نساء اهل الجنة مريم وفاطمة وخديجة واسية وعن عائشة ان جبريل جاء بصورتها اي
بصورة عائشة والباء للتعدية في خرقة حرير خضراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
هذه زوجتك في الدنيا والاخرة رواه الترمذي وعن انس قال بلغ صفية ان حفصة قالت
اي في حق صفية انها بنت يهودي اي نظرا الى ابيها فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي
تبكي فقال ما يبكيك فقالت اي صفية قالت حفصة اي في حقي انا ابنة يهودي فقال النبي
صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبي اي نظرا الى جدها الاكبر وهو اسحاق او هارون وان عمك
لنبي وهو اسمعيل او موسى والاول بينهما ذكره المظهر وقال الطيبي لعل الاخير هو الاظهر وانك اي
الان لتحت نبي ففيم تفخر بفتح الخاء اي تفخر حفصة عليك وفيه ايماء الى ظهور فخار الطيبي قال
الاول يشير كأنه في عائشة اذ ابا حفصة اسمه شيث وعمه اسحاق واما انا فاني اختم لصفية
وبه يحصل لها المزية في جمع الاصول بنت حيي بن اخطب من سبط هارون بن عمران عليه السلام
ثم قال اتقي الله اي مخالفته او عقابه بترك مثل هذا الكلام الذي هو من عادات الجاهلية
يا حفصة رواه الترمذي والنسائي وعن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعا فاطمة عام الفتح الظاهر ان هذا وهم اذ لم يثبت عندار باب السير وقوع هذه القضية
عام الفتح بل كان هذا في عام حجة الوداع او حال مرض موته عليه السلام فناجاها اي كلمها بالسر
فبكت ثم حدثها اي حدثها ايضا فضحكت وتقدم ان عائشة سألتها في حياته فلم تخبرها وبعد
مماته اجابتها نحو ما ذكرت ام سلمة بقولها فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها
عن بكائها وضحكها اي عن سببهما فقالت وفي نسخة قالت اخبرني رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه يموت اي قريبا فبكيت ثم اخبرني اني سيدة نساء اهل الجنة الا مريم بنت عمران
فضحكت وفي رواية ما تقدم ايضا من انك اول من يلحقني من اهلي في ما سبق قال الطيبي
هذا الحديث غير مناسب لهذا الباب انما يناسب باب مناقب اهل البيت لكن ذكر مستطرد
للحديث الاول في هذا الفصل حيث ذكرت فيه فاطمة مع ذكر خديجة ومريم وهو في مزيد
الكلام انتهى فيكون تفضيلا لبعضهن سبق مجملا ولا يبعد ان يكون تلميحا الى ما ورد من
ان مريم زوجة نبينا صلى الله عليه وسلم في الجنة رواه الترمذي وفي الجامع فاطمة سيدة
النساء في الجنة الا مريم بنت عمران رواه الحاكم في مستدركه انتهى الفصل الثالث
عن ابي موسى رضي الله تعالى عنه قال ما اشكل ما اشتبه وفي نسخة ما اشكل اي ما اغلق
علينا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصب في جميع النسخ المعتمدة وقال
الطيبي بالجر بدل من المجرور ويجوز النصب على الاختصاص حديث قط اي معنى حديث او فقه
حديث يتعلق بمسألة نبهه فسألنا عائشة الا وجدنا عندها منه اي من ذلك الحديث ومتعلق
علما اي نوع علم بان يوجد الحديث عندها تصريحا او تلويحا او يؤخذ الحكم منه تلويحا رواه الترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح غريب واما حديث خذوا شطر دينكم عن الحميراء يعني عائشة فقال
الحافظ ابن حجر العسقلاني لا اعرف له اسنادا ولا رواية في شيء من كتب الحديث الا في النهاية

ابن الاثير ولم يذكر من خرجه وذكر الحافظ عماد الدين بن كثير انه سأل المزي والذهبي عنه فلم يعرفاه
وقال السخاوي ذكره في الفردوس بغير اسناد وبغير هذا اللفظ ولفظه خذوا ثلث دينكم من
بيت الحميراء وبيض له صاحب مسند الفردوس ولم يخرج له اسنادا وقال السيوطي لم اقف عليه
وعن موسى بن طلحة قال المؤلف يكنى ابا عيسى التيمي القرشي سمع جماعة من الصحابة مات
سنة اربع ومائة قال ما رأيت احدا افصح من عائشة رواه الترمذي وقال هذا حديث
حسن صحيح غريب انتهى والله اعلم

باب جامع المناقب

الفصل الاول عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه اي ابن الخطاب القرشي اسلم
مع ابيه بمكة وهو صغير وشهد ما بعد الخندق من المشاهد وكان من اهل الورع والعلم والزهد
شديد التحري والاحتياط قال قال جابر بن عبد الله ما منا احد الا مالت به الدنيا ومال بها
ما خلا عمر وابنه عبد الله قال نافع ما مات ابن عمر حتى اعتق الف انسان او زاد وكان يتقدم
الحجاج في المواقف بعرفة وغيرها الى المواضع التي كان النبي صلى الله عليه وسلم وقف فيها
وكان يعز على الحجاج وخطب الحجاج يوما واخر الصلاة فقال ابن عمر ان الشمس
لا تنتظرك فقال له الحجاج لقد هممت ان اضرب الذي فيه عيناك قال ان تفعل فانك سفيه
مسلط وقيل انه اخفى قوله ذلك عن الحجاج ولم يسمعه فامر الحجاج رجلا فسم زج رمحه وزحمه
في الطريق ووضع الزج في ظهر قدمه وكانت ولادته قبل الوحي بسنة وموته سنة ثلاث
وسبعين بعد قتل ابن الزبير بثلاثة اشهر او نحو بستة اشهر وكان اوصى ان يدفن في
الحل فلم يقدر على ذلك من اهل الحجاج ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وله اربع وثمانون
سنة روى عنه خلق كثير قال رأيت في المنام كان بالتشديد على التشبيه للملاحظة في
التعبير في يدي وفي نسخة بالتثنية سرقة بفتحتين اي قطعة من حرير اي كائنة منه
لا اهوي بكسر الواو اي لا اقصد بها مكانا في الجنة الا طارت بي اليه اي تبلغني الى ذلك
المكان مثل جناح الطائر والباء للتعدية وقال الطيبي اي لا اريد الميل الى مكان في الجنة
الا كانت مطيرة لي ومبلغة اياي الى تلك المنزلة فكانها لي مثل جناح الطير للطائر فقصصتها
على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخاك رجل صالح
او ان عبد الله رجل صالح قال شارح المصابيح تأول هذه الرؤيا ان السرقة كانت ذا نبذة من العمل
الصالح وبياض السرقة منبئ عن خلوصه من الهوى وصفائه عن كدورات النفس انتهى ولعله
مبني على ان المصابيح سرقة حرير بيضاء والله اعلم متفق عليه ولفظ مسلم اري عبد
الله رجلا صالحا وقال السيد جمال الدين ورواه الترمذي والنسائي وعن حذيفة بن اليمان
ترجمته قال ان اشبه الناس دلا بفتح الدال المهملة وتشديد اللام اي طريقة وسمتا اي
سيرة وهديا اي هداية ودلالة برسول الله صلى الله عليه وسلم متعلق باشبه لابن ام
عبد بفتح لام التأكيد لانه خبر ان والمراد به عبد الله بن مسعود وكانت امه تكنى
ام عبد قال القاضي الدل قريب من الهدي والمراد به السكينة والوقار وما يدل على كمال
صاحبه من ظاهر حاله وحسن مقاله وبالسمت المأمور وبالهدي حسن السيرة وسلوك
الطريقة المرضية وقال شارح السمت يستعمل بمعنى هيئة اهل الخير من حين يخرج متعلق
باشبه والمعنى انه كان في الشبه فيما ذكر مستمرة عليه من حين يخرج من بيته الى ان يرجع
اليه اي الى بيته وهذا بحسب الظاهر الذي كنا نطلع عليه لا ندري ما يصنع في اهله
اي في حال كونه عند اهله اذا خلا اي معهم من غير ان يكون هناك احد قال الطيبي لا ندري

باب جامع المناقب
الفصل الاول
عن عبد الله رضي الله تعالى عنه

الفضيلة م

عن علي ... رضي الله تعالى عنه

جملة مستأنفة بركة انا لنشهد لهما بيقين لما ظهر من امرهم ولا ندري ما بطن منه رواه
البخاري وعن ابي موسى الاشعري بسابقه متعلقة قال قدمت اي المدينة انا واخي من اليمن
فمكثنا بفتح الكاف وضمها اي لبثنا حينا اي زمانا كثيرا ما نرى بضم النون وفتح الراء على
ما صرح به النووي اي ما نظن الا ان عبد الله بن مسعود رجل من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
لما نرى بفتح النون اي لما نبصر من دخوله ودخول امه اي من كثرة دخولهما على النبي صلى الله عليه
وسلم قال الطيبي قوله ما نرى حال من فاعل مكثنا ويجوز ان يكون صفة حينا اي زمانا
غير ظانين فيه شيئا الا كون عبد الله بن مسعود كذا قال المؤلف يكنى ابا عبد الرحمن الهذلي
كان اسلامه قديما في اول الاسلام قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وقيل
غير ذلك وقيل كان سادسا في الاسلام ثم ضم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
سواكه ونعله وطهوره في السفر هاجر الى الحبشة وشهد بدرا ثم ما بعدها من المشاهد
وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وقال رضيت لامتي ما رضي لها ابن ام عبد
وسخطت لها ما سخط لها ابن ام عبد وكان خفيف اللحم قصيرا شديد الادمة نحيفا يكاد
طوال الرجال يوازيه جالسا ولي القضاء بالكوفة وبيت مالها لعمر وصدرا من خلافة عثمان
ثم سار الى المدينة فمات بها سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع وله بضع وستون سنة
روى عنه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي ومن بعدهم من الصحابة والتابعين انتهى وهو عند ائمتنا
افقه الصحابة بعد الخلفاء الاربعة متفق عليه ورواه الترمذي والنسائي وعن عبد الله
بن عمرو بالواو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استقرئوا القرآن من اربعة اي اطلبوا
القرآن من هؤلاء الاربعة فانهم حفظة الصحابة من عبد الله بن مسعود بزيادة من لزيد البيان
وسالم مولى ابي حذيفة وابي بن كعب ومعاذ بن جبل في شرح مسلم قالوا هؤلاء الاربعة تفرغوا
لاخذ القرآن منه صلى الله عليه وسلم مشافهة وغيرهم اقتصروا على اخذ بعضهم من بعض
او لانهم تفرغوا لان يؤخذ عنهم او انه صلى الله عليه وسلم اراد الاعلام بما يكون بعده
صلى الله عليه وسلم من تقدم هؤلاء الاربعة وانهم اقرأ من غيرهم قال المؤلف سالم هو
ابن معقل مولى ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة كان من اهل فارس من اصطخر وكان
من فضلاء الموالي ومن خيار الصحابة وكبارهم شهد بدرا وروى عنه ثابت بن قيس وابن
عمر وغيرهم واما ابي ومعاذ بن جبل فقد تقدم ذكرهما متفق عليه وعن علقمة تابعي مشهور وقد
سبق ذكره قال قدمت الشام فصليت ركعتين اي في مسجد دمشق ثم قلت اللهم يسر
اي سهل لي جليسا صالحا اي عالما عاملا ونديما بحق الله وحق عباده فاتيت قوما فجلست اليهم
فاذا شيخ اي كبير او عظيم قد جاء حتى جلس الى جنبي روي ان لله ملائكة يجيء الاهل الى الاهل
قلت اي للقوم من هذا قالوا ابو الدرداء فقلت اي له اني دعوت الله ان ييسر لي
جليسا صالحا فيسره لي تعالى فمن انت فقلت من اهل الكوفة قال الطيبي اي رجل من اهل
الكوفة ولعل لفظ اي سقطت من القلم او من بعض الرواة او صحف من ثابت ومن جانبه
بمن المستفهمة منه انتهى ولا يخفى انه يلزم منه تخطية جمع من الرواة الثقات الاثبات
في الحفظ والتيقظ فالاحسن ان يقال ان الجواب يدل على ان السؤال عن معرفة ما ده
معرفة بلده او يحمل على ان المجيب منتصر او مقتصر ويكون رجلا او علقمة محذوفا او تقديره
نقلت في جهة الجواب من اهل الكوفة وانما اقتصر عليه لما يترتب عليه ما بعده وينشا
عنه وهذا هو الاظهر لئلا ينسب احد من الاكابر الى الخطأ وعلى تقدير الفرق ففي نسبته
الى التابعي وبين من الصحابي خصوص المسائل فانه لا ينافي ذلك ثم سواك عن حفظ ابن

الجواب

بالجواب بل الامر بالعكس والله اعلم بالصواب ثم رايت نظير هذا الاشكال في باب الحج في
الله عند قول ابن يزيد فقال رجلا خالي فاجابوا بان السؤال متضمن لقول ابن يزيد
ومن يزيد للتحقيق فتدبر انتهى ثم رايت اثر وقع في البخاري في رواية نعلان من انت كذا في
جامع الاصول وفي رواية الحميدي من ابن انت كذا في الحميدي قال اي ابو الدرداء اوليس
عندكم ابن ام عبد صاحب النعلين والوسادة بكسر الواو والمخدة والمطهرة بفتح الميم وكسر
في القاموس المطهرة بالكسر والفتح اناء يتطهر به وفي الخلاصة فتح الميم في المطهرة ولا
يخفى ما فيه من العبارة اللطيفة قال القاضي يريد به انه كان يخدم الرسول صلى
الله عليه وسلم ويلازمه في الحالات كلها فيصاحبه في المجلس وياخذ نعله ويضعه اذا
جلس وحين نهض ويكون معه في الخلوات فيسوي مضجعه ويضع وسادته اذا اراد
ان ينام ويهيئ له طهوره ويحمل معه المطهرة اذا قام الى الوضوء انتهى وحاصله انه لشدة ملازمته
له صلى الله عليه وسلم في هذه الامور ينبغي ان يكون عنده من العلم الشرعي ما يستغني
طالبه عن غيره وفيه اشعار بما ذكر من اداب المتعلمين من ان الطالب اولا يحيط بعلم علماء
بلده ثم يرتحل الى غيره من البلدان في طلب زيادة العرفان من الاعيان وفيكم اي اوليس
فيكم الذي اجاره الله اي انقذه وخلصه من الشيطان على لسان نبيه اي بناء على لسانه
ما صدر منه من دعائه يعني اي يريد ابو الدرداء عمارا وهذا قول بعض الرواة او ليس فيكم
صاحب السر اي صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يعلمه اي ذلك السر غيره اي
غير حذيفة فيه من تلك الاسرار المنافقين وانسابهم اسرها اليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما دل عليه حديثه المذكور قبل هذا يعني حذيفة قال المؤلف عمار بن ياسر
العنسي مولى بني مخزوم وحليفهم وذلك ان ياسرا والد عمار قدم مكة مع اخوين له
يقال لهما الحارث ومالك في طلب اخ لهم رابع فرجع الحارث ومالك الى اليمن واقام ياسر
بمكة فحالف ابا حذيفة بن المغيرة فزوجه امة له يقال لها سمية فولدت له عمارا فاعتقه
ابو حذيفة فعمار مولى وابوه حليف اسلم عمار قديما وكان من المستضعفين الذين عذبوا بمكة
ليرجعوا عن الاسلام واحرقه المشركون بالنار فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمر به فيمر يده عليه ويقول يا نار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم وهو
من المهاجرين الاولين وشهد بدرا والمشاهد كلها وسماه النبي صلى الله عليه وسلم
الطيب قتل بصفين وكان مع علي بن ابي طالب سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث
وتسعين سنة روى عنه جماعة منهم علي وابن عباس رضي الله عنهم واما حذيفة فهو
ابن اليمان واسم اليمان حسيل بالتصغير واليمان لقبه وكنية حذيفة ابو عبد الله
العبسي بفتح العين وسكون الباء روى عنه عمر وعلي وابو الدرداء وغيرهم من الصحابة
والتابعين مات بالمدائن وبها قبره سنة خمس وثلاثين وقيل سنة ست وثلاثين بعد
قتل عثمان باربعين ليلة رواه البخاري وكذا النسائي وعن جابر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اريت الجنة بصيغة المجهول فرايت امراة ابي طلحة وهي ام سليم
تزوجها مالك بن النضر ابو انس بن مالك فولدت له انسا ثم قتل عنها مشركا واسلمت
فخطبها ابو طلحة وهو مشرك فابت ودعته الى الاسلام فاسلم فقالت اني اتزوجك
ولا اخذ منك صداقا الا الاسلام فتزوجها ابو طلحة روى عنها خلق كثير وسمعت
خشخشة بالخائين والشينين المعجمات اي صوتا يحدث من تحرك الاشياء اليابسة
واصطكاكها كالسلاح والنعل والثوب امامي اي قدامي لتقدم الخادم على المخدوم فاذا بلال

وهو ابن رباح مولى ابي بكر الصديق اسلم قديما وهو اول من اظهر اسلامه بمكة شهد بدرا
وما بعدها من المشاهد وسكن الشام اخرا ولا عقب له روي عنه جماعة من الصحابة والتابعين
ومات بدمشق سنة عشرين ودفن بباب الصغير وله ثلاث وستون سنة وقيل مات
بحلب ودفن بباب الاربعين وكان ممن عذبه اهل مكة في الاسلام وممن كان يعذبه
ويتولى ذلك بنفسه امية بن خلف الجمحي وكان من قدر الله تعالى ان قتله بلال يوم
بدر قال جابر كان عمر يقول ابو بكر سيدنا واعتق سيدنا يعني بلالا انتهى واخرج
احمد في مسنده اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
وعمار وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه
الله بعمه واما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم في الشمس
فما منهم احد الا واتاهم على ما ارادوا الا بلالا فانه هانت عليه نفسه في الله عز وجل
وهان على قومه فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول
احد احد كذا في الرياض رواه مسلم وكذا البخاري والنسائي ذكره السيد جمال الدين
وعن سعد بن ابي وقاص احد العشرة قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر
اي اشخاص فقال المشركون اي من اكابرهم وهم قريش للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد اي
ابعد عن حضرتك هولاء اي الموالي والفقراء لا يجترون علينا اي لا يكون لهم جراءة علينا في
مخاطبتهم بنا اذ كنت تريد ان نومن بك وندخل قال اي سعد وكنت انا وابن مسعود
ورجل من هذيل بالتصغير وبلال ورجلان لست اسميهما بتشديد الميم وجوز تخفيفها
اي لا اذكرهما قال صاحب الازهار ورجلان خباب وعمار وانما قال لست اسميهما
لمصلحة في ذلك عند التكلم قيل للنسيان وهو الاقرب في اللفظ قال المؤلف خباب
ابن الارت يكنى ابا عبد الله التميمي وانما لحقه سبي في الجاهلية فاشترته امراة من خزاعة
واعتقته اسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهو ممن عذب في الله
في اسلامه فصبر نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين وله ثلاث وسبعون
سنة روي عنه جماعة فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ان يقع
اي من الميل الى طردهم طمعا في اسلام الاكابر المتفرع عليه اسلام الكل بعدهم فحدث نفسه
اي بالتالف بهم ان يطردهم صورة بان لا يأتون حال وجود الاكابر عنده او يقوموا عنه
اذا هم جلسوا عنده مراعاة للجانبين قال الطيبي وردت في تفسير الاية ان المشركين قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هولاء جلسنا اليك وحادثناك فقال صلى
الله عليه وسلم ما انا بطارد المومنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم طمعا في ايمانهم فانزل
الله تعالى عتابا لسيد الانبياء في حق الفقراء ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة بفتح
الغين والدال بعدها الف مبدلة من واو وفي قراءة بضم فسكون وفتح واو والعشي يريد
به طرفا النهار او الملوان يريدون وجهه جملة حالية اي يريدون بعبادتهم رضا الله
تعالى لا شيئا اخر من اغراض الدنيا والله اعلم وعن ابي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال له يا ابا موسى لقد اعطيت مزمارا بصيغة المجهول اي صوتا حسنا وتحاطبا
من مزامير ال داود اي من الحانه والاولى منحهم تا استعير المزمار بكسر الميم وهو الالة
للصوت الحسن والنغمة الطيبة قال القاضي اي اعطيت حسن صوت يشبه بعض
الحسن الذي كان لصوت داود وداود المراد بال داود نفسه اذا لم يكن له مشهور بحسن
الصوت قال المؤلف هو عبد الله بن قيس الاشعري اسلم بمكة وهاجر الى ارض الحبشة

ثم قدم مع اهل السفينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وولاه عمر بن الخطاب البحرين
سنة عشرين فافتتح ابو موسى الاهواز ثم لم يزل في البصرة الى صدر من خلافة عثمان ثم
عزل عنها فانتقل الى الكوفة فاقام بها وكان واليا على اهل الكوفة الى ان قتل عثمان ثم
انتقل ابو موسى الى مكة بعد التحكيم فلم يزل بها الى ان مات سنة اثنين وخمسين متفق
عليه وعن انس رضي الله تعالى عنه قال جمع القران اي قراءة كله ذكره ش رح والاظهر
اي حفظا جمع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في زمانه اربعة اي من الرجال
ارادا انس بالاربعة اربعة من رهط وهم الخزرجيون اذ روي ان جمعا من المهاجرين ايضا
جمعوا القران ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وقد سبق ذكرهم وابو زيد قيل
لانس من ابو زيد قال احد عمومتي بضم العين والميم اي احد اعمامي قال المؤلف في اسمائه
هو الذي جمع القران حفظا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في اسمه
فقيل سعيد بن عمرو وقيل قيس بن السكن انتهى والحاصل ان الذين حفظوا القران
كله في حياته صلى الله عليه وسلم وهم من الانصار هولاء الاربعة فلا منافاة بينه وبين
خبر استقرؤا القران من اربعة اذ مفهوم العدد غير معتبر وفيه انه لا يلزم من الاخذ بالقراءة
منهم ان يكونوا استظهروا القران جميعه هذا وفي شرح مسلم قال المازري هذا الحديث
مما تعلق به بعض الملاحدة في تواتر القران وجوابه من وجهين احدهما انه ليس فيه تصريح بان
غير الاربعة لم يجمعه فيكون المراد الذين علمهم من الانصار اربعة والمراد نفي علمه لا نفي غيره
من القراء وقد روى مسلم حفظ جماعات من الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر منهم المازري خمسة عشر صحابيا وثبت في الصحيح انه قتل يوم اليمامة سبعون
ممن جمع القران وكانت اليمامة قريبا من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فهولاء الذين
قتلوا من جامعيه يومئذ فكيف الظن بمن لم يقتل ممن حضرها ومن لم يحضرها ولم يذكر
في هولاء الاربعة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم من كبار الصحابة الذين يبعد من كلهم
البعد انهم لم يجمعوه مع كثرة رغبتهم في الخير وحرصهم على ما هو دون ذلك من الطاعات
وكيف يظن هذا بهم ونحن نرى اهل عصرنا يحفظه منهم في كل بلدة الوف ثانيهما انه
لو ثبت انه لم يجمعه الا اربعة لم يقدح في تواتره اذ ليس من شرط التواتر ان ينقل جميعهم
جميعه بل اذا نقل كل جزء عدد التواتر صارت الجملة متواترة بلا شك قال التوربشتي
المراد من الاربعة اربعة من رهط انس وهم الخزرجيون وجعلها انما ارادا رفعة من الاوسيين
او سبهم وفخر جمهم وهو اشبه وكان بينهما تحيين من ذاته قبل الاسلام بقيت منهما
بقية من العصبية بعد الاسلام فلعله ذكر ذلك على سبيل المفاخرة وقد روي عن انس
انه قال افتخرت الاوس والخزرج فقالت الاوس منا غسيل الملائكة حنظلة بن ابي عامر
ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت ومنا ابو زيد وخزيمة بن ثابت ومنا من اهتز العرش لموته
سعد بن معاذ وقالت الخزرج منا اربعة قرؤا القران على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يقراه غيرهم زيد بن ثابت وابو زيد ومعاذ بن جبل وابي بن كعب فقوله لم يقراه
غيرهم اي لم يقرا كلا احد منكم يا معشر الاوس متفق عليه وعن خباب بفتح الخاء المعجمة
وتشديد الموحدة الاولى ابن الارت بفتح همزة وراء تشديد فوقية قال هاجرنا مع
النبي صلى الله عليه وسلم نبتغي وجه الله تعالى اي رضاه فوقع اجرنا على الله اي ثبت
اجرنا الدنيوي والاخروي عنده سبحانه فمنا من مضى اي مات لم يأكل من اجره اي الدنيوي
شيئا اي من الغنائم ونحوه مما تناوله الاحياء ادركوا من الفتوح فيكون اجره كاملا فالمراد

بالاجر بثمرته ولم يبق مستوفرا في الآخرة منهم مصعب بصيغة المجهول ابن عمير بالتصغير
قتل يوم احد اي استشهد فلم يوجد له ما يكفن فيه بتشديد الفاء المفتوحة الا نمرة
بفتح نون وكسر ميم اي كساء غليظ فيه خطوط بيض وسود فكنا اذا غطينا راسه اي بها
خرجت رجلاه اي ظهرت واذا غطينا رجليه اي بها خرج راسه اي انكشف فامرنا اي فامر
نبي الله صلى الله عليه وسلم ان نغطي راسه اي لانه اشرف وان نجعل على رجليه شيئا من الاذخر
بكسر الهمزة والخاء وبتنوين معروف ومنا من اينعت بهمزة مفتوحة وسكون تحتية وفتح
نون اي نضجت له ثمرته وادركت وطابت وبلغت اوان الجذاذ وهو كناية عن حصول بعض
المراد والينع بفتح اليا ادراك الثمار ومنه قوله تعالى انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه وينع الثمر
الينع الثمر يونع وينع ييناع فهو مونع ويانع اذا ادرك ونضج والينع اكثر استعمالا فهو اي من
اينعت له ثمرته يهدبها بفتح اليا وكسر الدال ويضم على ما اقتصر عليه النووي وحكى ابن التين
تثليثها اي يجتنيها قال الطيبي هذه الفقرة قرينة لقوله فمنا من مضى لم ياكل من اجره شيئا كأنه
ومنهم من لم يجد شيئا من ثوابه ومنهم من عجل بعض ثوابه وقوله يهدبها على صيغة المضارع
لاستحضار الحال الماضية والاشارات [illegible] في حق السامع وفي الحديث ما من
غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة الا تعجلوا ثلثي اجورهم في الاخرة ويبقى
لهم الثلث وفيه بيان فضيلة مصعب بن عمير وانه ممن لم ينقص له من ثواب الاخرة شيء قال
المؤلف مصعب قرشي عبدري من اجلة الصحابة وفضلائهم هاجر الى ارض الحبشة في اول
من هاجر اليها ثم شهد بدرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مصعبا بعد العقبة
الثانية الى المدينة يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين وهو اول من جمع الجمعة بالمدينة
قبل الهجرة وكان في الجاهلية من انعم الناس عيشا والينهم لباسا فلما اسلم زهد في
الدنيا وقيل انه بعثه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان بايع العقبة الاولى فكان ياتي الانصار
في دورهم ويدعوهم الى الاسلام فيسلم الرجل والرجلان حتى فشا الاسلام فيهم فكتب الى
النبي صلى الله عليه وسلم يستاذنه ان يجمع بهم فاذن له ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم
مع السبعين الذين قدموا عليه في العقبة الثانية فاقام بمكة قليلا [illegible]
[illegible] ما عاهدوا الله عليه وكان اسلامه بعد دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم
متفق عليه وعن جابر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهتز العرش
بتشديد الزاي اي تحرك لموت سعد بن معاذ وفي رواية اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ
والمعنى اهتز [illegible] واستبشارا بقدومه من الدار الفانية الى الدار الباقية وذلك لان
ارواح السعداء والشهداء مستقرها تحت العرش تاوي اليها قناديل معلقة هناك
وقيل اهتز استعظاما لتلك الواقعة وقيل اهتز فرح حملة العرش بقدوم روحه فاقام
العرش مقام حامليه وقيل محمول على ظاهره ويكون اهتزازه اعلاما للملائكة بوقوع امر
عظيم وقال النووي اختلفوا في تاويله فقالت طائفة هو على ظاهره واهتزاز العرش تحركه
فرحا بقدوم روح سعد وجعل الله في العرش تمييزا ولا مانع منه كما قال تعالى وان منها
لما يهبط من خشية الله وهذا القول هو المختار وقال المازري قال بعضهم هو على حقيقته
لا ينكر هذا من جهة العقل لان العرش جسم من الاجسام يقبل الحركة والسكون وقيل
المراد اهتزاز اهل العرش وهم حملته وغيرهم من الملائكة فحذف المضاف والمراد بالاهتزاز
الاستبشار ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم لا يريدون اضطراب جسمه وحركته وانما
يريدون ارتياحه اليها واقباله عليها وقال الحربي هو كناية عن تعظيم شان وفاته والعرب

تنسب

تنسب الى المعظم الى اعظم الاشياء فيقولون اظلمت لموت فلان الارض وقامت له القيامة
وقال جماعة المراد اهتزاز سرير الجنازة وهو النعش وهذا القول باطل ترده الرواية الاتية
وانما اولوا هذا التاويل لانه لم يبلغهم هذه الرواية قال المؤلف سعد بن معاذ الانصاري
الاشهلي الاوسي اسلم بالمدينة بين العقبة الاولى والثانية واسلم باسلامه بنو عبد
الاشهل ودارهم اول دار اسلمت من الانصار وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيد الانصار وكان مقدما مطاعا شريفا في قومه وهو من اجلة الصحابة واكابرهم وخيارهم
شهد بدرا واحدا وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ورمي يوم الخندق في الاكحل فلم
يرقا الدم حتى مات بعد شهر وذلك في ذي القعدة سنة خمس وهو ابن سبع وثلاثين
سنة ودفن بالبقيع روى عنه نفر من الصحابة متفق عليه وفي الجامع اهتز عرش الرحمن
لموت سعد بن معاذ رواه احمد ومسلم عن انس ورواه احمد والشيخان والترمذي
وابن ماجه وعن البراء قال اهديت بصيغة المجهول لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة
حرير فجعل اصحابه يمسونها اي يلمسونها ويمسحونها ويتعجبون من لينها اي نعومتها
ورقتها فقال اتعجبون من لين هذه اي الحلة لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها والين
اي المناديل التي يمسح بها سعد يده خير من هذه والمعنى ان ارفع شيء من هذه لا يقارب ادنى
شيء تلك قال النووي المناديل جمع منديل وهو هذا الذي يحمل في اليد قال ابن الاعرابي
وغيره هو مشتق من الندل وهو النقل لانه ينقل من واحد الى واحد وقيل هو من الندل
وهو الوسخ لانه يندل به قال الخطابي انما ضرب المثل بالمناديل لانها ليست من علية
الثياب بل هو تبذل في انواع من المرافق فيمسح بها الايدي وينفض بها الغبار عن البدن
ويغطى بها ما يهدى في الاطباق وتتخذ لفافا للثياب فصار سبيلها سبيل الخادم وسبيل
سائر الثياب سبيل المخدوم فاذا كان ادناها هكذا فما ظنك باعلاها متفق عليه ورواه
الترمذي وعن ام سليم وهي ام انس انها قالت يا رسول الله انس خادمك ادع الله له
قال اللهم اكثر ماله وولده بفتحتين وضم فسكون اي اولاده وبارك له فيما اعطيته اي
من المال والولد والبركة زيادة النماء وافاضة النعم قال انس فوالله ان مالي لكثير اي
الكثير وفيه بيان البركة في وفق التنمية وان ولدي اي بلا واسطة وولد ولدي ليتعادون
بضم اوله المشددة اي يزيدون في العدد على نحو المائة اليوم اي في هذا الوقت من
الحديث وفي رواية قالت دفنت من صلبي سوى ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين اي ذكورا
الابنين على ما [illegible] ذكره ابن حجر في شرح الشمائل وقال
صاحب المشكاة في اسماء رجاله انس بن مالك بن النضر الخزرجي كنيته ابو حمزة خدم النبي
صلى الله عليه وسلم المدينة وهو ابن عشر سنين وانتقل الى البصرة في خلافة عمر ليفقه
الناس وهو اخر من مات بالبصرة من الصحابة سنة احدى وتسعين وله من العمر
مائة وثلاث سنين وقيل تسع وتسعون سنة قال ابن عبد البر وهذا اصح ويقال
انه ولد له مائة ولد وقيل ثمانون منهم ثمانية وسبعون ذكرا وابنتان الذي روى
عنه خلق كثير انتهى ما ذكره ابن حجر يخالف هذا النقل وكذا يخالف ظاهر الحديث
لانه دال على مجموع اولاده واولادهم يتجاوزون عن المائة لا اولاد الاولاد والله
اعلم بالعدد والمراد وقال النووي هذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وفيه
دليل لمن يفضل الغنى على الفقر واجيب بانه مختص بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم
وانه قد بارك فيه ومن بورك فيه لم يكن فيه فتنة فلم يحصل بسببه ضرر ولا تقصير

في آذا خوالله وفيه استحباب انه اذا دعي بشيء يتعلق بالدنيا ينبغي ان يضم اليه دعاء بطلب البركة
فيه والصيانة ونحوها وقد ثبت في صحيح البخاري عن انس انه دفن من اولاده قبل مقدم الحجاج
مائة وعشرين ثلاث وكانه اراد بالاولاد المعنى الاعم الشامل للصلبي وغيره ولا لا لا اكثر
او لا اولاد الاولاد ايضا اذ المقام يقتضيه والله اعلم متفق عليه ورواه الترمذي انتهى
وعن سعد بن ابي وقاص قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على وجه
الارض صفة مؤكدة لاحد كما في قوله تعالى وما من دابة في الارض لمزيد التعميم
والاحاطة انتهى وفيه نظر لا يخفى اذ الحديث ليس من قبيل الاية فان الدابة
في الارض داخلة في مفهوم الدابة فذكرها يفيد التاكيد ونظيره رايته بعيني
وسمعته باذني بخلاف لفظ احد فانه يفيد معنى العموم القابل للتقييد فقوله
يمشي على وجه الارض صفة احترازية عمن كان دخل من العشرة فكانه قال لاحد
موجود الان في وجه الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وقال ميرك ان
قوله في وجه الارض صفة مخصصة لاهل الجنة لكن يرد عليه ان حديث التكلم في
انتهى وقال النووي ليس هذا مخالفا لقوله صلى الله عليه وسلم ابو بكر في الجنة
وعمر في الجنة الى اخر العشرة وغيرهم من المبشرين بالجنة فان سعدا قال ما سمعت
ونفي سماعه ذلك لا يدل على نفي البشارة للغير واذا اجتمع النفي والاثبات فالاثبات مقدم
على النفي انتهى ويؤيده ما قدمناه ما ذكره الحافظ العسقلاني بان الحديث استشكل
بانه صلى الله عليه وسلم قال لجماعة انهم من اهل الجنة غير عبد الله بن سلام ويبعد ان
لا يطلع سعد على ذلك او ينفي سماع ذلك عن نفسه كراهية تزكية نفسه فالظاهر
ان ذلك بعد موت المبشرين لان عبد الله بن سلام عاش بعدهم ولم يتاخر بعده من
العشرة غير سعد وسعيد ويوخذ ذلك من قوله يمشي على وجه الارض ووقع عند
الدارقطني ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لحي يمشي انه من اهل الجنة الا
ولا يخفى ما فيه من الخصوص في حصر المدعي لهم الا ان يقال ان سعدا لم يذكر نفسه
بناء على انه نسي او بلغه من غيره وهذا بنفسه لا يبين البينة حتى الحديث لكن يبقى الكلام
في وجود سعد حيا ويمكن دفعه براية ويمكن ان يراد بقوله يمشي انه وقع البشارة له صلى
الله عليه وسلم لعبد الله حين كان يمشي على وجه الارض بمعنى انه بشر بخلاف بشارات
غيرهم وبه يزول الاشكال والله اعلم بالحال متفق عليه ورواه النسائي وعن
قيس بن عباد بضم عين وتخفيف موحدة بصري من الطبقة الاولى من تابعي البصرة
روى عنه جماعة من الحصى بن قال كنت جالسا في مسجد المدينة فدخل رجل على وجهه
اثر الخشوع اي السكون والوقار والحضور فقالوا اي بعض الحاضرين هذا رجل من
اهل الجنة فصلى ركعتين اي تحية المسجد وغيرها تجوز بتشديد الواو اي اختصر فيهما
على ما لا بد منه وحفظهما في الجنة فيقرا تجوز في صلاته اي خففها واقلها ثم خرج
وتبعته فقلت اي له انك حين دخلت المسجد قالوا هذا رجل من اهل الجنة قال
والله ما ينبغي لاحد ان يقول ما لا يعلم قال النووي هذا الانكار من عبد الله بن سلام
عليهم حيث قطعوا له بالجنة فيحتمل انه لا يبلغهم خبر سعد بن ابي وقاص ان ابن
سلام من اهل الجنة ولم يسمع هو ذلك ويحتمل انه كره الثناء عليه بذلك تواضعا
وايثارا للخمول وكراهية الشهرة قال الطيبي في هذا الاشارة بقوله فساذكر
لم ذاك ثم قوله بلا لام اي انكاره اياهم يعني بالحديث سبب انكاري عليهم ثم فوهذا

رايت رؤيا الخ وهذا لا يستدل في النص يقطع النبي صلى الله عليه وسلم في انه من
اهل الجنة كما نص في غيره ويمكن ان يكون لا بشاره بذلك اي في قولهم هذا رجل من اهل الجنة
يعني لا ينبغي لاحد ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه ان يقولوا ما لا يعلم
فانهم علموا ذلك وقالوا ما قالوا ايضا انه قال رايت رؤيا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي في زمانه فقصصتها عليه ورايت اي في المنام كاني في روضة وذكر اي
عبد الله بن سلام من سعتها بفتح اولها وخضرتها وسطها بالنصب على انه ظرف ووقع
خبرا مقدما والمبتدا مؤخر هو قوله عمود من حديد اسفله اي طرفه العمود في الارض واعلاه
في السماء والجملة صفة للعمود في اعلاه اي العمود عروة بضم العين اي حلقة في القاموس
العروة والكوز المقبض فاستعيرت لما يوثق ويعول عليه فقيل لي ارقه بفتح القاف
وسكون الها للسكت وفي نسخة بضم الها في انه ضمير في القاموس رقي كرضي
صعد وقال ابن الملك من رقي اذا صعد والها للسكت ويجوز ان يعود الى العمود
فقلت لا استطيع اي الرقي والصعود فاتاني منصف بكسر الميم وفتح الصاد
ذكره النووي وغيره في النسخ المعتمدة وقال القاضي عياض وغيره بفتح الميم وهو الخادم
من نصف نصف فهو اذا خدم وفي شرح مسلم قالوا هو الوصيف الصغير المدرك للخدمة
فرفع اي المنصف ثيابي من خلفي فرقيت بكسر القاف وقال ميرك وحكي بفتحها انول
وفيه نظر اذ رقي في كرضي يرضى من الرقية ولا معنى لها ههنا بل المراد فصعدت حتى كنت في اعلاه
اي اعلا العمود وفي نسخة في اعلاها اي في العروة فاخذت وفي نسخة اخذت بالعروة
فقيل لي استمسك اي بالغ في المسك بمعنى الاخذ فاستيقظت وانها لفي يدي اي
الا استيقاظ كان خيال الاخذ من غير صد فلم يرد انها بعينه في يده حال يقظته
ولو حمل على ظاهره لما امتنع في قدرة الله تعالى لكن يظهر خلافه ويحتمل ان يريد ان اثرها
يبقى في يدي بعد الاستيقاظ كان يصبح فيرى يدي مقبوضة فقصصتها على النبي صلى
الله عليه وسلم فقال تلك الروضة الاسلام وذلك العمود عمود الاسلام وتلك
العروة مبتدا خبره قوله الوثقى وفي نسخة صحيحة العروة الوثقى قال الطيبي الوثقى
من الحبل الوثيق المحكم المامون انقطاعه فانت على الاسلام حتى تموت انتهى كلامه
صلى الله عليه وسلم فقال قيس وذلك الرجل عبد الله بن سلام ولا يبعد ان يكون
من قول عبد الله بن سلام بان يخبر عن نفسه متفق عليه وعن انس قال كان ثابت
ابن قيس بن شماس بتشديد الميم خطيب الانصار اي فصيحهم في النثر كما يقال
ان حسان في النظم قال المؤلف خزرجي شهد له النبي صلى الله عليه وسلم وكان خطيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطيب الانصار واستشهد يوم اليمامة مع مسيلمة
الكذاب سنة اثنتي عشرة روى عنه انس بن مالك وغيره فلما نزلت يا ايها الذين امنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى اخر الاية وهو قوله ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون جلس ثابت في بيته واحتبس
اي نفسه عن النبي صلى الله عليه وسلم فسال النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ
استشكل بان الاية المذكورة نزلت سنة تسع وسعد بن معاذ مات قبل ذلك سنة
خمس واجيب بان ما نزل في قصة ثابت مجرد الصوت لا اول السورة وهو لا تقدموا
بين يدي الله فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم لسعد حيث كان جاره ما شان
ثابت اي حيث انه غاب فمعناه اشتكى اي مرض او وجع فكانه تحير في الجواب

ولم يعرف طريق الصواب فإنه أي ثابتا سعد فذكر أي سعد له أي لثابت قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم أي في تفقده فقال ثابت أنزلت هذه الآية أي المتقدمة ولقد علمتم
أني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بحسب الجبلة فأنا من
أهل النار ولم يعرف أن المراد به رفع صوت يكون اختياريا يقتضي قلة الأدب فذكر
ذلك أي نقله ثابت سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بل هو من أهل الجنة أي حيث بالغ في الأدب حتى لم يجوز رفع الصوت الجبلي
أيضا وقد وقع مصداق ذلك أنه قتل باليمامة شهيدا وقد نقلوا كرامات عن أنس
أنه لما كان يوم قتال يوم مسيلمة الكذاب تحنط ولبس أكفانه فقاتل حتى قتل وكذا
رواه مسلم والنسائي وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كنا جلوسا أي جالسين
عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نزلت سورة الجمعة بضم الجيم والميم وتسكن فلما
نزلت وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال الطيبي يجوز أن يكون آخرين عطفا على الأميين
يعني أنه تعالى بعثه في الأميين الذي على عهده وفي آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم
بعد وسيلحقون بهم وهم التابعون للصحابة رضي الله تعالى عنهم قال الراوي
قالوا أي آخرين منهم يا رسول الله قال أي أبو هريرة وفينا سلمان الفارسي بكسر
الراء ويسكن قال أي أبو هريرة فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على سلمان أي
على كتفه ثم قال لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء قال الطيبي جمع اسم
الإشارة والمشار إليه سلمان وحده إرادة للجنس ويحتمل أن يراد بهم العجم كلهم لوقوعه
مقابلا للأميين وهم العرب وإذا أريد به أهل فارس ولو ههنا بمعنى إن المجرد الغرض
والتقدير على سبيل المبالغة قال المؤلف سلمان الفارسي يكنى أبا عبد الله مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصله من فارس من رامهرمز ويقال إنه من
أصبهان من قرية يقال لها جي سافر يطلب الدين فدان أولا بدين النصارى
وقرأ الكتب وصبر في ذلك على مشقات تتابعت فأخذه قوم من العرب فباعوه
من اليهود ثم إنه كوتب فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابته ويقال
إنه تداوله بضعة عشر سيدا حتى أفضى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم لما
قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقال سلمان منا أهل البيت وهو أحد
الذين اشتاقت إليهم الجنة وكان من المعمرين قيل عاش مائتين وخمسين سنة
وقيل ثلاثمائة وخمسين سنة والأول أصح وكان يأكل من عمل يده ويتصدق بعطائه
ومناقبه كثيرة وفضائله غزيرة أثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه في كثير
من الأحاديث ومات بالمدائن سنة خمس وثلاثين روى عنه أنس وأبو هريرة وغيرهما
متفق عليه وفي الجامع لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من فارس رواه
الشيخان والترمذي عن أبي هريرة ورواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة أيضا ولفظه
لو كان العلم معلقا بالثريا لتناوله قوم من أبناء فارس وعنه أي عن أبي هريرة رضي
الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب عبيدك
بالتصغير للشفقة هذا إلى المشار إليه يعني أبا هريرة تقييد منه أو من غيره مدرج فيه
معترضة وأمه عطف على عبيدك إلى عبادك المؤمنين متعلق بحبب وحبب إليهم
وفي نسخة إليهما المؤمنين قال ميرك كذا وقع بضمير الجمع في أصل سماعنا من المشكاة
وهو الموافق لأصل السماع من صحيح مسلم وأكثر النسخ الحاضرة منه وتوجيهه باعتبار

أن أقل الجمع اثنان أو باعتبار أهلهما وأولادهما والمنتسبين إليهما ليكون أشمل والله أعلم انتهى
ويمكن أن يقال نزلا منزلة الجماعة لتعظيمهما كما ينزل الواحد أيضا منزلة الجمع رواه مسلم
وعن عائذ بن عمرو بالواو وهو اسم فاعل من العوذ بمعنى الملتجئ قال المؤلف هو مزني
من أصحاب الشجرة سكن البصرة وحديثه في البصريين روى عنه جماعة أن أبا سفيان
أي ابن حرب أتى أي مر على سلمان وصهيب بالتصغير وبلال في نفر أي وفي بلال مع جمع قال
النووي هذا الإتيان كان لأبي سفيان وهو كافر في الهدنة بعد صلح الحديبية فقالوا أي
سلمان وأصحابه ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله يعنون أبا سفيان مأخذها
بفتح الخاء المعجمة أي حقها وفي نسخة صحيحة وفي أصل السيد مآخذها بهمزة ممدودة
وكسر خاء أنه جمع وهي قيل مقابلة الجمع لسيوف قال الطيبي ما نافية وأما مأخذها
فقيل مفعول به وقيل مفعول فيه ويجوز أن يكون مصدرا والكلام إخبار فيه معنى
الاستفهام المتضمن للاستبطاء يعني لم يستوفوا حقها من عنقه واستعير الأخذ
للتشبيه فشبهها بمن له حق على صاحبه وهو يلازمه ويطالبه والغريم يمتنع من
أداء حقه ويماطله فقال أبو بكر أي لهم أتقولون هذا لشيخ قريش أي لكبيرهم وسيدهم أي
رئيسهم وأتى أي أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أي بخبرهم وخبره فقال يا أبا بكر
لعلك أغضبتهم لعل هنا للإشفاق نحو قوله تعالى لعلك باخع نفسك وقوله صلى
الله عليه وسلم [illegible] فهذا لئن كنت أغضبتهم حيث أنهم مؤمنون محبون
لله تعالى لقد أغضبت ربك أي حيث راعيت جانب الكافر بربه فأتاهم أي أبو بكر
فقال يا إخوتاه بالهاء الساكنة أغضبتكم أي فاعتذروا [illegible] والأظهر أن الاستفهام
مقدر أي أغضبتكم قالوا لا أي لا حرج عليك أو لا غضب لنا بالنسبة إليك يغفر
الله لك جملة دعائية قال الطيبي يجب أن لا يوقف على لا ولو زاد واوا كان أحسن كما في جواب
الرشيد عن سؤال المأمون لا وجعلني الله فداك لحسن موقعه وقوله يا أخي الظاهر
أن يقال يا إخواننا ولعله حكاية قول كل واحد واحد قال النووي ضبطوه بضم
الهمزة في التصغير وهو تصغير تحبيب وفي بعض النسخ بفتحها انتهى وفي نسخة
السيد جمال الدين وكثير من الأصول المعتمدة بالتصغير وفتح الياء وفي بعض النسخ بكسرها
ولا توجيه له [illegible] وفي نسخة بفتح الهمزة وسكون الياء ويجوز فتحها فهذا قال
المؤلف صهيب بن سنان مولى عبد الله بن جدعان التيمي يكنى أبا يحيى كانت منازلهم
بأرض الموصل فيما بين دجلة والفرات فأغارت الروم على تلك الناحية فسبته
وهو غلام صغير فنشأ بالروم فابتاعه منهم كلب ثم قدمت به مكة فاشتراه عبد الله
ابن جدعان فأعتقه فأقام معه إلى أن هلك ويقال إنه لما كبر في الروم وعقل هرب
منهم وقدم مكة فحالف عبد الله بن جدعان وأسلم قديما بمكة يقال إنه أسلم وعمار
ابن ياسر في يوم واحد ورسول الله صلى الله عليه وسلم بدار الأرقم بعد بضعة
وثلاثين رجلا وكان من المستضعفين المعذبين في الله بمكة ثم هاجر إلى المدينة
وفيه نزل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله روى عنه جماعة مات
سنة ثمانين بالمدينة وهو ابن سبعين سنة ودفن بالبقيع وأما أبو سفيان
فيأتي ترجمته في مناقبه رواه مسلم وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال آية الإيمان أي علامة كماله حب الأنصار قال ابن الملك المراد حب جميعهم لأن
ذلك إنما يكون للدين ومن أبغض بعضهم لمعنى يسوغ البغض به فليس داخلا في ذلك

وهو تفسير حسن (وآية النفاق بغض الأنصار) وضع الظاهر موضع المضمر اهتماما بشأنهم
واستشعارا بالعلة بحبهم وبغضهم وهو جمع ناصر كصحب وصاحب واللام للعهد والمراد أنصار
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج وكانوا يعرفون قبل الإسلام
بأبناء قيلة بقاف مفتوحة وتحتية ساكنة وهي الأم التي تجمع القبيلتين فسماهم النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار
فصار علما لهم ونزل القرآن بمدحهم وأطلق على أولادهم وحلفائهم ومواليهم وإنما
فازوا بهذه المنقبة لأجل إيوائهم النبي صلى الله عليه وسلم ونصرته حيث تبوءوا الدار
والإيمان وجعلوه مستقرا ومتوطنا لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة
كذلك فكان ذلك موجبا لمعاداة العرب والعجم فيقضي ذلك إلى الحسد ويفضي إلى
البغض فلذا جاء الترهيب من بغضهم والترغيب في حبهم فمن أحبهم فذلك من كمال إيمانه
ومن أبغضهم فذلك من علامة نفاقه ونقصان إيمانه (متفق عليه) ورواه أحمد
والنسائي وكذا ابن ماجه عنه لكن لفظه حب الأنصار آية الإيمان وبغض الأنصار
آية النفاق (وعن البراء) أي ابن عازب (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن) أي كامل (ولا يبغضهم إلا منافق) أي حقيقي أو مجازي
وهو الفاسق الشبيه بالمنافق (فمن أحبهم) أي لكونهم (أحبه الله ومن أبغضهم) أي بغير سبب
شرعي بالنسبة إلى بعض أفرادهم (أبغضه الله متفق عليه وعن أنس قال إن ناسا) أي
جمعا (من الأنصار قالوا حين أفاء الله على رسوله) أي أعطاه (فيئا) أي غنيمة (من أموال
هوازن) وهي قبيلة شهيرة (ما أفاء) أي الذي أفاء عليه (فطفق) أي فأخذ وشرع (رسول
الله صلى الله عليه وسلم) وهو بجعرانة حين رجع من الطائف (يعطي رجالا من قريش
المائة من الإبل) من جملتهم أبو سفيان والأقرع وغيرهما وكان إعطاؤه تألفا لهم بالإسلام
ولذا كان يعطي الصناديد من المهاجرين دون الأنصار لتحقق المائة (فقالوا) أي ناس
من الأنصار زعما منهم أنه صلى الله عليه وسلم يراعي بعض قومه من قريش (يغفر
الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا) أي شيئا كبيرا (ويدعنا) أي يتركنا في
العطاء الكثير (وسيوفنا تقطر) بضم الطاء أي والحال أن سيوفنا تقطر من الأنصار وتقطر
(من دمائهم) أي من دماء كفار قريش يعني أنا أبلناهم حتى سلموا قال الطيبي قولهم
يغفر الله توطئة وتمهيد لما يرد بعده من العتب كقوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت
لهم وقولهم وسيوفنا تقطر من دمائهم من باب قول العرب عرضت الناقة على الحوض
انتهى وكأنه بعيد لكون التقطير وسيوفنا باعتبار ما يجيء تقطر من دمائهم ولهو
أبلغ وأقرب فتلهم كفار قريش وأنا إليه أو لأنهم أوفى بزيادة المبالغة لجهة حال مفرقة
لجهة الإشكال (فحدث) بضم حاء وتشديد دال مكسورة أي فأخبر (رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمقالتهم) أي بقولهم ذلك البعض من الأنصار (فأرسل) أي الرسول (رسولا
إلى الأنصار فجمعهم) أي الرسول أو أمر بجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (في قبة) أي
خيمة (من أدم) بفتحتين أي جلد (ولم يدع) بسكون الدال وفتح العين أي لم يطلب وفي نسخة
بفتح الدال وسكون العين أي لم يترك معهم أحدا غيرهم (فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث) أي أي شيء خبر عظيم (بلغني عنكم فقال فقهاؤهم)
أي علماؤهم وعقلاؤهم (أما ذوو رأينا) أي أصحاب عقولنا وفهومنا (يا رسول الله فلم
يقولوا شيئا) أي من هذا الباب (وأما أناس) منهم الحديثة في ناس أو جماعة (منا حديثة) أي
جديدة (أسنانهم) جمع السن بمعنى العمر والمراد منهم الشبان (قالوا يغفر الله لرسول

الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويدع الأنصار) أي يتركهم (وسيوفنا تقطر من دمائهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أعطي) أي من هذا المال (رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم)
أي أطلب ألفتهم بالإسلام بإعطاء المال لكونهم من قريش والغرض أخرى الأحوال (أما
ترضون أن يذهب الناس) أي غيركم من المؤلفة قلوبهم (بالأموال وترجعون إلى رحالكم)
بكسر الراء أي منازلكم في المدينة (برسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا بلى يا رسول
الله قد رضينا) فيه تأكيد لما فهم من بلى وما أحسن من قال من أرباب الذوق والحال

رضينا قسمة الجبار فينا ... لنا علم وللأعداء مال
فإن المال يفنى عن قريب ... وإن العلم باق لا يزال

(متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار) في شرح السنة ليس المراد منه الانتقال عن
النسب الولادي لأنه حرام مع أن نسبه صلى الله عليه وسلم أفضل الأنساب وأكرمها
وإنما أراد به النسب البلادي ومعناه لولا الهجرة من الدين ونسبتها دينية لا يسعني
تركها لأنها عبادة كنت مأمورا بها لانتسبت إلى داركم ولانتقلت عن هذا الاسم
إليكم وقيل أراد صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام إكرام الأنصار والتعريض بأنه لا رتبة بعد
الهجرة أعلى من النصرة وبيان أنهم بلغوا من الكرامة مبلغا لولا أنه صلى الله عليه وسلم
من المهاجرين الذين لا يعد نفسه من الأنصار لكرامتهم عند الله تعالى وتحقيقه لولا
فضلي على الأنصار بسبب الهجرة لكنت واحدا منهم وهذا تواضع منه صلى الله عليه وسلم
وحث للناس على إكرامهم واحترامهم لكن لا يبلغون درجة المهاجرين السابقين الذين أخرجوا
من ديارهم وقطعوا عن أقاربهم وأحبابهم وحرموا أوطانهم وأموالهم وهم رضي الله عنهم
ما بالوا ذلك بالنسبة إلى مرضاة الله ورسوله وإعلاء دين الله وسنة رسوله والأنصار وإن
اتصفوا بصفة النصرة والإيثار والمحبة والإيواء ولكنهم مقيمون في مواطنهم ساكنون
مع أقاربهم وأحبابهم وحسبك شاهدا بفضل المهاجرين قوله هذا لأن فيه إشارة
بإجلاله رتبة الهجرة فلا يتركها فهو نبي مهاجري لا أنصاري (ولو سلك الناس واديا)
أي سبيلا آخر (وشعبا) بكسر الشين أو شك من الراوي إذ مآلهما واحد (لسلكت وادي الأنصار
وشعبها) أي شعب جماعة الأنصار وتركت سلوك وادي سائر الناس قال الخطابي
أراد أن أرض الحجاز كثيرة الأودية والشعاب فإذا تفرقت الطرق فأخذ كل قوم منهم واديا
وشعبا اتبعه قومه حتى يفضوا إلى الجادة وفيه وجه آخر وهو أنه أراد بالوادي الرأي
والمذهب كما يقال فلان في واد وأنا في واد فيحتمل أراد صلى الله عليه وسلم حسن
موافقته إياهم وترجيحهم في ذلك على غيرهم لما شاهد منهم حسن الوفاء بالعهد
وحسن الجوار وما أراد بذلك وجوب متابعته إياهم فإن وجوب متابعته حق على
كل مؤمن لأنه صلى الله عليه وسلم هو المتبوع المطاع لا التابع المطيع (الأنصار شعار)
بكسر أوله ويفتح وهو الثوب الذي يلي شعر البدن (والناس دثار) بكسر الدال وهو الثوب
الذي فوق الشعار شبه الأنصار بالشعار لشدة التصاقهم وخلوص مودتهم فالمعنى أنهم أقرب
الناس إلي رتبة وأعلاهم عندي منزلة (إنكم) النفاق إليهم منضمين للترحم عليهم (سترون
بعدي أثرة) بفتحتين وبضم فسكون أي استئثارا بأن يستأثر عليكم أمراؤكم بالأموال الدنيا
من المغانم والفيء ونحوهما ويفضل عليكم غيركم نفسه أو من يوادونكم (فاصبروا) أي على ذلك
ولا تنبذوا حتى تلقوني على الحوض أي يجتمع فيحصل جبر خاطركم التغيظ في لقائي بسببكم

شربة لا تظلمون بعده رواه البخاري وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح اي فتح مكة فقال من دخل دار ابي سفيان
فهو امن اي ذو امن والامن ضد الخوف وقيل اي مامون قال الامام قال النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك حين اسلم ابو سفيان وقال العباس يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا رجل
يحب الفخر فاجعل له شيئا فقال نعم من دخل دار ابي سفيان فهو امن قال المؤلف هو
ابو سفيان بن صخر بن حرب الاموي القرشي والد معاوية ولد قبل الفيل بعشر سنين
وكان من اشراف قريش في الجاهلية وكانت اليه راية الرؤساء في قريش اسلم يوم فتح
مكة وكان من المؤلفة قلوبهم وشهد حنينا واعطاه النبي صلى الله عليه وسلم مائة بعير
واربعين اوقية فيمن اعطاه من المؤلفة قلوبهم وفقئت عينه يوم الطائف فلم
يزل اعور الى يوم اليرموك فاصاب عينه الاخرى حجر ففقئت روى عنه عبد الله بن
عباس ومات سنة اربع وثلاثين بالمدينة ودفن بالبقيع ومن القى السلاح اي آلة الحرب
فهو امن فقالت الانصار اي بعضهم اما الرجل اي النبي صلى الله عليه وسلم فقد اخذته
رافة اي رقة ورحمة بعشيرته اي قبيلته ورغبة اي محبة في قريته اي في اهل بلدته وبالسكون
في قريته وانزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بما قالوا قال قلتم اما الرجل
اخذته وفي نسخة فقد اخذته رافة بعشيرته ورغبة في قريته كلا ردع اي ليس الامر
كما توهمتم من اقامتي بمكة لان هجرتي الى المدينة كانت خالصة لله كما بينه بقوله اني عبد
الله ورسوله اي كوني في هذه الصفة يقتضي ان لا اعود الى دار تركتها لله وان لا ارغب
في بلدة هاجرت منها الى الله هاجرت الى الله اي طلبا لثوابه وما موله واليكم اي والى دياركم
بيلكم اي والى المهاجرين اليكم كما قال تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون
من هاجر اليهم وخلاصته ان القصد في الهجرة كان الى الله وانا لما هاجرت كان من دار قومي
الى داركم المحيا محياكم والممات مماتكم اي مماتي في مماتكم والمعنى ما حييت احيي في بلادكم كما تحبون
فيه وان توفيت في بلدكم كما تتوقعون لا فارقكم حيا ولا ميتا قالوا اي الانصار والله
ما قلنا اي ما قلنا ما قلنا الا ضنا بكسر الضاد المعجمة وتشديد النون اي شحا وبخلا بالله ورسوله
اي من شرف جواره والصحبة واسم الله للتحسين والتزيين وقال الطيبي يريد قول ما قلنا ذلك
الا ضنة بما اتانا الله من كرامته خشية ان يفوتنا فيما لنا بتركه وشحي برسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ينتقل من بلدنا الى بلدته انتهى وتوضيحه انهم عنوا ان لا دمعي بحبهم
في حب الاقارب والاوطان فحسبنا ان تميل عنا اليهم فحركنا بهذا الكلام وحرمنا
لتبين لنا المرام فلا يرد انهم كيف قالوا ذلك مع قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا في ما اورده الطيبي قال فان الله ورسوله يصدقانكم اي في
اخباركم عن اخباركم ويعذرانكم بفتح اوله وكسر ثالثه ويقبلان ما ذكرتم من اعتذاركم فيما قلتم
من دعوى الضنة وفيه دلالة على جواز البخل بالعلماء والصلحاء وعدم الرضا بمفارقتهم
رواه مسلم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم راى صبيانا ونساء مقبلين اي راجعين
من عرس وهو بضم العين طعام الوليمة ذكره ابن الملك والاظهر ما في القاموس العرس
الزفاف ومنه في الفرح ويضم وبالضم وبضمتين طعام الوليمة والوليمة طعام العرس وكل
طعام صنع لدعوة وغيرها فقام النبي صلى الله عليه وسلم اي عن طريقهم اقبالا لهم
فقال اللهم انتم بين الالتفات والتقدير اللهم انت تعلم صدق قولي في انتم فيه خطاب الغائب
ثم خاطبهم بقوله انتم من احب الناس الي كرره لتاكيد وفي الخطاب التفات وتغليب

للمقتبسان

للمقتبسان في النسخ والتفات في الحاضر بن ديوتين قول الراوي يعني الانصار اي يريد ان
النبي صلى الله عليه وسلم يقول انتم طائفة الانصار متفق عليه وعنه اي عن انس رضي الله
تعالى عنه قال مر ابو بكر اي الصديق والعباس بمجلس من مجالس الانصار وهم اي والحال
انهم اهل ذلك المجلس يبكون اي في ايام مرضه صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيكم قالوا ذكرنا
مجلس النبي صلى الله عليه وسلم يعنون نخاف فقده اذ قدر الله موته فدخل احدهم رواية
العباس على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك اي بما ذكر من بكائهم وسبب بكائهم فخرج
النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب بتشديد الصاد اي ربط وشد على راسه حاشية برد
اي على هيئة عصابة لرفع وجع راسه من الشدة وصعد بكسر العين اي طلع المنبر ولم
يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله اي شكره على ما انعم واثنى عليه اي بالوجه الاتم ثم قال اوصيكم
اي ايها الناس كالمهاجرين بالانصار اي بحسن معاملتهم والتجاوز عنهم فانهم كرشي بفتح فكسر وفي نسخة بكسر
فسكون اي بطانتي وعيبتي بفتح المهملة وسكون المثناة بعدها موحدة اي موضع سري كذا ذكره
الزركشي وفي القاموس الكرش بالكسر وككتف لكل مجتر بمنزلة المعدة للانسان مؤنثة
وعيال الرجل وصغار ولده والجماعة وفي النهاية اراد انهم بطانته وموضع سره وامانته
اراد الجماعة اي جماعتي واصحابي وفي المصباح اي انهم في المحبة والرافة بمنزلة الاولاد والمعدة
لان الانسان يعول على محبته وولده وقال التوربشتي الكرش لكل مجتر بمنزلة المعدة
للانسان والعرب تستعمل الكرش في كلامهم موضع البطن والبطن مستودع مكتوم السر
والعيبة مستودع مكنون المتاع والاول امر باطن والثاني امر ظاهر فيحتمل انه ضرب المثل
بهما ارادة اختصاصهم به في الامور الظاهرة والباطنة وفي شرح السنة عيبتي اي
خاصتي وهو موضع سري والعرب تكني عن القلب والصدر بالعيبة لانها مستودع
السرائر كما ان العياب مستودع الثياب وقد قضوا اي ادى الانصار الذي عليهم اي من الوفاء بما
وقع لهم من المبايعة ليلة العقبة فانهم بايعوا على انهم ينصرون النبي صلى الله عليه وسلم ولهم
الجنة وقد وفوا بذلك ذكره العسقلاني وبقي الذي لهم اي من الاجر والثواب عند الله تعالى
فاقبلوا من محسنهم اي احسانه بعد زينة عذر منهم وتجاوزوا عن مسيئهم اي اذا عجز واعرض عذره
رواه البخاري وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم
في مرضه الذي مات فيه اي من حجرته واستمر على مشيه حتى جلس على المنبر فحمد الله تعالى اي
على ما وجد من النعمة لديه واثنى عليه اي بما هو اهله ثم قال اما بعد اي بعد الحمد والثنا فان
الناس اي اهل الاسلام لانهم خلاصة الناس يكثرون بضم المثلثة اخبار بالغيب ويقل
الانصار بفتح الياء وكسر القاف وتشديد اللام قال التوربشتي لان الانصار هم الذين
اووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه في حال الضعف والعسرة وهذا امر قد انقضى
زمانه لا يلحقهم اللاحق ولا يدرك شاوهم السابق فكلما مضى منهم واحد مضى من غير بدل فيكثر
غيرهم ويقلون حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام اي من حيث ان الملح بوصف القلة
سبب لكمال الطعام في اللذة وهذه الجملة الاخيرة تؤيد ما قال التوربشتي وهذا المعنى اي
التقليل يومي في حق المهاجرين الذين هاجروا من مكة الى المدينة ولعل الحكم على الحقيقة
الظاهر ان المهاجرين واولادهم كثروا وتبسطوا في البلاد وانتشروا فيها وملكوها بخلاف
الانصار فانهم قلوا وهذا امر مشاهد في الاشراف والعلويين والعباسيين وبني خالد وامثالهم
فمن ولي منكم بفتح واو وكسر لام وفي نسخة بضم فتشديد اي من تولى منكم ايها المهاجرون
شيئا يجوز ان يكون مفعولا به وان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الولاية وقوله

بخير يعني قوما اي مسيئين ويشفع فيه آخرين اي محسنين فنشفعه كما شفعته فليتكلا اي لمنوبي منكم
من محسنيهم اي احسانهم ويتجاوز عن مسيئهم اي اساءتهم رواه البخاري وعن ابي اسيد
بالتصغير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دور الانصار اي افضل قبائلهم بنو
النجار ثم بنو عبد الاشهل ثم بنو الحارث بن الخزرج ثم بنو ساعدة وفي كل دور
الانصار خير اي فضل بالنسبة الى غيرهم من اهل المدينة ومن تبعهم بعد تخصيصهم قال
العسقلاني الخير او [illegible] التفضيل [illegible] الخير حاصل في جميع الانصار
وان تفاوتت مراتبهم وقال النووي خير دور الانصار قبائلهم وكانت كل قبيلة تسكن محلة
فيسمى تلك المحلة دار بني فلان ولهذا جاء في كثير من الروايات بنو فلان من غير ذكر الدار قالوا
تفضيلهم على قدر سبقهم في الاسلام وماثرهم فيه وفي هذا دليل على جواز تفضيل القبائل
والاشخاص من غير مجازفة ولا هوى ولا يكون هذا غيبة قال القاضي ان اراد به ظاهره فتركه
بنو النجار على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويكون تخييرها بسبب خيرية
اهلها وما يوجد فيها من الطاعات والعبادات متفق عليه ورواه الترمذي والنسائي
وفي الجامع خير دور الانصار بنو النجار رواه الترمذي عن جابر وفي رواية للترمذي عنه
خير دور الانصار دار بني عبد الاشهل وعن علي رضي الله تعالى عنه قال بعثني رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا كذا في جميع النسخ الحاضرة والظاهر اني كما نص من باب استعارة
المرفوع للمنصوب والزبير اي ابن العوام وقد سبق ذكره في العشرة والمقداد بكسر الميم
وهو ابن عمرو الكندي وذلك ان اباه حالف كندة فنسب اليها واما نسب الى ابن الاسود لانه
كان حليفه ولانه كان في حجره وقيل انه كان تبناه وكان سادسا في الاسلام روى
عنه علي وطارق بن شهاب وغيرهما مات بالجرف على ثلاثة اميال من المدينة فحمل على رقاب
الناس ودفن بالبقيع سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين وفي رواية وابا مرثد بدل
المقداد بفتح الميم والمثلثة وسكون الراء بينهما قال المؤلف هو كناز بن حصين ويقال ابن
حصين الغنوي مشهور بكنيته شهد بدرا هو وابنه مرثد وهو من كبار الصحابة روى عنه
[illegible] والله بن [illegible] عبد الله بن عمر مات سنة اثنتي عشرة وقال السيد جمال
الدين هو وابنه حليفا حمزة بن عبد المطلب قال الواقدي وابن اسحاق آخى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبادة بن الصامت [illegible] سعد شهد ابو مرثد بدرا واحدا
والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بالمدينة في خلافة ابي
بكر الصديق وهو ابن ست وستين سنة ثم الحاصل ان الجمع بين الروايتين انه صلى
الله عليه وسلم بعث الاربعة الا ان المذكور في بعض الروايات المقداد وفي بعضها
ابو مرثد وتوضيحه ما قال الطيبي انه لم يرد بذلك ان البعث منحصر بالثلاثة وكذا في
رواية هذا وفي رواية ذلك لان الاربعة قد بعثوا لهذا الامر انتهى ولا يخفى ان الحديث
متحد في الروايتين [illegible] الامر غير متحد [illegible]
وفي شرح مسلم وعن علي رضي الله تعالى عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابا مرثد الغنوي والزبير بن العوام وفي الروايات بقية والمقداد بدل ابي
مرثد [illegible] فقد بعث الاربعة عليا والمقداد والزبير وابا مرثد فقال انطلقوا
حتى تاتوا روضة خاخ بخائين معجمتين [illegible] قال الطيبي بخائين
المعجمتين هو الصواب وهي موضع بين مكة والمدينة بقرب المدينة وفي القاموس
وخاخ [illegible] فان بها ظعينة اي امراة اسمها سارة وقيل ام سارة مولاة لقريش معها

كتاب

كتاب اي مكتوب من اهل المدينة الى اهل مكة فخذوه منها فانطلقنا تتعادى اي تتسابق بنا خيلنا
حتى اتينا الى الروضة اي روضة خاخ فاذا نحن بالظعينة اي المراة فقلنا اخرجي الكتاب قالت
ما معي من كتاب من زائدة لمزيد تاكيد النفي فقلنا لتخرجن بفتح لام وضم فسكون فكسر
وتشديد نون اي لتظهرن الكتاب او لتلقين بفتح فضم فسكون ففتح فتشديد وفي نسخة
[illegible] اي لترمين الثياب وتتجردن منها [illegible] الامر وفي نسخة بصيغة المجهول
[illegible] الثياب وهو ظاهر ايضا قال [illegible] كذا جاءت الرواية باثبات الياء مكسورة ومفتوحة
قال [illegible] القواعد العربية تقتضي ان يحذف [illegible] قلت [illegible] القياس ذلك
واذا صحت الرواية بالياء فتاويلها بالكسرة انها المشاكلة لتخرجن والفتح بالحمل على المؤنث
الغائب على طريق الالتفات من الخطاب الى الغيبة وفي بعض النسخ بفتح القاف
[illegible] الثياب كذا قاله الكرماني في شرح البخاري وقال الشيخ ابن حجر العسقلاني
في شرحه كذا فيه باثبات الياء والوجه حذفها وتبين انها ثبتت للمشاكلة لتخرجن قال
[illegible] الصواب الرواية لتلقين الثياب بالنون بلفظ الجمع وهو ظاهر جدا لا اشكال فيه
البتة ولا يحتاج الى تخريج [illegible] والله اعلم انتهى كلامه قوله [illegible] ما وقع عند البخاري
في باب فضل من شهد بدرا بلفظ لتخرجن الكتاب او لنجردنك انتهى فاخرجته من عقاصها
وهو بكسر العين جمع عقيصة وهي الشعر المضفور قال العسقلاني والجمع بينه وبين رواية
اخرجته من حجزتها بضم الحاء وسكون الجيم وبالزاي اي معقد الازار ان عقيصتها طويلة بحيث تصل
الى حجزتها فربطته في عقيصتها وغرزته بحجزتها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه اي
في الكتاب من حاطب بكسر الطاء ابن ابي بلتعة الى ناس من المشركين قال الطيبي فيه
حكاية المكتوب بل هو من كلام الراوي وضع موضع قوله الى فلان وفلان من اهل مكة
يخبرهم اي حاطب او مكتوبه مجازا ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ببعض شانه
وحاله وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فنزل جبريل فاخبره فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي لحاطب ما هذا اي الفعل الشنيع فقال يا رسول الله لا تعجل علي
اي في الحكم بالكفر ونحوه ثم استانف ببيان عذره في فعله بقوله اني كنت امرا ملصقا بصيغة المجهول
اي حليفا في قريش اي فيما بينهم ولم اكن من انفسهم قال النووي وكان حليف الزبير بن العوام
وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة اي ذو قرابة اي اقارب او قرابة ناس يحمون اي الذين
او الناس الذين اقاربهم يحفظون ويراعون بها اي بتلك القرابة اموالهم اي اموال المهاجرين
واهليهم بمكة [illegible] ان يكون ظرفا ليحمون والاقرب ان تتعلق باموالهم واهليهم الكائنين بمكة
فاحببت اذ فاتني ذلك اي النسب فيهم اي في قريش قال الطيبي اذ ظرف [illegible]
وقع بين الفعل ومفعوله وهو قوله ان اتخذ فيهم يدا اي صنيعة يحمون اي قريش بها اي بتلك
اليد قرابتي اي الكائنة بمكة قال الطيبي قوله يحمون صفة يدا واراد باليد الانعام
وما فعلت اي ذلك كفرا اي ارتدادا ولا ارتدادا عن ديني اي حادثا ولا رضى بالكفر اي بوجوده
بعد الاسلام اي بعد حصوله وهو تاكيد لما قبله وتعميم لانواع حدوث الكفر فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي خطابا للاصحاب انه قد صدقكم بتخفيف الدال [illegible] قال الصدق
فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب بالجزم اي اقطع عنق هذا المنافق انما قال ذلك
مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب في معذرته لما كان عند عمر من القوة
في الدين وبغض من ينتسب الى النفاق وظن ان من خالف ما امر النبي صلى الله عليه وسلم استحق
القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استاذن في قتله واطلق عليه منافقا لكونه ابطن خلاف [illegible]

ما ظهر من عذر حاطب بما ذكره فانه صنع ذلك متأولا ان لا ضرر فيه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه اي حاطبا قد شهد بدرا اي حضره وما يدريك اي اي شيء يعلمك انه مستحق
للقتل لعل الله اطلع بتشديد الطاء اي اقبل على اهل بدر ونظر اليهم نظر الرحمة والمغفرة
فقال اعملوا ما شئتم اي من الاعمال الصالحة والا فالاستغناء فلا تنافي الآية فقد وجبت
لكم الجنة اي ثبتت او وجبت بموجب الايجاب من الوعد الواجب وقوعه قال الطيبي معنى
الترجي فيه راجع الى عمر رضي الله تعالى عنه لان وقوع هذا الامر محقق عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم وادرج التحقيق بلعل للتلطف الى التذكر فانه مقطوع به لا يقطع الامر في كل شيء انتهى
والاقرب انه ذكر لعل لئلا يتكل من شهد بدرا على ذلك وينقطع عن العمل بقوله اعملوا ما شئتم
فان المراد به اظهار العناية لا الترخص لكل فعل بل انه جاء في الحديث الاتي عن حفصة صريح في
انه صلى الله عليه وسلم كان في مقام الرجاء لا في حال القطع والله اعلم وقد روي وانه فقد
غفرت لكم وبها رجحها ... كما لا يخفى قال التوربشتي هذا في الآخرة واما في الدنيا فلو توجه على
احد منهم حد او غيره اقيم عليه وقد اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسطح حد الفرية وكان
بدريا وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجواز هتك استار الجواسيس
وقراءة كتبهم وفيه هتك ستر المفسدة اذا كان فيه مصلحة او كان في الستر مفسدة وما فعله حاطب
كان كبيرة قطعا لانه يتضمن ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله
ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ولا يجوز قتله لانه لا يكفر به انتهى كلامه وفيه انه
لو ارتكب كبيرة متضمنة لاذى النبي صلى الله عليه وسلم لكان كفرا فالصواب انه لم يقصد به
اذى النبي صلى الله عليه وسلم بل انما قصد دفع اذى الكفار عن قرابته على ظن انه لا يضر النبي صلى الله عليه
وسلم هذا الابلاغ وقد صدق النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك نعم ذنبه فيه انه من حيث اخفى
ولم يستأذن منه صلى الله عليه وسلم في فعله ذلك والله اعلم فانزل الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اي الذين ليسوا على دينكم وهم الكفار اولياء اي احباء
تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا
بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وقد كفروا
بما جاءكم من الحق يخرجون وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء
السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا
لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير
قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون
من دون الله الاية وانما عمم الخطاب ليدخل فيه امثال حاطب ولان العبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب متفق عليه وعن رفاعة بكسر الراء ابن رافع بكسر الفاء الزرقي
الانصاري شهد بدرا واحدا وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد
مع علي الجمل وصفين مات في اول ولاية معاوية روى عنه ابناه عبيد ومعاذ وابن اخيه
يحيى بن خلاد قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اي جبريل ما تعدون بضم فسكون
وتشديد دال اي ما تعتبرون اهل بدر فيكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والجمع للتعظيم او له ولمن كان من اصحابه معه والمعنى في اي مرتبة من مراتب الفضل تحسبونهم
او اهل بدر قال اي النبي من افضل المسلمين او كلمة نحوها والظاهر انهم من افضل المسلمين
قال اي جبريل وكذلك اي مثل حكم من شهد بدرا من الملائكة اي هم من افضلهم لم يشهد
منهم فيكونون افضل الملائكة او من افاضلهم قال الطيبي اي هم بعد ذو ربطا بقيد الجزاء

وهو

وهو من افضل المسلمين ولينه بما بعده من تفضيلهم لشانهم عند نزولهم سبحان ما ... انتهى ولا يخفى
عدم ظهور افادة التعظيم من العدد وقد يمنع ايضا ان ما جاء في مواضع بمعنى او ريد به الوصف
كما في المثال المذكور ونحوه قوله ونفس وما سواها رواه البخاري وعن حفصة اي بنت عمر ام
المؤمنين قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان لا يدخل النار ان شاء الله
احد شهد بدرا والحديبية بالتخفيف ويشدد قلت يا رسول الله اليس قد قال الله وان
منكم اي ما منكم الا واردها اي مارها او حاضرها وكانت حفصة ظنت الدخول واردها فاخطها
قال فلم تسمعيه اي الم تسمعي كلام الله يقوله اي بعد ذلك ثم ننجي الذين اتقوا اي من الدخول
وقال ابن الملك اي ينجي الله المتقين بفضله عنها فيكون عليهم بردا وسلاما كما كانت على
ابراهيم ويتركها لكافرين فيها بعد بها انتهى وبه افتى قول الطيبي يعني ان ذلك بقوله ان لا يدخل
النار دخولا يعذب فيها ولا نجاة منها انتهى ويؤيد ما اخترناه سابقا ما قاله النووي
في شرح مسلم الصحيح ان المراد بالورود المرور على الصراط وهو جسر منصوب على جهنم فيقع
فيها اهلها وينجو الاخرون قال الطيبي والاول هو الوجه في ما يظهر بادي النظر لكن
لما تأملنا كثيرا انه لم يظهر ... ظهر ان المعنى الثاني ابلغ واتم والله اعلم
ثم قال الطيبي وفيه جواز المناظرة والاعتراض والجواب على وجه الاسترشاد وهو مقصود
حفصة لانها ارادت مقالته صلى الله عليه وسلم فلذلك وفي تسميته من طرف الاعتراض
وجوابا لا يخلو عن سوء ادب بل ... بل الصواب انها استشكلت معنى الحديث حيث
ظاهره على ظنها غير موافق للآية فسألت سؤال استرشاد لا سؤال اعتراض كما هو طريق
ارباب المناظرة بل على سبيل ما هو واجب على كل من لم يفهم معنى الآية او الحديث او جمع بينهما
او غير ذلك من المسائل ان يسأل واحدا من العلماء كما قال تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون وانما يسمى بالمناظرة المباحثة والمجادلة بين النظراء والامثال في المعارضة وفي
رواية لا يدخل النار ان شاء الله من اصحاب الشجرة احد الذين بايعوا تحتها الشجرة بيان لاصحاب
الشجرة او بدل رواه مسلم وكذا ابو داود والترمذي وابن ماجه ذكره السيد جمال الدين
وقال ميرك ظاهر ايراد المصنف يقتضي ان هذا الحديث في صحيح مسلم من مسند حفصة وليس
كذلك فانه من مسند ام مبشر الانصارية انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند حفصة يقول لا يدخل النار ان شاء الله تعالى من اصحاب الشجرة احد الذين بايعوا
تحتها فقالت بلى يا رسول الله فانتهرها حفصة فقالت وان منكم الا واردها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله عز وجل ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
وهكذا في صحيح مسلم من حديث ام مبشر نعم رواه ابن ماجه من طريق ام مبشر عن
حفصة كما هو في المصابيح بلفظه وكذا رواه في شرح السنة والله اعلم هذا محصل ما اورده
الجزري في تصحيح المصابيح انتهى ولا يخفى ان ... الحديث مروي عن حفصة في صحيح مسلم
فصحح اسناده اليه وعن جابر قال كنا يوم الحديبية الفا واربعمائة قد سبق الخلاف فيه
قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير اهل الارض ولذا قال بعض العلماء منهم
السيوطي ان افضل الصحابة الخلفاء الاربعة ثم بقية العشرة ثم اهل بدر ثم اهل احد ثم اهل
الحديبية متفق عليه وعنه اي عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من يصعد الثنية بكسر الدال على انه مجزوم حرك لالتقاء الساكنين وفي نسخة
بالرفع على ان من موصولة مبتدأ متضمن معنى الشرط والثنية هي الطريق العالي في الجبل وقوله
ثنية المرار بالنصب بدل او عطف بيان والمراد بضم الميم وهو المشهور في ما في النهاية

وبعضهم بكسرها وبعضهم يقوله بالفتح وهو موضع بين مكة والمدينة من طريق المدينة وانما
حثهم على صعودها لانها عقبة شاقة وصلوا اليها ليلا حين ارادوا مكة سنة الحديبية فرغبهم
في صعودها بقوله ان يحط عنه بصيغة المجهول اي يوضع عنه ما حط اي مثل ما وضع عن بني
اسرائيل اي لو قالوا ما امروا به وهو الدخول في قوله تعالى وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر
لكم خطاياكم اي حط عنا ذنوبنا حطة فكان بالغا وفي نسخة وكان اول من صعد خيلنا
بالرفع وابعد من قال خيل بني الخزرج والمعنى ثم كان خيلنا اول خيل من صعدها ثم تتام بتشديد
الميم تفاعل من التمام اي تتابع الناس وجاؤا كلهم وتموا والمعنى صعد الثنية كلهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم مغفور له الا صاحب الجمل الاحمر وهو عبد الله بن ابي
رئيس المنافقين فالاستثناء منقطع فخرجنا القوم الا حمارا فاتيناه فقلنا تعال
اي الى الحضرة العلية يستغفر بالجزم على جواب الامر وفي نسخة اي يستغفر فالتقدير
لان يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأن اجد ضالتي اي من جملي وجملي
احب الي من ان يستغفر لي صاحبكم وهذا كفر صريح منه ونظائره الآية في قوله تعالى واذا قيل
لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون سواء
عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم رواه مسلم وذكر حديث
انس قال النبي عليه السلام لأبي بن كعب ان الله امرني ان اقرأ عليك اي القرآن قراءة
العلم على المتعلم تعليما له وفيه منقبة عظيمة ومرتبة جسيمة حيث ان الله تعالى وتعظم
ذكره ومنه عن قرائته بذا حسبه عليه ليكون ايماء الى انه رئيس القراء في باب بعد فضائل
القرآن متعلق بقوله ذكره انتهى والله اعلم الفصل الثاني عن ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين بصيغة التثنية
وفي نسخة الذين بصيغة الجمع ولعله للتعظيم او بناء على ان اقل الجمع اثنان من بعدي
اي من بعد موتي او من بعد الاقتداء بي من اصحابي اي من جملة اصحابي ابي بكر وعمر بدل اللذين
للذين واهتدوا بهدي عمار اي بسيره وبسيرته وكان الاقتداء اعم من الاهتداء فخصه بتخصيص
بالعموم حيث يتعلق القول والفعل بخلاف الاهتداء فانه مختص بالفعل وتمسكوا بعهد
ابن ام عبد اي بوصية ابن مسعود وقوله والذي اختار امامنا الاعظم وابن [illegible]
في [illegible] الصحابة بعد الخلفاء الاربعة لكمال فقهه ونصحه ووصيته قال التوربشتي يريد
بعهد عبد الله بن مسعود ما يوصيهم به فان اشبه الاشياء بما يراد من عهده
امر الخلافة فانه اول من شهد بصحتها واشار الى استقامتها من افاضل الصحابة
واقام عليها الدليل فقال الا نؤخر من قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا نرضى
لدنيانا من ارتضاه لديننا ومما يؤيد هذا المعنى المناسبة الواقعة بين اول الحديث
وآخره في اوله اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وفي آخره وتمسكوا بعهد ابن ام
عبد ومما يدل على صحة ما ذهبنا اليه قوله وفي رواية حذيفة ما حدثكم ابن مسعود
فصدقوه وفقه الشان في ايماء اشار اليه من امر الخلافة في الحديث الذي نحن فيه ويشهد لذلك
المسند ذلك الذي وصله حديث الخلافة فقال لو استخلفت عليكم فعصيتموه عذبتم ولكن
ما حدثكم حذيفة وحذيفة هو الذي يروي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين
من بعدي ولم ار في التعريض بالخلافة في سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم اوضح من
هذين الحديثين ولا اصح من حديث ابي سعيد سد واغلق كل خوخة الا خوخة ابي بكر رضي
الله تعالى عنه ثم قوله بعد وتمسكوا بعهد ابن ام عبد الخلافة [illegible] تمسكوا فانه لو لا والعا

لابد

لابد من وجوده على التقديرين رواه الترمذي الرواية الاولى رواه الترمذي من حديث ابن مسعود
وقال غريب لا نعرفه الا من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل وهو يضعف في الحديث والرواية الثانية
رواها الترمذي ايضا لكن من حديث حذيفة قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال
لا ادري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي واشار الى ابي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار
وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه وقال حديث حسن نقله ميرك عن التصحيح اقول
وحديث حذيفة رواه احمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وفي الجامع الصغير
اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر رواه احمد والترمذي وابن ماجه ثم اورد الحديث
الذي في المشكاة وقال رواه الترمذي عن ابن مسعود والروياني عن حذيفة وابن عدي
عن انس وعن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو كنت مؤمرا وفي نسخة زيادة احدا اي انه مفعوله وهو بتشديد الميم المكسورة اي جاعلا احدا
اميرا يعني امير جيش بعينه وفي رواية لو كنت مستخلفا من غير مشورة بفتح فسكون
ففتح وفي نسخة بفتح فضم والوجهان في الصحاح وفي القاموس مشورة مفعلة لا مفعولة
يعني كمقوله لامرت عليهم ابن ام عبد رواه الترمذي وابن ماجه وفي الجامع بلفظ لو كنت
مؤمرا على امتي احدا من غير مشورة منهم لامرت عليهم ابن ام عبد قال التوربشتي ومن
اي وجه روي هذا الحديث فلا بد ان يؤول على انه صلى الله عليه وسلم اراد به تاميره على
جيش بعينه واستخلافه في امر من اموره حال حياته ولا يجوز ان يحمل على غير ذلك
فانه وان كان من العلم والعمل بمكان وله الفضائل الجمة والسوابق الجليلة فانه لم يكن
من قريش فلا يحمل الا على الوجه الذي ذكرناه وعن خيثمة بفتح الخاء المعجمة وسكون
الياء التحتية وفتح المثلثة ابن ابي سبرة بفتح السين المهملة وسكون الباء
الموحدة قال المؤلف هو خيثمة بن عبد الرحمن بن ابي سبرة الجعفي وكان خيثمة من
كبار التابعين سمع عليا وابن عمر وغيرهما وعنه الاعمش ومنصور وعمرو بن مرة وكان
ما لا الف فانفقه على العلماء قال اتيت المدينة فسالت الله ان ييسر لي
جليسا صالحا اي مجالسا يصلح ان يجلس معه ويستفاد من مجالسته فيسر لي ابا
هريرة فجلست اليه فقلت اني سالت الله ان ييسر لي جليسا صالحا فوفقت
لي اي جعلت انت من الله تعالى او تقربي بمجالستك فقال من اين انت قلت من اهل الكوفة
جئت التمس الخير اي العلم المقرون بالعمل المعبر عنه بالحكمة التي قال الله تعالى فيها ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقد يقال الخير خير منا [illegible] واطلبه عطف
تفسير يفيد بيان المبالغة فقال اليس فيكم اي في بلدكم سعد بن مالك وهو سعد
ابن ابي وقاص مجاب الدعوة وقد تقدم ذكره وبيان اجابة دعوته وابن مسعود
صاحب طهور رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الطاء اي ما يتطهر به فانه كان
صاحب مطهرته ونعليه وكذا صاحب وساده ونحوها مما يدل على كمال خدمته وقربه
المنتجة لكمال معرفته وحسن ادبه وحذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسلمان صاحب الكتابين يعني الانجيل والقرآن فانه آمن بالانجيل
قبل نزول القرآن وعمل به ثم آمن بالقرآن ايضا وهو المعروف بسلمان الخير ولم يعرف
اسم ابيه سئل عنه فقال انا ابن الاسلام وكان ذا كلام من كتب فيه بعد الخوض وقد
سبق بعض ترجمته رواه الترمذي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نعم الرجل ابو بكر نعم الرجل عمر نعم الرجل ابو عبيدة بن الجراح وقد تقدم ذكرهم

نعم الرجل أسيد بن حضير بالتصغير فيهما قال المؤلف أنصاري أوسي كان ممن شهد العقبة
الثانية وكان بين العقبتين سنة شهد بدرا وما بعدها من المشاهد روى عنه جماعة من
الصحابة مات بالمدينة سنة عشرين ودفن بالبقيع نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس
بتشديد الميم نعم الرجل معاذ بن جبل وسبق ذكرهما نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح بفتح
الجيم وضم الميم قال المؤلف أنصاري خزرجي شهد العقبة وبدرا هو وأبوه عمرو وهو الذي
قتل مع معاذ بن عفراء أبا جهل ولهما ذكر في باب قسمة الغنائم روى ابن عبد البر عن ابن
إسحاق أن معاذ بن عمرو قطع رجل أبي جهل وصرعه قال وضرب ابنه عكرمة بن أبي جهل
يد معاذ فطرحها ثم ضربه معاذ بن عفراء حتى أثبته ثم تركه وبه رمق ثم وقف عليه عبد الله بن
مسعود واحتز رأسه حين أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتمس أبا جهل في
القتلى روى عنه عبد الله بن عباس مات في زمان عثمان رواه الترمذي وكذا النسائي
وقال أي الترمذي هذا حديث غريب وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن الجنة تشتاق اشتياقا كثيرا إلى ثلاثة أي أشخاص علي بالجر ويجوز رفعه
وعمار وسلمان قال الطيبي سبيل اشتياق الجنة إلى هؤلاء الثلاثة سبيل اهتزاز
العرش لموت سعد بن معاذ قلت ولعل وجه الاختصاص أن عليا وعمارا قتلا بين
طائفة عربية من أهل البغي والفساد والتعدي والعناد وقتلا على طريق الشهادة حتى
قتلا بين قتلى العباد وسلمان وقع في الغربة مدة كثيرة من الزمن وابتلي بالعبودية
والمحن رواه الترمذي وعن علي رضي الله تعالى عنه قال استأذن عمار على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ائذنوا له مرحبا بالطيب المطيب فيه مبالغة كظل ظليل رواه الترمذي
وكذا ابن ماجه وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خير عمار
بضم فتشديد تحتية أي ما جعل مخيرا بين أمرين إلا اختار أرشدهما وهو أصل الترمذي
أي أصله وفي نسخة صحيحة وهو أصل المصابيح أشدهما بالشين المعجمة أي أصعبهما قيل
هذا بالنظر إلى نفسه فلا ينافي رواية ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أيسرهما فإنه بالنظر
إلى غيره وفي نسخة أسدهما بالسين المهملة أي أصوبهما والأظهر في الجمع بين الروايات
أنه كان يختار أسهلهما وأصوبهما فإن ثبت ترجيحه وإلا فاختار أيسرهما رواه الترمذي وكذا
النسائي وابن ماجه وفي الجامع بلفظ أرشدهما قال ورواه الترمذي والحاكم وروى
ابن عساكر عن عائشة مرفوعا كم ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وعن أنس
قال لما حملت جنازة سعد بن معاذ أي لما حملها الناس ورأوها خفيفة قال المنافقون
ما أخف جنازته قالوا للتعجب وذلك أي استخفافهم واستخفافه لحكمه في بني قريظة
أي بأن تقتل المقاتلة وتسبى الذرية فنسبه المنافقون إلى الجور والعدوان وقد
شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالإصابة في حكمه بقوله بحكم الملك فبلغ ذلك
أي كلامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الملائكة كانت تحمله أي ولذا كانت
جنازته خفيفة على الناس وأيضا ثقل الميت يشعر بتثقله إلى الذنب وخفته إلى
فوق شأنه للمولى وسرعة طيران روحه إلى المقصد الأعلى قال تعالى ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون قال الطيبي كانوا يريدون بذلك حقارته وازدراءه
فأجاب صلى الله عليه وسلم بما يلزم منه تلك الخفة تعظيم شأنه وتفخيم أمره رواه الترمذي
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما أظلت الخضراء أي السماء ولا أقلت بتشديد اللام أي حملت ورفعت الغبراء أي الأرض أصدق

من أبي ذر مفعول أقلت وصفة للأحد المقدر وهو نوع من التنازع والمراد بهذا الخضراء التأكيد
والمبالغة في صدقه لا أنه أصدق من غيره مطلقا إذ لا يصح أن يقال أبو ذر أصدق من أبي بكر
رضي الله عنه وهو صديق هذه الأمة وخيرها بعد نبيها وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم
أصدق من أبي ذر ويحتمل كذا أنا لو أريد أنه صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء مستثنى شرعا
وأما الصديق فكثرة تصديقه لا يمنع أن يكون أحد أصدق في قوله وقد جاء في الحديث أرحم
أمتي وأقضاكم علي ولا يبدع أن يكون في المفضول ما لا يوجد في الفاضل أو يشترك هو والأفضل
في صفة من الصفات في وجه التسوية رواه الترمذي وعن أبي ذر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة بفتح فسكون وقيل
بفتحتين وهي اللسان وقيل طرفه والمعنى من ذي نطق وقيل لهجة اللسان ما ينطق
به أي من صاحب كلام أصدق أي أكثر صدقا ولا أوفى أي بكلامه من الوعد والعهد من أبي
ذر قال الطيبي من زائدة وذي لهجة معمول أقلت وتنازع فيه العاملان فأعمل الثاني
وهو مذهب البصريين وهذا دليل ظاهر لهم كقوله تعالى يستغفر لكم رسول الله لووا
لو أعمل الأول لنصب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت هذا أصدق في الحديث صفة
موصوف محذوف أي ولا أقلت الغبراء واللهجة أصدق قلت الموصوف الذي ذكر
بعينه مذكور ولكنه يحتاج إلى موصوف آخر لتقدير ولا أقلت الغبراء أحدا واللهجة
أصدق ثم قوله لو أعمل الأول لنصب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه مسامحة
لأن تعالوا فعل لازم متعد بنفسه بل بحرفه كما في قوله تعالى يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة لا الظاهر
أن متعلقه محذوف للاكتفاء بظهوره فلا يكون من هذا الباب والله أعلم بالصواب
شبيه عيسى ابن مريم بالجر بدل أي شبيهه وفي الجامع شبيه من الحديث من سره أن
ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى أبي ذر انتهى فالتشبيه يكون من جهة التواضع
فقول الراوي يعني في الزهد مبني على عدم اطلاعه للحديث المذكور مع أنه لا منافاة
بين أن يكون متواضعا وزاهدا بل الزهد هو الموجب للتواضع ثم قوله يعني في الزهد ليس
في المصابيح وإنما هو من زوائد صاحب المشكاة رواه الترمذي قال ميرك وزاد فيه
فقال عمر بن الخطاب أفنعرف ذلك له قال نعم فاعرفوه له انتهى والحديث رجاله موثقون
وفي الجامع رواه أحمد والترمذي وأبو داود والحاكم في مستدركه عن ابن عمرو ما أظلت
الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر قال التوربشتي قوله أصدق من أبي
ذر مبالغة في صدقه لا أنه أصدق من كل على الإطلاق لأنه لا يكون أصدق من أبي بكر
بالإجماع فيكون عاما قد خص قال الطيبي يمكن أن يراد به أنه لا يذهب إلى التورية والمعاريض
في الكلام فلا يرخي عنان كلامه ولا يحابي مع الناس ولا يسامحهم ويظهر الحق البحت
والصدق المحض ومن ثم عقبه بقوله ولا أوفى أي يوفي حق الكلام إيفاء لا يغادر شيئا
منه وقد روى الإمام أحمد عن أبي ذر أنه استأذن على عثمان فأذن له وبيده عصاه فقال
عثمان يا كعب إن عبد الرحمن توفي وترك مالا فما ترى فيه فقال إن كان يصل فيه حق الله
تعالى فلا بأس عليه فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما أحب لو أن لي هذا الجبل ذهبا أنفقه ويتقبل مني أذر خلفي منه ست أواق
أنشدك بالله يا عثمان أسمعته ثلاث مرات قال نعم وروى ابن عبد البر أن عثمان استقدمه
لشكوى معاوية منه فأسكنه الربذة فمات بها وقال علي في حقه ذاك رجل وعى علما عجز عنه
الناس ثم أوكى عليه وعن معاذ بن جبل أنه لما حضره الموت قال التمسوا العلم أي علم

الكتاب والسنة او علم الحلال والحرام وهو الاظهر لقوله صلى الله عليه وسلم اعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وبهذا يظهر ايضا وجه الخصوصية عند ازلفة اي من الرجال عند عويمر تصغير عامر ابي الدرداء قال المؤلف هو عويمر بن عامر الانصاري الخزرجي واشتهر بكنيته وبالدرداء ابنته تاخر اسلامه قليلا وحسن اسلامه وكان فقيها عالما سكن الشام ومات بدمشق سنة اثنتين وثلاثين وعند سلمان وعند ابن مسعود وعند عبد الله بن سلام الذي كان يهوديا فاسلم بتخفيفه كما سبق قال الطيبي لعل تخصيصه ثم تقييده بعبد الله لانه لا يشارك في اسمه غيره بل هو مدح له في المؤمنية بالاشارة الى العلم منه ثم جمع بينا لكن بين فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه اي عبد الله بن سلام عاشر عشرة في الجنة اي مثل عاشر عشرة ابو يوسف ابو حنيفة اذ ليس من العشرة المبشرة كذا ذكره ميرك وهو الطيبي والمعنى يدخل بعد تسعة نفر من الصحابة في الجنة ذكره السيد جمال الدين وفيه انه يلزم تقدمه على بعض العشرة فلعل المعنى انه عاشر الذين اسلموا من اليهود واما على الفرق المبشرة فيدخل الجنة بعد تسعة من الصحابة والله اعلم رواه الترمذي وكذا النسائي

وعن حذيفة قال قالوا اي بعض الصحابة بعد ما ظننا عدم الاستخلاف يا رسول الله لو استخلفت اي اذا استخلفت شخصا ثم يكون وقال الطيبي لو هذه للتمني اي ليتك او الامتناعية وجوابه محذوف اي لكان خيرا انتهى وفيه انه نوع اعتراض قال ان استخلفت عليكم اي احدا فعصيتموه اي استخلافه او مستخلفي عذبتم اي عذابا شديدا قال الطيبي عذبتم جواب الشرط ويجوز ان يكون مستانفا والجزاء فعصيتموه والاول اوجه لما يلزم من الثاني ان يكون الاستخلاف اي سببا للعصيان والمعنى ان الاستخلاف المستلزم للعصيان سبب للعذاب وقوله ولكن ما حدثكم حذيفة فصدقوه وما اقرأكم عبد الله اي ابن مسعود فاقرؤه من الاسلوب الحكيم لانه زيادة في الجواب كانه قيل لا يهمكم استخلافي فدعوه ولكن يهمكم العمل بالكتاب والسنة فتمسكوا بهما وخص حذيفة لانه كان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم حذرهم من الفتن الدنيوية وعبد الله بن مسعود لانه كان يحذرهم من الامور الاخروية انتهى والاظهر انه استدراك من مفهوم ما قبله والمعنى ما استخلف عليكم احدا ولكن الخ ثم وجه اختصاصهما بهذا المقام انهما شاهدان في صحة خلافة الصديق في ما تقدم والله اعلم ونفيه الاستخلاف في الخلافة دون العبادة لئلا يترتب على الاباء منه المعصية الموجبة للتعذيب بخلاف الاولى فانه ينبغي للاجابة بحال رواه الترمذي قال ميرك وفي اسناده شريك وفيه مقال قلت واخرجه ابن السمان عن حذيفة ولفظه قالوا يا رسول الله الا تستخلف قال ان استخلفت عليكم فعصيتم خليفتي نزل العذاب بكم قالوا الا تستخلف ابا بكر قال ان تستخلفوه تجدوه قويا في امر الله ضعيفا في نفسه قالوا الا تستخلف عمر قال ان تستخلفوه تجدوه قويا في دين الله قويا في بدنه قالوا الا تستخلف عليا قال ان تستخلفوه تجدوه هاديا مهديا يسلك بكم الطريق المستقيم

وعنه اي عن حذيفة قال ما احد من الناس تدركه الفتنة اي البلية الا انا اخافها عليه الا محمد بن مسلمة بكسر فسكون ففتح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اي مخاطبا له لا تضرك الفتنة قال المؤلف انصاري شهد المشاهد كلها الا تبوك روى عنه عمر وغيره من الصحابة وكان من فضلاء الصحابة وكان من الذين اسلموا في يد مصعب بن عمير بالمدينة ومات بها سنة ثلاث واربعين وهو ابن سبع وسبعين سنة رواه هنا بياض في اصل المصنف وكتبوا فيه

رواه

رواه ابو داود وسكت عنه واقره عبد العظيم

وعن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم راى في بيت الزبير اي ابن العوام مصباحا اي سراجا فقال يا عائشة ما ارى بضم الهمزة وفتح الراء اي ما اظن اسماء اي اخت عائشة زوجة الزبير الا قد نفست بضم النون وكسر الفاء وقد تفتح النون اي ولدت وصارت ذات نفاس ولا تسموه بالواو وفي المصابيح فلا تسموه وهو بصيغة الخطاب تغليبا للحاضر على الغائب والضمير للمولود حتى اسميه فسماه عبد الله وحنكه بتمرة بتشديد النون يقال حنكت الصبي اذا مضغت تمرا او غيره ثم دلكته حنكه والسنة انه اذا ولد لاحد ولد ان يطلب من شريف القوم ان يسمي ذلك الولد ويحنكه بتمرة او عسل ونحوهما من الحلاوة تبركا بتراثه قال المؤلف هو اسدي قرشي كناه النبي صلى الله عليه وسلم بكنية جده لامه ابي بكر الصديق وسماه باسمه وهو اول مولود ولد في الاسلام للمهاجرين بالمدينة اول سنة من الهجرة واذن ابو بكر في اذنه ولدته امه اسماء بقبا واتت به النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره فدعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه وحنكه فكان اول شيء دخل في جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا له وبرك عليه وكان اطلس لا شعر له في وجهه كان كثير الصيام والصلاة شهما ذا انفة شديد البأس قائلا بالحق وصولا للرحم اجتمع له ما لم يجتمع لغيره ابوه حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وامه اسماء بنت الصديق وجده الصديق وجدته صفية عمة النبي صلى الله عليه وسلم وخالته عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان سنين قتله الحجاج بن يوسف بمكة وصلبه يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الاخرة سنة ثلاث وسبعين وكان بويع له بالخلافة سنة اربع وستين وكان قبل ذلك لا يخاطب بالخلافة فاجتمع في طاعته اهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وغير ذلك ما عدا الشام ومر وبعضه وحج بالناس ثماني حجج روى عنه خلق كثير رواه الترمذي

وعن عبد الرحمن بن ابي عميرة بفتح فكسر مدني صحابي كذا ذكره ميرك وقال المؤلف مدني وقيل انه مضطرب الحديث لا يثبت في الصحابة قال ابن عبد البر وهو شامي روى عنه نفر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لمعاوية في النطاق والمتبادر من الاطلاق انه معاوية بن ابي سفيان والا فمعاوية بن الحكم ومعاوية بن حيدة ايضا من الصحابة على ما ذكره المؤلف في اسماء رجاله اللهم اجعله هاديا اي للناس او دالا على الخير مهديا بفتح الميم وتشديد الياء اي مهتديا في نفسه واهد به اي بمعاوية الناس فيه تاكيد لمعنى الهداية المتعدية اعلم ان الهداية اما مجرد الدلالة او هي الدلالة الموصلة الى البغية قال الامام محمد بن اسمعيل البخاري يهديهم دللناهم على الخير والشر كقوله تعالى وهديناه النجدين والهدى الذي للارشاد بمعنى الاسعاد من ذلك قوله سبحانه اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال غيره معنى الهداية في اللغة الدلالة هداه في الدين يهديه اذا دله على الطريق والهدى يذكر لحقيقة الارشاد ايضا ولهذا جاز النفي والاثبات قال الله تعالى انك لا تهدي من احببت وقال تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم قال الطيبي لو حمل قوله هاديا على المعنى الاول كان قوله مهديا تكميلا له لانه رب هاد لا يكون مهديا وقوله واهد به تتميما لان الذي يهدي لا يلزم ان يهتدى به كل احد فكان تتميما واذا ذهب الى المعنى الثاني كان مهديا تاكيدا وقوله واهد به تكميلا يعني انه كامل مكمل ولا ارتياب ان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم مستجاب فمن كان هذا حاله كيف يرتاب في حقه قال المؤلف ومن اراد زيادة بيان في معنى الهداية فعليه بفتوح الغيب فان فيه ما يكفيه قال المؤلف في

اموي وامه هند بنت عتبة كان هو وابوه من مسلمة الفتح ثم من المؤلفة قلوبهم وهو احد
الذين كتبوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الكمال لم يكن من الوحي شيئا انما كان يكتب له
كتبه روى عنه ابن عباس وابو سعيد تولى الشام بعد اخيه يزيد في زمن عمر ولم يزل بها
متوليا حاكما الى الزمان وذلك اربعون سنة منها في ايام عمر اربع سنين او نحوها ومدة
خلافة عثمان وخلافة علي وابنه الحسن وذلك تمام عشرين سنة ثم استوثق له الامر بتسليم
الحسن بن علي اليه في سنة احدى واربعين ودام له عشرين سنة ومات في دمشق وله ثمان
وسبعون سنة وكان اصابته لقوة في اخر عمره وكان يقول في اخر عمره يا ليتني كنت رجلا
من قريش بذي طوى ولم ار من هذا الامر شيئا وكان عنده ازار رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورداؤه وقميصه وشيء من شعره واظفاره فقال كفنوني في قميصه وادرجوني
في ردائه وازروني بازاره واحشوا منخري وشدقي ومواضع السجود مني بشعره
وظفره وخلوا بيني وبين ارحم الراحمين رواه الترمذي وعن عقبة بن عامر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم الناس التعريف فيه للعهد والمعهود مسلمة
الفتح من اهل مكة وآمن عمرو بن العاص اي قبل الفتح بسنة او سنتين طائعا راغبا
مهاجرا الى المدينة فقوله صلى الله عليه وسلم هذا تنبيه على انهم اسلموا رهبة وآمن عمرو
رغبة فان الاسلام يحتمل ان يشوبه كراهة والايمان لا يكون الا عن رغبة وطواعية
كذا ذكره الطيبي وغيره وقال ابن الملك انما خصه بالايمان رغبة لانه وقع اسلامه
في قلبه في الحبشة حين اعترف النجاشي بنبوته فاقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
مؤمنا من غير ان يدعوه احد اليه فجاء الى المدينة في الحال ساعيا فاخذ من يد النبي صلى الله
عليه وسلم على جماعة فيهم الصديق والفاروق وذلك لانه كان ذنبا لعا فكان اسلامه في بدايته
النبي صلى الله عليه وسلم واهلا لاصحابه فلما امن اراد صلى الله عليه وسلم ان يزيل عن
قلبه اثر تلك الوحشة المتقدمة منزجيا من جهته ولا ييأس من رحمة الله تعالى رواه
الترمذي وقال هذا حديث غريب وليس اسناده بالقوي وعن جابر قال لقيني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا جابر ما لي اراك منكسرا اي منكسر البال والخاطر يعني
مهموما حزينا مغموما قلت استشهد ابي وترك عيالا اي كثيرا ودينا اي ثقيلا فاجتمع
اسباب الحزن قال افلا ابشرك بما لقي الله به اباك قلت بلى يا رسول الله قال
ما كلم الله احدا قط اي من الشهداء ايماء الى انه بخصوصه افضل من سائر الشهداء
الماضين حيث ما كلم الله احدا منهم الا من وراء حجاب فيه اشارة الى قوله تعالى وما
كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب الاية مقيد بالدنيا لقوله واحيا
اباك فكلمه كفاحا بكسر الكاف اي مواجهة في النهاية اي مواجهة ليس بينهما
حجاب ولا رسول وقال شارح اي كلم اباك من غير واسطة بينه وبين الله تعالى
فان قلت كيف الجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى بل احياء عند ربهم لان الشهداء
هم احياء فكيف يحيي الحي فقال الاظهر ان يجعل الله تعالى تلك الروح في جوف طير خضر
فاحيا ذلك الطير بتلك الروح فصح الاحياء او اراد بالاحياء زيادة قوة روحه فشاهد
الحق بتلك القوة قال الطيبي وهذا الجواب الفاضل من الاسلوب الحكيم اي لا تهتم
بشان ابيك ودينه ما اهم عياله وقضاء دينه فان الله تعالى يقضي عنه دينه ببركة نيته
ويلطف بعياله ولكن ابشرك بما هو فيه من القرب عند الله تعالى سبحانه وما لقيه به
من الكرامة والمنحة قال يا عبدي اي تمن علي اي ما تريد اعطك اي اياه مع المزيد

قال يا رب تحييني فاقتل فيك ثانية اي استشهد في سبيلك مرة اخرى ليكون وسيلة الى زيادة
مرضاة المولى قال الرب تعالى انه قد سبق مني انهم اي الاموات لا يرجعون اي الى الدنيا بحيث
انهم يعيشون فيها مدة طويلة يعملون فيها الطاعات فلا ينافيه وقوع احياء بعض الاموات لعيسى
وغيره ولا يظهر ان الضمير راجع الى الشهداء ومعناه لا يرجعون بالتناسخ وتسميتهم فلا يشكل
بتشهيد الرجال ايضا وقال السيد جمال الدين قوله انهم اي اهل احد ومطلق الشهداء لئلا يشكل
بقصة عزير فنزلت اي في حقه واصحابه من شهداء احد ولا تحسبن بالخطاب مع فتح السين
وكسرها اي لا تظنن ايها المخاطب وفي قراءة بالغيبة اي لا يحسبن حاسب الذين قتلوا وفي
رواية قتلوا بالتشديد اي استشهدوا في سبيل الله امواتا مفعول ثان الاية يعني بل احياء
عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من
خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل اي للمجاهدين وان الله لا يضيع
اجر المؤمنين رواه الترمذي وقال حسن غريب وعنه اي عن جابر رضي الله تعالى عنه قال
استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين مرة يحتمل ان يكون في مجالس
او مجلس ويؤيد الاول قوله رواه الترمذي حيث لفظه استغفر لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة البعير خمسا وعشرين مرة وقال حديث حسن وقصة البعير سبقت قال
المؤلف جابر بن عبد الله كنيته ابو عبد الله الانصاري السلمي من مشاهير الصحابة واحد
المكثرين من الرواية شهد بدرا وما بعدها مع النبي صلى الله عليه وسلم ثماني عشرة غزوة
وقدم الشام ومصر وكف بصره في اخر عمره روى عنه خلق كثير مات بالمدينة سنة اربع وسبعين
وله اربع وتسعون سنة وهو اخر من مات بالمدينة من الصحابة في قول واما ابوه فيذكره
المؤلف في اسمائه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم من اشعث اي متفرق
شعر الراس اغبر اي متغير البدن ذي طمرين بكسر فسكون اي صاحب ثوبين خلقين لا يؤبه
بضم الياء وسكون الواو وقد يهمز وفتح الموحدة في النهاية اي لا يبالي به ولا يلتفت اليه لحقارته
ويقال ما وبهت له بفتح الباء وكسرها وبها وبها بالسكون والفتح واصله الواو والهمز فيه
والمفهوم من القاموس ان الهمز قال ابن الملك كم خبرية مبتدا ومن مبين لها وخبره لا يؤبه
انتهى والظاهر ان الخبر هو قوله لو اقسم على الله لابره اي لامضاه على الصدق وجعله
بارا في الحلف منهم البراء بن مالك وهو اخو انس شهد احدا وما بعدها من المشاهد وكان
من الابطال الاشداء قتل من المشركين مائة مبارزة سوى من شارك فيه ولم يذكره المؤلف
في اسمائه رواه الترمذي والبيهقي في دلائل النبوة وكذا الضياء وعن ابي سعيد قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم الا للتنبيه ان عيبتي اي خاصتي التي اوي اليها وارجع اليهم
اهل بيتي وان كرشي اي بطانتي الانصار فاعفوا عن مسيئهم واقبلوا وفي نسخة من محسنهم
والضمير راجع الى الصنفين من اهل البيت والانصار في حد قوله تعالى هذان خصمان اختصموا
ويحتمل ان يرجع الى الاخير والاول يفهم بالطريق الاولى رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن
وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يبغض الانصار اي جميعهم او جنسهم
احد يؤمن بالله واليوم الاخر رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وعن انس عن
ابي طلحة اي زوج امه قال قال لي اي بخصوصي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرئ بفتح الهمزة
وكسر الراء وفي نسخة في المصابيح بكسر همز وفتح راء اي ابلغ قومك السلام في النهاية يقال
اقرئ فلانا السلام واقرا عليه السلام كانه حين يبلغه سلامه يحمله على ان يقرا السلام
وفي المغرب اقرا سلامي على فلان فلانا وقرا سلامي وفي القاموس قرا عليه السلام ابلغه

كما قرأه او لا يقال اقرأه الا اذا كان السلام مكتوبا وفي الصحاح فلان قرأ عليك السلام واقرأك
السلام بمعنى واقرأه القرآن فهو مقرئ وفي المصباح قرأت على زيد السلام اقرأه عليه قراءة واذا
امرت منه قلت اقرأ عليه السلام قال الاصمعي وتعديته خطأ فلا يقال اقرأه السلام
لانه بمعنى اتله عليه وحكى ابن القطاع انه يتعدى بنفسه رباعيا فيقال فلان يقرئك السلام
اي قرئك ما علمت ما موصولة اي بما في ما علمته فيهم من الصفات الحسنة بفتح فكسر فسكون
جمع شفيف وفي جراد وما علمت معترضة [illegible] جمع [illegible] وفي نسخة
بضم فتشديد مفتوحة [illegible] قال الطيبي ما موصولة والخبر محذوف اي الذي علمت
منهم انهم كذلك يتعففون في السؤال ويتحملون الصبر عند القتال وهو مثل ما في الحديث
يقلون عند الطمع ويكثرون عند الفزع وقال [illegible] انهم يتعففون عن
ويتحملون مؤنة على [illegible] رواه الترمذي وعن
جابر ان عبدا لحاطب اي ابن ابي بلتعة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا اليه فقال
يا رسول الله ليدخلن حاطب النار اي لكثرة ما ظلمني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كذبت اي حيث جزمت واكدته لا يدخلها فانه قد شهد بدرا والحديبية اي ومن حضرهما لا يدخل
النار [illegible] خطابه في شأنه بقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء الاية رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية اي قوله تعالى وان تتولوا اي ان تعرضوا وتنصرفوا وتدبروا عن
الايمان بمحمد ونصرة دينه يستبدل اي الله قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم بل يكونوا خيرا منكم
قالوا اي بعض الصحابة من هؤلاء الذين ذكر الله ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا
[illegible] ابن الملك حيث قال الخطاب لمن [illegible] فضرب اي النبي صلى الله عليه وسلم
بيده على فخذ سلمان الفارسي ثم قال هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا
لتناوله رجال من الفرس بضم فسكون اي طائفة العجم مطلقا او من يكون [illegible] فارس بلاد
[illegible] الحديث الذي يليه رواه
الترمذي وعنه اي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال ذكرت الاعاجم عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي بالمدح او الذم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانا بهم او ببعضهم
شك من الراوي [illegible] اوثق اي ارجى في
الاعتماد [illegible] مني بكم او ببعضكم [illegible]
[illegible] مؤمنين ومن قوله
ولو جعلناه قرانا اعجميا [illegible]
المظهر انا مبتدأ واوثق خبره [illegible]
في بكم [illegible]
[illegible]
قال الطيبي [illegible] العطف على التقدير
والمخاطبون بقوله بكم او ببعضكم قوم مخصوصون دعوا الى الانفاق في سبيل الله فتثاقلوا
عنه فهو كالتأنيب والتعيير عليهم [illegible] وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم [illegible] ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من
يبخل ومن يبخل [illegible]
في سبيل الله خير لكم تدعون اليه [illegible] فاذا [illegible] يستبدل

الله قوما غيركم [illegible] واموالهم في سبيل الله ولا يكونوا امثالكم في الشح البالغ فهو
[illegible] الانفاق [illegible] التفضيل [illegible] مراده انه لا يلزم التفضيل مطلقا
فهو خلاف الكتاب والسنة مع ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وان كان مراده انه
لا يلزم التفضيل المطلق فهو صحيح اذ يدل على انهم في بعض الصفات افضل من العرب
ولا بدع اذ يوجد في المفضول زيادة فضيلة بالنسبة الى بعض الفضائل [illegible]
العرب افضل من جنس العجم بلا شبهة وانما الكلام في بعض الافراد والله اعلم بالعباد
رواه الترمذي
الفصل الثالث عن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي سبعة نجباء رقباء باضافة سبعة [illegible]
والنجيب هو الكريم المختار والرقيب الحافظ [illegible] والمراد بهم المرجود [illegible]
[illegible] لقوله واعطيت انا اربعة عشر [illegible] اي نجيبا رقيبا [illegible] قلنا من هم اي الاربعة
عشر قال انا قال الطيبي [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] رضي الله تعالى عنه
يعني [illegible] بالمعنى اي منقوله انا وابناي اي الحسنان وجعفر اي اخو علي وحمزة قال
المؤلف حمزة بن عبد المطلب كنيته ابو عمارة [illegible] عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخوه من الرضاعة ارضعتهما ثويبة مولاة ابي لهب [illegible] اسد الله اسلم قديما في السنة
الثانية من المبعث [illegible] كان اسلام حمزة بعد دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم
دار الارقم في السنة السادسة [illegible] الاسلام باسلامه وشهد بدرا واستشهد يوم
احد قتله وحشي بن حرب وكان اسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم باربع سنين
قال ابن عبد البر ولا يصح هذا عندي لانه رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يكون
ثويبة ارضعتهما في زمانين [illegible] كان اسن منه بسنتين [illegible]
[illegible] انتهى وابو بكر وعمر ومصعب بن عمير وبلال وسلمان وعمار وعبد الله بن مسعود
وابو ذر والمقداد وقد تقدم تراجمهم [illegible] رواه الترمذي وعن خالد بن الوليد
قال المؤلف مخزومي وامه لبابة الصغرى اخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
وكان احد اشراف قريش في الجاهلية سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله مات
سنة احدى وعشرين واوصى الى عمر بن الخطاب [illegible] عنه ابن خالته ابن عباس وعلقمة
وجبير بن نفير قال كان بيني وبين عمار بن ياسر كلام اي مكالمة في معاملة فاغلظت له في
القول فانطلق عمار يشكوني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء خالد قال الطيبي
هذا كلام الراوي عن خالد وقال محذوف يدل عليه قوله بعده قال خالد فخرجت وقال ميرك
يحتمل ان يكون من كلام خالد على الالتفات وهو اي عمار يشكوه اي خالدا الى النبي صلى الله
عليه وسلم قال اي الراوي فجعل اي خالد يغلظ له اي لعمار في الكلام ولا يزيده اي خالد عمار
الا غلظة اي شدة في الغضب والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم تاكيد لما قبله
فبكى عمار اي من قلة صبره وكثرة غضبه ورأى انه صلى الله عليه وسلم خاطر اسد كانه
متفكر في امره فتضرع اليه وقال اي عمار يا رسول الله الا تراه اي الا تعلم خالدا فيه يقول
[illegible] من الغلظة فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه وقال من عادى عمارا عاداه
الله ومن ابغض عمارا ابغضه الله قال خالد فخرجت [illegible] صلى الله
عليه وسلم [illegible] فما كان شيء
احب الي من رضى عمار [illegible] فلقيته [illegible]
[illegible] رضي الله تعالى عنهما وعن ابي عبيدة

الفصل الثالث

اي ابن الجراح ان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خالد سيف الله اي كيف سله على
المشركين وسلطه على الكافرين اوذو سيف من سيوف الله عز وجل اي حيث قاتل قتالا شديدا
في سبيل الله مع اعاديه وقال الطيبي هو من باب قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون
الا من اتى الله بقلب سليم جعل باب ذي جنس السيوف لتعيين متعارف وعين نوع خالد من احد نوعيه
انتهى والظاهر انه اذا جعل الاستثناء من هذا القبيل لزم ان يكون الاستثناء منقطعا اي لكن من اتى الله بقلب
سليم فانه ينفعه سلامة قلبه في ذلك اليوم او المضاف مقدر اي الا مال وابن من اتى الله
فالاستثناء متصلا والتقدير يوم لا ينفع مال ولا بنون احدا الا من اتى الله بقلب سليم
ونعم فتى العشيرة اي قبيلة بني مخزوم والمخصوص بالمدح محذوف اي هو رواه اي الحديثين احمد
وفي الجامع خالد بن الوليد سيف من سيوف الله رواه البغوي عن عبد الله بن جعفر وروى
ابن عساكر عن عمر بن نوح خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على المشركين وروى
الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس خالد بن الوليد سيف الله وسيف رسوله وحمزة
اسد الله واسد رسوله وابو عبيدة بن الجراح امين الله وامين رسوله وحذيفة بن اليمان
من اصفياء الرحمن وعبد الرحمن بن عوف من تجار الرحمن عز وجل وعن بريدة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى امرني بحب اربعة اي على الخصوص واخبرني
انه سبحانه وتعالى يحبهم قيل يا رسول الله سمهم لنا اي بين تعيينهم ايضا نتبعك في المحبة
الله ورسوله قال علي منهم وفي نسخة الجامع منهم علي يقول ذلك ثلاثا اي يكرر علي لانه
افضلهم او محبته اكثر ثم ثلاثتهم ابو ذر والمقداد وسلمان قال امرني بحبهم واخبرني انه يحبهم هذا
ولكنه مفيد لتاكيد ما سبق رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب ولفظ الجامع ان
الله تعالى امرني بحب اربعة واخبرني انه يحبهم علي منهم وابو ذر والمقداد وسلمان رواه احمد
الترمذي وابن ماجه والحاكم في مستدركه وعن جابر قال كان عمر يقول ابو بكر سيدنا
اي خيرنا وافضلنا واعتق اي ابو بكر سيدنا يعني بلالا يريد عمر بقوله سيدنا الثاني بلالا وانما قاله
تواضعا فان عمر افضل منه اجماعا وكان بلال من السابقين الى الاسلام ولم يزل [illegible]
وقد يقال السيد الاول حقيقة والثاني تواضعا في سبيل المجاز اذ السيادة لا تثبت
الا بالفضيلة وقد قال ابن عمر ما رايت اسعد منه وقيل على انه اراد ابا بكر وعمر كذا ذكره العسقلاني
في فتح الباري والظاهر انه قال ابن عمر بعد الخلفاء الاربعة فالمراد اسود في زمانه رواه البخاري
وعن قيس بن ابي حازم قال المؤلف هو احمسي بجلي ادرك زمن الجاهلية واسلم وجاء الى النبي صلى
الله عليه وسلم ليبايعه فوجده توفي فبايع ابا بكر نزل الكوفة روى عن العشرة الا عبد الرحمن
ابن عوف وعن جماعة كثيرة سواهم من الصحابة وليس في التابعين من روى عن العشرة
الا هو وروى عنه جماعة كثيرة من الصحابة وانا بعينه شهد النهروان مع علي بن ابي
طالب وطال عمره حتى جاز المائة ومات سنة ثمان وتسعين ان بلالا قال لابي بكر اي حين
اراد التوجه الى الشام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لعدم صبره على دخول المسجد
النبوي بغير حضوره صلى الله عليه وسلم وعدم القدرة في الاذان فيه ولا على تركه في زمن
غيره وسيجيء انه صار سيد الابدال وتخلص غالبا هو ان ثم ومنعه ابو بكر رضي الله عنه
اي من الخروج بالالزام على المجاورة مع اختيار الاذان ان كنت انما اشتريتني لنفسك اي
لرضاك وموافقة هواك فامسكني اي احكم علي بالقعود وان كنت انما اشتريتني لله عز وجل
اي فاتركني وعمل الله اي العمل الذي اختاره الله او العمل الذي قدره الله وقضاه واما حديث
رحيل بلال ثم رجوعه الى المدينة بعد رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام واذانه بها ورجع

المدينة فلا اصل له وهي بينة الوضع ذكره السيوطي في الذيل رواه البخاري وعن ابي هريرة رضي
الله تعالى عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود اي فقير اصابه الجهد
وهو المشقة والحاجة وازار الجوع فارسل اي النبي عليه السلام الى بعض نسائه اي من الازواج الطاهرات
فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي اي من الماكول والمشروب الا ماء ثم ارسل الى اخرى فقالت
مثل ذلك اي وهكذا في ارساله الى كل واحدة منهن وقلن كلهن مثل ذلك ولعل هذا كان في اول
الحال قبل ان يفتح خيبر وغيرها وتحصل الغنائم والاموال فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من يضيفه من باب التفعيل وفي نسخة من باب الافعال ومن موصولة مبتدا
خبره جملة قوله يرحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة وهو زيد بن سهل الانصاري
زوج ام انس بن مالك وسبق ذكره فقال انا اي اضيفه يا رسول الله فانطلق به الى رحله
اي منزله فقال لامراته وهي ام انس هل عندك شيء اي من الطعام قالت لا الا قوت صبياني
بالرفع وقيل بالنصب اي الا قوت الصغار فانهم يجوعون في كل ساعة من الليل والنهار
والا في المعلوم انه لا يجوز اجاعة الصبيان واضاعتهم واطعام الضيفان واطاعتهم
قال فعلليهم اي سكتيهم من علله بشيء اي الهاه به ونوميهم اي رقديهم وكانه قصد انهم لئلا يريدوا
اكل الضيف فيشتهوا كما هو عادة الاولاد فاذا دخل ضيفنا فاريه اي حقيقته لانها كانت
تحترز والضيف قبل الحجاب وأظهري انا انا جميعا ناكل اي من هذا الطعام فان الضيف اذا
راى احدا امتنع من الاكل ربما تشوش خاطره فاذا هوى اي قصد الضيف ليأكل
فقومي الى السراج كي تصلحيه اي لاصلاحه لكي تطفئيه فاطفئيه اي ليقع الطعام فلا يطلع
على امتناعنا من اكل الطعام فقعدوا اي لاجلهم واكل الضيف وباتا طاويين
اي جائعين فلما اصبح اي الضيف قال الطيبي هو هنا تامة وقوله غدا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم جواب لما وضمن فيه معنى الاقبال اي لما دخل في الصباح اقبل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم غاديا انتهى في اكثر النسخ المصححة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمعنى ذهب
الى رسول الله في الغدوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بنور الكشف او من طريق
الوحي لقد عجب الله او ضحك الله والمعنى رضي من فلان وفلانة اي ابي طلحة وامراته وفي رواية
مثله بالرفع وفي نسخة بالنصب اي مثل ما ذكر من الحديث المتقدم ولم يسم ابا طلحة اي في
هذه الرواية وفي اخرها فانزل الله تعالى ويؤثرون اي الاضياف واهم اوغيرهم على انفسهم حظوظها
ولو كان اي وقع بهم خصاصة اي حاجة ومجاعة قال الطيبي والجملة في موضع الحال ولو بمعنى الفرض
اي يؤثرون على انفسهم مفروضة خصاصتهم متفق عليه وعن ابي هريرة قال نزلنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم منزلا فجعل الناس يمرون اي علينا اي من كل جانب فيقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم من هذا يا ابا هريرة فاقول فلان اي باسمه او وصفه فيقول
نعم عبد الله هذا ويقول اي في ما رجع من هذا فاقول فلان فيقول بئس عبد الله هذا وهذا
من باب ما روى ابو يعلى وغيره مرفوعا اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس حتى ترائي استتر هذا
السؤال والجواب حتى مر خالد بن الوليد فقال من هذا فاقول خالد بن الوليد وفي هذا
اشعار بانه صلى الله عليه وسلم كان في خيمة وابو هريرة خارجها ولا انتهى خالد بن الوليد
لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم فقال نعم عبد الله اي هذا خالد بن الوليد سيف من سيوف
الله والتقدير نعم عبد الله خالد بن الوليد هو سيف من سيوف الله والجملة على التقدير
مبينة لسبب المدح رواه الترمذي وعن زيد بن ارقم قال قالت الانصار يا نبي الله لكل نبي
اتباع وانا قد اتبعناك بنفسنا يدل ان اي يا نبي اتباعك فادع الله ان يجعل اتباعنا

قال الطيبي لعا يستدعي محذوفا اي لكل نبي اتباع ونحن اتباعك لانا فدا تبعناك فادع الله ان يكون اتباعنا
منا اي متصلين بنا منتفين اثارنا باحسان كما قال تعالى والذين اتبعوهم باحسان فقال فيهم اتباع
الانصار رحلفا وهم الموالي والمعنى ادع الله ان يقال لهم الانصار حتى يتناولهم الوصية لهم باحسان
اليهم وغير ذلك فدعا اي النبي صلى الله عليه وسلم به ان يجعل اتباعهم رواه البخاري وغيره
تاني جابر مشهور سبق ذكره قال ما نعلم حيا اي ما نعرف قبيلة وقوما من احيا العرب اي من قبائلهم
اكثر شهيدا امنه حيا بعد صفة وكذا قوله اعز اي شهيدا يوم القيمة اي يتحققون فيه من الانصار
والجار متعلق بالا تعليب في التمييز قال اي قتادة وفي الجامع ما ذكره قال انس قتل منهم اي
من الانصار يوم احد سبعون ظاهره ان الجميع من الانصار وهو كذلك الا القليل اذ روي
ابن منده من حديث ابي انه قتل من الانصار يوم احد اربع وستون من المهاجرين وصححه ابن حبان
من هذا الوجه ويوم بير معونة بفتح فضم سبعون ويوم اليمامة في عهد ابي بكر سبعون
رواه البخاري وغيره قيس بن عباد قال كان اي في زمن الصديق عطا البدريين اي الذين
حضروا الغزوة ببدر خمسة الاف خمسة الاف كرره ليفيد ان لكل واحد منهم له خمسة الاف وقال
عمر لا فضلنهم على من بعدهم اي على غيرهم في المرتبة يعني كان شيئا نهم كلهم بخلاف غيرهم لانا ايضا
لا نفضلنهم على غيرهم وان زدت في هذا المقدار رواه البخاري انتهى والله سبحانه وتعالى اعلم

تسمية من سمي من اهل بدر في جامع البخاري رضي الله تعالى عنهم اجمعين

اي هذا ذكر من ذكر من اهل بدر باسمائهم في صحيح البخاري حقيقة وحكما ليدخل عثمان فانه ذكر مع بيان انه لم يشهد بدرا
املا قال ميرك والمراد بمن سمي من جاء ذكره فيه بروايته عنه او عن غيره بانه شهد بدرا لا مجرد ذكره دون
التنصيص فيه انه شهدها وبهذا يجاب عن ترك ايراده مثل ابي عبيدة بن الجراح فانه شهدها
باتفاق اهل الحديث والسير وذكر في صحيح البخاري في عدة مواضع الا انه لم يقع فيه التنصيص
على انه شهدها انتهى وقد سبق في رواية ابي داود عن ابن عمر انه خرج يوم بدر في ثلاث مائة وخمسة
عشر وجاء في رواية انا لمشركين كانوا الفا والصحابة ثلاثمائة وسبعة عشر النبي محمد بن عبد الله
الهاشمي بدا به صلى الله عليه وسلم تيمنا وتبركا باسمه وذكره ميرك وذكر اللتزمهم اسلم بكرم بعضهم
عبد الله بن عثمان اسم الصديق عبد الله وعثمان اسم ابيه ابي قحافة وكنيته ابو بكر الصديق
القرشي يعني التيمي وكان انيسه صلى الله عليه وسلم يوم بدر وجليسه في العريش وحافظه من
العدو شاهرا سيفه على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوي اليه احد الا هوى اليه
عمر بن الخطاب العدوي منسوب الى عدي بن كعب بطن من قريش عثمان بن عفان القرشي يعني الاموي
خلفه النبي صلى الله عليه وسلم بتشديد اللام اي تركه خلفه خليفة للاطلاع على ابنته اي رقية
على ما في نسخة السيد لكنها ليست في البخاري والمعنى لمراعاة حالها فانها كانت مريضة حينئذ
وضرب له بسهمه اي ونذكره تبعيضه من الغنيمة علي بن ابي طالب الهاشمي عن ابن عباس قال كان
علي اخذ راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقال الحاكم يوم بدر والمشاهد اخرجه في المغازي
ثم اجرا المصنف باقي المراتب الرتبية ثم اشتهر ترتيب الحروف الهجائية اياس بن البكير بكسر الهمزة
وبفتح ابن البكير بتصغير البكر الليثي حليف بني شهد بدرا وما بعدها من المشاهد وكان اسلامه
في دار الارقم ومات سنة اربع وثلاثين بلال بن رباح بفتح الرا مولى ابي بكر الصديق حمزة بن
عبد المطلب الهاشمي عم النبي صلى الله عليه وسلم حاطب بن ابي بلتعة حليف لقريش وسبق
انه حليف الزبير ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي قيل اسمه مهشم وقيل هاشم كان من فضلا
الصحابة شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها وقتل يوم اليمامة شهيدا وهو ابن ثلاث وخمسين سنة

حارثة بن الربيع بضم ففتح فتشديد تحتية مكسورة وهو اسم امه واسم ابيه سراقة الانصاري قتل
يوم بدر وهو اول قتيل من الانصار وامه ربيع بنت النضر عمة انس كان اي حارثة قتل في النظارة بفتح النون
وتشديد الظا المعجمة اي من الذين طلبوا مكانا مرتفعا ينظرون الى العدو ويخبرون عن حالهم في الحي
النظارة قوم ينظرون الى الشيء وزاد في القاموس وبالتخفيف بمعنى السنن لحن يستعمله بعض العوام
وقال الحافظ العسقلاني في ذلك نظارة اي ما اخرجه احمد والنسائي وزاد ما خرج لقتال ولو
لعله كان به عذر يمنعه من القتال ففيه انه يكون عن التسمية ابن عدي الانصاري اي
الاوسي شهد بدرا واسر في غزوة الرجيع سنة ثلاث فانطلق به الى مكة فاشتراه بنو الحارث بن عامر
الذي خبيب قد قتل الحارث يوم بدر كافرا فاشتراه بنوه ليقتلوه فكان عندهم اسيرا ثم صلب
بالتنعيم وهو اول من صلب في الاسلام روي عنه الحارث بن البرصا خنيس بضم معجمة وفتح نون ابن حذافة
بضم اوله السهمي اي القرشي وهو الذي كان زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب قبل النبي صلى الله عليه
وسلم شهد بدرا ثم احدا فخرج مات بالمدينة من جراحته ولا عقب له رفاعة بن رافع الانصاري
شهد بدرا واحدا وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد مع علي الجمل وصفين
ومات في اول ولاية معاوية رفاعة بن عبد المنذر ابو لبابة الانصاري عطف بيان لما قبله
قال المؤلف رفاعة بن عبد المنذر الانصاري الاوسي هو ابو لبابة غلبت عليه كنيته كان من النقبا
وشهد العقبة وبدرا والمشاهد بعدها وقيل لم يشهد بدرا بل امره رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المدينة وضرب له بسهمه مع اصحاب بدر مات في خلافة علي بن ابي طالب الزبير بن العوام القرشي
وهو احد العشرة المبشرة زيد بن سهل ابو طلحة الانصاري عطف بيان لما قبله قال المؤلف ابو
طلحة زيد بن سهل الانصاري النجاري وهو مشهور بكنيته وهو زوج ام انس بن مالك وكان من الرماة
المذكورين قال النبي صلى الله عليه وسلم لصوت ابي طلحة في الجيش خير من فئة مات سنة احدى
وثلاثين وهو ابن سبع وسبعين سنة شهد العقبة مع السبعين ثم شهد بدرا وما بعدها من المشاهد
ابو زيد الانصاري هو الذي جمع القران حفظا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
اختلف في اسمه فقيل سعد بن عبيد وقيل قيس بن السكن سعد بن مالك الزهري هو سعد بن
ابي وقاص احد العشرة سعد بن خولة بفتح الخا المعجمة القرشي شهد بدرا ومات بمكة في حجة الوداع
سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بفتح النون ففتح فا القرشي هو احد العشرة سهل بن حنيف بالتصغير
الانصاري اي الاوسي شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وصحب
عليا بعد النبي صلى الله عليه وسلم واستخلفه على المدينة ثم ولاه فارس مات بالكوفة سنة ثمان وثلاثين
ظهير بالتصغير ابن رافع الانصاري اي الاوسي شهد العقبة الثانية وبدرا وما بعدها من
المشاهد واخوه اي اخو ظهير واسمه مظهر بضم الميم وفتح المعجمة وكسر الها المشددة ولم يسمه البخاري
وذكر انهما شهدا بدرا لكن قال ابو عمر ان ظهيرا لم يشهدها وشهد احدا وما بعدها وكذا في لم يشهدها
مظهر فينبغي سقط الواو من قوله واخوه كذا قاله العسقلاني عبد الله بن مسعود الهذلي بضم ففتح
نسبة الى قبيلة بني هذيل من قريب ابن فرو وسبق ذكره عبد الرحمن بن عوف الزهري بضم
فسكون نسبة الى بني زهرة قبيلة من قريش وهو احد العشرة عبيدة بن الحارث القرشي لم يذكر
المؤلف في اسمائه عبادة بضم عين وتخفيف الموحدة ابن الصامت الانصاري كان نقيبا وشهد
العقبة الاولى والثانية والثالثة وشهد بدرا والمشاهد كلها مات ببيت المقدس سنة
اربع وثلاثين عمرو بن عوف اي المزني كان قديم الاسلام وهو ممن نزل فيه تولوا واعينهم تفيض
من الدمع سكن بالمدينة ومات بها في اخر ايام معاوية حليف بني عامر بن لوي بدل او بيان لما قبله
ولوي بضم ففتح عقبة بن عمرو الانصاري قال المؤلف يكنى ابا مسعود

البدري شهد العقبة الثانية ولم يشهد بدرا عند جمهور أهل العلم بالسير وإن شهد أحدا وما بعد
أصح وإنما نسب إلى ماء بدر لأنه نزله فنسب إليه انتهى ولذلك خطئ البخاري بعده من أصحاب بدر
عامر بن ربيعة العنزي بفتح العين وسكون النون في المغني العنزي بفتح النون والزاي ينسب
إلى العنز بن وائل قال المغني وأما عامر بن ربيعة فبسكون النون وكذا يفهم من القاموس وفي
نسخة العدوي والظاهر أنه تصحيف قال المؤلف هاجر الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد كلها
أسلم قديما مات سنة اثنتين وثلاثين عاصم بن ثابت بكسر الباء الأنصاري شهد بدرا وهو الذي حمته
الدبر وهي النحل من المشركين إذ تحرزوا رأسه في غزوة الرجيع حين قتله بنو لحيان فسمي حمي الدبر
عويم بتصغير عام بمهملتين ابن ساعدة الأنصاري هو ممن شهد العقبتين وبدرا والمشاهد
كلها زمان النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عتبان بكسر فسكون ابن مالك الأنصاري
خزرجي سلمي بدري مات زمن معاوية قدامة بضم القاف ابن مظعون بالظاء المعجمة قرشي جمحي
خال عبد الله بن عمر هاجر إلى أرض الحبشة وشهد بدرا وسائر المشاهد مات سنة ست وثلاثين
قتادة بن النعمان بضم أوله الأنصاري ظفري بدري شهد ما بعدها المشاهد كلها وأبو سعيد
الخدري أخوه لأمه مات سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر وكان من فضلاء الصحابة معاذ بن
عمرو بن الجموح بفتح جيم وضم ميم قال المؤلف خزرجي شهد العقبة وبدرا هو وأبوه عمرو
وهو الذي قطع مع معاذ بن عفراء أبا جهل وله ذكر في باب قسمة الغنائم ذكر ابن عبد البر
عن ابن إسحاق أن معاذ بن عمرو قطع رجل أبي جهل وصرعه قال وضرب ابنه عكرمة بن أبي جهل يد
معاذ فطرحها ثم ضربه معاذ بن عفراء حتى أثبته ثم تركه وبه رمق ثم وقف عليه عبد الله بن مسعود
واحتز رأسه حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتمس أبا جهل في القتلى قلت
لما كان قتل أبي جهل موجبا للثواب الكثير فأراد الله أن يجمعه فيشاركوا في قتله معوذ بتشديد
الواو المكسورة أو المفتوحة والذال المعجمة قال السيوطي هو بتشديد الراء والفتح على الأشهر
وجزم الوقشي أنه بالكسر على ما في فتح الباري واقتصر عليه المغني ونقوطا هو ما في القاموس
وكذا ضبطه المؤلف ابن عفراء بفتح عين فسكون فاء قال المؤلف هو معوذ بن الحارث أخو معاذ
وعفراء أمه شهد بدرا وهو الذي قتل أبا جهل مع أخيه معاذ وهما أصحاب ذرع وقاتل حتى قتل يوم بدر
في قتلها وأخوه أي أخو معوذ قال صاحب جامع الأصول شهد بدرا ومعاذ أخو عوف ومعوذ
الحارث أبوهم وعفراء أمهم وقال المؤلف معاذ بن الحارث بن رفاعة الأنصاري الزرقي وعفراء
هي بنت عبيد بن ثعلبة وكان هو ورافع بن مالك أول الأنصار من الخزرج إسلاما شهد
بدرا وأخوه عوف ومعوذ وقتلا أخواه هذان ببدر وشهد معاذ بعد بدر المشاهد ونزل
بعضهم ويقولون إنه جرح يوم بدر فمات بالمدينة من جراحته وقيل إنه عاش إلى زمن
عثمان مالك بن ربيعة أبو أسيد الأنصاري بالتصغير كنيته مالك وهو مشهور بكنيته
وهو من بني ساعدة شهد المشاهد كلها مات سنة ستين وله ثمان وسبعون بعدما ذهب بصره
وهو آخر من مات من البدريين مسطح بكسر فسكون ففتح ابن أثاثة بضم الهمزة ابن عباد
بفتح فتشديد موحدة ابن المطلب بن عبد مناف أي القرشي شهد بدرا وأحدا والمشاهد
كلها بعدها وهو الذي قال في عائشة أم المؤمنين ما قال من حديث الإفك وجلده النبي
صلى الله عليه وسلم فيمن جلد ويقال إن مسطحا لقبه واسمه عوف قال ابن عبد البر
لا خلاف نعرفه أنه مات سنة أربع وثلاثين وهو ابن ست وخمسين مرارة بضم الميم ابن الربيع
بفتح فكسر الأنصاري العامري شهد بدرا وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك
وتاب الله عليهم ونزل القرآن في شأنهم معن بن عدي الأنصاري بفتح ميم فسكون عين

شهد

شهد بدرا وما بعدها من المشاهد وقتل يوم اليمامة شهيدا في خلافة الصديق شهيدا وكان النبي
صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين زيد بن الخطاب فقتلا معا يومئذ مقداد بكسر الميم ابن
عمرو الكندي بكسر الكاف حليف بني زهرة بدل أو بيان قال المؤلف إن أباه حالف كندة
فنسب إليهم وإنما سمي ابن الأسود لأنه كان حليفه أو لأنه تبناه وكان سادسا في الإسلام
مات بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة فحمل على رقاب الناس ودفن بالبقيع سنة ثلاث
وثلاثين وهو ابن سبعين سنة هلال بن أمية بالتصغير الأنصاري أحد الثلاثة الذين
تخلفوا عن غزوة تبوك فتاب الله عليهم شهد بدرا وهو الذي قذف امرأته بشريك له
ذكر في اللعان روى عنه جابر وابن عباس فتحصل أن عدد المجموع خمسة وأربعون
وفي نسخة رضي الله تعالى عنهم انتهى والله أعلم

باب ذكر اليمن والشام وذكر أويس القرني

في المغرب اليمن مأخوذ من اليمن بخلاف الشام لأنها بلاد على يمين الكعبة والنسبة إليها
يمني بتشديد الياء أو يماني بالتخفيف على تعويض الألف من إحدى يائي النسبة وفي القاموس
اليمن محركة ما على يمين القبلة من بلاد الغور وهو يمني ويماني ويمان والشام بلاد عن مشأمة
القبلة وسميت بذلك لأن قوما من بني كنعان تشاءموا إليها أي تياسروا أو سمي بسام بن نوح
فإنه بالشين بالسريانية أو لأن أرضها شامات بيض وحمر وسود وعلى هذا لا يهمز وقد يذكر
انتهى وعلى الأول يهمز ويجوز إبداله وهو الأشهر في الاستعمال والأظهر أن المراد
بذكر اليمن والشام أعم من أن يكون الحديث متعلقا بذكر المكانين أو بأهليهما فقوله وذكر
أويس القرني تخصيص بعد تعميم للتشريف ثم القرن بفتحتين في القاموس القرن بفتح فسكون
ميقات أهل نجد وهي قرية عند الطائف واسم الوادي كله وغلط الجوهري في تحريكه وفي نسبة
أويس القرني إليه لأنه منسوب إلى قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد أحد أجداده والله أعلم

الفصل الأول عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال إن رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له
والمعنى أنه لم يترك أهلا وعيالا في اليمن غيرها وإنما منعه عن الإتيان إليكم خدمتها فكان به
أي بأويس بياض أي برص فدعا الله فأذهبه إلا موضع الدينار أو الدرهم شك من الراوي
والعلة إبقاؤه للعلامة كما يأتي في ظفر آدم أنه أثر من جلده الآية أو ترك ذلك البعض
ليكون سبب شكره ولهذا كان يحب الخمول والعزلة ويكره الشهرة والخلطة فمن لقيه منكم
فليستغفر له قال النووي هذه منقبة ظاهرة لأويس القرني وفيه طلب الدعاء والاستغفار
من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم انتهى وفي رواية لمسلم عن عمر أنه قال إني
القرني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتي عليكم أويس بن عامر مع
أمداد من اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو لها بر
لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر لي فاستغفر له
وفي رواية قال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن خير التابعين أي من جنسهم
أنه من المخضرمين وحصل له مانع شرعي عن حضور حضرته ونور طلعته صلى الله عليه وسلم
رجل يقال له أويس قال النووي هذا الحديث صريح في أنه خير التابعين وقال أحمد بن حنبل
وغيره أفضل التابعين سعيد بن المسيب والجواب أن مرادهم أن سعيدا أفضل في العلوم
الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونحوها لا في كونه أكرم عند الله تعالى وله والدة
أي أم بار لها وكان به بياض أي برص فدعا الله به أي أذهبه كله إلا قدر اليسير وفيه معجزة

باب ذكر اليمن والشام وذكر أويس القرني

الفصل الأول عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

ظاهره فمن رأى منكم أي فليسلم أو فرقه بينا في الزمان أيا كم أدركه فليستغفر لكم قال ابن الملك أمر
صلى الله عليه وسلم أصحابه باستغفار أويس لهم وإن كان الصحابي أفضل من التابعي
ليدل على أن الفاضل يستحب له أن يطلب الدعاء من المفضول وقال صلى الله عليه وسلم
تطييبا لقلبه لأنه كان يمكنه الوصول إلى حضرته لكن منعه بره لأمه فأمرهم النبي صلى الله
عليه وسلم به ليندفع به أنه منسي في التخلف انتهى وهو لا ينافي ما نقل أنه ترك أمه وجاء
واجتمع بالصحابة فإن اجتماعه من الأنبياء كان بعد عدم من يكون في خدمتها وإنما
بموتها فلما وجد السعة توجه إلى الصحابة أو لما فرجه لمحل الإسلام لغيبة ما ناداه أو أذنت
له بالسير في سبيل الله رواه مسلم وفي الرياض عن أسير بن جابر قال كان عمر بن الخطاب
إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن يسألهم أفيكم أويس بن عامر حتى أتى على أويس فقال أنت
ابن عامر قال نعم قال من مراد ثم من قرن قال نعم قال فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع
درهم قال نعم قال لك والدة قال نعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه
إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك
فافعل فاستغفر لي فاستغفر له فقال له عمر أين تريد قال الكوفة قال ألا أكتب لك إلى
عاملها قال أكون في غبراء الناس أحب إلي قال فلما كان في العام المقبل حج رجل من أشرافهم
فوافق عمر فسأله عن أويس فقال تركته رث البيت قليل المتاع قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث قال فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل فأتى أويسا
فقال استغفر لي فقال أنت أحدث عهدا بسفر صالح فاستغفر لي قال لقيت عمر قال نعم
فاستغفر له ففطن له الناس فانطلق على وجهه أخرجه مسلم انتهى ولا يخفى أن وجه
خفائه أنه كان مستجاب الدعوة في مادة الاستغفار ولو كان ظاهرا لتوجه إليه
البر والفاجر مستورا وعزه فلا يمكنه الاستغفار للكل ولا امتناعه عن البعض لما يوجب
من الإيحاش وكشف الحال والله أعلم بالأحوال وروى الحاكم عن علي مرفوعا خير التابعين
أويس وروى ابن عدي وعن ابن عباس سيكون في أمتي رجل يقال له أويس بن عبد الله
القرني وإن شفاعته في أمتي مثل ربيعة ومضر وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة أي من سائر من يأتيكم
والرقة ضد القساوة والغلظة والفؤاد القلب وقيل باطنه وقيل غلافه والمعنى
هم أكثر رقة ورحمة الباطن وألين قلوبا أي أكثر لينة لقبول النصيحة والموعظة
من قلوب سائر الناس بحسب الظاهر فالمظهر وصف الأفئدة بالرقة والقلوب
باللين وذلك أنه يقال إن الفؤاد غشاء القلب وإذا رق نفذ القول فيه وخلص
إلى ما وراءه وإذا غلظ تعذر وصوله إلى داخله فإذا صادف القلب لينا علق به ونجع فيه
وقال القاضي الرقة ضد الغلظة والصفاقة واللين مقابل القساوة فاستعيرت
في أحوال القلب فإذا نبا عن الحق وأعرض عن قبوله ولم يتأثر عن الآيات والنذر يوصف
بالغلظة فكأن شغافه صفيق لا ينفذ فيه الحق وجرمه صلب لا يؤثر فيه الوعظ
وإذا كان بعكس ذلك يوصف بالرقة واللين فكان حجابه رقيقا لا يأبى نفوذ الحق
وجوهره لينا يتأثر بالنصح ثم لما وصفهم بذلك أتبعه ما هو كالنتيجة والغاية بقوله
الإيمان يمان والحكمة يمانية فإن صفاء القلب ورقته ولين جوهره يؤدي به إلى عرفان
الحق والتصديق به وهو الإيمان والانقياد لما يوجبه ويقتضيه والتيقظ والإتقان

فيما

فيما يأتيه ويذره وهو الحكمة فيكون قلوبهم معادن الإيمان وينابيع الحكمة وهي قلوب
منشأها من اليمن نسب إليه الإيمان والحكمة معا لانتسابهما إليه تنويها بذكرهما
وتعظيما لشأنهما وقال الطيبي يمكن أن يراد بالفؤاد والقلب ما عليه أهل اللغة من كونهما
مترادفين فكرر ليناط به معنى غير المعنى الذي نيط به أولا فإن الرقة مقابلة للغلظة واللين
مقابل الشدة والقسوة فوصفت أولا بالرقة ليشير إلى التخلق مع الناس وحسن
المعاشرة مع الأهل والإخوان قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
وثانيا باللين ليؤذن بأن الآيات النازلة والدلائل المنصوبة ناجعة فيها وصاحبها
مقيم على التعظيم لأمر الله فقوله الإيمان يمان والحكمة يمانية بيان لحسن المعاملة
مع الله تعالى والمعاشرة مع الناس فالشدة شكيمة اليهود وعنادهم في الدين وفيهم قوله
ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة واللين جانب المؤمنين ومادحهم
بقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله انتهى وقال شارح الإيمان يمان هو نسبة
إلى اليمن والألف فيه عوض من ياء النسبة فلا يجتمعان قال أبو عبيد مكة من أرض
تهامة وتهامة من أرض اليمن ولهذا سميت مكة وما يليها من أرض الحجاز تهامة فمكة
على هذا التقدير يمانية وفيها ظهر الإيمان قال وفيه وجه آخر وهو أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال هذا القول وهو بتبوك ومكة والمدينة حينئذ بينه وبين اليمن فأشار
إلى ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة وقيل عنى بهذا القول الأنصار لأنهم يمانيون
وهم نصروا الإيمان والمؤمنين وآووهم فنسب إليهم وهذه وجوه متكلفة بعيدة مع
ما فيها من بعد التناسب بين الفصل الأول من الكلام والثاني فإنه أتاكم أهل
اليمن يخاطب بذلك أصحابه والجمهور منهم أهل الحرمين وما حولهما فعلمنا أن المبشر بهم
غير المخاطبين وقيل المراد أهل اليمن وتنسب إليهم الإيمان إشعارا بكماله فيهم والمراد
الموجودون منهم في ذلك الزمان لا كل اليمن في جميع الأحيان فالمقصود تفضيل
أهل اليمن على غيرهم من أهل المشرق ويؤيده هذا قوله أتاكم أهل اليمن ثم قوله الإيمان
يمان لا ينافي كونه حجازيا وإنما ينبئ عن استعداد أهل اليمن لقبول ذلك وفشوه فيهم
واستقرار أمرهم عليه فإنهم هم الذين فتحت بأمدادهم الشام والعراق زمن عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنهم ثم قوله والحكمة يمانية بالتخفيف وفي نسخة بالتشديد قيل
أراد بها الفقه في الدين وقيل كل كلمة صالحة تمنع صاحبها عن الوقوع في الهلكة ولما
كانت قلوبهم معادن الإيمان وينابيع الحكمة وكانت الخصلتان منتهى هممهم نسب
الإيمان والحكمة إلى معادن نفوسهم ومسقط رؤوسهم نسبة الشيء إلى مقره
والفخر أي التفاخر بالمباهاة والمنافسة في الأشياء الخارجة عن نفس الإنسان
كالمال والجاه والخيلاء بضم ففتح ممدودة وهي التكبر والتخيل لأنه انفصد من عزم وتصميم
عن قبول الحق والانقياد في أصحاب الإبل وفي معناه البقر وإذا هي بالوصف
الجمع بينهما في رواية والسكينة والوقار أي الاطمئنان والحلم والأنس في أهل الغنم
قال القاضي تخصيص الخيلاء بأصحاب الإبل والوقار بأهل الغنم يدل على أن مخالطة
الحيوان تؤثر في النفس وتعدي إليها هيئات وأخلاقا تناسب الحكمة فيما ذكر نبي
طباعها ويلائم أحوالها ولهذا قيل الصحبة تؤثر ولعل هذا النبي وجه الحكمة في
أن كل نبي رعى الغنم وخلاصة الكلام ورابطة النظام بين فصول الحديث أن أهل
اليمن يغلب عليهم الإيمان والحكمة لأن أهلا لابد تغلب عليهم السكون ثم أراد صحبة

اهل الايمان والعرفان فعلمه بمصاحبته غير اهل اليمن على وجه الايمان قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وفيه اشعار الى انه لم يعجز وهي انه
يظهر في اليمن كثير من الاولياء مع قلة اهله بخلاف سائر الاطراف وان ظهر منهم الفساد
فهم بالنسبة الى الكثرة قلة يفهم فتدبر وقوله متفق عليه وفي الجامع الايمان يمان رواه
الشيخان عن ابي مسعود ورواه الشيخان والترمذي عن ابي هريرة مرفوعا اتاكم اهل
اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة الفقه يمان والحكمة يمانية وعنه اي عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم راس الكفر اي
معظمه ذكره السيوطي والاظهر انه بفتح منشاه نحو المشرق بالنصب قال الطيبي
نحو راس الامر الى الاسلام اي ظهوره يكون من قبل المشرق وقال ابن الملك اي منه يظهر
الكفر والفتن كالدجال وياجوج وماجوج وغيرهما وقال النووي المراد باختصاص
المشرق به مزيد تسلط الشيطان على اهل المشرق وكان ذلك في عهده صلى الله عليه
وسلم ويكون حين يخرج الدجال من المشرق وقال السيوطي نقلا عن الباجي يحتمل
انه يريد فارس وان يريد نجدا والفخر والخيلاء في اهل الخيل والابل قال الراغب
الخيلاء التكبر عن تخيل فضيلة تراءت للانسان من نفسه ومنها يتاول لفظ الخيل
لما قيل انه لا يركب احد فرسا الا وجد في نفسه نخوة والخيل في الاصل اسم للافراس
والفرسان جميعا انتهى والاظهر ان الخيل اسم جنس للفرس لقوله تعالى واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل واما قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله
اركبوا فمجاز والفدادين بالتشديد وتخفف اي وفي الفلاحين عطف على اهل الخيل
وقوله اهل الوبر بفتح الواو والموحدة شعر الابل وهو بالجر بدلا او بيانا والمراد بهم
سكان الصحاري لان بيوتهم غالبا خيام من الشعر قال صاحب النهاية الفدادون
بالتشديد الذين تعلو اصواتهم في حروثهم ومواشيهم واحدهم فداد يقال
فد الرجل يفد فديدا اذا اشتد صوته وقيل هم المكثرون من الابل وقيل هم الجمالون
والرعيان وقيل الفدادون بالتخفيف جمع فداد مشددا وهي البقر التي يحرث
بها واهلها اهل جفاء وغلظة قال التوربشتي الفدادين بالتخفيف تقديره وفي
اهل الفدادين واري اصوب الروايتين بالتشديد لما في حديث ابي مسعود الذي يلي
هذا الحديث والجفاء والغلظ في الفدادين والتخفيف في هذه الرواية غير
مستقيم وتقدير الحذف فيه مستبعد رواية ومعنى فرددنا المختلف فيه الى
المتفق عليه وهذا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى سكة وشيئا من
آلة الحرث فقال لا يدخل هذا دار قوم الا دخله الذل واين ابتغاء الفخر والخيلاء
من موقع الذل قلت لعله صلى الله عليه وسلم اخبر بما سيقع في اخر الزمان
من ان كثرة الزراعة تكون سببا للافتخار والتكبر كما هو مشاهد في ارباب الدنيا
من اهل المزارع الكثيرة في العجم بحيث انهم يتقدمون في المجالس على اصحاب الابل
والخيل بل لهم اعتبار عظيم عند الملوك حتى يصير اكثرهم وزراءهم وكبراء عند سلاطينهم
رعيتهم والسكينة اي الوقار والحلم والانس في اهل الغنم متفق عليه وكذا
رواه الامام مالك قال ميرك الا ان مسلما لم يذكر والفدادين بالواو بل هي محذوفة
فيه وفي البخاري ثابتة ففي رواية مسلم نعت لاهل الخيل وعلى اثباته عطف عليه
قلت ففي رواية مسلم مراد الجمع بين الوصفين وفي رواية البخاري يراد التغاير

بينهما

بينهما فيكون عطفا على الخيل برواية تخفيف الفدادين وعلى اهل الخيل برواية التشديد
والله الملهم للتسديد وعن ابي مسعود الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
ها هنا جاءت الفتن نحو المشرق حال من متعلق محذوف اي قال صلى الله عليه وسلم من ها هنا
جاءت الفتن مشيرا نحو المشرق كذا ذكره الطيبي ولا يبعد ان يكون من الراوي مدرجا في
تفسير التفسير لقوله صلى الله عليه وسلم ها هنا والجفاء بالمد وهو ضد الوفاء وفي القاموس
الجفا نقيض الصلة ويقصر والاظهر ان المراد به هاهنا غلظ الطبيعة بقرينة قوله
وغلظ القلوب في الفدادين اهل الوبر بدل من الفدادين والمراد باهل الوبر الاعراب او
سكان الصحاري وانما ذمهم لبعدهم عن المدن والقرى الموجب لقلة العلم الحاصل به
حسن الاخلاق ونشر علوم الشريعة قال تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا
حدود ما انزل الله على رسوله وفي الحديث من بدا جفا عند اصول اذناب الابل والبقر
اي بهم تتبع اصولها ويمشون خلفها للرعي فيها او لانها تثير الارض خلف البقر ولتبيغ المأثم
فالمراد بهم الاكارون وفيه ايماء الى انهم جعلوا المتبوع تابعا والتابع متبوعا فعكسوا
ما هو معتبر موضوعا ومشروعا وانما نفيا لقوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل وقال
الطيبي قوله عند ظرف لقوله الفدادين على تاويل الذين لهم جلبة وصياح عند سوقهم
لها لانه شبه ان الرواية انما يعلوا اصواتهم خلفها في ربيعة ومضر اما خبر مبتدا محذوف
اي تفرق الطائفة بينهما وخبر بعد خبر لقوله والجفاء وقال الطيبي بدل من قوله في الفدادين
باعادة العامل متفق عليه وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غلظ القلوب
والجفاء في المشرق ولفظ الجامع في اهل المشرق والايمان في اهل الحجاز اي مكة والمدينة
وحواليهما وقال ابن الملك اراد به الانصار رواه مسلم وكذا الامام احمد في مسنده
وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا لعل
تقديمه على اليمن مشير الى انه مبارك في اصله لقوله تعالى الذي باركنا حوله ولوجود
كثير من الانبياء فيه فالمراد زيادة البركة او البركة الخاصة لاهل المدينة وسائر
المؤمنين في الخصوص اللهم بارك لنا في يمننا اي بركة ظاهرية ومعنوية ولهذا كثر
الاولياء فيهم والظاهر ان وجه تخصيص المكانين بالبركة لان طعام اهل المدينة مجلوب
منهما قالوا اي بعض الصحابة يا رسول الله وفي نجدنا عطف تلقين والتماس بالقول وفي
نجدنا ليحصل البركة لنا في صوابه ايضا والنجد ما ارتفع من الارض وهو اسم خاص
لما دون الحجاز على ما في النهاية وقال ابن الملك هو خلاف الغور من بلاد العرب قال اللهم
بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قال الاشرف انما دعا لهما بالبركة لان مولده
بمكة وهي من اليمن ومسكنه ومدفنه بالمدينة وهي من الشام وناهيك من فضل الناحيتين
ان احداهما مولده والاخرى مدفنه فانه اضافهما الى نفسه واتى بضمير الجمع تعظيما وكرر الدعاء
ثلاث مرات قالوا يا رسول الله وفي نجدنا فاظنه قال في الثالثة بعد او في الثالثة
هناك اي في ناحية نجد وهذا المعنى بقوله نحو المشرق الزلازل الحسية والمعنوية وهي
تزلزل القلوب واضطراب اهلها والفتن اي البليات والمحن الموجبة لضعف الدين وتلك
الديانة فلا يناسبه دعوة البركة لها وبها اي بتلك البقعة ونواحيها يطلع بضم اللام اي
يظهر قرن الشيطان اي حزبه واهل وقته وزمانه واعوانه ذكره السيوطي رواه البخاري
وكذا مسلم والترمذي نقله السيد جمال الدين انتهى الفصل الثاني عن انس عن
زيد بن ثابت هذا نقل الصحابي عن مثله فيكون من باب نقل الاقران والاظهر انه من نقل

ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر قبل اليمن بكسر القاف وفتح الموحدة اي الى
جانبه فقال اللهم اقبل امر من الاقبال والباء في قوله بقلوبهم للتعدية والمعنى اجعل
قلوبهم مقبلة الينا وانما دعا ذلك لان طعام اهل المدينة كان يأتيهم من اليمن وكذا
عقبه ببركة الصاع والمد للطعام يجلب لهم من اليمن وقال وبارك لنا في صاعنا ومدنا
واراد بهما الطعام المكتال بهما فهو من باب اطلاق الظرف وارادة المظروف والمضاف
مقدر اي في طعام صاعنا ومدنا ثم الصاع في ما ذكره القاموس اربعة امداد كل مد رطل
وثلث اثنا عشر اوقية والاوقية اربعون درهما قال الداودي معياره الذي لا
يختلف اربع حفنات بكفي الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا بصغيرهما اذ ليس
كل مكان يوجد فيه صاع النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وجربت ذلك فوجدته صحيحا
تم كلامه وقال التوربشتي وجه التناسب بين الفصلين ان اهل المدينة كانوا
في شدة من العيش وعوز من الزاد لا يقوم اقواتهم لحاجتهم فلما دعا الله بان يقبل
عليهم بقلوب اهل اليمن الى دار الهجرة وهم الجم الغفير دعا الله بالبركة في طعام اهل
المدينة ليتسع على القاطنين بها والقادم عليهم فلا يسأم المقيم من القادم عليه ولا
يشق الاقامة على المهاجرين اليها رواه الترمذي وفي الجامع اللهم ان ابراهيم كان عبدك
وخليلك دعاك لاهل مكة بالبركة وانا محمد عبدك ورسولك ادعوك لاهل المدينة
ان تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثلما باركت لاهل مكة مع البركة بركتين رواه الترمذي عن
علي وعن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى للشام اي
حالة طيبة لها ولاهلها قال الطيبي طوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى
لك اصبت خيرا وطيبا قلنا لاي ذلك يا رسول الله بتنوين العوض فيه اي لاي شيء
كما في بعض النسخ للمصابيح قال الطيبي كذا في جامع الترمذي في حذف المضاف اليه
اي لاي سبب قلت ذلك وقد اثبت في بعض نسخ المصابيح لفظ شيء واعرب ميرك حيث
قال حذف المضاف اليه واجري اعرابه في المضاف انتهى وغرابته لا تخفى قال لان
ملائكة الرحمن فيه ايماء الى ان المراد بهم ملائكة الرحمة باسطة اجنحتها عليها اي في بقعتها
[illegible] واهلها بالحفظة عن الكفر رواه احمد والترمذي وكذا الحاكم في مستدركه وفي
رواية للطبراني عنه بلفظ طوبى للشام ان الرحمن لباسط رحمته عليه اي على بلاد [illegible]
فهو بيان كونه بالاعتبار وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ستخرج نار يحتمل ان تكون حقيقة وهو الظاهر على ما ذكره الجزري ويحتمل ان يراد
بها الفتنة من نحو حضرموت بفتح فسكون ففتح فسكون ففتح في القاموس
حضرموت بضم الميم بلد وقبيلة ويقال هذا حضرموت ويضاف فيقال حضرموت بضم
الراء وان شئت لا تنون الثاني اي من حضرموت اي من جانبها المتصل بها تحشر الناس
اي تجمعهم النار وتسوقهم في ما بين النهاية قلنا يا رسول الله فما تأمرنا اي في ذلك الوقت
قال عليكم بالشام اي خذوا طريقه والزموا فريقه فانها معاملة من وصول النار الحسية
او الحكمية اليه حينئذ لحفظ ملائكة الرحمة اياها قال التوربشتي يحتمل ان تكون النار
اي عين وهو الاصح ويحتمل انها فتنة عبر عنها بالنار وعلى التقديرين فالوجه فيه انه
لم يبق امرا ان عنه لانهم قالوا فما تأمرنا في التوقي عنها فقال عليكم بالشام رواه
الترمذي وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول انها اي القصة ستكون هجرة بعد هجرة قال [illegible]

بها مع لام العهد لان المراد منها الهجرة الراجحة قبل الفتح وانما اتي بها منكرة لتساوق الاولى
في الصفة مع اضمار رب في الكلام اي بعد هجرة حقة وجيبة وانما حسن الحذف اعتمادا على
معرفة المعنى والمعنى ستكون هجرة الى الشام بعد هجرة كانت الى المدينة قال التوربشتي
وذلك حين يكثر الفتن وتقل القائمون بامر الله في البلاد ويستولي الكفرة الطغام على
بلاد الاسلام ويبقى الشام تتسوسها العساكر الاسلامية منصورة على من ناواهم
ظاهرين على الحق حتى يقاتلوا الدجال فالمهاجر اليها حينئذ فار بدينه ملتجئ اليها لاصلاح
اخرته يكثر سواد عباد الله الصالحين القائمين بامر الله تعالى وبقية الحديث اشارة
الى العقد الذي يخرج فيه قال الطيبي ويمكن ان يراد التكرير كما في قولك لبيك وسعديك
اي البيك الباب بعد الباب والفاء في قوله فخيار الناس يلوح اليه لانه تفصيل للمجمل كانه
قيل سيحدث للناس مفارقة من الاوطان وكل احد يفارق وطنه الى اخر ويهجره هجرة
بعد هجرة فخيارهم من يهاجر ويرغب الى مهاجر ابراهيم عليه السلام وهو الشام انتهى وقوله
الى مهاجر ابراهيم بفتح الجيم اي موضع هجرته وفي نسخة بالمثقلة الى الالف في انها
حرف جر مجرد وهو الرواية فيتعلق بمحذوف هو خبر المبتدأ تقديره فخيار الناس المهاجرون
الى مهاجر لان المهاجر حينئذ فار بدينه وفي بعض النسخ الى بتشديد الياء في انها مضافة
الى الياء المتكلم فهو متعلق بخيار وحينئذ مهاجر مرفوع على انه خبر المبتدأ بتقدير حذف
المضاف تقديره فخيار الناس مهاجرهم مهاجر ابراهيم فحذف المضاف واعرب المضاف
اليه باعرابه والمراد بمهاجر ابراهيم الشام فان ابراهيم لما خرج من العراق مضى الى الشام
وفي رواية فخيار اهل الارض الزمهم اي اكثرهم لزوما مهاجر ابراهيم بفتح الجيم اي الشام
فمهاجر بالنصب ظرف الزم وهو افعل التفضيل عمل في الاسم الظاهر ويبقى في الارض
شرار اهلها اي اهل الارض من الكفار والفجار تلفظهم بكسر الفاء اي ترميهم ارضوهم بفتح الراء
والمعنى ترمي شرار الناس ارضوهم من ناحية الى اخرى قال الراغب يبقى فيتنقل من ارض الى
يستولي عليهم الكفرة خيارا هؤلاء ويبقى خسيس يتخلفوا عن الهجرة رغبة في الدنيا ورهبة
عن القتال وحرصهم ما كان لهم فيها من قيام وسواس ونحوهم من متاع الدنيا فهم لخسة
نفوسهم وضعف دينهم كالشيء المستقذر المستقذر عند النفوس الزكية وكان الارض
تستنكف عنهم فتقذفهم والله سبحانه وتعالى يكرههم فيبعدهم من مظان رحمته
ومحل كرامته ابعاد من يستقذر الشيء وينفر عنه طبعه فلذلك منعهم من الخروج وثبطهم
نفورا منه عن الدين نحو قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم فقوله تقذرهم نفس
الله من التمثيلات المركبة التي لا تطلب لمفرداتها ممثلا وممثلا به مثل شابت لمة الليل
وقامت الحرب على ساق والله اعلم ان قوله تقذرهم بفتح الذال المعجمة من قذرت
الشيء بالكسر اي كرهته ونفس الله بسكون الفاء اي ذاته قال التوربشتي وهو وان كان
من حيث انه حصل له مضاف ومضاف اليه يقتضي المغايرة واثبات شيئين لكنه عز
حيث الاعتبار ومع سبيل الاتساع تعالى عن الاثنينية ومن هنا للمحدثات علوا كبيرا
تحشرهم النار مع القردة والخنازير اي تلازمهم النار ليلا ونهارا وتجمعهم مع الكفرة الذين
هم باعتبار صغيرهم وكبيرهم كالقردة والخنازير تبيت اي النار معهم اذا باتوا وتقيل بفتح
اي تقضي وتظل النار معهم اذا قالوا اي ضحوا وظلوا وهو من القيلولة وهي الاستراحة
بالنهار فالجملة مستأنفة مبنية لدوام الملازمة قال الطيبي جملة هو كقوله لما قبلها او
منه واما الجمل السابقة فكلها مستأنفة اجوبة للاسئلة المقدرة قال المظهر النار هنا

الفتنة يعني تحشرهم نار الفتنة التي هي نتيجة أفعالهم القبيحة وأقوالهم مع القردة والخنازير
لكونهم متخلقين بأخلاقهم فيظنون أن الفتنة لا تكون إلا في بلادهم فيتجاوزون جلاء أوطانهم
ويتركونها والفتنة تكون لازمة لهم ولا تنفك عنهم حيث يكونون وينزلون ويرحلون رواه
أبو داود وعن ابن حوالة بفتح الحاء ولم يذكره المؤلف في أسمائه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سيصير الأمر أي أمر الإسلام أو أمر القتال أن تكونوا جنودا أي عساكر
مجندة بتشديد النون المفتوحة أي مجموعة في كلمة الإسلام أو مختلفة في مراعاة الأحكام
جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق أي عراق العرب وهو البصرة والكوفة أو عراق
العجم وهو ما وراءهما دون خراسان وما وراء النهر فقال ابن حوالة خر لي بكسر الخاء وسكون الراء
أمر من الخير بمعنى الاختيار أي اختر لي جندا ألزمه يا رسول الله إن أدركت ذلك أي ذلك الزمان
فقال عليك بالشام فإنها أي الشام خيرة الله بكسر الخاء وفتح التحتية وتسكن أي مختار الله
من أرضه أي من بلاده فيها خيرة عباده قال الطيبي الخيرة بسكون الياء الاسم من اختاره وأما
بالفتح فهو الاسم من قولك اختاره ومحمد خيرة الله من خلقه بالفتح والسكون انتهى والمعنى
اختارها الله من جميع الأرض للإقامة فيها آخر الزمان يجتبي إليها خيرته بالنصب على ما في
أكثر النسخ المعتمدة وفي نسخة بالرفع من عباده قال شارح يجتبي يفتعل من جبوت الشيء
وجبيته جمعته فالمعنى يجمع الله إليها المختارين من عباده وقال السيد
الدين ويجوز أن يكون يجتبي لازما أي يجتمع إليها المختارون من عباده وقال السيد
جمال الدين خيرته مرفوع بأنه فاعل يجتبي إن كان من الاجتباء المتعدي وهو بمعنى الاجتماع
اللازم وهو بمعنى الاجتماع أو منصوب بأنه مفعول إذا كان من الاجتباء المتعدي وهو بمعنى
الاصطفاء والاختيار انتهى والمختار أنه من الثاني موافقة لما ورد في التنزيل الله يجتبي
إليه من يشاء فأما إن أبيتم أي امتنعتم من القصد إلى الشام فعليكم بيمنكم واسقوا بهمزة
الوصل ويجوز قطعها فإن الله توكل لي أي تكفل لي أي لأجلي وإكراما لي في أمتي وقيد صوابه
تكفل لي أي ضمن الشام أي بالشام وحفظ أهله قال التوربشتي قوله فأما إن
أبيتم هذا كلام معترض أدخله بين قوله عليكم بالشام وبين قوله واسقوا من غدركم أي الزموا
الشام واسقوا من غدركم فإن الله عز وجل قد تكفل لي بالشام وأهله رخص لهم في النزول
بأرض اليمن ثم عاد إلى ما بدأ منه وإنما أضاف اليمن إليهم لأنه خاطب العرب به واليمن من
أرض العرب ومعنى قوله واسقوا من غدركم ليسق كل واحد من غديره الذي يختص به والأجناد
المجندة بالشام لا يسعهم أهلا للثغور ونازلين في المروج من شأنهم أن يتخذ كل رفقة لنفسها
غديرا تستنقع فيه الماء للشرب والتطهير وسقي الدواب فوصاهم بالسقي مما يختص بهم
وترك المزاحمة فيما سواه والتغلب لئلا يكون سببا للاختلاف وتهيج الفتنة وقال
الطيبي كان قوله فأما إن أبيتم وارد على التأنيب والتعيير يعني أن الشام مختار الله
تعالى من أرضه فلا يختارها إلا الخيرة من عباده فإن أبيتم أيها العرب ما اختاره
الله تعالى واخترتم بلادكم ومسقط رأسكم من البوادي فالزموا يمنكم واسقوا من
غدرها لأنها أوفق لكم من مياه البوادي الأشرفي كيف جمع الضمير في
الفرقتين بعد إفراده في قوله عليك بالشام فعلم من هذا أن الشام أولى بالاختيار واليمن
عند الاضطرار والغدر جمع غدير وهو حفرة ينقع فيها الماء والعرب أكثر الناس اختيارا للشام
ولذلك أضيفت إليهم قال التوربشتي في بعض نسخ المصابيح فإن الله قد توكل لي بالشام
والصواب قد تكفل لي وهو سهو إما في أصل الكتاب أو من بعض رواة الحديث فنقل

الفصل الثالث عن شريح بن عبيد

على ما وجدناك القاضي أراد بالتوكل التكفل فإن من توكل في شيء فقد تكفل بالقيام به
والمعنى أن الله تعالى ضمن لي حفظها وحفظ أهلها من بأس الكفرة واستيلائهم بحيث
يتخطفهم ويدمرهم بالكلية رواه أحمد وأبو داود وقال الطيبي في مسند أحمد وجامع
الأصول عن أبي داود وكما في المصابيح وتوكل لي بتوكل بصلته توكل وصلة ما على أو الباء
ولا يجوز إلا تكلف فتغيير الثاني أي توكل بالشام لأجلي وفي النهاية يقال توكل بالأمر إذا
ضمن القيام به انتهى والله أعلم الفصل الثالث عن شريح بن عبيد رضي الله
تعالى عنه بالتصغير فيهما حضرمي تابعي روى عن أبي أمامة وجبير بن نفير وعنه صفوان
ابن عمرو وغيره وثقه ابن صالح قال ذكر أهل الشام عند علي رضي الله تعالى عنه أي بالسوء وقيل
العنهم يا أمير المؤمنين قال لا أي لا يجوز لعنهم أو لا ألعنهم إني بالكسر على أنه استئناف
تعليل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الأبدال يكونون بالشام وهم
أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث أي المطر وينتصر بهم
على الأعداء أي من الكفار ويصرف عن أهل الشام بهم أي ببركتهم أو بسبب وجودهم فيهم
العذاب أي العذاب الشديد كما سيأتي في هذا الحديث رواه أحمد وأخرج ابن عساكر عن عبد
الله بن مسعود مرفوعا أن لله تعالى ثلاثمائة نفس قلوبهم على قلب آدم وله أربعون قلوبهم
على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل وله
ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب إسرافيل كلما مات الواحد أبدل الله
مكانه من الثلاثة وكلما مات واحد من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وكلما مات
من الخمسة واحد أبدل الله مكانه من السبعة وكلما مات واحد من السبعة أبدل الله مكانه
من الأربعين وكلما مات واحد من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة وكلما مات
واحد من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة بهم يدفع البلاء عن هذه الأمة قال
بعض العارفين لم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحدا على قلبه إذ لم يخلق الله
في عالمي الخلق والأمر أعز وأشرف وألطف من قلبه صلى الله عليه وسلم فلا يكون
ولا يحاذيه قلب أحد من الأولياء سواء كانوا أبدالا أو أقطابا قال الشيخ علاء الدولة
السمناني في كتاب العروة له والأبدال من بدلاء السبعة كما أخبر عنه عليه السلام فقال
القوم السبعة وسيدهم وكان القطب في زمان النبي صلى الله عليه وسلم أويس القرني
... في ... يقول إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن وهو مظهر خاتم النبي في الرحمة
كما كان النبي صلى الله عليه وسلم مظهرا خاصا للتجلي الإلهي المخصوص باسم الذات وهو
الله سبحانه وتعالى انتهى وفيه نظر ظاهر فإنه على تقدير ثبوته بالنقل أو الكشف
يشكل بأنه كيف يكون القطبية مع وجود الخلفاء الأربعة الذين هم أفضل الناس بعد
الأنبياء بالإجماع مع أن الشامي هذا ليس له ذكر لا في الصحابة ولا في التابعين وقد نبأ
صلى الله عليه وسلم خبرا بأنه من التابعين وأن الإمام التابعي رحمه الله تعالى
على ما نقله السيوطي عنه أنه قال وقد سترت أحوال القطب وهو الغوث عن العامة
والخاصة غيرة من الحق عليه وعن رجل من الصحابة تقدم أن جهالة الصحابي لا تضر
فإن الصحابة كلهم عدول ولم يسمه قال سمعت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ستفتح الشام أي بلادها فإذا خيرتم المنازل فيها فعليكم بمدينة يقال لها دمشق
بفتح الدال وفتح الميم وبكسر الدال كما في القاموس وقول الأزهري مشهور بالشام فإنها أي مدينة
دمشق معقل المسلمين بفتح ميم فكسر قاف أي ملاذهم من الملاحم بفتح ميم وكسر جيم جمع

الملحمة اي الحرب والقتال والمعنى يحضر المسلمون ويلتجئون اليها كما يلتجئ الوعل الى راس الجبل وفسطاطهم بضم الفاء وقد يكسر وهو البلد الجامعة للناس ومنها اي من اراضي دمشق او من بنايات لها اي تسكنه الارض الغوطة بضم الغين وهو اسم البستان بين الجبال الى عند دمشق ويقال لها غوطة دمشق قال الزمخشري جنان الدنيا اربعة غوطة دمشق وصغد سمرقند وشعب بوان ونهر الابلة قال ابن الجوزي رايته كلها وفضل الغوطة على الثلاثة كفضل الاربع على غيرها رواه ابو داود اي الحديث بطوله احمد اي في مسنده وعن ابي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة اي الحقة بالمدينة اي غالبا لكون ابتداء الكوفة زمن خلافته او الخلافة المستقرة بالمدينة والملك بالشام وفيه اشعار بان دمشق وما بعده يتضمن ان الحسن لم يعتبر خليفة ويؤيده ما رواه احمد والترمذي وابو يعلى وابن حبان عن سفينة الخلافة بعدي في امتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت عمودا بفتح العين اي اسطوانة من نور تحمله امر الخلافة المشبه بالعمود في انه عماد بناء الاسلام واحكام بيان للاحكام خرج من تحت راسي ساطعا اي رافعا لامعا واصلا اثره في الافاق والانفس حتى استقر اي ثبت ذلك العمود واستمر بالشام رواهما اي الحديثين البيهقي في دلائل النبوة ووافقه في الحديث الاول البخاري في تاريخه والحاكم في مستدركه وعن ابي الدرداء رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فسطاط المسلمين اي مكان الغيبة منهم يوم الملحمة بالغوطة الى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام رواه ابو داود وعن عبد الرحمن بن سليمان لم يذكره المؤلف في اسمائه قال سياتي ملك من ملوك العجم فيظهر اي يغلب على المدائن اي البلدان كلها اي جميعها الا دمشق اي الا مدينة دمشق انتهى رواه ابو داود انتهى والله اعلم

باب ثواب هذه الامة

اي الطائفة المجتمعة بين الاجابة والمتابعة المعبر عنهم بالفرقة الناجية في التنقيح المبنية ليس في الامة على الاطلاق قال في التوضيح المراد بالامة المطلقة اهل السنة والجماعة وهم الذين طريقتهم كطريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله تعالى عنهم دون اهل البدع قال صاحب التلويح لان المبتدع وان كان من اهل القبلة فهو من امة الدعوة دون المتابعة كالكفار

الفصل الاول عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما اجلكم قال الطيبي الاجل المدة المضروبة للشيء قال تعالى لتبلغوا اجلا مسمى ويقال للمدة المضروبة لحياة الانسان اجل فيقال دنا اجله وهو عبارة عن دنو الموت واصله استيفاء الاجل اي مدة الحياة والمعنى ما اجلكم في اجل من مضى من الامم في الطول والقصر الا مقدار ما بين صلاة العصر اي صلاة المغرب من الزمان انتهى وتوضيحه ان الاجل تارة يعبر به عن جميع الوقت المضروب للشيء لكونه معلقا او مقدرا كما في قوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده وتارة يطلق على انتهاء الوقت واخره وهو المعنى بقوله سبحانه وتعالى اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون والمراد بالاجل هنا هو المعنى الاول فالمعنى انما مدة اعماركم القليلة في اجل من خلا من الامم اي في جنب اجال من مضى من الامم الكثيرة ما بين صلاة العصر الى مغرب الشمس اي مثل ما بينهما حسب ما بين صلاة الظهر الى العصر او ما بين الفجر والظهر او ما بين الفجر

والعصر

والعصر الى المغرب الا انه خلاصته اي مدتكم في العمل قليلة واجركم كثير بما ياتي من ما ذكره المثل وهو قوله وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى اي مع الرب سبحانه وتعالى كرجل استعمل عمالا بضم ففتح مشدد جمع عامل اي طلب منهم العمل فقال اي على طريق الاستفهام من يعمل لي الى نصف النهار اي من طلوع الشمس الى زوالها فالمراد بالنهار العرفي لانه عرف اهل العمل على قيراط قيراط اي نصف دانق على ما في الصحاح وقيل القيراط جزء من اجزاء الدينار وهو نصف عشره في اكثر البلاد واتى به مكررا كما هو لمن النوع في الدين وتدل عليه جميعها على ذكر تكرير قيراط وذكر قيراط للدلالة على انه الاجر لكل واحد منهم قيراط لان المجموع الطائفة قيراط فعملت اليهود اي اتباع موسى الى نبي في الزمان الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال اي الرجل المستعمل للعمال من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى اي اتباع عيسى بعد اليهود من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا للتنبيه فانتم الذين تعملون بالخطاب والا ما في رواية البخاري فانتم تعملون وفي نسخة صحيحة بالغيبة وهو الظاهر من ارادة الموصول اي فانتم مثل الذين يعملونه او فانتم هم الذين يعملون مثلا من صلاة العصر الى مغرب الشمس الا للتنبيه لكم الاجر مرتين اي مثلي ما لليهود والنصارى وكانه مقتبس من قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته فان هذه الامة صدقوا نبيهم والانبياء الماضية ايضا فغضبت اليهود والنصارى فقالوا نحن اكثر عملا واقل عطاء اي قال اهل الكتاب ربنا اعطيت امة محمد ثوابا كثيرا مع قلة اعمالهم ولعلهم يقولون ذلك يوم القيامة وقد حكى عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بصيغة الماضي لتحقق ذلك او صدر عنهم مثل ذلك لما اطلعوا في كتابهم على فضائل هذه الامة في كتبهم او على السنة رسلهم وعلى كل تقدير في الحديث دليل على ان الثواب للاعمال ليس على قدر التعب ولا على جهة الاستحقاق لان العبد لا يستحق على مولاه لخدمته اجرا بل المولى يعطيه من فضله وله ان يتفضل على من يشاء من العبيد على وجه المزيد فانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال الطيبي لعل هذا تخييل وتصوير لا حقيقة ثمة مقاولة ومكالمة حقيقية اللهم الا ان يحمل ذلك على حصولها عند اخراج الذر فيكون حقيقة انتهى واستدل به علماؤنا تقوية لقول ابي حنيفة ان اول العصر بصيرورة ظل كل شيء مثليه اكثر منه الى اخرها لانه ينبغي ان يتحقق كون النصارى اكثر عملا في هذا التقدير واجيب بان التفاوت بين هذين الوقتين لا يعرفه الا الحساب والمراد من الحديث تفاوت يظهر لكل احد من الافراد اكثرهم لان الاحكام الفقهية مبنية على الاعتبارات الغالبية فلا يدري الحكم له وقال الكرماني في شرح البخاري لا يلزم من كونهم اكثر عملا اكثر زمانا لاحتمال كون العمل اكثر في الزمان الاقل فقلنا اقوى بهذا الاحتمال بعيد مع ان من احتمال كون العمل اكثر في الزمان الاكثر اذا تفاوت الا احتمال العقلي ان كان والعرف حاكم باعتبار الغالب اذ الزمان معيار للعمل فيكون العمل الاكثر في الزمان الازيد وكذا عكسه مع ان في تفسير الحديث الشريف دلالة على اعتبار هذا المعنى وقال الله تعالى فهل ظلمتكم اي نقصتكم من حقكم شيئا تنقضون به او مطلق قالوا اي اهل الكتاب لا قال الله تعالى فانه اي الشان فضلي اي عطائي الزائد اعطيه من شئت او التقدير فان العطاء الكثير المدلول عليه بالسياق فضلي قال الطيبي الضمير راجع الى موقع اسم الاشارة والمشار اليه قوله الاجر مرتين وانما لم يكن ظلما لانه تعالى شرط معهم شرطا وقبلوا ان يعملوا به فكان تفضله في النقص على اليهود وشرطه في زمانه انما زمانهم مع انهما في الاخرة مختص وبا له وانما المسلمون فقد عظمهم انه من ضعف الاخرة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء انتهى لكن قوله انهما في الاخرة

المراد

مثناة ديان ليس في محله لان كلا لليهود والنصارى بالممثلين في هذا الحديث هم الذين بقوا على دين
الحق من تابعي الكتابين والنبيين دون الكفار من الطائفتين فانهم ليس لهم من الاجر شي
ولا شك ان النصارى حيث امنوا بعيسى والانجيل مع ايمانهم بموسى والتوراة لهم من المثوبة
الحسنى ما ليس لليهود الذين كانوا ايمانهم بكتابهم ونبيهم فقط لا اختلاف في تفسير قوله تعالى
اولئك يؤتون اجرهم مرتين فعلم من هذا الحديث ان تكرار الاجر غير مختص بالكتابي اذا دخل
في دين الاسلام كما هو مفهوم من ظاهر الآية يؤتكم كفلين من رحمته اولئك يؤتون اجرهم مرتين
ومن حديث ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب امن بكتابه وامن بمحمد صلى الله عليه
وسلم ويوضحه ما في تفسير البغوي بسنده مرفوعا قال مثل المسلمين واليهود والنصارى
كمثل رجل استعمل قوما يعملون له عملا يوما الى الليل على اجر معلوم فعملوا الى نصف النهار
فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اكملوا بقية
عملكم وخذوا اجركم كاملا فابوا وتركوا واستاجر قوما اخرين بعدهم فقال اكملوا بقية يومكم
ولكم الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك
الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال اكملوا بقية عملكم فانما بقي من النهار شي يسير فابوا فاستاجر
قوما ان يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا اجر الفريقين
فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور يعني في قوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل
لكم نورا تمشون به رواه البخاري وفي شرح السنة قال الخطابي يروى هذا الحديث على
وجوه مختلفة في توقيت العمل من النهار وتقدير الاجرة ففي هذه الرواية قطع الاجرة لكل
فريق قيراطا وتوقيت العمل عليهم زمانا زمانا واستيفاؤه منهم وايفاؤهم الاجرة وفيه قطع
الخصومة وزوال العتب عنهم وابراؤهم من الذنب وهذا الحديث مختصر وانما اكتفى الراوي منه
بذكر مآل العاقبة فيها اصحاب كل واحدة من الفرق وقد روى محمد بن اسمعيل هذا الحديث باسناده
عن سالم بن عبد الله من رواية قال اوتي اهل التوراة التوراة فعملوا حتى اذا انتصف النهار عجزوا فاعطوا
قيراطا قيراطا ثم اوتي اهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا
ثم اوتينا القران فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فهذه الرواية تدل على ان
مبلغ الاجرة لليهود لعمل النهار كله قيراطان واجرة النصارى للنصف الباقي قيراطان فلما
عجزوا عن العمل قبل تمامه لم يصيبوا الا قدر عملهم فاعطوا على قدر عملهم وهو قيراط ثم انهم
لما راوا المسلمين قد استوفوا قدر اجرة الفريقين حسدوهم فقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا
انتهى ويحتمل ان يدل الحديث على ان زمن هذه الامة اقل من زمن النصارى كما ان زمن النصارى
اقل من زمن اليهود وعلى ان دين هذه الامة متصل الى قيام الساعة لا ينسخه ناسخ انتهى
وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابا ... ان ... وفي نسخة
المتاركة في انواع شتى بحذف ان وكذا في الجامع الصغير بلفظ من اشد امتي لي حبا اي
الي اعزهم في زمانهم ناس بالرفع على انه مبتدا موصوف بقوله يكونون بعدي اي يوجدون بعد
موتي يود احدهم لو راني اي يتمنى ان راني مفديا باهله وماله قال المظهر الباء في باهله بمعنى
لا التعدية كما في قولك ... يعني يتمنى احدهم ان يكون مفديا باهله وماله لو اتفق رؤيته
ووصوله الي قال الطيبي لو هذه كما في قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فلا بد
ليود من مفعول فلو مع ما بعده نزل منزلته كانه قيل يود احدهم ويحب ما يلزمهم فيه ... يود
باهله ان يفدي اهله وماله لرؤيتي نقلت الا ان كلام المظهر على ما اشار اليه ان لو هنا حرف
مصدري بمنزلة ان الا انها لا تنصب واكثر وقوعها بعد ود او يود ونحوهما والوقه

فيه فقوله

فيه فقوله يود احدهم لو يعمر الف سنة قال المغني واكثرهم لم يثبت ورود لو المصدرية والذي اثبته
الفراء وابو علي وابو البقاء والتبريزي وابن مالك ويقول المانعون في نحو يود احدهم لو يعمر الف
سنة انها شرطية وان مفعول يود وجواب لو محذوفان والتقدير يود احدهم التعمير لو يعمر
الف سنة لسره ذلك ولا خفاء بما في ذلك من التكلف رواه مسلم وعن معاوية قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال وفي نسخة بالفوقية بالتحتية من امتي اي من جملة امتي
بالاجابة امة اي طائفة قائمة بامر الله اي بامر دينه واحكام شريعته من حفظ الكتاب وعلم السنة
والاستنباط منهما والجهاد في سبيله والنصيحة لخلقه ونحو ذلك من فروض الكفاية كما يشير اليه
قوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا يضرهم
اي لا يضر دينهم وامرهم من خذلهم اي من ترك عونهم ونصرهم بل ضر نفسه وظلم عليها باساءتها ولا
من خالفهم اي لم يوافقهم على امرهم حتى ياتي امر الله اي موتهم وانقضاء عهدهم وهم على ذلك
اي على القيام بامره وفيه اشعار بانه لا يخلو وجه الارض ... يخلو من القائمين على امر الله تعالى
المتناهين بين الحافظين لامور الشريعة يستوي عندهم معه وترك الناس ومخالفتهم اياه وفسر
شارح امر الله بالقيامة ويشكل بحديث لا تقوم الساعة حتى لا يكون في الارض من يقول
الله وقال شارح قائمة بامر الله اي متمسكة بدينه ... الامة القائمة بتعليم العلم
وحفظ الحديث لانا منة الدين وقيل هم المعتصمون على الاسلام المذكور لمن قام الى يوم
والباء في بامر الله بمعنى مع او للتعدية اي دائمة مع امر الله او مديمة اياه وقيل يحتمل ان المراد
به ان شوكة اهل الاسلام لا تزول بالكلية فان ضعف امر في قطر يقوى في قطر اخر او ناحية
باعلائه طائفة من المسلمين وقال التوربشتي الامة القائمة بامر الله وان اختلف فيها
فان المعتد به من الاقوال انها الفئة المرابطة بثغور الشام نضر الله بهم وجه الاسلام
لما في بعض طرق هذا الحديث وهم بالشام وفي بعضها حتى تقاتل اخرهم المسيح الدجال وفي بعضها
قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس **فان قيل** ما وجه هذا الحديث
وما في معناه من الاحاديث التي وردت في اهل الشام وقد علا شأن الذباب في التقطيع وعبرت
الجنود العادية عن الفرات واباحت على ما في وراءه من البلاد كمنبج وسروج وحلب وما حولها
قلت انما اراد بقوله لا يضرهم كل الضرر وقد اضر الكفار يوم احد باصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ولما كانت العاقبة للتقوى لم يعد ذلك ضررا عليهم مع ان الفئة المزعوجة
لهم بالنصر هم جيوش الغازية ولم يصبهم بحمد الله الى يوم ... فيه ولا ... بل كان لهم النصرة
وعلى عدوهم الدبرة متفق عليه ورواه ايضا ابو داود والنسائي وابن ماجه كذا قال السيد
جمال الدين ورواه الشيخان عن المغيرة ولفظه لا تزال طائفة من امتي ظاهرين حتى ياتيهم
امر الله وهم ظاهرون ورواه ابن ماجه عن ابي هريرة ولفظه لا تزال طائفة من امتي قوامة على
امر الله لا يضرها من خالفها ورواه الحاكم عن عمر ولفظه لا يزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق
حتى تقوم الساعة وذكر حديث انس ان من عباد الله من لو اقسم على الله لابره في كتاب
القصاص لمناسبة والله اعلم

الفصل الثالث

عن انس رضي الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر اي في حكم ابهام افراد الجنس لا يدرى
اوله خير ام اخره اي ينفع اولا واخرا والمطر الاخر قال التوربشتي
لا يحمل هذا الحديث على التردد في فضل الاول على الاخر فان القرن الاول هم المفضلون على
سائر القرون من غير شبهة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وفي الرابع اشتباه من قبل الراوي
وانما المراد بهم نفعهم في بث الشريعة والذب عن الحقيقة قال القاضي نفي تعلق العلم بتفاوت

الفصل الثالث من باب ثواب هذه الامة

طبقات الامة في الخيرية واراد به نفي التفاوت كما قال تعالى فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم ما في
السموات ولا في الارض اي بما فيه من التفاوت كما قال لو كان يعلم الامور فيخفى ولكن لا يعلم
لاختصاص كل طبقة منهم بخاصية وفضيلة توجب خيريتها كما ان كل نوبة من نوب المطر
لها فائدة في النشور والنماء لا يمكنك انكارها والحكم بعدم نفعها فان الاولين امنوا بما
شاهدوا من المعجزات وتلقوا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاجابة والايمان والاخرين
امنوا بالغيب لما تواتر عندهم من الايات واتبعوا من قبلهم باحسان وكما ان المتقدمين
اجتهدوا في التاسيس والتمهيد فالمتاخرون بذلوا وسعهم في التلخيص والتجريد وصرفوا
عمرهم في التقرير والتاكيد فكل مغفور وسعيهم مشكور واجرهم موفور انتهى وحاصله
انه كما لا يحكم بوجود النفع في بعض الامطار دون بعض فكذا لا يحكم بوجود الخيرية في بعض
افراد الامة دون بعض من جميع الوجوه اذ الحيثيات مختلفة الكيفيات ولكل وجهة هو موليها
فاستبقوا الخيرات ومع هذا فالفضل للمتقدم وانما هذا التسلية للمتاخر اي ان باب الله
مفتوح وطلب الفيض منه مفتوح قال الطيبي وتمثيل الامة بالمطر انما يكون بالهدى
والعلم كما ان تمثيله صلى الله عليه وسلم الغيث بالهدى والعلم فتختص هذه الامة المشبهة
بالمطر بالعلماء الكاملين منهم والمكملين لغيرهم فيستدعي هذا التفسير ان يراد بالخير النفع
فلا يلزم من هذا المساواة في الافضلية ولو ذهب في الخيرية فالمراد وصف الامة
قاطبة سابقها ولاحقها واولها واخرها بالخير وانها ملتحمة بعضها مع بعض مرصوصة بالبنيان
مفرغة كالحلقة التي لا يدري اي طرفيها وفي اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة
لا يدرى اين طرفاها انتهى المحكى ويلمح الى هذا المعنى قول ابي تمام
ان الخيار من القبائل واحد وبنو حنيفة كلهم اخيار
واحاصل ان الامة مرتبط بعضها مع بعض في الخيرية بحيث ابهم امرها فيها وارتفع
التمييز بينها وان كان بعضها افضل من بعض في نفس الامر وهو في معنى قول العلوم مستا
عيرم دني معنى قول الشاعر وادى الى حفصه
فثابه يوما وعليها فاشكلا فاخبرني اي يوميه افضل
يوم ابدا العمر ام يوم باسه وما منهما الاغر محجل
ومن العلوم علماء جليا ان يوم بداءة العمر افضل من يوم باسه لكن لما كان لابد للمالك من سائسه
الا باليأس اشكل عليه الامر فقال ما قال وكذا امر المطر والامة انتهى وخلاصته ان هذه الامة
كلها لا تخلوا عن الخير كما اشار اليه بقوله هذه امة مرحومة لكون نبيها نبي الرحمة فجلاؤه سائر
الامم فان الخير في سابقهم ثم جاء الشر في لاحقهم حيث بدلوا كتبهم وحرفوا ما كان عليه اولهم
رواه الترمذي اي وقال هذا حديث غريب وروي احمد عن عمار باسناد وابن حبان في صحيحه
عن سلمان نقل النووي في فتاواه ضعيف متعقب وقد تصحح كلامه بانه ضعيف في بعض
طرقه لكن في عرف المحدثين فيانيه الاطلاق فلا احتراز في قاله انه ضعيف في نفسه حسن لغيره
بل قال بعض المحققين حديث مثل امتي مثل المطر حديث حسن له طرق قد يرتقي بها الى الصحة انتهى
وفي الجامع الصغير رواه احمد والترمذي عن انس واحمد عن عمار وابو يعلى عن علي والطبراني عن ابن
عمر وعن ابن عمرو انتهى والله اعلم **الفصل الثالث عن جعفر رضي الله تعالى عنه**
اي الصادق عن ابيه اي محمد الباقر عن جده اي زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله
تعالى عنهم ويسمى مثل هذا السند سلسلة الذهب **قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم**
ابشروا من الابشار وفي القاموس ابشر فرح ومنه ابشر بخير **وابشروا** كرره للتاكيد واحدهما للدنيا

والاخر للاخرى وما يبعد ان يكون ذلك في بمعنى بشر واجاب ما في القاموس انما مثلا امتي اي افراد
امته الاجابة **مثل الغيث** اي مثل انواع المطر في حصول المنفعة **لا يدري اخره خير ام اوله**
ولعل عكس الترتيب هنا لا فادة زيادة المبالغة او **كحديقة** او للتنويع او التخيير والمعنى
كمثل البستان ذي اشجار ذات اثمار وشبه بالدين باعتبار ارباعه وار كانه وشعبه **او عفا**
اطعم بصيغة المجهول اي انتفع **منها** اي من بعضها **فوج** اي جميع **عاما** اي سنة ثم **اطعم منها** اي
من بعضها الاخر فوج **عاما** لعل اخرها فوجا منصوب على التمييز **ان يكون** اي اخرها **اعرضها عرضا**
واعمقها عمقا واحسنها حسنا بالنصب على انها خبر يكون وجوز الطيبي رفعها كما سياتي لكنه
غير موجود في النسخ الحاضرة **كيف تهلك امة** اي بالكلية **انا اولها والمهدي وسطها** بفتح
السين ويسكن **والمسيح** اي عيسى عليه السلام **اخرها** اي اخر الامة **ولكن بين ذلك** اي بين
ما ذكرنا اولها واوسطها المنقسم باخرها **فيج** بفتح فا وسكون يا تحتية اي فوج **اعوج** وافرد
باعتبار لفظ الفوج قال في المصباح الفيج الجماعة وقد يطلق على الواحد فيجمع على فيوج واياج
كبيوت وابيات وقال الازهري اصل فيج بالتشديد لكنه خفف كما في هين وهين **ليسوا**
اي ذلك الفوج وجمعه باعتبار المعنى **مني** متصلا بي ومنتهيا الي او من اتباعي واحبابي
ولا انا منهم بل انا منهم متبري منهم وغير راض عنهم بفسقهم وظلمهم هذا وقال الطيبي ان قوله
او حديقة ابو هذه مشعرة في قوله تعالى او كصيب من السماء في انها مستعان للتساوي في
غير الشك كقولك جالس الحسن او ابن سيرين بمعنى انهما سيان في استصواب ان يجالسا
ومعناه ان كيفية منفرا في مشبهة بكيفيتي المطر والحديقة وانهما سواء في استقلال كل
واحدة منهما بوجه التشبيه فبايهما مثلها فانت مصيب في تمثيلها بهما جميعا **فان قلت**
اي فرق بين التمثيلين **قلت** شبهت الامة في التمثيل الاول بالمطر في نفع الناس بالعلم
والهدى وفي الثاني بالانتفاع من علم الرسول وهداه في انبات الكلام والشعب الكثيرة
وحصول الاخلاق ثم انتفاع الناس منها بالرجي والتبقي وهو المعني بالفوج الذي اطعم من
الحديقة عاما والحديقة كل ما احاط به البناء من البساتين وغيرها وقوله ان يكون خبر لعل
وادخل فيه ان تشبيهه للعل بعسى واسم يكون يحتمل ان يكون ضميرا عائدا الى اخرها واعرضها
خبره ووصف الامة بالطول والعرض والعمق باعتبار ملابستها بالحديقة وان يكون اعرضها
صفة موصوف محذوف هو اسم يكون والخبر مقدر اي يكون الحديقة اعرضها عرضا لان روي
مرفوعا واعرض واعمق واحسن خبرها مبالغة اي ابلغها عرضا وعمقا وحسنا نحو قولك لهو اشعر
الجن من الحجر والقبيف احرم الشتاء انوله لا يخفى الفرق بينهما على ذوي النهى ثم قال وقوله احسنها
حسنا كقوله جد جده وجن جنونه وعرضا يحتمل ان يكون اسم عين بدليل قوله واعمقها عمقا
وان يكون اسم معنى بدليل واحسنها حسنا ولا ينبغي ان يقال من قبل الامام زين العابدين
روى عنه ابنه جعفر الصادق وغيره وابا جعفر الصادق قد ذكره المؤلف في التابعين واظن
انه سهوا وهم فانه لم يدرك احدا من الصحابة بل روى عن ابيه وغيره وسمع منه الائمة الاعلام
كابي حنيفة ومالك بن انس والثوري وابن عيينة وغيرهم ودفن بالبقيع في قبر فيه
ابوه محمد الباقر وجده زين العابدين وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وقد سبق الكلام
على ما يتعلق بهذا السند من المرام **قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الخلق**
اي اي المخلوقات **اعجب** اي اغرب **اليكم ايمانا** تمييز **قالوا** اي بعض الصحابة **الملائكة** اي اعجب
الخلق ايمانا والتقدير هم الملائكة **قال وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم** اي مقربون عند
ربهم شاهدون عجائب الملكوت وغرائب الجبروت فاي عجب وغرابة في ايمانهم **قالوا** اي بذلك المعنى

او بعض اخر فالنبيون اذ لم يذكر الملائكة قال وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم بصيغة
الفاعل وفي نسخة بالمفعول قالوا فنحن قال وما لكم لا تؤمنون وانا بين اظهركم اي فيما
بينكم تشاهدون معجزاتي واتلو عليكم آياتي قال اي الراوي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان اعجب الخلق الي اي ايمانا لقوم يكونون اي يوجدون من بعدي اي من بعد
مماتي من التابعين واتباعهم الى يوم الدين يجدون استئناف بيان اي يصادفون صحفا
بضمتين جمع صحيفة اي مصاحف واجزائها كتاب اي مكتوب من عند الله تعالى وهو القرآن
يؤمنون بما فيها اي بما في تلك الصحف ولا يبعد ان يفسر الصحف بما يشمل الكتاب والسنة
وحسب وزاد الكلام في الاعجبية ولا شبهة فلا اشكال بالحديث في الافضلية بوجه من
الوجوه المرتبة هذا وقال الطيبي قوله اعجب ايمانا يحتمل ان يراد به اعظم ايمانا على سبيل المجاز
لان من تعجب من شيء عظمه فجوابهم مبني على المجاز ورده صلى الله عليه وسلم مبني على ارادة
الحقيقة والثاني قوله فالنبيون وفي قوله فنحن كانه في ذلك الاشارة الى الامثل فالامثل والافضل
فالافضل ولا يلزم من هذا افضلية الملائكة على الانبياء لان التوزيع في كونهم متعجبا
منه بحسب الشهود والغيبة لا في تفسيره قوله تعالى يؤمنون بالغيب اي غائبين عن
المؤمن به وبعضهم ما روي ان الحارث بن عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل
من ايمان بالغيب ثم قرأ هذه الآية انتهى ولا يخفى ان الصحابة ايضا كانوا مؤمنين بالغيب
لكن باعتبار بعض المؤمن به مع مشاهدة بعضه بخلاف التابعين فان ايمانهم بالغيب
كله ثم في هذه الحيثية ايمانهم اعجب وافضل والله اعلم وعن عبد الرحمن بن العلاء الحضرمي
لم يذكره المؤلف في اسمائه وذكر اباه العلاء فقال ابو عبد الله حضرمي كان عاملا للنبي صلى
الله عليه وسلم على البحرين واقره ابو بكر وعمر عليها مات العلاء سنة اربع عشرة روى
عنه السائب بن يزيد وغيره قال حدثني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون
اباه او غيره يقول اي النبي صلى الله عليه وسلم انه اي الشان سيكون في آخر هذه الامة قوم
لهم مثل اجر اولهم يأمرون بالمعروف استئناف بيان وينهون عن المنكر ويقاتلون اي
بايديهم او بالسنتهم اهل الفتن اي من البغاة والخوارج والروافض ونحوهم من اهل البدع
رواهما اي الحديثين البيهقي في دلائل النبوة وعن ابي امامة اي الباهلي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال طوبى لمن رآني يعني وآمن بي وطوبى سبع مرات لمن لم يرني وآمن
بي ولا يبعد ان يكون هذا قيدا لهما قال الطيبي قوله وطوبى جملة معطوفة على السابق تقديره
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات فعلى هذا سبع
مرات ظرف لقال متعلق بطوبى وما يتعلق به ويحتمل ان يكون سبع مرات مصدرا
لطوبى ومقول القول رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به التكثير لا التحديد انتهى وضعف
ان سبع مرات على الاول قول الراوي وهو بعيد والاقرب ما ذكره ثانيا لما في بعض الروايات
للثانية رواه احمد وفي الجامع طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات
رواه احمد والبخاري في تاريخه وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن ابي امامة ورواه
احمد ايضا عن انس ورواه الطيالسي وعبد بن حميد عن ابن عمر بلفظ لمن رآني وآمن بي وطوبى
لمن آمن بي ولم يرني ثلاث مرات ورواه احمد وابن حبان عن ابي سعيد ولفظه طوبى لمن رآني
وآمن بي ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني وعن ابن محيريز بضم ميم وفتح حاء وسكون تحتية
فراء مكسورة فتحتية ساكنة فزاي في جمعهم لم يذكره المؤلف في اسمائه قال قلت لابي جمعة

بخمسين

بخمسين وبعضهم ان اسمه رجل قيل لابي جمعة من الصحابة بيان للرجل قال المؤلف يقال
له الانصاري ويقال الكناني واختلف في اسمه فقيل حبيب بن سباع وقيل جنيد بن سبع
وغير ذلك له صحبة يعد في الشاميين حدثنا بصيغة الامر استدعاء والتماس حديثا
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم اي قلت احدثك حديثا جيدا بفتح جيم
وتشديد ياء مكسورة اي حسنا تغدينا اي اكلنا الغداء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعنا ابو عبيدة بن الجراح وهو احد العشرة المبشرة فقال اي ابو عبيدة يا رسول الله احد
اي واحد خير منا اي ممن بعدنا او من السابقين واللاحقين اسلمنا اي على يدك وجاهدنا
معك قال نعم قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني والمعنى انهم خير منكم من هذه الحيثية
وان كنتم خيرا منهم من جهة الصحبة والمشاهدة والمجاهدة قال الطيبي قوله معك حال من
الجملة الثانية ومثله تقدر في الجملة الاولى اي اسلمنا معك كقوله تعالى رب اني ظلمت
نفسي واسلمت مع سليمان وحرف الاستفهام محذوف ويحتمل ان يكون في الاستفهام
واسلمنا وجاهدنا حال ونعم وقعت موقعه وان يكون الاستفهام للانكار واسلمنا
استئناف لبيان نفي خيرية الغير عنه وعلى هذا وقعت نعم موقع بلى فالخيرية بسبب الشهود
والغيبة كما سبق بيانه انتهى والله اعلم رواه احمد والدارمي وروى رزين عن ابي عبيدة
من قوله قال يا رسول الله احد خير منا الى آخره وعن معاوية بن قرة بضم قاف فتشديد راء
قال المؤلف معاوية بن قرة بن اياس البصري سمع اباه وانس بن مالك وعبد الله بن
مغفل روى عنه قتادة وشعبة والاعمش ثقة ثبت وهو قرة بن اياس المزني سكن البصرة
ولم يرو عنه غير ابنه معاوية وقتلته الازارقة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا فسد اهل الشام فلا خير فيكم اي للقعود فيها او التوجه اليها ولا يزال طائفة من امتي
منصورين اي غالبين على اعداء الدين لا يضرهم من خذلهم اي ترك نصرتهم ومعاونتهم حتى
تقوم الساعة اي تقرب قيامها لما سبق من انها لا تقوم وفي الارض من يقول الله قال ابن
المديني من اكابر المحدثين هم اي تلك الطائفة اصحاب الحديث اي المحدثون من حفاظ الحديث
ورواتهم او العاملون بالسنة المبينة للكتاب فالمراد بهم اهل السنة والجماعة قال
الطيبي لا منافاة بين هذا الحديث وبين قوله في الحديث السابق لا يزال من امتي امة
قائمة بامر الله تعالى على ما امرنا ان المراد منهما الفئة المرابطة بثغور الشام لان اللفظ
يحتمل كلا المعنيين اقول يحتمل ايضا الجمع بين الوصفين قال واما قوله لا يضرهم من خذلهم
فيحتمل الخذلان في ترك المعاونة لهم على المتبرع عنه فيكون هنا مجازا وهنالك حقيقة انتهى
والظاهر انه كلا المعنيين حقيقة ففي القاموس خذله وعنه خذلا وخذلانا بالكسر ترك
نصرته رواه الترمذي اي الحديث بقوله فقال ابن المديني جملة معترضة لبيان الحديث
وتفسيره ويحتمل ان يكون مدرجا داخلا تحت قوله رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح
وسيجيء جواب الاشكال من هذا الاتيان وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز اي عفا وزاد في الجامع لي اي لاجلي عن امتي اي
الاجابة الخطأ بفتحتين ويجوز مده وهو ضد الصواب والمراد به هنا ما لم يتعمده والمعنى انه عفا
عن الاثم المرتب عليه بالنسبة الى سائر الامم واما المؤاخذة المالية كما في قتل النفس خطأ
واتلاف مال الغير فثابتة شرعا ولذا قال علماؤنا اصول الفقه الخطأ عذر صالح لسقوط حق الله
تعالى اذا حصل عن اجتهاد ولم يجعل عذرا في حقوق العباد حتى وجب عليه ضمان العدوان
والنسيان ولا ينافيه الوجوب في حق الله تعالى لكن النسيان اذا كان غالبا كما في الصوم

والتسمية في الذبيحة يكون عفوا ولا يجعل عذرا في حقوق العباد حتى لو اتلف مال انسان
بالنسيان يجب عليه الضمان وما استكرهوا عليه بصيغة المجهول اي ما طلب منهم من
المعاصي على وجه الاكراه وهو حمل الانسان على ما يكرهه ولا يريده شرعا لو الجاهل على الوعيد
كالقتل والضرب الشديد وله تفصيل في حق الله تعالى وحق العباد ومحله كتب اصول
الفقه رواه ابن ماجه والبيهقي وفي الجامع رواه ابن ماجه عن ابي ذر والطبراني والحاكم
في مستدركه عن ابن عباس وفي رواية للطبراني عن ثوبان وعن بهز بفتح موحدة وسكون
ها ذاي ابن حكيم اي ابن معاوية بن حيدة القشيري البصري وقد اختلف العلماء فيه عن ابيه
اي حكيم بن معاوية قال البخاري في صحته نظر وذي عشر ابن اخيه معاوية بن حكيم وقتادة عن
جده اي معاوية بن حيدة لم يذكر المؤلف في اسمائه انه اي جده سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة المعنى انهم كانوا كذلك في علم الله تعالى او اللوح المحفوظ
او بين الامم المتقدمة والمراد جميع المؤمنين من هذه الامة على الاظهر ويدل له هذا
الحديث وقيل خاص بالمهاجرين او بالاصحاب وقيل منهم كذا في تفسير شيخنا المرحوم
مولانا زين الدين عطية السبكي السلمي المكي وفي تفسير الكواشي وقيل خاص بالشهدا
والصالحين وقيل كان بمعنى صار وقال البغوي قوله كنتم اي انتم كقوله تعالى واذكروا اذ
كنتم قليلا وقال في موضع اخر واذكروا اذ انتم قليل وقال البيضاوي قوله كنتم دل على
خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طار كقوله وكان الله غفورا رحيما انتهى وروي عن
عمر رضي الله تعالى عنه ان هذه الامة تكون لاولنا ولا يكون لاوسطنا ولا يكون لاخرنا كذا
ذكره البغوي وايده بحديث خير القرون قرني ثم ثالث وقال الاخرون هم جميع المؤمنين
من هذه الامة قال السيد الصفوي وهو الاصح اخرجت للناس اي اظهرت لهذا الجنس
والجملة صفة لامة وقال الصفوي يعني انتم خير الناس وانفع الناس للناس ويؤيده
ما قال البغوي انه قال قوم للناس من صلة قوله خير امة اي انتم خير الناس للناس
وقال ابو هريرة معناه كنتم خير الناس للناس تجيئون بهم في السلاسل فتدخلونهم في
الاسلام وقال قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم
يقاتلون الكفار فيدخلونهم في دينهم فهم خير امة للناس وقيل قوله للناس من صلة قوله
اخرجت ومعناه ما اخرج الله للناس امة خيرا من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد اشار
اليه صاحب البردة بقوله

لما دعا الله داعينا لطاعته ❊ باكرم الرسل كنا اكرم الامم ❊

اشارة خفية الى ان المفهوم من كون الامة موصوفا بنعت الخيرية ان يكون رسولهم
منعوتا بالاكرمية ولكنه عكس القضية للاستدلال على اجلال المرتبة الرسالة العلية فان
كوننا خير امة من تعالى باخبار نبينا وحده ويبنا بعثته لا تكريم التبع من تكريم المتبوع
على مقتضى المعقول والمشروع والا فيعكس المطلوع والموضوع ولا يظهر حسن المصنوع
قال اي النبي صلى الله عليه وسلم انتم تتمون بضم وكسر فتشديد اي تكملون وتوفون
سبعين امة اي من الامم الكبار انتم خيرها واكرمها على الله قال الطيبي قوله يقول في قوله
تعالى اي في تفسير قوله تعالى فالمراد بسبعين التكثير لا التحديد لمناسبة اضافة الخير
الى المفرد النكرة لانه لاستغراق الامم الفائتة للحصر باعتبار افرادها اي اذا تقصيت امة
امة من الامم كنتم خيرها وتتمون نعت للخيرية لان المراد به الختم كما ان نبيكم خاتم الانبياء
انتم خاتم الامم انتهى وفيه ايماء الى ان ختامه مسك في الاختتام كما اشار لفظ النبوة

في نفس الحديث الشريف بالاتمام رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي وكذا رواه الامام
احمد في مسنده والطبراني والحاكم في مستدركه وقال الترمذي هذا حديث حسن وفيه
اشعار الى حسن المقطع وقد ذكر البغوي بسنده مرفوعا قال ان الجنة حرمت على الانبيا
كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي انتهى وهذا اشارة الى حسن الخاتمة
المبنية على حسن البداءة كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
نحن الاخرون الاولون والاخرون السابقون والحمد لله الذي جعلنا من اهل الاسلام
وتباعد بين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبشكره
تزيد البركات والخيرات وقد فرغت من تسويد هذا الشرح انا ملا العبد الفقير الى كرم
ربه الغني الباري علي بن سلطان محمد الهروي القاري الملتجي الى الحرم المحترم المكي خادم
الكتاب القديم والحديث النبوي عامله الله بلطفه الخفي وكرمه الوفي وعفا عن زلل
قدمه وخلل قلمه وختم له بالحسنى وبلغه المقام الاسنى مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من
الله وكفى بالله عليما وذلك في شهر ربيع الثاني عام ثمان والف بعد الهجرة النبوية على
على صاحبها الوف من الصلاة والاف من التحية ووافق الفراغ من نسخه يوم الاربع
المبارك رابع عشرين رجب الفرد من شهور سنة مائة وواحد واربعين والف على يد
كاتبه الفقير الى عفو ربه الغني علي البسيوني الشافعي الازهري غفر الله له ولوالديه
ولمن يكتبه ومطالعه وقاريه
والمنتفع به ولوالديهم
وللمسلمين اجمعين
وصلى الله على
سيدنا محمد
واله وسلم
تسليما
ابدا

❊ تم الكتاب بكاملت ❊ بنعمة السرور لصاحبه ❊
❊ وعفا الاله بجوده ❊ وبفضله عن كاتبه ❊